سلسلة الرسائل الجامعية (٦)

الصوفية في حضرموت

نشأتها . أصولها . آثارها

(عرض ونقد)

تأليف

أمين بن أحمد بن عبد الله السعدي

دار التوحيد للنشر

الرياض

الصوفية في حضرموت

نشأتها . أصولها . آثارها

ح أمين أحمد عبد الله السعدي، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السعدي، أمين أحمد
الصوفية في حضرموت نشأتها وأصولها وآثارها. / أمين أحمد السعدي.- الرياض، ١٤٢٩هـ
١١٣٥ص؛ ١٧×٢٤سم.
ردمك: ٨ ـ ١٩٨ ـ ٥٩ ـ ٩٩٦٠ ـ ٩٧٨
١ ـ الطرق الصوفية ـ اليمن ٢ ـ التصوف الإسلامي أ ـ العنوان
ديوي ٢٦٩,٥٣٢ ١٤٢٩/٢٦٦

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٢٦٦
ردمك: ٨ ـ ١٩٨ ـ ٥٩ ـ ٩٩٦٠ ـ ٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م

الناشر
دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ ص.ب. ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣
هاتف ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ وناسوخ ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤
البريد الإلكتروني: E-mail: dar.attawheed.pub.sa@gmail.com

سلسلة الرسائل الجامعية (٩)

الصوفية في حضرموت

نشأتها . أصولها . آثارها

(عرض ونقد)

تأليف
أمين بن أحمد بن عبد الله السعدي



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد: فإن الناظر إلى واقع الأمة الإسلامية في جميع أنحاء المعمورة يجدها قد انقسمت إلى طوائفَ وفرقٍ متعددة، وكلُّ طائفة تدعي أنها أحسنُ الطوائف وأنها صاحبةُ الحق دون سواها، وأن الحقَّ لا يخرج عنها، ومن المعلوم أن الحق واحد لا يتعدد، وصاحبه ـ حقاً ـ هو من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ولا ينطبق هذا الوصف إلا على أهل السنّة

والجماعة الذين أخلصوا دينهم لله وجردوا متابعتهم للرسول ﷺ، وكان من تلك الطوائف الكثيرة والمدعية للحق طائفة الصوفية، تلك الطائفة التي يعرفها أكثر الناس؛ لما لها من انتشار واسع في أصقاع المعمورة.

ولما التحقت بالدراسات العليا مرحلة الماجستير وكان على كل طالب أن يقدم موضوعاً ليكون بحثاً لنيل هذه الدرجة، فقد استعنت الله تعالى في البحث عن موضوع يعالج وضعاً يسود بلدي، فرأيت أن التصوف الذي ضرب أطنابه في مناطق كثيرة من اليمن، وبث الشرك والبدع بين الناس بحاجة إلى دراسة لا سيما بلاد حضرموت التي كان لها أثر كبير على بلدان شتى، وجعلت الرسالة بعنوان (الصوفية في حضرموت: نشأتها وأصولها وآثارها).

وتتضح أهمية هذه الدراسة لما تحتوي عليه من بيان لعقائد ومبادئ هذه الفرقة التي كان لها الأثر الواضح في انحراف كثير من الناس عن العقيدة الصحيحة، ومن ثم عرض تلك العقائد على ميزان الكتاب والسنّة لبيان مدى انحرافها عن جادة الحق.

كما إنّ في هذه الدراسة تذكيراً ودعوة لهذه الطائفة للعودة إلى الحق وتحذيراً لعموم المسلمين من الوقوع في شيء من مخالفاتها، أسوة بسلفنا الصالح وعلمائنا الأجلاء حيث كتبوا وألّفوا في الفرق والطوائف المخالفة التي تنتسب إلى الإسلام مبينين عقائدها التي تخالف عقيدة أهل السنّة والجماعة لتجنبها والتحذير من الوقوع فيها.

ولما للصوفية ـ كما هو الواقع ـ من انتشار واسع في كثير من بلدان العالم الإسلامي ونشاط في بعض الأماكن أكثر من البعض الآخر؛ فإن الدراسة في هذه الطائفة تعطي تصوراً واضحاً عن حقيقتها، وبالتالي نقدها نقداً علمياً، وذلك بعرض باطلها على الشرع لإحقاق الحق وإبطال الباطل، كما قال سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ﴾ [الأنبياء: ١٨].

ولقد كانت بلاد حضرموت ـ كبرى محافظات اليمن ـ من البلدان التي لها مكانة وشهرة كبيرة في العالم الإسلامي، ولأهلها نشاط واضح داخل اليمن

وخارجها عبر التاريخ الإسلامي، وقد كانت عامرة بالسنّة حقبة من الزمن إلى أن دخلت الصوفية بعد ذلك مما أدى إلى انتشار الشرك والبدع والمخالفات فيها، وانطماس نور التوحيد والهدي النبوي في بعض الأماكن وفي فترات مختلفة، مما يدفع كل غيور على دينه إلى أن بيان حال هذه الطائفة وحقيقتها وما تحمله من مخالفات لدين الله وشرعه، وإيجاد السبل والحلول لمعالجة هذه المخالفات التي وقع فيها كثير من الناس، وذلك بتوضيح عقيدة السلف الصالح التي يجب التمسك بها، وهذا من باب النصح للإسلام والمسلمين كما قال الرسول ﷺ: «الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

أسباب اختيار الموضوع:

وكان من أسباب اختياري للموضوع ما يلي:

١ ـ كثرة الصوفية وانتشارها في حضرموت مع كثرة الشركيات والبدع التي نشرتها في صفوف المسلمين، وتلبيسها على الناس وتزيين باطلها بطرق متعددة ووسائل شتى، مما أدى لوقوع كثير من الناس في حبائلها بدعوى الزهد والعبادة ومحبة الأولياء والصالحين وغير ذلك.

٢ ـ في الكتابة في هذا الموضوع إسهام في الدفاع عن عقيدة أهل السنّة والجماعة ومحاربة ما يضادها من البدع والخرافات التي نشرتها هذه الطائفة، ولا تتأتى الكتابة في ذلك إلا بالاطلاع على كتبها وأعمالها المخالفة للشرع، وكشف حقيقتها للناس بشيء من العمق، لتجنبها والحذر منها.

٣ ـ محاربتهم لدعوة أهل السنّة والتحذير من دعاتها ونبزهم بالألقاب المنفرة والتهم المفتراة، مما بغّض دعوة أهل الحق إلى بعض أهل تلك البلاد، وبالتالي اتباع الباطل وأهله.

٤ ـ كوني من أهل تلك البلاد فلعلي أدرى بطبيعة البلد من غيري من أهل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (ص٥٤) برقم (٥٥)، طبعة بيت الأفكار الدولية.

البلاد الأخرى، مما مكنني من معرفة أشياء كثيرة عنهم، قد تخفى على بعض من هو بعيد عن تلك البلد.

٥ ـ لم أجد ـ بعد البحث والاستقصاء ـ رسالة علمية في هذا الموضوع خصصت الدراسة عن صوفية حضرموت إلا بعض الكتابات الخاصة التي تُعنى ببعض المخالفات بعينها.

٦ ـ جهل كثير من أهل اليمن بحقيقة الصوفية في حضرموت، وظن بعضهم أن الخلاف مع الصوفية هو في بعض المحدثات العملية من الأذكار والاحتفالات البدعية فقط ولم يعلموا أن الخلاف مع الصوفية أكبر من ذلك، كما سيتبيّن من خلال البحث والدراسة عن هذه الطائفة إن شاء الله تعالى.

٧ ـ أثر صوفية حضرموت البالغ على بعض بلدان العالم الإسلامي، وذلك بنشر أفكارهم واعتقاداتهم فيها، لا سيما حيث انتشار الجهل وقلّة دعاة الحق، ولا يزال أثرهم باقياً إلى اليوم.

٨ ـ إبراز جهود العلماء وبعض الولاة في محاربة التصوف الدخيل على بلاد حضرموت.

٩ ـ تشجيع بعض المشايخ الفضلاء في القسم عند استشارتهم وإبداء الموافقة على هذا الموضوع.

وأسأل الله أن يوفقني في بحثي هذا، وهو المستعان وعليه التكلان. وقد استعنت الله في ذلك وجعلت خطة بحثي فيه على النحو التالي:

قسّمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة.

المقدمة: بيّنت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وخطة البحث، والمنهج الذي سرت عليه في كتابة الرسالة.

التمهيد: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حضرموت ودخول الإسلام فيها بإيجاز، وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بحضرموت.

المطلب الثاني: الأديان الموجودة في حضرموت قبل دخول الإسلام إليها.

المطلب الثالث: دخول الإسلام فيها وأثرها في العالم الإسلامي.

المبحث الثاني: التعريف بالتصوف ونشأته وتطوره، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالتصوف.

المطلب الثاني: نشأة التصوف وتطوره.

الباب الأول: تاريخ التصوف في حضرموت، وتحته فصلان:

الفصل الأول: نشأة الصوفية في حضرموت، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: أسباب نشأة التصوف في حضرموت.

المبحث الأول: بدء دخول التصوف إلى حضرموت.

المبحث الثاني: أعلام الصوفية الأوائل في حضرموت، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: أعلام صوفية حضرموت من القرن الرابع إلى قرب عهد الفقيه المقدم.

المطلب الثاني: أعلام الصوفية في حضرموت من عهد محمد بن علي المشهور بالفقيه المقدم إلى قرب عهد السقاف.

المطلب الثالث: أعلام الصوفية في حضرموت من عهد السقاف إلى قرب القرن الثاني عشر.

المطلب الرابع: أعلام صوفية حضرموت في القرن الثاني عشر.

المبحث الثالث: الطرق الصوفية التي انتشرت في حضرموت، وفيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الأول: الطريقة العلوية في حضرموت.

المطلب الثاني: الطرق الصوفية المتفرعة من الطريقة العلوية.

الفصل الثاني: الصوفية في حضرموت في القرون المتأخرة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أعلام صوفية حضرموت في القرون الثلاثة الأخيرة ودورهم في نشر التصوف، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: أعلام الصوفية في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين ودورهم في نشر التصوف.

المطلب الثاني: أعلام صوفية حضرموت في القرن الخامس عشر ودورهم في نشر التصوف.

المبحث الثاني: انتشار الصوفية وأماكن وجودها.

الباب الثاني: أبرز عقائد الصوفية في حضرموت ومناقشتها وبيان أثرها، وتحته سبعة فصول:

الفصل الأول: مصادر التلقي عند صوفية حضرموت ومناقشتهم فيها. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: منزلة الكتاب والسنّة في الاستدلال عندهم، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: دعوى التلقي عن الله تعالى مباشرة.

المطلب الثاني: طرق القوم في تفسير النصوص الشرعية.

المطلب الثالث: العلم الوهبي (اللدني) عند صوفية حضرموت.

المطلب الرابع: تقسيم صوفية حضرموت الدين إلى شريعة وحقيقة.

المبحث الثاني: الكشف.

المبحث الثالث: الرؤى والمنامات.

المبحث الرابع: الكتب المعتمدة في التلقي عند صوفية حضرموت.

الفصل الثاني: قولهم في توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ومناقشتهم فيه، وتحته مبحثان:

المبحث الأول: قولهم في توحيد الربوبية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: انحراف صوفية حضرموت في توحيد الربوبية
المطلب الثاني: عقيدة صوفية حضرموت في القطب.
المطلب الثالث: عقيدة التصرف في الكون عند صوفية حضرموت.
المبحث الثاني: قولهم في توحيد الأسماء والصفات، وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: توحيد الأسماء والصفات عند صوفية حضرموت.
المطلب الثاني: قول صوفية حضرموت في صفة العلو.
المطلب الثالث: قول صوفية حضرموت في صفة الاستواء.
المطلب الرابع: قول صوفية حضرموت في صفة الكلام.
المطلب الخامس: قول صوفية حضرموت في مسألة الرؤية..

الفصل الثالث: قولهم في توحيد الألوهية ومناقشتهم فيه، وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريفهم لمعنى لا إله إلا الله، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: انحراف صوفية حضرموت في تعريف التوحيد وحكمه.
المطلب الثاني: انحرافهم في تفسير كلمة التوحيد وحكمها.
المطلب الثالث: موقف صوفية حضرموت مما يناقض لا إلٰه إلا الله.
المبحث الثاني: قولهم في الدعاء والشفاعة، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: انحراف صوفية حضرموت في الدعاء.
المطلب الثاني: قولهم في الشفاعة.
المبحث الثالث: قولهم في التوسل، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى التوسل عند صوفية حضرموت.
المطلب الثاني: أنواع التوسل عند صوفية حضرموت.
المطلب الثالث: النصوص الدالة على انحراف صوفية حضرموت في مسألة التوسل.

المطلب الرابع: القبور المعظمة عند صوفية حضرموت.

المطلب الخامس: اعتقاد قضاء الحاجات عند قبور معينة.

المطلب السادس: اتخاذ القبور أعياداً.

المبحث الثالث: العبادات الشركية والبدعية. وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: الصلوات والعبادات المبتدعة.

المطلب الثاني: الحضرات الصوفية.

المطلب الثالث: السماع الصوفي.

المطلب الرابع: الاحتفالات الشركية البدعية.

المبحث الرابع: نشر الفكر الصوفي بالوسائل المتعددة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التأليف والنشر.

المطلب الثاني: التلاميذ والأتباع.

المطلب الثالث: التأثير على بعض الولاة.

المطلب الرابع: نشر الزوايا والأربطة.

المبحث الخامس: جهود أهل العلم وبعض الولاة في مواجهة الآثار السلبية لصوفية حضرموت، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: جهود أهل العلم الحضارمة في مواجهة الصوفية.

المطلب الثاني: جهود أهل العلم من غير الحضارمة في محاربة الصوفية.

المطلب الثالث: جهود أهل العلم في اليمن في القرن الخامس عشر في محاربة التصوف.

المطلب الرابع: جهود جمعية الإصلاح والإرشاد بأندونيسيا في محاربة التصوف.

المطلب الخامس: جهود بعض الولاة والقبائل في محاربة التصوف.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وقد ذيلت البحث بأهم الفهارس[١]، وهي كالتالي: فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

منهج البحث:

وقد سلكت المنهج التالي في كتابة الرسالة:

١ ـ الرجوع إلى الكتب المعتمدة التي ألفها متصوفة حضرموت أنفسهم، والرجوع أحيانا للكتب التي نَقَلَتْ أقوالهم ممن لهم مكانة عندهم.

٢ ـ جمع المعلومات والحقائق المتعلقة بالبحث وعرضها ثم دراستها دراسة علمية ونقدها.

٣ ـ تدوين أقوال صوفية حضرموت من كلام وأشعار أئمتهم ومشايخهم المعظمين عندهم الذين وصفوا بأنهم كبار الأولياء، وسادات العارفين، ولم أنقل عن عوامهم ومن لا قدر لهم عندهم.

٤ ـ عزوت الأقوال إلى قائليها.

٥ ـ عند نقل الكلام بنصه أذكر مصدره فقط، وأما عند النقل بتصرف فأضيف قبل اسم المصدر لفظة (انظر).

٦ ـ عند النقل عن كتاب له طبعات مختلفة أشير إلى ذلك في الحاشية.

٧ ـ عزوت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٨ ـ تخريج الأحاديث النبوية والآثار وذلك بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد، مع نقل حكم العلماء عليها، إلا إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فاكتفي بالعزو إليه فقط.

٩ ـ تفسير الكلمات الغريبة، والتعريف بالأماكن والفرق وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصيلة.

---

(١) وفي الأصل كان البحث متضمناً لثمان، فهارس، ولكن اختصاراً للقراء أوردنا فهرسين منهما فقط.

١٠ ـ ترجمت للأعلام المذكورين في الرسالة، ما خلا المشهورين منهم كالخلفاء الراشدين والأئمة الأربعة أو من عرف بكثرة رواية الحديث، وكذا لم أترجم للمشهورين من علماء أهل السنّة كشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن حجر ونحوهم، وتركت ترجمة المشهورين عند الصوفية كالجنيد، والبسطامي، وابن عربي، والحلاج وغيرهم، ولم ألتزم ترجمة المعاصرين.

١١ ـ أعقب على كلامهم، وأذكر الدليل الذي يبين باطلهم، أو خطأ ما استدلوا به مبيناً وجه الاستدلال الصحيح، وأذكر كلام أهل العلم في المسألة، ومذهب السلف، وكذا التعليق في الهامش على ما أرى أنه يحتاج إلى تعليق من الألفاظ والمعاني.

١٢ ـ يرد ذكر أشخاص كثيرين من صوفية حضرموت، ومن أهل حضرموت عموماً فلا أترجم لهم، وذلك لعدم شهرتهم بالتأليف أو التأثير، وإنما يذكرهم القوم لقصة، أو مسألة معينة لا غير.

١٣ ـ اختصرت بعض الأسماء وقمت بذكر ألقابهم فمثلاً إذا قلت: الحافظ فالمقصود ابن حجر العسقلاني، وكذا اختصرت أسماء بعض الكتب سواء للصوفية أو لغيرهم فمثلاً: الفتح اختصار لفتح الباري للحافظ ابن حجر، والغرر اختصار لغرر البهاء الضوي... إلخ لمحمد بن علي خرد العلوي الصوفي، وكذلك اختصر أسماء الكتب التي يتكرر ذكرها، فأذكر في المتن وكذا الحاشية بداية اسمها، ولا أذكر المؤلف في الغالب، إلا إذا اشتبه الكتاب مع كتاب آخر فإني حينئذ اذكر اسم المؤلف.

١٤ ـ عند تكرار المسألة أو كلامهم في مباحث مختلفة من الرسالة فإني أحيل في الحاشية إلى مكان تقدمه في الرسالة بذكر رقم الصفحة.

١٥ ـ يكون تقرير كلامهم أنفسهم عند مناقشته، لا ممن نقل عنهم، وهذا أبرأ للذمة، وحتى لا يقال إن هذا ليس مذهبهم.

١٦ ـ أحيل أحيانا في الحاشية عند التطرق لموضوع معين أو الرد على الصوفية إلى كتب أخرى للتوسع.

١٧ ـ اعتماد الكتاب والسنّة وكلام السلف الصالح والعلماء المقتدى بهم من بعدهم، وقد أنقل من كلام المخالفين أحيانا لإلزام الصوفية بالحق الذي خرج من قبل هؤلاء، فإن الحكمة ضالة المؤمن، وينظر إلى ما قيل لا إلى من قال، فإن كان حقاً أخذنا به، وإن كان غير ذلك طرحناه وهجرناه، ولذلك شواهد كما في قصة الشيطان مع أبي هريرة في البخاري[١]، وقصة اليهودي الذي قال: تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت[٢] وغيرها. يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن قصة الشيطان مع أبي هريرة: «يستفاد من الحديث مشروعية الرجوع إلى الحق وإن كان من نَبَّهَ عليه ليس من أهل الحق»[٣]، لذا فإن العلم والعدل هما ملاك الحكم على المخالف، لذا سعيت ـ بما استطعت ـ أن ألتزم هذا المنهج في رسالتي.

١٨ ـ ذيلت البحث بفهارس علمية تيسر الاستفادة منه.

وبعد:

فهذا هو البحث الذي أسأل الله جل وعلا أن ينفع به، وقد بذلت في إنجازه قصارى جهدي، ولا أدعي أني وفيته حقه، فما كان من صواب فيه فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي، واستغفر الله منه.

وفي ختام هذه المقدمة أتوجه بالحمد والثناء والشكر لله تبارك وتعالى الذي أعانني على إنجاز هذا البحث، فله الحمد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

ثم أتوجه بالشكر بعد شكر الله تعالى لحكومة خادم الحرمين الشريفين ـ جزاها الله خيراً ـ على ما قدمته للإسلام والمسلمين من خدمات عظيمة، منها:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز (ص٤٣٣) برقم (٢٣١١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٣٧١، ٣٧٢)، والنسائي في سننه، كتاب الأيمان، باب: الحلف بالكعبة (ص٣٩٩) برقم (٣٧٧٧٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٩٧)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الحافظ في الإصابة (٤/ ٣٨٩).

(٣) القول المفيد (٢/ ٢٢٩).

إنشاء هذه الجامعة المباركة في بلد رسول الله ﷺ، التي تخرج منها الكثير من الطلاب على مدى سنين طويلة، عادوا إلى أوطانهم دعاة لكتاب ربهم وسُنَّة نبيهم ﷺ، فأسأل الله تعالى أن يبارك في تلك الجهود.

ثم أتوجه بالشكر لكل من كان له فضل في إتمام هذا البحث، وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبد الرحمٰن أبو سيف الجهني ـ وفقه الله تعالى ـ الأستاذ المشارك في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، وكان لآرائه ونصائحه ومتابعته المستمرة دور كبير في انجازها، فأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء، وأن يبارك في علمه، وعمره، وعمله.

كما أتقدم بالشكر للجامعة الإسلامية ممثلة بمديرها فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله العبود ـ وفقه الله ـ على إتاحة الفرصة لي لمواصلة دراستي العليا، وتقديم الخدمات المشكورة لطلاب العلم ومن أهمها توفير الكتب والمراجع في المكتبات، مع ما يجده طالب العلم من الرعاية والتشجيع من المسئولين.

وأخص بالشكر كذلك قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين برئاسة فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف ـ وفقه الله ـ ومجلس كلية الدعوة وأصول الدين ممثلة بعميدها فضيلة الشيخ الدكتور محمد با كريم با عبد الله ـ وفقه الله ـ.

وأتوجه بالشكر لفضيلة الشيخين الفاضلين الأستاذ الدكتور محمد بن خليفة التميمي: الأستاذ في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية، والدكتور محمد با كريم با عبد الله: الأستاذ المشارك في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية اللذين تفضلا ـ مأجورين ـ بمناقشة هذه الرسالة وتقويمها فجزاهما الله خيراً وبارك فيهما.

وأخيراً أشكر كل من ساعدني في إتمام هذا البحث من المشايخ والزملاء بإبداء رأي أو نصيحة أو إرشاد لمرجع أو غير ذلك.

ولا أدعي الكمال في عملي هذا فالبحث كبير، والمؤلفات التي نشرتها صوفية حضرموت كثيرة جداً منها المطبوع والمخطوط بالإضافة إلى كتيباتهم الصغيرة، وقد يسر الله لي الاطلاع على كثير منها، فبذلت الوسع في الوقوف على ما فيها ورده بالأدلة، وأرجو أن أكون وفقت للصواب، وحسبي أني اجتهدت في تحري الحق وكتابته ولم أتعمد الخطأ.

والله تعالى أسأل أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يذل الشرك وأهله، كما أسأله جلَّ في علاه أن يرد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً، وأن يوفقهم للتمسك بكتاب ربهم وسُنَّة نبيهم محمد ﷺ، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يبارك لي في ما علّمني، وأن يصلح لي عملي وجميع إخواني المسلمين إنه أكرم مسؤول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه
أبو عبد الرحمٰن أمين بن أحمد بن عبد الله السعدي
المدينة النبوية
ص.ب. ١١٩١
المملكة العربية السعودية



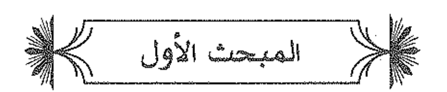
التمهيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حضرموت ودخول الإسلام فيها بإيجاز.

المبحث الثاني: التعريف بالتصوف ونشأته وتطوره.





المبحث الأول

حضرموت ودخول الإسلام فيها بإيجاز



● وتحته ثلاثة مطالب:

※ المطلب الأول ※

التعريف بحضرموت

حضرموت بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم اسمان مركبان، وهما اسمان جعلا واحداً إن شئت بنيت الاسم الأول على الفتح وأعربت الثاني إعراب ما لا ينصرف فقلت: هذا حَضْرَمَوْتُ، وإن شئت أضفت الأول إلى الثاني فقلت: هذا حضرموتٍ أعربت حضراً وخفضت موتاً، وكذلك القول في سامَّ أبرص ورامهرمز، والنسبة إليه حضرمي والتصغير حُضيرموت، تصغير الصدر منهما، وكذلك الجمع تقول: فلان من الحضارمة[١].

وحضرموت بفتح فسكون وقد تضم الميم مثل: عنْكَبُوت[٢].

وحضرموت اسم بلد، وقبيلة أيضاً، ولها ذكر في التوراة في سفر التكوين بلفظ حضرموت[٣]

وجاء في كتاب (الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها) أن أهل اللغة أجمعوا على أن اسم حضرموت مركب تركيباً مزجياً من كلمتين هما: (حضر) و(موت) ثم ذكر الخلاف في سبب تسميتها بهذا الاسم[٤].

---

(١) انظر: لسان العرب (٤/ ٢٠٢)؛ ومختار الصحاح (١/ ٥٩)؛ ومعجم البلدان (٢/ ٢٧٠).

(٢) انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٦٩).

(٣) الكتاب المقدس: العهد القديم والعهد الجديد، سفر التكوين (١٠/ ٢٦).

(٤) انظر: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، لعلوي بن طاهر الحداد (ص٢٣).

وأما عن سبب التسمية فقيل: سميت بحضرموت بن يقطن[١] بن عامر بن شالخ، وقيل: اسم حضرموت عمرو بن قيس بن معاوية، وينتهي نسبه لحمير بن سبأ. وقيل: حضرموت اسمه عامر بن قحطان، وإنما سمي حضرموت؛ لأنه كان إذا حضر حرباً أكثر فيها من القتل، فلقّب بذلك ثم سُكّنت الضاد للتخفيف، وقال أبو عبيدة[٢]: «حضرموت بن قحطان نزل هذا المكان فسمي به، فهو اسم موضع واسم قبيلة»[٣].

وجاء في كتاب (صفة جزيرة العرب): «حضرموت من اليمن، وهي جزؤها الأصغر، نُسبت هذه البلدة إلى حضرموت بن حمير الأصغر، فغلب عليها اسم ساكنها، كما قيل: خيوان، ونجران والمعنى بلد حضرموت، وبلد خيوان، ووادي نجران؛ لأن هؤلاء رجال نُسبت إليهم المواضع»[٤].

وأما موقعها[٥]: فتقع حضرموت بالجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية المشرف على المحيط الهندي على الدرجة الخامسة عشرة شمال خط الاستواء، والدرجة الخمسين شرقي غرينتش.

وأما موقعها بالنسبة لبلاد اليمن فتقع حضرموت في الزاوية الجنوبية

---

(١) يعني حضرموت بن قحطان وهو حضرموت بن يقطان في التوراة، ويقطان هو قحطان. انظر بهذا الخصوص: صفة جزيرة العرب، للهمداني (ص١٦٧ ـ ١٧٣، ٣٦٥)، ط ١٣٩٤هـ، ومعجم البلدان، لياقوت الحموي (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، ط دار بيروت.

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى، مولى قبيلة بني تيم القرشية، وله معرفة بالغريب وأخبار العرب وأيامهم، وكان يبغض العرب، وكان يرى رأي الخوارج، توفي سنة ٢١٠ أو ٢١١هـ. انظر: المعارف، لابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) (ص٣٠٢)، ط دار الكتب العلمية.

(٣) معجم البلدان، لياقوت الحموي (٢/ ٢٧٠). وانظر الكلام في سبب تسمية حضرموت بهذا الاسم: تاريخ اليعقوبي (١/ ١٧٦)، ط دار العراق ـ بيروت.

(٤) صفة جزيرة العرب، للهمداني (ص١٦٥ ـ ١٦٦).

(٥) انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٢٧٠)، ط دار الفكر؛ وإدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (٤٢ ـ ٤٦)، ط المنهاج؛ والشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، لعلوي بن طاهر الحداد (ص٢٢)؛ وحضرموت عبر أربعة عشر قرناً، لسقاف بن علي الكاف (ص١١)؛ ومعالم في تاريخ الجزيرة العربية، لسعيد عوض باوزير (ص٢٣٤)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي، لمحمد بن أحمد الشاطري (١/ ١٤ ـ ١٦)؛ ودخول الإسلام إلى حضرموت، لصالح بن سعيد هلابي (ص١٥).

الشرقية من اليمن، ويحدها من الشمال الربع الخالي (رمال الأحقاف)، ومن الجنوب البحر العربي، ومن الشرق سيحوت بمحافظة المهرة، ومن الغرب عين بامعبد بمحافظة شبوة.

أي أن اسم حضرموت اليوم يطلق على ذلك الوادي الذي يبعد عن ساحل بحر العرب بحوالي ١٦٥كم، ويسير في خط موازٍ له مسيرة ٢٠٠كم.

أما مملكة حضرموت القديمة فقد امتدت شرقاً لتشمل ظفار، وجنوباً لتشمل نطاق الجول الجبلي الكبير حتى ساحل المحيط، وشمالاً باتجاه الربع الخالي ـ الصحراء الرملية الكبرى ـ، وغرباً إلى مساقط الأودية التي تؤدي إلى وادي حضرموت[1].

وبهذه الحدود يكون الطول ما بين الدرجة (٤٥) إلى (٥٦:٣٠) شرقي غرينتش، وفي العرض لا تتجاوز ما بين درجتي (١٣:١٩).

وأما أهم القبائل الساكنة ببلاد حضرموت عند دخول الإسلام فهي كالآتي:

حضرموت، وكندة، وقضاعة، والصدف، والجعفيين، ونعرّف هذه القبائل بإيجاز لمعرفة سكان حضرموت الأصليين والقبائل التي هاجرت إليها لما لذلك من علاقة ببعض مباحث الرسالة ـ كما سيأتي ـ:

١ ـ قبيلة حضرموت: وهي القبيلة التي سُمي بها هذا الإقليم ـ كما سبق ـ وتمتد مساكن هذه القبيلة من شبام[2] غرباً إلى نهاية حضرموت شرقاً، وجنوباً من الساحل إلى الربع الخالي شمالاً، وينتسبون إلى حضرموت بن سبأ بن حمير القحطاني، ومن بطون هذه القبيلة:

أ ـ بنو شبيب بن حضرموت: وينتسب إليهم الصحابي الجليل وائل

---

(١) انظر: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ليوسف بن محمد بن عبد الله (ص٦٣).

(٢) شبام: إحدى المدن الكبيرة في وادي حضرموت، وهي مصنفة ضمن أقدم بلدان العالم، وتشتهر بمبانيها العالية لذا يسميها الرحالة الأجانب بناطحات السحاب، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/٣١٨)؛ وإدام القوت (ص٥٠٤ ـ ٥٠٥)، ط المنهاج.

ابن حجر رضي الله عنه[١].

ب ـ بنو الحارث بن حضرموت: ومن بني الحارث الأشباء سلالة شبأ.

ج ـ بنو سبأ بن حضرموت: ومنهم بنو الدغار الساكنون شبام.

د ـ بنو مرة بن حضرموت: ومنهم آل أبي قحطان الساكنون تريم[٢] وينسب إليهم السلطان عبد الله بن راشد[٣].

وقد أقامت قبيلة حضرموت في جهتها عدة بلدان أهمها: المزين، وشبام ومدوة وتريس ومشطة وتريم ومخا والعجز وثوبة[٤].

ومن بطون حمير:

١ ـ السكاسك حمير المنتسبون إلى زيد بن وائلة بن حمير الذي لقب بالسكاسك وهم غير سكاسك كندة.

٢ ـ قبيلة كندة: وهي نسبة لجدهم ثور بن مرتع بن كهلان، وقدمت هذا القبيلة مهاجرة من البحرين[٥] والمشقر على الخليج العربي على إثر حادث وقع

---

(١) هو الصحابي الجليل وائل بن حجر بن ربيعة، أبو هنيدة الحضرمي، كان قيلاً من أقيال حضرموت، وكان أبوه من ملوكهم، وفد على رسول الله ﷺ فأسلم. وكان سيد قومه، له وفادة وصحبة ورواية، روى له الجماعة، سوى البخاري، توفي في ولاية معاوية. انظر في ترجمته: السير (٢/ ٥٧٢ ـ ٥٧٤)؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (ص٧٥٦ ـ ٧٥٧)، ط دار الأعلام، الأردن ـ عمان؛ وتاريخ ابن عساكر (١٧/ ٣٦٣/ ١)؛ وتقريب التهذيب (ص١٠٣٤)، ط العاصمة.

(٢) تريم مدينة عظيمة تقع في بلاد حضرموت، وهي أشهر مدنها، سميت باسم بانيها تريم بن حضرموت، وهي مسكن السادة آل باعلوي، ومنها تفرقوا إلى البلاد. انظر: صفة جزيرة العرب (ص١٧٠)؛ وإدام القوت (ص٨٧١ ـ ٨٧٢)، ط المنهاج.

(٣) هو السلطان عبد الله بن راشد بن شجعنة بن فهد بن أحمد بن قحطان، ولد سنة ٥٥٣هـ، ولي الحكم على أجزاء من حضرموت سنة ٥٩٣هـ عقب مقتل أخيه شجعنة، وكان عصره من أزهى عصور حضرموت التاريخية، وكان فقيهاً محدثاً طلب العلم بمكة وغيرها، جمع الحديث على عدة علماء منهم الحافظ عبد الغني المقدسي والحافظ ابن عساكر وقرأ صحيح البخاري على الفقيه محمد بن أحمد بن النعمان الجريني، وينسب إليه وادي حضرموت فيقال: وادي ابن راشد، توفي مقتولا سنة ٦١٦هـ. انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (ص١١٠)؛ وتاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٤١١).

(٤) كل هذه القرى والمدن تقع في وادي حضرموت.

(٥) البحرين: تثنية بحر وهي عدة جزر متناثرة على الخليج العربي وهي من العروض ثم من جزيرة =

هنالك فأقاموا غرب حضرموت «غرب شبام»، زاحموا قبائل الصدف والسكون والسكاسك، ومن بطون قبيلة كندة:

أ ـ كندة: ويقصد بهم بنو معاوية بن كندة.

ب ـ السكون: ومنهم تجيب.

ج ـ السكاسك: وهم غير سكاسك حمير السالف ذكرهم.

د ـ بنو تجيب: هم بطن من كندة متفرعون من السكون وسموا بهذا الاسم نسبة لجدتهم.

هـ ـ بنو عامر.

و ـ بنو العباد.

٣ ـ قبيلة الصّدِف: قبيلة سكنت غرب حضرموت قبل كندة، وقد زاحمتها كندة في منازلها حتى كادت أن تطمسها[1]. ومن بطون الصدف: قبيلة الصيعر، والآجروم، وبنو نباته، وبنو ذهبان.

٤ ـ قبيلة قضاعة: وهي قبيلة قضاعة (مهرة) ومنها: مهرة، ونجيد، وركب.

٥ ـ قبيلة جعف: وتنسب إلى سعد العشيرة بن مالك بن أدد، وهو مذحج بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان، وموطن هذه القبيلة وادي جردان[2] وما حولها من الأودية[3].

= العرب، البحرين: هكذا يتلفظ بها في حال الرفع والنصب والجر، طولها أربع وسبعون درجة وعشرون دقيقة من المغرب وعرضها أربع وعشرون درجة. وتتكون من عدة مناطق هي: الخط، والقطيف، والآرة، وهجر، وبينونة، والزارة، وجواثا، والسابور، ودارين، والغابة. وقصبة هجر الصفا، والمشقر. ولها اليوم شهرة عالمية لوجود البترول. انظر: معجم البلدان (١/ ٣٤٧)، ط الفكر؛ والسلوك في طبقات العلماء والملوك، للجندي (١/ ٢٥٦ مع الهامش).

(١) انظر عن سكان حضرموت: تاريخ حضرموت، لصالح بن علي الحامد (١/ ١٥ ـ ٢٨)؛ حضرموت عبر أربعة عشر قرنا، لسقاف بن علي الكاف: (ص٢٦ ـ ٣٠).

(٢) قال ابن عبيد الله: «جاء في التاج: واد بين عمقين ووادي حبان، ولكن أخبرني جماعة من أهل تلك النواحي بأن الأمر ليس كذلك، وإنما عمقين في غربي جردان فهو ـ عمقين ـ بين جردان وحبان، فكأن الأمر انعكس عليهما، وجردان مشهور بحسن عسله...»: إدام القوت (ص٢٤٦)، ط المنهاج.

(٣) انظر: تاريخ حضرموت، لصالح الحامد (١/ ١٨ ـ ٢٠).

٦ ـ قبيلة همدان: وهذه القبيلة من ولد كهلان أخي حمير، وهي أول قبيلة أسلمت في اليمن، إذ أسلمت في يوم واحد عندما أتى إليهم الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فلما قرأ كتابه خر ساجداً ثم جلس فقال: «السلام على همدان، السلام على همدان» ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام[1].

❁ المطلب الثاني ❁

الأديان الموجودة في حضرموت قبل دخول الإسلام إليها

انتشرت الوثنية والأديان الباطلة في الجزيرة العربية قبل الإسلام حتى شملت كثيراً من البلدان، ومن تلك البقاع التي انتشرت فيها هذه الديانات أرض حضرموت التي نحن بصدد البحث عن الأديان الموجودة فيها قبل دخول الإسلام إليها.

فقد عاش في حضرموت قوم عاد الذين عبدوا الأوثان فأرسل الله إليهم هوداً عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وترك ما هم عليه من الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝٥٠﴾ [هود: ٥٠].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العظيم مساكن قوم عاد فقال جل شأنه: ﴿۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٢١﴾ [الأحقاف: ٢١].

ومعنى الأحقاف[2]: جبل الرمل، وكان باليمن من عمان إلى حضرموت

---

(١) أخرجه ابن جرير في تاريخه (٢/١٩٧)؛ والبيهقي في سننه (٢/٣٦٩) برقم (٣٧٤٧)؛ بإسناد صحيح. وانظر: المحرر في الحديث لابن عبد الهادي: (ص١٤٦)، بتحقيق: عادل الهدايا ومحمد علوش. ط٢، ١٤٢٦هـ، دار العطاء، ودار أطلس.

(٢) انظر: لسان العرب (٩/٥٢)، ط١، دار صادر؛ وصفة جزيرة العرب (ص١٧٠)؛ ومعجم البلدان (١/١١٥)، ط دار الفكر.

بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر[١][٢].

ورغم أن الدين الغالب على أهل حضرموت الوثنية إلا أنه وجدت في حضرموت أديان أخرى، كاليهودية والنصرانية، وكان فيهم أيضاً من يعبد الشمس وغيرها من المعبودات الباطلة[٣].

وأما عبادة الشمس فكانت بالقسم الساحلي من حضرموت بشكل أكبر من غيره، واستمر عندهم تعظيم الشمس والسجود لها إلى العهد الإسلامي[٤].

ومن آثار عبادة الحضارمة للشمس التي بقيت آثارها إلى يومنا هذا هو أن الصبي إذا انكسرت سِنّه أخذها واتجه بها إلى الشمس قائلاً للشمس: هذا ضرس حمار فأتِ لي بضرس غزال[٥].

وجاء في كتاب (بضائع التابوت): «وكانت الجاهلية[٦] ضاربة أطنابها بحضرموت، فالأصنام معبودة، واليهودية موجودة، ومن المستحيل مع مجاورة نجران[٧] أن تكون النصرانية مفقودة، ولا يبعد أن تزورها المجوسية[٨]، فقد

---

(١) الشحر: إحدى مناطق ساحل حضرموت، وهي أكبر مديريات حضرموت، تضم أربعة مراكز متباعدة وهي: الديس الحامي، والريدة، وقصيعر، وغيل بن يمين. وتقع الشحر على سطح متسع من الشاطئ الذي ينحدر تدريجياً إلى البحر. انظر: إدام القوت (ص١٦١) مع الحاشية.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، للطبري (١/ ١٠٩ ـ ١١٠)؛ البداية والنهاية لابن كثير (١/ ١١٣).

(٣) انظر: تاريخ حضرموت، لصالح الحامد (١/ ٥٣).

(٤) انظر: صفة جزيرة العرب للهمداني (ص١٥٧).

(٥) انظر: بضائع التابوت (١/ ٥٢).

(٦) الجاهلية معناها في الاصطلاح الحقبة الزمنية التي سبقت الإسلام، قبل بعثة النبي ﷺ وضبط آخره غالبا: فتح مكة. انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (١/ ١٥)، لمحمود شكري الآلوسي؛ وفتح الباري (٧/ ١٤٩)، تحقيق الشيخ ابن باز، دار المعرفة ـ بيروت، بدون تاريخ، تصحيح قصي محيي الدين الخطيب.

(٧) نجران: بالفتح ثم السكون، وآخره نون، وهو من مخاليف اليمن من ناحية مكة، وهو الآن إحدى إمارات المملكة العربية السعودية. انظر: معجم البلدان (٥/ ٢٦٦).

(٨) المجوس قوم يؤمنون بالأصلين: النور الأزلي والظلمة، واختلفوا في سبب حدوث كل منهما، وهم أربع فرق: زورانية، ومسخية، وخرمدينية، وبهافريدية، ومن معتقدات بعض هؤلاء: أن الناس كلهم شركاء في الأموال والنساء وسائر اللذات. انظر: الملل والنحل (٢/ ٧٣) تحقيق: محمد فهمي أبو الخير؛ والفرق بين الفرق، للبغدادي (ص٢٧٦)، دار المعرفة ـ بيروت.

ذكر ابن الأثير[١] عن بعض العلماء: أن بعض العرب يدين بها في البحرين، وما زالت العجائز تحدث في أقاصيصها: أن رجلاً تزوج بابنة له فجرى له خطب طويل، وإلى اليوم وأسماء بعض أصنام الوادي دائرة على ألسنة العامة مذكورة في أشعارها وأغانيها السائدة منها: الهومي ومنها حقل ومنها الجلسد وهو صنم من الحجارة البيضاء كشبه الرجل العظيم له وجه كوجه الإنسان، تعبده كندة وحضرموت وكانوا يُكلَّمون منه، وله حِمى ترعاه بسوامه، وإذا دخلته الهوافي[٢] حرمت على أربابها، وكانت سدانته لأهل بيت من كندة يقال لهم: بنو علّاق، ذكره صاحب معجم البلدان[٣] عن ابن الكلبي[٤] ولهم من الأصنام غير ذلك»[٥].

وقد اكتشفت بحضرموت آثار ريبون بقرب بلدة حريضة[٦] في هذا العصر، وأهم ما اكتشف فيه معبد للقمر قديم جداً يرجع تأريخه إلى ما قبل الميلاد. وقد كان للعرب هياكل وأصنام شعبية لعموم الشعب أو القبيلة، وكان لأهل حضرموت أصنام معبودة يعبدها الناس ويلجأون إليها عند الشدائد والمحن، ومن ذلك قول الشاعر الحضرمي الذي وصف حاله عند دخوله الإسلام فقال:

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير (١/ ٤٦٥)، وابن الأثير هو: علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الموصلي، المعروف بابن الأثير الجزري، عز الدين أبو الحسن، مؤرخ، نسابة، محدث، حافظ، أديب، ولد بجزيرة ابن عمر سنة ٥٥٥هـ، ونشأ بها، ثم سكن الموصل، من تصانيفه: الكامل في التاريخ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، واللباب في تهذيب الأنساب. مات سنة ٦٠٣هـ. انظر: السير (٢٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٦)؛ والوافي، للصفدي (١٢/ ١٨٨، ١٨٩)؛ ومعجم المؤلفين (٣/ ٢٠٨، ٢٠٩).

(٢) الهوافي: هي الإبل التي قد فتحت أفواهها من شدة العطش. انظر: القاموس المحيط (٨٦٣).

(٣) انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٢/ ١٥١).

(٤) محمد بن السائب الكلبي، إخباري، كان رأسا في الأنساب، إلا إنه شيعي متروك الحديث، يروي عنه ولده هشام وطائفة، توفي سنة ست وأربعين ومئة. انظر في ترجمته: طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٩)؛ وتهذيب الكمال برقم (١١٩٩)؛ والسير (٦/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٥) بضائع التابوت (١/ ١٥٢).

(٦) حريضة بفتح إحدى مدن حضرموت وتقع جنوب غرب شبام، أسفل وادي عمد، وهي عاصمة مديرية دوعن في العصر الحاضر، وتتبعها قرى كثيرة: الهجرين، عندل، نفحون، المنيظرة. انظر: إدام القوت (ص٢٨٣ ـ ٢٨٤)، وهامش رقم (٢).

سمعت بالدين دين الحق جاء به   محمد وهو قرم[١] الحضر والبادي
فجيت متنقلاً من دين طاغية   ومن عبادة أوثان وأنداد

وكان أهل حضرموت معترفين بالخالق جل شأنه، ولم يمنعهم ما هم عليه من تعظيم البيت الحرام والحج إليه، وكانت تلبية كندة وحضرموت إذا أهلّوا بالحج:

(لبيك اللّهمّ لبيك، لا شريك لك تملكه أو تهلكه، أنت حكيم فاتركه)[٢].

وكانت في حضرموت أصنام كثيرة قبل دخول الإسلام إليها ومن أشهر تلك الأصنام: (مرحب) وكان صنماً بحضرموت، و(ذريح) كان لكندة بالنجير ـ ناحية في حضرموت ـ و(الجلسد) وهو صنم تعبده كندة وحضرموت، وصنم لوائل بن حجر الحضرمي قبل أن يسلم وغير ذلك من الأصنام[٣].

ورغم دخول اليهودية جنوب شبه الجزيرة العربية أيام سليمان عليه السلام إلا أن سكانها عادوا وارتدوا إلى الوثنية[٤].

وقد اختلفت أقوال المؤرخين في كيفية اهتداء سكان جنوب الجزيرة العربية للديانة اليهودية، فقيل: أن تبّعاً ـ وهو التبّع أسعد أبو كرب الحميري ـ عندما عاد من شمال الجزيرة بعد انتهائه من حرب قام بها هناك تأثر عند عودته ببعض الأحبار الذين لقيهم في المدينة، ومن ذلك الوقت أصبحت اليهودية هي الديانة الرسمية للبلاد[٥].

وأما دخول اليهودية إلى حضرموت من ناحية اليمن، فقد كانت اليهودية بها شاقة وعريقة منذ عهد تبع ذي نواس ـ أحد ملوك اليمن ـ ثم انتشرت في

(١) القرم بمعنى السيد. القاموس المحيط (ص١١٤٨) مادة: (القرم).
(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي (١/ ١٩٧)؛ وتاريخ حضرموت لصالح الحامد (١/ ٥٧).
(٣) انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ١٠٢)؛ والشفا للشهاب الخفاجي (١/ ٤٨٤).
(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، تأليف: جواد علي (٦/ ٥٤٠).
(٥) تاريخ الطبري (٢/ ٩٢، ١٠٥، ١١٢).

حمير، لما ملك ذو نواس؛ لأنه أكره الناس عليها، وذهب إلى نصارى نجران فاكرههم على اليهودية، ومن أبى عرضه على السيف والنار، وهم أصحاب الأخدود الذين ذكر الله تعالى قصتهم في كتابه الكريم[(١)]، حتى ثارت الحبشة النصرانية، فهاجمت اليمن واستولت عليها[(٢)]، وذكروا أنه بسبب أفعال ذي نواس جاءت الحبشة إلى اليمن فغلبت عليها لما فُعل بالنصارى[(٣)] وذكر غير واحد: أن اليهودية كانت في حمير وبني كنانة وبني الحارث ابن كعب وكندة[(٤)].

وذكر عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف[(٥)] في كتاب: (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت) وجود اليهودية في حضرموت عند التعريف ببلدة حريضة ـ إحدى مدن حضرموت ـ: «وقال بعضهم: حريضة مصحفة من قريضة، ودلَّ على ذلك بأنها كانت مسكن اليهود قبل البعثة بأربعمائة سنة إلى أن قال: وفي بعض مذكرات الحبيب أحمد بن حسن العطاس[(٦)] أن

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج: ٤ ـ ٨]. انظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٤٩)؛ تاريخ حضرموت لصالح الحامد (١/ ٥٥).

(٢) تاريخ حضرموت (١/ ٥٣ ـ ٥٤) بتصريف يسير.

(٣) المحبّر، لابن حبيب (ص٣٦٧).

(٤) بضائع التابوت (٢/ ١٥٣)؛ وتاريخ حضرموت، للحامد (١/ ٥٥).

(٥) هو الفقيه، الأديب، المؤرخ الحضرمي عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف العلوي، مفتي بلاد حضرموت في زمنه، ولد سنة (١٣٠٠هـ). رحل إلى عدة أقطار إسلامية والتقى بزعمائها، وكانت له يد في الصلح بين الفئات المتنافرة. وله مؤلفات منها: صوب الركام في الفقه، وبلابل التغريد في حل مشكلات التجريد أي تجريد صحيح البخاري، وبضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت، ونسيم حاجر في تأكيد قولي عن مذهب المهاجر، والإماميات قصائد قيلت في مدح الإمام يحي حميد الدين ـ حاكم اليمن آنذاك، والعود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي يعني المتنبي وغيرها، توفي بسيئون سنة (١٣٧٥هـ). انظر في ترجمته: مقدمة كتابه المسمى العود الهندي (١/ ٤٣ وما بعدها)؛ وتعليقات محمد ضياء شهاب على شمس الظهيرة (٢/ ٣٤٠)؛ والتلخيص الشافي من تاريخ طه بن عمر الصافي (ص١٣٧ ـ ١٤٢)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٤٦٥).

(٦) هو أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس، من كبار صوفية حضرموت، ولد بقرية حريضة سنة =

حريضة كانت لليهود قبل النبوة»[١].

أما دخول النصرانية إلى شبه الجزيرة العربية ومنها حضرموت فقد ذكر بعضهم: أن دخولها كان عبر رجل اسمه فيميون وصل إلى نجران ونشر النصرانية بها ومنه انتشرت في جنوب الجزيرة العربية[٢]، وذكر بعضهم: أن النصرانية أُدخلت اليمن بمجيء ذي ثعلبان من ملوك التبابعة، وكان على دين النصرانية حيث أدخل ديانته هذه إلى اليمن، ومنها إلى حضرموت[٣].

وقد شقت النصرانية طريقها إلى شبه الجزيرة العربية بصفة عامة، ومنها الجنوب في القرن الثالث الميلادي بعد ظهور الفساد بين النصارى وانهيار الكنيسة الشرقية، وتعرض النصارى للإبادة والتنكيل من قبل الفرس، فاتجهوا لعقد معاهدة مع الحميريين لتحقق لها منافع اقتصادية وسياسية، وليس دينية فقط، ولعب الرهبان والنساك دوراً كبيراً في نشر النصرانية في تلك البلاد[٤].

أما وجود عقيدة التوحيد في حمير فكان بروزها من القرن الرابع الميلادي، عندما استولت مملكة سبأ وذو ريدان على كل المملكة السبئية القديمة ـ آخر منافسيها المتبقين في حضرموت ـ وبعد ذلك خلال القرن الخامس الميلادي حدث تغير كبير في الصيغ الدينية الواردة في النصوص العربية الجنوبية القديمة، حيث اختفت الصيغ الوثنية، وحل محلها الإله الواحد الذي يشار إليه بالرحمان، وهذه الديانة على الأرجح هي الحنيفية وليست

= (١٢٥٧هـ). ونشأ كفيفاً تحت جده فأخذ العلوم على سائر علماء حضرموت، وبرع في علوم التصوف ثم رحل إلى الحجاز ومصر والشام. له مؤلفات منها: رسالة في أنساب القبائل التي سكنت حضرموت، طبعت بمجلة العرب بالرياض، توفي سنة (١٣٣٤هـ). انظر: عقود الألماس «كتاب مستقل في ترجمته» لعلوي بن طاهر الحداد، وتاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ١٠١).

(١) إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ص١٣١)، ط الإرشاد.

(٢) انظر: سيرة النبي ﷺ: لابن هشام (١/ ٣٥).

(٣) انظر: بضائع التابوت (١/ ١٥٥).

(٤) انظر: الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت، لفاطمة بنت علي باخشوين (ص٩١).

اليهودية ولا النصرانية[١].

ومما تقدم يتبيّن لنا أن حضرموت كغيرها من بلاد الجزيرة العربية وجدت فيها أديان مختلفة، وجاء الإسلام وأهل اليمن أهل كتاب، ودليل ذلك: أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله» الحديث[٢].

وهناك دعوى قالها بعض المؤرخين ولا دليل لتلك الدعوى سوى الظن، فقد ذكر أن التاريخ أثبت أن الحضارمة كانوا على الفطرة ولم يعرفوا عبادة الأصنام، ولا عبادة الحيوان ولا النار، وأن سبب ذلك اتصالهم باليمن والحجاز وسفرهم للحج في كل عام[٣].

وهذه دعوى كما أسلفنا لا مستند لقائلها إلا الظن المخالف للحقيقة، إذ الأدلة التاريخية ترد قوله ـ كما مرَّ معنا ـ، وقد ردّ على ذلك المؤرخ الحضرمي صالح الحامد[٤] وبين أن هذا زعم خاطئ وهو إخراج حضرموت من دين عامة العرب بدون تروٍّ ولا بصيرة وتغيير للحقائق التاريخية لأجل استمالة قلوب العوام والسذج بالتظاهر بالغيرة على تاريخ بلادهم وتحسين ماضيها ولو بخلاف الواقع، وهم في غنىً عن هذا، فلا حاجة للتشدق بغير الواقع، والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (ص٢٧٢) برقم (١٣٩٥)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (ص٤٢) برقم (١٩).

(٣) انظر: تاريخ حضرموت السياسي، لصلاح البكري (١/ ٦١).

(٤) هو صالح بن علي بن صالح الحامد، شاعر وفقيه ومؤرخ رحل إلى جاوة ومصر والحجاز، من مؤلفاته: تاريخ حضرموت في جزئين وتوفي سنة (١٣٨٧هـ). انظر: مقدمة كتابه تاريخ حضرموت، للمنجد، ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن، لعبد الله الحبشي (ص٥٥٦).

(٥) انظر: تاريخ حضرموت، لصالح الحامد (١/ ٦١).

❁ المطلب الثالث ❁

دخول الإسلام حضرموت وأثرها في العالم الإسلامي

لقد كانت الجزيرة العربية تعيش في ظلمات الشرك والضلال، فبعث الله جلَّ وعلا أفضل رسله وخاتمهم نبينا محمد ﷺ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، والسعيد من وفّق لاتباع هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، والشقي من عاداه وخالف دينه القويم وهديه المستقيم.

وحين أرسل الله تعالى نبينا محمداً ﷺ بالدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك انتشر دين الإسلام في جزيرة العرب، وتَرَكَ من شاء الله هدايته الأصنام، بل وحطّمها ووجه وجهه لله حنيفاً مسلماً، وجاءت الوفود من كل حدب وصوب لتدخل في هذا الدين العظيم وتبايع هذا الرسول الكريم ﷺ.

وكان من هذه الوفود التي دخلت في الإسلام طوعاً وأتت لمبايعته ﷺ وفودُ حضرموت، وكان ذلك في السنة العاشرة[١]، فقد وفدت كندة بقيادة الأشعث بن قيس الكندي[٢] في ستين راكباً من كندة. حيث دخلوا على رسول الله ﷺ في مسجده وقد رجّلوا جممهم[٣] وتكحّلوا عليهم جيب الحبرة[٤] قد كففوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال: «ألم تسلموا؟!» قالوا: بلى. قال: «فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟» قال: فشقوه منها فألقوه[٥].

---

(١) السيرة، لابن هشام (٤/٤٠٩)؛ والطبقات، لابن سعد (٥/١٣).

(٢) هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية الكندي. له صحبة، ورواية، زوجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه أخته فروة بنت أبي قحافة. مات بالكوفة سنة أربعين. انظر في ترجمته: أسد الغابة (١/١١٨)؛ وتاريخ ابن عساكر (٣/١٧/٢)؛ والسير (٢/٣٧).

(٣) الجمم: جمع جمة بالضم مجتمع شعر الرأس، القاموس المحيط (ص١٠٨٩). أي أنهم امتشطوا وزينوا شعورهم.

(٤) الحِبَرة والحَبَرة: ضرب من برود اليمن منمّر والجمع حِبَر وحَبَرات، لسان العرب (٤/١٥٩).

(٥) رواه ابن جرير في تاريخه في حوادث السنة العاشرة (٣/١٦٢ ـ ١٦٣)، ط الفكر ١٣٩٩هـ، بسنده إلى ابن شهاب، ورواه ابن إسحاق في السيرة النبوية لابن هشام (٤/٣٠٧ ـ ٣٠٩) من =

وقدم على رسول الله ﷺ وفد تجيب ـ وهم من السكون ـ وكانوا ثلاثة عشر رجلاً قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم. فَسُرَّ رسولُ الله ﷺ بهم وأكرم نزلهم. وقالوا: يا رسول الله سقنا إليك حق الله ﷻ من أموالنا، فقال رسول الله ﷺ: «ردوها فاقسموها على فقرائكم» قالوا: ما قدمنا إلا بما فضل من فقرائنا، فقال أبو بكر ﵁: ما وفد علينا ما وفد من العرب بمثل ما وفد هؤلاء الحي من تجيب، فقال رسول الله ﷺ: «إن الهدى بيد الله ﷻ، فمن أراد به خيراً شرح صدره للإسلام».

وسألوا رسول الله ﷺ عن أشياء فكتب لهم بها، وجعلوا يسألون عن القرآن والسنن فازداد فيهم رسول الله ﷺ رغبة وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم، فأقاموا أياماً ولم يطيلوا اللبث، فقيل لهم: ما يعجلكم، قالوا: نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ﷺ وكلامنا إياه وما ردّ علينا[1].

وجاءت وفود أخرى إلى رسول ﷺ منها: وفد الجعفيين بقيادة قيس بن سلمة من بني مروان الجعفي أخي سلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمع لأمه[2]

= مرسل الزهري. وانظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/ ٣٢٨)، ط١، ١٣٨٠هـ، دار صادر؛ والكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤)، ط١، ١٣٩٨هـ، دار الفكر، وتاريخ ابن خلدون المسمى (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) (٢/ ٤٧٦)، ط١، ١٤٠١هـ، دار الفكر.

(١) هذا الخبر أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٢٣) بإسناد ضعيف.

(٢) ذكر الحافظ ﵀ في الإصابة (٣/ ١٥٦) خبر هذين الصحابيين فقال: «سلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمع بن مالك بن كعب بن سعد بن عوف بن حريم بن جعفي الجعفي، نزل الكوفة وكان قد وفد على النبي ﷺ، وحدث عنه وروى عنه حديث قلت: يا رسول الله: إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم الحديث. وفي صحيح مسلم من حديث وائل بن حجر سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله فذكر حديثاً، وابنه كريب بن سلمة كان شريفاً قاله بن الكلبي. وحكى أنه يقال فيه: يزيد بن سلمة وقال المرزباني وفد هو وأخوه لأمه قيس بن سلمة بن شراحيل فأسلما واستعمل النبي ﷺ قيساً على بني مروان وكتب له كتابا. قال: وسلمة بن يزيد هو القائل يرثي أخاه شقيقه قيس بن يزيد:

ألم تعلمي أن لست ما عشت لاقيا ... أخي إذا أتى من دون أوصاله القبر
وهون وجدي أنني سوف أفتدي ... على أثره يوما وإن نفس العمر
فتى كان يدنيه الغني من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر»

من جردان، جاء وافداً مع رهط من أصحابه وقد أكرمهم رسول الله ﷺ خير إكرام، وكذا وفدت قبيلة الصدف على رسول الله ﷺ في السنة العاشرة[١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «قدموا في بضعة عشر راكباً فصادفوا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر، فجلسوا ولم يسلّموا، فقال: «أمسلمون أنتم؟ فقالوا: نعم، قال: «فهلا سلّمتم؟»: فقاموا جميعاً فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقال: «وعليكم السلام، واجلسوا». فجلسوا وسألوا رسول الله ﷺ عن الصلاة فأخبرهم بها[٢].

ومن الذين وفدوا على النبي ﷺ وائل بن حجر الحضرمي من سلالة الملوك في حضرموت.

قال ابن الأثير: «وكان وائلٌ قيلاً[٣] من أقيال حضرموت. وكان أبوه من ملوكهم وفد على رسول الله ﷺ، وكان الرسول ﷺ قد بشّر أصحابه بقدومه قبل أن يصل بأيام، وقال «يأتيكم وائل بن حُجر من أرض بعيدة من حضرموت طائعاً راغباً في الله ﷻ وفي رسوله وهو بقية أبناء الملوك» وفي لفظ قال «يأتيكم بقية أبناء الملوك»[٤].

وفد وائل رضي الله عنه على النبي ﷺ، فدخل المسجد، فأدناه الرسول ﷺ، وبسط له رداءه، وأجلسه معه، ثم صعد المنبر وقال «أيها الناس، هذا وائل بن حجر سيد الأقيال، وأتاكم من أرض بعيدة راغباً في الإسلام»[٥]. فقال: يا

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٢٤).

(٢) البداية والنهاية (٤/ ٩٥).

(٣) أصل قيل قيّل بالتشديد مثل سيد من ساد يسود؛ كأنه الذي له قول أي: ينفذ قوله والجمع أقوال وأقيال أيضاً وهم الأقوال والأقيال الواحد قيل فمن قال أقيال بناه على لفظ قيل، ومن قال أقوال بناه على الأصل وأصله من ذوات الواو، قال أبو عبيدة الأقيال ملوك باليمن دون الملك الأعظم واحدهم قيل يكون ملكاً على قومه ومخلافه ومحجره وقال غيره: سمي الملك قيلا لأنه إذا قال قولا نفذ قوله. انظر: لسان العرب (١١/ ٥٧٦).

(٤) انظر: طبقات ابن سعد (١/ ٣٥١).

(٥) طبقات ابن سعد (١/ ٣٥١).

رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم، فتركته واخترت دين الله. قال: «صدقت، اللهم بارك في وائل وولده»[١].

وهذا يدل على محبة أهل حضرموت لدين الإسلام، الأمر الذي جعلهم يرحلون إلى المدينة النبوية للقاء النبي ﷺ وتعلّم دين الله تعالى الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، ومبايعتهم رسول الله على هذا الدين ونشره، وبعد أن وفد وائل إلى المدينة وتعلّم من نبينا محمد ﷺ ما يهمه من أمور دينه رجع إلى حضرموت ليبلغ هذا الدين من وراءه من أهل حضرموت.

وقد رحب النبي ﷺ بوائل ومن معه من ملوك كندة، وكتب له كتاباً ملكه جميع الأراضي التي بحوزته[٢].

أثر حضرموت في العالم الإسلامي:

بلاد حضرموت من البلدان العربية القديمة، والتي دخلها الإسلام مبكراً، وقد كان لها دور ـ كما سبق ـ في نشر الإسلام، فقد ضمت في كنفها قبائل كثيرة، وكان لهذه القبائل دور كبير في نشر الإسلام، لا سيما في البلاد التي هاجروا إليها، فقد وجد كبار العلماء والمحدثين الحضارمة والقضاة، والذين هاجروا إلى بلدان شتى لنشر الإسلام، وتعليم الناس العلم الشرعي[٣].

ومع هذا الخير الذي نالته حضرموت، إلا أنه عكّر صفو ذلك الخير

---

(١) الحديث من رواية الطبراني وأبي نعيم كما ذكر محقق دلائل النبوة، للبيهقي (٥/ ٣٥٠)، ط١، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، وبعضه عند ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٤٩).

(٢) طبقات ابن سعد (١/ ٣٤٩)؛ وتاريخ بغداد (١/ ١٩٧ ـ ١٩٨)؛ وتاريخ ابن خلدون (٢/ ٤٧٦).

(٣) فقد سكن الكوفة الصحابي الجليل وائل بن حجر وابناه علقمة وعبد الجبار، وممن نزل بحمص عمرو بن عبد الله الحضرمي حيث قدم مع أبي عبيدة ﷺ، وكذا كثير بن مرة وبسر بن عبد الله الحضرميين، وفي مصر نزل مالك بن ناعمة الصدفي، وعبد الله بن لهيعة، وعمار بن سعد التجيبي وغيرهم. انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (١٦٨ ـ ١٧٣).

وجود انحرافات عقدية كان سببها بعض الطوائف والفرق التي ظهرت في حضرموت فحرّفت عقائد كثير من الناس وأبعدتهم عن دين الله تعالى، ومن تلك الطوائف طائفة الصوفية، والتي كان لها أثر واضح في نشر التصوف إلى جانب بعض العلوم الفقهية في حضرموت وكذا في بعض البلدان التي ذهبوا إليها، حتى أن عبد الرحمٰن بن عبد الله اليافعي(١) لما زار حضرموت أثناء القرن الثامن وجد بها كثيراً من الفقهاء والعبّاد فاغتبط وأنشد:

مررت بوادي حضرموت مسلّماً ... فألفيته بالبشر مبتسماً رحباً
وألفيت فيه من جهابذة العلى ... أكابر لا يلقون شرقاً ولا غرباً(٢)

فقد كان لحضرموت أثر واضح في التعليم، وذلك بخروج فقهاء نشروا الفقه في بعض بقاع العالم الإسلامي لا سيما المذهب الشافعي الذي لقي اهتماماً كبيراً عند فقهاء حضرموت، يقول المؤرخ محمد أحمد الشاطري(٣): «ولا نغالي إذا قلنا: إن كثيرين من خريجي المعاهد الشرعية الحضرمية يفوقون علماء الأزهر الشريف في فقه الشافعي والتاريخ الإسلامي وفي النحو والصرف، وهي الفنون التي كثيراً ما يتخصص فيها علماء حضرموت في العهد الأخير بينما كان الأقدمون يتوسعون في العلوم الشرعية والعقلية والعربية إلى

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أسعد اليافعي الشافعي المكي، اشتغل بفنون من العلم وحفظ الحاوي وكانت تعتريه حدة، وفيه صلاح وله شعر. وله سماع من أبيه، وبالشام من ابن أميلة، وبمصر من البهاء بن خليل ولزم السياحة والتجريد فمات غريقاً بالرحبة بين الشام والعراق وله ست وأربعون سنة، وذلك سنة ٧٩٧هـ. انظر: شذرات الذهب (٣/٣٤٨ ـ ٣٤٩)؛ والعقد الثمين، للفاسي (٥/ ٣٦٤) برقم (١٧٤٣).

(٢) البرقة المشيقة، لعلي بن أبي السكران (ص٧).

(٣) هو محمد بن أحمد بن عمر الشاطري، كان مولده بتريم سنة (١٣٣١هـ)، تلقى علومه على يد والده مفتي تريم أنذاك وغيره من علماء تريم. أسس جمعية الأخوة والمعاونة بتريم، وعين مفتي الدولة الكثيرية، والقاضي بالمجلس العالي بالمكلا، وتولى منصب المفتش في المحاكم الشرعية ورئيس بلدية تريم ثم المشرف الاجتماعي بمدارس الفلاح بجدة. هاجر إلى السعودية سنة (١٣٩٣هـ)، من مؤلفاته: أدوار التاريخ الحضرمي، وشرح الياقوت النفيس، واليواقيت من فن المواقيت وغيرها. توفي سنة (١٤٢٢هـ). انظر: هداية الأخيار (ص١٨٨ ـ ١٨٩)؛ وإدام القوت طبعة دار المنهاج (ص٩٢٧) مع الهامش.

درجة عالية جدا...»[١].

وكان من المقرر على الطلاب في دور العلم في حضرموت إلزامهم بحفظ بعض المتون والرسائل الصغيرة، والمنظومات العلمية مثل: التنبيه، والمنهاج، والإرشاد، والحاوي، والشاطبية وألفية العراقي في أصول الحديث والفقه، وألفية ابن مالك، وانتشرت بينهم كتب التفسير، والحديث، وكتب الغزالي، وأبي طالب المكي، والسهروردي وغيرها[٢].

فكما تقدم فقد خلط أهل حضرموت في فترات من الزمن بين الخير والشر، فالخير هو تعلم كتب الحديث والفقه والتفسير مع علوم الآلة المساعدة، وأما الشر الذي خالط هذا الخير فهو تقرير كتب التصوف المليئة بالشركيات والبدع، والبعيدة عن العلم، لذا لعب الحضارمة دوراً واضحاً في نشر التصوف وما تبعه من مخالفات شرعية كالبناء على القبور وإقامة المشاهد وصرف بعض العبادات لها، ونشر الأذكار البدعية وغيرها في بلاد حضرموت، وبقية البلدان التي قدم إليها هؤلاء المتصوفة. ومن آثارهم خارج حضرموت بناء القبب والمشاهد في البلدان التي قدموا إليها ومن ذلك بناء قبر أبي بكر العيدروس[٣] في عدن الذي يشد إليه الرحل سنوياً من كثير من المناطق اليمنية وغيرها.

جاء في كتاب (جلاء الهم والحزن بذكر ترجمة صاحب عدن) عند ذكر مناسبة زيارة قبر العيدروس السنوية التي تقام بعدن: «خلّد أهلُ عدن هذه الذكرى المباركة كل عام بإقامة ما يسمونه بالزيارة السنوية للعيدروس، وهي

---

(١) أدوار التاريخ الحضرمي، للشاطري (ص٤٢٢).

(٢) انظر: الفكر والثقافة في تاريخ حضرموت، لسعيد عوض باوزير (ص٩٠).

(٣) صاحب القبر هو: أبو بكر بن عبد الله العيدروس، ولد سنة ٨٥١هـ، أحد شيوخ التصوف بحضرموت، رحل إلى عدن فلقي السلطان عامر الطاهري فاعتنى به عناية كبرى. توفي سنة ٩١٤هـ. من مؤلفاته: الجزء اللطيف في التحكيم الشريف، وديوان محجة السالك وحجة الناسك. انظر في ترجمته: المشرع الروي (٢/ ٣٤)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٠٥)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٣٥).

مناسبة دخوله إليها، لا كما يعتقد البعض أنها حول وفاته، وللزيارة المذكورة اهتمام ومظهر كبير في عدن منذ القدم، وصارت إحدى المناسبات الشعبية الرسمية التي تعتني بها الدولة والشعب، إلا أن هذه المناسبة طرأت عليها بعض الإفراطات التي كانت سبباً من أسباب الهجمة المبيتة على المقابر بتاريخ ٢٣/ ٣/ ١٤١٥هـ الموافق ٢/ ٩/ ١٩٩٤م وقد أعاد المناصب[1] بعد ذلك دور الزيارة العلمي والعملي بالتدريج حتى صارت اليوم مناسبة ذات مدلولات اجتماعية وروحية هامة ومفيدة»[2].

وكذا انتشر التصوف في مناطق كثيرة من اليمن كمحافظة شبوة وأبين ولحج وغيرها من محافظات اليمن، وتمثل ذلك بالبناء على الأضرحة والزيارات الشركية والبدعية لها، ونشر الأربطة الداعية للتصوف، والغلو في الأولياء والصالحين، وصرف بعض العبادات لهم بحجة أن هذا من تعظيمهم الواجب لهم، وقام المتصوفة كذلك بنشر الأذكار والعبادات والاحتفالات البدعية التي تقام في المساجد، بحجة المحافظة على عادات وتقاليد الآباء دون التعويل على حكم الشرع في ذلك، بل وقيامهم بمحاربة السنّة وأهلها.

ورحل الحضارمة إلى مناطق اليمن العليا[3] لتعلم التصوف والعلوم الأخرى، يقول المؤرخ الحضرمي صلاح البكري[4] في كلام له على هجرة

---

(١) المنصب أو المنصبة: مكانة اجتماعية ومركز في المجتمع الحضرمي، لبعض العائلات العلوية وغيرها يجمع بين النفوذ الديني والسياسي. انظر: حضرموت، لعلي بن عقيل (ص٤٧).

(٢) جلاء الهم والحزن بذكر ترجمة صاحب عدن، لأبي بكر العدني بن علي المشهور (ص٢٥).

(٣) المناطق العليا في اليمن يقصد بها مناطق شمال اليمن كزبيد وذمار ونحوها.

(٤) هو صلاح بن عبد القادر البكري اليافعي الحضرمي، ولد بأندونيسيا عام ١٩١٢م، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدارس الإرشاد العربية بجاكرتا، وسافر إلى مصر عام ١٩٣٠م، ودرس مرحلتي الكفاءة والثانوية ثم التحق بجامعة القاهرة وتخرج في كلية الآداب قسم التاريخ عام ١٩٣٨م، ثم التحق بمعهد التربية العالي وحصل على دبلوم التربية وعلم النفس. وكانت وفاته بمكة: سنة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م. انظر: ترجمته على طرة كتابه: الجنوب العربي قديماً وحديثاً.

الحضارمة: «ولكن في أوائل القرن السابع نشط الحضارمة للهجرة إلى اليمن، فرحل أفراد منهم لطلب العلم في زبيد وآخرون للتجارة، وكان من اشتهر منهم: العلامة الأديب محمد بن حسين بن علي بن المخرم الحضرمي[١] المتوفى سنة ٦٨١هـ، والإمام إسماعيل الحضرمي[٢]»[٣].

كما رحل الحضارمة إلى مدن كثيرة من اليمن كصنعاء[٤] وذمار[٥] وغيرها لتعلم التصوف والعلوم الأخرى كما يتبين في تراجم بعض علمائهم في كتب تراجمهم كالمشرع الروي والنور السافر وغيرهما.

وأما نشر الحضارمة للإسلام في بعض بلدان العالم الإسلامي فكان على طريقة المتصوفة وليست على طريقة أهل السنّة والجماعة، ومن تلك البلدان التي قدم إليها الحضارمة معظم أجزاء جنوب شرق آسيا، وذلك بعد استقرار أحفاد المهاجر أحمد بن عيسى[٦] في حضرموت. وكانت الهجرة إلى جنوب

---

(١) كذا في الأصل. والصواب: محمد بن الحسين بن المحرم الحضرمي، كان فقيها بارعا في الأدب والخط، استدعاه المظفر لتعليم ولده المؤيد. توفي سنة ٦٨١هـ. انظر ترجمته في: تحفة الزمن في سادات اليمن للأهدل (١/٣٩٣).

(٢) هو إسماعيل بن محمد الحضرمي، من صوفية زبيد، أصله من حضرموت. ولي قضاء الأقضية بزبيد، وصنف كتباً منها: شرح المهذب في فقه الشافعية، وشرح مختصر مسلم للمازري، وشرح الوسيط وغيرها. توفي في قرية الضحي من وادي سردد بتهامة سنة (٦٧٧هـ). انظر: كتاب مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري (١/٢٧٥)؛ والروض الأغن (١/١١١ ـ ١١٢).

(٣) تاريخ حضرموت السياسي، لصلاح البكري (٢/٢٣٤).

(٤) صنعاء: أعظم مدن اليمن، تقع في منطقة جبلية عالية وسط شمال اليمن، كانت كثيرة الأشجار، كثيرة المياه، وقد نسب إليها جماعة من العلماء، وهي عاصمة اليمن في هذا الزمان. انظر: معجم البلدان (٣/٤٢٦ ـ ٤٢٧)، ط ١٣٩٧هـ، دار صادر ـ بيروت، وموسوعة المدن العربية والإسلامية، ليحيى الشامي (ص١٣٨)، ط١، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٥) ذمار: بكسر الذال وفتحها ـ مدينة كبيرة مشهورة باليمن تقع جنوب صنعاء بنحو مئة كيلاً، وهي الآن أحد ألوية بلاد اليمن. انظر: معجم البلدان (٣/٧)، ط ١٣٩٧هـ، والبلدان اليمنية عند ياقوت الحموي للأكوع (ص١٢٣)، ط١، دار الفكر ـ بيروت.

(٦) هو أحمد بن عيسى الملقب بالمهاجر، ينتهي نسبه إلى الحسين بن عبد المطلب ﷺ، =

شرق آسيا على مرحلتين: المرحلة الأولى كانت إلى الهند.

ثم المرحلة الثانية من الهند إلى جنوب شرق آسيا أو مباشرة من حضرموت إلى جنوب شرق آسيا عن طريق موانئ الهند الساحلية[(١)].

ويقول المؤرخ الحضرمي صلاح البكري رحمه الله: «ليس من شك أن هجرة العرب الحضارمة إلى جاوة[(٢)] وما حولها من الجزائر أعظم هجرة من نوعها في تاريخهم، فقد اخترقوا الشرق الأقصى في وقت كان ذلك المحيط الخضم محفوفاً بالأخطار والأرزاء، وحطّوا رحالهم في تلك الجزائر الخضراء، وكان من جلائل نتائج هذه الهجرة أن تلاشت ديانة بوذا[(٣)] وقام على أنقاضها الإسلام»[(٤)].

ومما يؤكد أثر حضرموت الواضح في نشر الإسلام في جنوب شرق آسيا ما جاء في قرار مجلس المشاورة الذي عقد لبحث دخول الإسلام إلى أندونيسيا والذي حضره مائة وخمسة وستون عالماً من علماء تلك البلاد في

= وهو جد العلويين في حضرموت، حيث قدم حضرموت مهاجراً إليها في القرن الرابع، ونزل أولا قرية الجبيل بوادي دوعن مدة، وكانت أوضاع حضرموت في وقته مضطربة بسبب الحروب مع الإباضية من جهة بالإضافة لبعض الفتن التي سادت تلك الجهات آنذاك، ثم غادر قرية الجبيل متجهاً إلى الهجرين، ثم انتقل إلى قارة بني جشير ـ وهي من قرى كندة ـ تقع قرب بلدة بور، ثم انتقل إلى الحسيسة بالقرب من تريم فاستوطنها إلى أن مات بها سنة ٣٤٥هـ. انظر: صفحات من التاريخ الحضرمي، لسعيد بن عوض باوزير (ص٥٤ ـ ٥٨)، ط٢، ١٩٨٣م.

(١) أشراف حضرموت ودورهم في نشر الإسلام بجنوب شرق آسيا، لمحمد بن حسن العيدروس (ص٣٤). بتصرف يسير.

(٢) إحدى جزر أندونيسيا، وتقع في الأرخبيل الغربي ويسمى أرخبيل سوندا. انظر: جغرافية الدول الإسلامية، لجوده حسين وآخر (ص٤٤١).

(٣) البوذية: من الديانات الوضعية التي ظهرت في بلاد الهند على يد بوذا في القرن الخامس قبل الميلاد، وهي قائمة على نظريات فلسفية وأنظمة أخلاقية خاصة بها، حيث قامت على العناية بالإنسان، والدعوة إلى العزلة والخشونة ونبذ الحياة المادية، ثم تحولت بعد موت مؤسسها إلى معتقدات ذات طابع وثني. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص١٠٧)، ط٢، ١٤٠٩هـ.

(٤) تاريخ حضرموت السياسي (٢/ ٢٤٠).

كدوغ جاغكويغ في أندونيسيا حيث قرر المجلس بأن أول من أدخل الإسلام إلى أندونيسيا هم السادة العلويون الحضرميون الشافعيون[١].

وقد نشط الحضارمة في هجرتهم لبعض البلدان بنشر الإسلام المشوب بالتصوف في تلك الأماكن مما كان له الأثر الواضح على المسلمين الجدد في تلك البقاع، حيث لم يعرفوا إلا التصوف القائم على الجهل بالتوحيد والوقوع فيما يضاده، فقد دخل أشراف حضرموت إلى آتشيه في سومطرا[٢] التي تعتبر أول منطقة دخل إليها الإسلام في أندونيسيا، وكان أول من دخلها من الحضارمة هم الأشراف، ثم توالى دخول الحضارمة لهذه البلاد عبر الأوقات المتتالية بالإضافة لدخول العديد من علماء الأشراف العلويين الحضارمة إلى جاوه قبل الهولنديين بعدة قرون[٣].

كما لعب الأشراف الحضارمة دوراً كبيراً في نشر الإسلام المشوب بالتصوف في جزر الفلبين وجزر سلولو وميندانا وغيرها.

ومما يؤكد أن الإسلام الذي نشره الحضارمة في بعض البلدان كان على طريقة المتصوفة ما جاء في أحد الأبحاث التي تحدثت عن انتشار الطريقة الشاذلية[٤] بسيلان: «ولقد انتشر الإسلام في آسيا عن طريق التصوف، ولهذا انطبعت الحياة العامة في تلك البلاد بطابعه ففي بلاد سيلان مثلاً كل مسلم لا بد أن ينتسب إلى طريق صوفي، وفي كل بلد من سيلان زاوية صوفية، والأولاد هناك يتربون تربية صوفية فيذهبون إلى الزوايا كل صباح، وفي سيلان

---

(١) انظر: المدخل إلى الشرق الأقصى (ص٢٠٤)؛ وأشراف حضرموت ودورهم في نشر الإسلام بجنوب شرق آسيا (ص٦٢، ٦٤).

(٢) إحدى جزر أندونيسيا. وتقع في الأرخبيل الغربي. انظر: جغرافية الدول الإسلامية (ص٤٤١).

(٣) انظر: أشراف حضرموت ودورهم في نشر الإسلام بجنوب شرق آسيا (ص٦٤، ٦٦).

(٤) الشاذلية: طريقة صوفية وتنسب إلى أبي الحسن الشاذلي المتوفى سنة ٦٥٦هـ، وهي منتشرة في المغرب والجزائر، وفي أنحاء أخرى من العالم، وقد تشعبت عنها طرق كثيرة. انظر: الصلة بين التصوف والتشيع، لكامل الشيبي (ص٦٧)، ط٢، دار المعارف.

طرق صوفية متعددة أشهرها: الشاذلية، والقادرية[١] والعلوية[٢] ويضيف إلى ذلك أن المسلمين في سيلان ينتسبون إلى أصلين كبيرين: أصل عربي وقدموا من حضرموت واليمن وتكتب لغتهم بالعربية، وفريق ثاني وفد إليها من الملايو»[٣].

وجاء في كتاب لوامع النور في ترجمة علوي بن عبد الرحمٰن المشهور[٤]: «ونجده في عام ١٣٢٣هـ يحضر في مدينة قالي ببندر سيلان[٥] احتفالاً عظيماً بمناسبة اختتام السلسلة العيدروسية، وتكلم في الاحتفال... وألقى في ذلك الحفل المهيب قصيدة عصما[٦]. أشار فيها سند الاتصال برجال السلسلة، وكيف وصلت مسلسلة إلى أهالي سيلان»[٧].

وجاء في الكتاب المذكور أيضاً: «وكانت قرى ومدن سيلان تزخر بالعديد من الطرق الصوفية، ولكل منهم مواقع خاصة إلى أن قال: وكان

---

(١) طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الحنبلي المتوفى سنة ٥٦١هـ. انظر ترجمته في: السير (٢٠/ ٤٣٩)؛ والأعلام (٤/ ٤٧).

(٢) طريقة صوفية ظهرت في حضرموت ـ وسيأتي الحديث عنها ـ وهي نسبة لآل باعلوي الأشراف الذين سكنوا حضرموت، ويسمون «السادة» وأكثر تواجدهم في مدينة تريم وما حولها.

(٣) انظر: المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى، لعلوي بن طاهر الحداد (ص٢٥٦، ٢٧٨ ـ ٢٧٩). وهذا البحث للدكتور محمد مكين أحد الباحثين في سيلان ورئيس الجمعية الإسلامية بجامعة لندن في رسالته التي قدمها في جامعة لندن عن الطريقة الشاذلية وأثرها في تطور المجتمع.

(٤) هو علوي بن عبد الرحمن بن أبي بكر المشهور: ولد بمدينة تريم سنة ١٢٦٣هـ، من مؤلفاته: الدرر المنظومة في ذكرى المصطفى، مجموع يحتوي على الإجازات التي كتبت له، والتي كتبها هو لبعض مريديه والمتصلين به، وسفن متعددة حاوية على درر المسائل والفوائد، ومكاتباته التي كان يبعث بها إلى أصدقائه، انظر عن حياته بتوسع كتاب: لوامع النور نخبة من أعلام حضرموت لحفيده أبي بكر العدني بن علي بن أبي بكر المشهور (ص١٦ وما بعدها)، ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص١٠٦).

(٥) قالي: مدينة من مدن سيلان الواقعة جنوب الهند، كانت تتبعها سياسياً قبل انقسامها. وقد عرفها العرب باسم جزيرة « سرنديب». انظر: البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة: ص٥٩١.

(٦) كذا في الأصل.

(٧) لوامع النور (١/ ٨٧).

التنافس الطبيعي يجري مجراه، وكان الجد علوي يكرس جهده في رفع هذه الحواجز الناشئة بين أتباع الطرق، ويزود كل ذي طريقة ومظهر متحدّثاً مع الأتباع والمريدين بالمعاني القيمة... كما كان يسهم بقريحته الشعرية إلى جانب علمه ووعظه في مشاركة أولئك كثيراً من حضراتهم، ومجالسهم، وحلقات ذكرهم كما أشاد في بعض أشعاره بالعديد من الأولياء والصالحين المعتقدين بالصلاح والتقوى، كالشيخ الكبير الشهير بالأشرفي وله مسجد كبير وضريح معروف يزار. ومن قصائده فيه قوله:

العالم اللوذعي البحر من خضعت ... له الرقاب وصمّ الصخر قد لانا
وكيف وهو الذي من نوره شرفت ... وسيل إحسانه قد عم سيلانا[1]

ويقول أبو بكر المشهور[2] عن رحلات جده علوي: «وأما رحلته إلى أفريقيا الشرقية فكانت سنة ١٣٣٠هـ... وقد اجتهد في نشر الدعوة[3] إلى الله وتعليم العامة والخاصة، والتقى بعدد من الشيوخ في تلك البلاد وبالحبيب أحمد بن أبي بكر بن سميط[4]، وتهيأ له في هذه الرحلة طبع مولده المبارك

---

(١) لوامع النور (١/ ٨٩ ـ ٩٠).

(٢) هو أبو بكر بن علي المشهور العلوي، من الصوفية المعاصرين، ولد بمدينة أحور ـ إحدى مدن محافظة أبين ـ عام ١٣٦٦هـ، يقيم أكثر وقته بعدن، حيث يقوم على رباط العيدروس، وإدارة المناهج والتراث بعدن، ومن الساعين لبناء الأربطة في مدن وقرى اليمن. من مؤلفاته: بين يدي الدجال، وقبسات النور، ولوامع النور، والتليد والطارف وغيرها. انظر: هداية الأخيار (ص٥٤٧)، وانظر ترجمته لنفسه على طرة كثير من كتبه منها: بين يدي الدجال.

(٣) نشر الدعوة إلى التصوف ولم ينشر الدعوة إلى الإسلام المصفى القائم على الكتاب والسنَّة؛ طريق السلف الصالح؛ أهل القرون المفضلة الذي الخير كل الخير في اتباعهم والشر كل الشر في التنكّب عن طريقهم، فلا يغتر المسلم بكل من ذكر أنه سافر لأي بلد لنشر الدعوة بل تعرض دعوته على الكتاب والسنَّة وفق منهج السلف الصالح وذلك هو الفاصل بين الحقائق والدعاوى.

(٤) هو أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن سميط العلوي، صوفي حضرمي، ولد سنة ١٢٧٧هـ، وقام بنشر التصوف والتدريس. وله عدة شيوخ. ومن مؤلفاته: منهل الوراد من فيض الإمداد شرح أبيات الحداد، وتحفة اللبيب شرح لامية الحبيب، توفي سنة ١٣٤٣هـ. انظر: مقدمة كتابه الإبهاج، ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٦٩).

المسمى «الدرر المنظمة» على نفقة نادي إخوان الصفا[١] بزنجبار[٢]»[٣].

كان لمتصوفة الحضارمة دور كبير في تدريس التصوف في البلدان التي هاجروا إليها، ومنها أندونيسيا ففي مدينة بنداوسة الواقعة بجاوة كان محمد بن أحمد المحضار[٤] يجلس يومياً لتدريس التصوف لعموم الناس في الضحى وفي المساء حيث يحتشد لذلك الناس وتكون القراءة غالباً في كتب الحديث، والتصوف، والسير، وكتب السلف والخلف من العلويين وغير العلويين، وتكون القراءة في بنداوسة، أو خارجها أثناء أسفاره فضلاً عن دروسه في علوم شتى لأبنائه وغيرهم، وكانت له مكتبة تحوي مئات الكتب الخطية والمطبوعة من مختلف العلوم والفنون ومنها التصوف[٥].

كما لعبوا دوراً في نشر القباب والأضرحة في بعض بلدان العالم الإسلامي، وبناء القبب في مهجرهم ومنها جهة سورابايا[٦] حيث يُدفن فيها

---

(١) إخوان الصفاء: هم جمعية إسماعيلية باطنية سرية، وجدت في القرن الرابع حين عمَّ الرفض الأرض، وتبنت أسلوب السرية والخفاء في دعوتها، وبثت فكرها في جميع طبقات الناس، وألفت اثنتين وخمسين رسالة على أقسام: رياضية تعليمية، وجسمانية طبيعية، ونفسانية عقلية، وناموسية إلهية، واستمدوا فكرهم ومعلوماتهم من كلام الفلاسفة، وألبسوه الصبغة الشرعية وخلطوه بالعلوم الطبيعية وبالتنجيم على هيئة قصص وحكايات. انظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص٥٨ ـ ٥٩).
وهذا يدل على التقارب بين صوفية حضرموت والرافضة الباطنية يبين ذلك العلاقة مع هذه الجمعية التي تحمل اسم الإسماعيلية الباطنية، وهذا شأن البدع لها ارتباط بعضها ببعض، أما أهل السنَّة فهم على منهج ثابت مهما تغيرت الأحوال فلا يوالون ولا يعادون إلا في الله تعالى.

(٢) زنجبار إحدى مناطق دولة تنزانيا بأفريقيا. (٣) لوامع النور (١/ ٩١).

(٤) هو محمد بن أحمد المحضار، ولد بالجبيل بدوعن سنة ١٢٨٠هـ، ومن شيوخه: أحمد بن حسن العطاس، وطاهر بن عمر الحداد وغيرهما وتوفي في سورابايا بالبلاد الجاوية سنة ١٣٤٤هـ. من مؤلفاته: مجموع وصايا وإجازات ومكاتبات في أربع مجلدات ضخمة، وديوان شعر مليء بالمدائح والصوفيات والمرائي وتخاميس لكثير من قصائد عبد الله الحداد المتوفى ١١٣٢هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٥/ ٨٠ ـ ٩٧)؛ وكتاب إدام القوت الحاشية (ص٣٣١)، ط المنهاج؛ ولوامع النور (١/ ١٣١).

(٥) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٥/ ٨٤).

(٦) إحدى مدن أندونيسيا الرئيسة تقع في شرق جزيرة جاوة، وهي ميناء تجاري هام ومركز =

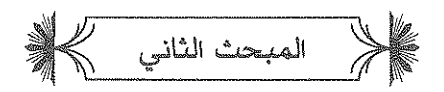
شيوخهم[١].

وأنشأ آل الجنيد قبباً في سنغافورة خصصت لدفن موتاهم من آل الجنيد، وكذا إبراز ضرايحهم والاهتمام ببنائها[٢].

= للصناعات المعدنية ومعمل لتكرير البترول. انظر: جغرافية الدول الإسلامي (ص٤٥٠).

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (٥/٨٨).

(٢) انظر: العقود العسجدية، لعبد القادر الجنيد (ص١١٩، ٢٥٩، ٤٥٧).



المبحث الثاني

التعريف بالتصوف ونشأته وتطوره



• وتحته مطلبان:

※ المطلب الأول ※

التعريف بالتصوف

التصوف لغة:

تعددت أقوال العلماء وكذا الصوفية أنفسهم في مفهوم التصوف، حيث نقل بعض المتصوفة أكثر من خمسين تعريفاً للتصوف عن متقدميهم[١].

وقال بعضهم: إن أقوال مشايخ الصوفية تزيد على ألف قول[٢].

وأغلب هذه الأقوال في تعريف التصوف لا يؤيده الاشتقاق اللغوي.

قيل إنه: مأخوذ من الصفاء[٣]، وقيل: نسبة لأصحاب الصفة، وقيل: نسبة للصوفانة، وهي بقلة رعناء قصيرة، فنسبوا إليها لاكتفائهم بنبات الصحراء[٤]، وقيل: نسبة لرجل يقال له: صوفة، واسمه الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر انقطع للعبادة عند بيت الله الحرام، وقيل نسبة: لصوفة القفا، وهي الشعرات النابتة في مؤخر الرأس[٥]، وقيل: نسبة إلى الصوف وقيل غير ذلك، والراجح من هذه الأقوال ـ والله أعلم ـ أن التصوف مأخوذ من الصوف[٦]، وهو أصل اشتقاقه وذلك لأمرين:

(١) الرسالة القشيرية، للقشيري (٢/ ٥٥٠).

(٢) عوارف المعارف، للسهروردي (ص٥٨).

(٣) الرسالة القشيرية (٢/ ٥٥٠).

(٤) تلبيس إبليس، لابن الجوزي: ص٢٠١.

(٥) المصدر السابق (ص١٩٩).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦٩).

أولاً: من حيث اللغة، فنسبة الصوفي للصوف نسبة سليمة خلاف بقية الاشتقاقات السابقة فلا تخلو من نظر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فقيل نسبة إلى أهل الصُفّة وهو غلط لأنه لو كان كذلك لقيل: صُفّي وقيل: نسبة إلى الصف المتقدم بين يدي الله وهو أيضاً غلط، فإنه لو كان كذلك لقيل صَفي...»[1].

ثانياً: صحة هذه النسبة من حيث المعنى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «والنسبة في الصوفية إلى الصوف؛ لأنه غالب لباس الزهاد»[2].

وكان المتصوفة يلبسون الصوف للمبالغة في التقشف والرهبنة كما يقولون[3]، ويرون ذلك الفعل من القُرب التي يتقربون بها إلى الله جلّ وعلا.

ويقول ابن خلدون[4]: «والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب»[5]. وكذلك وضح الكلاباذي[6] تفسير بعضهم للتصوف فقال: «وأما

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/٦). (٢) المصدر السابق (١٠/٣٦٩).

(٣) قال بذلك: السراج الطوسى في اللمع (ص٤٧)، وأبو طالب المكي في قوت القلوب (٢/١٦٧)؛ والسهروردي في عوارف المعارف (ص٦٠) وغيرهم. وهو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١/١٦ ـ ١٩)؛ وابن خلدون في مقدمته (٢/٥٨٤). وانظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، للدكتور محمد لوح (١/٣٧).

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي الأصل التونسي، ثم القاهري المالكي، ولي الدين، أبو زيد عالم، أديب، مؤرخ، اجتماعي ولد سنة ٧٣٢هـ ومن مؤلفاته: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، ولباب المحصل في أصول الدين، وشرح قصيدة ابن عبدون الإشبيلي وتوفي سنة ٨٠٨هـ. انظر: الضوء اللامع، للسخاوي (٤/١٤٥ ـ ١٤٩)؛ وشذرات الذهب لابن العماد (٧/٧٦، ٧٧)؛ معجم المؤلفين (٢/١١٩ ـ ١٢٠).

(٥) مقدمة ابن خلدون (ص٣٩٢).

(٦) هو محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي: من شيوخ الصوفية في القرن الرابع الهجري، من أهل كلاباذ، وهي محلة ببخارى له مؤلفات منها: بحر الفوائد بمعاني الأخبار، وأمالي في الحديث، والتعرف لمذهب أهل التصوف، قال أحد الصوفية عن كتابه الأخير (لولا التعرف لما عُرِف التصوف)، توفي سنة ٣٨٠هـ. انظر: الموسوعة الصوفية (ص٣٣٨).

من نسبهم إلى الصفة والصوف فإنه عبر عن ظاهر أحوالهم، وذلك أنهم قوم قد تركوا الدنيا، فخرجوا من الأوطان وهجروا الأخدان وساحوا في البلاد وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد»[1]. ولذا ترى المتصوفة يقدسون ويعظمون الصوف، يقول أحمد زيني دحلان[2]: «وحكي عن الشيخ عبد الرحيم القناوي[3] رأى مرة في عنق كلب خرقة من صوف فقام له إجلالاً للخرقة الصوف المنسوبة للصوفية»[4].

وأما تعريف التصوف في الاصطلاح:

كما كثرت الأقوال في تعريف التصوف لغة فكذلك بالنسبة لتعريفه اصطلاحاً، جاء في كتاب قواعد التصوف: «وقد حدّ التصوف ورسم بوجوه نحو الألفين، مرجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هي وجوه فيه»[5].

ومن تعريفات الصوفية لمفهوم التصوف ما قاله الجنيد: «التصوف تصفية القلب من موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازل الصفات الربانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واتباع الرسول في الحقيقة»[6].

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي (ص١٣).

(٢) هو أحمد زيني دحلان: ولد بمكة سنة ١٢٣٢هـ، وتولى فيها الافتاء والتدريس، ويعد من غلاة الصوفية المتأخرين، ومن خصوم الدعوة السلفية. له مؤلفات كثيرة سودها بالضلالات منها: خلاصة الكلام، والدرر السنية، يقول عنه محمد رشيد رضا في مجلة المنار (٧/ ٣٩٣): إن دحلان غير محدث ولا مؤرخ ولا متكلم وإنما هو مقلد للمقلدين ونقال من كتب المتأخرين. انظر: الأعلام (١/ ١٢٩)؛ ومعجم المؤلفين (١/ ٢٩).

(٣) هو أبو محمد عبد الرحيم المغربي القناوي، من مشايخ الصوفية بمصر. توفي بقنا بصعيد مصر سنة ٥٩٢هـ. انظر: الطبقات الكبرى، لعبد الوهاب الشعراني (١/ ٢١٨ ـ ٢١٩)، ط١، دار الرشاد الحديثة.

(٤) تقريب الأصول لتسهيل الوصول لمعرفة الله والرسول ﷺ لدحلان (ص٢٢٠). وانظر: طبقات الشعراني (١/ ٢١٩).

(٥) حقائق عن التصوف، لعبد القادر عيسى (ص١٥).

(٦) التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي (ص٤٣).

وقيل: «أن تكون مع الله بلا علاقة»[1] وقيل غير ذلك.

وكثرة هذه التعريفات يدل على عدم ضبط أهل التصوف لمصطلح التصوف فضلاً عن غيرهم، وهذه ميزة الباطل لا ثبات له ولا قرار وإنما هو الاضطراب والاختلاف.

يقول ابن خلدون عن أصل كلمة التصوف: «وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة...»[2].

ولكثرة تعريفات التصوف فقد لخصه بعضهم بأنه: «السير في طريق الزهد والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها، وأخذ النفس بأسلوب من التقشف، وأنواع من العبادة، والأوراد والجوع، والسهر في صلاة، أو تلاوة ورد، حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي ويقوى فيه الجانب النفسي أو الروحي فهو إخضاع الجسد للنفس بهذا الطريق المتقدم، سعياً إلى تحقق الكمال النفسي كما يقولون، وإلى معرفة الذات الإلٰهية وكمالاتها، وهو ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة»[3].

وبهذا يتبين لنا مخالفة الصوفية لمنهج سلف الأمة في العبادة، والسلوك، وتعذيبهم للنفس برياضات ابتدعوها من عند أنفسهم أملاها عليهم الشيطان، وما ذاك؛ إلا لبعدهم عن نور الوحي، الكتاب والسنّة، واتّباع الآراء المخالفة والنظريات الفلسفية الدخيلة على الأمة الإسلامية المخالفة لمذهب السلف الصالح.

* * * * *

(١) اللمع (ص٤٥).
(٢) مقدمة ابن خلدون (ص٤٦٧)، ط دار الفكر.
(٣) التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، لإبراهيم هلال (ص١).

❁ المطلب الثاني ❁

نشأة التصوف وتطوره

كما اختُلف في تعريف التصوف كذلك اختلف في الوقت الذي نشأ فيه التصوف، فلا يعرف وقت ظهور التصوف في الأمة الإسلامية بالتحديد ولا من هو أول متصوف[١]، ولم يكن لفظ الصوفية مشهوراً في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك[٢].

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب إلى أن قال: كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام فيقال: مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقاً تخلّقوا بها»[٣] وقال بعضهم: إن التصوف ظهر في القرن الثاني[٤] ولكن شهرة الصوفية لم تبرز في القرون الثلاثة المشهود لها بالخير[٥]. وقد وجدت بوادر الصوفية في الأزمنة المتقدمة، ومما يدل على ذلك ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله: «خلّفت بالعراق شيئاً أحدثه الزنادقة[٦]

---

(١) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنَّة، لعبد الرحمن بن عبد الخالق، ص٤٩.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٥٦). (٣) تلبيس إبليس (١/١٩٩).

(٤) انظر: تلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص٢٠١ ـ ٢٠٢)؛ مقدمة ابن خلدون (ص٣٧٠).

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٥٦).

(٦) الزنادقة مفرده زنديق، وهو المنسوب إلى الزندقة، والزندقة لفظة معربة من الفارسية وكان يطلقها الفرس على من انحرف عن ظواهر نصوص كتبهم نسبة إلى ماني المجوس، الزند ومعناه: التفسير، الذي وضعه لتفسير كتاب زرادشت؛ لكن أغلب الفرس رفضوه، فأخذته العرب وعربوه إلى زنديق، وقد ظهر هذا اللفظ في عهد الخليفة العباسي المهدي فكان يطلق على المانوية الثانوية القائلين بإلهين هما: النور والظلمة، وعلى الشعوبية والحركات الباطنة كالبابكية والخرمية، ثم صار يطلق على المستهتر الماجن الذي لا يؤدي الفرائض ويجاهر بالمعاصي، ثم صار في العصور الأخيرة يطلق على الأفراد أكثر من إطلاقه على الطوائف =

يسمونه التغبير[١] يشغلون به الناس عن القرآن»[٢] والإمام الشافعي خرج من بغداد متوجهاً إلى مصر نهاية القرن الثاني، وكلام الإمام الشافعي يدل على أن التصوف أمر محدث لم يكن عليه أمر السلف ـ رحمهم الله ـ وأن التغبير وهو نوع من الإنشاد الصوفي الهدف منه إشغال الناس عن القرآن.

ويذهب بعض العلماء إلى أن ظهور التصوف كان نتيجة إقبال الناس على الدنيا والانشغال بها ولذا عُرف المقبلون على الزهد والعبادة باسم الصوفية والمتصوفة[٣]، ومنذ ذلك الوقت غلب هذا الاسم على هذه الطائفة من الزهاد فيقال: رجل صوفي وللجماعة الصوفية ومن يتوصل إلى ذلك يقال له: متصوف والجماعة المتصوفة[٤].

ولقد اختلفت الأقوال في أول من لقب بالصوفي، فقيل: هو أبو هاشم الكوفي[٥] (ت١٥٠هـ) وأنه بنى خانقاه[٦] للصوفية في الرملة من بلاد الشام،

= ويطلق على من أظهر الإسلام وأبطن الكفر. انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، لعلي بن الحسين المسعودي (١/ ٢٥٩) شرحه وقدم له: د. مفيد محمد قميحة، ط١، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت؛ وتاج العروس (١٣/ ٢٠١)، ط ١٤١٤هـ: مادة زندق؛ وتاريخ الإلحاد في الإسلام، لعبد الرحمن بدوي (ص٣٥ ـ ٤٣).

(١) التغبير هو الاجتماع على الذكر والأوراد الصوفية، بترديد الأصوات والطرب بها عند القراءة وسماع الذكر أو بعض الأشعار، مع الضرب بالقضيب، ويسمى التغبير لأنهم يغيرون ذكر الله بما يطربون به من الشعر، وسموا مغبرين لتزهيدهم الناس في الدنيا الفانية وترغيبهم في الآخرة. انظر: تلبيس إبليس (١/ ٢٨٣)، ط١، ١٤٠٥هـ، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي ـ بيروت؛ والاستقامة (١/ ٣٢٨)، ط١، ١٤٠٣هـ.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص٢٨٣)، وذم ما عليه مدعو التصوف، لابن قدامة (ص٧ ـ ٨)، ط٣، المكتب الإسلامي. وانظر: الحلية (٩/ ١٤٦)؛ وإغاثة اللهفان (١/ ١٢٩).

(٣) انظر: تلبيس إبليس (ص١٦٣)؛ ومقدمة ابن خلدون (ص٤٦٧).

(٤) انظر: الرسالة القشيرية: ٢/ ٥٥٠.

(٥) هو عثمان بن شريك، أبو هاشم الزاهد، اختلف المترجمون له هل كان كوفياً أم بغدادياً أم شامياً، وذكر بعضهم أن أبا هاشم اتهم بالزندقة، وأنه كان باطنياً دهرياً. توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٣٩٧)؛ وحلية الأولياء (١٠/ ٢٢٥)؛ والتصوف المنشأ والمصادر، لإحسان إلهي ظهير (ص٤١).

(٦) الخانقاه: هي رباط الصوفية، وجمعها خانقاوات. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٢٦٠).

وكان مولى من الموالي وكان يقول بالحلول والاتحاد وكان باطنياً دهرياً[١].

وقيل: إن أول من تسمى بالصوفي عبدك الصوفي[٢] من أهل بغداد، وقيل: إن جابر بن حيان[٣] أول من لقب بالصوفي[٤] وهؤلاء الذين ذكر عنهم أنهم أول من لقب بالصوفي مطعون في مذاهبهم وعقائدهم، ورمي كل واحد منهم بالفسق والفجور حتى الزندقة، وخاصة جابر بن حيان وعبدك[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «إن أول ما ظهرت الصوفية في البصرة[٦]، وأول من بنى دويرة للصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد[٧]، وعبد الواحد من أصحاب الحسن[٨]، وكان في البصرة

---

(١) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع، لكامل الشيبي (ص٢٦٩).

(٢) يعتبر عبدك الصوفي من أوائل الصوفية، حيث كان مظهراً للزهد والتشيع، متهماً بالزندقة، نشأ في الكوفة، ثم انتقل إلى بغداد، ذكر الملطي أنه (أول من أشتهر ببغداد باسم الصوفي)، وذكر أيضاً أنه (كان رأس فرقة من الزنادقة)، توفي سنة (٢١٠هـ). انظر: التنبيه والرد للملطي (ص٢١)؛ والتصوف المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهير (ص٤٣)؛ ومن قضايا التصوف لمحمد السيد الجليند (ص٣٦).

(٣) هو جابر بن حيان بن عبد الله، الطرسوسي الكوفي، الكيميائي المشهور، كان يعرف بجابر الصوفي، من أهل الكوفة، وأصله من خراسان، ذكر القفطي أنه «كان مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة، ومتقلداً للعلم المعروف بعلم الباطن، وهو مذهب المتصوفين من أهل الإسلام»، له مؤلفات كثيرة منها: أسرار الكيمياء، وعلم الهيئة، وصندوق الحكمة، توفي بطوس سنة (٢٠٠هـ). انظر: الفهرست لابن النديم (ص٤٩٨)؛ وأخبار الحكماء للقفطي (ص١٦٠)؛ والأعلام (٢/١٠٣).

(٤) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع (ص٢٦٦، ٢٦٩).

(٥) التصوف المنشأ والمصادر (ص٤٣).

(٦) البصرة: هي المدينة المعروفة، من أعمال العراق تقع في الجنوب منه، انشئت في عهد عمر بن الخطاب ﵁، وينسب إليها عدد من الأئمة منهم الحسن البصري ﵀. انظر: معجم البلدان (١/ ٤٣٠ ـ ٤٤٢)، ط ١٣٧٤هـ، دار صادر؛ وآثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني (ص٣٠٩ ـ ٣١٣).

(٧) هو عبد الواحد بن زيد، أبو عبيدة البصري من الزهاد، شيخ الصوفية بالبصرة، ترك حديثه الأئمة كالبخاري والنسائي وابن حبان وغيرهم. كان ينسب إليه القول بالقدر، وقيل أنه رجع عنه. توفي بعد سنة (١٥٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام للذهبي (وفيات ١٤١ ـ ١٦٠هـ) (ص٥٠٩)، ط دار الكتاب العربي؛ ولسان الميزان (٤/ ٨٠)، ط٣، منشورات مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

(٨) البصري الإمام المعروف.

من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار، ولهذا يقال: فقه كوفي وعبادة بصرية»[١].

وذهب بعضهم أن التصوف ظهر بالكوفة بسبب الاضطرابات السياسية آنذاك، حيث ترك بعضهم الدنيا وأقبل على التصوف[٢].

وقد حمل بعضهم المنقول عن بعض السلف من الكلام في الزهد والورع على أنه من التصوف فنسبه إليهم كقول من قال أن سفيان الثوري تكلم به[٣].

ومن خلال هذه النقول يتبين لنا أن إطلاق مصطلح الصوفي والمتصوف تختلف هيئته بين بداية ظهوره وبين ما جرى بعد ذلك من مخالفات للشرع المطهر، فقد كان إطلاق الصوفي والمتصوف باديء الأمر يقصد به الزاهد في الدنيا وملذاتها، والعابد الورع المقبل على الآخرة[٤].

ولم يكن للتصوف عند نشأته جماعة معروفة بعينها لها نظامها الخاص، ورئيسها المعين، وإنما تميزت في أول أمرها بالزهد المبالغ فيه وحب الله تعالى وهذه هي قاعدتي الصوفية التي كانوا ينطلقون منها[٥]، ولكن تغير الأمر كما أسلفنا وحدث الانحراف عن الشرع فيما بعد كما سيأتي.

ويقال للقوم إنَّ صِدْقَ الرجل في ادعائه محبة الله يظهر ذلك من خلال التزامه بأوامر الله واجتناب نواهيه وذلك باتباع نبيه محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣١ ـ ٣٢]، لا كَفِهم الصوفية للمحبة، التي يدعونها مع وقوعهم في مخالفة هدي محمد ﷺ، وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ أحوال الناس في محبة الله جلَّ وعلا فقال: «قال بعضهم: من عَبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عَبَدَ الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عَبَدَ الله بالرجاء وحده

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/٦ ـ ٧).
(٢) الصلة بين التصوف والتشيع (ص٢٧١).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٥).
(٤) انظر: الفلسفة الإسلامية وملحقاتها، لعمر رضا كحالة (ص٢٣).
(٥) انظر: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية لإدريس محمود إدريس (١/٣٨).

فهو مرجئ، ومن عَبَدَ الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد»[١].

وقد بيّن أهل العلم تدرج الشيطان بالصوفية، وصرفهم عن الحق شيئاً فشيئاً فزاد تلبيسه حتى أوصل بعضهم إلى حضيض الكفر والزندقة.

ومن تلبيسه عليهم أن صدهم عن العلم الشرعي، وزين لهم بأن العمل هو الغاية فلا حاجة للعلم[٢]، لذا تخبطوا وتحيروا في ظلمات الجهل، فمنهم من ترك الدنيا في الجملة فتركوا ما يصلح أبدانهم وبغضوا المال بغضاً شديداً، وبالغوا في تعذيب النفس، حتى ذكروا عن بعضهم أنه لا يضطجع، ويعملون بسبب جهلهم بالأحاديث الموضوعة في عباداتهم المبتدعة، ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك.

وجاء آخرون فميزوا مذهب التصوف بعد تهذيبه وأفردوا ذلك بصفات لتميزه عن غيره والاختصاص بالمرقعة[٣] والوجد[٤] والرقص والتصفير ونحو ذلك.

ثم بلغ بهم الأمر إلى أن وضع لهم الشيوخ ما يسمى بالتصوف وهو: علم الباطن، وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان به، لتخيلهم شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به وهؤلاء بين الكفر والبدعة.

ثم وصل القوم لتشعب الطرق وفساد الاعتقاد إلى قول بعضهم بالحلول وقول البعض الآخر بالاتحاد. وما زال إبليس يوقعهم في فنون البدع حتى

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٨١).

(٢) انظر كلام الإمام الشوكاني في كيفية تدرج الصوفية في الانحراف: أدب الطلب (ص١٧٢)، ط ١٩٧٩م، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ـ صنعاء.

(٣) المرقعة هي: ثوب يقطع ثم يرقع رقعاً بحيث يخيط بالصوف ويسمى أيضاً بالخرقة، وهو لبس خاص بالصوفية وشعار لهم. انظر: إتحاف السادة المتقين، للزبيدي (٨/ ٢٧٠).

(٤) الوجْد له تعريفات كثيرة عند الصوفية، قيل هو: مكاشفات من الحق، والوجد لا يرد إلا لأهل البدايات لأنه يرد عقب الفقْد، فمن لا فقد له لا وجد له. وقيل: شعلة متأججة من نار العشق يستفيق بها الروح بلمع نور أزلي، وشهود دفعي. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية، للكاشاني (ص٣١٧)؛ والمعجم الصوفي، للحفني (٢٥٦ ـ ٢٥٧).

جعلوا لأنفسهم سننا[١].

ويمكن إجمال مراحل تطور التصوف في الآتي:

المرحلة الأولى:

كان يغلب على أصحاب هذه المرحلة العبادة والانعزال عن الناس، مع الالتزام بآداب الشريعة، ويغلب عليهم الخوف الشديد والبكاء المستمر حيث كان بعضهم يواصل صومه ثلاثاً، فينهاهم أهل العلم مبينين أن أبا بكر وعمر لم يكونا هكذا[٢].

وقد وجد عدد من الزهاد في البصرة وكانوا يصرحون أن علمهم مضبوط بالكتاب والسنّة، فهؤلاء وإن كانت مقاصدهم حسنة فإنهم في حقيقة الأمر على غير الجادة لقلة علمهم، بل قد وقع بعضهم في التعبد بالأحاديث الموضوعة وهو لا يدري[٣].

وإن كان الصفاء الروحي قد وجد في هذه المرحلة إلا أنه استحدث إلى جانب ذلك الاستماع إلى القصائد الزهدية مع استعمال الألحان المطربة، وصنفت الكتب التي تجمع أخبار الزهد، لكنها خلطت بين الصحيح وغيره، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن المذاهب قد ظهرت بعد القرون المفضلة رويداً رويداً، وكان أصحابها الأولون قد انفردوا بما أتوا من الزهد والورع، الذي لم يكن عليه رسول الله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

والحقيقة أن لفظ الصوفية أو التصوف لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك[٤].

---

(١) تلبيس إبليس (٢٣١ ـ ٢٣٦)، بتصرف. ت: محمد مهدي الاستانبولي، ط ١٣٩٦هـ.
(٢) السير (٥/٢١٩).
(٣) تاريخ بغداد (٧/٢٤١ ـ ٢٤٩)؛ وانظر: التصوف في ميزان البحث والتحقيق، لعبد القادر بن حبيب السندي (ص٤٣ ـ ١٠٤) حيث ترجم لعدد من معتدلي الصوفية.
(٤) انظر: الصوفية والفقراء، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٥)، ط، دار الفتح ـ القاهرة.

هذه هي بداية التصوف في بدء أمرها، ولكنها لم تقف على ذلك وإنما تغير مسارها فيما بعد كما سيأتي.

المرحلة الثانية:

بدأ ظهور مصطلحات غامضة، وطقوس غريبة، وانحرافات عن الشريعة، وهذا ما ظهر واضحاً في المرحلة الثانية، بطرق منظمة لها مشايخها وطقوسها الخاصة بها وكان ذلك بعد القرن الثالث الهجري، فقد ظهر في هذه المرحلة ما يسمى بعلم الظاهر والباطن، وأعلنوا سقوط التكاليف الشرعية عن أوليائهم؛ لوصولهم إلى علم الحقيقة بسبب الكشف والإلهام[١]، وادعوا الاطلاع على علم الغيب فكثرت الأساطير والخرافات في ذلك.

وظهر واضحاً أثر الشيعة والباطنية على الصوفية في هذه المرحلة، وقد أشار العلامة ابن خلدون لذلك في مقدمته حيث قال: «ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف، وفيما وراء الحس، توغّلوا فذهب الكثير منهم إلى الحلول[٢] والوحدة[٣]، كما أشرنا إليه، وملئوا الصحف منه مثل: الهروي[٤]

---

(١) انظر الكلام عن الكشف والإلهام ومسائلهما ومنزلتهما عند الصوفية (ص٢٦٣، ٣٠٦ وما بعدها) من هذا البحث.

(٢) الحلول: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر؛ كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري حالاً، والمسرى فيه محلا أي يحل الشيء في شيء آخر، وهو يقتضي وجود الشيئين معاً، وأصحاب هذه العقيدة يرون أن الله قد يحل في العبد أو أن اللاهوت قد يحل في الناسوت، وحلول الله في مشايخ التصوف عند غلاتهم، إذا وصل إلى درجة خاصة من الصفاء ـ تعالى الله وتقدس عن قولهم علواً كبيراً. انظر عن الحلولية واعتقاداتهم: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، لفخر الرازي (ص١١٦)، ط ١٣٩٨هـ، مكتبة الكليات الأزهرية.

(٣) وحدة الوجود عند الصوفية عقيدة هدامة معناها أن الوجود واحد، وليس هناك خالق ومخلوق، فيجيز الصوفية حلول الحق ـ تعالى ـ في الأمكنة كالسماء والعرش والكرسي، ومنهم من يجيزه في جميع العالم والحيوان والشجر والجماد ويعبر عن ذلك بالوجود الكلي: انظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني (ص٤٤).

(٤) هو عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، أبو إسماعيل، من ذرية أبي أيوب الأنصاري ﷺ، شيخ خراسان في زمانه، ولد بهراة سنة ٣٩٦هـ، من كبار الحنابلة، كان =

في كتاب المقامات له، وغيره وتبعهم ابن العربي[١] وابن سبعين، . . . وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية[٢] المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلٰهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الأخر، واختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم»[٣].

المرحلة الثالثة:

وتعتبر هذه المرحلة أخطر مراحل التصوف حيث تسربت إليها الفلسفة اليونانية، فابعدتها عن مراحل التصوف السابقة، بل جعلتها خارجة عن الإسلام فقد ظهرت النظريات الفلسفية الكثيرة، حيث ذكر بعضهم أن الأفلاطونية الحديثة هي إحدى المصادر الأساسية للتصوف، بل إنها المصدر الأول لمن قال بوحدة الوجود والحلول، ويرى آخرون أنها مأخوذة من البوذية، وغيرها من الديانات المحرفة كاليهودية والنصرانية[٤].

وكان من شخصيات هذه المرحلة أبي يزيد البسطامي الذي كان له دور في انحراف التصوف عن ذي قبل، قال عنه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد حكي عنه شطحات ناقصات، وقد تأولها الكثير من الفقهاء والصوفية، وحملوها على محامل بعيدة، وقد قال بعضهم: أنه قال ذلك في حالة الاصطلام[٥] والغيبة، ومن العلماء من بدّعه وخطّأه، وجعل ذلك من أكبر البدع، وأنها تدل على

= بارعاً في اللغة، حافظاً للحديث. من مصنفاته: منازل السائرين، وذم الكلام وأهله، والفاروق في الصفات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن كتابه (منازل السائرين) أنه ينتهي «إلى التوحيد الذي هو حقيقة الاتحاد». توفي سنة ٤٨١هـ. انظر: منهاج السنَّة (٥/ ٣٤٢)؛ والسير (١٨/ ٥٠٣)؛ والأعلام (٤/ ١٢٢)، ط ١٩٩٢م.

(١) ابن عربي الصوفي ـ المنكّر ـ من كبار القائلين بوحدة الوجود.

(٢) الإسماعيلية: نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق سابع الأئمة الاثنا عشر عند الرافضة، وهي فرقة باطنية رافضية. انظر: الفرق بين الفرق (ص٦٢).

(٣) مقدمة ابن خلدون (ص٤٧٣).

(٤) انظر: الصوفية المنشأ والمصادر، (ص١٢١).

(٥) الاصطلام هو: نوع وَلَه يرد على القلب، فيسكن تحت سلطانه، وقيل: هو غلبات الحق الذي يجعل كليات العبد مغلوبة له بامتحان اللطف في نفي إرادته. انظر: المعجم الصوفي، للحفني (ص٢٤)؛ واصطلاحات الصوفية، إعداد: د. عبد الحميد بن صالح حمدان (ص١٥).

اعتقاد فاسد كامن في القلب ظهر في أوقاته، والله أعلم»[١].

ثم جاء بعد أبي يزيد البسطامي الحسينُ بن منصور الحلاج الذي كان له أثر واضح في زيادة الانحراف عند الصوفية، حيث صرح بمعتقده الفاسد وأظهر أعمالاً منكرة. وقد حكم علماء عصره بزندقته الموجبة لقتله، فقتل وصلب وأحرقت جثته[٢]. ومن أقوال الحلاج التي تبرز زندقته من الحلول قوله:

سبحان من أظهر ناسوته ... سرّ سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً ... في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب[٣]

وقوله: (ما في الجبة إلا الله)[٤]، وغير ذلك من أقواله الشنيعة وأفعاله الرديئة التي كان لها الأثر الواضح في إضلال من جاء بعده من المتصوفة.

وانتهت هذه المرحلة الخطيرة بابن الفارض وابن عربي وغيرهما، فصار هؤلاء المتصوفة يعتقدون أن لا فرق بين الله وخلقه، وأنه تعالى متجل في كل شيء في الكون حتى الكلاب والخنازير، فالكل مظاهره، وما في الوجود إلا الله، فهو الظاهر في الكون، والكون مظهره تعالى الله وتقدس[٥].

وأضاف ابن عربي أقوالاً شنيعة أضافها مع أقوال من سبقه من المتصوفة، بل وألّف المؤلفات المنحرفة المشاقة لدين الله تعالى ككتابيه الفتوحات المكية، وفصوص الحكم.

يقول ابن عربي: «فلا مظهر له إلا نحن، ولا ظهور لنا إلا به، فبه عرفنا أنفسنا، وبنا تحقق عين ما يستحق الإله.

فلولاه لما كنا ... ولولا نحن ما كانا
فإن قلنا بأنا هو ... يكون الحق إيانا

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (١١/ ٣٥).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي (١٤/ ٣٤١).
(٣) ديوان الحلاج (ص١٣٧)، ط٢، ١٤٠٤هـ، بغداد، وانظر: السير (١٤/ ٣٢٥).
(٤) الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد، للشوكاني (ص٣٣).
(٥) انظر: دراسات في التصوف، لإحسان إلهي ظهير (ص٢٩٦).

فبدأنا وأخفانا وأبداه أخفانا
فكان الحق أكوانا وكنا نحن أعيانا[(١)]

حتى ذكروا أن بعضهم كان إذا سمع صوتاً مثل هبوب الريح، وخرير الماء، وصياح الطيور، كان يصيح ويقول: لبيك»[(٢)].

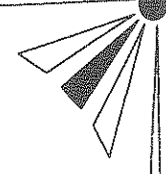
وقد دافع بعض علماء الصوفية عن هؤلاء الزنادقة، ومنهم اليافعي[(٣)] الذي ترجم للحلاج في كتابه مرآة الجنان[(٤)] وأطال في ترجمته وذكر اعتذار الصوفية له، وشنع على الحافظ الذهبي في ترجمة الحلاج ونبذه، وهذا يدل على اقتناع القوم بآراء الحلاج المنحرفة، واعتقادهم بولايته وتخريج المخارج لأقواله الشنيعة التي جعلت علماء عصره يفتون بقتله ـ كما سبق ـ، ولكن لبعدهم عن منهج السلف الصالح الذي سار في طريقه الحافظ الذهبي رحمه الله وغيره من علماء السنّة، جعلهم يشنعون على من انتقدهم من علماء أهل السنّة.

وهكذا الضلال يتدرج بأصحابه حتى يصل بهم إلى الإلحاد والزندقة نعوذ بالله من ذلك.

فهذه لمحة موجزة عن نشأة الصوفية وانتشارها في بلاد الإسلام على أيدي المتصوفة، حيث مر التصوف بمراحل مختلفة، مما أدى إلى انتشار الشرك والبدع في البلدان التي حل بها المتصوفة، واستغلالهم للظروف والأوضاع في بعض الأزمنة لنشر بدعهم وضلالاتهم، ولكن الله لا يصلح عمل المفسدين ولا نصر ولا تمكين إلا لأولياء الله المتقين، قال جلّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

---

(١) الفتوحات المكية (٢/ ٤٤ ـ ٤٥)، ط ١٤٠٥هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(٢) كتاب اللمع، للطوسي (ص٤٩٥)، ط دار الكتب الحديثة ـ مصر.
(٣) هو عبد الله بن أسعد اليافعي، من شيوخ الصوفية في القرن الثامن الهجري، نسبته إلى (يافع) من حمير، ولد سنة ٦٩٨هـ، في عدن، وأقام بمكة، له مؤلفات منها: أسنى المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر، والدّر النظيم في خواص القرآن العظيم، وروض الرياحين في مناقب الصالحين، توفي بمكة سنة ٧٦٨هـ. انظر: الدليل الشافي لابن تغري بردي (١/ ٣٨٢)؛ وجامع كرامات الأولياء، للنبهاني (٢/ ٢٥٠)؛ والأعلام (٤/ ٧٢)؛ والموسوعة الصوفية (٤١٣).
(٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لليافعي (٢/ ٢٥٣).



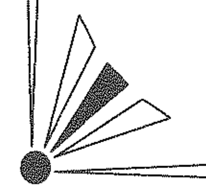
الباب الأول

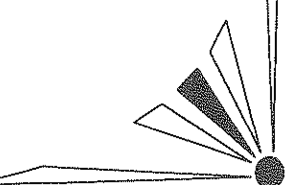
تاريخ التصوف في حضرموت

وتحته فصلان:

الفصل الأول: نشأة الصوفية في حضرموت.

الفصل الثاني: الصوفية في حضرموت في القرون المتأخرة.









نشأة الصوفية في حضرموت

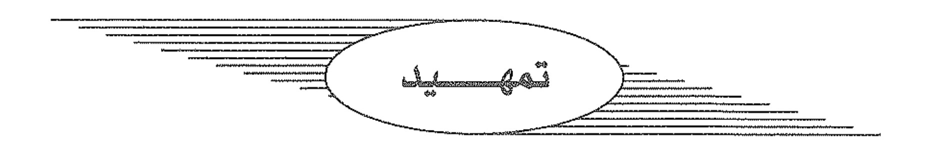
وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: أسباب نشأة التصوف في حضرموت.

المبحث الأول: بدء دخول التصوف إلى حضرموت.

المبحث الثاني: أعلام الصوفية الأوائل في حضرموت.

المبحث الثالث: الطرق الصوفية التي انتشرت في حضرموت.



تمهـيد

أسباب نشأة التصوف في حضرموت:

الصوفية عبارة عن فرق كثيرة لها أصولها ومعالمها وفلسفتها الخاصة بها.

وتعتبر الصوفية في حضرموت إحدى فرق الصوفية المنتشرة في العالم، فهي ليست بمعزل عن هذه الفرق؛ بل تلتقي معها، وتوافقها في الغاية المنشودة التي يذكرها المتصوفة في مؤلفاتهم كما سيأتي.

وقد قامت صوفية حضرموت بنشر التصوف في بلاد حضرموت وخارجها وبث المخالفات الشرعية في الأماكن التي استوطنتها، وكان لذلك أسباب كثيرة مهدت لنشأة التصوف في حضرموت، حيث ابتدأ أمره منها، لما صادف أرضاً خصبة في الداخل ساعدت على تمكنه.

ونورد أهم هذه الأسباب مراعين في ذلك تقديم الأسباب التي كان لها أثر كبير في نشر التصوف في بلاد حضرموت، وهي كالآتي:

١ ـ قدوم العلويين[(١)] إلى حضرموت من العراق، حيث كانوا يحملون عقائد مخالفة لمذهب السلف الصالح، فهم على مذهب الإمامية الشيعة[(٢)]، وكان عبيد الله[(٣)] بن أحمد المهاجر بن عيسى قد قرأ كتاب قوت القلوب على

---

(١) العلويون: نسبة إلى علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر بن عيسى الذي ينتهي نسبة إلى الحسين السبط بن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنت رسول الله ﷺ.

(٢) انظر: نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر، لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ص٨)؛ وتاريخ حضرموت، لصالح بن علي الحامد (١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٥).

(٣) واسمه عبد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر الذي خلف والده، واستوطن قرية سمل بحضرموت واشترى بها أرضاً وتزوج بنت أحد أعيانها واستمر بها إلى أن توفي سنة ٣٨٣هـ. انظر: صفحات من التاريخ الحضرمي (ص٥٨). وإنما كان يسمي نفسه بعبيد الله ـ مصغراً ـ =

مؤلفه في مكة سنة ٣٧٧هـ، وكانت هذه النقطة الأولى لظهور بوادر التصوف في حضرموت، فبمقدم العلويين في القرن الرابع بدأ ظهور عقائد التصوف في مجتمع لا يعرف تلك العقائد، وكان السائد في حضرموت قبل قدومهم المذهب الأباضي[1] بجانب المذهب الشافعي[2].

فهذا السبب أهم الأسباب التي أدت لوجود التصوف بحضرموت، والذي قعّده الفقيه المقدم[3] فيما بعد، وبنشوء هذا المذهب الدخيل أظلمت بلاد حضرموت ورزئت بهذه النحلة التي يعاني أهل حضرموت من آثارها إلى يومنا هذا.

٢ ـ التأثر بالصوفية في البلدان الأخرى؛ لوجود اتصالات مع أولئك

= تواضعاً ـ كما يزعم ـ. انظر: غرر البهاء الضوي، ودر الجمال البديع البهي، لمحمد بن علي بن علوي بن خرد باعلوي (ص٧٥). وهذا من جهل الصوفية بمعنى التواضع الشرعي، حيث يتركون أحب الأسماء إلى الله تعالى الذي قال فيه الرسول ﷺ: «أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن...» الحديث أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. إلى غيره من الأسماء بزعم التواضع المخالف لهذا الحديث.

(١) الإباضية: من فرق الخوارج، تنتسب إلى عبد الله بن إباض التميمي، الذي خرج في أيام مروان بن محمد، توفي عبد الله بن إباض سنة ٨٦هـ، ومن بدع الفرقة الإباضية: أن مرتكب الكبيرة كافر، كفر نعمة وهو في الآخرة مخلد في النار، ويرون أن الرجل إذا وطئ زوجته وهي حائض، حرمت عليه على التأبيد، ولهم مقولات منحرفة أخرى. والإباضية عدة فرق، منها: الحفصية، نسبة لحفص بن أبي المقدام، والحارثية أصحاب الحارث الإباضي. واليزيدية، نسبة إلى إمامهم يزيد بن أنيسة. انظر: مقالات الإسلاميين (ص١٠٢ ـ ١١١)؛ والملل والنحل (١/ ١٣٤ ـ ١٣٦)؛ والفرق بين الفرق (ص٧٠ ـ ٧٤)؛ والبرهان للسكسكي (ص٢٢ ـ ٢٣).

(٢) عمر بامخرمة السيباني حياته وتصوفه وشعره، لعبد الرحمن بن جعفر بن عقيل (ص٣٧). وانظر: أدوار التاريخ الحضرمي، لمحمد بن أحمد الشاطري (١/ ١٦٣).

(٣) هو محمد بن علي باعلوي اشتهر عند القوم بالفقيه المقدم وبالأستاذ الأعظم، مؤسس التصوف بحضرموت، وقد غلا فيه قومه وقدسوه وقدموه على شيوخهم ومعظميهم، وقد ذكروا له الخوارق والكرامات، وكثير من الشطحات والضلالات منها قوله: أنه الله، وله مراسلات لبعض الصوفية من خارج حضرموت. توفي بتريم سنة ٦٥٣هـ. انظر في ترجمته: الجوهر الشفاف (١/ ٥٧)؛ والغرر (ص١٤٥)؛ والمشرع الروي (٢/ ٢)؛ وشرح العينية (ص١٤٥، ٣٦٣).

المتصوفة، حيث قدم وفد أبي مدين المغربي الشاذلي[١] إلى حضرموت لنشر التصوف كما سيأتي.

٣ ـ انتشار كتب الصوفية ككتب الغزالي وأشهرها كتاب «إحياء علوم الدين» ـ وكُتب أبي طالب المكي، والرسالة للقشيري وغيرها. ثم إنه بتصوف الغزالي استطاع أن يمزج بين علوم الشريعة والتصوف مما خفف حدة الخلاف بين الفقهاء والصوفية[٢].

٤ ـ العلاقة والتواصل بين حضرموت وبعض بلدان اليمن، وأكثر التواصل كان مع بلاد زبيد[٣] وتهامة[٤] والتي دخل فيها التصوف قبل حضرموت، فقد كان الصوفي الكبير قطب الدين مزاحم بن أحمد بامزاحم (باجابر)[٥] ـ وهو من أبناء مدينة بروم الواقعة غربي المكلا بحضرموت ـ يتردد

---

(١) هو شعيب بن الحسن المغربي، الأنصاري الأندلسي، التلمساني، أبو مدين، صوفي. أصله من الأندلس، وأقام بفاس، وسكن بجاية، له مؤلفات منها: أنس الوحيد ونزهة المريد في علم التوحيد، وحكم أبي مدين، والحكم. توفي بتلمسان سنة ٥٩٤هـ. انظر: السير (٢١/ ٢١٩)؛ وطبقات المالكية (ص١٦٤)؛ ومعجم المؤلفين (١/ ٨١٥).

(٢) انظر: عمر بامخرمة السيباني حياته وتصوفه وشعره، لعبد الرحمن بن جعفر بن عقيل (ص٣٥ ـ ٣٦).

(٣) زبيد: بفتح الزاء وكسر الباء مدينة يمنية قديمة مشهورة، أحدثت أيام المأمون، وهي تقع على وادي زبيد قرب البحر الأحمر في أقصى الجنوب الغربي من اليمن، وقد نسب إليها جماعة من العلماء منهم: أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي، ومحمد بن مرتضى الزبيدي ـ صاحب تاج العروس في اللغة ـ وغيرهما. انظر: معجم البلدان (٣/ ١٣١)، ط ١٣٩٧هـ؛ وموسوعة البلدان العربية والإسلامية، للشامي (ص١٣٥).

(٤) تهامة: بكسر التاء، من بلاد اليمن، وهي ما أصحر منها إلى باديتها، سميت بذلك لشدة حرها، وهي القسم الواقع بين جبال اليمن والبحر من جهة الغرب والجنوب، ويقال له غور اليمن. وتهامة واسعة من جنوب اليمن ما بين الشرق والغرب ومن غربي اليمن، ما بين الجنوب والشمال على مسافة شهر أو يزيد، فيدخل في اسم تهامة نواحي عدن وأبين ولحج الواقعة جنوب اليمن. وتهامة الغربية من باب المندب جنوبا إلى حدود الحجاز شمالاً. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٦٣)، ط ١٣٩٧هـ، دار صادر؛ ومجموع بلدان اليمن وقبائلها، جمعه: المؤرخ القاضي محمد بن أحمد الحجري اليماني (١/ ١٥٦ ـ ١٥٧).

(٥) هو مزاحم بن أحمد بامزاحم (باجابر) من أعيان القرن التاسع، أخذ عنه عبد الرحمن السقاف المتوفى سنة ٨١٩هـ، وكان السقاف يثني عليه ويسميه بالشيخ الكبير توفي سنة ٨١٧هـ =

إلى مدينة زبيد للاجتماع بالصوفي الكبير إسماعيل الجبرتي[١] المتأثر بمدرسة ابن عربي الصوفي مما يؤكد العلاقة والتواصل بين حضرموت وتهامة اليمن في الجانب الفكري والعلمي[٢]، وكان سفيان اليمني[٣] من كبار صوفية أبين[٤] ولحج[٥] قد زار حضرموت في نهاية القرن السادس والتقى بعلمائها وأخذوا عنه وأخذ عنهم، يقول علي بن أبي بكر السكران[٦]: «والتقى بالفقيه المقدم

= ببروم، وعلى قبره قبة صغيرة إلى جوار المسجد الجامع. انظر: الجوهر الشفاف (الحكاية ٣٠٤) (٢/ ٥٣)؛ وتاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل (ص١٦١)؛ وإدام القوت (ص١٠٧ ـ ١٠٨)، ط المنهاج.

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي نسبة إلى جبرت، وهي بلدة في اليمن، شيخ صوفية اليمن في عصره، ولد سنة (٧٢٢هـ)، له دور كبير في نشر التصوف في اليمن وكان من المروجين لمؤلفات ابن عربي، أسس طريقة صوفية قائمة على أفكار ابن عربي، وكان له نفوذ ومكانة لدى السلاطين بني رسول، حكام اليمن في وقته، توفي سنة (٨٠٦هـ). انظر: إنباء الغمر، لابن حجر (٥/ ١٦٣)؛ والفكر الصوفي عند الجيلي (ص٣٧).

(٢) انظر: الفكر والثقافة في تاريخ حضرموت، لكرامة بن سليمان بامؤمن التريمي (ص٢٥٤).

(٣) هو سفيان بن عبد الله الأبيني اليمني، أبو محمد الصوفي، صاحب الحوطة المشهورة بلحج، وينسب إلى أبين ـ إحدى بلدان اليمن ـ، كان من كبار الصوفية الذين رحلوا إلى بلدان عديدة لنشر التصوف، وأولع المتصوفة بذكر كرامات له جلها خيالية. وكانت وفاته بمدينة لحج سنة ٦١٠هـ. انظر: طبقات الخواص، للشرجي (ص١٤٦ ـ ١٤٩) الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، الدار اليمنية، توزيع: دار المناهل ـ بيروت؛ وتاريخ ثغر عدن، للطيب بامخرمة (ص١٢٥) الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، اعتنى به علي بن حسن الحلبي، دار الجيل ـ بيروت، دار عمار ـ عَمَّان؛ وهداية الأخيار، للهدار (ص٥٣٤)، وقد ترجم له استقلالاً حامد الحداد بكتاب سماه (الجواهر الحسان في ترجمة الشيخ سفيان).

(٤) أبين: يفتح أوله ويكسر بوزن أحمر، وهو مخلاف مشهور على ساحل البحر الهندي شرقي عدن أبين، إليه نسب عدن أبين للفرق بينها وبين عدن لاعة. ويقال: إنه سمي بأبين بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ وهي الآن إحدى محافظات اليمن الموحد. انظر: معجم البلدان (١/ ٨٦)، ط دار الفكر، ومجموع بلدان اليمن وقبائلها، للحجري (١/ ٥٥).

(٥) لحج: بالفتح وسكون الحاء المهملة وجيم مدينة مشهورة على مقربة من عدن وأبين، ولها أودية. وتشتمل على قرى ومزارع ونخيل. وهي الآن إحدى محافظات اليمن. انظر: معجم البلدان (٥/ ١٤)، ط دار الفكر؛ ومعجم بلدان اليمن وقبائلها، للحجري (٤/ ٦٧٧).

(٦) هو علي بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف، ولد بمدينة تريم سنة ٨١٨هـ، وتفرغ لعلوم الصوفية ورحل إلى عدن فأخذ عن أبي شكيل وغيره وتوفي سنة ٨٩٥هـ، من مؤلفاته: =

في أول فتحه، ومبتدأ كشفه، فحصل بينهما مذاكرات، وانبساطات واستمد كل واحد منهما من صاحبه مدداً عظيماً، ونيلاً جسيماً ونفعاً جليلاً»[١].

واستمرت علاقة الفقيه المقدم مع سفيان اليمني بعد ذلك، ولم تنقطع، يقول علي السكران: «ثم رحل الشيخ سفيان إلى اليمن، وبعد ذلك أرسل الفقيه محمد بن علي إلى الشيخ سفيان بكتاب لطيف، وفيه كلام شريف من أسرار الحقائق، وغرائب من الكشف الخارق، وعجائب من دقائق العلوم اللدنية، والأنوار الغيبية، والفتوحات الإلهية، والأنفاس الربانية فأتى الجواب من الشيخ سفيان اليمني إلى الشيخ جمال الدين محمد بن علي وقال: هذا شيء لم تبلغه أحوالنا فنصفه لك»[٢].

ولا شك أن لهذه الزيارات واللقاءات مع الصوفية في البلدان الأخرى دور في تطور التصوف في حضرموت وانتشاره، لا سيما في مجتمع يسوده الجهل والانقسامات وتعاقب الدول عليه التي سببت عدم الاستقرار واضطراب الأحوال في ذلك المجتمع سواء كان بكثرة الحروب، أو المنازعات بين الدول التي حكمت حضرموت، وغير ذلك مما أخل بالاستقرار، وقيام بعض الدول بنصرة التصوف إلى جانب المذهب الأشعري[٣].

ولقاء أهل حضرموت مع كبار الصوفية كان قد مهد لدخول التصوف ومعرفة الصوفية خارج حضرموت، ولذا اقتنى القوم كتب كبار الصوفية كابن عربي، والحلاج ودعوتهم للاهتمام بها، وتعظيم أهلها، والتي كان لها الأثر

= معارج الهداية إلى ذوق جني ثمرات المعاملات في النهاية في التصوف قسمه على فصول، والبرقة المشيقة، انظر: المشرع الروي (٢/ ٢١٥)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ٧٨)؛ وعقود اللآل (ص٥٢)؛ وعقد اليواقيت (٢/ ٩٨)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٣٤).

(١) البرقة المشيقة (ص١١١). وانظر: تاريخ ثغر عدن (ص١٢٥).

(٢) البرقة المشيقة (ص١١١). فما هو الحال والسر الذي لم يستطع سفيان الأبيني أن يصفه؟ وهذا دأب القوم في إخفاء شيء ما عن الناس، وسيأتي أن مما يخفونه القول بوحدة الوجود، والله المستعان.

(٣) مثل الدولة الراشدية. انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ١٧٢).

البارز على بعض صوفية حضرموت القائلين بوحدة الوجود.

٥ ـ عدم فهم كثير من أهل حضرموت الدين الإسلامي فهماً صحيحاً، كما فهمه سلف الأمة؛ فخالفوا ما جاء به النبي ﷺ قولاً وفعلاً واعتقاداً، ولم يقوموا بما أمر به ﷺ ولم يجتنبوا ما نهى عنه وزجر، فانصاعوا وراء آراء مشايخهم وعلمائهم التي تخالف الحق الذي جاء به الرسول الكريم ﷺ، فانتشر الجهل لعدم وجود العلماء الربانيين المتضلعين في علوم الكتاب والسنّة لبيان الحق والرد على من خالفه.

٦ ـ انتشار الظلم والجور والفساد في حضرموت في القرن السابع الهجري مما دفع بمشايخ تلك الجهة إلى حمل السلاح للدفاع عن أنفسهم، ومنهم من هاجر إلى اليمن الأعلى لطلب العلم بزبيد، لقلة المعارف والعلماء المحققين بحضرموت لانشغالهم بالحروب، ولما آلت الأمور إلى الهدوء، وكثرت الخيرات والمسرات، وضع هؤلاء المشايخ السلاح وتركوه زهداً في الشر وأسبابه، وظهرت لذلك الطرق الصوفية والتحويط[١] في كثير من مدن حضرموت[٢]؛ أي أن الظروف الاجتماعية والثقافية التي كانت في حضرموت كان لها دور واضح في توجه البعض نحو التصوف، فالإباضية من جهة، والحروب القبلية من جهة أخرى، فرأوا أن التصوف ـ بزعمهم ـ طريق يبعدهم عن الفتن، لذا كسر الفقيه المقدم سيفه إشارة إلى ترك السلاح والقبلية ولزوم طريق الصوفية[٣].

---

(١) التحويط عند صوفية حضرموت نسبة للحوطة ـ بفتح الحاء والطاء وسكون الواو ـ: هو الموضع الذي يختطه المنصب أو أحد المعتقدين ويحوطه ويعلن بأنه أصبح حرما آمنا على الدوام لا يمكن فيه قتل ولا نهب أو غير ذلك، فهي الأرض التي يحوطها أحد أولياء الصوفية أو مشايخهم في حضرموت فمن لاذ بها فقد أمن من أعدائه، لما لها من الحرمة عند القبائل والسلاطين فلا يجوز فيها قتل ولا قتال ولا غير ذلك من الجرائم، وهي في حقيقتها توسع دائرة نفوذ القطب الصوفي. انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (٢/ ٢٩١)؛ والفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢١٨).

(٢) انظر: جواهر تاريخ الأحقاف، لمحمد بن علي باحنان (٢/ ١٣٤ ـ ١٣٥). صححه وأشرف عليه عبد الله محمد الدبوي، مطبعة النهضة الجديدة بمكة، ط١، ١٣٨٢هـ.

(٣) انظر: الجوهر الشفاف (١/ ٨١ ـ ٨٢)؛ والمشرع الروي (٢/ ٤ ـ ٥).

وكان العلويون ممثلين بأستاذهم الفقيه المقدم، الذي ترك السلاح واتجه للتصوف من المتوغلين في التصوف؛ فتصدر الفقيه المقدم الزعامة الدينية عندهم، فأتى بشطحات وانحرافات ساهمت في فتح باب الغلو في الأشخاص، وكذا التوسع في الانحرافات العقدية التي يقوم عليه دين الصوفية كما سيأتي.

٧ ـ قلة مؤلفات أهل السنّة في تلك الجهة، وعدم انتشارها مع كثرة وجود مؤلفات الصوفية والأشاعرة[١] وغيرهم من أهل البدع، فقلّ الاهتمام بكُتب العقيدة السلفية وكان جُلّ الاهتمام بكتب الأشاعرة وأقوال الفقهاء، أما ما يتعلق بالمعتقد الصحيح فلا يدرس في أربطة[٢] الصوفية ولا في غيرها.

٨ ـ نزعة الزهد الخاطيء لدى متصوفة حضرموت، حيث دعوا إلى التزهيد في كتب السلف والاهتمام بكتب الصوفية التي يزعمون أنها تعالج أدواء القلوب المعنوية، والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل في دائرة الإسلام السمحاء[٣]، فيترقى الشخص بذلك ـ بزعمهم ـ للمنازل العالية؛ لأن

(١) الأشاعرة: فرقة كلامية ظهرت في القرن الرابع، وتنتسب للإمام أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ في طوره الثاني وهو طوره الكُلَّابي لأن الإمام الأشعري مر بثلاثة أطوار: مرحلة الاعتزال، وطور سلك فيه مسلك ابن كُلّاب، وطور نهج فيه منهج السلف، مع وجود شوائب من شوائب المعتزلة لم يتخلص منها. والحق أن المنتسبين للأشعري اليوم أشاعرة كلابية، وهؤلاء يثبتون لله تعالى سبع صفات فقط لأن العقل دل عليها وهي: العلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة. وإثباتهم لهذه الصفات لا كإثبات السلف وإنما لهم فيها تخبطات كقولهم في الكلام بأنه المعنى القائم بالذات ويستحيل أن يفارقه، والعبارات والحروف دلالات على الكلام الأزلي، فحقيقة قولهم فيه هو قول المعتزلة القائلين بخلق القرآن.
والإيمان عندهم هو التصديق بالقلب والعمل والإقرار من فروعه لا من أصله. انظر: رسالة في الرد على الرافضة، لأبي حامد المقدسي (ص١٦٦)؛ والفوائد المجتمعة في بيان الفرق الضالة المبتدعة، لإسماعيل بن عبد الباقي اليازجي (ص٣٣ ـ ٣٤)؛ والفرق الكلامية (المشبهة ـ الأشاعرة ـ الماتريدية)، نشأتها وأصولها وأشهر رجالها وموقف السلف منها، للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل (ص٤٩ وما بعدها).

(٢) الأربطة جمع رباط، وهو من مراكز الصوفية وسيأتي الكلام عليها. انظر (ص٩٧٧) من هذا البحث.

(٣) انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ١٦٣).

الدين عندهم شريعة وحقيقة، والمعول عندهم الحقيقة، وأما الشريعة فإنها في نظرهم لا يهتم بها إلا العوام ومن ليسوا من أهل الحقيقة، وطبق القوم هذه الفكرة من خلال المؤلفات في ذلك، والإشادة بذلك في دروسهم وزياراتهم لبلدان حضرموت، مما غَرَّ الكثير من الناس، لجهلهم بالتصوف وما اشتملته كتبه من الانحرافات لذا انجرف الكثير منهم إلى التصوف والأخذ عن مشايخ الصوفية.

٩ ـ الانعزال وظهور الخلوات والاعتكاف على الأذكار، والأوراد المبتدعة، وعدم تعليم الناس الحق مما جعل كثيراً من الناس في حضرموت في فترات من الزمن لا يعرفون إلا التصوف.

١٠ ـ نظر العلويين لأنفسهم بالفخر والزهو لنسبهم وحسبهم الشريف المنتمي إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وهذه المكانة لعبت دوراً كبيراً في التربع في السُّلَّم الاجتماعي بحضرموت، والوصول لقمته، وكان لظهور الفقيه المقدم دور كبير في ذلك، فقد استطاع الوصول إلى المكانة الروحية في قلوب الناس بدلاً من حمل السلاح[١]، فرأى في السيف الذي يحمله رمزاً للسلب والنهب، والقتل، والإجرام وللتخلص من ذلك أعلن توجهه إلى طريق الزهد والتصوف ونبذ السيف واستبدله بالعكاز، وصرف النظر عن الزعامة القبلية والسياسية، ودعا أتباعه العلويين إلى سلوك التصوف والسير على طريقته لأنها أسلم لهم[٢].

وكان سبب بروز أثر دعوة الفقيه المقدم في حضرموت هو مكانته عند السادة العلويين، وصرفه الناس عن الصراعات القبلية والتوجه للحياة العلمية والثقافية والتصوف والاكتفاء بالسيطرة الفكرية، والحفاظ على الوجاهة في المجتمع واكتسابه لبعض المدن والقرى والتي عُرفت فيما بعد بالحوط وتعتبر حصانة روحية للعلويين، كما أثرت دعوة الفقيه المقدم على بعض الوجهاء في

---

(١) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٦١ ـ ٦٢).

(٢) انظر: عمر بامخرمة السيباني حياته وتصوفه وشعره (ص٣٧ ـ ٣٨). بتصرف يسير.

حضرموت والذين يسمون بالمشايخ[(١)]؛ فقد كانوا أعلى طبقة في حضرموت قبل مقدم العلويين من العراق، فدخل هؤلاء المشايخ في التصوف، ولم يخشوا التعبير بالجبن ما دام قد سبقهم إلى ذلك الفقيه المقدم[(٢)].

وينبه هنا إلى أن المجتمع الحضرمي قائم على نظام طبقات، ويأتي في أعلى هذا الهرم طبقة العلويين ويسمون (السادة) لا سيما فئة المناصب منهم، وفئة التسلط وسلاحها: القوة ويمثلها: القبائل، وفئة التمسكن وسلاحها: العمل ويمثلها: المساكين[(٣)].

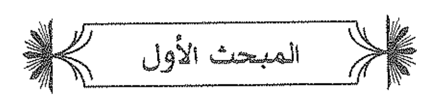
١١ ـ انغلاق بلاد حضرموت حول نفسها، فقد كانت بعيدة عما يجري في العالم من أحداث، ولا سيما بعدها عن الدعوات السلفية وعلمائها الأكابر الذين كان لهم دور في الرجوع بالأمة إلى مذهب السلف الصالح والأخذ من المنبع الصافي للمسلمين وهما الكتاب والسنّة الصحيحة، والتي كان آخرها دعوة شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب السلفية الإصلاحية، التي لعبت دوراً عظيماً في تصحيح العقائد وحاربت الشرك والبدع في الأماكن التي وصلتها هذه الدعوة المباركة، ورغم وصول بعض دعاتها إلى حضرموت في وقت ظهورها، ولكن هذه الفترة كانت قصيرة ومع ذلك فقد اتبعها بعض مريدي الخير في بعض مناطق حضرموت كما سيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

---

(١) المشايخ إحدى الفئات الاجتماعية التي يتكون منها السلم الاجتماعي في حضرموت، وقد كانت لهم المكانة والزعامة الدينية قبل قدوم العلويين من العراق، ومن العائلات التي تنسب إلى المشايخ: آل العمودي، وآل باعباد، وآل بافضل، وآل الخطيب وآل باحرمي... إلخ. قال عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف في «إدام القوت» (ص٣٨٣)، ط الإرشاد: «وفي الحكاية ٢٤٩ من الجوهر الشفاف ما يعرف منه أن جاه آل باعباد كان أضخم من جاه العلويين».

(٢) انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ٣٠٥)؛ و«عمر بامخرمة السيباني حياته وتصوفه وشعره» (ص٣٩).

(٣) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٥٨ ـ ٥٩).



المبحث الأول

بدء دخول التصوف إلى حضرموت



• وتحته مطالب:

تمهيد: حال حضرموت قبل دخول التصوف

حضرموت من البلدان الإسلامية التي دخلها الإسلام مبكراً ـ كما تقدم ـ، وكان أهلها منذ ظهور الإسلام فيها على السنّة ولم يعرفوا البدع التي ظهرت فيما بعد، وكان لهذا القطر منذ فجر الإسلام شأن كبير تمثل ذلك في إرسال النبي ﷺ عدداً من الصحابة للقيام بمهام الدولة الإسلامية، وقام هؤلاء الصحب الكرام بنشر العلم والإيمان في ربوع تلك البلاد، ومن أولئك: زياد بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه[1][2]، وعكاشة بن ثور رضي الله عنه[3][4].

---

(١) هو زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة الأنصاري البياضي، من بني بياضة بن عامر بن زريق. خرج إلى رسول الله ﷺ وأقام معه بمكة حتى هاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة فكان يقال لزياد: مهاجري أنصاري. شهد العقبة، وبدراً، وأحداً، والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، واستعمله رسول الله ﷺ على حضرموت. مات في أول خلافة معاوية. انظر: الاستيعاب (٢/ ٥٣٣)، بتحقيق البجاوي، ط١، ١٤١٢هـ، دار الجيل.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٢٠٤، ٢٤٧، ٣٠٠، ٣٥٢)؛ والاستيعاب في تمييز الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي بهامش الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٦٤)؛ مطبعة السعادة بالقاهرة، ودار صادر بيروت ط١، ١٣٢٨هـ. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (١/ ٨٥٥)، ط١، ١٣٢٨هـ ـ مصر.

(٣) هو عكاشة بن ثور بن أصغر القرشي، كان عاملاً لرسول الله ﷺ على السكاسك والسكون وبني معاوية من كندة. قال ابن عبد البر: ذكره سيف بهذا، ولا أعرفه بغير هذا. الاستيعاب (ص٥٨٥)، ط الأعلام.

(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٧)، (٣/ ٢٧٠)؛ والاستيعاب (ص٥٨٥)، ط الأعلام؛ والإصابة (٤/ ٥٣٣). وقال الإمام الطبري في تاريخه بسنده: «عن عبيد بن صخر بن لوذان الأنصاري =

وهكذا استمر الحال في حضرموت على الإسلام الصافي، والتمسك بسُنَّة رسول الله ﷺ لفترة طويلة من الزمن.

يقول الشلي[١]: «وكان أهل حضرموت يشتغلون بالعلوم الفقهية وجمع الأحاديث النبوية ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية»[٢].

وقال في موضع آخر عن العلماء والصلحاء المتقدمين في حضرموت: «إلا أن كثيراً منهم لا يُعرف عين قبره بل ولا جهته؛ لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور»[٣].

قال ابن عبيد الله معلّقاً على كلام الشلي: «فإنه من أنصع الأدلة على تمسكهم بالسنّة»[٤].

ويوضح المؤرخ محمد بن علي باحنان[٥] كثرة الفقهاء عند قدوم المهاجر

= السلمي، وكان فيمن بعث النبي ﷺ مع عمال اليمن في سنة عشر بعد ما حج حجة التمام، وقد مات باذام فلذلك فرق عملها بين شهر بن باذام، وعامر بن شهر الهمداني، وعبد الله بن قيس أبي موسى الأشعري، وخالد بن سعيد بن العاص والطاهر بن أبي هالة ويعلى بن أمية وعمرو بن حزم وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضي، وعكاشة بن ثور بن أصغر الغوثي على السكاسك والسكون ومعاوية بن كندة، وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل البلدين اليمن وحضرموت».

(١) هو محمد بن أبي بكر الشلي، ولد بحضرموت سنة ١٠٣٠هـ، وأخذ عن علمائها في التصوف والفقه، وكان أكثر تنقله بين مدينة تريم وظفار بحضرموت أنذاك، ثم رحل إلى الهند والحجاز واستقر في مكة، من مؤلفاته: المشرع الروي، والسناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، وكتاب عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، ورسالة في علم الميقات. توفي بمكة سنة ١٠٩٣هـ. انظر: المشرع الروي (٢/ ١٧)؛ وخلاصة الأثر (٣/ ٣٣٦)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٥٦٩).

(٢) المشرع الروي (٢/ ٥).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٤٦ ـ ١٤٨).

(٤) إدام القوت (ص٤٣٠)، ط الإرشاد.

(٥) هو محمد بن علي بن عوض بن سعيد بن زاكن باحنان، ولد بمدينة عينات سنة ١٣١٢هـ وأخذ عن الحسن بن إسماعيل الحامد وتوفي سنة ١٣٨٣هـ من مؤلفاته: جواهر تاريخ الأحقاف، والقول الشاف في تاريخ الأحقاف، والفرج بعد الشدة في إثبات فروع كندة، انظر: مقدمة كتابه جواهر تاريخ الأحقاف ص(ك) وباقات الرياحين، للهدار (ص٩٦)؛ ومصادر الفكر الإسلامي (ص٥٥٥ ـ ٥٥٦).

إلى حضرموت بقوله: «وكان بتريم إذ ذاك ثلاثمائة مفت»[١].

وكذلك فقد تضافرت النقول على أنه وجد بتريم ثلاثمائة مفت في عصر واحد[٢].

وكان لنهضة بغداد العلمية؛ والبحث في المسائل الدينية صدى عظيم في حضرموت وأثر حسن من الحضرميين، فقد ذكر المؤرخون دور بعض العلماء الذين خرجوا من حضرموت إلى العراق لتلقي العلم أمثال سالم بافضل[٣] الذي مكث أربعين سنة يطلب العلم بالعراق فعاد إلى حضرموت بأحمال الإبل من الكتب فأحيا العلم بحضرموت بعد أن كاد أن يندرس[٤].

وكذلك بدأت الحركة العلمية في تريم ومنها تسربت إلى شبام فإلى الهجرين ثم إلى الشحر[٥]، وكانت تلك الحركة في بدايتها تخطو خطوات بطيئة، وكان العلماء ينشرون علومهم في صورة محاضرات ومواعظ يلقونها في المساجد، وازدادت الحركة العلمية وأقبل عليها الناس، فبدأوا يُنشئون مكاتب خاصة للتعليم في سيئون، والغرفة، وشبام، وهينن، والهجرين، ودوعن والشحر[٦]، فكان طلبة العلم يؤمّون مدينة تريم من كل أنحاء حضرموت ومن

---

(١) جواهر تاريخ الأحقاف (١/ ١٠٤).

(٢) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (ص٦٣٨).

(٣) هو سالم بن فضل بن محمد بن عبد الكريم بافضل، من علماء حضرموت، أخذ عن علماء عصره وارتحل إلى مكة والعراق واتصل بالمحدث محمد بن علي القلعي صاحب مرباط. من آثاره: القصيدة الفكرية في التفكر في خلق الله، توفي سنة ٥٨١هـ. انظر: صلة الأهل (ص٤٠)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص١١٢).

(٤) انظر: إدام القوت (ص٤٩٢).

(٥) الشحر: إحدى مناطق ساحل حضرموت، وهي أكبر مديريات حضرموت وتضم أربعة مراكز متباعدة الأطراف وهي: الديس الحامي، والريدة، وقصيعر، وغيل بن يمين. وتقع الشحر على سطح متسع من الشاطئ الذي ينحدر تدريجيا إلى البحر. انظر: إدام القوت (حاشية ص١٦١).

(٦) سيئون، والغرفة، وشبام، وهينن، والهجرين، ودوعن: هذه كلها من مناطق وادي حضرموت.
الغرفة: قرية بأعلى حضرموت، ذات نخيل ومزارع، أشهر سكانها آل باعبّاد وهم الذين بنوها.

عدن[١] وصنعاء وزبيد، وكان العلماء والأدباء على وفاق، متبعين الكتاب والسنّة بعيدين عن خرافات الصوفية وشركياتها من تبرك وتوسل واستغاثة[٢]، حتى أنه قد وجد بتريم خاصة كثير من العلماء والفقهاء، يقول الشلي: «كان السادة[٣] في مدة استيطانهم ببيت جبير[٤] يكثرون الدخول إلى مدينة تريم ويترددون في أرجائها... وجدوا في تريم من أرباب العلوم والآداب وأصحاب الفهوم والألباب، ما شغلهم عن الأهل والوطن، وأذهلهم عن كل خل صفي وسكن، فتدانوا منها وعانقوها ولا عِناق العاشقين»[٥].

ورغم هذه الحركة العلمية التي شهدتها حضرموت وما أنجبته من علماء إلا أنه: «يؤخذ على هؤلاء العلماء أنهم لم يهتموا بالتدوين كثيراً ولم يؤلفوا

وهينن: تقع غربي القطن وتعد من أعمالها. والهجرين: مدينة قديمة، بها آثار ترجع إلى العصور الحميرية القديمة، ويحيط بها واد خصيب، ويقع في حضن جبل فارد جاثم على الأرض كالجمل البارك من غير عنق، تحف بسفوحه النخيل من كل جانب. ويسكنها عدد من العلويين والمشايخ وبعض القبائل، وأما دوعن فمن أودية حضرموت الرئيسة، ويشكل مديرية كبيرة، ذات مساحة واسعة، ويقع أعلى وادي حضرموت الرئيس.
وسيئون: زنةُ: زيدون بعضهم يكتبها بواو واحدة وبعضهم بواوين، وهي من البلدان القديمة، وتعتبر أكبر بلدان وادي حضرموت، وهي الآن عاصمة المحافظة، تبعد عن شبام شرقا نحو (١٨) كيلو متر، وعن تريم غربا نحو (٣٤) كيلو متر. انظر: إدام القوت (حاشية ص١٦١)، وانظر (ص٣٠٥ مع الحاشية)، (٤١٠، ٤٥٦، ٦١٠، ٦٧٤ مع الحاشية)،ط المنهاج.

(١) عدن بالتحريك وآخره نون وهو من قولهم عدن بالمكان إذا أقام به وبذلك سميت عدن، وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ويقال لها عدن أبين نسبة إلى أبين الحميري. وهي من أعظم ثغور اليمن، يحيط بها سلسلة جبال من خلفها البحر، ولها طريق إلى البحر من بطن الجبل منحوته بزبر الحديد من قديم الزمان، وبها مخازن الماء المطر النازل من الجبل المعروف بالصهاريج وهي قديمة جداً. انظر: معجم البلدان (٤/ ٨٩)؛ ومعجم بلدان اليمن وقبائلها، للحجري (٣/ ٥٨٢).

(٢) انظر: تاريخ حضرموت السياسي، لصلاح بن عبد القادر البكري (ص٧٥ ـ ٧٦).

(٣) السادة: من الألقاب التي تطلق على العلويين الذين قدموا حضرموت، فهي بمعنى الأشراف عند غيرهم.

(٤) بيت جبير: واد واسع كان كثير المياه والأنهار بحضرموت الداخل باتجاه تريم، وأكثر مسمى وادي بيت جبير يدخل بين الجبل الذي في طريقه إلى الصومعة والجبل الشرقي الذي يحاذيه. انظر: إدام القوت (ص٨٤٤ ـ ٨٤٥) ط المنهاج.

(٥) المشرع الروي (١/ ١٢٨).

الكتب مع سعة علومهم ومقدرتهم على الكتابة ولو فعلوا لكان فضلهم عظيماً ومعروفهم جسيماً»[١].

وقد وجدت فرقة الإباضية في حضرموت قبل ظهور التصوف، والتي مكثت بها مدة طويلة، واتخذت لها قاعدة في مناطق محددة من حضرموت مثل شبام وقد كان آخر عهدهم بحضرموت باستيلاء الصليحي[٢] على حضرموت، فما لبثت بعدها أمداً بعيداً بل ذهبت في سبيلها إلى التلاشي فالانقراض[٣].

ووجود الخوارج بحضرموت كان قديماً حيث إن أول اتصالهم بحضرموت كان في بداية النصف الثاني من القرن الأول من الهجرة، حين بعث أتباع نجدة بن عامر الحنفي الخارجي[٤] المتغلب على اليمامة[٥] والبحرين بأنصارهم إلى حضرموت سنة ٦٦هـ، لقبض الصدقة للفرقة النجدية ـ نسبة إلى نجدة بن عامر المذكور ـ، وهذا الاتصال كان سبباً لتلقي نحلة الإباضية بالقبول، بالإضافة إلى تردد أبي حمزة المختار[٦] على مكة ودعوته للثورة على

---

(١) تاريخ حضرموت السياسي (١/ ٧٦).

(٢) هو الأمير منصور بن المفضل الصليحي آخر حكام الدولة الصليحية الذي انتهت دولته سنة ٥٤٧هـ بشراء محمد بن سبأ الزريعي منه جميع ما تحت يده من الحصون والمدن. انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (١/ ٣٦٠).

(٣) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (١/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

(٤) هو نجدة بن عامر الحنفي، الحروري، رأس الفرقة النجدية من الخوارج، من أصحاب الفتن في صدر الإسلام، وتسمى فرقته النجدات. قتله أصحابه بعد أن اختلفوا عليه، وقيل ظفر به أصحاب ابن الزبير فقتلوه سنة ٦٩هـ. انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٣/ ٣٩٧)، ط٤، دار الكتاب العربي؛ وشذرات الذهب (١/ ٧٦)، ط دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

(٥) اليمامة: من بلاد نجد، طولها من جهة المغرب إحدى وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة وعرضها من جهة الجنوب إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وكان فتحها وقت قتل مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٢هـ حيث فتحها خالد بن الوليد رضي الله عنه عنوة ثم صولحوا، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر، وتسمى اليمامة جواً والعروض بفتح العين، وكان اسمها قديما جوا فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم. قال أهل السير: كانت منازل طسم، وجديس اليمامة، وكانت تدعى جوا وما حولها إلى البحرين ومنازل عاد الأولى. انظر: معجم البلدان (٥/ ٤٤٢).

(٦) هو أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي السليمي البصري، خارجي، بايع عبد الله بن يحيى =

الحاكم مروان بن محمد الأموي وإلى اعتناق المذهب الأباضي، فاتصل سنة ١٢٨هـ بعبد الله بن يحيى الكندي[١] من أهل حضرموت فأقنعه بأفكاره فاستحسنها الكندي، ودعا إليها أهل حضرموت فأعلن ثورته على بني أمية فكان هذا أول وجود للمذهب الأباضي بحضرموت وذلك في حدود سنة ١٢٩هـ[٢].

ولكن هؤلاء الإباضية لم يكن لهم التأثير الديني الكبير لكراهية الناس لهم، ولانشغالهم كذلك بالحروب والثورات، وعدم التعويل على العلم والدعوة، بخلاف الصوفية التي دعت إلى التصوف وألفت المؤلفات في ذلك كما سيأتي.

وكانت الإباضية منتشرة في عصر أحمد المهاجر، حيث ذكر بعض المؤرخين أن هناك خلافاً كان قائماً بينه وبينهم، يقول باحنان: «وقد كان الخلاف في المذهب والعقيدة بين المهاجر والإباضية سبباً في عدم استطاعة المهاجر سكنى المدن الكبرى في حضرموت؛ كشبام، وتريم مثلاً فقد كانت تزخر بعلماء الإباضية وذوي الرأي والقوة منهم، فكان يختار القرى التي يمكن أن يجد فيها أنصاراً من السُّنيِّين والشيعة كقرية الجبل[٣] في دوعن،

= على الإمامة والخروج على بني أمية، وأدخل أهل حضرموت في قتال مع الدولة الأموية، استولى أبو حمزة وأصحابه على مكة والمدينة، ولم يدم ذلك لهم فقد أرسل مروان بن محمد الأموي عسكراً بقيادة ابن عطية السعدي، فقتل عبد الله بن يحيى الكندي الخارجي وبعث برأسه إلى مروان، ثم قتل أبا حمزة في أسفل مكة سنة ١٣٠هـ. انظر: تاريخ الموصل، للأزدي (ص٨٠)؛ وجواهر تاريخ الأحقاف (٢/ ١٤ ـ ٢٢).

(١) هو عبد الله بن يحيى بن عمر بن الأسود الكندي الحضرمي، أبو يحيى، الملقب بطالب الحق، إمام إباضي من أهل اليمن، كان قاضياً بحضرموت، وخلع طاعة مروان بن محمد الأموي، وبويع بالخلافة، واستولى على صنعاء ومكة بعد حروب. تم قتله على يد الجيش الأموي الذي أرسل إلى اليمن وحضرموت سنة ١٣٠هـ. انظر: الجامع (جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم)، للمؤرخ: محمد بن عبد القادر بامطرف (ص٣٤٨).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٣٠٢).

(٣) كذا في الأصل، والصواب الجُبيل وهي بلدة صغيرة في حضرموت تقع بالقرب من بلدة =

والهجرين»[١].

دور العلويين في ظهور التصوف في حضرموت:

يعتبر العلويون الذين قدموا حضرموت من العراق في القرن الرابع هم زارعوا بذرة التصوف في حضرموت، حيث قدموا من البصرة وكانوا على مذهب الإمامية الشيعة[٢] وهو مقارب لمذهب المتصوفة، فالصوفية وليدة الشيعة.

وقد أكثر العلويون التنقل داخل حضرموت يبحثون على مكان ليستقروا فيه حتى وضعوا عصا الترحال في تريم، فجعلوها وطناً لهم، وقد وجدوا في حضرموت عموماً وتريم خصوصاً عدداً كبيراً من الفقهاء قبل قدوم المهاجر، الأمر الذي أذهل العلويين[٣].

وكان الجاه والمكانة في حضرموت قبل قدوم العلويين للمشايخ، الذين عرفوا بالتفقه في الدين، كما لعبوا أدواراً هامة في تاريخ حضرموت السياسي، والاجتماعي، وتمتعوا ببعض الامتيازات من قبل الحكام، ورؤساء القبائل مثل: الإعفاء من العوائد، ومنح قراهم الأمان[٤].

والعرف في حضرموت إطلاق لفظ المشايخ على كل فرد من أفراد البيوت ـ العائلات ـ التي اشتهر بعض أفرادها بالعلم فأطلق عليه لقب شيخ ثم أطلق على كل أفراد القبيلة[٥].

= الهجرين. انظر: معجم بلدان حضرموت لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ص١٦٠)، ط الإرشاد.

(١) جواهر تاريخ الأحقاف (١/ ٧٣).

(٢) انظر: نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر، لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ص٨)؛ وتاريخ حضرموت، لصالح بن علي الحامد (٣٢٣ ـ ٣٢٥).

(٣) الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت منذ قدوم المهاجر أحمد بن عيسى، لعبد الله بن حسن بلفقيه (ص١٧). وانظر: إدام القوت (ص٤٩٣)؛ والفكر والمجتمع في حضرموت (ص١٥٧).

(٤) انظر: قيام السلطنة القعيطية، لمحمد بن عبد الكريم عكاشة (ص٢١).

(٥) انظر: عادات وتقاليد بالأحقاف، لعبد القادر بن محمد الصبان (ص٤٠). مطبوع بالآلة الكاتبة عام ١٩٧٩م.

وينتشر المشايخ في معظم مناطق حضرموت وآل باعباد يسكنون الغرفة، وآل العمودي وآل باسودان يقطنون دوعن، وآل إسحاق أسفل شبام وآل باوزير في غيل باوزير، وآل باحميد في أطراف سيئون، وآل الخطيب في تريم وآل باعمر في العجلانية[1]، فهذه بعض أسر المشايخ، وهناك الكثير من هذه الأسر منتشرة في مناطق حضرموت وبواديها.

لكن العلويين لم يرق لهم هذا الأمر، لا سيما وهم ينتسبون إلى سلالة الرسول ﷺ، فأرادوا صرف الوجوه إليهم، وإظهار مكانتهم للناس، وأخذ السلطة الروحية من المشايخ، فتم لهم ذلك مع مرور الزمن، وصاروا أعلى درجة في السلم الطبقي في حضرموت.

ولم يشتهر العلويون الأوائل بالعلم، لا سيما جدهم أحمد بن عيسى المهاجر الذي قدم حضرموت سنة ٣١٩هـ، وإنما ذكروا عن ابنه عبيد الله، أنه قرأ كتاب قوت القلوب على مؤلفه أبي طالب المكي عندما حج سنة ٣٧٧هـ[2].

ويسمي بعضهم مرحلة أخذ عبيد الله التصوف بالمدرسة الذوقية، فيدّعون أنه نقل لحضرموت أساليب الذوق في العبارة والطرح وشرح الأحوال من شيخه أبي طالب المكي من غير انتماء معين، ولهذا يقال عنه: أنه أول من تنفس الأنفاس الصوفية بحضرموت[3].

---

(١) العجلانية: من قرى وادي حضرموت، وهي لآل عمر بن جعفر الكثيريين، ويقال إن منها الشاعر عبد الله العجلان النهدي. انظر: إدام القوت (ص٤٧٥)، ط المنهاج؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ٢٧ ـ ٣١).

(٢) انظر: شرح العينية لأحمد بن زين الحبشي (ص١٣٥). ومن غرائب القوم قول الشاطري في كتابه «سيرة السلف من بني علوي الحسينيين» (ص٦٨): «عبد الله بن أحمد بن عيسى، وأبو طالب المكي صاحب قوت القلوب كل منهما أخذ عن الآخر». هكذا يضطرب القوم في أخبارهم مع أنه مر علينا كلام ابن عبيد الله السقاف الذي بين فيه أن عبيد الله هذا لم يشتهر بالعلم سوى قراءته كتاب قوت القلوب على مؤلفه.

(٣) الأبنية الفكرية (ص٣١)، وانظر: بحث بعنوان التحولات التي طرأت على عهد الفقيه المقدم (ص٣) (مخطوط بمكتبة الأحقاف بحضرموت ـ قسم التاريخ).

ويوضح ابن عبيد الله السقاف حقيقة صلة عبيد الله بن أحمد المهاجر بالعلم بقوله: «وقد نقلوا عن الياقوت الثمين أن عبيد الله بن أحمد أَمَّ كبارَ العلماء مع أنهم لم يذكروا له أثراً من آثار علمه إلا قراءته لقوت القلوب على مؤلفه، وطنطنوا على ذلك على أن لو كان هناك أثر أكبر منه لذكروه وكبّروه»[(١)].

وفي كلام ابن عبيد الله دليل على أن من وصفوهم بكبار العلماء من المتصوفة؛ لم يعرفوا بالعلم؛ لأن دين الصوفية كله قائم على الجهل وتقديس الأشخاص والبعد عن منهج الكتاب والسنّة، بل يؤكد ابن عبيد الله أن كثيراً من العلويين الذين ترجم لهم الشلي في مشرعه لم يعرفوا بالعلم[(٢)].

لقد كانت حضرموت هي الرائدة في جلب واستيراد التصوف، فقد ذكر مؤرخو حضرموت أن أول من عرف بالتصوف فيها هو: عبد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله وهو من رجال القرن الرابع الهجري. حيث ذكر الشاطري في كتابه (أدوار التاريخ الحضرمي) أن من شيوخه أبا طالب المكي، والذي تلقى عنه علم التصوف، وقرأ عليه كتابه «قوت القلوب» ذلك الكتاب المشهور لدى جميع الصوفية. وذلك لما حج سنة (٣٧٧هـ)[(٣)] غير أن هذا الرجل لم يكن له أثر يذكر في نشر التصوف في حضرموت مع أنه من رجال القرن الرابع، كما سيأتي عند حديثنا عن الفقيه المقدم الذي كان له الدور الأكبر في نشر التصوف.

ويشير أبو بكر المشهور إلى تصوف جدهم المهاجر حيث قال فيه: «فالمؤسس الأول للمدرسة وتفردها المنهجي ـ كما سبق ذكره ـ هو الإمام المهاجر وكان عصره عصر بذر لهذا التفرد وغرس أولي لمبادئه»[(٤)]، وقال أيضاً: «وأما التصوف فلا يبعد أن يكون المهاجر قد تأثر بمعناه كما تأثر ابنه

---

(١) إدام القوت (ص٤٣٤)، ط الإرشاد. (٢) المصدر السابق (ص٤٣٥).
(٣) أدوار التاريخ الحضرمي (ص١٦٢ ـ ١٦٣).
(٤) الأبنية الفكرية الجامعة لثوابت الطريقة العلوية الحسينية، لأبي بكر العدني بن علي المشهور (ص٣٠).

أيضاً الذي حج عام ٣٧٧هـ، واتصل بأبي طالب المكي وقرأ عليه في كتابه (قوت القلوب)، وهو زبدة علم التصوف آنذاك»[(١)].

ويرى المشهور أن المهاجر هو الذي بعث بولده إلى مكة وأن هذا العمل: «أعظم شاهد على رغبة الإمام المهاجر في اتخاذ قرار فكري جديد في أولاده وأحفاده قبل سائر الناس، فكان الأمر كذلك»[(٢)].

ومن هذه النصوص تتضح الصلة بين الشيعة والصوفية، فقد كان أحمد بن عيسى المهاجر ـ جد العلويين ـ إمامي المذهب كما ذكر المؤرخون ومنهم اثنان من العلويين أنفسهم وهما: ابن عبيد الله السقاف ـ مفتي حضرموت ـ[(٣)]، والمؤرخ صالح بن علي الحامد[(٤)]، وقد قدم جد العلويين حضرموت متنقلاً بين مناطقها بدءاً من الهجرين في دوعن غرباً إلى الحسيسة[(٥)] في وسط حضرموت شرقاً لغاية كبيرة وهي قيام دولة علوية إمامية تحت لوائه ولكن ثَمَّ صعوبات واجهته فحالت بينه وبين أُمنيتِه، ومن هذه الصعوبات العصبية القبلية والمذهبية وكذا حب الرئاسة فهو من شيم الرئاسات العشائرية والقبلية في حضرموت[(٦)].

ولم يكن السادة أو العلويون ذوي نفوذ روحي فحسب بل كانوا أيضاً من الناحية الذاتية أكبر قبيلة في حضرموت من حيث العدد والثقافة والمال ومتانة العلاقات فيما بينهم والتأثير في مجتمعهم[(٧)].

---

(١) المصدر السابق (ص٨٤).

(٢) المصدر السابق (ص٣٠). ومن الاضطراب في كلام أبي بكر المشهور أن أحمد بن عيسى المهاجر توفي سنة ٣٤٥هـ فكيف يرسل ولد عبيد الله سنة ٣٧٧هـ لأخذ التصوف من أبي طالب المكي؟!.

(٣) انظر: نسيم حاجر (ص٤).

(٤) انظر: تاريخ حضرموت لصالح الحامد (ص٣٢٣ ـ ٣٢٥).

(٥) الحُسيِّسة: بضم الحاء وفتح السين المكررة بينهما ياء مشددة مكسورة، إحدى قرى وادي حضرموت، وهي قرية خاربة جهة بلدة بور، وتقع في سفح الجبل الجنوبي المعروف بشعب مُخَدّم على نصف مرحلة من تريم كانت معمورة ثم خربت، وهي القرية التي استقر فيها أحمد بن عيسى ـ جد العلويين ـ واستوطنها حتى توفي بها سنة ٣٤٥هـ. انظر: إدام القوت (ص٧٨٠ ـ ٧٨١)، ط المنهاج.

(٦) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص١٨٤ ـ ١٨٧).

(٧) انظر: المعلم عبد الحق، لمحمد بن عبد القادر بامطرف (ص١٢٩).

ويمكن أن يقال الفكر الصوفي في حضرموت: «عبارة عن توليفة فكرية وسلوكية تكونت من تقاطع ثلاثة خطوط فكرية هي: الخط الصوفي العام وهو محور التوليفة، والخط العلوي الإمامي وهو خط شيعي، والخط السُّنِّي الأشعري الشافعي[١] وهما الملتفان حول المحور»[٢].

فهذه هي محاور الفكر الصوفي القائم في حضرموت، والذي صارت له صولة وجولة في فترات مختلفة من تاريخ حضرموت، وقد كان العلويون الأوائل هم السبب الرئيس في زرع نحلة التصوف في حضرموت حيث بدأت بوادره في وقت مبكر؛ وهو القرن الرابع الهجري، مع الغموض الشديد الذي ساد تاريخ حضرموت في فترات مختلفة وكانت الصوفية هي السبب في ذلك، يقول صالح الحامد: «ولا أستبعد أن للروح الصوفية عملها البارز في صرف العلماء والمتنورين من رجال الماضي عن الاهتمام بالتاريخ، ومن صرف بعض الوقت في تدوينه، فقد غمرت الموجة الصوفية الكافة من العلماء والمتنورين»[٣].

مما تقدم يبدو أنه لم تتبين مراحل التدرج في نشؤ التصوف في حضرموت حتى صار منهجاً له أصوله العقدية المخالفة لمذهب السلف الصالح؛ لكونه مذهب قام على الغموض والأسرار لصلته الكبيرة بمذهب الباطنية، ويعرف ذلك من نظر في كتب التصوف قديماً وحديثاً، حتى أن المستشرق الإنجليزي سارجنت[٤] لمس ذلك في متصوفة حضرموت فقال:

---

(١) مما تقدم في تعريف الأشاعرة يتضح أن الأشاعرة ليسوا من أهل السنَّة والجماعة، وإنما هي فرقة من فرق المسلمين المخالفة لأهل السنَّة والجماعة في كثير من الأصول العقدية ـ كما تقدم. انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣١٠)؛ ومجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١/ ١١٦ ـ ١١٨).

(٢) الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٥٢).

(٣) تاريخ حضرموت، للحامد (١/ ٣). وانظر: أثر القوم على الحياة العلمية والأدبية: المصدر السابق (٢/ ٧١٨).

(٤) سارجنت: مستشرق بريطاني، ولد سنة ١٩١٥م، تعلم في إدنبرا وكمبريدج، وانتدب باحثا لشؤون الجزيرة العربية في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية سنة ١٩٤٠م، ومنقباً في =

«ويعتقد الصوفي العلوي في الغموض ويكره الوضوح»[١]. كما إن التصوف في حضرموت لم يكن قائماً على الزهد والخلوة للتعبد كما يدعون، وإنما هو تصوف فكري له آراؤه العقدية والفلسفية المنحرفة.

ومن خلال القراءة في الكتب التاريخية، وكتب المناقب نلحظ وجود روافد خارجية ساعدت في دخول التصوف لحضرموت فقد ذكروا أن سفيان اليمني من صوفية أبين ولحج زار حضرموت في نهاية القرن السادس والتقى بعلمائها فأخذوا عنه وأخذ هو عنهم، ومن أولئك الآخذين الفقيه المقدم حيث خاض معه في التصوف والحقائق، وكانت بينهما مراسلات في ذلك[٢]، كما ذكر المؤرخون أن علي بن محمد بن جديد العلوي[٣] التقى بشخص يدعى مدافع بن أحمد المعيني ثم الخولاني الصوفي[٤] حيث أخذ عنه ابن جديد وصحبه وألبسه وأخاه وحكمهما[٥] وأجازهما وزوجهما ابنتيه[٦].

وقد تأثر ابن جديد العلوي بالطرق الصوفية الأخرى لكثرة أسفاره فقد رحل إلى الهند والعراق والحجاز وأخذ عن مشايخ الطرق في تلك البلدان، وذكروا عنه أنه تأثر بالطريقة الجيلانية القادرية التي انتشرت في التهائم وعدن

= حضرموت سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٥٤م، ومنقباً في الجزيرة العربية والخليج العربي سنة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤م. وله مؤلفات منها: مختارات من الأدب العامي الحضرمي، وكتاب حول مصادر التاريخ الحضرمي. انظر: مقدمة كتاب إدام القوت (حاشية ص٨)، ط المنهاج.

(١) مذكرات انجرامس (ص٤٠).

(٢) انظر: الجوهر الشفاف (١/ ٨٣)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي (٢/ ٣٠٢).

(٣) هو علي بن محمد بن أحمد بن جديد من علماء الحديث باليمن رحل من حضرموت وقدم إلى عدن، توفي سنة (٦٢٠هـ)، من مؤلفاته: أربعون حديثاً في فضائل الأعمال. انظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٤٨).

(٤) هو مدافع بن أحمد بن محمد، أبو أحمد المعيني، نسبة إلى معين بضم الميم وكسر العين، قوم من خولان، من أرباب الكرامات والمكاشفات، أخذ عن عبد القادر الجيلاني. وكان مسكنه قرية الوحيز غربي مدينة تعز. وقد تتلمذ عليه بعض الصوفية من العلويين الحضارمة. مات بظفار من بلاد عمان سنة ٦١٨هـ. انظر: طبقات الخواص (ص٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٥) سيأتي الكلام عن التحكيم والإلباس في مبحث العبادات البدعية عندهم ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٦) انظر: الغرر (ص١٢٠)؛ وشرح العينية (ص١٤٠).

وأبين وما حولها، حيث التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني وأخذ الطريقة عنه، وأخذ عنه بعض مشايخه، بل ووصلت هذه الآثار إلى بعض نواحي حضرموت(١).

يقول أبو بكر بن علي المشهور: «لم تكن حضرموت في هذه المرحلة بمعزل عن التحولات والأحداث الجارية في العالم الإسلامي وما يدور فيها من صراع فكري واجتماعي؛ بل كان واقع الزمان وأحواله السياسية مسهماً إلى حد كبير في ظهور المدارس الصوفية وهي التي تمثل انعكاساً حتمياً لذلك الواقع ومعطياته»(٢).

ويقول عن الفقيه المقدم العلوي: «ويبدو من خلال استقراء الحوادث ومجريات التحول أن أخبار الفقيه ومكانته العلمية وتوجهاته الفكرية المتجددة قد بلغت بواسطة المسافرين إلى خارج حضرموت وتحدث الناس بشريف أحواله، وجليل أقواله، فما كان من الشيخ الكبير صاحب بجاية(٣) الشيخ شعيب أبي مدين إلا أن بعث إليه كبار تلاميذه وأمره أن يذهب إلى مكة ثم إلى حضرموت وقال: إن لنا فيها أصحاباً سر إليهم وخذ عليهم عقد التحكيم ولبس الخرقة»(٤).

وقد ذكر صاحب المشرع الروي أن عبد الرحمٰن بن محمد المقعد

---

(١) انظر: الغرر (ص١١٩ ـ ١٢٠).

(٢) سلسلة أعلام حضرموت (الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم)، لأبي بكر بن علي المشهور (ص٢٣).

(٣) بجاية: بالكسر، وتخفيف الجيم، وألف وياء وهاء مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود سنة ٧٥٤هـ، وبينها وبين جزيرة بني مزغناي أربعة أيام، كانت قديما ميناء فقط، ثم بنيت المدينة وهي في لحف جبل شاهق، وفي قبلتها جبال كانت قاعدة ملك بني حماد وتسمى الناصرية أيضا باسم بانيها، وهي مفتقرة إلى جميع البلاد لا يخصها من المنافع شيء؛ إنما هي دار مملكة تركب منها السفن وتسافر إلى جميع الجهات. معجم البلدان (٣٣٩/١).

(٤) سلسلة أعلام حضرموت (الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم) (ص٢٤).

حضرمي ثم مغربي[١]، فيتضح أن لأبي مدين التلمساني علماً بحضرموت وأهلها من خلال عبد الرحمٰن هذا، الذي وصف أنه من كبار تلامذة أبي مدين[٢].

اتخذ الفقيه المقدم وسعيد بن عيسى العمودي[٣] القرار في كسر السيف، والتزام طريق الصوفية وترك طريقة الفقهاء، وسلوك طريق الخمول، وأَخْذِ العكاز الذي يرمز إلى التصوف وترك السلاح الذي يرمز وقتئذ إلى النهب والسلب والإجرام وطلب الحكم والثأر والانتقام[٤].

بدأ التصوف في حضرموت كمنهج له أصوله وأفكاره التي التزم بها أتباعه منذ عصر الفقيه المقدم وهو القرن السابع الهجري عندما لبس الفقيه المقدم الخرقة المرسلة إليه من أبي مدين زعيم الصوفية في المغرب إذ ذاك[٥]، وزامن هذا عهد الدولة الرسولية التي قامت على انقاض الدولة الأيوبية عام ٦٢٦هـ[٦].

وقد ذكرنا أن بوادر ظهور التصوف كانت على يد عبيد الله بن أحمد بن عيسى العلوي في القرن الرابع، ولكن لم يكن لهذا الرجل أثر يذكر في نشر التصوف الذي شهدته حضرموت في عصر الفقيه المقدم، فكان القرن السابع هو عصر ظهور التصوف في حضرموت كمنهج له أفكاره وأصوله، فبدأ التصوف بالاعتناء بتراجم الصالحين من أهل التصوف وإشاعة أخبارهم وقراءة

---

(١) انظر: المشرع الروي (٢/ ٤). وانظر كلام أبي بكر المشهور في تأكيده بأن المقعد عرّف شيخَه ببلد حضرموت ورجالها الأمر الذي جعل أبا مدين يرسل المقعد ليكون سفيراً للفقيه المقدم ومن معه من أهل حضرموت: «الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم» (ص٢٥ ـ ٢٦).

(٢) انظر: المشرع الروي (٢/ ٥).

(٣) هو سعيد بن عيسى العمودي: من صوفية حضرموت، ومن المتحكمين لمندوب أبي مدين. توفي سنة ٦٧١هـ، وخلفهُ على منصبه ولده محمد بن سعيد. ثم لم يزل منصبه يتوارث بين أولاده حتى تحول بسعة الجاه وكثرة الأتباع ونفوذ الدعوة إلى سلطنته، ثم اختلفوا وانقسموا، فكان لآلِ مطهرٍ بُضعةُ وما حاذاها وما ارتفع عنها سعيد بن عيسى العمودي. انظر: طبقات الخواص (١٤٥ ـ ١٤٦).

(٤) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧١٧ وما بعدها).

(٥) انظر: سيرة السلف من بني علوي الحسينيين، محمد بن أحمد الشاطري (ص٣٠)، ط٣، ١٤٢٢هـ، دار الحاوي ـ بيروت.

(٦) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص١٩٥).

تراجمهم في المجالس العامة، فحضرموت لم تعرف التصوف بشكله الواسع والمتميز إلا عن طريق مندوب صوفي قادم من المغرب العربي أجريت على يديه مراسيم الدخول في الدائرة الصوفية لأربعة من رجال حضرموت.

ويفسر علي بن حسن العطاس[١] سبب تزيي الفقيه المقدم بزي الفقراء[٢] وترك حمل السلاح الظاهر بأمور: «منها:

١ ـ أنه دعا لأولاده بأن يكونوا من أهل المقامات والأحوال بالسلاح الباطن الذي هو البرهان المبين المعبر عن نفسه بسيف القدرة فأصبحوا هم الملوك وهم أهل الشوكة والحماية.

٢ ـ أن الله ﷻ أطلعه على أنهم سوف يكثرون بالجهة الحضرمية.

٣ ـ أن آخر الزمان المشار إليه بتراكم الفتن مأمور فيه بكسر السيف نصاً من جد الحسن كما صح في صحيح مسلم قوله ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير فيها من الساعي، ومن تشرف لها تتشرفه، ومن وجد منها ملجأ فليعذ به»[٣] إلى أن قال ﷺ: «يعمد أحدكم إلى سيفه فيدق على حده بحجر[٤]»[٥].

وتؤكد أغلب كتب التصوف وكذا كتب التاريخ الحضرمي أن طريقة السادة آل باعلوي الطريقة المدينية وهي طريقة أبي مدين التلمساني المغربي

---

(١) هو علي بن حسن بن عبد الله العطاس: ولد سنة ١١١٢هـ. وهو من الصوفية والأدباء سكن قرية عُرِفَتْ فيما بعد بالمشهد. توفي سنة ١١٧٢هـ. من مؤلفاته: الرياض المونقة في المعاني المتفرقة. وقلائد الحسان وفرائد اللسان، وتحفة ذوي المقامات العلية، والمقصد إلى شواهد المشهد. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/١٥٨)؛ وتاريخ الدولة الكثيرية (ص١٠٦)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٤٤٨).

(٢) أي الصوفية، والفقراء من ألقابهم.

(٣) الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (ص٦٨٨) برقم (٣٦٠١)، وبرقم (٧٠٨١)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن وفتح يأجوج ومأجوج (ص١١٥٦) برقم (٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن وفتح يأجوج ومأجوج (ص١١٥٦) برقم (٢٨٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٥) الرياض المونقة، لعلي بن حسن العطاس (ص٣٢).

وقطبها ومدار حقيقتها الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، ولكن لم يتبين كيفية هذا الارتباط إلا عن طريق ذكر قصة يتداولها الصوفية والمؤرخون الحضارمة، وقد لخص هذه القصة عبد الرحمٰن بلفقيه[(١)] بقوله:

وشيخهم الغوث الفقيه محمد ... أبو علوي ذو المعالي العلية
إمام الطريقين الحسيني نسبة ... ثوى في تريم البلدة الحضرمية
ومرجعه في لبسه وانتسابه ... أبو مدين شمس القرى المغربية
بخرقته قد أرسل الصالح الذي ... لدى الموت فيها المقعد أوصى بمكة[(٢)]

وجاء في كتاب شرح العينية عند ذكر أبي مدين المغربي: «وهو أشهر من ترجع إليه شيوخنا وأصولنا آل باعلوي السادة الحسينيون التريميون في نسبة الخرقة الشريفة الشهيرة ووصلة الصحبة المنيرة؛ لأن سيدنا وإمامنا محمد بن علي السيد الشهير بالفقيه لبس الخرقة الأنيقة في بدايته، ومبدأ مكاشفته من الشيخ أبي مدين المذكور، بواسطة الشيخ عبد الرحمٰن المقعد وبواسطة الشيخ عبد الله الصالح المغربيين[(٣)]»[(٤)].

ويعتبر عبد الرحمٰن بن محمد الخطيب (ت٨٥٥هـ) أقدم من ذكر قصة إرسال أبي مدين لرسله إلى حضرموت للتحكيم ولبس الخرقة الصوفية حيث قال في كتابه (الجوهر الشفاف): «الحكاية السابعة والعشرون: روى المشايخ رضي الله عنهم أنه قيل

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه: فقيه صوفي، من مؤلفاته: عمدة المحقق، رشفات أهل الكمال، وفتح الخلاق بشرح عقد الميثاق. توفي سنة ١١٦٢هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ٨٥)؛ مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٥١).

(٢) رشفات أهل الكمال (ص٦).

(٣) لم يترجم مؤرخو حضرموت لهذين الرجلين سوى الإشارة إلى أنهما مندوبان لأبي مدين المغربي أرسلهما من هناك ليحكما الفقيه المقدم ومن معه، وكذا نشر خرقة التصوف في حضرموت، وذكروا أن عبد الله الصالح المغربي كان من أولاد ملوك المغرب فآثر سلوك طريق التصوف، وأقام بميفعة وهي بلدة بأقصى حضرموت قريب من ساحل عين بامعبد، وذكروا أنه قسم ميراثه عند موته للصوفية الذين حكمهم، وقبره معروف باصبعون. انظر: تاريخ حضرموت، الحامد (٢/ ٧٣٦).

(٤) شرح العينية (ص١١٣).

لشيخ شيوخنا الشيخ الفقيه محمد بن علي رضي الله عنه: إنه لا يفك قفل قلبك إلا الشيخ عبد الرحمٰن المقعد، وكان الشيخ عبد الرحمٰن المقعد رضي الله عنه إذ ذاك بمكة ـ حرسها الله تعالى ـ فسار الفقيه شيخ شيوخنا قاصداً نحوه، فلما بلغ أثناء الطريق أُخبر بوفاته فرجع إلى بلده، وكان الشيخ عبد الرحمٰن المذكور رضي الله عنه من كبار تلامذة الشيخ الكبير خاص الخواص أبي مدين رضي الله عنه، وكان شيخه أبو مدين رضي الله عنه، قد أمره بالسفر إلى حضرموت، وقال له: إن لنا فيها أصحاب سِرْ إليهم وخذ عليهم عقد الحكم ولبس الخرقة أو كما قال، وقال له: ولكنك لا تصل إليهم بل تموت في أثناء الطريق ونرسل إليهم من يأخذ عليهم ذاك، فسار الشيخ عبد الرحمٰن طالباً حضرموت، فلما بلغ في أثناء الطريق حضرته الوفاة فأحضر تلميذه الشيخ الكبير العارف بالله تعالى عبد الله الصالح المغربي ـ وكان من أولاد ملوك المغرب ـ فآثر سلوك هذه الطريقة ففتح له وكان من كبار تلامذته ولهما الكرامات الخارقة والإشارات المفيدة الفائقة، وأمره بالمسير إلى حضرموت وقال له ما قال له الشيخ أبو مدين رضي الله عنه، وفي رواية أنه قال له أيضاً: اذهب إلى حضرموت تجد فيها الفقيه محمد بن علي أبو علوي عند الفقيه علي بن أحمد أبي مروان[1] يستقي يعني ـ يأخذ منه العلم ـ، طارح سلاحه فوق رجليه، فاغمزْه من عند الفقيه وحكّمْه، واذهبْ إلى قيدون تجدْ فيها الشيخ سعيد بن عيسى فحكّمْه، قال الشيخ عبد الله: فلما وصلت إلى تريم وجدت الفقيه محمد بن علي كما قال الشيخ عبد الرحمٰن فغمزته وحكّمته ـ وما شاور أبا مروان ـ فلما رجع إليه وفي رأسه الخرقة اغتاظ عليه وقال له: رجوناك إماماً مثل ابن فورك[2] فتركت صحبتنا ورجعت إلى زي

---

(١) هو علي بن أحمد بن سالم بامروان، ولد سنة (٥٥٥هـ)، وأخذ عن فقهاء تريم وظفار كالعلامة محمد بن علي القلعي، وسالم بافضل، ويعد من شيوخ الفقيه المقدم قبل أن يتصوف، وقد هجره لتصوفه وتركه لطريقة الفقهاء، فبقي على هجره حتى مات. من مؤلفاته: تحرير الأيدي والعقود اللازمة والجائزة وأدوات الطلاق، وكانت وفاته سنة (٦٢٤هـ). انظر: السلوك، للجندي (٢/ ٤٨٠) ط١؛ وتاريخ شنبل (٤٠، ٨٣).

(٢) هو أبو بكر بن محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، أشعري، أخذ عن أبي الحسن الباهلي. من مؤلفاته: مشكل الآثار. توفي سنة ٤٠٦هـ. انظر ترجمته في: تبيين كذب المفتري (ص٢٣٢) ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، والسير (١٧/ ٢١٤).

الصوفية أو كما قال، فقال له الفقيه محمد بن علي رضي الله عنه: الفقر خير. وهجره أبو مروان إلى أن توفي، فسار الشيخ عبد الله فلما وصل إلى حضرموت اجتمع بشيخ شيوخنا الفقيه محمد بن علي رضي الله عنه، وقال له الشيخ عبد الله: أي لؤلؤة عجماء لو ثقبت، فقال الشيخ محمد: وما الثقب؟. قال: التحكيم، فانخلع الشيخ محمد عما هو عليه من زي الفقهاء وترك صحبتهم، وتحكم للشيخ عبد الله ولبس منه الخرقة، وأقبل على الله تعالى في السر والعلانية ورغب في صحبة الصوفية، قالوا ودعا لذريته عند ذلك بثلاث دعوات:

(الأولى): بذل النفوس ولا يعودون إلى العمومية أي لا يزالون على زي الفقراء.

(الثانية): أن لا يسلط الله تعالى عليهم ظالماً يؤذيهم.

(الثالثة): أن لا يموت أحد منهم إلا وهو مستور في دنياه ـ أي لا تكون به حاجة تضر بدينه ـ قالوا: فَقَبِلَهُنَّ اللهُ تعالى، فما يموت أحد منهم إلا وهو بتلك الصفة، ولم يسلط الله تعالى عليهم بعد ذلك ظالماً أبداً ببركة دعوة الشيخ لهم رضي الله عنه»[١].

وكذلك قال الشلي في المشرع: «فلما رآه شيخه علي بامروان تغير عما كان قال له: أذهبْتَ نورك وقد رجونا أن تكون كابن فورك واخترتَ طريق التصوف والفقر وقد كنت على المقدار والقدر، فقال الأستاذ: الفقر فخري وبه أفتخر، وبه على النفس والشيطان أنتصر، ولا أتباعد عنكم إعراضاً، ولا تبدلت بكم معتاضاً. وهجره الفقيه وظن أن يفيد فيه الهجر، ورأى أنه أعظم من الزجر، واستمر مهاجراً له إلى أن مات»[٢].

ومن هذه القصة التي ذكرها الخطيب وكذا الشلي وغيرهم من صوفية حضرموت يتضح ما يلي:

ـ اعتماد القوم على أقوال شيوخهم في مسائل الغيب حيث أرشدوا الفقيه

---

(١) الجوهر الشفاف (١/ ٨١ ـ ٨٢)؛ ونقل القصة الشلي في مشرعه (٢/ ٤ ـ ٥).

(٢) المشرع الروي (١/ ٢ ـ ٥).

إلى رجل في مكة يزعمون أنه سيفك قلبه، ولا يُدرى ما مرادهم بهذه الإشارات والرموز الغامضة؟.

ـ مبادرة القوم في تنفيذ أقوال مشايخهم بلا روية ولا نظر فقد سار الفقيه المقدم متجهاً إلى مكة للقاء عبد الرحمٰن المقعد الذي زعموا أنه سيفك قلبه.

ـ في القصة ما يدل على سابق معرفة بين أبي مدين التلمساني وأهل حضرموت، حيث أمر أخص طلابه بالرحيل إلى حضرموت ولقاء أصحابه فيها.

ـ ادعاؤهم معرفة الشيخ الغيب، حيث ذكروا أن أبا مدين أخبر تلميذه بأنه سيموت قبل أن يصل إلى حضرموت.

ـ اهتمام الصوفية بتنفيذ طقوسهم وشعاراتهم الصوفية وذلك حيث أمر أبو مدين تلميذه بأن يأخذ على الفقيه المقدم ومن معه عقد التحكيم ولبس الخرقة الصوفية.

ـ غلو الصوفية الملحوظ لتقرير باطلهم بالثناء على الصوفية أينما كانوا، فقد قال الخطيب عن عبد الرحمٰن المقعد وتلميذه عبد الله الصالح المغربي: «الشيخ الكبير العارف بالله تعالى عبد الله الصالح المغربي ـ وكان من أولاد ملوك المغرب ـ فآثر سلوك الطريقة ففتح له، وكان من كبار تلامذته، ولهما الكرامات الخارقة والإشارات المفيدة الفائقة».

ـ كون أهل حضرموت كانوا على طريقة الفقهاء فهم على مذهب الإمام الشافعي الفقهي، ولم يعرفوا التصوف بدليل أن مؤسس التصوف في حضرموت الفقيه المقدم كان يدرس الفقه على يد شيخه أبي مروان، ولم ينتقل للتصوف إلا بعد قدوم مندوب أبي مدين إلى حضرموت، بل صرح الشلي بذلك فقال: «إن أهل حضرموت كانوا مشتغلين بالعلوم الفقهية، وجمع الأحاديث النبوية، ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية، ولا من يكشف اصطلاحاتهم السنية، فأظهر الأستاذ الفقيه المقدم علومها، ونشر في تلك النواحي أعلامها، فأخذ عنه الجم الغفير، وتخرج به العدد الكبير من أجلهم الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن باعباد[١]»[٢].

---

(١) انظر ترجمته (ص١٠٩) من هذا البحث. (٢) المشرع الروي (٢/ ٥ ـ ٦).

ـ إنكار الفقهاء على التصوف الدخيل بدليل قول أبي مروان لتلميذه الفقيه المقدم: «رجوناك إماماً مثل ابن فورك فتركت صحبتنا ورجعت إلى زي الصوفية» بل إنه هجره لذلك.

ـ تقدُّم دخول المذهب الأشعري إلى حضرموت[1] قبل التصوف، بدليل تعظيم أهل حضرموت لكبار الأشاعرة كابن فورك الذي تمنى أبو مروان لتلميذه الفقيه المقدم أن يكون مثله.

ـ السر في اختيار هذه الشخصيات دون غيرها؟، لا سيما وإن سعيد بن عيسى العمودي كان أمياً كما في ترجمته[2].

ـ حرص الخطيب في نهاية القصة على الدعوة إلى مذهب التصوف وتقرير صحته بذكر كرامات الفقيه المقدم، ودعواته الثلاث المذكورة في القصة، حتى بلغ به الأمر أن يتألّى على الله تعالى ويكذب عليه سبحانه بأن قبل هذه الدعوات: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم: ٧٨].

ـ وفي القصة بيان شر البدع، وحرمان أهلها نور العلم والبصيرة، فقد بدأت هذه البدعة بالتحكيم ولبس الخرقة والبعد عن مجالس الفقهاء، وانتهى الأمر بالفقيه المقدم أن تمادى في الشطح والغلو حتى ادعى أنه الله[3] ـ تعالى الله

---

(١) فقد كانت الدولة الراشدية القحطانية التي حكمت حضرموت من سنة ٤٠٠هـ إلى سنة ٧٠٠هـ تأخذ مذهب الشافعي في الفروع وبمذهب الأشعري في العقيدة. انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ١٧٢).

(٢) انظر: الجوهر الشفاف (١/ ٩٢).

(٣) انظر: الجوهر الشفاف (١/ ٩٢) وأسوق القصة كاملة من الجوهر الشفاف كما هي حتى لا يظن أحد أننا نتقول عليهم؛ وليُعلم أننا ننقل ما دونوه في مؤلفاتهم كما هو، وذكر كلامهم كافٍ في بيان باطله لكل مسلم ذي عقيدة سليمة، يقول عبد الرحمن الخطيب: «الحكاية الخامسة والثلاثون: أن شيخ شيوخنا الشيخ الفقيه محمد بن علي رضي الله عنه، خرج ذات يوم من الأيام إلى شارع من شوارع تريم وكان ذلك الشارع مطروقا، فوقف الشيخ فيه فمرّ بدوي معه جمل عليه سعفه فساومه الشيخ في السعف فآبا [هكذا] البدوي أن يبيع السعف للشيخ بالذي أراد فقال له الحاضرون بع السعف للشيخ وألحّوا عليه فأبى البدوي فأتى إليه الفقيه الأجل الأمام الأكمل أحمد بن عبد الرحمن أبو علوي وقال له بع الشيخ السعف بما أراد فإن الشيخ كذا وكذا وذكر شيئاً من مناقب الشيخ، فقال له البدوي هو الشيخ محمد بن علي (الله) =

وتقدس عن قوله علواً كبيراً ـ، وظهر كذلك القول بوحدة الوجود في صفوف متصوفة حضرموت كما سيأتي بيانه في مبحث قولهم في توحيد الربوبية.

يعتبر محمد بن علي باعلوي المشهور بالفقيه المقدم هو المؤسس الحقيقي للتصوف[1] في حضرموت، وإن كان قبله من تصوف لكن أعمالهم كانت فردية وغير ظاهرة ولا مؤثرة كالفقيه المقدم.

ولكن هذه المدرسة الصوفية لم تدون منهجها في مؤلفات عند بدء ظهورها ويرجع السبب في ذلك: «لكونها طريق تحقيق وأذواق وأسرار جنحوا إلى الخمول والسر والإسرار، ولم يضعوا في ذلك تأليفاً، ولا صنفوا فيه تصنيفاً، ومضت الطبقة الأولى إلى زمن العيدروس وأخيه الشيخ علي فاتسعت الدائرة، وبعد المزار، واتصل بهم القريب المنفصل ببعيد الدار فاحتيج إلى التأليف والإيضاح والتعريف»[2].

وقد أشار إلى ذلك الحداد بقوله:

فعن عيدروس السر بعد عفيفه إلى الشيخ قطب العارفين الأئمة
علي بن أبي بكر الإمام ملاذنا وعمدتنا في نقل علم الحقيقة[3]

كما ذكروا أنه منذ: «القرن الرابع الهجري قدم أسلاف السادة العلويين من البصرة إلى حضرموت؛ وهم يحملون أفكار التصوف معهم، في مجتمع لم تكن تلك الأفكار منتشرة فيه، وكان المذهب الأباضي هو السائد بجانب المذهب السُّنِّي الشافعي، واستطاع العلماء السُّنِّيون أن ينشطوا في دعوتهم، ويصرفوا الحضارمة عن اعتناق المذهب الأباضي»[4].

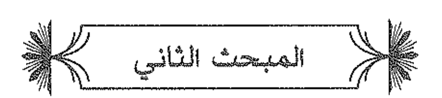
= فلما سمع الشيخ ذكر الله قال بأعلى صوته: نعم (أنا الله) وسقط مغشيا عليه». ومعنى السعف: جريد النخل.

(١) وقد أكد ذلك من المؤرخين المتأخرين مفتي حضرموت في وقته عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ت١٣٧٥هـ) عند ذكر بلدة قيدون وهي بلدة سعيد بن عيسى العمودي: «وهو والفقيه المقدم أول من سلك طريق التصوف بحضرموت». إدام القوت (ص١٨٧)، ط الإرشاد. وانظر أيضاً: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٦٣٨).

(٢) ظهور الحقائق (ص٦٨).

(٣) غاية القصد والمراد (١/ ٢١٧).

(٤) عمر بامخرمة السيباني حياته وتصوفه وشعره، لعبد الرحمن بن جعفر بن عقيل (ص٣٧).



المبحث الثاني

أعلام الصوفية الأوائل في حضرموت



● وتحته أربعة مطالب:

كان ظهور التصوف في حضرموت ـ كما تقدم ـ كان في عهد الفقيه المقدم؛ ومنذ ذلك الوقت ونشاط متصوفة حضرموت في نشر المخالفات والبدع يبدو أثره جلياً؛ وكان للفقيه المقدم دور كبير في نشر التصوف وكذا أتباعه، وتنوعت طرق وأساليب الدعوة لهذا المذهب الدخيل، فقد نشروه بطريقة تدريس المريدين، وتارة بالتأليف وتارة باستخدام الجاه والمنزلة عند الناس بالترويج للتصوف، أو بغير ذلك من الأساليب التي استخدمها متصوفة حضرموت في ذلك الوقت وتأسى بذلك الخلف.

وقد بالغ أهل حضرموت في التصوف كغيرهم من أهل البلدان التي شاع فيها التصوف(١)، وقام معتنقوه بنشاط كبير في نشر المخالفات الشركية والبدع في بلاد حضرموت وغيرها من البلدان التي وصلت إليها مخالفاتهم، وبما أن دين الصوفية قائم على تقديس الأشخاص والتلقي منهم، فهم قدوة متصوفة حضرموت، لذا فقد وجدت شخصيات في حضرموت تبنت فكر التصوف ودعت إليه بأساليب مختلفة، ونذكر في هذا المبحث بعض رجال التصوف المشتهر ذكرهم عند القوم:

❋ المطلب الأول ❋

أعلام صوفية حضرموت من القرن الرابع إلى قرب عهد الفقيه المقدم

كان لبعض صوفية حضرموت دور في ظهور التصوف في حضرموت والتهيئة له منذ القرن الرابع، حتى اكتمل كمنهج له أصوله وعقائده في القرن السابع، ونذكر تحت هذا المطلب نماذج لبعض متصوفة هذه الطبقة:

---

(١) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٦٣٩).

> عبيد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر (ت٣٨٣هـ):

يعتبر من أعيان العلويين في القرن الرابع، ولكن لم يذكر المؤرخون ولا غيرهم عن هذا الرجل إلا أنه قرأ كتاب قوت القلوب على مؤلفه أبي طالب المكي عندما حج سنة ٣٧٧هـ[١]، ولم يذكروا تفاصيل ذلك للغموض الذي ساد تاريخ حضرموت فيما قبل القرن السادس حتى أن المؤرخ أحمد بن عبد الله شنبل باعلوي (ت٩٢٠هـ)[٢] عندما جمع تاريخه: «ابتدأه بأوائل القرن السادس، لعدم وجود ما يخص حضرموت في السنوات السابقة قبل ذلك القرن، وهي في الغالب فترة غامضة في تاريخ حضرموت»[٣].

ولهذا الغموض أسباب ذكرها المؤرخون، منها ما ذكره علوي بن طاهر الحداد[٤] عن شيخه أحمد بن حسن العطاس حيث قال: «وكان شيخنا رحمه الله يقول: إن سبب ذهاب تواريخ حضرموت القديمة وانطماسها، أن الأخلاف رأوا في سيرة أسلافهم ما ينكرونه اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها»[٥].

ومن هذا النص لعلوي بن طاهر الحداد الذي نقله عن شيخه أحمد بن

(١) أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ١٦٢ ـ ١٦٣).

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن حسين المعروف بابن شنبل العلوي، مؤرخ حضرمي، برع في علوم الأدب والتاريخ ورحل إلى بلدان كثيرة، من مؤلفاته: تاريخ شنبل، توفي سنة (٩٢٠هـ). انظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٤٩٩).

(٣) مقدمة المؤرخ عبد الله بن محمد الحبشي لكتاب تاريخ شنبل (ص١٣).

(٤) هو علوي بن طاهر بن عبد الله الهدار الحداد، ولد سنة ١٢٩٠هـ ببلدة قيدون من دوعن بحضرموت، وأخذ العلم عن شيوخ حضرموت، منهم أحمد بن حسن العطاس، وتصدر بعد ذلك للتدريس والوعظ، ورحل إلى عدة بلدان، واستقر أخيرا بالملايا عند سلطان جهور، وتولى وظيفة الإفتاء بها حتى مات سنة ١٣٨٢هـ، من مؤلفاته: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، وعقد اليواقيت في تاريخ حضرموت، وعقود الألماس في مناقب شيخ الطريقة وإمام الحقيقة الحبيب، أحمد بن حسن العطاس، وإثمد البصائر في تاريخ الإمام المهاجر وغيرها. انظر: مقدمة كتاب المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى (ص٣)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٥٥٤).

(٥) جني الشماريخ جواب أسئلة في التاريخ، لعلوي بن طاهر الحداد (ص١٣). وانظر أسماء بعض الكتب التاريخية التي لم تصل إلينا بسبب الإهمال: المصدر السابق (ص٣٠).

حسن العطاس؛ الذي يعد من كبار علماء العلويين في حضرموت يتضح لنا دور الصوفية في إخفاء كثير من الحقائق التي رأى المتأخرون أنها تضر أسلافهم، مع أن أسلافهم يعتبرون ذلك ديناً يتدينون لله به، وعقيدة لا يُفرِّطون فيها، لذا يذكر المؤرخون أخباراً مختصرة عن بعض تاريخ تلك القرون لندرة المصادر التي توضح حقائق تلك الحقبة من تاريخ حضرموت. هكذا كان التصوف سبباً رئيساً في الغموض الذي شهدته حضرموت في مختلف الأزمنة التي مرت بها، يقول المؤرخ صالح الحامد: «ولا أستبعد أن للروح الصوفية عملها البارز في صرف العلماء والمتنورين من رجال الماضي عن الاهتمام بالتاريخ، ومن صرف بعض الوقت في تدوينه»(١)، ووصف المؤرخ عبد الله بن حسن بلفقيه(٢) كذلك الفترة الممتدة من ١٤٠هـ إلى تدوين التاريخ الحضرمي في ما بعد القرن الخامس بأنها: «من مجاهيل التاريخ الحضرمي»(٣).

➢ علي بن علوي المشهور بخالع قسم (ت٥٢٧هـ):

هو علي بن علوي بن محمد الشهير بخالع قسم، ولد ببيت جبير بحضرموت، وبنى أرضاً بقرية قسم وغرس بها نخلاً فلقب بخالع قسم(٤).

كان لهذا الرجل دور كبير في إخراج العلويين من عزلتهم واحتكاكهم بالمجتمع، وسكن المدن الكبرى في حضرموت، فقد كان العلويون معزولين في منطقة تسمى بيت جبير، الأمر الذي جعلهم يبتعدون عن العلم وأهله وعن

---

(١) تاريخ حضرموت، للحامد (٣/١).

(٢) هو عبد الله ويسمى عبد اللاه بن حسن بلفقيه، المؤرخ، البحاثة، ولد بتريم سنة ١٣١٤هـ، ورحل إلى جاوة في عام ١٣٢٩هـ وأخذ عن شيوخها من العلويين الحضارمة، ثم عاد إلى حضرموت فساهم في تأسيس مجلس الإفتاء الشرعي بتريم، وتأسيس المعهد الفقهي. من مؤلفاته: تعليقاته على رحلة الثغرين لمحمد بن هاشم، والشواهد الجلية على مدى الخلف في القاعدة الخلدونية، وصبح الدياجر على حياة المهاجر، واستدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات وغيرها. وتوفي بمدينة تريم سنة ١٤٠٠هـ. انظر: قبسات النور، لأبي بكر المشهور (ص١٨٥)؛ وترجمة موجزة عن حياة عبد الله بن حسن بلفقيه لتلميذه علي بكير (ص٩٤ ـ ١٠٣). ملحق بالشواهد الجلية.

(٣) الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت منذ قدوم أحمد بن عيسى المهاجر (ص٣٢).

(٤) انظر ترجمته في: المشرع الروي (٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣١).

مراكز العلم في حضرموت لا سيما تريم حتى دخلوها سنة ٥٢١هـ وكان علي بن علوي هذا «يتردد إلى تريم ثم سكنها هو وإخوانه وبنو أعمامه سنة إحدى وعشرين وخمسمائة»[١]. وقد اشترى عليٌّ هذا أرضاً بحضرموت سماها «قَسَم» نسبة لأرض لأهله في البصرة، وقد غلا الصوفية في هذه القرية حتى قال الشلي: «ولم تزل محترمة ليس للملوك فيها تصرف، ومن عمل فيها شيئاً من المخالفات أو أساء أو ظلم عوجل بالعقوبة»[٢].

وكانت وفاته بتريم سنة ٥٢٧هـ.

➢ **يعقوب بن يوسف (٥٥٣هـ):**

ذكر المؤرخون أن يعقوب بن يوسف عاش قبل الفقيه المقدم بنحو مئة سنة، حيث قدم من العراق إلى حضرموت بصحبة ولده عبد الله وحفيده سالم، واستوطن المكلا وتوفي بها سنة ٥٥٣هـ[٣]. ودفن في مقبرتها فعرفت بمقبرة يعقوب، وبنيت على ضريحه قبة.

يقول فيه عبد الرحمٰن بن محمد العيدروس العلوي[٤] (ت١١١٣هـ):

لا يــقــاس عــلاؤه بــعــلاء	وهو نسل الرسول طه الحبيب
وابن شيخ الشيوخ قطب المعالي	الشريف الجيلاني المنسوب
العفيف المنيف حقاً وصدقاً	هو يعقوب غوث أهل الخطوب[٥]

وقد وافقت هجرته هجرة جد العلويين أحمد بن عيسى المهاجر، مع فارق زمني يقدر بنحو مئتي سنة. فالمهاجر وذريته اختاروا الهجرين، بينما

---

(١) المشرع الروي (٢/ ٢٣٠). (٢) المصدر السابق (٢/ ٢٣٠).

(٣) انظر: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص١٠٧)؛ والفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٥٧).

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد العيدروس، ولد بقرية الحزم بحضرموت سنة ١٠٧٠هـ، ومن تلاميذه عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه. له مؤلف ضخم اسماه الدشتة يحتوي على متنوعات العلوم وشتى المسائل وحوادث سياسية واجتماعية، وله رسائل صوفية. توفي بقرية الحزم سنة ١١١٣هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ٦٤ ـ ٦٥).

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ٦٦).

يعقوب اختار المكلا في ساحلها، وهذا يدل على الأثر الخارجي الذي كان له دور في التمهيد لدخول التصوف إلى حضرموت، الذي بلغ ذروته في عصر الفقيه المقدم وما بعده.

وقد قدم يعقوب هذا ـ جد آل باوزير ـ من العراق إلى المكلا، وتفرق أبناؤه في جميع أنحاء حضرموت، وكانت له مكانة، وله ضريح مشهور بحضرموت[١].

وهذه المرحلة هي من أنشط مراحل التصوف في حضرموت، فقد ظهرت آثارها بشكل ملحوظ وأنشط من ذي قبل، وكذا فقد عرفت هذه المرحلة شخصيات كان لها الأثر الكبير في نشر التصوف بما يحمله من انحرافات عقدية أثرت على الناس في حضرموت ولا تزال آثارها باقية إلى اليوم والله المستعان.

< سالم بن بصري العلوي (ت٦٠٤هـ):

هو سالم بن بصري العلوي: ولد بتريم، ودرس على الشيخ سالم بافضل، وطبقته من آبائه وبني عمومته من آل أبي علوي[٢].

يعتبر سالم بن بصري من أعيان صوفية حضرموت قبل بروز التصوف في حضرموت بشكل كبير، وبصورته الواضحة التي شملت بلدان حضرموت وغيرها، فقد ذكروا أن الفقيه المقدم أخذ عنه التصوف والحقائق[٣]. وكون الفقيه المقدم يأخذ منه التصوف يدل على علم سالم بن بصري بعلوم الصوفية وحقائقهم، لكن لم يكن له دور كبير ـ كما أسلفنا ـ مثل الفقيه المقدم الذي أظهر علوم القوم بقوة ودعا إليها، فظهرت شطحاته وانحرافاته في أقواله

(١) المختصر في تاريخ حضرموت العام، لبامطرف (ص١٣٢).

(٢) انظر ترجمته في: المشرع (٢/ ٢٥٤ ـ ٢٥٧)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي (١/ ١٩٩)؛ وتاريخ الحامد (٢/ ٤٧٦)؛ وحاشية أدام القوت (ص٨٩١)، ط المنهاج.

(٣) انظر: شرح العينية (ص١٣٩)؛ وكتاب عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية، لعيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي (٢/ ١٢٦). طبع باهتمام أبي بكر بن حسن بن أبي بكر العطاس الزبيدي، بدون تاريخ.

وأفعاله باسم الحقائق والوصول إلى التجليات والواردات الربانية التي وردت عليه، ونحو ذلك من ترهات الصوفية التي شحنوا بها كتبهم، لتدل على مدى الانحراف الذي وصلوا إليه، والله المستعان.

كما كانت لابن بصري رحلات إلى الحجاز واليمن[١]، ولا شك أن لهذه الرحلات الأثر في الالتقاء بالناس لا سيما أهل التصوف في زبيد وغيرها من المدن التي سبقت حضرموت في التصوف والتأثر بهم في الفكر والتوجه.

وقد غلا القوم فيه حتى جعلوه أعظم شخص في تريم في عصره، وأنه عين الوقت والزمان[٢] مستدلين بقصة ذكروها مفادها أن والي تريم طلب إحضار أعظم علمائهم لما كان يفتخر كل شخص بصاحبه، فوقع الاختيار على سالم بن بصري، فأراد السلطان فتنته بإحدى النساء الجميلات، فدخلت عليه فتعلقت به فضربها بنعله فأصيبت بالجذام في جسمها بكل ضربة وقعت فيها، ثم تاب السلطان من فعله عندما رأى هذه الكرامة لسالم فاعتذر إليه، وقال له: يا شيخ هذه البنت أصابها ما ترى من عقوبتك فعساك تبرئها فأخذ الشيخ ماء وقرأ عليه ما تيسر وتفل فيه ومسح به جسد البنت فبرئت[٣].

وكانت وفاته بتريم سنة (٦٠٤هـ).

> **علي بن محمد بن جديد العلوي (ت٦٢٠هـ):**

ذكروا عنه أنه قام برحلة طويلة لأخذ العلوم والمعارف فأقام باليمن والحرمين والشام والعراق وغيرها، حتى ذكروا أن شيوخه قد بلغوا نحو الألف[٤].

وقد بالغ القوم في الثناء عليه، حتى قال فيه صاحب كتاب الغرر: لسان الملة الحنيفية الزهراء، والطريقة والحقيقة الكبرى، بلغ رتبة الاجتهاد المطلق

---

(١) شرح العينية (ص١٣٩). وانظر: أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ٢٠٠).
(٢) انظر: الغرر (ص١١٤).
(٣) انظر القصة في: الجوهر الشفاف (١/ ٥٨ ـ ٦٠)؛ الغرر (ص٣٣٩)؛ والبرقة المشيقة (ص٦٨ ـ ٦٩)؛ المشرع الروي (٢/ ١١١).
(٤) انظر: المشرع الروي (٢/ ٢٣٤)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي (١/ ٢٠٦).

والإمامة، وعدوه من الأوتاد[١]»[٢].

وقال فيه صاحب المشرع الروي: «شيخ الإسلام وعمدة العلماء وحجة الله تعالى على الأنام»[٣].

ويظهر تصوف ابن جديد من خلال أخذه عن بعض صوفية البلدان التي زارها، حيث ذكروا رحلته إلى اليمن وأخذه عن الصوفي مدافع بن أحمد المعيني ـ أحد تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ الطريقة الصوفية[٤].

وكذلك فقد اتجه ابن جديد بعد موت شيخه مدافع إلى زبيد وتتلمذ عليه هناك عدد من صوفيتها منهم: محمد بن إسماعيل الحضرمي[٥] والد إسماعيل الحضرمي وغيره[٦].

ومن هذا النص يتضح أثر ابن جديد في التصوف وعلاقته بصوفية زبيد، تلك البلد التي دخلها التصوف قبل حضرموت، وكان التصوف فيها على أشده، فقد ظهرت فيها أفكار غلاة الصوفية كابن عربي والحلاج وتبناها أكبر علمائها، لذا كان لهذه العلاقة بمتصوفة زبيد الأثر في زرع بذور التصوف في حضرموت على يد هؤلاء العلويين.

---

(١) الأوتاد عند الصوفية: هم الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع من العالم (الشرق والغرب والشمال والجنوب) يحفظ الله تعالى بهم تلك الجهات لكونهم محل نظره. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية، للكاشاني (ص٥٨).

(٢) الغرر (ص٣٤٠).

(٣) المشرع الروي (٢/ ٢٣٣).

(٤) انظر: الغرر (ص١٢٠)؛ وشرح العينية (ص١٤٠)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي (١/ ٢٠٨)؛ وتاريخ حضرموت للحامد (٢/ ٧٠٣).

(٥) هو محمد بن إسماعيل الحضرمي، من صوفية زبيد، وهو والد الصوفي الكبير إسماعيل الحضرمي، ومن أصحاب الصوفي أبي الغيث بن جميل، حكيت له كرامات كما في طبقات الخواص. له مؤلفات منها كتاب المرتضى اختصر فيه كتاب شعب الإيمان للبيهقي. توفي بقرية الضحيَ جنوبي الزيدية سنة ٦٥١هـ. انظر: طبقات الخواص (ص٧٨ ـ ٨٠)؛ والروض الأغن (٣/ ٣٢).

(٦) المشرع الروي (٢/ ٢٣٦)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي (١/ ٢٠٩).

> **أحمد بن علوي بن محمد صاحب مرباط (ت٦٥٠هـ):**

هو أحمد بن علوي بن محمد صاحب مرباط العلوي، من شيوخ صوفية حضرموت[(١)].

يعتبر هذا الرجل من صوفية حضرموت قبل ظهور الفقيه المقدم ـ مؤسس التصوف بحضرموت ـ فقد قالوا عنه إنه تصوف قبل الفقيه المقدم، جاء في كتاب غرر البهاء الضوي ذكر أسبقية أحمد بن علوي في التصوف: «وتصوف بعده ابن عمه الفقيه المقدم المذكور محمد بن علي، وذكره أرباب التواريخ وأثنوا عليه، وقالوا إنه أول متصوف من آل أبي علوي وذكره ابن حسان[(٢)]»[(٣)].

وقد ذكر المؤرخون أخذ الفقيه المقدم التصوف عن صاحب مرباط وغيره[(٤)].

ويقول صالح بن علي الحامد: «ومع كون الأستاذ الفقيه المقدم هو الذي فتح لأهل حضرموت باب التصوف على مصراعيه وأنار لهم السبيل لسلوك تلك الطريقة. فلم يكن هو أول متصوف في بني علوي. إذ كان أول متصوف منهم هو الشريف الصالح أحمد بن علوي بن محمد صاحب مرباط. وهو ابن عم الأستاذ الفقيه وتوفي الشريف المذكور في عُشْر الخمسين بعد الستمائة»[(٥)].

---

(١) انظر ترجمته في: المشرع الروي (٢/ ٧٣).

(٢) هو عبد الرحمن بن علي حسان، ولد سنة ٧٥٠هـ وسكن ريدة المشقاص بحضرموت، من مؤلفاته: شرح جامع المختصرات، ونكت على المهذب، وتاريخ ابن حسان. وتوفي سنة ٨١٨هـ. انظر: جواهر تاريخ الأحقاف (٢/ ١٥٧)؛ عقود الألماس (ص٥٢)؛ تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ٧٤)؛ والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص١٣٦)؛ والروض الأغن (٢/ ٢٢ ـ ٢٣).

(٣) غرر البهاء الضوي (ص١٣٣). وانظر: المُعلِّم عبد الحق، لمحمد بن عبد القادر بامطرف (ص٧٣).

(٤) انظر: المشرع الروي (٢/ ٧٣)؛ وإدام القوت (ص٤٢٩).

(٥) تاريخ حضرموت لصالح الحامد (٢/ ٧١٥).

❁ المطلب الثاني ❁

أعلام الصوفية في حضرموت من عهد محمد بن علي المشهور بالفقيه المقدم (ت٦٥٣هـ) إلى قرب عهد السقاف

وتعد هذه المرحلة مرحلة التصوف الحقيقي الذي بثّ رجاله فكره وعقائده المنحرفة إلى عموم بلاد حضرموت، ثم انتشاره بعد ذلك إلى البلدان الأخرى التي كان لصوفية حضرموت أثر واضح عليها. ومن رجال هذه المرحلة:

➢ **محمد بن علي المشهور بالفقيه المقدم (ت٦٥٣هـ):**

ويعتبر الفقيه المقدم مؤسس التصوف في حضرموت، والذي ينتسب في خرقة التصوف إلى أبي مدين شعيب التلمساني المغربي[١].

وللفقيه المقدم طريقان في أخذ التصوف أولهما: سلسلة العلويين رواها عنهم عن الجد. والطريق الثاني: طريق لبس الخرقة الصوفية، وهذه أخذها من شعيب أبي مدين بواسطة عبد الرحمٰن المقعد وعبد الله الصالح المغربيين وأبو مدين أخذ الخرقة عن أبي يعزى المغربي[٢] .... إلخ الإسناد[٣].

وقد دخل التصوف إلى حضرموت ـ كما يقول مؤرخو حضرموت ـ بصورة واضحة عند إرسال أبي مدين التلمساني المغربي رسوله عبد الرحمٰن

---

(١) انظر: الجزء اللطيف، لأبي بكر بن عبد الله العيدروس العدني (ص٢٢٢) (ضمن المجموعة العيدروسية).

(٢) هو داود بن ميمون الهزميري، الهسكوري، أبو يعزى المغربي من صوفية المغرب في القرن السادس أخذ التصوف عن أيوب بن سعيد الصنهاجي، وهو شيخ أبي مدين التلمساني. قال عنه الشعراني (انتهت إليه تربية المريدين الصادقين بالمغرب، وتخرج بصحبته جماعة من أكابر مشايخها وأعلام زهادها). توفي سنة ٥٧٢هـ. انظر: الطبقات الكبرى المسماة: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، للشعراني (١/١٣٦)، ط ١٤٠٨هـ، دار الجيل ـ بيروت؛ والطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، لعامر النجار (ص٨٢). ط٦، دار المعارف ـ القاهرة.

(٣) البرقة المشيقة (ص٣٧)؛ تاريخ حضرموت، للحامد (٢/٧٢٩).

المقعد إلى حضرموت لإعطاء الخرقة لمحمد بن علي الفقيه المقدم: «وجاء إليه رجل من أهل الشام وقال: ما جئت إلا لأجلك ولكني وجدت عبد الرحمن المقعد جاثماً على قلبك، فلو اجتمع أهل المشرق والمغرب أن يفكوه من قلبك ما قدروا فإذا جاء فتحَكَّم له فهو رجل مكتسب وأنت رجل ذو نسبة فقال الأستاذ: ما هذه النسبة فقال: سدرة المنتهى»[(١)].

وقد نصب عبد الله الصالح المغربي الفقيهَ المقدم كشيخ مشايخ الصوفية بوصية له عند اقتراب أجل المغربي[(٢)].

وقد وصفه الشلي بأنه خاتم الأولياء الذي بلغ مقام الوراثة المحمدية وهو مقام القطبية الكبرى[(٣)].

ويعد زمن محمد بن علي باعلوي الملقب بالفقيه المقدم هو زمن نشوء التصوف الفعلي بحضرموت، حيث كان له الدور الكبير في نشر التصوف الفلسفي، وهو أكبر شخصية غلا فيها المتصوفة من بعده[(٤)]، وهذه الشخصية هي نقطة التحولات في تاريخ حضرموت حيث نافس التصوف طريق الفقهاء الذي عرفته حضرموت وتميزت به قبل التصوف.

وادعوا أنه نودي بالتصوف من قبل الله تعالى حيث قيل له: «يا فقيه محمد بن علي اترك ما أنت عليه من الظواهر وأقبل علينا نواصلك ونواليك فإن لك فينا مراداً ولك منا ازدياداً»[(٥)].

بهذه المناداة المزعومة تُرِك الفقه وطريقة الفقهاء واعتيض عنها بطريق التصوف الذي حاد بأهل حضرموت عن جادة الحق.

ومن تعظيمهم لهذا الرجل تلقيبه بـ: «مفتي الفريقين وقدوة أهل الطريقين»[(٦)].

---

(١) ظهور الحقائق (ص٧٨).
(٢) انظر: عرائس الوجود (ص٢٠ ـ ٢١).
(٣) المشرع الروي (٢/٣).
(٤) انظر عبارات الإطراء والغلو في الفقيه المقدم: الجوهر الشفاف (١/٧٧)؛ ووصفه صاحب الغرر (ص١٤٥ ـ ١٤٦) بستين وصفاً؛ والمشرع الروي (٢/٢ ـ ٣).
(٥) الجوهر الشفاف (١/٧٧).
(٦) المصدر السابق.

وكان سعد بن علي الظفاري[١] الملقب بتاج العارفين الذي كان له اطلاع على التصوف وأسراره وغموضه، ويؤكد ذلك مراسلات الفقيه المقدم له وعرض له بعض الإشكالات، يقول عبد الرحمٰن الخطيب: «فلما أن منَّ الله على الشيخ محمد بجزيل العطيات، وترادفت عليه الواردات، وتضاعفت عليه المنازلات، وأشرقت عليه شموس أنوار العنايات وتحققت عنده عظيم المعارف والتجليات، فصار يكتب إلى الشيخ تاج العارفين ومعدن الصادقين المعروف بسعد بن علي الظفاري المدفون بالشحر»[٢].

وكان من أغراض هذه المراسلة طلب الفقيه المقدم من سعد الظفاري أن يشرح له الواردات التي ترد عليه[٣].

ويعتبر الفقيه المقدم صاحب مدرسة لها فلسفتها وغموضها حتى قال فيه عبد الرحمٰن الخطيب: «وقال بعض المشايخ ـ الجامعين بين علمي الظاهر والباطن ـ: بهرت أحوال الشيخ الفقيه محمد بن علي علوي ﷺ، جميع المشايخ من أولياء زمانه فما فسروا منها بتفسير يعتمد عليه»[٤].

فهو كما أسلفنا حامل راية التصوف المشئوم التي لا تزال آثاره السيئة إلى يومنا هذا، يقول عبد الرحمٰن الخطيب: «وكان أهل تريم إذ ذاك أهل علم وورع وزهد وتمسك بعلم الشرع وعملاً به، ولم يكن في ذلك الزمان من يعرف طريق الصوفية، ولا من يكشف عن أحوالهم ويوضح إشكال وارداتهم

---

(١) هو سعد بن علي الظفاري الشحري، ونسبه يرجع إلى الجحافل وهم من مذحج، من كبار الصوفية، مولده ونشأته في (ظفار)، وبها أخذ العلم عن محمد بن علي صاحب مرباط. ومن شيوخه أيضاً: عبد الله الأسدي، الآخذ عن ابن الحداد، الآخذ عن عبد القادر الجيلاني، ومن تلاميذه الفقيه محمد بن علي باطحن الظفاري، وقد كتب ترجمة لشيخه سعد، وأورد فيها بعض مكاتبات جرت بينه وبين الفقيه المقدم، ولباطحن المذكور شرح على هذه الرسائل. وتاريخ وفاته كما نقله باحسن عن باطحن (٦٠٧هـ)، وليس (٦٠٩هـ) كما ذكر ابن عبيد الله. انظر: «تاريخ الشحر» لباحسن (٢/ ١٣٨ ـ ١٤٢)؛ وإدام القوت (ص٢٠٢ ـ ٢٠٣ والحاشية رقم (٥).

(٢) الجوهر الشفاف (١/ ٧٨).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق (١/ ٨٠).

ومنازلاتهم»[١].

وعن آراء الفقيه المقدم ومعتقداته فقد «اعتنق فكرة الزهد للتعبير عن الناحية العملية في تصوفه، إلّا أن النواحي النظرية والآراء الصوفية كانت من صلب معتقداته، وهذا ما جعل منه من أهم شيوخ المتصوفة في حضرموت لاعتناق آراء العشق الإلهي، والحلول والاتحاد، وهي من صلب الأفكار الصوفية الرئيسية التي اعتنقها أبرز مشائخ الصوفية، أمثال البسطامي، والجنيد، وشكلت عند الحلاج عقيدة يؤمن بها بكل صراحة وإصرار»[٢].

وقد نقل صالح الحامد في تاريخه بعضاً من مناقب الفقيه المقدم من كتب القوم ثم قال بعد ذلك إن هذه النماذج: «معربة عن كونه بلغ في الصوفية مبلغاً تنقطع دونه الأعناق وتغبر دونه وجوه السبق العتاق»[٣].

ولم يذكروا له مؤلفات سوى رسائل منها: بدائع علوم المكاشفات والتجليات[٤].

وقد عقد الفقيه المقدم مجالس بثَّ فيها أفكار التصوف والحقائق[٥]، وقد بيّن صالح الحامد أثر الفقيه المقدم بنشره للتصوف بحضرموت فقال: «وقد بلغ من سعة تأثير هذا الإمام على وطنه؛ أنه بتصوفه صار أهل حضرموت إلى صوفية في مدة غير بعيدة، وبالرغم أنهم لا يشتغلون إلا بالفقه والحديث وما كانوا قبل يعرفون طرق التصوف وأصبح المتنورون وفي مقدمتهم العلويون صوفية بكل ما في كلمة التصوف من معنى»[٦].

فالفقيه المقدم هو الذي فتح لأهل حضرموت باب التصوف على

---

(١) الجوهر الشفاف (١/ ٧٨).

(٢) عمر بامخرمة السيباني حياته وتصوفه وشعره (ص٤٠).

(٣) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧١٣).

(٤) انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ١٧٢)؛ ومعجم المؤلفين (٣/ ٥٤٤)، ط١، ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت. وانظر: كلام الشلي على كتابة الفقيه المقدم رسائل دون تأليف الكتب، وأن ذلك من تواضعه: المشرع الروي (٢/ ٣).

(٥) انظر: المشرع الروي (٢/ ٥).

(٦) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧١٥).

مصراعيه[١].

وقد كان يكتب الرسائل في التصوف، ويرسلها لبعضهم، حتى أن سفيان اليمني ـ من كبار صوفية اليمن ـ قال عنه عندما قرأ رسائله إنه أوتي مفاتيح أسرار التصوف لما اشتملته من الرموز والإشارات التي لا يوفق لحلها إلا كبار المتصوفة[٢].

وقد قدّمه متصوفة حضرموت على كبار العلماء الذين يجلهم المتصوفة في جميع البلدان التي ينتشر فيها التصوف؛ كعبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول محمد بن علي خرد باعلوي[٣] في قصيدة له:

تصرف شيخ في الوجود معظَّم ... على السادة الأشياخ أهل المعارفِ
على السيد الشيخ الفتى عبد قادر ... ومعروف الكرخي منج لتالفِ
وقيس[٤] عقيل المنبجي[٥] وشيخنا ... لتصريفه لا يصرفون لصارفِ
وتصريفهم في كل شيء محقق ... سوى في جمال الدين[٦] عين لواقفِ[٧]

ويعتبر الفقيه المقدم من أهل الشطحات الخطيرة التي تشبه كلام أهل وحدة الوجود ـ كما سيأتي ـ، وتعتبر هذه العقيدة الخطيرة هي غاية الوصول

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٧١٥).
(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٧٢٧).
(٣) هو محمد بن علي بن علوي خِرِد باعلوي، من صوفية حضرموت، ولد بتريم سنة ٨٩٠هـ وتوفي سنة ٩٦٠هـ. من مؤلفاته: النفحات في التصوف، وغرر البهاء الضوي في مناقب السادة بني بصري وجديد وعلوي، والوسائل في الحديث. انظر: تاريخ النور السافر (ص٢٥٢)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٤٣)؛ وعقد اليواقيت (٢/ ٩٦).
(٤) وقال بعد أبيات (قوله: وقيس صوابه حيوة)، وهو حيوة أو حياة بن قيس الحراني، صوفي، يعتقد فيه الصوفية أنه أحد الأربعة الذين يتصرفون في قبورهم بأرض العراق. سكن حران واستوطنها إلى أن مات بها سنة ٥٨١هـ. انظر: الطبقات الكبرى، للشعراني (ص٢١٣ ـ ٢١٤).
(٥) هو عقيل المنبجي، من مشايخ الصوفية في الشام في القرن السادس، تخرج على عدي بن مسافر، وهو أول من دخل بالخرقة العمرية إلى الشام، وأخذت عنه. سكن منبج واستوطنها نيفاً وأربعين سنة، وبها مات. انظر: الطبقات الكبرى، للشعراني (١/ ١٩١)، ط دار الفكر.
(٦) جمال الدين من الألقاب التي أضفوها على الفقيه المقدم.
(٧) الغرر (ص١٥٤).

لأعلى درجات الأحوال عندهم، وذلك بعد مرورهم بالبقاء بعد الفناء[١] حيث تغمرهم الأنوار الربانية في استغراقهم في ذكر الله تعالى فيصابون بالاصطلام[٢] والذهول فتختلط عليهم الأمور وتتشابه فيصبح الذاكر والذكر والمذكور واحداً، وهو حال يسمونه البقاء بعد الفناء كما ذكر الشلي عن محمد بن علي الفقيه المقدم قوله: «ووردت على الأستاذ واردات وتجليات جليلات ربانيات أخذته عن نفسه وغاب عن حسه... ويحكى أنه قيل له وهو في تلك الواردات: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ فقال: ليس لي نفس، فقيل له: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ فقال: ما أنا عليها، فقيل له: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ فقال: أنا من نور وجهه، وسمع أعرابياً يقول: هل محمد بن علي هو الله، فقال: أنا الله وخرّ مغشياً عليه، وقال: ما لي حاجة إلى محمد ومحمداه»[٣].

وقد توسل أهل حضرموت بقبره واستغاثوا به، وقد نُعت قبره بأنه يستسقى به كل من أجدب، ويستشفى به من كل وجع وعطب[٤].

◄ **سعيد بن عيسى العمودي (ت٦٧١هـ):**

ويعتبر من رجال التصوف الأوائل الذين تحكّموا للمغربي الذي أرسله أبو مدين التلمساني إلى حضرموت[٥].

وقد ذكر من كتب عن التاريخ الحضرمي أن سعيد بن عيسى العمودي: «أحيى الله به هذه الطريقة الصوفية، وأظهرها على يديه في هذه الجهة الدوعنية ونواحيها بعد أن لم يكن لها وجود، لأهلها منها مطلع وشهود»[٦].

ومن آثار العمودي ما جاء في كتاب (سلسلة أعلام حضرموت، الشيخ

---

(١) انظر: الكلام على الفناء عند صوفية حضرموت (ص٨٦٨) من هذا البحث.
وأما البقاء عند الصوفية فيعرفونه بأنه: بقاء العبد بقيام الله له في قيامه لله قبل قيامه لله بالله. وقيل يفنى عما له ويبقى بما لله. انظر: معجم مصطلحات الصوفية، للحفني (ص٣٥)؛ وعوارف المعارف (٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥١).

(٢) الغرر (ص١٥٤).

(٣) المشرع الروي (٢/ ٩).

(٤) المناقب، لعبد الرحمن الحامد (ص٧٣).

(٥) انظر: إدام القوت (ص١٨٧).

(٦) ترجمة د. سعيد عبد الخير النوبان لمصادر التاريخ الحضرمي (ص٣٥).

سعيد بن عيسى العمودي) تحت عنوان: «سلالات آل العمودي وتفرقهم في البلدان»: «ظهرت منذ القرن السادس الهجري لأسرة آل العمودي مكانة اجتماعية وصولة وسلطنة في وادي حضرموت وما جاورها من الأودية والبلدان، وكان أساس هذا النفوذ وقاعدته مظهر الشيخ سعيد بن عيسى العمودي... مجاوراً ومساعداً ومسانداً لمظهر وأثر وسلطنة الفقيه المقدم، وبهذا النفوذ الروحي والموقف الاجتماعي الديني انتشر المنهج الصوفي المتميز، وظهرت المدرسة العلوية، والطريقة العمودية، في كافة المدارس والزوايا والمساجد، متمثلة في أساليبها الخاصة، ووسائلها المألوفة... ومنها:

١ ـ نظام الحلقات العلمية لدراسة المذهب الشافعي وقراءة كتب الذوق.

٢ ـ إقامة الحضرات والأذكار والمولد.

٣ ـ الاهتمام بالمجاهدة للنفس ومن خلال الأخذ بالعزائم في الشرع»[١].

ويلاحظ أنه إلى زمن العمودي والتصوف أظهر وأقوى، وبسبب الغموض في تاريخ حضرموت ـ كما تقدم ـ فإن هناك بعض الفترات الزمنية لم يبدو فيها مدى الأثر للتصوف حتى جاء القرن التاسع وظهرت فيه شخصيات صوفية كان لها أثر في نشر التصوف كما سيأتي.

⊲ مزاحم بن أحمد بامزاحم الحضرمي (ت٨١٧هـ):

يعتبر هذا الرجل من الصوفية الذين تسربت إليهم أفكارُ الحلاج، فقد كان يتردد إلى زبيد للاجتماع بإسماعيل الجبرتي، واستعار منه كتاب (الفتوحات المكية) لابن عربي الطائي ونقله في مدة قريبة[٢].

ويعد إسماعيل الجبرتي من الذين نشروا التصوف في اليمن في بلاد

---

(١) سلسلة أعلام حضرموت (الشيخ سعيد بن عيسى العمودي)؛ لأبي بكر بن علي المشهور (ص٢٨).

(٢) انظر: الصوفية والفقهاء في اليمن (ص٧٨)؛ والفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٢٤).

زبيد، وكان من المروجين لكتب ابن عربي، وله طريقة صوفية قائمة على أفكار ابن عربي، وقد كان من المقربين للدولة الرسولية التي حكمت اليمن أنذاك، قال عنه الحافظ ابن حجر: «كان محباً في مقالة ابن عربي، وكنت أظن أنه لا يفهم الاتحاد، حتى اجتمعت به فرأيته يفهمه ويقرره ويدعو إليه، حتى صار من لم يُحصِّل لكتاب الفصوص من أصحابه لا يلتفت إليه»[١].

دور تلاميذ الفقيه المقدم في نشر التصوف:

وقد تتلمذ على الفقيه المقدم عدة تلاميذ، وكان لبعضهم دور في نشر التصوف في حضرموت وذلك بنشر المؤلفات الداعية للتصوف، أو بنشر التلاميذ ونحو ذلك من الوسائل التي استخدمها القوم لنشر شركهم وبدعهم في بلاد حضرموت، وفي غيرها من البلدان التي وصلوا إليها.

من أشهر أولئك الذين أخذوا عن الفقيه المقدم ثم نشروا التصوف من بعده:

◄ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن عبّاد المشهور بالقديم (ت٦٨٧هـ):

هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن عبّاد المشهور بالقديم[٢]، من كبار صوفية حضرموت في وقته، وهو من أكبر الدعاة لزيارة القبر المزعوم لهود عليه السلام[٣]، يقول الشرجي عنه: «قصد مرة زيارة قبر النبي هود عليه السلام في نحو

---

(١) أنباء الغمر (٥/١٦٣). وانظر: الفكر الصوفي عند الجيلي، ليوسف زيدان (ص٣٧)، ط ١٤٠٨هـ، دار النهضة العربية ـ بيروت. وهكذا يقال في صوفية حضرموت، فإنهم يذكرون عبارات في وحدة الوجود مقتبسة من كلام ابن عربي ثم يحاول الخلف أن يجدوا لها مخارج منها: أن ذلك الكلام من الشطحات، أو أنه في حالة سكر، أو أن معناها لا يفهمه غيرهم، أو تأويل الكلام ونحو ذلك، ولا يستبعد اعتقاد الوحدة عندهم لاهتمام كبارهم بكتب ابن عربي والحلاج كما سيأتي عن أبي بكر العيدروس وغيره من المعظمين لكبار زنادقة الصوفية، بل وتدرس كتبهم على المريدين.

(٢) انظر ترجمته في: طبقات الخواص (ص١٧٦ ـ ١٧٩)؛ وإدام القوت (ص٦١٠، ٦١١).

(٣) وهو قبر مزعوم لنبي الله هود عليه السلام يقع شرق تريم، في واد بقربه نهر جار طوال السنة يسمى (نهر هود عليه السلام)، وهذا القبر المزعوم أشهر القبور في حضرموت، وأكثرها زوارا وفضائل؛ إذ تقام له زيارة سنوية في شهر شعبان، وتفد إليه الناس من بلدان حضرموت المختلفة، وكذا =

ألف وخمسمائة نفس»[١].

ويعتبر «القديم» من أكثر الآخذين عن الفقيه المقدم[٢]، وكذلك أخذ عن أحمد بن الجعد الأبيني[٣] الذي ينتمي إلى الطريقة القادرية، قال الشرجي[٤]: «رحل إلى الشيخ أحمد بن الجعد وأخذ عنه اليد، وانتفع به في طريق الصوفية وعلومهم، ولقي أبا الغيث بن جميل[٥] وغيره من الأكابر وانتفع بهم، وكان انتماؤه إلى ابن الجعد»[٦].

وكان له جاه كبير ساهم في نشر التصوف لا سيما في الناحية الغربية والساحلية من حضرموت، وذلك بعد وفاة شيخه الفقيه المقدم[٧].

وقد قام كذلك بالترتيب والتوقيت للزيارة حيث جعلها بعد الفراغ من شؤون حصاد التمر، وأصبح تقليداً متبعاً أن يكون المشايخ آل باعباد أول

= من خارجها، ولترويج هذه الزيارة الشركية والبدعية فقد ذكروا من فضائل هذه الزيارة أن من زار هود سبع مرات بمنزلة حجة!. انظر: إدام القوت (ص١٠١٧ وما بعدها)، ط المنهاج.

(١) طبقات الخواص (ص١٧٧).

(٢) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٢٢١)، ط١، دار الطباعة الحديثة ـ القاهرة، والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص١٢٩).

(٣) هو أحمد بن أبي الجعد الأبيني، صوفي كبير من صوفية زبيد، له حكايات وكرامات تروجها الصوفية على الناس، من مؤلفاته: كشف الأسرار للأعيان الخيار (الدر المنير) توفي نحو سنة ٦٩٠هـ. انظر: طبقات الخواص (ص٧٢ ـ ٧٤)؛ وطبقات صلحاء اليمن (ص٧٢).

(٤) هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، من صوفية زبيد باليمن، ولد سنة (٨١٢هـ). من مؤلفاته: التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، وطبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، والجواب الشافي في الرد على المبتدع الجافي. وتوفي سنة ٨٩٣هـ. انظر: الضوء اللامع (٤/ ٣٢٢)؛ وكتاب هجر العلم ومعاقله في اليمن، للأكوع (٢/ ١٠٤٣ ـ ١٠٤٤).

(٥) هو أبو الغيث بن جميل: صوفي كبير، وكان أصله من الموالي، من مشايخه علي بن أفلح الصوفي توفي سنة ٦٥١هـ، جمع كلامه أحد تلامذته قال الشرجي في وصفه: «مجموع في قدر مجلد لطيف عندي نسخة منه». انظر في ترجمته: مرآة الجنان، لليافعي (٤/ ١٣٦)؛ والعقود اللؤلؤية للخزرجي (١/ ١٠٧)؛ وطبقات الخواص (ص١٨٧)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٢٢).

(٦) طبقات الخواص (ص١٧٦ ـ ١٧٧).

(٧) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (ص٧٨٤).

الذاهبين إلى زيارة النبي هود عليه السلام[١].

يقول عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف عند التعريف ببلدة الغرفة: «بها فقراء صالحون يعرفون بآل باعبَّاد، ومن مشائخهم الكبار ومشاهيرهم: الشيخ الكبير العارف بالله عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن باعبَّاد، وهو أول من اشتهر بالتصوف بحضرموت»[٢].

قال عنه ابن عبيد الله: «كان للشيخ عبد الله القديم ولذريته من بعده تعلُّق عظيم بالعلويين، وسمعت من بعض المشائخ أنهم أول من سنَّ تقبيل أيدي العلويين بحضرموت»[٣]، وقال أيضا: «وقال لي بعضهم أن آل باعباد هم الذين حملوا الناس على دعائهم بالحبيب، وعلى تقبيل أيديهم لا على تقبيل أيدي العلويين، وأنهم لا يزالون على ذلك بين أتباعهم إلى اليوم»[٤].

وهذه الآثار التي قام بها آل باعبّاد كان من أسباب رواجها في المجتمع هو جاههم الكبير الذي كان يتمتعون به قبل تمكّن العلويين وتقدمهم عليهم[٥].

وقد روج القديم لشيخه الفقيه المقدم حيث كان يقول عن شيخه: «ما تمضي على الفقيه محمد بن علي ساعة إلا وهو سكران من حُمَيّا[٦] محبة الله الرحمٰن الرحيم»[٧].

ويزعم أن شيخه يشفع يوم القيامة في قبيلة نهد[٨].

---

(١) تاريخ حضرموت، للحامد (١/ ٦٩)؛ وزيارات وعادات (زيارة نبي الله هود)، لعبد القادر بن محمد الصبان (ص٢٥).

(٢) إدام القوت (ص٣٢٣)، ط الإرشاد. وهذا من الاضطراب في تحديد أول من اشتهر بالتصوف في حضرموت فقد تقدم أنه صاحب مرباط، وهنا ذكروا أنه القديم باعباد.

(٣) إدام القوت (ص٣٢٤).

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: الحكاية (٣٤٩) من الجوهر الشفاف.

(٦) الحُمَيّا: شدة الغضب، وأوله، ومن الكأس: سورتها وشدتها، أو إسكارها، أو أخذها بالرأس، ومن كل شيء شدته. القاموس المحيط (ص١٢٧٧). انظر كيف يفتخرون بذكر أوصاف الخمر ويعدون ذلك من مناقب مشايخهم، وكيف يشبهون أحوالهم بالسكارى ـ أعاذنا الله من ذلك.

(٧) المشرع الروي (٢/ ١٤٤).

(٨) شرح العينية (ص١٥٨). ونهد عبارة عن عدة قبائل موجودة بحضرموت منذ القرن السادس وهي: قبائل خيثمة، وظبيان، ومرة، ومعروف. انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٦٢١).

كما ذكروا عنه أنه من الدعاة إلى التوسل الشركي، فقد قال: «من وقع منكم في ضيق فليتوسل إلى الله تعالى بي ويدعوني فإني أحضركم أينما كنتم»[(١)].

وكذلك فقد كان له تلاميذ روجوا لدعوته الصوفية في مناطق مختلفة من حضرموت في سيحوت، وفي وادي بن علي، وفي عمد، وفي مريمة[(٢)] وغيرها من بلاد حضرموت[(٣)].

كما كان من آثاره ما ذكره القائمون على مقام باعباد في الغرفة بحضرموت في هذا الزمن من إحياء القديم لأراضي شعب هود وبناء مسجده عام ٦٤٤هـ، فورث آل باعباد هذه الأراضي إلى اليوم[(٤)]. ومن آثاره أيضا: السماع بالدف والأشعار في المحبة، والسلوك ليلة الخميس والاثنين راتباً ثم استمر عليها من بعده[(٥)]، وقد توفي بمسجد الحلة بالغرفة سنة ٦٨٧هـ، ودفن بمقبرة شبام[(٦)]، وتربته هناك من الترب التي يتبرك بها، وتقصد للزيارة من الأماكن البعيدة، وقد بنيت على قبره سقيفة[(٧)].

◄ علي بن محمد الخطيب (ت٦٤١هـ):

هو أبو الفتح علي بن محمد الخطيب المشهور بمولى الوعل، وصفه صاحب برد النعيم: بالقطب الغوث الفرد[(٨)]، وذكر له عدة كرامات[(٩)].

---

(١) طبقات الخواص (ص١٧٧).

(٢) مريمة: تقع جنوب شرق سيئون، وتبعد عنها نحو (٨) كيلاً. انظر: إدام القوت (ص٧٥٠ الحاشية).

(٣) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (ص٧٨٨). وقد نقل ذلك من كتاب «مناقب آل باعباد وأخبارهم». وانظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٦٢).

(٤) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٦٢).

(٥) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٨٧). (٦) انظر: المصدر السابق (٢/ ٧٩٠).

(٧) طبقات الخواص (ص١٧٩). وانظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٦٢).

(٨) القطب عند الصوفية له صفات كثيرة منها الغوثية والفردية وغير ذلك من صفات الرب تعالى ـ التي يرونها أعلى الدرجات التي يصل إليها الصوفي في الطريقة ـ وهو رجل واحد يزعمون أنه موضع نظر الله من العالم في زمان، ويسمى بالغوث باعتبار التجاء الملهوف إليه. وقيل: خلق على قلب محمد ﷺ، وقيل على قلب إسرافيل عليه السلام. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية، للكاشاني (ص١٦٢)؛ والمعجم الصوفي، للحفني (ص٢٠٢ ـ ٢٠٣).

(٩) انظر: برد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم، لمحمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب =

الملقب بصاحب الوعل، وقد وصفه محمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب الحضرمي[١] بالقطب الغوث الفرد، وإنسان عين الأستاذين ولسان الملكوت القدسي في عالم التمكين[٢].

ويقول أيضاً عند ذكر كرامات علي بن محمد الخطيب منها: «تفقير ملك حضرموت بأسرها وأبو ملوك غورها ونجدها، المكنى بلاأذهَم الثاني جد ملوك آل يماني بن لبيد الظني»[٣].

فمن هذا النص يتضح أثر علي الخطيب على أحد حكام حضرموت في إدخاله في دائرة التصوف، المسماة بدائرة الفقر.

وقد وردت أبيات شعرية لمحمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب في مدح صاحب الوعل هذا قال فيها:

واقصد إماما بالزيارة صادقاً ... تُعطَ من الخيرات ما لم يرمقا
وتنال في دنياك أشرف حالة ... بزيارة الشيخ الإمام الأوثقا
أعني به قطب العوالم كلها ... وإمام تربتنا ونوره مشرقا
ذاك المسمى بالفتوح علينا ... ابن الإمام محمد المتحققا

إلى أن قال:

أقسمت بالله الكريم وحقه ... ما زاره ملهوف مشغب محرقا
إلا انثنى مسرور محظياً بما ... يهواه من كل الأمور مروقا[٤]

توفي بتريم سنة ٦٤١هـ.

= (ص٤٢ ـ ٤٥). وانظر تصوف السلطان ابن يماني علي يد علي بن محمد الخطيب: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٥٠٤).

(١) هو محمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب: من علماء صوفية حضرموت، ولد سنة ٩٥٦هـ، وتوفي سنة ١٠٢٥هـ. من مؤلفاته: برد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم. انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ١٦٥)؛ والشواهد الجلية (ص٧٤)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٥٢٠).

(٢) انظر: برد النعيم (ص٤٢ ـ ٤٣).

(٣) المصدر السابق (ص٤٤).

(٤) المصدر السابق (ص٤٥).

> **علوي ابن الفقيه المقدم (ت٦٦٩هـ):**

هو علوي بن محمد بن علي العلوي، ولد بتريم، ومن الذين ادعت لهم صوفية حضرموت الكرامات الخارقة، بل ادعت لهم صفات الرب تعالى[(١)].

من الذين غلا فيهم صوفية حضرموت، فقد وصفه صاحب كتاب الغرر بأنه: «صاحب الأحوال الباهرة، والعلوم اللدنية، وممن أذن له في التصريف المطلق بإذن الله في الدنيا والبرزخ والآخرة، وشهد له المشايخ العارفون المكاشفون: أنه من الذين يتصرفون في قبورهم كما يتصرفون في حياتهم»[(٢)].

وقد غلا فيه القوم حتى قال عبد الرحمٰن بن علي العلوي: «إن العارفين قالوا: ثلاثة من آل أبي علوي لا تزال خيل حميتهم وإجابتهم مسرجة ملجمة، إذا ما دعوتهم ونوهت بأسمائهم حضروك وأنقذوك وأدركوك من كل خوف وفي كل مخافة، وفاح سر بركتهم، فمن دعاهم بصدق نية أجيب:

إذا خفت أمراً أو توقّعت شدة ... فنوِّه بهم كي يدركوك ويحضروا
فنوِّه بعلوي الفتى وابنه علي ... كذا عمر فيما يجل ويعسرُ
فغارتهم تنجيك من كل شدة ... وعُسرٍ وضيقٍ أو بصدرك يكبرُ[(٣)]

وقد جعله القوم معبودهم الذي يلجأون إليه عند الشدائد، ويستغيثون به لتفريج كربهم وإزالة ما حل بهم من الضر، يقول محمد بن علي خرد:

أنت الغياث لمن أتاك وعونه ... مهما دهاه من الشدائد موبق
أنت المنادى في الخطوب إذا طرت ... لغياثكم هو موقن ومصدق
وهو الصفي المرتضى بحر الصفا ... وهو الخضم الكامل المتحذق
الهادي لخيرات في تيه الردا ... المنجي الملهوف من هو موثق
فاقصد إلى ربع حواه وناده ... كي للبلاء تكفى تعان وتطلق
إذا ضقت ذرعاً أو خشيت مكدراً ... فيه فسل تعطى المنى وتوفق

---

(١) انظر: الغرر (١٥٩، ٣٧٣)؛ وشرح العينية (١٦٩، ١٧٣).

(٢) الغرر (ص١٥٩).

(٣) شرح العينية (ص٧٤١)؛ وانظر أيضاً: المشرع الروي (٢/ ٢١٢).

متصرفاً بحياته ومماته دنيا وأخرى والبرازخ تلحق
ذا القول يروى عن شيوخ سادة من المعارف حققوا وتحققوا[١]

وقد وصفوه كذلك بأنه: يحيي الموتى، ويبرىء الأكمه والأبرص، ويقول للشيء كن فيكون، ويميز الشقي من السعيد، وأن له العلوم اللدنية، والأسرار الإلهية، نافذ التصرف عالماً بالأسرار والاطلاع والتعريف[٢]. توفي بتريم سنة ٦٦٩هـ.

❁ المطلب الثالث ❁

أعلام الصوفية في حضرموت
من عهد السقاف إلى قرب القرن الثاني عشر

وتعتبر هذه المرحلة من المراحل المتميزة في تاريخ التصوف في حضرموت، وقد قاد هذه المرحلة أعلام قاموا بدور كبير في نشر التصوف، ومن أشهرهم:

➢ **عبد الرحمن بن محمد مولى الدويلة (السقاف) (ت٨١٩هـ):**

هو عبد الرحمن بن محمد بن علي مولى الدويلة، المشهور بالسقاف، ذكروا له تبجحاً بالكفريات والشطحات الكبيرة وكثيراً من الكرامات المنكرة، وادعوا له صفات الرب تعالى، وهو من الذين نشروا السماع البدعي المصحوب بالآت الطرب في المساجد[٣].

كان لهذا الرجل أثر فكري كبير في الحياة الفكرية والاجتماعية بحضرموت في عصره، فقد كان من رؤوس المتصوفة في حضرموت من نهاية القرن الثامن إلى بداية القرن التاسع الهجري، وقد اعتبره المؤرخ صالح الحامد صاحب الزعامة الدينية بعد الفقيه المقدم[٤].

---

(١) الغرر (ص١٦١).
(٢) انظر: الجوهر الشفاف (١/ ٦٢)؛ والغرر (ص١٦١، ١٦٣، ٣٧٣، ٣٧٥).
(٣) انظر: الغرر (ص١٨٨، ٣٩٦)؛ والمشرع الروي (٢/ ١٤١ ـ ١٤٧)؛ وشرح العينية (ص١٨٣).
(٤) تاريخ حضرموت (٢/ ٧٤٢ ـ ٧٤٤).

وقد كان السقاف من المتعلقين بكتب أبي حامد الغزالي، والداعين لقراءتها، حتى قال عن كتاب الإحياء: «كاد الإحياء يكون قرآناً» وقال: «من لم يقرأ الإحياء ما فيه حياء»[١].

ويقول صالح الحامد العلوي مبيناً تصوف عبد الرحمٰن السقاف: «أما التصوف فقد خاض في بحاره وضرب في أنجاده وأغواره حتى بلغ عين الحقيقة، وظهرت له خوارق عظيمة وكرامات باهرة، ذكر منها الشيخ الخطيب مائة كرامة أو أكثر، وأورد منها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن باوزير[٢] في التحفة النورانية مثل ذلك»[٣].

وهذا يدل على شدة الغلو عند القوم حيث أحصوا لعبد الرحمٰن السقاف هذه الكرامات، فإذا كان الخطيب قد ذكر له مائة كرامة، وصاحب الغرر ذكر له عشرات الكرامات وكذا صاحب المشرع ونحوهم، فهذا يدل على منزلة الرجل العالية في التصوف، ومدى الاعتقاد فيه من قبل مؤلفي الصوفية.

ومن آثار السقاف أيضاً إدخال السماع ـ وهو الإنشاد المصحوب بالدفوف والشبابات[٤] ـ في مسجده بتريم وسماه «الحضرة» أو راتب السقاف، وكان يترك راتباً أو ثلاثة إذا مات أحد آل أبي علوي[٥]، وقد استمر راتبه إلى اليوم[٦]. توفي بتريم سنة ٨١٩هـ.

---

(١) المشرع الروي (٢/ ١٤٤)؛ وانظر عن فضائل كتاب الإحياء عند القوم: كتاب (تعريف الأحياء بفضائل الإحياء)، لعبد القادر العيدروس (٥/ ٦، ٧، ٨).

(٢) هو عبد الله بن عبد الرحمن باوزير، أحد تلامذة عبد الله العيدروس ألف كتابه (التحفة النورانية في مناقب فاطمة الرضية وذريتها خير البرية)، وهو في مناقب شيخه المذكور واستطرد فيه إلى مناقب فاطمة رضي الله عنها. انظر: تاريخ حضرموت للحامد (١/ ٣٠٠)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٤٩٨).

(٣) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٤٦).

(٤) جمع شبّابة وهي آلة موسيقية ينفخ فيها فتصدر صوت وهي كالمزمار.

(٥) انظر: الجوهر الشفاف (٢/ ٦٨ ـ ٦٩)؛ الحكاية (٣٢٠).

(٦) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٤٦). وكذلك استمر راتب السقاف بعد صالح الحامد إلى يومنا هذا في كثير من مناطق حضرموت وغيرها ممن تأثر بصوفية حضرموت.

> **عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف: (ت٨٣٣هـ):**

هو عمر المحضار بن عبد الرحمٰن السقاف، صاحب الكرامات الكثيرة التي يرددها الناس إلى يومنا هذا، ولد بتريم، وكان من أصحاب المجاهدات الصوفية الغريبة، ومن المقدسين عند صوفية حضرموت، فقد دعوا الناس إلى دعائه والاستغاثة به عند الشدائد وذكروا عنه حكايات ومناقب في ذلك أضلوا بها كثيراً من الخلق(١).

يعتبر المحضار من علماء الصوفية، ومن الأولياء المخصوصين بمزيد الاهتمام، وذلك بذكر مناقبه وكراماته، وقد ساهم مع سلفه في فتح أبواب الشر في حضرموت وذلك بالتعلق بالقبور؛ لما له من المكانة عند صوفية حضرموت، يقول عنه أحمد بن زين الحبشي(٢): «وأخذ مجاوراً عند قبر هود بحضرموت شهراً، لم يأكل سوى رطل سمك»(٣). وقد ارتقى عمر المحضار في دائرة الصوفية حتى بلغ عند القوم مرتبة القطبية(٤).

وارتبط اسمه بكثير من الكرامات حتى قال الخطيب: «صاحب الأحوال الفاخرة والكرامات الظاهرة المشهورة قبل أن يولد»(٥) التي جعلت عامة الناس بتريم يتناقلونها، فأصبح على طرف لسان العامة في تريم حيث يستغيثون به عند المصيبة قائلين: يا عمر! يا محضار! يا بو عيشة!(٦).

---

(١) انظر: المشرع الروي (٢/١٤١).

(٢) هو أحمد بن زين الحبشي، ولد سنة ١٠٦٩هـ بقرية الغرفة وتلقى علومه على شيوخ الصوفية في عصره ومن أهمهم:
عبد الله بن علوي الحداد. توفي سنة ١١٤٥هـ من مؤلفاته المسلك السوي في جمع فوائد مهمة ملتقطة من المشرع الروي والنفحات السرية والنفثات الأمرية شرح القصيدة المنظومة العينية انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/٨٥)؛ وعقود الألماس (ص٣٦).

(٣) شرح العينية (ص١٩٤).

(٤) المصدر السابق (ص١٩٣).

(٥) الجوهر الشفاف (٢/١٥٨). هكذا الغلو يفعل بأصحابه حتى يجعلهم يهرفون بما لا يعرفون، انظر غلو الخطيب في المحضار وادعائه أن له كرامات وأحوال قبل ولادته!.

(٦) هكذا بالدارجة الحضرمية، وعائشة ابنة لعمر المحضار يكنى بها. انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٦٣).

وقال عنه محمد بن أحمد الشاطري: «وهو أعظم شيخ معتقد في عصره»[١].

ومن آثاره: إقامة نقابة للعلويين في حضرموت تحت ضمان حكام تريم، وهذه النقابة امتداد لفكرة الفقيه المقدم في تحقيق المكانة الاجتماعية التي يسعى لها العلويون لنشر فكرهم وهدفهم الذي يؤملون تحقيقه.

وقد أسست نقابة للعلويين بتريم، وكان عمر المحضار هو أول رئيس لها، ثم تولى بعد المحضار نقباء آخرون منهم العيدروس الأكبر (ت٨٦٥هـ)[٢]، وأحمد بن علوي باجحدب (ت٩٧٣هـ)[٣]، وزين العابدين الأكبر العيدروس (ت١٠٤١هـ)[٤][٥]. توفي بتريم سنة ٨٣٣هـ.

> **سلطانة بنت علي الزُّبَيدية (ت٨٤٧هـ):**

هي سلطانة بنت علي الزبيدية، من متصوفات حضرموت في أواخر القرن الثامن والنصف الأول من القرن التاسع ولدت سنة ٧٨٠هـ. تحكمت لعبد الرحمٰن السقاف، وابنيه عمر المحضار وأبو بكر السكران. وكذا لمحمد بن عبد الله باعباد، وذكروا عنها أحوالاً ومكاشفات صوفية، كانت تقيم

---

(١) سيرة السلف من بني علوي الحسينيين (ص٣٥).

(٢) هو عبد الله بن أبي بكر العيدروس، من كبار شيوخ صوفية حضرموت، ولد بمدينة تريم سنة ٨٢١هـ، وأخذ عن عمه عمر المحضار وتدرب به في سلوك الصوفية، ثم تلقى علومه على جمع كبير من الشيوخ. من آثاره: كتاب الكبريت الأحمر في التصوف، وشرح قصيدة الصوفي سعيد بالحاف، توفي سنة ٨٦٥هـ. انظر: الضوء اللامع (١٦/٥)؛ والمشرع الروي (١٥٢/٢)؛ وشرح العينية (ص٦٤٤)؛ وعقد اليواقيت (١١٨/٢)؛ وتاريخ الحامد (٧٥٧/٢).

(٣) هو أحمد بن علوي بن المعلم محمد بن علي بن محمد، عرف جده بباجحدب، من مشايخ صوفية حضرموت، وهو من شيوخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات، وسعيد الشواف ـ صاحب القصيدة الطويلة ـ وغيرهما. وقد ذكروا عنه كثيراً من الشطحات والكرامات، توفي بمدينة تريم سنة ٩٧٣هـ. انظر: المشرع الروي (٦٩/٢ ـ ٧٣).

(٤) هو زين العابدين بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس نقيب العلويين، ولد بمدينة تريم سنة ٩٨٤هـ توفي سنة ١٠٤١هـ. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (ص١٠٧ ـ ١٠٨).

(٥) أدوار التاريخ الحضرمي (٢٨٦/٢ ـ ٢٨٧). وانظر تفصيل أهداف نقابة العلويين: تاريخ حضرموت، للحامد (٧٥١/٢ ـ ٧٥٥)؛ والفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٦٤ ـ ٢٦٥).

ببلدة العر - شرقي بلدة مريمة -[١]. وهي من المتصوفات الأُمّيات بحضرموت، وكانت من الموالين للعلويين مقتدية بمنهجهم الصوفي،، فقد بنت «رباط العُرّ» في منطقة مريمة بحضرموت لنشر التصوف وجمع المريدين وتعليمهم طريق التصوف، وسميت حوطتها التي بنتها «بحوطة سلطانة» ولها زيارة سنوية يفد إليها الناس من مختلف الجهات الحضرمية[٢].

وقد وصف القوم أحوالها وعباداتها بأنها تشبه رابعة العدوية[٣]، وتحكّمت لطريق التصوف عند آل باعباد هي وأخوانها، ورجعت عن طريق العوام[٤].

وقد تدرجت في التصوف حتى قالوا بأنها: «ذات أحوال وكرامات ومكاشفات وأسرار جليلة وبراهين مشهودة، وصارت فيما يروى عنها ترى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورجال الغيب يقظة وتكلمهم، ولها في التصوف أحوال غريبة»[٥].

وكانت شاعرة تقول الشعر الحميني «العامي» وتميز شعرها بالعشق الإلهي[٦].

وكان متصوفة حضرموت يتبركون بزيارتها في حياتها وبزيارة ضريحها بعد وفاتها[٧].

توفيت سنة ٨٤٧هـ ببلدة العر.

---

(١) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٩٣ - ٧٩٥).

(٢) انظر: إدام القوت (ص٧٥٧ - ٧٥٨)، ط المنهاج؛ وتاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٩٤ - ٧٩٥)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي (ص٣١٠).

(٣) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية القيسية، أم الخير، مولاة آل عتيك، اشتهرت بالصلاح والعبادة، تكلم فيها الإمام أبو داود السجستاني واتهمها بالزندقة. توفيت سنة ١٣٥هـ. وقيل ١٨٥هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٨)؛ والسير (٨/ ٢٤١)؛ والبداية والنهاية (١٠/ ١٨٦ وما بعدها)؛ والأعلام (٣/ ١٠).

(٤) انظر: إدام القوت (ص٤١٣).

(٥) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٩٤).

(٦) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٦٦).

(٧) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٩٤).

➢ عبد الرحمن بن محمد الخطيب (ت٨٥٥هـ):

عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الرحمٰن الخطيب[١]، ولد بمدينة تريم سنة ٧٩٥هـ، وعاش حياة صوفية، توفي سنة ٨٥٥هـ، من مؤلفاته الجوهر الشفاف في فضائل ومناقب السادة الأشراف من آل أبي علوي وغيرهم من الأولياء العراف، وعقد البراهين المشرقة، ويعتبر كتاب الجوهر الشفاف من أكبر الكتب الخرافية المنتشرة بحضرموت، حيث حوى الخرافات والأساطير المسماة عندهم «بالكرامات» المتضمنة للشركيات والبدع والانحراف عن دين الله تعالى[٢].

وقد وصف ابنُ عبيد الله عبدَ الرحمٰن الخطيب بأنه: «غرّيد مديح العلويين وصنّاجة ثنائهم»[٣].

➢ علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف العلوي (السكران) (ت٨٩٥هـ):

يعتبر علي بن أبي بكر من المتصوفة الذين وصلوا درجة المشيخة الصوفية، فلا يذكرونه إلا بلقب الشيخ علي، حتى قال فيه عبد الله بن محمد بن حامد السقاف (ت١٣٨٠هـ)[٤]: «وإذا فهمت مغزى المشيخة في إطلاق الصوفية أدركت معنى اشتهاره بالشيخ علي»[٥]، ويقول عنه عبد الله

---

(١) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ٧٧)؛ وتاريخ حضرموت للحامد (٢/ ٣٠٠).

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر خرافات وبدع وشركيات هذا الكتاب الصفحات التالية (١/ ٢، ١٩، ٣٢ ـ ٣٣، ٤٨، ٦٢، ٧٥، ٨٧، ٩٢، ٩٦، ١٥٩، ١٧٣ ـ ١٧٤، ١٧٨، ٢٤٤، ٢/ ٢٧، ٣٠ ـ ٣١، ٣٤، ٣٧ ـ ٤٤، ٥٧ ـ ٥٨، ٦٤ ـ ٦٥، ٨٤، ٨٥، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٨، ٣/ ١٩، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٤٦، ٧٣، ٨٨، ١٠٦، ١٠٩، ١١٤، ١١٧، ١١٩، ١٢٣، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٠، ١٩١، ٤٢٩).

(٣) إدام القوت (ص٤٩٢).

(٤) هو عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، ولد بمدينة سيئون وتلقى علومه على يد والده ثم رحل إلى مصر وجاوة والحجاز، من مؤلفاته: تاريخ حضرموت السياسي، وتاريخ الشعراء الحضرميين، والبدر الساطع في تاريخ الإمام الناصر (أحمد). توفي بسيئون سنة١٣٨٠هـ. انظر: باقات الرياحين (ص١٠٦)؛ ومقدمة كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين.

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين للمؤرخ عبد الله بن محمد بن حامد السقاف (١/ ٧٨)، ط٣، ١٤١٨هـ، الناشر: مكتبة المعارف ـ الطائف.

الحبشي[١] بأنه: «تفرغ لعلوم الصوفية»[٢].

وكما كان هذا الرجل متأثراً بالفلسفة في كتاباته حتى قال عنه صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين: «ومن الذين درسوا الحياة، وله في الفلسفة أبحاث عميقة تجد منها شظايا في حدائقه الثمانية والعشرين»[٣].

ووصفه الحامد بأنه: «يستطيع بسط المعاني في الفلسفة الصوفية»[٤].

وجاء في كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين وصف علي السكران بأنه «فصيلة من رجال الرسالة القشيرية»[٥].

وله كتاب «البرقة المشيقة» حشاه بالخرافات، والكرامات، وكلام المتفلسفة والعبارات الغريبة[٦].

وكان السكران يدرس كتاب الفتوحات لابن عربي في تريم للمريدين[٧].

ويقول عنه صالح الحامد: «ويمكن أن يقال أن حامل راية الشعر الصوفي في القرن التاسع بحضرموت هو العلامة الشيخ علي بن أبي بكر صاحب كتاب البرقة»[٨].

---

(١) أحد العلويين الحضارمة، معاصر، مؤرخ، يعمل في المركز الثقافي بأبوظبي، ويعتبر الحبشي من المكثرين من التأليف والتحقيق في هذا الزمان، من آثاره: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، والصوفية والفقهاء في اليمن، وتحقيق تحفة الزمن للأهدل. انظر: مؤلفاته والكتب التي حققها: نهاية طرة كتابه المسمى (معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي وبيان ما ألف فيها): (٢/ ١٣٧٣ ـ ١٣٧٦).

(٢) مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، لعبد الله بن محمد الحبشي (٣١٦)، ط١ ١٤٠٨هـ، المكتبة العصرية ـ بيروت.

(٣) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ٧٩).

(٤) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٦٤٧).

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ٨٠).

(٦) انظر على سبيل المثال لا الحصر المخالفات التي حواها هذا الكتاب: وصف أوليائهم بصفات الرب تعالى (ص١٣١، ١٤٠، ١٤١)؛ اللجؤ للموتى عند الشدائد (ص١٠)؛ اعتقاد تصرف الموتى في الكون (ص٢١٣، ٢٢٣)؛ والتوسل الممنوع (ص٧٦، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١١٩ ـ ١٢٠).

(٧) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٦٨).

(٨) المصدر السابق (٢/ ٦٤٧).

ويقول أيضاً: «والشيخ علي المذكور يعتبر شاعراً في فنه، يعبر عما يخالج نفسه، يستطيع بسط المعاني في الفلسفة الصوفية بحيث يؤديها تمام الأداء في أسلوب فصيح»[١].

➢ **عبد الرحمن بن عمر باهرمز الشبامي: (ت٩١٤هـ):**

هو عبد الرحمٰن الأخضر بن عمر باهرمز، من صوفية حضرموت أصحاب الطريقة الملامتية، ولد بشبام سنة (٨٤٠هـ)، وأخذ عن مشايخها. الشهير بالأخضر، ويعتبر من مشايخ معروف باجمال أحد المعظمين عند صوفية حضرموت[٢].

وقد وصفه القوم بأن: «حصل له التمكين التام، والتصريف»[٣].

ويمثل باهرمز ومن تبعه من تلاميذ كبامخرمة[٤] الطريقة الملامتية[٥] وهي من «الملامة» لأنهم يشتغلون بملامة أنفسهم ويهملون الشريعة، وإن كانت هذه الطريقة اضمحلت كطريقة مستقلة، ولكنها استمرت في سلوك كثير من الأولياء في كل الطرق من التظاهر بالتهتك والانحراف وفعل المنكرات[٦]، ومنها ما ذكره عبد القادر العيدروس في تاريخه عن باهرمز هذا

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٦٤٧).

(٢) انظر: تاريخ النور السافر (ص٥٩)؛ وتاريخ الشحر (ص٨٣)؛ و«تاريخ الشعراء الحضرميين» (١/ ٩٤ ـ ٩٦).

(٣) خلاصة الخبر (ص٣٥٩)، ط١، ١٤٢٣هـ، ط دار المنهاج.

(٤) هو عمر بن عبد الله بن أحمد بامخرمة، ولد سنة ٨٨٤هـ بمدينة الهجرين بحضرموت، وكان من جهابذة الفقهاء ثم سلك طريق التصوف حتى نفاه السلطان الكثيري إلى الشحر، ثم رحل إلى عدن، ومكث بها مدة ثم رجع إلى حضرموت واستقر بمدينة سيئون. من آثاره: الورد القدسي في شرح آية الكرسي، وشرح أسماء الله الحسنى، والمطلب اليسير من السالك الفقير وغير ذلك. توفي بسيئون سنة ٩٥٢هـ. انظر: رحلة الأشواق القوية (ص٣٠)؛ وتاريخ الدولة الكثيرية (ص٥١)؛ والأعلام (٥/ ٢١٢)؛ وعقد اليواقيت (٣/ ٩٣)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٣٠ ـ ١٣٣).

(٥) الطريقة الملامتية إحدى الطرق الصوفية وسميت بذلك نسبة إلى لوم النفس، ويطلق عليها القصارية نسبة إلى حمدون القصار (ت٢٧١هـ). انظر أخبارهم: الخطط والآثار للمقريزي (٢/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣)؛ والرد الوافر مع الحاشية (ص٩٤ ـ ٩٥).

(٦) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (ص٣٥٤).

بأنه: «كان عندما يرد عليه الحال يطلب النساء الحسان من ذوات الجمال فيغنين بين يديه ويرقصن، فكان هذا دأبه أكثر الأوقات»[١].

وهذه من آثار المتصوفة السيئ في فتح باب الشر لاختلاط الرجال بالنساء عند ورود الحال الشيطاني عليهم، وهذه من أحوال مشايخهم، ويعد هذا أحد توجهات الصوفية، وبفتح باهرمز لهذا الباب نجد أنه قد تبعه عليه بعض تلاميذه أمثال عمر بن عبد الله بن أحمد بامخرمة (ت٩٥٢هـ) حتى وصفه القوم بأنه: «غلب عليه الحب والشهود، والفناء الكلي عن الوجود، فأكثر من السماع[٢] حتى من ذوات القناع، وأنكر عليه فقهاء عصره»[٣].

وكان عمر بامخرمة في آخر عمره على سيرة شيخه عبد الرحمٰن باهرمز من جمع النساء الحسان والسماع[٤]، توفي عبد الرحمن باهرمز بهينن سنة ٩١٤هـ.

➢ **معروف بن عبد الله باجمال (ت٩٦٩هـ):**

هو معروف بن عبد الله باجمال الشبامي، من كبار صوفية حضرموت في زمنه، ولد سنة ٨٩٣هـ. من شيوخه: عبد الرحمٰن الأخضر بن عمر باهرمز. وأما تلاميذ معروف فأشهرهم: أبو بكر بن سالم[٥] صاحب عينات، ويعد معروفاً من المعظمين لابن عربي واتباعه. توفي سنة ٩٦٩هـ[٦].

---

(١) تاريخ النور السافر (ص٥٩)؛ وخلاصة الخبر (ص٣٥٩).

(٢) انظر السماع عند صوفية حضرموت (ص٩١٢) وما بعدها من هذا البحث.

(٣) خلاصة الخبر (ص٤٣١).

(٤) المصدر السابق (٤٣٣).

(٥) هو أبو بكر بن سالم العلوي من كبار الصوفية بحضرموت ولد سنة ٩١٩هـ بتريم وأخذ عن شيوخها ثم رحل إلى دوعن واتصل بالصوفي الكبير معروف باجمال له مؤلفات منها: كتاب معراج الأرواح إلى المنهج الوضاح، وكتاب فتح باب المواهب وبغية مطلب الطالب، وكتاب معراج التوحيد، وكتاب مفتاح السرائر وكنز الذخائر. توفي سنة ٩٩٢هـ. انظر: تاريخ النور السافر (ص٣٦٨)؛ والمشرع الروي (٢/٢٦)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٦٧ ـ ١٧١). وأفرد حفيده عبد الله بن أحمد الهدار ترجمته ومناقبه في كتاب ضخم بعنوان: الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر طبع بالقاهرة سنة ١٣٩١هـ.

(٦) انظر: تاريخ النور السافر (ص٢٤٦)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٤٧)؛ وخلاصة الخبر (ص٤٤٤).

ويعد هذا الرجل من كبار مشايخ أبي بكر بن سالم ـ صاحب عينات ـ، وقد وصفوه بالألقاب الصوفية الكبيرة؛ وأنه الإمام العارف بالله تعالى.

وأفرد ترجمته محمد بن عبد الرحمٰن باجمال[1] بمؤلَّف سماه: «مواهب البر الرؤوف في مناقب الشيخ معروف»[2]. وقد قام معروف بدور كبير في نشر التصوف، فقد بلغ أثره كما يذكر الشاطري أن أثر على السلطان علي بن عمر بن جعفر الكثيري[3]، الذي أقام له سلطنة بشبام، وكان معروف من مستشاريه، وقد سعى في إقامة دولة تشتمل على شعب متصوف[4].

وجاء في كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين عند ذكر مجالس معروف باجمال الصوفية: «ويقول الذين يحضرون مجالسه أنه كثير التحدث عن أذواق الصوفية ومشاربهم وما لها من آثار كالتواجد»[5].

وكان معروف يحسن الظن بابن عربي وطائفته، ويقبل ما قالوه ويكل ما فيه من الإشكال إلى الله تعالى[6].

ولا شك أن صدور مثل هذا الكلام من كبارهم كان من الأسباب التي فتحت باب الزندقة الذي أوقع البعض في شَرَكِها، لأن الدين ـ بزعمهم ـ له ظاهر وباطن وعلوم كبار الزنادقة لها باطن لا يعرفها إلا الواصلون، فهذا من

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال ولد ببلدة الغرفة ورحل إلى الشحر لطلب العلم وكان من المبرزين في علم الفقه والتاريخ وتولى القضاء بعدة بلدان ورحل إلى الهند وتوفي سنة ١٠١٩هـ. من مؤلفاته: هداية العباد بنظم الإرشاد، والقول المفيد في أحكام التقليد، فتح الفتاح في أحكام النكاح. انظر: وخلاصة الأثر (٣/ ٤٩٣)؛ وعقود اللآل (ص٣٦).

(٢) الكتاب لا يزال مخطوطاً بمكتبة الأحقاف بتريم.

(٣) هو السلطان علي بن عمر بن جعفر الكثيري، ولد ببلدة بور بحضرموت، وهو أول من نصب سلطانا على حضرموت التي كانت في وقته متفرقة بين ولاة كثيرين، وقد استولى على ظفار سنة ٨١٦هـ بعد حروب ومناوشات، واستمر في الحكم إلى أن توفي سنة ٨٢٥هـ. انظر: تاريخ الدولة الكثيرية (ص٣٨ ـ ٤٢).

(٤) انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (٢/ ٢٤٣).

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٤٩).

(٦) خلاصة الخبر (ص٤٤٩).

آثار الباطنية على كبار صوفية حضرموت، مما أدى إلى رواج الباطل وانتشاره بسبب هذه التأويلات والمخارج للزنادقة؛ لا سيما وأن التأويل للباطل صدر من كبار علماء الصوفية في حضرموت.

ومن آثاره: الدعوة إلى مجاهدات الصوفية إلتى تسعى لبلوغ الغايات المزعومة من الفناء والمكاشفات وغير ذلك من غايات القوم، فقد ذكروا عنه أنه: «مكث خمس عشرة سنة ما نام ليلاً ولا نهاراً، وتمضي الأيام العديدة ما يذوق شيئاً»[(١)].

وذكر هذا الكلام بما فيه من المبالغات البعيدة كافٍ في عدم تصديقه عند كل من قرأه من أصحاب العقول السليمة، ولكن المتصوفة ألغوا عقولهم وسلّموا زمامها للشيخ فتربوا على تصديق كل ما يفعله مشايخهم، وإن كان أسطورةً أو خيالاً، ومع ذلك فهذه كرامة عند القوم لا يستطاع الوصول إليها إلا بالمجاهدات على يد المربي الصوفي المقدس في نظرهم.

وتوفي معروف باجمال سنة ٩٦٩هـ ودفن بتربة بضة المشهورة بطرمون من مناطق دوعن بحضرموت وعُمِل على قبره قبة يزورها الناس من مناطق مختلفة[(٢)].

➢ أبو بكر بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف (ت٩٩٢هـ):

تعد هذه الشخصية عند القوم: «من كبار الصوفية بحضرموت، ولد سنة ٩١٩هـ بتريم وأخذ عن شيوخها ثم رحل إلى دوعن واتصل بالصوفي الكبير معروف باجمال وكان له معتقد عند الناس، ولا تزال زيارته إلى الآن»[(٣)]، وقال فيه أحمد بن زين الحبشي: «ظهرت له الحقائق، وصُرِّف في الأكوان»[(٤)].

---

(١) المصدر السابق (ص٤٤٥). (٢) المصدر السابق (ص٤٥٢).
(٣) مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (٣٢١).
(٤) شرح العينية (٢٣٢).

ووصفه القوم بأنه خليفة الله على خليقته، وأمينه على بريته، شيخ الإسلام، سر الأسرار، قطب العارفين واشتهر بلقب (فخر الوجود)، وقالوا عنه بأنه خَلَفَ منصب معروف باجمال في التصوف حتى قال عبد الله بن محمد بلفقيه[١] ـ صاحب الشبيكة ـ عند وفاة معروف: «والله ما غربت شمس معروف إلا وقد طلعت شمس الشيخ أبي بكر بن سالم»[٢].

وأما مؤلفاته فأكثرها فكريه فلسفية مشحونة بالانحرافات العقدية والقول بالتفسير الباطني[٣]، وعقائد أهل الوحدة.

وهو كذلك من القائلين بالتفسير الباطني»[٤].

وقد غلا فيه القوم حتى زعموا حضوره عند من تمنى رؤيته كما حصل لإحدى النساء التي تمنت رؤيته فأتاها إلى مزرعتها[٥].

وهذا الرجل كذلك ممن تأثر بفلسفة ابن عربي القائلة بوحدة الوجود[٦].

ونذكر مثالين من أقواله في تقرير عقيدة وحدة الوجود؛ فمنها تفسيره لمعنى اسمي (العليم الخبير) حيث قال: «هذا بيان خلافة الحقيقة المحمدية وهي الجامعة للذات والعلم والصفات، وهو جامع الكمالات وهو الإنسان الكامل المتحقق بالحضرة الأحدية لأن جميع الحقائق عين ذاته حقيقة ولا

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بلفقيه، ولد بتريم، ودرس على مشايخها ومنهم محمد بن علي خرد صاحب الغرر، وأخذ عن عبد الله باقشير وغيرهما. توفي بمكة سنة ٩٧٤هـ ودفن في تربته المشهورة بالشبيكة وعمل على قبره قبة عظيمة. انظر: خلاصة الخبر (ص٢٢٤ ـ ٢٢٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص٨٢).

(٣) انظر على سبيل المثال بعض المخالفات: مفتاح السرائر وكنز الذخائر (ص٩، ٣١، ٣٥، ٤٢).

(٤) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر (١/ ٦٢).

(٥) المصدر السابق (٢/ ٢٢٧).

(٦) انظر قوله بهذه العقيدة في كتبه: معراج الأرواح والمنهج الوضاح (١/ ٢٣٠، ٢/ ٢٣٤، ٢٣٥)؛ وفتح باب المواهب (١٥٥، ١٥٦ ـ ١٥٧)؛ مفتاح السرائر وكنز الذخائر (ص٣٥).

يدركه غيره كما قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣]»[١].

ويقول أيضاً: «واعلم أيها العبد أن من نسي نفسه في الوجود، لم يشهد إلا الموجود، ﷻ إذ لا موجود في الحقيقة إلا الله»[٢]، وله أقوال أخرى في الحلول[٣].

ووصفه شيخه معروف باجمال بأنه: «قطب الزمان، صاحب الدائرة، يظهر الله على يديه هذه الدعوة... وهو صاحب الوقت والخليفة»[٤].

وقد ترك أبو بكر بن سالم مؤلفات كثيرة تحمل أفكار غلاة المتصوفة وعبارات فلاسفة المتصوفة ومن أخطر مؤلفاته في ذلك: كتاب (معراج الأرواح إلى المنهج الوضاح)، وكتاب (فتح رب المواهب)، وكتاب (مفتاح السرائر وكنز الذخائر) و(معارج التوحيد)[٥]. وله ديوان شعري فيه غلو شديد.

ومن آثاره أيضاً: إعادته لموعد زيارة القبر الذي يزعمه القوم لنبي الله هود عليه السلام فقد جعل الزيارة على الشهر القمري بعد أن كانت بعد فراغ الناس من أشغال التمر وتعبئته حيث جعله في شعبان وجعل المبيت هناك ليلة النصف من شعبان[٦].

وقد غلا فيه القوم حتى قالوا: «إن المتعلق بالشيخ مع البعد أحسن من

---

(١) معراج الأرواح (١/ ٢٣٠)، وهذا هو قول ابن عربي الطائي، انظر: فصوص الحكم (ص٢١٢ ـ ٢١٥).

(٢) مفتاح السرائر وكنز الذخائر (ص٣٥).

(٣) المصدر السابق (ص٣٠). وهذا القول هو قول ابن عربي الطائي حيث يقول (العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء). فصوص الحكم لابن عربي بشرح القيصري (٢/ ٣٨٥).

(٤) شرح العينية (ص٢٣٤). وانظر: خلاصة الخبر (ص٨١).

(٥) انظر مؤلفاته: المشرع الروي (٢/ ٢٧ ـ ٢٨)، وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ٦٧)، وخلاصة الخبر (ص٨٣).

(٦) تاريخ حضرموت، للحامد (١/ ٦٩). وزيارات وعادات (زيارة نبي الله هود)، لعبد القادر بن محمد الصبان (ص٢٥).

الحاضر عنده لغلبة رؤية البشرية على الحاضر»[١].

ويعتبر أبو بكر بن سالم من دعاة التعلق بالقبور والانعزال عندها فقد: «انعزل عند القبر المشهور بقبر هود، وغاب عن هذا الوجود»[٢].

وأفرد ترجمته محمد بن عبد الرحمٰن باجمال بتأليف سماه: «بلوغ الظفر والمغانم في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم»[٣]. توفي سنة ٩٩٢هـ بعينات، وبني على قبره قبة عالية عظيمة[٤]، ولا تزال القبة إلى اليوم تزار ويتبرك بها، والله المستعان.

➢ أحمد بن عبد القادر باعشن (ت١٠٥٢هـ):

هو أحمد بن عبد القادر باعشن، أحد متصوفة حضرموت، القائلين بمذهب ابن عربي، نشأ بقرية الرباط من دوعن وتبحر في علوم الصوفية، وكان أحد القائلين بمذهب ابن عربي»[٥].

وله مؤلفات منها «البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد شرح أنس الوحيد» لأبي مدين التلمساني. وله كتاب «شرح لأبيات المشكلة» لابن عربي، وشرح مشكلات الأمر المحكم المربوط»[٦].

➢ محمد بن أبي بكر الشلي (ت١٠٩٣هـ):

ولد بتريم، ورحل إلى بلدان عديدة منها: ظفار، والهند، والحجاز، وأقام بمكة[٧].

---

(١) إدام القوت (ص٥٥٤).
(٢) خلاصة الخبر (ص٨١).
(٣) انظر: المصدر السابق (ص٤٤٤).
(٤) المصدر السابق (ص٩٣).
(٥) انظر: خلاصة الأثر (١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٢٤، ٣٤٤ ـ ٣٤٥).
(٦) خلاصة الأثر (١/ ٢٣٨)؛ ومعجم المؤلفين (١/ ١٧٤)؛ والروض الأغن (١/ ٤٨ ـ ٤٩).
(٧) انظر: خلاصة الأثر، للمحبي (٣/ ٣٣٦ ـ ٣٣٨)؛ والأعلام، للزركلي (٦/ ٢٨٦)؛ ومعجم المؤلفين (٣/ ١٦٣).

ومن آثاره كتاب المشرع الروي، والذي يعد من أكبر الكتب الخرافية المنتشرة والمتداولة في حضرموت إلى اليوم[١]؛ فقد احتوى على تقرير الشرك والبدع والمخالفات الشرعية الكثيرة[٢].

دور آل العيدروس في نشر التصوف:

لعب آل العيدروس دوراً كبيراً في نشر التصوف سواء بالتأليف، أو بتدريس التلاميذ الذين نشروا التصوف فيما بعد أو بغير ذلك من الطرق التي كان لها الأثر الواضح في نشر التصوف سواء في المجتمع الحضرمي، أو في غيره من البلدان التي هاجروا إليها، ويعتبر عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن السقاف الملقب بالعيدروس أقدم شخصية لآل العيدروس سعت في نشر التصوف والتأليف في ذلك، ثم جاء بعده أولاده ثم أحفاده، فزمن آل العيدروس هو زمن كثرة التأليف عند العلويين، يقول ابن عبيد الله: «لم يكثر التأليف في العلويين إلا بعد ظهور السادة آل العيدروس»[٣].

< أ ـ عبد الله بن أبي بكر العيدروس (ت٨٦٥هـ):

ومعنى العيدروس ـ كما يقول القوم ـ: كبير الصوفية[٤].

---

(١) وهذا الكتاب من الكتب المعتمدة عند القوم فقد أثنى عليه علماؤهم، يقول علوي بن طاهر الحداد في كتابه (جني الشماريخ) (ص٣١): «ولا يحتاج الآخذ من المشرع أن يتطلب حجة في كل شيء رآه. فإن صاحب المشرع من العلم والاطلاع والاستقراء بالمحل العالي. ولا يزال الكتاب منتشراً إلى يومنا هذا وأعيد تصويره ويباع في مكتبات تريم وسيئون وغيرها، بما يحتويه من شركيات وخرافات وبدع والله المستعان.

(٢) وهذا الكتاب قد ذكرت النقولات الكثيرة منه في بعض مباحث هذه الرسالة، وانظر على سبيل المثال لا الحصر: الغلو، اعتقاد اتصاف أوليائهم بصفات الرب، ادعاء علم الغيب وغيرها: المشرع الروي (١/١٧٨، ١٩٣، ٢٠٠، ٢/٣ ـ ٦، ٧، ١٧، ٢٨، ٣٢، ٣٧، ٤٩، ٧٩، ٨٩، ٩٣، ١٦٤).

(٣) إدام القوت (ص٤٩٨). وقد ذكر المؤلف في كتابه إدام القوت أسماء أحد عشر مؤلفاً لأحد أفراد أسرة آل العيدروس.

(٤) انظر: شرح العينية (ص١٩٥).

أخذ التصوف عن عمه عمر المحضار حيث قرأ عليه كتب الغزالي، خصوصاً كتاب «إحياء علوم الدين»، وله كلام في الحقائق الصوفية[١].

ومن تصانيفه: «كتاب الكبريت الأحمر»، وهذا الكتاب على طريقة أهل وحدة الوجود، حيث حشاه العيدروس بعبارات الفلاسفة، ورموز الصوفية، أهل وحدة الوجود[٢].

ومن عباراته التي تحمل أسرار الصوفية قوله: «آه!آه! وردت على القلب علوم لا يمكن شرحها»[٣].

وكان من أصحاب الرياضات الغريبة فقد ذكروا عنه أنه كان يجلس على المزابل، ويقتات من ثمر العشرق[٤][٥].

وقد ذكر الشلي أن العيدروس أخذ هذه المجاهدات من كتب الصوفية المتقدمين حيث قال العيدروس: «كنت في بدايتي أطالع كتب الصوفية، وأختبر نفسي بمجاهداتهم المذكورة في مؤلفاتهم»[٦].

وكان العيدروس من المروجين لكتب الغزالي لا سيما كتاب الإحياء، حيث دعا أهل حضرموت للتعلق به وقراءته وادعى أنه شرح للكتاب والسنّة[٧].

ومن آثاره كذلك: ترويجه لكتب ابن عربي الصوفي وجعله من كبار الأولياء العارفين، وأن مصنفاته عالية على الأفهام[٨]، وله قصيدة في التوسل

---

(١) الغرر (ص٢٠٣)؛ والمشرع الروي (٢/ ١٥٣).

(٢) انظر مثلاً: كتاب الكبريت الأحمر (ص٦٧، ٧٣، ٧٧، ٧٨، ٧٩).

(٣) شرح العينية (ص١٩٦).

(٤) العشرق: نبت من الغلاس، حبه نافع للبواسير وتوليد اللبن، ويسود الشعر. القاموس المحيط (ص٩٠٩).

(٥) انظر: المشرع الروي (٢/ ١٥٣)؛ وشرح العينية (ص١٩٦).

(٦) المشرع الروي (٢/ ١٥٣).

(٧) المشرع الروي (٢/ ١٥٤). وقد جعل العيدروس من قرأ الإحياء من المجتهدين، بل وضمن على الله الجنة لمن قرأه.

(٨) انظر: المشرع الروي (٢/ ١٥٤).

الشركي والبدعي حتى قال الشلي عنها أنها مشهورة بالبركة وأنها جربت في أبيات للفرج[١].

ومن آثار العيدروس السلبية نقل الزيارة للقبور من الطريقة الشرعية إلى الطريقة الشركية والبدعية، يقول عبد اللاه بلفقيه: «إن الزيارة انتقلت إلى طريقة الصوفية في عهد العيدروس، من التجمع لها، وكان ميلاد سيدنا العيدروس سنة٨١١ هجرية ووفاته سنة ٨٦٥ هجرية وكان ذلك لتوقف العيدروس طيلة ١٣ سنة، لما ذكر مؤلف التحفة النورانية الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن باوزير هو الداعي لانتظار الإذن الرباني في نقل زيارة قبر النبي هود من طريقة الفقهاء إلى طريقة الصوفية»[٢].

ويوضح الصبان الطريقة الصوفية التي تبناها العيدروس في زيارة قبر هود عليه السلام بقوله: «انتقلت الزيارة من الكيفية الفقهية إلى الطريقة الصوفية والتي لا تقتصر على السلام والترحم بل تتناول التوسل والاستمداد والتبرك بالمزار له»[٣].

➢ ب ـ أبو بكر العدني بن أبي عبد الله العيدروس (ت٩١٤هـ):

وصفه القوم بأنه القطب الأكمل[٤].

وكان أبو بكر العيدروس من المهتمين بكتب الغزالي وكذا كتب ابن عربي، التي لعبت دوراً كبيراً في تكوين شخصيته الصوفية، لا سيما كتب ابن عربي الذي عرفت كتبه بالشطحات والرموز والقول بوحدة الوجود. فقد كان يشرح كتب الفصوص لابن عربي ويكشف أسرارها[٥].

وكان العيدروس من دعاة السماع الصوفي المليء بالمنكرات حتى ذكروا

(١) المصدر السابق (٢/ ١٦٢).
(٢) الفرائد في قيد الأوابد، لعبد اللاه بن حسن بلفقيه (ص٨).
(٣) زيارات وعادات «زيارة نبي الله هود»، لعبد القادر بن محمد الصبان (ص٢٦).
(٤) المشرع الروي (٢/ ٣٩).
(٥) انظر: المصدر السابق (٢/ ٣٥ ـ ٣٦).

عنه أنه: «لا يكاد يصبر عنه كما هو شأن كثير من الأولياء والصوفية ونجده يقول في هذا الموطن من قصيدة:

ما استماعي للحن والنغمات غير ذكرى مثيرة العزمات[١]

وقد وطد لمركزه الصوفي علاقته الكبيرة مع حكام الدولة الطاهرية خاصة عامر بن عبد الوهاب بن داود الطاهري[٢]، ولذا أكثر العيدروس من مدحه في قصائده وموشحاته[٣].

وقد بنيت على ضريحه قبة كبيرة في عدن، ولقبره زيارة سنوية تسمى زيارة العيدروس يتوافد الناس إليها من مناطق مختلفة من اليمن.

ج ـ شيخ بن عبد الله بن شيخ العيدروس (ت٩٩٠هـ):

هو شيخ بن عبد الله العيدروس، ولد سنة ٩١٩هـ بتريم. من أشهر شيوخه: ابن حجر الهيتمي. وله مصنفات كثيرة أشهرها: العقد النبوي والسر المصطفوي، وكان كثير السفر حتى استقر به السفر بالهند واتخذ مدينة أحمد أباد مقراً له[٤].

وصفه القوم بأنه ممن جمع بين علمي الشريعة والحقيقة[٥].

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٠٦).

(٢) هو السلطان عامر بن عبد الوهاب بن داود العامري ولد سنة ٨٦٦هـ. ملك اليمن بعد أبيه واختلف عليه بنو عامر الذي قبله، ولكن كانت شوكته قاهرة لهم، اشتغل بالنظر في المدارس وغيرها بعمارتها وتنمية أوقاتها. قتله رجل يمني يدعى ابن الزلابيا، حيث قبض عليه في إحدى المعارك واحتز رأسه وأتى به إلى الأسكندر ـ القائد التركي ـ وذلك سنة ٩٣٢هـ. انظر: الضوء اللامع، للسخاوي (٤/١٧)؛ منشورات دار مكتبة الحياة؛ وتاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر لمحمد بن عمر الطيب بافقيه (ص١٢٤)؛ تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، لأحمد حسين شرف الدين (ص٢٨٤)؛ وجلاء الهم والحزن (ص١١٢ ـ ١١٤).

(٣) انظر شعره في ذلك: تاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٠٨).

(٤) انظر: تاريخ النور السافر (ص٣٣٣)؛ والمشرع الروي (٢/١١٩)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٧١)؛ وذيل كشف الظنون (١/٣٥٨).

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٧١).

وقد كثرت مؤلفات آل العيدروس حتى أن ابن عبيد الله كلّف أحد أصحابه بإحصاء مؤلفاتهم فأحصى أحد عشر مؤلفا لشيخ بن عبد الله العيدروس منها العقد النبوي[١] وكتاب «الفوز والبشرى في الدنيا والأخرى بشرح العقيدة الزهراء»[٢] وحقائق التوحيد وغيرها[٣].

يقول عبد الله بن محمد السقاف عن وفاة شيخ العيدروس: «توفي سنة ٩٩٠هـ، بأحمد أباد بالهند ودفن بصحن منزله، وقد شيد على ضريحه قبة عظيمة يقصدها الزائرون إلى اليوم»[٤].

➢ د ـ محمد بن عبد الله بن شيخ العيدروس: (ت١٠٣١هـ):

هو محمد بن عبد الله بن شيخ العيدروس: ولد بتريم سنة ٩٧٠هـ، ثم رحل إلى الهند سنة ٩٨٩هـ للأخذ عن جده شيخ بن عبد الله العيدروس. ثم أقام بسورت ودرس بها التصوف وغيره. من آثاره: كتاب إيضاح أسرار علوم المقربين[٥]، وقد احتوى هذا الكتاب على مخالفات للعقيدة الصحيحة، فقد ذكر ابن عبيد الله مؤلفات آل العيدروس ومنها كتاب «إيضاح أسرار علوم المقربين» فقال: «إلا أن في بعضها ما يخلص إليه الانتقاد نحو الغلو في الشيخ، وإنزاله أعلى مما يستحق، ويجوز في بعضها ما يشبه كلام ابن عربي فيأتي فيها ما يقال فيه»[٦]. توفي بالهند سنة ١٠٣١هـ[٧].

➢ هـ ـ عبد القادر بن شيخ العيدروس: (ت١٠٣٨هـ):

هو عبد القادر بن شيخ العيدروس، ولد سنة ٩٧٨هـ، مؤرخ، وشاعر

(١) وهذا الكتاب من أكبر الكتب الخرافية التي يروجها متصوفة حضرموت، ويعتبر من المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها أبو بكر الشلي في كتابه الخرافي (المشرع الروي).
(٢) وقرر فيه عقيدة الأشاعرة في التوحيد ولا سيما توحيد الأسماء والصفات.
(٣) انظر مؤلفاته: تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٧٤).
(٤) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٧٣).
(٥) انظر ترجمته في: تاريخ النور السافر (ص٣٠٠)؛ ومعجم المؤلفين (٢/ ١٨٨)؛ والأعلام، للزركلي (٤/ ٣٩).
(٦) إدام القوت (ص٤٩٩).
(٧) انظر: خلاصة الخبر (ص٤٩٩).

صوفي مشارك في بعض العلوم من مؤلفاته: تاريخ النور السافر عن أخبار العاشر، والدر الثمين في بيان المهم من أمور الدين، وبغية المستفيد بشرح تحفة المريد وغيرها[١]. ويعتبر عبد القادر العيدروس من المكثرين في التأليف، في التصوف وغيره، فقد ذكر ابن عبيد الله أن لعبد القادر بن شيخ العيدروس ستة وعشرين مؤلفاً[٢]. ومن تلك الكتب في التصوف كتابه المسمى (غاية القُرَب شرح نهاية الطلب) الذي قرر فيه عقيدة أهل وحدة الوجود[٣]، والثناء على كبار المتصوفة كالحلاج وأبي يزيد البسطامي وتقرير مذهبهم[٤]، واضطرابه في مسألة النبوة فقد تكلم في هذه المسألة العظيمة على طريقة الفلاسفة، وكذا يتضح غلوه في مقام الأولياء وادعاؤه بلوغهم منزلة أعلى من مقام النبوة[٥].

ومن أشهر مؤلفاته عند القوم: كتاب «تاريخ النور السافر» والذي حشاه بالشركيات والبدع والانحرافات العقدية الكثيرة[٦].

وله كذلك كتاب في فضائل كتاب إحياء علوم الدين للغزالي سماه: «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء» وكتاب «الفتوحات القدوسية في الخرقة العيدروسية» وغيرها من المؤلفات[٧].

ويعتبر عبد القادر العيدروس من الدعاة إلى الغلو في الأولياء وكذا الغلو في قبورهم بعد موتهم كقبر أبي بكر العيدروس الذي تعظمه صوفية حضرموت، ونشر ذلك في مؤلفاته كتاريخ النور السافر وغيره مما كان له الأثر على أهل

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ النور السافر (ص٣٠٠)؛ ومعجم المؤلفين (٢/١٨٨)؛ والأعلام، للزركلي (٤/٣٩).
(٢) انظر: إدام القوت (ص٤٩٨). وانظر مؤلفاته: كتاب عقد الجواهر والدرر (ص١٣٣ ـ ١٣٥) (مخطوط)؛ ومعجم المؤلفين (٢/١٨٨).
(٣) انظر: غاية القرب شرح نهاية الطلب (ص٨٦، ٨٧).
(٤) المصدر السابق (ص٨٦).
(٥) المصدر السابق (ص٨٧، ٨٨).
(٦) انظر على سبيل المثال بعض هذه المخالفات: تاريخ النور السافر (ص٢٥، ٢٨، ٥٩، ٧٢، ٧٦، ٧٩، ١١٦، ١٣٩).
(٧) انظر: الروض الأغن (٢/٤١ ـ ٤٢).

حضرموت ومن ضل عن سواء السبيل بسبب هذه الكتب المنحرفة[١].

ويعد من علماء الصوفية المعتقدين بالأوتاد الذين يدعون أن لهم تصرفاً في الكون[٢]، والتي ملئ القوم كتبهم بها، وما تبع ذلك من شركيات وانحرافات.

➢ و ـ عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس ـ نزيل مصر ـ (ت١١٩٢هـ):

هو عبد الرحمٰن بن مصطفى العيدروس ولد بتريم سنة ١١٣٥هـ، يعد من علماء الصوفية الحضارمة، رحل إلى مكة وزبيد ثم استقر في مصر[٣]. ذكر القوم أن المشيخة الصوفية كانت له في عصره[٤].

وكان عبد الرحمٰن العيدروس كثير الترحال إلى بلدان مختلفة منها الهند والحجاز ومصر وغيرها، لذا كان له تلاميذ كثر حتى قال صاحب كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين: «ومن الغرابة محاولة استقصاء تلاميذه المنبثين في مشارق الأرض ومغاربها بكثرة هائلة»[٥].

وقد قام بنشر الطريقة العلوية وكذا الطريقة النقشبندية في مصر عند إقامته فيها، وتتلمذ عليه شيوخ الطريقة وأخذ كل واحد عن الآخر[٦].

وذكر عيدروس بن عمر الحبشي[٧] أن مؤلفات هذا الرجل تزيد على

---

(١) انظر صور الغلو في كتابه «تاريخ النور السافر» (ص٣٢، ٥٩، ١٠٠، ١٤٣، ١٥٩، ١٦٥، ٢٠٧، ٢٥٨، ٢٨١، ٣٤٠، ٣٤٢، ٤٠٠، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦).

(٢) تاريخ النور السافر (ص٣٢).

(٣) انظر: سلك الدرر (٢/٣٢٨)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٢/١٨٩)؛ وتاريخ الجبرتي (٢/٢٨)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٥٤)؛ وترجم له ابنه مصطفى بترجمة مستقلة.

(٤) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/١٨٩).

(٥) المصدر السابق (٢/١٩١). وانظر رحلاته إلى بعض البلدان نفس المصدر (٢/١٩٠ ـ ١٩٢).

(٦) انظر: تاريخ الجبرتي المسمى عجائب الآثار (١/٣٧٣، ٣٥٠، ٢/١٠٤)، تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/١٩٢).

(٧) هو عيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي، ولد بقرية الغرفة من حضرموت سنة ١٢٣٣هـ وأخذ عن شيوخ وقته أمثال محمد بن أحمد الحبشي، والحسن بن صالح البحر وغيرهما، =

الستين[١]، وذكروا أن لهذا الرجل ارتباطاً بطرق صوفية أخرى غير الطريقة العلوية التي ينتسب لها، فقد ألّف في الطريقة النقشبندية مؤلفاً بعنوان: (الإرشادات السنية في الطريقة النقشبندية)، وله مؤلف آخر في الطريقة القادرية بعنوان: (النفحة العلية في الطريقة القادرية)، وكذلك له شرح على بعض أبيات ابن عربي[٢].

وقد توفي بالقاهرة سنة ١١٩٢هـ ودفن بجوار قبر السيدة زينب ابنة فاطمة الزهراء إلى جانب مسجدها وعلى ضريحه قبة صغيرة[٣].

❀ المطلب الرابع ❀

أعلام صوفية حضرموت في القرن الثاني عشر

وتعد هذه المرحلة تكملة لما سبق من مراحل التصوف في حضرموت، وقد ضمت هذه المرحلة عدداً من الشخصيات التي كان لها أثر واضح في نشر التصوف بوسائل مختلفة كالتدريس، أو التأليف، أو بنشر الأتباع في المدن والقرى لنشر هذا الفكر الدخيل على بلاد حضرموت وغير ذلك من الوسائل، ويمكن ذكر أبرز رجال هذه المرحلة في الآتي:

➢ **عبد الله بن علوي الحداد (ت١١٣٢هـ):**

ويعتبر عصر عبد الله بن علوي الحداد هو عصر تدني المستوى الصوفي

= وكان كثير الرحلة لسماع الشيوخ فقد رحل إلى مناطق شتى في حضرموت والحجاز وغيرها. من آثاره: عقد اليواقيت الجوهرية (تراجم لشيوخه مع إجازاتهم له) اعتمد عليه الكتاني واختصره، وعقود اللال في أسانيد الرجال، ومنحة الفتاح الفاطر بذكر أسانيد الأكابر. توفي بحضرموت سنة ١٣١٤هـ، انظر: كتاب أئمة اليمن، لمحمد زبارة (ص٢٥)، ط ١٣٧٦هـ؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ٥٩)؛ وفهرس الفهارس (٢/ ٣٣٧)؛ ولأحد تلامذته كتاب في مناقبه بعنوان (الفيوضات العرشية).

(١) عقد اليواقيت الجوهرية (٢/ ١٠٤)؛ وانظر أسماء مؤلفاته: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤).

(٢) انظر هذه المؤلفات في: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤).

(٣) تاريخ الشعراء الحضرميين: ٢/ ١٩٢.

دون مستوى أهل الدور الذي قبله[١]، ورغم ضعف هذه المرحلة إلا أنه ظهرت شخصيات صوفية كان لها أثر واضح في نشر التصوف، يقول الشاطري عن هذا الدور: «ظهرت فيه على الشاشة شخصيات بارزة وأبطال ممتازون لا يقلون عن أبطال الدورين الماضيين، وفي مقدمة أولئك: سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، الذي يعد ـ بحق ـ المثل العالي للعلوي الممتاز»[٢].

وقد لبس الحداد خرقة التصوف من عقيل بن عبد الرحمٰن بن عقيل السقاف[٣] الذي لم يُلبسها لأحد غيره[٤].

وقد خلط الحداد طريق التصوف بطريق المتكلمين، فترى في مؤلفاته تقرير عقيدة الأشاعرة في الأسماء والصفات، وفي القدر وغير ذلك مما خالف فيه الأشاعرة عقيدة السلف الصالح حيث يعد الحداد من الشخصيات التي دعت إلى العقيدة الأشعرية على طريقة أبي حامد الغزالي حتى قال في إحدى قصائده[٥]:

وكن أشعرياً في اعتقادك إنه ... هو المنهل الصافي عن الزيغ والكفرِ
وقد حرر القطب الإمام ملاذنا ... عقيدته فهي الشفاء من الضرِ
وأعني به من لن ينعت غيره ... بحجة إسلام[٦] فيا لك من فخرِ

وهو شخصية مضطربة في باب العقيدة، فحين تجد له كلاماً جيداً في التوحيد كحرمة الذبح لغير الله تعالى وأنه شرك حيث قال في كتابه النفائس العلوية ما نصه: «أما الكبش الذي يعتاد تركه أهل الغيل في بيوتهم، ويسمونه

---

(١) انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (ص٤٤). (٢) المصدر السابق (ص٤٤).

(٣) هو عقيل بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أحمد السقاف، أحد متصوفة حضرموت، ولد بتريم. من تلاميذه: عبد الله بن علوي الحداد. توفي بتريم سنة ١١٠٠هـ. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (١/ ١٨٩).

(٤) انظر: غاية القصد والمراد (١/ ١١٣)؛ والفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٦٦).

(٥) الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم من أنفاس عبد الله بن علوي الحداد (ص٦٦ ـ ٦٧). مخطوط.

(٦) ويعني به أبا حامد الغزالي مؤلف إحياء علوم الدين حيث كان يلقبه الصوفية بحجة الإسلام.

مسايراً، وكلما ذهب أبدلوه بغيره فهذا ـ والعياذ بالله ـ من الشرك، والشرك ظلم عظيم، وهو وأمثاله بسبب تسلط الشياطين وجنوده على العاملين به»[1].

وكذا أنكر استخدام الحروز والجن وغير ذلك من الأعمال التي يفعلها الجهال ودعا إلى التحصن بالله تعالى وحده[2].

وبالمقابل تجد له أخطاء عقدية كبيرة بل الوقوع في الشرك بالله ـ والعياذ بالله ـ مثل: دعاء غير الله تعالى، والاستغاثة الشركية، وكذا التوسل بالمخلوق، وهذا الاضطراب ناتج عن عدم فهم القوم لتوحيد العبادة، والخلط في مسائل التوحيد، حيث يسمون الشرك ـ كدعاء الأولياء من دون الله تعالى ـ تعظيماً وإجلالاً لهؤلاء الأولياء، ويدعون أن الشرك لا يكون إلا إذا اعتقد أن الأولياء لهم تأثير مستقل من دون الله تعالى، وهم لا يعتقدون ذلك، وإنما يرون المؤثر هو الله تعالى وإنما الأولياء أسباب ووسائط عند الله لما لهم من جاه عظيم إلى غير ذلك من الشبه، وهذه نفس شبهة مشركي قريش كما أخبر الله عنهم في كتابه بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٣].

أما ما وافق الحق من كلامه في مسائل التوحيد فلعله ـ والله أعلم ـ بسبب تأثره بالفقه والأحكام الشرعية؛ وقراءته في كتب أهل العلم المتقدمين؛ لأن الرجل فقيه، متضلع في مذهب الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكن هذه مصيبة بدعة التصوف حيث تعمي من تلبس بها فتصرفه عن الحق وتوقعه في المهلكات ـ نسأل الله السلامة ـ.

وأكثر الحداد من التأليف نظماً ونثراً، ومن آثاره: مؤلف يسمى «عقيدة الحداد» والذي يتداوله أهل حضرموت ويحفظونه ويُحَفِّظونه أبناءهم، وطلابهم ويوصي به مؤلفوهم، وهذه العقيدة للحداد على طريقة الأشاعرة، في نفي العلو، وتأويل الاستواء، ونفي صفة الكلام لله تعالى على طريقة الأشاعرة وهو

---

(١) النفائس العلوية (ص١٠٣ ـ ١٠٤). (٢) انظر: إتحاف السائل (ص٤٢).

من الدعاة إلى مذهب التفويض في الصفات[١].

ومنها: رسالة المذاكرة، ورسالة المعاونة، ورسالة آداب سلوك المريد وله ديوان حشاه بالشركيات والمخالفات العقدية الكثيرة[٢]، وكتاب النفائس العلوية.

كما دعا الحداد إلى القول بكسب الأشاعرة، واعتبر ذلك مذهباً وسطاً بين مذهب الجبرية ومذهب المعتزلة في باب القضاء والقدر[٣].

كما كان من الدعاة لزيارة القبر المزعوم لنبي الله هود عليه السلام في حضرموت؛ وذلك بترويج الفضائل لتلك الزيارة، منها «أن من زار النبي هود، ووضع مولداً للنبي ﷺ هناك تمر عليه سنة طيبة جميلة»[٤].

وكذا دعا لزيارة «مقبرة بشار» خصوصا مقبرة «زنبل» التي تضم في جوفها كبار العلويين، ووقّت لزيارتها وقتاً محدداً فجعله كل جمعة، ثم أضاف يوم الثلاثاء مع يوم الجمعة بناء على رؤيا لأحد أصحابه رأى الفقيه المقدم يعاتب الحداد، وأن الجمعة لا تكفي فأضاف يوم الثلاثاء، وتبدأ الزيارة بالفقيه المقدم قبل الأهل والأقربين ثم السقاف ثم أولاده[٥].

ومن آثاره: ما يسمى براتب الحداد الذي اهتم به متصوفة حضرموت فشرحوه[٦]، ويُقرأ في المساجد في أوقات محددة عندهم.

وفي كتبه يلتمس اهتمام الحداد بالأمور العملية، والتركيز على الزهد في الدنيا، والحث على بعض الأخلاق الحسنة التي فقدت عند الكثيرين، وأطنب في كثير من مؤلفاته في ذم الدنيا والتحذير منها، والمبالغة في ذلك، ولم

---

(١) انظر: النصائح الدينية (ص٦٧)؛ وغاية القصد والمراد (١/ ١٨٢).
(٢) انظر بعض هذه المخالفات في ديوانه (٥، ٢٣ ـ ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٤١، ٤٢، ٥٧، ١٢٨ ـ ١٢٩، ١٥٠، ٢٢٥، ٣٢٧).
(٣) انظر: النصائح الدينية (ص٢٥).
(٤) الإمام الحداد (ص١٣٠).
(٥) الغرر (ص١٥٧).
(٦) من شروحه المشهورة: ذخيرة المعاد شرح راتب الحداد، لعبد الله بن محمد باسودان، وكتاب شرح راتب الحداد لعلوي بن أحمد الحداد.

يصرف اهتمامه لأعظم أمر خلق العباد لأجله وهو التوحيد، وإخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له، والتحذير مما ينقضه أو ينقصه من الشرك والبدع؛ لعدم الاهتمام بتعلم هذا الأمر، وتعليمه الناس، ولذا أهملوه فوقعوا وأوقعوا غيرهم في الانحرافات العقدية العظيمة، لذا لم يدعوا إلى التوحيد ولم يحذروا مما يخالفه لأنه كما قيل: فاقد الشيء لا يعطيه.

ويلاحظ في شخصية عبد الله الحداد العاطفة الجياشة التي لم تنضبط بالشرع، فلذا فقد وقع في الاستغاثة الشركية، والتوسل الممنوع، ودعا إلى ذلك في كثير من كتبه[١].

دور تلامذة الحداد في نشر التصوف:

وكان للحداد تلاميذ كثر[٢]، وقد نشر كثير منهم أفكار التصوف بما يحمله من الغلو في الأشخاص، والشركيات والبدع، ونذكر أمثلة من هؤلاء التلاميذ:

١ ـ أحمد بن زين الحبشي: (ت ١١٤٤هـ):

مؤلف كتاب شرح القصيدة العينية لشيخه الحداد، وقد اشتهر باسم (شرح العينية)، أما مؤلفه فقد سماه «النفحات النشرية والنفثات الأثرية في شرح القصيدة العينية»، ويعد هذا الكتاب من أكبر الكتب الخرافية في حضرموت فقد احتوى على تقرير الشرك الأكبر بدعاء الموتى والاستغاثة بهم، والغلو في الأولياء واعتقاد تصرفهم في الكون، وعلمهم الغيب، وتصرفهم في أمور الآخرة كالجنة والنار، والغلو في القبور، واعتقاد تصرف الموتى، وغير ذلك من الانحرافات[٣]، وهو من المراجع المهمة عند القوم إلى يومنا هذا.

---

(١) انظر: ديوان الحداد (ص٤١، ٤٢، ٢٠٩، ٣٢٧)؛ والقصيدة العينية البيت رقم (٧٥، ٧٦، ٨٥).

(٢) تتلمذ على يدي الحداد تلاميذ كثيرون ذكر أسماءهم تلميذه محمد بن زين بن سميط في كتابه «غاية القصد والمراد في مناقب الإمام الحداد» (ص٢٢٨ ـ ٢٣٤). وإنما ذكرنا اثنين من تلاميذه للتمثيل، ولبيان دورهم في نشر التصوف.

(٣) انظر بعض مخالفات هذا الكتاب (ص١٥٧، ١٥٨ ـ ١٦٠، ١٨٥، ١٨٧، ٢٣٥، ٢٣٧، =

> ٢ ـ علي بن حسن العطاس (ت١١٧٢هـ):

وهذه الشخصية تعد من الشخصيات التي لها تعلق كبير بأولياء الصوفية، وكان شديد الاعتقاد فيهم، كثير الزيارة للأحياء والضرائح من مختلف بقاع حضرموت إلى الشحر[١].

وقد أسس المشهد في منطقة الغيوار[٢] بحضرموت، والذي يقدسه صوفية حضرموت إلى يومنا هذا، ودُفن فيه علي العطاس «ومن المعلوم أن عليه تابوتاً تحت قبة عظيمة غير منقطعة الوفود الزائرة عدى الاحتشاد العمومي السنوي في ١٢ ربيع الأول من كل عام كزيارة عمومية تتقاطر لها الجماهير من نواحي حضرموت كلها، حتى تغص قرية المشهد ومكتنفاتها مدى أربعة أيام بجموع حاشدة تخالها في مظهرها كأيام الحجيج بمنى»[٣]، وله مؤلفات كثيرة ذات منزلة عالية عند القوم يتداولونها إلى يومنا هذا منها: كتاب (القرطاس)، و(المقصد إلى شواهد المقصد) وهو كتاب ضخم مليء بالمخالفات[٤]، وله ديوان ضخم سماه: (قلائد الحسان وفرائد اللسان) مليء بالغلو في الأولياء، والدعوة إلى الشرك بالله تعالى؛ وذلك بالاستغاثة بالنبي ﷺ والالتجاء إلى الموتى والاستنجاد بهم عند الشدائد ونحو ذلك[٥].

وكانت وفاته سنة ١١٧٢هـ وقبر بالمشهد.

= ٢٤٤، ٣٥٨)، وغير ذلك من الخرافات والمخالفات التي شحنها الحبشي في كتابه هذا.

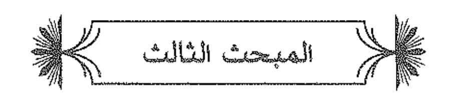
(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ١٦٠).

(٢) الغيوار هي المشهد وهي قرية صغيرة، تبعد عن الهجرين في شمالها مسافة ساعتين. انظر: إدام القوت (ص٤٢٤)، ط المنهاج.

(٣) تاريخ الشعراء الحضرميين لعبد الله بن محمد السقاف (٢/ ١٦١). وانظر: تاريخ حضرموت السياسي (٢/ ١٤٨).

(٤) انظر انحرافات كتاب المقصد إلى شواهد المشهد على سبيل المثال (ص٨، ٩، ١٠، ١٤، ٢٠٤، ٢٨٠، ٢٩٩، ٤١٣، ٤٢٢).

(٥) انظر: أمثلة لتلك المخالفات في ديوان العطاس المسمى (قلائد الحسان وفرائد اللسان) (ق٦، ١٦، ١٧، ٢٥، ٧٤، ٨٠، ٢/ ١٧، ٣٢، ١٠٥، ١٩٥، ٢١٠)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤).



المبحث الثالث

الطرق الصوفية التي انتشرت في حضرموت



تمهيد

الطرق جمع طريق أو طريقة، ومعنى الطريقة في اصطلاح الصوفية: «هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات»[١].

وعُرِّفت الطريقة كذلك بأنها: «مجموعة من القواعد والرسوم التي يضعها المشايخ لبلوغ المريدين الغاية من التصوف، وهي التحقق بالحق ﷻ»[٢].

والطريق الصوفي: هو ما يضعه شيخ من مشايخ الصوفية لمجموعة من المريدين من أوضاع يلتزمونها ويختصون بها دون غيرهم[٣].

وشيخ الطريقة الصوفية هو الذي يفرض الطريقة على المريدين، وقد انكشف له الحجاب وتجلت له الأقدار، وعرف الأسرار إلى غير ذلك مما يروج على ألسنة أتباع الطريقة[٤].

وفي هذا المبحث نتحدث عن الطرق الصوفية التي ظهرت في حضرموت منذ نشوء التصوف فيها، شأنها شأن بقية المتصوفة في بلدان العالم الإسلامي الذين سن لهم مشايخهم طرقاً ومسالك يسيرون عليها في منهجهم الصوفي للوصول لغاياتهم المنشودة.

ومن خلال القراءة في كتب القوم لمعرفة تفاصيل الطرق التي انتشرت في

(١) معجم اصطلاحات الصوفية، للكاشاني (ص٨٥)؛ وكتاب التعريفات، للجرجاني (ص١١٦).
(٢) المعجم الصوفي (ص١٥٨).
(٣) التيجانية، لعلي بن محمد الدخيل الله (ص٢٨).
(٤) انظر: الرسالة القشيرية (ص٩٥)، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، ط١، ١٩٦٣م.

حضرموت، نجد عدم تدوين ما يتعلق بتلك الطرق بشكل واضح وموسع إلا ما كان من الاهتمام بالطريقة العلوية والتي تعد أشهر وأكبر طريقة ظهرت في حضرموت إذ هي عبارة عن عدة طرق مرتبة على نمط خاص كما سيأتي الحديث عنها، ولا يزال أتباع هذه الطريقة منتشرين في حضرموت وغيرها من بلدان العالم الإسلامي إلى يومنا هذا.

ويتضح كذلك من خلال القراءة في كتب القوم وكذا كتب المؤرخين الحضارمة قلة المعلومات في بعض الأحيان عن بعض الطرق التي كان ظهورها في بداية مراحل التصوف في حضرموت، فلا تجد لذلك إلا إشارات وتلميحات عن هذه الطرق دون تفصيل وتوضيح لمعالمها الصوفية.

وكما تقدم فإن ظهور هذه الطرق كان لأسباب كثيرة منها: التأثر بالبلدان الأخرى التي ظهر فيها التصوف وطرقه في وقت مبكر سبق حضرموت بسنوات طويلة كما هو الحال في بلاد زبيد، وتعددت فيها الطرق لعلاقة مشايخها بالبلدان الأخرى التي ظهر فيها التصوف، وكذلك لوفود الأفكار إليها؛ كونها بلاد علم يفد الناس إليها لتلقي العلوم لا سيما علوم الفقه والعربية وغير ذلك.

ومن أسباب وفود أفكار التصوف إلى حضرموت كذلك تأثر أهلها بالتصوف بسبب الرحلات ونحوها أو بغير ذلك من الأسباب.

ثم إن الطرق في حضرموت تفرع بعضها من طرق أخرى، كما هو الشأن في الطريقة العلوية التي تفرعت منها طرق أخرى: كالعيدروسية، والعطاسية، والحدادية وغيرها، وهي كما يقولون لا تختلف عن الطريقة الأم فهي عبارة عن سلاسل الأخذ التي وصلت إلى الشيوخ وصار المريدون والتلامذة ينتمون إليها، فيأخذون على من جاء بعدهم العهد[1] والتحكيم وغيرها من مراسيم وطقوس الصوفية[2].

---

(١) سيأتي الكلام عليه عند الكلام على آثارهم في مبحث العبادات الشركية والبدعية ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٢) انظر: رفع الأستار، لبلفقيه (ص٦)؛ والشيخ سعيد بن عيسى العمودي، لأبي بكر المشهور (ص١٦).

وحضرموت لم تعرف التصوف كمنهج وطريقة إلا في القرن السادس الهجري، بينما عرفت بلاد اليمن الأخرى الطريقة القادرية وأخذت بها من قبل ذلك بسنوات طويلة، وكذلك فقد انتشرت الطريقة الشعيبية (المدْيَنيّة) في حضرموت منذ القرن السادس، ومن هاتين الطريقتين ظهرت بقية الطرق، وتفرعت مدارس الذوق الصوفي[(١)].

وقد ظهرت طرق محلية في حضرموت منها الطريقة الحدادية والعيدروسية[(٢)]. وكل هذه الطرق تلتقي مع منبع التصوف العام.

وقد كان لحضرموت نصيب من تلك الطرق الصوفية القائمة على التعلق بالأشخاص، واتباع منهجهم المخالف لمنهج سلف الأمة وأئمتها، وتعتبر الطريقة العلوية أشهر الطرق الصوفية في حضرموت، منذ ظهر التصوف فيها، وهي عبارة عن مزيج من طرق أخرى كما سيأتي.

وتلتقي صوفية حضرموت مع الطرق الأخرى كالقادرية والشاذلية في إسناد الخرقة الصوفية، حتى قال أبو بكر بن عبد الله العيدروس عند ذكره لإسناد الخرقة الصوفية التي ينتمون إليها: «ولنا أيضا بهذا الإسناد خمس خرق: الأولى: إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، والثانية: إلى الرفاعي، والثالثة: إلى الشيخ السهروردي، والرابعة: إلى الشيخ أبي مدين، والخامسة: إلى الشيخ أبي إسحاق الكازروني[(٣)]، ولي طريق آخر: السادسة بإسناده المتصل إلى أبي الحسن الشاذلي ﷺ فتمت بحمد الله ست خرق مسلسلة إلى المشايخ

(١) انظر: سلسلة أعلام حضرموت: الشيخ سعيد بن عيسى العمودي (ص١٦)، طبع بمطابع شركة الأدوية ـ صنعاء، بدون تاريخ.

(٢) انظر: الصوفية والفقهاء في اليمن، لعبد الله الحبشي (ص٣٣)، ط١، ١٣٩٦هـ، توزيع مكتبة الجيل الجديد ـ صنعاء.

(٣) هو أبو إسحاق علي الكازروني، أحد الصوفية من أصحاب المجاهدات والرياضات الصوفية، تتلمذ عليه عبد الوهاب الشعراني، له كلام كثير في التصوف، وفي الأحوال، والفناء. مات سنة ٩٦٠هـ. انظر: الطبقات الكبرى، للشعراني (٢/ ٢٤٥ ـ ٢٤٧)، ط دار الفكر.

المذكورين»[١].

وبالنظر إلى حقيقة الطرق الصوفية نجدها عبارة عن مشيخات أخذت أسماءها من أسماء مشايخها التي كانوا يجمعون حولهم المريدين والسالكين ليوصلوهم ـ كما يزعمون ـ إلى مقامات السالكين ودرجات العارفين، ويمدونهم بمددهم الصوفي وغير ذلك من ترهات الصوفية، ويتبين ذلك من أسمائها كالعلوية، والقادرية، والعيدروسية... إلخ.

وهناك اتفاق بين طرق الصوفية المختلفة: «والفرق بين الطرق هو بكلمات الأذكار لا بمعانيها، وبأشكال الحضرة، وأما الرياضة والوصول والكشف والحقيقة، فواحدة»[٢].

وقد انتشرت في حضرموت عدة طرق منذ نشأة التصوف بها ولكن تلك الطرق لم يكن لها الأثر البالغ، عدا طريقة واحدة كان لها الأثر في نشر التصوف لا تزال آثارها باقية إلى يومنا هذا:

الطرق الصوفية الأخرى المنتشرة في حضرموت.

أ ـ الطريقة القادرية:

وتنسب إلى الشيخ عبد القادر بن موسى الجيلاني (ت٥٦١هـ) ومن أشهر أتباع هذه الطريقة في حضرموت إبراهيم بن محمد باهرمز[٣] بمدينة شبام، وعبد الله بن عقيل باعباد[٤][٥].

وقد كانت الطريقة القادرية منتشرة في اليمن[٦] حتى قال أبو بكر

---

(١) الجزء اللطيف في التحكيم الشريف، لأبي بكر بن عبد الله العيدروس (ص١٩)، ط٢، ١٣٥٥هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (ص٣٥٣).

(٣) هو إبراهيم بن عبد الله بن عمر باهُرمُز، من صوفية حضرموت، ولد سنة ٨٧٧هـ، توفي بشبام سنة ٩٣٩هـ. انظر: خلاصة الخبر عن بعض أعيان القرنين العاشر والحادي عشر (ص٣١٢ ـ ٣١٣).

(٤) هو عبد الله بن عقيل باعباد، من صوفية حضرموت في القرن التاسع. ولد سنة ٨١٠هـ، ولازم أباه في رحلاته إلى بلدان عدة. انظر: الإكليل (ص١٩٥ وما بعدها).

(٥) الجزء اللطيف (ص١٩، ٢١).

(٦) انظر أول معرفة اليمنيين للطريقة القادرية ووقت انتشارها في اليمن: طبقات الخواص (ص٧١، ٨٤).

العيدروس في الجزء اللطيف: «وسأذكر مشايخي ﷺ إلى الخرقة القادرية، ثم أشرع في إسنادها فإنه كان الغالب على أهل اليمن ومناسبهم المشهورة انتماءهم إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ما خلا الفذ القليل: كالسادة الأشراف آل باعلوي، وآل العمودي، وسيدي الولي العارف ذو الأحوال والمعارف: القطب الغوث جوهر العدني[١] نفع الله به، فإن نسبته مما اشتهر إلى الشيخ أبي مدين أيضا، وكذلك جد آل بامعبد»[٢].

ب ـ الطريقة المغربية (المدينية):

وتنسب إلى شعيب بن الحسن (أو الحسين) التلمساني الأندلسي الشهير بأبي مدين، استوطن بجاية في المغرب، ومات في طريقه للقتل على الزندقة (سنة ٥٩٠هـ) وقيل سنة: (٥٩٣هـ) في تلمسان.

وقد بدأ ظهور هذه الطريقة في حضرموت منذ وقت بعث أبي مدين لمندوبه إلى حضرموت لنشر طريقته «ومنذ ذلك التاريخ وأتباع هذه الطريقة يتكاثرون في اليمن، ولعل آخرهم هو الشيخ أحمد بن عبد القادر باعشن المتوفى سنة ١٠٥٢هـ الذي شرح كتاب الشيخ أبي مدين (أنس الوحيد) في مؤلف بعنوان (البيان والمزيد)»[٣].

ومن أشهر أتباع هذه الطريقة في حضرموت: محمد بن علي الفقيه المقدم الذي أسس الطريقة العلوية المنتشرة بحضرموت إلى يومنا هذا، وسعيد بن عيسى العمودي الذي أسس الطريقة العمودية.

* * * * *

---

(١) هو أبو البهاء جوهر بن عبد الله العدني الصوفي، من أهل الجند. ذكرت له كثير من الكرامات والشطحات الصوفية. توفي بعدن سنة ٦٢٦هـ. انظر: تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها، لأبي عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد أبي مخرمة (ص٧١ ـ ٧٣). اعتنى به علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، دار الجيل ـ بيروت، ودار عمار ـ عَمَّان.

(٢) الجزء اللطيف (ص٢٠).

(٣) الصوفية والفقهاء في اليمن (ص٣٥ ـ ٣٦).

❁ المطلب الأول ❁

الطريقة العلوية في حضرموت

وهي أكبر الطرق بحضرموت، وأكثرها انتشاراً، وسميت بالعلوية نسبة لآل أبي علوي الذين ينسبون لعلوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر، الساكنين حضرموت، حيث قدم جدهم أحمد بن عيسى المهاجر من العراق واستوطن حضرموت وتناسلت ذريته فيها وهي باقية إلى يومنا هذا.

ومؤسس هذه الطريقة هو محمد بن علي بن محمد باعلوي المشهور بالفقيه المقدم المولود بتريم سنة ٥٧٤هـ، والمتوفى والمدفون بها سنة ٦٥٣هـ[(١)].

ويقسِّم الحداد هذه الطريقة إلى: الطريقة الخاصة وفيها تكون المشيخة؛ مشيخة تحكيم أي أن المريد يسلم أمره إلى شيخه بالكلية فهي ـ كما يرون ـ: «تهذيب أخلاق النفس، وتلطيف كثافتها بالرياضات البالغة، الماحقة للرعونات النفسية القاهرة للحظوظ الشهوانية، المزينة بالحضور الدائم مع الله ﷻ»[(٢)].

ومن الرياضات البالغة المذكورة: الخلوة الأربعينية، والجوع والسهر وغير ذلك، وعلاقة الشيخ بالمريد في هذه الطريقة المسماة بالتحكيم معناها ألا يبقى للمريد مع الشيخ شيء من الإرادة، ولا الفعل المستقل فلا يفعل شيئاً إلا بأمر شيخه[(٣)].

ويعتبر الشيخ المصدر الأساس في الطريقة العلوية، الذي يستقي منه المريدون العلم، والتوجيه للعمل الذي يترقون به في منازل التصوف، فلا يعرضون الأقوال والأعمال والإرادات على الكتاب والسنّة، ولا يسلكون منهج سلف الأمة المأمور باقتفائه، والتحذير من العدول عنه، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) انظر: الغاية والأساس (ص٣٧).

(٢) كتاب (الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر الهجري) (ص١٠٤ ـ ١٠٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص١٠٥).

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله عند تفسير هذه الآية: «يقول جل ثناؤه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾: ومن يباين الرسول ﷺ معادياً له فيفارقه على العداوة له، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ يعني: من بعد ما تبين له أنه رسول الله ﷺ، وأن ما جاء به من عند الله يهدي إلى الحق، وإلى طريق مستقيم، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ويتبع طريقاً غير طريق أهل التصديق، ويسلك منهاجاً غير منهاجهم، وذلك هو الكفر بالله؛ لأن الكفر بالله ورسوله غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم...»[١].

لذا فلا غرو أن نجد القوم يتخبطون ويضطربون في وضع الطقوس والمراسيم الخاصة بالطريقة، ووضع الشروط الخاصة لسلوكها، فيظهر بذلك توافقها مع الطرق الصوفية الأخرى، حيث تجتمع جميعها في الوقوع في المخالفات الشرعية؛ وذلك لأن كل طريقة تبحث عما تراه يناسبها، مقتفية طريق المعظمين عندها وإن خالف الكتاب والسنّة، كما سيتضح من تقسيمهم لطرقهم إلى أقسام متعددة لكل فئة مسلك تسلكه دون غيرها.

يقول عبد الله بن علوي العطاس[٢]: «والطريق عند أهل الحقيقة: عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية التي لا رخصة فيها وهي المختصة بالسالكين إلى الله تعالى مع قطع المنازل، والترقي والمقامات ما رسخ وأقام من الأحوال والتحقيق مأخوذ من الحقيقة»[٣].

وقد أُلِّفت كتب كثيرة في بيان هذه الطريقة ومنهجها[٤] وحقيقتها وهذا

---

(١) جامع البيان (٥/ ٣٢٣).

(٢) هو عبد الله بن علوي العطاس: من صوفية حضرموت، مؤسس الطريقة العطاسية، واعظ صوفي رحالة، توفي سنة ١٣٣٤هـ. من مؤلفاته: البروق اللامعة، وظهور الحقائق في بيان الطرائق، ورياض المديح في ذكر النبي المليح. انظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٦٨).

(٣) ظهور الحقائق في بيان الطرائق، لعبد الله بن علوي العطاس (ص١٧).

(٤) ومن هذه الكتب على سبيل المثال: تبصرة الولي بطريقة السادة بني علوي، لأحمد بن زين الحبشي، وعقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادات العلوية، لعيدروس بن عمر الحبشي، وظهور الحقائق في بيان الطرائق لعبد الله بن علوي العطاس، =

يدل على شدة اهتمام القوم بهذه الطريقة والتي تفرعت منها طرق أخرى فيما بعد فنسبت لأشخاص معظمين عندهم كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وتتسم طرق الصوفية في حضرموت بالغموض في طريقتها لمن ليس منهم، فمن يطالع كتبهم يجد لغة الرموز، والإشارات والعبارات الغريبة، واتسام منهجهم بالسرية، حتى أن أحد علمائهم ويسمى محمد بن عبد الله بن شيخ العيدروس قد ألّف كتاباً سماه: «إيضاح أسرار علوم المقربين»[1]، وهذا يؤكد التقاء المتصوفة مع فرق الباطنية في بعض أساليبها وتوجهاتها كما سيأتي بيانه في مبحث مصادر التلقي عند صوفية حضرموت.

ولشيوخ طريقتهم مجاهدات للوصول للمقامات والمنازل العالية في التصوف، وتتخذ مجاهداتهم صوراً متعددة، منها الجوع والسهر، وتعذيب النفس وحرمانها مما أحل الله تعالى لها[2].

وهناك الطريقة العامة التي جعلها الحداد لأهل الأزمنة المتأخرة لكثرت مشاغل الدنيا، وضعف همم الناس فقال: «لا تصلح الخلوة والرياضة في هذا الزمان، لعدم توفر شروطهما فيه...»[3].

وأما المكاشفات[4] وخرق العادات، وكذلك مسألة الفناء والفرق والجمع[5] فمن مهمات المطالب في طريقتهم، وذلك للوصول إلى الله تعالى

= وكتاب إيضاح الأسرار العلوية ومنهاج السادة العلوية، لفضل بن علوي بن محمد بن سهل العلوي، والعقود اللؤلؤية في بيان طريقة السادة العلوية، لمحمد بن حسين بن عبد الله الحبشي، والغاية الأساس لطريقة الداعي إلى رب الناس الإمام العارف بالله عبد الله بن علوي بن حسن العطاس، لمصطفى بن عبد الرحمن العطاس وغيرها من الكتب بالإضافة لذكر بعض ما يتعلق بطريقتهم في ثنايا بعض كتبهم الأخرى.

(١) والكتاب المذكور طبع أكثر من طبعة آخرها طبعة دار الحاوي، عام ١٤١٦هـ.

(٢) انظر صور من هذه المجاهدات: عقود الألماس بمناقب شيخ الطريقة وإمام الحقيقة أحمد بن حسن العطاس (١/٥٨ ـ ٦٢)، ط١، ١٣٦٨هـ.

(٣) كتاب (الإمام الحداد) (ص١٥٤).

(٤) انظر الكلام على الكشف ومسائله (ص٢٦٣وما بعدها) من هذا البحث.

(٥) وهذه من مصطلحات الصوفية: فالفناء والبقاء: هو: «أن تفنى الحظوظ فلا يكون له في شيء =

بها، يقول الحداد عن مرتبة الطريقة الخاصة: «يعلم السائل أن الواصل إلى الله عَبْدٌ وصل من العلم بالله إلى حد ينتهي إلى علم العلماء به من خلقه. وأهل هذه المرتبة يتفاوتون تفاوتاً لا ينحصر، وللواصل على هذا المقام حالتان تسمى إحداهما: بالجمع، والأخرى: بالفرق. فإذا وردت عليه حالة الجمع فني عن نفسه وعن غيره من جنسه، واستغرق بربه، وذهب عنه بالكلية، فلا خاطر هناك يخطر، ولا موجود ثَم يظهر إلا الموجود الحق جلَّ وعلا»(١).

ويقول الحداد عن حالة الفرق: «وأما حالة الفرق، فالواصل فيها محفوظ وبعين العناية ملحوظ. وعندها يبقى الخاطر الرباني، ويسمى عند الصوفية بالإذن، والخاطر الملكي ويدعى عندهم بالإلهام(٢)»(٣).

والشيخ رأس الطريقة وهو دليل المريد الذي لا يحتاج إلى دليل غيره ليوصله إلى أعلى المقامات ورتب الكمال المزعومة يقول عبد الله بن علوي العطاس: «فقد قال ساداتنا: لولا المربي ما عرفت ربي، وعليه بحفظ خواطره وامتثال أوامره، فقد قالوا: من رده قلب شيخ لا يفلح أبداً، وليجعل نفسه كالميت بين يدي الغاسل ليفوز بالفوز العظيم»(٤).

= من ذلك حظ، ويسقط عنه التميز، وهو فناء عن الأشياء كلها، شغلاً بما فني به... والبقاء الذي يعقبه هو أن يفنى عما له ويبقى بالله» التعرف على التصوف (ص١٤٢ ـ ١٤٣)، ط١، ١٤١٣هـ.

ومقام الجمع ـ نوع من الفناء ـ ويسمى الجمع في مقابل مقام الفرق وهو الصحو أو البقاء. ويقول القشيري: «من استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً ولا رسماً ولا طللاً، يقال: أنه فني عن الخلق وبقي بالخلق» الرسالة القشيرية (١/٢١٢)، ط١، ١٣٨٥هـ، ويقول أيضاً: «فإثبات الخلق من باب التفرقة، وإثبات الحق من نعت الجمع» المصدر السابق (١/٢٠٧).

(١) النفائس العلوية (ص٣٧). وهذه العبارة من العبارات التي توحي بعقيدة وحدة الوجود، وهي غاية المتصوفة الغلاة، فهل الحداد من هؤلاء المعتقدين بها، أو يقر أصحابه على ذلك؟!. والذي يمنعني من الجزم بذلك هو وجود عبارات أخرى أنكرها على هذه العقيدة، لكن لعله الاضطراب عند القوم، وهكذا المخالفات تهوي بصاحبها في هاوية المهالك والردى.

(٢) انظر الكلام على الكشف والإلهام ومسائله (ص٢٦٣ وما بعدها) من هذا البحث.

(٣) النفائس العلوية (ص٤٥).

(٤) ظهور الحقائق (ص٢٨).

فهذا هو أساس الطرق الصوفية وهي التربية الذليلة للمريد، التي تجعله يرفع منزلة شيخه فوق منزلته التي جعلها الله تعالى له، بل غلوا فيه أشد الغلو، وقد نهى ﷺ عن الغلو بكل صوره، فقد أخرج النسائي في سننه بسنده أن ابن عباس قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على راحلته: «هات القط لي» فلقطت له حصيات هُنّ حصى الخذف فلما وضعتهن في يده قال: «بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[١] وبيّن ﷺ لأمته أن الغلو مذموم، حتى في شخصه ﷺ فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله»[٢].

وأما عن أصل الطريقة العلوية في حضرموت، فقد اتفقت كتب صوفية حضرموت على أن أصل طريقة آل باعلوي هي الطريقة المدينية؛ طريقة أبي مدين شعيب المغربي، وقطبها ومدار حقيقتها الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، وهذا الاتفاق من القوم يوردونه بشكل قصة يتناقلونها في كتبهم[٣] حتى جعلت من المسلمات.

وقد لخص هذه القصة بلفقيه ـ كما تقدم ـ بقوله:

وشيخهم الغوث الفقيه محمد ... أبو علوي ذو المعالي العلية
إمام الطريقين الحسيني نسبة ... ثوى في تريم البلدة الحضرمية
ومرجعه في لبسه وانتسابه ... أبو مدين شمس القرى المغربية

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢١٥، ٣٤٧)؛ والنسائي في سننه: كتاب مناسك الحج، باب: التقاط الحصى (ص٣٢٣) برقم (٣٠٥٧)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب: المناسك، باب: قدر حصى الرمي، (٣٢٨) برقم (٣٠٢٩)؛ وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم) (١/ ٢٩٣)؛ وانظر: السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني (٣/ ٢٧٨). برقم (١٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (ص٦٦٤) برقم (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وبرقم ٦٨٣٠ في حديث طويل من حديث ابن عباس.

(٣) انظر القصة: الجوهر الشفاف (١/ ٨١ ـ ٨٢)؛ والمشرع الروي (٢/ ٤ ـ ٥)؛ وشرح العينية (ص١١٣)؛ وعقود الألماس (١/ ٤٣ ـ ٤٤).

بخرقته قد أرسل الصالح الذي لدى الموت فيها المقعد أوصى بمكة

وقد غلا القوم في الطريقة العلوية ودعوا للتمسك بها أشد التمسك، حتى نشروا الأحلام والمنامات التي تدعوا للمحافظة على هذه الطريقة وتحث أتباعها على التمسك بها، يقول محمد بن حسين الحبشي[١]: «ولما جاء الشيخ باركوة[٢] إلى تريم، وقصده أن يُحكِّم ويلقِّن السادة على الكيفية المعروفة في سيرته رأى في المنام: أن سيدنا الفقيه المقدم يقول له: اخرج من البلد لئلا تفتن أولادي فخرج منها هارباً»[٣].

وقال محمد الحبشي: «وما خالف طريقة آل باعلوي فهو من السبل المتفرقة عن سبيل الله»[٤].

ويقول الحداد عن شيوخ الطريقة العلوية والذين يجلونهم ويقدمونهم على غيرهم: «الفقيه المقدم والشيخ عبد القادر الجيلاني إمامان كبيران قطبان جامعان سنيان شريفان وكل منهما فاضل سابق ومقرب، وانتفاعنا واعتمادنا على الشيخ الفقيه المقدم أكثر وأظهر؛ لأنه الأب، والشيخ الذي تدور عليه الدواير في هذه الجهة لنا ولغيرنا وهما في المقام سواء غير أن ظهور سيدنا الفقيه المقدم في العالم البرزخي أكبر وكذا الشيخ أبو مدين إمام عظيم جامع وممن قطب أيضاً على ما ذكره العارفون فانتقلت القطبية من الشيخ عبد القادر

---

(١) هو محمد بن حسين بن عبد الله بن شيخ الحبشي ـ والد الصوفي الكبير علي الحبشي صاحب القبة الكبيرة بسيئون ـ، ولد بحضرموت، ثم هاجر إلى الحرمين، وتولى الإفتاء بمكة فبقي بها إلى أن توفي سنة ١٢٨١هـ. انظر: الجامع، لبامطرف (ص٥٠٤).

(٢) هو عمر بن عيسى باركوة السمرقندي، من صوفية القرن العاشر، وهو من تلاميذ أبي بكر بن سالم ـ صاحب عينات المتوفى سنة ٩٩٢هـ ـ. ومن الذين أخذوا عنه في التصوف: عمر بن عبد الرحمن العطاس، وأحمد بن عبد القادر باعشن وغيرهما. مات بالغرفة. انظر: إدام القوت (ص٦١٧)، ط المنهاج.

(٣) العقود اللؤلؤية في بيان طريقة السادة العلوية، لمحمد بن حسين بن عبد الله الحبشي (ص٤)، طبع على نفقة شيخ بن محمد بن حسين الحبشي بتاريخ ١٢٨٩هـ. وانظر: تخويفهم من يترك طريقتهم بأنه يصاب بالجنون، أو يموت ونحو ذلك، واستدلالهم لذلك بقصصهم الخيالية، وترهاتهم المنحرفة: المصدر السابق (ص١٦).

(٤) العقود اللؤلؤية في بيان طريقة السادة العلوية (ص٥).

إلى الشيخ أبي مدين إلى الشيخ الفقيه المقدم على الترتيب لا على التوالي»[١].

ومدرسة التصوف في حضرموت لم تهتم بالتأليف في بداياتها وسبب ذلك تعليلهم بأنها: «طريق تحقيق أذواق وأسرار وجنحوا إلى الخمول والسر والإسرار ولم يضعوا في ذلك تأليفاً ولا صنفوا فيه تصنيفاً، ومضت الطبقة الأولى إلى زمن العيدروس وأخيه الشيخ علي فاتسعت الدائرة وبعد المزار واتصل بهم القريب المنفصل ببعيد الدار احتيج إلى التأليف والإيضاح والتعريف»[٢].

وقد أشار الحداد إلى ذلك بقوله:

فعن عيدروس السر بعد عفيفه ... إلى الشيخ قطب العارفين الأئمة
علي بن أبي بكر الإمام ملاذنا ... وعمدتنا في نقل علم الحقيقة[٣]

ولا بد من شيخ عند القوم وذلك للترقي في طريق التصوف كما قال الحداد:

ولا بد من شيخ تسير بسيره ... إلى الله من أهل القلوب الزاكية[٤]

فالشيخ في الطريقة الصوفية هو المحور الرئيس الذي تدور حوله الطريقة، فلا وجود للطريقة بدونه، لذا قال الحداد: «طريقة السادة آل أبي علوي العقيدة التامة والتعلق بالشيخ والاعتناء من الشيخ والتربية بالسر، وهي طريقة السلف كالحسن البصري[٥] وغيره»[٦].

هكذا يصف الحداد طريقتهم وهي الغلو في الشيخ والتعلق به لا التعلق بالكتاب والسنّة على منهج سلف الأمة والتمسك بذلك لأنه سبيل العصمة،

---

(١) كتاب النفائس العلوية، لعبد الله بن علوي الحداد (ص٧٣)؛ والعقود اللؤلؤية (ص٧).
(٢) ظهور الحقائق (ص٦٨). (٣) ديوان الحداد (ص٧٩).
(٤) المصدر السابق (ص٨٢).
(٥) هو سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه مشهور، زاهد فاضل، كان يرسل كثيراً وكان أفصح الناس وأجملهم. مات سنة ١١٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٢/٣٨٨)؛ وتقريب التهذيب (ص٢٣٦)، ط العاصمة.
(٦) العقود اللؤلؤية (ص١٦).

وأكثر القوم من الدندنة حول السر الصوفي الذي يخفونه على عوام الناس وهذا ليس من النصيحة التي أرشد إليها النبي ﷺ بقوله: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم»[(١)].

ثم إن قوله: بأن طريقتهم هي طريقة السلف كالإمام الحسن البصري كلام غير صحيح، يكذبه الواقع فالإمام الحسن البصري من كبار أئمة السلف الداعين إلى الكتاب والسنّة على بصيرة، ومن الذابين عن منهج السلف الصالح، ومن العلماء المحذرين من البدع وأهلها وقد أكثر أهل العلم من نقل كلامه المتين في التمسك بالسنّة والنهي عن البدع، والتحذير من أهلها، وكان يحث على اتباع الآثار السلفية دون المحدثات الخلفية، فقد روى الإمام أحمد في الزهد بسنده عن الحسن البصري أنه قال: «اعرفوا المهاجرين بفضلهم، واتبعوا آثارهم وإياكم وما أحدث الناس في دينهم، فإن شر الأمور المحدثات»[(٢)].

ونقل ابن وضاح القرطبي[(٣)] بإسناد صحيح إلى الحسن البصري أنه قال: «صاحب البدعة لا يزداد اجتهاداً، وصياماً، وصلاة إلا ازداد من الله بعداً»[(٤)].

فهذا بعض كلام هذا الإمام المتبع لمنهج النبي ﷺ، ولننظر في واقع المتصوفة في حضرموت هل تمثلوا المنهج الذي سار عليه هذا الإمام في التمسك بالسنّة والتحذير مما يخالفها، فكُتُب القوم مُلئت بالشركيات والبدع

---

(١) تقدم تخريجه (ص٧) من هذا البحث.

(٢) الزهد، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ص٣٣٤)، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) هو العلامة أبو عبد الله محمد بن وضاح المرواني القرطبي، مولى عبد الرحمن بن معاوية الداخل، ولد سنة ١٩٩هـ. لقي جماعة من العلماء كأحمد وابن معين وزهير بن حرب وغيرهم، قال فيه الإمام الذهبي: «الإمام الحافظ محدث الأندلس مع بقي». مات رحمه الله سنة ٢٨٧هـ. انظر في ترجمته: تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي (٢/١٧)؛ والسير (١٣/٤٤٥)؛ وميزان الاعتدال (٤/٥٩).

(٤) البدع والنهي عنها، لمحمد بن وضاح القرطبي (ص٢٦) برقم (٧١)، تحقيق ودراسة: عمرو بن عبد المنعم سليم، ط١، ١٤١٦هـ، الناشر: مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.

والخرافات والغلو في الأولياء والصالحين وإعطائهم صفات الرب تعالى، فهل هؤلاء اتبعوا آثار المهاجرين وتركوا الإحداث في الدين الذي حذر منه هذا الإمام؟!.

ويصرح القوم بعدم الاهتمام بعلم الشرع المدون في الكتب، ومنها كتب السنّة المعتمدة على قال (حدثنا وأخبرنا)، وإنما للقوم مسلك آخر ذكره بلفقيه في قصيدته المسماة الرشفات[1]:

ونيلها من منح فيض وهبي	أو فتح فضل بعد جدٍّ كسبي
لا من روايات الورى والكتب	ولا بقيل علمها أو قال
طوبى لمن طاب لها استعداده	وانحلّ من رق السِّوى قيادُه
فجلَّ من عين الحجا رشاده	فذاق منها بلّةً ببالِ
فبلّة من كأسها المختوم	تملأ رياض القلب بالعلوم
وتحفظ الفهم من الوهوم	وتطلق العقل عن العقال

والقوم يفتخرون بالخمول والضعف، جاء في كتاب العقود اللؤلؤية: «وقال ﵁، ونفعنا به[2]: مقام سادتنا الضعف والمسكنة والخمول غير ما هو لغيرهم من الأولياء من هذه الصفات»[3].

ويقول عبد الله بن علوي الحداد: «فُرِش بساط للشيخ عبد القادر وطوي، ثم للشيخ أبي بكر العيدروس وطوي، ثم فرش لنا ويطوى ولا يطوى إلا للمهدي».

قال عبد الله باسودان شارحاً لكلام الحداد هذا: «وذلك أن الشيخ عبد الله العيدروس كان مظهراً عظيماً من مظاهر آل باعلوي وهو أول من صنف في طريقهم، وصاحب الراتب[4] كان كالخاتم لتلك المظاهر العلوية القدسية»[5].

---

(١) رشفات أهل الكمال ونسمات أهل الوصال، نظم: عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه (ص٤)، طبع سنة ١٣٢٨هـ على نفقة شيخ بن محمد بن حسين العيدروس.

(٢) أي عبد الله بن علوي الحداد.

(٣) العقود اللؤلؤية (ص١٧).

(٤) صاحب الراتب هو عبد الله بن علوي الحداد، وأما الشارح فهو عبد الله باسودان.

(٥) ذخيرة المعاد بشرح راتب القطب الحداد، لعبد الله بن أحمد باسودان (ص٢٠٩)، ط٢، =

ويقول الحداد: «طرق التصوف وإن تعددت، فهي طريقة واحدة وهي: مجاهدة النفس والخروج من كل ما تدعو إليه، وهذا أمر عسر»(١).

ويقول أيضاً: «الطريقة التي تذكر إنما هي طريقة الباطن وهي العقائد والأخلاق، وإنما مثل لها بالطريق الظاهر لتعقل وتفهم»(٢).

وهي طريقة خليط من أكثر من طريقة، فهي كما وصفها أصحابها غزالية المظهر شاذلية الباطن(٣)؛ وهي هدي وسكون، ومحو وإثبات، ويصفون طريقة الشاذلي بأنها طريقة الشكر وهي الأصلية والتي كانت عليها قلوب الأنبياء والصحابة، أما طريقة الغزالي فتعتمد على الرياضة والتعب، والمشقة والسهر والجوع «المجاهدة» فتكون طريقة الشكر أصعب على النفوس الغافلة. والجمع بين الطريقتين هي طريقة السادة العلوية في حضرموت(٤).

وأصبحت هذه الطريقة ذات أصول، ولها شيوخها ومنهجها الذي تسير عليه، ولم تجعل لأي من الطرق عليها سبيلاً؛ بل تمسكت بطريقتها، يقول محمد بن حسين الحبشي: «وقد وقع لشيخنا عمر البار(٥) أن بعض مشائخ اليمن قصده أن يجيزه على طريقة نقشبندية فلقي بعض مجاذيب آل باعلوي وهو السيد سالم بن حسن بن شيخ فأول ما ذكره به قول المحضار:

ومن جاءنا بايخضع حمانا نكثر في بلده الصائبات(٦)

= ١٣٧٩هـ، مطبعة لجنة البيان العربي ـ القاهرة.

(١) الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر (ص١٠٥).

(٢) عقود الألماس (١/ ٤٣ ـ ٤٤)؛ والإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر (ص١٠٥).

(٣) انظر: عقود الألماس (١/ ٤٣ ـ ٤٤).

(٤) المصدر السابق (١/ ٤٤)؛ وانظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٢٢).

(٥) هو عمر بن عبد الله البار: من صوفية حضرموت، رحل إلى زبيد ومكة، توفي سنة ١٢١٢هـ، من مؤلفاته: الروضة الأنيقة في أسماء أهل الطريقة منظومة شرحها تلميذه عبد الله باسودان، ومطالع الأنوار (مجموعة أوراد). انظر: عقد اليواقيت (٢/ ٦٣ ـ ٦٤)؛ وعقود اللآل (ص٢٢٧)؛ ونيل الوطر (٢/ ١٦٧)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ٣٣)؛ مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٥٧).

(٦) العقود اللؤلؤية (ص١٠)؛ والبيت باللهجة العامية في حضرموت ومعناه من جاءنا يريد يقع في حمانا سوف نكثر في بلده المصائب وما يكره. وانظر كذلك من قصصهم في التخويف من =

واستعمل القوم في طريقتهم العلوية أوضاعاً ورسوماً مبتدعة، منها ما يسمى بالخرقة الصوفية التي تعد من أهم رسوم الصوفية، وليقتنع بها الناس فقد استدلوا لها بحديث موضوع أسنده الوضاعون إلى النبي ﷺ ليثبتوا سند الخرقة الصوفية التي هي من شعارهم فقالوا: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي إلى السماء وأمسك حبيبي جبريل عليه السلام بيدي فأدخلني الجنة بعد المخاطبة، فرأيت فيها قصراً من ياقوتة حمراء فيها صندوق من نور عليه قفل من نور فقلت:

يا حبيبي جبريل ما في هذا الصندوق؟ قال: فيه فخرك وفخر أمتك من بعدك إلى يوم القيامة، هذا فيه خرقة الفقر، ثم فتح الصندوق وأخرج منه خرقة الفقر وألبسنيها، وقال: يا محمد أمرني الحق أن ألبسها لك فلا تودعها إلا عند مستحقها، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجال بها في الجنة وقال: «الفقر فخري وفخر أمتي من بعدي إلى يوم القيامة». قالوا: وانتقلت نسبة الخرقة الشريفة من النبي ﷺ إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وانتقلت من علي رضي الله عنه إلى الحسن البصري رحمه الله، وانتقلت من الحسن البصري إلى حبيب العجمي وانتقلت من حبيب العجمي إلى داود الطائي إلى معروف الكرخي إلى سري السقطي إلى الشيخ الجنيد البغدادي ومن الجنيد البغدادي تفرقت إلى المشائخ. ومن طريق أخرى: «انتقلت من النبي ﷺ إلى الحسين بن علي بن أبي طالب إلى علي زين العابدين إلى محمد الباقر إلى جعفر الصادق إلى موسى الكاظم إلى داود الطائي إلى معروف الكرخي إلى سري السقطي إلى الجنيد البغدادي[1]». وفي هذا النص يبدو أثر التشيع على القوم في نسبة الخرقة الصوفية حيث ادعى القوم أعطاء النبي ﷺ علياً رضي الله عنه الخرقة دون سائر الصحابة.

= ترك طريقتهم لمن دخل فيها: المصدر السابق (ص٤).

(١) موضوع. نقل ذلك السخاوي في المقاصد الحسنة عن الحافظ ابن حجر (ص٣٠٠) حيث قال: «قال شيخنا هو باطل موضوع» طبعة دار الهجرة بيروت (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م). ثم هذا الكلام يخالف هديه ﷺ حيث كان ﷺ يستعيذ بالله من الفقر، فكان يقول (اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أظلم أو أُظلم) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١٢٨٧).

ثم إنَّ قولهم بانتقال الخرقة الصوفية من علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الحسن البصري رحمه الله غير صحيح؛ لأن المحدثين يقولون: إن الحسن لم يسمع من علي بن أبي طالب رضي الله عنه شيئاً، قال العجلوني[1] عن قول الصوفية إن الحسن البصري لبس الخرقة الصوفية من علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «قال ابن دحية[2] وابن الصلاح[3]: باطل، ولم يسمع الحسن من علي حرفاً بالإجماع، فكيف يلبسها منه؟»[4].

وهذا كاف في بيان انقطاع إسناد خرقتهم المزعومة.

وقد بيّن أهل العلم بطلان ما ادعته الصوفية لإثبات الخرقة التي يقدسونها، يقول العجلوني رحمه الله مبيناً بطلان إسناد الخرقة الصوفية: «وقال جماعة من العلماء وما يذكره بعضهم: من أن الحسن لم يسمع من علي ولم يرد في خبر ضعيف أنه عليه السلام[5] ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحداً منهم بفعلها، وكل ما يروى في ذلك صريحاً فهو باطل، نعم لبسها وألبسها جمع منهم تشبهاً بالقوم وتبركاً بطريقتهم، إذ ورد لبسهم لها عقد الصحبة المتصلة إلى كميل بن زياد[6] وهو قد صحب علياً

---

(١) هو أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني ثم الدمشقي الشافعي، المحدث المؤرخ. من تصانيفه: كشف الخفاء، والفيض الجاري في شرح صحيح البخاري، والكواكب المنيرة المجتمعة في تراجم الأئمة المجتهدين الأربعة. توفي سنة ١١٦٢هـ. انظر: هداية العارفين (٥/ ٢٢٠)؛ والأعلام (١/ ٣٢٥)؛ ومعجم المؤلفين (١/ ٣٧٨).

(٢) هو عمر بن علي بن حسن بن علي بن الجُميل، أبو الخطاب الكلبي الداني ثم السبتي. كان بصيراً بالحديث معتنياً بتقييده مكباً على سماعه، حسن الخط معروفاً بالضبط، حدّث بتونس سنة ٥٩٥هـ. توفي سنة ٦٣٣هـ. انظر: السير (٢٢/ ٢٨٩ ـ ٣٩٤).

(٣) هو الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن صلاح الدين بن عثمان الكردي، أحد الأئمة علماً وديناً، ولد سنة ٥٧٥هـ، وتوفي سنة ٦٤٣هـ. انظر ترجمته: العبر (٣/ ٢٤٤)؛ والبداية والنهاية (١٣/ ١٦٨)؛ والأعلام (٤/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨).

(٤) كشف الخفاء، للعجلوني (٢/ ١٨٠) تحقيق: أحمد القلاش، ط٤، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، والمقاصد الحسنة برقم (٢٠٣٥).

(٥) هذه من الصيغ التي دخلت على البعض، وكمثل قولهم علي ـ كرم الله وجهه ـ وهي من آثار الشيعة وغلوهم فيه. انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ١٠٠).

(٦) هو كميل بن زياد بن نهيك النخعي، تابعي ثقة رمي بالتشيع، وهو من أصحاب علي رضي الله عنه، =

اتفاقاً، وفي بعض الطرق اتصالها بأويس القرني[١]، وهو قد اجتمع بعمر وعلي اتفاقا. قلت: وكذا ما اشتهر بينهم من أن النبي ﷺ أوصى عمر وعليّاً بخرقته لأويس وأنهما سلماها إليه وأنها وصلت إليهم من أويس وهلم جراً فلا أصل له أيضاً»[٢].

وقال عيدروس بن عمر الحبشي عند ذكره لطرق خرقة التصوف التي ينتسب لها صوفية حضرموت: «وأما الطريق الثانية من طرق الشيخ القطب محمد بن علي في نسبة الخرقة الشهيرة ووصلة سند الصحبة، وسلسلة الوصلة إنه لبس الخرقة الشعيبية المدينية في بدايته ومبدأ مكاشفة بإذن رباني، وأمر غيبي، مع بشارات جليلة وإشارات عظيمة منها أنه سمع قائلاً يقول: لا يفك قلبك إلّا الشيخ عبد الرحمٰن المقعد وهو إذ ذاك بمكة فسار سيدنا الفقيه المقدم نحوه فلما بلغ أثناء الطريق أخبر بوفاته فرجع، وكان الشيخ عبد الرحمٰن المقعد من أكابر تلامذة الشيخ أبي مدين وكان قد أمره بالسفر إلى حضرموت، وقال له: إن لنا فيها أصحاباً فسر إليهم، وخذ عليهم عقد التحكيم، وحكمهم وألبسهم الخرقة، وأعطاه الخرقة وأمره أن يعطيها سيدنا الفقيه»[٣].

وقال علي بن أبي بكر السكران: «فلما حصل له ـ أعني سيدنا الفقيه ـ الإذن الرباني والأمر الغيبي يقظة وكشفاً عياناً لا مناماً؛ فلبس الخرقة الشريفة من يد الشيخ الإمام القطب شعيب أبي مدين المغربي بواسطة الشيخ عبد الرحمٰن المقعد بواسطة الشيخ عبد الله الصالح المغربي وبغير واسطة»[٤].

ويبيّن عيدروس بن عمر الحبشي الطريقة العلوية بذكر أئمتهم الذين

= شهد صفين مع علي، وسكن الكوفة. روى الحديث، قتله الحجاج سنة ٨٢هـ، وهو ابن سبعين سنة. انظر: تقريب التهذيب (٣/ ٤٧٥)، اعتناء: إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، ط١، ١٤١٦هـ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

(١) هو أويس بن عامر القرني ـ بفتح القاف المهملة ثم نون ـ من قبيلة مذحج، مخضرم، سيد التابعين كما رواه مسلم في الصحيح، أرسل وروى له مسلم أشياء من كلامه، شهد صفين مع علي رضي الله عنه وقتل يومئذ، وله مناقب مشهورة. انظر: الخلاصة للخزرجي (ص٤١).

(٢) كشف الخفاء (٢/ ٥٦٤).

(٣) كتاب عقد اليواقيت الجوهرية (ص١٣٨).

(٤) البرقة المشيقة (ص٤٥).

اعتمدوا عليهم في تحرير طريقتهم بعد كلام طويل له عن نقلها منذ عهد الرسول ﷺ ثم الصحابة والتابعين فتابعيهم فقال: «وقد نقل ذلك الإمامان: أبو طالب المكي في (قُوتِه)، وأبو القاسم القشيري في (رسالته)، ومن نحا نحوهم. ثم فصّل ذلك وهذّبه وحرّره وبوّبه وقرّره ونقّحه حجة الإسلام الغزالي. وهو طريق السادة العلويين الحضرميين الحسينيين تلقوه هكذا طبقة عن طبقة، وأباً عن أب، وتوارثوها من لدن الحسين، وزين العابدين، والباقر، والصادق وغيرهم من أكابر السلف، هكذا إلى الآن»[1].

وقال عبد الله بن أحمد باسودان: «سئل بحر العلوم وينبوع الفهوم الحبيب الإمام عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه باعلوي رضي الله عنه عن طريقة السادة آل أبي علوي ما هي؟ وكيف هي؟ وهل يكفي في تعريفها الكتاب والسنّة أم لا؟ وهل بينهم تخالف، وهل يخالفهم غيرها من الطرق أم لا؟.

الجواب: والله الموفق للصواب: اعلم أن طريقة السادة آل باعلوي أحد طرق الصوفية التي أساسها الكتاب والسنّة، ورأسها صدق الافتقار وشهود المنة، فهي اتباع منصوص على وجه مخصوص، وتهذيب الأصول لتقريب الوصول، فلها فائدة ونفع معلوم تزيد على ما يقتضيه اتباع الكتاب والسنّة على وجه العموم، وذلك أن علم الأحكام المتعلق بظاهر الإسلام أصل موضوعه عام في عام... ولا يكفي فيه التعليم بالعموم، بل لا بد فيه لكل جزء من تعريف وتوقيف، وهذا هو علم التصوف والسلوك إلى الله تعالى، طريق الصوفية فظاهرها علم وعمل بمقتضاه وباطنها صدق التوجه إلى الله تعالى بما يرضاه، فهي جامعة لكل خلق سُنِّي، مانعة من كل وصف دني إلى أن قال: «فأصل طريق السادة آل باعلوي الطريقة المدْينيّه طريق الشيخ أبي مَدْيَن المغربي وقطبها ومدار تحقيقها الفرد الغوث الشيخ الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي الحسيني الحضرمي، تلقاها عنه الرجال عن الرجال، وتوارثها منه الأكابر أولو المقامات والأصول، ولكن لكونها طريق تحقيق وأذواق وأسرار جنحوا إلى

---

(١) عقد اليواقيت الجوهرية (ص٣٢).

الخمول والتستر والأسرار، ولم يضعوا في ذلك تأليفاً، ولا صنفوا تصنيفاً، ومضى الطبقة الأولى على ذلك إلى زمن العيدروس وأخيه الشيخ علي؛ فاتسعت الدائرة وبعد المزار واتصل بهم المنفصل ببعد الدار؛ فاحتيج إلى التأليف والإيضاح والتعريف، فظهر بحمد الله ما يشرح الصدور ويبهج النفوس: كالكبريت الأحمر، والجزء اللطيف، والمعارج، والبرقة وغير ذلك وأكثر المتأخرون في ذلك التأليف واشتهر لهم في كل تعريف وتصنيف»[١].

وجاء في كتاب تاج الأعراس: «فاعلم أن طريقة السادة أبي علوي نسجها على هذا المنوال، فظاهرها علوم الدين والأعمال وباطنها تحقيق المقامات والأحوال وآدابها صون الأسرار والغيرة عليها الابتذال، فظاهرهم ما شرحه الغزالي من العلم والعمل على المنهج الرشيد، وباطنهم ما وضحه الشاذلية من تحقيق وتجريد التوحيد، فعلومهم علوم القوم ورسومهم محو الرسوم يرغبون إلى الله بالتقرب إليه بكل قربة، ويقولون بأخذ العهد والتلقين، والخرقة، ودخول الخلوة[٢]، والرياضة والمجاهدة وعقد الصحبة، والجذبات[٣]، وعلوم الأسرار، والمكاشفات في أعمال وأقوال تؤذن بأنعم شربة وأعظم رتبة فصارت طريقتهم طريقة قائمة بنفسها ظاهرة شمسها غنية عن التعريف لشهرتها عند أهل المعرفة وشيوعها في كل تأليف وتصنيف. اهـ»[٤].

ويقول بلفقيه: «وقيل إن طريق الشاذلية في حزوبهم مطوية لاشتمالها على تحقيق التجريد، وعلوم التوحيد وصدق العبودية، وليس بين السادة آل باعلوي في طريقهم تخالف، وإنما اختلف المشهود بحسب المشاهدة واختلاف الشهود إلى أن قال: فلا فرق بينهم يقتضي التفريق ولا مباينة على التحقيق، وأما طريق

---

(١) العقود اللؤلؤية (ص١١ ـ ١٣)؛ وعقد اليواقيت الجوهرية (١/ ٣٣)؛ وتاج الأعراس (١/ ٥٦ ـ ٦٠).
(٢) سيأتي الكلام على الخلوة الصوفية انظر (ص٨٦٢ وما بعدها) من هذا البحث.
(٣) الجذب أو الجذبات جمع جذبة وتعني في اصطلاح الصوفية «العناية الإلهية الجاذبة للعبد إلى عين القرب بتهيئته تعالى له كل ما يحتاج إليه في مجاوزته لمنازل السير إلى ربه». لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، للقاشاني (١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨). تحقيق ودراسة: سعيد عبد الفتاح، ط١، ١٤١٦هـ، دار الكتب المصرية ـ القاهرة.
(٤) تاج الأعراس (١/ ٥٨).

غير السادة آل باعلوي من طرق الصوفية الصحيحة الوفية فلا تخالفها في الأصول ولا في حقيقة السلوك والوصول، وإنما الخلاف في رسوم وأوضاع مشارب تؤول إلى المخالطة في تقريب الطريق على الطالب غايتها كالاختلاف في الفروع بين أهل المذاهب»[١].

وفي هذا النص لبلفقيه بيان طريقة القوم والتقائها مع الطريقة الشاذلية وغيرها من الطرق الصوفية في الأصول والغاية من تحصيل المكاشفات والفناء، والوصول إلى وحدة الوجود عند غلاتهم، وإنما خلاف الطريقة العلوية مع غيرها في الرسوم والأوضاع والطقوس التي يضعها الشيوخ للمريدين ومنها ملازمة المجاهدات، والخلوات، والرياضات الصوفية المختلفة للوصول إلى غاياتهم المنشودة ومنها الجذبة التي يرتفع بها كلفة الأعمال، والتحقق بالكشف، والشهود، ومشاهدة الحقيقة كما ذكر ذلك عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه في رشفاته[٢].

ونقل علوي بن طاهر الحداد عن عبد العزيز الدباغ[٣] قوله في الفرق بين الطريقة الغزالية والطريقة الشاذلية: «قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسأله الفقيه المذكور أيضاً عن طريق الشكر وطريق المجاهدة بقوله: سيدي رضي الله عنكم ما الفرق بين طريقة الولي العارف بالله الشاذلي وأتباعه وطريقة الغزالي وأتباعه، حتى أن الأولى مدارها كلها على الشكر والفرح بالمنعم من غير مشقة والأخرى مدارها على الرياضة والتعب... فهل هما متوافقان... الخ السؤال فأجاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: بأن طريقة الشكر هي الأصلية، وهي التي كانت عليها قلوب الأنبياء والأصفياء من الصحابة وغيرهم، وهي عبادته تعالى على إخلاص العبودية والبراءة من جميع

(١) العقود اللؤلؤية (ص١٣).
(٢) انظر: الرشفات (ص١١).
(٣) هو عبد العزيز بن مسعود الدباغ، صوفي شاذلي، ولد بفاس، سنة ١٠٩٥هـ، أخذ التصوف عن عمر بن محمد الهواري الشاذلي، ثم صار شيخاً من مشايخ الصوفية، مع أنه أمي، ولأتباعه مبالغة في الثناء عليه، ونسبة الخوارق إليه، وقد صنف تلميذه أحمد بن مبارك السلجماسي (الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز)، ترجم له، ونقل أقواله، توفي الدباغ بفاس سنة (١١٣٢هـ). انظر: الإبريز لمحمد السلجماسي؛ والأعلام (٤/٢٨)؛ ومعجم المؤلفين (٥/٢٦٢).

الحظوظ مع الاعتراف بالعجز إلى أن قال: ونيل المراتب والسير في الأولى سير القلوب وفي الثانية: سير الأبدان والفتح في الأولى هجومي... وفي الثانية: انتظاري مع تعاطي أسبابه، والطريقتان متفقان على الرياضة...»[١].

وجاء في كتاب (ظهور الحقائق) عند ذكر الطرق الصوفية في حضرموت: «وقد يقال في طرائق السادة العلويين بأسماء معروفة حفظاً للأصل، لا لمنافاة بينها، أو خلاف لبعضها من بعض، كقولهم: العيدروسية المنسوبة لسيدي عبد الله بن أبي بكر العيدروس، والعطاسية المنسوبة لسيدي عمر بن عبد الرحمٰن العطاس[٢]، والحدادية المنسوبة لسيدي عبد الله بن علوي الحداد وما أشبهها»[٣].

وجاء في كتاب عقود الألماس عند ذكر قول شيخهم أحمد بن حسن العطاس: «وقال رضي الله عنه: سلفنا يقولون إن طريقتهم ظاهرها غزالية ما يتركون الأعمال، وباطنها الشاذلية ما يعتمدون على الأعمال ما يسلكون إلا بالرجاء والشوق والخمول لا أنهم يقصدونه وأمثال هذه الأحوال يعني الكشوفات ونحوها ما يقصدونها ولا ينظرون إليها لأنها تقطعهم عن ربهم»[٤].

ويقول علوي بن طاهر الحداد: «فصل في بيان أن مجموعي الطريقتين الغزالية والشاذلية هو عين الطريق العلوية: اعلم أنهم جمعوا الطريقة الشاذلية في قولهم: هي رؤية المنة لله، وملازمة الشكر وإخلاص العبودية، والبراءة من جميع الحظوظ، والاعتراف بالعجز والتقصير، هذا مجمل أصولها»[٥].

ويقول محمد بن حسين الحبشي: «طريقة السادة آل علوي الطريقة

---

(١) عقود الألماس (١/ ٥٠ ـ ٥١).

(٢) هو عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس، ولد في قرية اللسك من عينات سنة ٩٩٢هـ، ودرس على الحسين بن أبي بكر بن سالم، وتردد إلى وادي دوعن وحريضة، وكف بصره من الجدري. استوطن حريضة سنة ١٠٣٧هـ وبقي بها. مات ببلدة لفحون ـ بين عمد وحريضة ـ سنة ١٠٧٢هـ. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (ص٢٤٨).

(٣) ظهور الحقائق (ص٤٨).

(٤) عقود الألماس (١/ ٤٣).

(٥) المصدر السابق (١/ ٤٧).

المدينية طريقة الشيخ أبي مدين شعيب المغربي، وقطبها ومدار تحقيقها الفرد الغوث الشيخ الفقيه المقدم محمد بن باعلوي الحسيني الحضرمي تلقاها عنه الرجال عن الرجال وتوارثها الأكابر أولوا المقامات والأحوال... إلخ»[١].

وجاء في ذكر عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه وبداية طلبه للعلم على يد مشايخ المتصوفة: «وأخذوا عليّ العهد الخاص والعام في الأمور القديمة والجديدة فاتصلت من سلاسل أنوارهم بأكمل الاتصال، وتوالى إليّ وصالهم بكل نوال، وشربت من مناهل معرفتهم العذب البارد والسلسال، واتصلت بواسطتهم لي بطريق الصوفية الصفية علي الأعمال من طريق تزيد على العشرين طريقاً منسوبة إلى المشائخ الكبار والمشهورين في الأقطار، كالعلوية المنسوبة إلى سيدنا الفقيه الشيخ محمد بن علي باعلوي، والعمودية المنسوبة إلى الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، والعبادية المنسوبة إلى الشيخ عبد الله باعباد، والقادرية المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني»[٢]. وجاء في كتاب عقود الألماس: «وتعلم من ذلك أن طريقتهم لم تكن شيئاً استحدثوه بعد ظهور الغزالية والطريقة الشاذلية، ولكن كان ما توارثوه موافقاً لهما فاعتمدوهما لما كان فيهما من الغناء والكفاية عن التأليف والجمع وتعويلهم كان على الاقتداء بالمشائخ والملازمة لهم والتربية بالعمل والأخذ بالمحاكاة والمشافهة ما يسر لي من الصفات والأسرار بالمخالفة للأشياخ مع المحبة والتعظيم»[٣].

وجاء في كتاب عقود الألماس أيضاً تحت عنوان (بيان أن الطريقة العلوية تنقسم إلى خاصة وعامة): «اعلم أن لهم طريقة خاصة ونعني به ما اشتملت على عزائم الصوفية، وأنواع الرياضة والأربعينات على ما هو مشروح في أصول كتب التصوف، كالقوت للإمام أبي طالب المكي، وعوارف المعارف للسهروردي، والإحياء للغزالي ومنهج العابدين وميزان العمل والأربعين له وغير ذلك مما اشتمل على التصوف الواضح المقيد بالكتاب

(١) العقود اللؤلؤية في بيان طريقة السادة العلوية (ص١٢ ـ ١٣).
(٢) كتاب مطالع الأنوار (ص١٥ ـ ١٦). (٣) عقود الألماس (١/ ٥٤).

والسنّة. ولا سيما كتاب الإحياء فقد اعتنوا به قراءة ومطالعة ومدارسة وحثاً عليه وسلوكاً به... وكانوا يعدون مطالعته من جملة أعمال الرياضة، بل قد يغني عنها لمن تحقق به. ثم قول عبد الله بن علوي الحداد: «من طالع الكتب الغزالية كفته عن العمل، ومن اشتغل بمطالعتها وقراءتها تم أمره وظفره، ومن طالع إحياء علوم الدين رُزق الخوف من الله تعالى»(١).

وقد بيّن أهل العلم بدعية الطرق الصوفية، ومنها الطريقة العلوية التي كان لها أثر واضح في مناطق مختلفة من اليمن والتي تبناها المتصوفة ودعوا إليها، يقول العلامة محمد بن سالم البيحاني(٢) رَحِمَهُ اللهُ مبيناً أحوال المتصوفة: «وأما طرائقهم المبتدعة وأذكارهم المجمعة من كلمات لا معنى لها، وربما كانت لها

(١) المصدر السابق (١/ ٥٤). وهذا من الغلو في كتاب الإحياء الذي حشاه مؤلفه بالغث والسمين، مع وجود أشياء جيدة فيه، لكن الخشية لا تكون إلا بكتاب الله تعالى، وتعظيم شرعه جل وعلا، ومن لم تكن له عبرة وعظة في كتاب الله تعالى فلا عبرة له.

(٢) هو العلامة محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني، ولد بمدينة القصاب ببيحان ـ إحدى مدن محافظة شبوة ـ سنة (١٣٢٦هـ)، تلقي بداية تعليمه برباط تريم في حضرموت، ومن أشهر مشايخه الذين تلقى العلم عنهم: عبد الله بن عمر الشاطري، فمكث هناك أربع سنوات، ثم عاد الى بيحان، فمكث فيها سنتين، ثم توجه إلى عدن سنة (١٣٤٦هـ)، فلازم الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبّادي، وتزوج ابنته، ثم رحل إلى مصر، للالتحاق بالأزهر، فدرس في بعض معاهده، ثم في كلية الشريعة فيه، غير أنه ما لبث إلا سنة دراسية واحدة، اضطر بعدها إلى العودة إلى عدن فاستقر بها، واستفاد من شيخه السلفي أحمد بن محمد العبادي.
ومن أبرز مآثره: تأسيسه مسجد العسقلاني بمدينة عدن، وينشر السنَّة المطهرة ويحارب البدع والخرافات والشركيات، كما كان على وعي سياسي جيد، فكان ينبه قومه إلى خطورة الاحتلال البريطاني أنذاك، والتحذير من الانسياق وراء ثقافته ومبادئه الكافرة، ويدعو للتخلص منه.
توفي الشيخ البيحاني بمحافظة تعز سنة ١٣٩١هـ. وترك رَحِمَهُ اللهُ مؤلفات كثيرة بلغت أكثر من اثنين وعشرين كتاباً من أشهرها: كتاب «إصلاح المجتمع» الذي لقي قبولاً واسعاً، وكتاب (أشعة الأنوار في مرويات الأخبار)، وزوبعة في قارورة، وشفاء المصاب من لسعات العود والرباب وغيرها. انظر في ترجمته: مقدمة كتابه: إصلاح المجتمع، دار الندوة الجديد ـ بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن، للحبشي (ص٣٠٨)، ط المجمع الثقافي ـ أبو ظبي؛ والروض الأغن (٣/ ٥٦)؛ ورسالة عن الإمام البيحاني بعنوان (الإمام محمد بن سالم البيماني: حياته ـ عصره ـ شعره ـ دعوته ـ آثاره) للدكتور أحمد هجوان.

معاني مجهولة، وربما تغنوا بها وتواجدوا ورقصوا وشوشوا على القارىء والمصلي فحينما نفتي بحرمتها وأنها غير مشروعة ولا موافقة للسنّة يغضبون ويخبطون، وفي خيوط العنكبوت يجمعون أدلة الباطل ويحطبون»[(١)].

ولخص القوم طريقتهم العلوية بأن: ظاهرها علوم الدين والعمل، وباطنها تحقيق المقامات والأحوال، وآدابها صون الأسرار والغيرة من الابتذال.

فظاهرها ما شرحه الغزالي من العلم والعمل على المنهج الرشيد، وباطنها ما أوضحه الشاذلية من تحقيق التجريد وتجريد التوحيد، ومدار طريقتهم على الخمول وعدم الفضول ومحو الرسوم إلا رسوم الخير المؤسسة على العلم والهدى[(٢)].

ويوضح عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي[(٣)] الصورة أكثر ببيان طريقة أسلافهم العلويين بقوله: «العلم والعمل مع الإخلاص لله ﷻ هو طريق أسلافنا العلويين صفة الأولياء المقربين وهي مشروحة في إحياء علوم الدين وغيره من المصنفات الغزالية، وتأليف ساداتنا البهية كالكتب الحدادية، والمشرع، وشرح العينية، والغرر، والعقد، والسلسلة العيدروسية»[(٤)].

---

(١) زوبعة في قارورة، لمحمد بن سالم البيحاني (ص١٠). طبع في دار الشعب بعدن ـ بدون تاريخ.

(٢) العقود اللؤلؤية (ص٥ ـ ٦)؛ والمناصرة والمؤازرة لكافة منسوبي مدارس آل البيت النبوي في المرحلة المعاصرة، لأبي بكر بن علي المشهور (ص٦٠)، ط٢، ١٤٢٣هـ، فرع الدراسات وخدمة التراث ـ عدن.

(٣) هو عبد الله بن عمر بن أبي بكر بن يحيى العلوي، أحد العبادلة السبعة عند أهل حضرموت، ولد في حضرموت ببلدة المسيلة سنة ١٢٠٧هـ. وتوفي بها سنة ١٢٦٥هـ. انظر: عقد اليواقيت (١٢٧/١)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٢٠٨/٣ ـ ٢١٤).

(٤) عقد اليواقيت (ص١٢٩ ـ ١٣٠). فهذا كلام أحد كبارهم في تأكيد اعتماد مؤلفات أسلافهم العلويين لمعرفة الطريقة العلوية، وقد مر في البحث وسيأتي نقولات من هذه الكتب وما حملته في ثناياها من الانحرافات العقدية الكثيرة، وفي هذا رد على المتأخرين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويخفون ما تحويه هذه المؤلفات من انحرافات كما فعل محمد بن أحمد الشاطري حيث أعاد طبع المشرع الروي وحذف منه أكثر الخرافات والانحرافات التي ذكرها صاحب المشرع عن أسلافهم، وكما يفعل أبو بكر المشهور في تخريج هذه الخرافات بما يناسبه تارة وبتأويل ظاهرها تارة أخرى ونحو ذلك من المخارج كما سيأتي.

الطريقة العمودية:

وتنسب إلى سعيد بن عيسى العمودي المتوفى في مدينة قيدون بحضرموت سنة ٦٧١هـ والمدفون فيها.

والمقصود بالطريقة العمودية: سلسلة الأخذ التي وصلت إلى الشيخ وصار المريدون والتلامذة ينتمون إليها، فيأخذون على من جاء بعدهم العهد والتحكيم، ولهذا عبّر عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه في كتابه رفع الأستار بقوله: «الطريقة العمودية: أحد الطرق المشهورة المرضية، معدودة من نحو ثلاث وعشرين طريقة كلها ترجع إلى طريقة واحدة وهي طريقة الشيخ شعيب أبي مدين»[١].

وقد عرّف أبو بكر المشهور المقصود بالطريقة العمودية بأنها الأسلوب والكيفية المتبعة لدى الشيخ المذكور وأمثاله في تسليك المريدين، وترتيب وظائف عاداتهم وعباداتهم حتى يتخرجون على يديه[٢].

وللعمودي خرقة في التصوف، وطريقته أحد الطرائق المشهورة في حضرموت[٣].

وقد أثنى القوم على طريقته حيث ذكروا أنه وصل لمقام القطبية الذي ينشده المتصوفة حيثما وجدوا، جاء في كتاب ظهور الحقائق: «وقد قيل أنه رضي الله عنه قطب، ومكث في القطبية ثمانية عشر يوماً يعني الشيخ سعيد ومكث فيها أبو مدين نصف يوم والإمام الغزالي ثلاثة أيام»[٤].

من هذا النص يتضح رفع القوم منزلة العمودي في التصوف مع كونه أمياً[٥]، بل وتقديم درجته في القطبية على الغزالي وأبي مدين الشخصيتين المعظمتين عند صوفية حضرموت، التي قامت الطرق الصوفية في حضرموت كافة على منهجهما.

---

(١) الشيخ سعيد بن عيسى العمودي (ص١٦). (٢) المصدر السابق (ص١٥).

(٣) انظر: ظهور الحقائق (ص٨٥، ٨٦). (٤) ظهور الحقائق (ص٨٦).

(٥) انظر: كتاب عرائس الوجود ومراءة الشهود في بعض مناقب العارف بالله القطب الفرد الجامع مولانا وشيخنا الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، لسعيد بن أحمد بن محمد الخطيب (ص٣٤). طبعة حجرية؛ وسلسلة أعلام حضرموت، الشيخ سعيد بن عيسى العمودي (ص٩).

وجاء في كتاب: سلسلة أعلام حضرموت، الشيخ سعيد بن عيسى العمودي تحت عنوان (سلالات آل العمودي وتفرقهم في البلدان): «ظهرت منذ القرن السادس الهجري لأسرة آل العمودي مكانة اجتماعية وصولة وسلطنة في وادي حضرموت وما جاورها من الأودية والبلدان، وكان أساس هذا النفوذ وقاعدته مظهر الشيخ سعيد بن عيسى العمودي. . .، وبهذا النفوذ الروحي والموقف الاجتماعي الديني انتشر المنهج الصوفي المتميز، وظهرت المدرسة العلوية، والطريقة العمودية، في كافة المدارس والزوايا والمساجد، متمثلة في أساليبها الخاصة، ووسائلها المألوفة. . . ومنها:

١ ـ نظام الحلقات العلمية لدراسة المذهب الشافعي وقراءة كتب الذوق.

٢ ـ إقامة الحضرات والأذكار والمولد.

٣ ـ الاهتمام بالمجاهدة للنفس ومن خلال الأخذ بالعزائم في الشرع»[(١)].

الطريقة العَبَّادية:

وهي المنسوبة إلى عبد الله بن محمد باعبَّاد المشهور بالقديم والمتوفى سنة ٦٨٧هـ، المدفون بمقبرة شبام بجرب هيصم، وقد جعلت لنفسها مظهراً خاصاً بالرغم من علاقتها بالطريقة العلوية، فلها إسناد في خرقة التصوف أخذه باعباد عن أحمد بن الجعد بسنده إلى عبد القادر الجيلاني[(٢)].

المطلب الثاني

الطرق الصوفية المتفرعة من الطريقة العلوية

وهناك طرق انبثقت من الطريقة العلوية كان لها ارتباط بها وهي كالتالي:

أ ـ الطريقة العيدروسية:

نسبة إلى عبد الله بن أبي بكر العيدروس، ولد في تريم ومات فيها سنة ٨٦٥هـ، وقد تخرج في الطريقة العلوية.

---

(١) سلسلة أعلام حضرموت: الشيخ سعيد بن عيسى العمودي (ص٢٨).

(٢) انظر: ظهور الحقائق (ص٨٧)؛ وتاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٨٤).

وتنتشر الطريقة العيدروسية في حضرموت والهند[١].

ب ـ الطريقة العطاسية:

وتنسب هذه الطريقة إلى عمر بن عبد الرحمٰن بن عقيل العطاس باعلوي المتوفى سنة ١٠٧٢هـ بمدينة حريضة بحضرموت. وأما مؤسسها فهو عبد الله بن علوي العطاس[٢]، وقد عَرّفها أتباعها بأنها: «طريقة صوفية إسلامية سُنِّيَّة أشعرية (وهي شعبة من طريقة السادة بني علوي الحسينيين»[٣].

وجاء في ذكر أسس أهداف الطريقة العطاسية أن عقيدتها هي: «عقيدة أهل السنّة والجماعة كما ذكرها حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب قواعد العقائد من الإحياء»[٤].

يقول مصطفى بن عبد الرحمٰن العطاس[٥] عن هذه الطريقة أنها: «حملت راية الدعوة إلى الله في مناطق عديدة في بلاد الهند وبورما مدة تزيد عن المائة عام»[٦]، وغالب اتباع الطريقة في تلك البلدان على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله[٧].

وأنشأ أتباعها لها زوايا سنة ١٣٠٠هـ في مختلف مناطق بورما كالعاصمة البورمية رانجون والتي تسمى بشير الخير، وزوايا في مدن مندلاي ومولمين، وبيقو ومركوي واكياب[٨]، وأما في الهند فأنشئت زوايا في مدينتي كلكتا

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (ص٣٦٣).

(٢) الغاية والأساس (ص٤٣).

(٣) المصدر السابق (ص٣٧).

(٤) المصدر السابق (ص١٠٣).

(٥) شخص معاصر، من صوفية حضرموت، وهو من أهل حريضة، يقيم حاليا في دولة الإمارات. له بعض المؤلفات في بيان الطريقة العطاسية، ويقوم أيضا على موقع «العطاسية» الصوفي على شبكة الأنترنت.

(٦) الغاية والأساس (ص٨).

(٧) المصدر السابق (ص٤٤).

(٨) هذه المدن تتبع دولة بورما الواقعة في جنوب شرقي آسيا، وهي تجاور الصين والهند وتايلاند، وتشرف على خليج البنغال، وتقع العاصمة رانجون في الطرف الشرقي من نهر ايراوادي الذي يجتاز البلاد من الشمال إلى الجنوب. انظر: البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر، تأليف: د. محمد السيد غلاب وآخرون (ص٥٩٦).

وكتك[١] عام ١٣٧٧هـ، وزاوية في مدينة كراتشي[٢] بباكستان[٣].

وهكذا استمر القوم في نشر طريقتهم العطاسية في تلك البلاد بنشر الزوايا وبث المخالفات والدعاة لنشر الطريقة الصوفية.

ولهذه الطريقة طقوس لمن أراد الدخول منها: البيعة، والإجازة والتلقين والمصافحة ويكون ذلك كله على يد الشيخ[٤].

وللقوم مكتبة كبيرة في مدينة حريضة جمعت كثيراً من المخطوطات والمطبوعات، وكثير منها لشيوخهم وعلمائهم من الصوفية.

ولأتباع هذه الطريقة رواتب وأذكار خاصة ذكرها صاحب كتاب (سبيل المهتدين في ذكر أدعية أصحاب اليمين) منها: راتب عمر بن عبد الرحمٰن بن عقيل العطاس، والأذكار العشرة لعلي بن حسن العطاس، وكيفية قراءة الفاتحة ويس وتبارك لمرشد الطريقة عبد الله بن علوي العطاس، وأدعية أخرى ومناجاة[٥].

ج ـ الطريقة الحدادية:

وهي نسبة لعبد الله بن علوي الحداد المولود بتريم سنة ١٠٤٤هـ، والمتوفى بها سنة ١١٣٢هـ.

وله عقيدة يتداولها أتباع الطريقة إلى يومنا هذا، وله أوراد، وراتب يلقى في المساجد في بعض الليالي، وفي بعض المناسبات.

وقد جعل محمد بن زين بن سميط[٦] في كتابه في مناقب الحداد عنواناً

---

(١) تقع كلكتا شرق الهند وتسمى البنغال الغربية وتطل على خليج البنغال، ويحدها من الشمال الشرقي بنغلاديش. المصدر السابق (ص٨٤٧).

(٢) تقع كراتشي جنوب باكستان على بحر العرب. انظر: المصدر السابق (ص٨٠٥).

(٣) الغاية والأساس (ص٨٩).

(٤) المصدر السابق (ص٩١).

(٥) انظر: كتاب سبيل المهتدين في ذكر أدعية أصحاب اليمين، لعلي بن حسن العطاس (ص١٣)؛ والغاية والأساس (ص١١٣).

(٦) هو محمد بن زين بن سميط: ولد بمدينة تريم سنة ١١١٠هـ، وأخذ عن عدة شيوخ ثم رحل إلى شبام واستوطنها بأمر من شيخه عبد الله الحداد، وكان له ولع بالصوفية، توفي سنة =

في ذكر طريقة الحداد فذكر أقوالاً كثيرة للحداد في ذلك ثم قال: «ما فيها إلا الله ورسوله وسيدنا الفقيه المقدم، وطريقة الفقر ما حجتنا إلا منه. وقد أسس لنا سلفنا آل أبي علوي الأمور فلا نقتدي إلا بهم»[١].

ويقول الحداد: «إن طريقتنا طريق الإمامة الكبرى، ولا يقدر أحد سلوكها. إن أرادها فليلق يده في يدنا نحن نوصله»[٢].

وللحداد ورد يتداوله أتباع الطريقة وقد شرحه فضل بن علوي بن محمد بن سهل العلوي[٣].

وغلا القوم في الحداد حتى قال أحمد الهندوان[٤]: «ظهر لي أن سيدي عبد الله مملي الكون وأن مشيخته محققة، ولا بقي اليوم شيخ يرشد غيره، ولو ظهر في زمان غيرنا لم تجد عنده لجلوسك موضعاً من ازدحام الناس عليه»[٥].

وقد جعل محمد بن سميط العلوي فصلاً في كتابه عن الآخذين بطريقة الحداد من أهل حضرموت، وذكر أن طريقته قد أخذها جم غفير من أهل الجهات من العلويين وغيرهم من القبائل والمشايخ آل العمودي، وآل باوزير وآل باجابر وغيرهم[٦].

وأُلّف في بيان مشايخ الطريقة الحدادية مؤلف بعنوان (كنز البراهين الكسبية والأسرار الغيبية لسادات مشائخ الطريق الحدادية العلوية) لشيخ بن محمد الجفري العلوي[٧].

= ١١٧٢هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ٢٧)؛ وعقد اليواقيت (٢/ ٦٦).

(١) غاية القصد والمراد (١/ ٢٠٦). (٢) المصدر السابق (١/ ٢٠٧).

(٣) هو فضل بن علوي بن سهل: صوفي سياسي. من مؤلفاته: إيضاح الأسرار العلوية ومنهاج السادة العلوية، وشرح راتب الحداد، وعقد الفرائد من نصوص العلماء الأماجد، توفي سنة ١٢٩٧هـ. انظر: الأعلام (٥/ ١٥٠)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٦٥).

(٤) هو أحمد بن عمر الهندوان ولد بتريم، ورحل إلى الحرمين والهند، واتصل بالسلطان عادل شاه في الدكن، توفي بتريم سنة ١١٢١هـ. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (١/ ٣٣٣).

(٥) غاية القصد والمراد (١/ ٢٠٨). (٦) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٢٨).

(٧) هو شيخ بن محمد بن شيخ الجفري، من علماء صوفية حضرموت، رحل إلى الحجاز واستقر بالهند. من مؤلفاته: كنز البراهين الكسبية، ومجموع الهفوات الصادرات من الخيالات =

وقد شُرح راتب الحداد كذلك بشروح كثيرة أكبرها شرح علوي بن أحمد بن حسن الحداد[١]، وشرح آخر لعبد الله باسودان[٢] بعنوان: (ذخيرة المعاد بشرح راتب القطب الحداد).

= الواردات، ومفاتيح الأسرار. توفي سنة ١٢٢٢هـ بمليبار. انظر: عقد اليواقيت الجوهرية (١/ ١٢٢)؛ ونيل الوطر (٢/ ١٣).

(١) طبع عام ١٤١٤هـ بمطبعة كرجاي بسنغافورة، ونشره مقام الحداد بتريم.

(٢) هو عبد الله بن أحمد باسودان: ولد سنة ١١٧٨هـ ونشأ بقرية الخريبة من دوعن بحضرموت وكان من أكابر الصوفية، أخذ عن جماعة من أكابر عصره ورحل إلى مكة. له عدة مؤلفات منها: زيتونة الإلقاح شرح ضوء المصباح في أحكام النكاح، ولوامع الأسرار بشرح رشفات الأبرار، وذخيرة المعاد شرح راتب القطب الحداد، وغيرها. توفي سنة ١٢٦٦هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ٧٥)؛ وعقد اليواقيت (٢/ ٣٢).



الصوفية في حضرموت
في
القرون المتأخرة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أعلام صوفية حضرموت في القرون الثلاثة الأخيرة ودورهم في نشر التصوف.

المبحث الثاني: انتشار الصوفية وأماكن وجودها.



المبحث الأول

أعلام صوفية حضرموت في القرون الثلاثة الأخيرة ودورهم في نشر التصوف



❊ المطلب الأول ❊

أعلام الصوفية في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين ودورهم في نشر التصوف

➢ ١ ـ شيخ بن محمد الجفري (ت١٢٢٢هـ):

ولد بتريم، ثم أقام بعد ذلك «بكاليكوت» بإقليم مليبار[١] من بلاد الهند، وكان له هناك جاه كبير وتلاميذ، ويعد من كبار المتصوفة الحضارمة في القرن الثالث عشر، ويعتبر عبد الله بن أحمد باسودان صاحب المؤلفات الكثيرة في التصوف من أشهر تلاميذه[٢].

ويقول ابن عبيد الله عنه: «فقد وصل الحاوي[٣] سنة ١١٨٧هـ وأخذ عن العلامة حسن بن عبد الله الحداد[٤]، وبدأ به في الأرجوزة التي نظمها في

(١) تقع مليبار في غربي الهند الجنوبية، وتعرف الآن باسم كيرالا. انظر: أولياء الشرق البعيد (أساطير مجهولة في أقاصي المعمورة ـ رواية تاريخية في كيفية انتشار الإسلام في أرخبيل الملايو ـ (ص٢٢٣)، تأليف: د. بشار الجعفري.

(٢) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ٧٦).

(٣) الحاوي: قرية صغيرة في شرقي تريم، كانت منفصلة عنها، ولكنها أدخلت في سورها الذي بناه الأمير سالم بن عبود الكثيري سنة ١٣٣٠هـ. إدام القوت (ص٩٣٦)، ط المنهاج.

(٤) هو حسن بن عبد الله الحداد، ولد سنة ١٠٩٩هـ بالحاوي، وتوفي سنة ١١٨٨هـ. انظر: كتاب المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن، لحفيده علوي بن أحمد بن حسن الحداد؛ وكتاب الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر، لمصطفى البدوي (ص١٧٦ ـ ١٧٧).

الإسناد، وشرحها بكتابه المسمى (كنز البراهين)»[١].

ولشيخ الجفري مؤلفات كثيرة في التصوف منها: كنز البراهين الكسبية والأسرار الغيبية لسادات مشائخ الطريقة الحدادية العلوية»[٢]، و«برهان سلطان مشائخ الطريقة العيدروسية القادرية»، والمسلك السوي من المشرع الروي، وله شرح منظومة في رجال التصوف، طبعت بالهند سنة ١٢٨١هـ[٣].

وهو من الذين يستدلون بأقوال غلاة الصوفية، يقول في كتابه كنز البراهين عند كلامه على الحقيقة: «وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد فليس عنده في الوجود إلا الله، ومن هذه الحقيقة قال من قال: أنا الله؛ لأنه عرف توحيده من النظر في شفعيه، فيرى كل ما سوى الحق لا يصح له الانفراد بنفسه، وأنه مفتقر إلى غيره، فهو مركب من عينه ومن اتصافه بالوجود الذي لم يكن له من حيث عينه»[٤].

ونقل في كتابه (كنز البراهين الكسبية) أقوالاً منحرفة لابن عربي مقرراً لها في سياق التدليل على كلامه على الحقيقة فقال: «قال سيدي محيي الدين ابن عربي في هذا المعنى: اعلم إن كل ما يتصور المتصور فهو عينه لا غيره فإنه ليس بخارج عنه»[٥].

وكان من المتبركين بآثار سلفه العلويين، وداعياً لذلك كما في قصيدة له

---

(١) إدام القوت (ص٥٣١).

(٢) وهو كتاب كبير يحتوي على ذكر كبار الصوفية المعتقدين عندهم، وذكر أقوالهم، وذكر الكرامات وتقريرها، والكتاب كذلك مليء بالتوسلات الشركية، وكذا التبرك بالأولياء والصالحين، والغلو فيهم، وذكر الكرامات انظر: بعض تلك الانحرافات في الكتاب المذكور (ص١٠ ـ ١١، ٢٦، ٢٩، ٢٩٣).

(٣) انظر مؤلفاته: شمس الظهيرة في نسب أهل البيت من بني علوي فروع فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين رضي الله عنه، لعبد الرحمن بن محمد المشهور (٤٠٨/٢). تحقيق وتعليق: محمد ضياء شهاب، ط١، ١٤٠٤هـ، عالم المعرفة ـ جدة. وانظر: معجم المؤلفين (٨٢٢/١)؛ والروض الأغن (٢٠٦/١).

(٤) كنز البراهين (ص١٩٣).

(٥) المصدر السابق (ص١٨٩). وهذا كلام أهل الوحدة، وفي ذلك تقرير شيخ الجفري لهذا الكلام الذي هو غاية غلاة المتصوفة.

تحدث فيها عن تبركه بقطعة من مصلى عبد الله بن علوي الحداد المتوفى سنة ١١٣٢هـ وقد خاطها في مصلاه على موضع سجوده بقصد التبرك[١]، وكانت وفاته بمدينة كاليكوت سنة ١٢٢٢هـ وعلى ضريحه قبة عظيمة كثيرة الازدحام بالزائرين المستمرين[٢].

➢ ٢ ـ علوي بن أحمد بن حسن الحداد (ت١٢٣٢هـ):

هو علوي بن أحمد بن حسن الحداد: ولد بقرية الحاوي من ضواحي تريم سنة ١١٦٢هـ، وتولى قضاء شبام، ورحل إلى الحرمين وعمان، وعاد إلى حضرموت، وهو من أشد أعداء دعوة التوحيد، له ردود على الدعوة السلفية. من مؤلفاته: المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن حسن، وكشف الجلي فيما جاء من أخبار النجدي، ومصباح الأنام في الرد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٣]، ويعتبر علوي الحداد من الصوفية الذي نافحوا عن عقيدة المتصوفة بقوة، وحاربوا دعاة الهدى، وقد ألّف كُتباً في التصوف[٤] منها: الحكايات الباهرات والكرامات البينات، ومصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام[٥].

---

(١) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٢٠).

(٣) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ٤٣)؛ والأعلام (٤/ ٢٤٩)؛ ونيل الوطر (٢/ ١٠٤).

(٤) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين: ٣/ ٤٥؛ والتعليقات على شمس الظهيرة (٢/ ٥٧١ ـ ٥٧٢)؛ والروض الأغن (٢/ ١٠٢).

(٥) كتاب مصباح الأنام مطبوع بالمطبعة الشرفية سنة ١٣٢٥هـ. وهو عبارة عن رد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية المباركة، والذي يسميه الحداد بالبدعي النجدي؛ هكذا يسميه! فيقال: إن الافتراءات لا تغير الحقائق، فالإمام محمد بن عبد الوهاب مجدد لما اندرس من معالم التوحيد في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر لا كما يصفه الحداد، وقد قيّض الله تعالى لدحض افتراءاتِ الحداد العلامةَ سليمان بن سحمان النجدي (ت١٣٤٩هـ) فرد على كتابه المذكور بكتاب متين، زلزل به عروش وأحلام وخرافات هذا الصوفي وأضرابه، فأتى عليها وأبطلها وبيّن التوحيد الحق وما يضاده من الشرك والمخالفات التي يجهلها الحداد وأمثاله، والكتاب بعنوان «الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد» وقد طبع طبعتين، وكانت الطبعة الثانية سنة ١٣٧٦هـ بمطابع الرياض بأمر الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللهُ.

وله كتاب آخر سماه: (السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر) رد فيه على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية[١]، واتهمها بأنها دعوة تبغض الرسول ﷺ، والأولياء، وأن الشيخ وأتباعه خوارج يكفرون المسلمين وغير ذلك من افتراءاته التي سيسأل عنها غداً بين يدي الله تعالى[٢].

وهو من الذين يدعون الناس إلى الرجوع لكتب ومؤلفات أهل البدع والضلال خصوم الدعوة السلفية كمحمد بن فيروز[٣]، وعبد الله بن داود[٤]، ودعا كذلك للرجوع لكل المخالفين للعقيدة الصحيحة والذين سماهم العلماء الأكابر ـ عنده ـ في الحرمين الشريفين والإحساء والبصرة وبغداد وحلب واليمن وبلدان الإسلام الذين ردوا على الإمام محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية المناوئة للخرافيين[٥].

وكان علوي الحداد من المولعين والمتعلقين بالأضرحة والقبور في مناطق حضرموت المختلفة ومنها زيارة قبر هود عليه السلام[٦].

---

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين: ٣/ ٤٥. وكتاب السيف الباتر، لعلوي الحداد من الكتب التي يفتخر بها كثيرا، ويحيل إليه في ثنايا كتابه مصباح الأنام ـ متبجحاً ـ بأنه فصل الرد على شبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، ويظن الحداد أنه على شيء، ولا يدري أنه سود أوراقه بمثل هذه الخرافات التي أبانت عن جهله بالتوحيد الذي يعرفه صغار طلبة أهل السنَّة؛ بل يعلمه عوام الموحدين لكون التوحيد فطر الله تعالى العباد عليه، وما ذكره الحداد لا يعدو أن تكون شبهاً يتداولها القوم خَلَف عن سلفٍ، لا تنطلي إلا على الجهال والمخدوعين، ولا تكاد تعلو لأن رجال التوحيد لها بالمرصاد يزهقونها بسيف الحق.

(٢) انظر هذه الافتراءات: مصباح الأنام (ص٣، ٥، ١٣، ١٧، ١٨، ٢٢، ٥٣، ٦٠).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن فيروز، من خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو نجدي الأصل، ولد في الإحساء سنة ١١٤٢هـ، مهر في عدة فنون، وله عدد من الشيوخ والتلاميذ، توفي بالبصرة سنة ١٢١٦هـ. انظر: السحب الوابلة (ص٧٢١)؛ وعلماء نجد (٣/ ٨٨٢).

(٤) هو عبد الله بن داود الزبيري، من خصوم الدعوة السلفية النجدية، ولد في الزبير، ورحل إلى الإحساء وتعلم بها، له مؤلفات ضد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب منها: الصواعق والرعود. توفي سنة ١٢٢٥هـ. انظر: السحب الوابلة (ص٦٧٨)؛ وعلماء نجد خلال ستة قرون، لعبد الله بن عبد الرحمن البسام (٢/ ٥٣٩). الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، مكتبة النهضة الحديثة.

(٥) انظر: مصباح الأنام (ص٣، ٤، ٦٠، ٧٩).

(٦) تاريخ الشعراء الحضرميين: ٣/ ٤٥.

ويعتبر علوي الحداد من متصوفة حضرموت الذين قرروا في مؤلفاتهم فعل الشرك الأكبر؛ وذلك بصرف الدعاء والتوسل والاستغاثة واللجؤ لغير الله تعالى من الأحياء والأموات بحجة أن الفاعل للأشياء حقيقة هو الله تعالى، بل دعا الناس لإظهار الاستغاثة الشركية(١).

كما قرر أن أفعال الرب تعالى مثل الإحياء والإماتة قد يفعلها الولي من باب الكرامة(٢).

كما أنه من الساعين لفتح الباب لأهل الشرك بحجة أن من قال: لا إله إلا الله يدخل الجنة وإن ترك التوحيد وفعل ما يناقضه(٣).

وهذا الرجل كذلك من الدعاة لبناء القباب على الأضرحة، ورفع القبور، والنذر لها وأكثر من دعوته لشد الرحل لزيارتها، ودعا للغلو في أوليائهم واعتبر الوقوف عندهم ـ أحياء وأمواتاً ـ من أفضل العبادات(٤).

كما قرر البدع العملية من أذكار وموالد ونحوها(٥). وتوفي بقرية الحاوي سنة ١٢٣٢هـ.

> ٣ ـ عبد الله بن أحمد باسودان الدوعني الحضرمي (ت١٢٦٦هـ):

ولد بإحدى بوادي دوعن بمكان يعرف بالصوت سنة ١١٧٨هـ، وكانت نشأته بمدينة الخريبة(٦)، وكان من كبار علماء الصوفية في وقته.

قال فيه عبد الله السقاف: «من كبار الزعماء الصوفيين ذوي الآثار

---

(١) مصباح الأنام (ص٥، ٦٠).
(٢) المصدر السابق (ص١٦).
(٣) المصدر السابق (ص٢٣). وهذا الكلام نشأ عن اعتقادهم بعدم وقوع الشرك في هذه الأمة والاستدلال بأحاديث لم يفقهوا معناها، ولم يلتفتوا لكلام السلف والأئمة فيها، وإنما هو الهوى والتحكم وسيأتي بيان ذلك في مباحث قولهم في توحيد الألوهية ـ إن شاء الله تعالى ـ.
(٤) مصباح الأنام (ص٤٣، ٤٤، ٧٣).
(٥) المصدر السابق (ص٤٨، ٤٩، ٥٠).
(٦) الخريبة: من أرض دوعن، ومن المدن التاريخية القديمة، وسميت على اسم مكان بالبصرة، وهي من البلدان التي سارع أهلها بدخول الإسلام، ثم أقامت بها طائفة الإباضية مدة من الزمن على يد يحيى بن عبد الله الكندي حتى تم القضاء عليها من قبل بني أمية. انظر: إدام القوت (ص٣١٤)، ط المنهاج.

البارزة الخالدة»[١].

ويعد باسودان من المغالين في محبة العلويين حتى كانوا يسمونه سلمان أهل البيت[٢].

ومن غلوه فيهم ما ذكره عنه عبد الله السقاف حيث قال: «وهل تنطلق بنا إلى مشاهدة نفسياته كما يتجلى فيها من غلاة الشيعة المتفانين في محبة أهل البيت النبوي، وبالأخص السادة العلويين حتى كان متجاوز الحدود المعقولة في الإجلال والتوقير لكبيرهم وصغيرهم ذكورهم وإناثهم إلى درجة أنه يرى أعمالهم وأفعالهم كلها حسنات، كما يرى طهارتهم حساً ومعنىً حتى الفضلات كمتفق مع ابن العربي[٣] في مذهبه كما استفاض عنهما»[٤].

وكان من المكثرين من التأليف لا سيما في التصوف وذلك بشروح أشعار القوم، ورواتبهم، وما يتعلق بالمناقب وشرح طريقة صوفية حضرموت وغير ذلك من الموضوعات الصوفية، ومن مؤلفاته: ذخيرة المعاد شرح راتب الحداد، ولوامع الأنوار بشرح رشفات السادة الأبرار في مجلدين، وبهجة النفوس في ترجمة الشيخ محمد بامشموس، وجواهر الأنفاس في مناقب الحبيب علي بن حسن العطاس، وله أيضاً: الفتوحات العرشية بشرح الأبيات الحبشية، وفيض الأسرار واقتباس الأنوار بشرح سلسلة شيخه عمر بن عبد الرحمٰن البار في مجلدين ضخمين[٥].

وهو من الذين يقسمون الدين إلى شريعة للعوام، وحقيقة للخواص ويكثر من ذكر ذلك وتقريره في مؤلفاته[٦]، وهو كذلك من القائلين بالفناء الصوفي

---

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/٧٦). (٢) انظر: كتاب لوامع النور (١/٢٠٨).

(٣) أي ابن عربي الطائي القائل بعقيدة وحدة الوجود.

(٤) تاريخ الشعراء الحضرمين (٣/٧٨).

(٥) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين: ٣/٨٠؛ ومعجم المؤلفين (٢/٢٢٥)؛ والروض الأغن (٢/٤٩).

(٦) مطالع الأنوار (ص١٢٤ ـ ١٢٥). وانظر: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٢٨، جمادى الأولى ـ جمادى الآخرة ـ ١٤٢٣هـ، (ص١٥).

وتقريره في كتبه[١].

توفي في مدينة الخريبة سنة ١٢٦٦هـ وعلى جدثه بتربتها تابوت عليه قبة عظيمة تفد إليها الوفود لزيارتها[٢].

٤ ـ الحسن بن صالح البحر (ت١٢٧٣هـ):

ولد في خَلْع راشد (الحوطة)[٣] سنة ١١٩١هـ، ثم اتخذ ذي أصبح[٤] موطناً عام ١٢١٣هـ فكانت له فيها زعامة كبرى[٥]. ورحل إلى مكة سنة ١٢٢٣هـ، ثم عاد إلى بلده واستقر بقرية ذي أصبح. من آثاره: ديوان شعر أغلبه في الصوفيات، وله مجموع كلام ووصايا ومكاتبات[٦].

ووصفه عبد الله السقاف بأنه من الأقطاب في العصر الحديث[٧]، ويقول أيضاً: «وأما تلاميذه وما أدراك ما تلاميذه، فقد ملأوا الدنيا مبعثرين في مشارقها، ومغاربها ينشرون ما تلقوا عنه من علوم ودينيات وصوفيات، وحسبك علمك عن مقدارهم أن ما من عالم أو متعلم أو متصوف بحضرموت في عصره إلا ما كان تلميذاً له»[٨].

ومما يدل على تعمقه في التصوف ما ذكره عنه عبد الله السقاف حيث يقول: «لولا اكتساح التصوف نفسياته حتى صار مغموراً في تيارات أمواجه

---

(١) مجلة أنوار التلاقي: العدد ٢٨، جمادى الأولى ـ جمادى الآخرة ـ ١٤٢٣هـ، (ص١٦).

(٢) تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ٧٩).

(٣) خلع راشد (الحوطة): مدينة وادي بن علي، وهي من قدامى البلدان، وكانت قاعدة ملك بني سعد، وتسمى الآن الحوطة، وكانت قديما تسمى خلع راشد لأنها كانت منطقة زراعية وبها نخيل خلعه السلطان راشد بن شجعنه من سلاطين العهد الراشدي بحضرموت، المتوفى سنة ٥٩٣هـ، وتبعد عن سيئون عشرة كيلا. انظر: إدام القوت (ص٥٧٧)، ط المنهاج.

(٤) ذي أصبح: وهي من بلدان حضرموت القديمة، وسميت بذلك نسبة لأحد أقيال حمير. وكان يسكنها كثير من الإباضية. وتتبع ذي أصبح بمديرية سيئون بحضرموت الداخل. انظر: إدام القوت (ص٥٨٧) والحاشية رقم (١)، ط المنهاج.

(٥) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ١٤٩).

(٦) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ١٢٥)؛ وعقد اليواقيت (١/ ٩٩ ـ ١٠٣).

(٧) تاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ٦٠).

(٨) تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ١٤٨).

لكان في علومه الظاهرة من الأفذاذ إنتاجاً ومحصولاً»[١].

ويقول عنه أبو بكر المشهور: «وبرز الحبيب الحسن بن صالح في مجتمع بلاد حضرموت بروزاً ملحوظاً في كافة الجوانب، بل لم يكن له نظير في المتأخرين إلى أن قال: وقد تخرج به عدد لا يحصى من التلامذة والمريدين أشارت إلى تعددهم وكثرتهم كتبُ التراجم»[٢].

وقال فيه علي بن محمد الحبشي: «رأيت الأخ علي بن سالم ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، فقال لي: إن فوق العرش رتبة، يتراآها أهل العرش كما يتراآى النجوم أهل الدنيا، فسألت لمن هذه الرتبة؟، فقيل لي: هذه رتبة حسن بن صالح البحر»[٣].

ومن هذه النقول تتضح أهمية هذا الرجل عند القوم وكثرة تلاميذه الذين درسوا التصوف على يديه في بلاد حضرموت، والذي كان لهم الأثر في نشر التصوف في البلدان المختلفة.

ومن تصانيفه: (مجموع كلام وديوان ووصايا الحبيب حسن بن صالح البحر الجفري) احتوى على عبارات كثيرة له في التصوف وغيره، وفي بعضها ما يشبه عبارات أهل وحدة الوجود[٤].

وهو من القائلين بالفناء الصوفي[٥].

ومن تعظيم القوم للبحر أن جعلوا على ضريحه تابوتاً بمدينة ذي أصبح بحضرموت، ويلاحظ كثرة الزائرين لقبره[٦].

> ٥ ـ محمد بن سعيد بابصيل (ت ١٣٣٠هـ):

هو محمد بن سعيد سالم بن أحمد بن سعيد بن عوض بابصيل، ولد بالخريبة من حضرموت سنة ١٢٤٩هـ، وطلب العلم ببلده، ثم رحل إلى

---

(١) المصدر السابق (٣/١٤٩). (٢) لوامع النور (١/١٦٧).
(٣) تذكير الناس (ص٢٢٣).
(٤) مجموع كلام وديوان ووصايا الحبيب حسن بن صالح البحر الجفري (ص١٢).
(٥) المصدر السابق (ص١٦). (٦) تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/١٥٢).

الحجاز، وجاور بمكة. من مؤلفاته: إسعاد الرفيق وبغية الصديق بحل سلم التوفيق، ورسالة في البعث والنشور وغيرها[١]. وأصل أسرته من بلاد الهجرين بحضرموت هاجرت إلى مكة، ودرس بابصيل في مكة على أيدي كبار صوفيتها، لذا يعد من أكبر تلاميذ الصوفي الكبير أحمد بن زيني دحلان، وكان دحلان يبالغ في بابصيل حتى قال: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الشيخ محمد سعيد»[٢].

وقد كان بابصيل من المتصوفة المتعصبة، وله ردود على أتباع العقيدة الصحيحة منها: (القول المجدي في الرد على عبد الله بن عبد الرحمٰن السندي)، والذي رد فيه على عبد الله بن عبد الرحمٰن السندي[٣] من أهل العقيدة الصحيحة، ونصر بابصيل عقيدة المتصوفة في هذا الكتاب[٤].

ونقل أبو بكر المشهور من كتاب «الرحلة المكية» لأحمد بن حسن العطاس التي جمعها تلميذه محمد بن عوض بافضل ـ قول العطاس: «ولا يزال في كل عصر مائة وعشرون ألف ولي، وكل ولي وارث نبي ـ حد داري بنفسه وحد ما هو داري، والشيخ محمد سعيد هذا منهم ـ ولا هو داري بنفسه»[٥].

< ٦ ـ علي بن محمد الحبشي: (ت١٣٣٣هـ):

من كبار صوفية حضرموت، ولد سنة ١٢٥٩هـ، ببلدة قسم[٦]، وسافر إلى

(١) انظر: معجم المطبوعات العربية (ص٥٠٤)؛ ولوامع النور (١/ ٢٧٦)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٢٩٩).

(٢) لوامع النور (١/ ٢٧٧).

(٣) ذكر الدكتور أحمد خان مؤلف كتاب (معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية منذ دخول المطبعة إليها حتى عام ١٩٨٠م) (ص٢٧١) أن السندي هذا هو الشيخ محمد بشير السهسواني. وانظر: كتب حذر منها العلماء لمشهور حسن سلمان (١/ ٥٨) حاشية (٣). انظر ترجمة السهسواني (ص٤٥٩) من هذا البحث.

(٤) انظر: القول المجدي (ص٧، ١٣، ١٥، ١٩، ٢٦، ٢٧).

(٥) لوامع النور (١/ ٢٧٧).

(٦) قَسَم: قرية تقع شرقي العجز وشرقي تريم، وهي أرض واسعة اشتراها علي بن علوي العلوي وسماها باسم أرض كانت لأهله بالبصرة، وغرسها نخيلاً، وبنى بها داراً ثم صارت قرية، ولذا سمي بخالع قسم. انظر: إدام القوت (ص٩٩٣)، ط المنهاج.

مكة سنة ١٢٧٦هـ، ودرس فيها على شيخ الصوفية أحمد بن زيني دحلان وغيره، ثم عاد إلى حضرموت، فبنى مسجد الرياض عام ١٢٩٦هـ وكذا أسس رباطاً للصوفية بسيئون، فتكاثر الطلاب على هذا الرباط، وكان الحبشي يعينهم على نفقته الخاصة، ويعتبر أول رباط يبنى في حضرموت خلال القرون الأخيرة، وقد اشتهر عليٌّ الحبشي بالمواعظ والتي جمعها تلميذه محمد بن سقاف مولى خيلة في خمسة مجلدات[١].

قال فيه أبو بكر المشهور: «إمام العلويين في زمانه وشيخ الشيوخ في عصره وأوانه»[٢].

ومن مؤلفاته: (ديوان في مجلد مطبوع يحتوي على التصوف)، وله كتاب مشهور عند القوم في المولد النبوي بعنوان: (الدرر في أخبار مولد خير البشر)، و(الفتوحات الإلهية في الصلاة على خير البرية)، و(نبذة في كرامات شيخه أبي بكر بن عبد الله بن طالب العطاس، وله وصايا[٣]. وله ديوان شعر حميني في مجلدين طبع بجاوة، وديوان حكمي[٤].

ومن آثاره في حضرموت: السماع الصوفي الذي يقيمه في مسجده، حتى قال عبد الله السقاف: «ومن يعرفه شخصيّاً يدريه من المغرمين بالأغاني، والمشغفين بالسماع تشجيه أصوات القصب والطيران والدفوف والطبول[٥] كصوفي ذائق ندر مثله في أذواقه ومشاربه»[٦].

---

(١) انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (٢/ ٤٦٥)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ١٤٢)؛ والعدة المفيدة (٢/ ٣٧٩)؛ ولوامع النور (١/ ١٩٩).

(٢) لوامع النور (نخبة من أعلام حضرموت) من خلال ترجمة حياة السيد العلامة علوي بن عبد الرحمن المشهور (ت١٣٤١هـ)؛ لأبي بكر العدني بن علي المشهور (١/ ١٩٧)، طبعة دار المهاجر ـ صنعاء، ودار المعالي ـ لبنان. بدون تاريخ.

(٣) انظر مؤلفاته: التعليقات على شمس الظهيرة (٢/ ٤٦٥)؛ ومعجم المؤلفين (٢/ ٥٠١).

(٤) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ١٢٨)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٤٦٣).

(٥) هذه من الآلات الموسيقية التي يستخدمها المتصوفة في حضراتهم واحتفالاتهم في المساجد وغيرها.

(٦) تاريخ الشعراء الحضرميين: ٤/ ١٣٨.

وهو كذلك من القائلين بالعشق الصوفي الذي أكثر منه في ديوانه لا سيما العشق النبوي الذي أدى به إلى الغلو، ومن أبياته في ذلك قوله في ديوانه[١]:

والله إني على العشقة مقيم   لا ملت عنها ولا ملت انقلاب
في ميم حا ميم دال اللزيم   وقد رأيناه في يديك كتاب

وقد وقع له الاصطلام الصوفي ـ الذي وقع لجده الفقيه المقدم ـ واستمر به مدة تسعين يوماً[٢].

توفي سنة ١٣٣٣هـ. «وضريحه غربي مسجد الرياض بقبته المفتوحة بالليل والنهار للزائرين بمثابة محج للعالمين»[٣]. ويقام حول[٤] للحبشي بسيئون عند قبته يحضره الزوار من مختلف الأماكن، وتنتشر بسببه الشركيات والمنكرات إلى يومنا هذا، والله المستعان.

➢ **٧ ـ أحمد بن حسن العطاس: (ت١٣٣٤هـ):**

ولد في مدينة حريضة بحضرموت، وهو من كبار دعاة الصوفية في حضرموت في وقته، وقد ألّف علوي بن طاهر الحداد فيما يتعلق بشخصية العطاس كتاباً سماه (عقود الألماس في مناقب أحمد بن حسن العطاس)، وألف محمد بن عوض بافضل كتاباً بعنوان: (تنوير الأغلاس بذكر أنفاس الحبيب العارف بالله الإمام أحمد بن حسن العطاس)[٥].

---

(١) وانظر: غلوه في ديوانه المسمى (الجوهر المكنون والسر المصون) (ص١٩، ٣٧، ٧٠ ـ ٧١، ٧٣، ٢٢٨).
(٢) تاريخ الشعراء الحضرميين: ٤/ ١٤٠.
(٣) المصدر السابق (٤/ ١٤٠).
(٤) وهي المناسبة التي تقام كل عام لزيارة قبر الحبشي فيحضرها كثير من الناس من مختلف جهات بلاد حضرموت، وهذه الزيارات تشتمل على الشرك والبدع والمنكرات، وفي الآونة الأخيرة ضعف الزيارة عن ذي قبل، فلوحظ قلة الزائرين بسبب النهضة الدينية التي عمت بلاد اليمن ومنها حضرموت نسأل الله المزيد من فضله.
(٥) وهذا الكتاب من الكتب المليئة بالشرك والبدع، وهو من الكتب المتداولة عند صوفية =

قال فيه عبد الله السقاف: «شيخنا وشيخ مشائخنا، أكثر شيوخ الإسلام علوماً واتساعاً، وأسمى الأئمة قدراً وارتفاعاً، وأبعد المرشدين صيتاً مذاعاً، وأوفر المصلحين إصلاحاً مستطاعاً»[١].

وقد تولّى أحمد العطاس منصبة آل العطاس بحريضة[٢]، وكانت له صلة قوية بمشايخ التصوف في الحجاز ومنهم شيخه أحمد بن زيني دحلان وكبار مشايخ الصوفية في مكة[٣].

ومن انحرافاته: تقريره اطلاع الولي على ما في النفس، وعلمه للغيب، واعتقاد التصرف في الناس ودخول سرائرهم، ودعا العطاس الناس للالتجاء بالموتى ودعائهم من دون الله تعالى عند الشدائد[٤].

وأما البدع العملية ودعوته لها فكثيرة جداً؛ كالمولد، واعتقاد حضور الموتى إليه، وكذا دعوته للبناء على القبور، والتي أدت لدعاء الموتى من دون الله تعالى[٥].

توفي بحريضة سنة ١٣٣٤هـ.

➢ **٨ ـ علوي بن عبد الرحمن المشهور: ت١٣٤١هـ:**

وقد ترجم له حفيده أبو بكر بن علي المشهور بترجمة واسعة في كتاب كبير سماه: (لوامع النور ـ نخبة من علماء حضرموت ـ من خلال ترجمة السيد العلامة علوي بن عبد الرحمٰن المشهور المتوفى سنة ١٣٤١هـ) وبيّن في هذه الترجمة دوره في نشر التصوف في حضرموت وخارجها. فقد كان لعلوي المشهور رحلات إلى الهند وسيلان وغيرها.

= حضرموت إلى يومنا هذا، وقد اختصره أبو بكر عطاس الحبشي بكتاب سماه (تذكير الناس) شحنه بالخرافات والشرك كما سيأتي النقل عنه في مباحث هذه الرسالة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ١٠١).

(٢) انظر ترجمته بتوسع: تاج الأعراس (١/ ٧١٣).

(٣) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ١٠٢ ـ ١٠٣)؛ ولوامع النور (١/ ٢٢١).

(٤) تذكير الناس (ص٤٩، ٥٤، ٥٦، ٨٠، ١٢٩، ١٣٧، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٤١، ٣٧١).

(٥) تذكير الناس (ص١٤٩، ١٩٤، ٢٠٣).

وكان له اتصال بأصحاب الطرق الصوفية الأخرى[(١)].

ومن آثاره: دعوته للتوسل بالنبي ﷺ ودعائه من دون الله تعالى عند حلول المصائب لما له من منزلة عند الله تعالى، وقد دوّن ذلك في أشعاره الكثيرة[(٢)]، وهو كذلك من دعاة الاستغاثة الشركية، فقد دعا للاستغاثة بعمر المحضار المتوفى سنة ٨٣٣هـ حيث استغاث به في كثير من أشعاره؛ لدفع الملمات، وتفريج الضائقات التي مرت بها حضرموت في وقته[(٣)].

ومن استغاثاته بالمحضار:

وسيلتي في الخطوب النائبات فتى	شجاع دين الإله محضار
ادعوك يا عمر المحضار تدركني	فإنني سيدي في حيكم جار

ولهذا السبب فقد دعا للسكنى قرب قبر عمر المحضار المدفون بمدينة تريم لما له من التصرف والمدد ـ بزعمه ـ، حيث قال في ذلك:

يا من حضر يسمع صلوا على المختار	والله ما يندم من جاور المحضار[(٤)]

وقد كان علوي المشهور إماماً لمسجد المحضار أربعين عاماً وادعوا أنه حصل له بذلك القرب من المحضار الفتوحات والاتصالات الروحية[(٥)].

ولا يزال الاعتقاد بعمر المحضار إلى يومنا هذا، ويجري ذكره على ألسنة بعضهم للاستعانة به والتوكل عليه من دون الله تعالى، وكان في مقدمة من فتح هذا الباب علماء المتصوفة في حضرموت[(٦)]، والله المستعان.، ويعتبر علوي المشهور من المشاركين في بناء رباط تريم، وشارك في التدريس فيه عند

---

(١) لوامع النور (١/ ٨٥).
(٢) المصدر السابق (١/ ١١٧).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٣٥ ـ ١٣٦).
(٤) لوامع النور (١/ ٣٧). وهكذا أغلب أشعاره تدور حول موضوع الاستغاثة بالمخلوقين، وصدق الالتجاء إليهم عند الملمات. وانظر بعض هذه القصائد: تاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ٢٠٥ ـ ٢٠٨).
(٥) انظر: لوامع النور (١/ ٤٢ ـ ٤٨).
(٦) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٦٣).

افتتاحه[١].

ولعلوي المشهور تلاميذ كثر، يقول عبد الله السقاف: «وأما تلاميذه وما أدراكم ما هم كمتناثرين في بقاع الدنيا فمن مشاهير التريميين: العلامة السيد عبد الله بن عمر بن أحمد الشاطري[٢]، والعلامة السيد حسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكاف[٣]، والعلامة السيد عبد الباري بن شيخ العيدروس[٤]... إلخ»[٥].

ومن آثاره خارج حضرموت: رحلاته للدعوة إلى التصوف في بلاد سيلان، وإنشاؤه بها زوايا ومدارس صوفية[٦]، وله مشاركات في الاحتفالات الصوفية هنالك، واهتمامه بالدعوة إلى اجتماع هذه الطرق ورفع الحواجز والخلافات التي بينها[٧].

وفي عمله هذا تأييد لهذه الطرق وتقوية لشوكتها في تلك البلدان لا سيما من شخص يعتقدون فيه أنه عالم ومن سلالة النبي ﷺ.

---

(١) لوامع النور: ١/ ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) هو عبد الله بن عمر بن أحمد الشاطري، ولد بتريم سنة ١٢٩٠هـ، ورحل إلى مكة فتلقى عن علمائها ثم عاد إلى حضرموت، وصار مرجعاً في الفقه والفتوى. له أرجوزة في النهي عن بيع التبغ، وكتاب (إتحاف الخلف بسيرة السلف)، توفي سنة ١٣٦١هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٥/ ١٤٠)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٠٤).

(٣) هو حسين بن أحمد الكاف: ولد بتريم، وأخذ عن شيوخها ومنهم عبد الرحمن المشهور، وعن والده أحمد بن محمد الكاف وعن أحمد بن حسن العطاس وغيرهم. توفي بتريم سنة ١٣٣٣هـ. انظر: لوامع النور (٢/ ١٧٠).

(٤) هو عبد الباري بن شيخ العيدروس العلوي، ولد بتريم ١٢٩٠هـ، ودرس على مشايخها. وتوفي بتريم سنة ١٣٥٨هـ. وقد جمع تلميذه محمد بن سقاف الهادي مجموعاً سماه (بهجة النفوس) اشتمل على نبذة من مواعظه وترجمته، وجمع حفيده يحيى جزءاً في ترجمته. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (١/ ١١٠)؛ والخبايا في الزوايا (ص٦٠ ـ ٦١)؛ وقبسات النور (ص٤٦ ـ ٥٠).

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ٢٠٣).

(٦) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ٢٠٣).

(٧) انظر: لوامع النور (١/ ٨٥، ٨٩).

وله رحلات للدعوة إلى التصوف في جاوا وكذلك إلى أفريقيا الشرقية[١].

❋ المطلب الثاني ❋

أعلام صوفية حضرموت في القرن الخامس عشر ودورهم في نشر التصوف

➢ ١ ـ زين بن إبراهيم بن سميط العلوي:

هو زين بن إبراهيم بن سميط العلوي، من صوفية حضرموت المعاصرين، ولد في جاوه من بلاد أندونيسيا سنة ١٣٦١هـ، وسافر إلى حضرموت لتلقي العلم في تريم سنة ١٣٧٧هـ، ودرس على كثير من علماء الصوفية بها وأهم شيوخه: محمد بن سالم بن حفيظ. ويقيم حالياً بالمدينة النبوية، ويقوم على رباط هناك يسمى رباط الجفري. من مؤلفاته: الأصول الخمسة لطريق السادة العلويين، والأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية، ومؤلف في التفسيرات الإشارية للأسلاف للحديث النبوي وغيرها[٢]. وقد بدأ دوره في نشر التصوف في اليمن، حيث سافر إلى مدينة البيضاء[٣] باليمن للتدريس في رباطها؛ الذي كان يقوم عليه آنذاك محمد بن عبد الله الهدار[٤] المتوفى سنة ١٤١٨هـ، ومكث ابن سميط أكثر من عشرين سنة يدرس في هذا

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/ ٩٠ ـ ٩٤).

(٢) انظر: قبسات النور حيث ترجم له بتوسع (ص١٨٩ ـ ١٩٦).

(٣) البيضاء: إحدى مدن اليمن الكبيرة، وتقع بأرض الظاهر، وتقع في الشرق الجنوبي من صنعاء على بعد ست مراحل عن طريق ذمار فرداع. والبيضاء تعد إحدى محافظات اليمن في التقسيم الإداري الجديد. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، للحجري (١/ ١٣٤)؛ ومخاليف اليمن، للقاضي إسماعيل الأكوع (ص٨٦). الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، المجمع الثقافي ـ أبو ظبي.

(٤) هو محمد بن عبد الله الهدار (مفتي البيضاء)، ولد بقرية عزة من أعمال مدينة البيضاء سنة ١٣٤٠هـ، وهو من أسرة شهيرة نزحت من عينات إلى البيضاء اليمنية في القرن الحادي عشر تقريبا. رحل إلى حضرموت للتلقي على مشايخها والتحق برباط تريم، ثم عاد إلى البيضاء سنة ١٣٩١هـ فافتتح رباط الهدار في البيضاء. توفي سنة ١٤١٨هـ بمكة. انظر: قبسات النور (٢٢٨ ـ ٢٣١). وأفرد ترجمته ولده حسين بكتاب سماه (هداية الأخيار في سيرة الداعي إلى الله محمد بن عبد الله الهدار).

الرباط، وتلقى عنه التصوف طلاب كثيرون، رجعوا بعد ذلك إلى مدنهم وقراهم لنشر التصوف بها[١].

ثم سافر بعد إحدى وعشرين سنة من إقامته في رباط البيضاء إلى المدينة النبوية للتدريس في رباطها الذي شارك محمد الهدار وغيره في دعمه واستمراره، ولا يزال ابن سميط قائماً على هذا الرباط المسمى بـ(رباط الجفري) إلى يومنا هذا.

ولابن سميط منزلة كبيرة عند القوم في هذا الزمان[٢] لما يكتبه من شبه، يحسبون أنها تنفعهم في إحياء طريقتهم، وما يقوم به من زيارات إلى حضرموت لتثبيت الشرك والبدع[٣]، ومن تلك الألقاب التي أضفوها عليه ما قاله عنه أبو بكر بن علي المشهور: «هو العالم الفقيه حافظ المذاهب النحوي المشارك في شتى العلوم العارف بالله الدال عليه بمواعظه ورقائقه الصوفية، ذو الطلعة العلوية السلفية، الحبيب زين العابدين بن إبراهيم بن سميط، الذي انتهت إليه المرجعية في الفقه والفتوى في البلاد الحجازية»[٤].

ويقول أيضاً: «ومع أن الله قد يسر للمترجم له ما لم ييسره لأحد غيره من الاستقرار في المدينة المنورة عند الحبيب صلى الله عليه وعلى آله[٥]،

(١) ومن هؤلاء الذين درسوا عليه وقاموا بنشر التصوف في مناطقهم: عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ القائم على دار المصطفى بتريم من أكبر دعاة التصوف في حضرموت في هذا الزمان، وكذلك منصور اليافعي، وعبد الرب اليافعي ـ من بلاد يافع باليمن ـ، وكذلك شخص يدعى محمود بن عبد الباري الصومالي من دعاة التصوف في أفريقيا، وغيرهم من التلاميذ. انظر: قبسات النور (ص١٩١ ـ ١٩٢).

(٢) حتى لقبوه بفقيه العلويين. انظر مقدمة كتابه: منهاج الطالبين، ولُقِّب بألقاب أخرى سيأتي ذكرها.

(٣) انظر: زيارته إلى حضرموت وعقده للمحاضرات في مناطق شتى من حضرموت، ومشاركته في زيارة هود الشركية والبدعية ولقاءه بكبار المتصوفة، وسعيه في إضلال العوام والجهال بدعوته للتصوف الذي يقود أتباعه إلى الهاوية ـ والعياذ بالله ـ. انظر: مجلة أنوار التلاقي (العدد ٢٧).

(٤) قبسات النور (ص١٨٩).

(٥) هذا هو غاية القوم، وهو التعلق بالقبور أينما وجدت، فلم يجد المشهور ما يمدح به عالمهم =

ووجود الطلبة المتفرغين له، والراحلين إليه، ووجودهم في رباط المترجم الرباط السلفي العلوي، الذي يضمهم جميعاً في جو روحي علمي بهيج، ومع كثرة طلبته وتزايدهم وانشغاله بتدريسهم مع كبر في السن ـ لم يكتف نفعنا الله بعلمه ـ بالتدريس، بل واصل رحلة الطلب وأخذ يثني الركب عند علماء المدينة وصلحائها»[١].

فَمَنْ هؤلاء العلماء والصلحاء الذين أشار المشهور إلى تلقي ابن سميط عنهم؟. فهذا دأب القوم لترويج الباطل بالثناء على أهله، وهؤلاء العلماء والصلحاء الذين أشار إليهم المشهور على نفس الشاكلة[٢]، وأما علماء الحق والمنهج السليم فقد حَرَمَ القومُ أنفسَهم من أخذ العلم عنهم.

ويقول أبو بكر المشهور: «ويعتبر المترجم له الآن من أكبر شيوخ المرحلة، وقد يسّر الله له الكثير من الطلبة المتفرغين لنهل العلم من معينه، وصار مظهراً من مظاهر الطريقة العلوية والعلوم السلفية في عصره»[٣].

وأما آثاره: فقد ألف كُتباً في بيان طريقتهم العلوية بحضرموت، منها: «الأصول الخمسة لطريق السادة العلويين، والأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية[٤] الذي ملأه بتقرير الشرك الأكبر: من دعاء وتوسل واستغاثة بغير الله

= هذا سوى أنه رحل للمدينة لمجاورة قبر النبي ﷺ. ثم دندنتهم بعبارة الحبيب في وصف النبي ﷺ عبارة فيها تقصير، فالنبي ﷺ يوصف بصفة الخلة وهي أعلى درجات المحبة كما قال ﷺ: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» الحديث أخرجه مسلم في صحيحه. انظر: كتاب المناهي اللفظية، للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (ص١٦٢ ـ ١٦٣).

(١) قبسات النور (ص١٩٣).

(٢) وقد ذكر أسماءهم المشهور نفسه بعد هذه المقدمة البراقة، انظر: قبسات النور (ص١٩٤).

(٣) المصدر السابق (ص١٩٦).

(٤) ذكر أبو بكر المشهور أنه من مؤلفات ابن سميط. انظر: قبسات النور (ص١٩٥)، وكذلك ذكر اسم الكتاب على غلاف كتاب آخر لابن سميط بعنوان (الخطب المنبرية) حيث ذكر الناشر ترجمة مختصرة له على طرة الكتاب وذكر مؤلفات ابن سميط ومنها كتاب الأجوبة الغالية. وكتاب الأجوبة الغالية طبعته دار الفقيه بتريم، وكتب على الغلاف تأليف: العلامة الداعي إلى الله الحبيب: زين العابدين العلوي. هكذا، ولا يدرى ما السبب الذي دعا المؤلف أو الذي طبعه إلى عدم التصريح باسم المؤلف، لا سيما وقد وُصِف بأنه العالم =

تعالى؛ باسم تعظيم ومحبة الأولياء بالغلو فيهم ودعوته للشرك والبدع وتقريرها[١].

وهو من الكتب المعتمدة عند القوم في العصر الحاضر، لذا يوجد بكثرة في مكتباتهم العامة والخاصة.

وأما تقريره للبدع العملية التي قررها فكثيرة جداً منها: تقسيمه البدع إلى حسنة وسيئة، ودعوته إلى شد الرحل لزيارة قبور الأنبياء والصالحين، وتجصيص القبور والبناء عليها، والاحتفال بالمولد النبوي، وإقامة الحضرات الصوفية، والدعوة إلى مجاهدات الصوفية ورياضاتهم البدعية[٢].

◄ ٢ ـ سالم بن عبد الله الشاطري:

سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري: ولد بتريم سنة ١٣٥٨هـ ونشأ بها ثم رحل إلى مكة وتتلمذ على علوي بن عباس المالكي، ثم عاد إلى اليمن ودرس في عدن، ثم انتقل للتدريس في رباط المدينة مع زين بن سميط. وهو الآن يعمل مدرساً في رباط تريم. وقد ذكر حسين بن محمد الهدار أن صوفية حضرموت أطلقوا عليه لقب سلطان العلماء[٣]. ويعتبر من مشايخ الصوفية في

= الفقيه، حافظ المذهب، إليه المرجعية في الفقه والفتوى في البلاد الحجازية؟!، ويخفي شخصه في مثل هذا الكتاب المهم عند القوم، والذي يتحدث عن مسألة عظيمة، وهي عقيدة الفرقة الناجية، التي من تمسك بها نجا وأفلح في الدنيا والآخرة، ومن تركها أو عارضها فإنه ضال من الخوارج أو نحو ذلك، وهذا يدلنا أن القوم أما أنهم جبناء، كاتمون الحق عن الناس وعدم إظهار حقيقتهم لهم، وسلوك طريق السرية الباطنية، أو أنهم يعلمون باطلهم في قرارة أنفسهم بحكم الفطرة ـ إن بقي منها شيء سلم من لوثة التصوف ـ ولذا لا يصرحون، وكما يتضح في هذه الأيام إخفائهم لبعض كتبهم المنحرفة، وعدم بيعها، أو إظهارها للباحثين، وهذا من الأدلة الكثيرة جدا على بطلان مذهب التصوف الذي ابتلي به أهل حضرموت كغيرها من بلدان العالم الإسلامي، يسر الله نصر السنَّة وأهلها، ورد ضال المسلمين إلى الحق رداً جميلاً. اللهم آمين.

(١) انظر: الأجوبة الغالية (ص٤٣). وانظر: هذه الانحرافات والمخالفات العقدية: المصدر السابق (ص٣٥ ـ ٣٦، ٤٢، ٤٧، ٥٠، ٥٢ ـ ٦٤، ٧٠ ـ ٧٢، ٨٥، ٨٧، ٩٢ ـ ٩٣، ١٠٠ ـ ١٠٩).

(٢) انظر: قبسات النور (ص١٩٢).

(٣) انظر: قبسات النور (ص٢١٢ ـ ٢١٣)؛ وهداية الأخيار (ص١٣١).

حضرموت الذين لهم منزلة كبيرة عند القوم، وقد امتلأت تسجيلات القوم في مختلف مناطق حضرموت وغيرها بأشرطته، من دروس، ومحاضرات، وجلسات وغيرها، وهو من الذي يميلون للتدريس فليس له من المؤلفات إلا القليل.

وقد درّس الشاطري في رباط المدينة ما يقارب من اثنتي عشرة سنة مع زين بن سميط[1].

وعمل معلماً وإماماً وخطيباً بمسجد أبي بكر بنْ عبد الله العيدروس بعدن[2].

ومن مؤلفاته: كتاب مطبوع بعنوان: (نيل المقصود في زيارة نبي الله هود) قرر فيه مشروعية زيارة القبر المزعوم لنبي الله هود ﷺ التي تقام بحضرموت سنوياً، وأخرج كل ما في جعبته من الأقوال والأدلة الواهية لإثبات وجود القبر في ذلك المكان، ومن ثم دعوته الناس للزيارة الشركية والبدعية للقبر المزعوم[3].

يقول في معرض نصائحه لزوار القبر المزعوم: «كما أنه ينبغي أن يكون في زيارته دائم الخشوع، والحضور للزيارات كلها، ورُبّ شخصٍ يترك زيارة تكون خسارته للمدد الرباني كبيرة»[4].

وقرر في كتابه شد الرحال لغير المساجد الثلاثة، جامعاً ـ كعادة القوم ـ ما هب ودب من الأقوال، بل والتكثر بأقوال المخالفين، والذين هم على شاكلته في هذه المسائل، وذلك لتأييد عقيدة القوم المخالفة للنصوص الشرعية القائمة على فهم سلف الأمة لا فهم الخلف[5].

وأكثر في كتابه من التأويل لأقوال سلفه وعلمائه في الغلو في زيارة القبر

---

(١) قبسات النور (ص١٩٢). (٢) قبسات النور (ص٢١١).

(٣) انظر: نيل المقصود في مشروعية زيارة نبي الله هود ﷺ، لسالم بن عبد الله الشاطري (ص٧ ـ ٢٩). وانظر: الرد على زعمهم بوجود قبر نبي الله هود ﷺ بحضرموت (ص٩٣٥) من هذه الرسالة.

(٤) نيل المقصود (ص٧٣). (٥) المصدر السابق (ص٤٢ ـ ٤٣).

المزعوم، والتكلف لإخراجها عن الظاهر بلا دليل، وتأويله للخرافات والأساطير التي جُعلت لهذا القبر المزعوم لينخدع بذلك الجهال وأشباههم، كقولهم بوجود نهر من أنهار الجنة عند قبر نبي الله هود عليه السلام[١].

وللشاطري جولات في مناطق اليمن وخارجها لنشر التصوف، من ذلك سفره إلى بعض الدول الإسلامية للدعوة للتصوف[٢].

وله مشاركات في الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي ونشاط عبر وسائل الأعلام، وإلقاء البرامج والدورات والمحاضرات للشباب في فروع دار المصطفى[٣]، ويلاحظ امتلاء تسجيلات الصوفية بأشرطته من محاضرات، ودروس، وجلسات في بعض الأيام وفي المناسبات.

ومن آثاره أيضاً: المشاركة في إعادة التعليم في رباط تريم، الذي فتح للطلاب الذين جاءوا من مناطق مختلفة[٤] سواء من داخل اليمن أو من خارجها خاصة بلدان جنوب شرق آسيا، وبلدان شرق أفريقيا لا يزال هذا الرباط قائماً إلى يومنا هذا.

➢ ٣ ـ عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ العلوي ـ معاصر ـ:

هو عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ بن أبي بكر بن سالم العلوي، ولد بتريم، وأخذ عن مشايخها ومنهم أخوه الأكبر علي المشهور، وعن عبد الرحمٰن بافضل ـ مفتي تريم ـ وغيرهما، ثم التحق برباط الهدار في البيضاء وبقي به عشر سنوات ثم عاد إلى تريم سنة ١٤١٠هـ وأسس دار المصطفى الذي يعتبر

---

(١) المصدر السابق (ص٣٤ ـ ٥٣).
(٢) انظر: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٩ ـ السنة الثالثة ـ رجب ١٤٢٠هـ (ص٤٣).
(٣) المصدر السابق: العدد ٣٣، ربيع أول ـ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ (ص٤٢).
(٤) قبسات النور (ص٢١٢). وقد ساعد سالما الشاطري أخوه حسنٌ في بناء رباط تريم. يقول أبو بكر المشهور عن حسن هذا في كتابه: قبسات النور (ص٢١٣): «وهو اليوم من أكبر شيوخ المرحلة في تريم الذين تدور عليهم مهمة التربية والدعوة على منهج السلف». وقد توفي حسن الشاطري في الحادي عشر من ربيع الأول عام ١٤٢٥هـ في مدينة أبو ظبي بدولة الإمارات، ونقل إلى تريم ودفن في مقبرة زنبل؛ مقبرة سلفه العلويين.

أكبر مراكز الصوفية بتريم[١]. ويعمل عميداً لدار المصطفى بتريم الذي يتولى كِبْر نشر التصوف في هذه الأيام، ويقوم بإدارة أمور هذه الدار مع أخيه علي المشهور الأكبر.

ويعتبر علي أكبر سناً من أخيه عمر، لكن نشاطه أقل من أخيه[٢].

وعمر بن حفيظ لا يعرف بالتأليف كغيره من المتصوفة المعاصرين، وإنما يعرف بكثرة المحاضرات والمقالات في الصحف والمجلات، واللقاءات والجلسات، وشرح بعض كتب التصوف، وتم تسجيل كل ذلك على الأشرطة وأسطوانات الحاسوب، كما جمع له طلابه بعض محاضراته وخطب الجمعة ونحوها ثم طبعها بعد ذلك.

ومن آثاره: إصداره مجلة تسمى (أنوار التلاقي) والتي تمثل دار المصطفى حيث تصدر كل شهرين وتكتب فيها مقالات الصوفية، والردود على أهل الحق من كبارهم ومحبيهم من المتبوعين، ولابن حفيظ زاوية في تلك المجلة ينشر فيها كلامه في التفسير، وكذلك تنشر أخباره وجولاته الدعوية وفتاويه، ومشاركته في الاحتفالات والزيارات البدعية في داخل اليمن وخارجها.

ولابن حفيظ منزلة كبيرة عند المتصوفة في العصر الحاضر، حتى يرى

---

(١) انظر: هداية الأخيار (ص٥٤٨).

(٢) وهذه الشخصية على قدمها في انتهاج التصوف؛ إلا أنها أقل حركة ودعوة وشهرة بين الناس من أخيه عمر، ويعد علي المشهور من الدعاة إلى زيارة القبر المزعوم لهود ﷺ حيث يرى أن الزيارة إلى شِعْبِ هود ﷺ كالغيث لا تدري البركة في أوله أو في وسطه أو في آخره فطالب المدد الكبير عليه بالتعرض لهذه البركة المزعومة، وطالب الدولة والمواطنين بإصلاح الطريق المؤدي للقبر المزعوم حتى تتيسر الزيارة للناس، وقد تم لهم ذلك مؤخرا، ولا حول ولا قوة إلا بالله. انظر: مجلة أنوار التلاقي: عدد (١١) شهر صفر ـ شعبان، سنة ١٤١٧هـ، (ص٧).

ويقول عنه أبو بكر المشهور في كتابه: قبسات النور (ص١٤٥): «قام الحبيب مشهور مع إخوته بإعادة كل مظاهر السلف وزياراتهم وعاداتهم على أفضل ما يرام وقام معهم أعيان تريم، كما يباشر اليوم مهمات التدريس في رباط تريم المبارك».

الزائر لحضرموت لا سيما تريم، مظاهر الغلو في هذا الشخص، حيث علقت صوره في كثير من المحلات، والأماكن في تريم، وفي معاهدهم، وجامعاتهم، ومكتباتهم وفي غرف الطلاب بسكنهم الداخلي، فجعلوا له هيبة في قلوب الضعاف من الخلق.

يقول حسين الهدار[١] مترجماً لابن حفيظ وذلك عند ذكر الأربطة الصوفية في اليمن ومؤسسيها، ومنها دار المصطفى بتريم حيث قال المؤلف عن مؤسسه: «هو العالم الداعي إلى الله عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، ولد في تريم إلى أن قال: انتقل إلى البيضاء وتلقاه سيدي الوالد محمد بن عبد الله الهدار الذي قربه وأحبه كثيراً، وشاهد فيه محيا والده العالم الشهيد، وانتظم ضمن طلاب رباط الهدار للعلوم الشرعية، وبه استقر نحواً من عشر سنوات يكرع من معين ذلك الرباط ويأخذ عن مدرسيه، وبعد تمام الوحدة اليمنية ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) عاد إلى موطنه تريم وبها استقر وأسس دار المصطفى[٢]، وساعده في ذلك أرباب المال من المحسنين وتبادر الطلاب للانضمام في سلكه»[٣].

وقال عنه المشهور: «حفظ الله بهمته روح الدعوة وسر الطريق المباركة، وخاصة في تلك الحقبة المظلمة في تاريخ حضرموت، والتف حوله المتعلقون بمنهج السلف، وصبر على نشر الدعوة في داخل وخارج تريم إلى أن قال:

---

(١) هو حسين بن محمد بن عبد الله الهدار، من صوفية البيضاء، من مواليد البيضاء عام ١٣٧٠هـ. يشغل رئيس فرع جمعية علماء اليمن بمحافظة البيضاء، ومفتيها، ومدير رباط الصوفية بالبيضاء، له عدة مؤلفات منها: الدواء الشافي لعلاج ظاهرة التكفير، هداية الأخيار في سيرة الداعي إلى الله محمد الهدار، ورحلة في ديوان الحداد، وتاريخ ابن شهاب وغيرها. وهو لا يزال حيا. انظر ترجمته: على غلاف كتابه (هداية الأخيار في سيرة الداعي إلى الله محمد الهدار).

(٢) تشكل هذه الدار مركزاً للصوفية في العصر الحاضر حيث يأتون بالطلاب من داخل اليمن وخارجها كما سيأتي.

(٣) هداية الأخيار (ص٥٤٨).

وقد أبدع في استخدام كافة الوسائل المناسبة للزمان لجذب قلوب الناشئة، فكان بذلك خيراً كبيراً للبلاد»[١].

وذكر المشهور وسائل دعوة ابن حفيظ في هذا الزمان لدعوة الناس إلى التصوف، سواء بربطهم بالمدرسة العلوية، أو بمشايخهم، أو بالطرق العصرية للدعوة[٢].

وأنشأ ابن حفيظ دار المصطفى بتريم عام ١٤١٧هـ، وجعل له منهجاً يسير عليه في دعوته لمنهج أسلافه، وكذا فتح كثيراً من الأربطة كرباط الشحر، ورباط عينات[٣]، واستخدام الوسائل الإعلامية، ونشر بواسطة الأجهزة البصرية والسمعية، وكذلك قيامه برحلات إلى العديد من بلدان العالم للدعوة إلى طريقتهم، واستقطاب العديد من الطلبة من داخل اليمن وخارجها للدراسة في تلك الدار، والمشاركة في البرامج التلفازية المحلية والخارجية في نشر دعوة التصوف[٤].

وبعد أن ساق المشهور هذه الجهود لشيخهم ابن حفيظ في نشر التصوف ختم حديثه عنه فقال: «وبالجملة فالسيد عمر بن محمد بن حفيظ يعد في مرحلتنا المعاصرة أحد الأعمدة العلمية والعملية للنهج العلوي المتجدد بروح الزمان والمكان دون إفراط ولا تفريط»[٥].

---

(١) قبسات النور (ص١٤٥). (٢) قبسات النور (ص١٤٥).

(٣) عينات: من أشهر قرى حضرموت، وتقع شرقي تريم على مسافة ثمانية كيلا تقريبا، وأول من اختطها آل كثير سنة ٦٢٩هـ. ثم خربت عينات سنة ٧٨٧هـ. وقد أخربت في فترات من الزمن، وأما عينات الجديدة فبناها أبو بكر بن سالم العلوي المتوفى سنة ٩٩٢هـ وهي لا تزال بآثارها إلى اليوم. انظر: إدام القوت (ص٩٧٤ ـ ٩٧٥)، ط المنهاج.

(٤) انظر: قبسات النور (ص١٤٦).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص١٤٦). وقولهم بأن دعوتهم لا إفراط فيها ولا تفريط، وقولهم بالوسطية والاعتدال إنما ذلك من العبارات البراقة التي قد ينخدع بها من لا معرفة له بمذهبهم، وهذه من العبارات التي يتكرر ذكرهم لها في مؤلفاتهم ومحاضراتهم، وهي في الحقيقة سراب لا حقيقة تحتها، فهم الدعاة إلى الشرك والبدع، وهم أهل الغلو في القبور، وفي الأولياء والمشايخ، والانحراف عن طريق النبي ﷺ العلمي والعملي ـ كما مر وسيأتي في ثنايا مباحث هذه الرسالة ـ إن شاء الله تعالى ـ، فكيف يقال بعد هذا أن دعوتهم لا إفراط =

وقام ابن حفيظ بدور كبير في تمكين تلك الدار وبث الدعاية لها، وذلك بدعوة المسئولين لزيارتها، وزيارة بعض أربطة ودور المتصوفة في حضرموت[١].

ويدندن القوم بأن من أعظم أهداف دار المصطفى الحرص على صبغ الكبار والصغار بالأخلاق النبوية الشريفة وإبعادهم عن العادات والأفعال الرذيلة[٢].

ونشط القوم في السنوات الأخيرة في إقامة الدورات العلمية الصيفية التي تقام في دار المصطفى ويحضرون الطلاب من داخل اليمن وخارجها[٣].

كما قام ابن حفيظ بفتح فروع لدار المصطفى في مختلف أنحاء اليمن، وروج الدار الدعايات الكثيرة لهذه الدار حتى زارها على سبيل المثال عدد من مشايخ القبائل كمشايخ من أعيان قبيلة همدان اليمنية المعروفة، وأطلعهم ومن معه على دار المصطفى، ومنهجها وطريقة التدريس فيها، وطلبوا منه افتتاح فرعاً للدار في بلادهم ووعدهم بذلك[٤]. ولابن حفيظ جولات للدعوة إلى مذهبه منها: زيارته لمصر للمشاركة في الاحتفال بوصول رأس الحسين، ومشاركته بإلقاء عدة محاضرات في مختلف مناطق مصر[٥].

وكذا رحلاته مع بعض المتصوفة للمشاركة في مؤتمر عقد بسيرلانكا بعنوان (ركيزة الإسلام عقيدة وسلوكاً) التقى فيه مع كبار المتصوفة المنتشرين في البلدان العربية، وألقى محاضرات هناك، ودعا مع غيره من المتصوفة إلى التعايش مع الآخرين من الفرق والطوائف، والمحافظة على آثار أسلافهم[٦].

ومن آثاره إقامة الدورات الصيفية بدار المصطفى التي تستمر لمدة أربعين

= فيها ولا تفريط، وكما قيل: الدعاوى إذا لم يكن عليها بينات أهلها أدعياء.

(١) انظر: مجلة أنوار التلاقي: عدد شعبان، ١٤١٨هـ (ص٦٣).

(٢) المصدر السابق: العدد ٢، ربيع الأول ١٤١٩هـ (ص١٧).

(٣) مجلة أنوار التلاقي، العدد ٢٨، جمادى الأول ـ جمادى الآخرة ـ ١٤٢٣هـ، (ص٣٤).

(٤) المصدر السابق، العدد ٣٦، محرم ـ صفر ١٤٢٥هـ، (ص٣١ ـ ٣٢).

(٥) المصدر السابق، العدد: ٧، السنة الثالثة، جمادى الأول ١٤٢٠هـ (ص٣١).

(٦) المصدر السابق: العدد ٢٧، رمضان ـ شوال ـ ١٤٢٣هـ، (ص٢١ ـ ٢٢).

يوماً، يشارك فيها كثير من الطلاب من داخل حضرموت وخارجها، وشارك كذلك في افتتاح مجمع الشمائل النبوية التي تقام بمدينة الشحر لمدة أربعين يوماً، وتنتشر بين جميع مساجد المدينة[١].

وله جلسة تقام كل يوم اثنين بتريم يحضرها كثير من الناس، ويهتم القوم بعقد هذه الجلسة وبث الدعاية لها ونشرها في صفوف طبقات المجتمع المختلفة[٢]، ومن آثاره كذلك تدريس بعض الكتب المنحرفة في دار المصطفى وحفظ بعض المتون في العقيدة، والكتب المقررة في ذلك: عقيدة العوام، ودروس التوحيد لمحمد بن حفيظ، وعقيدة الإسلام للحداد، وجوهرة التوحيد للباجوري[٣][٤].

وكذا فتح أربطة للصوفية في المكلا والحامي ومناطق أخرى[٥]، ودعا للوقوف على قبور الأنبياء والصالحين والتعلق بقبورهم[٦].

ومن آثاره دعوته المتكررة للتعلق بالقبور وإقامة المحاضرات والجلسات عندها مثل: جلساته عند القبر المزعوم لنبي الله هود ﷺ، وكذا محاضراته قرب مقبرة العلويين المسماة زنبل داعياً الناس أن يتعلقوا بهم[٧]، وبالجملة فإن لهذا الرجل نشاطاً واضحاً في الإعلام المرئي والمسموع[٨].

---

(١) المصدر السابق: العدد ٢٧، رمضان ـ شوال ـ ١٤٢٣هـ، (ص٣٦، ٤٢). وانظر: العدد ٣٣ (ص٤١). وانظر عن تنظيم دار المصطفى للدورات الصيفية: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٢٧، رمضان ـ شوال ـ ١٤٢٣هـ، (ص٢١ ـ ٢٢).

(٢) المصدر السابق: عدد شعبان، ١٤١٨هـ، (ص٤٢)، والعدد ٢، ربيع الأول ١٤١٩هـ، (ص٤٥).

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري الشافعي المصري، ولد بباجور في مصر سنة ١١٩٨هـ، وتولى مشيخة الأزهر، من آثاره: شرح جوهرة التوحيد. توفي سنة ١٢٧٧هـ. انظر: الأعلام (١/ ٦٦ ـ ٦٧)، ط٣، ١٣٨٩هـ ـ بيروت؛ ومعجم المؤلفين (١/ ٥٧).

(٤) مجلة أنوار التلاقي: العدد ٢، ربيع الأول ١٤١٩هـ، (ص١٨).

(٥) المصدر السابق: العدد ٣، شعبان ١٤١٩هـ (ص٣٤).

(٦) المصدر السابق: العدد ٢٨، جمادى الأولى ـ جمادى الآخرة ـ ١٤٢٣هـ، (ص٣).

(٧) المصدر السابق: العدد ٣٤، جمادى الأولى ـ جمادى الآخرة ـ ١٤٢٤هـ، (ص٢).

(٨) المصدر السابق: العدد ٣٠، رمضان ـ شوال ـ ١٤٢٣هـ، (ص٤١).

< ٤ ـ أبو بكر العدني بن علي المشهور:

من عائلة آل باعلوي الحضرمية، هاجر أهله إلى مدينة أحور ـ إحدى مناطق محافظة أبين ـ ولد سنة ١٣٦٦هـ، وتخرج من كلية الآداب بجامعة عدن ثم رحل إلى الحجاز وأخذ عن علماء الصوفية هناك، وعمل إماماً بأحد مساجد مدينة جدة حتى عاد إلى اليمن سنة ١٤١٢هـ، وقد ساهم في فتح عدد من الأربطة الصوفية، ومراكزها وكذا إقامة الدورات الصيفية في عموم بلاد اليمن[١].

ويعتبر أبو بكر المشهور من الصوفية المعاصرين الذين سلكوا مسلك المتكلمين، وطرق المستشرقين في التأليف، وأسلوب الصحفيين المتكلف، وكثرة نبزه لمخالفيه بشتى أنواع الشتائم والسب التي لا تليق بالمسلم[٢].

ويعد من المكثرين من التأليف في هذا الزمان، وأكثر مؤلفاته تدور حول مناقب أسلافه العلويين، أو تراجم لأشخاص من الصوفية، أو ردود على أهل السنّة والجماعة الذين يحاربون الخرافات والانحرافات العقدية عند الفرق.

ومن مؤلفاته: كتاب (لوامع النور في ترجمة العلامة الجد عبد الرحمٰن المشهور)، وكتاب (قبسات النور في إيضاح حياة سيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور)، و(جني القطاف في مناقب الحبيب عبد القادر السقاف ـ صاحب جدة ـ)، و(جلاء الهم والحزن بذكر ترجمة صاحب عدن ـ أبي بكر العيدروس)[٣]. .

---

(١) انظر هذه الترجمة: في كتابه الإحاطة والاحتياط. وهذه الترجمة يضعها المؤلف على أغلب كتبه المطبوعة، فيجعلها في نهاية طرة الكتاب مرفقة بصورة له، والله المستعان.

(٢) انظر: على سبيل المثال كتاباً واحداً من كتبه الكثيرة التي اعتدى فيها على أهل السنَّة والجماعة؛ دعاة التوحيد والسنَّة، وكيله السب والشتم عليهم، ورميهم بما هم برءاء منه (شروط الاتصاف لمن يريد مطالعة كتب الأسلاف كالمشرع، والغرر، والترياق، والجوهر الشفاف) (ص٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٢، ٤٤، ٧٩، ١٠٧).

(٣) انظر: أسماء مؤلفاته نهاية كتابه الأبنية الفكرية الجامعة لثوابت الطريقة العلوية الحسينية المتفرعة من حضرموت إلى مجموع البلاد الإسلامية.

وله أشرطة صوتية كثيرة ما بين محاضرات، وندوات، وإلقاء كلمات في مناسبات الصوفية الكثيرة، وجلها ضحلة يتضح لمن سمعها ضعف علمية هذا الرجل وتميزه بكثرة الشتائم لمخالفيه، وإيراد الشبه، والاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، ويتضح روغانه في كثير من أشرطته حيث يقرر الباطل، ثم يبحث عن المخارج لهذا الباطل فيأتي بمخارج بعيدة، ويحيد كثيراً عن الإجابة عما يورده من إلزامات مخالفيه[١].

ومن آثاره: نشر أذكار وأوراد العلويين في بعض المساجد، وقراءة الكتب المليئة بالغلو والأحاديث الموضوعة[٢].

وسعى المشهور لإقامة الدورات الصوفية حيث أوصل عدد الدورات الصيفية التي تقيمها إدارة الأربطة والتربية في عدن برئاسته في عام ١٤٢٥هـ إلى (٥١ دورة) موزعة على كثير من مساجد اليمن، وبلغ عدد الطلاب الملتحقين بها (٩٨٩٤ طالباً)[٣].

كما دعا المشهور الناس لإلحاق أولادهم بالأربطة التي يصفها بأنها: «مواقع علمية وظيفتها الجانب الأخلاقي، والمحافظة عليه؛ لأن النبي ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٤]»[٥].

وسعى كذلك لفتح أكبر قدر ممكن من الأربطة الصوفية في مختلف

---

(١) انظر على سبيل المثال أشرطته التالية: ١ ـ علاقة الأمة بأولياء الله الصالحين ٢ ـ وفيات الرجال مرقى من مراقي المعرفة في الأجيال ٣ ـ مناسباتنا وذكرياتنا بين التاريخ والديانة، وهذا الشريط من أكثر أشرطته ضلالاً وتدليساً.

(٢) انظر هذه الآثار: مجلة الموعظة، الصادرة من رباط أحور، العدد ٢٣، السنة الثانية، شهر رمضان ١٤٢٣هـ، (ص٢٣).

(٣) مجلة أنوار التلاقي، العدد: ٧، السنة الثالثة، جمادى الأول ١٤٢٠هـ، (ص٣١ ـ ٣٢). وانظر: العدد: ٣٥، شوال ـ ذي القعدة ـ ذي الحجة ١٤٢٤هـ، (ص٣٦ ـ ٣٧)، والعدد ٣٦، محرم ـ صفر ١٤٢٥هـ، (ص٢٧)، والعدد ٢٩، رجب ـ شعبان ١٤٢٣هـ، (ص٣٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٨١)؛ والبخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٣)؛ والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٣) عن أبي هريرة مرفوعا. وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١١٢) برقم (٤٥).

(٥) مجلة أنوار التلاقي: عدد شعبان سنة ١٤١٨هـ، (ص٨).

مناطق اليمن لأداء الرسالة الأبوية التي يسعى لها، فقد نشرت مجلة أنوار التلاقي التي تصدرها دار المصطفى نشاط المشهور في فتح بعض الأربطة في اليمن، وبيان وضعها فقد ذكروا أربطة ومدارس للصوفية بلغت (١٤ رباطاً ومدرسة)، والتعريف بنشاطها، والتي تحتوي على أقسام داخلية للطلاب، وسعى كذلك لفتح أقسام داخلية لبعضها ليلتحق بها عدد أكبر من الطلاب[١].

وقد انتشرت مؤلفات هذا الرجل بكثرة في حضرموت وعدن ورغم كثرة تلك المؤلفات إلا أنه من يقرأها يلاحظ شدة مكر هذا الرجل في كتاباته لا سيما تطرقه في أكثر حديثه للدعوة لعدم التطرق للأمور الخلافية، ويقصد مسائل التوسل والتبرك والاستغاثة التي هي لب العبادة[٢].

ومما قرره في كتبه أن جعل كتب غلاة الصوفية كابن عربي والحلاج لأهل الحقائق، ودعا للتجاوز عن شطحاتهم لعدم علم من يقرأ كلامهم بمقاصدهم[٣].

ومما قرره في كتبه عقيدة علم الأولياء للغيب واتصافهم بصفات الرب تعالى[٤].

كما قرر البدع بأحاديث لا تصح مثل تقرير الخرقة الصوفية، وتجويزه الذكر الجماعي، والإلباس ومجاهدات الصوفية للوصول للعلم اللدني، ويقرر أن القرآن والحديث يدل على طرقهم المبتدعة[٥]، لذا يقسم العلم إلى ظاهر وباطن، وحقيقة وشريعة، واعتماد الذوق كمصدر لتلقي الشرع[٦].

---

(١) انظر: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٣٠، رمضان ـ شوال ـ ١٤٢٣هـ، (ص٨ ـ ٩).
(٢) المصدر السابق: الصادر في شعبان، ١٤١٨هـ، (ص٩).
(٣) جلاء الهم والحزن (ص٢٠ ـ ٢١). وانظر: كتابه المسمى (الشيخ عمر المحضار) (ص١٥)؛ شروط الاتصاف (ص٨٤، ٨٦).
(٤) جلاء الهم والحزن (ص٢٩، ٣٢، ٣٣، ٧٩).
(٥) انظر: المصدر السابق (٣٩)، المزن الشجاج (ص٧، ٨)؛ وشروط الاتصاف (ص٦٩)؛ والشيخ المحضار (ص١٩، ٢٠).
(٦) جلاء الهم والحزن (٤٣، ٩٢)؛ والشيخ عمر المحضار (ص١٥، ١٦)؛ وشروط الاتصاف (ص٧١، ٧٤).

وأكثر المشهور من التعرض لمخالفيه ونبزه لمن يخالف الطريقة العلوية في حضرموت أنه متآمر على أهل البيت وعلى المنهج الصوفي[(١)].

ويكرر في كثير من مؤلفاته بأن التصوف مستهدف ومظلوم من قبل الحكام وأعداء الإسلام، وساهم معهم شباب المسلمين المخدوعون لتطاولهم على كتب تراجم الصوفية بالنقد والتقييم كما يزعم[(٢)].

ويدعو كذلك لاعتماد التأويلات في كتب تراجمهم ـ التي ينكرها صاحب الفطرة السليمة ـ وإن تلك إشكالات لها أسباب فلا بد من الإعذار فيها، حيث أَوّل قول الفقيه المقدم: «أنا الله». قال: إنما قال الفقيه المقدم ذلك للتعجب![(٣)].

وأكثر من الدندنة في كثير من كتبه بأن منهج أهل البيت بحضرموت هو المنهج المعتدل[(٤)].

وقرر أبو بكر المشهور كرامات الصوفية المخالفة محاولاً تسويغها وإنها مناسبة لمستوى فهم الناس وثقافتهم آنذاك وإنها رويت من غير تمحيص كالترياق[(٥)].

وقوله بأن مقامات وأحوال الصوفية موجودة في منهج النبي ﷺ[(٦)]، والدعوة إلى تقديس المشايخ وإن التسليم لهم يثمر في القلب الكثير[(٧)].

ودعا لقراءة الكتب الخرافية في حضرموت كالمشرع الروي، والجوهر الشفاف لمعرفة أصل طريقة آل باعلوي وذلك بالنقل عن علماء صوفية حضرموت الذين يحثون الناس على قراءتها[(٨)].

وبالجملة فهذا الرجل أشد المتصوفة مكراً في هذا الزمان، ومن الدعاة لفتح باب التأويل والتدليس على العامة لتسويغ الشرك والبدع بمسميات جديدة لا تغير من الحقائق شيئاً.

---

(١) التنصيص المثبوت (ص١٣، ١٤).
(٢) شروط الاتصاف (ص٧، ٨).
(٣) المصدر السابق (ص٢٥ ـ ٢٦، ٥٤، ٥٦).
(٤) المصدر السابق (٤٥، ٤٦).
(٥) المصدر السابق (ص٥٦).
(٦) المصدر السابق (ص٧٠).
(٧) المصدر السابق (ص٧٧).
(٨) الأبنية الفكرية (ص٦٢).

وقد ذكرت نماذج من ضلالات هذا الرجل ودوره في نشر التصوف في العصر الحالي، ولم أذكر كل انحرافاته التي دونتها يده والتي وقع في شركها كثير من الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

< ٥ ـ علي بن عبد الرحمن الجفري (زين العابدين):

من متصوفة حضرموت الذي ظهر نشاطهم في الآونة الأخيرة، وله تحركات في نشر التصوف داخل اليمن وخارجها سواء بالمحاضرات، أو اللقاءات مع شيوخ المتصوفة المنتشرين في كثير من بلدان العالم الإسلامي[١]، وهذا الشخص لا يعرف بالعلم، بل ولا بتلقي التصوف بأصوله المعروفة عندهم، ولا يعرف بالتأليف لا في التصوف ولا في غيره من العلوم. وأكثر ما تميز به هذا الرجل في نشر التصوف في هذا الزمان كثرة محاضراته وجلساته ولقاءاته التي تسجل على الأشرطة، وكذا أقراص الحاسوب، وتظهر لقاءاته ومقابلاته على القنوات الفضائية، وشبكات الأنترنت.

وله أشرطة كثيرة صوتية في نشر التصوف ومنها شريطان انتشرا مؤخراً عبارة عن لقاء مع شباب من آل باسودان قرر فيهما الشرك الأكبر: من استغاثة وتوسل بالأولياء، واعتقاد تصرفهم في الكون[٢].

ومن آثاره: تقرير البدع، كالمولد النبوي الذي يدعو إليه بما فيه من غلو وشركيات وبدع، بل بلغ به الإفراط وعدم التمييز بين السنّة والبدعة أن اعتبر المولد النبوي سُنَّة مؤكدة[٣].

---

(١) انظر: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٣٤، جمادى الأول ـ جمادى الآخرة ـ ١٤٢٤هـ، (ص٣٥). وانظر جولات هذا الرجل لبعض بلدان الدول العربية والأوربية للدعوة إلى التصوف باسم منهج أهل البيت، منهج الوسطية والاعتدال وغيرها من الشعارات الزائفة: مجلة أنوار التلاقي، العدد: ٣٥، شوال ـ ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٤٢٤هـ، (ص٤٠): العدد ٢٨، جمادى الأول ـ جمادى الآخرة ـ ١٤٢٣هـ، (ص٤٢).

(٢) وقد رد على هذين الشريطين الشيخ أحمد بن حسن المعلم الحضرمي في مجلة الفرقان، العدد ١٢٩٥، الاثنين الموافق ١٢ربيع الثاني ١٤٢٥هـ (ص١٤ ـ ١٧).

(٣) شريط بعنوان (مقاصد المؤمنة وقدرتها في الحياة). وقد رد عليه أحد طلبة العلم في الرياض يسمى عادل الفريدان بكتيب سماه (الرد على الجفري)، وقدم لهذا الرد فضيلة العلامة =

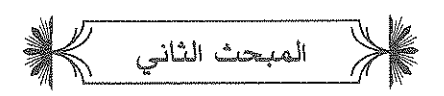
ويركز الجفري في محاضراته ولقاءاته على الوقيعة في مخالفيه؛ أهل العقيدة الصحيحة ويصفهم بأهل الغلو والتطرف، وعلل نشؤ ذلك بأن سببه البيت والمدرسة والمسجد ولا بد من مقاومته[١]، وتهتم مجلة أنوار التلاقي التي تصدرها دار المصطفى بتريم بأخبار هذا الرجل الدعوية، وتركز على تشويه الدعوة السلفية بنقل كلامه في ذلك، والإحالة إلى أشرطته في هذا الموضوع.

وأما لقاءاته عبر التلفاز والقنوات الفضائية فهي كثيرة جداً، لما أعطي من أسلوب براق أغرى كثير من الناس فأوقعهم في المخالفات[٢]، مع العلم أن هذا الرجل يقيم أكثر وقته خارج حضرموت لكثرة تنقله بين دول العالم وعقده الجلسات والمحاضرات في تلك الدول للدعوة لمذهبه الصوفي.

= صالح بن فوزان الفوزان. وانظر تقرير هذا الرجل للمولد والدعوة لذلك: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٣٣، ربيع الأول ـ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ، (ص٩).

(١) انظر: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٣٤، جمادى الأول ـ جمادى الآخرة ـ ١٤٢٤هـ، (ص٢٤).

(٢) انظر ذكر لقاءاته بهذه القنوات: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٣٦، محرم ـ صفر ١٤٢٥هـ، (ص٢٨).



انتشار الصوفية وأماكن وجودها

منذ إن ظهرت نحلة الصوفية في حضرموت وهي تتخذ لها أماكن لتستقر فيها بعيدة عن الاضطرابات والفتن القائمة بسبب الحروب، والمعارك القبلية التي شهدتها حضرموت في بعض الأزمنة، وبعد أن استقرت سعت جادة لبث فكرها بكل الوسائل وحسب الظروف المناسبة لها، فهي تتحين الفرص لنشر دعوتها، لذا يكثر تواجد الصوفية في حضرموت الداخل (الوادي) أكثر من تواجدها في المناطق الساحلية، وأكثر المدن كثافة بالصوفية هي مدينة تريم وما حولها؛ أي حيث يتواجد ما يسمون بالروحانيين من العلويين والمشايخ، فالتصوف يكون فيها أكثر وأوضح من الجهات الأخرى، وتعتبر تريم أكبر مركز لتجمع الصوفية منذ ظهورها إلى اليوم.

وهذه هي المدينة التي نشأ فيها التصوف وترعرع منذ عهد الفقيه المقدم وأتباعه، وانتشر في الأماكن التي هاجر إليها المتصوفة، ويظهر الأثر فيها بحسب نشاط الأتباع، وتمكنهم في التصوف، ووجود الجهل الذي هو المدخل الذي يبث فيه القوم فكرهم، ويساعدهم على ذلك فتح الأربطة الصوفية، التي يرحل إليها الطلاب من مناطق شتى لتعلم التصوف، ولكثرة المتصوفة في تريم فقد ذكر الخطيب في جوهره طبقاتهم وجعلها ثلاث طبقات، الطبقة الأولى: ابتدأها بعلي بن علوي خالع قسم[١]، وولده محمد، وسالم بن بصري وغيرهم.

(١) هو علي بن علوي بن محمد الشهير بخالع قسم، ولد ببيت جبير بحضرموت، بنى أرضاً بقرية قسم وغرس بها نخلا فلقب بخالع قسم، أدعى له القوم كرامات وذكروا عنه عبارات منحرفة، توفي بتريم سنة ٥٢٧هـ. انظر: المشرع الروي (٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣١).

والطبقة الثانية: ابتدأها بعلي بن علوي بن الفقيه المقدم[١]، أما الطبقة الثالثة: فإنها قليلة؛ لأن المنية عاجلت المؤلف أثناء القرن التاسع[٢].

وكانت حضرموت المكان المناسب والفرصة السانحة للعلويين لتوطيد نفوذهم الروحي الذي فشلوا في تحقيقه في العراق، فاتخذوا مدينة تريم مركزاً لهم لنشر تصوفهم ليحل محل العلم والفقه الذي كانت تزخر به هذه المدينة وتفخر برجاله الفقهاء، ولم يقتصر التصوف على تريم بل نشره القوم إلى البلدان الأخرى، وقد بيّن المؤرخ الحضرمي صلاح البكري إن العلويين أخذوا يبنون القباب الضخمة على قبور آبائهم؛ ليتبرك بهم الناس، ويدعون الناس إلى تلك المقابر والتوسل بها، وذلك ليجدوا لهم مركزاً أساسه السلطة الروحية، والذي ساقهم إلى ذلك ما شاهدوه في كثير من الحضارم من السذاجة وحسن النية وسلامة الطوية، فصاروا يقدسون آل باعلوي الأحياء منهم والأموات[٣].

والسبب الرئيس في جعل مدينة تريم مركزاً للتصوف في حضرموت هو قوة النفوذ العلوي الذي حارب الأباضية، لذا انتشرت فيها التكيات[٤]، والزوايا، والأربطة وكثر فيها الأقطاب، والأوتاد منذ القرن الخامس وحتى القرن الثاني عشر، وكانت تلك القطبية والوتدية محصورة في العلويين من آل العيدروس، والحداد والسقاف وغيرهم ونادراً ما نال القطبية أحد من غير العلويين[٥].

---

(١) هو علي بن علوي بن محمد بن علي الفقيه المقدم، من كبار الصوفية العلويين، وقد ادعيت له الحكايات والكرامات، توفي بتريم سنة ٧٠٩هـ. انظر: المشرع الروي (٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٢).

(٢) انظر: إدام القوت (ص٥٠٢، ٥٠٤).

(٣) انظر: تاريخ حضرموت السياسي، لصلاح البكري: ١/ ٧٧ ـ ٧٨، وانظر: كذلك ذكر بعض خرافاتهم التي نشروها في المجتمع الحضرمي المصدر السابق: ٢/ ١١٩.

(٤) التكيات جمع تكية: والتكية: كلمة تركية بمعنى المكان الذي يتفرغ فيه الصوفي للعبادة، وقد استعملت بدلا عن الخانقاة. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٨٩) ط٣؛ والخطط للمقريزي (٢/ ٤١٤).

(٥) انظر: مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية السياسية في اليمن فيما بين القرن الثالث والخامس الهجري، للدكتور أحمد عبد الله عارف (ص٣٢ ـ ٣٣)، ط١، ١٤١١هـ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت.

وكان الاهتمام بتريم أكثر من غيرها وذلك لشهرتها، ومكانتها العلمية القديمة، فقد وجد بها الكثير من العلماء والفقهاء في أوقات مختلفة، زمن الازدهار العلمي، والاهتمام بالعلوم الشرعية وترك ما عداها، حتى ربما بلغ في مدينة تريم وفي عصر واحد ثلاثمائة مفت كما تقدم.

وذكر ابن عبيد الله السقاف عن الفقيه محمد بن أبي بكر عباد أنه قال: «بلغ الصف الأول في جامع تريم أن أهله كلهم فقهاء من كثرة فقهائها»[١].

ويتواجد الصوفية بكثرة حيث محل النشأة، وهي مدينة تريم ولم يسكن العلويون تريم ولا شبام في بداية الأمر بسبب التنافس المذهبي[٢].

وجاء في كتاب (حضرموت) تحت عنوان الحركة العلمية الدينية: «وتعتبر تريم المركز والمقام الأول في هذا الباب، يقصدها الناس للعلم الإسلامي، ولطلب الفتاوى الفقهية من جميع مناطق حضرموت، ومن اليمن، وعدن، والهند إلى أن قال: ثم هاجر إليها العلويون فمالوا بحركتها العلمية ناحية التصوف»[٣].

وقد نشر القوم الفضائل لهذه المدينة في مؤلفاتهم، ومن تلك الفضائل المزعومة ادعاؤهم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دعا لها بدعوات فتحققت، وأنها كانت تسمى مدينة أبي بكر، وروجوا الدعايات لمقبرتها بأن فيها سبعين صحابياً قتلوا أيام حروب الردة بحضرموت[٤]، كما ذكروا أن مقبرة تريم مشهورة بالبركة وادعوا الفضائل والمميزات الكثيرة لها[٥].

وقد أطنب الشلي في مدحها، ومدح آثارها ومواطن الصالحين فيها وقبور أوليائها[٦].

---

(١) إدام القوت (ص٥٠٠).
(٢) إدام القوت (ص٤٩٢).
(٣) حضرموت، لعلي بن عقيل (ص٣٧).
(٤) انظر: المشرع الروي (١٤٦/١) وقد ذكر الشلي أن السقاف حدد قبورهم وأنها شرقي قبر الفقيه المقدم بنحو رمية حجر.
(٥) انظر: الغرر (ص١٩٨)؛ وتاريخ النور السافر (ص٤٢٧)؛ والمشرع الروي (١٤٦/١ ـ ١٤٨، ١٤٩، ١٨٦، ٢/ ١٠ ـ ١١، ٢٩، ٤٧، ١١٥، ١٧٧، ١٩٣، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٥)؛ وشرح العينية (ص١٩٥)؛ وتاج الأعراس (٢٠٩/١).
(٦) انظر: المشرع الروي: ١/ ١٢٩ وما بعدها.

وكثر التصوف بتريم بسبب كثرة المتصوفة بها، لا سيما زمن الفقيه المقدم الذي أُلبِس الخرقة الصوفية وحُكِّم هو وسعيد بن عيسى العمودي، وباعمر، وباحمران من قبل عبد الله الصالح المغربي مندوب أبي مدين المغربي، وهذا يدل على وجود أنصار للتصوف بحضرموت وذلك منذ عهد الفقيه المقدم، الذين فتحوا الباب على مصراعيه لدخول كثير من أهل تلك المناطق في التصوف، وكما يكثر المتصوفة بوادي دوعن بعد أن أدخل سعيد بن عيسى العمودي التصوف إليها، وذلك بعد تحكمه على مندوب أبي مدين التلمساني[١].

وباستقرار المتصوفة في بعض المدن نجد مسارعتهم في نشر أفكارهم ومعتقداتهم وبدعهم المختلفة في تلك المناطق، بل وإلى بلدان العالم الإسلامي التي يسافرون إليها.

كما يكثر المتصوفة في مدينة عينات، وسيئون، ووادي دوعن حيث مركز آل عمودي، وكذا بمدينة شبام والغرفة وما حولها.

ويتواجد الصوفية في مدينة حريضة، وأشهر العائلات فيها عائلة العطاس التي ترعى التصوف إلى يومنا هذا، حيث يحتفظ القوم بمكتبة كبيرة في مدينة حريضة جمعت كثيراً من المخطوطات والمطبوعات.

ومن آثار انتشار الصوفية ما ذكره المؤرخ صلاح البكري من توجيه العلويين: «نفوذهم إلى القبائل الكبيرة ليتصرفوا فيهم كما يبتغون، ويسخروهم في أغراضهم الشخصية، فاتجه آل الشيخ أبي بكر بن سالم إلى يافع، وآل عيدروس إلى آل كثير، والعطاس إلى الجعدة وتدخلوا في شئونهم السياسية»[٢].

وأثر القوم كذلك على بعض الحكام بحكم قربهم منهم فقد كان عبد الله بن

(١) انظر: حول مصادر التاريخ الحضرمي، مقالات: د. آر. بي سارجنت (ص٢٤). ترجمة سعيد عبد الخير النوبان.
(٢) تاريخ حضرموت السياسي (١١٨/٢).

عمر بامخرمة[١] مستشاراً للسلطان بدر بو طويرق[٢]، وكذلك فإن السلطان علي بن عمر بن جعفر الكثيري؛ حاكم شبام تأثر بالتصوف حيث كان من مستشاريه الصوفي معروف باجمال الذي كان له أكبر الأثر في ذلك[٣].

والسادة العلويون كما ذكر ابن عبيد الله ثلاث طبقات، طبقة من المهاجر إلى الفقيه المقدم، وطبقة من عصر الفقيه وأولاده وينتهي بالعيدروس ويقول عنه القوم أنهم أشبه بالملائكة. وأما الطبقة الثالثة فمن العيدروس إلى تمام القرن الثالث عشر[٤].

وأما أوائل القرن الرابع عشر فقد كان بناء رباط تريم وكان من أكبر القائمين عليه عبد القادر بن أحمد الحداد، وأحمد سقاف الجنيد، ومحمد بن سالم السري ومحمد بن عمر عرفان من أهل مدينة تريم.

وذكر ابن عبيد الله أن هذا الرباط كان يجتمع فيه مئتا طالب داخليون، وكان أغلب الملتحقين بالرباط من تريم ودوعن والبيضاء وغيرها[٥].

ومن الأمور التي وطدت للتصوف في تريم وما حولها ما زعموه من وجود قبر نبي الله هود عليه السلام بشعب هود ـ الذي يبعد ثمانين كيلو متر عن تريم ـ

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن عبد الله بن أحمد بامخرمة: ولد سنة ٩٠٧هـ من العلماء المتبحرين في علوم كثيرة، درس في حضرموت والشحر وزبيد وعدن وتعز وولي قضاء الشحر سنة ٩٣٤هـ. من مؤلفاته: أسنى المطالب على أسنى المطالب للشيخ زكريا الأنصاري، والروضة الزهية شرح الرحبية في الفرائض، حقيقة التوحيد وصحيح الاعتقاد في تكفير طائفة أهل وحدة الوجود والاتحاد (في الرد على ابن عربي)، رشف الزلال في التكميل والتذييل على طبقات الأسنوي (ذيل طبقات الشافعية). توفي بعدن ٩٧٢هـ. انظر: النور السافر (ص٢٧٨)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٥٧)؛ والأعلام (٣/ ٢٤٩)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣١٥، ٣٣٨، ٥٠٤، ٥٧٩، ٥٦٨، ٥٦٩).

(٢) هو السلطان بدر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله الكثيري، أحد حكام الدولة الكثيرية، امتد سلطانه إلى العوالق غربا وسيحوت شرقا، والسواحل الجنوبية جنوبا، والرمال شمالا. ولم يدم النصر بل دبت الاضطرابات مع جماعته فألقوا القبض عليه. توفي محبوسا في حصن مريمة سنة ٩٧٧هـ. انظر: تاريخ الدولة الكثيرية (٥٦ ـ ٧٩).

(٣) انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (٢/ ٢٤٠، ٢٤٣)؛ وتاريخ الدولة الكثيرية (ص٧٦).

(٤) انظر: إدام القوت (ص٥٠٦، ٥٠٨). (٥) انظر: المصدر السابق (ص٥٠٩).

الذي اتخذوه وسيلة لفرض الزعامة الروحية التي سعى لها سلفهم فيما مضى، فكانت هذه الزيارة التي تقام سنوياً ويجتمع لها من مختلف المناطق والبلدان، ويتقدم العلويون ـ المنظمون والقائمون على الزيارة ـ الزوارَ الذين ينظرون إلى العلويين بإكبار وتعظيم لمنزلتهم في المجتمع الحضرمي وترفعهم على الناس لما لهم من النسب والجاه الكبير في حضرموت.

وبث القوم الدعايات لمساجدهم المنتشرة بكثرة في تريم وضواحيها، ومنها مسجد بروغة لمحمد جمل الليل حيث يزعمون أنه مشهور بإجابة الدعاء، وكذا مسجد العجز وأنه مشهور بالبركة، وإن الأيمان تغلّظ فيه فتعجل عقوبة الكاذب[١].

كذلك فقد غلا القوم في كبارهم كأبي بكر بن سالم ـ صاحب عينات ـ والذي شكل مركزاً روحياً كبيراً للصوفية حيث زعم لنفسه: أنه يستطيع أن يشفع في الكفار فتجاب شفاعته[٢].

وكان لوجود المناصب في تريم وغيرها دور هام في الالتفاف والاجتماع حول القوم لما جعلوه لهم من التبجيل والتعظيم والبركة، حيث قالوا في أحمد بن علي[٣] ـ منصب عينات ـ: «أنه صاحب الوقت له الحق في أموال المسلمين»[٤].

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار التصوف بما فيه من مظاهر الغلو انتشار الحوط التي كان ينشئها كبار الصوفية لتكون مركزاً روحياً لهم، وتكون آمنة لمن دخلها، وقد كانت هناك حوط منها: حوطة أحمد بن زين بالغرفة، وحوطة سلطانة وغيرهما.

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص٥٤٩، ٥٧٠). (٢) انظر: المصدر السابق (ص٥٥٥).
(٣) هو أحمد بن علي بن أحمد بن أبي بكر بن سالم، خلف والده بعد وفاته في منصبة عينات، توفي سنة ١١٧٧هـ. انظر: إدام القوت مع الحاشية (ص٩٨٢)، ط المنهاج. وهناك ترجمة موسعة له في كتاب: بستان العجائب (ص٣٨ ـ ٧٦).
(٤) انظر: إدام القوت (ص٥٦٠).

وأما في العصور المتأخرة فتقام المحافل الأسبوعية في الأربطة والمساجد حيث يقرأ فيها كثير من كتب أسلاف العلويين، ويتولى إدارة هذه المحافل والخطابة بعض المشايخ من العلويين، ومن أشهرهم: علوي بن عبد الله بن شهاب الدين[١] في تريم[٢].

كما كان لوجود المكتبات الكبيرة دور في نشر التصوف بما تحمله من أفكار منحرفة، ومن أشهر المكتبات الكبيرة التي تحتوي الكثير من الكتب المخطوطة والمطبوعة: المكتبة السلطانية في المكلا، ومكتبة السادة آل الكاف في كل من تريم، وسيئون.

وهناك مكتبات ذات قيمة أثرية، كمكتبة السادة آل يحيى في تريم والمسيلة، ومكتبة آل بن سهل في تريم، ومكتبة أحمد بن حسن العطاس في مدينة حريضة، وتليها مكتبة سعيد بن عيسى العمودي في وادي دوعن[٣].

وجاء في تعليقات محمد ضياء بن شهاب على كتاب (المدخل إلى تأريخ الإسلام في الشرق الأقصى): «وفي مجلة البعث الإسلامي الهندية من مقال (العالم الإسلامي في القرن العاشر الهجري) جاء فيه «ذكر انتشار العلم والتصوف عاماً في أقطار العالم الإسلامي، ومنها: اليمن وحضرموت، وتعز[٤]، وصنعاء، والشحر، وتريم، وسيئون وأن بها مراكز كبيرة للعلماء والصوفية، وأن الأسرة العلوية العيدروسية ذات شهرة وقبول في الناس ومعرفة بالفضل والعلم، وأن مدينة تريم مركز أشراف آل باعلوي»[٥].

---

(١) هو علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب الدين، ولد بتريم سنة ١٣٠٣هـ، وتوفي بها سنة ١٣٨٦هـ. انظر ترجمته: في الكتاب الذي أفرده له عمر بن علوي الكاف (ت١٤١٢هـ) بعنوان (تحفة الأحباب في ترجمة الحبيب علوي بن شهاب).

(٢) حضرموت، لعلي بن عقيل (ص٣٨). (٣) المصدر السابق (ص٣٨).

(٤) تعز: بالفتح وكسر العين المهملة ثم زاي معجمة، إقليم في اليمن، يسمى دمشق اليمن لما فيه من الثمار والأنهار والأزهار والنزهة، وتقع في الجنوب الغربي من صنعاء على مسافة ثماني مراحل، وهي بالقرب من الجَنَد في سفح جبل صبر غربي الجند. انظر: النسبة إلى المواضع والبلدان، لبامخرمة (ص١٥٨)؛ ومجموع بلدان اليمن وقبائلها، للحجري (١/ ١٤٥).

(٥) المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى (ص٢٣٨).

نشر القوم التصوف داخل اليمن وخارجها، حيث نشروه في عدن منذ أيام أبي بكر العدني بن عبد الله العيدروس المتوفى بها سنة ٩١٤هـ، ، واستمر الأثر إلى يومنا هذا حيث جعل له مقام، وقبره يزار سنوياً حيث يفد إليه الزوار من داخل اليمن وخارجها، في احتفال رسمي كبير، ويعلن للزيارة في الصحف الرسمية، وكذا في صحف المتصوفة في أكثر أنحاء اليمن.

ويضم مسجد العيدروس رباطاً كبيراً يدرس فيه التصوف، كما يحتوي على سكن داخلي للطلاب القادمين من المناطق البعيدة، بالإضافة إلى الطلاب من أهالي عدن وما جاورها.

وهناك مركز لدراساتهم ونشر مجلاتهم التي تدعو إلى منهج التصوف، منها: مجلة الجذوة وهي مجلة دورية فصلية يصدرها مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث التابع لأربطة التربية ومراكزها التعليمية والمهنية.

وفي محافظة لحج انتشرت أربطة الصوفية منذ زمن، حيث هاجر إليها عدد من عائلات آل باعلوي منذ القديم، ولا تزال إلى يومنا هذا محافظة على طقوس الصوفية يظهر ذلك في المداومة على عمل الموالد، وقراءة الأوراد والحضرات الأسبوعية، وقراءة رواتب سلفهم، كراتب العطاس، والحداد، والعيدروس وغيرهم.

وفي محافظة البيضاء انتشر التصوف بقوة، ففي هذه المحافظة يوجد رباط الهدار الذي يضم عدداً كبيراً من الطلاب من مختلف المناطق، وفيه سكن للطلاب القادمين من المناطق البعيدة، ويقوم على الرباط حالياً حسين بن محمد الهدار بعد موت والده محمد.

أما نشرهم التصوف خارج اليمن، فقد بثوه في بلدان كثيرة، وكان نشاطهم متفاوتاً في تلك البلدان حيث يقوى في بعضها دون البعض الآخر.

ومن البلدان نشرت صوفية حضرموت فكرها بها: جزر الملايو، وأفريقيا، والهند، وبورما وغيرها من الأصقاع التي استوطنها متصوفة حضرموت.

ويظهر أثر القوم على تلك البلدان من خلال نقلهم وبالأخص العلويون خرافات التصوف إلى البلدان التي هاجروا إليها واستقروا بها، ومن تلك البلدان مرباط من بلاد عمان، حيث نشر التصوف فيها محمد بن علي الشهير بصاحب مرباط[١] الذي تحول إلى ظفار، وانتشر صيته هناك وأخذ الكثير في ذلك الصقع عنه، وقبره بمرباط يزار وعليه قبة[٢].

وقد نشر صاحب مرباط التصوف هناك ومع ذلك يزعم الشاطري أنه نشر المذهب الشافعي بمرباط[٣]، والمعروف أن محمد بن علي القلعي[٤] هو الذي نشر المذهب الشافعي هناك[٥]، الذي يعد من علماء الشافعية البارزين، وقد نقل كثيراً من أقواله الإمام النووي في كتابه (المجموع شرح المهذب) في غير موضع[٦].

وأما مكة فقد نقل صوفية حضرموت التصوف إليها بصورته المتشعوذة، كما يصفهم المقبلي[٧] رحمه الله وما أحدثوه من مناظر واجتماعات حول ضريح

---

(١) هو محمد بن علي بن علوي بن محمد صاحب مرباط، من صوفية حضرموت الذين نشروا التصوف في بلاد مرباط بعمان، ولد بمدينة تريم، وتخرج عليه: علي بامروان، والقاضي أحمد باعيسى، وعلي بن محمد الخطيب وغيرهم. كانت وفاته سنة ٥٥٦هـ بمدينة مرباط المعروفة بظفار القديمة. انظر: المشرع الروي (١/ ١٩٨ ـ ١٩٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ١٩٩)؛ وتاريخ حضرموت، للحامد: (٢/ ٤٦٤، ٤٦٧).

(٣) أدوار التاريخ الحضرمي: (١/ ١٩٢).

(٤) هو محمد بن علي القلعي، يقال: إنه انتقل من الشام إلى اليمن وكان فقيها جليلاً انتفع بكتبه أهل ظفار، وحضرموت وعنه انتشر الفقه في تلك النواحي، توفي بمدينة مرباط بظفار سنة ٦٣٠هـ. من مؤلفاته: احتراز المذهب، وأحكام العصاة من أهل الإسلام المرتكبين الكبائر، وكنز الحفاظ في غرائب الألفاظ (ألفاظ المهذب في الفقه)؛ ولطائف الأنوار في فضائل الصحابة الأبرار. توفي بمدينة مرباط بظفار سنة ٦٣٠هـ. انظر: السلوك (١/ ٤٥٤)؛ وطبقات الشافعية للأسنوي (٢/ ٣٢٤)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص١٩٩).

(٥) انظر: السلوك (١/ ٤٥٤).

(٦) انظر تلك النقولات في كتاب: (المجموع شرح المهذب للإمام النووي) الأجزاء والصفحات التالية: (١/ ٤١٦، ٤١٧، ٢/ ٣٨٥، ٣/ ٣٢١، ٤/ ٩١، ٢٨٢، ٤٥٣، ٥/ ٥٢، ٣٤٢، ٣٥١، ٤٢٣، ٦/ ٣٥٦، ٧/ ١٠٧، ٢٢٢، ٢٦١، ٢٧٠، ٩/ ١٨٨، ١٨٩، ١٩١).

(٧) هو العلامة صالح بن مهدي المقبلي، ولد بقرية المقبل من أعمال كوكبان سنة ١٠٤٠هـ، ثم =

علي زين العابدين بن عبد الله بن شيخ العيدروس المتوفى سنة ١٠٤١هـ، والمقبور بمكة، يقول المقبلي في بيان بدعهم التي أحدثوها في مكة: «فمنها أنهم ابتدعوا وقتاً في ذي القعدة أول أربعاء منه يسمونه عيد العيدروس، يجتمع فيه الرجال والنساء حتى أن أهل المروآت يخرجون وتخرج نساؤهم، ثم يعكفون على هذا اللعب عند قبره مع صنع طعام وغيره، ويتطاول العكوف في بعضهم ليالي وأياماً.

وقلت لبعضهم: ما لهذا الاجتماع واللهو الكثير يختص هذا المكان؟.

قال: قالوا كان العيدروس يميل إلى اللهو، فيرون أنه ينبغي بعض فسحة وإيناس في هذا الوقت والمحل المختص به»[(١)].

وللعلويين نفوذ على الأشراف الذين حكموا مكة، حتى كان الأشراف يحيلون القضايا التي تحدث بينهم إلى شيخ العلويين، للفصل فيها وإذا أراد المظلوم منهم رفع قضيته لأمير مكة أحاله هذا إلى شيخ العلويين، فيحكم فيها هذا الشيخ بما تمليه عليه نفسه، ولا بد من تنفيذ الحكم، فاضطر الحضارمة هناك للتذلل والخضوع للعلويين[(٢)].

وسعى الصوفية العلويون في البلاد التي هاجروا فيها إلى تشويه دعاة التوحيد فقد أرسلوا من أندونيسيا إلى حكومة الحجاز من الأشراف أنذاك لمنع

= انتقل إلى كوكبان وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى صنعاء وأخذ عن علمائها سنة ١٠٧٧هـ، وكان يجهر بالحق، بقوة نفس وشجاعة لم تبال بأذية الناس، حتى أدى به الأمر إلى الرحلة من اليمن، فرحل إلى مكة سنة ١٠٨٠هـ، وتوفي بها سنة ١١٠٨هـ. وله مؤلفات كثيرة منها: العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ، والأبحاث المسددة في فنون متعددة. وبحث في حديث الافتراق، وبحث في التعبد بشرع من قبلنا. انظر: البدر الطالع، للشوكاني (١/ ٢٨٨ ـ ٢٩٢)؛ ومعجم المؤلفين، لكحالة (١/ ٨٣٥)؛ والروض الأغن (١/ ٢٠٩ ـ ٢١٠)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص١٥٢ ـ ١٥٣)، ط المجمع الثقافي ـ أبو ظبي.

(١) العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ تأليف: العلامة: صالح بن مهدي المقبلي اليمني (ص٤٦٩).

(٢) تاريخ حضرموت السياسي (٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

الإرشاديين من الحج بزعمهم أنهم يبغضون الرسول ﷺ وأهل بيته، وأنهم معادون لحكومة الحجاز، ووصفوهم بأنهم خوارج، بل بلغ بهم الأمر إلى اتهام أصحاب جمعية الإرشاد بأنهم شيوعيون، ومبشرون للنصارى[١].

ونشر القوم التصوف في بورما على شكل طرق صوفية تفرعت من الطريقة العلوية بحضرموت مثل: الطريقة العطاسية.

يقول مصطفى بن عبد الرحمٰن العطاس عن هذه الطريقة: «حملت راية الدعوة إلى الله في مناطق عديدة في بلاد الهند وبورما مدة تزيد عن المائة عام»[٢].

وهكذا استمر القوم في نشر طريقتهم العطاسية بإرسال دعاتهم إلى تلك البلاد، ونشر الزوايا، وبث المخالفات العقدية والعملية، وانتشر التصوف في الهند بواسطة كثير من العائلات العلوية التي هاجرت إليها، ومن أشهر تلك العائلات: عائلة العيدروس، الذين نشروا التصوف عبر طريقتهم المسماة بالطريقة العيدروسية[٣].

يقول علي بن عقيل[٤] عند كلامه عن المجتمع الحضرمي: «ويتاجر العلويون في المهجر كما يسافر بعضهم للتبشير والإرشاد الديني في الهند الغربية والشرقية وأفريقيا»[٥].

وفي الهند انتشرت صوفية حضرموت في بلاد دكن الهند، فهي من أقدم مهاجر الحضارمة، وتكاد تكون إمارة حيدر آباد الهندية أكثر الأماكن نشاطاً

---

(١) انظر: عبد العزيز الرشيد، سيرة حياته (ص٢٨٦)؛ وتاريخ حضرموت السياسي (٢/ ٢٨٤، ٢٨٧).

(٢) الغاية الأساس (ص٨).

(٣) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (ص٣٦٣).

(٤) هو علي بن عقيل بن عثمان بن يحيى العلوي، ترأس البعثات العلمية التريمية إلى العراق، ثم إلى سوريا، كان من البارزين في حكومة الأتاسي، ثم عاد إلى حضرموت وأصبح مسؤولاً عن إدارة التراث اليمني في حكومة اليمن الجنوبي ـ سابقا. من آثاره كتاب (حضرموت). انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (ص٣١٨).

(٥) حضرموت، لعلي بن عقيل (ص٣٣)، مطبعة سوريا بدمشق، سنة ١٩٤٩م.

لهجرتهم بالنسبة إلى الهند كلها[١].

كما قام العلويون بنشر التصوف في جنوب شرق آسيا، وقام بذلك الدور بعض الأسر التي تنحدر من أصول علوية فمن تلك الأسر: آل عظمة خان في الهند، وفي الصين، وفي أندونيسيا، وفي الفلبين وممالكهم في تلك النواحي، «وقد كان العرب الحضارمة وفي مقدمتهم السادة الأشراف العلويون، لهم ترددات إلى مليبار، وكجرات، وكاليكوت وغيرها من البلاد الهندية، ولهم بها مراكز تجارية ودينية، وقد كان لكثير من العلويين رباطات مفتوحة لطالبي العلم، وكانت السفن تذهب من ساحل حضرموت قاصدة إلى مليبار، ثم تأخذ شرقاً إلى السواحل الهندية ومنها إلى سومطرا، وبلاد آتشيه، ومنها فليمباغ فإلى جاوه»[٢].

وذكر محمد ضياء شهاب[٣] في تعليقاته على المدخل إلى تأريخ الإسلام في الشرق الأقصى أن هناك أبحاثاً تدل على أثر أسرة زين العابدين بن شيخ العيدروس في ترنقانو، حيث يوجد ضريح لأحد أعضاء هذه الأسرة في جابانغ تيكا القريبة من ترنقانو هو ضريح محمد مصطفى العيدروس المتوفى عام ١٢٠٧هـ أو ١٢٠٩هـ وهو الملقب (تكومقام لام)[٤].

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص٦٣).

(٢) حاضر العالم الإسلامي: لوثروب ستورد ـ شكيب أرسلان (٣/ ١٧٥). وانظر: أشراف حضرموت ودورهم في نشر الإسلام بجنوب شرق آسيا، لمحمد حسن العيدروس (ص٣٨، ٣٩ ـ ٤٠). وانظر أسماء العائلات العلوية التي هاجرت لبلاد الهند وجنوب شرق آسيا تعليقات ابن شهاب على كتاب: المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى، لعلوي بن طاهر الحداد (ص١٣١)، ترتيب وتحقيق وتعليق محمد ضياء شهاب.

(٣) هو محمد ضياء بن علي بن محمد بن عبد الله بن شهاب الدين. عمل في التحرير بجريدة حضرموت التي كانت تصدر بسورابايا عاصمة جاوة الشرقية. وعمل في مجال الصحافة والإعلام مدة طويلة في وظائف مختلفة، وله مؤلفات كثيرة منها: التعليقات على شمس الظهيرة، والمهاجر أحمد بن عيسى، وتاريخ أندونيسيا وترجم كتبا كثيرة للعربية منها: المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، وترجمة مؤلفات بنت الشاطئ وغير ذلك. انظر ترجمته لنفسه في كتابه: التعليقات على شمس الظهيرة (١٧٩ ـ ١٨٠).

(٤) المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى (ص١٥٤).

كما ذكر أن هذه الأبحاث بينت: «أن ثلاثة إخوة من آل العيدروس سافروا من حضرموت إلى الشرق، فأقام أحدهم في جاوا، والآخر في ترنقانو والثالث في فطاني للتجارة ونشر الإسلام إلى أن قال: وفي هذه الأسرة في عهد سلاطين ترنقانو عدد من العلماء وذوو الرتب المرموقة، ومستشار السلطان هو السيد العالم مصطفى عضو مجلس الشورى، ولهؤلاء صلات بالشعب كصلاتهم بالسلاطين لما يتمتع معظمهم بالأخلاق الفاضلة، والنسك، والدعوة إلى الله، والعلوم. وكان الطلبة يتلقون عنهم حتى السلطان نفسه كان من الطلبة»[١].

وأما بلاد أندونيسيا، فتعتبر البلاد الثانية للحضارمة، حيث كثر فيها المهاجرون من بلاد حضرموت، يقول علي بن عقيل في كتابه (حضرموت) تحت عنوان (الهجرة إلى الهند الشرقية): «أصبحت جاوه وما يجاورها من الجزر، كسومطرا، وسليب، وبورنيو، وملافا مهجراً ذا مجال حيوي للحضارمة حتى كادت أن تكون وطناً ثانياً لهم، ولعب الحضارمة في تأريخها الديني والسياسي دوراً مهماً خطيراً، فرضوا فيه عليها دينهم، وعاداتهم وما زالت أقدامهم بعيدة راسخة قوية، تملأ سمع تلك الجزر وبصرها»[٢].

ويقول محمد ضياء شهاب عن دور هؤلاء الصوفية: «كان العلماء يدرّسون في أوقات معلومة يومياً في المساجد، أو المصليات، وما زالوا كذلك وهم غالباً صوفية، والأهالي يميلون إلى مثل هؤلاء العلماء فلهم مقام محترم في المجتمع في ملايا، وسومطرا، وجاوا وغيرها»[٣].

وقد نشط العلويون في أندونيسيا وكونوا ما يسمى بالرابطة العلوية فنشروا الخرافات هناك، وقد تصدى لها مجموعة من رجال حضرموت، أصحاب العقيدة الصحيحة الذين حاربوا خرافات العلويين التي نشروها في

---

(١) المصدر السابق (ص١٥٤).
(٢) حضرموت، لعلي بن عقيل (ص٥٩ ـ ٦٠).
(٣) المصدر السابق (ص٢٣٨).

حضرموت، ثم بعد ذلك في مدن ومناطق أندونيسيا وغيرها، وقد كوّن مجموعة من الدعاة إلى التوحيد في أندونيسيا ما يسمى بـ: «جمعية الإرشاد» ولقبوا بالإرشاديين، وهم من المهاجرين الحضارمة الذين استوطنوا تلك البلاد، حيث قاموا بإصدار عدداً من المجلات والصحف التي تحارب فكر العلويين الداعي إلى نشر الشركيات والبدع والترويج لذلك في بلاد أندونيسيا وما جاورها، وكذا دعوة العلويين للتوسل بالأموات والاستعانة بهم في قضاء الحاجات ودفع الشرور والاعتراف بالكرامات والنذور والأضرحة والقباب وتقبيل الأيدي ومسألة تلقين الميت بعد دفنه، ومسألة التهليل وبعض صنوف الأذكار[١].

وأسس القوم كذلك جمعية سموها (جمعية خير) ومركزها في بتافيا العاصمة، وبعد سنتين أنشأت هذه الجمعية أول مدرسة لها بأندونيسيا[٢]، يقول الشيخ عبد العزيز الرشيد[٣] في كلام له عن العلويين الحضارمة: «كما برز منهم علماء دينيون وسياسيون لعبوا دوراً لا يستهان به في حضرموت وخارجها، وبخاصة في الهند وسنغافورة وجزائر الهند الشرقية (أندونيسيا). وحمل هؤلاء العلويون سلطتهم الروحية والاجتماعية وتقاليدهم معهم إلى المهجر إسوة ببقية الحضارم، فأصبحت لهم السلطة الروحية والمزايا التي كانوا يتمتعون بها في

---

(١) انظر: بحث مقدم للندوة المنعقدة في جاكرتا ـ أندونيسيا خلال الفترة من ٢٩ نوفمبر ـ ١ ديسمبر، ١٩٩٩م، تحت رعاية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان (الملك عبد العزيز ورعاية الحركة الإسلامية السلفية في أندونيسيا) للدكتور: عمر بن عبد الله بامحسون (ص١٢).

(٢) الشيخ عبد العزيز الرشيد (سيرة حياته)، د. يعقوب يوسف الحجي: ٢٤٣.

(٣) هو عبد العزيز بن أحمد الرشيد البداح، ولد في الكويت سنة ١٨٨٧م، فالتحق بالكتاتيب، وتعلم الكتابة والحساب، ثم سافر إلى بغداد سنة ١٩١١م للدراسة على علمائها، فدرس على العلامة محمود الآلوسي. من مؤلفاته رسالة بعنوان (تحذير المسلمين من اتباع غير المسلمين)، ورسالة (درة الغواص في حكم الذكاة بالرصاص) ورسالة: الدلائل البينات في حكم تعلم اللغات وغيرها. توفي سن ١٩٣٨هـ في مهجره بجاوه. انظر: كتاب (الشيخ عبد العزيز الرشيد سيرة حياته)، تأليف: د. يعقوب بن يوسف الحجي. الطبعة الأولى ١٩٩٣م، مركز البحوث والدراسات الكويتية ـ الكويت.

حضرموت[١]»[٢].

وقام عيدروس بن سالم الجفري[٣] (ت١٣٨٤هـ) الذي تفرغ منذ شبابه لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية حيث هاجر إلى أندونيسيا وبنى عدداً من المدارس حيث فتح ٣٦٠ مدرسة، وتخرج الطلاب على يديه وأكملوا من بعده فتح المدارس بأندونيسيا حيث بلغت خمسمائة مدرسة[٤].

وفي سيلان قام العلويون بدور كبير في نشر طريقتهم الصوفية في تلك البلاد، ومن هؤلاء علوي بن عبد الرحمٰن المشهور (ت١٣٤١هـ) حيث نشر الطريقة العلوية هناك وربط بينها وبين الطريقة القادرية[٥].

وكان لرحلات القوم أثر بارز في انتشار طريقتهم الصوفية في البلدان التي سافروا إليها لغرض الدعوة، فقد قام علوي المشهور بزيارات للدعوة لطريقتهم الصوفية إلى أفريقيا الشرقية وملايا وأندونيسيا وسيلان[٦].

وكان لرباط تريم دور في نشر التصوف وذلك في جلب الطلاب من بلدان شتى كبلدان شرق آسيا وشرق أفريقيا فضلاً عن بلدان جنوب جزيرة العرب وغيرها، وكان لهذا الأثر دوره الواضح على أولئك الطلاب الذين يعودون إلى أوطانهم دعاة للتصوف الذي تلقوه في الرباط[٧].

---

(١) ومن تلك الامتيازات إطلاق لقب السيد والحبيب عليهم، وتقبيل أيديهم من غيرهم، وعدم تزويجهم لغير العلوي أما رجالهم فيتزوجون ما يشاءون من نساءهم ومن نساء غيرهم لما يرونه من المنزلة العالية ـ وهي النسب ـ التي فضلوا بها على غيرهم ويجهلون أو يتجاهلون أن العبرة بالإيمان والعمل الصالح.

(٢) عبد العزيز الرشيد (سيرة حياته) (ص٢٤٤).

(٣) هو عيدروس بن سالم بن علوي الجفري العلوي الحضرمي: أديب، ولد بقرية تريس ونشأ بها ثم هاجر إلى أندونيسيا. وتوفي بأحد جزرها وتسمى فالو وذلك سنة ١٣٨٤هـ. انظر: الجامع، لبامطرف (ص٤٢٧).

(٤) انظر: الجامع، لبامطرف (ص٤٢٧).

(٥) لوامع النور: ١/ ٣٣٤.

(٦) الخبايا في الزوايا (ص٣٩).

(٧) انظر: الشواهد الجلية عن مدى الخلف في القاعدة الخلدونية، لعبد الله بن حسن بلفقيه (ص٩٦).

كما نشرت صوفية حضرموت تعاليمها في الفلبين والصين الهندية[١]، حيث وصلوا إلى مراتب عليا في بعض الدول التي هاجروا إليها، فقد تولى عيسى بن محمد بن سميط العلوي[٢] منصب مفتي سنغافورا[٣].

ولا شك أن لهذا أثراً في بث التصوف في صفوف المسلمين هناك، ولا سيما والجهل منتشر في تلك البقاع لقلة أو لندرة علماء أهل السنّة.

وكان للقوم دور واضح في نشر التصوف في سنغافورة، عن طريق بعض العائلات الحضرمية المستوطنة بها، ومن تلك العائلات التي وجدت لها مكانة اجتماعية وسياسية في تلك البلاد أسرة آل الجنيد العلوية، التي قامت بدور كبير في نشر التصوف هناك، وقد أُفرِد في ذلك كتاب بعنوان «العقود العسجدية في نشر مناقب بعض أفراد الأسرة الجنيدية»[٤] ـ مطبوع ـ وهو كتاب كبير سرد فيه أفراد العائلة الجنيدية وبيّن أثرهم في البلدان التي هاجروا إليها، سواء بالتدريس أو ببناء المساجد والأربطة والمدارس الإسلامية.

ويوجد بسنغافورة مدارس للعلويين كـ(مدرسة السقاف)، و(مدرسة الجنيد)، والمعارف الإسلامية والدينية[٥].

ومن آثارهم ما ذكره عبد القادر بن عبد الرحمٰن الجنيد عن عمر بن علي الجنيد في كلام له عن حياته بسنغافورة: «فألقى عصا التسيار بسنقافوره، وأقام بها علماً من الأعلام وزعيماً من الزعماء ومصلحاً اجتماعياً، ودينياً كبيراً، يحتل مكان الصدارة والزعامة الروحية بكل معناها، له الصيت الذائع، والشهرة

---

(١) عقود الألماس (ص٩٨).

(٢) هو عيسى بن محمد بن سميط، تخرج من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة، له فتاوى وأبحاث ودراسات، وله كتاب عن الإسلام في سنغافورة، والدعوة وأثرها. انظر: المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى (ص٩٩).

(٣) المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى (ص٩٨)؛ والعقود العسجدية (ص٥٤٠).

(٤) انظر تلك الآثار: العقود العسجدية (ص٨١، ١٠٧، ١١٩، ١٢٠، ١٦٧).

(٥) المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى (ص١٠٠).

الضاربة في الملايو (الآن مليسيا) كلها»[١].

ومن آثارهم بناء القبب على موتاهم في البلدان التي هاجروا إليها، فقد جاء عند ذكر وفاة عمر بن علي بن هارون الجنيد بسنقافورة: «فانتقل إلى جوار ربه، راضياً مرضياً، في شهر محرم الحرام سنة ١٢٦٩هـ ـ ١٨٥٢م بسنقافوره ودفن بها، وبنيت على قبره قبة كبيرة»[٢]، وهكذا استمر هذا الأثر لأفراد هذه الأسرة حيث يدفنون موتاهم في هذه القبة التي بنيت على قبر عمر بن علي الجنيد[٣].

وقام عبد الرحمٰن بن جنيد بن عمر الجنيد[٤] بتأسيس مدرسة في سنقافوره سنة ١٣٤٦هـ، سماها: (مدرسة الجنيد الإسلامية)[٥]. وكذلك وجدت عائلات علوية كثيرة في ماليزيا[٦] حيث أسست بها (المدرسة العطاسية) في جهور، وتعتبر مدرسة رسمية[٧]، كما وطد للصوفية في البلاد التي هاجروا إليها علاقاتهم بحكام تلك البلدان، ففي الهند كان السلطان خرم متصلاً بأبي بكر حسين بن عبد الرحمٰن ـ من آل أحمد بن الفقيه المقدم ـ، واتصل بهذا الرجل سلطان بيجافور السلطان محمود شاه بن السلطان عادل شاه، وكذلك فقد كان علي بن علوي بن محمد الحداد مرشداً ومستشاراً للملك عنبر، وكذلك فإن جعفر الصادق بن علي زين العابدين العيدروس[٨] المتوفى سنة ١٠٦٤هـ في

---

(١) العقود المسجدية (ص١٧٥).

(٢) المصدر السابق (ص١٨٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص٤٧٥، ٥١٧).

(٤) هو عبد الرحمن بن جنيد بن عمر الجنيد، ولد بسنغافورة سنة ١٢٩١هـ، ونشأ بها وأخذ عن مشايخه العلويين، وأسس المدرسة الجنيدية بسنغافورة سنة ١٣٤٦هـ. وكان يتردد بين حضرموت ومهجره. توفي بالمدينة النبوية سنة ١٣٦٩هـ. انظر: العقود العسجدية (ص٢٦١ ـ ٣٩١).

(٥) انظر: العقود المسجدية (ص٢٦٣).

(٦) المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى (ص١٥٧).

(٧) المصدر السابق (ص١٥٩).

(٨) هو جعفر الصادق بن علي زين العابدين، من صوفية تريم، سافر إلى الهند إلى عمه محمد بن عبد الله العيدروس بمدينة سورت، وقربه سلاطين تلك البلاد، ونشر التصوف في دكن على طريقة أسلافه العلويين. توفي سنة ١٠٦٤هـ. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (١/١١٧ ـ ١١٨).

دولة أباد قد تصدر للتدريس في دكن ودرس اللغة الفارسية وترجم إليها كتاب العقد النبوي[١].

وكان له كذلك اتصال بالسلطان برهان نظام شاه حيث أثر عليه بأفكاره الصوفية[٢].

وقد حكم بعض العلويين الحضارمة جزر القمر، فقاموا بنشر التصوف هناك[٣]، كما تولى بعضهم رئاسة البرلمان، وبعضهم رئاسة الحكومة وغيرها[٤].

يقول شكيب أرسلان[٥]: «إن السلاطين الفاتحين لجزيرة مدغسكر (مدغشقر) وجزائر القمر إنما كانوا من السادة العلويين الحسينيين الحضرميين المعروفة أنسابهم وأسماؤهم وأخبارهم وأنباؤهم وكذلك الحبشة وزنجبار»[٦]، كما استوطنت كثير من الأسر العلوية الشرق الأفريقي منها: آل الشاطري، وآل

---

(١) وهو كتاب كبير يقع في جزئين، ويعد من الكتب المنحرفة حيث شحنه مؤلفه بالتوسلات والاستغاثات الشركية فهو موضوع الكتاب، فهو عبارة عن شرح أبيات للمؤلف نفسه يتوسل فيها بالنبي ﷺ وبفاطمة وابنيها الحسن والحسين وزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبآل باعلوي، وذكر الفضائل والكرامات لهم، والغلو في الأولياء بإعطائهم صفات الرب تعالى، والكتاب تتداوله صوفية حضرموت إلى يومنا هذا. انظر: على سبيل المثال بعض هذه الانحرافات في الكتاب المذكور (١/١٩٦، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٦٩، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٩٦، ٤٣١).

(٢) انظر: المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى (ص١٣٠). انظر أسماء العائلات المهاجرة لبلاد الهند: المصدر السابق (ص١٣٠ ـ ١٣١)؛ وانظر: التعليقات على شمس الظهيرة (١/١١٧).

(٣) انظر: الحبشة والمناطق الساحلية الشرقية الأخرى من أفريقيا، تأليف: ر. هارتمان (ص٢٠)، ترجمة د. برهان شاوي، مراجعة وتقديم: د. أحمد بن عبد الرحمن السقاف.

(٤) المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى (ص١٧٣).

(٥) هو شكيب بن حمود بن يونس أرسلان. كاتب، شاعر، مؤرخ، سياسي. ولد بالشويفات بلبنان سنة ١٢٨٦هـ ونشأ بها. لازم محمد عبده المصري وغيره. من تصانيفه: الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية، والقول الفصل في رد العامي إلى الأصل، وديوان شعر. توفي ببيروت سنة ١٣٦٦هـ. انظر: معجم المؤلفين، لكحالة (١/٨١٨ ـ ٨١٩).

(٦) انظر: حاضر العالم الإسلامي (٣/١٥٧ ـ ١٨٣).

السقاف، وآل جمل الليل، وآل بافقيه، وآل خرد، وآل باعبود، وآل بن سميط وغيرهم وكان لنشاطهم الديني بالغ الأثر في كل أنحاء الشرق الأفريقي وتذكر المصادر التأريخية أن أربعين داعية منهم وصلوا إلى ميناء بربرة بالصومال عام ٨٣٥هـ ثم تفرقوا في إقليم الصومال والحبشة لنشر الدعوة وكان منهم الشيخ علي أبو زرباي المتوفى بهرر من بلاد أفريقيا، وقبره معروف بها إلى اليوم[١]، وكان قد مهد لانتشار صيت العلويين في أفريقيا منذ قرون زيارة أبي بكر بن عبد الله العيدروس (ت٩١٤هـ) لمدينة زَيْلَع[٢][٣]، وهكذا استمرت هجرة العلويين في القرون التالية، خصوصاً إلى كينيا، وأوغندا، وتنزانيا ومن أبرز دعاتهم المتأخرين أحمد مشهور بن طه الحداد[٤] (ت١٤١٦هـ)[٥].

وقد وجد دعاة كثيرون من الحضارمة وغالبهم من العلويين قاموا بالدعوة في أفريقيا الشرقية وأدخلوا التصوف لتلك البلدان[٦].

وفي كينيا وعلى ساحلها لامو خرج إليه دعاة من صوفية حضرموت وبنوا بها معهداً سموه (الرياض)[٧] ويأتيه الطلاب من أنحاء أفريقيا الشرقية[٨].

---

(١) الحبشة والمناطق الساحلية الشرقية الأخرى من أفريقيا (ص٢١ ـ ٢٢).

(٢) زَيْلَع: جزيرة في البحر ما بين أرض اليمن وبلاد الحبشة ينسب إليها جماعة من العلماء منهم الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي صاحب اللحية. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، للحجري (٢/ ٤٠٠).

(٣) انظر: تاريخ النور السافر (ص٧٩ ـ ٨٠).

(٤) هو أحمد مشهور بن طه الحداد، من دعاة صوفية حضرموت في القرن الخامس عشر، ولد بمدينة قيدون في حضرموت، عام ١٣٢٩هـ ونشأ بها، وهاجر في شبابه إلى جاوه بأندونيسيا، ثم عاد إلى بلاده، وهاجر ثانية إلى شرق أفريقيا للدعوة، واستقر بكينيا. من مؤلفاته: مفتاح الجنة، والسبحة الثمينة في نظم مسائل السفينة وله ديوان. توفي سنة ١٤١٦هـ ودفن بمكة. انظر ترجمته: المقدمة التي كتبها ابنه محمد على كتاب مفتاح الجنة؛ وقبسات النور لأبي بكر المشهور (ص١٧٨ ـ ١٨٢).

(٥) الحبشة والمناطق الساحلية الشرقية الأخرى من أفريقيا (ص٢٣). وانظر أثرهم في كينيا: مجلة أنوار التلاقي، العدد: ٧، السنة الثالثة، جمادى الأول ١٤٢٠هـ، (ص٨).

(٦) انظر: المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى (ص١٧١ ـ ١٧٢).

(٧) نسبة لمسجد الرياض في سيئون بحضرموت، يقوم المتصوفة بنشر البدع والمخالفات فيه، ويلاحظ على القوم شدة تمسكهم بآثار سلفهم حتى في تسمية أماكنهم ومعاهدهم ونحوها الداعية لتعظيم تلك الآثار.

(٨) المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى (ص١٧٤).

وقد نشرت جريدة المدينة مقالاً عن هجرة العرب الحضارمة إلى الساحل الشرقي الأفريقي يتحدث عن الأثر الديني للحضارمة جاء فيه: «ولكنهم لعبوا دوراً كبيراً في نشر الثقافة الإسلامية وقاموا بتدريس الدين فأنشأوا المدارس الدينية، وتمكنوا من تحويل معظم الساحل من المذهب الإباضي إلى المذهب السُنِّي[1]... أما في شمال كينيا وفي منطقة لامو بالتحديد حيث يغلب التعليم الديني التقليدي ويسيطر على المجتمع مجموعة الأشراف (السادة) فقد فشلت في المحاولات في فتح مدرسة حديثة في الفترة ١٩٢٨ ـ ١٩٣١م»[2].

ومما تقدم يتضح أن الصوفية قد وجدت بأرض حضرموت كمنهج له طريقته وطقوسه منذ قدوم العلويين إليها الذين سعوا للحصول على المكانة الروحية والزعامة التي فقدوها في العراق، فكانت حضرموت أرضاً خصبة لوضع هذه البذرة، والأمل في حصول ثمارها في مجتمع ساده الجهل، والظروف التي مرت عليه من قبل الدول المختلفة المتنازعة، مع ما بثّه القوم من ترويجهم لمسألة النسب لكي يلتف الناس حول سلالة رسول الله ﷺ، وكذا دعوتهم للسلم حيث يدندنون على كسر جدهم محمد بن علي المشهور بالفقيه المقدم سيفه إعلاناً للسلم، وكذلك ما يروجونه من الدعوة للزهد، والآن يدعون الوسطية والاعتدال[3] والدعوة إلى الأخلاق ومد اليد للجميع من أجل التسامح المزعوم مع جميع الطوائف والفرق إلى غير ذلك من العبارات التي لا تنطلي إلا على من لا يعرف حقيقة مذهبهم.

---

(١) والمذهب السني الذي يذكر عن الحضارمة المهاجرين غير صحيح، فالقوم يأخذون بمذهب الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ في الفقه أما في الاعتقاد فهم على المذهب الأشعري في نفي الصفات والتأويل والتفويض وغير ذلك، وهم كذلك صوفية في طريقتهم وسلوكهم، فلا يغتر بما يذكره بعض المؤرخين والكتاب بأن مذهبهم سني فهم كما ذكرتُ.

(٢) جريدة المدينة في عددها ٤٣١٧ السنة ٤١ بتاريخ، ٩ رجب ١٣٩٨هـ. وانظر: المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى (ص١٧٦).

(٣) ولابن حفيظ محاضرة في هذا بعنوان (الوسطية في الإسلام). انظر: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٣٤، جمادى الأول ـ جمادى الآخرة ـ ١٤٢٤هـ، (ص٤٠).

ويحاول القوم بدندنتهم حول كلمة الاعتدال تبرئة سلفهم من مذهب الإمامية الطموح للسيطرة والزعامة الدينية، باسم أهل البيت حتى قال الشاطري عن جدهم أحمد بن عيسى المهاجر ـ المعروف بإماميته ـ بأن مذهبه شافعي سُنِّي، وجعل تشيعه كالشافعي الذي وجد في نثره ونظمه تشيعاً معتدلاً لأهل البيت وهذا لا يخرجه عن سُنِّيته(١).

هكذا يستعمل القوم هذه الأساليب لترويج مذهبهم ومذهب آبائهم وذلك بربطه بالحق تارة، وبأهل الحق تارة أخرى، فيتحيلون على الناس بهذه الأكاذيب، وهذه الحيل في الحقيقة لا تجدي شيئاً فقد قيل: من عاش في الحيلة مات فقيراً.

ولا يفهم من انتشار القوم وكثرتهم في بعض الجهات الحضرمية أو في غيرها إنهم المسيطرون على الوضع، بل ولا هم الأغلبية؛ فإن أهل السنّة ـ ولله الحمد ـ منتشرون في أكثر مناطق حضرموت، وخارجها، بل إنهم أكثر عدداً، وعدة؛ إذ عدتهم العلم الشرعي، وكذلك فإن كثيراً من العوام والمغرر بهم قد عادوا إلى السنّة وتركوا ما كانوا عليه من البدع والخرافات.

---

(١) أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ١٦٠). وقول الشاطري بتشيع الإمام الشافعي لأهل البيت ـ كما يصوره الشاطري ـ كلام غير صحيح، ولم يذكر أي دليل على ما ادعاه، وهذا دأبهم، يطلقون العبارات ولا يلقون لها بالاً، وهدفهم في ذلك نشر بدعهم ومخالفاتهم، ولو بالكذب على الأئمة الثقات، بل قد كذب بعض أوليائهم ومشايخهم على الله تعالى وعلى رسوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ كما سيأتي في مباحث الرسالة ـ إن شاء الله تعالى ـ فكذبهم على أئمة الهدى الذابين عن سنة المصطفى ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ كالإمام الشافعي وغيره من الأئمة أمر لا يستغرب من صوفية حضرموت، لأن دين متصوفة حضرموت قائم على الكذب حيث بنوه على: تقرير الكرامات والأساطير الخيالية، والغلو في أوليائهم ومشايخهم حتى أعطوهم صفات الرب تعالى، فعبدوهم من دون الله تعالى ـ وإن لم يسموا ذلك عبادة ـ، وعمدوا إلى تفسير النصوص بأهوائهم، والقول على الله تعالى بلا علم فأي كذب بعد ذلك أعظم من هذا الافتراء؟ ـ والله المستعان ـ.

بل إن مدينة تريم التي تعد أكبر مركز لتجمع الصوفية منذ ظهورها يوجد بها عدد كثير من أهل السنّة، بل ولهم أكثر من مسجد يدرسون فيه، ويأتيهم أهل العلم من مختلف الأماكن لإقامة المحاضرات، وبيان العقيدة الصحيحة ـ كثّرهم الله وبارك فيهم.



الباب الثاني

أبرز عقائد الصوفية في حضرموت ومناقشتهم فيها وبيان أثرها

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: مصادر التلقي عند صوفية حضرموت ومناقشتهم فيها.

الفصل الثاني: قولهم في توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ومناقشتهم فيه.

الفصل الثالث: قولهم في توحيد الألوهية ومناقشتهم فيه.

الفصل الرابع: قولهم في النبوة ومناقشتهم فيه.

الفصل الخامس: قولهم في القدر ومناقشتهم فيه.

الفصل السادس: قولهم في اليوم الآخر ومناقشتهم فيه.

الفصل السابع: أثر الصوفية في حضرموت وجهود أهل العلم وبعض الولاة في مواجهة الآثار السلبية لصوفية حضرموت.





مصادر التلقي عند صوفية حضرموت ومناقشتهم فيها

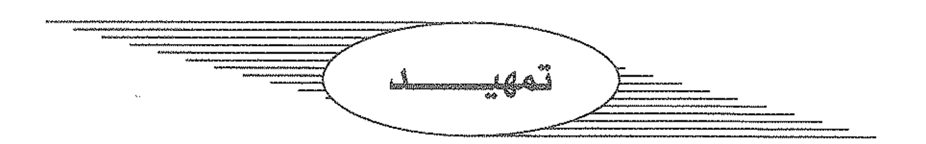
وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: منزلة الكتاب والسُّنَّة في الاستدلال عندهم.

المبحث الثاني: الكشف.

المبحث الثالث: الرؤى والمنامات.

المبحث الرابع: الكتب المعتمدة في التلقي عند صوفية حضرموت.



مصادر التلقي عند أهل السُّنَّة والجماعة:

والمقصود من مصادر التلقي الطريق الذي يؤخذ منه الدين، وتلقي العلم معناه استقباله وأخذه بحرص[١]، وليس للمسلم سوى الأخذ بالكتاب والسنّة[٢][٣] دون ما سواها، والإجماع في العقيدة يكون على فهم النص على فهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين لا كإجماع الأصوليين.

وأما القياس الأصولي[٤] فلا يصح في مسائل الاعتقاد. والقياس المستعمل في العقيدة إنما هو قياس الأولى[٥]، لا القياس الأصولي

---

(١) معجم لغة الفقهاء، للدكتور: محمد رواس قلعة جي (ص١٢٤).

(٢) الكتاب هو القرآن العظيم الذي أنزل على محمد ﷺ. وأما السنَّة فقد كثرت تعريفاتها عند الفقهاء والمحدثين والأصوليين، ولعل أجمع تعريف لها ما عرفها به المحدثون بأنها: ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو عمل أو تقرير، أو صفة خلقية، أو خُلُقية، أو سيرة. انظر: قواعد التحديث، للقاسمي (ص٣٥ ـ ٣٨)؛ وتوجيه النظر، لطاهر الجزائري (ص٢).

(٣) عرَّف الأصوليون الإجماع أنه: اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور على أمر من الأمور. انظر: إرشاد الفحول للشوكاني (ص٧١)؛ وحاشية المحلي على جمع الجوامع (٢/١٧٦) مطبوع بهامش تقرير الشيخ عبد الرحمن الشربيني.

(٤) القياس عند الأصوليين هو (رد الفرع إلى أصل بعلة جامعة بينهما). أي أن القياس طريقة في الاستدلال عند الأصوليين بأن يستدل المجتهد بعلة الحكم الثابت بالنص أو الإجماع على حكم أمر غير معلوم الحكم، فيلحق الأمر المسكوت في الشرع عن حكمه، بالحكم المنصوص على حكمه، إذا اشتركا في علة الحكم. رسالة في أصول الفقه، للعلامة الحسن بن شهاب الحسن العكبري الحنبلي (ت٤٢٨هـ) (ص٦٥). وانظر: الواضح في أصول الفقه، د. محمد سليمان عبد الله الأشقر (ص٢١٤).

(٥) قياس الأولى هو (كل كمال لا نقص فيه بوجه فالخالق أولى به، وكل نقص وجب نفيه عن المخلوق فالخالق أولى بنفيه عنه). تيسير العزيز الحميد (ص٥١٠)، ط٣، وانظر: شرح الأصفهانية (ص٧٤)، ط١؛ والصواعق المرسلة، لابن القيم (٣/١٠٣٠ ـ ١٠٣٢)، ط١.

والمنطقي[١]، والعقل والفطرة هي آلات التلقي وخطابات الكتاب والسنّة متوجهة إليها.

وقد جاءت النصوص الكثيرة التي تبيّن أن المسلم ملزم بالأخذ عن كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، ومن النصوص التي تأمر بمتابعة النبي الكريم ﷺ قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١].

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١١٤].

وأمرنا تعالى بالتحاكم إلى كتابه فقال سبحانه: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فكل من بلغه هذا القرآن فقد أنذر به وقامت عليه حجة الله به»[٢].

والسنّة كذلك حجة فهي وحي من الله تعالى كما دلَّ على ذلك القرآن الكريم، يقول تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]. وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» الحديث[٣].

وقال ﷺ: «نضّر الله امرءاً سمع منا شيئاً، فبلّغه كما سمع، فرب مُبلَّغ

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٢٩٧).
(٢) الصواعق المرسلة (٢/ ٧٣٥)، ط٣.
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٤٣)، ط دار صادر ـ بيروت، وأبو داود في سننه: كتاب: السنَّة، باب: في لزوم السنَّة، (ص٥٠٣) برقم (٤٦٠٤)؛ وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٥٧ ـ ٥٨) ط٢؛ وصحيح الجامع (٢/ ٣٧٥) برقم (٢٦٤٠)، ط٤.

أوعى من سامع»[١].

يقول الإمام الشافعي عن هذا الحديث: «فلما ندب رسول الله إلى استماع مقالته وحفظها، وأدائها امرأً يؤديها، والِامرؤُ واحد: دلَّ على أنه لا يأمر، أن يؤدَّى عنه، إلا ما تقوم به الحجة على من أُدي إليه؛ لأنه إنما يؤدى عنه حلال، وحرام يجتنب، وحد يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا»[٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة: سُنَّة رسول الله.

وهذا يشبه ما قال، والله أعلم؛ لأن القرآن ذُكر وأُتبعته الحكمة. وذَكَرَ الله منَّهُ على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز ـ والله أعلم ـ أن يقال: الحكمة، ها هنا إلا سُنَّة رسول الله»[٣].

ويقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ «ومن تدبر كلامه الذي تكلم به والقرآن الذي بلَّغه عن الله وأخبر أن الله تكلم به وجد التفاضل بين كلامه هو عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ٩٦)، ط٣ ١٣٧٤هـ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار المعارف ـ مصر. والترمذي في سننه: كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (ص٤٣٠) برقم (٢٦٥٧)، ورواه بنحوه ابن ماجه في سننه: كتاب المقدمة، باب من بلّغ علماً، (ص٤٠) برقم (٢٣٢). والحديث له عدة طرق عن عدة من الصحابة، وقد ورد الحديث بروايات مختصرة ومطولة، وقد جمع العلامة عبد المحسن بن حمد العباد طرق الحديث وتوسع في الكلام عن هذا الحديث رواية ودراية في جزء مستقل بعنوان (دراسة حديث: نضر الله امرءا سمع مقالتي... رواية ودراية) وقد طبع بمطابع الرشيد بالمدينة النبوية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ.

(٢) الرسالة (ص٤٠٢ ـ ٤٠٣).

(٣) الرسالة، للإمام الشافعي (ص٧٨). المكتبة العلمية ـ بيروت، بدون تاريخ..

وكلام غيره من البشر ثم من المعلوم بالاضطرار من حاله أنه كان أحرص الناس على هدى أمته وتعليمهم والبيان لهم فاجتمع في حقه كمال القدرة وكمال الداعي وكمال العلم، فهو أعلم الناس بما يدعو إليه وأقدرهم على أسباب الدعوة وأعظمهم رغبة وأتمهم نصيحة فإذا كان من هو دونه بمراتب لا تحصى في كل صفة من هذه الصفات قد بيّن مراده بلفظه كان هو صلوات الله وسلامه عليه أحق وأولى من كل وجه»[١]. ويقول رحمه الله: «فلو كان كلام الله ورسوله لا يفيد اليقين والعلم والعقل معارض له، فأي حجة تكون قد قامت على المكلفين بالكتاب والرسل، وهل هذا القول إلا مناقض لإقامة حجة الله بكتابه من كل وجه»[٢].

فهذه بعض الأدلة على حجية الكتاب والسنّة، وبيان وجوب الانقياد لهما دون ما سواهما من المصادر المبتدعة، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «العلم أعم مما يدرك بالعقل والسمع والفطرة وأخص منه الهدى الذي لا يدرك إلا من جهة الرسل، وأخص منه الكتاب الذي أنزله الله على رسوله فإن الهدى قد يكون كتاباً وقد يكون سُنَّة»[٣].

وأما الإجماع فقد دلَّ عليه الكتاب والسنّة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وقد استدل الإمام الشافعي بهذه الآية على كون الإجماع حجة، ووجه الاستدلال بهذه الآية أنه تعالى جمع بين مشاقة الرسول ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد، فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحاً لما جمع بينه وبين مباح، فثبت أن متبع غير سبيل المؤمنين عبارة عن متابعة قول أو فتوى تخالف قولهم، أو فتواهم، وإذا كانت تلك محظورة وجب أن تكون متابعة

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٦٥٢)، ط٣.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٧٦)، ط ١٤٠٥هـ، دار الندوة الجديدة ـ بيروت.

(٣) الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٨٧).

قولهم وفتواهم واجبة[١]. وكذلك دل على حجية الإجماع ما جاء في الأحاديث من عصمة اجتماع أمة محمد ﷺ على ضلالة كقوله ﷺ: «إن الله قد أجار أمتي أن تجتمع على ضلالة»[٢].

وقد خالفت صوفية حضرموت سبيل الحق والهدى فاعتمدت مصادر مبتدعة قدمتها على نصوص الشرع سواء ابتداء، أو عند وهم التعارض، سالكين مسالك أهل البدع في تقديم الآراء والأهواء على نصوص الوحي وإيهام الناس بعبارات براقة ـ لا حقيقة تحتها ـ أن علومهم مقيدة بالكتاب والسنّة، والواقع يُكذِّب ذلك، كما سيأتي من نصوصهم الدالة على ما قلناه، بل زعموا استغناؤهم عن الأخذ بالسنّة لأن ذلك أخذ هالك عن هالك، بينما هم يأخذون مباشرة عن الحي الذي لا يموت[٣]: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

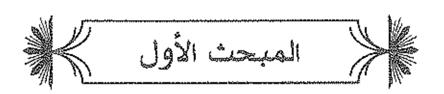
فدين الصوفية قائم على الجهل بشرع الله تعالى، فلا يستغرب تخبط القوم في مصادر تلقي الشرع، وتلقيهم من غير الكتاب والسنّة كما سيأتي في مباحث هذا الفصل ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) انظر: الإبهاج شرح المنهاج على منهاج الوصول في معرفة إلى علم الأصول، للقاضي البيضاوي، تأليف: علي بن عبد الكافي السبكي، وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (٢/ ٣٩٤)؛ وإرشاد الفحول (ص٧٤).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنّة (١/ ٨٨) برقم (٨٣)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، تحقيق: د. فيصل الجوابرة، ط دار الصميعي ـ الرياض. وقال الشيخ الألباني بعد ذكره لطرق الحديث: «فالحديث بمجموع هذه الطرق حسن». السلسلة الصحيحة (٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) برقم (١٣٣١)، ط ١٤١٥هـ، مكتبة المعارف ـ الرياض. وانظر كلام الإمام الشافعي في حجية الإجماع: الرسالة (ص٤٧٥ ـ ٤٧٦).

(٣) انظر: كتاب الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر (١/ ٦٢).



منزلة الكتاب والسُّنَّة في الاستدلال عندهم



تمهيد

الكتاب والسنّة هما المصدران الرئيسان اللذان عوّل عليهما السلف ومن جاء بعدهم ولزم طريقهم ممن أراد الله به الخير في الدنيا والآخرة، بخلاف أهل الأهواء البدع الذين جعلوا النصوص الشرعية وراءهم ظهرياً، ومن أولئك المخالفين صوفية حضرموت حيث لم يلتزموا بالنصوص الشرعية وما دلت عليه، فلم يعرفوا منها سوى التبرك بذكرها تارة، وتأويلها لتتفق مع باطلهم، أو تفسيرها تفسيراً غريباً لم يعرفه سلف الأمة وأئمتها، بل وقد يفسّرون النصوص تفسيرات باطنية اقتداء بفرق الباطنية(١) الضُّلّال ومن سلك سبيلهم من أهل البدع والضلالات، كما ستأتي نصوصهم في ذلك.

ومنهج صوفية حضرموت في الاستدلال بنصوص الكتاب والسنّة كسائر أهل البدع وفرق الضلال منهج مخالف لمنهج السلف الصالح: «فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنّة عرضوه على معيار عقولهم، فإذا استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرّفوه بالتأويلات البعيدة

---

(١) الباطنية: لقب عام تندرج تحته طوائف عديدة تجتمع في تأويل النصوص وأن لها معان باطنة، ويستعملون الرموز والإشارات في ذلك، مستهدفين بذلك هدم الدين وإبطال شعائره وأحكامه العملية. وهم يسمون الإسماعيلية والخرمية، والبابكية والسبعية، والتعليمية وغير ذلك. يقول الشهرستاني: « وأشهر ألقابهم الباطنية وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بان لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تاويلاً». الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ١٩٢). تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط ١٤٠٤هـ، دار المعرفة ـ بيروت. وانظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، لمحمد أحمد الجيلي (ص٢٦٥ الحاشية)، ط ١٤٠٨هـ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ الرياض.

والمعاني المستكرهة، فحادوا عن الحق وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم»(١).

بخلاف أهل السنّة والجماعة الذين جعلوا: «الكتاب والسنّة أمامهم، وطلبوا الدين من قِبَلِهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنّة فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم عليه، وإن وجدوه مخالفاً لهم تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنّة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنّة لا يهديان إلا إلى الحق»(٢).

وسأبيّن في هذا المبحث منزلة الاستدلال بالكتاب والسنّة عند صوفية حضرموت ومنهجهم المخالف لمنهج أهل السنّة والجماعة في ذلك، مدللاً على ذلك بأقوال علمائهم.

المطلب الأول

دعوى التلقي عن الله تعالى مباشرة

لم تسلك صوفية حضرموت مسلك سلف الأمة في تلقي علوم الشرع، وابتعدوا عن المذهب النقي، فاعتمدوا مسالك ومشارب مخالفة للحق، بل بلغ بهم الانحراف إلى تركهم التلقي من الكتاب والسنّة، وادعوا الأخذ مباشرة من رب العزة جل وعلا، وقد قرر هذه العقيدة المنحرفة كبار علمائهم كأبي بكر بن سالم العلوي ـ الملقب عندهم بفخر الوجود ـ فقد جاء في كتاب (الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر) أنه قال: «ونحن نقول والله أعلم: علمنا من قوله: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. وهم أخذوا العلم ميتاً عن ميت

(١) الحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم الأصبهاني التيمي (٢/ ٢٢٤). تحقيق: محمد أبو رحيم.

(٢) المصدر السابق.

... ونحن أخذنا علمنا من الله ﷻ الحي الذي لا يموت»[١].

هكذا يقرر هذا الرجل هذه العقيدة، متنقصاً علم الإسناد، الذي قال فيه ابن المبارك: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[٢]، ويظن القوم أنهم بذلك قد بلغوا الغاية التي لم يبلغها سلف الأمة، وهو أخذهم عن الله تعالى مباشرة، والاستشهاد بالآية في تقرير العلم اللدني عند الصوفية استشهاد باطل، فهذه الآية في قصة الخضر، وقد كان عبداً صالحاً أوحى الله تعالى إليه فعل تلك الأمور المذكورة في سورة الكهف من خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار.

وقد اتبع موسى عليه السلام الخضر في هذا العلم الذي أعطاه الله تعالى للخضر عليه السلام[٣].

ثم إن الآية لا تدل على قصدهم فقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥].

فمن هذه النصوص يتضح أن العلم اللدني الذي آتاه الله تعالى للخضر عليه السلام من رحمة الله تعالى وفضله لهذا العبد الصالح، وهو علم من عند الله، فهل يزعم صوفية حضرموت أنه يوحى إليهم، وتحصيلهم العلوم كالعلم الذي أعطاه الله للخضر عليه السلام؟.

ومن نصوصهم في ذلك ما جاء في (كتاب تذكير الناس): «وسُئل أحمد الرملي عن مسألة وهو راكب على بغلته، فأطرق، وطأطأ رأسه إلى الأرض والتفت يمنه ويسرة ثم رفع رأسه وأجاب السائل. فسأله ذلك السائل عما صنع، فقال له: إنك لما سألتني لم يكن لي علم بها، فتصفحت كتب المشرق والمغرب فلم أظفر بها ثم نظرت اللوح المحفوظ فلم أجدها، ثم أخبرني قلبي عن ربي، أو قال نزل بها ملك»[٤].

---

(١) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر: (١/ ٦٢).
(٢) مقدمة صحيح الإمام مسلم (ص٢٥) برقم (٧).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، ط مكتبة دار السلام.
(٤) تذكير الناس (ص٢٥).

هكذا ينقل القوم هذا الكلام عن الرملي، وينسبونه إليه ـ والله اعلم ـ هل قال ذلك أم لا؟ والذي يهمنا هو تقرير القوم لمثل هذا الاعتقاد المنحرف، حيث يرون أن بعضهم يتلقى الفتوى عما يسأل عنه إما بالنظر إلى اللوح المحفوظ، أو تحديث قلوبهم عن الله تعالى مباشرة، أو قد ينزل ملك بالجواب عن تلك المسألة.

والشاهد قوله: أخبرني قلبي عن ربي.

بل يتمادون في غيهم ويذهبون إلى أكثر من ذلك حتى يعتقدوا منازلة الله لهم وكلامه لهم وهم في الدنيا ـ تعالى الله وتقدس عن قولهم علواً كبيراً ـ.

فقد جاء في كتاب (تذكير الناس): عند ذكر عبد الله بن حسين بن طاهر[1] وذكر خلوته المعدة للعبادة: «وكانت له خلوه يعين له فيها مجلساً خاصاً، ويحذر أهله وغيرهم من الدخول عليه بغير إذن، فجاء الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى ففتح الخلوة عليه؛ فوجده مالي الخلوة فرجع ثم بعد خروجه أخبره بما رآه منه وسأله عن حالته تلك، فعاتبه وقال: كيف وأنا حذرتكم من الدخول عليّ؟ فقال له: قد وقعنا فيها، وأخبرني بما جرى لك فقال: كنت في تلك الساعة في حضرة الله تعالى ونازلني وقال لي: يا عبد الله لك عليّ ما شئت فقلت: يا رب أسألك أن تشفعني في أهل بيتي فقال: شفعتك فيهم فقلت: يا رب لي أصحاب وأحباب متعلّقون بي أسالك أن تشفعني فيهم فقال: شفعتك فيهم فقلت له: ومن يحضر مجالسي من أهل البلد ونواحيها فقال: قد شفعتك فيهم فقلت له: وأهل حضرموت ومن سمع بي واعتقد فيّ فقال: قد شفعتك فيهم فقلت: يا رب ولِمَ لا تشفعني في أهل عصري كلهم؟ فقال: قد شفعتك فيهم»[2].

---

(١) هو عبد الله بن حسين بن طاهر العلوي: ولد بمدينة تريم سنة ١١٩١هـ ورحل إلى الحجاز ثم عاد إلى حضرموت واشتغل بالإصلاح الاجتماعي من مؤلفاته: سلم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق في الفقه وغيره، وصلة الأهل والأقربين بتعلم الدين. توفي سنة ١٢٧٢هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ١٦٢ ـ ١٧١)؛ وعقد اليواقيت (١/ ١٠٢).

(٢) تذكير الناس (ص٢١٧). وانظر دعواهم التلقي من فوق (أي من الله تعالى مباشرة): الجوهر الشفاف (٢/ ١٨٨). وكذا زعمهم التلقي بالإشارة عن الله تعالى: تاريخ الحامد (ص٧٩٠).

وذكر هذا الكلام فقط يبين ضلال قائله وبعده عن الحق والهدى، وضلال من أقر مثل هذا الكلام المنحرف ولكن القوم ألغوا عقولهم فدونوا مثل هذه الخرافات في كتبهم، وجعلوها من المناقب التي يفتخرون بها.

وادعوا تلقيهم من اللوح المحفوظ مباشرة(١) لاستغنائهم عن طريق المسلمين الذي يتلقون منه دينهم وهو الكتاب والسنّة.

المطلب الثاني

طرق القوم في تفسير النصوص الشرعية

لم يعوّل القوم على كتب السلف، ولا سيما كتب علماء التفسير وشرّاح الحديث الذين نقلوا التفسير الصحيح لنصوص الكتاب والسنّة، وإنما سلكوا طرقاً مبتدعة في تفسير بعض النصوص الشرعية، بما يوافق اعتقادهم، واستعمال لغة الإشارات التي يتداولونها دون الناس على طريقة الباطنية الذي يبدو أثرها واضحاً في منهج الصوفية في حضرموت؛ وذلك في تفسيرهم للنصوص بأهوائهم دون الرجوع لمذهب السلف الصالح.

أ ـ التفسير الباطني عند صوفية حضرموت:

من نصوص صوفية حضرموت التي تدل على استعمالهم التفسير الباطني في مؤلفاتهم ما ذكره أبو بكر بن سالم العلوي الذي سلك مسلك الباطنية في تفسير أمور الغيب، وأمور الآخرة، وكذا بعض أحكام القرآن الكريم، حيث جاء في كتاب (الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم تاج الأكابر) تحت عنوان: (كثيب(٢) الشيخ أبي بكر بعينات): اسم الكثيب عرف من عهد صاحب الترجمة أطلق عليه الاسم ونوّه به الشعراء، قال الإمام العلامة المحقق الحبيب علي بن محمد الحبشي: لما قربت وفاة الشيخ أبي بكر أخذه السيد يوسف بن

---

(١) انظر: مبحث قولهم في اللوح المحفوظ (ص٧٠٣) من هذا البحث.

(٢) الكثيب هو التل من الرمل. القاموس المحيط (ص١٢٩ مادة الكثب).

عابد المغربي[١] وطرح رأسه على فخذه وجعل يكرر هذه الآية: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. بغا[٢] الشيخ يقول: زوجناكها يعني بها خلافته فقال له: يا يوسف لي معك مناً يكفيك بأننا سِرَّنا ما عاد بانخرج به عرض[٣] عينات إذا ما لحقنا حد متأهل[٤] من أولادنا بانطرحه في كثيب عينات. انتهى كلام الحبيب علي وقد أشاد الشعراء به وهو ترياق مجرب ودواء ناجع للأمراض المستحكمة المعدية، وقد جرب وشوهد وتجربته أكبر برهان»[٥].

هكذا يفسر الآية بالخلافة التي يخلفها هذا الشيخ للمغربي. وفيه بيان سلوك القوم لطريقة الباطنية، حيث أن هناك سراً يكتمه أبو بكر بن سالم على الناس استدل عليه بالآية الكريمة، وهذا السر لا يعرفه إلا خواص تلاميذه. هذه هي طريقتهم في استخدام لغة الرموز والإشارات والأسرار ولا يظهرونها للناس، وإلا فالدين لا بد من إظهاره ونشره بين الناس ليعم الخير ولا تبرى عهدة العالم إلا بذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩]. وثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[٦].

---

(١) هو يوسف بن عابد الفاسي المغربي، من أهل المغرب، ولد ببلدة الفيضية ـ بالفاء أو الغين ـ بالمغرب، من بلاد أنقاد الواقعة بين فاس وتلمسان، رحل إلى مكة ومنها توجه إلى حضرموت للأخذ عن صوفيتها ومنهم أبي بكر بن سالم ـ صاحب عينات ـ المتوفى سنة ٩٩٢هـ. من مؤلفاته: رحلة الشيخ يوسف بن عابد. عاش أغلب حياته بمدينة مريمة بحضرموت حتى توفي بها سنة ١٠٤٤هـ. انظر: جواهر تاريخ الأحقاف (٢/٢١٧)؛ وإدام القوت (ص٧٥٢) الحاشية. ط المنهاج.

(٢) أي أراد.

(٣) بمعنى جهة.

(٤) حد بمعنى أحد، حيث تحذف الهمزة في لهجة أهل حضرموت، ومعنى الكلام: إذا لحقنا معه أهله سوف نضعه في كثيب عينات.

(٥) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم تاج الأكابر (١/١١٧).

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٦٣، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٩٥)؛ وأبو داود في سننه: كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، (ص٤٠٤) برقم (٣٦٥٨)؛ والترمذي في سننه: كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، (ص٤٢٩) برقم (٢٦٤٩)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب =

ثم إن تفسير الآية بما ذكره هذا الرجل قول على الله تعالى بلا علم، وهو من أعظم المحرمات، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وأما تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ فقد ذكر أهل التفسير أن معنى الآية: فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ يقول: زوجناك زينب بعد ما طلقها زيد وبانت منه»[١].

ويتبين بذلك أن للقوم منهج مبتدع في تفسير وتوضيح النصوص الشرعية، فهم لا يعوّلون على تفسير علماء السلف الصالح ـ كما أسلفنا ـ وإنما يعوّلون على تفسير سلفهم من العلويين أو من بقية مشايخ الصوفية وهذا من أسباب انحرافهم في هذا الباب وفي كثير من أبواب الاعتقاد.

يقول علي بن أبي بكر السكران: «قال الله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩]. ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ إشارة إلى الفناء إشارة إلى البقاء، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إشارة إلى الصحو بعد المحو[٢]»[٣].

هذا هو التفسير الباطني، لا تفسير السلف الصالح، أما التفسير الصحيح للآية فهو تفسير أهل العلم والهدى، يقول العلامة عبد الرحمٰن السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: «﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ من الأقدار، ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما يشاء

= المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، (ص٤٤) برقم (٢٦٤، ٢٦٦). وانظر: حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنَّة، للشيخ الألباني (ص٥).

(١) جامع البيان (١٩/٢٢).

(٢) انظر معنى الفناء (ص٨٦٨ وما بعدها) من هذا البحث، وأما معنى البقاء عند الصوفية هو: أن يفنى العبد عما له ويبقى بما لله، والباقي هو العبد تصير الأشياء كلها له شيئاً واحداً. انظر: المعجم الصوفي، للحفني (ص٤٤ ـ ٤٥). والصحو: هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد الغيبة، وعكسه السكر وهو غيبة بوارد قوي انظر: المصدر السابق (ص١٤٣).

(٣) العقد النبوي (١/٣٠٢ ـ ٣٠٣).

منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه، فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير؛ لأن ذلك محال على الله أن يقع في علمه نقص أو خلل، ولهذا قال: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له.

فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسباباً، ولمحوها أسباباً، لا تتعدى تلك الأسباب، ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سبباً لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سبب للسلامة، وجعل التعرض لذلك سبباً للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ»[(١)].

وجاء في كتاب (العقد النبوي) عند تفسير علي بن أبي بكر لبعض الآيات القرآنية: «والنفس إذا صفت استحالت صفاتها وهي الأمارة والسوّالة واللوامة إلى صفة المطمئنة فهنا تضمحل رسوم الخيالات بالإشارات، وتنطمس البدايات في النهايات وهذا هو الموت الحقيقي لا موت الكفن واللحد، فإن هذا الموت موت مجازي؛ لأن بعده حياة، وأما موت نفوس العشاق في الدنيا وهو قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]»[(٢)].

ويقول أحمد بن حسن العطاس: «وأهل الإشارة يقولون في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ [البقرة: ١٤٩]؛ أي: من عالم كان؛ لأن العوالم كثيرة إلى أن قال: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠]؛ فهاء الضمير هاء الهوية عائدة على الله تعالى لا على الظاهر وفي الظاهر إلى الكعبة»[(٣)].

وقال: «ثم قال: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٥٠]. وهذه حيثية من الطريق وإذا بلغ الحضرة ثم قال: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٣٧٤).
(٢) العقد النبوي (١/ ٣٠٤).
(٣) تذكير الناس (ص٦٨ ـ ٦٩).

شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠]؛ أي: سواء كنت واقفا أم متحركاً شاهداً أم مشاهداً مخاطِباً أم مخاطَباً والسلف قالوا: كلها حضرة»[١].

ويقول أيضاً: «في كلام العارفين على الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» إلى آخر الحديث[٢] تضيق العبارة في مثل هذا لأن الولي يصير يسمع بكلياته وجزيئاته ويبصر كذلك بجزئياته وكلياته جميعها وشعره وبشره كذلك؛ لأنه إذا صفا قلبه عن الكدورات ورقت بشريته وأحرقها بنار المجاهدة صار كالزجاج لا يحجب روحه جسمه ولا جسمه روحه»[٣].

وذكر هذه التفسيرات الباطنية كافٍ في بيان بُعد صوفية حضرموت عن الطريق الحق والمنبع الصافي الذي تفسر به النصوص، والتي بيَّنها أهل العلم وهي أن يفسر القرآن بالقرآن، أو بالسنّة الصحيحة، أو بكلام الصحابة ﷺ لا سيما ذوو العلم منهم والعناية بالتفسير، أو بكلام التابعين الذين اعتنوا بأخذ التفسير عن الصحابة ﷺ، أو بما تقتضيه الكلمات من المعاني الشرعية أو اللغوية حسب السياق[٤].

وقد رد الإمام ابن الجوزي رحمه الله في كتابه القيم (تلبيس إبليس) على الصوفية في تفسيرهم النصوص بتفسيرات غريبة، وبيّن أنها جرأة عظيمة على كتاب الله تعالى، وإن تتبع تفسيراتهم وحكاياتهم في ذلك ضياع للزمان في شيء بين الكفر والخطأ والهذيان[٥]، وبيّن كذلك رحمه الله أن أقوال الصوفية ناتجة من قلة العلم وسوء الفهم[٦].

---

(١) المصدر السابق (ص٦٨ ـ ٦٩).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب التواضع، (ص١٢٤٧) برقم (٦٥٠٢).
(٣) تذكير الناس (ص٣٧٧).
(٤) انظر: أصول في التفسير، للعلامة محمد بن صالح العثيمين (ص٢٥ ـ ٢٨). الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ. المكتبة الإسلامية ـ القاهرة.
(٥) انظر: تلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص٢٠٢، ٢٠٤).
(٦) المصدر السابق (ص٤٠٧).

بل ادّعى القوم أن لكلامهم المنحرف معنى باطناً يخالف المعنى الظاهر، حيث جاء في كتاب كنوز السعادة الأبدية قول علي الحبشي: «ومرة كنا نحن والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي في طريق نبي الله هود وكان الذين يسيرون قبلنا يشلّون رجزاً ويقولون: إني مُحَنّية[١] وشُمّ عيني. فاستحييت من قولهم هذا الكلام والحبيب عيدروس يسمع وبعد قلت للحبيب: كيف الإشارة في هذا الكلام فقال الحبيب: الملمح فيه بعيد جم[٢] فقلت له: باندري[٣] به ولو هو بعيد، فقال: هذا نداء من الحضرة الأحديّة تقول: إني مُحنّيهْ يعني ما يدخلني إلا من انحنى وخضع وتواضع ولم يبق واقفاً مع هواه وغرضه ونفسه وأشمّ عيني أشمّ بمعنى انظر وعيون الحق أنبياؤه وأولياؤه وأصفياؤه والواسطة بينه وبين خلقه»[٤].

ب ـ تأويل النصوص وتحريفها عن وجهها:

اعتمد صوفية حضرموت تأويل النصوص وإخراجها عن ظاهرها المراد بها لتتوافق مع أهوائهم، ومع مصادرهم التي اتخذوها من عند أنفسهم كالكشف وغيره، وقد سلكوا مذهب الأشاعرة في تأويل نصوص الصفات، لموافقته لمذهبهم.

وأوّل القوم النصوص التي تثبت صفة العلو، وكذا صفة الاستواء لله تعالى على عرشه[٥]. وأولوا كذلك صفة العين لله تعالى[٦]. واضطربوا في صفة الكلام لله تعالى، فأولوا النصوص واتبعوا الأقوال المبتدعة لإنكار تكلم الله تعالى كيف شاء متى شاء مع من شاء جلَّ في علاه[٧].

---

(١) معنى محنية: أي مختضبة بالحناء، والكلام هنا بصيغة المتكلمة الأنثى، ومع ذلك فله معنى باطني عندهم.
(٢) أي بعيد جداً.
(٣) «با» بمعنى «سوف» في لغة أهل حضرموت.
(٤) كنوز السعادة الأبدية (ص٣٠١).
(٥) الحديقة الأنيقة، لمحمد بحرق (ص١٣٠).
(٦) المصدر السابق (ص١٣٣).
(٧) المصدر السابق (ص١٣٤ ـ ١٣٥).

جاء في كتاب نيل المرام: «فمذهب السلف وبعض الخلف التفويض وهو صرف اللفظ المتبادر للذهن مع عدم التعرض لبيان المعنى بل يُفوَّض أمر علمه إلى الله تعالى بأن يقال: (الله أعلم بمراده) ومذهب الخلف وبعض السلف في ذلك التأويل وهو حمل النصوص المتشابهة على خلاف ظاهرها المتبادر مع بيان المعنى المراد فقد أوّلوا اليد في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]. ، بالقوة وأوّلوا الساق في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]. بالشدة؛ أي: يكشف عن شدة، وأولوا المجيء في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]؛ أي: وجاء أمر ربك»[١].

ووقع متصوفة حضرموت في التأويل تبعاً لمنهج الأشاعرة، حيث أوّلوا بعض نصوص الصفات بحجة أن العقل لم يدل عليها وأولوا أعظم نصوص القرآن وهي النصوص المتعلقة بذات الله تعالى من صفات الكمال والجلال، من تلك الصفات التي فوضها القوم المجيء والنزول[٢]، والتي جاءت الأدلة الشرعية بإثباتها لله تعالى كما يليق بالله تعالى، كقوله تعالى مبيناً مجيئه جلّ في علاه يوم القيامة للفصل بين العباد: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]. .

وأوّل القوم صفة الرحمة لله تعالى[٣]، وصفة الغضب[٤] بالإرادة، وغيرها من النصوص الدالة على إثبات الصفات لله تعالى كما يليق به سبحانه.

وأوّلوا صفة الرحمة بإرادة الخير والفضل والإحسان؛ لأن صفة الإرادة من الصفات السبع التي يثبتونها، والذي جرهم لمغبة التأويل المبتدع هو التشبيه أولاً، ومن ثم التعطيل، فلم يعرفوا من الرحمة إلا صفة المخلوق، وهي الرقة، ولو أنهم عظموا الله تعالى حق تعظيمه وقدروه حق قدره لما وقعوا في

---

(١) نيل المرام (ص٢٥).

(٢) الحديقة الأنيقة (ص١٣٠).

(٣) انظر: كتاب تبصرة الولي بطريقة السادة بني علوي، لأحمد بن زين الحبشي: (ق٦).

(٤) انظر: المختصر في تفسير قصار السور، لعبد الله سالم باخريصة (ص٦).

هذه المحاذير من التأويل وغير ذلك، ويقال لهم أيضاً: تأويلكم الرحمة بأنها إرادة الإحسان ونحو ذلك، يقال: إن الإرادة ميل، وهذه صفة المخلوق فما أجابوا عليه فهو جوابنا عليهم.

وهذا التأويل ـ كما سبق ـ مبني على تشبيههم صفات الله تعالى بصفات المخلوق، فهم أرادوا الفرار من التشبيه فوقعوا في التعطيل: «ولما فهمت هذه الطائفة من الصفات الإلهية ما تفهمه من صفات المخلوقين فرّت إلى إنكار حقائقها، وابتغاء تحريفها وسمته تأويلاً فشبهت أولاً وعطلت ثانياً وأساءت الظن بربها وبكتابه وبنبيه وبأتباعه»[١]. وهذه الصفات تثبت لله تعالى كما يليق به سبحانه[٢]، كسائر صفاته سبحانه الدالة على كماله وعظمته وسيأتي مزيد بيان لذلك في مبحث مستقل ـ إن شاء الله تعالى ـ.

ج ـ اعتماد صوفية حضرموت على الأحاديث الضعيفة والموضوعة في التلقي:

زهدت صوفية حضرموت في علم الحديث والإسناد فهدموه، واستغنوا عن رواة السنّة والآثار النبوية، ونفّروا الناس عن ذلك، وجعلوا الأذواق والمكاشفات أساس القبول والرد، ولذا لا يفرق كبراؤهم بين الصحيح والضعيف والموضوع، فبضاعتهم في علم الحديث مزجاة.

ونسوق عدة أحاديث من كتبهم ليتبين من خلالها أن القوم حُطّاب ليل، يدونون في كتبهم كل ما هبّ ودبّ من الأحاديث وإن كانت لا تصح عن رسول الله ﷺ، وغرضهم في ذلك إثبات عقائدهم ـ المخالفة لمذهب السلف الصالح ـ بأي طريقة كانت، ومن تلك الأحاديث على سبيل المثال لا للحصر:

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٦٠).

(٢) انظر الرد على من نفى الصفات الفعلية والاختيارية عن الله تعالى: منهاج السنّة (١/ ٢٩٨) وما بعدها؛ ومجموع الفتاوى (٣/ ١٣٨ ـ ١٣٩، ٥/ ١٣٤، ٦/ ١١٩، ١٦/ ٤٠٩)؛ والاستقامة (١/ ٢١٥، ٤٣١).

- «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث»[1].
- «لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك»[2].
- «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم»[3].
- «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور»[4].
- «عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الإيمان»[5].
- «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون»[6].
- «كنت كنزاً مخفياً[7]»[8].

كما يعتقد القوم أن أبوي الرسول ﷺ مؤمنان، يقول الشلي: «وقال جمع من الحفاظ وغيرهم أن الله تعالى أحيا أبويه ﷺ حتى آمنا»[9].

ومن يطالع كتب صوفية حضرموت يجدها مشحونة بالأحاديث الضعيفة

---

(١) ضعيف. انظر: كشف الخفاء، للعجلوني (٢/١٦٩)؛ السلسلة الضعيفة والموضوعة للعلامة الألباني رحمه الله (٢/١١٥) رقم (٦٦١)، ط٥، ١٤١٢هـ.

(٢) موضوع: المصدر السابق (١/٤٥٠) رقم (٢٨٢)، ط٢، ١٤٠٨هـ.

(٣) لا أصل له: المصدر السابق. (١/٧٦) رقم (٢٢).

(٤) سفينة البضائع (ص١١٦)، والحديث موضوع باتفاق العلماء. انظر: مجموع الفتاوى (١/٣٥٦ ـ ٣٥٧) (١١/٢٩٣)؛ واقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٩٦)؛ وإغاثة اللهفان (١/٣٠٨)؛ والسلسلة الضعيفة برقم (٢٥).

(٥) موضوع: انظر: السلسلة الضعيفة والموضوعة للعلامة الألباني رحمه الله (١/٢٠٦) رقم (٩٠)، ط١، ١٤١٢هـ.

(٦) ضعيف: المصدر السابق (٢/٩) رقم (٥١٧)، ط٥، ١٤١٢هـ.

(٧) انظر: صلوات بعض أهل البيت الملحق بالنفحات القريبة في الصلاة على خير البرية، لعلوي بن محمد بن طاهر الحداد (ص٩)؛ والنفحة المدنية في الطريقة العيدروسية، لعبد الرحمن بن مصطفى العيدروس (ص٤) وقال عن الحديث: فقد صححه كشفا الشيخ الأكبر قدس الله سره في الفتوحات المكية.

(٨) قال العجلوني في كشف الخفاء (ص١٣٢): «قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلى والسيوطي وغيرهم».

(٩) المشرع الروي (١/١٠٦).

والموضوعة[١]، وقد ذكرنا أمثلة لبعض الأحاديث التي لا تصح عن رسول الله ﷺ التي يروجها المتصوفة في كتبهم، لتصحيح عقائدهم المخالفة للعقيدة الصحيحة، وهم كسلفهم من الصوفية لا عناية لهم بعلم الحديث، ولا غرو أن نجد القوم قد بنوا أكثر معتقداتهم على هذه الأحاديث، بل وألّفوا في الدعوة لهذه العقائد المخالفة.

ومن المعلوم أن علم الحديث من أشرف العلوم، وقد ذكر العلماء فضل هذا العلم وشرف منزلته ومنزلة أهله، وأثنى أهل العلم قديماً حديثاً على هذا العلم نظماً ونثراً، وبيّنوا فضله وشرف أهله فمن ذلك ما قال الحافظ أبو طاهر السِّلفي[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن علم الحديث علم رجال ... تركوا الابتداع للاتباع
فإن جنّ ليلهم كتبوه ... وإذا أصبحوا غدوا للسماع[٣]

ويقول أيضاً:

دين الرسول وشرعه أخباره ... وأجلُّ علم يقتفى آثاره
من كان مشتغلاً بها وبنشرها ... بين البرية لا عفت آثاره»[٤]

ويرى الشليُّ العمل بالحديث الموضوع اقتداءً بالصوفية مع معرفته لحكم العلماء فيه، حيث قال في مشرعه: «ولكن قال الحافظ ابن حجر أن الخبر

(١) انظر بعض تلك الأحاديث الضعيفة والموضوعة في كتبهم: قرة العين (ص١٥٧)؛ ومصباح الظلام (ص١٨)؛ ولمعة النور (ص٣١)؛ والجهاد والصوفية (ص٣٩).

(٢) هو الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السِّلفي الأصبهاني، اشتهر بالسِّلفي ـ بكسر السين المهملة وفتح اللام وكسر الفاء ـ نسبة إلى جد جده إبراهيم ـ كما رجح ذلك ابن خلكان، والحافظ ابن كثير، ولد سنة ٤٧٥هـ، ومن أبرز شيوخه الكيا الهراسي الشافعي، وأبو بكر الشاشي، وأشهر تلاميذه عبد الغني المقدسي. من آثاره: معجم أصبهان (لشيوخه الأصبهانيين فقط)؛ والأربعون البلدانية، ومعجم السفر (في التاريخ والأدب) وغيرها. توفي سنة ٥٧٦هـ. انظر في ترجمته: السير (٢١/ ٥ ـ ٣٩)؛ والبداية والنهاية (١٢/ ٣٠٧)؛ وطبقات الشافعية الكبرى (٦/ ٣٢)؛ ووفيات الأعيان (١/ ٣٢٥).

(٣) السير (٢١/ ٣٦).

(٤) كتاب الأنساب، عبد الكريم السمعاني، تقديم: محمد أحمد حلاق (٣/ ٤٣).

المذكور وهو: «من قال لا إله إلا الله سبعين ألفاً فقد اشترى نفسه من النار» باطل موضوع، قال الحافظ النجم الغيطي[١]: لكن ينبغي للشيخ أن يفعل ذلك اقتداء بالسادة الصوفية وامتثالاً لقول من أوصى به وتبركاً بأفعالهم»[٢].

انظر كيف يقدِّم القوم أهواءهم فيعملون بالحديث الموضوع في أمر توقيفي وهو الذكر الذي هو أجلّ العبادات، والعبادات توقيفية ـ كما هو معلوم ـ يتوقف إثباتها على النقل ولا دخل للعقل والهوى والعاطفة فيها، ويذهبون يمنة ويسرة للبحث عما يوافق أهواءهم، حيث جعلوا القدوة هو عمل الصوفية، ولم يجعلوا القدوة بعد رسول الله ﷺ هم سلف هذه الأمة وهم القرون المفضلة.

كما صرح القوم بأنهم لا يتقيدون إلا بمذهب سلفهم العلويين[٣]، لذا فلا غرو أن لا يعولوا على مذهب سلف الأمة، لا في الاعتقاد، ولا في معرفة الحديث ولا غير ذلك من مسائل هذا الدين العظيم.

وقد حذر الأئمة من الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، يقول الإمام الموفق ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: «أما الأحاديث الموضوعة التي وضعها الزنادقة ليلبسوا بها على أهل الإسلام أو الأحاديث الضعيفة، إما لضعف رواتها، أو جهالتهم، أو لعلة فيها ـ فلا يجوز أن يقال بها، ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها، وما وضعته الزنادقة، فهو كقولهم أضافوه إلى أنفسهم»[٤].

ويتضح من كلام هذا الإمام رَحِمَهُ اللهُ أن الزنادقة وضعوا الأحاديث الموضوعة لغرض التلبيس، لا سيما في أعظم الأمور وهي أمور الاعتقاد التي يتوقف إيمان الشخص عليها وتحقيق معانيها، ولكن لا عبرة ولا معول على ما

(١) هو نجم الدين، محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر الغيطي، أخذ عن زكريا الأنصاري عدة علوم. له عدة مؤلفات منها: الابتهاج بالكلام على الإسراء والمعراج، وله مؤلَّف في البسملة سماه الفوائد المفضلة في بعض علوم البسملة. توفي سنة ٩٨٢هـ. انظر: شذرات الذهب (٨/٤٠٦، ٤٠٧)؛ والسناء الباهر، للشلي (ص٥٤١ ـ ٥٤٢)؛ ومعجم المؤلفين (٣/٨٣).

(٢) المشرع الروي (٢/٢٢).

(٣) انظر: تذكير الناس (ص٢١).

(٤) ذم التأويل، لابن قدامة (ص٤٧).

لم يصح عن النبي ﷺ، وهذه الأحاديث التي وضعها الزنادقة هي في الحقيقة قولهم صاغوه في قالب حديثي لترويج سلعتهم الكاسدة، وأنى لهم وليوث الحديث وجهابذته لهم بالمرصاد يغربلون ما أدخلوه في الحديث كما يغربل الدقيق، لينظف من الشوائب، فللّه در أهل الحديث ما أعظم أثرهم على الناس.

فلذا يطالب الصوفية في حضرموت بالدليل على ما هم فيه من المخالفات والبدع، لا سيما ما يستدلون به من السنّة وآثار السلف، وإلا فكل مخالف قد يستدل لبدعته بالغث والسمين، يقول العلامة يحيى بن أبي الخير العمراني[1] رحمه الله: «فكل مدّعٍ للسنّة يجب أن يطالب بالنقل الصحيح بما يقوله، فإن أتى بذلك علم صدقه وقبل قوله، وإن لم يتمكن من نقل ما يقوله عن السلف علم أنه محدث مبتدع زائغ لا يستحق أن يصغى إليه»[2].

المطلب الثالث

العلم الوهبي (اللدني) عند صوفية حضرموت

اهتمت صوفية حضرموت بما يسمونه العلم اللدني فجعلوه من أوثق مصادر التلقي عندهم ويمكن بيان ذلك في الآتي:

---

(١) هو العلامة الفقيه يحيى بن أبي الخير بن سالم بن أسعد العمراني: ولد في مصنعة سير من بلاد اليمن سنة ٤٨٩هـ، وأخذ عن علماء عصره، وفي سنة ٥٢١هـ رحل إلى مكة وأخذ من علمائها، وكان جل اهتمامه بالتصنيف والتدريس، وكان عصره مليء بالفتن فقد ظهر ابن مهدي ففر الإمام العمراني إلى ذي سفال باليمن. للعمراني عدة مؤلفات منها: البيان ـ وهو من أشهر كتب الشافعية ـ، وكتاب الانتصار في الرد على القدرية الأشرار، وكتاب مشكلات المهذب وغيرها. وتوفي بذي سفال سنة ٥٥٨هـ. انظر في ترجمته: طبقات الشافعية، للسبكي (٤/ ٣٢٤)؛ وطبقات الشافعية، للأسنوي (١/ ٢١٢)؛ ومرآة الجنان، لليافعي (٣/ ٣١٨).

(٢) الانتصار (١/ ١٠٩). هذا النص بحروفه ورد من كلام أبي نصر السجزي رحمه الله في كتابه (الرد على من أنكر الحرف والصوت) (ص١٤٦)، ط٢، وهو متقدم على العمراني حيث توفي سنة ٤٤٤هـ، فلعله نقله عنه ولم يعزه إليه. والله أعلم.

أ ـ القول على الله بلا علم:

من سمات صوفية حضرموت رفعهم للجهال الذين لا علم عندهم بالعقيدة الصحيحة واعتقاد ولايتهم؛ لأن العلم الشرعي لا أهمية له عندهم، فالاعتبار عندهم هو كون الشخص على طريقة الصوفية، ويتكلم بلسان الحقيقة، وبالرموز والإشارات، ولا سيما إن كان علوياً، لما للعلوي من الميزة والمنزلة على غيره من فئات المجتمع الحضرمي، ونسوق بعض الشواهد لكبارهم ليتبين إعراضهم عن تعلم العلم الشرعي، ومع هذه البلية تجده يتكلم في مسائل الشرع من التفسير والأحكام بغير علم ولا هدى.

جاء في كتاب المشرع الروي في ترجمة محمد بن علي بن علوي الشهير بمولى الدويلة[١] (ت٩٦٥هـ): «ولم ينقل عنه أنه اشتغل بتحصيل العلم ولا بعلم الكتابة والرسم ولكن كان كلما علم شيئاً من الشريعة عمل به»[٢].

وقال عبد القادر العيدروس عن محمد مولى الدويلة هذا أنه كان: «أميا، فإن الشيخ ما نقل عنه أنه اشتغل بتحصيل العلم ولا قرأ شيئاً من الكتب»[٣].

وذكروا عن هذا الرجل الأمي الذي لم يعنى بتحصيل العلم الشرعي: «وإذا ورد عليه حال تكلم على مسائل في الشريعة والحقيقة وخاض من العلوم في بحار عميقة»[٤].

وقال أحمد بن حسن العطاس أثناء ذكره لمن يدرِّس المسائل الشرعية: «وقال رضي الله عنه: إن الحبيب صالح بن عبد الله العطاس وأمثاله من العارفين بالله ما يعوّلون على مثل هذه العلوم الظاهرة المتعلقة بالأقوال والجدال، ولو رأوها مثل هذه الجبال لعبروا عليها لأنهم بلغوا المطلوب والمقصود»[٥].

---

(١) هو محمد بن علي بن علوي بن الفقيه المقدم الشهير بمولى الدويلة: من صوفية حضرموت الأميين الذين يعظمهم القوم ويتبركون بهم، ذكروا عنه شطحات كثيرة. توفي سنة ٩٦٥هـ. انظر: الجوهر الشفاف (١/١٥٢)؛ والغرر (ص١٨٧، ٣٩٣)؛ والمشرع الروي (١/١٩٩ ـ ٢٠٢).

(٢) المشرع الروي (١/٢٠٠).

(٣) المصدر السابق (١/٢٠١).

(٤) المصدر السابق (١/٢٠٠).

(٥) تذكير الناس (ص٣٥٣).

وهذا شهادة أحد كبارهم بأنهم لا يعولون على علوم الشرع؛ لأنها علوم ظاهرة، وإنما الاهتمام عندهم بالعلوم الباطنة وهي علوم الحقيقة، فهم مستغنون عن هذه العلوم لأنهم بلغوا مقصودهم، ولا يدرى ما هو المقصود الذي بلغوه مع جهلهم بالشرع؟ هل من يجهل توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، بل وبلغ بهم أن جهلوا توحيد الربوبية ـ الذي أقر به المشركون ـ فنقضوه وذلك بإعطاء أوليائهم بعض صفات الرب تعالى، فهل بعد هذا كله يقال عمن هذا حاله أنه بلغ مقصوده ونال مطلوبه؟ نسأل الله الهداية.

ومن نصوص القوم في اعتمادهم العلم الوهبي ـ المزعوم ـ بدلاً عن العلم الشرعي ما جاء في كتاب المشرع الروي في ترجمة محمد مولى الدويلة: «وحُكي أنه أراد أن يؤم القوم في مسجد بني علوي المشهور فمنعوه وقالوا له: أنت بدوي ولا تصلح للإمامة، فلما صلوا جلس يتكلم على سورة من القرآن بكلام عظيم، فعلموا أن هذا من العلم الوهبي»[(١)].

وكذلك فإن قطبهم سعيد بن عيسى العمودي كان بدوياً أميّاً قال عنه أبو بكر المشهور: «فالشيخ سعيد بن عيسى العمودي كما تصفه كتب التراجم أنه كان أميّاً، لا يعرف القراءة ولا الكتابة إلى أن قال: فالشيخ سعيد بن عيسى أمي من حيث التدرج في طلب العلم تحت يد العلماء آنذاك، عالم بكل ما يلزم علمه من الدين، إلا أنه آثر الخمول والعزلة والبعد عن نشاط الحياة الفكرية، ومن خلال هذا الخمول كان يتعلم ويستفيد ويزداد نوراً على نور، وقد برز هذا النور جليّاً عندما قدح علم التصوف في ذهنه قوادح الحكمة. . .»[(٢)].

ومع ذلك لُقِّب العمودي هذا بألقاب كبيرة[(٣)]، كما هو شأن الصوفية في الغلو في أوليائهم ورغم جهله فقد جعل لنفسه طريقة تسمى الطريقة العمودية

---

(١) المشرع الروي (١/٢٠١).
(٢) سلسلة أعلام حضرموت (الشيخ سعيد بن عيسى العمودي) (ص٢٢ ـ ٢٣).
(٣) انظر: مقدمة كتاب عرائس الوجود.

ووجد لها اتباع في بلدان كثيرة[١].

وبناء على هذا العلم الوهبي المزعوم فقد تجرأوا على تفسير نصوص الشرع بالرأي المحض لتقرير اعتقادهم وفكرهم المخالف لمذهب أهل السنّة والجماعة دون إنكار من الأتباع، فقد جاء في كتاب: (تذكير الناس): «وأما الرزق المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]. فليس هو في تلك الجهة[٢]»[٣].

وأكثر القوم من تفسير النصوص القرآنية بأهوائهم وآرائهم[٤] دون رجوع إلى كتب التفسير المعروفة عند أهل السنّة والجماعة، لعدم حاجتهم لذلك، لذا يقولون عن تفسيراتهم المنحرفة: «ومثل هذه الأشياء والاستنباطات لا تعرفها إلا القلوب»[٥].

ب ـ اعتماد أقوال وأفعال مشايخهم في تلقي علوم الشرع:

تعتبر صوفية حضرموت أقوال وأفعال مشايخها من أرقى مناهج الاستدلال، فاعتنوا بتدوين كثير من أخبارهم في مؤلفاتهم، وتوارثوا ذلك جيلاً بعد جيل، وجعلوها المنبع الصافي الذي تستقى منه المعلومات والمعارف الدينية والدنيوية، ورفعوا مشايخهم في بعض الأحيان إلى مرتبة الرب جلَّ وعلا، يقول الدباغ: «إن تصريفي يصل حتى إلى الجنان، وإن الحور ما يفعلن شيئاً إلا بأمر مني» وكان يقول لمريده: «إن كنت تعتقد أنّ الْبِسَّ[٦] في جميع

---

(١) انظر: الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، لأبي بكر بن علي المشهور (ص١٥).

(٢) يقصد أن هذه الآية لا تشمل أهل جهة حضرموت.

(٣) انظر كذلك على سبيل المثال تفسيرهم النصوص بالآراء والأهواء: الكبريت الأحمر (ص٧٦)؛ المشرع الروي (١/١٥٦، ٢٠١)؛ وتذكير الناس (ص٢٣٦، ٢٤٢، ٢٦١، ٢٧٧، ٣١٤، ٣٨٤).

(٤) انظر: مصباح الأنام، لعلوي الحداد (ص٦).

(٥) تذكير الناس (ص١٩٦).

(٦) وتعني الهرة الأهلية باللهجة الحضرمية، وهي فصيحة إلا أنها بفتح الباء والعامة تكسرها، والواحدة منها: بهاء. انظر: القاموس المحيط (ص٥٣٣).

أقطار الأرض يأكل الفأر بغير إذن مني فما أحسنت الأدب معي»، ثم عقب الحبشي على ذلك فقال: «انظر إلى هذا الفناء العظيم، وأين اليوم هذا الاعتقاد لوما أعجبت المريد كلمة من الشيخ تغير اعتقاده»(١). ففي هذا الكلام من الحبشي تقرير لقول الدباغ أنه يتصرف في الكون والجنان والدواب، وهذا اعتقاد أخذوه عن مشايخهم ومربيهم.

وكذلك ملئت كتب القوم بتقرير كلام مشايخهم في مختلف المسائل، فقد أخذوا كلام مشايخهم في عقيدة القطبية والتصرف في الكون، وجواز التوسل الشركي والبدعي،، وكذا بقية العبادات من أذكار وغيرها.

ولا يرون الإنكار على الشيخ بل يجب أخذ كلامه على علّاته، ويجعلونه الشيخ الواسطة بين الله ومريديه كما سيأتي.

فكما يتلقون علومهم من مشايخهم الأحياء، فكذلك يتلقون من مشايخهم الأموات(٢).

وهم على طريقة سلفهم من أهل الباطل فإن تعظيم الآباء والشيوخ والاعتراض بهم على الأنبياء سُنَّة أهل الباطل، فقد ذكر الله تعالى عن المشركين: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١].

وكذلك اعترض المشركون على النبي ﷺ وقدموا أهواءهم على دينه القويم، وهديه المستقيم، فاتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم، وفضلوا طريقهم على مسلك الحق، قال تعالى مخاطباً نبيه مبيناً له حال هؤلاء المشركين: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣].

وقد انتقد علماء اليمن كتب متصوفة حضرموت لما ملئت به من الغلو في الأشياخ، وجعلهم مصدراً لتلقي الشرع(٣).

---

(١) كنوز السعادة الأبدية (ص١٧٩).

(٢) انظر: المشرع الروي (١/ ١٠٥، ١٩٥)؛ وتذكير الناس (ص٥٧، ٨٥، ٩٢).

(٣) وقد انتقد العلماء المؤلفات الخرافية لصوفية حضرموت، كالمشرع الروي الذي انتقده الشيخ =

ولم يتورع صوفية حضرموت في نقل كل ما هب ودب من القصص والحكايات الغريبة والمنكرة التي تخالف الشرع، وهم بذلك يسيئون لمشايخهم من حيث لا يشعرون، فالمعايب ينبغي سترها لا التبجح بها، ولكن ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف: ١٧]. وهذا سببه الإعراض عن اتباع النبي ﷺ والتزام سنته، واستبدال متابعته ﷺ باتباع ما قاله الأولياء والمتبوعون وإن كان مخالفاً لهذا الشرع المطهر، بل وتقديم الهوى وأماني الشيطان على شرع الله تعالى، لذا قال قوام السنّة إسماعيل التيمي[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال علماء أهل السنّة: ليس في الدنيا مبتدع إلا وقد نزع حلاوة الحديث من قلبه»[(٢)].

وقال أيضاً: «وقد قص الله علينا أن ننتهي إلى سنة نبيه، وليس لنا معها من الأمر شيء إلا الإتباع والتسليم، ولا تعرض على قياس ولا على شيء غيرها، وكل ما سواها من قول الآدميين تبع لها»[(٣)].

وقال الإمام البغوي[(٤)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

= البيحاني وتمنى أنها أكلته دابة الأرض التي أكلت عصا سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. انظر: التعليق على هداية المريد (ص٣٣). وذكر الشيخ صالح بن هلابي أن هناك مؤلف لأحد علماء إب في القرن الحادي عشر يسمى الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الإبي في ثلاثة مجلدات كبار سماه: المنهج السوي في الرد على المشرع الغوي، وهذا الكتاب مفقود. انظر: دخول الإسلام إلى حضرموت، لابن هلابي (ص١١٥).

(١) هو الإمام العلامة الحافظ إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي، أبو القاسم الأصبهاني، يلقب بقوام السنَّة. من مؤلفاته: الحجة في بيان المحجة، والترغيب والترهيب، ودلائل النبوة. توفي سنة ٥٣٥هـ. انظر: السير (٢٠/ ٨٠)؛ والوافي بالوفيات (٩/ ٢١١)، ط ١٤٠١ - ١٤٠٤هـ - بيروت.

(٢) الحجة في بيان المحجة: (٢/ ٥١٠)، تحقيق: محمد أبو رحيم. وانظر: ذم الكلام وأهله، لأبي إسماعيل الهروي (٢/ ١٥٨) برقم (٢٣٧)، ط مكتبة الغرباء الأثرية؛ وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٢١)؛ وطبقات الشافعية، للسبكي (٢/ ٦).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٣٠٦) تحقيق محمد أبو رحيم.

(٤) هو الإمام الحافظ المفسر الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (البغوي) الشافعي. من مؤلفاته: معالم التنزيل في التفسير، ومصابيح السنَّة، وشرح السنَّة، والتهذيب في الفقه الشافعي. توفي سنة (٥١٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٣٩)؛ والبداية والنهاية (١٢/ ٢٠٦).

أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩]؛ «أي: إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حياً، وبعد وفاته إلى سنته، والرد إلى الكتاب والسنّة واجب إن وجد فيهما، فإن لم يوجد فسبيله الاجتهاد»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة فهذه الثلاثة هي أصول معصومة»[٢].

المطلب الرابع

تقسيم صوفية حضرموت الدين إلى شريعة وحقيقة

ومن الأمور المبتدعة عند صوفية حضرموت تقسيمهم الدين إلى شريعة وهذه للعوام، وحقيقة وهذه للخواص، وزعمت أن نصوص الشريعة لها ظاهر وباطن، فالظاهر للعوام، والباطن هو لب الدين ومقصد الشارع، فلا يدركه إلا أولياؤهم وأقطابهم العارفون بالله تعالى دون غيرهم، مما أدى بغلاتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة.

وبهذا التقسيم فتحوا الباب لإسقاط التكاليف الشرعية عن كبارهم، وزعم أن التزام التكاليف إنما هو للعوام بينما هم قد وصلوا للحقيقة التي ينشدها كل صوفي، فأدى ذلك إلى نقض عرى الإسلام ومبادئه العظام بتقسيمات الصوفية هذه، وهذا التقسيم وفق منهج متقدميهم من الصوفية[٣].

وقد عرّف الصوفية الحقيقة بأنها: «سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه[٤]، بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت»[٥]، فمعناه عند القوم مشاهدة الربوبية[٦].

أما الشريعة فيعنون بها: التزام العبودية مما ورد به التكليف في الأمر

---

(١) تفسير البغوي (٢/ ٢٤٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤).
(٣) وقد رد أهل العلم على الصوفية وبيان بطلان هذا التقسيم، انظر: تلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص٣٠٨).
(٤) يعني الله تعالى.
(٥) المعجم الصوفي، للحفني (ص٧٨).
(٦) انظر: الرسالة القشيرية (ص١٥٥)؛ والمعجم الصوفي للحفني (ص٧٩).

والنهي، والإباحة والحظر[١].

والحقيقة عند القوم تكون بلا واسطة عن طريق الكشف والإلهام، ونتيجة لهذا التقسيم فقد خصوا أنفسهم بأنهم أهل الحقيقة، مما جعلهم يعظمون علومهم ويحطّون من علوم الشرع التي هي ـ في نظرهم ـ أخذ هالك عن هالك، أما هم فيأخذون العلم مباشرة من الحي الذي لا يموت كما قال ذلك أبو بكر بن سالم ـ مولى عينات ـ[٢].

وقد قال الجنيد ـ الملقب عند الصوفية بسيد الطائفة ـ: «المريد الصادق غني عن العلم والعلماء»[٣].

وهذا من أقوى الأدلة على عدم تعويل الصوفية؛ متقدميهم ومتأخريهم على الكتاب والسنّة، فهذا كلام مقدمهم الجنيد الذي ادعى كبار صوفية حضرموت وهو علوي ابن الفقيه المقدم أنه في منزلته[٤].

وقد أجاب عبد الله العيدروس ـ الملقب بالقطب شمس الشموس ـ عن سؤال ورد له عن الفرق بين الشريعة والحقيقة ومما جاء في الجواب: «فالعلم المتجلي عن الجسم علم ظاهر، وهو علم الشريعة، والعلم المتجلي بالقلب علم باطن، وهو علم الحقيقة، فأقام ظاهر الإسلام على أركان القائم بها جوارح الأبدان، وأقام حقيقة الإيمان والإحسان على يقين وبيان، القائم بها تصميم الجنان، ولكن لما خفي عن الأسماع الحسية ما بالقلب جعل لها ترجمان، وهو اللسان، فارتبطت الشريعة بالحقيقة، والحقيقة بالشريعة، إلى أن ذكر قول أهل الجمع من أرباب الدعوة الذين فصلوا القول بين أهل الشريعة والحقيقة: «فناداهم أهل الجمع من أرباب الدعوة: أما سمعتم شاووش التوفيق على قارعة الطريق ينادي: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فالاجتهاد هو

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية (ص١٥٥)؛ والتعريفات للجرجاني (ص١٦٧).
(٢) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر (١/ ٦٢).
(٣) الطبقات الكبرى، للشعراني (٢/ ١٧٥)، ط دار الفكر العربي.
(٤) انظر: شرح العينية (ص١٧٣).

الشريعة، وهو تعاطي أقوال الشريعة بالأعمال ليهديه سبله وهو الحقيقة...»[(١)].

فالقوم يقسمون الدين إلى شريعة وحقيقة، أو إلى علم الظاهر وعلم الباطن ويفسرون نصوص الوحي بما يناسب هذا التقسيم دون الرجوع لكلام المفسرين، فلا سلف لهم إلا عقولهم وأهواؤهم، والكلام في شرع الله بلا علم من كبائر الذنوب قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وجاء في كتاب المشرع الروي ترجمة محمد بن علوي بن محمد[(٢)] (ت١٠٧١هـ): «وهو أحد مشايخي في علم الشريعة والطريقة ومن أجل مشايخي في علم الحقيقة...»[(٣)].

وجاء في ترجمة أبي بكر العيدروس العدني: «جمع الله فيه علم الحقيقة والشريعة...»[(٤)].

وبهذا التقرير وتقسيمهم للدين إلى شريعة وحقيقة، شحنوا كتبهم بالثناء على علم الحقيقة، وجعلوه الغاية فتراهم إذا ذكروا أحد مشايخهم أو أوليائهم قالوا بأنه: ينظر بعين الحقيقة، وأن فلاناً أخذ عنه علم الحقيقة، أو أن له قدماً في علم الحقيقة[(٥)].

ولم تعرف هذه التقاسيم عند الصحابة، فلم يثنِ ﷺ إلا على علم الكتاب والسنّة كما قال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه بالدين»[(٦)]، فالخير كل الخير

---

(١) المجموعة العيدروسية (ص١٧٧).

(٢) هو محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر العلوي، من متصوفة حضرموت، نزيل الحرمين، رحل إلى الهند وأخذ عن صوفيتها من آل العيدروس هناك، وذكروا له عددا من الكرامات. توفي بمكة سنة ١٠٧١هـ. انظر: المشرع الروي (١/ ١٩٢ ـ ١٩٣).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٩٣). (٤) المصدر السابق (٢/ ٣٧).

(٥) انظر: الغرر (ص١٤٦)؛ والمشرع الروي (٢/ ٥٤، ٨٩)؛ وتذكير الناس (ص١٥٠، ٢٢٠، ٢٧٤).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (ص٣٩) برقم (٧١)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (ص٣٩٨) برقم (١٠٣٧). من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

في التفقه في دين الله تعالى وذلك بتعلم العقيدة الصحيحة، ومعرفة أحكام الشرع العملية وتطبيق ذلك قولاً وعملاً وسلوكاً، والبعد عن مسالك هذه الطرق البدعية التي سلكها المتصوفة، والتي ما أنزل الله بها من سلطان ولا عرفها سلف الأمة وأئمتها، فكما قيل:

وكل خير في اتباع من سلف ... وكل شر في ابتداع من خلف

فالطرق عند صوفية حضرموت ثلاث: الشريعة والطريقة والحقيقة. يقول عبد الله بن أبي بكر العيدروس عن هذه الطرق وترتيبها عندهم: «وعند القوم: الشريعة كالسفينة، والطريقة كالبحر، والحقيقة كالدر، فمن أراد الدر ركب السفينة، ثم شرع في البحر ثم وصل إلى الدر»(١).

بل وصرحوا بأن غايتهم علم الحقيقة، فقد جاء في ذكر مناقب سالم بن أحمد بن شيخان العلوي(٢): «ولا يرى من العلوم إلا علم الحقيقة، وربما قال: لا فائدة في علم الطريقة»(٣).

وزهد القوم في علم الشريعة والطريقة وجعلوهما وسيلة، وإنما الغاية عندهم علم الحقيقة، ويبين عبد الله العيدروس الحقيقة التي ينشدها صوفية حضرموت بقوله: «وأما الحقيقة فهي الوصول إلى المقصد، ومشاهدة نور التجلي»(٤).

كما احتقر القوم علم الشريعة الذي يسمونه علم الظاهر ورفعوا علومهم فوقه، يقول الشلي عند ذكر مناقب عبد الرحمٰن بن محمد مولى الدويلة (السقاف) موصياً ولده بعلومهم دون التعويل على علم الشرع: «وذكر في بعض الأيام في درسه فضل الفقه فعزم ولده عمر أن يفني عمره في الفقه ويترك غيره

---

(١) الكبريت الأحمر (ص٧٢).

(٢) هو سالم بن أحمد شيخان العلوي، من صوفية حضرموت، أخذ عن علماء مكة. من مصنفاته: بلغة المريد وبغية المستفيد، شرح فيها أبيات للعفيف التلمساني، وشرح الجوهر الرابع والخامس من كتاب محمد غوث الله بن خطير الدين الصوفي؛ ومصباح السر اللامع بمفتاح الجفر الجامع. توفي بمكة سنة ١٠٤٦هـ. انظر: المشرع الروي (٢/ ١٠٤ ـ ١١١).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١١٠). (٤) الكبريت الأحمر (ص٧٢).

من العلوم فلما انقضى المجلس ناداه وقال له: يا عمر اجتهد في أعمال القلوب إن الفقهاء معهم قبس ومع الصوفية جذوة وأوقية من عمل الباطن تعدل بهاراً[١] من عمل الظاهر»[٢]، ويتضح مما تقدم أن القوم بهذا التقسيم المبتدع للدين قد سوّلت لهم أنفسهم تحقير علم الشرع وهو علم الكتاب والسنّة حيث وصفوه بأنه كالسفينة، أي وسيلة للوصول إلى غايتهم المنشودة وهي مشاهدة نور التجلي المزعوم، وقد يعبرون عن هذا التقسيم بعلم الظاهر والباطن، ويجعلون علم الباطن أشرف من علم الظاهر[٣].

وقد ردّ أهل العلم تقسيم صوفية حضرموت الدين إلى حقيقة وشريعة ومنهم الشيخ محمد بن علي بافضل[٤] رحمه الله حيث قال: «أما التفريق الذي جرى على ألسنة الصوفية ومن شايعهم وسار بسيرهم، من أن الشريعة غير الحقيقة فغير مسلَّم به؛ لأنه لم يرد في كتاب الله، ولم يجر على لسان رسول الله، ولا على ألسنة الخلفاء والصحابة ومن تبعهم بإحسان. كيف وربنا يقول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]»[٥].

---

(١) البهار مقدار من الوزن يستخدم في حضرموت قديماً، وتقدر كميته ب٣٠٠ رطل. انظر: كتاب (كلمات في الدارجة بمدينة تريم) (ص١٤).

(٢) المشرع الروي (٢/ ١٤٢).

(٣) انظر تصريحهم بهذه التقسيمات: كتاب النفائس العلوية في المسائل الصوفية (ص٣٤)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١١٨) وذكره لرسالة أبي بكر العيدروس في الفرق بين الشريعة والحقيقة؛ وكتاب المناصرة والمؤازرة لأبي بكر المشهور (ص٦٠)؛ وكتابه الآخر: «الشيخ عمر المحضار أبو عائشة» (ص١٥ ـ ١٦).

(٤) هو الشيخ العلامة محمد بن علي بافضل، ذكر بعضهم أن ترجم لنفسه بترجمة بعنوان (حياتي) ـ لم أقف عليها ـ.

وقد كانت دراسته الأولى في رباط تريم على يد عبد الله بن عمر الشاطري، ثم هاجر إلى الصومال ومكث هناك ردحاً من الزمن، والتقى ببعض المصريين من أنصار السنَّة وبذلك تحول إلى الاطلاع على كتب الإمامين ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله وأئمة الدعوة السلفية في مختلف العصور حتى صار بذلك من أعلام الدعوة السلفية. ومن أشهر آثاره كتابه: دعوة الخلف إلى طريقة السلف. وقد توفي رحمه الله سنة ١٤٠٤هـ. انظر: مقدمة كتاب (دعوة الخلف إلى طريقة السلف).

(٥) دعوة الخلف إلى طريقة السلف، للشيخ محمد بن علي بافضل (ص٢٥٦). وانظر أيضاً: =

هكذا يقسم القوم دين الله تعالى إلى حقيقة وشريعة، مستهدفين بذلك نقض الدين ـ شعروا أم لم يشعروا ـ وأرادوا بهذا التفريق أن يبنوا على ما يسمونه الحقيقة أوهامهم السخيفة وآراءهم الممقوتة الباطلة، وادعاءاتهم الكاذبة. وهذا التفريق مبتدع لا غير. عادوا به ـ كسلفهم من أهل الضلال ـ علماء الشريعة وسموهم بأهل الظاهر، وأما علماؤهم فسموهم بعلماء الحقيقة وعلماء الباطن[1].

هكذا ضلُّوا وأضلوا بهذه التقسيمات المبتدعة والغايات المزعومة التي ما أنزل الله بها من سلطان، ويصدق عليهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

ومن آثار هذا التقسيم المنحرف: إسقاط التكاليف عنهم مثل ترك صلاة الجماعة[2]، بل ترك الصلاة[3]، وترك الطاعات، بزعم أن صوفيتهم لا ذنوب عندهم، والمعصية لم تقترب من الشيخ ولا هو من أهلها[4].

بل وترك الولي العبادات كالصلاة بدعوى أن هذا الولي يتجزأ إلى تسع صور كلها صلت في الهواء على صورة الولي[5].

ولا يؤاخذ القوم شيوخهم في ارتكاب المنكرات، كما كان يفعل أحمد الهدار[6] الذي كان يمس أجساد النساء، بزعمه أنه بهذا العمل المنكر يخرج

= إلزام المؤلف لصوفية حضرموت بلوازم لهذا التقسيم؛ وبيان عدم الدليل على تفريقهم بين الشريعة والحقيقة: المصدر السابق (ص٢٥٨).

(١) انظر: دعوة الخلف إلى طريقة السلف (ص١٥٧). وذكر الشيخ بافضل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصة له مع جماعة من المتصوفة تنقصوا علم الشريعة وعلماءها وشبهوهم بالعميان، بينما أهل الحقيقة بزعمهم هم المبصرون لحقائق الأمور، فقال الشيخ عقب هذه القصة: «هذا مبلغ تندرهم بالفقهاء الذين أخذوا علمهم من كتاب الله وسنة رسوله ـ ألا قاتل الله الجهل».

(٢) انظر: العقود المسجدية (ص١٩١). (٣) المصدر السابق (ص٣١٤).

(٤) انظر: كنوز السعادة الأبدية (ص٥١). (٥) المصدر السابق (ص٥٥).

(٦) هو أحمد بن محسن الهدار ـ صاحب المكلا، من صوفية حضرموت. من آثاره: صلوات على النبي ﷺ طبعت في حياته تحت اسم (روض الأنوار ومختصر كنز الأسرار)؛ والعقد الفريد. توفي بالمكلا سنة ١٣٥٧هـ. انظر: قبسات النور (ص١٧٥ ـ ١٧٨).

شهوة الزنا منهن(١).

وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالمداومة على العبادة حتى الموت، فقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩].

فهذا أشرف خلق الله تعالى مأمور بالعبادة طيلة حياته، ولا تسقط عنه التكاليف بحال، وكذا لم يدع أتباعه سقوط التكاليف عنهم، بل إن العز والرفعة في طاعة الله تعالى، والنقص والضلال في الانحراف عن ذلك.

وقد ردّ أهل العلم على الصوفية في إسقاط التكاليف، فقد قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي يدّعي صوفية حضرموت أنه من العلماء الذين يجلونهم ويأخذون بأقوالهم: «ترك العبادات المفروضة زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد بحال من الأحوال»(٢).

والله تعالى قد خلق العباد لعبادته فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وصوفية حضرموت على طريق سلفها من المتصوفة الذين ادعوا سقوط التكاليف عن أنفسهم بإشارات وعبارات غريبة، لذا قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر ترجمة الحكيم الترمذي «نعوذ بالله من الإشارات الحلاجية، والشطحات البسطامية، وتصوف الإلحادية، فواحزناه على غربة الإسلام والسنّة»(٣).

وبطلان هذا الفكر معلوم عند كل من له مسكة من العقل أو نصيب من العلم بدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ومن آثار هذا التقسيم تصحيح كتب الزندقة، مثل كتب الحلاج فقد قال عبد الرحمٰن السقاف في معرض كشوفاته وهو يتكلم بلسان الحقيقة ـ كما يقول الشلي ـ: «اطلعنا على الحلاج وظننا أن بزجاجته كسراً فوجدناها ترشح وليس بها كسر»(٤).

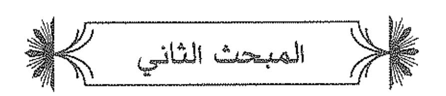
---

(١) انظر: القصة في كنوز السعادة الأبدية (ص٢٣٧). وهناك قصص كثيرة في ذلك بحجة الولاية. انظر: نور البصيرة (١٢٨، ١٢٩، ١٣٠)؛ وعقود الألماس (ص٨٦).

(٢) الفتح الرباني، للجيلاني (ص٢٩).

(٣) السير (١٠/٣٩).

(٤) المشرع الروي (٢/١٤٣).



المبحث الثاني

الكشف



تمهيد

الكشف لغة: الكاف والشين والفاء، أصل صحيح يدل على سَرْو الشيء عن الشيء، كالثوب الذي يُسْرَى على البدن يقال: كشفت الثوب وغيره أكشفه[١].

والكشف رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه. وكشف الأمر يكشفه كشفاً: أظهره[٢].

واصطلاحاً: الكشف في اصطلاح الصوفية: الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية، وجوداً وشهوداً[٣].

وعُرّف الكشف بأنه: «رفع الحجاب»[٤].

وعرف الكاشاني[٥] المكاشفة بأنها: «شهود الأعيان، وما فيها من الأحوال في عين الحق، فهو التحقيق الصحيح بمطالعة تجليات الأسماء الإلهية»[٦].

وقال السراج[٧]: «الكشف: بيان ما يستتر عن الفهم، فيكشف عنه للعبد

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٨١ ـ ١٨٢). (٢) لسان العرب (١٢/ ١٠٢).
(٣) المعجم الصوفي، للحفني (ص٢٠٨). (٤) كتاب التعريفات، للجرجاني (ص١٥١).
(٥) هو عبد الرزاق بن أحمد بن أبي الغنائم القاشاني، أو الكاشاني، أو الكاشي، شارح كتب الصوفية، وأحد مشايخ الطريقة السهروردية، نسبته إلى قاشان (مدينة قرب أصبهان)، له مؤلفات منها: شرح منازل السائرين للهروي، وكشف الوجوه الغُر في شرح ابن الفارض، واصطلاحات الصوفية، توفي بشيراز سنة (٧٣٠هـ). انظر: الأعلام (٣/ ٣٥٠)؛ ومعجم المؤلفين (٥/ ٢٥١).
(٦) معجم اصطلاحات الصوفية، لعبد الرزاق الكاشاني (ص٣٤٦).
(٧) هو أبو نصر عبد الله بن علي بن محمد السراج الطوسي، من مؤلفاته: اللمع. توفي سنة =

كأنه رأي العين»[١].

فيتضح من هذه التعاريف أن معنى الكشف عند الصوفية يدور حول الإظهار، وعدم الستر، وهو بعبارة جامعة: الحقيقة المدركة من عالم الغيب يقظة[٢].

ويقول الكاشاني أن المشاهدة: «في ولاية الذات، كما أن المكاشفة في ولاية النعت، فالمشاهدة شهود الحق بارتفاع الحجاب مطلقاً»[٣].

ويعتبر الكشف من أعلى مصادر التلقي عند صوفية حضرموت، حيث زهدوا في العلوم الشرعية لاعتمادهم على علوم الكشف من الإلهام ونحوه، فكما أن القلب عند الصوفية يدرك حقائق الأشياء على ما هي عليه فكذلك فإن للبصر عندهم نصيباً في إدراك صور العوالم السفلية والعلوية عياناً؛ كرؤية الملائكة، والإطلاع على اللوح المحفوظ، ورؤية الأنبياء بعد موتهم يقظة، ولا يقتصر الكشف على الأمور الكونية بل يتعدى ذلك إلى معرفة الأمور الشرعية والأحكام، إما عن طريق الإلهام أو أخذها مشافهة من الرسول ﷺ، أو عن الخضر عليه السلام أو بغيرها من الوسائل المعتمدة عند الصوفية[٤].

ومن انحراف الصوفية القرآن والسنّة على الكشف، فإن خالفهما أخذوا به، وأعرضوا عنهما فاعتمدوا على العلوم الإلهامية دون التعليمية، فلم يحرصوا على دراسة العلم والتصنيف في فنونه.

فالكشف يعتبر مصدراً وثيقاً للعلوم والمعارف عند صوفية حضرموت، لذا فهدف الصوفية في عباداتهم كسلفهم من المتصوفة هو تحصيل المكاشفات والتأثيرات[٥].

= ٣٧٨هـ. انظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ ـ ٣٨٠هـ) (ص٦٢٥ ـ ٦٢٦) الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ؛ وشذرات الذهب (٤/٤١٣). تحقيق وتخريج: عبد القادر الأرناؤوط وابنه محمود، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار ابن كثير ـ دمشق.

(١) اللمع (٢٤٩).

(٢) الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢١٠).

(٣) معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (ص٣٤٧).

(٤) انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً، لصادق سليم صادق (ص٢٠٨ ـ ٢٠٩).

(٥) انظر: كتاب الصفدية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٢٣٥)، ط٢، مكتبة ابن تيمية ـ مصر.

والكشف عند الصوفية يكون في الأمور الكونية والشرعية، ويدخل تحت مسماه أنواع كثيرة: كالرؤية في اليقظة للأنبياء والأولياء بعد موتهم، والرؤى المنامية ورؤية الخضر عليه السلام والإطلاع على المغيبات إما بعين البصر أو البصيرة وغيرها من الأنواع، وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه الأنواع ودخولها تحت مسمى الكشف أو المكاشفة فقال: «فما كان من الخوارق من باب العلم، فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره. وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره: يقظة ومناماً، وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره: وحياً وإلهاماً أو إنزال علم ضروري أو فراسة صادقة. ويسمى كشفاً ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات: فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله كشفاً ومكاشفة أي كشف له عنه»[(١)].

النصوص الدالة على قول صوفية حضرموت بالكشف:

ومن نصوص القوم في اعتماد هذا المصدر ما قاله علي بن أبي بكر السكران: «أدركت أكثر الماضيين من آل أبي علوي ما أحد منهم يحمم شاربه ـ أي ينبت ـ إلا وهو مكاشف»[(٢)].

وغلا القوم في مشايخهم المعتمدين الكشف مصدراً أساسياً في تلقي العلوم فقالوا: «قال بعضهم: الشيخ عبارة عمن علم من الله علماً لدنيّاً كاشفاً للحقائق والدقائق، فارقاً بالسبق في العوالم والمعالم، والعلويات والسفليات، والجزئيات والكليات، بين الحق والحقيقة، والوهم والخيال، وما وجب وما أمكن وما استحال، وما بين إلقاء الملك والشيطان، والهمة واللمة، والنفث في الروع والإلهام والخطرات والنزعات. . .»[(٣)].

ويرى القوم إن إلباس عبد الله الصالح المغربي الخرقة لمؤسس طريقتهم العلوية محمد بن علي الفقيه المقدم كان: «بإذن رباني يقظة وكشفاً، مع بشارات عظيمة»[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣١٣).
(٢) كتاب مصباح الظلام (ص٥١).
(٣) ظهور الحقائق (ص٣٦).
(٤) شرح العينية (ص١١٣).

واعتمد القوم في الكشف على القلب كأداة للمعرفة، فعلومهم لدنية ذوقية، لا تعتمد على العقل واستدلالاته، ولا على المعرفة الحسية المباشرة، ولا على التجربة والمشاهدة، إنما هي من قبيل العرفان المباشر.

يقول علوي الحداد في كلام له عن الكرامات وما اختص به الأولياء دون غيرهم: «ومن جملة الخصوصيات علم الكشف وعلم الإلهام، أما الكشف فقد كشف الله ﷻ لعمر بن الخطاب عن سارية وهو على المنبر يخطب حتى قال: يا ساريةُ الجبل[(١)] محذراً له من العدو وسارية بأرض العجم فسمع صوت عمر من مسيرة شهر وفي الخبر الصحيح: «إن في أمتي مُلهَمون أو مُحَدَّثون ومنهم عمر»[(٢)] وورد أيضاً: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[(٣)]، وأما الأسرار الإلهية فلو لم يرد في إثباتها إلا الحديث القدسي وهو قوله تعالى: «الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي»[(٤)] لكفى به دليلاً فلا ينكر أسرار أولياء الله إلا المحرومون»[(٥)].

ويردّ عليه بأن قصة سارية لا دليل له فيها لأن النداء المذكور إنما كان إلهاماً من الله تعالى لعمر رضي الله عنه لأنه محدَّث كما تقدم ـ، ولكن ليس في الأثر

---

(١) روى هذه القصة البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٧٠)؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة (٧/ ١٤٠٩ ـ ١٤١٠) برقم (٢٥٣٧)؛ وابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٣١) وساق إسنادها وقال (وهذا إسناد جيد) وذكر لها عدة طرق ثم قال: فهذه طرق يشذ بعضها بعضاً. وانظر: السلسلة الصحيحة (٣/ ١٠١ ـ ١٠٤) برقم (١١١٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، بابٌ حدثنا أبو اليمان، (ص٦٦٨) برقم (٣٤٦٩)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (ص٩٧٦) برقم (٢٣٩٨). ولفظ الحديث: «إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدَّثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب».

(٣) ضعيف. أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر (ص٤٩٧) برقم (٣١٢٧)؛ وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٨١)؛ والخطيب في تاريخه (٧/ ٢٤٢)؛ وغيرهم. انظر: السلسلة الضعيفة (٤/ ٢٩٩) برقم (١٨٢١).

(٤) هذا من الأحاديث الموضوعة التي يروجها المتصوفة ويوردونها في مؤلفاتهم بلا زمام ولا خطام.

(٥) كتاب مصباح الأنام (ص١٩).

أن عمر كشف له حال الجيش وأنه رآهم بعينه كما يستدل بذلك المتصوفة على ما يسمونه بالكشف للأولياء وعلى إمكان إطلاعهم على ما في القلوب فإن ذلك من أبطل الباطل؛ لأن تلك صفة الرب تعالى عالم الغيب والشهادة، وكذلك فهؤلاء الأولياء ليسوا رسلاً لله تعالى حتى يقال أن الله تعالى يطلعهم على بعض الغيوب، ثم لو صح تسمية ما وقع لعمر رضي الله عنه كشفاً فهو من الأمور الخارقة للعادة، التي قد تقع للمؤمن وللكافر، ولذا يقول العلماء أن الخارق للعادة إذا صدر من مسلم فهو كرامة، وإلا فهو استدراج، وما وقع لعمر من الكرامة التي أكرمه الله بها لإنقاذ جيش المسلمين من الأسر أو الفتك به هو من باب الإلهام في عرف الشرع، أو التخاطر في عرف العصر الحاضر ولقد أحسن من قال:

إذا رأيت شخصاً يطير ... وفوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف على حدود الشرع ... فإنه مستدرج وبدعي[1]

المشاهدة عند صوفية حضرموت:

والمشاهدة: تعني المحاضرة والمداناة، وقيل هي رؤية الحق ببصر القلب من غير شبهة، كأنه رآه بالعين[2].

فالمشاهدة عند القوم تعتبر فلسفة صوفية، قائمة على ادعاء علم الغيب، ويتلقون بها تعاليمهم المختلفة[3].

يبدأ الكشف بالمحاضرة وهي حضور القلب مع الحق في الاستفاضة من أسمائه سبحانه وقيل الرؤية قبل رفع الحجاب. وقيل: المحاضرة ابتداء، ثم المكاشفة، ثم المشاهدة، فالمحاضرة حضور القلب، وقد يكون بتواتر البرهان، وهو بُعْد وراء الستر، وإن كان حاضراً باستيلاء الذكر[4].

ويزعم صوفية حضرموت مشاهدة الحق تعالى بالعين الباصرة في الدنيا،

---

(١) انظر: السلسلة الصحيحة (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٤).
(٢) المعجم الصوفي، للحفني (ص٢٣٢).
(٣) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢١٣).
(٤) انظر: الرسالة القشيرية (ص٤٠)؛ ومعجم المصطلحات الصوفية للحفني (ص٢٣٧).

والتلقي منه مباشرة، وهكذا تدرج بهم الشيطان حتى زعموا لأوليائهم رؤية الله تعالى ونزوله لأوليائهم كرامة لهم وعرض عليهم فضله عليهم وإجابته لما يريدون ـ تعالى الله وتقدس عما يقولون علواً كبيراً ـ فقد جاء في كتاب تذكير الناس عند ذكر عبد الله بن حسين بن طاهر وذِكْر خلوته المعدة للعبادة: «وكانت له خلوة يعين له فيها مجلساً خاصاً ويحذر أهله وغيرهم من الدخول عليه بغير إذن، فجاء الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى ففتح الخلوة عليه فوجده مالي الخلوة فرجع ثم بعد خروجه أخبره بما رآه منه وسأله عن حالته تلك فعاتبه وقال: كيف وأنا حذرتكم من الدخول علي. فقال له قد وقعنا فيها: وأخبرني بما جرى لك فقال: كنت في تلك الساعة في حضرة الله تعالى ونازلني وقال لي: يا عبد الله لك علي ما شئت...»[١].

وفي هذا النص بيان ادعاء القوم مشاهدتهم العندية حقيقة لله تعالى، وليس كما يقول الصوفية في تعريف الكشف كما تقدم.

ومن مشاهدات القوم رؤيتهم للملائكة عيانا؛ فقد جاء في كتاب (منهل الوراد): «ومن أجلّ الكرامات وأعظمها ما يقع لخواص الأولياء من الاجتماع بالنبي ﷺ وسؤالهم إياه عما أشكل عليهم ما صرّح به غير واحد إذ هو حي في قبره[٢]، وليس ذلك بعيد كمشاهدة أرباب القلوب الزكية في يقظتهم الملائكة وأرواح الأنبياء أو سماعهم منهم أصواتاً، واقتباسهم منهم فوائد وليس ذلك ببعيد»[٣].

ويقول أحمد بن زين الحبشي عن علي بن محمد بن علوي خالع قسم: «له الحظ الوافر في الكشف والمشاهدة...»[٤].

وجاء في كتاب البرقة المشيقة: عند ذكر محمد بن علي الفقيه المقدم:

---

(١) تذكير الناس (ص٢١٧).

(٢) ستأتي مناقشة قولهم بحياة النبي ﷺ في قبره كحياته في الدنيا وبيان بطلان هذا الاعتقاد، إن شاء الله تعالى، انظر: (ص٢٧١ و٤٩٩) وما بعدها من هذا البحث.

(٣) منهل الوراد (ص٢٤٧)، ط العصرية ١٣٩١هـ.

(٤) شرح العينية بهامش كتاب منهل الوراد (ص٢٤٧). المطبعة الميرية.

«كان له حضرات وحضورات ومشاهد مشهورة ومجالس مشهورة يحضرها الملائكة والأنبياء. .»[١].

كما يزعمون أن المشاهدة تكون للقلوب[٢]، لذا فقد أكثرت صوفية حضرموت من ذكر المشاهدات القلبية في مصنفاتها، والتطلع للغيوب وما تكنه الضمائر، فمن هذه النصوص ما ذكره الشلي عند ذكر كرامات محمد بن علوي بن محمد (ت١٠٧١هـ): «ومنها: أني عند الملاقاة خطر بالبال والذكر أن يلقني الذكر فما استتم خاطري إلا وقد نظر إلي وأقبل بوجهه علي ولقنني الذكر الذي خطر في نفسي»[٣].

وادعوا شهرة بعض أوليائهم بمكاشفة الناس عما في خواطرهم[٤]، ومعرفة مصير الإنسان في مستقبله، كما ذكر الشلي أن أهل الكشف كانوا يسمون أبا بكر بن عبد الله العيدروس بالعدني قبل دخوله عدن واستقراره بها وموته فيها[٥].

وأقوالهم في هذه المسألة كثيرة جداً فقد ملئوا كتبهم بأقوال أهل الكشف في الإخبار عن مسائل دينهم ودنياهم.

ويدعون المشاهدات الروحية لعلمائهم، وأن هذا الشيء سر لا يدركه أي أحد، فقد جاء في كتاب الجواهر: «قال العلامة المتفنن سيدنا الإمام أحمد بن حسن العطاس: أن سيدنا الشيخ أبا بكر مخاطباته وتجلياته وترقياته ومشاهداته كلها روحية نبوية، ما يتكلم بلسانه إنما يتكلم بلسان النبي ﷺ وهذه الأشياء مكنونة ما يحسن الخوض فيها لأنها من علوم الأرواح»[٦].

واستخدم القوم أنواعاً من الكشف ويمكن بيانه في الآتي:

---

(١) البرقة المشيقة (١٠٥ ـ ١٠٦). وانظر ادعائهم رؤية الملائكة: المشرع الروي (٢/ ٣٢).
(٢) انظر: طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي (ص٣٦٨).
(٣) المشرع الروي (١/ ١٩٣).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٢٨).
(٥) انظر: المصدر السابق (٢/ ٣٧).
(٦) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر (١/ ٩٥).

دعوى رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته:

يعتقد أهل السنّة والجماعة أن الرسول ﷺ لا يرى يقظة بعد موته[١]، ومن زعم ذلك فإنما هو من إضلال الشيطان له وتلبيسه.

ومسألة التلقي عن الرسول ﷺ يقظة بعد موته من أهم وأوثق المصادر عند صوفية حضرموت التي يأخذون منها علومهم ومعارفهم.

وقد طفحت كتب تراجم القوم كـ(الجوهر الشفاف)، (والمشرع الروي)، (وشرح العينية)، (والغرر) وغيرها بقصص كثيرة لإثبات هذه العقيدة المنحرفة التي أولع بها القوم، ودعوا إلى اعتقادها في قصص وحكايات اخترعوها لإثبات وقوع التقاء أوليائهم ومشايخهم بالنبي ﷺ - بزعمهم - وطرح الأسئلة عليه ومباحثته في بعض شئونهم وغير ذلك لأخذ العلوم المتعلقة بدينهم ودنياهم.

ومن الذين قرروا هذه العقيدة علوي بن أحمد الحداد حيث قال: «فالاجتماع بالنبي ﷺ لبعض الأولياء من قبيل الخصوصيات»[٢].

وجاء في كتاب الأجوبة الغالية: «رؤيته ﷺ في اليقظة ممكنة وواقعة، فقد ذكر العلماء نفع الله بهم كثيراً من العارفين بالله رأوه في المنام ثم رأوه في اليقظة وسألوه عن أشياء من مصالحهم ومآربهم»[٣].

فالتلقي عن النبي ﷺ وأخذ علومهم - بزعمهم - منه ﷺ من الموضوعات التي يدعون تلقيها من النبي ﷺ عند رؤيته يقظة، وهي المسائل التي لها تعلق بمصالحهم ومآربهم فيدخل في هذه المصالح الأمور الدينية والدنيوية، وبناء على هذا الاعتقاد ساقوا القصص والحكايات التي تدل على تلقي أوليائهم ومشايخهم من النبي ﷺ مختلف العلوم والمعارف الدينية والدنيوية مباشرة وفي اليقظة.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٩٣)؛ وفتح الباري (١٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠١).
(٢) كتاب مصباح الظلام (ص٢٨).
(٣) الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية (ص١٠٠).

وهذا التقرير من القوم باطل، ترده النصوص الشرعية وكذا العقل، وما بني على هذا الباطل فإنه باطل مثله كما سيأتي.

ونذكر بعض النصوص الشرعية لإبطال زعم التلقي من الرسول ﷺ يقظة بعد وفاته، مع ذكر كلام أهل العلم في ذلك لبيان الحق، فأما المعرض عن الحق، ومن لا ينقاد له بعد تبينه ووضوحه فلا حيلة فيه، ولا تزيده كثرة الأدلة إلا عتواً وضلالاً.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠].

والشاهد قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: أن بين البعث وهذه الدنيا؛ البرزخ الذي يستقر فيه الموتى، وهي المقابر، فلا هم في الدنيا ولا في الآخرة وإنما هم مقيمون في هذه القبور إلى يوم يبعثون[1].

وقولهم بخروج النبي ﷺ بجسده وروحه قبل وقت البعث مخالف لنص الآية.

وكذلك يرد زعمهم الفاسد وهو رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته[2] بأن النبي ﷺ لم يخرج من قبره لخواص أصحابه مع وجود الضرورة لذلك، فلم يخرج ليحل الخصومة التي جرت بين أبي بكر وفاطمة بنت رسول الله ﷺ لما سألته ميراث أبيها، وقصة أصحاب معركة الجمل، وفيهم زوجه عائشة رضي الله عنها، ولم يخرج كذلك ليحل النزاع الذي حصل بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وغير ذلك من الحوادث التي كانت بحاجة إلى إشارة منه ﷺ لتنتهي، ومع ذلك لم يحصل من ذلك شيء.

وكذلك فإن النبي ﷺ خُيّر بين الدنيا وبين الآخرة فاختار الآخرة[3]،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٢).

(٢) انظر: موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنَّة، لعلي بن السيد الوصيفي (ص١٥٣) وما بعدها. وانظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٢/ ٤٦ ـ ٤٧).

(٣) كما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إن الله خير =

وفارق أحب الناس إليه وهي زوجه عائشة رضي الله عنها، وأصحابه الكرام فكيف يتولى عن الدنيا وعن أحب الناس إليه فيها ثم يحضر عند الصوفية ليشاركهم في بدعهم وضلالاتهم، بل يلزم من ذلك اتهامه ﷺ بعدم الحكمة حيث دونت صوفية حضرموت حضوره ﷺ في صغار الأمور كمعرفة المسافة لبلد ما، أو معرفة نسب فلان[(١)]، بل واتهموه ﷺ بصرف الناس عن الحج وأمرهم بالعودة لبلادهم حضرموت لأن بقاءهم هناك أنفع لهم[(٢)]، فأي جرأة على رسول الله ﷺ أعظم من هذا الكلام الذي دونه القوم في مصنفاتهم.

ويرد عليهم أيضاً بأن هذا الأمر عظيم تستدعي الحاجة لنقله ومع ذلك لا دليل عليه من الكتاب ولا من السنّة، ولا من أقوال الصحابة ولا سلف الأمة، ولم يعرفه إلا المتصوفة دون بقية المسلمين، فكيف يكون ذلك معتقداً للمسلمين؟!.

ثم إن رسول الله ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة لما ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام»[(٣)] وفي رواية: «فإن صلاتكم معروضة عليّ»[(٤)].

= عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله» فبكى أبو بكر رضي الله عنه فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: «يا أبا بكر لا تبك إن أَمَنَّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقينّ في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر» أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، (ص١١٠) برقم (٤٦٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، (ص٩٧١) برقم (٢٣٨٢).

(١) انظر: تذكير الناس (١٢٥، ١٨٦، ٢٧٤).

(٢) انظر: المشرع الروي (٢/ ١٤١).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب المناسك، باب زيارة القبور (ص٢٣٢) برقم (٢٠٤١)، وحسنه الشيخ الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود: برقم (١٧٩٥).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، (ص١٣٠) =

فإذاً من أين للصوفية دعوى تنقله ﷺ إلى من هو دونه من الناس، ودعوى أنه ﷺ يخرج ويرتحل مع أن النصوص دلت على أن الله تعالى وكّلَ ملكاً ينقل إليه السلام من أمته[1].

وأخبر ﷺ بأنه أول من يخرج من قبره، ولن تنشق عنه الأرض إلا يوم القيامة[2].

وإخباره ﷺ أصحابه بأن الدجال إذا خرج فسيكفيهم عليه الصلاة والسلام بمفرده وإقامة الحجة عليه[3]، فإذا كانت فتنة الدجال أعظم فتنة في الأرض، فإن كان غائباً عنها فغيبته عن غيرها آكد وأعظم، ثم إنه ﷺ ودّع أصحابه في حجة الوداع بقوله: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»[4].

يقول أبو الثناء الآلوسي[5]: «وكون الإحياء بعد الإماتة والإرجاع إلى

= برقم (١٠٤٧، ١٥٣١)؛ والنسائي في سننه: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، (ص١٦٢) برقم (١٣٧٤)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب إقامة الصلاة، باب في فضل الجمعة، (ص١٢٢) برقم (١٠٨٥).

(١) والحديث أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٤١، ٤٥٢)؛ والنسائي في سننه، كتاب السهو، باب السلام التسليم على النبي ﷺ (ص١٥١) برقم (١٢٨٢)؛ وابن حبان (١٣٩٢)؛ والحاكم (٢/ ٤٢١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: السلسلة الصحيحة (٦/ ٨٤٢) برقم (٢٨٥٣).

(٢) كما في المسند (٣/ ١٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني لأول من تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر...» الحديث. وقال الشيخ الألباني عن هذا الحديث: «وسنده جيد، رجاله رجال الشيخين». السلسلة الصحيحة (٤/ ١٠٠).

(٣) انظر: صحيح مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، (ص١١٧٧ ـ ١١٧٨) برقم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً وبيان قوله ﷺ: «لتأخذوا مناسككم»، (ص٥١٢) برقم (١٢٩٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٥) هو أبو الثناء محمود شهاب الدين بن عبد الله الآلوسي البغدادي، مفسر وأديب، تقلد الإفتاء في بلده ثم عُزل فانقطع للعلم. من مؤلفاته: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، وحاشية على القطر في النحو، والأجوبة العراقية والأسئلة الإيرانية. توفي سنة ١٢٧٠هـ. انظر: الأعلام (٧/ ١٧٦)، ط ١٩٨٩م؛ ومعجم المؤلفين (٣/ ٨١٥ ـ ٨١٦).

الدنيا من الأمور المقدورة له ﷻ؛ مما لا ينتطح فيه كبشان إلا أن الكلام في وقوعه، وأهل السنّة ومن وافقهم لا يقولون به»[١].

ومما يوضح عدم الرجعة إلى الدنيا بعد الموت ما ثبت في المسند عن جابر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا جابر! أما علمت أن الله ﷻ أحيا أباك، فقال له: تمنّ عليّ، فقال: أرد إلى الدنيا فأقتل مرة أخرى! فقال: إني قضيت الحكم: أنهم إليها لا يرجعون»[٢].

كما أن اعتقاد حياة النبي ﷺ ومقابلته يقظة في الدنيا بعد موته مخالف للإجماع، قال ابن حزم[٣] رحمه الله: «واتفقوا أن محمداً عليه السلام وجميع أصحابه لا يرجعون إلى الدنيا إلا حين يبعثون مع جميع الناس»[٤].

وكذلك يلزم الصوفية بادعائهم رؤيته ﷺ يقظة في الدنيا لوازم منها:

أنه يُرى ﷺ في أكثر من مكان في وقت واحد فإن: «بعض من اعتقد هذا أو صدّق من قال إنه رآه اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة، وخالف صريح المعقول»[٥].

ومن اللوازم أيضاً: عدم انقطاع التشريع وأن الناس لا يزالون يتلقون الأحكام منه ﷺ، فتبطل النصوص الدالة على أن الله تعالى قد أكمل لنا الدين كقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) روح المعاني (٢٠/ ٢٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٦١)؛ والحاكم (٢/ ١١٩ ـ ١٢٠) وقال: صحيح الإسناد. وقال الشيخ الألباني بعد ذكره لشواهد ومتابعات لهذا الحديث: «وبالجملة؛ فالحديث صحيح بهذه المتابعات والشواهد». السلسلة الصحيحة (٧/ ٨٥٥ ـ ٨٥٨) برقم (٣٢٩٠).

(٣) هو الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، ولد عام ٣٨٤هـ بقرطبة، وسمع من كثير من العلماء، ثم اجتهد في نصرة المذهب الظاهري الذي ينسب إلى داود بن علي وهو الأخذ بظواهر النصوص. من مؤلفاته: المحلى، والفصل في الملل والنحل. توفي سنة ٤٥٦هـ. انظر ترجمته: السير (١٨/ ١٨٦ ـ ٢١٢)؛ والبداية والنهاية (١٢/ ٩١ ـ ٩٢)، ط المعارف.

(٤) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ص١٧٦).

(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٤٤).

وقول الصوفية في هذه المسألة فتح لباب البدع والمخالفات التي حذر منها ﷺ أمته بقوله: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[(١)].

ويلزمهم أيضاً: أن من رآه ﷺ يكون صحابياً، قال الحافظ في الفتح: «ونقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء إلى أن قال: وهذا مشكل جداً، ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحابة إلى يوم القيامة»[(٢)].

ولا إشكال في ذلك فإن الذي يتمثل لهؤلاء الصوفية إبليس أو جنوده من مردة الجن، ومن المعلوم أن الشيطان لا يتمثل في صورة النبي ﷺ: «فهذا في رؤية المنام؛ لأن الرؤية في المنام تكون حقاً وتكون من الشيطان فيمنعه أن يتمثل به في المنام، وأما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا، فمن ظن أن المرئي هو الميت فإنما أتي من جهله، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان»[(٣)].

وقال الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله: «ومن زعم من جهلة الصوفية أنه يرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليقظة أو أنه يحضر المولد أو ما أشبه ذلك فقد غلط أقبح الغلط، ولبّس عليه غاية التلبيس ووقع في خطأ عظيم وخالف الكتاب والسنّة وإجماع أهل العلم؛ لأن الموتى إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة لا في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/١٢٦، ١٢٧)؛ وأبو داود في سننه: كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة (ص٥٠٤) برقم (٤٦٠٧)؛ والترمذي في سننه: كتاب العلم، باب في الأخذ بالسنّة واجتناب البدعة (ص٤٣٣) برقم (٢٦٧٦)؛ وابن ماجة في سننه: كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (ص٢٢) برقم (٤٢)؛ والآجري في الشريعة (٤٦، ٤٧)؛ والدارمي في سننه (١/٤٤، ٤٥)؛ وابن حبان في صحيحه (١/١٣٩)؛ والحاكم في المستدرك (١/٩٦) وصححه ووافقه الذهبي؛ وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (١/٥٨) برقم (١٦٥).

(٢) الفتح (١٢/٤٠٢).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٤٤).

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٥ ـ ١٦]. فأخبر سبحانه أن بعث الأموات يكون يوم القيامة لا في الدنيا، ومن قال خلاف ذلك فهو كاذب كذباً بيناً، أو غالط مُلَبَّس عليه لم يعرف الحق الذي عرفه السلف الصالح، ودرج عليه أصحاب الرسول ﷺ وأتباعهم بإحسان»[١].

والقول بحضور النبي ﷺ ومقابلته يقظة كما يرده الشرع فإنه يرده العقل؛ فإن كل أحد يرى الميت بعد موته يدفن ويهال عليه التراب، وقد وقع ذلك للنبي ﷺ عند موته فقد دفنه الصحابة رضي الله عنهم في حجرة عائشة رضي الله عنها وهذا خاص بالأنبياء حيث يدفنون حيث يموتون[٢]، ولا يشاركهم في هذه الخصّيصة أحد من الخلق.

وعن أنس قال: «لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أباه، فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب رباً دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه، فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب»[٣].

وشاهد الصحابة النبي ﷺ حين مات وشاركوا في دفنه، وصار الخليفة بعده أبو بكر رضي الله عنه ولو كان يأتيهم يقظة لما جعلوا خليفة من بعده يرجع إليه ويفوضونه الأمر في تنظيم شئونهم الدينية والدنيوية.

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي عياض[٤] قوله: «وشذَّ بعض

---

(١) التحذير من البدع، للإمام ابن باز (ص١٨).

(٢) كما ثبت في سنن الترمذي، كتاب الجنائز، بابٌ: حدثنا أبو كريب (ص١٨٢) برقم (١٠١٨) عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته قال: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه» فدفنوه في موضع فراشه. انظر: صحيح سنن الترمذي (١/ ٢٩٨)؛ وأحكام الجنائز وبدعها (ص١٣٧ ـ ١٣٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، (ص٨٤٣) برقم (٤٤٦٢).

(٤) هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، محدث من فقهاء المالكية، أندلسي الأصل ولد بسبتة بالمغرب، سنة ٤٧٦هـ، وتعلم بالمغرب الأندلس ثم ولي قضاء سبتة مدة طويلة، =

الصالحين فزعم أنها[1] تقع بعين الرأس حقيقة. فقوله: شذ بعض الصالحين: إشارة إلى مخالفة الإجماع القائم على عدم رجوعه ﷺ وعدم رؤيته. إلى أن قال: إن جمعاً رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق لا يختلف»[2].

وبناء على اعتقاد صوفية حضرموت في رؤيته ﷺ يقظة بعد موته فإننا نذكر بعض الشواهد لكبارهم التي تؤكد اعتقادهم رؤية النبي ﷺ، وتدوين هذا الاعتقاد في مؤلفاتهم:

فقد جاء في كتاب الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر: «ونقل الفقيه محمد بن عبد الرحمٰن باجمال قال: إنه سمع الشيخ أبا بكر رضي الله عنه، يقول: ما زرت سيدي الشيخ معروفاً ـ نفع الله به ـ حتى أمرني رسول الله ﷺ». قلت: هذا يؤيد اجتماع الشيخ أبي بكر بالرسول عليه الصلاة والسلام يقظة في أول سلوكه»[3].

وهذا النص يبين اعتقاد القوم حضور النبي ﷺ واذنه لهم في أدنى الأمور وهو زيارة مشايخهم، وادعائهم رضا رسول ﷺ بذلك.

وجاء في كتاب تاج الأعراس عند وصف المؤلف لقطبهم صالح بن عبد الله العطاس: «وفي الدوران حول حياته الدينية لا يدري الواصف كيف يصفها؛ لارتفاعها عن الأوصاف والصفات ومتى استطعت أن تفهم حياة الأنبياء والمرسلين والملائكة فافهمها، وكيف لا يكون في تلك الصفة وقد

= حُمدت سيرته فيها، ثم ولي قضاء غرناطة له مؤلفات منها: ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك، والإكمال في شرح صحيح مسلم وجامع التاريخ توفي بمراكش سنة (٥٤٤هـ). انظر: السير (٢٠/ ٢١٢)؛ والعبر (٢/ ٤٦٧)؛ والأعلام (٥/ ٩٩)؛ ومعجم المؤلفين (٨/ ١٦).

(١) أي رؤيته ﷺ يقظة.

(٢) الفتح (١٢/ ٣٨٥)؛ وللتوسع انظر: الفتح (١٢/ ٢٨٣)؛ وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، للدكتور محمد لوح: (٢/ ١٤) وما بعدها.

(٣) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر (١/ ٤٤).

أدرك تلقيها من الحضرة المحمدية مباشرة يقظة»[١].

وجاء في كتاب كنوز السعادة الأبدية: «قالوا إن الشيخة سلطانة بنت علي الزُّبيدي لازمت ذكر الحبيب ﷺ وصارت تلهج به حتى وصلت بسببه إلى مقام شريف وهو مقام المكالمة، فسمعت النداء من الحق يقول لها في سِرّها: يا سلطانه اطلبي ما تريدين، فرحلت إلى قَسَم إلى عند الشيخ محمد بن حكم باقشير[٢] وأخبرته بذلك وقالت له: أبغي رتبة عظيمة وليس فوقها شيء من المراتب. فقال لها: إن رؤية الحبيب ﷺ ما فوقها شيء من المراتب، فقالت: يا رب أبغي الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة فأعطاها الله ذلك حتى أنه يأتي إليها الآتي من أهل عصرها ويقول لها: قولي للنبي ﷺ كذا وكذا. فيأتي إليها النبي وتخبره بذلك فيقول لها: قولي له يفعل كذا وكذا أو لا يفعله»[٣].

وقال الشواف[٤] في شأن سلطانة هذه في قصيدته الطويلة المسماة (قصعة العسل):

سلطانة أم العسكر ... لها مناقب تشهر
مثل المشائخ وأكبر ... فيها وقع سر الله
إذا بغت علم أخبار ... جاها النبي وسط الدار
تشوفه الأبصار ... يحكي لها شيء لله[٥]

ويتبين من هذه النصوص غلو القوم في أوليائهم ومشايخهم، فهذا مؤلف

(١) تاج الأعراس (١/ ١١٣).

(٢) هو محمد بن حكم باقشير الحضرمي، من صوفية قسم في القرن التاسع، درس عليه كثير من الصوفية بما فيهم العلويون أمثال: محمد بن علي صاحب عيديد، وحسن المعلم، وعبد الرحمن السقاف وغيرهم. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (ص١٠٥، ٤٤٦، ٥١٥، ٥٣٦).

(٣) كنوز السعادة الأبدية (ص١٩٩ ـ ٢٠٠).

(٤) هو سعيد بن سالم الشواف: ولد بهينن من حضرموت سنة ٩٢٥هـ، وعاش حياة صوفية، من مؤلفاته: شوارق الأنوار في ذكر مشايخ الصوفية وهي أرجوزة طويلة في فضائل رجال التصوف عرفت بـ(قصعة العسل)، توفي سنة ٩٩٠هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٧٧)؛ وجواهر تاريخ الأحقاف (٢/ ٣٠٤)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٥٠٥).

(٥) قصيدة سعيد بن سالم الشواف المسماة قصعة العسل (ص١٨٨).

كتاب تاج الأعراس يصف حياة صالح بن عبد الله العطاس بأنها كحياة الأنبياء بل كحياة الملائكة، وكل هذه المقدمة عن هذا الشخص لتقرير دعوى أخذه عن النبي ﷺ مباشرة.

وكذلك ادعت سلطانة الزبيدي رؤية النبي ﷺ في المنام والأخذ عنه، ثم تطور الأمر بها حتى رأته يقظة يزورها في دارها وتأخذ منه أحكام الشرع، بل وتطلب منه أن يفتي الناس عما يأتيها من الأسئلة فتعرضها على النبي ﷺ فيجيب على تلك الأسئلة والاستفتاءات.

ولا شك أن هذا فتح باب شر على الأمة الإسلامية، فتنتشر بسببه المخالفات الشرعية، حيث يرد أحدهم إذا انتقد قائلا: تلقيت هذا من النبي ﷺ مباشرة.

ويقول أبو بكر الحبشي: «قال سيدي رضي الله عنه: وجاءت إليّ شريفة من الصالحات من دوعن وقالت: دعني أقبل رأسك؛ فإني رأيت رسول الله ﷺ يقول: من أراد الخير والبركة فليقبل رأس السيد أحمد بن حسن العطاس. فلم أرض ذلك. ثم جاء رجل آخر من الصالحين المحبين لأهل البيت؛ وقص مثل الرؤيا السابقة؛ وطلب من سيدي رضي الله عنه تحقيق الرؤيا؛ فتركه سيدي رضي الله عنه وما أراد من تقبيل رأسه الشريف»[1].

وجاء في كتاب منهل الوراد: «ومن أجلّ الكرامات وأعظمها ما يقع لخواص الأولياء من الاجتماع بالنبي ﷺ وسؤالهم إياه عما أشكل عليهم ما صرح به غير واحد إذ هو حي في قبره، وليس ذلك بعيد كمشاهدة أرباب القلوب الزكية في يقظتهم الملائكة وأرواح الأنبياء، أو سماعهم منهم أصواتاً واقتباسهم منهم فوائد وليس ذلك ببعيد»[2].

وجاء في المشرع الروي في ترجمة علي بن علوي بن خالع قسم: «وكان رضي الله عنه يرى النبي ﷺ ويسأله عن أمور تشكل عليه فيبينها له ويوضحها»[3].

---

(١) تذكير الناس (ص١٠٨).

(٢) منهل الوراد (ص٢٤٧)، ط العصرية.

(٣) المشرع الروي (٢/ ٢٣٠).

وجاء في كتاب مطالع الأنوار:

إلى طريق الفيض والمزيد يرشد كل صادق مريد

قوله: «إلى طريق الفيض والمزيد»؛ أي: لهذا العارف الإيصال بإذن الله تعالى وإرادته إلى طريق الفيض والمزيد؛ أي: فيض الأنوار ومزيد الأسرار بواسطة النبي المختار فهو يتلقى الأنوار والأسرار من حضرته ﷺ ثم يفيضها على المريدين فيسيرون بها إلى حضرة رب العالمين فإذا وصلوا إلى ذلك المقام كانوا من المسلكين المقربين فيتأهلون لأحوال ومقامات الشيوخ المربين»[١].

وجاء في كتاب تذكير الناس: «قال الشيخ إسماعيل الحضرمي: رأيت رسول الله ﷺ فقلت له من أولياء الله؟ فقال: دَرَسَة التنبيه والمهذب»[٢].

ومن ذلك ما جاء في كتاب تذكير الناس ادعاء القوم حضور النبي ﷺ لرفع الخلاف بين الصوفية ومن يعارضهم في بعض مسائل الشرع، كمسألة حكم استخدام البِرَك[٣] كماء يتطهر به في المساجد: «لما بنى سيدنا عبد الرحمٰن السقاف مسجده بتريم ووضع هذه الجوابي[٤] المعروفة بالجهة، وهو أول من أشار بوضعها وقال: أسست مسجدي هذا والنبي ﷺ واقف في محرابه والأئمة الأربعة كل واحد على ركن من أركانه ارتفع الخلاف»[٥].

ومن هذا النص يتضح لنا اعتقاد القوم حضور النبي ﷺ إليهم بجسده لا بروحه فقط، وإن حضوره ﷺ يرفع الخلاف في المسائل المتنازع فيها عندهم، وهذا تشريع جديد، وإن الوحي لم ينقطع ـ بزعمهم ـ، وهذا فتح باب للشر، والإحداث في دين الله تعالى، بحجة أن النبي ﷺ هو الذي أفتاهم أو أقر قولهم أو فعلهم، وإن كان ذلك مخالفاً لدين الله تعالى.

---

(١) مطالع الأنوار (ص٣١٧).
(٢) تذكير الناس (ص٣٩).
(٣) جمع بِرْكة وهو ما يوضع فيه الماء.
(٤) جمع جابية وهي البركة التي يحبس فيها الماء. انظر: كلمات في الدارجة الحضرمية (ص٢٢). وهي عربية.
(٥) تذكير الناس (ص٥١).

وجاء في كتاب النفحة الشذية من الديار الحضرمية: ذكر المؤلف قول علوي بن عبد الرحمٰن المشهور في مسألة فقهية فسئل: «هذا اختيار الحبيب عبد الله بن الحداد أم سبق إليه؟ فقال: الله أعلم، ونحن إذا قال الحبيب عبد الله الحداد ما عاد نلتفت إلى قول غيره لأنه قال: إذا أشكل علينا شيء أخذناه من النبي ﷺ يقظة»[(١)].

وجاء في كتاب «بشائر وطوالع سعود رحلة إلى هود» عند ذكر مناقب معروف باجمال: «قيل أنه رأى النبي ﷺ يخاطبه ويقول له:

لكل زمان واحد يقتدى به وهذا زمان أنت لا شك واحده

قيل أنه: أمره أن يزور تريم»[(٢)].

وفي هذا النص مخالفة للقرآن حيث وصف الله تعالى نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس: ٦٩]. يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله عن هذه الآية: «يقول الله مخبراً عن نبيه محمد ﷺ أنه ما علّمه الشعر وما (ينبغي له) أي ما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته. ولهذا ورد أنه ﷺ كان لا يحفظ بيتاً على وزن منتظم بل إن أنشده زحفه ولم يتمه»[(٣)].

وجاء في كتاب (ظهور الحقائق) ما يدل على ادعائهم التلقي من النبي ﷺ: «ومن ذلك ما روى بعض الثقات عن السيدة المكاشفة سلطانة بنت علي الزُّبيدي قالت: قال رسول الله ﷺ: آل أبي علوي عندنا من خيار أصحابنا، قالت: كان يحبهم وتمد صوتها تشير إلى المحبة العظيمة قالت: كان يسألني عن خواصهم»[(٤)].

ويقول أبو بكر الحبشي[(٥)] في وصف أحمد بن حسن العطاس: «المشهور

---

(١) النفحة الشذية من الديار الحضرمية (ص٥٧).

(٢) بشائر وطوالع سعود رحلة إلى هود قام بها أحمد بن حسن العطاس: جمعها: علوي بن طاهر الحداد (ص٦٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٣٦). (٤) كتاب (ظهور الحقائق) (ص١٤٦).

(٥) هو أبو بكر بن عبد الله الحبشي الملقب (عطاس)، من صوفية حضرموت المهتمين بجمع =

لدى الخاص والعام بالولاية الكبرى والكشف الجلي والكرامات العظام، والاتصال التام بالحضرة المحمدية في اليقظة والمنام...»[١].

وقال أيضاً: «وذكر رضي الله عنه عن شيخه الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس[٢]؛ أنه قال: كان السيد أحمد بن علي بحر القديمي يجتمع بالنبي ﷺ يقظة، فقال: يا رسول الله أريد أن أسمع عنك حديثاً بلا واسطة. فقال له ﷺ: أحدثك بثلاثة أحاديث: الأول ما زال ريح قهوة البن في فم الإنسان تستغفر له الملائكة، الثاني: من اتخذ سبحة ليذكر الله بها كتب من الذاكرين الله كثيراً إن ذكر بها أو لم يذكر، الثالث: من وقف بين يدي ولي لله حي أو ميت فكأنما عبد الله في زوايا الأرض حتى تقطع إرباً إرباً»[٣].

ويقول أحمد بن حسن العطاس: «وذكرت البسملة، وكون الحنفية لا يبسملون، في مجلس بيت سيدي الحبيب حسين بن محمد الحبشي[٤] بمكة حضره كثير من العلماء، منهم السيد محمد جعفر الكتاني[٥]، فقال الحبيب

= المناقب والكرامات لمشايخهم، ولد ببلدة ثِبْي من ضواحي تريم سنة ١٣٢٨هـ. هاجر إلى مكة واستوطنها. من آثاره تذكير الناس في مناقب أحمد بن حسن العطاس. توفي سنة ١٤١٦هـ. انظر: هداية الأخيار (ص١٢٧ ـ ١٢٨).

(١) تذكير الناس (ص٧).

(٢) هو أبو بكر بن عبد الله بن طالب العطاس، ولد بحريضة سنة ١٢١٦هـ، أخذ عن شيوخ الصوفية بحريضة، ثم رحل للأخذ عن الصوفي الكبير عبد الله بن أحمد باسودان وغيره. توفي بحريضة سنة ١٢٨١هـ ودفن في قبة جده عمر بن عبد الرحمن العطاس. انظر: لوامع النور (١/ ١٨٧ ـ ١٨٨). وجمع حفيده سالم بن عبد الله بن أبي بكر مناقبه في كتاب سماه (حلاوة القرطاس في مناقب الحبيب أبي بكر العطاس).

(٣) تذكير الناس (ص١١٩).

(٤) هو حسين بن محمد بن حسين الحبشي، من صوفية حضرموت، ولد بمدينة سيئون بحضرموت سنة ١٢٥٨هـ، ورحل إلى مكة وتولى بها منصب الإفتاء بعد وفاة والده فكان يفتي بها على مذهب الشافعي، من مؤلفاته: فتح القوي ثبت أملاه على تلميذه عبد الله المغازي يحتوي على أسانيده ومروياته، توفي بمكة سنة ١٣٣٠هـ انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ١١٠، ١٢٢)؛ وفهرس الفهارس للكتاني (١/ ٢٣٥).

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الزمزمي الكتاني، محدث، راوية، مؤرخ، فقيه. ولد بفاس سنة ١٢٧٤هـ، ورحل إلى المشرق وسكن المدينة، وسافر إلى بيروت ودمشق. من =

حسين: إن السيد أحمد دحلان كان في نفسه شيء من ذلك، حتى رأى النبي ﷺ يصلي في مقام الحنفي فابتدأ بالحمد لله رب العالمين. فقال السيد محمد بن جعفر: إن بعض الحاضرين من أهل المغرب رأى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل البسملة آية من الفاتحة؟ فقال: نعم، هي آيه منها، ولكن لا تبطلوا صلاة تاركها»[(١)].

وجاء في كتاب تذكير الناس: «وقال رضي الله عنه: دخل الحبيب عبد الرحمٰن بن مصطفى العيدروس إلى المدينة هو والحبيب شيخ بن محمد الجفري، والحبيب أبو بكر بلفقيه، وتعاهدوا على العمل بما في بداية الهداية؛ وعملوا به: ثم ورد لهم الإذن من الحضرة المحمدية بالتفرق؛ فأما الحبيب شيخ بن محمد الجفري، فأمره ﷺ بالتوجه إلى مليبار؛ وأما الحبيب أبو بكر بلفقيه؛ فأمره بالتوجه إلى آشي جزيرة من جزائر جاوه؛ وأما الحبيب عبد الرحمٰن بن مصطفى فأمره بالتوجه إلى مصر، فقال لجده ﷺ: إن مصر ملانه[(٢)] من العلماء، فقال له: إذا أشكل إليك شيء فراجعه في الدشته[(٣)] تجده، والدشته هي لصاحب الحزم عبد الرحمٰن بن محمد العيدروس»[(٤)].

وجاء في تذكير الناس ما يبين اجتماع أحمد بن حسن العطاس بأهل البرزخ: «فبينما أنا جالس إذ بورقة تدار على الحاضرين إذا قرأها أحد؛ أعطاها الذي يليه، حتى بلغت عندي فقرأتها فإذا فيها مكتوب؛ عبد الرحمٰن بن حامد؛ رأى النبي ﷺ يقول: علي الحبشي؛ أعماله وأعمال أصحابه مقبولة، فقال سيدي أحمد رضي الله عنه: حينئذ أنا من أصحابك؛ فقال سيدي علي: كلكم من أصحابي؛ ثم قال لي: أتريد أن تجتمع بالنبي ﷺ، فقلت: نعم، فدخلت إلى

= تصانيفه: الأزهار العاطرة، والرسالة المستطرفة، ونظم المتناثر من حديث المتواتر. توفي بفاس سنة ١٣٤٥هـ. الأعلام (٦/ ٣٠٠)؛ ومعجم المؤلفين (٣/ ١٩٢).

(١) تذكير الناس (ص١١٠). (٢) بمعنى مليئة.

(٣) الدشتة: عبارة عن كتاب لعبد الرحمن بن محمد العيدروس ـ كما تقدم ـ ويحتوي على متنوعات العلوم وشتى المسائل وحوادث سياسية واجتماعية، وتصوف.

(٤) تذكير الناس (ص١٣٠ ـ ١٣١).

مكان فيه جماعة؛ فسألتهم أين الحبيب ﷺ فقيل: سيأتي فجلسنا؛ ثم دخل الحبيب ﷺ فقمنا فصافحناه؛ فجلس ولم يتكلم هو ولا أحد بكلمة ثم أخذ الحبيب ﷺ يتكلم في علوم الذات الأحدية، بلسانٍ محمدية أحمدية، تلاشت عندها الصور الجسمانية. وشرع سيدي رضي الله عنه يتكلم وأتى بما يحير العقول فقال سيدي رضي الله عنه: كأني أسمع أحداً من السقف يقول: اكتم اكتم، وقد سمع هذا الهاتف بعض السادة الحاضرين، قال سيدي علي ثم تكلم الحبيب ﷺ في علوم الصفات، وسكت...»[1].

فهذه بعض النصوص التي شحن القوم بها كتبهم لتقرير عقيدة رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته وأخذهم منه أحكام دينهم ودنياهم، فهم كسلفهم الصوفية القدامى الذين قرروا هذا الاعتقاد المنحرف، ويتبين بطلانه لكل مسلم، وقد سقنا بعض الأدلة التي تبين بطلان هذا الاعتقاد.

دعوى الاجتماع بالخضر عليه السلام والأخذ عنه:

قضية الخضر عليه السلام من القضايا الكبرى عند صوفية حضرموت حيث شغل الكلام عنها حيزاً كبيراً من مؤلفاتهم، فهم يعتقدون حياته عليه السلام إلى الآن، وأنه ولي يتلقون عنه أمور دينهم ودنياهم، وكذا عقد الأخوة معه ونحو ذلك فمن نصوصهم:

يقول عبد الرحمٰن الخطيب في جوهره عند ذكره لعبد الرحمٰن السقاف: «وأخبرني بعض السادة من آل باعلوي قال: قلت للشيخ عبد الرحمٰن أود أن ألقى الخضر وأعقد بيني وبينه الأخوة، فقال: سوف تنال ذلك من حيث لا تدري، قال: فلقيني الخضر في صورة بدوي كانت بيني وبينه معرفة، وعقد بيني وبينه الأخوة، ثم غاب ففاحت منه رائحة المسك، فعجبت من ذلك فأخبرت الشيخ بذلك فقال: إنما ذلك الخضر. ثم لقيت صاحبي البدوي فقال لي: لم أكن أتيتك أصلاً»[2].

---

(١) تذكير الناس (ص٢١١).

(٢) مواهب القدوس (ص٤٠).

ويعتقد القوم أن الخضر عليه السلام صحابي يقول عبد الرحمٰن بلفقيه:

«ومنه الخضر الباقي الصحابي لا لقمان والبر ذو القرنين بل فضلا»[١]

ورجح بعضهم أن الخضر عليه السلام نبي حيث قال: «والأصح أن الخضر نبي دون لقمان وذي القرنين»[٢].

واضطرب القوم في شخصية الخضر عليه السلام هل هو نبي أم لا؟ مع اتفاقهم على حياته وحضوره عندهم والأخذ منه.

وتكرر اعتقادهم في أن الخضر يأتي إليهم في صورة بدوي، أو شخص متواضع يبدو عليه أثر الفقر[٣] لتقرير مبدأ التصوف الذي يزعمون أنه قائم على الفقر والفاقة، وهكذا يؤلفون القصص والأساطير حول شخصية الخضر عليه السلام، حتى صارت من الأمور المسلمة عند الأتباع.

وكذلك يدعي القوم الاستفادة من علوم الخضر عليه السلام عند الالتقاء به، فقد ذكر محمد بحرق[٤] عن شيخه أبي بكر العيدروس أنه قال: «ولقيت الخضر مراراً فاستفدتُ منه فوائدَ كثيرة»[٥]، وأكثروا من تلك الدعاوى في مؤلفاتهم[٦].

ويضيفون أحياناً الاجتماع بالخضر وإلياس عليهما السلام والأخذ عنهما[٧].

والله تعالى قد أغنى هذه الأمة بالقرآن والسنّة في تلقي أمور دينها، كما

---

(١) عمدة المحقق: ق٣.
(٢) صفوة العقيدة الأشعرية: ق٦.
(٣) انظر: المشرع الروي (٢/ ١٠).
(٤) هو محمد بن عمر بن مبارك بن عبد الله بن علي الحميري الشهير ببحرق، ولد بحضرموت سنة ٨٦٩هـ، وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى مكة سنة ٨٩٤هـ، ثم رحل لزبيد وتلقى بها التصوف. وأخيرا رحل إلى الهند ووفد على سلطانها فأكرمه وقربه إليه. من مؤلفاته: عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر، والعقيدة الشافية في شرح العقيدة اليافعية، والحسام المسلول على منتقص أصحاب الرسول وغيرها. توفي سنة ٩٣٠هـ. انظر ترجمته في: الضوء اللامع (٨/ ٢٥٣)؛ وتاريخ النور السافر (ص١٤٣)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ٩٥).
(٥) مواهب القدوس (ص٥٥)؛ والمشرع الروي (٢/ ٧٢، ٢/ ١٤٥).
(٦) انظر دعاوى اجتماع صالحيهم بالخضر عليه السلام: المشرع الروي (١/ ١٤١)، (٢/ ٧٢، ٢/ ١٤٥).
(٧) المصدر السابق: ٢/ ٢٨.

قال سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وأكمل الله تعالى هذا الدين فلا يحتاج إلى زيادة من أحد كائن من كان، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه، وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلّا وضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[١].

وقال ابن عباس ﵄: «أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً»[٢].

قال أبو ذرّ ﵁: «لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء، إلا ذكرنا منه علماً»[٣].

والقوم ليس معهم في دعواهم أدلة نقلية من الكتاب ولا من السنّة، والكلام في ذلك قول في دين الله تعالى بلا علم، وهو من المحرمات، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

ويمكن إجمال انحراف صوفية حضرموت في قضية الخضر ﵇ وإلزام القوم باعتقادهم فيه في الآتي:

- إن غاية ما يتمسكون به حكايات عن مشايخهم، لا زمام لها، ولا خطام.
- أن الخضر فارق موسى ﵇ فكيف يفارقه ويجتمع بجهلة الصوفية.
- عدم مجيئة للنبي ﷺ ومبايعته لو كان حياً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، (ص٦٧٩) برقم (٣٥٣٤، ٣٥٣٥)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، (ص٩٣٨) برقم (٢٢٨٦، ٢٢٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/ ٢٢١).

ـ ولو كان حيّاً لجاهد الكفار ولحضر الجمعة والجماعات، ولرآه، وبايعه وغير ذلك من الأمور التي تلزم المؤمنين فضلاً عن الخضر عليه السلام[١].

وقد مُلئت كتب القوم بذكر الخضر عليه السلام ودعوى الالتقاء به، والأخذ منه ما يتعلق بأمور دينهم ودنياهم، وهذه الخرافة هي ديدن الصوفية جميعاً، فقد جعلوا الخضر عليه السلام مصدراً للوحي والإلهام والعقائد والتشريع، ونسبوا كثيراً من علومهم المبتدعة إليه.

وأما اعتقاد أهل السنّة والجماعة في قصته مع موسى عليه السلام فيعتقدون أن ما فعله هو وحي من الله تعالى، وليس إلهاماً أو خيالاً لأنه قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]؛ أي: أنه فعله عن أمر الله جل جلاله، وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي، إذ لا طريق تُعرف به أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله تعالى، لا سيما قتل النفس البريئة في ظاهر الأمر وتعييب سفن الناس وأموالهم، وقد حصر الله تعالى طريق الإنذار في الوحي في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ﴾ [الأنبياء: ٤٥]. وإنما صيغة حصر، فإن قيل: قد يكون ذلك عن طريق الإلهام فيجاب: إن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة وعدم الدليل على الاستدلال به، ولوجود دليل على عدم الاستدلال به[٢].

ويعتقد صوفية حضرموت حياة الخضر عليه السلام إلى الآن، والتلقي عنه ما يشكل عليهم من أمورهم الدينية والدنيوية.

---

(١) وقد بين أهل العلم القول الحق في الخضر وأنه قد مات، ولا حقيقة لترهات الصوفية التي يتعلقون بها ويبنون بها أحلامهم المنحرفة. انظر: تفسير روح المعاني للألوسي (١٥/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، بدون تاريخ، وكلام الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: في أضواء البيان على تفنيد القول بحياة الخضر عليه السلام إلى الآن (٤/ ١٧٧ ـ ١٩٢). وانظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ١٠٠ ـ ١٠٢).
وضعف أبو الخطاب بن دحية الأحاديث الواردة في حياة الخضر عليه السلام: «الزهر النضر في نبأ الخضر» (٢/ ٢٣٤، ٣٠٢)؛ وانظر كلام الحافظ ابن كثير في ذلك: البداية والنهاية (١/ ٣٣٦)، ط دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

(٢) انظر: أضواء البيان (٤/ ١٧٣).

والصحيح الذي لا مرية فيه أن الخضر عليه السلام ليس بحي إلى الآن، يقول أبو حيان الغرناطي[١]: «والجمهور على أن الخضر قد مات وممن ذهب إلى موت الخضر وعدم تعميره الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الفضل المرسي فقد قال: أما خضر موسى بن عمران فليس بحي؛ لأنه لو كان حياً للزمه المجيء إلى النبي، والإيمان به...»[٢].

والقول بحياة الخضر قول بغير علم وذلك محرم بنص القرآن الكريم، وقد استدل العلامة محمد الأمين الشنقيطي[٣] على موت الخضر عليه السلام بأدلة كثيرة منها ما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال قبل موته بشهر أو نحو ذلك: «ما من نفس منفوسة، اليوم تأتي عليها مائة سنة، وهي حية يومئذ»[٤] فهذا الذي رواه جابر فيه تصريح النبي ﷺ بأنه لا تبقى نفس منفوسة ممن كانت حية بعد مائة سنة، وساق نصوصاً كثيرة في ذلك من النقل ومن العقل ثم قال: «وبهذا كله يتبين أن النصوص الدالة على موت كل إنسان على وجه الأرض في ظرف تلك المائة، ونفي الخلد عن كل بشر قبله تتناول بظواهرها الخضر، ولم يخرجه منها نص صالح للتخصيص كما رأيت. والعلم عند الله تعالى»[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن حياة الخضر عليه السلام: «والصواب

---

(١) هو أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي، أديب، نحوي، لغوي، مفسر، ولد بغرناطة. وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ. انظر: معجم المؤلفين (٣/ ٧٨٤).

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان (٦/ ١٤٧)، نشر مكتبة النصر الحديثة بالرياض.

(٣) هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: ولد عام (١٣٢٥هـ)، في موريتانيا، كان على علم غزير في التفسير والعقيدة، والفقه وأصوله، واللغة. ومن مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم المسمى: أضواء البيان؛ وكتاب منع المجاز، وغيرها. سكن المدينة النبوية، ودرس بالجامعة الإسلامية، توفي رحمه الله سنة (١٣٩٣هـ). انظر: ترجمته بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم في مقدمة أضواء البيان، وكتاب علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب، ص(١٧١)، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، عالم المعرفة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة»، (ص١٠٣٢) برقم (٢٥٣٨).

(٥) انظر: كلام الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بتوسع في هذه المسألة: أضواء البيان (٤/ ١٧٧ - ١٩٢).

الذي عليه المحققون أنه ميت، وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجوداً في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوجب عليه أن يؤمن به، ويجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم، ولم يكن مختفياً عن خير أمة أخرجت للناس وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم، ثم ليس للمسلمين به وأمثاله حاجة لا في دينهم ولا في دنياهم؛ فإن دينهم أخذوه عن الرسول النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم الذي علّمهم الكتاب والحكمة إلى أن قال: وإذا كان الخضر حيّاً دائماً فكيف لم يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك قط، ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدون، وقول القائل: إنه نقيب الأولياء فيقال له: من ولّاه النقابة وأفضل الأولياء أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليس فيهم الخضر وعامة ما يحكى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب، وبعضها مبني على ظن رجل مثل: شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر وقال: أنه الخضر كما أن الرافضة ترى شخصاً تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم أو تدعى ذلك وروى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال وقد ذكر له الخضر: من أحالك على غائب فما أنصفك، وما ألقى هذا على ألسنة الناس إلا الشيطان»[1].

والشيطان قد يتصور لهؤلاء القوم في صورة يظنونها الخضر ليلبس عليهم ويضلهم عن سواء السبيل: «وقد يرى الخضر على صور مختلفة وعلى صورة هائلة، وأمثال ذلك، وذلك لأن هذا الذي يقول: إنه الخضر، هو جنيّ بل هو شيطان يظهر لمن يرى أنه يضله»[2].

ثم ما المقصود بأهل الغيب هل هم الذين يزعمون علم الغيب وقد ماتوا وانقرضوا ثم يُسألون النصر على الأعداء؟، فيقال لمثل هؤلاء: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٤].

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٠٠ ـ ١٠٢). (٢) منهاج السنّة النبوية (١/ ١٠٤).

ومما تقدم يتبين لنا أن الصوفية قد لبس عليهم الشيطان فجعلهم يعتقدون أن ما يرونه في بعض الأوقات هو الخضر عليه السلام، والحق الذي لا ريب فيه أن الخضر عليه السلام قد مات، ولو كان حياً للزمه اتباع النبي ﷺ، والمشاركة معه ومع أصحابه في نصر دين الإسلام، وكذلك النبي ﷺ لم يثبت عنه أنه أخبر بشؤون الخضر إلا بما أخبر به القرآن.

وبيّن شيخ الإسلام رحمه الله على افتراض حياة الخضر - أن المسلمين في غنى عنه وعن غيره من الخلق في تلقي أمور الدين؛ لأن الدين قد جاء به كاملاً سيد الخلق ﷺ فلا حاجة بالمسلمين للالتفات إلى غير شرعه ﷺ.

ومن النصوص التي توضح اهتمام صوفية حضرموت بقضية حياة الخضر عليه السلام والتلقي عنه ما جاء في ترجمة أحمد بن علوي باجحدب (ت٩٧٣هـ) أنه: «كان كثير الاجتماع بالخضر عليه السلام وطلب منه تلميذه عوض بامختار[1] أن يجمع بينه وبين الخضر فقال له: ستجتمع به ولا تقدر عليه فاجتمع به في الجبل المشهور بالمعجاز وهو في صورة بدوي فلم يعرفه فلما بَعُدَ عنه ناداه، وقال له: السلام عليك يا عوض بامختار، ستُقضى حاجتك، وسلِّم على شيخك؛ الشيخ أحمد فقال له عوض: قف لي حتى أسألك، فقال له: ما قال لك الشيخ أحمد ما تقدر عليه ثم غاب عنه فلم يره»[2].

وجاء في كتاب تذكير الناس: «وذكر سيدي عن شيخه الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس أن الشيخ علي بن عمر الشاذلي[3] صاحب المخا[4]، تولى

---

(١) هو عوض بن عبد الله بامختار، ولد بالغرفة سنة ٩١٣هـ، وكان صوفياً أمياً، وتوفي بالغرفة سنة ٩٧٨هـ. انظر: السناء الباهر للشلي (ص٥٢٥) تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، مكتبة الإرشاد - صنعاء؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٦٦).

(٢) المشرع الروي: ٢/ ٧٢.

(٣) هو علي بن عمر بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد دعسين الشاذلي، من شيوخ الصوفية بزبيد، استوطن قرية المخا، وله فيها زاوية صوفية وأصحاب، وأشهر الطريقة الشاذلية ونشر فكرها بتلك الجهة. توفي سنة ٨٢١هـ بالمخا. انظر: طبقات الخواص (ص٢٣٣).

(٤) المخا: موضع باليمن بين زبيد وعدن بساحل البحر وهو مقصور، ويقع شمال باب المندب، وهو من أعمال تعز، كان مشهوراً بتصدير البن. انظر: البلدان اليمنية عند ياقوت =

الخطابة وكثرت في وقته أذية الجن للإنس، فشكا ذلك إلى الخضر»[(١)].

وجاء في كتاب تذكير الناس: «وقيل له: هل أجازكم الخضر في شيء مخصوص؟ فقال: لا أذكر شيئاً ولي منه إجازات عامة، واجتماعات كثيرة»[(٢)].

وجاء في كتاب المشرع الروي في مناقب علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ أنه: «كان حزيناً متفكراً إذ دخل عليه رجل حسن الثياب طيب الرائحة فقال له: ما لي أراك حزيناً أعلى الدنيا تحزن؟! فهي رزق حاضر يأكل منه البر والفاجر. فقال: ما عليها أحزن وإنها كما تقول، فقال: عَلامَ حزنك؟ فقال: أتخوف من فتنة ابن الزبير[(٣)] قال: فضحك، ثم قال: يا علي هل رأيت أحداً خاف الله فلم ينجه، قال: لا، رأيت أحداً سأله فلم يعطه؟ قال: لا، فاختفى عنه، وإذا قائل يقول ولا يرى شخصه: هذا الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ»[(٤)].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته، كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد»[(٥)].

فالأحاديث التي قد يستند عليها صوفية حضرموت في حياة الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يثبت منها شيء، وعمدتهم وأقوى ما يستدلون به ما روي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لما توفي النبي ﷺ وسجى بثوب، هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته شخصه: سلام الله وبركاته، السلام عليكم أهل البيت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ

= الحموي، للأكوع (ص٢٥٦).

(١) تذكير الناس (ص٥٢)

(٢) المصدر السابق (ص٢٢٥). وانظر: أخذ الأحكام الشرعية عن الخضر: تاريخ الحامد (ص٧٠٧).

(٣) هو الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير بن العوام، ولد عام الهجرة، وحنكه رسول الله ﷺ ودعا له. بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية فبقي ثمان سنوات حتى قتل في أيام عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ. انظر: الإصابة (٢/٣٠١ ـ ٣٠٣)، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٤) المشرع الروي (٢/٤١).

(٥) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، للإمام ابن القيم (ص٦٧). تحقيق وتخريج: أبي غدة.

ﭐلۡمَوۡتِۗ﴾ الآية. إن في الله خلفاً من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة، ودركاً من كل فايت، فبالله فثقوا، وإياه فأرجوا، فإن المصاب من حرم الثواب[1] فكانوا يرون أن المتكلم هو الخضر عليه السلام[2].

وأكثر ما يستدلون به حكايات وقصص لا تثبت بها أحكام[3].

وبيّن أهل العلم بطلان ما استدلوا به من الأحاديث على حياة الخضر عليه السلام[4].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً، لا يقوم بمثلها حجة في الدين»[5].

وشحن القوم كتبهم بذكر لقاء مشايخهم وأوليائهم بالخضر عليه السلام، لتلقي بعض العلوم والمعارف عنه التي يبحث عنها الصوفية من المواهب والأسرار التي أكثروا ذكرها في مصنفاتهم، فقد ذكر الشلي مساجد تريم فقال: «ومنها مسجد سرجيس المشهور بالعبادة معمور اجتمع كثير من الصالحين بالخضر عليه السلام فيه»[6].

كما يرون أن البركة تنال باجتماعهم بالخضر عليه السلام[7]، ويدعون أنهم يرونه في صورة بدوي ويخبرهم بالمغيبات كانقضاء الحاجات التي لا يعلمهما إلا

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (٢/ ١٦٢).

(٢) أضواء البيان (٤/ ١٧٨)، ط مكتبة ابن تيمية، وبين الشيخ أن الحديث لا يصح، ولم يثبت بسند صحيح، انظر: رد الشيخ على من قال بحياة الخضر عليه السلام (٤/ ١٧٨ ـ ١٨٩).

(٣) انظر بعض تلك القصص والحكايات: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي (ص٥٤) تعليق: نعيم زرزور، ط ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت، والموضوعات (١/ ١٩٩).

(٤) انظر: الموضوعات، لابن الجوزي (١/ ١٩٥ ـ ١٩٧)، ط٢، ١٤٠٧هـ تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، والمنار المنيف، لابن القيم (ص٦٧) تحقيق: أبي غدة ١٤٠٢هـ.

(٥) البداية والنهاية، للإمام ابن كثير (١/ ٣١١).

(٦) المشرع الروي (١/ ١٤١).

(٧) المصدر السابق (٢/ ٥٤).

رب الأرض والسماوات جلّ وعلا[١].

وجاء في كتاب المشرع الروي عند ذكر كرامات عبد الرحمٰن السقاف (ت ٨١٩هـ): «وقال بعض تلاميذه: أود أن ألقى الخضر وأعقد معه الأخوة، فقال: سوف تنال ذلك قال: فلقيني الخضر في صورة بدوي كانت بينه وبيني معرفة وعقد معي الأخوة ثم غاب وشممت الرائحة الطيبة»[٢].

وفي هذا النص يؤكد القوم لقاءهم الخضر في صورة بدوي لاعتقادهم تشكله في الصور التي يعرفونها كي يأنسوا به، بل ويعقدون معه عقد الأخوة معه وذلك بإشارة السقاف للتلميذ وحصول مراده، ثم إنهم جعلوا من علامات الخضر طيب الرائحة عندما يولي عنهم مدبراً.

وحقيقة الأمر أن ذلك من تسويل الشيطان لهم وتمثله لهم، فيخبرهم أنه الخضر أو يلقي ذلك في قلوب مشايخ الصوفية ليضلوا ويضلوا غيرهم كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ومن الموضوعات المستفادة من دعوى القوم لقاء الخضر عليه السلام تصحيح بدعهم وترويجها، كبدعة الحضرة الصوفية وغيرها، فقد جاء في كتاب (ظهور الحقائق) عند ذكر الفقيه المقدم: «وكانت له قدّس الله روحه حضرات محضورة، ومشاهد مشهورة، ومجالس مشهودة، ومحاضر معقودة يحضرها الملائكة والأنبياء ورجال الغيب والخضر والأولياء والصالحون والأصفياء الأحياء بأجسامهم والأموات بأرواحهم»[٣].

الإلهام عند صوفية حضرموت:

تمهيد:

الإلهام في اللغة: هو ما يلقى في الروع، أو ما يلقيه الله في النفس من الأمور التي تبعث على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص الله به من

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٧٢).
(٢) المشرع الروي (٢/ ١٤٥).
(٣) ظهور الحقائق (ص٨٠ ـ ٨١).

يشاء من عباده[1].

وجاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨].

وقال الراغب الأصفهاني[2] في مفرداته أن الإلهام هو: «إلقاء الشيء في الروع، يختص ذلك بما كان من جهة الله ـ تعالى ـ وجهة الملأ الأعلى»[3].

وفي الاصطلاح: «إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر، ويطمئن ويسكن من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة، يخص به الله ـ تعالى ـ بعض أصفيائه»[4].

وقد يسمى هذا الإلهام بالعلم اللدني، يقول ابن القيم رحمه الله: «والعلم اللدني: هو العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهاماً بلا سبب من العبد، ولا استدلال، ولهذا سمي لدنيّاً»[5].

صرف الصوفية مفاهيم الدين وعلومه على أساس الإلهام لينصروا مذهبهم المخالف، لذا ازدروا بسببه كل وسيلة أخرى توصل إلى الله تعالى.

والإلهام ـ كما سبق ـ ما يلقى في الروع من أمور تبعث على الفعل أو الترك، ولكن يقال: إن الملهم مهما أوتي من علوم فإن الله سبحانه لم يضمن له سلامتها كما ضمن لعباده حفظ الكتاب والسنّة. وذهب أبو حامد الغزالي إلى التسوية بين وحي الأنبياء وإلهام الأولياء، ولم يثبت فرقاً إلا في مشاهدة الملقي الذي يتلقى منه العلم، فقال: «ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء بل في الملك المفيد للعلم، فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة»[6].

---

(١) انظر: لسان العرب (١٢/ ٥)، مادة: (لهم).

(٢) هو الحسين بن محمد بن المفضل (الراغب الأصفهاني)، من أهل أصفهان، سكن بغداد. من تصانيفه: المفردات في غريب القرآن، ومحاضرات الأدباء، والذريعة إلى مكارم الشريعة، وغيرها. توفي سنة (٥٠٢هـ). انظر: السير (١٨/ ١٢٠)؛ والأعلام (٢/ ٢٥٥).

(٣) المفردات للراغب الأصفهاني (ص٤٥٥).

(٤) انظر: التعريفات، للجرجاني (ص٣٤)؛ وشرح جمع الجوامع، للمحلي (٢/ ٣٥٦).

(٥) مدارج السالكين (٣/ ٤٣١).

(٦) إحياء علوم الدين (٣/ ٢١).

وهذا كلام غير صحيح، ويظهر خطأه لكل من عرف الكتاب والسنّة ومذهب سلف الأمة.

والإلهام عند أهل السنّة والجماعة من جملة أصناف الوحي، ومراتب الهداية، والإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم وقربهم من الله تعالى.

أما الإلهام الخاص فهو التحديث، وهو الوحي إلى غير الأنبياء[١] كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝﴾ [القصص: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ [المائدة: ١١١].

وقد يكون لغير مكلف، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝﴾ [النحل: ٦٨].

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المقرر في علم الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء؛ لعدم العصمة، وعدم الدليل على الاستدلال به. بل ولوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به، وما يزعمه بعض الصوفية من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره... كله باطل لا يعوّل عليه، لعدم اعتضاده بدليل، وغير المعصوم لا ثقة بخواطره؛ لأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان. وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع، ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات.

أما ما يلهمه الأنبياء مما يلقيه الله في قلوبهم، فليس كإلهام غيرهم؛ لأنهم معصومون بخلاف غيرهم. وبالجملة، فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام، أن لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرب إليه من فعل وترك: إلا عن طريق الوحي، فمن ادعى أنه غني - في الوصول إلى ما يرضي ربه - عن الرسل وما جاءوا به، ولو في مسألة واحدة، فلا شك في زندقته»[٢].

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٤ - ٤٥). (٢) أضواء البيان: (١/ ١٥٩).

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ منزلة الإلهام عند أهل السنّة بكلام متين فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ففي الجملة متى حصل ما يظن معه أن أحد الأمرين أحب إلى الله ورسوله كان هذا ترجيحاً بدليل شرعي، والذين أنكروا كون الإلهام طريقاً على الإطلاق أخطأوا، كما أخطأ الذين جعلوه طريقاً شرعياً على الإطلاق، ولكن إذا اجتهد السالك في الأدلة الشرعية الظاهرة فلم ير فيها ترجيحاً وألهم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حسن قصده وعمارته بالتقوى، فإلهام مثل هذا دليل في حقه قد يكون أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة والأحاديث الضعيفة والظواهر الضعيفة والاستصحابات[1] الضعيفة التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه»[2].

ففي كلام شيخ الإسلام ما يبيّن أن الإلهام ليس دليلاً شرعياً مستقلاً، بل هو من جملة المرجحات عند تكافؤ الأدلة النقلية، وعدم وجود المرجح، فمتى كان صاحبه ذا قلب تقي معمور بطاعة الله تعالى، فله حينئذ أن يرجح ما يلهمه في نفسه، ولا يتعدى هذا الترجيح إلى غيره.

ولا يتناقض الإلهام الحقيقي مع نصوص الشريعة، وينبغي أن يعرض الإلهام وغيره على نصوص الشرع؛ فإن كان حقاً قبل، وإن كان باطلاً رد.

والذوق يعتبر داخلاً في دائرة الإلهام وعمدته نصوص الكتاب والسنّة، وقد أخبر الرسول ﷺ عن الأمور التي بها يذوق العبد طعم الإيمان، فقال ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً»[3].

---

(١) الاستصحاب عند الأصوليين هو: استدامة إثبات ما كان ثابتاً. أو نفي ما كان منفياً أو هو بقاء الأمر على ما كان عليه ما لم يوجد ما يغيره. معجم مصطلحات أصول الفقه، تأليف: علاء الدين بن نجم (ص٢٠). الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ. مكتبة الرشد ـ الرياض، والدار العثمانية ـ عمّان.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٧٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي والكبائر، (ص٤٨) برقم (٣٤)، من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

وثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[(١)].

نصوص صوفية حضرموت الدالة على اعتماد الإلهام مصدراً للتلقي:

لم يجعل القوم الكتاب والسنّة مصدرين لتلقي الشرع، إنما اعتمدوا على مصادر اختصوا بها عن سلف الأمة وأئمتها، ومن تلك المصادر الإلهام الذي جعلوه مصدراً أساسياً وحجة قوية في التلقي عندهم، يقول عبد الله بن علوي بن حسن العطاس: «وقد سئل سيدنا الحبيب عبد الله الحداد، نفع الله به، عن قول سيدنا الشيخ سعيد[(٢)]: ولا يكون الشيخ شيخاً حتى يعلم بأصول الدين وفروعه» فأجاب بقوله: اعلم أن قول الشيخ هذا صحيح محقق فأما قوله رضي الله عنه: «حتى يعلم بأصول الدين وفروعه» فمعناه لا بد أن يكون للشيخ الداعي علم بأصول الدين وفروعه على الإجمال أو على التفصيل من طريق الكسب والتعلم أو من طريق الوهب والإلهام كما وقع مثل ذلك لهذا الشيخ أعني الشيخ سعيد؛ فإنه كان أمياً وكذا جماعة من الأشياخ منهم الشيخ أحمد الصياد[(٣)] والشيخ علي الأهدل[(٤)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (ص٢٦ ـ ٢٧) برقم (١٦)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (ص٥٠) برقم (٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أي سعيد بن عيسى العمودي صاحب الضريح المعظم لديهم بدوعن.

(٣) هو أبو العباس أحمد بن أبي الخير الصياد، أحد صوفية اليمن الكبار بزبيد، تصوف على إبراهيم الشلي، توفي سنة ٥٩٧هـ، له سيرة مستقلة لأحد تلامذته. من مؤلفاته: السيرة الرضية والشهرة المروية، وتكملة كتاب مقالات ابن خمر طاش في طرائق الصوفية. انظر: طبقات الخواص (ص٦٤)؛ وكشف الظنون (ص١٠١٥)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٢١).

(٤) هو أبو الحسن علي بن عمر بن محمد الأهدل، قدم جده من العراق هو وأبنا عم له على قدم التصوف، فسكن بناحية وادي سهام بزبيد، ونسب آل الأهدل يرجع إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وله شطحات وكرامات منحرفة ذكر كثيراً منها الشرجي في طبقاته. وكانت وفاته لنيف وستمائة وعمره يومئذ ثلاثون سنة. انظر: طبقات الخواص (ص١٩٧ ـ ١٩٨).

والشيخ أبي الغيث وغيرهم»[١].

وفي هذا النص بيان واضح في جعل القوم الإلهام من المصادر التي يتلقون منها أصول الدين وفروعه.

وقد أكمل الله لنا الشرع فالاستغناء به دون غيره هو الواجب على المسلم، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ففي هذه الآية بيان واضح من الله تعالى لعباده أن الدين كامل ولا يحتاج إلى محدَّث لإكماله ولا إلى غيره، ومن قال غير ذلك فقد خالف نص الآية وجانب الصراط المستقيم.

وقال ﷺ: «إنه كان من قبلكم محدّثون، فإن يكن في أمتي فعمر»[٢].

ففي الحديث: إن يكن من أمتي محدّثون. ولم يجزم ﷺ في ذلك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كانت أمتنا مستغنية عن أن تأخذ من نبوة غير نبوة محمد ﷺ فاستغناؤها عن المحدَّثين أولى، ومن كانوا قبلنا كانوا محتاجين إلى الأنبياء، فكذلك ربما احتاجوا إلى المحدَّثين وما احتاجت الأمم إليه من الأخبار الإلهية فلا بد أن يكون محفوظاً معصوماً لتقوم به الحجة، ويحصل به مقصود الدعوة، وهذا مما دلّ على وجوب عصمة ما جاءت به الأنبياء، وعصمة ما جاء به نبينا بعد موته فحفظ الله الذكر الذي أنزله وقد أنزل عليه الكتاب والحكمة، والحكمة هي السنّة فحفظ الله هذا وهذا، ولله الحمد والمِنّة، ومن وجد من هذه الأمة محتاجاً إلى شيء غير ما جاء به الرسول فلضعف معرفته واتباعه لما جاء به الرسول، مثل كثير منهم من يقول: أنه يحتاج إلى الإسرائيليات وغيرها من أحوال أهل الكتاب وآخرون منهم من يقول: أنهم محتاجون إلى حكمة فارس والروم والهند واليونان وغيرهم من الأمم، وآخرون يقولون: أنهم محتاجون إلى ذوقهم أو عقلهم أو رأيهم بدون

(١) غرر البهاء الضوي (ص٣٩٨)؛ وظهور الحقائق (ص٣٤).

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٦٦) من هذا البحث.

اعتبار ذلك بالكتاب والسنّة، ولا تجد من يقول أنه محتاج إلى غير آثار الرسول ﷺ إلا من هو ضعيف المعرفة والاتباع لآثاره وإلا فمن قام بما جاء به الكتاب والسنّة أشرف على علم الأولين والآخرين، وأغناه الله بالنور الذي بعث به محمداً عما سواه»[(١)]، كما ردّ العلماء على إلهام الصوفية الذي جعلوه مصدراً لتلقي الشرع، يقول ابن أبي الخير العمراني رحمه الله: «فمن قال: إنّ الخلق مستغنون عن الرسل، وأن معرفة الله لا يصح الأمر بها فقد خالف الكتاب وأبطله، ومن قال: إن معرفة الله بالإلهام أو بالطباع أو بغير كسب المأمور يلزمه أن يقول: أن الكفار الذين عاندوا الرسول ﷺ في زمانه وقتلهم أنهم مخلدون في الجنة؛ إذ لم يكن لهم طباع أو إلهام ولم يفطروا على المعرفة، إلى أن قال: ومن كان هذا مقتضى قوله فلا شك في كفره لمخالفته نص الكتاب والسنّة وإجماع الأمة»[(٢)].

الهواتف عند صوفية حضرموت:

الهواتف لغة: الهتف والهتاف هو الصوت الجافي العالي، وقيل: الصوت الشديد. وقد هتف به هتافاً؛ أي: صاح به، وهَتَفتُ بفلان، أي دعوته، وهتفتُ بفلان؛ أي: مدحتُه. وسمعت هاتفاً يهتف إذا كنت تسمع الصوت، ولا تبصر أحداً[(٣)].

واصطلاحاً: الهاتف في اصطلاح الصوفية عبّر عنه الغزالي بأنه: لفظ منظوم يقرع السمع لمن صفا قلبه في اليقظة[(٤)].

وقد لبّس الشيطان على صوفية حضرموت، فاتخذوا الهواتف مصدراً لتلقي أحكام دينهم ودنياهم، ومن قرأ في كتب القوم، وجدها مليئة بقولهم: هتف بي هاتف،، سمعت هاتفاً ولم أرَ قائله... إلخ.

(١) الصفدية (١/ ٢٦٠).
(٢) الانتصار في الرد على القدرية الأشرار، للعلامة يحيى بن أبي الخير العمراني (٣/ ٨١٤).
(٣) انظر: لسان العرب: (٩/ ٣٤٤)، مادة: (هتف).
(٤) إحياء علوم الدين: (٢/ ٢٦٨).

والهواتف من سماع الأذن، لذا عظمت قيمتها عند القوم فهي ترشدهم إذا أخطأوا أو ترددوا في أمورهم، فتبيّن لهم الحق، وتردهم إلى الصواب، جعلوها أيضاً قريبة من حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين يوحى إليهم إذا أخطأوا، أو احتاجوا لحل ما يعرض لهم ونحو ذلك، لعصمتهم بخلاف أولياء الصوفية فلا عصمة لهم.

وأحوال الهواتف عند القوم إما أن تكون في اليقظة، أو في المنام، أو في حالة بين اليقظة والمنام كما سيأتي.

ويستفيد الصوفية من هذه الهواتف أشياء منها: تصحيح الأحوال، والمعاملات، والتنبيه على الآداب المتعلقة بالعبودية، والإرشاد إلى الفضائل ومعالي الأخلاق[1].

ومن النصوص التي تدل على اعتماد صوفية حضرموت الهواتف كمصدر للتلقي ما جاء في كتاب (ظهور الحقائق): عند ذكر الفقيه المقدم: «وقد كان سيدنا الفقيه المقدم يسمع الهواتف من جانب الحق جلّ وعلا تناديه فكان مما نودي به: يا فقيه، اترك ما أنت عليه من الظواهر وأقبل علينا نواصلك ونواليك؛ فإن لنا فيك مراداً ولك منا ازدياداً»[2].

وفي هذا النص اعتمد القوم على الهواتف في تصحيح الأحوال واعتقاد أنها من جانب الحق تعالى تنادي الفقيه المقدم أن يقبل على الله تعالى ويترك الظواهر، وإن لله تعالى مراداً في الفقيه المقدم، فما هو المراد المدعى لفقيههم؟، كما اعتمدوا الهواتف في بيان منزلة الشخص ومكانته عند الله تعالى حيث عدوا ذلك من المناقب.

يقول أبو بكر الحبشي: «جاء إلى سيدي ﷺ بعض أهل السر والنور من السادة آل العطاس، وقال له: سمعت وأنا بين النوم واليقظة هاتفاً يقول: أمانة كانت عند الحبيب علي بن محمد الحبشي، نريدها للحبيب أحمد بن حسن

---

(١) انظر: مصادر التقي عند الصوفية، لصادق سليم صادق (ص٢٨٨).
(٢) ظهور الحقائق (ص٨٠ ـ ٨١).

العطاس، قال: فصحت وبكيت وقلت: يكفيه ما هو معه الآن؛ لأنه متحمل أشياء ثقيلة فسمعت الهاتف يقول: هو يؤمن، وهو يُعين ثلاثاً فتبسم سيدي رضي الله عنه وقرأ قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]»(١).

ومن أحوال القوم في تلقي الهواتف حال بين اليقظة والنوم، تأتيهم ليحملوا أمانة وصَلت إليهم، ولا يدرى ما هذه الأمانة التي لم يفصح عنها هذا الرجل، وهذا كعادتهم من كتمان السر وعدم إظهاره لأي أحد.

وفيه أيضاً اعتماد الهاتف في معرفة منزلة الشخص وأنه يؤمن ويعان على تحمل هذه الأمانة التي كتموها، ويكرر الهاتف هذا الضمان ثلاثاً.

وجاء في ترجمة حسن بن عبد الرحمٰن السقاف(٢) (ت٨١٣هـ) «وكان يجتمع هو وأصحابه يذكرون الله تعالى إلى نحو نصف الليل وربما استمروا إلى الفجر، وسمع بعض أهل الكشف وهو وأصحابه يذكرون الله تعالى منادياً ينادي: ألا إن الله قد غفر لكم»(٣).

وفي هذا النص ادعاء معرفة مغفرة الله تعالى لذنوبهم عن طريق الهواتف، وترتيب المغفرة على ذكرهم الجماعي المخالف لسُنَّة النبي ﷺ، ثم إن أكثر أذكارهم مبتدعة كما هو مدون في أكثر كتبهم في الأذكار والأوراد والحضرات، وقولهم بمغفرة الله ذنوبهم من الكذب، وهذا من أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [آل عمران: ٩٤].

---

(١) تذكير الناس (ص٢١٠).

(٢) هو حسن بن عبد الرحمٰن بن محمد مولى الدويلة السقاف العلوي: ولد ونشأ بتريم، وكانت له مجاهدات صوفية، وذكروا له كرامات غريبة وخيالية، وكان من أصحاب الشطح الصوفي. مات سنة ٨١٣هـ قال عنه الشلي: «لو طالت حياته لبلغ رتبة القُطبية». انظر: المشرع الروي (٢/ ٨٨ ـ ٨٩).

(٣) المشرع الروي (٢/ ٨٩).

وجاء في تذكير الناس ما يبيِّن اجتماع أحمد بن حسن العطاس بأهل البرزخ: «فبينما أنا جالس إذ بورقة تدار على الحاضرين إذا قرأها أحدهم أعطاها الذي يليه، حتى بلغت عندي فقرأتها فإذا فيها مكتوب؛ عبد الرحمٰن بن حامد؛ رأى النبي ﷺ يقول: علي الحبشي؛ أعماله وأعمال أصحابه مقبولة، فقال سيدي أحمد رضي الله عنه: حينئذ أنا من أصحابك؛ فقال سيدي علي: كلكم من أصحابي؛ ثم قال لي: أتريد أن تجتمع بالنبي ﷺ، فقلت: نعم، فدخلت إلى مكان فيه جماعة؛ فسألتهم أين الحبيب ﷺ فقيل: سيأتي فجلسنا؛ ثم دخل الحبيب ﷺ فقمنا فصافحناه؛ فجلس ولم يتكلم هو ولا أحد بكلمة ثم أخذ الحبيب ﷺ يتكلم في علوم الذات الأحدية، بلسانٍ محمدية أحمدية، تلاشت عندها الصور الجسمانية. وشرع سيدي رضي الله عنه يتكلم وأتى بما يحير العقول فقال سيدي رضي الله عنه: كأني أسمع أحداً من السقف يقول: اكتم اكتم، وقد سمع هذا الهاتف بعض السادة الحاضرين، قال سيدي علي ثم تكلم الحبيب ﷺ في علوم الصفات، وسكت...»[1].

وقال أحمد بن حسن العطاس: «لما حج الشيخ عمر السهروردي قدر الله حج الشيخ عمر الفارض في تلك السنّة وهتف بالناس هاتف بلسان حال أهل الباطن: يا أهل الجمع، خذوا مناسككم عن السهروردي وهو إمام جمع الله له بين علمي الباطن والظاهر»[2].

كما اعتمد القوم الهواتف في مدح كتبهم المليئة بالمخالفات الشرعية، لتروج على الناس لا سيما إذا زكاها كبارهم، يقول أحمد بن حسن العطاس: «ولما جمع الولد عبد الله المذكور كتابه ظهور الحقائق[3] تراآى لي، وأنا بين الغرفة وسيئون، أني سمعت هاتفاً يثني على ذلك الكتاب ويمدحه»[4].

---

(١) تذكير الناس (ص٢١١).
(٢) المصدر السابق (ص٢٦٦).
(٣) وهذا الكتاب حشاه مؤلفه بالشركيات والبدع والمخالفات الكثيرة لمذهب السلف الصالح. انظر مثلاً: ادعائه معرفة الولي للغيب (ص٣٢)؛ وكذلك اطلاع الشيخ على اللوح المحفوظ ومحو ما كتب فيه (ص٣٣، ٣٧)؛ واعتماد التأويل الباطني للنصوص (ص٣٤)؛ والتوسل الممنوع (ص٤٠).
(٤) تذكير الناس (ص٣٩٤).

واعتمد القوم الهواتف كمصدر لأفعالهم الدنيوية، حيث جاء في كتاب المشرع الروي أن محمد بن علي مولى الدويلة: «سمع هاتفاً يقول له: ابنِ داراً عند العين فإنها من أنهار الجنة فتقدس بسكنى ذلك الوادي وأَسْبَلَ بالتقوى ذلك النادي»(١).

وهذا النص فيه دعوى اطلاع القوم على أمور الغيب، ومعرفة فضيلة المكان وأنه من أنهار الجنة بمجرد سماع الهواتف، وبالتالي ترتيب الفضائل عليه بهذا السماع الشيطاني، ومجرد ذكر هذا الكلام يكفي في بيان بطلانه، وضلال قائله.

كما اعتمدوا الهواتف في تنزيل النصوص الشرعية على أوليائهم يقول الشلي عند ذكر مناقب محمد بن حسن المعلم العلوي(٢): «وقال رضي الله عنه قرأت يوماً: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. فسمعت هاتفاً ولم أَرَ شخصه يقول الفقيه محمد بن حكم(٣) منهم وقرأ يوماً: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]. وتفكر فيها فسمع هاتفاً يقول: إن أردت أن تنظر إلى حملة العرش فانظر إلى محمد بن علي المعروف بشيخ علي»(٤).

هكذا يصل بهم الأمر عند ترك الحق، واعتماد هذه المصادر الغريبة إلى التألي على الله والحكم لأوليائهم بالجنة، بل ورفْع منزلتهم إلى أنهم من حملة العرش الثمانية الذين يحملون عرش الرحمٰن يوم القيامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الاسراءات والمعاريج عند صوفية حضرموت:

الإسراء في اللغة هو: سير الليل عامته، وقيل كله.

---

(١) المشرع الروي (١/ ٢٠١).

(٢) هو محمد بن حسن المعلم بن محمد العلوي الملقب بالشيبة واشتهر بجمل الليل. من أصحاب الأحوال والشطحات الصوفية. توفي بتريم سنة ٨٤٥هـ. انظر: المشرع الروي (١/ ١٧٧ ـ ١٧٩).

(٣) هو باقشير وقد تقدمت ترجمته (ص٢٧٨).

(٤) المشرع الروي (١/ ١٧٨).

والعروج: يقال عرج في السُّلّم يعرج عروجاً؛ أي: ارتقى وعرج في الشيء وعَلِيَه، والمعارج: مصاعد الدرج، والمعراج: شبه سُلّم، أو درجة، تعرج عليه الأرواح إذا قبضت(١).

ومعنى الإسراءات والمعاريج عند الصوفية هو ما بيّنه الشعراني بقوله: «وقد صرح المحققون بأن للأولياء الإسراء الروحاني إلى السماء بمثابة المنام يراه الناس. ولكل منهم مقام معلوم لا يتعداه، وذلك حين يكشف له حجاب المعرفة، فكل مكان كشف له فيه الحجاب: حصل المقصود به، فمنهم من يحصل له ذلك بين السماء والأرض، ومنهم من يحصل له ذلك في سماء الدنيا، ومنهم من ترقى روحه إلى سدرة المنتهى، إلى الكرسي، إلى العرش»(٢).

ومن نصوص القوم في اعتقاد حصول الإسراء والمعراج لأوليائهم ومشايخهم ما جاء في كتاب عقد اليواقيت الجوهرية عند ذكر بعض أبيات لمحمد بن علي مولى الدويلة قوله:

«الحب حبي والحبيب حبيبي ... والسبق سبقي قبل كل مجيبِ
نوديت فأجبت المنادي مسرعاً ... وغطست في بحر الهوى وغدى بِي
لي تسعة وثلاثة مع سبعة ... والعقد لي وحدي وعاد نصيبي
ما تعلموا أني مقدم في الملا ... ليلة سرى باليثربي سُري بي»(٣)

هكذا يمدح هذا الرجل نفسه بهذه الأبيات بما حوته من عدم التأدب مع رسول الله ﷺ حيث يخاطبه باليثربي، وكذلك جعل هذا الشخص نفسه في منزلة الرسول ﷺ بدعوى أنه أسري به ليلة أسري بالنبي ﷺ، ومجرد ذكر هذا القول وقراءته يتضح بطلانه، وانحراف قائله عن الحق انحرافاً بعيداً.

---

(١) انظر: لسان العرب (١٤/٣٨١)، مادة (سرأ) (٢/٣٢٠ ـ ٣٢٢)، مادة (عرج).
(٢) كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان، تأليف: عبد الوهاب الشعراني (ص٥٢)، تحقيق: محمد عبد الله عبد الرزاق، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ، مطبعة حجازي ـ القاهرة. نقلاً عن كتاب المصادر العامة للتلقي عند الصوفية (ص٢٩٢ ـ ٢٩٣).
(٣) عقد اليواقيت الجوهرية (ص٧)؛ وكنوز السعادة الأبدية (ص٤٦٧).

ويقول عبد الرحمٰن الخطيب عند ذكر مراسلات الفقيه المقدم لبعض الصوفية: «ومن جملة ما كتب إليه[1] شيخ شيوخنا الشيخ محمد بن علي بن أبي علوي أنه عرج بي إلى سدرة المنتهى سبع مرات في ليلة واحدة، وفي رواية: سبع وعشرين وفي رواية: سبعين مرة»[2].

وذكر الخطيب في جوهره أن رجلاً من الشام يدعى الفضل أتى للفقيه وأخبره أن عبد الرحمٰن المقعد رجل مكتسب وأن الفقيه صاحب نسبة فعليه أن يتحكم له: «فقال شيخ شيوخنا وما هذه النسبة؟ قال: سدرة المنتهى»[3].

هكذا يقرر القوم الإسراء بأوليائهم بذكر هذه القصص المكذوبة وتعدد رواياتها وكأنها أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ، وهذه القصص والحكايات في دين الصوفية من المقطوع به ومن اليقينيات فلا يمكن للمريد ومن على شاكلته بعد أن ألغوا عقولهم أن يعارضوا هذا الكلام المنحرف فحالهم كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

الذوق عند صوفية حضرموت:

الذوق لغة: ذاق ذواقاً ومذاقاً، ومذاقة: اختبر طعمه، وتذّوقه ذاقه مرة بعد مرة، وتذاوقوا الرماح: تناولوها[4]، قال ابن فارس[5]: الذال والواو والقاف أصل واحد، وهو اختبار الشيء من جهة تطعّم[6].

واصطلاحاً: هو نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه،

---

(١) أي ما كتب الفقيه المقدم لسعد بن علي في مراسلاته له.

(٢) الجوهر الشفاف (١/ ٧٩).

(٣) المصدر السابق (١/ ٧٩).

(٤) انظر: القاموس المحيط (ص٨٨٥).

(٥) هو أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، اللغوي الفقيه المالكي، له عدة تلاميذ من أشهرهم: بديع الزمان الهمداني، أقام بهمدان، له مؤلفات كثيرة من أشهرها: المجمل في اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، وأوجز السير في سيرة خير البشر، توفي بالري سنة ٣٩٥هـ. انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، للأنباري (ص٢٣٥)؛ والمستفاد في تاريخ بغداد، لابن النجار (ص٦٥).

(٦) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٦٤).

ويفرقون به بين الحق والباطل، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره وأول التجليات الذوق[١].

فالذوق عند القوم يعرف به الحق من الباطل بعيداً عن الكتاب والسنّة، فهو أول التجليات ويزعمون أن ذلك النور الذي يجدونه سبب لتجلي الله لهم ـ تعالى عن قولهم علواً كبيراً ـ. فالذوق يقتصر عند القوم على نتائج التجليات الإلهية، فيستدلون به على كثير من الأحوال عندهم، كمن يستدل للسماع الصوفي بما يجده من أثر في نفسه.

اعتمدت صوفية حضرموت على الذوق فقدمته على الشريعة إذا تعارض معها، أو تأويل الشريعة على مقتضاه، وليس للذوق ضابط ولا حد، فكل شيخ له ذوق يتغير بتغير الظروف المحيطة والأعراف ومقامات الشيوخ، لذا يتبين الاختلاف في التفسيرات الصوفية بحسب أذواقهم ومواجيدهم المختلفة.

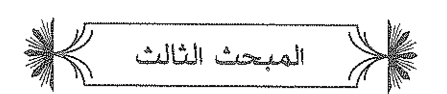
ويقولون في تفسير الحكمة الشرعية لأذكار الركوع: «وما هي الحكمة في كون ذكر الركوع: سبحان ربي العظيم، وذكر السجود: سبحان ربي الأعلى؟ فقال سيدي أحمد رضي الله عنه: هذا يا أخي شيء لا يدرك إلا بالذوق والمعرفة»[٢].

والذوق وسيلة للمعرفة عند الصوفية فلا عجب في انقسامهم، واتباع كل منهم الخرافات التي يمليها عليهم شيوخهم، ومن اصطلاحاتهم المعروفة «من ذاق عرف»، فأن المعتزلة ضلوا لما حكموا العقل البشري القاصر عن إدراك جميع الأشياء، فكيف بمن حكم هواه في دين الله، فيقول أحدهم: حدثني قلبي عن ربي، ثم يفسرون القرآن بموجب أذواقهم وأهوائهم، قال تعالى فيمن اتبع ذوقه وهواه وجعله ديناً: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

---

(١) معجم مصطلحات الصوفية للحفني (ص١٠٤)؛ وانظر: التعريفات للجرجاني (ص١٤٤).

(٢) تذكير الناس (ص٩٥).



المبحث الثالث

الرؤى والمنامات



تمهيد

الرؤى لغة: جمع رؤية، والرؤية بالعين، وتتعدى إلى مفعول واحد، وتأتي بمعنى العلم فتتعدى إلى مفعولين، والرؤية: النظر بالعين، والقلب[(١)].

والرؤيا هي ما يراه الشخص في منامه، وهي بوزن «فعلى» وقد تسهل الهمزة.

وهي في الأصل مصدر كاليسرى، فلما جعلت اسماً لما يتخيله النائم أجريت مجرى الأسماء[(٢)].

وأما في الاصطلاح: نقل الحافظ في الفتح عن القاضي أبي بكر بن العربي[(٣)] أنه قال: «الرؤيا: إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يد ملك، أو شيطان، إما بأسمائها؛ أي: حقيقتها، وإما بكناها؛ أي: بعبارتها. وإما تخليط ونظيرها في اليقظة الخواطر، فإنها قد تأتي على نسق في قصة، وقد تأتي مسترسلة غير محصلة»[(٤)].

---

(١) لسان العرب (٥/ ٨٤)، مادة: (رأى).

(٢) الفتح (١٢/ ٣٥٢)، ط ١٣٧٩هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة.

(٣) هو محمد بن عبد الله المالكي (ابن العربي)، محدث متكلم فقيه مالكي، ولد في أشبيلية سنة ٤٦٨هـ، وبرع في علوم الشريعة والأدب، وولي قضاء أشبيلية، وله عدة مؤلفات منها: العواصم من القواصم، وعارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي، وأحكام القرآن، وقانون التأويل، توفي قرب مدينة فاس سنة ٥٤٣هـ. انظر: السير (٢/ ١٩٧)؛ وشذرات الذهب (٤/ ١٤١)؛ وطبقات المفسرين للسيوطي (ص٩٠)؛ والأعلام (٦/ ٢٣٠).

(٤) الفتح (١٢/ ٣٦٢).

والرؤيا كما ذكر أهل العلم ثلاثة أنواع:

١ ـ الرؤيا الصادقة: مثل رؤيا الأنبياء ومن تبعهم من الصالحين، وقد تقع لغيرهم بندور وهذه الرؤيا تقع وفق ما وقعت في النوم.

٢ ـ الأضغاث: وهي أنواع فقد تكون من تلاعب الشيطان ليحزن الرائي، أو رؤية الملائكة تأمر بفعل المحرمات، وهذا من المحال.

٣ ـ أو يرى ما تحدثه به نفسه في اليقظة فيراه في المنام كما هو ويسمى حديث النفس.

فيتضح لنا أن الرؤى ثلاث: رؤيا من الله، ورؤيا من حديث النفس، ورؤيا من الشيطان[١].

وللرؤى المنامية منزلة كبيرة عند صوفية حضرموت، فقد عوّلوا عليها في مطالبهم الدينية والدنيوية، ويعملون بها عند تعارض أدلتهم التي يوردونها، وكذلك يستندون عليها في أمور أخرى يأتي ذكرها.

ولم يذكر القوم أدلتهم في ذلك إلا مجرد الوقوع، وهذا ليس بشيء، فإن كان بالرؤى والمنامات فهذا لا يؤخذ منه حكم شرعي، بل أن الكفار قد تصدق رؤيتهم إذا أولت كما في رؤية ملك مصر التي أولها له يوسف عليه السلام.

وقد بيّن أهل العلم استناد الصوفية عامة على المنامات، ومن ذلك ما ذكره الشاطبي[٢] رحمه الله في كتابه الاعتصام حيث قال: «وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقولون: رأينا فلاناً؛ الرجل الصالح. فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا.

ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٦١٢ ـ ٦١٣).

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشهير بالشاطبي، فقيه وأصولي لغوي محدث مفسر، من علماء المالكية. اشتهر بالورع والزهد واتباع السنَّة والدعوة إليها. من مؤلفاته: الاعتصام، والموافقات. توفي سنة ٧٩٠هـ. انظر: الأعلام (١/ ١١٨)؛ ومعجم المؤلفين (٣/ ٧٧).

رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي: كذا، وأمرني بكذا؛ فيعمل بها ويترك بها؛ فيعمل بها معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة»[١].

النصوص الدالة على اعتماد صوفية حضرموت للرؤى والمنامات مصدراً للتلقي:

اعتمدت صوفية حضرموت الرؤى والمنامات في أمور كثيرة منها: أخذ الأحكام الشرعية والترجيح بين مسائلها وفي الفضائل، ومصير الشخص في الآخرة، ومعرفة الثواب والعقاب الذي يناله الشخص، وكذا أخذ النصوص وتصحيح المخالفات الشرعية، وكذلك معرفة أمورهم الدنيوية.

يقول أحمد بن حسن العطاس عند ذكر خلاف العلماء في حكم البسملة في الصلاة: «إن السيد أحمد دحلان كان في نفسه شيء من ذلك حتى رأى النبي ﷺ يصلي في المقام الحنفي فابتدأ بالحمد لله رب العالمين. فقال السيد محمد بن جعفر: إن بعض الصالحين من أهل المغرب رأى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل البسملة آية من الفاتحة؟ فقال: نعم، هي آية منها ولكن لا تبطلوا صلاة تاركيها»[٢]، هكذا يقرر العطاس هذه المسألة بهذه الرؤيا غير معول على كلام أهل العلم في هذه المسألة.

وكثر كلامهم في الاعتماد على الأحلام في تلقي العقيدة[٣]، وأخذ الأحاديث من الرسول ﷺ بواسطة هذه الأحلام[٤]، وتقرير المناقب وفضائل الأشخاص والأماكن[٥].

وكذلك اعتمد القوم على الرؤى والأحلام في نسخ الأحكام الشرعية من محرمة إلى مباحة[٦]، والدعوة إلى الغلو في القبور وبيان فضائلها[٧]، وتصحيح

---

(١) الاعتصام (١/ ٢٦٠). مطبعة السعادة بمصر، بدون تاريخ.

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر: تذكير الناس (ص٢٢٦، ٢٥٠ ـ ٢٥١، ٢٨٠).

(٣) تذكير الناس (ص٢١١، ٤٠٩)؛ وفي تقرير عقيدة التوسل الشركي. انظر: مصباح الظلام (٦١).

(٤) مصباح الظلام (ص٤٥ ـ ٤٦). (٥) تذكير الناس (٧٠ ـ ٧١، ١٠٨).

(٦) مواهب القدوس (ص١٤)؛ وتذكير الناس (ص٧٩).

(٧) مصباح الأنام (ص٢٦، ٢٧، ٣٠، ٤٣، ٤٦، ٧٢، ٧٥).

البدع[١] ومع هذه المخالفات فإنهم يعتمدون هذه الأحلام الشيطانية في قبول أعمالهم المخالفة لشرع الله تعالى[٢].

وجاء في كتاب الغرر عند ذكر مناقب عبد الرحمٰن بن علوي وإحالة محمد بن سعيد كبن[٣] له إلى جده الميت محمد بن علي ليمنحه الشفاء: «فقال عبد الرحمٰن: ثم بعد مدة رأيت الشيخ في المنام على سرير فقلت له: إن الفقيه ابن كبن قال لي إنك تتصرف بعد وفاتك كتصرفك في حياتك، فأخذ بإذني وقال لي:

«أنا ابن محمد بن علي، ما تصدّق إلا إن قال لك ابن كبن؟ أنا كذلك وأزْيَد وأزْيَد رضي الله عنه ونفع به»[٤].

وجاء في كتاب الجوهر الشفاف عند ذكر كرامات علي بن عبد الله بن إبراهيم بن أبي حرمي[٥] الذي مات غريقاً في البحر: «فلما توفي رأته سلطانة المذكورة فقال لها: أعطاني الله تعالى بموتة البحر شيئاً، وبنية المسير إلى الحج شيئاً وما تلقى روحي إلا الله تعالى ولم يكلها إلى ملك ولا إلى غيره»[٦].

وجاء في كتاب (مقال الناصحين بحفظ شعائر الدين): «وقد روي واشتهر عن الفقيه الكبير محمد بن الحسين البجلي اليمني[٧]، رحمه الله، أنه رأى

---

(١) تذكير الناس (ص١٨٢ ـ ١٨٣).
(٢) انظر: المصدر السابق (ص٢١١، ٢٧٣).

(٣) هو محمد بن سعيد كبّن، أحد صوفية حضرموت، من مؤلفاته: وصف الطلب في كشف الكربة، وله نكت على الحاوي الصغير للقزويني وغير ذلك. توفي سنة ٨٤٢هـ. انظر: هدية العارفين (٢/ ٤٩١)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (٢٣٢)، ط أبو ظبي.

(٤) انظر: الغرر (ص٣٩٨).

(٥) هو علي بن عبد الله بن إبراهيم باحرمي، من شيوخ صوفية حضرموت، تتلمذ على يديه بعض العلويين منهم حسن الورع. توفي سنة ٨٠٠هـ. انظر: كتاب تحقيقات تاريخية فيما لقبيلة آل أبي حرمي الحضرمية من أقدمية (ص٥ ـ ٦).

(٦) الجواهر الشفاف (١/ ٧٦).

(٧) هو محمد بن حسين البجلي أخذ عن إبراهيم بن زكريا ثم تحول إلى التصوف وصحب محمد بن أحمد الحكمي حتى عرفا بصاحبي عواجة، من مؤلفاته: مجموع في التصوف، =

رسول الله ﷺ في منامه وقال: يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ فقال له: «وقوفك بين يدي وليّ لله تعالى كحلبة شاة، أو كشج بيضة أفضل من أن تعبد الله حتى تقطع إرباً إرباً. فقال: قلت يا رسول الله: حيّاً كان أو ميّتاً؟فقال: «حياً كان أو ميتاً». فانظر إلى هذه الفضيلة الجزيلة الحاصلة في زيارة عباد الله الصالحين، والوقوف عند مشاهدهم ومقابرهم، والدخول تحت شمولهم التماساً لبركاتهم، ورجاء لنيل نفحاتهم»(١).

وجاء في كتاب تذكير الناس: «وسئل رضي الله عنه(٢): هل لكل رؤيا يراها الإنسان حقيقة في عالم الشهادة؟ فقال: الرؤيا تختلف باختلاف الرائين، أما أهل الأرواح المجردة النورانية فرؤياهم عين الكشف غالباً، وغيرهم تختلط عليهم»(٣).

وجاء في كتاب تذكير الناس: «ورأيت في المنام نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام يقول لي: وأذّن في الناس في الحج، فسألته عن صاحب الوقت من هو؟ فقال: هو عوض باقلاقل ببلدة الخريبة من دوعن، فعزمت على السفر للحج والمرور على دوعن لزيارة الرجل المذكور، فلما وصلت بلده، ودخلت من باب الجامع قابلني وقال لي قبل أن أكلمه: استر استر، فقلت له: سترنا عليك، وأوصيناك الدعاء، وسافرت وأدركت الحج تلك السنة مع ضيق الوقت»(٤).

وجاء في كتاب تذكير الناس: «وبلغنا أن شهر شوال ثبت في بعض السنين عند القاضي بتريم فاجتمع السادة أهل البلد لصلاة العيد وتأخر بعض أهل السادة من أهل العيدروس عن الخروج فسار الخطيب إلى بيته وسأله عن سبب تأخره، فقال الحبيب: إني رأيت النبي ﷺ البارحة وقلت له: هذه الليلة

= والمكاتبات والمراسلات، توفي سنة ٦٢١هـ. انظر: طبقات الخواص (ص١١٦)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٢٢).

(١) مقال الناصحين بحفظ شعائر الدين لمحمد بن عمر باجمال (ص١٦٩ ـ ١٧٠).

(٢) أي أحمد بن حسن العطاس.

(٣) تذكير الناس (ص٢٢٤).

(٤) المصدر السابق (ص٢٣٠).

من ليالي شوال؟ قال: لا وأن لا أفطر هذا اليوم...»[١].

وجاء في كتاب تذكير الناس: «ورأيت سيدي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وحصلت بيني وبينه مذاكرة ومباحثة طويلة، ومن جملتها أني قلت له: إن السيدة فاطمة؛ اختلف أهل العلم في دفنها، هل كان في الحجرة أو في البقيع؟ فقال لي: إنها في البقيع، وأنا دفنتها بنفسي في الليل، ثم قلت له: وكذلك أبو طالب اختلف العلماء فيه، هل مات على الإيمان أم لا؟ وأنت داري بالأشياء، فقال: مات على الإيمان[٢]، والحمد لله على ذلك، قال سيدي رضي الله عنه: وقد سمعت السيد أحمد دحلان في الحلقة يقول: إن الذي ندين الله به، أن أبا طالب مات على الإيمان، والذي قال بإيمانه أربعة عشر حافظاً، قال سيدي: ونحن والحمد لله، معنا شيء زائد على الناس؛ لأن علمنا ليس متلقفاً من الحروف، ولا من الكتب التي في الرفوف، بل متلقى من معدنه ومن أهله، وبعض الناس لما لم يعجبهم حق السلف خلفوا»[٣].

وفي هذا النص تصريح واضح من أحد كبارهم في عدم التعويل على الكتب المعتمدة على علوم الشرع، وإنما الاعتماد على الأحلام والرؤى بما تحمله من مخالفات شرعية، ويزعمون كذلك أن تلك المخالفات متلقاة من المعدن ومن أهل العلم، فأي معدن يقصدون، ومن أهل هذا المعدن الذين اتبع القوم سبيلهم؟ فالمعدن وأهله هو السبل الشيطانية التي قادتهم للانحراف عن مصادر المسلمين وهما الكتاب والسنّة، وأردتهم في مهاوى الردى فتلقوا من غيرهما فانحرفوا عن سواء السبيل.

وقال أحمد بن حسن العطاس: «ووقع لي مرة إني رأيت النبي ﷺ في رمضان فأمرني أن أحتجم، فقال لي الشيخ أحمد بلخير: لا تحتجم فإن الحجامة مكروهة في رمضان فتركتها فمرضت بعد الرؤيا فعرفت أنها عقوبة

---

(١) المصدر السابق (ص٢٥٠).
(٢) انظر: الرد على قول من قال بإيمان أبي طالب (ص٤٤١) من هذا البحث.
(٣) تذكير الناس (ص٢٢٦ ـ ٢٢٧).

مخالفتي أمره ﷺ»[١].

وجاء في كتاب تذكير الناس: «قال سيدي أحمد رضي الله عنه: وأنا وقع لي مرة تكلم السيد أحمد دحلان في الدرس في الأنساب وأطال في ذلك إلى أن قال: وما تدري ما تفعل النساء، فوقع في قلبي تحير واهتمام من ذلك فرأيت الخضر عليه السلام أخذ بيدي وأتى بي إلى المواجهة ونادى: يا رسول الله أهذا ولدك؟ فقال ﷺ: هذا ولدي هذا محسن، ففرحت بذلك وزال ما في قلبي»[٢].

وجاء في كتاب تذكير الناس قصة خطبة أحمد بن حسن العطاس لفاطمة بنت أبي بكر العطاس وفيها: «لما خطبتها من أبيها الحبيب أبي بكر في البرزخ، قال لي: العون[٣] ومد صوته بها، واستشرت الشيابة[٤] في ذلك، فأخبرني الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس بما سيقع كله ثم عرض من جهة أهلها شيء يوجب التوقف، فعرضت ذلك الأمر على النبي ﷺ واستشرته فحصلت الإشارة منه بذلك»[٥].

وجاء في مناقب أبي بكر العيدروس (ت٩١٤هـ): «قال العلامة عمر بحرق واعترضت بخاطري ولساني على سيدي في إلباسه غلمانه الثياب المخيطة بالذهب، فأجابني بأن قد قلدنا من يبيح ذلك من العلماء، ثم رأيت في النوم كأن النبي ﷺ أقبل من مكان في موكب عظيم والطبول والنقود بين يديه ﷺ فقيل لي: إنما فعله ليعلم أمته بجواز ذلك، فلما دنا مني رأيته في صورة الشيخ أبي بكر راكباً على بغلته وسمعت قائلاً يقول: يجب على الوارث للقطب المحمدي أن يعمل بكل مسألة قال بها عالم من علماء أمة محمد ﷺ ولو مرة واحدة لئلا يقع ذلك العالم في الحرج فعلمت بذلك إن سيدي هو القطب»[٦].

---

(١) تذكير الناس (ص٢٥١).
(٢) المصدر السابق (ص٢٨٠).
(٣) بمعنى طلب العون.
(٤) أي كبار السن.
(٥) تذكير الناس (ص٣٠٨).
(٦) المشرع الروي (٢/٣٨). وانظر: اعتماد الرؤى في فضل كتاب ما، ومعرفة مصير الشخص ودخوله الجنة: تاريخ الحامد (ص٧٠٣).

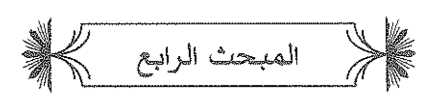
وقد بيّن أهل العلم أن الرؤى والمنامات لا يثبت بها حكم شرعي، قال القاضي عياض: «لا أنه يقطع بأمر المنام، ولا أن تبطل بسببه سنة تثبت، ولا تثبت به سنة لم تثبت، وهذا بإجماع العلماء»[١].

ويقال لصوفية حضرموت أن رؤيته ﷺ في المنام: «صحيحة، وليست من أضغاث الأحلام، وتلبيس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به»[٢].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ٧٤)، تحقيق: مأمون شيحا، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ، دار المعرفة ـ بيروت.

(٢) مقدمة صحيح مسلم (١/ ٧٥ مع الشرح) تحقيق: مأمون شيحا.


المبحث الرابع

الكتب التي تعتمد عليها صوفية حضرموت في التلقي



أخذ صوفية حضرموت العلوم من مصادر شتى كان لها الأثر في انحرافهم عن المصادر الصحيحة التي على المسلم أن يتلقى دينه منها، فاتخذوا الكشف بأنواعه وكذا الأحلام والرؤى مصادر لتلقي دينهم، وقد تقدم الكلام عليها، وبالإضافة لمصادرهم تلك فهناك كتب اتخذها القوم مصدراً مهماً يعتمدون عليه في تلقي هذا الدين، وهذه الكتب لبعض الصوفية الذين يعظمهم القوم ودعوا الناس لأخذ ما فيها من علوم منحرفة وجعلها مصدراً لتلقي علوم الدين، بل صرحوا بأنهم لا يقرأون كتاب فقه إلا ومعه كتاب تصوف[(١)].

ويأتي في مقدمة كتب التصوف المعتمدة عندهم؛ كتب أبي حامد الغزالي، فقد غلوا في كتبه غلواً كبيراً، حتى جعلوا الهيبة لكتبه أعظم من كتب السنّة لا سيما الصحيحين فقد قالوا عن كتابه المسمى بإحياء علوم الدين: «كاد الإحياء يكون قرآناً»[(٢)].

الاهتمام بكتب الغزالي:

اهتم القوم بكتب الغزالي وبالغوا في الثناء على كتبه لا سيما الإحياء، حتى قال الشاطري: «وكان محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ مَثَلُهم الأعلى وكتبه في التصوف وغيره هي كتبهم المفضلة خصوصاً الإحياء وقد قال قائلهم عنه: من لم يقرأ الإحياء ما فيه حياء»[(٣)]، ولا غرو فإن القوم اعتبروا

---

(١) انظر: تذكير الناس (٢٦٧).
(٢) كنوز السعادة الأبدية (ص٢٤٢).
(٣) أدوار التاريخ الحضرمي (٢/٢٥٨).

كتب الغزالي لا سيما الإحياء مصدراً هاماً يرجعون إليه لمعرفة دينهم الذي يتدينون لله به، ويتمثل اهتمامهم بكتبه في الآتي:

أ ـ أخذ العقيدة منها:

اعتمدت صوفية حضرموت عقيدة الغزالي التي أودعها في كتابه الإحياء دون التعويل على كتب السلف التي قررت العقيدة الصحيحة المستندة على نصوص الكتاب والسنّة، فقد ذكر علوي بن طاهر الحداد كلام عبد الله الحداد المسمى بقطب الإرشاد عندهم وهو قوله: «ينبغي لكل مؤمن أن يحصن معتقده بحفظ من عقائد الأئمة المجمع على جلالتهم ورسوخهم في العلم، ولا أحسب مبتغي ذلك يصادف عقيدة جامعة واضحة بعيدة عن الشبه، سالمة من الموهمة، مثل عقيدة الإمام الغزالي رضي الله عنه التي أوردها في الفصل الأول من كتاب قواعد العقائد من الإحياء، فعليك بها فإن تشوفت إلى مزيد فانظر في الرسالة القدسية التي أوردها في الفصل الثالث من الكتاب المذكور»(١).

ويقرر علوي بن طاهر الحداد مصدر تلقي العقيدة عند صوفية حضرموت قائلاً: «فهم يأخذون في العقيدة بما ذكره الإمام الغزالي في كتاب قواعد العقائد»(٢).

ويقول الشلي عند ترجمة أحمد بن أبي بكر بن أحمد العلوي(٣) (ت١٠٥٧هـ): «وحفظ الجزرية، والعقيدة الغزالية، والأربعين...»(٤).

ويقول أبو بكر العيدروس: «عليكم يا إخواني بمتابعة الكتاب والسنّة أعني الشريعة المشروحة في الكتب الغزالية خصوصاً كتاب التوبة وكتاب رياضة النفس، ومن كلامه: عليكم بالكتاب والسنّة أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً واعتباراً

---

(١) عقود الألماس (١/٦٦). (٢) المصدر السابق (ص٥٥).

(٣) هو أحمد بن أبي بكر بن أحمد العلوي أخو مؤلف كتاب المشرع الروي، ولد سنة ١٠١٩هـ بمدينة تريم، وأخذ عن مشايخها، ثم رحل إلى الهند ودرس على مشايخ العلويين هناك، ودرّس بها، ثم عاد إلى بلده. توفي بتريم سنة ١٠٥٧هـ. انظر: المشرع الروي (٢/٤٥ ـ ٤٧).

(٤) المصدر السابق (٢/٤٦).

واعتقاداً وشرح الكتاب والسنّة مستوفى في كتاب إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام الغزالي، رَحِمَهُ اللهُ، ونفعنا الله به»[١].

وهذا أعظم الانحراف حيث يترك الكتاب والسنّة وفهم سلف الأمة ويعتمد على كتب الغزالي التي ملئت بالانحرافات العقدية الكثيرة[٢]، مع أنه من المتقرر عند المسلمين أن الحجة لا تكون إلا بالحق الذي تضمنه الوحي ـ الكتاب والسنة ـ، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ٣].

ومما يوضح سيطرة الهوى على هؤلاء، حتى أعمى بصائرهم عن الحق وأهله ما قاله الشاطري: «ومع هذا فيقول قائلهم: في الإحياء قولات لو استطعنا أن نمحوها بماء عيوننا لفعلنا»[٣].

ب ـ كثرة قراءتها:

أكثر القوم من قراءة الإحياء؛ حتى عدوا ذلك من جملة مناقب مشايخهم فقد جاء في كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين عند ذكر مناقب علي بن أبي بكر السقاف: «وهذا الإحياء للعلامة الغزالي فقد تلاه خمساً وعشرون مرة، وتلي عليه مثلها»[٤].

وجاء في كتاب كنوز السعادة الأبدية: عند ذكر زيارة القبر المزعوم لنبي الله هود عَلَيْهِ السَّلَامُ أن علي بن محمد الحبشي قال: «سبحان الله، خصلتان عوَّل السلف عليهما... الأولى إحياء علوم الدين حتى قالوا: كاد الإحياء أن يكون قرآناً مع أنهم أهل ورع، والثانية: زيارة نبي الله هود»[٥].

---

(١) مواهب القدوس (ص٥١).

(٢) انظر بيان الانحرافات الموجودة في كتاب إحياء علوم الدين (أبو حامد الغزالي والتصوف: دراسة حول العديد من كتب الغزالي وخاصة كتابه إحياء علوم الدين)، لعبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية.

(٣) أدوار التاريخ الحضرمي (٢/ ٢٥٩).

(٤) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ٧٩).

(٥) كنوز السعادة الأبدية (ص٢٤٢). وانظر اهتمامهم بكتب الغزالي والدعوة للاهتمام بها: مواهب القدوس (ص١١)؛ والمشرع الروي (١/ ٥٤، ١٨٩، ٢/ ١٨، ٨١، ٩٢، ٩٣، ١٠١، ١٨٠)؛ وتذكير الناس (ص٣٩، ٣٦٥، ٣٦٦)؛ وتقليب الأرض الخاشعة لأبي بكر بن علي المشهور (ص٤٦، ٥١، ٥٢)؛ والشيخ عمر المحضار، للمشهور (١٨).

ومن شدة تعلقهم بكتاب الإحياء، فقد ذكر الشلي أن محمد بن علوي بن علي الذي يعرف بالشاطري[(١)]: «وكان يحفظ إحياء علوم الدين عن ظهر قلب، يلقيه درساً من حفظه»[(٢)].

هكذا بلغ بهم التعلق بكتاب الغزالي، وعدم التعويل على كتب السنّة والاهتمام بحفظها، فلم يذكر الشلي في مشرعه المكون من جزئين أي شخص من علمائهم كان يحفظ كتاباً من كتب السنّة، وهذا من الحرمان واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير.

جـ ـ ذكر فضل قراءتها:

واخترع القوم فضائل مزعومة لمن قرأ أو كتب كتاب الإحياء، فمن ذلك ما ذكره الشلي عند قراءة أبي بكر بن علوي الإحياء على شيخه عبد الرحمٰن السقاف: «وكان يقول يحصل بقراءة أبي بكر بن علوي ما لا يحصل بقراءة غيره من الأصحاب، ويتجلى لي رب العزة عند ختمه الكتاب»[(٣)].

وضمنوا الجنة لمن كتب الإحياء بيده[(٤)]، وادعوا أنه موضع نظر الله ورضاه[(٥)]، والضمان لمن طالعه بمحبة الله تعالى[(٦)].

وهكذا تعددت الفضائل المزعومة لكتاب الإحياء، حتى وقع من وقع في شراك التصوف بسبب هذه الكتب المليئة بالبدع والمخالفات الشرعية.

وألّف عبد القادر بن شيخ العيدروس كتاباً بعنوان «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء»[(٧)].

---

(١) هو محمد بن علوي بن علي بن أحمد العلوي، عرف أبوه بالشاطري. كان من المولعين بالإحياء، وذكروا أنه كان يحفظه، واشتهر بالفقه، وله مشاركة في علم الحديث والعربية والتصوف، واستوطن عدن وأقام بها إلى أن توفي سنة ٨٩٧هـ. انظر: المشرع الروي (١/ ١٩١ ـ ١٩٢).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٩١ ـ ١٩٢).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٤٢).

(٤) انظر: تاريخ النور السافر (ص١١٦).

(٥) مواهب القدوس (ص٥١).

(٦) المصدر السابق.

(٧) طبع الكتاب ملحقا بالمجلد الخامس من كتاب «إحياء علوم الدين» طبعة دار الفكر.

وهذه الفضائل التي أعطيت لقارىء الإحياء فضائل مزعومة، لما احتواه هذا الكتاب من المخالفات العقدية الكثير، وتأثره بالفلاسفة حتى قال القاضي أبو بكر بن العربي: «شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر»[١].

اعتماد كتب بقية الصوفية:

اهتم القوم بكتب الصوفية لا سيما كتب القائلين بوحدة الوجود، وكذا الحلول والاتحاد أمثال ابن عربي والحلّاج وغيرهما، يقول علي بن حسن العطاس: «ذاكرت لبعض أبناء السادة في كتب ابن عربي، فقال لي: لا ينبغي قراءتها إلا لمن تحقق معرفة قصد مؤلفها؛ لأنه ربما عرف بعض الأشياء على غير ما هي عليه، وسمعته يبالغ في ذلك فقلت له: إنا نعتقدهم زيان، والزين لا ينطق إلا بالزين»[٢].

وكان علي بن أبي بكر السكران يدرِّس كتاب الفتوحات لابن عربي في تريم للمريدين[٣].

وفي ترجمة أبي بكر بن عبد الله العيدروس ـ صاحب عدن ـ «وكان كثير المطالعة لا يخلو منها في غالب أوقاته وخصوصاً مصنفات الإمام حجة الإسلام الغزالي، والشيخ محيي الدين محمد بن عربي، وكان إذا سئل عن مسألة غامضة أشكلت على غيره كشف ما فيها من غامض الأسرار، وأظهر من معانيها المخدرات الأبكار بأدنى لمحة من بادي رأيه وهجسه، وأدل توجه من غامض فهمه وحدسه، وكان يكشف المشكلات التي اشتمل عليها الفصوص لابن عربي وغيره من كتب القوم»[٤].

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٢٥٨).
(٢) عمر بامخرمة السيباني حياته وتصوفه وشعره (ص٤٣).
(٣) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٦٨).
(٤) المشرع الروي: (٢/ ٣٥ ـ ٣٦). وانظر كذلك مدحهم لابن عربي الصوفي واعتماد كتبه: المشرع الروي: (٢/ ١٣٦، ١٥٤، ٢٦١)؛ ومواهب القدوس (ص٩)؛ والنفائس العلوية، للحداد (ص١٤٥)؛ وجلاء الهمّ والحزن في ترجمة صاحب عدن (ص٢٠ ـ ٢١).

وذكر الشلي شعراً لأحدهم فيه مدح لأبي بكر العيدروس جاء فيه:

«فيا شيخي يا ابن العيدروس من له   مقام به كل الرجال وقوف
شرحت لنا علم الحقيقة ظاهراً   وأحييت محيي الدين وهو عريف
كلام ابن عربي وإن كان معلقاً   وفي فهمه عسر وفيه عسوف
بتقريرك الميمون أوضحته لنا   فصار لدينا معرب معروف

وقال في وصفه بهذا المعنى تلميذه العلامة محمد بن عمر بحرق رَحِمَهُ اللَّهُ:

لله درك يا ابن طه أحمد   ماذا حويت من المعاني والرتب
يا كاملاً في وصفه يا جامعاً   علم والحقيقة والشريعة والأدب
أظهرت ما أخفى الفصوص وغيره   من كل علم حار فيه من دأب
أوضحته من غامض السر الذي   قد حزته من غير كد أو تعب
فجزاك رب العرش خير جزائه   فلقد رزقت مواهب لا تحتسب»[١]

وجاء في كتاب المشرع الروي عند ذكر قول عبد الرحمٰن السقاف في معرض كشوفاته وهو يتكلم بلسان الحقيقة: «وكان يقول: اطلعنا على الحلاج وظننا أن بزجاجته كسراً فوجدناها ترشح وليس بها كسر»[٢].

ومدح القوم الحلاج وأثنوا عليه، بل وتمنى مشايخهم منزلته[٣].

كما اهتمت صوفية حضرموت بكتب الشاذلية لارتباطها بطريقتهم وكونها شاذلية غزالية ـ كما تقدم ـ، يقول محمد بن عمر بحرق الحضرمي عن شيخه أبي بكر بن عبد الله العيدروس: «وكان مولعاً بكتاب الحكم للشيخ تاج الدين عطاء الله الشاذلي[٤]، ....

(١) المشرع الروي (٢/٣٦).   (٢) المصدر السابق (٢/١٤٣).

(٣) المصدر السابق (٢/١٤٢). وانظر ثنائهم على الحلاج: سلسلة أعلام حضرموت (الشيخ عمر المحضار)؛ لأبي بكر المشهور (ص١٥).

(٤) هو أحمد بن محمد عبد الكريم، ابن عطاء الله، الجذامي السكندري، من شيوخ الشاذلية، أخذ التصوف عن أبي العباس المرسي، وكان ابن عطاء من أشد خصوم معاصره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ. وله مؤلفات منها: الحِكَم العطائية، والتنوير في إسقاط التدبير، والقول المجرد في الاسم المفرد، توفي في القاهرة سنة ٧٠٩هـ. انظر: الدرر الكامنة (١/٢٧٣)، =

قدس الله روحه»[١].

وقد شرح علي بن عبد الله باراس[٢] (ت١٠٥٤هـ) - أحد صوفية حضرموت - كتابَ الحكم لابن عطاء الشاذلي بشرح موسع جداً بلغت أوراقه ٣٥٧ ورقة، ولا يزال مخطوطاً بمكتبة الأحقاف بتريم.

واهتم القوم بكتب التصوف الأخرى، وإن كان اهتمامهم أقل من سابقتها، ففي ترجمة أحمد بن علوي باجحدب (ت٩٧٣هـ) «وكان أكثر قراءته الإحياء، والرسالة، والعوارف»[٣]. وجاء في كتاب تذكير الناس: «وأثنى سيدي على كتاب العوارف للسهروردي، والرسالة القشيرية وقال: كان الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس لا يفارق هذين الكتابين حضراً ولا سفراً»[٤] وكذا اهتم القوم بكتب عبد الوهاب الشعراني[٥].

وكذا أوصى علماؤهم بكتب متصوفة حضرموت، يقول طاهر بن حسين بن طاهر عن المصادر المعتمدة لمناقب العلويين: «ومن أراد مناقبهم فليطالع كنز البراهين، والمشرع الروي»[٦].

وجاء في كتاب تذكير الناس: «وقال رضي الله عنه: دخل الحبيب عبد الرحمٰن بن مصطفى العيدروس إلى المدينة هو والحبيب شيخ بن محمد الجفري، والحبيب أبو بكر بلفقيه، وتعاهدوا على العمل بما في بداية الهداية؛ وعملوا به: ثم ورد لهم الإذن من الحضرة المحمدية بالتفرق؛ فأما الحبيب شيخ بن محمد

= ط دار الجيل - بيروت؛ والطبقات الكبرى، للشعراني (٢/ ٢٠)، ط ١٤٠٨هـ، دار الجيل - بيروت، والأعلام (١/ ٢٢١)، ط٦، ١٩٨٤م.

(١) مواهب القدوس (ص١١).

(٢) هو علي بن عبد الله باراس، ولد بحريضة من دوعن بحضرموت، وأخذ عن مشايخها منهم: عمر بن عبد الرحمن العطاس وغيره، وأقام بقرية الخريبة. من مؤلفاته: شفاء السقم شرح حكم ابن عطاء الله السكندري، والروضة الخضراء والدرة الزهراء في كشف معاني ما لذة العيش إلا صحبة الفقراء. توفي بقرية الخريبة سنة ١٠٥٤هـ. انظر: خلاصة الأثر (٣/ ١٧٣)؛ وملحق البدر الطالع (ص١٦٩)؛ والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص١٥٦).

(٣) المشرع الروي (٢/ ٧٠).

(٤) تذكير الناس (ص٣٩٣).

(٥) المصدر السابق (٣٩٢).

(٦) المسلك القريب (ص١٢٧).

الجفري، فأمره ﷺ بالتوجه إلى مليبار؛ وأما الحبيب أبو بكر بلفقيه؛ فأمره بالتوجه إلى آشي جزيرة من جزائر جاوه؛ وأما الحبيب عبد الرحمٰن بن مصطفى فأمره بالتوجه إلى مصر، فقال لجده ﷺ: إن مصر ملانه[1] من العلماء، فقال له: إذا أشكل إليك شيء فراجعه في الدشته تجده، والدشته هي لصاحب الحزم عبد الرحمٰن بن محمد العيدروس»[2].

هكذا يروج القوم لعلوم صوفيتهم دون تعويل على علم الكتاب والسنّة، فكتاب عبد الرحمٰن العيدروس ـ بزعمهم ـ يحتوي على كل علم فلا حاجة للالتفات إلى غيره.

وبهذا العرض لبعض الكتب التي اعتمدتها صوفية حضرموت في نهجها، وتقرير عقيدتها، يتضح عدم الغرابة في انحراف القوم في أغلب أبواب الاعتقاد، لانحراف المصادر التي يستقون منها دينهم، ولا غرابة أيضاً أن يوجد في صوفية حضرموت من يقول بوحدة الوجود لانتشار كتب ابن عربي والحلاج وابن الفارض وغيرهم من غلاة هذه النحلة الدخيلة على الإسلام والمسلمين، ويزيد الأمر انحرافا عند القوم تدريس مشايخهم لهذه الكتب المنحرفة، والثناء على أصحابها كما تقدم، والله المستعان.

---

(١) بمعنى مليئة.

(٢) تذكير الناس (ص١٣٠ ـ ١٣١).

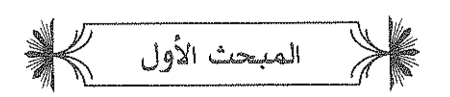


قولهم في توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ومناقشتهم فيه

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: قولهم في توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: قولهم في توحيد الأسماء والصفات.



المبحث الأول

قولهم في توحيد الربوبية



تمهيد

التوحيد لغة[١]: مصدر وحّد الشيء يوحّده توحيداً، إذا أفرده وجعله واحداً فهو على وزن تفعيل، ومعناه: الحكم والعلم بأن الشيء واحد. فالكلمة في كل معانيها تدور على الوحدة والانفراد والتفرد.

واصطلاحاً: تفرُّد الله بالربوبية والآلهية وكمال الأسماء والصفات[٢].

والرب في اللغة[٣] يطلق على: المالك، والسيد، والمدبِّر، والقيِّم، والمنعم، ولا يطلق معرفاً بالألف واللام إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال: رب كذا.

ورب كل شيء مالكه، ومستحقه، وقيل: صاحبه. والرب هو الله ﷻ هو رب كل شيء؛ أي: مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك[٤].

ومعنى توحيد الربوبية شرعاً: توحيد الله بأفعاله والإقرار بأنه خالق كل شيء ومليكه وإليه يرجع الأمر كله في التصريف والتدبير[٥].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ٩٠)، مادة: (وحد)؛ الصحاح للجوهري (٢/ ٥٤٧)؛ لسان العرب (٣/ ٤٤٨).

(٢) مذكرة التوحيد، للشيخ عبد الرزاق عفيفي (ص٣)، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

(٣) انظر: الصحاح للجوهري (١/ ١٣٠)؛ ولسان العرب (١/ ٣٩٩ - ٤٠٠).

(٤) انظر: لسان العرب (١/ ٣٩٩ - ٤٠٠).

(٥) مذكرة التوحيد، للشيخ عبد الرزاق عفيفي (ص٢٠). وانظر: حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم (ص١١)؛ وفتاوى الشيخ ابن عثيمين (١/ ١٨، ٢٧).

وعُرِّف كذلك بأنه: «اعتقاد انفراد الرب بالخلق، والرزق، وأنواع التدبير»[(١)].

وقد أقر بهذا التوحيد مشركو قريش لأن الفطر قد جبلت على معرفته، وأن الله تعالى الخالق الرازق المحيي المميت مدبّر الأمور كلها، قال تعالى حاكياً عن إقرار المشركين واعترافهم بهذا التوحيد: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١]. وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧]. ومع هذا الاعتراف إلا أنه لم ينفعهم ذلك لشركهم في الألوهية أي أنهم لم يفردوه تعالى في عبادته بل عبدوا معه غيره.

ولتوحيد الربوبية أسماء أخرى منها: التوحيد العلمي، والتوحيد الخبري، وتوحيد المعرفة والإثبات، والتوحيد الاعتقادي[(٢)].

إن توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة[(٣)] التي دلّت عليها نصوص الكتاب والسنّة بتتبع واستقراء أهل العلم، وقد تواترت النصوص الشرعية بأن الله تعالى فعّال لما يريد، وأن الأمر بيده ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن جميع الخلق لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً بما في ذلك الأنبياء والرسل فضلاً عن غيرهم، يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨]. فأزِمَّةُ الأمور بيده سبحانه فالملك ملكه، والأمر أمره، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) الفتاوى السعدية (ص١١)، الطبعة الأولى، مكتبة الإيمان بمصر، بدون تاريخ.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٧٩)؛ ومدارج السالكين (١/ ٣٣)؛ وتوضيح المقاصد (شرح النونية)، لابن عيسى (٢/ ٢١٠).

(٣) انظر: الدين الخالص، للعلامة (صديق حسن خان (١/ ٥٦)؛ وأضواء البيان (٣/ ٤١٠ ـ ٤١١).

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦ ـ ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠]. فإنه لا يوجد أحد غير الله تعالى يتصرف في الكون بالرزق والإحياء والإماتة لا الأنبياء ولا الأولياء فضلاً عن غيرهم، فكلهم عبيد لله تعالى خاضعون له، وتحت تصرفه وقهره.

المطلب الأول

انحراف صوفية حضرموت في توحيد الربوبية

انحرفت صوفية حضرموت في هذا التوحيد وذلك لجهلهم بالعقيدة الصحيحة، وبسبب الغلو في أوليائهم وصالحيهم متأسين في ذلك بالباطنية والرافضة الذين رفعوا مشايخهم إلى مرتبة الربِّ جلَّ وعلا، يقول ابن خلدون بشأن تأثر الصوفية بغيرهم: «وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم، فأُشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين»[1].

وكما هو معلوم فإن المشركين في عهد النبي ﷺ كانوا مقرين لله تعالى بربوبيته كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]. وأما الصوفية فيزعمون أن أولياءهم يشاركون الله تعالى في ربوبيته فادّعوا لهم علم الغيب، وإحياء الموتى، وتدبير أمر الكون وغير ذلك من صفات الربِّ جلَّ وعلا وهذا يعتبر أشد شركاً من شرك الأولين، الذين كان شركهم في الألوهية ولم يكن في الربوبية.

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص٤٧٣)، ط دار الفكر.

ولم يعرف القوم هذا التوحيد ومنزلته، لذا ملئوا كثيراً من كتبهم، بالغلو في أوليائهم، ومشايخهم، حتى أعطوهم خصائص الرب تعالى كما ستأتي.

الشواهد الدالة على قول غلاة صوفية حضرموت بعقيدة وحدة الوجود:

وحدة الوجود عقيدة كبرى عند الصوفية ومعناها عندهم: أن الله جلَّ وعلا والعالم شيء واحد، وأن كل شيء هو الله، فلا رب ولا مربوب، ولا خالق ولا مخلوق، وكل هذه الموجودات شيء واحد بل ذات واحدة تعددت وجوداتها، وتعددت أشكالها وألوانها وهي حقيقة واحدة ـ تعالى الله وتقدس عن قولهم علواً كبيراً ـ(١).

وأما أصل هذه الفكرة فقد جاءت من الفكرة الهندية القائلة: إن الله والنفس الإنسانية وجميع الكائنات شيء واحد، وكذا تأثرها بنظرية صدور الكائنات عن الله فيضاً وإشراقاً(٢) وهذه نظرية يونانية، وكذلك تتضح العقيدة البرهمية(٣) تمام الوضوح في عقيدة وحدة الوجود(٤).

وهذه العقيدة أخطر العقائد عند الصوفية، والقول بها كفر أشد من كفر

---

(١) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنَّة، لعبد الرحمن عبد الخالق (ص٢٦٦)، ط٤، ١٤١٢هـ. والصوفية معتقداً ومسلكاً، د. صابر طعيمة (ص٢٣٢) دار عالم الكتب ـ الرياض، بدون تاريخ.

(٢) الإشراق: هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها على النفس عند تجردها، والإشراقية اسم مشترك لعدد من التيارات الفلسفية يجمع بينها القول بضرب من المعرفة التي تتجاوز المعرفة العقلية بمفهومها المنطقي التقليدي. انظر: شرح حكمة الإشراق، لقطب الدين الشيرازي (ص١٢)؛ والموسوعة الصوفية، لعبد المنعم حفني (ص٤٧)، مادة: (إشراق).

(٣) البراهمة: هم المنتسبون إلى رجل يدعى براهام ـ من ملوك الفرس ـ، يقرون بالله ويجحدون الرسل، وهم فرق مختلفة. انظر: الملل والنحل (٢/٢٥١) تحقيق: كيلاني، ط البابي ١٣٨٧هـ؛ والمنية والأمل في شرح الملل والنحل، لأحمد بن يحيى بن المرتضى (ص٧٢). تحقيق: محمود جواد مشكور، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، دار الفكر ـ بيروت.

(٤) انظر: فلسفة الحياة الروحية منابعها ومشاربها ونشأتها ونشأة التصوف والطرق الصوفية: د. مقداد يالجن (ص٨٦، ٨٩)، ط٢، ١٤١٠هـ، دار عالم الكتب ـ الرياض؛ والصوفية معتقداً ومسلكاً، د. صابر طعيمة (ص١٨١).

اليهود والنصارى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين: من جهة أن أولئك قالوا أن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون ما زال العبد هو الرب وغيره من المخلوقات ليس هو غيره.

الثاني: من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً في الكلاب والخنازير والقذر والوسخ، وإذا كان الله تعالى قال: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [المائدة: ٧٢]. فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار، والمنافقون، والصبيان، والمجانين، والأنتان، وكل شيء...»[١].

والقول بوحدة الوجود تعطيل الخالق عن أن يكون رب العالمين، لعدم تفريق الصوفية بين الخالق والمخلوق[٢].

وتعتبر هذه العقيدة هي الغاية عند كثير من الصوفية قديماً وحديثاً، وإن تعددت مناهجها وأساليب السير والسلوك[٣] لا سيما عند كبارهم الذين وصلوا إلى الحقيقة المزعومة، وذلك لاطلاعهم على كتب أصحاب وحدة الوجود، بل وشرحها للتلاميذ[٤]، وإن كان هناك من هو جاهل بحقيقة مذهبهم ممن هو منتم إليهم؛ لأن هذه الغاية سرية لا يظهرونها لأي أحد، وإنما يظهرونها لخواصهم، ولمن تشرَّب هذا الفكر واقتنع به وألغى عقله، وصدق شيخه في كل ما يقول، وهكذا صفة أهل الباطل يكتمون باطلهم، حتى لا يُعرف فيُحذر، وأسوتهم الباطنية الذين يكتمون مذهبهم القبيح.

وقد تأسست صوفية حضرموت بمن سبقها من ملاحدة الصوفية القائلين

---

(١) مجموع الرسائل والمسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٢٥).

(٢) انظر: الدين الخالص (١/ ٣١٥).

(٣) انظر: حقائق عن التصوف، لعبد القادر عيسى (ص٢٧٢)؛ والتعرف لمذهب التصوف، للكلاباذي (ص١٢ ـ ١٣).

(٤) انظر: المشرع الروي (٢/ ٣٥ ـ ٣٦).

بهذه العقيدة الهدامة، فنصوص علمائهم فيها تقرير هذه العقيدة، ولا ريب أن لهذا أسباباً لعل أهمها: اهتمام القوم بكلام ملاحدة الصوفية كابن عربي الطائي، وابن سبعين، والحلاج وغيرهم وما سطروه في كتبهم من تقرير هذه العقيدة، فعُظِّمت أقوالهم، وذلك لاعتقاد صوفية حضرموت أن هؤلاء الزنادقة ينظرون بعين الحقيقة المزعومة (وحدة الوجود)، هذا إضافة لجهل صوفية حضرموت بمذهب السلف، وقلة علماء التوحيد في تلك الجهة؛ هذا مع انتكاس فطر هؤلاء الصوفية، وإلا فجهال المسلمين بل وحتى الكفار بفطرهم يفرقون بين الخالق والمخلوق.

وقد يظن ظان أنهم يعبرون بكلام لا يفهمونه، وهذا غير صحيح فالقوم أشربوا فكر ابن عربي الصوفي، حيث درسوا كتبهم للتلاميذ كما فعل أبو بكر العيدروس، ولا تزال كتب ابن عربي وغيره من زنادقة المتصوفة تباع في حضرموت في مكتبات الصوفية بكثرة، فحالهم يذكر بحال متصوفة زبيد وتسرب فكر ابن عربي إليهم، فظن بعض أهل العلم أنهم لا يفهمون مقالة ابن عربي الكفرية حتى نوقشوا وتبين فهمهم لهذه المقالات المنحرفة يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في بيانه لحال إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي (ت٨٠٦هـ) الذي انتحل مقالة ابن عربي في زبيد: «كان محباً في مقالة ابن عربي، وكنت أظن أنه لا يفهم الاتحاد، حتى اجتمعت به، فرأيته يفهمه ويقرره ويدعو إليه، حتى صار من لم يحصّل كتاب الفصوص من أصحابه لا يلتفت إليه»[1].

وقد مهّد القوم لهذه العقيدة الخطيرة، وقرروها بعبارات على طريقة المتصوفة القدامى، يقول أحمد مشهور الحداد: «الشهود هو الحضور والمعاينة، وإنما يرتفع الحجاب عن العبد بالتحلي بالأوصاف الحميدة، بعد التخلي عن أضدادها الكثيفة، فتصل حينئذ إلى جمال الحق في محاسن أسمائه وصفاته، ويشهد معنى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]»[2].

---

(١) إنباء الغمر، للحافظ ابن حجر العسقلاني (٥/ ١٦٣).
(٢) مفتاح الجنة لأحمد مشهور الحداد (ص٦١). باختصار.

ويقول عبد القادر العيدروس: «لم تفتني ـ بحمد الله سبحانه ـ إشارة صوفية، ولكني ـ مع ذلك ـ أُظهر التجاهل في ذلك؛ لأن الكلام على إشارات التصوف ومقامات الصوفية لا ينبغي للشخص أن يصفها إلا إذا كان متحققاً بها، ومع ذلك فلا يجوز أن يتكلم فيها مع غير أهلها»[١].

ويقول عبد الله بن علوي الحداد:

إنه سر شريف ليس للأغيار يذكر
إنه معنى لطيف عن جميع الناس يستر[٢]

وقد فسر أحمد بن حسن العطاس معنى لا مشهود إلا الله بأن معناه: «الأشياء كلها قائمة بذاته تعالى والعارفون يستدلون على الأشياء بالخالق، وأهل الظاهر يستدلون على الخالق بالأشياء»[٣].

ومن أقوال علمائهم الذين نصوا على هذه العقيدة في مؤلفاتهم، ما قاله أبو بكر بن سالم العلوي (ت٩٩٢هـ) الذي يصفونه بفخر الوجود، فقد قال عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية: (وقوله: بأنه (العليم الخبير) هذا بيان خلافة الحقيقة المحمدية وهي الجامعة للذات والعلم والصفات، وهو جامع الكمالات ﷺ وهو الإنسان الكامل المتحقق بالحضرة الأحدية لأن جميع الحقائق عين ذاته حقيقة ولا يدركه غيره كما قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]»[٤].

ويقول أيضاً: «واعلم أيها العبد أن من نسي نفسه في الوجود، لم يشهد إلا الموجود، ﷻ إذ لا موجود في الحقيقة إلا الله، وكل ما سواه فهو عدم إلا بموجده»[٥].

---

(١) تاريخ النور السافر (ص٣٠٢).
(٢) الدر المنظوم (ص٢٧٢).
(٣) تذكير الناس (ص٣٨٤).
(٤) معراج الأرواح والمنهج الوضاح، لأبي بكر بن سالم (١/ ٢٣٠)؛ وهذا هو قول ابن عربي الطائي، انظر: فصوص الحكم (ص٢١٢ ـ ٢١٥).
(٥) مفتاح السرائر وكنز الذخائر، لأبي بكر بن سالم العلوي (ت٩٩٢هـ) (ص٣٥)، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٣٨٥هـ.

وجاء في (مجموع كلام وديوان ووصايا الحبيب حسن بن صالح البحر):
«وذاكر رضي الله عنه في معنى: لا معبود إلا الله، لا مقصود إلا الله، لا مشهود إلا الله؛ أي: لا يستحق العبادة إلا من له الخلق، والأمر بيده، وبيده النفع والضر، خالق الموت والحياة هو الله جل جلاله وإذا كان لا يستحق العبادة إلا الله، فلا ينبغي أن يقصد بكل علم وعمل ونية وفعل إلا الله، فلا مقصود ولا مشهود إلا الله إذ ليس في الوجود إلا ذاته تعالى وصفاته وإذا قلت: لا مشهود إلا الله صرت موحداً لنفسك مغنياً للخلق بشهود الحق، وإذ لا موجود إلا الله صرت مغنياً لنفسك وذكرك مع الخلق ووجود الخلق»[(١)]. ويقول الشلي في ذكر مناقب أحمد بن علوي باجحدب (ت٩٧٣هـ): «وحصل له قرب انتقاله جذبة ربانية اندهش بها عن حسه، وتحيّر لُبّه عن نفسه، ومكث أربعة أيام لا يأكل ولا يشرب شيئاً ولا يضع جنبه على الأرض، وكان يقوم في تلك الحال إلى الصلاة بطريق العادة فيصلي وهو في غير شعوره، وربما صلّى لغير القبلة، وذلك لما استولى عليه من سلطان الحقيقة، فتلاشت العبدية في كعبة العندية، ونودي بفناء الفناء في عالم البقاء، ورفعت القبلة وما بقي غير الله، فأينما تولوا فثم وجه الله»[(٢)].

ويقول أبو بكر بن سالم العلوي: «فرِّغ قلبك عن الكون وأهله، ترَ الله ظاهراً فيه ليس خافياً، ومتى كانت الأكوان حتى تحجبك عن الله، وكان الله تعالى ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، اضمحلت الأكوان، إذا ذُكِر المكوِّن غض بصرك عن الأكوان تشهد المكون فيها...»[(٣)].

فمجرد تصور هذا المذهب كافٍ في بيان فساده، وبطلانه، ولا يحتاج مع ذلك التصور إلى دليل آخر[(٤)]، ثم إن صدور هذا الكلام من كبارهم،

---

(١) مجموع كلام وديوان ووصايا الحبيب حسن بن صالح البحر (ص١٢).
(٢) المشرع الروي (٢/٧٣). وفي هذا النص ادعاء سقوط العبودية عنه.
(٣) مفتاح السرائر (ص٢٤). هذا يفسر اضطراب القوم وتناقضهم حتى في كلام أهل وحدة الوجود، لكنهم يجمعون في كلامهم على مقصد واحد وهو عدم الفرق بين الخالق والمخلوق.
(٤) حقيقة مذهب الاتحاديين، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٤).

واضح في القول بوحدة الوجود والاعتذار عنه مشاركه لقائله في الباطل الذي يسعى إليه.

قال الإمام الذهبي عن هذا المذهب الخبيث عند ذكر كتاب الفصوص لابن عربي فقال: «فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله»[١].

ويلزم على القول بوحدة الوجود لوازم خطيرة منها: صدق فرعون لما قال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، وعدم تكفير النصارى بادعائهم أن المسيح ابن مريم هو الله تعالى، مع أن الله قال عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]. فكيف بمن قال: إن الله هو الوجود كله، بل قد قال بهذا اللازم ابن عربي الطائي الذي يعظمه صوفية حضرموت[٢].

وأما قول أبي بكر بن سالم بالحقيقة المحمدية فأسوته في ذلك ابن عربي الذي تلقى هذه الفكرة من الفلاسفة الزنادقة، فالحقيقة المحمدية عند القوم تعتمد على معرفة عقيدتهم في الله تعالى وهي ـ كما تقدم ـ قولهم بوحدة الوجود؛ أي: أن الله والعبد شيء واحد ـ تعالى الله وتقدس عن قوله علواً كبيراً ـ.

ويقول أبو بكر بن سالم العلوي: «قال بعض الصوفية لمن رأوا السباع حوله متأدبات وعجبوا من ذلك: لا تعجبوا انتم أصلحتم الظاهر فخفتم الأسد ونحن أصلحنا الباطن فخافنا الأسد.

قلت[٣]: لأنهم لا ينظرون إلى شيء إلا وشهدوا الله تعالى قبله أو بعده، والله تعالى لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ولكن ليس شيء خالياً عنه، فكيف تنظر غير الله تعالى فو الله ثم والله غير مكلف باليمين ولا مفتخر: ما

---

(١) السير (٢٣/٤٨)، ط١١، ١٤١٧هـ.

(٢) انظر: فصوص الحكم، لابن عربي (ص٢١٠، ٢١١)، ط بيروت، تحقيق: أبو العلاء عفيفي.

(٣) والقائل أبو بكر بن سالم العلوي.

شهدت ولا نظرت عيني شيئاً إلا شهدت الله تعالى فيه أو قبله أو بعده، وبعض العارفين لم يشهد غير الله تعالى ألبتة، والكون كله مطية للعارفين يتصرفون فيه بإذنه تعالى، وهم الملوك حقاً»(١).

وجاء في كتاب أفضل الصلوات للنبهاني ـ أحد الخرافيين المتصوفة والمعظمين لدى متصوفة حضرموت ـ حيث نقل هذا الرجل عن بعض صوفية حضرموت ما يأتي: «الصلاة السقافية لسيدي عبد الله السقاف: اللهم صل وسلم على سلّم الأسرار الإلهية، المنطوية في الحروف القرآنية، مهبط الرقائق الربانية، النازلة في الحضرة العلية... صاحب اللطيفة القدسية المكسوة بالأكسية النورانية، السارية في المراتب المتكملة بالأسماء والصفات الأزلية، والمفيضة أنوارها على الأرواح الملكوتية، المتوجهة في الحقائق الحقية، النافية لظلمات الأكوان العدمية المعنوية، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الكاشف عن المسمى بالوحدة الذاتية... صاحب الصورة المقدسة المنزلة من سماء قدس غيهب الهوية الباطنة الفاتحة بمفتاحها الإلهي لأبواب الوجود القائم بها من مطلع ظهورها القديم إلى استواء إظهارها للكلمات التامات، اللهم صل وسلم على حقيقة الصلوات، وروح الكلمات، قوام المعاني الذاتيات، وحقيقة الحروف القدسيات، وصور الحقائق الفرقانية التفصيليات... موصل الأرواح بعد عدمها إلى نهايات الغايات الوجود والنور»(٢).

ويُعرِّف الصوفية الحقيقة المحمدية بقولهم: «هي الذات مع التعين الأول، ولها الأسماء الحسنى وهي اسم الله الأعظم»(٣).

---

(١) مفتاح السرائر وكنز الذخائر، لأبي بكر بن سالم العلوي (ص٣٠). وهذا القول هو قول ابن عربي الطائي حيث يقول (العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء). فصوص الحكم لابن عربي بشرح القيصري (٢/ ٣٨٥).

(٢) أفضل الصلوات على سيد السادات، ليوسف بن إسماعيل النبهاني (ص١٥٥ وما بعدها). دار الفكر.

(٣) انظر: التعريفات، للجرجاني (ص٧٤)، ط١، ١٤٢٤هـ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

والحقيقة المحمدية عند الصوفية هي مصدر الخلق كله، واعتقاد وجوده ﷺ قبل وجود الخلق، واستدلوا لذلك بأحاديث مكذوبة منها: أن وجوده ﷺ قديم وليس بحادث وعبروا عنه بالنور المحمدي وأن هذا النور ينتقل في الزمان من جيل إلى جيل، يقول الجيلي[١]: «ولهذا كان العقل الأول هو عبارة عن حقيقة الروح المحمدية أصلاً لوجود العالم كله: عالم الأمر وعالم الخلق، فهو على الحقيقة عند المحققين علة العلل، والله منزه أن يكون علة الوجود شيء»[٢].

ويقول الحلَّاج: «أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور ولا أظهر وأقدم من القدم سوى نور صاحب الحرم، همته سبقت الهمم ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم»[٣].

وذكر هذه الفكرة الدخيلة فقط كاف في بيان بطلانها، ومع ذلك فإن القرآن الكريم يبطلها ويبطل كل باطل إلى قيام الساعة، يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٣]. ومحمد ﷺ إنسان[٤].

---

(١) هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي والجيلاني، نسبة إلى جيلان من بلاد فارس، وهو بغدادي الأصل، وقيل في نسبته الجيلي تمييزا له عن الجيلاني. ولد سنة ٧٦٧هـ، وأخذ التصوف عن إسماعيل الجبرتي ثم رحل إلى كثير من البلدان وزار الهند واختلط بالبراهمة. من مؤلفاته: الإنسان الكامل، والمناظر الإلهية، والقاموس الأعظم وغيرها. توفي بزبيد من بلاد اليمن سنة ٨٢٦هـ. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢)، ط دار الفكر؛ والفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي، ليوسف زيدان (ص١٩ ـ ٦١) الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار النهضة ـ بيروت.

(٢) الإرادة القديمة في حضرة العين وحيث لا أين لكتاب قاب قوسين وملتقى الناموسين، للجيلي: مخطوط: ق٧ أ. نقلاً عن كتاب دعوى وحدة الأديان عند الصوفية والفلاسفة عرض ونقد، لسعيد بن معلوي (٢/ ٦٠٧).

(٣) الطواسين، طاسين السراج (ص٤٣ ـ ٤٤)، ط دار الينابيع.

(٤) انظر: لماذا يلحدون، للدكتور: سيد الجميلي (ص٢٦٤)، ط ١٤٠٤هـ، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

فكيف يُسوّى مالك الملك، الإله العظيم بالمخلوق الذي خلقه الله تعالى من العدم، ثم إن قوله: لا يخلو منه مكان فيه إشعار بفكرة الحلول ـ تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ.

وكذلك فإن الواجب في حق الرسول ﷺ الجزم بأنه خاتم النبيين، وأنه عليه الصلاة والسلام بشر كغيره من البشر يأكل الطعام، ويعالج المعاش في الأرض، وليس له أي حق من حقوق الرب تعالى التي اختص بها سبحانه كالتصرف في الكون، وعلم الغيب، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

وسيرته عليه الصلاة والسلام معلومة لمن قرأها في كتب السنّة الصحيحة، لا في كتب أهل الكذب والخرافة. بل إن النبي ﷺ نهى الصحابة رضي الله عنهم عن الغلو في تعظيمه بإعطائه حقاً من حقوق الله تعالى كالسجود كما في قصة معاذ رضي الله عنه[١]، بل نهى ﷺ أن يقام له عند مقدمه، عن أنس رضي الله عنه قال: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ قال: وكانوا إن رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك»[٢].

والقول بوحدة الوجود له آثار خطيرة على توحيد الربوبية، ونبيّن ضلال هذا المعتقد للزيادة في الحجة، ولعل الله تعالى يهدي من ضل عن الهدى إلى طريق الحق والصواب.

---

(١) أخرج أحمد في المسند في مواضع مختلفة عن بعض الصحابة (٤/ ٣٨١، ٥/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨، ٦/ ٧٦)؛ وأبو داود في سننه: كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، (ص٢٤٣) برقم (٢١٤٠)؛ والترمذي في سننه: كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، (ص٢٠٦) برقم (١١٥٩)؛ وابن ماجة في سننه: كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، (ص٢٠١) برقم (١٨٥٣)؛ وابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن برقم ١٢٩٠)؛ والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٢٣٦) برقم (٥١١٦) عن زيد بن أرقم أن معاذاً قال: يا رسول الله! أرأيت أهل الكتاب يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم أفلا نسجد لك؟ قال: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولا تؤدي المرأة حق زوجها حتى لو سألها نفسها عن قتب لأعطته» وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ١٠٩٩) برقم (٣٣٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، (ص٤٤٤) برقم (٢٧٥٤). وصحح إسناده الشيخ الألباني رحمه الله في تخريجه للمشكاة (٣/ ١٣٣١) برقم ٤٦٩٨.

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤدى القول بوحدة الوجود وآثاره المنحرفة فقال: «حقيقة قولهم: إن الله لم يخلق شيئاً، ولا أبدعه، ولا برأه، ولا صوّره؛ لأنه لم يكن وجود إلا وجوده فمن الممتنع أن يكون خالقاً لوجود نفسه، أو بارئاً لذاته»[١].

ونتيجة قولهم هو القول بقدم العالم سواء كان ذلك تصريحاً أو لزوماً[٢]، والقول بوحدة الوجود كفر وزندقة مأخوذ من الفلسفات القديمة من يونانية وهندية وغيرهما ـ كما تقدم ـ، وذكر هذا المذهب يكفي في بطلانه، وإنما ذكرناه لنبين ارتباط صوفية حضرموت بأسلافهم من الصوفية القائلين بهذا المعتقد الخبيث، الذي هو أشد من كفر اليهود والنصارى، وليتضح لصوفية حضرموت ولمن أراد الله هدايته ممن وقع في حبائل المتصوفة أن أسلاف القوم كابن عربي وابن الفارض وأضرابهما كانوا زنادقة، أخذوا هذه الأفكار من الأمم الكافرة وأرادوا إفساد هذه الأمة، وليلبسوا عليهم دينهم «وقد تواتر نسبة ابن عربي وابن الفارض إلى الكفر تواتراً معنوياً وشاع ذلك على ألسنة المؤمنين الصادقين. وإذا كان الله سبحانه حكم بالكفر في كتابه الكريم على من قال: (إن الله هو المسيح)، فَلِمَ لا يحكم المسلمون على قطبي مذهب الحلول والاتحاد وكل منهما يقول: الله عين كل شيء»[٣].

ونخلص إلى أن الفلسفة لعبت دوراً كبيراً في إضلال كبار المتصوفة، وبالتالي زرعوا الشر في هذه الأمة بهذه النظريات الكفرية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ موصياً بالتمسك بشرع الله تعالى ومحذراً من الفلسفة المشئومة: «أَوَليس أضل الشرك في العالم هو من بعض هؤلاء المتفلسفة، أَوَليس كل من كان أقرب إلى الشرائع ولو بدقيقة كان أقرب إلى العقل ومعرفة الحقيقة، وهل رأيت فيلسوفاً أقام مصلحة قرية من القرى فضلاً عن مدينة من المدائن»[٤].

وجميع الأدلة النقلية والعقلية، بل والفطر السليمة ترد هذه العقيدة، فمن

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٢٤٨).
(٢) انظر: درء التعارض (٣/ ١٦٥).
(٣) مصرع التصوف، للبقاعي (ص٢١٧).
(٤) درء التعارض (٥/ ٦٥).

أدلة ربوبية الله تعالى الكثيرة قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]. فقد بيّن تعالى أنه خلق كل شيء، فما سوى الله تعالى مخلوق خلقه الله تعالى بعد إن لم يكن، ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨].

فهذه النصوص تدل على أن الله تعالى خالق بارىء مصور، فلا يخلو: إما أن يكون تعالى خلق نفسه، أو خلق غيره، ولا يجوز أن يكون خلق نفسه؛ لأن نفسه المقدسة يستحيل أن تكون مخلوقة مربوبة، والشيء لا يخلق نفسه، فلم يبق إلا أن يكون خلق غيره، وهذا هو الحق فثبت أن الوجود ليس واحداً، بل فيه خالق ومخلوق، ورب ومربوب فبطل قول أهل الوحدة[(١)].

كما يبطل القول بعقيدة وحدة الوجود توحيد العبادة، حيث تضمن القرآن الكريم والسنّة النبوية الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]. ففي هذه النصوص إثبات عبد ومعبود، ولو كان الوجود واحداً، وهو وجود الله تعالى ـ كما يزعمون ـ لكان الله هو العبد، وهذا باطل فطرة وعقلاً، ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بالعبودية التي هي الذل والخضوع؛ لأنه تعالى القوي العزيز الذي خضع لجبروته وعزه كل شيء، ثم إنه من السفه أن يعبد الشيء نفسه، فهناك نصوص كثيرة تنهى عن الشرك كقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. فدلّ ذلك على أن هناك غيراً، يجعله بعض الناس شريكاً لله تعالى، ولهذا أرسل الله تعالى الرسل لينهوا الناس عن الشرك ويردونهم إلى التوحيد، ولو كان الوجود واحداً لكان الشرك الأكبر هو عين

---

(١) انظر: حقيقة مذهب الاتحاديين، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٧٧)، ط ضياء السنة ـ فيصل آباد ـ باكستان.

التوحيد الخالص، ولكان المشركون ما عبدوا في الحقيقة إلا الله، ولا حاجة لنهي الرسل أقوامهم عن الشرك ـ تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ.

كما يبطل هذه العقيدة ما جاء من أدلة توحيد الأسماء والصفات، فقد ثبت بالأدلة الشرعية أن الله تعالى منزه عن مماثلة المخلوقات، وأنه جلّ وعلا منزه عن كل نقص وعيب، متصف بكل كمال، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]. بيّن جلّ في علاه في هذه السورة أن له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ولكن لما ضل القوم عن معرفة إلههم العظيم اجتالتهم الشياطين فأوقعتهم في أوحال عقيدة الوحدة والتي هي أخطر العقائد الكفرية ـ والعياذ بالله.

كما تبيّن بطلان عقيدة وحدة الوجود أدلة الفرق بين الله والعالم، والنصوص في ذلك كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤﴾ [الزمر: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣]. فالآلهة التي يعبدها المشركون ويذبحون لها، ويدعون الناس إلى عبادتها، ليست هي الله، بل هي غيره[١].

وقد عرف خطورة عقيدة وحدة الوجود كل من له فطرة سليمة لم تتلوث بهذه العقيدة المهلكة، بل حتى الكفار عرفوا حقيقتها، يقول نيكلسون[٢]: «إن الإسلام يفقد كل معناه ويصبح اسماً على غير مسمى لو أن عقيدة التوحيد المعبر عنها بـ«لا إله إلا الله» أصبح المراد: لا موجود على الحقيقة إلا الله.

---

(١) انظر: تفصيل الرد على فكرة وحدة الوجود كتاب عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، للدكتور: أحمد بن عبد العزيز القصير (ص٥٨٦) وما بعدها.

(٢) هو رينولد ألين نيكلسون، مستشرق إنجليزي، ولد سنة ١٢٨٥هـ، عالم بالتصوف، تخرج من كمبردج، ودرس العربية والفارسية، ودرّسها. من مؤلفاته: دراسات في التصوف الإسلامي وتاريخه. انظر: الأعلام (٣/ ٣٩).

وواضح أن الاعتراف بوحدة الوجود في صورتها المجردة؛ قضاء تام على معالم الدين المنزل، ومحو لهذه المعالم محواً كاملاً»[(١)].

ويرد على هؤلاء أن الأمور بيد الله تعالى لم يجعل شيئاً من خصائصه بيد أحد من خلقه، واعتقاد صوفية حضرموت أن للوجود: «قطب يدور عليه أمره، وبه ينزل المطر مطلقاً وبه يحصل الهدى مطلقاً، وبه يحصل النصر مطلقاً، فهذا لا يكون لمخلوق ألبتة، ولكن قد يكون من المخلوقين من يحصل به ما يحصل من نصر ورزق وهدى، كما قال النبي ﷺ: «وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم، بدعائهم وإخلاصهم وصلاتهم»[(٢)]»[(٣)].

وهناك أدلة كثيرة تبطل قول أصحاب وحدة الوجود، وإنما اقتصرنا على بعضها، لأن هذه العقيدة بمجرد ذكرها يستنكرها من له فطرة سليمة، فكيف بمن وحّد الله تعالى وعظّم شرعه واتبع نبيه ﷺ.

المطلب الثاني

عقيدة صوفية حضرموت في القطب

عقيدة القطب من المعتقدات الكبيرة عند الصوفية، ولها مكانة عالية في الفكر الصوفي، فهي من الغايات العظيمة والمراتب العالية التي يسعى إليها الصوفي، ليُعطى تصرفات الرب ـ بزعمهم ـ.

ومعنى القطب في اللغة هو: ما عليه مدار الشيء، وملاكه ومنه قطب الرحى[(٤)].

وأما معنى القطب في اصطلاح الصوفية فهو: «أكمل إنسان ممكن في مقام الفردية، أو هو الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، عليه تدور

---

(١) هذه هي الصوفية (ص٥١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، (ص٥٥٧) برقم (٢٨٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) جامع الرسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٧٩).

(٤) انظر: القاموس المحيط (ص١٢٦).

أحوال الخلق، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، ويفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل...»[١].

وملخص اعتقادهم في القطب:

أولاً: أن القطب دائر في جهات الدنيا الأربعة (الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب).

ثانياً: أنه جامع لكل المقامات والأحوال.

ثالثاً: أن القطب يسمى غوثاً لكونه ملجأ الملهوفين.

رابعاً: أن للقطب مقامين:

أ ـ القطبانية الصغرى: ويعمل فيها في عالم الشهادة الحسي إذا غاب أو مات خلف مكانه أقرب بدل منه.

ب ـ القطبانية العظمى: وهذا يستغرق عالم الغيب والشهادة، ولا يقوم أحد مكانه، ويكون على باطن خاتم النبوة.

خامساً: أنه خليفة الله في ربوبيته، ونائبه في التصرفات الإلهية، فلا يصل إلى الخلق أي شيء إلا بحكمه وتوليه ونيابته.

سادساً: أن روحانية القطب سارية في كل ذرة من ذرات الوجود[٢].

ويقول الحداد: «والقطب الغوث هو: إمام الأولياء أهل الدائرة والتصريف، وهم المعدودون في الأخبار والآثار الواردة فيهم»[٣].

وجاء في كتاب (منهل الوراد) في تعريف القطب وتسميته بالغوث: «واعلم أن تسميته بالغوث فباعتبار التجاء الملهوف إليه، والقطبية الكبرى لا تكون إلا لواحد لكن قد يتوسعون في هذا الإطلاق، إذ القطب في العرف: كل من جمع الأحوال والمقامات، وانفرد به عن أبناء جنسه في البلد قطباً، فرجل

---

(١) التعرف على التصوف، لأحمد بن عبد الله بن شهاب (ص٥٢).

(٢) انظر: التعرف على التصوف (ص٥٢)؛ وانظر: هذه هي الصوفية، للشيخ عبد الرحمن الوكيل (ص١٢٤ ـ ١٢٦)، ط٤، ١٩٨٤م، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) النفائس العلوية في المسائل الصوفية ص(١٤٨) لعبد الله بن علوي الحداد طبع دار الحاوي الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

البلد قطب ذلك البلد، وقطب الجماعة قطب تلك الجماعة إلى أن قال: وهو موضع نظر الله تعالى في كل زمان إعطاء[١] الله الطلسم الأعظم، قال العلماء: هو باطن نبوة محمد ﷺ فلا يكون إلا لورثته لاختصاصه ﷺ بالأكملية، فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة، وقد قرر ذلك غير واحد ممن جمع بين علمي الظاهر والباطن»[٢].

هذا هو معنى القطب و«لفظ الغوث والقطب في حق البشر لم ينطق به كتاب ولا سُنَّة، ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان في هذا المعنى، بل غياث المستغيثين على الإطلاق هو الله تعالى، كما قال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]»[٣].

وبناء على هذا التعريف للقطب، فقد جعلوا له وظائف وتصرفات هي من خصائص الرب جل في علاه، فجعلوها من صميم معتقداتهم.

الشواهد الدالة على اعتقاد صوفية حضرموت بالقطب:

بناء على ما تقدم من تعريف القطب عند الصوفية، فقد اعتمدت صوفية حضرموت هذه العقيدة، وذكروها في مؤلفاتهم، وادعوها لعدد من أوليائهم وعلمائهم.

وقضية القطبية واعتقادها عند صوفية حضرموت مبثوثة في كتبهم، فلا يكاد أحد من كبارهم ومُعظِّميهم إلا يوصف بها، فقد قال عبد الرحمن بن محمد السقاف باعلوي: «في تربة تريم ثمانون قطباً كلهم أشراف رضي الله عنهم»[٤].

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: أعطاه.

(٢) منهل الوراد، ط ١٣٩١هـ (ص١٣٠). وقد أخذوا هذا التعريف من ابن عربي انظر: الفتوحات المكية (٣/ ٢٤٤) نقلاً عن مقدمة محقق جامع الرسائل (ص١٤). وانظر: معجم اصطلاحات الصوفية، لعبد الرزاق الكاشاني (ص١٦٢)، تحقيق: د. عبد العال شاهين، ط١، ١٤١٣هـ، دار المنار ـ القاهرة.

(٣) جامع المسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٧٧)، تحقيق: محمد عزيز شمس، ط١، ١٤٢٢هـ، دار عالم الفوائد، مكة.

(٤) الغرر (ص٩٦).

هكذا يدّعي هذا الرجل أن في مقابر تريم ثمانين قطباً أعطوا ـ كما سيأتي ـ صفات الربّ جلّ وعلا وأفعاله التي لا يشاركه فيها أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فإذا كان في تربة تريم ثمانون قطباً يشاركون الله تعالى في أفعاله، فكيف بغيرها من الأماكن؟ ـ تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ.

ومن تلك الشواهد التي تدل على اعتقاد كبارهم هذه العقيدة ما جاء في كتاب تاج الأعراس: عند ذكر قول عبد الله الحداد الآتي: «قوموا واتركوا الغداء وخذوا في التسبيح والتهليل والتكبير والتوبة والاستغفار والأدب والانكسار فإنكم تواجهون صاحب الوقت فقاموا جميعاً وخرجوا يتلقونه إلى أن قال: رجعنا إلى إتمام القضية حول تشخيص مقام القطبية»[1].

وفي هذا النص تسمية القطب بصاحب الوقت، وانظر كيف يُعظَّم هذا القطب بالانكسار والتسبيح والتهليل عند مواجهته والتي هي غاية الذل والعبودية التي لا ينبغي صرفها إلا لله العظيم ـ تعالى وتقدس ـ.

وكما شارك صوفية اليمن بقية الصوفية في عقيدة القطبية شاركوهم كذلك في اعتقادهم بدولة الأولياء وديوان شوراهم، يقول أحمد بن حسن العطاس: «وعقد أي الديوان مرة في قبة الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس ورأيت الحبيب أبا بكر[2] ارتفع من قبره وفرشوا له فوق القبر حقه، وكان رئيس المجلس الحبيب أبو بكر، ورأيت بالجانب البحري من القبة رجلاً فسألته: من هو؟ فقال: نقيب الأولياء بالقدس، والذي ظهر لي أن النوبة بقيت مع الحبيب أبي بكر مدة بعد موته، قال سيدي: والرجال الذين هم رجال ما يطلبون مقام القطبية ولا غيرها ويفرون منها، ومثالها مثال مَنْ قال لك: هذه البلدة ونفقة أهلها، وخرج[3] معاشهم ودوابهم، وأعطاك ما يحتاجون إليه ماذا ترى لنفسك؟»[4].

---

(١) تاج الأعراس (١/ ٧٤).

(٢) يعني به أبا بكر بن عبد الله العطاس: تقدمت ترجمته (ص٢٨١) من هذا البحث.

(٣) كذا في الأصل. ولعلها خراج.

(٤) تذكير الناس (ص٢٠٩).

ويقول أيضاً: «وفي ليلة وفاة الحبيب أبي بكر عبد الله العطاس، اجتمع الأولياء أهل الظاهر والباطن وجلست أنا بالقرب منهم، وكان ذلك في جامع حريضة، فكان رئيس المجلس الشيخ عبد القادر الجيلاني فدعاني الشيخ عبد القادر فقلت له: أنا ما فيَّ طاقة[1] لشيء إن معكم شيء لي اطرحوه في القرآن، فطلع أحد من الأولياء لم أعرفه إلا من بعد، ولما انقضت نوبته اجتمعوا بأعلى شبام، بالقرب من العقّاد[2]، وجعل الأمر بين اثنين واحد على المعالي وواحد على المسافل»[3].

هكذا يدّعون تصرف أوليائهم في حياتهم، وكذا بعد مماتهم، ويجعلون لهم رعاية أجزاء من الأرض والله تعالى يقول: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩].

بل ادعى هذا المقام بعض أوليائهم لنفسه، فقد جاء في كتاب (الجوهر الشفاف) عند ذكر عبد الرحمٰن السقاف وهي الحكاية السادسة والتسعون من مناقبه: «أتى فقهاء اليمن إلى الشيخ أبو الغيث وقالوا له: يا أبا الغيث ما عرفنا أيش مذهبك أخبرنا أأنت شافعي أم مالكي أم حنبلي أم حنفي؟ فقال لهم: لا أنا شافعي ولا مالكي ولا حنبلي ولا حنفي، فقالوا له أيش مذهبك: فأيش أنت؟، فقال: جنداري من جنادرة السلطان، ثم سكت الشيخ عبد الرحمٰن رضي الله عنه ساعة ثم همز نفسه ومد يديه في الهوى وقال بأعلى صوته أنا جنداري من جنادرة السلطان، قال عبد الرحيم: ثم بعد ذلك بأيام قلت للشيخ عبد الرحمٰن رضي الله عنه: وما جنداري السلطان؟ فقال: ما هذا معناه هو الذي يدخل على السلطان من غير

---

(١) وتعني قدرة واستطاعة باللهجة الحضرمية.

(٢) إحدى مدن وادي حضرموت بالقرب من بلدة خشامر في أواسط الوادي. انظر: إدام القوت (ص٤٩٣)، ط المنهاج.

(٣) تذكير الناس (ص٢٠٩).

إذن، ولا عليه حجاب، ويأمر وينهى، ولا أحد يعارضه فيما يريد، وإذا دخل بلداً أو مكاناً لم يبق أحد معه من أهل تلك البلد والمكان أمر، لا أمير، ولا وزير، ولا غيرهما؛ بل الأمر أمر الجنداري، والحكم حكمه، ما شاء فعل، ولا معقب لأمره، ولا مرد له. قال المؤلف ـ عفى[١] الله تعالى عنه وعن والديه وعن أحبابه المسلمين ـ: هذا صفة صاحب القطبية...»[٢].

ومن أدلة ادعائهم ذلك لأنفسهم وكذا إقرارهم لمدعيها ما ورد في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم في المشرع: «وحُكي أن الشيخ عبد الله باعباد سأل صاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده فقال: (ظهر لي ثلاث: أحيي وأميت بإذن الله، وأقول للشيء كن فيكون، وأعرف ما سيكون فقال الشيخ عبد الله: نرجو فيك أكثر من هذا»[٣].

ومن ذلك ما ذكره صاحب الجوهر في ترجمة إبراهيم بن يحيى بن أحمد بن محمد بافضل: «وقال في بعض مصنفاته وردت إليَّ رقعة من الفقيه ابن العربي[٤] رضي الله عنه فإذا فيها: ورد علينا فقير وقال لنا: الفقير يحيي ويميت بإذن الله تعالى، والفقير يقول للشيء كن فيكونْ بإذن الله تعالى والفقير لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فأشكل علينا ما أفتا[٥] به فقال الشيخ إبراهيم بن يحيى رضي الله عنه شعراً:

إذا لم أفتكم بصريح علم ... فلا من بعدها تستفتوني
بما في محكم القرآن أفتي ... وإلا من بعد هذا كذبوني

ثم أجاب عن الكل بجواب فايق عجيب وأتى على كل مسألة بدليل من القرآن»[٦].

---

(١) كذا في الأصل. والصواب: (عفا). انظر: المصباح المنير (ص٣٤١).
(٢) الجوهر الشفاف (٢/ ٨٢).
(٣) المشرع (٢/ ٢١١) وقد اعتمد القوم هذه المنقبة له حتى قال صاحب النور السافر عنه (ص٢٨١) (يقول للشيء كن فيكون بإذن الله). وانظر: الغرر (ص٣٧٢).
(٤) أي ابن عربي الصوفي.
(٥) كذا في الأصل. والصواب: (ما أفتى).
(٦) الجوهر الشفاف (١/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

ويتضح من هذه النصوص تسمية القوم لقطب بعدة أسماء منها: الجنداري، التي ادعاها السقاف لنفسه، وزعم بذلك أن له صفات ملك السماوات والأرض جلَّ وعلا، بما في ذلك الأمر والنهي، وهذه تمام المحادة لله تعالى، ومنازعته في ملكه والله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. ويقول سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢﴾ [يونس: ٣١ ـ ٣٢]. إلى غير ذلك من النصوص التي توضح اختصاص الله تعالى بأمر الكون كله، وأنه لا يشاركه فيه أحد من مخلوقاته.

وكذا من الضلال ادعاء أبي بكر بن سالم مقام الرب تعالى، وأن التولية والعزل بيده، فأين هو من قول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦].

ويتضح من نصوصهم السابقة أن الشيطان قد سوّل لهؤلاء حتى اعتقدوا أن لأوليائهم وصالحيهم أفعالاً كأفعال الرب جل وعلا من الإحياء والإماتة وغير ذلك، بل وصفوا بعض أوليائهم بصفات الرب تعالى، كالأحدية والصمدية وغيرها، حتى أنهم أضفوا عليهم جميع الصفات التي ذكرها الله تعالى في سورة الإخلاص، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كما يزعم القوم معرفة القطب بعينه وبصفاته، وأنه من صوفية حضرموت، فقد جاء في كتاب تاج الأعراس عند وصف القطب وذلك عند مخاطبة علي بن سالم بن أبي بكر بن سالم لمن جاءه فبيّن له معنى القطب قال: «فقلت لهم: نحن من فضل الله نعرف القطب بذاته وصفاته واسمه وهو الآن فينا، وكان ذلك الوقت قطب الزمان وغوث الأوان سيدي وشيخي ومولاي القطب أبي

بكر بن عبد الله العطاس»[١].

وقد ردّ هذا الاعتقاد عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف أحد مؤرخي حضرموت وهو من جماعتهم العلويين مبيناً تأثرهم بمنهج الشيعة الإمامية الذين ادعوا لأئمتهم صفات الربِّ تعالى فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن العلويين الحضرميين ومن لفّ لفهم إلى هذا الحين إن لم يكونوا على مذهب الإمامية فإنهم على أخيه، إذ طالما سمعنا ممن لا يحصر عداً ولا يضبط كثرة منهم من يقول: إنها لما زويت عنهم الخلافة الظاهرة عُوضوا بالخلافة الباطنة، فصارت إلى علي ثم إلى ابنه الحسين ثم إلى زين العابدين ثم إلى الباقر ثم إلى الصادق، وهكذا فالأفضل ثم الأفضل من ذرياتهم، ألا ترى أنهم يقولون بقطبانية هؤلاء وما القطبانية إلا الإمامة نفسها»[٢].

هذه هي حقيقة القطبية عند القوم والتي لا يعرفها الكثير من أهل حضرموت وما يقصدون بها، فمن عرف مقصدهم بعقيدة القطبية وما ادعوه للقطب من الوظائف التي منحوها إياه يتضح له جليّاً أن القوم يصفونه بصفات الربَّ جلَّ وعلا، ودعوى تفوض الرب تعالى أمور الكون والعباد لبعض خلقه ـ تعالى الله وتقدس عن أفكهم علواً كبيراً ـ.

❁ المطلب الثالث ❁

عقيدة التصرف في الكون عند صوفية حضرموت

لمّا غلا القوم في قضية القطبية نتج عن ذلك اعتقاد تصرف أوليائهم ومشايخهم في الكون، ورأوا أن الطريق المؤدي للتصرف في الكون ـ كما يزعمون ـ هو الطاعة والمجاهدة بالأعمال، ولزوم باب المحبة وغيرها من الطرق التي يصل بها السالك إلى التصرف في الكون، فقد نقل باسودان عن الحداد أنه قال: «ولما اضمحلت حظوظهم وفنيت إراداتهم واختياراتهم، ولم

---

(١) تاج الأعراس (١/ ٧٥).

(٢) نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ص٨).

يبق لهم حظ ولا إرب في غير الله وما يقرب منه أطاعتهم الأكوان وأذعنت لهم منقادة نظير انقيادهم وطاعتهم لسيدهم إلى أن قال: وطاعة الأكوان لأولياء الله أمر معلوم متواتر»، وعلّق باسودان على كلام الحداد هذا فقال: «هذا وكفى به حجة لإجماع أئمة عصره ومن بعده على أنه جمع بين العلوم والمعارف والاجتهاد»[1].

ويقول الحداد في ديوانه:

ولــكــنــه نــور مــن الله وارد أتى ذكره في سورة فاستقر[2]

وقال باسودان شارحاً ذلك: «ولكنه من الله وارد: هو النور الذي يخرج به من سجن رؤية الأغيار إلى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار، فتتسع به نظر بصائرهم ويتصرفون في العوالم الغيبية، ويتصرفون في العوالم الملكية والملكوتية فيصلون إلى حق اليقين، وهو الوصول إلى حقيقة الكشف والشهود ويفنى لديهم ما سوى الإله المعبود»[3].

ولا فرق عند القوم بين تصرف الأحياء والأموات، بل يعتقدون تصرف الأموات في قبورهم ويستدلون لذلك بإضلال الشيطان لهم ودعوى رؤيتهم لهؤلاء الأموات وهم يتصرفون في الكون في حياتهم وبعد موتهم.

يقول الهدار: «ويتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء في الدنيا، وذكر بعضهم قال: رأيت سبعة من المتصرفين في قبورهم ومنهم: سيدنا الفقيه المقدم، وابنه علوي، وسيدنا عبد الرحمٰن السقاف، وسيدنا أبو بكر السكران، وسيدنا عبد الله بن أبي بكر العيدروس، وسيدنا عمر بن عبد الرحمٰن المحضار وهؤلاء في مكان واحد»[4].

وجاء في كتاب (الجوهر الشفاف) في الحكاية الخامسة والثلاثين بعد الثلاثمائة عن عمر المحضار بن عبد الرحمٰن السقاف قال: «كنت نائماً أظنه

---

(١) شرح راتب الحداد، لباسودان (ص٨٢). (٢) ديوان الحداد (ص٨٦).
(٣) ذخيرة المعاد (ص٥٣). (٤) الكلمات الحسان (ص٤٥).

قال في مسجد مدينة رسول الله قال: فلم أشعر إلا برجل من الصالحين قد وكزني برجله، فرفعت رأسي فقال: ما أجرأك تنام هنا وبطن أبيك ملانه كرعان[1] كم واحد قد سلبه، ثم ولّى عني ولم أعرفه وسأل الشيخ عمر رضي الله عنه عن معنى قول الرجل: بطن أبيك ملانه كرعان، فقال: أخذ الخلق كلهم في بطنه يولي من يشاء ويعزل من يشاء»[2].

هكذا يصف هذا الصوفي تصرف وليه معتقداً أن الخلق كلهم في بطنه يتصرف بهم كيف يشاء، ولا شك أن مصدّق هذه الخرافة قد ألغى عقله تماماً ـ فضلاً عن دينه وعقيدته ـ إذ الفطر السليمة تنفر عن مثل هذه الخرافات قال الله تعالى عنها: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وجاء في كتاب (تحقيقات تاريخية): في قصيدة لسليمان بن المعلم بن عبد الله باحرمي يتوسل فيها بعبد الله بن علوي الحداد:

فيا رب ياحنان غثنا بحق من سما فوق أهل الفضل عزاً ورفعةِ

إلى أن قال:

وسيلتنا الحداد أوحد عصره غياث الورى عند الأمور المهمةِ

وقال أيضاً:

سنحظى به في موقف الحشر منقذاً لنا من زفير النار يوم الندامةِ

وقال أيضاً في قصيدة يرثي فيها عبد الله بن علوي الحداد:

حبيبنا العابد الأواب سيدنا شيخ الطريقة منجينا من الضررِ[3]

وبذلك وصف محمد بن أحمد باجرفيل الدوعني أبا بكر العيدروس حينما استفسره محمد بن عمر بحرق عن تصرفات مالية تصرفها العيدروس على غير الوجه الشرعي فقال: «أنا أشهد أنه أمير المؤمنين، المالك للتولية والعزل

---

(١) الكرعان: جمع كراع وهي قوائم الدابة. انظر: القاموس المحيط (ص٧٥٨)، مادة: (كرع). ومعنى الكلام أن بطن أبيه مليئة بالكرعان.

(٢) الجوهر الشفاف (٢/ ٨٠).

(٣) تحقيقات تاريخية (ص١٩).

والحل والعقد والتصرفات كلها، وأشهد أنه أفضل أهل الأرض ظاهراً وباطناً»[١].

وقال أحمد بن حسن العطاس في أثناء حكاية له «فقال: إني صاحب الوقت وأتصرف في أهله وأنت فلان ابن فلان، وإن كنت تريد أن تنظر إلى بلدكم تريم فأدخل رأسك في كمي فبهتُ من ذلك ولم أفعل، ثم قال لي: أتريد أن أتصرف في قلب الباشا بأن يقوم؟ وكان جالساً في الحرم فبمجرد قوله ذلك قام الباشا وأتباعه وذهبوا خارجين من الحرم، فلما قاربوا الخروج منه قال لي: أتريد أن أتصرف فيه بأن يرجع فيطوف؟ فبمجرد ذلك رجع هو وأتباعه وطافوا، ثم قال لي: أتريد أن أتصرف في قلب الشريف عبد المطلب بأن يرجع الخمسة الديواني فتسلك في السوق وتمشي؟ فبمجرد قوله ذلك نادى المنادي بأعلى صوته: يقول لكم الشريف عبد المطلب لا يمتنع أحد من الخمسة الديواني»[٢].

ونقل علي بن محمد الحبشي على سبيل الإقرار والاستحسان عن عبد العزيز الدباغ قوله: «إن تصريفي يصل حتى إلى الجنان، وإن الحور ما يفعلن شيئاً إلا بأمر مني» وكان يقول لمريده: «إن كنت تعتقد أنّ الْبِسَّ في جميع أقطار الأرض يأكل الفأر بغير إذن مني فما أحسنت الأدب معي»، ثم عقب الحبشي على ذلك فقال: «انظر إلى هذا الفناء العظيم، وأين اليوم هذا الاعتقاد لو ما أعجبت المريد كلمة من الشيخ تغير اعتقاده»[٣].

وقال الشلي: «وقال بعض العارفين: الفقيه المقدم تصرف على المشايخ الذين تصرفوا بعد موتهم كتصرفهم في حياتهم وهم: القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ معروف الكرخي، والشيخ عقيل المنبجي،

(١) مواهب القدوس في مناقب العيدروس ضمن المجموعة العيدروسية (ص١٤).
(٢) تذكير الناس (ص٢٦٦).
(٣) كنوز السعادة الأبدية (ص١٧٩).

وحيوة بن قيس» ثم استشهد على ذلك بهذه الأبيات لمحمد بن علي خرد باعلوي صاحب الغُرر:

تصرّف شيخ في الوجود معظّمٌ ... على السادة الأشياخ أهل المعارفِ
على السيد الشيخ الفتى عبد قادر ... ومعروفٍ الكرخي منجٍ لتالفِ
وقيسٌ عقيل المنبجي وشيخنا ... لتصريفه لا يصرفون الصارفِ
وتصريفهم في كل شيء محقق ... سوى في جمال الدين عين لواقفِ[1]

وتأكيداً لذلك تجدهم في الحضرات وبعض الموالد ينشدون إلى اليوم:

ربي أسألك بأسرار الفقيه المقدم ... والذي قد حوى التصريف من قبل آدم[2]

وقال أحمد بن حسن العطاس: «فزعت مرة من أحد الناس فلما جئت إلى الحبيب أبي بكر بن عبد الله قال لي: لا تخف من حي ولا من ميت عاد المفاتيح إلا كلها بيدي»[3].

وقال أيضاً: «قال الحبيب أبو بكر بن عبد الله انسدحت[4] مرة في بندر الشحر في مسجد الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سالم بعد صلاة الصبح فأتوا بشيء كالبيضة وفيه شيء ونكتوه عند رأسي فإذا هو مختلف الألوان: الأبيض والأسود والممتزج فقلت: لعله عالم الذر قال: نعم، فقلت لعله لما ولوكم عليه؟ قال: نعم»[5].

وفي هذا النص دليل واضح في ادعاء هذا الرجل أن مفاتيح الكون بيده ولا يقدر أحد على عمل شيء بغير إذنه هذا في الحكاية الأولى، وأما الحكاية الثانية ففيها أنه ولي على عالم الذر أي الخلق الذين لم يخرجوا إلى الحياة بعد.

---

(١) الغرر (١٥٤)؛ والمشرع الروي (٢/٦ ـ ٧)؛ وقال بعد أبيات (قوله: وقيس صوابه حيوة).
(٢) ديوان الحضرة (ص٢١).
(٣) مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس، جمعه: محمد بن عوض بافضل (ص٢٥).
(٤) الانسداح باللهجة الحضرمية بمعنى الاستلقاء على الأرض.
(٥) مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس، لبافضل (ص٢٥).

ويقول صاحب شرح العينية في ذكر مناقب محمد بن علي المشهور بالفقيه المقدم: «وكان سيدنا الفقيه من الممكنين في التصريف بعد موتهم، قال المشايخ العارفون: ما صلينا على جنازة إلا والفقيه محمد بن علي بعد موته يصلي معنا عليها»[(١)].

فانظر الشمول الزماني لهذا التصريف من الأزل إلى الأبد! بل زاد في الأنموذج اللطيف أن قال بعد ما ذكر صلاته على الأموات بعد موته: «فلا شك أنه ممن صلى على نفسه بنفسه»[(٢)].

وجاء في كتاب الغرر في مناقب عبد الرحمٰن السقاف: «ومنها ما روي عن السيد عبد الرحمٰن بن علوي بن محمد بن الشيخ المذكور، قال: كنت في عدن وقد أصابني في عيني وجع، ولقيت الفقيه العالم القاضي محمد بن سعيد كبن، وأريته إياها وكان عارفاً بعلم الطب، وقيل: إنه كان يعرف اثني عشر علماً سوى العلوم المتداولة بين الناس معرفتها، ما يسأله أحد عن شيء منها، وقلت له: يا فقيه أعطني لها دواء، فلما نظرها قال: هذا مرض تسميه الأطباء الماء الأخضر وليس عندنا دواء حتى يكمل عماؤها، وإن أردت لها دواءً قبل ذلك دللناك عليه، فقلت: ما هو؟ فقال: اقصد جدك الشيخ عبد الرحمٰن، وقل له: يسلم عليك محمد بن سعيد كبن، وقل له: في عيني وجع أريدك تزيله بإذن الله فإنه يزول، فقلت له: تحولني على ميت؟ فنهض من مقعده وارتعش، ثم قال: والله، ثم والله، ثم والله إني أعتقد في الشيخ المذكور أنه يتصرف في مماته، كتصرفه في حياته، وأنه انتقل إلى الآخرة ولم تنتقل دولته، وفي رواية عن الفقيه الولي الصالح الشيخ سهل بن عبد الله باقشير ما أخبرني عنه السيد شيخ بن عبد الله بن الشيخ عبد الرحمٰن قال: لما رأى الفقيه عين عبد الرحمٰن رآها عمياء لكتيبة[(٣)] حصلت فيها هذا من أمر القدرة ما يزيل أمر القدرة إلا أهل القدرة، وجدك من أهل القدرة فأحاله عليه، فقال عبد الرحمٰن: ثم بعد

---

(١) شرح العينية (ص١٦١).
(٢) الأنموذج اللطيف (ص٢١٣) المطبوع مع البرقة المشيقة.
(٣) كذا في الأصل، ولم يتبين لي معناها.

مدة رأيت الشيخ في المنام على سرير فقلت له: إن الفقيه ابن كبن قال لي: إنك تتصرف بعد وفاتك كتصرفك في حياتك، فأخذ بإذني وقال لي: أنا ابن محمد بن علي، ما تصدق إلا إن قال: لك ابن كبن؟ أنا كذلك وأزْيَد وأزْيَد رضي الله عنه ونفع به»[١].

وجاء في كتاب المشرع الروي عند ترجمة محمد بن علي المشهور بالفقيه المقدم: «ومنها أن خادمه باخريصة سافر سفراً طويلاً فبلغ أهله أنه قد مات فتعبوا وأتوا إلى الأستاذ فأطرق ساعة وقال: لم يمت أبا خريصة، فقيل له قد جاء الخبر بموته فقال: إني اطلعت على الجنة فلم أجده فيها، ولم يدخل فقيري النار، ثم جاء الخبر بحياته وقدم هو بعد مدة»[٢].

ويقول الشلي عند ترجمة عبد الرحمٰن السقاف «ومن كراماته أنه أمسك الشمس عن الغروب قال الشيخ عبد الرحيم بن علي الخطيب: رجعنا مع الشيخ من زيارة قبر هود وقت الاصفرار، وقال: ما نصلي المغرب إلا بفرط بالربيع[٣]، فتعجبنا لقوله لبعد المسافة ثم أمرنا بالذكر ومشينا وأمسكت الشمس حتى وصلنا إلى الفرط فغربت فقال بعضنا لبعض فعل الشيخ مثل ما فعل الشيخ إسماعيل الحضرمي»[٤].

هذه بعض النماذج والأمثلة لادعاء القوم التصرف المطلق لأوليائهم في الكون، وذكرها كاف في بيان بعدهم عن الحق، مع ما احتواه كلامهم من الغلو والهذيان الذي لا ينطلي إلا على الطغام من الجهال الذين ألغوا عقولهم، ولم يعرفوا ربهم العظيم جلّ وعلا، ولم يقدروه حق قدره وإلا كيف تدعى مثل هذه الأمور لغير رب السماوات والأرض.

وهناك صور عديدة لعقيدة التصرف في الكون نذكرها فيما يأتي ليعلم أن القوم تمادوا في غيهم، وتوسعوا في باطلهم، فرفعوا أولياءهم إلى مقام الرب الكريم وسطروا ذلك في كتبهم ومؤلفاتهم.

---

(١) الغرر (ص٣٩٨).
(٢) المشرع الروي (٢/ ٩).
(٣) إحدى ضواحي تريم.
(٤) المشرع الروي (٢/ ١٤٥).

صور من عقيدة التصرف في الكون عند صوفية حضرموت:

وقد تمثلت هذه العقيدة عند صوفية حضرموت في الأمور الآتية:

أ ـ الإحياء والإماتة:

من صفات الرب جلَّ وعلا التي اتصف بها صفة الإحياء والإماتة وقد جاءت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنّة في بيان ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢].

وقال سبحانه: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١].

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨]. وغيرها من النصوص، ومع ذلك ادعت صوفية حضرموت هذه الصفة العظيمة لأوليائها بسبب الغلو وعدم تعظيم الرب تعالى وما له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

ونذكر شواهد من أقوال معظميهم، لإثبات ما قلناه فقد جاء في ترجمة عبد الله بن أبي بكر العيدروس: «ومما وقع له من إحياء الموتى لزوجته الشريفة عائشة بنت عمر المحضار، مرضت مرضاً شديداً وحرّكوها فإذا هي ميتة، فأتى إليها صاحب الترجمة وناداها باسمها ثلاث مرات، فأجابته في الثالثة وعوفيت من المرض. ومما وقع له من كفاية الشر أن امرأة أرادت أن تسرق ثمر نخلته ومعها ولدها فوضعته ورَقَت[1] النخلة فلما نزلت وجدت ولدها ميتاً فصرخت بالبكاء ثم أخبروها بأن النخلة للعيدروس فردت ما أخذت وتابت فقام ولدها»[2].

وفي هذا النص ادعاء القوم لأوليائهم الاتصاف بصفات الرب تعالى وأفعاله من الإحياء والإماتة وكفاية الشر عن الخلق والله المستعان.

ويقول الشلي في مشرعه في مناقب علوي بن الفقيه المقدم: «حكي أن

---

(١) رَقَتْ بمعنى طلعت وصعدت.

(٢) المشرع الروي (٢/ ١٦٣).

الشيخ عبد الله باعباد سأل صاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده، فقال: ظهر لي ثلاث: أحيي وأميت بإذن الله: وأقول للشيء كن فيكون، وأعرف ما سيكون، فقال الشيخ عبد الله: نرجوا فيك أكثر من هذا!»[١].

ويتضح لنا من خلال هذا النص أن القوم بلغ بهم الضلال أن ادّعوا لأنفسهم هذه المراتب العظيمة التي لم يدعيها كفار قريش لأصنامهم، إذ كانوا يقرون بأفعال الرب تعالى ـ في الجملة ـ، ولم يعطوها آلهتهم أبداً، وإنما جعلوها وسائط لتقربهم ـ بزعمهم ـ إلى الله العظيم جلّ في علاه، يقول تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]. ومع هذه الحجة الشيطانية التي زعمها المشركون فإن الله تعالى سماهم كذبة كفرة، فكيف بمن ادعى لنفسه صفات الربّ العظيم، أو ادعيت له؟!.

بل بلغ الغلو بصوفية حضرموت أن يعتقدوا في أوليائهم مطلق التصرفات من الإحياء والإماتة، وعلم الغيب، وقولهم للشيء كن فيكون، فماذا أبقوا للربّ جلّ وعلا؟.

ب ـ إعطاء الولد:

من المعلوم لكل أحد أن الله تعالى بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن له أفعالاً عظيمة، ومن تلكم الأفعال خلقه تعالى للمخلوقات التي هي تابعة لمشيئته سبحانه، وإعطاء الولد من أفعاله تعالى، فهو يهب الولد لمن يشاء، ويمنعه من يشاء، ولله الحكمة البالغة في ذلك، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩ ـ ٥٠].

---

(١) المشرع الروي (٢/٢١١).

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يخبر تعالى أنه خالق السماوات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾؛ أي: يرزقه البنات فقط، ومنهم لوط عليه الصلاة والسلام، ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾؛ أي: يرزقه البنين، فقط قال البغوي: كإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا﴾؛ أي: ويعطي لمن يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى؛ أي: من هذا وهذا، قال البغوي: كمحمد ﷺ ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾؛ أي: لا يولد له، قال البغوي: كيحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فجعل الناس أربعة أقسام: منهم من يعطيه البنات، ومنهم من يعطيه البنين، ومنهم من يعطيه النوعين ذكوراً وإناثاً، ومنهم من يمنعه هذا وهذا فيجعله عقيماً لا نسل له ولا ولد له ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾؛ أي: بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام ﴿قَدِيرٌ﴾؛ أي: على من يشاء من تفاوت الناس في ذلك»[١].

وقد أعطت صوفية حضرموت لأوليائها صفة الخلق، وجعلوا لهم القدرة على إعطاء الولد لمن طلبه منهم، ولمن يريدون إعطاءه، ونذكر هنا بعض الشواهد التي تثبت ضلال القوم في هذه المسألة، يقول أبو بكر الحبشي: «وأهدى بعض السادة شيئاً لسيدي فدعا له بأن يرزقه الله ولداً وقال له: حولناك على الحبيب أحمد بن علي الهدار، وهذا الحبيب كان من أهل الأحوال العظيمة، وكان إذا جاءه أحد وسأله الدعاء بالذرية يقول له: باياتيك ولد، أو اثنان أو أكثر فاعترض عليه أحد بقلبه فكاشفه الحبيب أحمد وقال له: يا فلان إن الذين قسمتهم من بحر الشيخ أبي بكر بن سالم سبعة آلاف ولد، وأنت يأتيك نصف ولد، فأتاه نصف ولد على رِجل واحدة ويد واحدة وناصفة[٢] وجه، نسأل الله العافية»[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٢٢).
(٢) بمعنى نصف.
(٣) تذكير الناس (ص٣٢٧).

وفي هذا الكلام ما يدل على ضلال القوم وعدم إفرادهم الله بالخلق والملك والتدبير؛ بل جعلوا أولياءهم مشاركين له تعالى في أفعاله كإعطاء الولد، وادعوا كذلك علم الغيب وعلم ما في القلوب والله تعالى يقول: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩]. وفيه أن القوم يدعون أن لمشايخهم حق التصرف في ملكوت الله تعالى حيث يحولون عليهم من سألهم الولد، ومن طوامهم أيضاً: اعتقاد اعطاء الولد من بحر أبي بكر بن سالم لا من عند الله تعالى، وهذا أعظم الظلم حيث يُعتقد وجود الرزق والخير من عند غير الله يقسمه كيف يشاء، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]. ويقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨].

ويقول صاحب تذكير الناس: «قال سيدي: وزرنا مرة تربة الفريط بتريم نحن والأخ حامد بن أحمد المحضار، ولما كنا عند الشيخ القرشي صاحب الذرية أخذ الأخ حامد حصاة كبيرة ووضعها عند قبر الشيخ وقال: ـ والحاضرون يسمعون ـ شف نحنا نبغي ولداً لفاطمة عبودة بنت عبد الله بن عمر القعيطي، وكانت مُسنّة في ذلك الوقت ومستبعدٌ أن تحمل فقدّر الله أنها حملت بولد وعاش»[1].

وهذا يؤكد تعلق القوم بأوليائهم الأحياء والأموات، وطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، فقد سموا أحد أمواتهم صاحب الذرية، ومعلوم لكل صاحب فطرة أن الذرية وإعطاء الولد بيد الله تعالى، وهؤلاء يدعونه لأوليائهم، بل بلغ الأمر أن سألوا القبور منح الولد لامرأة عقيم، ويصدر هذا الكلام على الملأ ويسمعون هذا الشرك العظيم فلا يحركون ساكناً لتأصل هذا الاعتقاد في قلوبهم، واعتقاد عدم جواز الاعتراض على أوليائهم وإن ادعي لهم مقام الربّ تعالى، ثم يزيد الاعتقاد لدى القوم إذا تحقق ما طلبوه ولم يعلموا إن هذا ابتلاء، والقوم يذكرون هذه الطوام ثم يذكرون اسم الله تعالى بلا معنى ولا

---

(١) تذكير الناس (ص٣٢٨).

تعظيم كما جاء هنا من قوله: «فقدر الله إن حملت بولد وعاش» ولا معنى لهذا الكلام مع قولهم إن فلاناً من أوليائهم صاحب الذرية، أو أن الولد يؤتى به من بحر أبي بكر بن سالم... إلخ وسيأتي في ثنايا البحث من هذه العبارات التي لا معنى تحتها إلا العادة وأنهم اعتادوا ذكر الله تعالى بلا معرفة لقدره وعظمته جلّ وتقدس عن إفك الظالمين إجلالاً كبيراً.

ويقول أحد كبارهم وُصف بأنه: «العالم الجليل نسخة السلف وقدوة الخلف» في رحلته المسماة بـ(النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية وتلبية الصوت من الحجاز وحضرموت): «ولما وقفنا على قبر الشيخ عمر بن علي القرشي ويروى أن من طرح عند قبره حجرة يرزق ولداً، وقيل لنا: أن الحبيب علي بن محمد الحبشي زاره وبصحبته الحبيب عمر بن عيدروس العيدروس فأخذ الحبيب عمر ملا ثوبه حصى ليطرحه عند القبر، فقال له الحبيب علي: كثّرت جم[1]، فقال: أريد نسمات تذكر الله أو قال تعبد الله، فأخذت أنا حصاتين وطرحتهما عند القبر على هذه النية»[2].

وهذه القصة تبيّن اعتقاد القوم أنه بمجرد وضع الحصى على قبر الولي يرزقهم الولد، نسأل الله الهداية.

هذه بعض النصوص للتمثيل لا للحصر، والغرض بيان ما وصل إليه القوم في الاعتقاد في أوليائهم، ولو ذهبنا نسوق نصوص القوم في هذه المسألة لطال المقام وكثرت الصفحات بما يضيق الصدور، ويؤلم النفوس المسلمة للمدى الذي وصل إليه القوم في الجهل بربهم جلّ وعلا، وإعطاء صفاته لغيره من المخلوقين.

ج ـ اعتقادهم رعاية أوليائهم للأحياء والأموات:

لما غلا القوم في أوليائهم ومشايخهم، أدى بهم ذلك إلى إعطاء الموتى

---

(١) وتعني (كثيراً) باللهجة الحضرمية.

(٢) النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية ويليه تلبية الصوت من الحجاز وحضرموت (ص٧٥ ـ ٧٦). مطبعة العلوم.

صفات الربّ تعالى ومنها الرعاية والكلاءة والحفظ للعباد، والله يقول في محكم كتابه: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنبياء: ٤٢]. وغيرها من النصوص التي تبيّن أن أزمة الأمور بيد الله تعالى وأنه مالك الملك الذي يتصرف في ملكه كيف يشاء، وأنه يرعى عباده، أحياء وأمواتاً، لا يشاركه في ذلك أحد لأنها من أفعاله التي اختص بها سبحانه.

وقد كثرت نصوص صوفية حضرموت في ادعاء هذه المنزلة لأوليائها، يقول علوي المشهور: «إن الإنسان قد يكون تحت رعاية شيخ وهو لا يشعر، وقد يكون من الأحياء وقد يكون من الأموات»(١).

هذا هو الغلو الذي أدى بهم إلى اعتقاد رعاية الخلق للخلق دون خالق الخلق، بل وحتى رعاية الميت للحي، مع أن هذا الميت قد وضع في قبره وأهالوا عليه التراب، فهو عاجز عن نفع نفسه فضلاً عن نفع غيره، ولا ينفعه إلا ما قدم كما ثبت في الصحيح إن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(٢).

فقوله ﷺ: «انقطع عمله» يشمل كل ميت، وأن عمله الذي كان يعمله في الدنيا قد انقطع، ولم يستثنِ عليه الصلاة والسلام إلا الثلاث المذكورة في الحديث. ولم يذكر إن الميت يملك شيئاً للحي، بل إنه في حياته لا يملك شيئاً للحي إلا ما أقدره الله عليه، أما مسألة الرعاية والحفظ فلم يكلها سبحانه لأحد من مخلوقاته.

وجاء في كتاب تاج الأعراس عند ذكر أولاد المؤلف علي بن حسين

---

(١) لوامع النور (١/ ٢٣٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (ص٦٦٩ ـ ٦٧٠) برقم (١٦٣١).

العطاس[١]: «وثالثهما حسين الأصغر وهو الآن في سن التعليم الابتدائي، وقد جعلت محمداً ومحسناً تحت رعاية روحانية الحبيب علي بن حسن العطاس صاحب المشهد ومؤلف القرطاس»[٢].

ومن هذا النص يتبيّن لنا شدة الاعتقاد في الأموات، حتى أنهم يودعون أولادهم الصغار لروحانية الميت لاعتقادهم تصرفه في الكون وأنه يحفظ من التجأ إليه.

وجاء في كتاب تحقيقات تاريخية عند ترجمة المعلم عبد الرحمٰن بن محمد بن سليمان باحرمي[٣] (ت١٣٤٦هـ): «وكان رضي الله عنه كثير المرائي للحبيب عبد الله الحداد، ومن جملتها بل كادت تكون يقظة، قال: رأيت سيدي الحداد، قدم لي ولداً صغيراً من أولاده، وقال لي: قم يا معلم، غسله! وانتبهت.

ثم بعد صلاة الصبح في مسجد العقبة، أتى إلى المسجد المذكور أحد أخدام الحبائب[٤] آل الحداد. فأخبرني أن السيد عبد القادر بن حسن الحداد أوصاه إليّ، وقال لي: سَلِّم على المعلم عبد الرحمٰن، وقل له: يسلم عليك حبيبي عبد القادر المذكور، بأن الشريفة وضعت البارحة، وأتت بولد ومات، فاخرج غسله!، قال رضي الله عنه: فخرجت إلى الحاوي بعد ما جاءني الرسول المذكور، وجئت إلى بيت السيد عبد القادر لتغسيل الولد، وبعد ذلك قدم لي

---

(١) هو علي بن حسين بن محمد بن حسين العطاس، أقام بأندونيسيا، وكان من دعاة التصوف هناك. من آثاره: كتاب تاج الأعراس وقد حشاه بالخرافات والكرامات المنحرفة، وادعاء صفات الرب تعالى لأوليائهم وقد نقلت في هذا البحث شيئا من خرافات هذا الكتاب. انظر في ترجمته: التعليقات على شمس الظهيرة (١/ ٢٦٨)؛ ولوامع النور (٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤).

(٢) تاج الأعراس (٢/ ٧٦٤).

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن محمد باحرمي الحضرمي، أخذ عن عبد الرحمن بن محمد المشهور سنة ١٣٢٠هـ، وكان من المتعلقين بعبد الله الحداد بعد موته، ومن المعتقدين رعاية الحداد لأهل تريم. توفي سنة ١٣٤٦هـ. انظر: تحقيقات تاريخية فيما لقبيلة آل أبي حرمي الحضرمية من أقدمية (ص٢٥ ـ ٢٦).

(٤) جمع حبيب، ويطلقها أهل حضرموت على السادة آل باعلوي.

السيد عبد القادر الولد، فتفقدت ذلك الولد، فوجدته هو الذي قدمه لي الحبيب في المنام، لا زيادة ولا نقصان في الشبه كأنه هو، فأخبرت سيدي عبد القادر بالرؤيا هذه، فبكى وبكيت، وقال لي السيد عبد القادر: الحمد لله، الحبيب معتني بنا وبك يا معلم، وغسلت الولد بعد ذلك»[١].

وجاء في كتاب ظهور الحقائق عند ذكر عمر بن عبد الرحمٰن العطاس: «وقال رضي الله عنه: ما من صاحب طاعة إلا وعليه نظر من وليّ لله، إما من الأحياء أو من الأموات»[٢].

ويقول عبد الله بن علوي بن حسن الحداد: «ويروى أن الشيخ الكبير أبا بكر بن سالم من حين وجوده إلى حين وفاته لم تكتب على أهل زمانه خطيئة، فلهم تصرفات جليلة وخوارق عادات عظيمة في الحياة وبعد الممات»[٣].

من هذه النصوص يتضح إعطاء القوم صفات الرب تعالى لأوليائهم، في التصرف في الكون، بل وزعموا أن وجود أوليائهم يمنع كتابة الخطايا على أهل عصرهم؟!.

د ـ ادعاء علم الغيب:

اختص الله تعالى بعلم الغيب ـ كما هو معلوم ـ، والإيمان بذلك من أصول الإيمان، وجعله الله تعالى أول صفة للمتقين في كتابه، فقال سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ١ ـ ٣].

استأثر تعالى بعلم الغيب ـ كما هو معلوم ـ وتفضل سبحانه على رسله بإطلاعهم على بعض أمور الغيب لحكمة يعلمها سبحانه، فقد أرسل الرسل يخبرون الناس بعض أمور الغيب للإيمان به سبحانه واتباع شرعه، والأنبياء والرسل لا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله تعالى عليه، كما قال تعالى:

---

(١) تحقيقات تاريخية (ص٢٥).
(٢) ظهور الحقائق (ص٦٦).
(٣) المصدر السابق (ص١٠٥).

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ومن السنّة ما ثبت في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأيّ أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[(١)].

وقالت عائشة رضي الله عنها: «... ومن زعم أنه [ﷺ] يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥]»[(٢)].

كل هذه النصوص الشرعية تدلّ على أنه لا يعلم أحد في السماوات والأرض الغيب إلا الله تعالى لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا يعلم الأنبياء والملائكة إلا ما أطلعهم الله عليه، ونصوص القرآن كثيرة جداً في بيان عدم علم الأنبياء والرسل بالغيب لمن قرأ القرآن بتدبر وتمعّن، لا من جعله للتبرك بقراءته فقط، فإن أعظم بركات القرآن العاجلة والآجلة هو تدبره والعمل به، واتباع ما جاء فيه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]. وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

ومع هذه النصوص الكثيرة من الكتاب والسنّة في إثبات تفرد الربّ جلّ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾، (ص٩٠٠ ـ ٩٠١) برقم (٤٦٩٧). وأخرج بنحوه برقم (١٠٣٩، ٤٦٢٧، ٤٧٧٨، ٧٣٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء (ص٩٧) برقم (١٧٧).

وعلا بعلم الغيب إلا أن صوفية حضرموت هدموا هذا الأصل العظيم، واستبدلوه بالكشف الصوفي الذي يعني عندهم رفع الحجب أمام قلب الصوفي وبصره ليعلم المغيبات وما يقع في السمٰوات والأرض دقيقه وجليله.

جاء في كتاب تاج الأعراس عند ذكر أبي بكر بن عبد الله العطاس وتعداد مناقبه عند القوم: «ومما يشاع عن الحبيب أبي بكر من أنه يعرف الشقي من السعيد، وقال علوي بن محمد الحداد: ثم رفع الحبيب أبو بكر يده اليمنى إلى قبالة وجهي قبل أن أصافحه وجعل يشير بسبابتيه وهو يقول: سين عين ياء دال فسلمت له من ذلك الحين»(١).

وجاء في كتاب كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية: «قالوا: إن الحبيب علوي بن الفقيه مر على صبيين يلعبان في طريق فقال له الخادم: تفرَّس فيهما، فقال له: هذا مكتوب على جبينه سعيد، وهذا مكتوب على جبينه شقي فلما كبرا صار أمرهما كما ذكر الحبيب السعيد عمل بعمل أهل السعادة، والآخر عمل بعمل أهل الشقاوة»(٢).

ومن الأدلة على ذلك ما تقدم مما ادعوه لعلي بن الفقيه المقدم في مناقبه وأنه: «يحيي ويميت ويقول للشيء كن فيكون ويعلم ما سيكون».

ومن ذلك ما جاء في مناقب أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن محمد مولى الدويلة (السقاف) أنه يقول: «أعرف من الفرش إلى العرش»(٣).

وفي مناقب أخيه حسن بن عبد الرحمٰن السقاف أنه: «كان يقول: أنا أعرف السعيد والشقي وأعرف الصالحين بالسيم»(٤).

وفي ترجمة أخيهما الثالث شيخ: «وقال والده عبد الرحمٰن السقاف: ولدي شيخ كعشرة شيوخ، وما سميته شيخاً إلا أني رأيته في اللوح المحفوظ شيخاً»(٥).

(١) تاج الأعراس (١/ ١٠٥).
(٢) كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية (ص١٨٠).
(٣) المشرع الروي (٢/ ٣٣).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٣).
(٥) المصدر السابق (٢/ ١١٦).

ومن هذه النصوص يتضح ادعاء القوم علم الغيب سواء ادعوه لأنفسهم، أو ادعي لهم كمعرفة الشقي من السعيد، والاطلاع على ما كُتب في اللوح المحفوظ مباشرة، وإنهم لا يتصرفون إلا وفق ما رأوه فيه.

وادعوا لأنفسهم الإحاطة بالعلم من العرش إلى الفرش، فما أبقوا لله رب العالمين؟ فذكر هذا الكلام يعلم بطلانه لكل مسلم، إذ كيف يدعى أمر لا يملكه الملائكة المقربون، ولا الأنبياء والمرسلون، فيختص به هؤلاء الصوفية، ثم إن ادعاءهم علم الغيب منازعة لله تعالى في ربوبيته ومنازعته كذلك في صفات الكمال التي اختص بها سبحانه.

بل تدرج بهم الشيطان بالوقوع في مخالفة الشرع بالوقوع في المنكرات ومن ثم تبرير ذلك بادعاء الغيب، وإنهم ما فعلوه إلا بالاطلاع على الغيب، فقد جاء في كتاب كنوز السعادة الأبدية: «وذكروا أن الحبيب أحمد بن محسن الهدار كان إذا رأى امرأة في الطريق قبصها[(١)] في ثديها والحكمة في ذلك أنه يخرج شهوة الزنا منها، فقال لزوجته بعضُ السادة: إن خليتي[(٢)] عمي أحمد يقبص ثديك فعلت بك وفعلت، فلما كان في بعض الأيام أقبلت تلك المرأة تسير وزوجها يمشي في تلك الطريق فإذا الحبيب أحمد واصل إليها فأسرعت المشي وخبّت[(٣)] خوفاً من الحبيب أحمد ومن زوجها، فخبّ الحبيب وراءها وقال: مالكِ عذر من قبصة عمك أحمد وإن خبّيتي، فلحقها وقبصها في ثديها وزوجها ينظر. وقال لها باتأتين[(٤)] سبعة أولاد كلهم يركبون الخيل على رغم أنف زوجك، فقال زوجها: إذا كان هكذا فلا بأس، فولدت الأولاد السبعة وركبوا الخيل كما ذكر الحبيب»[(٥)].

ففي هذه القصة يلاحظ فجور هذا الرجل، حيث جعل المنكر كرامة وهو

---

(١) القبص في لهجة أهل حضرموت بمعنى الضغط على الجسم بأصبعي الإبهام والتي تليها.
(٢) أي تَرَكْتي.
(٣) خبّت بمعنى أسرعت في المشي.
(٤) أي ستلدين.
(٥) كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية (ص٢٣٧ ـ ٢٣٨).

مس النساء الأجنبيات عنه، وقد قال ﷺ: «إني لا أصافح النساء» الحديث[١].

وقالت عائشة رضي الله عنها «لا والله، ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة أنه بايعهن بالكلام والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء إلا بما أمره الله يقول لهن إذا أخذ عليهن«قد بايعتكن» كلاماً[٢].

فإذا كان رسول الله ﷺ وهو أتقى الناس وأخشاهم لربه لم تمس يده يد امرأة قط، فانظر إلى فعل هذا الصوفي الذي يدعي محبة رسول الله ﷺ ولا يتبعه.

بل وتعدى الأمر عند القوم إلى الكذب على الناس وأنه بهذا المنكر يخرج شهوة الزنا منهن ونسي أو تناسى أن الأمر بيد الله تعالى، فهو الذي يثبّت من يشاء ويصرف السوء عمن يشاء، كما قال تعالى عن يوسف: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

ثم مع هذا المنكر يدعي هذا الرجل أنه بهذا الفعل علم أن المرأة ستلد في المستقبل سبعة أولاد جميعهم يركبون الفرس؟! والله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ﴾ [لقمان: ٣٤]. وقد بلغ بالناس الجهل وتصديق مثل هذا الباطل ما قاله الرجل لزوجته بعد أن رأى المنكر الذي قام به هذا الصوفي: إذا كان هكذا فلا بأس.

وهذا يدلّ على مدى الاعتقاد في هؤلاء الصوفية، وأنهم كالسحرة حيث طمسوا عقول الناس وجعلوها متعلقة بهم، حتى انتكست فطرهم، فلا يرون المنكر منكراً إذا فعله الصوفي لما في قلوبهم من الهيبة لهم، والتصديق بكل ما يفعلون، والأشد من ذلك تصديق هؤلاء في ادعاء علم الغيب.

---

(١) رواه الروياني في مسنده (٢/ ٢٢٧). وقال المنذري في الترغيب: «رواه الطبراني في الكبير (٣/ ٦٦) والبيهقي، ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح»؛ وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٤٤٧)، برقم (٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطلاق، باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي، (ص١٠٤٦ ـ ١٠٤٧) برقم (٥٢٨٨)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب كيفية بيعة النساء، (ص٧٧٨) برقم (١٨٦٦).

ويقول الشلي عند ذكر كرامات عبد الرحمٰن السقاف: «ومما أخبر به من المغيبات والمستقبلات أنه قال لزوجته ـ التي بقرية العز وكانت حاملاً ـ: ستلدين غلاماً ويموت في يوم كذا وأعطاهم ثوباً وقال: كفنوه بهذا وسافر فكان الأمر كما قال، وكان مرة بشبام فقال لمن عنده: مات ولدي فلاناً بتريم في هذه الساعة فكان الأمر كما قال»[(١)].

ويقول عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف عند ذكره لعبد القادر بن محمد بن حسين بن زين الحبشي[(٢)]: «قال سيدي الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر: وكانت للحبيب عبد القادر المذكور أمور غريبة من الرياضات والخلوات، وله أربعينات متعددة. وربما تخلف عن شهود الجمعة لأن الله كشف له عن أحوال الناس الباطنة فيراهم في صور معانيهم»[(٣)].

وجاء في كتاب تاريخ النور السافر: عند ذكر عمر بن أحمد العمودي وعلاقته بأبي بكر العيدروس: «وحكي أنه دخل عدن في زمان الشيخ أبي بكر العيدروس فأضافه الشيخ أبو بكر العيدروس وبالغ في ذلك، فلما رأى الشيخ عمر كثرة ما صنع خطر في قلبه أن هذا إسراف، فالتفت إليه الشيخ أبو بكر عند ذلك وقال: أكرمناهم قالوا: إسراف فقال الشيخ عمر عند ذلك: استغفر الله، ولم يعلم الحاضرون بشيء من ذلك حتى حكى لهم الشيخ عمر بخاطره الذي خطر له، وكاشفه الشيخ به»[(٤)].

فهذه بعض نصوص القوم في ادعائهم علم الغيب وعلم ما تضمره النفوس، وما يحاك في الصدر، وهي غيض من فيض، فقد ملأوا كتبهم بهذا الادعاء، ويرونها كرامة ومنقبة، فيقال لهم: أين أنتم من قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ

---

(١) المشرع الروي (٢/ ١٤٥).

(٢) هو عبد القادر بن محمد بن حسين بن زين بن علوي بن أحمد الحبشي، من أقران الصوفي الحسن بن صالح البحر، وكان يجله. جمع بعض أحفاده كتاباته مع معاصريه، توفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر: إدام القوت (ص٦١٨)، ط المنهاج.

(٣) إدام القوت (ص٣٢٩).

(٤) تاريخ النور السافر (ص٢٤٠).

مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وقوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [هود: ٣١]. وقوله: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]. وغيرها من النصوص القرآنية الكثيرة التي تبيّن أن الله تعالى هو الذي له علم الغيب وحده لا يشاركه في ذلك أحد من الخلق.

هـ ـ دعوى إنزال المطر:

إنزال المطر من الأمور التي اختص الله تعالى بها لا يشاركه فيها أحد من خلقه، فهو من الأمور الخمسة التي اختص الله بعلمها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ [لقمان: ٣٤].

وإنزال المطر من أفعال الربّ تعالى التي لم ينكرها حتى مشركو قريش، قال الله عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣﴾ [العنكبوت: ٦٣].

ومع هذه النصوص فقد طلب القوم من أوليائهم ومشايخهم إنزال المطر، ولجأوا إليهم عند الشدائد والله تعالى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل: ٦٢]. فقد جاء في كتاب صلة الأخيار بالرجال الأئمة الكبار عند ذكر كرامات محمد بن طاهر الحداد[1] وضمانه إنزال المطر للناس فقد ذكروا أنه جاءه سائل يسأله المطر فقال له: «المنجمون[2] يقولون ما شيء مطر هذا السنة

---

(١) هو محمد بن طاهر بن عمر الحداد، ولد بقيدون من بلاد دوعن سنة ١٢٧٣هـ. وتوفي بالتّقل بجاوة سنة ١٣١٦هـ. صنف في مناقبه تلميذه عبد الله بن طاهر الحداد كتابا سماه (قرة العين). وانظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٥/٤٣ ـ ٥٢).

(٢) التنجيم: مصدر نجم المشتق من النجم وهو الكوكب ومعنى التنجيم «الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية كما يزعمون» مجموع الفتاوى (٣٥/١٩٢). انظر: إلى اعتقاد القوم بالنجوم والمنجمون =

والناس محتاجون وفي تعب من عدم المطر، ألحّ عليه، وقال له: لا أقوم من هنا حتى تضمن لي على الله المطر، فبقي الأخ محمد يعتذر، وأن هذا الأمر بيد الله ﷻ، فأبى أن يقبل العذر، بل قال له: ما يمكن دخولك حيدر أباد[١] إلا إن ضمنت لي على الله بالمطر. فبقي يلحّ عليه ولا يقبل له عذراً، فراجعه بعض الحاضرين فأجابهم: أنا ما قصدتكم، ولا طلبت منكم شيئاً، إنما طلبت من سيدي. والحاصل أنه لم يقم من عنده حتى ضمن له على الله بالمطر إلى أن قال: فحين أردنا الدخول من المسجد إلى البيت، مشينا في المطر، وبقيت تصب أربع ساعات متوالية، صلينا المغرب والعشاء، وتعشينا وهي تصب إلى غلاق[٢] أربع ساعات أو زيادة، وانتفع به خلق كثير لا يحصون، وهذه كرامة عظيمة»[٣].

وجاء في تذكير الناس: «قال سيدي: ووقع بحريضة في بعض السنين قحط شديد، فسار الحبيب علي بن جعفر العطاس إلى النقعة ـ وهي قرية بقرب حريضة ـ وقال لأهل البلد: سنجيئكم بسيل من عند الشيخ جنيد باوزير إن شاء الله، فلما وصل إليها زار قبر الشيخ جنيد والشيخ علي بن سالم ورجع فسال وادي حريضة تلك الليلة»[٤].

وأوضح من هذا ما ذكره صاحب تذكير الناس حيث قال: «قال سيدي وبلغنا أن الشيخ عبد الله بن أحمد بلعفيف كان من أولياء الله المستجابة دعوتهم، ويقال له بياع السيول، وصل إلى تريم في بعض زياراته، فاجتمع ببعض السادة آل العيدروس فقال له أنت: بلعفيف بياع السيول، فقال له الشيخ: نعم حاجة خدمة، فقال له الحبيب: نعم مرادنا سيل، فقال الشيخ: لا بأس، بكم تشتري؟ فقال له الحبيب: بالذي تريده، فقال الشيخ: نبيع لك سيل

= واعتقادهم أنهم يعلمون الغيب، أو أن النجوم لها تأثير في حصول المطر وهذا شرك أكبر والعياذ بالله تعالى.

(١) إحدى مدن بلاد الهند. (٢) بمعنى إلى غاية، أو لفترة.

(٣) كتاب صلة الأخيار بالرجال الأئمة الكبار: لعمر بن أحمد بافقيه (ص٧٧ ـ ٧٨).

(٤) تذكير الناس (ص١٨٩).

بكبش سمين، وخمس قهاول[١] بُرٌّ، فقال الحبيب: لا بأس تم الكلام، فقال الشيخ: تبغي السيل لأي أرض؟ قال الحبيب: للشرج[٢] الفلاني حقي، فقال الشيخ: هات الكبش والبر وأخرج رُعّاضك لشرجك، فأتى الحبيب بالبر والكبش وخرج الرُّعَّاض[٣] وشرب الشرج بإذن الله وبركة أولياء الله»[٤].

فهذه النصوص تبيّن مدى انحراف القوم حيث ادعوا اتصاف الخلق بأفعال الرب تعالى؛ كإنزال المطر، إذ الفطر السليمة والعقول الصحيحة تأبى ذلك، فكيف يطلب المطر من مخلوق عاجز عن نفع نفسه فضلاً عن نفع غيره، ولكن لما تعلقت قلوبهم بالقبور شدوا رحالهم لها لطلب المطر، وبلغ الضلال أشده حين يُعتقد إن الشخص بيده المطر ينزله متى شاء على من يشاء، بل وأصبح هذا العمل المزعوم مهنة لصاحبه حتى سمي «بياع السيول» وتعلق الناس به وطلبوا السيل منه عند القحط والجدب والله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨]. وأمر سبحانه بدعائه فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦]. فالله تعالى دعا عباده للإيمان به والالتزام بشرعه بفعل أوامره واجتناب نواهيه ووعد بإجابة من هذا حاله، ولم يدع عباده يلجئون إلى غيره.

و ـ ادعاء إجابة مشايخهم الداعي وإغاثة المستغيث:

قرّر عبد الله بن علوي الحداد هذا الاعتقاد في قصيدته العينية التي تعد أشهر قصائده لدى القوم حيث يقول في صفة الولي:

من كل طود في العلوم وفي الحجا   متبحر متفنن متوسعِ

---

(١) القهاول: مقدار من الكيل يساوي ثلاثة أصواع تقريباً ويساوي عشرة أمداد، ويساوي (٨) مكاييل بمكيال مدينة تريم. انظر: بحث بعنوان (الإمام صاحب مرباط)، لجعفر السقاف (ص١٠) و«كلمات في الدارجة بمدينة تريم»: ص٨١.

(٢) الشَّرْج: والشرجة سيل الماء من الحرة إلى السهل. انظر: النهاية، لابن الأثير (٢/٤٥٦).

(٣) الرَّعَّاض جمع راعض وهو الذي يعدِّل السيل في الحقول.

(٤) تذكير الناس (ص١٨٨).

داعٍ إلى الله العظيم بفعله ومقاله والحال غير مضيعِ
ذي عفة وفتوة وأمانة وصيانة للسر أحسن من يعي
وزهادة وعبادة وشهادة منه الغيوب بمنظر وبمسمع
جمع الرياضة والكشوف ولم يزل يرقى إلى أن يستجيب إذا دعي(١)

هذه أوصاف الولي عند قطبهم الحداد، واعتقاده أن الغيوب أمام نظر الولي ومسمعه، وبناءً على هذا فقد اعتقدوا أن الولي يسمعهم ويجيب دعاءهم، لترقيه في منازل السائرين عند الصوفية فيجيب دعاء من دعاه.

ومن ذلك ما ذكره شارح العينية في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم حيث قال: «وكان رضي الله عنه سريع الغوث لمن استغاث به، قال السيد الجليل العلامة المحدث الإمام محمد بن علي علوي خرد باعلوي في كتابه «الغُرر» أخبرني الشيخ عبد الرحمٰن بن علي أن العارفين قالوا: «ثلاثة من آل باعلوي لا تزال خيل حميتهم وإجابتهم مسرجة ملجمة من دعا بهم أُجيب وهم علوي المذكور وابنه علي والشيخ عمر المحضار، وقال صاحب كتاب الغرر المذكور في ذلك شعراً:

إذا خفت أمراً أو توقّعت شدة فنوِّه بهم كي يدركوك ويحضروا
فنوِّه بعلوي الفتى وابنه علي كذا عمر فيما يجل ويعسرُ
فغارتهم تنجيك من كل شدة وعُسرٍ وضيقٍ أو بصدرك يكبرُ(٢)

ويتضح شدة اعتقادهم في أوليائهم وصالحيهم حيث يرون سرعة إغاثة أوليائهم الأموات لمن دعاهم، بل ويعتقدون أنهم جاهزون لإجابة من دعاهم في أي وقت، ويدعون الناس لهذا الاعتقاد واللجؤ لأمواتهم عند الشدائد والضيق وأن من دعاهم حضروا عنده وأجابوه، أو خلصوه مما هو فيه، ولا شك أن ذلك من تسويل الشيطان وإضلاله لهؤلاء: «وهذا من جنس عبادة الأصنام، ولهذا تتمثل لهم الشياطين على صورة الميت أو الغائب؛ فإن

(١) شرح العينية ص(ب) من المقدمة.
(٢) الغرر (ص١٦٠)؛ وشرح العينية (ص١٧٤)؛ وانظر أيضاً: المشرع الروي (٢/ ٢١٢).

المشرك قد يدعو إلهاً من دون الله فتخاطبه الشياطين، وربما قضت له بعض الحاجات وهذا معروف في عبّاد الكواكب والأصنام وعبّاد الموتى من الصالحين وغير الصالحين، كما كانت تتمثل لعُبّاد الأصنام بل أصل عبادة الأصنام إنما كانت من القبور، كما قال ابن عباس وغيره وربما كلمته الشياطين وربما قضت له أحيانا بعض حوائجه كما تفعل شياطين الأصنام بعبادها، وهذا مما قد جرى لغير واحد فينبغي أن يعرف هذا ومن هؤلاء من يؤذي الميت بسؤاله إياه أعظم مما يؤذيه لو كان حيّاً وربما قضيت حاجته مع ذم يلحقه، كما كان الرجل يسأل النبي ﷺ فيعطيه ويقول: «إن أحدهم ليسألني المسألة فيخرج بها يتأبطها ناراً»[(١)]»[(٢)].

ولا يقتصر الأمر على أناس ينسبون إلى الولي أنه يغيث من يستغيث به، ولكن الولي يدّعي ذلك لنفسه ويفخر به، فهذا عمر المحضار يقول في قصيدة ما زالوا إلى اليوم ينشدونها في حضرة السقاف:

إني سريعُ الغوث في كل الشدائد فاهـ ... تـف بـاسـمـي تـجـدنـي أسـرعُ
قل يا شهاب الدين إن يعروك خطب يا ... فـطـن فـأنـا لـخـطـبـك أدفـع[(٣)]

وجاء في كتاب المشرع الروي عند ترجمة محمد بن عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم المتوفى سنة ٧٤٣هـ: «وله كرامات خارقة للعادات منها: أنه كان جالساً عند بعض أصحابه فقام مسرعاً وثوبه يتقاطر ماء فسأله عن قيامه فقال: انخرق مركب بعض أصحابي فاستغاث بي فحشوت الخرق بثوبي حتى أصلحوا ما انخرق فيه على ما كان عليه»[(٤)].

وجاء في مناقب محمد بن عبد الله بن محمد مولى الدويلة وتعداد

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤) برقم (١١٠١٧)، (٣/ ١٦) برقم (١١١٣٩). من حديث أبي هريرة مرفوعاً. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٩٤): «رجال أحمد رجال الصحيح». وقال شعيب الأرنؤوط في تخريجه وتحقيقه للإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٨/ ٢٠٢) برقم (٣٤١٤): «إسناده قوي».

(٢) انظر: الرد على البكري (١/ ١٤٥، ٤٥٣) تحقيق عجال.

(٣) ديوان الحضرة (ص٣٦).

(٤) المشرع الروي (١/ ١٨٦).

كراماته: «ومنها أن بنته سقطت من ظهر جمل على مكان كثير الحجارة وكان هو بالشحر فرآه بعض أصحابه كأنه أمسك شيئاً فسأله عن ذلك فقال: بنتي علوية طاحت[(١)] فأمسكتها بيدي فكان سقوطها في ذلك الوقت ولم يصبها شيء، قالت بنته: لما سقطت غبت عن حسي ورأيت والدي حملني ووضعني على الأرض»[(٢)].

وجاء في كتاب شرح العينية عند ترجمة عمر المحضار: «وكان سريع الغوث لمن استغاث به مجرباً في ذلك، يرى جهراً في البر والبحر، وكان يظهر الرطب في غير أوانه وتمتثل الجمادات والحيوانات لأمره وتنتهي لنهيه، وكان ينادي له في السماء بأنه: صاحب التصريف، والأمر وكان يبعد من يشاء ويقرب من يشاء»[(٣)].

هكذا نجد القوم قد غلوا في أوليائهم غلواً شديداً، ومن هؤلاء الأولياء عمر المحضار الذي أعطوه صفات الربّ تعالى، والتصرف المطلق في الكون، فيغيث المضطرين إذا دعوه، بل وتخضع لأمره ونهيه الحيوانات والجمادات، والأمر بيده يقرب من يشاء ويبعد من يشاء ـ تعالى الله عن إفكهم علواً كبيراً ـ. بل الأمر أمره سبحانه لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

ز ـ دعوى قدرة أوليائهم على إنزال المرض ورفعه:

إن من المعلوم عند كل مسلم أن النفع والضر بيد الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩]. وأن الصحة والمرض بيده جلّ وعلا، كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠]. وهذا دأب الأنبياء والرسل وأتباعهم من بعدهم، يلجأون إلى الله تعالى لكشف البلاء من مرض وغيره، قال تعالى

(١) بمعنى سقطت.
(٢) المشرع الروي (١/ ١٨٧).
(٣) شرح العينية (ص١٩٤).

عن نبيه أيوب عليه السلام: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤]. وهكذا المسلم يلجأ إلى ربه لرفع ما أصابه لعلمه أنه لا يكشف الضر إلا هو سبحانه، وقد ضلّت صوفية حضرموت في هذه المسألة كسابقاتها والسبب هو غلوهم في أوليائهم ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله فيها، وذلك لجهلهم بالله العظيم، وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال العظيمة، فادعوا لأوليائهم التصرف بإمراض من يشاءون وشفاء من يشاءون.

وكما مر في اعتقاد تصرفهم في الكون اعتقادهم أن الشفاء يقع من الموتى وإنه بمجرد الذهاب إلى قبورهم يحصل الشفاء لأنهم ـ في نظرهم ـ يتصرفون بعد موتهم كما يتصرفون في حياتهم.

جاء في كتاب الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي الحضرمي التريمي[1] وتعداد كراماته: «ومن ذلك أن بعض الصغار من أولاد بعض الولاة عرض له وجع في رجليه حتى يبستا، فصار مقعداً فعالجوه بكل شيء من الأدوية وغيرها فلم يفده ذلك شيئاً، وأيس من صحته من تلك العلة، وكانت والدة الصغير المذكور ممن يعتقد هذا الولي، فأرسلت إليه بولدها ليقرأ عليه وكان يكره كل من جاء من عند الملوك، فكانوا يأتونه بذلك الصغير ويرمون به عنده شاء أم أبى، وتكرر ذلك منهم مراراً، فأدركته رحمة وشفقة على الطفل، فأقبل عليه في بعض الساعات إقبالة الهيبة من الله تعالى بها على الولد فإذا هو قد زال ذلك الألم وصار على حالته الأولى من الصحة أو أجود، وصار يجري على رجليه كأن لم يكن بها قبل ذلك علة»[2].

---

(١) هو سعد بن علي مدحج، من تلاميذ عبد الرحمن بن محمد مولى الدويلة (السقاف). ومن تلاميذه أبي بكر بن عبد الله العيدروس العدني. ذكروا له مناقب كثيرة. توفي سنة ٨٥٧هـ.
انظر: ترجمته في كتاب (الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي الحضرمي) لعلي بن أبي بكر السكران؛ والتعليقات على شمس الظهيرة (١/ ٨٣، ٩٣).

(٢) كتاب الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي الحضرمي التريمي، لعلي بن أبي بكر السكران با علوي (ص١٢٤).

وهذا النص يبيّن تعلّق العوام بهؤلاء المتصوفة لما أشاعوه من أن مشايخهم وأولياءهم بيدهم شفاء المرض، فتضرعوا عند هؤلاء رغبة في شفاء أولادهم، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. فالله تعالى بيده كل شيء، أما المخلوق فلا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وسطر القوم مثل هذه المخالفات في كتبهم التي لم يدّعِها مشركو قريش لأصنامهم، ولكن هكذا الغلو والانحراف يفعل بأصحابه.

وذكر أبو بكر السكران قصة ذهاب سعد بن علي إلى الحج مع بعض أصحابه حيث لدغ أحدهم في الطريق فأيقن بالهلاك: «فأتى الولي إليه ومسح بيده المباركة عليه، فما هو إلا أن وضع يده على موضع الألم فعوفي من ساعته، وزال عنه شدة الألم، ثم ذكر ـ أعني الملدوغ ـ أنه قبل أن يمسح عليه يحس في باطني[1] حرارة عظيمة كادت تقتله شدة الحرارة، فلما أن مسح عليه حس برودة عظيمة عجيبة، وزالت عنه تلك الحرارة، وصار كأنه لم يكن به شيء قبل ذلك من الألم من حبسه رضي الله عنه»[2].

هكذا يزعم السكران لهذا الولي أنه يحصل على يده الشفاء بمجرد مسح جسد المريض، ولا حاجة للأسباب المشروعة من دعاء ورقية، واستعمال الدواء، مع أن أعظم الخلق بعد الأنبياء وهم الصحابة ـ وهم أولياء الله حقاً ـ كانوا يأخذون بالأسباب المشروعة في طلب الشفاء فينبغي اتباع سبيلهم فإن الله زكاهم من فوق سبع سماوات بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]. وخير القرون بشهادة النبي ﷺ لهم حيث قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...» الحديث[3]. وقد ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن

---

(١) كذا في الأصل، والصواب باطنه.

(٢) الدر المدهش البهي (ص١٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، (ص٥٠٢) برقم (٢٦٥٢)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، (ص١٠٢٤) برقم (٢٥٣٣).

ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يَقْرُوهم فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تَقْرُونا[١] ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعْلاً فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل؛ فبرأ فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه فضحك وقال: «وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي»[٢].

ولترسيخ هذا الاعتقاد في قلوب الناس دوّن القوم هذه القصص المتكاثرة في مؤلفاتهم من دعوى تصرف الولي في من خالفه بإنزال المرض به، وتهديد من لا يعتقد ذلك فيهم بإمراضه، فهذا عمر المحضار يروي عنه صاحب المشرع: «وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام، فقيل له: أما تخشى أن ينالك بهذا شيء؟ فقال: إني لم أدعُ على أحد، ولكني إذا غضبت على أحد وقع في باطني نارٌ لا تنطفئُ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض أو يتوب»[٣].

فقد نسب المحضار ـ بجرأة عظيمة ـ إلى نفسه امتلاك الضر، وإمراض من أغضبه بعد ثلاثة أيام فقط، وأكد ذلك أن حصول المرض لمن أغضبه ليس بسبب دعائه الله تعالى، والشكوى له، بل بشيء في نفسه تصرف هذا التصرف، والله المستعان.

ح ـ ادعاء التصرف في أمور الآخرة:

من المتقرر عند كل مسلم أن أمور الدنيا والآخرة بيد الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل: ١٣]. وليس لأحد من مخلوقاته فيها شيء، فهو سبحانه يتصرف فيها كيف يشاء ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣].

---

(١) أي لم تضيفونا، يقال: قرى الضيف قِرىً وقراء: أضافه. لسان العرب: ١٥/١٧٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب، (ص١١٢٤) برقم (٥٧٣٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار (ص٩٠٤ ـ ٩٠٥) برقم (٢٢٠١).

(٣) المشرع (٢/٢٤٢ ـ ٢٤٣).

يقول سالم بن محمد بن حميد الكندي[١] عند ذكر سعيد بن عيسى العمودي: «وروي أنه قال: زيارتي بعد وفاتي أفضل من زيارتي في حياتي وروي عنه أنه قال أيضاً: من أحبني أو أحب من أحبني أو زارني أو زار من زارني أو صافحني أو صافح من صافحني فأنا ضمينه بالجنة، وحكي أنه عمّر بالقطبية ثمانية عشر يوماً، وروي عنه أنه قال: من زارني ثلاث مرات يتعنّى ما له حاجة إلا زيارتي فأنا ضمينه بالجنة»[٢].

وجاء في كتاب: «مجموع من كلام الحبيب علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب: (يقول الشيخ أبو بكر بن سالم: من سار إلى السواحل وخرج منها سالم فأنا ضمينه بالجنة»[٣].

وجاء في كتاب (الأنموذج اللطيف في مناقب الغوث الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي دفين تربة تريم) لعلي بن أبي بكر السكران باعلوي: «وكان من خصائص الفقيه القطب المشهور محمد بن علي المذكور أنه شهد له جماعة من العارفين الكبار أهل النور والمعارف الأسرار، أنهم بعد موته ما صلوا على جنازة ميت إلا وهو يصلي عليه معهم، فلا شك أنه ممن صلى على نفسه بنفسه... ثم ذكر أبياتاً لبعضهم في مدح الفقيه المقدم منها:

حوى الحسن والحسنى حوى اليمن والند ... وأمن لنا ننجو به في المحاشرِ
مليك له التصريف في الكون كائن ... له وكرامات وكم من شعائرِ[٤]

وجاء في كتاب (مجموع مبارك يحتوي على المولد الشريف للديبعي ومعه

---

(١) هو سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي، ولد بقرية تريس سنة ١٢١٧هـ، وبرع في عدة علوم ثم اتصل بالسلطان غالب بن محسن الكثيري، وكان من مستشاريه. من آثاره: العدة المفيدة الجامعة لأخبار قديمة وحديثه ألفه للسلطان غالب الكثيري ـ مطبوع ـ. توفي سنة ١٣١٠هـ. انظر: رحلة الأشواق القوية (ص٢٣)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ٦٩)؛ والأعلام (٣/ ١١٦).

(٢) العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة (١/ ١٠٨).

(٣) مجموع من كلام الحبيب علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب (ص٢٤٢).

(٤) الأنموذج اللطيف (ص٢١٢ ـ ٢١٣).

قصائد في مدحه ﷺ): جاء في قصيدة لأبي بكر بن سالم العلوي ـ صاحب عينات ـ يقول فيها:

أنـا حـتـف لأهـل الـعـذلِ ونـار الـجـحـيـم أطـفـيـهـا

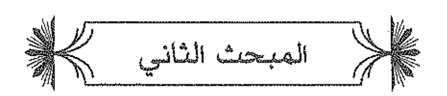
إلى أن قال:

وإذا أفـلـت شـمـوس الـكـل أنـا شـمـسـهـا ضـاحـيـهـا

أنـا عـرشـهـا والـكـرسـي وأنـا لـلـسـمـاء بـانـيـهـا[1]

---

(١) مجموع مبارك يحتوي على المولد الشريف للديبعي ومعه قصائد في مدحه ﷺ (ص٩٣).



المبحث الثاني

قولهم في توحيد الأسماء والصفات



تمهيد

توحيد الأسماء والصفات هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة عند أهل السنّة والجماعة ومعناه: إفراد الله تعالى بما سمّى به نفسه وبما وصف به نفسه، أو على لسان رسوله ﷺ نفياً وإثباتاً فيُثبَت له ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف[١] ولا تعطيل[٢] ومن غير تكييف[٣] ولا تمثيل[٤][٥].

وأسماء الله وصفاته لها ضوابط ينبغي مراعاتها، فضابط الأسماء

---

(١) التحريف لغة: التغيير، مأخوذ من قولهم: حرفت الشيء عن وجهه حرفا إذا أملته وغيرته. انظر (لسان العرب: ٩/ ٤٤)، تحت مادة: (حرف).
واصطلاحاً: هو: العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره، وهو نوعان تحريف لفظه وهو تبديله، وتحريف المعنى وهو صرف اللفظ عنه إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ. انظر: الصواعق المرسلة (١/ ٢١٥، ٣٥٨).

(٢) والتعطيل لغة: مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ أي أهملها أهلها وتركوا وردها. انظر: لسان العرب (١/ ٤٥٤).
واصطلاحاً هو: إنكار ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان كليا أو جزئيا وسواء كان بتحريف أو جحود. شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (١/ ٩١).

(٣) والتكييف هو: تفسير لكنه شيء من صفات ربنا تعالى كأن يقول: استوى على هيئة كذا، أو ينزل إلى السماء بصفة كذا: معارج القبول، للشيخ حافظ حكمي (١/ ٣٦٣).

(٤) و التمثيل هو: حكاية كيفية الصفة وأنها على هيئة كذا وكذا، أو السؤال عنها بكيف، فيقال فيها مثل صفات المخلوقين. انظر: شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (١/ ٢٠٢).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣) ط١ ١٤١٦هـ. ومدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية (١/ ٤٨ ـ ٤٩)، ط دار الكتاب العربي؛ ولوامع الأنوار البهية، للسفاريني (١/ ١٢٩)، ط٣، ١٤١١هـ، ط المكتب الإسلامي، والقول السديد لابن سعدي (ص١٠)، ط دار الوطن.

الحسنى: «هي التي يدعى الله بها، والتي جاءت في الكتاب والسنّة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها»[١].

وضابط الصفات كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما إن كان المضاف إليه لا يقوم بنفسه؛ بل لا يكون إلا صفة كالعلم والقدرة والكلام والرضا فهذا لا يكون إلا إضافة صفة إليه فتكون قائمة به سبحانه»[٢].

وكذلك يقال إنها «ما قام بالذات الإلهية مما يميزها عن غيرها، ووردت به نصوص الكتاب والسنّة»[٣].

فصفات الربّ تعالى صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وينبغي أن يعلم أن النفي لا يكون محضا؛ لأن النفي المحض لا يدل على الكمال إلا إذا أثبت كمال الضد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنفي كقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض والعدم المحض ليس بشيء وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً؛ ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال»[٤].

والعلم بأسماء الله تعالى وصفاته، وفهمها على مراد الله تعالى أهم العلوم وأشرفها لما له من الثمرات النافعة في الدنيا والآخرة، فهو الطريق إلى معرفة الله تعالى الذي يدعو إلى محبته تعالى وخشيته وخوفه ورجائه، وإخلاص العمل له، وتزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية لله تعالى، والعلم بأسماء الله تعالى من أعظم أسباب زيادة الإيمان[٥].

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٤)، ط مكتبة الرشد.
(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٥٢).
(٣) الصفات الإلهية: تعريفها، وأقسامها، للشيخ محمد بن خليفة التميمي (ص١٢).
(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥).
(٥) انظر ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات: التوحيد للإمام ابن خزيمة (٢/ ١٨)، تحقيق: د. علي =

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧].

ولأهل السنّة أسس يتبعونها في هذا التوحيد مما جعلهم على ثبات في هذا الباب كغيره من أبواب الاعتقاد، بخلاف أهل البدع الذين انحرفوا في هذا الباب العظيم وفي غيره من أبواب العقيدة لاعتمادهم على الآراء وتحكيم العقول الناقصة والأفكار المخالفة لسنة سيد المرسلين ﷺ.

وهذه الأسس[1] التي أخذ بها أهل السنّة في باب الأسماء والصفات هي:

١ ـ تنزيه الله تعالى عن مشابهة صفات الحوادث؛ لأنه تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٢ ـ الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ حقيقة لا مجازاً[2] على الوجه الذي يليق بكمال الله وجلاله، كما لا يجوز تمثيل صفاته بصفات خلقه، كذلك لا يجوز نفي الصفات التي وصف بها نفسه. فالآية الكريمة احتوت على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهذا ردّ على أهل التمثيل والتشبيه، وقوله تعالى: وهو ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ردّ على أهل النفي والتعطيل.

٣ ـ قطع الأطماع عن إدراك كيفية صفاته ﷻ إذ العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه لأن عقولهم: «لا تطيق كنه معرفته ﷻ ولا تقدر ألسنتهم على بلوغ صفته»[3].

= فقيهي، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٩٠ ـ ٩١)؛ والقول السديد، لابن سعدي (ص١٦١ ـ ١٦٣)؛ والأسماء والصفات في معتقد أهل السنّة والجماعة للأشقر (ص١٨ ـ ٣٩).

(١) انظر: منهاج السنّة النبوية (٢/ ١١٠ ـ ١١١)؛ وآداب البحث والمناظرة للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (ص١٢٧ ـ ١٢٩). مطبوعات الجامعة الإسلامية.

(٢) المجاز عند المتكلمين يعني الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له أولا لعلاقة بينهما مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقي. انظر: التعريفات (ص١٦٥)؛ ومذكرة أصول الفقه، للشنقيطي (ص٢١٠). الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ، الناشر: مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، توزيع: مكتبة العلم بجدة.

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٧٥).

العلاقة بين الصفات والذات:

العلاقة بين الصفات والذات هي علاقة تلازم، فالإيمان بالذات يستلزم الإيمان بالصفات، وكذلك العكس؛ فلا يتصور وجود ذات مجردة عن الصفات في الخارج، كما لا يتحقق وجود صفة من الصفات في الخارج إلا وهي قائمة بالذات[1].

وطريقة القرآن في هذا الباب هي الإثبات المفصّل والنفي المجمل على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وما ورد خلاف ذلك كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فهو خلاف الأصل، وسيأتي بيان سبب هذا النفي المفصل.

الفرق بين الأسماء والصفات[2]:

١ ـ الأسماء تدل على الذات، والصفات تدل على معنى قائم بالذات.

٢ ـ الأسماء متضمنة الصفات، والأسماء جميعها مشتقة من صفاته.

٣ ـ باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وباب الأسماء أخص من باب الصفات، فما صح اسماً صح صفة وصح خبراً وليس العكس.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٣ ـ ٤] ونحوها من الآيات. فالجواب في ثلاثة أوجه:

١ ـ أن هذه الآيات جاءت في مقابل حوادث خاصة تحتاج للتنصيص على موضوعها ليكون ردها أقوى وأوضح. فآية الكرسي رد على اليهود والنصارى القائلين أن الله أخذته سِنَة ونوم، وآيات الإخلاص جاءت للرد على المشركين الذين طلبوا من النبي ﷺ أن يوصف لهم ربه ونسبوا له البنات سبحانه، وقالوا: إن الملائكة بنات الله.

٢ ـ إن ذلك على خلاف الغالب وجاء لإثبات ما يضاده من الكمال،

---

(١) انظر: الصفات الإلهية: للشيخ محمد أمان الجامي (ص٣٤١)، ط دار الفنون.

(٢) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان (١/ ٦٤). مكتبة الدار، والصفات الإلهية: تعريفها، أقسامها (ص٤٠).

ففي آية الكرسي إثبات كمال الحياة، وفي آيات الإخلاص إثبات قيوميته وكمال قدرته ووحدانيته.

٣ ـ وهو أضعفها أن ذلك من قبيل تنوع طرق الكمال، فكما يأتي إثباته عن طريق الإثبات المفصل والنفي المجمل كذلك يأتي بإثبات مجمل كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢][١].

المطلب الأول

توحيد الأسماء والصفات عند صوفية حضرموت

اضطربت صوفية حضرموت في هذا الباب وذلك بإعطاء مشايخها وأوليائها صفات الربّ تعالى من الإحياء والإماتة وعلم الغيب، بل بلغ الضلال أن قال غلاتهم بعقيدة وحدة الوجود، وأنه ليس ثَمَّ خالق ومخلوق، بل الوجود واحد ـ تعالى الله وتقدس عن قولهم علواً كبيراً، ولما كان القوم جماعين للبدع والضلالات فقد اعتمدوا المذهب الأشعري في باب الأسماء والصفات الذي نحن بصدد الكلام عنه، وقد صرح بذلك غير واحد من علمائهم ومشايخهم ومؤرخيهم، وأخذوا تأويلات متأخري الجهمية كبشر المريسي[٢] وأضرابه، فلم يثبتوا لله تعالى إلا سبع صفات وباقي الصفات يؤولونها أو يفوضونها، وهذا قول على الله تعالى بلا علم، وقد حرّم الله تعالى ذلك فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣].

وسبب خطأ القوم في هذا الباب ومجانبة الصواب هو جهلهم بعقيدة

---

(١) المقدمات في أصول الدين، للبريكان (ص٧٣ ـ ٧٤).

(٢) هو بشر بن أبي كريمة مولاهم، البغدادي، المريسي، كان من الفقهاء، ثم اشتغل بالكلام فحكي عنه أقوال شنيعة ومذاهب مستنكرة، تكلم فيه أهل العلم لذلك، وقد كفره الأئمة لمقالاته الكفرية، وقد بسط الرد عليه الإمام الدارمي في كتابه القيم (نقض الإمام عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد)، توفي سنة ٢١٨هـ. انظر في ترجمته: تاريخ بغداد (٧/ ٥٦)؛ والسير (١٠/ ١٩٩).

السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ مع بعدهم عن الحديث والأثر الذي من عرفه وطبقه وفقه الله تعالى وثبّته، يقول الإمام أبو نصر السجزي[1] مبيناً حال متكلمي الأشاعرة الذين هم قدوة صوفية حضرموت في هذا الباب: «وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل، وهم لا يخبرون أصول السنّة، ولا ما كان السلف عليه، ولا يحتجون بالأخبار الواردة في ذلك زعماً منهم أنها أخبار آحاد لا توجب علماً»[2].

وأورد هنا نصوصاً لصوفية حضرموت تبيّن اعتماد القوم لمذهب الأشاعرة المتكلمين في باب الأسماء والصفات، يقول عبد الله الحداد: «وعليك بتحصين معتقدك وإصلاحه وتقويمه على منهاج الفرقة الناجية... وتحقيق أن الحق مع الفرقة الموسومة بالأشعرية نسبة إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله الذي رتب قواعد عقيدة أهل الحق وحرز أدلتها، وهي العقيدة التي أجمعت عليها الصحابة ومن بعدهم من خيار التابعين، وهي عقيدة أهل الحق من أهل كل زمان ومكان، وهي عقيدة جميع أهل التصوف، كما حكى ذلك أبو القاسم القشيري رحمه الله في أول رسالته، وهي بحمد الله عقيدتنا وعقيدة إخواننا من السادة الحسينيين المعروفين بآل أبي علوي، وعقيدة أسلافنا من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا»[3].

وقوله: أن الحق مع فرقة الأشعرية وأنها الناجية كلام غير صحيح؛ فالأشاعرة نفوا أكثر صفات الكمال والجلال عن الله تعالى، فهل من نفى أكثر الصفات وعطّلها عن معانيها يكون صاحب حق؟!.

---

(١) هو عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي، أبو نصر السجزي، إمام كبير صاحب سنّة، من مؤلفاته: الإبانة الكبرى في مسألة القرآن، والرد على من أنكر الحرف والصوت. توفي سنة ٤٤٤هـ. انظر: السير (١٧/ ٦٥٤)؛ وشذرات الذهب (٣/ ٢٧١)، ط٢، ١٣٩٩هـ، دار المسيرة.

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، للإمام أبي نصر عبيد الله بن نصر السجزي (ص٨١). تحقيق د. محمد باكريم با عبد الله.

(٣) كتاب رسالة المعاونة والمظاهرة (ص٤١ ـ ٤٢، ضمن مجموع رسائل الحداد). وعقود الألماس (١/ ٦٥).

وأما قوله: أن العقيدة الأشعرية أجمع عليها الصحابة فكلام غير صحيح كذلك؛ لأن الأشعرية ظهرت في القرن الرابع نسبة لأبي الحسن الأشعري في دوره الكلابي[١] ثم تدرجت في المخالفة حتى صار متأخروها أكثر بعداً عن الحق، فكيف تكون هذه العقيدة المحدثة التي ظهرت في القرن الرابع الهجري هي عقيدة الصحابة رضي الله عنهم؟!.

وأما قوله: إنها عقيدة جميع أهل التصوف، فيقال: نعم؛ لأن البدع تلتقي مع بعضها البعض فهي سبل متعددة تجمعها المخالفة للحق، والتصوف منهج خليط من أفكار واعتقادات كثيرة، بينما الحق واحد، وسبيله واضح لمن أراد الله تعالى هدايته وهو سبيل السلف الصالح الذين مقدَّمهم وإمامهم رسول الله ﷺ.

ويؤكّد عبد الله الحداد قوله هذا بأبيات له يدعو فيها الناس إلى العقيدة الأشعرية يقول في إحدى قصائده:

وكن أشعرياً في اعتقادك إنه هو	المنهل الصافي عن الزيغ والكفرِ
وقد حرر القطب الإمام ملاذنا	عقيدته فهي الشفاء من الضرِ

(١) المذهب الكلابي: مذهب كلامي ينسب إلى عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري، رأس المتكلمين بالبصرة المتوفى سنة ٢٤١هـ. انظر ترجمته في: السير (١١/ ١٧٤ ـ ١٧٦)؛ والوافي بالوفيات (١٧/ ١٧٩ ـ ١٩٨)؛ وطبقات الشافعية، لابن السبكي (٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠). والكلابية ظهرت في نهاية القرن الثاني، وبداية القرن الثالث علي يد ابن كلاب. ولم يستمر المذهب الكلابي طويلاً بل اضمحل فيما بعد في المذهب الأشعري. ومن مقالات الكلابية المخالفة لمذهب السلف: أن كلام الله مجرد معنى قائم بالنفس كالعلم والقدرة، وليس له حروف ولا أصوات وأنه معنى واحد قديم أزلي لا يتصف بالأمر والنهي والخبر، وإنما يتصف بذلك عند وجود المخاطبين... إلخ، ونفي صفات الأفعال فالكل عند الكلابي صفات ذات لا يتعلق شيء منها بالمشيئة، ومفهوم الإيمان عند ابن كلاب هو المعرفة بالقلب، والإقرار باللسان، وليس العمل عنده من جملة الإيمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص١٦٩، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ٣٩٨ ـ ٣٩٩، ٥١٧، ٦٠٤،)؛ وأصول الدين للبغدادي (ص٢٤٩) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، دار المدينة ـ بيروت، ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٨)؛ واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٥٧)، تحقيق: فواز زمرلي، ط ١٤٠٨هـ، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

وأعني به من لن ينعت غيره بحجة إسلام[١] فيا لك من فخرِ[٢]

ومن ذلك ما جاء في كتاب أدوار التاريخ الحضرمي تحت عنوان (المذهب والعقيدة والعدد): «وعقيدتهم سُنِّية أشعرية وقد يخالفون الأشعري في نقاط معروفة، كالقول بإيمان المقلد الذي لا يقول به[٣]»[٤].

ويقول أبو بكر المشهور تحت عنوان «تأسيس المدرسة الصوفية العلوية بحضرموت: «كان القرن السادس الهجري يزخر بالعديد من التيارات الفكرية ما بين حق وباطل... وساد في حضرموت منهج الأشاعرة في الاعتقاد وضعف أثر الخوارج[٥] ودعوتهم الإباضية»[٦].

وقد نظم محمد بن عبد الله بن أحمد باسودان[٧] (ت ١٢٨١هـ)، قصيدة في بيان معتقد صوفية حضرموت في الصفات فقال:

---

(١) ويعني به أبا حامد الغزالي مؤلف إحياء علوم الدين.

(٢) الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم من أنفاس عبد الله بن علوي الحداد (ص٦٦ ـ ٦٧)، مخطوط.

(٣) والأشاعرة اختلفوا في إيمان المقلد وكثير منهم على أن من صحة شروط صحة الإيمان أن يعرف كل مسألة بدليل قطعي عقلي. انظر: شرح الشيرازي (ل١٣، ١٤)؛ قرة العين في جمع البين (ل٤٠)؛ رسالة الخليلي (ل٣٦)؛ نظم الفرائد، لشيخ زادة (ص٤٠ ـ ٤١)؛ والروضة البهية، لأبي عذبة (ص٢١، ٢٥)، نقلاً عن: الماتريدية: دراسة وتقويماً، لأحمد بن عوض الحربي (ص٥٠١).

(٤) أدوار التاريخ الحضرمي، لمحمد بن أحمد الشاطري (١/ ٢٣). وانظر: العقد النبوي، لشيخ بن عبد الله العيدروس (١/ ٢٥٩)؛ وسيرة السلف من بني علوي الحسينيين: محاضرة ألقاها محمد بن أحمد الشاطري (ص٣٢ ـ ٣٣) ط دار الحاوي.

(٥) الخوارج: فرقة خرجت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عام ٣٧هـ، وصاروا يحكمون بكفر مرتكب الكبيرة، وقد قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحابه رضي الله عنهم، وورد في ذمهم والترغيب في قتالهم أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ، وقد افترقوا على نحو عشرين فرقة. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٧)؛ والملل والنحل (١/ ١٣٩) تحقيق: كيلاني، دار المعرفة ١٣٨٧هـ، والفرق بين الفرق (ص٢٠٢) ط دار المعرفة.

(٦) الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم، لأبي بكر العدني ابن علي المشهور (ص٢٠)، دار الفقيه للنشر والتوزيع.

(٧) هو محمد بن عبد الله باسودان: ولد سنة ١٢٠٦هـ، بمدينة الخريبة من دوعن بحضرموت، وتلقى علومه على والده وغيره، وتوفي بقريته سنة ١٢٨١هـ. من مؤلفاته: فتح المجيد شرح منظومة في التوحيد، وتحقيق المقصود بطلب تعريف العقود، والدرة الوقادة بشرح الإفادة. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ١٩٦)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٢٨٧).

وبعد شرعاً أولاً فليلزم — كل مكلَّف به لا يعلم
يعرف ما صح لمولانا الجليل — من واجب وجائز ومستحيل
فواجب له الكمال المطلق — والنقص عنه منتف لا يلحق
وواجب لله عشرين صفة — وهي وجود ذاته المشرفة
باق قديم قائم بنفسه — مخالف لخلقه في قدسه
وواحد في الذات والصفات — متصف بالعلم والحياة
وبالكلام وبسمع وبصر — إرادة وقدرة بها قدر
حي مريد قادر عليم — كلامه كذاته قديم
سميع مبصر ويستحيل — الضد والحدوث والتحويل
والممكن فجائز في حقه — ولا عليه واجب لخلقه[1]

ويتضح من هذه الأبيات إن القوم لا يثبتون إلا سبع صفات فقط لله تعالى على طريقة الأشاعرة ويسمونها صفات المعاني وهي: العلم والحياة والسمع والبصر والإرادة والقدرة والكلام.

يقول عبد الله بلفقيه عن هذه الصفات: «ومنها: الحياة وهي صفة تقتضي صحة العلم لموصوفها، ومنها: كونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً وحياً حياة أزلية أبدية إذ ما ثبت قدمه استحال عدمه»[2].

وهكذا نجد القوم في أغلب مصنفاتهم إذا ذكروا عقيدتهم بينوا أنها العقيدة الأشعرية التي حررها لهم أبو حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) الذي يعد أعظم وأهم مرجع لهم في هذا الباب كما أشار إلى ذلك عبد الله الحداد فيما سبق.

وقد تناقضت صوفية حضرموت بإثباتهم بعض الصفات ونفي البعض

---

(١) العقيدة نظم محمد بن عبد الله بن أحمد باسودان (ص٢ ـ ٤) مخطوط.
(٢) المقصد النفيس (ق٥) مخطوط.

الآخر، مع أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر[١]، فَلِمَ التفريق بينها؟ وما هو الضابط في ذلك؟ فإن قالوا: إن ما أثبتوه من الصفات دلّ عليها العقل، فيقال لهم: إن العقل كذلك يدل على باقي الصفات، بنظير ما دللتم عليه من العقليات.، وإن زعموا أن بعضها يستلزم تشبيهاً كان الكل كذلك.

قال الإمام أبو عثمان الصابوني[٢] مبيناً اعتقاد السلف الصالح في باب الأسماء والصفات: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح»[٣].

وقال الإمام ابن جرير: «فإن قال لنا قائل: فما الصواب من القول في معاني هذه الصفات... قيل الصواب القول عندنا: أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه»[٤].

وينبغي أن ننبه هنا أن صوفية حضرموت مثل بقية الصوفية قامت بتلفيق مذهبها؛ لأن الأشاعرة لهم جانبان، فهم في الجانب العلمي تبعوا المتكلمين لأنهم لا يجدون الجانب العملي عندهم، بينما في الجانب العملي تمسكوا بمذهب الصوفية العملي بما فيه من الأحوال والطقوس، فينبغي عند الحديث

(١) انظر: التدمرية، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣١)، ت: محمد بن عودة السعوي.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن، أبو عثمان الصابوني، مقدم الحديث في خراسان، شيخ الإسلام، ولد سنة ٣٧٣هـ، بنيسابور، وكان فصيح اللهجة، واسع العلم عارفا بالحديث والتفسير، له عدة مؤلفات منها: عقيدة السلف، والفصول في الأصول. توفي سنة ٤٤٩هـ. انظر: طبقات الشافعية، لابن السبكي (٣/ ١١٧)، ت: الطناجي، والحلو، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت؛ والأعلام (١/ ٣١٧).

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (ت٤٤٩هـ) (ص٢٨)، ت: بدر بن عبد الله البدر.

(٤) التبصير في معالم الدين، للإمام ابن جرير الطبري: (ص١٤٠)، ت: علي بن عبد العزيز الشبل.

عن صوفية حضرموت التنبه لذلك حتى لا يقع الخلط لمن يقرأ ويلاحظ أن صوفية حضرموت أشعرية.

قول صوفية حضرموت بالتأويل والتفويض:

قبل البدء في بيان وقوع صوفية حضرموت في التأويل والتفويض البدعيين نبين معنى التأويل والتفويض في اللغة والاصطلاح.

التأويل لغة: مصدر من باب التفعيل، وأصله أوْل من آل يؤول، ومادته اللغوية تدور على معان هي: الإصلاح، والعودة والرجوع، والخثور (خثور اللبن)، والعاقبة، والتفسير[(١)].

واصطلاحاً: يستعمل التأويل بحسب الاصطلاحات في ثلاثة معان[(٢)] منها معنيان مرجعهما اللغة والقرآن، وأما المعنى الثالث فهو اصطلاح المتأخرين، وبيان هذه المعاني فيما يلي:

١ ـ التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن، كما يقول ابن جرير في التفسير (واختلف علماء التأويل).

٢ ـ ويأتي التأويل بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «أما لفظ التأويل في التنزيل فمعناه: الحقيقة التي يؤول إليها الخطاب، وهي نفس الحقائق التي أخبر الله عنها، فتأويل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر هو نفس ما يكون في اليوم الآخر، وتأويل ما أخبر الله به عن نفسه هو نفسه المقدسة الموصوفة بصفاته العلية»[(٣)].

---

(١) انظر: الكامل: لابن المبرد (٣/ ١٠٩) ط الرسالة؛ وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ٤٣٧)، الدار المصرية، ت: إبراهيم الأبياري؛ ومعاني القرآن، للفراء: (١/ ٣٨٠)، ط مصر، ت: النجار؛ والصحاح، للجوهري (٤/ ١٦٢٧) ط دار العلم للملايين، ت: أحمد عطار.

(٢) انظر: كتاب التعريفات الاعتقادية، لسعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف (ص٩١).

(٣) درء التعارض (٥/ ٣٨٢).

٣ ـ اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه وأصوله وهو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهذا الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات[١].

ومع ذلك فإن تأويل المتأخرين منه ما يكون صحيحاً، وذلك بحمل الظاهر على المحتمل المرجوح بدليل يصيره راجحاً»[٢]. أي أن التأويل في الجملة إذا وافق نصوص الشرع وطابقها فإنه يكون صحيحاً[٣].

وأما التفويض لغة: فهو من فوّض الأمر أي ردَّه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [غافر: ٤٤]؛ أي: أرده وأصيره، ويقال: بات الناس فوضى؛ أي: مختلطين متساويين كل فوض أمره إلى الآخر[٤].

واصطلاحاً: هو: الإيمان بألفاظ الكتاب والسنّة من غير فقه لها، ولا فهم ما أراده الله تعالى ورسوله ﷺ منها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: ٧٨]. وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع من المجازات وغرائب اللغات... فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى، وهي التي يسمونها

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٥١)، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: د. عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط.

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ١٨٧).

(٣) انظر: شرح الكوكب المنير، لابن النجار (٣/ ٤٦١) ط جامعة أم القرى.

(٤) لسان العرب (٧/ ٢١٠)؛ والصحاح ٣/ ١٠٩٩.

طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف وهي التي يسمونها طريقة الخلف»[١].

وقول صوفية حضرموت بالتأويل والتفويض في الصفات قول باطل كما سيأتي، وهو بدعة أضافوهم إلى بدعهم السابقة المخالفة لمنهج السلف الصالح.

الشواهد الدالة على قول صوفية حضرموت بالتأويل والتفويض في الصفات:

لما كان القوم على مذهب الأشاعرة في باب الأسماء والصفات، فإن نصوصهم في ذلك لا تخرج عن التأويل أو التفويض البدعيين، كما سيتبين من نصوص القوم.

يقول عبد الله بن علوي الحداد:

وكن في أحاديث الصفات وآيها على مذهب الأسلاف حيث السلامة[٢]

وفي هذا النص دعوة الحداد إلى السلامة في أحاديث الصفات وهو التفويض وعدم التعرض لها كما هو مذهب صوفية حضرموت في هذا الباب.

وقد بيّن علوي بن طاهر الحداد موقف صوفية حضرموت من آيات الصفات فقال: «وهي التي مال إليها الباقلاني[٣] وإمام الحرمين[٤] وغيرهما من أئمة أصحابه المتقدمين في أواخر أقوالهم... وكان الابتداء بحفظ العقيدة للغزالي

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٩).

(٢) ديوان الدر المنظوم، للحداد (ص٢٩).

(٣) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المشهور بالباقلاني، البصري، المالكي، أشعري المذهب، ولد في البصرة وأقام ببغداد حتى توفي سنة ٤٠٣هـ. انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩ ـ ٣٨٣)؛ وتبيين كذب المفتري، لابن عساكر (٢١٧ ـ ٢٢٦).

(٤) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، إمام الحرمين، ولد سنة (٤١٩هـ)، في جوين، من أعمال نيسابور، وهو من فقهاء الشافعية، ومن أئمة الأشاعرة، ومن الذين أدخلوا بعض عقائد المعتزلة في مذهب الأشاعرة، له مؤلفات منها: الشامل والإرشاد والعقيدة النظامية، توفي سنة (٤٧٨هـ). انظر: السير (١٨/ ٤٦٨)؛ والعبر (٢/ ٣٣٩)؛ وشذرات الذهب (٣/ ٣٨٥)؛ والأعلام (٤/ ١٦٠).

معروفاً عندهم، كما هو مشروح في مناقبهم وأما الإحياء فقد كان من يحفظه عن ظهر قلب كالعلامة السيد الشريف محمد بن علوي بن علي بن أحمد ومنهم من كرر مطالعته وقرىء عليه حتى كاد يحفظه كالقطب العيدروس. . . . »[١].

وجاء في كتاب (عقود الألماس): «وسلفنا ينهون عن الكلام ويأخذون في آيات الصفات وأحاديثها وفي المتشابهات بالتفويض والتسليم والإيمان وعدم التكييف والتشبيه مع غاية التنزيه والتقديس وتعظيم جانب الألوهية، وقد قال الحبيب عبد الله الحداد في مجموع كلامه ما معناه: إنما أخذنا بمذهب الأشعري لأنه يقول: آمنت بالله وبآيات الله وبرسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد ومراد[٢] رسول الله أو كما قال فقد طال عهدي به»[٣].

ويرد عليهم بأن تفويض المعاني ليس من منهج أهل السنّة وإنما يفوض أهل السنّة علم كيفية الصفات مع اعتقاد أن لله تعالى كيفية لا يعلمها إلا هو.

وصوفية حضرموت يعنون بالتفويض تفويض المعنى المراد الموهم للتشبيه ـ بزعمهم ـ وهذا التفويض يكون بعد التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، كما قال القائل:

وكل نص أوهم التشبيها أوِّله أو فوِّض ورم تنزيها[٤]

وجاء في كتاب (الدرة اليتيمة): «وأما الصفات التي توهم تشبيه الله بخلقه كالمكر والاستدراج، والضحك، وغير ذلك وهي لا تليق بالخالق فإن المراد فيها على غير حقيقته، بل الواجب فيها إثبات ما جاء عنه تعالى ونفي التشبيه ثم التفويض أو التأويل»[٥].

وهذا من أصرح النصوص التي تبين وقوع صوفية حضرموت في بدعة التأويل والتفويض، على مذهب الأشاعرة.

---

(١) عقود الألماس (١/٥٦).
(٢) كذا في الأصل، والصواب: على مراد الله ومراد رسول الله.
(٣) عقود الألماس (١/٦٩).
(٤) تحفة المريد، للباجوري (ص٩١).
(٥) الدرة اليتيمة شرح السبحة الثمينة نظم السفينة (ص٣٥).

وجاء في كتاب نيل المرام في شرح عقيدة الإسلام للحداد: «قوله: (لا تعتريه الحادثات): لا تعتريه أي لا تطرأ عليه. والحادثات مثل: الأمراض والاحتياج والمجيء والنزول والجوع والعطش فالله تعالى منزه عن هذه النقائص كلها، وكل نص من كتاب أو سُنَّة يوهم ظاهره مشابهة الله تعالى الحوادث فمذهب السلف وبعض الخلف التفويض وهو: صرف اللفظ المتبادر للذهن مع عدم التعرض لبيان المعنى، بل يفوض أمر علمه إلى الله تعالى بأن يقال: (الله أعلم بمراده) ومذهب الخلف وبعض السلف في ذلك التأويل وهو: حمل النصوص المتشابهة على خلاف ظاهرها المتبادر مع بيان المعنى المراد فقد أولوا اليد في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، بالقوة، وأولوا الساق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]؛ بالشدة؛ أي: يكشف عن شدة، وأولوا المجيء في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]؛ أي: وجاء أمر ربك»[١].

والتفويض عند السلف ـ كما هو معلوم ـ يكون في الكيفية لا في المعنى فقد أمرنا الله تعالى بتدبر القرآن فقال تعالى: «﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

ويستدل بعدم الكيفية بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

على قراءة الوقف على لفظ الجلالة «الله».

ووقع متصوفة حضرموت في التأويل تبعاً للمنهج الذي انتهجوه، وهو مذهب الأشاعرة، حيث أولوا بعض الصفات بحجة أن العقل لم يدل عليها ومن تلك الصفات التي أولها القوم كما تقدم: المجيء والنزول وقد جاءت الأدلة الشرعية بإثبات هاتين الصفتين لله تعالى كما يليق به سبحانه، فمنها قوله

---

(١) نيل المرام شرح عقيدة الإسلام للحداد، لباخريصة (ص٢٥).

تعالى مبيناً مجيئه جلّ في علاه يوم القيامة للفصل بين العباد: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

وثبت في الصحيحين في حديث الرؤية: «قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم» الحديث[(١)].

وأما صفة النزول الإلهي فهي صفة فعلية لله تعالى ثبتت بالسُّنَّة الصحيحة المتواترة. فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني، فأغفر له»[(٢)].

يقول الإمام أبو سعيد الدارمي[(٣)] بعد أن ذكر أحاديث رسول الله ﷺ في إثبات نزول الربّ جلّ وعلا: «فهذه الأحاديث قد جاءت كلها أو أكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها»[(٤)].

وأوَّل القوم صفة الرحمة لله تعالى، يقول أحمد بن زين الحبشي: «وأما الرحيم: فوزنه فعيل وهي صفة مبالغة لكن سمى الله به نبيه في كتابه، واختلفوا في اتحاد دلالتهما واختلافهما عل أقوال متنوعة [(٥)] على العطف والإحسان

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، (ص١٤١٨) برقم (٧٤٣٩) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (ص٩٩) برقم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، (ص٢٢٦) برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، (ص٢٩٨) برقم (٧٥٨).

(٣) هو الإمام الحافظ أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي السجستاني، إمام في الفقه والحديث، له تصانيف منها: الرد على الجهمية، والرد على بشر المريسي، توفي سنة ٢٨٠هـ، انظر ترجمته في: السير (٣١٩/٣١).

(٤) كتاب الرد على الجهمية، للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ص٤٦).

(٥) كلمة غير واضحة.

وإرادة الخير والفضل، أو هي نفس الفضل والإحسان لاستحالة صفة الرقة عليه»[١].

وجاء في كتاب (المختصر في تفسير قصار السور) عند تفسير سورة الفاتحة: «الرحمٰن الرحيم: أي ذي الرحمة وهي إرادة الخير لأهله»[٢].

وأوّلوا هذه الصفة بإرادة الخير والفضل والإحسان؛ لأن صفة الإرادة من الصفات السبع التي يثبتونها، والذي جرّهم لمغبة التأويل المبتدع هو التشبيه أولاً من ثم التعطيل، فلم يعرفوا من الرحمة إلا صفة المخلوق، وهي الرقة، ولو أنهم عظموا الله تعالى حق تعظيمه وقدروه حق قدره لما وقعوا في هذه المحاذير من التأويل وغير ذلك، ويقال لهم أيضاً: تأويلكم الرحمة بأنها إرادة الإحسان ونحو ذلك، يقال إن الإرادة ميل، وهذه صفة المخلوق فما أجابوا عليه فهو جوابنا عليهم.

وصفة الرحمة ثابتة لله تعالى بنصوص الكتاب والسنّة. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨].

وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق؛ كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي»[٣].

وأوّلت صوفية حضرموت صفة الغضب فقالوا: «وغضب الله: هو إرادة الانتقام من المغضوب عليهم إن كان صفة ذات، أو هو نفس الانتقام إن كان صفة فعل وقال بعضهم: غضب الله إنكاره على من عصاه»[٤].

---

(١) كتاب تبصرة الولي بطريقة السادة بني علوي (ق٦).

(٢) المختصر في تفسير قصار السور (ص٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، (ص١٤١٠) برقم (٧٤٠٤)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (ص١١٠١) برقم (٢٧٥١).

(٤) كتاب تبصرة الولي بطريقة السادة بني علوي، لأحمد بن زين الحبشي (ص١٢)؛ والمختصر في تفسير قصار السور، لعبد الله سالم باخريصة (ص٦).

ووقوعهم في التأويل وهو في الحقيقة تعطيل سببه فرارهم من التشبيه المزعوم، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ولما فهمت هذه الطائفة من الصفات الإلهية ما تفهمه من صفات المخلوقين فرت إلى إنكار حقائقها، وابتغاء تحريفها وسمته تأويلاً فشبهت أولاً وعطلت ثانياً، وأساءت الظن بربها وبكتابه وبنبيه وبأتباعه»[١].

وكان الواجب اقتفاء منهج السلف في هذه المسائل، وهو قولهم: «أمروها كما جاءت»[٢]: أي تثبت الصفة لله تعالى على الوجه الذي يليق به سبحانه مع عدم تشبيهها بصفات المخلوق، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه: ٨١]. وهكذا أولوا جميع الصفات الفعلية[٣] الاختيارية لله تعالى بما يناسبها من صفات المعاني لأن عليها العقل ـ بزعمهم ـ دل عليها.

المطلب الثاني

قول صوفية حضرموت في صفة العلو

تمهيد:

يثبت أهل السنّة والجماعة صفة العلو لله تعالى، وهي من الصفات الذاتية، وإثباتها معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنّة وإجماع سلف الأمة.

وأدلة الكتاب كثيرة جداً، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى: ١] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٦٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٥١٨)؛ ومختصر الصواعق (ص٣٥٢).

(٣) الصفات الفعلية الاختيارية: هي التي تتعلق بمشيئة الله تعالى، أو التي تنفك عن الذات: كالاستواء، والنزول، والضحك، والإتيان، والمجيء والغضب والفرح. انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٦٨، ٥/ ٦، ١٠).

والأدلة من السنّة كثيرة جداً منها: قوله ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً»[١].

ومنها حديث الجارية المشهور في صحيح مسلم، حيث قال لها رسول الله ﷺ: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله ﷺ. قال: «اعتقها؛ فإنها مؤمنة»[٢].

وقوله ﷺ لسعد بن معاذ حين حكم في بني قريظة[٣]: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سمٰوات»[٤].

وللصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم آثار كثيرة في علو الله وفوقيته[٥].

وقد بيّن أهل العلم مذهب السلف في هذه المسألة وأن: «سلف الأمة وأئمتها، أئمة أهل العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة فإنهم أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنّة، من غير تحريف للكلم عن مواضعه، أثبتوا أن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه وهم بائنون منه، وهو أيضاً مع العباد عموماً بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، وهو أيضاً

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب ﷺ، (ص٨٢٢) برقم (٤٣٥١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، (ص٢١٦) برقم (٥٣٧).

(٣) بنو قريظة إحدى قبائل اليهود التي كانت تسكن المدينة قبل إجلائهم عنها.

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، تفسير سورة السجدة (١٠/٢١٣) برقم (١١٣٢٨)، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢١هـ؛ والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٢١) برقم (٨٨٥) ت: عبد الله بن محمد الحاشدي، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلو (ص٨٧). والحديث أصله في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري مختصراً.

(٥) انظر آثار السلف رحمهم الله في ذلك: كتاب «إثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي، والجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» (٩٨ وما بعدها) ت: بدر البدر، ط١، ١٤٠٦هـ، الدار السلفية، الكويت؛ والعلو للحافظ الذهبي (١٠١ وما بعدها) ت: عبد الرحمن محمد عثمان، ط ١٣٨٨هـ، دار الفكر، بيروت، وكتاب «إثبات علو الله على خلقه والرد على المخالفين» لأسامة القصاص.

قريب مجيب ففي آية النجوى[١] دلالة على أنه عالم بهم»[٢].

النصوص الدالة على نفي صوفية حضرموت لصفة العلو:

أنكرت صوفية حضرموت صفة العلو الثابتة لله تعالى في الكتاب والسنّة تبعاً للمتكلمين، وجمعوا الشبه والاستدلالات السقيمة لتأييد باطلهم كعادتهم، مع أن صفة العلو فُطر الخلق على إثباتها إلا من انحرفت فطرته. فأنكرت صوفية حضرموت هذه الصفة مع أن أدلتها كما قال بعض أكابر أصحاب الشافعي رحمه الله تزيد على ألف دليل[٣].

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته أكثر من عشرين نوعاً من الأدلة على علو الله تعالى على خلقه، وكل نوع تحته عدد من الأدلة[٤]، وذكر في الصواعق المرسلة ثلاثين دليلاً من أدلة العقل والفطرة[٥].

وقد نفت صوفية حضرموت صفة العلو وكثرت نصوصهم في ذلك، ومن تلك النصوص ما جاء في كتاب الحديقة الأنيقة تحت عنوان «فصل الإيمان بالله» قوله: «والمراد منه تنزيهه عن المكان ـ أنه غير مستقر بموضع في علو أو سُفْل؛ لأن التمكن بالمكان من خواص الأجسام، وهو تعالى منزه عن الجسمية ولوازمها»[٦].

ويؤكد القوم نفيهم للعلو في مؤلفاتهم بحجة تنزيه الله تعالى عن المكان، يقول علوي اليمني[٧] في أجوبته المقررة لمنهج صوفية حضرموت في باب العقيدة: «س١٧ : هل يحتاج الله إلى مكان؟

---

(١) آية النجوى هي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [سورة المجادلة: الآية ٧].

(٢) مجموع الفتاوى (٥/١٢٦). (٣) المصدر السابق (٥/١٢١).

(٤) شرح القصيدة النونية، لابن القيم: (١/٣٩٦ ومابعدها) شرح ابن عيسى رحمه الله.

(٥) الصواعق المرسلة (٤/١٢٧٩ ـ ١٣٤٠). (٦) الحديقة الأنيقة (ص١٢٩).

(٧) هكذا مذكور بكنيته واسمه الأول فقط، وقد تكرر ذلك منهم بإخفاء أسماءهم، لا سيما في تقرير عقيدتهم،، وهو لا شك من مشايخ المتصوفة لثناء كبارهم عليه، وتقديمهم لكتابه كما سيأتي ـ إن شاء الله ـ.

الله لا يحتاج إلى مكان؛ لأن الذي يحتاج إلى مكان هي المخلوقات، ومن العجب أن تسمع بعض الناس يقولون: أن الله في السماء بذاته، رغم أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض والعرش والكرسي، قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الحديد: ٤]. فالله خلق هذه المخلوقات وليس محتاجاً لأن يحل فيها، ومن اعتقد أن الله يحتاج إلى مكان فقد شبه الخالق بالمخلوق، وخالف قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»[١].

وجاء في كتاب (إتحاف النبيل) خوض المؤلف في الصفات وإنكار بعضها حيث قال معدداً لبعض صفات الله جلّ وعلا: «وأنه منزه عن الجهة والجسمية وصفاتها ولوازمها»[٢].

ويرد عليهم بأن تعلقهم بعبارات المتكلمين للاستدلال لباطلهم في نفي العلو بحجة نفي المكان والجسمية عن الله تعالى لا ينفعهم شيئاً أمام النصوص الكثيرة من الكتاب والسنّة، ويقال لهم: أن لفظ الجسم لفظ مجمل، ليس له أصل في كتاب الله تعالى، ولا سُنَّة رسوله ﷺ ولم يقل به أحد من سلف الأمة وأئمتها في حق الله تعالى لا نفياً ولا إثباتاً، وحينئذ فإطلاق القول بنفيه وإثباته ليس من مذهب السلف بلا ريب، ولا عليه دليل شرعي، بل القول بأنه جسم أو ليس بجسم مما ابتدعه أهل الكلام الخائضون في ذلك، فعند الكلام معهم لا بد من استفصالهم عما أرادوه بهذه الألفاظ[٣] فإن كان حقاً قبل وصُحّح لهم اللفظ الشرعي، وإن كان باطلاً فإنه يرد عليهم.

---

(١) انتبه دينك في خطر: لأبي عبد الله علوي اليمني (ص١٠ ـ ١١). وهذا الكتيب قد قرَّضه جمع من دعاة التصوف منهم: علي المشهور بن محمد بن سالم بن حفيظ عضو مجلس الإفتاء في تريم حضرموت، ومدرس في جامعة الأحقاف، وأبو بكر العدني بن علي المشهور، مدير رباط العيدروس بعدن، وحسين بن محمد الهدار، عضو جمعية علماء اليمن مدير رباط البيضاء (باليمن). انظر: (ص٦١ ـ ٦٧).

(٢) كتاب إتحاف النبيل ببعض معاني حديث جبريل، تأليف: طاهر بن حسين بن طاهر العلوي (ص٤٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٠٥).

فإن قصدوا بنفي الجسمية عن الله تعالى ونحوها معنى صحيحاً مثل: نفي أن الله محصور في خلقه، أو مفتقر إلى مخلوق إلى غير ذلك من المعاني التي يجب نفيها عن الله تعالى فإن ذلك مقبول.

وإن قصدوا بذلك أن الله ليس فوق السماوات، وأنه ليس وراء العالم إله موجود، فلا يوافق عليه، وكلامهم غير مقبول[١].

ثم يقال لهم: إن لفظ الجهة من الوجهة[٢] كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة: ١٤٨]، فالله تعالى أثبت لنفسه جهة العلو، وهو أعلم بنفسه من خلقه.

ومن شبههم في نفي صفة العلو زعمهم تنزيه الله تعالى عن النقائص، يقول محمد بحرق في كلام له: «فعند ذلك تعلم قطعاً أن ظواهر الأدلة الموهمة التمكنُ بمكان، أو الاختصاص بجهة، أو النزول أو المجيء، أو الانتقال ـ أو نحو ذلك ـ غير مراد بها ظاهرها المتبادر إلى الفهم بحسب العرف، وهو محمول على ما يليق به سبحانه، فنحو رفع الأيدي في الدعاء لا يلزم منه أنه تعالى في السماء. كما لا يلزم من التوجه إلى الكعبة كونه فيها، بل أُمرنا بجميع ذلك فوجب علينا الامتثال. والدعاء قبلته السماء، والصلاة قبلتها الكعبة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]»[٣].

ويجاب: تقدم الرد عليهم في إنكار صفتي النزول والمجيء[٤]، ويقال أيضاً: إن نفي صفات الباري التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ ليس تنزيهاً بل هو تعطيل، وتنقص للربّ جلّ في علاه، وجعلهم العرف حكماً في هذه الأمور لا يصح؛ لأن الغيب لا دخل للعرف فيه، بل مبناه على التسليم لنصوص الكتاب والسنّة.

وأما قوله: أن رفع الأيدي والأبصار إلى السماء عند الدعاء لا يلزم منه

---

(١) انظر: درء التعارض (٦/١٩١ ـ ١٩٣، ٢٧١ ـ ٢٧٢).
(٢) انظر: القاموس المحيط (١٠٤٥). (٣) الحديقة الأنيقة (ص١٣٠).
(٤) انظر (ص٢٤٤) من هذا البحث.

أن الله في السماء. . . إلخ يقال له: إن هذا الكلام حجة لأهل الإثبات من السلف والخلف ـ كما سنوضحه ـ ومن هؤلاء الأشعري وأئمة أصحابه(١)، والإشارة إلى الله في العلو باليد والأصابع أو العين أو الرأس، قد تواترت به السنن عن الرسول ﷺ(٢).

والناس على اختلاف عقائدهم وأديانهم يشيرون عند الدعاء إلى السماء لأن هذا شيء يجدونه في فطرهم(٣). والفطرة من الأدلة التي تلزمهم، ويجدونها في نفوسهم، لولا المكابرة والتعصب للباطل.

وقال ﷺ: «إن الله حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»(٤).

والكفار يقرون في أنفسهم بهذه الصفة، قال الإمام الدارمي رحمه الله: «حتى لقد علم فرعون في كفره وعتوه على الله، أن الله عز وجل فوق السماء فقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾ [غافر: ٣٦].

ففي هذه الآية دليل بَيِّن ودلالة ظاهرة أن موسى كان يدعو فرعون إلى معرفة الله بأنه فوق السماء، فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ورام الاطلاع عليه»(٥).

---

(١) انظر كلامهم الذي نقله عنهم شيخ الإسلام: نقض التأسيس (٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٩).

(٢) انظر: نقض التأسيس (٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٩).

(٣) انظر: نقض التأسيس (٢/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧). وانظر: العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها، للحافظ الذهبي (ص١٨٨ ـ ١٨٩)، ت: عبد الرحمن محمد عثمان: إفحام الهمداني للجويني حيث أثبت له علو الله تعالى بالفطرة، فلم يجد الجويني له جوابا، فقال: حيرني الهمداني. وفي هذا دليل على مدى الجهل الذي وصل إليه المتكلمون وهو عدم معرفة علو ربهم على خلقه، فأي خير في علم هذا مصيره وغايته.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤٣٨)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٤٠)؛ وأبو داود في سننه: كتاب الوتر، باب الدعاء، (ص١٧٨) برقم (١٤٨٨)؛ والترمذي في سننه: كتاب الدعوات، بابٌ: حدثنا محمد بن بشار (ص٥٥٩) برقم (٣٥٥٦) واللفظ له؛ وابن ماجه في سننه: كتاب الدعاء، باب (رفع اليدين في الدعاء) برقم (٣٨٦٥). وقال فيه الحافظ: «سنده جيد» الفتح (١١/ ١٤٣) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، ط ١٣٧٩هـ، دار المعرفة، بيروت. وانظر: صحيح الجامع برقم (١٧٥٧).

(٥) الرد على الجهمية، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ) (ص٤٤ ـ ٤٥)، خرج أحاديثه وعلق عليه: بدر بن عبد الله البدر.

ويقول أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم نحو السماء؛ لأن الله ﷻ مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله ﷻ على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض»[(١)].

وقال أيضاً: إن قال قائل: ما تقول في العرش؟ قيل له: نقول إن الله ﷻ يستوي على عرشه استواء يليق به كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. وقد قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦﴾ [غافر: ٣٦]. فكذّب [فرعونُ نبيَّ الله] موسى عليه الصلاة والسلام في قوله: «إن الله ﷻ فوق السماوات»[(٢)].

فهذا كلام هذا الإمام الذي ينتسب إليه القوم ـ كذباً وزوراً ـ، وأما قولهم فهو قول الجهمية والمعتزلة وليس قول متقدمي الأشاعرة، وقد وفق الله الإمام الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسلك به طريق الهدى فعاد لمذهب السلف ـ في الجملة ـ وأثبت هذه الصفة العظيمة وغيرها من صفات الجلال والكمال لله تعالى.

وأما قول بحرق: إن السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة فقول غير صحيح، يرد عليه من وجوه منها[(٣)]:

أحدها: أن المسلمين مجمعون على أن قبلة الداعي هي قبلة الصلاة، ولم يقل أحد من السلف خلاف ذلك، وكذلك كون السماء أو العرش قبلة لا يثبت بغير الشرع، وليس في النصوص ما يدل على ذلك.

الثاني: وأن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، فإنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة، كما كان يفعله ﷺ حيث كان يستقبل القبلة في دعائه في مواطن

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن بن علي الأشعري (ص٩٧ ـ ٩٨)، تحقيق: بشير محمد عيون.

(٢) الإبانة عن أصول الديانة، للأشعري (ص٩٧) باختصار.

(٣) انظر: نقض التأسيس (٢/ ٤٥٢ ـ ٤٦٤). وشرح الطحاوية ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

كثيرة[1]، والقول بأن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة، أو أن له قبلتين أحدهما الكعبة والأخرى السماء، قول مبتدع، مخالف لجماعة المسلمين.

الثالث: إن الاستقبال ضد الاستدبار، والقبلة ما يستقبله الإنسان ولا يستدبره فأما ما يرفع الإنسان إليه يده أو رأسه أو بصره فهذا باتفاق الناس لا يسمى قبلة؛ لأن الإنسان لم يستقبله كما لم يستدبر الجهة التي تقابله، ومن استقبل شيئاً فقد استدبر ما يقابله، كما أن من استقبل الكعبة فقد استدبر ما يقابلها، ومعلوم أن الداعي لا يكون مستقبلاً للسماء ومستدبراً للأرض، بل يكون مستقبلاً لبعض الجهات إما القبلة أو غيرها مستدبراً لما يقابلها كالمصلي، فيتبين لنا أن القبلة ما يستقبله الإنسان بوجهه، ويسمى كذلك وجهة ووجهاً وجهة لاستقبال العابد له بوجهه وتوجهه إليه، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]، وكما تستقبل القبلة في الصلاة والدعاء والذكر والذبح، ولذا سميت وجهة، فالاستقبال بالوجه، والاستدبار بالدبر، فأما ما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه أو جنبه، فهذا لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازاً، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، وهذا لم يشرع، والموضع التي ترفع فيه اليد لا يسمى قبلة لا حقيقة ولا مجازاً، ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع ولم تأمر الرسل الداعي باستقبال السماء بوجهه بل نهوا عن ذلك، أما التوجه بالدعاء إلى الجهة العلوية فهو مركوز في الفطر، والمستقبل للقبلة يعلم أن الله ليس هناك، بخلاف الداعي، فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده.

وأيضاً فالقوم كما عرفنا لما وقعوا في التشبيه انتهوا إلى التعطيل؛ لأنهم لا يعرفون إلا علو المخلوق، ولذا قاسوا الخالق تعالى وتقدس بهذا المخلوق

---

(١) منها على سبيل المثال: ما أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش، (ص٧٥٣) برقم (٣٩٦) واللفظ له؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، (ص٧٤٦) برقم (١٧٩٤)، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «استقبل النبي ﷺ الكعبة، فدعا على نفر من قريش».

الناقص، فوقعوا في التوهمات والتخبطات، فنفوا هذه الصفة العظيمة لله تعالى، ولم يقدروه سبحانه حق قدره: «والمقصود أنه إذا كان الله أعظم وأكبر وأجَلّ من أن يقدر العباد قدره، أو تدركه أبصارهم أو يحيطون به علماً، وأمكن أن تكون السماوات والأرض في قبضته لم يجب والحال هذه أن يكون تحت العالم أو تحت شيء منه فإن الواحد من الآدميين إذا قبض قبضة أو بندقة أو حمصة أو حبة خردل وأحاط بها بغير ذلك، لم يجز أن يقال: إن أحد جانبيها فوقه لكون يده لما أحاطت بها كان منها الجانب الأسفل يلي يده من جهة سفلها، ولو قدر من جعلها فوق بعضه بهذا الاعتبار لم يكن هذا صفة نقص بل صفة كمال. وكذلك أمثال ذلك من إحاطة المخلوق ببعض المخلوقات: كإحاطة الإنسان بما في جوفه، وإحاطة البيت بما فيه، وإحاطة السماء بما فيها من الشمس والقمر والكواكب، فإذا كانت هذه المحيطات لا يجوز أن يقال: إنها تحت المحاط وأن ذلك نقص مع كون المحيط يحيط به غيره، فالعلي الأعلى المحيط بكل شيء الذي تكون الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه كيف يجب أن يكون تحت شيء مما هو عال عليه، أو محيط به ويكون ذلك نقصاً ممتنعاً»[1].

الرابع: أن القبلة أمر يدخله النسخ ولذلك تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، ولو كانت القبلة هي العرش أو السماء لجاز تغييرها وتبديلها، ولجاز أن يدعو الإنسان ربه إلى سائر الجهات، وهذا فضلاً عن بطلانه، فإن الناس مفطورون إلى التوجه إلى جهة العلو.

وتخبط القوم ودخلوا في فرضيات المتكلمين لنفي هذه الصفة، حيث عجزوا عن الإتيان بالأدلة الشرعية وأنى لهم ذلك، فهم كأسوتهم المتكلمين أشد الناس حرماناً من الأدلة، ومما يؤكد ذلك وليُّهم المعظم أبو بكر العيدروس حيث يقول عن الله تعالى: «ليس هو من شيء، ولا فوق شيء، إنه لو كان من شيء لكان مسبوقاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان

---

(١) درء التعارض: (٦/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

فوق شيء لكان محمولاً»[١]. وشرح محمد بحرق أقوال شيخه العيدروس في نفي الصفات، مع التعمق في أدلة المتكلمين ظاناً أنه بذلك قد ظفر بمقصوده، ولكن كما قيل: (فاقد الشيء لا يعطيه)، يقول بحرق: «وكذلك الفوقية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، محمولة على فوقية الرتبة التي تكون للسيد القاهر على العبد المقهور، كما قال تعالى عن فرعون: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]. وكما يقال: رتبة الوزير فوق رتبة الأمير»[٢].

وجاء في كتاب نيل المرام: «ونقل الإمام أبو منصور البغدادي[٣] في كتابه (الفرق) إجماع الأمة على تنزيه الله تعالى عن المكان، وذكر أن سيدنا علي كرم الله وجهه[٤] ورضي الله عنه، قال: إن الله تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته. .اهـ وقال سيدنا علي رضي الله عنه: كان الله ولا مكان وهو الآن على ما كان. .اهـ»[٥].

هكذا يفترون على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه يقول بنفي صفات الله تعالى، ولم يتكلفوا تخريج هذا الأثر المكذوب على هذا الإمام إذ بينهم وبين إثبات هذا الزعم خرط القتاد.

واستدلوا لنفي صفة العلو بكلام لابن حجر الهيتمي المكي: «سئل الإمام ابن حجر الهيتمي رحمه الله السؤال التالي: في عقائد الحنابلة ما لا يخفى على

---

(١) مقدمة ديوان محجة السالك وحجة الناسك لأبي بكر العيدروس (ص٢٣٧) جمع: عبد اللطيف بن عبد الرحمن باوزير، ضمن المجموعة العيدروسية، الناشر: طاهر بن محمد العيدروس، بدون تاريخ.

(٢) الحديقة الأنيقة (ص١٣٠).

(٣) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفراييني، أشعري المذهب، ولد ونشأ ببغداد، ورحل إلى خراسان، واستقر بنيسابور، درس على أبي إسحاق الإسفراييني. له تصانيف كثيرة أشهرها: الفرق بين الفرق، وأصول الدين. مات في إسفرائين سنة ٤٢٩هـ. انظر: طبقات الشافعية (٣/ ٢٣٨)؛ ووفيات الأعيان (١/ ٢٩٨)؛ والأعلام (٤/ ٤٨).

(٤) هذه العبارة من عبارات الشيعة الذين غلوا في علي رضي الله عنه ينبغي تركها ويترضى عن علي رضي الله عنه كسائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ١٠٠).

(٥) نيل المرام شرح عقيدة الإسلام (ص٢٣).

شريف علمكم، فهل عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كعقائدكم؟ فأجاب بقوله: عقيدة إمام السنّة أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنان المعارف متقلبه ومأواه وأفاض علينا وعليه من سوابغ امتنانه وبوأه الفردوس الأعلى من جنانه موافقة لعقيدة أهل السنّة والجماعة من المبالغة التامة في تنزيه الله تعالى من سائر سمات النقص، بل وعن كل وصف ليس فيه كمال مطلق، وما اشتهر به جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبهتان وافتراء عليه[(١)]»[(٢)].

ويردّ على كلامهم بأن عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في إثبات الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ ومنها صفة العلو مبثوثة في كتبه وفي كتب أتباعه[(٣)].

وأما قول ابن حجر الهيتمي المتقدم ففيه إجمال لا سيما قوله بنفي الجهة[(٤)]، فإن قصد بذلك نفي العلو فكلام غير صحيح وقد تقدم الرد على من قال بذلك، وإن قصد بنفي الجهة نفي إحاطة المخلوقات بالله تعالى فكلام صحيح ويقبل معناه، ولكن يرد عليه اللفظ لأنه من الألفاظ المبتدعة.

وكذلك فقد ردَّ الإمام أبو حنيفة رحمه الله على من قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض وقال: «فقد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ

---

(١) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (ص١٤٤)؛ وبهامشه كتاب الدر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، دار الفكر.

(٢) منهاج الأصفياء، لمصطفى بن عبد الرحمن العطاس (ص٧٥).

(٣) انظر على سبيل المثال: الرد على الجهمية والزنادقة (ص٢٨) ت: إسماعيل الأنصاري، ط الإفتاء، الرياض، والاقتصاد في الاعتقاد، لعبد الغني المقدسي (ص٨٧)؛ والإبانة (٣/ ١٥٩ ـ ١٦٠) برقم (١١٦)؛ وأبو يعلى في إبطال التأويلات (٢/ ٦٤ ـ ٦٥) برقم (٤٩)، ط ١٤٠١هـ، دار الإمام الذهبي، الكويت؛ واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٠٠ ـ ٢٠١) ط٢، ت: المعتق.

(٤) مع أن ابن حجر الهيتمي أشعري المعتقد يقول بنفي الجهة. انظر: كتابه «الفتاوى الحديثية» (ص١٥١)، تقديم المرعشلي، طبعة دار إحياء التراث.

ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. وعرشه فوق سبع سموات. وقال له أبو مطيع الحكم بن عبد الله[1]: فإن قال: أنه على العرش استوى ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أن يكون في السماء؛ لأنه تعالى في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل «وفي لفظ: «سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ قال: «قد كفر قال: لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. وعرشه فوق سبع سماوات. قال: فإنه يقول: على العرش استوى ولكن لا يدري العرش في الأرض أو في السماء؟ قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كفّر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السماء، أو ليس في السماء ولا في الأرض واحتج على كفره بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. يبيّن أن الله فوق السماوات فوق العرش وأن الاستواء على العرش دل على أن الله بنفسه فوق العرش، ثم أنه أردف ذلك بتكفير من قال: إنه على العرش استوى، ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض. قال لأنه: أنكر أنه في السماء لأن الله في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل. وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء، واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية فإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله في العلو، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل[2].

---

(١) هو الحكم بن عبد الله بن سلمة، من كبار أصحاب أبي حنيفة وفقهائهم، قال فيه الإمام الذهبي: (كان بصير بالرأي، علامة كبير الشأن، ولكنه واه في ضبط الأثر، وكان ابن المبارك يعظمه ويجله لعلمه ودينه) توفي سنة ١٩٩هـ. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٥٧٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧ ـ ٤٩). وانظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (١٣٩ ـ ١٤٠)، تحقيق: د. عوّاد بن عبد الله المعتق؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص٣٢٢ ـ ٣٢٣).

ونختم هذا المطلب بما نقله أبو المعالي الألوسي[1] عن عماد الدين أحمد الواسطي الصوفي[2] في رسالته (نصيحة الإخوان) في إثبات علو الله تعالى والإشارة إلى جهة العلو: «فإذا أشير إليه بشيء يستحيل أن يشار إليه من جهة التحتية أو من جهة اليمنة أو من جهة اليسرة، بل لا يليق أن يشار إليه إلا من جهة العلو والفوقية، ثم الإشارة هي بحسب الكون وحدوثه وأسفله، فالإشارة تقع على أعلى جزء من الكون حقيقة، وتقع على عظمة الله تعالى كما يليق به.... فلا يُحدّ بحدٍّ يحصره، بل بحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته، والإشارة إلى الجهة إنما هي بحسب الكون وسفله، إذ لا تمكن الإشارة إليه إلا هكذا، وهو في قدسه سبحانه منزه عن صفات الحدث، وليس في القدم فوقية ولا تحتية، وإنما من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة باريه إلا من فوقه، فتقع الإشارة إلى العرش حقيقة إشارة معقولة، وتنتهي الجهات عند العرش، ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل ولا يكيفه الوهم، فتقع الإشارة عليه كما يليق به مجملاً مثبتاً لا مكيفاً ممثلاً»[3].

---

(١) هو أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمود الحسيني، الآلوسي، البغدادي، مؤرخ، أديب، لغوي ولد سنة ١٢٧٣هـ، تصدر للتدريس في بعض المساجد. له مصنفات كثيرة أشهرها: بلوغ الأرب في أحوال العرب، وغاية الأماني في الرد على النبهاني، وفتح المنان. توفي ببغداد سنة ١٣٤٢هـ. انظر في ترجمته: أعلام العراق، لبهجة الأثري: (٨٦ ـ ٢٤١)؛ والأعلام (٨/ ٤٩، ٥٠)؛ ومعجم المؤلفين (٣/ ٨١٠ ـ ٨١١).

(٢) هو أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي، فقيه، عابد زاهد، ولد سنة ٦٥٧هـ، أقام بالقاهرة فتأثر بصوفيتها، ثم قدم دمشق فتتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، ورد على المبتدعة الذين خالطهم. من آثاره: مفتاح الأولياء وأهل الزهد من العلماء، وشرح منازل السائرين للهروي، واختصار دلائل النبوة. توفي بدمشق سنة ٧١١هـ. انظر: العبر (٤/ ٢٩) تحقيق محمد زغلول ط٣، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت؛ والدرر الكامنة (١/ ٩١) دار الجيل، بيروت؛ والأعلام (١/ ٨٦) ط٦.

(٣) غاية الأماني في الرد على النبهاني، للألوسي (١/ ٦٣٢ ـ ٦٣٣)، علّق عليه: الداني بن منير آل زهوي.

❁ المطلب الثالث ❁

قول صوفية حضرموت في صفة الاستواء

تمهيد:

معنى الاستواء في لغة العرب نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] وهذا معناه كمل وتم.

وأما المقيد فثلاثة أضرب: أحدها: مقيد بإلى كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] وهذا بمعنى العلو والارتفاع، والثاني: مقيد بعلى: كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣] وهذا أيضاً معناه: العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة. والثالث: المقرون بواو (مع) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها(١).

والفرق بين الاستواء والعلو: أن الاستواء علو خاص وهي صفة لله متعلقة بالمشيئة، وأما العلو فصفة ذاتية.

والاستواء من الصفات الخبرية المعلومة بالسمع، وأما صفة العلو باعتبار أدلتها من الصفات العقلية الشرعية العقلية، وتعلم بالنقل والخبر(٢).

يثبت أهل السنّة والجماعة استواء الله تعالى على عرشه، وأنها صفة فعلية لله تعالى دلّت عليها نصوص الكتاب والسنّة، وهي من الصفات الاختيارية القائمة بالله تعالى، لأن النصوص دلّت على أنه تعالى استوى على عرشه بعد خلق السماوات والأرض، فالاستواء على العرش متعلق بإرادته ومشيئته.

والاستواء على العرش من أدلة العلو السمعية، وقد جاء في سبع آيات من كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة: (٣/٨٨٨ ـ ٨٨٩) تحقيق: د. الحسن العلوي.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٥٢٢ ـ ٥٢٣).

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(١).

وثبت في السنّة عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ أخذ بيده، فقال: «يا أبا هريرة! إن الله خلق السمٰوات والأرضين وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش» الحديث(٢).

ويثبت أهل السنّة والجماعة هذه الصفة وغيرها من الصفات التي جاءت في الكتاب والسنّة، وفق منهج السلف الصالح وقد ذكر الإمام مالك رحمه الله قاعدة مهمة في ذلك فقد سُئل ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن(٣) عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟، قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق.

وعن يحيى بن يحيى(٤) قال: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. كيف استوى فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ـ أي العرق ـ ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، ثم أمر به أن يخرج(٥)، فقول ربيعة ومالك الاستواء غير مجهول،

---

(١) انظر تلك الآيات: سورة الأعراف: الآية٥٤، وسورة يونس: الآية ٣، وسورة الرعد: الآية ٢، وسورة طه: الآية ٥، وسورة الفرقان: الآية ٥٩، وسورة السجدة: الآية٤، وسورة الحديد: الآية ٤.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: تفسير سورة السجدة (١٠/ ٢١٣) برقم (١١٣٢٨)، خرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، وحسنه الشيخ الألباني في مختصر العلو (ص١١١)، ط٢، المكتب الإسلامي.

(٣) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن التيمي، أبو عثمان المدني، ثقة، فقيه، مات سنة ١٣٦هـ. انظر: السير (٦/ ٩٠)؛ والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للحافظ الذهبي (١/ ٣٠٧) ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت؛ والتقريب (ص٢٤٣).

(٤) هو يحيى بن يحيى بن كثير الليثي، مولاهم القرطبي، أبو محمد فقيه، قليل الحديث، له أوهام، من رواة الموطأ. مات سنة ٢٣٤هـ على الصحيح. انظر: التقريب (ص٣٦٨)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط١، ١٤١٧هـ، دار المعرفة، بيروت.

(٥) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية برقم (٢٠٤)؛ واللالكائي في شرح أصول أهل السنّة =

والكيف غير معقول، والإيمان به واجب. قال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولا يقال حينئذ بلا كيف إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول[١].

النصوص الدالة على نفي صوفية حضرموت لصفة الاستواء:

ورغم النصوص المتضافرة من الكتاب والسنّة في إثبات صفة الاستواء لله تعالى إلا إن صوفية حضرموت عطلوا هذه الصفة العظيمة التي أثبتها الله تعالى لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ، فقد جاء في كتاب (الفيوضات الربانية) عند ذكر كلام للحسن بن صالح البحر العلوي في الصفات: «وقال رضي الله عنه على حديث: «قلب المؤمن عرش الرحمٰن»[٢] أي ليس فيه إلا شهود فعل الله، كما أن العرش لا يكون فيه إلا مجرد فعل الله، كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]؛ أي: بمظهر فعل وقدرة، وإلا فالحق تعالى رفيع الدرجات عن العرش والكرسي أو غيرها»[٣].

وجاء في (مقدمة ديوان محجة السالك وحجة الناسك) عن العيدروس: «وقال رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، استوى ليس هو استواء وقوع وحلول بل هو استواء ملك وحكم... وقال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] فعُلم أن لا ثمّ جهة؛ لأن القائم أقرب إلى السماء

= والجماعة (٣/ ٣٩٨)؛ وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٣٥، ٣٢٦)؛ وأبو عثمان الصابوني في عقيدة أصحاب الحديث رقم (٢٥، ٢٦)؛ والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) برقم (٨٦٧)؛ وابن عبد البر في التمهيد: (٧/ ١٥١)؛ وقال الذهبي في العلو (ص١٠٤): (هذا ثابت عن مالك وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك وهو قول أهل السنّة قاطبة).

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠ ـ ٤٢). وانظر أثر الإمام مالك رحمه الله أيضاً: صفة العلو لابن قدامة (ص٢٨)؛ ومختصر العلو (ص١٢١).

(٢) هذا الحديث وأمثاله الكثير تجدها بكثرة عند الصوفية الطرقية، فهي من موضوعات الصوفية التي يوردونها بلا زمام ولا خطام لترويج ما اعتقدوه من الباطل.

(٣) الفيوضات الربانية من أنفاس السادة العلوية (ص١٩٣).

من الساجد، تعالى عن إحاطة العقول والفهوم»[١].

ويقول عمر بحرق الحضرمي: «وكذلك ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. غير مراد، بل هو استواء لائق بجلال الله تعالى. كما يقال: استوى الأمير على العراق؛ أي استولى عليه... ومعلوم أن العرش أعظم المخلوقات؛ بل حاوٍ لها ومحيط بجميعها. والتمدح بكونه مقهوراً بالطاعة تحت قدرته تعالى، يدبر أمره فيه كيف شاء وهو اللائق بجلال الله تعالى، بخلاف الاستواء الذي هو الجلوس على الشيء، فذاك من صفات الأجسام ولا تمدح فيه»[٢].

ويقول أيضاً: «هذا والعرش حادث بعد العدم، وقد كان تعالى غنياً عنه في القدم. وكذلك يجب حمل مثل ذلك على ما يليق بجلال الله تعالى؛ كأن يقال في: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] «وينزل ربنا»[٣]؛ أي: أمره ورحمته، أو نحو ذلك»[٤].

وجاء في كتاب نيل المرام: «قوله: (مستو على عرشه على الوجه الذي قال، وبالمعنى الذي أراده استواء يليق بعز جلاله وعلو مجده وكبريائه).

قد مشى الإمام الحداد رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المسألة على مذهب سلفه في التفويض حيث قال: إن الله تعالى مستو على عرشه استواء لا يعلمه إلا هو تَبَارَكَ وَتَعَالَى... وعلى مذهب الخلف في التأويل، فالمراد بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]؛ أي: استولى عليه وعلى الأشياء كلها وخضعت ودنت. وقد ثبت لغة أن الاستواء بمعنى الاستيلاء كما في قول الشاعر:

فلما علونا استوينا عليهم ... جعلناهم صرعى لنسر وطائر[٥]»[٦]

---

(١) مقدمة ديوان محجة السالك وحجة الناسك للعيدروس (ص٢٣٧) ضمن المجموعة العيدروسية.

(٢) الحديقة الأنيقة (ص١٣٠).

(٣) تقدم تخريجه (ص٣٩٢) من هذا البحث.

(٤) الحديقة الأنيقة (ص١٣١).

(٥) البيت ذكره الجويني في كتابه الشامل في أصول الدين (ص٥٥٣) ت: علي النشار وآخرون. ولم أقف على قائله.

(٦) نيل المرام شرح عقيدة الإسلام (ص٢٥ ـ ٢٦).

ويقول حسين بن محمد الهدار في بيان معتقدهم في صفة الاستواء: «وأن الله مستو على عرشه على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده استواء يليق بعز جلاله وعلو مجده وكبريائه فهو مقدس عن الزمان والمكان، إذ هو الخالق لهما ومنزه عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، نعوذ بالله أن نظن أن السماء تظله أو تقله، فهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا . . . والخوض في الاستواء وكيفيته من البدع المنهي عنها في الدين»[1].

واستشهدوا لنفي صفة الاستواء بأبيات للغزالي عندما سأله جار الله الزمخشري[2] عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ فأجاب بهذه الأبيات:

كيف تدري من على العرش استوى ... لا تقل كيف استوى كيف النزول

كيف يحكي الرب أم كيف يرى ... فلعمري ليس ذا إلا فضول

فهو لا أين ولا كيف له ... وهو رب الكيف والكيف يحول

وهو فوق الفوق لا فوق له ... وهو في كل النواح لا يزول

جلّ ذاتاً وصفات وسما ... وتعالى قدره عما تقول

وخلاصة القول ما قاله إمام الحرمين في النظامية: أنه اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنّة فرأى بعضهم تأويلها، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وأجرى الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الربِّ سبحانه، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناها إلى الربِّ[3].

---

(١) الدواء الشافي لعلاج ظاهرة التكفير، لحسين بن محمد الهدار (ص٩٧).

(٢) هو أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، الزمخشري، معتزلي، مشارك في التفسير والنحو واللغة. ولد بزمخشرى من قرى خوارزم سنة ٤٦٧هـ. من مؤلفاته: الكشاف عن حقائق التنزيل، والفائق في غريب الحديث، والمفصل في صنعة الإعراب. توفي سنة ٥٣٨هـ. انظر: معجم المؤلفين (٣/ ٨٢٢).

(٣) انظر: الرسالة النظامية، للجويني (ص٢٣)؛ والدواء الشافي لعلاج ظاهرة التكفير، لحسين الهدار (ص٩٨).

ومن خلال هذه النصوص التي ذكرنا عن متصوفة حضرموت والتي دونوها في مؤلفاتهم يتضح نفيهم لصفة الاستواء تبعاً لصفة العلو، وكَثُرت تأويلاتهم لهذه الصفة، فبعضهم أوَّلها بأنها شهود فعل الربّ جل وعلا بالعرش، وهذا باطل وقد أثبت السلف الصالح والعلماء هذه الصفة لله تعالى كما يليق بجلال الله وعظمته، يقول الإمام ابن خزيمة[(١)]: «فالخبر يصرح أن عرش ربنا ـ جلّ وعلا ـ فوق جنته، وقد أعلمنا ﷻ أنه مستوٍ على عرشه، فخالقنا علا فوق عرشه، الذي هو فوق جنته»[(٢)].

وكذا أثبت الاستواء أبو الحسن الأشعري الذي ينتسب هؤلاء إليه، حيث قال رحمه الله: «إن قال ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله ﷻ يستوي على عرشه استواء يليق به كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. وقد قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السجدة: ٥] وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦]. فالسماوات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السماوات قال: ﴿أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات وليس إذا قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعنى جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات ألا ترى الله تعالى ذكر السماوات فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾ [نوح: ١٦]، ولم يرد أن القمر يملؤهن جميعاً، وأنه فيهن جميعاً، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله ﷻ على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا

---

(١) هو الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري، أبو بكر، الفقيه الشافعي، الحافظ الحجة، إمام الأئمة، ولد بنيسابور سنة ٢٢٣هـ، صاحب كتاب التوحيد المشهور، توفي سنة ٣١١هـ. انظر: السير (١٤/ ٣٦٥ ـ ٣٨٢)؛ وطبقات الشافعية (٣/ ١٠٩ ـ ١١٩).

(٢) كتاب التوحيد، للإمام ابن خزيمة (ص١٠٤)، تحقيق: هرّاس.

يحطونها إذا دعوا إلى الأرض، وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن معنى قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. أنه استولى وملك وقهر، وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله ﷻ مستو على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء والأرض، فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو تعالى مسئول على الأشياء كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء مسؤول عليها وإذا كان قادراً على الأشياء كلها لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله تعالى مستو على الحشوش والأخلية ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها، وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية: أن الله تعالى في كل مكان فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية وهذا خلاف الدين ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ـ»[(١)].

وقال الباقلاني وهو أحد أئمة الأشاعرة: «فإن قال قائل: أتقولون: إنه في كل مكان؟ قيل: معاذ الله، بل هو مستوٍ على عرشه، كما أخبر في كتابه فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦].

ولو كان في كل مكان، لكان في بطن الإنسان، وفمه، وفي الحشوش، والمواضع التي نرغب عن ذكرها، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة، إذا خلق منها ما لم يكن خلقه وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض، وإلى خلفنا، وإلى يميننا، وشمائلنا، وهذا قد أجمع

(١) الإبانة عن أصول الديانة (١/ ٩٧ ـ ٩٩) ملخصاً.

المسلمون على خلافه، وتخطئة قائله»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا كان المسلمون يُكفِّرون من يقول: إن السماوات تُقلّه أو تُظلّه لما في ذلك من احتياجه إلى مخلوقاته فمن قال: إنه في استوائه على العرش محتاج إلى العرش كاحتياج المحمول إلى حامله فإنه كافر؛ لأن الله غني عن العالمين حي قيوم، الغنى المطلق، وما سواه فقير إليه مع أن أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنّة واتفاق سلف الأمة وأئمة السنّة، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل»[٢].

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن أبي عمر الطلمنكي[٣]: «قال أهل السنّة في قول الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] إن الاستواء من الله على عرشه المجيد، على الحقيقة لا على المجاز»[٤].

وأما من قال منهم: أن استوى بمعنى استولى، فهذا تحريف لم يفسره السلف من الصحابة والتابعين بل أول من قال بذلك الجهمية والمعتزلة.

ومعنى الاستواء هو: العلو والارتفاع كما قال الإمام مالك وهذا أمر مجمع عليه عند السلف، فالله تعالى مستو على عرشه حقيقة لا مجازاً كما نقل ذلك الإمامان ابن عبد البر[٥] وأبو عمر الطلمنكي ـ رحمهما الله تعالى ـ.

وقد أنكر أهل اللغة من فسر الاستواء بالاستيلاء قال ابن الأعرابي[٦]

---

(١) التمهيد، للقاضي الباقلاني (١/ ١٢٩). (٢) مجموع الفتاوى (٢/ ١٨٨).

(٣) هو أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو عمر المعافري الأندلسي الطلمنكي، مقرىء محدث مفسر، مات سنة ٢٩٤هـ. انظر: السير (٧/ ٥٦٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦١).

(٥) هو الإمام حافظ المغرب يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ابن عبد البر) ولد سنة (٣٦٨هـ)؛ وصنف كتباً نافعة منها: التمهيد، والاستذكار، وجامع بيان العلم وفضله، والاستيعاب، وغيرها. توفي عام (٤٦٣هـ). انظر: السير (١٨/ ١٥٣)؛ وشذرات الذهب (٣/ ٣١٤).

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، الكوفي، ولد سنة ١٥٠هـ، وهو من المشهورين بمعرفة لغة العرب. توفي سنة ٢٣١هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ٦٦) تحقيق: =

حين قال له الجهمي إن استوى بمعنى استولى، قال: اسكت ما أنت وهذا، لا يقال استولى على الشيء إلا إذا كان له مضاد فإذا غلبه يقال استولى.

وأما الاستدلال بقول الشاعر:

استوى بشر على العراق ... من غير سيف ولا دم مهراق

فإنه لا يعرف قائله، ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي بل هو منحول، ولا يعرف في لغة العرب، بل قال بعضهم: إن البيت أصله هكذا: بشر قد استولى على العراق... إلخ.

وإن صح البيت فإنه حجة عليهم لأمرين:

١ ـ الاستواء الحقيقي أنه جلس على كرسي العراق وسرير الملك.

٢ ـ أنه استولى وغلب على أهل العراق عبد الملك بن مروان ودخل تحت ملكه[١].

وتأويلهم الاستواء بالاستيلاء لا تشهد له النصوص الشرعية ولا لغة العرب «وقد صرح ابن الأعرابي وغيره بأنه لا يُعرف في اللغة»[٢]. وحسبك بابن الأعرابي رَحِمَهُ اللهُ معرفة بهذا الشأن.

وكذلك النصوص دالة على بطلان قول المعتزلة وادعائهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى «استولى» لا معنى له ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد وهو الأحد الصمد، وإنما يوجه كلام الله ﷻ إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات وجلّ الله ﷻ عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه، والاستواء معلوم في اللغة وهو: العلو والارتفاع على الشيء

= المعلمي، ط ١٣٧٧هـ، حيدر آباد، الهند؛ ووفيات الأعيان (٤/ ٣٠٩).

(١) انظر الرد: مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٤)؛ ومختصر الصواعق المرسلة (ص٣٥٢).

(٢) كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم (١/ ٢٩٢) ط٢، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله.

والاستقرار، والتمكن فيه. قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ قال: علا. قال: وتقول العرب: «استويت فوق الدابة، واستويت فوق البيت».

والاستواء: الاستقرار في العلو وبهذا خاطبنا تعالى فقال: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣]. وقال: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود: ٤٤]. وقال: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨][(١)].

وبعضهم أوّل هذه الصفة وغيرها من الصفات، وجعلها كتأويلهم للنزول والمجيء بأنه مجيء أمره ورحمته وقد مر الرد عليه في فرع التأويل والتفويض وأن هذا ليس منهج السلف الصالح، وإنما هو مذهب أهل الكلام.

وبعضهم فوّض صفة الاستواء؛ لأنها بزعمه تجسيم «وحقيقة كلامهم أن ما وصف به الربّ نفسه لا يعقل منه إلا ما يعقل في قليل من المخلوقات التي نشهدها، كأبدان بني آدم وهذا في غاية الجهل، فإن من المخلوقات مخلوقات لم نشهدها؛ كالملائكة والجن حتى أرواحنا، ولا يلزم أن يكون ما أخبر به الرسول مماثلاً لها فكيف يكون مماثلاً لما شاهدوه؟ وهذا الكلام في لفظ الجسم من حيث اللغة، وأما الشرع فمعلوم أنه لم ينقل عن أحد من الأنبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة أن الله جسم، أو أن الله ليس بجسم؛ بل النفي والإثبات بدعة في الشرع، وأما من جهة العقل فبينهم نزاع فيما اتفقوا على تسميته جسماً كالسماء والأرض، والريح والماء ونحو ذلك مما يشار إليه ويختص بجهة وهو متحيز»[(٢)].

وقد أثبت صفة الاستواء لله تعالى أحد علماء حضرموت من العلويين وهو الشيخ محمد بن محسن العطاس[(٣)] حيث يقول في رسالته (تنزيه الذات

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣١). وانظر كلام شيخ الإسلام في: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: (٢/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨)، تعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤).

(٣) هو الشيخ محمد بن محسن العطاس شيخ السادة العلويين بمكة، كان عضواً في الوفد الذي بعثه الشريف عبد المعين إلى الأمير سعود بن عبد العزيز الذي وصل بجيشه إلى نحو ثلاث مراحل من مكة، ومن الوفد الذي أرسل إلى الدرعية وعاد بالجواب إلى الشريف غالب بعد ان مكث هناك شهرين. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (١/ ٢٦٣).

والصفات عن درن الإلحاد والشبهات): قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى استوى استولى وملك وقهر مما يفيد التجدد والحدوث في الملك وقالوا: إنه في كل مكان، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق، فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة؛ لأنه قادر على كل شيء، وكيف يكون في كل مكان ومنه الحشوش والحانات والمزابل وما أشبه ذلك من الأماكن المستقذرة، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يكون الله في ذلك فبطل ما يقولونه بالعقل والنقل[١].

ويقال لكل المعطلة ومنهم صوفية حضرموت أن الرد عليهم في نفيهم لصفة الاستواء لله تعالى من عدة أوجه[٢]:

الأول: أن قولهم هذا مخالف لظاهر النص.

ثانياً: مخالف لإجماع الصحابة وإجماع السلف.

ثالثاً: أنه لم يرد في اللغة العربية ما فسروه به من المعاني الباطلة، والبيت الذي احتجوا به لا يتم به الاستدلال.

رابعاً: أنه يلزم عليه لوازم باطلة منها أن يكون العرش قبل خلق السمٰوات والأرض ملكاً لغير الله تعالى، وأنه يصح أن نقول على زعمكم: إن الله استوى على الأرض، والشجر، والإنسان، والبعير لأنه استولى على هذه الأشياء؛ فإذا صح أن نطلق كلمة استولى على شيء؛ صح أن نطلق استوى على ذلك الشيء؛ لأنهما مترادفان على زعمكم.

❊ المطلب الرابع ❊

قول صوفية حضرموت في صفة الكلام

تمهيد:

الكلام في لغة العرب التي نزل بها القرآن كما يقول ابن فارس رحمه الله:

---

(١) نقلاً عن الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح، لصديق حسن خان (ص٩٩ ـ ١٠٠). ورسالة محمد بن محسن العطاس لا تزال مخطوطة ومنها نسخة بمكتبة الملك سعود برقم (١٣٥٦).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (ص٢٤١)، ط دار ابن الجوزي، القاهرة.

«يدل على نطق مفهم، تقول: كلّمته، أكلمه تكليماً، وهو كليمي، إذا كلّمك أو كلّمته»[١].

فهذا هو الكلام الذي تعرفه العرب وكذا فإن: «عامة ما يوجد في الكتاب والسنّة وكلام السلف والأئمة، بل وسائر الأمم عربهم وعجمهم من لفظ: الكلام، والقول وهذا كلام فلان، أو كلام فلان، فإنه عند إطلاقه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً لشموله لهما ليس حقيقة في اللفظ فقط ـ كما يقوله قوم ـ ولا في المعنى فقط ـ كما يقوله قوم ـ، ولا مشترك بينهما ـ كما يقوله قوم ـ، ولا مشترك في كلام الآدميين، وحقيقة في المعنى في كلام الله ـ كما يقوله قوم ـ. . .»[٢].

تعتبر مسألة وصف الله بصفة الكلام من أهم المسائل التي وقع فيها الخلاف بين السلف ومخالفيهم من الفرق الضالة، ومذهب السلف أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنّة[٣].

وقد دلّت النصوص الكثيرة على إثبات صفة الكلام لله تعالى نذكر بعضها، فمنها قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وغيرها من الآيات.

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة،

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ١٣١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٧٤)، ت: التركي.

فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فقال النبي ﷺ: «فحج آدم موسى فحج آدم موسى»(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل»(٢).

النصوص الدالة على انحراف صوفية حضرموت في صفة الكلام:

وقد سلكت صوفية حضرموت مسلك الفرق الضالة في هذه المسألة كغيرها من مسائل الصفات، وخالفت مذهب السلف، فقد جاء في كتاب منهل الوراد عند تعداد الصفات التي يثبتونها لله تعالى: «الثالث عشر: الكلام: ويستحيل عليه البكم، وهو صفة قديمة بذاته تعالى ليس بحرف ولا صوت ولا يقبل التقديم والتأخير والطروّ والعدم دالة على معلوماته»(٣).

وجاء في كتاب بعنوان (دروس التوحيد للمبتدئين) تحت عنوان معنى الكلام ودليله: «والكلام هو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى على جميع الواجبات والمستحيلات والجائزات، وكلامه تعالى نفسي قديم ليس بحرف، ولا صوت، ولا لسان، ولا شفتين، ولا فم، ولا حلق، ولا يوصف بعربي، ولا سرياني

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، (ص١٢٦٤) برقم (٦٦١٤)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (ص١٠٦٤) برقم (٢٦٥٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنَّة، باب في القرآن، (ص٥١٦) برقم (٤٧٣٤)؛ والترمذي في سننه: كتاب فضائل القرآن، بابٌ: حدثنا محمد بن إسماعيل (ص٤٦٦) برقم (٢٩٢٥)؛ وابن ماجه في سننه في المقدمة (ص٣٧) برقم (٢٠١). قال الذهبي في السيرة (ص٢٨٢): وهو على شرط البخاري، مجلد قسم السيرة، ومجلد قسم المغازي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٦٢م. وصححه الشيخ رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٤/ ٥٩١) برقم (١٩٤٧).

(٣) منهل الوراد (ص٦٥)، ط العصرية. وانظر: كتاب الدر الثمين في أصول الشريعة وفروع الدين: لسالم باحطاب الحضرمي (ص٣٨).

ولا غيرهما من اللغات...»[١].

وجاء في كتاب الحديقة الأنيقة عند الكلام على صفة الكلام لله تعالى: «ومذهب أهل السنّة[٢]: أن كلام الله تعالى صفة معنوية، قديمة، قائمة بذاته المقدسة، ثابتة لها، قديمة بقدمها؛ لأن أصل صفة الكلام في المخلوق إنما هو المعنى النفساني، وإنما يدل عليه باللسان، ولهذا يقول: في نفسي كلام أريد أن أذكره.

وقال الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا[٣]»[٤]

وجاء في كتاب الحديقة الأنيقة أيضاً: «فهذا أيضاً متكلم بلا لسان ولا حرف ولا صوت... بل كلامه قديم قبل تكوين الحروف والأصوات بقدم ذاته المقدسة»[٥]. ويقول سالم باحطاب الحضرمي[٦] في تعريفه للقرآن: «المحفوظ في صدورنا والمكتوب في مصاحفنا... وأجمعت الأمة على أن ذلك كلام الله تعالى بمعنى أنه خلقه، وليس لأحد في أصل تركيبه كسب إلى أن قال: وقال العلامة الباجوري: فمن أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله فقد كفر إلّا أن يريد أنه ليس هو الصفة القائمة بذاته تعالى»[٧].

وقال: «كونه متكلماً وهي صفة أزلية قائمة بذاته غير موجودة ولا معدومة

---

(١) دروس التوحيد للمبتدئين، لمحمد بن سالم بن حفيظ (ص٢٢)، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) أي الأشاعرة فهم يرون أنفسهم أهل السنَّة والجماعة.

(٣) هذا البيت منسوب للأخطل. انظر: شرح العقائد النسفية، للتفتازاني (ص٥٤) ط كتبخانة إمدادية، ديوبند الهند؛ وإتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للزبيدي (١٤٦/٢)، ط دار الفكر بيروت، وأنكر نسبة هذا البيت للأخطل كثير من العلماء. انظر: كتاب الإيمان، لشيخ الإسلام (ص١٣٢) ط المكتب الإسلامي؛ ومجموع الفتاوى (٢٩٦/٦ ـ ٢٩٧).

(٤) الحديقة الأنيقة (ص١٣٤).

(٥) المصدر السابق (ص١٣٤).

(٦) هو سالم بن صالح باحطاب الحضرمي، صوفي أشعري. من مؤلفاته: الدر الثمين في أصول الشريعة والدين. توفي سنة ١٣٥٠هـ. انظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٢٩٢).

(٧) الدر الثمين، لسالم باحطاب الحضرمي (ص٣٨).

وغير الكلام، وهي تمام ما يجب له تعالى تفصيلاً»[(١)].

جاء في كتاب نيل المرام: «قوله: «متكلم بكلام قديم أزلي لا يشبه كلام الخلق»:

الكلام هو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى منزه عن الحروف والأصوات ولا يوصف بعربي ولا سرياني ولا غيرها من اللغات قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾... وعند أهل السنّة أن القرآن هو كلام الله يطلق على معنيين:

١ ـ على الكلام النفسي القديم القائم بذاته تعالى وليس بحرف وصوت.

٢ ـ على اللفظ الذي نعرفه.

فالأول ليس بمخلوق ولا حادث والثاني هو مخلوق حادث لكن يمتنع هذا الإطلاق إلا في مقام الإيهام ولهذا امتنع الأئمة من القول بخلق القرآن[(٢)]، فالمكتوب في المصاحف هو الألفاظ الدالة على المعنى القائم بالذات وأجمع أهل السنّة والجماعة على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر»[(٣)].

ففي هذا الكلام تفريق القوم بين المعنى واللفظ، وأن المعنى هو كلام الله تعالى النفسي القديم وأنه ليس بمخلوق، واللفظ القرآني ليس هو كلام الله تعالى بل هو مخلوق وإن كان يصح إطلاق كلام الله عليه ولكن يكون كلام الله هنا مخلوق، ولا يقال ذلك إلا في مقام التعليم عند هؤلاء الصوفية.

والمراد الثاني هو: أن كلام الله تعالى نفسي قديم ليس بحرف ولا صوت كما تقدم تصريحهم في ذلك.

وذكروا في شرحهم لمعنى الإيمان بالكتب قولهم: «ومعنى الإيمان: الإيمان بأنها كلام الله الأزلي القديم قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]»[(٤)].

---

(١) المصدر السابق (ص٤١).

(٢) هذا الكلام بعينه كلام البيجوري في كتابه شرح جوهرة التوحيد (ص٩٣ ـ ٩٤).

(٣) نيل المرام (ص٣٩).

(٤) المصدر السابق (ص٤٥).

ويجاب عن هذا بأن: عقيدة أهل السنّة والجماعة في أن الكلام هو الملفوظ المنطوق وفيه دلالة على معنى، ولغة العرب لا تفرق بين اللفظ والمعنى حين إطلاق معنى الكلام.

فالكلام عند النحاة هو: اللفظ المركب المفيد بالوضع[(١)]، فقولنا: كلام الله تعالى لا بد فيه من أمرين في لغة العرب وهما: اللفظ والإفادة (المعنى)، ولا يصح فصل أحد الأمرين عن الآخر إلا لسبب لغوي أو شرعي مقبول وإلا بقي الأمر على أصله.

وكلام الله تعالى غير مخلوق وأدلة ذلك كثيرة من الكتاب والسنّة فمنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقد احتج الإمام أحمد بهذه الآية على أن كلام الله تعالى صفة من صفاته غير مخلوق فقال رحمه الله: «قلت قال الله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ففرق بين الخلق والأمر»[(٢)].

وقال فيما كتبه للمتوكل حين سأله عن مسألة القرآن: «وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. وقال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فأخبر بالخلق، ثم قال: ﴿وَالْأَمْرُ﴾ فأخبر أن الأمر غير مخلوق»[(٣)].

ومن السنّة ما ثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»[(٤)].

---

(١) التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية، تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد (ص٥)، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار الفيحاء، دمشق، ودار السلام، الرياض.

(٢) رواه حنبل في المحنة (ص٥٣). (٣) المصدر السابق (ص٥٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، بابٌ حدثنا موسى بن إسماعيل (ص٦٤٦) برقم (٣٣٧١).

ويعتقد أهل السنّة والجماعة أن كلام الله تعالى بحرف وصوت، فالقرآن الذي هو كلام الله تعالى مؤلَّف من الحروف العربية وهذا ظاهر وأدلته كثيرة، منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: «هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلّم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[١].

والدليل على أنه تعالى يتكلم بصوت قوله تعالى لرسوله موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء: ١٠]. والعرب لا تعرف النداء إلا صوتاً.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ [طه: ١٣].

فدلّ هذا على أنه سمع كلام الله تعالى، ولا يسمع إلا الصوت، وربنا تعالى قد خاطبنا باللسان العربي، الذي نفهمه، وليس فيه أنه يحصل من غير صوت[٢].

وقال ﷺ: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله؛ كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير»[٣]، فالضمير في قوله: «كأنه سلسلة» عائد إلى أقرب مذكور وهو: «لقوله» وهذا صريح أن قوله تعالى يكون بصوت، ويؤيد هذا ما أخرجه ابن جرير في تفسيره: «ولقوله صوت كصوت السلسلة على الصفا الصفوان، فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، (ص٣١٥) برقم (٨٠٦).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٩٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، (ص٩٣٨) برقم (٤٨٠٠).

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ١٠٩) بسند صحيح. ط١، ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وقد قال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل[١]: سألت أبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن قوم يقولون: لما كلَّم الله موسى لم يتكلم بصوت؟ فقال أبي: «بلى، إن ربك عَزَّوَجَلَّ تكلم بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت»[٢].

ويعتقد أهل السنّة والجماعة أن الله تعالى يتصف بالصفات الاختيارية كالكلام، والنداء، والرضا، والغضب، والحب، والبغض، والرحمة، والإتيان، والنزول وغير ذلك من صفاته العلى التي تقوم بمشيئته واختياره، ومعنى ذلك أنه تعالى لا يزال متكلماً إذا شاء، ولا يزال رحيماً إذا شاء وهكذا في جميع الصفات الاختيارية، فالصفة ثابتة له تعالى في الأزل، وهي متعلقة بمشيئته.

أما استدلالهم بقول القائل: في نفسي كلام أريد أن أقوله فيقال: اللفظ جاء مقيداً، ولذا كان التقييد قرينة دالة على إخراجه من إطلاقه، ونحن نقر أنه قد تراد المعاني أو الألفاظ بالقرائن، فلما قيّده هذا القائل بالنفس أخرجه من مطلق الكلام، فكيف يصح للصوفية الاحتجاج بما هو مجاز على قواعدهم في هذا الباب لأن المجاز عندهم ما تصرفه القرائن عن حقيقته.

وأما شعر الأخطل[٣]، فالجواب عنه:

١ ـ أن العلماء أنكروا كونه من شعر الأخطل، فقد: «قال أبو محمد

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، ولد سنة ٢١٣هـ، ولازم أباه حتى توفي، وسمع منه كل حديثه، وأراه كل تصانيفه، حتى صار أروى الناس عن أبيه. له زيادات على المسند والزهد لأبيه، وكتاب العلل، وكتاب السنَّة وغيرها. توفي سنة ٢٩٠هـ. انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٥/ ٧) ط١، ١٣٧١هـ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند؛ وتاريخ بغداد (٩/ ٣٧٥) ط دار الكتب العلمية؛ وطبقات الحنابلة (١/ ١٨٠) ط دار الفكر.

(٢) رواه عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب السنَّة (١/ ٢٠٨) برقم (٥٣٣)، تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني.

(٣) هو غياث بن غوث التغلبي (الأخطل)، شاعر نصراني، توفي سنة ٢٩٢هـ. انظر: الشعر والشعراء «طبقات الشعراء» لابن قتيبة (ص٢٤٢)، تحقيق: د. مفيد، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

الخشاب[١] نحويّ العراق: فتشت شعر الأخطل المدون كثيراً فما وجدت هذا البيت»[٢].

وعلى فرض صحته فإن القوم تركوا الاستدلال بنصوص الكتاب والسنّة واستدلوا بكلام الأخطل النصراني، وبنوا مذهبهم على بيت شعر دون تعويل على الأدلة الشرعية[٣].

٢ ـ وكذلك لم يثبت نقله عن قائله بإسناد، لا صحيح ولا ضعيف، وأيضاً لم يقبله أهل العربية، بل أورده بعضهم بلفظ:

إن البيان لفي الفؤاد... إلخ، وأجيب أيضاً بأن الأخطل مولد، لا يحتج بشعره عند أهل اللغة.

٣ ـ أنه نصراني مثلث كافر، وقد ضلّت النصارى في معنى كلام الله ومسماه فجعلوا عيسى نفس كلمة الله.

٤ ـ أكثر من يحتج من أهل البدع بهذا الشعر يخفي البيت الأول وهو قوله:

لا تعجبنك من أثير خطبةٌ حتى يكون مع الكلام أصيلا

وهو عند التحقيق حجة عليهم؛ لأن الشاعر حين ذكر الكلام في البيت الأول ذكره مطلقاً، ليشمل اللفظ والمعنى، إذ الذي يسمع من الخطيب ألفاظه، فأبان الشاعر عن حقيقة الكلام المؤثر، وهو الكلام المشتمل على المعاني الصادرة من القلب، لا مجرد الألفاظ التي تسمع من المتكلم، ولم يرد تعريف الكلام ووضع حد له بكونه المعاني المجردة[٤].

---

(١) هو الإمام أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله، البغدادي الخشاب، إمام النحو، حيث كان يضرب به المثل في العربية حتى قيل: إنه بلغ رتبة أبي علي الفارسي. مات سنة ٥٦٧هـ. انظر: السير (٢٠/٥٢٣ ـ ٥٢٧).

(٢) العلو للذهبي (ص١٩٤). (٣) المصدر السابق (ص١٩٤).

(٤) انظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية، لعبد الله بن يوسف الجديع: (ص٣٥٣).

واللغة إنما تستفاد من استعمال أهلها في كلامهم، لا تستفاد مما يذكر من الحدود والتعريفات بأن يقال: الرأس كذا... الكلام كذا، فهي مما علم ضرورة ولا تحتاج إلى تفسير شاعر[١].

ومما يدل على تناقض القوم واتباع أهوائهم أنه إذا: «احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في الصحيحين عن النبي ﷺ لقالوا: هذا خبر واحد ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح لا واحد ولا أكثر من واحد ولا تلقاه أهل العربية بالقبول، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلاً عن مسمى الكلام»[٢].

ومن بدعهم جعلهم التوراة والإنجيل قبل التحريف عين القرآن، وأن الجميع كلام واحد، واللغات إنما هي عبارة عن هذا الواحد وهذا فاسد من وجوه:

أن نفس قائله عجز عن تصور ماهيته، لعدم انضباط هذا القول، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأيضاً فالكلام القديم النفساني الذي أثبتموه لم تثبتوا ما هو؟ بل ولا تصورتموه وإثبات الشيء فرع تصوره، فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته، ولهذا كان أبو سعيد بن كلاب[٣] رأس هذه الطائفة وإمامها في هذه المسألة لا يذكر في بيانها شيء يعقل، بل يقول: هو معنى يناقض السكوت والخرس، والسكوت والخرس إنما يتصوران إذا تصور الكلام، فالساكت هو الساكت عن الكلام، والأخرس هو العاجز عنه أو الذي حصلت له آفة في محل النطق تمنعه عن الكلام، وحينئذ فلا يعرف الساكت والأخرس حتى يعرف الكلام، ولا يعرف الكلام حتى يعرف الساكت والأخرس، فتبين أنهم لم يتصوروا ما قالوه ولم يثبتوه»[٤].

---

(١) انظر: كتاب الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص١٣٢ ـ ١٣٤).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ١٣٨)
(٣) تقدم الكلام عنه وعن مذهبه باختصار (ص٣٨٣) من هذا البحث.
(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩٦).

ويعلم أن المتكلم بالألفاظ والمعاني أكمل ممن يقوم المعنى في نفسه، وهو لا يقدر على التعبير عنه، فهذا إن وجد في المخلوق الضعيف يعد نقصاً، فجبريل ـ على قولهم ـ أكمل من الله لأنه فهم المعنى وأمكنه التعبير عنه ـ تعالى الله عن قولهم هذا علواً كبيراً ـ.

ـ كون الأمر هو النهي، والنهي هو الخبر، مما لا يعقله عاقل، وهي على قولهم: معنى واحد، ولا يعقل عاقل عربي أن القرآن العربي لو ترجم إلى العبرانية كان توراة، والتوراة لو عربت كانت هي القرآن، وهي على قول القوم معنى واحد.

وعلى هذا يلزمهم أن تكون آية الدين هي آية الكرسي و﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١]. هي: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، والعلم هو القدرة، وسائر الصفات كذلك. وقال لهم جمهور العقلاء: إذا جوزتم أن تكون حقيقة الخبر هي حقيقة الأمر، وحقيقة النهي عن كل منهي عنه، والأمر بكل مأمور به، هو حقيقة الخبر عن كل مخبر عنه، فجوزوا أن تكون حقيقة العلم هي حقيقة القدرة، وحقيقة القدرة هي حقيقة الإرادة[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فاعترف حذاقهم بأن هذا لازم لهم لا محيد لهم عنه»[٢].

وقال في موضع آخر: «فاعترف أئمة هذا القول بأن هذا الإلزام ليس لهم عنه جواب عقلي»[٣].

فهذه مفاسد قولهم بالكلام النفسي، ويضاف لما سبق بأن قولهم هذا يلزم منه أن تكون: «حقيقة الذات هي حقيقة الصفات، وحقيقة الوجود الواجب هي حقيقة الوجوب الممكن، والتزم ذلك طائفة منهم فقالوا: الوجود واحد، وعين الوجود الواجب القديم الخالق هو عين الوجود الممكن المخلوق

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٥٢٢ ـ ٥٢٣، ٩/١٢، ٦/٥٢٢ ـ ٥٢٣، ٩/١٢). وانظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية (ص٣٦٨ ـ ٣٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٩/٢٨٣).

(٣) المصدر السابق (١٢/١٢٢).

المحدث، وهذا أصل قول القائلين بوحدة الوجود كابن عربي الطائي وابن سبعين وأتباعهما»[١].

ويقال لهؤلاء إنكم تقرون بأن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى وإن كنتم تختلفون في معنى السماع هل سمع موسى جميع الكلام أم بعضه؟ إن قلتم: إنه سمع جميع المعنى فقد قلتم الكفر؛ لأنكم ادعيتم إحاطة موسى بعلم الله تعالى وكلامه الذي لا نهاية له؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وإن قلتم: سمع بعضه، فقد نقضتم أصلكم؛ لأن الكلام عندكم لا يتبعض، وهذا مما ألزمهم به جمهور العقلاء[٢].

ويقال لهم أيضاً: أن المعنى المجرد لا يسمع باتفاق العقلاء، ومن قال بأنه يسمع فهو مكابر[٣].

والقرآن يدلّ على أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى، وكذلك سمع نداءه، والنداء لا يكون إلا صوتاً مسموعاً: «ولا يعقل في لغة العرب لفظ النداء بغير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجازاً»[٤].

ويقال أيضاً: أن الله تعالى فرّق بين مراتب التكليم لرسله فقال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

فإذا كان معنى واحداً فلا فرق بين تكليم الله لموسى وإيحائه لغيره، ولا بين التكليم من وراء حجاب والتكليم إيحاء؛ لأن إفهام المعنى المجرد يشترك فيه جميع الأنبياء عليهم السلام، ففي عدّ ذلك جميعاً معنى واحداً ردٌّ للقرآن[٥].

---

(١) المصدر السابق (٩/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

(٢) انظر مناظرة الإمام أبي نصر السجزي مع بعض الأشعرية: الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص١١٤)؛ ومجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٣)، (١٢/ ٤٩ ـ ٥٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٣٠).

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٠).

والحاصل أن كلام القوم متناقض، وشبههم سقيمة، لا تستطيع أن تقاوم الحق، الذي قال فيه ﷺ: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[١].

فمؤدى كلام هؤلاء الصوفية أن القرآن الذي بين أيدينا مخلوق، وأنه دالّ على كلام الله تعالى وليس هو كلام الله تعالى؛ لأن كلام الله ـ بزعمهم ـ معنى فقط، وبالتالي فإن المقروء على الألسن والمحفوظ في الصدور والمكتوب على الأوراق ليس بكلام الله تعالى عند هؤلاء الصوفية، بل إن الكلام عندهم قديم وإن الله تعالى لم يزل متكلماً أزلاً وأبداً، ولا يتعلق الكلام بمشيئة الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه، ونادى موسى بصوت نفسه كما ثبت بالكتاب والسنّة وإجماع السلف، وصوت العبد ليس هو صوت الربّ ولا مثل صوته؛ فإن الله ليس كمثله شيء: لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنّة من أن الله ينادي بصوت، وأن القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت ليس منه شيء كلاماً لغيره، لا جبريل ولا غيره، وأن العباد يقرؤونه بأصوات أنفسهم وأفعالهم، فالصوت المسموع من العبد صوت القارئ والكلام كلام الباريْ»[٢].

وقد جاءت نصوص كثيرة مبينة أن الله تعالى يتكلم بصوت وحرف فمنها قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٣ ـ ١٦٤].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٢٦)؛ وابن ماجه في سننه: في المقدمة، باب اتباع سنَّة الخلفاء الراشدين المهديين (ص٢٣) برقم (٤٣)؛ والدارمي (١/ ٤٤ ـ ٤٥)؛ والحاكم في مستدركه (١/ ٩٥ ـ ٩٦)؛ والبيهقي في سننه (١٠/ ١١٤)؛ وابن حبان في صحيحه (١/ ١٠٤). وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦١٠) برقم (٩٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥).

فقد فرّق الله تعالى بين إيحائه إلى النبيين وبين تكليمه لموسى، فمن قال: إن موسى لم يسمع صوتاً؛ بل ألهم معناه لم يفرق بين موسى وغيره، وقد قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]. فقد فرّق بين الإيحاء والتكلم من وراء حجاب كما كلّم الله موسى، فمن سوّى بين هذا وهذا كان ضالاً»[١].

وأما قولهم: إن كلام الله تعالى قديم ولا تعلق له بمشيئته تعالى فقد بيّن أئمة الإسلام الحق في هذه المسألة بما دلّت عليه نصوص الشرع: «وقد قال الإمام أحمد رضي الله عنه وغيره من الأئمة: لم يزل الله متكلماً إذا شاء. وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، يتكلم بشيء بعد شيء كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [طه: ١١]. فناداه حين أتاها ولم يناده قبل ذلك وقال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٢]. فهو سبحانه ناداهما حين أكلا منها ولم ينادهما قبل ذلك وكذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١١]. بعد أن خلق آدم وصوّره ولم يأمرهم قبل ذلك وكذا قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩]. فأخبر أنه قال له: كن فيكون بعد أن خلقه من تراب ومثل هذا الخبر في القرآن كثير يخبر أنه تكلم في وقت معين ونادى في وقت معين، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه لما خرج إلى الصفا قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]. وقال: «نبدأ بما بدأ الله به»[٢]. فأخبر

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٥٨٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ (ص٢٢٠) برقم (١٩٠٥)؛ والترمذي في سننه: كتاب الحج، باب ما جاء أنه يبدأ بالصفا قبل المروة (ص١٥٩) برقم (٨٦٢)؛ والنسائي في سننه: كتاب مناسك الحج، باب القول بعد ركعتي الطواف (ص٣١٤) برقم (٢٩٦١، ٢٩٦٩، ٢٩٧٤)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب المناسك، باب حجة رسول الله ﷺ (ص٣٣٣) برقم (٣٠٧٤)؛ والدارمي في سننه (٢/ ٤٥ ـ ٤٩) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الإرواء (٤/ ٣١٧).

أن الله بدأ بالصفا قبل المروة»[١].

وسبب قولهم بأن كلام الله قديم، ظنهم أنه قديم العين، فقالوا هو معنى واحد، الأمر بكل مأمور والنهي عن كل منهي، والخبر بكل مخبر، إن عبّر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبّر عنه بالعبرية كان توراة، وهذا القول مخالف للشرع والعقل.

وكذا لم يفرقوا بين نوع الكلام والفعل وبين عينه، فنوع الكلام قديم، وإن كان كل من آحاده حادثاً.

وهؤلاء الصوفية حقيقة مذهبهم في هذا الباب هو موافقة الجهمية والمعتزلة في أصل قولهم أنه تعالى متكلم بكلام لا يقوم بنفسه ومشيئته وقدرته، وأنه لا تقوم به الأمور الاختيارية وأنه لم يستو على عرشه بعد أن خلق السمٰوات والأرض، ولا يأتي يوم القيامة ولم يناد موسى حين ناداه ولا تغضبه المعاصي ولا ترضيه الطاعات ولا تفرحه توبة التائبين، فكان منتهى أمرهم إلى التعطيل[٢].

والخلاصة في هذه المسألة وفي غيرها من الصفات أن: «مذهب سلف الأمة وأئمتها أنه سبحانه لم يزل متكلماً إذا شاء، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن كلماته لا نهاية لها، وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى، وإنما ناداه حين أتى؛ لم يناده قبل ذلك، وأن صوت الربّ لا يماثل أصوات العباد، كما أن علمه لا يماثل علمهم، وقدرته لا تماثل قدرتهم، وأنه سبحانه بائن عن مخلوقاته بذاته وصفاته، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته وصفاته القائمة بذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، أن أقوال أهل التعطيل والاتحاد، الذين عطلوا الذات أو الصفات أو الكلام أو الأفعال باطلة، وأقوال أهل الحلول الذين يقولون بالحلول في الذات أو الصفات باطلة»[٣].

وكذلك فإن مذهب: «سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٩٤).

(٣) المصدر السابق (١٢/ ٥٩٨).

بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه، ليس ذلك مخلوقاً منفصلاً عنه، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، فكلامه قائم بذاته ليس مخلوقاً بائناً عنه، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، لم يقل أحد من سلف الأمة إن كلام الله مخلوق بائن عنه، ولا قال أحد منهم أن القرآن أو التوراة أو الإنجيل لازمة لذاته أزلاً وأبداً وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا قالوا إن نفس ندائه لموسى أو نفس الكلمة المعينة قديمة أزلية، بل قالوا: لم يزل الله متكلماً إذا شاء، فكلامه قديم بمعنى أنه لم يزل متكلماً إذا شاء وكلمات الله لا نهاية لها، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩]. والله سبحانه تكلم بالقرآن العربي وبالتوراة العبرية، فالقرآن العربي كلام الله كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨]. إلى قوله: ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، فقد بيّن سبحانه أن القرآن الذي يبدل منه آية مكان آية نزله روح القدس وهو جبريل»[١].

وهذا مذهب الإمام الشافعي ـ الذي يدعي القوم الانتساب لمذهبه ـ فقد نقل ذلك المنتمون لمذهبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ جاء في كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية: «قول إمام الشافعية في وقته بل هو الشافعي الثاني أبي حامد الاسفرائيني[٢] ـ رحمه الله تعالى ـ كان من كبار أئمة السنّة المثبتين للصفات قال: مذهبي ومذهب الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ وجميع علماء الأمصار أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، وأن جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سمعه من الله عَزَّ وَجَلَّ وحمله إلى محمد ﷺ، وسمعه النبي ﷺ من جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وسمعه

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧ ـ ٣٨).

(٢) هو أبو حامد أحمد بن أبي طاهر بن محمد بن أحمد الأسفراييني، الفقيه الشافعي، انتهت إليه الرياسة في بغداد، كان يحضر مجلسه ثلاثمائة فقيه. كانت ولادته سنة ٣٤٤هـ، وقدم بغداد سنة ٣٦٤هـ ودرّس الفقه بها من سنة ٣٧٠هـ إلى أن توفي بها سنة ٤٠٦هـ. انظر: تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٨)؛ ووفيات الأعيان (١/ ٧٢ ـ ٧٤).

الصحابة رضي الله عنهم من محمد ﷺ وأن كل حرف منه كالباء والتاء كلام الله عز وجل ليس بمخلوق ذكره في كتابه في أصول الفقه ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الأجوبة المصرية»[١].

«فلا يجوز أن يقال ليس في المصحف كلام الله ولا ما قرأ القارئ كلام الله، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾، ولم يقل: حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله والأصل الحقيقة، ومن قال: إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله أو حكاية كلام الله وليس فيها كلام الله، فقد خالف الكتاب والسنّة وسلف الأمة وكفى بذلك ضلالاً»[٢].

ويرد قول من قال: بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس قوله ﷺ: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس»[٣]. وقال ﷺ: «إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن ما أحدث: أن لا تكلموا في الصلاة»[٤].

واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامداً لغير مصلحتها بطلت صلاته، واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة وإنما يبطلها التكلم بذلك فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام، وأيضاً ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم»[٥]، فقد أخبر أن الله عفا

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (١/ ١٩٢) ت: عواد المعتق. وانظر مخالفة أبي حامد الإسفرائيني للأشعرية في مسألة القرآن: شرح العقيدة الأصفهانية (ص٣٦)، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ، دار الحديث، القاهرة.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٩٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (ص٢١٦) برقم (٥٣٧).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٧٧، ٤٣٥، ٤٦٣) أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب رد السلام في الصلاة (ص١١٨) برقم (٩٢٤)؛ وأخرجه النسائي في سننه: كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة (ص١٤٥) برقم (١٢٢٠). وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١/ ٣٨٤) برقم (١٨٩٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره (ص١٠٤٣) =

عن حديث النفس إلا أن تتكلم ففرّق بين حديث النفس وبين الكلام وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد حتى ينطق به اللسان باتفاق العلماء، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة؛ لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب، وأيضاً ففي السنن: أن معاذاً رضي الله عنه قال: يا رسول الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[1]، فبيّن أن الكلام إنما هو باللسان»[2].

❁ المطلب الخامس ❁

قول صوفية حضرموت في مسألة الرؤية

تمهيد:

السلف الصالح يقولون بما تواترت به النصوص بأن المؤمنين يرون ربهم في المحشر، وكذا في الجنة ـ من فوقهم ـ بأبصارهم كما يليق بجلال الله وعظمته.

هذا هو اعتقاد أهل السنّة والجماعة في إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة، وقد دلّت نصوص الكتاب والسنّة على ذلك منها: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. وقد عُدّي الفعل نظر بـ(إلى) فيكون معناه المعاينة بالأبصار وذلك كقوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩]. حيث أضيف النظر إلى الوجه الذي هو محل البصر، وقد فهم هذا المعنى علماء السلف رحمهم الله تعالى[3].

= برقم (٥٢٦٩) وبرقم (٢٥٢٨)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر (ص٧٦) برقم (١٢٧).

(١) جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (ص٤٢٥) برقم (٢٦١٦)؛ والنسائي في الكبرى برقم (١١٣٩٣)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (ص٤٢٧) برقم (٣٩٧٣). وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣/ ١١٥).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٩٨ ـ ١٩٩).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٠٩) ط٣ عالم الكتب.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥].

يقول الإمام ابن القيم عن هذه الآية: «ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته، واستماع كلامه، فلو لم يره المؤمنون، ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضاً محجوبين عنه، وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة، فذكر الطبري وغيره عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول في قوله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ قال: فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة. وقال الحاكم: حدثنا الأصم أنبانا الربيع بن سليمان قال حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾؟ فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى قال الربيع[(١)] فقلت: يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم وبه أدين الله ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله ﷻ.

ورواه الطبري في شرح السنّة[(٢)] . . . وسئل الشافعي عن الرؤية فقال: يقول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله ﷻ»[(٣)].

ووردت أحاديث كثيرة في السنّة تثبت رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة نورد منها حديثين:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم

---

(١) هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي المؤذن، المصري مولاهم، إمام محدث فقيه، ولد سنة ١٧٤هـ تقريبا، وصحب الإمام الشافعي، ونقل علمه وروى كتبه. توفي سنة ٢٧٠هـ. أخرج حديثه أصحاب السنن. انظر: الجرح والتعديل (٣/ ٤٦٤)؛ وتهذيب الكمال (١٢/ ٨٧ ـ ٨٩)؛ والسير (١٢/ ٥٨٧ ـ ٥٩١).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة، للالكائي الطبري (٣/ ٥١٩) برقم (٨١٠).

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح أو صفة الجنة، للإمام ابن القيم (ص٣٦٨ ـ ٣٦٩)، حققه وعلق عليه: علي الشربجي وقاسم النوري.

القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟» قلنا: لا. قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما» الحديث[١].

وعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟. قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»[٢].

النصوص الدالة على انحراف صوفية حضرموت في مسألة الرؤية:

أوَّل القوم كعادتهم صفة الرؤية بتأويلات غريبة، لا يقبلها العقل فضلاً عن النقل، جاء في كتاب المقصد النفيس: «وأن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة قبل دخول الجنة وبعده حق بأن ينكشف انكشافاً تاماً منزهاً عن المقابلة والجهة...»[٣].

وجاء في كتاب نيل المرام: «واعلم أن الله تعالى يرى لا في مكان ولا جهة ولا باتصال شعاع ولا ثبوت مسافة بين الرائين وبينه تعالى بل على الوجه الذي يليق بقدسيته وجلاله سبحانه»[٤].

وهذا القول ملفق حيث يقولون بالرؤية إلى غير جهة، وهذا ما عليه أغلب الأشاعرة المتأخرين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الذين قالوا إن الله يُرى بلا مقابلة هم الذين قالوا إن الله ليس فوق العالم، فلما كانوا مثبتين للرؤية نافين للعلو احتاجوا إلى الجمع بين هاتين المسألتين وهذا قول طائفة من الكلابية والأشعرية، وليس هو قولهم كلهم بل ولا قول أئمتهم»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ (ص١٤١٨) برقم (٧٤١٨)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (ص١٠٠) برقم (١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (ص٩٩) برقم (١٨١).

(٣) المقصد النفيس (ق١٠).

(٤) نيل المرام (ص٨٢).

(٥) منهاج السنَّة (٣/ ٣٤٢).

تقديم العقل على النقل عند صوفية حضرموت:

قدّمت صوفية حضرموت العقل على النقل في أعظم الأمور وهو توحيد الأسماء والصفات، وكثرت نصوصهم في ذلك منها ما جاء في كتاب الدر الثمين: لسالم باحطاب الحضرمي:

«س: ما منزلة علم المعقول من تلك العلوم الشرعية؟

ج: نعم هو مُحتَاج إليه في أدلة العقائد التوحيدية: إذ المعتبر في أدلتها إنما هو الدليل العقلي عند تعارضه مع الدليل النقلي، فعلم من ذلك أن من جمع جميع العلوم الدينية والأدبية والعقلية فقد جمع الشرف كله أجمع، ومن أدرك البعض منها فقط فقد أخذ من الشرف بقدر ما أدركه منها، فإن علم الكل وعمل به فهو حينئذ من ورثة الأنبياء في الدنيا والله ولي الهداية والتوفيق»[(١)].

وهذا الكلام هو مذهب الأشاعرة من تقديم العقل على النقل عند التعارض ـ بزعمهم ـ وهذا هو الذي قرره الرازي والجويني وغيرهما في أن الدلائل النقلية ظنية، وأن العقلية قطعية، والظن لا يعارض القطع[(٢)].

وبناء على هذا التقعيد عند القوم ردوا كثيراً من الصفات بحجة أن العقل لم يثبتها، وتمادوا في الباطل حتى ردوا كثيراً من أحاديث الرسول ﷺ بحجة أنها أخبار آحاد وهي ظنية، بينما أفكارهم ـ بزعمهم ـ وما تمليه عليهم عقولهم قطعية كما سيأتي.

موقف صوفية حضرموت من خبر الآحاد:

تمهيد:

مذهب السلف أن خبر الآحاد إذا صح عن رسول الله ﷺ، فهو حجة في باب الاعتقاد ويجب قبوله، قال الإمام ابن عبد البر القرطبي: «وأجمع أهل

---

(١) كتاب الدر الثمين في أصول الشريعة وفروع الدين، لسالم باحطاب الحضرمي (ص٧٦).

(٢) انظر: كتاب الإرشاد لأبي المعالي الجويني (ص٢٥ ـ ٣٧)؛ وأصول الدين، لفخر الدين الرازي (ص٢٤).

العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو أجماع على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع شرذمة لا تعد خلافاً»[١].

ويأتي في مقدمة هذه الأحاديث ما تلقته الأمة بالقبول؛ كالصحيحين وغالب ما يروى في باب الاعتقاد من هذا النوع. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ الله: «ولهذا كان الصحيح أن خبر الواحد قد يفيد العلم إذا احتفت به قرائن تفيد العلم»[٢].

ومن الأدلة على حجية خبر الآحاد أن رسول الله ﷺ كان يرسل الصحابي الواحد ليبلغ دين الله تعالى، فقد أرسل معاذاً إلى اليمن ليدعو أهلها إلى الإسلام[٣]، فالحجة قائمة بقبول خبره عن رسول الله ﷺ ولو لم يكن هذا حجة لأرسل جماعات وأفراداً بدلاً من أن يرسل واحداً فقط[٤].

وعدم الأخذ بخبر الواحد هو في الأصل بدعة المعتزلة، أتوا بها ليردوا ما يخالف أهواءهم من أحاديث رسول الله ﷺ والاقتصار على ما استحسنته عقولهم[٥].

وقد ردَّ صوفية حضرموت كثيراً من الصفات تبعاً للمتكلمين الذين لا يأخذون بخبر الآحاد في باب الأسماء والصفات؛ لأنه يفيد الظن بزعمهم.

وهكذا وصفوا - بجرأة - كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ بأنه ظني، وكلام البشر وأفكارهم المضطربة في أمور الغيب بأنها قطعية، ولو أنهم عكسوا القضية لأصابوا الحق ولسلكوا سواء السبيل، طريق العصمة لأنهما وحي من الله

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (١/ ٢). وانظر: كلام الإمام الشافعي في حجية خبر الواحد في كتابه «الرسالة» (ص٣٦٩ وما بعدها) برقم (٩٩٩) تحقيق وشرح الشيخ: أحمد محمد شاكر، ط المكتبة العلمية، بيروت.

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ٤٠).

(٣) وحديثه في الصحيحين وقد تقدم تخريجه (ص٣٢) من هذا البحث.

(٤) انظر: الرسالة، للإمام الشافعي (ص٤١٢).

(٥) انظر: الاعتصام، للشاطبي (١/ ٢٣٢).

تعالى لا يتطرق إليهما الخطأ أبداً، الأمر الذي يوجب التمسك بهما وترك ما سواهما من آراء البشر، قال جلّ في علاه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢].

وقد جاءت أدلة كثيرة في حجية خبر الآحاد في العقيدة والأحكام منها قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦].

ومن السنّة قوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»[1]. ووجه الاستشهاد من الحديث أنه ﷺ لم يفرق بين أنواع الحديث.

وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»[2].

النصوص الدالة على عدم أخذ صوفية حضرموت بخبر الآحاد:

جاء في كتاب موجز الكلام شرح منظومة العوام: «... فإن قيل: كيف هذا مع أن النبي ﷺ أخبر بأن جماعة من أهل الفترة في النار؟... فإن بعض

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٧٢) برقم (٣١٩)؛ والدارقطني في سننه (٤/ ٢٤٥) برقم (١٤٩)؛ والبيهقي في سننه (١٠/ ١١٤). انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٦١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٢٦)؛ وأبو داود في سننه: كتاب السنَّة، باب في لزوم السنَّة (ص٥٠٤) برقم (٤٦٠٧)؛ والترمذي في سننه: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنَّة واجتناب البدع (ص٤٣٣) برقم (٢٦٧٦)؛ بن ماجه في سننه: كتاب المقدمة، باب اتباع سنَّة الخلفاء الراشدين المهديين (ص٢٢) برقم (٤٢)؛ والحاكم في المستدرك (١/ ٩٥ ـ ٩٦) والبيهقي (١٠/ ١١٤)؛ وابن حبان في صحيحه (١/ ١٠٤)، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني. انظر: الإرواء (٨/ ١٠٧) برقم (٢٤٥٥).

الصحابة سأله ﷺ فقال: أين أبي؟ قال: «في النار»[١]. أجيب بأن أحاديثهم آحاد وهي لا تعارض القطعي، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]»[٢].

وجاء في كتاب موجز الكلام: تحت عنوان (حكم أبوي النبي ﷺ): «إذا علمت أن أهل الفترة ناجون على الراجح علمت أن أبويه ﷺ ناجون لكونهما من أهل الفترة بل جميع آبائه ﷺ وأمهاته ناجون ومحكوم بإيمانهم لم يدخلهم كفر ولا عيب ولا شيء مما كان عليه الجاهلية بأدلة نقلية كقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٩]. . . والأحاديث المروية في أبويه ﷺ متعارضة مروية آحاد فلا تعويل عليها في الاعتقادات وما يرد من شأن آزر يصرف إلى أنه لم يكن أباً لإبراهيم عليه السلام بل عمه، أما أبوه فتارح، لذا ينبغي اعتقاد أن آباءه ﷺ من لدن آدم عليه السلام كلهم مؤمنون. . .»[٣].

وهذا تحكم من القوم حيث يردون النصوص بأهوائهم من غير ذكر سلف لهم في هذه المسألة من الصحابة وأتباعهم بإحسان، وأنى لهم ذلك؟. ثم ما وجه استشهاده بالآية في هذا المكان؟.

ولذا فإن القول الصحيح أن «خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة وهو أحد قسمي المتواتر ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع»[٤].

ويرد عليهم بأن العلماء ساروا على هذا المنهج وهو أن الخبر: «الذي رواه الواحد من الصحابة والاثنان إذا تلقته الأمة بالقبول والتصديق أفاد العلم عند جماهير العلماء، ومن الناس من يسمى هذا المستفيض، والعلم هنا حصل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان أن مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين (ص١١٣) برقم (٢٠٣) ولفظه: عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله: أين أبي؟ قال: «في النار» فلما قفّى دعاه، فقال: «إن أبي وأباك في النار».

(٢) موجز الكلام شرح منظومة العوام (ص٣٥).

(٣) موجز الكلام شرح منظومة العوام (ص٣٧).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٩٩ _ ٤٠٠).

بإجماع العلماء على صحته فإن الإجماع لا يكون على خطأ، ولهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم صحته عند علماء الطوائف من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية، وإنما خالف في ذلك فريق من أهل الكلام»[(١)].

ومجازفة القوم في هذه الأمور بمجرد الهوى والعاطفة أمر محرم لا يجوز؛ لأنه من القول على الله تعالى بلا علم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقوله: إن أهل الفترة ناجون غير مسلم؛ لأن الصحيح في حكمهم أنهم يمتحنون يوم القيامة ودليله ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة كلهم يدلي على الله يوم القيامة بحجة وعذر: رجل هلك في الفترة، ورجل أدرك الإسلام هرماً، ورجل أصم أبكم، ورجل معتوه، فيبعث الله إليهم ملكاً رسولاً فيقول: أطيعوه فيأتيهم الرسول فيؤجج لهم ناراً فيقول: اقتحموها فمن اقتحمها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لا، حقت عليه كلمة العذاب»[(٢)].

وكذلك فقد جاء حديث صحيح في مصير أبي طالب عم النبي ﷺ فعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم! قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٧٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٤٤)؛ وابن حبان برقم (١٨٢٧). انظر: السلسلة الصحيحة (٣/ ٤١٨ ـ ٤١٩) برقم (١٤٣٤).

فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك». فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]. وأنزل الله تعالى في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]..

ففي هذه الأحاديث الصحيحة الحكم الفصل في أبوي النبي ﷺ وكذا عمه، وهذا الحكم لا يجوز أن يُعقَّب عليه من أي أحد من الخلق لأنه حكم صادر عمن قال الله فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]. ففي حديث أبي هريرة طلبه ﷺ من ربه الاستئذان للاستغفار لأمه فلم يؤذن له، وحديث المسيب يبيّن لنا أن المشركين هم الذين نهى الله تعالى أن يستغفر لهم بقوله: ﴿قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣]. فيتضح من ذلك أن النبي ﷺ نهي عن الاستغفار لأمه، ولو كانت مؤمنة لما نهي.

وأما زيارتها كما في الحديث: «فإنها تذكر بالآخرة»، بخلاف زيارة قبور المؤمنين فإنها مع أن الزائر يتذكر بها الآخرة، فإنها شرعت للدعاء والاستغفار لهؤلاء الأموات، كما كان يفعل ﷺ عندما يزور أهل بقيع الغرقد.

ولا يجوز لأحد أن يصادم النصوص بعضها ببعض لأن هذه طريقة أهل الزيغ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]. وقولهم بنجاة جميع آباء النبي ﷺ قول غير صحيح، يرده حديث المسيب السابق ذكره والذي فيه حرص النبي ﷺ على هداية عمه أبي طالب للإسلام حين حضرته الوفاة، بأن يقول لا إله إلا الله ويترك ملة آبائه، فقال أبو طالب: هو على ملة عبد المطلب، فدل على أن ملة عبد المطلب غير ملة الإسلام.

بل ودلّت النصوص على أن أبا طالب من أهل النار لأنه مات على ملة الكفر، فقد ثبت في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال:

«نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[(١)].

وأقوال العلماء كثيرة في هذه المسألة مقرَّرة لما ذُكر، قال النووي رحمه الله: «باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين. قوله: «أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار» فلما قفى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار». فيه أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين، وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم»[(٢)].

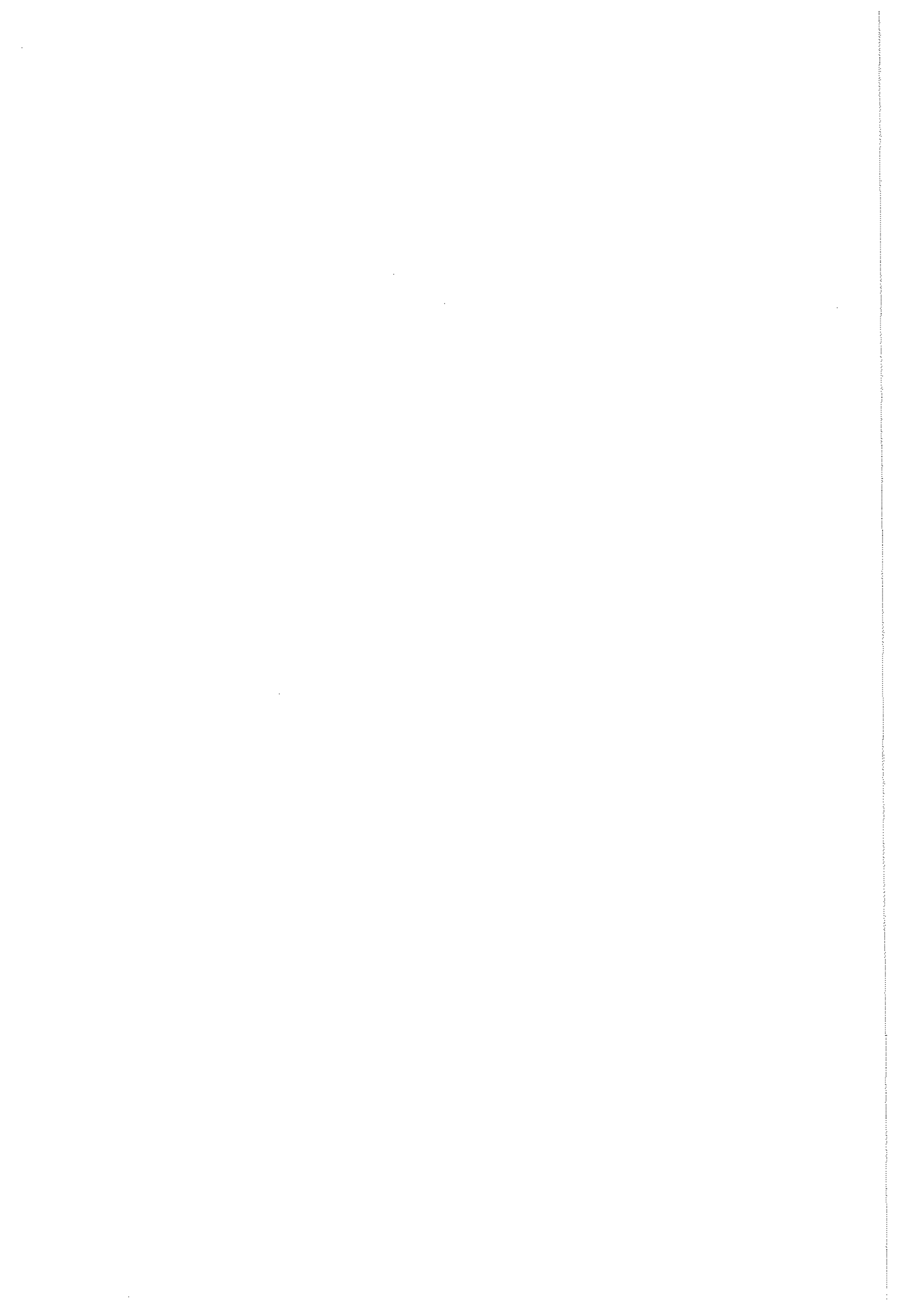
وأما قوله: وما يرد من شأن آزر يصرف إلى أنه لم يكن أباً لإبراهيم عليه السلام بل عمه، أما أبوه فتارح فهذا تحكم بلا دليل، فهلا ذكر دليله في ذلك ونقل كلام المفسرين، وأما الدعوى فما أسهلها، لكن العبرة بالبينة، والمفسرون على أن آزر هو أبو إبراهيم عليه السلام، وقد مات آزر على الشرك[(٣)].

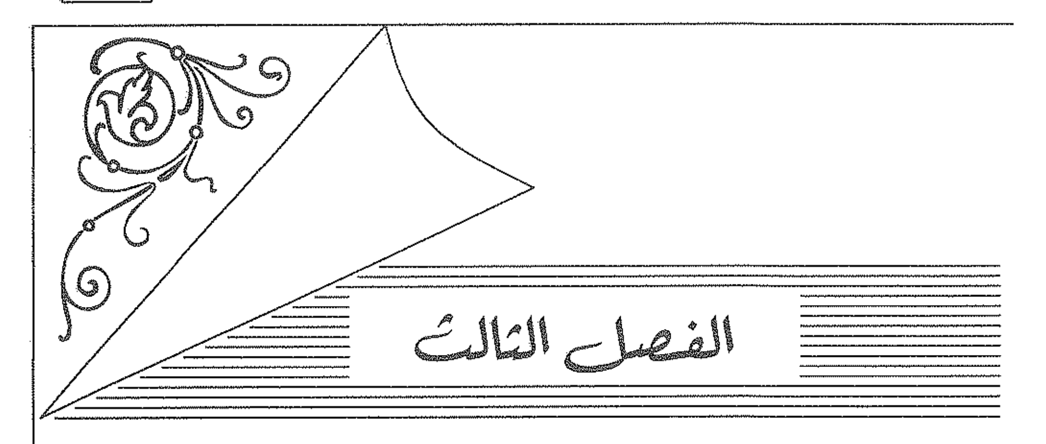
---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب (ص٧٣٦) برقم (٣٨٨٣)؛ وبرقم (٦٢٠٨، ٦٥٧٢)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ، لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (ص١١٤) برقم (٢٠٩).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٧٤) ط٥، دار المعرفة.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير (٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٢)؛ وتفسير ابن كثير (٢/ ١٦٨).





الفصل الثالث

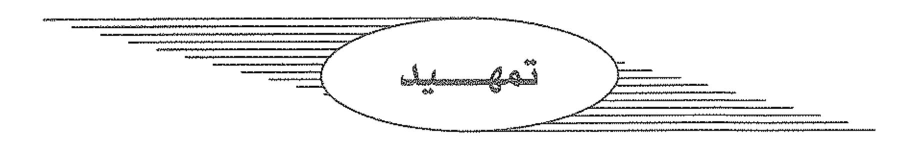
قولهم في توحيد الألوهية ومناقشتهم فيه

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريفهم لمعنى لا إله إلا الله.

المبحث الثاني: قولهم في الدعاء والشفاعة.

المبحث الثالث: قولهم في التوسل.



قبل البدء في الكلام عن مباحث هذا الفصل نبيِّن معنى توحيد الألوهية، والفرق بينه وبين توحيد الربوبية، وذلك لجهل الصوفية بهذا التوحيد والفرق بينه وبين توحيد الربوبية الأمر الذي أدى بهم إلى الوقوع في الشرك والمخالفات الشرعية ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ـ.

تعريف توحيد الألوهية لغة وشرعاً:

مرَّ معنا تعريف التوحيد لغة وشرعاً، ونُعرِّف ها هنا معنى توحيد الألوهية، والذي هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة التي يقرّ بها أهل السنّة والجماعة.

الألوهية لغة: مصدر أله يأله، قال الجوهري[1]: أله ـ بالفتح ـ إلاهة، أي عبد عبادة... ومنه قولنا: الله، وأصله: إله على فِعَال بمعنى مفعول أي معبود، كقولنا: إِمامٌ فِعَالٌ؛ لأنه مفعول أي مؤتم به[2].

واصطلاحاً: هي صفة لله تعالى لا يستحقها أحد غيره، قال ابن عباس رضي الله عنه. «الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين»[3].

---

(١) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، من كبار أئمة اللغة والأدب، يضرب به المثل في ضبط اللغة وجودة الخط، أشهر مؤلفاته الصحاح. توفي بنيسابور سنة ٣٩٣هـ وقيل غير ذلك. انظر: إنباه الرواة، للقفطي (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٣) تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند؛ ومعجم الأدباء «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، لياقوت الحموي (٢/ ٦٥٦ ـ ٦٦١) تحقيق: د. إحسان عباس، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ والسير (١٧/ ٨٠ ـ ٨٢).

(٢) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٢٣) مادة: (أله) تحقيق: أحمد عبد الغفور.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٥٤)، دار الفكر، بيروت، ط ١٤٠٨هـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «التوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له»[١].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «هو إفراد الله بالتأله»[٢] وقال أيضاً مبيناً أهمية هذا التوحيد: «فالتوحيد ملجأ الطالبين، ومفزع الهاربين ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين، وحقيقته إفراد الربِّ سبحانه بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع»[٣].

وهذا التوحيد حق خالص لله تعالى لا بد من تجريده لله جلّ وعلا: وتجريد التوحيد أن لا يعطى المخلوق شيئاً من حق الخالق وخصائصه[٤].

ويسمى هذا التوحيد بتوحيد العبادة، ويجب أفراد الله تبارك وتعالى بأجناس العبادة وأنواعها الظاهرة والباطنة، من غير إشراك به في شيء منها مع الاعتراف بكمال ألوهيته[٥].

الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية:

بيّن أهل العلم ـ رحمهم الله ـ أن التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات. وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الألوهية.

فالأول هو إثبات ذات الربّ وصفاته وأفعاله وأسمائه، فتوحيد الربوبية

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠١).

(٢) شفاء العليل لابن القيم (ص١٣٩)، ط ١٤٠٩هـ، دار الفكر، بيروت.

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: لابن القيم (ص٥٠٧)، تحقيق: مجدي السيد، دار الحديث، القاهرة. وانظر الأسماء التي أطلقها أهل العلم على هذا التوحيد: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٧٩)؛ ومدارج السالكين (١/ ٣٣)؛ وتوضيح المقاصد «شرح النونية» (٢/ ٢١٠)؛ وشرح الطحاوية (ص٨٨).

(٤) انظر: الروح لابن القيم (ص٣٥٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ.

(٥) انظر: قرة عيون الموحدين: لعبد الرحمن بن حسن (ص١١)، دار الصميعي، ط٤، ١٤٢٠هـ. وانظر: التوضيح والبيان لتوحيد الأنبياء والمرسلين، للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص١٤)، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٠هـ.

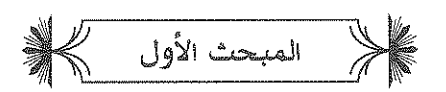
هو توحيد العبد ربه ﷻ بأفعاله الصادرة منه، كالخلق والرِّزق والإحياء والإماتة وإنزال المطر والنفع والضر وتدبير جميع الأمور إلى غير ذلك من أفعال الربّ ﷻ، وكانت جاهلية العرب مقرين ومعترفين أن الله هو الفاعل لهذه الأشياء، وأنه لا مشارك له في إيجاد شيء وإعدامه، وأن النفع والضر بيده، وأنه ربّ كل شيء ومليكه.

إذا عرف العبد توحيد الربوبية فلا ينفعه ذلك حتى يخلص العبادة لله ولا يشرك معه في عبادته أحداً، فمن دعا الله ودعا معه غيره فهو مشرك، فالدعاء والخوف والحب والرجاء والتوكل والإنابة والخشوع والخضوع والاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر والالتجاء وغير ذلك من أنواع العبادة التي اختص الله بها دون من سواه هي له ﷻ فمن صرف من هذه العبادة شيئاً لغير الله كان مشركاً سواء اعتقد التأثير ممن يدعوه ويرجوه أو لم يعتقد ذلك فيه. لذا وقع الجهال بتوحيد الألوهية في الشرك لعدم معرفتهم لمعنى لا إله إلا الله؛ لأنهم يزعمون أن من قال: لا إله إلا الله وأقر أن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، النافع الضار، المدبر لجميع الأمور لا يضره الشرك في العبادة ـ بزعمهم ـ؛ لأنهم لا يعتقدون أن لمن يدعونه ويستغيثون به ويلجأون إليه من الأنبياء والأولياء والصالحين تأثير مستقل في شيء منهم بإيجاد نفع أو ضر بل يعتقدون أن الله هو المنفرد بالإيجاد والإعدام والنفع والضر، وأنه لا مشارك له في ذلك[1].

وتوحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية وباب إليه، ولذا كانت قاعدة القرآن الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ ـ ٢٢]. لأن الربّ الكامل في ربوبيته هو المستحق للعبادة دون سواه ومن لا ربوبية له لا حق له في العبادة.

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، لسليمان بن سحمان النجدي (ص٢٠٦ ـ ٢٠٧)، دار العاصمة ط١، ١٤٠٩هـ.


المبحث الأول

تعريفهم لمعنى لا إله إلا الله



تمهيد

إن المعنى الشرعي لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) عند أهل السنّة والجماعة ما ذكره أهل العلم وهو: لا معبود بحق إلا الله(١).

ويشهد لهذا التعريف القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢].

فمعنى لا إله إلا الله يتضمن أن تكون العبادة لله تعالى فلا يشاركه فيها أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

شروط لا إله إلا الله:

وهذه الكلمة العظيمة لا بد لها من شروط حتى تنفع صاحبها، وقد ذكرها أهل العلم في مؤلفاتهم(٢) وهذه الشروط:

الشرط الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً، وما تستلزمه من عمل، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. .

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥].

الشرط الثالث: القبول المنافي للرد، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٥٢)؛ ومعارج القبول للشيخ حافظ حكمي (٢/٤١٦).
(٢) انظر هذه الشروط: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١٣ ـ ١٤)؛ ومعارج القبول لحافظ حكمي (٢/٤١٨ ـ ٤٢٤)؛ والتوجيهات الإسلامية لمحمد جميل زينو (١/٢٤٨ ـ ٢٥٠).

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥ ـ ٣٦].

الشرط الرابع: الانقياد والاستسلام: قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

الشرط الخامس: الصدق المنافي للكذب: قال ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرّمه الله على النار» الحديث[١].

الشرط السادس: الإخلاص المنافي للشرك: قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

الشرط السابع: المحبة لهذه الكلمة الطيبة المنافية للبغض: قال ﷺ. «ثلاث من كُنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[٢].

تعريف العبادة:

مرَّ معنا أن مادة أله يأله إلاهة تعني: عبد يعبد عبادة، ولجهل وانحراف صوفية حضرموت في معنى العبادة، نبيّن معنى العبادة من كلام أهل العلم المستند إلى نصوص الكتاب والسنّة.

جاء في لسان العرب. «أصل العبودية الخضوع والتذلل»[٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبادة في الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم (ص٥٠) برقم (١٢٨)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة (ص٤٧) برقم (٣٢).

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٩٧) من هذا البحث.

(٣) لسان العرب (٣/ ٢٧١)، مادة: (عبد).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٢٥)، ط دار التراث.

فمن خلال هذين النقلين لتعريف العبادة يتبيّن لنا أن العبادة تقوم على ركنين هما: كمال المحبة مع كمال الذل والخضوع.

يقول الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي عن أهمية هذه الأركان وضرورة توفرها في العبادة: «العبادة روحها وحقيقتها تحقيق الحب والخضوع لله، فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو أحدهما فليست عبادة، فإن حقيقتها الذل والانكسار لله، ولا يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها»(١).

ويعرِّف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ العبادة بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة(٢)، ويدخل هذا التعريف في المعنى الثاني للعبادة وهو المتعبد به(٣).

شروط قبول العبادة:

اعلم أن أي عبادة لا يقبلها الله تعالى حتى تستوفي شرطين ذكرهما أهل العلم باستقراء نصوص الكتاب والسنّة وهما:

١ ـ الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ.

٢ ـ المتابعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وذلك تحقيق الشهادتين ـ شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله ـ ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه، فعلينا أن نصدق خبره، ونطيع أمره»(٤).

---

(١) الحق الواضح المبين، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص٥٩ ـ ٦٠).
(٢) العبودية (ص٣٨).
(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٤ ـ ١٥).
(٤) العبودية (ص١٧).

الفرق بين العبادة وتوحيد العبادة:

العبادة هي ذات القربة أو فعلها، وأما توحيده فصرفها لله وحده لا شريك له[1].

ومما تقدم حول مسألة العبادة ومن خلال النصوص التي سنوردها عن صوفية حضرموت يتضح عدم معرفة صوفية حضرموت لمعنى العبادة التي خلقوا لأجلها ولم يعرفوا سوى توحيد الربوبية الذي عرفه مشركو قريش ولم يدخلهم في الإسلام حتى يقروا بعبادة الله تعالى ويعبدوه جلّ وعلا وحده، ويعلنوا البراءة مما عداه من الآلهة الباطلة، بل إن كبار صوفية حضرموت انحرفوا كذلك في توحيد الربوبية ـ كما تقدم ـ.

※ المطلب الأول ※

انحراف صوفية حضرموت في تعريف التوحيد وحكمه

انحرافهم في تعريف التوحيد:

تعريفهم التوحيد:

عرف أهل العلم هذا التوحيد بأنه: إفراد الله بالعبادة، وقيل هو: إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً، وعملاً، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان[2].

وعرّفه الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رحمه الله بتعريف جامع ذكر فيه حد هذا التعريف، وتفسيره وأركانه، فقال: «فأما حده وتفسيره وأركانه فهو: أن يعلم ويعترف على وجه العلم واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقات، ولا يستحقها إلا الله تعالى.

فإذا عرف ذلك واعترف به حقاً أفرده بالعبادة كلها؛ الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة: كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج،

(١) رسائل في العقيدة لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص١٦٦).

(٢) انظر: أعلام السنَّة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة، للشيخ حافظ حكمي (ص٤٠).

والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والقيام بحقوق الله، وحقوق خلقه.

ويقول بأصول الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره لله.

ولا يقصد غرضاً من الأغراض غير رضا ربه، وطلب ثوابه، متابعاً في ذلك رسول الله ﷺ.

فعقيدته ما دلّ عليه الكتاب والسنّة، وأعماله وأفعاله ما شرعه الله ورسوله، وأخلاقه وآدابه، والاقتداء بنبيه ﷺ في هديه وسمته وكل أحواله»[١].

وقد شرح الشيخ محمد خليل هراس[٢] أركان توحيد الألوهية التي ذكرها الإمام ابن القيم في نونيته وهي قوله:

فلواحد كن واحداً في واحد   أعني سبيل الحق والإيمان

فقال: «فإذا كان الإخلاص هو توحيد المراد بالعبادة وهو الله ﷻ بحيث لا يبقى في القلب مراد آخر يزاحمه، فالصدق هو توحيد الإرادة وهو بذل الجهد في طلب المراد والتفاني في خدمته سبحانه بلا كسل ولا فتور، وتوحيد الطريق وهو المتابعة للسنة القويمة بلا تزيد ولا ابتداع.

وهذا معنى قول المصنف (فلواحد كن واحداً في واحد) أي فلواحد

---

(١) الحق الواضح المبين (ص١١٢ ـ ١١٣)؛ والفتاوى السعدية (ص٩ ـ ١٠).

(٢) هو العلامة المحقق محمد خليل هراس، ولد بطنطا في مصر سنة ١٩١٦م، وتخرج من الأزهر في الأربعينات، وحاز على الشهادة العالية (الدكتوراة) في التوحيد والمنطق، وعين أستاذا بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ثم أعير إلى المملكة العربية السعودية، ودرس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ثم أعير مرة أخرى ليرأس شعبة العقيدة في قسم الدراسات العليا بالجامعة المذكورة. عاد إلى مصر وشغل منصب نائب رئيس جماعة أنصار السنَّة ثم صار الرئيس العام لها. من آثاره: كتاب ابن تيمية ونقده لمسالك المتكلمين في مسائل الإلهيات، وشرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وشرح القصيدة النونية لابن القيم وغيرها. توفي سنة ١٩٧٥م وقد بلغ الستين. انظر: مقدمة الشيخ علوي السقاف لشرح العقيدة الواسطية لهراس (ص٤١ ـ ٤٢)، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الهجرة، الرياض.

وهو الله ﷻ، وهذا هو توحيد المراد، «كن واحداً» في عزيمتك وصدقك وإرادتك وهذا هو توحيد الإرادة، في واحد وهو: متابعة الرسول الذي هو طريق الحق والإيمان. فمن اجتمعت له هذه الثلاثة نال كل كمال وسعادة وفلاح، ولا ينقص من كمال سعادته إلا بقدر نقصه من واحد منها»[(١)].

وقد اضطربت صوفية حضرموت في تعريف هذا التوحيد، فعرفه بعضهم بقوله. «فالتوحيد إفراد الوجهة، والإخلاص لتصفيته، فهو كهو، وهو هي، فافهم الإشارة»[(٢)].

ويقول أحمد بن عبد القادر باعشن في تعريف التوحيد: «وحقيقة التوحيد: تمييز الحق عن مخلوقاته وارتفاعه عن أرضه وسماواته، واشتماله على جميع كائناته لعزة كنه أسمائه وصفاته، وقدمها كقدم ذاته فهذا معنى توحيده وتفريده»[(٣)]، ومما يدل عدم معرفة القوم للتوحيد الذي بعثت به الرسل وأنزلت لأجله الكتب ما جاء في (تاريخ الشعراء الحضرميين): عند ذكر خطبة لطاهر بن حسين بن طاهر العلوي[(٤)] (ت١٢٤١هـ): حيث جاء فيها: «أما بعد: فاعلموا أيها الناس أن الأصل والأساس هو معرفة المعبود قبل العبادة، وذلك حقيقة معنى الشهادة فمن شهد لله بالقدم والوجود وأنه الخالق الرازق لكل موجود وأنه بدىء منه واليه يعود وأنه منعوت بنعوت الجلال والجمال منزه عن كل نقص أو ما ليس بكمال مباين لكل ما يسنح في خيال، وشهد أنه أرسل

---

(١) شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، شرحها وحققها: د. محمد خليل هراس (١/ ١٣٤)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

(٢) الفوز والبشرى، لشيخ العيدروس (ص٦٦ ـ ٦٧).

(٣) البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد على أنس الوحيد ونزهة المريد من كلام العارف بالله أبي مدين، لأحمد بن عبد القادر باعشن (ص١٦)، طبع بمصر، سنة ١٣٠٠هـ.

(٤) هو طاهر بن حسين بن طاهر العلوي ولد بتريم سنة ١١٨٤هـ، وهو من الشخصيات السياسية بحضرموت، وقد سعى للحكم وبايعه الناس وعمره ٣٦ عاماً. ولكن لم يتم له ما أراد، فاتجه للتدريس والتصوف. توفي في المسيلة سنة ١٢٤١هـ. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (٢/ ٥٨٧ ـ ٥٨٩).

سيدنا محمداً ﷺ بدين الإسلام إلى كافة الأنام فقد اتصف بخالص التوحيد وانتظم في الموحدين من العبيد»[١].

وهذا تعريف قاصر على توحيد الربوبية فقط، أما توحيد الألوهية الذي هو إفراد الله تعالى بالعبادة، فلا معرفة ولا اهتمام للقوم به.

وجاء في كتاب (إتحاف النبيل): عند شرح حديث جبريل المشهور: «قال «أن تؤمن بالله» فسّره بمتعلقاته؛ لأن لفظه معلوم لهم كما في الإسلام، أي بأن تصدق بأنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له وأنه قديم منفرد بخلق الذوات بصفاتها وأفعالها»[٢].

ويقول علوي بن طاهر الحداد في تعريفه للتوحيد: «أن الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله كما هو مقرر في كتب التوحيد»[٣].

ففي هذين النصين يتبين لنا موافقة صوفية حضرموت للمتكلمين[٤] في تعريفهم التوحيد، فقولهم: أن الله واحد في ذاته، فتعريفهم للواحد هو شيء لا يتصوره ولا يعقله الناس، فإنهم لا يعلمون وجوده حتى يعبروا عنه[٥].

بل يمكن أن يكون الأمر عليهم لا لهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إذا قال القائل: دلالة القرآن على نقيض مطلوبهم أظهر، كان قد قال الحق، فإن القرآن نزل بلغة العرب، وهم لا يعرفون الواحد في الأعيان إلا ما كان متصفًا بالصفات، مبايناً لغيره مشاراً إليه وما لم يكن مشاراً إليه أصلاً ولا مبايناً لغيره، ولا مداخلاً له فالعرب لا تسميه واحداً ولا أحداً بل ولا تعرفه فيكون الاسم الواحد والأحد دل على نقيض مطلوبهم منه لا على مطلوبهم»[٦].

---

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ١١٧) باختصار.

(٢) إتحاف النبيل ببعض معاني حديث جبريل (ص٤٦).

(٣) عقود الألماس (١/ ٤٩).

(٤) انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني (ص٩٠).

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ١١٤ ـ ١١٦).

(٦) درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ١١٤ ـ ١١٦).

ومن المعلوم أن هناك فرقاً في تعريف المتصوفة للتوحيد وتعريف المتكلمين.

وبما أن صوفية حضرموت قد جمعت بين التصوف والأشعرية، فإن الكلام عنهم يتضح بأنهم قد سلكوا في جانب العبادة مذهب المتصوفة فلم يعرفوا توحيد الألوهية الذي أرسلت به الرسل وأنزلت لأجله الكتب، لذا وقع بعضهم في الشرك الأكبر؛ من صرف العبادات لغير الله تعالى؛ لأنهم يرون أن من اعتقد أن الله الخالق الرازق فهو موحد وإن وقع في الشرك الكبر ـ كما سيأتي من نصوصهم، مع أن القرآن من أوله إلى آخره يدعو لهذا التوحيد.

وكان غاية المتصوفة الوصول إلى الفناء والترقي في المقامات دون التعويل على معرفة العبادة التي خلقوا لها، بل أدى بغلاتهم إلى القول بوحدة الوجود إذ هي الغاية التي يسعى إليها المريد.

كما إن التوحيد عندهم أي المتصوفة توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة.

والكلام على صوفية حضرموت من جهة كونهم تبعوا المتكلمين فإن لهم في التوحيد طرقاً أخرى، حيث رأوا أن أول واجب على المكلف هو النظر كما سيأتي، وتقدم سلوكهم مذهب الجهمية والمعتزلة ـ سلف الأشاعرة ـ في تأويل الصفات، وعند المقارنة بين أقسام التوحيد عند أهل السنّة وعند هؤلاء نجد أن توحيد الربوبية عند أهل السنّة يقابله توحيد الأفعال عند المتكلمين؛ لأن المعنى المراد منها واحد وهو إفراد الله تعالى بأفعاله المتعدية من الخلق والرزق والتدبير، ويزيد أهل السنّة، والانفراد بالملك والسيادة المطلقة، وهذه الزيادة في المعنى يدخلها أهل الكلام في الصفات ولا ينكرونها.

وتوحيد الأسماء والصفات عند أهل السنّة يقابله توحيد الذات والصفات عند أهل الكلام مع ما فيه من إجمال[١] ومخالفات سيأتي ذكرها ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) انظر: منهج أهل السنّة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، لخالد عبد اللطيف (١/ ١٧ ـ ١٨).

وأما توحيد الألوهية فإننا لا نجد ما يقابله عند أهل الكلام، فهم يفسرون الإله بمعنى الربّ، وعلى هذا فإنهم يفسرون توحيد الألوهية بتوحيد الأفعال(١).

ومما يدل على عدم معرفتهم لتوحيد الألوهية أيضاً ما قاله علي بن أبي بكر السكران: (فصل: قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾؛ أي: ليعرفون»(٢).

وهذا التفسير الخاطىء يلزم منه لوازم فاسدة منها: أن الشيطان والكفار والمشركون يعبدون الله لأنهم يعرفونه ﷻ، والحق أن هذه المعرفة لم تنفعهم، بل معنى الآية كما جاء في تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي لهم. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وأي إلا ليقروا بعبادتي طوعاً وكرهاً... وقال الربيع بن أنس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ أي: للعبادة»(٣).

ووقع من وقع منهم في الشرك بصرف أنواع من العبادات لغير الله تعالى لعدم معرفة توحيد الألوهية لذا يقال لهم: لو أنكم عرفتم الإسلام كما عرفه عباد الأصنام من العرب لامتنعتم من قول لا إله إلا الله، أو لقلتموها وامتنعتم من أن تتوجه قلوبكم بعبوديتها للموتى، وعرفتم أنها مانعة قاطعة أن يكون في قلوبكم لمخلوق حي أو ميت نصيب وشركة في الخوف والرجاء والمحبة، وأن تعتقدوا فيه أنه يقربكم إلى الله، أو يشفع لكم عنده، لكنكم تقولونها وتعملون خلاف معناها(٤).

وكابر القوم فقالوا: إن كفار قريش لم يعرفوا توحيد الربوبية، وقالوا:

---

(١) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنَّة والمتكلمين (ص١٢٣).

(٢) معارج الهداية، لعلي بن أبي بكر السكران (ص٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٤/ ٢٥٠)، دار الفيحاء، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ.

(٤) انظر: الشناعة على من رد أحاديث الشفاعة «رد على مصطفى محمود»، لعبد الكريم بن صالح الحميد (ص٦٤).

«معنى قوله تعالى. ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]. أن المشركين كانوا يعبدون الأصنام بصريح الآية، بل ذكر القرآن أنهم كفار في آخر الآية، فكيف يستدل بهذه الآية على أنهم موحدون توحيد الربوبية وغير موحدين توحيد ألوهية، ففي كلامهم تناقض حيث يقولون (موحد مشرك).

وأما معنى قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

أن كفار قريش عند المناقشة والمحاجة يقولون الله الخالق وهم غير مؤمنين، ولقد ذكر القرآن ذلك بقوله: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾، والإفك أشد من الكذب. «انظر تفسير القرطبي[(١)]»[(٢)].

واستدلوا لعدم معرفة المشركين لتوحيد الربوبية بأنه: «لو كان الكفار والمشركون يعترفون بأن الله هو الخالق لما جاء خطابهم في القرآن بقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠]، ولما نزل في العاص بن وائل قول الله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: ٧٨]. ولما قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ﴾ [الجاثية: ٢٤]. . بل جاء القرآن يحكي لنا عن فرعون أنه ينكر الربوبية والألوهية وهما في الحقيقة مترادفتان فقال فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾. [القصص: ٣٨] وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/ ٣٢٢). ويظهر كذب هذا الصوفي الذي نسب للقرطبي ما لم يقله، فقد قال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها ما نصه: (أي فإذا اعترفتم بأن الله خالق هذه الأشياء، فكيف تشكُّون في الرزق، فمن بيده تكوين الكائنات لا يعجز عن رزق العبد، ولهذا وصله بقول تعالى. ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي كيف يكفرون بتوحيدي وينقلبون عن عبادتي). هذا كلام الإمام القرطبي بنصه، فانظر الفرق بينه وبين كلام هذا الرجل، لتعرف أن القوم يوهمون الناس أنهم على حق، وأن لهم علماء قالوا بقولهم، وعند التحقيق، يتبين أنهم ليسوا على شيء.

(٢) انتبه دينك في خطر، لعلوي اليمني (ص٤ ـ ٥).

والميت عندما يوضع في قبره يسأل: من ربك؟ فلو كان موحد توحيد ربوبية فلماذا يسأل»[١].

ويجاب عن قولهم هذا بأن يقال: إن كلمة الربّ والإله إذا افترقتا اجتمعتا، وإذا اجتمعتا افترقتا، ولهذا يأتي الربّ بمعنى المعبود المتأله في اللغة واستعمال الشرع[٢] أما عند الاجتماع في اللفظ فإن كل كلمة تعود إلى معناها الخاص بها فيفترقان في المعنى[٣].

وردَّ الشيخ محمد بشير السهسواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤] على كلامهم أيضاً فقال: «ولا أظنك شاكاً في أن مفهوم الرب ومفهوم الإله متغايران، وإن كان مصداقهما في نفس الأمر وفي اعتقاد المسلمين المخلصين واحداً، فيمكن أن يعتقد أحد من الضالين توحيد الربّ ولا يعتقد توحيد الإله، ألا ترى أن مصداق الرازق ومالك السمع والأبصار، والمحيي والمميت... إلخ ومصداق الإله واحد؟.

ومع ذلك كان مشركو العرب يقرون بتوحيد الرازق ومالك السمع والأبصار وغيرهما، ومشركون في الألوهية والعبادة»[٥]. وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن قرر أن لفظ توحيد الربوبية ولفظ توحيد الألوهية كلاهما مركبان أضافيان، والمضاف في كليهما كلي، وهما معنيان مصدريان متنوعان من الربّ والإله وهما كليان: «وإذا تقرر هذا فنقول: يمكن أن يوجد في مادة توحيد الربوبية ولا يوجد في توحيد الألوهية، كمن يعتقد أن الربّ واحد ولا يعتقد أن الإله

---

(١) المصدر السابق (ص٥). وانظر: مصباح الأنام (ص١٧).
(٢) الصحاح، للجوهري (١/ ١٣٠)، مادة: (ربب)؛ لسان العرب (١/ ٤٠٠) مادة: (ربب)، ط دار صادر.
(٣) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنَّة والمتكلمين (ص٤٨٢).
(٤) هو الشيخ المحدث الفقيه محمد بن بشير بن محمد الفاروقي، ولد بسهسوان بالهند سنة ١٢٥٤هـ. من مؤلفاته: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، والقول المحكم، والقول المنصور وغيرها. توفي بدهلي سنة ١٣٢٣هـ. انظر ترجمته: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٧/ ١٣٥٢ ـ ١٣٥٣)؛ ومقدمة كتابه صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، للشيخ محمد رشيد رضا (ص١٤ ـ ٢٣).
(٥) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان لمحمد بشير السهسواني (ص٤٤٦ ـ ٤٤٧).

واحد بل يعبد آلهة كثيرة، ويمكن أن يوجد في مادة توحيد الألوهية ولا يوجد توحيد الربوبية كمن يعتقد أن المستحق للعبادة واحد ولا يعتقد وحدانية الربّ، بل يقول إن الأرباب كثيرة متفرقة، ويمكن أن يجتمعا في مادة واحدة كمن يعتقد أن الربّ والإله واحد، فثبت أن مفهوم توحيد الربوبية مغاير لمفهوم توحيد الألوهية.

نعم توحيد الربوبية من حيث إن الربّ مصداقه أنما هو الله تعالى لا غير يستلزم توحيد الألوهية من حيث أن لا إله مصداقه إنما هو الله تعالى لا غير لكن هاتين الحيثيتين زائدتان على نفس مفهومي التوحيدين ثابتتان بالبرهان العقلي والنقلي»[١].

وأما استدلالهم بقوله تعالى عن المشركين ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. بأنهم ينكرون الخالق فيجاب على ذلك من وجهين:

الأول: إذا كان المراد بإنكار الخالق إنكار وجوده، فهذا باطل لأن العرب كانت تحلف بالله تعالى، وتنذر له وتحج وتعظم بيته الحرام، فإذا كانوا ينكرون وجود الله تعالى، فإلى من يحجون وبيت من يعظمون، وإن كان مقصودهم إنكار وحدانية الخالق في الخلق فالآية لا تدل على ذلك؛ لأن فيها إنكارا عاما وليس فيها نسبة الخلق إلى الله تعالى مع غيره. وهؤلاء تناقضوا فتارة يذكرون أن المشركين ينكرون وجود الله، وتارة يقولون أنهم يثبتون وجوده ويشركون في ربوبيته، وهذا المشهور عنهم[٢].

وقد وضح أبو الثناء الألوسي رحمه الله معنى الآية بقوله: «وإسنادهم الإهلاك إلى الدهر إنكار منهم لملك الموت، وقبضه الأرواح بأمر الله عز وجل وكانوا يسندون الحوادث مطلقاً إليه؛ لجهلهم أنها مقدرة من عند الله، وأشعارهم لذلك مملوءة من شكوى الدهر وهؤلاء معترفون بوجود الله فهم غير الدهرية

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص٤٤٨ ـ ٤٤٩).
(٢) انظر: الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم، لعبد الله القصيمي (ص٢٩ وما بعدها).

فإنهم [أي الدهرية] مع إسنادهم الحوادث إلى الدهر لا يقولون بوجود الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، والكل يقول باستقلال الدهر بالتأثير»[١].

الثاني: أن يقال: هذا اعتقاد بعض الجاهلية، وليسو كلهم، بل هم قلة، والأكثر معترف بوجود الله وربوبيته[٢].

والحق الذي لا مرية فيه وأطبق عليه كل العلماء وهو صريح في القرآن أن مشركي العرب في زمن الرسول ﷺ كانوا يعتقدون أن الله خالقهم ورازقهم، فهم مقرون بتوحيد الربّ بأفعاله من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والتسخير ونحو ذلك من أفعال الربّ، فلم يكونوا يعتقدون مشاركة أحد في ذلك وهو الذي يسمى «توحيد الربوبية»، فهم مقرون بهذا التوحيد ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

والمشركون ليسوا مقرين بتوحيد الله بأفعالهم: كالدعاء والاستغاثة والرجاء والخوف والمحبة والنذر والذبح ونحو ذلك، مما سماه العلماء توحيد الألوهية أي توحيد العبادة، وقد نوّع الله جلّ وعلا في كتابه الدلائل في إقرار المشركين بتوحيد الربوبية وإشراكهم في الألوهية، بما إذا قرأه المسلم زاد تبصراً في حالهم، وفقهاً في عقيدته[٣].

تعريف العبادة عند صوفية حضرموت:

سلكت صوفية حضرموت طريق سلفها من المتصوفة، الذين لم يعرفوا توحيد العبادة، وجعلوا غايتهم معرفة الربّ تعالى وأنه الخالق الرازق المدبر... إلخ ولم يلتفتوا إلى ما يناقض التوحيد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن المشركين كانوا يقرون أن الله خالقهم ورازقهم، وهم يعبدون غيره. وكثير ممن يتكلم في الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة، وهي الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها

---

(١) روح المعاني، للألوسي (٢٥/١٥٣)، ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) الملل والنحل (٢/٥٨٢ ـ ٥٨٣).

(٣) انظر: هذه مفاهيمنا (ص١٠٧ ـ ١٠٨).

ومعرفتها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، بل وإبليس معترف بهذه الحقيقة وأهل النار. فمن وقف عند هذه الحقيقة وعند شهودها، ولم يقم بما أُمر به من الحقيقة الدينية، التي هي عبادته المتعلقة بألوهيته وطاعة أمره وأمر رسوله؛ كان من جنس إبليس وأهل النار.

وإن ظن مع ذلك أنه من خواص أولياء الله وأهل المعرفة كان من أشر أهل الكفر والإلحاد.

ولهذا كان عنوان التوحيد: لا إله إلا الله، بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده، أو يعبد معه إلهاً آخر»[1].

ومن نصوص مشايخ صوفية حضرموت في بيان معنى العبادة ما جاء في كتاب النيات لعلي السكران: «قال بعضهم رضي الله عنه: من جهل أوصاف العبودية فهو بنعت الربوبية أجهل، ويعنون بالعبودية صفات العبد من الرضا، بمقدور الله والأدب مع الله وترك السخط على الله تعالى والتسليم لجميع أحكام الله تعالى فلا يتبرم ولا يتضجر ولا ينازع القدر»[2].

وقد عرف صوفية حضرموت العبادة بقولهم: «ذكر العلماء المحققون أن العبادة شرعاً: الإتيان بأقصى غاية الخضوع مع اعتقاد ربوبية المخضوع له أو شيء من خصائصها، كاستقلال النفع والضر، وأما مع انتفاء هذا الاعتقاد فلا يكون المأتي به عبادة أصلاً ولو كان ذلك سجوداً فضلاً عمن دونه»[3].

واستدل القوم في تعريفهم العبادة بأمر الله تعالى للملائكة بأن يسجدوا لآدم فسجدوا له، وحكي أن نبي الله يعقوب وامرأته وأولاده أنهم سجدوا ليوسف، قال تعالى: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]. وكذا بسجود معاذ بن جبل رضي الله عنه للنبي ﷺ عندما صنع مثل ما يصنع أساقفة الشام بعظمائهم[4]، وهو السجود لهم، وبعد أن ساق زين العابدين العلوي الحضرمي أدلتهم قال: «فلو

---

(١) العبودية (ص٢٨ ـ ٣٠) باختصار. تحقيق علي الحلبي. ط٢ الأصالة.

(٢) كتاب النيات، لعلي بن أبي بكر السكران (ص٩٣).

(٣) الأجوبة الغالية (ص٤٢ ـ ٤٣).

(٤) المصدر السابق (ص٤٢ ـ ٤٣).

أن مجرد السجود لغير الله عبادة مطلقاً لما كان ذلك سائغاً في دين من الأديان؛ لأنه حينئذ كفر، وما هو كفر لا يختلف باختلاف الشرائع ولا يأمر الله به في حين من الأحيان، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]. فعلم أن السجود وغيره من أنواع الخضوع لا يكون عبادة شرعاً إلا باعتقاد ما تقدم، كسجود المشركين لآلهتهم ودعائهم إياها حيث اعتقدوا ذلك؛ أي أنهم كفروا بذلك لاعتقادهم فيما سجدوا له الاستقلال بالنفع والضر ونفوذ المشيئة لا محالة مع الله تعالى، وقد كانوا يعتبرون أن الله هو الربّ الأكبر ولمعبوداتهم ربوبية دون ربوبيته ولمقتضى ما لهم من الربوبية وجب لهم نفوذ المشيئة من الله تعالى، وأن شفاعتهم مقبولة لا ترد وليست متوقفة على إذنه تعالى، يدل على ذلك قوله تعالى منكراً ما اعتقدوه: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الملك: ٢٠]. وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ [الأنبياء: ٤٣]. وغير ذلك من الآيات[1].

ومما يدل على فساد تعريفهم للعبادة قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]. وقوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس: ٦٠]. وغيرها من الآيات التي تبيّن أن العبادة هي غاية الخضوع والذل مع الخوف وغاية المحبة والتعظيم لا تكون إلا لله تعالى، فمن صرف منها شيئاً لغير الله تعالى فهو مشرك كافر، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]، فلما كان الدعاء عبادة بيّن تعالى أن من صرفه لغير الله تعالى فهو كافر بنص الآية، ولو كان مقراً للربوبية كما يزعم. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]. وبهذا يتضح جهل صوفية حضرموت بتعريف العبادة وسبب ذلك جعلهم توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية لا غيره، وترد تعريفهم هذا وتبطله النصوص الشرعية، فمن ذلك ما

(١) الأجوبة الغالية (ص٤٢ ـ ٤٣).

ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «تعس عبد الدينار والدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض»[١].

فهذا الحديث يدلّ على أن الإنسان يمكن أن يعبد الدرهم والدينار ويكون له عبداً مع جزمنا أن من يحصل منه ذلك لا يعتقد الربوبية للدرهم والدينار.

ويرد تعريفهم أيضاً ما ثبت في الصحيح، أن أبا رجاء العطاردي[٢] قال: «كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناها عليه، ثم طفنا به...»[٣].

ولا يتصور أنهم يعبدون الحجارة لاعتقادهم أنها تخلق وترزق ونحو ذلك من صفات الربوبية، فدلالة النصوص ظاهرة في بطلان تعريفهم للعبودية[٤].

ومما يدلّ على بطلان تعريفهم للعبادة مخالفته للغة حيث لم يرد في لغة العرب تقييد العبادة وتخصيصها بمن يعتقد فيه الربوبية، والأصل بقاء اللفظ على مدلوله اللغوي حتى يثبت تغييره في الشرع ولا مغير له، فثبت بطلان حصر القوم للعبادة في الربوبية بل ورد ما يخالفه[٥].

ويجاب عن استدلالاتهم في تعريفهم للعبادة بما يلي:

أما استدلالهم بقصة سجود أبوي يوسف وإخوته، فهذا السجود كما قال أهل العلم ليس مشروعاً لنا، فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد، حتى قال

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (ص٥٥٥) برقم (٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هو عمران بن مِلحان، ويقال: ابن تيم، أبو رجاء العُطَاردي، مشهور بكنيته، مخضرم، ثقة، معمّر، مات سنة ١٠٥هـ، وله مائة وعشرون سنة. انظر: التقريب (ص٧٥٢) تحقيق: أبي الأشبال.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب وفد أبي حنيفة، وحديث ثمامة بن أُثال (ص٨٢٧) برقم (٤٣٧٦).

(٤) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنّة والمتكلمين (ص٤٨٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص٤٩١ ـ ٤٩٢).

النبي ﷺ: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها»[(١)][(٢)].

قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]. وقد كان هذا سائغاً عند الأمم الماضية؛ ولكنه نسخ في ملتنا قال معاذ: قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلمائهم فأنت يا رسول الله أحق أن يسجد لك فقال: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها». ورجحه الرازي وقال بعضهم: بل كانت السجدة لله وآدم قبلة فيها، كما قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ وفي هذا التنظير نظر، والأظهر أن القول الأول أولى[(٣)]..

انحرافهم في حكم التوحيد: (أول واجب على المكلف):

تمهيد:

مسألة أول واجب على المكلف مبنية على مسألة: هل معرفة الله فطرية أم نظرية؟، وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على ذلك وبيّن قول أهل السنّة والجماعة فقال: «والكتاب والسنّة دلّ على ما اتفقت عليه من كون الخلق مفطورين على دين الله الذي هو معرفة الله والإقرار به، بمعنى أن ذلك موجب فطرتهم وبمقتضاها يجب حصوله فيها إذا لم يحصل ما يعوقها فحصوله فيها لا يقف على وجود شرط بل على انتفاء مانع ولهذا لم يذكر النبي ﷺ لموجب الفطرة شرطاً، بل ذكر ما يمنع موجبها حيث قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء»[(٤)]، كما

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٣٥) من هذا البحث.

(٢) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/١٤٦)، ط الغرباء، تحقيق عبد الرحمن عجال.

(٣) تفسير ابن كثير (١/٧٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (ص٢٦٨) =

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ [الروم: ٣٠ ـ ٣٢]. فأخبر أن المشركين مفترقون»(١).

ولما قال أهل السنّة والجماعة بفطرية المعرفة صاروا إلى أن أول واجب على المكلف هو إفراد الله تعالى بالعبادة، ولما أنكر أهل الكلام فطرية المعرفة جعلوا أول واجب على المكلف المعرفة أو النظر الموصل إليها وتبعهم على ذلك صوفية حضرموت لعدم معرفتهم بالتوحيد الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب.

والشهادتان هما أول واجب على الإنسان عند أهل السنّة والجماعة، وهما متضمنتان لتوحيد الله وإفراده بالعبودية، ودلّت الأدلة الكثيرة على ذلك منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين قال: (أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» الحديث(٢).

وفي رواية: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل»(٣).

وفي رواية للبخاري: «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحّدوا الله»(٤).

وجاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ

= برقم (١٣٨٥) واللفظ له؛ ومسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (ص١٠٦٦) برقم (٢٦٥٨).

(١) درء التعارض (٨/ ٤٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء حيث كانوا (ص٢٩١) برقم (١٤٩٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (ص٤٢) برقم (١٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (ص٤٢) برقم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (ص١٤٠٥) برقم (٧٣٧٢).

قال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[١].

من خلال هذه الأحاديث يتبيّن أن دعوة الرسل وأتباع الرسل هي الدعوة إلى توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وتكون هذه الدعوة قبل كل واجب، فإن نطق بها العبد والتزمها وما دلّت عليه من معنى أُمر ببقية الواجبات.

كلام صوفية حضرموت في مسألة أول واجب على المكلف:

وقد أخطأت صوفية حضرموت تبعاً للمتكلمين في معرفة أول واجب على المكلف، يقول عبد الله بن حسين بلفقيه[٢] في بيانه أول واجب على الإنسان: «أول واجب على الإنسان فيجب أولاً شرعاً: النظر لمعرفة الله تعالى الواجبة لذاتها، ثم لغيرها الواجب بوجوبها، وقال جمع من المحققين: أول واجب القصد إلى ذلك النظر فمعرفة الله أول واجب ذاتي»[٣].

ويقول زين العابدين العلوي في أجوبته:

«س: ما هو أول واجب على الإنسان؟

ج: أول واجب على المكلف معرفة الله الذي أوجده من العدم إلى الوجود»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ (ص٢٨) برقم (٢٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (ص٤٣) برقم (٢٢).

(٢) هو عبد الله بن حسين بلفقيه، ولد بتريم سنة ١١٩٨هـ، وقرأ على شيوخها، ثم رحل إلى زبيد فأخذ عن عبد الرحمن بن سليمان الأهدل وغيره من مؤلفاته: تسهيل سلسلة الوصلة إلى سادات أهل القبلة، والدرة المفيدة (أرجوزة في التوحيد)؛ والمقصد النفيس شرح عقيدة الرئيس، وكفاية الراغب شرح هداية الطالب وغيرها. توفي سنة ١٢٦٦هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ١٨٩)؛ وعقد اليواقيت (١/ ١٣٠، ١٥٠).

(٣) كتاب المقصد النفيس (ق٣).

(٤) الأجوبة الغالية (ص٣)، دار الفقيه للنشر والتوزيع.

وقد انتقد أبو محمد بن حزم قول المتكلمين بإيجاب النظر فقال: «ومن البرهان الموضح لبطلان هذه المقالة الخبيثة أنه لا يشك أحد ممن يدري شيئاً من السير من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمانية[1] والدهرية[2] في أنه ﷺ مذ بُعث لم يزل يدعو الناس الجماء الغفير إلى الإيمان بالله تعالى وبما أتى به ويقاتل من أهل الأرض من يقاتله ممن عند، ويستحل سفك دمائهم وسبى نسائهم وأولادهم، وأخذ أموالهم متقرباً إلى الله تعالى بذلك، وأخذ الجزية وأصغاره، ويقبل ممن آمن به ويحرم ماله ودمه وأهله وولده ويحكم له بحكم الإسلام، وفيهم المرأة البدوية والراعي والراعية والغلام الصحراوي والوحشي والزنجي والمسبي والزنجية المجلوبة والرومي والرومية والأغثر[3] الجاهل والضعيف في فهمه فما منهم أحد ولا من غيرهم قال له عليه السلام: أني لا أقبل إسلامك ولا يصح لك دين حتى تستدل على صحة ما أدعوك إليه.

قال أبو محمد: لسنا نقول أنه لم يبلغنا أنه عليه السلام قال ذلك لأحد بل نقطع نحن وجميع أهل الأرض قطعاً كقطعنا على ما شهدناه أنه عليه السلام لم يقل قط هذا لأحد، ولا ردَّ إسلام أحد حتى يستدل، ثم جرى على هذه الطريقة جميع

---

(١) المانية أو المانوية: نسبة لزعيمهم ماني بن فاتك الحكيم، الذي جعل دينا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام، ولهم اعتقادات أخرى كالقولين بالأصلين النور والظلمة وأنهما غير متناهين إلا من الجهة التي لاقى منها الآخر، وأما من جهاته الخمس فغير متناه، وأنهما جرمان لهما في امتزاجهما أشياء شبيهة بالخرافات. انظر: الفصل في الملل والنحل (١/ ٣٧)؛ والملل والنحل (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٩).

(٢) الدهرية: نسبة إلى الدهر فهم قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها فقالوا فيما قال الله عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الجاثية: الآية ٢٤]. وهؤلاء فرقتان: فرقة قالت: إن الله ـ سبحانه ـ لما خلق الأفلاك متحركة أعظم حركة دارت عليه فأحرقته، ولم يقدر على ضبطها وإمساك حركتها، والفرقة الأخرى قالت: إن الأشياء ليس لها أول البتة، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل... إلخ ضلالهم ـ تعالى الله وتقدس عن قولهم علوا كبيرا ـ. انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٣٦٧) تحقيق: محمد عفيفي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، مكتبة الخاني، الرياض، والموسوعة الفلسفية، لعبد المنعم الحفني (ص١٨٣)، الطبعة الأولى، دار زيدون، ومكتبة مدبولي.

(٣) الأغثر: الغثراء والغُثر. سفلة الناس، الواحد أغثر، مثل أحمر وأسود.... ويقال للأحمق الجاهل: أغثر. لسان العرب (٥/ ٧).

الصحابة ﷺ أولهم عن آخرهم ولا يختلف أحد في هذا الأمر، ثم جميع أهل الأرض إلى يومنا هذا، ومن المحال الممتنع عند أهل الإسلام أن يكون ﷺ يغفل أن يبيّن للناس ما لا يصح لأحد الإسلام إلا به، ثم يتفق على إغفال ذلك أو تعمد عدم ذكره جميع أهل الإسلام ويبينه لهم هؤلاء الأشقياء، ومن ظن أنه وقع من الدين على ما لا يقع عليه رسول الله ﷺ فهو كافر بلا خلاف، فصح أن هذه المقالة خلاف للإجماع وخلاف لله تعالى ولرسوله ﷺ وجميع أهل الإسلام قاطبة»[(١)].

وقد اعترف كبار علماء المتكلمين بفطرية المعرفة وأن أول واجب على المكلف معرفة التوحيد ونفي الشرك يقول الشهرستاني[(٢)]: «فإن الفطر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم، عالم قدير: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: ٩]، وإن هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء فلا شك إنهم يلوذون إليه في حال الضراء. ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]. ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله» الحديث. ولهذا جعل محل النزاع بين الرسل وبين الخلق في التوحيد ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ [غافر: ١٢]. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥]. إلى أن قال: والرسل مبعوثون لتذكير وضع الفطرة وتطهيرها عن تسويل الشيطان فإنهم

---

(١) الفصل في الملل والنحل (٤/ ٣٥) ط مكتبة الخانجي، القاهرة. والإجماع منعقد على أن النبي ﷺ كان يدعو الكفار إلى الإسلام والشهادتين ولم يدعهم إلى النظر والاستدلال. انظر: رسالة الانتصار لأهل الحديث، لأبي المظفر السمعاني، ضمن صون المنطق (ص١٧٢).

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني الشافعي، أشعري العقيدة، ولد سنة ٤٧٦هـ. ومن تصانيفه: نهاية الإقدام في علم الكلام، ومصارعة الفلاسفة، والملل والنحل. توفي سنة ٥٤٨هـ. انظر في ترجمته: السير (٢٠/ ٢٨٦)؛ ولسان الميزان (٥/ ٢٦٣) ط ١٣٩٢هـ، حيدر آباد؛ وطبقات السبكي (٦/ ١٢٨)، ط ١٣٨٣هـ ـ ١٣٩٥هـ، مطبعة عيسى البابي؛ وشذرات الذهب (٤/ ١٤٩) ط٢، ١٣٩٩هـ، دار المسيرة.

الباقون على أصل الفطرة ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [سبأ: ٢١].. وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الأعلى: ٩ - ١٠]..»[١].

وكذلك خَطَّأ سماحةُ الشيخ عبد العزيز بن باز من يقول إن أول واجب على المكلف هو المعرفة أو النظر فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصواب ما ذكره المحققون من أهل العلم: أن أول واجب هو شهادة أن لا إله إلا الله علماً وعملاً، وهو أول شيء دعا إليه الرسل، وسيدهم وإمامهم نبينا محمد ﷺ أول شيء دعا إليه أن قال لقومه: قولوا لا إله إلا الله تعلموا[٢]. ولما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله[٣]. ولأن التوحيد شرط لصحة جميع العبادات، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]»[٤].

ومعرفة الله تعالى أمر فطر الله العباد عليها، لذا عرفه المشركون وغيرهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة، وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق النظار أن المعرفة تارة تحصل بالضرورة، وتارة بالنظر كما اعترف بذلك غير واحد من أئمة المتكلمين، وهذه الآية أيضاً تدل على أنه ليس النظر أول واجب بل أول ما أوجب الله على نبيه ﷺ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]. لم يقل: انظر واستدل حتى تعرف الخالق، وكذلك هو أول ما بلغ هذه السورة، فكان

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني (ص١٢٣ - ١٢٦) مصورة عن طبعة ليدن.

(٢) كذا في الأصل. ولعله: تفلحوا. والحديث أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٢/ ١٠٧) برقم (٢٠٣) ت: فهد الفهيد، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ٣٠٠)؛ وابن خزيمه في صحيحه (١/ ٨٢) برقم (١٥٩)، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ١٣٩٠هـ؛ والحاكم في المستدرك (١/ ٦١) برقم ٣٩، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ؛ والبيهقي في سننه (١/ ٧٦) ت: محمد عبد القادر عطا، الناشر: مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ط ١٤١٤هـ؛ وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٥١٨) برقم (٦٥٦٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته (دفاع عن الحديث النبوي): (ص٢٠).

(٣) الحديث متفق عليه وقد تقدم (ص٣٢) من هذا البحث.

(٤) فتح الباري (ص٩٧)، حاشية رقم (١) ط مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤١٨هـ.

المبلغون مخاطبين بهذه الآية قبل كل شيء ولم يؤمروا فيها بالنظر والاستدلال، وقد ذهب كثير من أهل الكلام إلى أن اعتراف النفس بالخالق وإثباتها له لا يحصل إلا بالنظر»[١].

❋ المطلب الثاني ❋

انحرافهم في تفسير كلمة التوحيد وحكمها

انحرافهم في تفسير كلمة التوحيد:

يعرِّف القوم كلمة التوحيد بتعريف مخالف لما عليه أهل السنّة والجماعة، حيث يقول محمد بن عبد الله بن شيخ العيدروس باعلوي: «اعلم أن القاعدة العظمى التي هي ركن الإسلام ودعامة الإيمان هي: كلمة لا إله إلا الله، إلا أنك أيها الأخ السالك ينبغي لك أن تكون بمعناها متحلياً وبحقيقتها متصفاً؛ لأن هذه كلمة عظيمة ولها التأثير العظيم إذا تُنبه لسرها؛ لأن لها حالتي عموم وخصوص، فحظ أهل العموم منها توحيد الرب تعالى عن المشاركة في ربوبيته. وأما أهل الخصوص العارفون بأسرار الأشياء فإنهم يجعلون لا إله إلا الله نصب أعينهم في أمورهم جملة فكراً وذكراً، ويعملون على معناها وحقيقتها؛ لأن العبد إذا وفق لفهم هذه الكلمة العظيمة حصل على توحيد خاص، وصارت له هذه الكلمة جُنة يتقي بها المخاوف والمكاره؛ لأن الإيمان إذا خالط بشاشة القلب لم يبق للعبد تطلع في سرائه وضرائه إلا إلى ربه تعالى، فيصح له منها مقام التوكل لأنه إذا اتضح له العلم بأن أمور هذا العالم منوطة بإذن الله تعالى وإمضائه؛ ألجأته الضرورة إلى التفويض إليه والتسليم لأمره تعالى، فيستريح العبد إذ ذاك من اضطراب الآراء وترديد الخواطر وتفويض أموره إليه ﷻ»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٣٢٨). وانظر: كلام شيخ الإسلام في أول واجب على المكلف. المصدر السابق (٢٠/٤٥٦).

(٢) إيضاح أسرار علوم المقربين (ص٣٤).

فهذا غاية معرفتهم لمعنى كلمة التوحيد، وهو توحيد الربوبية، وتقسيمهم الناس في معرفة هذه الكلمة إلى أهل عموم وأهل خصوص، وسبب ذلك عدم معرفة القوم معنى العبادة التي دلّت عليها النصوص إذ معناها عندهم: الإتيان بأقصى غاية الخضوع مع اعتقاد ربوبية المخضوع له أو شيء من خصائصها؛ كاستقلال النفع والضر، وأما مع انتفاء هذا الاعتقاد فلا يكون المأتي به عبادة أصلاً ولو كان ذلك سجوداً فضلاً عمن دونه»[١].

انحرافهم في حكمها: (منزلة النطق بها من الإيمان عندهم):

انحرفت صوفية حضرموت في معرفة المنزلة العظيمة لكلمة التوحيد، ومنزلة النطق بها في الإسلام، وقد كثرت نصوصهم في ذلك منها ما جاء في كتاب «إتحاف النبيل ببعض معاني حديث جبريل»، لطاهر بن حسين العلوي ما يدل على أن الاكتفاء بالشهادتين والتصديق بهما ولو ترك قائلها الأعمال أن ذلك لا يخل بلا إله الا الله حيث قال في كلام له: «أن يوجد النطق والتصديق ويقع الإخلال ببعض الأعمال أو كلها، فهذا ناج من الخلود في النار، إن شاء الله عذبه بتقصيره، وإن شاء غفر له»[٢].

وعن منزلة النطق بلا إله إلا الله في الإيمان عند القوم: «فالقول المرجوح فيه أنه شطر منه أي جزء منه وهو كلام محققين؛ كالإمام الأعظم أبي حنيفة وجماعة من الأشاعرة...)[٣].

يؤخذ من قولهم هذا: أن النطق بلا إله إلا الله ليس بركن في التوحيد والإيمان، مع أن معتقد أهل السنّة والجماعة قول وعمل واعتقاد؛ أي أن النطق ركن فيه ومن الإيمان لا ينفصل عنه، وهذا هو الصحيح لا كما يقول الأشاعرة أن هذا قول مرجوح.

والقوم مرجئة في باب الإيمان ومسائله لذا قد بيّن سالم باحطاب معتقد

---

(١) الأجوبة الغالية (ص٤٢).

(٢) إتحاف النبيل (ص٨).

(٣) الدر الثمين (ص٢٣).

الصوفية في مسألة الإيمان وأن المعتمد عندهم مذهب الأشاعرة في هذه المسألة أن الإيمان هو التصديق فقط وأن النطق شرط لإجراء الأحكام الدنيوية[١] . . . .

وهذا الكلام باطل لما ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أوّل منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»[٢].

وبيّن أهل العلم أن الإيمان حقيقة مركبة من قول وعمل؛ أي قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «وها هنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. . . فإن الإيمان ليس مجرد التصديق كما تقدم بيانه، وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد، وهكذا الهدى، ليس هو مجرد معرفة الحق وتبينه، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه، وإن سمي الأول هدى، فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء، كما أن اعتقاد التصديق وإن سمي تصديقاً فليس هو التصديق المستلزم للإيمان، فعليك مراجعة هذا الأصل ومراعاته»[٣].

وعرفوا الإيمان بأنه التصديق فقط مما أوقعهم في لوازم فاسدة سيأتي بيانها ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) المصدر السابق (ص٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (ص١٢٥٦) برقم (٦٥٧٠)؛ وأخرجه بلفظ قريب من هذا الحديث في كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (ص٤٥) برقم (٩٩).

(٣) الصلاة وحكم تاركها، للإمام ابن القيم (ص٧٠ ـ ٧١) ط دار ابن حزم. وانظر: الفوائد (ص١٠٧).

جاء في الدر الثمين: ما معنى الإيمان؟

ج: معناه مطلق التصديق سواء كان بما جاء به النبي ﷺ أو بغيره، وشرعاً التصديق بالقلب بجميع ما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه[١].

وبناء على تعريفهم للإيمان بأنه التصديق فقد جعلوا تارك النطق بالشهادتين للقادر آثم فقط طالما أنه ليس معانداً ولا مستكبراً: «وعليه فمن صدق بقلبه ما لم يقر بلسانه مع اتساع الوقت له لا لعذر منعه منه، ولا لإباء وعناد بل اتفق له ذلك، وكان بحيث لو طلب منه النطق بالشهادتين لم يمتنع منه عناداً واستكباراً فهو مؤمن عند الله ناج من الخلود في النار، غير مؤمن في الأحكام الدنيوية فعلم منه أن وجوب النطق بالشهادتين عليه حينئذ وجوب فقهي يوجب تركه الإثم لا الكفر»[٢].

وجاء في كتاب نيل المرام عن حكم من ترك النطق بالشهادتين وهو قادر عليها: «هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية لمن قدر على النطق، أما في الحكم الأخروي فهو مؤمن وامتناعه عن النطق بالشهادتين مع القدرة والعلم بالوجوب، كامتناعه عن الصلاة فهو غير مخلد في النار وقال القائلون: (القول) ركن إذ ليس كلمتا الشهادة إخباراً عن القلب بل إنشاء عقد آخر والتزام والأول أظهر، وهذا معنى اختلاف علماء التوحيد هل النطق بالشهادتين شطر أو شرط للإيمان؟ والله أعلم»[٣]. وقد أجاب الحافظ ولي الدين العراقي[٤] على من سأل عن حكم التلفظ بالشهادتين مع القدرة فقال رحمه الله: «من لم يتلفظ بكلمتي الشهادة مع القدرة على ذلك من غير عذر فهو كافر، وإن اعتقدهما بقلبه»[٥].

---

(١) الدر الثمين (ص٢٠).
(٢) المصدر السابق (ص٢٢).
(٣) نيل المرام (ص٦١).
(٤) هو ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين العراقي، أبو زرعة، الحافظ المشهور. ولد سنة ٧٦٢هـ. له تصانيف كثيرة منها الأجوبة المرضية. توفي سنة ٨٢٦هـ. انظر ترجمته في: الضوء اللامع (١/ ٣٣٦ ـ ٣٤٤)؛ والبدر الطالع (١/ ٧٣).
(٥) الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية، للحافظ أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين =

المطلب الثالث

موقف صوفية حضرموت مما يناقض لا إله إلا الله

لعدم معرفة الصوفية في حضرموت لمعنى لا إله إلا الله وما يناقضها أدى بهم ذلك للوقوع في ما يناقض لا إله إلا الله من الشرك والكفر، وتهوينهم لنواقض التوحيد وجعلها من المسائل الثانوية لا الرئيسة.

يقول أحمد باعشن في تعريفه للشرك: «الشرك هو الكفر بالله والجحود كشرك النصارى واليهود»[(١)].

ويعرِّفون الكفر بأنه: «إنكار وجود الله وعدم التصديق بما جاء به النبي ﷺ»[(٢)].

وعرَّفوا المرتد بقولهم: «هو الذي يكفر بعد الإيمان بأن ينكر معلوماً من الدين بالضرورة أو يأتي بشيء يتناقض مع الدين كالسجود لصنم وقد سبق شرح ذلك مفصلاً[(٣)]»[(٤)].

وهذا التعريف بناء على تعريفهم للإيمان وأنه التصديق الذي في القلب فيكون الكفر كذلك في القلب ولا دخل لقول الكفر أو فعله فإن هذا ليس كفراً عندهم حتى يعتقد الكفر، وأكد هذا زين العابدين العلوي بأنه لا يجوز تكفير من قال لا إله إلا الله وإن فعل الشرك مستدلاً بنهيه ﷺ أن يقول المسلم لأخيه المسلم يا كافر. فقال: «فإذا كان هذا في تكفير مسلم واحد، فما بال من يتجاسر على تكفير جمهور المسلمين ويحكم عليهم بالشرك بمجرد ما صدر

= العراقي ت٨٢٦هـ (ص٥٣)، دراسة وتحقيق: محمد تامر، الناشر: مكتب التوعية الإسلامية، الجيزة، مصر، ط١، ١٤١١هـ.

(١) البيان والمزيد (ص٢٥).

(٢) الدواء الشافي (ص١١٤).

(٣) ويسمون هذا بشرك الاعتقاد وهو أن يعتقد أن لله شريكاً في ملكه أو في خلقه، ومن هذا الشرك شرك الألوهية ويسمى شرك الخضوع والتذلل والذي لا يكون إلا لله وهو يشمل جميع أنواع العبادة من سجود وركوع وغير ذلك وهو الشرك الشائع قبل الإسلام لجميع المشركين. انظر: المصدر السابق (ص١٠٨).

(٤) المصدر السابق (ص١٢٠).

منهم من التوسل والتبرك بآثار الصالحين مع تحقق إيمانهم وامتلاء قلوبهم بتوحيد الله ربّ العالمين»[١].

وزعم عدم حصول الشرك في هذه الأمة حيث قال: «ويكفي في الرد من يزعم ذلك ويسلك في هذا المذهب الذي فيه المهالك، قول الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»[٢] روى مسلم والترمذي، فقد شهد ﷺ في هذا الحديث بأن المصلين من هذه الأمة لا يعبدون غير الله أبداً، ولا يشركون مع الله إلهاً آخر»[٣].

واستدلال الصوفية بهذا الحديث الصحيح ليس في محله، بل هو استدلال باطل، لا يوجد لهم سلف من علماء أهل السنّة والجماعة فهموا هذا الفهم السقيم، وقد ألّف العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين[٤] (ت١٢٨٢هـ) رسالة في الردِّ على بعض شبه المخالفين أسماها (دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث) ومنها حديث «إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون» الحديث، فبيّن رحمه الله أن الشرك وقع في جزيرة العرب عند مشاهد وقبور كثيرة؛ يمناً وحجازاً، وهذا أمر معلوم بالتواتر عند من شاهد ذلك، فقد ارتدّ أكثر العرب بعد وفاة النبي ﷺ فكثير منهم رجع إلى الكفر

---

(١) الأجوبة الغالية (ص٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعث سراياه (ص١١٣١) برقم (٢٨١٢)؛ والترمذي في سننه: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التباغض (ص٣٢٦) برقم (١٩٣٧).

(٣) الأجوبة الغالية (ص٤١).

(٤) هو العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين النجدي، عالم نجد ومفتيها في زمنه. ولد في روضة سدير بنجد سنة ١١٩٤هـ، تولى القضاء في كثير من المناطق، ولقب بمفتي الديار النجدية. له عدة مؤلفات في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها والرد على المخالفين منها: الانتصار لحزب الله الموحدين، والرد على قصيدة البردة، وتأسيس والتقديس في كشف تلبيسات داود بن جرجيس وغيرها. توفي سنة ١٢٨٢هـ. انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر (١/ ٤٦٥) ط٤ ١٤٠٣هـ، دار الملك عبد العزيز ـ الرياض؛ وعلماء نجد خلال ستة قرون، للبسام (٢/ ٥٦٧) الطبعة الأولى، مكتبة النهضة، مكة.

وعبادة الأوثان، ومنهم من صدق من ادعى النبوة كمسيلمة وغيره، ومن أطاع الشيطان في نوع من أنواع الكفر فقد عبده لا تختص عبادته بنوع من الشرك لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠]؛ أي: لا تطيعوه فعبادته طاعته[1]. فلا تكون ثَمَّ دلالة في الحديث على استحالة وجود الشرك في أرض جزيرة العرب، فمن استدل بهذا الحديث على استحالة وجود الشرك في أرض العرب يقال له: بيّن لنا الشرك الذي حرّمه الله وأخبر أنه لا يغفره، فإن فسره بالشرك في توحيد الربوبية، فنصوص القرآن تبطل قوله؛ لأنه سبحانه أخبر عن المشركين أنهم يقرون بتوحيد الربوبية كما في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: ٩].

وإن فسّر الشرك ببعض أنواع العبادة دون بعض، فهو مكابر ويخاف على مثله من أن يكون من الذين في قلوبهم زيغ، يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، مع أنه ليس في الحديث حجة لهم ولا شبهة، وإنما معنى الحديث: إنه يئس أن يجتمع كلهم على الكفر.

وقد بيّن أهل العلم أن المراد أنه يئس أن تجتمع الأمة كلها على الشرك الأكبر، وقال ابن عباس رضي الله عنهما. يعني يئسوا أن تراجعوا دينهم، وكذا قال عطاء والسدي ومقاتل ـ قال ـ وعلى هذا يرد الحديث الصحيح. «إن الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب».اهـ. فأشار إلى أن معنى الحديث موافق لمعنى الآية وأن معنى الحديث أنه يئس أن يرجع المسلمون عن دينهم إلى الكفر. قال غير واحد من المفسرين. أن المشركين كانوا يطمعون في عودة المسلمين فلما قوي الإسلام وانتشر يئسوا من رجوعهم عن الإسلام إلى الكفر، وهذا معنى إياس الشيطان لما رأى من ظهور الإسلام وانتشاره وتمكنه من القلوب ورسوخه، وعلى هذا فلا يدل الحديث. أن الشيطان يئس من وجود الشرك في جزيرة العرب أبد الآبدين، وأيضاً في الحديث نسبة اليأس إلى

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٢٩) تعليق: محمود شاكر، دار أحياء التراث العربي، ط١ ١٤٢١هـ، بيروت.

الشيطان مبنياً للفاعل لم يقل أيس بالبناء للمفعول، ولو قدر أنه يئس من عبادته في أرض العرب إياساً مستمراً فإنما ذلك ظن وتخمين لا عن علم؛ لأنه لا يعلم الغيب، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧]. فإنه يطلعه على من يشاء من الغيب[1].

كما أن القوم لا اهتمام لهم بمعرفة الشرك وخطره على المسلمين، يقول أبو بكر بن علي المشهور: «والتوحيد قائم بدعوة المصطفى صلى الله عليه وآله سلم منذ عصر بزوغه وظهوره، حيث لا يجدد التوحيد ولا يدعو إلى نقض شرك إلا نبي، والعلماء المجددون يخدمون ملة الإسلام، ويحيون ما اندثر من الحاجة للاجتهاد في المسائل المستجدة، ولا يكفرون ولا يبدعون ولا يسحبون بساط الإسلام عن أهله، ويعذرون الجاهل ويعلمونه، ويحملون زلة العالم على محامل حسنة وينصحونه وهذا هو الفرق في مفهومنا بين دعاة الإسلام وبين دعاة الإعلام»[2].

هكذا يزعم المشهور أن التوحيد لا يجدده إلا نبي وذهب يتكلم ـ كعادته ـ بكلام لا طائل تحته، ثم قرر أن المسلم لا يخرج من الإسلام وإن فعل الشرك الأكبر، وهذا من التهوين لأمر التوحيد، وعدم التحذير مما يناقضه، وإلا فمن المعلوم لكل مسلم أن المسلم قد يكفر بكلمة يقولها أو بفعل يفعله أو بغير ذلك من الأمور التي بيّنها أهل العلم في مصنفاتهم، كما أن الفقهاء ـ ومنهم علماء الشافعية التي تنتسب صوفية حضرموت إليهم ـ يعقدون باباً في حكم المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه بفعل ناقض من نواقض الإسلام.

ولم يعرف القوم أنواع الكفر التي تخرج فاعلها من الملة، فقد عدد أحمد بن أبي بكر بن سميط[3] أنواع الكفر بقوله: «أنواعه والعياذ بالله ستة:

---

(١) انظر: دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث لعبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين (ص٣٤ ـ ٣٩).

(٢) الأطروحة لأبي بكر بن علي المشهور (ص٤٣).

(٣) هو أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن سميط العلوي، من صوفية حضرموت، ولد سنة =

الأول: شرك استقلال وهو: إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس.

وشرك تبعيض كشرك نصارى نجران الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة...

النوع الثالث من أنواع الكفر: شرك تقريب وهو: عبادة غير الله لتقرّب إلى الله كشرك متقدمي الجاهلية قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

النوع الرابع: شرك تقليد وهو عبادة غير الله للفتى، كشرك الجاهلية قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

النوع الخامس: شرك الأسباب كشرك الفلاسفة والطبائعيين(١) ومن تبعهم على ذلك.

النوع السادس: شرك الأغراض وهو: العمل لغير الله تعالى، فحكم الأربعة الأولى الكفر بالإجماع، وحكم السادس المعصية من غير كفر بالإجماع وحكم الخامس التفصيل، فمن قال في الأسباب العادية تؤثر بطباعها كالنار في الإحراق والماء في الري والطعم والشبع والضرب في المضروب فهو كافر. ومن اعتقد أنها تؤثر بقوة أودعها الله تعالى فهو فاسق مبتدع(٢) كما حرر ذلك في عقائد السنوسي(٣) رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤).

= ١٢٧٧هـ. من مؤلفاته: منهل الوراد من فيض الإمداد «شرح أبيات عبد الله الحداد»، وتحفة اللبيب شرح لامية الحبيب، والكوكب الزاهر شرح نسيم حاجر. انظر: مقدمة كتابه الإبهاج؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٦٩).

(١) الطبائعيون: نسبة إلى الطبائع وهي فرقة يعبدون الطبائع الأربع الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة؛ لأنها ـ بزعمهم ـ أصل الوجود؛ إذ العالم مركب منها. انظر: الموسوعة الصوفية، للحفني (ص٢٧٨). وانظر: الملل والنحل (٢/ ٢٠١ ـ ٢٢٨)، ط ١٣٨٧هـ، تحقيق: كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

(٢) انظر الرد على هذا الكلام في مباحث القدر (ص٦٥٨ وما بعدها) من هذا البحث.

(٣) صاحب العقائد السنوسية هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، من علماء تلمسان، ولد سنة ٨٣٢هـ. له مؤلفات كثيرة منها: شرح صحيح البخاري، وعقيدة أهل التوحيد، وأم البراهين وغيرها. توفي سنة ٨٩٥هـ. انظر: الأعلام (٧/ ١٥٤) ط٧، ١٩٨٦هـ.

(٤) منهل الوراد لأحمد بن أبي بكر بن سميط (ص١٢٥ ـ ١٢٦) الطبعة المصرية، ١٣٩٣هـ.

وتقسيمهم هذا للكفر تقسيم قاصر؛ لأن الكفر الأكبر يكون بأمور عديدة فيكون بجحود الأمر المعلوم من الدين بالضرورة، ويكون بفعل الكفر وبقول الكفر وبالترك والإعراض عن دين الله ﷻ[١]. كما عرف القوم الشرك والمشركين فقالوا: «المشركون: جمع مشرك وهم من اعتقد أن مع الله إلهاً آخر. والشرك إسناد الأمر المختص بواحد إلى من ليس معه آخر»[٢].

وأما حكم العمل عند القوم وحكم تركه فقد أخرجوه من مسمى الإيمان تبعاً لتعريفهم للإيمان ولم يجعلوه جزء من الإيمان، جاء في كتاب الدر الثمين:

«س: ما حكم الشرع في العمل الصالح هل هو شرط كمال الإيمان أم شطر منه، أم لا ولا؟.

ج: المختار عند أهل السنّة[٣] أنه شرط كمال، ومن لم يأتِ به فهو مؤمن إلا أنه فوّت على نفسه الكمال وهذا إن لم يكن ذلك استحلال أو عناد للشارع أو شك في مشروعيته وإلا فهو كافر فيما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه[٤].

ويقول محمد بن سالم بن حفيظ[٥]: «ومن جمع القول والعقد دون

---

(١) انظر: أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (ص٧).

(٢) نيل المرام (ص٦٤).

(٣) يقصد بهم الأشاعرة، ونسبة أهل السنَّة للأشاعرة نسبة غير صحيحة، فالأشاعرة فرقة جانبت الصواب فلا تنطبق هذه النسبة عليها؛ لأن منهجهم مخالف لمذهب أهل الحديث والسنَّة من الصحابة والتابعين، وقد مر معنا موقف الأشاعرة من مسائل الصفات والإيمان وغيرهما، وستأتي بعض مخالفاتهم في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(٤) الدر الثمين (ص٢٩).

(٥) هو محمد بن سالم بن حفيظ، ولد بقرية مشطة ـ من ضواحي تريم ـ عام ١٣٣٢هـ، درس على يد عبد الله بن عمر الشاطري. رحل إلى الحرمين وأفريقيا والهند وباكستان. له عدة مؤلفات منها: دروس التوحيد، وتكملة زبدة الحديث في فقه المواريث، والفوائد الثمينة لقارىء المختصر والسفينة ـ في الفقه ـ وغيرها. فُقِد سنة ١٣٩٢هـ بعد أن دبرت مؤامرة خطف له من النظام الحاكم آنذاك. انظر: قبسات النور (ص١٣٨ ـ ١٤٤)؛ وهداية الأخيار (ص١٩٢ ـ ١٩٣).

العمل فهو مؤمن يدخل النار إن لم يعف الله عنه، ولا يخلد فيها، هذا هو الحق الذي عليه أهل السنّة والجماعة»[١].

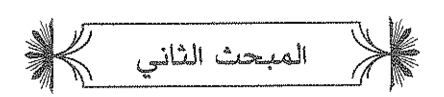
وجاء في كتاب (الإشارة الصوفية للأطوار الإنسانية والطهارة السُبعية السَبعية) لأحمد بن زين الحبشي: فويل للكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، والكفر هو الإعراض عن الآخرة بالإقبال على الحياة الدنيا بالكلية فتفسد أمزجتهم عن قبول الحق فعلى قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً...»[٢].

هذا هو مبلغ علم القوم في معرفة ما يناقض كلمة التوحيد؛ لذا تجدهم قد أكثروا في مؤلفاتهم من تقرير الشرك، وإعطاء أوليائهم صفات الربّ تعالى وبالتالي صرفوا العبادات لهم من دون الله تعالى من دعاء وخوف ورجاء واستغاثة ونذر وغيرها، ومع ذلك يدعون أن قلوبهم مليئة بتعظيم الله تعالى، ومحبة رسوله ﷺ وأنه لا يجوز إطلاق الشرك على من هذا حاله!. فسبحان من طبع على قلوبهم حتى وصلوا لهذه الغاية من الضلال.

---

(١) نيل المرام (ص٥٩).

(٢) الإشارة الصوفية للأطوار الإنسانية والطهارة السُبعية السَبعية لأحمد بن زين الحبشي (ص٥).



المبحث الثاني

قولهم في الدعاء والشفاعة



تمهيد: تعريف الدعاء لغة واصطلاحاً

الدعاء لغة: قال ابن فارس: دعو الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاءً[(١)]..

ومن معاني الدعاء الطلب والسؤال، قال الحافظ ابن العربي المالكي: الدعاء في اللغة والحقيقة هو الطلب[(٢)].

وأما معناه **اصطلاحاً** فهو: استدعاء العبد ربه ﷻ العناية واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية[(٣)].

والدعاء قسمان. دعاء ثناء وذكر، ودعاء مسألة، وكلاهما عبادة لا تصرف إلا لله تعالى.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «فتارة يكون الدعاء بالسؤال من الله ﷻ والابتهال إليه، كقول الداعي. اللهم اغفر لي اللهم ارحمني، وتارة يكون بالأسباب التي تقتضي حصول المطالب، وهو الاشتغال بطاعة الله وذكره، وما يجب من عبده أن يفعله، وهذا هو حقيقة الإيمان»[(٤)]. وقال

(١) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (٢/ ٢٧٩).
(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٨١٥) تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.
(٣) شأن الدعاء للخطابي (ص٤).
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن رجب (١/ ١٨)، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٧هـ.

الطيبي[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذ الدعاء هو. إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له»[(٢)].

ودعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه[(٣)].

❁ المطلب الأول ❁

انحراف صوفية حضرموت في الدعاء

معنى الدعاء عندهم:

بناء على عدم معرفة القوم لمعنى العبادة، وما هو توحيد العبادة، فإنهم ضلّوا في مفهوم الدعاء أحد أنواع العبادة التي يجب أن تصرف لله تعالى.

يقول زين العابدين العلوي في كلام له منتقداً أهل التوحيد في إنكار صرف العبادة لغير الله تعالى وأنه شرك: «اعلم أن شبهة هؤلاء الفرقة[(٤)] التي قد توصلوا بها إلى تكفير المسلمين قولهم: (كل عبادة لغير الله شرك) هذا وإن كان صحيحاً معلوماً لدى الخاص والعام، لكنهم قد ضلوا وأضلوا حيث يبنون على هذه القاعدة أموراً فاسدة ودعاوى كاذبة؛ كزعمهم كل نداء لميت أو غائب ونذر وذبح لنبي أو ولي وطواف وتمسح بقبر فهو عبادة لغير الله ومن يفعل شيئاً من ذلك فهو كافر مشرك بالله.

---

(١) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، عالم مشارك في علوم مختلفة. من تصانيفه: الكاشف عن حقائق السنن النبوية، وفتوح الغيب عن قناع الريب في التفسير. توفي سنة ٧٤٣هـ. انظر: معجم المؤلفين (١/ ٦٣٩).

(٢) الفتح (١١/ ٩٨)، دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠).

(٤) ويقصد بهم أهل السنَّة والجماعة، وتسميتهم بفرقة بقصد ذمهم هذا لا يغير من الحقيقة شيئاً، فأهل السنَّة مقتفون أثر النبي ﷺ ظاهراً وباطناً لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى قيام الساعة، ومن منهج هذه الطائفة المباركة أن الحكم بتكفير الشخص لا يكون إلا بتوفر الشروط وانتفاء الموانع، فمتى توفرت فيه الشروط وانتفت عنه الموانع فلا يترددون في تكفيره، فإن من كفر وجب تكفيره لا يتجاوز القرآن والحديث.

وهذا جهل منهم وخطأ صريح مخالف لما عليه أهل الحق والمذهب الصحيح، وذلك لعدم تفطنهم إلى ما اعتبره الشرع في معنى العبادة وحقيقتها، أعني الإتيان بأقصى غاية الخضوع مع اعتقاد ربوبية المخضوع له أو شيء من خصائصها مع الاستقلال بالنفع والضر...»[١].

وجاء في أجوبته أيضاً: «ما حكم نداء غير الله؟

ج: يجوز نداؤه سواء كان حيّاً أو ميّتاً ليتوجه إلى الله في شأنه وذلك باتفاق العلماء والأئمة الأعلام، ولم يقل أحد بكراهته فضلاً عن الشرك والحرام.. إلى أن قال: قال العلماء رحمهم الله: النداء لا يكون عبادة إلا إذا اعتقد المنادي أن المدعو مستقل بالنفع والضر، أو نافذ المشيئة مع الله لا محالة، فهذا شرك لاعتقاده فيه خصيصة من خصائص الربوبية، وأما إذا لم يعتقد ذلك فليس بعبادة قطعاً... فلو كان كل نداء عبادة لامتنع نداء الحي والميت لاستواهما في عدم التأثير بدون تقدير الله، وهذا لا يقوله أحد من المسلمين. ونقل ابن القيم رحمه الله في الكلم الطيب أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كان شعارهم في قتال أهل الردة يوم اليمامة (وا محمداه).

وكان ذلك بعد وفاته ﷺ في خلافة الصديق رضي الله عنه وثبت أن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما قالا: (إذا خدرت رجل أحدكم فليناد: يا محمد)[٢]. ذكره ابن القيم في الكلم الطيب[٣]، وروي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدرت رجله فقيل

---

(١) الأجوبة الغالية (ص٤٤).

(٢) أخرجه ابن السني (١٦٦)؛ وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «ضعيف». والحديث له علتان أحدهما. جهالة أحد رواته واسمه الهيثم بن حنش قاله الخطيب في الكفاية في علم الرواية (ص٨٨)؛ وفيه: عنعنة أبي إسحاق السبيعي وهو مدلس، وكان قد اختلط، وهذا الحديث من تخليطه. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٦٤) وابن السني (١٦٨) وفيه أيضا تدليس واختلاط أبي إسحاق السبيعي. انظر: الكلم الطيب بتحقيق العلامة الألباني رحمه الله (ص١٢٠).

(٣) الوابل الصيب (ص٢٠٤) وليس في الأثرين عن ابن عمر وابن عباس بلفظ «فليناد». وهذا يدل على عدم الأمانة العلمية في النقل، وكل ذلك من أجل نصر معتقد القوم الباطل ولو كان ذلك بالافتراء على أصحاب رسول الله ﷺ.

له اذكر أحب الناس إليك يزيل عنك فصاح. يا محمداه[١]، ذكره القاضي عياض في الشفاء»[٢].

واستدلال المؤلف بهذين الأثرين الضعيفين من حيث الرواية، يجاب عنه من حيث الدراية: أن غاية ما ذكر أن فيه ذكراً للمحبوب وليس فيه دعاء ولا طلب حاجة ولا أن يكون واسطة لإزالة خدر الرِجل، وإلا لكان لازماً أن من ذكر محبوبه فقد استغاث به وتوسل به في إزالة شدته وهذا من أبطل الباطل، فما قوله إذا ذكر الكافر حبيبه فزال خدر رجله أيكون قد استغاث به وقبل الله استغاثته؟.

وهذا الدواء التجريبي للخدر كان معروفا عند الجاهليين قبل الإسلام جرب فنفع، وليس فيه إلا ذكر المحبوب، وقالوا إن ذكره للمحبوب يجعل الحرارة الغريزية تتحرك في بدنه فيجري الدم في عروقه فتتحرك أعصاب الدم، فيذهب الخدر[٣].

فمن أشعار الجاهليين في ذلك:

صبٌّ محب إذا رجله خدرت ... نادي كبيشة حتى يذهب الخدر

وقال والآخر:

وأنتِ لعيني قرة حين نلتقي ... وذكرك يشفيني إذا خدرت رجلي[٤]

وقد جاءت رواية أخرجها البخاري في الأدب المفرد بسنده إلى عبد الرحمٰن بن سعد قال: خدرت رجل ابن عمر فقال له رجل. اذكر أحب الناس إليك؟ فقال: محمد[٥].

ففي هذه الرواية عدة أمور منها:

١ - قول ابن عمر محمد بدون حرف النداء وهذا كان عند العرب أن

---

(١) أخرجه ابن السني (١٦٥) قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «موضوع». وعلة الحديث: غياث بن إبراهيم: كذاب خبيث. ولفظه في تذكره محمداً مجرد من حرف النداء. وانظر: هذه مفاهيمنا، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ص٤٥).

(٢) الأجوبة الغالية (ص٦٨).

(٣) هذه مفاهيمنا (ص٤٦).

(٤) بلوغ الأرب (٢/ ٣٢٠ - ٣٢١).

(٥) الأدب المفرد، للإمام البخاري: برقم (٩٦٤).

يتذكر الحبيب ليكون أكثر استحضاراً في ذكر الخادر رجله، فتنطلق، وعدل ابن عمر عن الاستعمال الشائع إلى غيره لما في الشائع من المحذور.

٢ ـ تذكر ابن عمر للنبي ﷺ وأنه أحب الناس إليه حق، وقد دلّ على ذلك النصوص الكثيرة، بل أن محبته ﷺ يجب أن تكون أحب للعبد من نفسه التي بين جنبيه فضلاً عمن دونها.

٣ ـ أن هذا الأثر من طريق سفيان وهو من الحفاظ الأثبات، فنقله خبر أبي إسحاق بهذا اللفظ يدلّ على أنه المحفوظ، وسواه غلط مردود[(١)].

الدعاء كما هو معلوم من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، ولكن صوفية حضرموت صرفت هذه العبادة العظيمة لغير الله تعالى من المخلوقين، وأرادت تغيير الحقائق، وذلك بتسمية بعض عباداتها الشركية بغير اسمها لتروج على الناس، وعند النظر فيها يتبين أنها تدخل تحت نوع من أنواع العبادة التي هي حق خالص لله تعالى.

ومن تلك العبادات النداء وهو من جنس الدعاء وأنواعه وليس قسيماً للدعاء[(٢)].

وتشبيه دعاء المسألة بالنداء بين الناس في الدنيا غير صحيح؛ لأن دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ليس نداء عادياً بل معه من الذل والخضوع والرغبة في تحقيق مطلوبه ممن دعاه والخوف من عدم حصول مطلوبه شيء كثير، فلا يصح تشبيهه بالنداء العادي بين الناس، فإذا ثبت من دعاء المسألة ما يكون من العبادة فإن الشرك يقع فيه إذا صُرف لغير الله[(٣)].

وبناء على ضلالهم في معرفة العبادة ومسائلها فقد حصروا الشرك في الربوبية فقط، واشترطوا لتكفير من يقع في الشرك في الألوهية مصاحبة اعتقاد الشرك في الربوبية؛ وإلا فإنه لا يسمى شركاً عند القوم، فكل من جعل بينه

---

(١) هذه مفاهيمنا (ص٤٥).

(٢) تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس، لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص١٠٩).

(٣) حقيقة التوحيد بين أهل السنَّة والمتكلمين (ص٥٢٦ ـ ٥٢٧).

وبين الله واسطة لا يعتقد التأثير فيهم ليس بمشرك عندهم، يقولون هذا مع أن الله تعالى أخبر في كتابه أن هذا من أعمال المشركين.

قال تعالى مخبراً عن المشركين أنهم قالوا عن عبادتهم للأصنام: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]. فسماهم الله كذبة كفرة، مع قوله أنهم ما يفعلون تلك العبادة إلا لتقربهم إلى الله زلفى، ولا يعتقدون فيها التأثير، فما الفرق بين قول المشركين هذا وبين قول القوم؟!.

يقول الشيخ عبد الرحمٰن السعدي عند تفسير هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: يتولونهم بعبادتهم معتذرين عن أنفسهم وقائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾؛ أي: لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عنده. وإلا فنحن نعلم أنها لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئاً»[(١)].

النصوص الدالة على صرف صوفية حضرموت الدعاء لغير الله تعالى:

وبناء على اعتقادهم بأن الدعاء ليس عبادة إلا إذا اقترن به الشرك بالربوبية، فقد صرفوا هذه العبادة العظيمة لأوليائهم لاعتقادهم أنهم يجيبون من دعاهم.

جاء في ديوان الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم: نظم عبد الله بن علوي الحداد عند وصفه للولي قوله:

جمع الرياضة والكشوف ولم يزل ... يرقى إلى أن يستجيب إذا دعي[(٢)]

ويؤكد هذا المعنى تلميذه أحمد بن زين الحبشي شارحاً لبعض أبيات شيخه الحداد في إنزال أقطابهم منزلة الربّ جلّ وعلا، ومن ذلك اعتقادهم إجابة الأموات لدعاء الداعين: «ثم قال رضي الله عنه:

هذا وكم غيرهم من سادة ... ممن تصوف في الزمان الغابر

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: (ص٦٦٤).

(٢) ديوان الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم (ص١٢٧).

يعني بمثل هذه الأوصاف الجليلة كثير من أكابر السادات الماضين في الزمن الماضي من أهل التصوف والتصرف، ممن أقامه الله تعالى في مقام القرب منه والأنس به سبحانه وخصه واصطفاه بمعرفته والاستغراق بذكره، وأورثه جمعية الأحباب، وعلم الكتاب، وجميل الأخلاق، وحسن الآداب ممن إذا دعي أجاب لقربه من ربِّ الأرباب»(١).

كما غلا القوم في القبور وصرفوا لها خالص الدعاء وروّجوا لها الفضائل ليوقعوا غيرهم من الجهال في حبائل الشرك بالله تعالى: «قال: بعضهم رأيت حلل الحرير عند قبر الفقيه محمد بن علي وكثيراً ما يرى الأخيار نزول الرحمة عند قبره على زواره واستجابة الدعاء عند ضريحه الشريف مشهور، فكم من مريض ببركته قد برئ، وسقيم قد شفي، ولا يزوره زائره بصدق إلا ويرجع بنجح مطلوبه ويعود بفوز مرغوبه»(٢).

ويرى القوم استجابة الدعاء عند قبور أوليائهم فقد جاء في كتاب المسلك السوي في جمع فوائد مهمة من المشرع الروي عند ذكر ترتيب زيارة المقبورين في مقبرة الفريط: «ثم الشيخ أحمد بايحيى وأباه وعمه فالدعاء عند قبورهم مجرب سيما بولد فإنه مستجاب»(٣).

وجاء في كتاب نيل المرام عند ذكر وفاة عبد الله بن علوي الحداد: «وكان في آخر موته يقول. يا محمد يا أحمد»(٤).

هذه بعض النصوص الدالة على انحراف القوم في مسألة الدعاء، ذكرنا بعضها للاستشهاد وبيان جهل القوم بتوحيد الألوهية وأنواعه التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى.

---

(١) الروض الناظر، لأحمد بن زين الحبشي (ص١٥).
(٢) العقد النبوي (١/ ٢٨٤).
(٣) المسلك السوي في جمع فوائد مهمة من المشرع الروي، لأحمد بن زين الحبشي (ص٤٥)، مخطوط.
(٤) نيل المرام شرح عقيدة الإسلام (ص٧).

قول صوفية حضرموت في الاستغاثة:

تمهيد:

تعريف الاستغاثة لغة واصطلاحاً:

الاستغاثة لغة هي. طلب الغوث وهو التخليص من الشدة والنقمة، والعون على الفكاك والشدائد[١].

والمعنى اللغوي للاستغاثة هو نفس المعنى الاصطلاحي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستغاثة طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون»[٢].

أقسام الاستغاثة:

والاستغاثة قسمان. استغاثة مثبتة وهي الاستغاثة بالمخلوق الحي القادر. كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

والقسم الثاني: الاستغاثة المنفية. وهي نوعان أحدهما: الاستغاثة بالميت مطلقاً في كل شيء، والثاني: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق[٣].

العلاقة بين الاستغاثة والدعاء:

الدعاء أعم من الاستغاثة؛ لأن الاستغاثة دعاء بإزالة الشدة فقط، والدعاء عام لكونه لجلب منفعة، أو لدفع مضرة[٤].

منزلة الاستغاثة في التوحيد:

الاستغاثة من أنواع العبادة وهي دعاء خاص (طلب)، والطلب نوع من

---

(١) تاج العروس: للزبيدي (٥/ ٢١٤)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١٤١٤هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٠٣).

(٣) الرد على البكري (ص٢٤٦) وبهامشه الرد على الأخنائي دار أطلس، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٦١).

أنواع الدعاء كما مرَّ، والعبادة بجميع أنواعها لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، ولعدم معرفة صوفية حضرموت توحيد الألوهية وما اندرج تحت هذا التوحيد من أنواع العبادة التي هي حق الله تعالى على العباد، أدى بهم ذلك إلى صرفها لغير الله تعالى، وامتلأت كتبهم بذلك من منظوم ومنثور.

والاستغاثة بالله عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً عدم جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ: «ولو كان يجوز السؤال والاستغاثة به في كل ما يسأل الله ويستغاث به فيه كما قال هؤلاء المفترون إنه تجوز الاستغاثة به وبغيره من الصالحين في كل ما يستغاث الله فيه لم يحرم من مسألته إلا ما يحرم من مسألة الله تعالى، والعبد يجوز أن يسأل الله الرزق والعافية والنصر على الأعداء والهداية والنبي ﷺ لا يجوز أن يسأله أحد كل ما يقدر عليه فضلاً عن أن يسأله ما لا يقدر عليه، لما في ذلك من الأذى والعدوان عليه وهو أحق بالتعزير والتوقير من غيره فإذا كان يحرم أذى غيره بذلك فأذاه أولى بالتحريم بل أذاه كفر وأذى المؤمنين ذنب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧ ـ ٥٨]»[١]..

وضابط الاستغاثة الشركية هو أن يستغيث المخلوق بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا شرك أكبر يخرج صاحبه من الملة، وكل من صرف هذه العبادة لغير الله تعالى سواء لنبي أو ملك أو صنم أو غير ذلك فإنه مشرك كافر، يقول العلامة عبد الرحمٰن بن حسن[٢] في رده على داود بن

---

(١) الرد على البكري (١/٤٠٩).

(٢) هو العلامة المحقق عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي، ولد في الدرعية سنة ١١٩٣هـ، تعلم بنجد ثم بمصر عندما رحلوا إليها بعد سقوط الدرعية، ثم عاد إلى نجد وتولى القضاء في الرياض. من مؤلفاته: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وقرة عيون الموحدين. توفي في الرياض سنة ١٢٨٥هـ. انظر: عنوان المجد (١/٥٦)؛ والأعلام (٣/٣٠٤)، ط٦؛ وعلماء نجد خلال ستة قرون (١/٥٦) ط١، ١٣٩٨هـ، مكتبة النهضة.

جرجيس[(١)]: «وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝٢١﴾ [النحل: ٢٠ ـ ٢١]. وليس هذه في الأصنام كما يزعمه من لم يتدبر؛ لأن (الذين) لا يعبر به إلا عن العقلاء، ولأن الأصنام من الأخشاب والأحجار لا يحلها الموت، ولأنها لا تبعث يوم القيامة بعث الإنسان ليجزى بما كسبت يداه، ولا يعقل منها شعور بهذا البعث حتى ينفيه الله عنها، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ فهذه الآية فيمن يموت ويبعث، كما لا يخفى على من تدبرها، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾، وهذا إنما يستعمل فيمن يعقل كما لا يخفى على من له معرفة باللغة العربية، فالحمد لله على ظهور الحجة وبيان المحجة»[(٢)]. وقد جاءت الأدلة الصريحة التي تبين أن الاستغاثة من جنس الدعاء، وأنها عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى؛ لأن من صرف أي عبادة لغير الله تعالى يعتبر مشركاً؛ بل يجب لله تعالى وحده كالدعاء بأنواعه الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله: ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ۝٦٤﴾ [الأنعام: ٦٣ ـ ٦٤].

وقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ۝٥٤﴾ [النحل: ٥٣ ـ ٥٤]. وقال

---

(١) هو داود بن سليمان البغدادي النقشبندي الخالدي الشافعي، ابن جرجيس، ولد ببغداد سنة ١٢٣١هـ، ورحل إلى عدة بلدان، وأقام بمكة عشر سنوات، وصنف كتباً ضد الدعوة السلفية في نجد منها: أشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد، وصلح الإخوان، وغير ذلك. وقد كثرت الردود عليه من علماء نجد وبينوا ضلاله وجهله بالحق وأهله. توفي سنة ١٢٩٩هـ. انظر ترجمته: هداية العارفين (٥/٣٩٣)؛ والأعلام (٢/٣٣٢)؛ ومعجم المؤلفين (١/٦٩٨).

(٢) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت١٢٨٥هـ) (ص٨٠ ـ ٨١).

تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٦ ـ ١٠٧].

وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨]. وقوله: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢١ ـ ٢٢].

وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢]. وقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣ ـ ١٤].. وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾ [فاطر: ٤٠].

وقوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾ [الشورى: ٣١]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف: ١٩٧].. وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤]. وقوله: ﴿إِن يَدْعُونَ

مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ [النساء: ١١٧].

وقوله: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعًا وَلَا ضَرًّاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

وقوله: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥].

وقد جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩]. ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩]. فأمده الله بالملائكة»[(١)].

وفي رواية: «فما زال يدعو ويستغيث حتى سقط رداؤه»[(٢)].

يقول الإمام النووي رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث: «يهتف معناه يصيح ويستغيث بالله بالدعاء»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (ص٧٣١) برقم (١٧٦٣).

(٢) مسند أبي عوانة (٤/٢٢٠) وأصله في مسلم وقد تقدم الحديث.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي (١٢/٣٠٦) تحقيق: خليل مأمون شيحا.

وقال تعالى مبيناً استغاثة المشركين بالله جلّ وعلا عند الشدة: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

يقول الشيخ عبد الرحمٰن السعدي في تفسير هذه الآية: «ثم ألزم الله تعالى المشركين بإخلاصهم لله، في حال الشدة عند ركوب البحر وتلاطم أمواجه، وخوفهم الهلاك؛ يتركون إذاً أندادهم، ويخلصون الدعاء لله وحده لا شريك له. فلما زالت عنهم الشدة، ونجّاهم من أخلصوا له الدعاء إلى البر، أشركوا به من لا نجاهم من شدة ولا أزال عنهم مشقة.

فهلا أخلصوا لله الدعاء في حال الرخاء والشدة، واليسر والعسر؛ ليكونوا مؤمنين حقاً، مستحقين ثوابه، مندفعاً عنهم عقابه»[(١)].

ففي هذه النصوص بيان لأهمية الاستغاثة بالله تعالى إذ هي عبادة عظيمة عرفها المشركون فكانوا لا يستغيثون في الشدائد إلا بالله تعالى، ولا يشركون إلا في الرخاء.

ولتخبط صوفية حضرموت في توحيد الألوهية وجهلهم به، جعلهم لا يعرفون خطورة صرف العبادة لغير الله تعالى ومنها الاستغاثة، وكذلك لم يفرقوا بين المعاني الشرعية، فلم يفرقوا بين التوسل والاستغاثة كما سيأتي في كلامهم، فيجدر بنا أن نوضح الفرق بين التوسل والاستغاثة لتتضح هذه المعاني ويتميز بعضها عن بعض.

الفرق بين التوسل والاستغاثة:

هناك عدة فروق بين التوسل غير المشروع وبين الاستغاثة بغير الله تعالى، فلا يجوز أن ننزل أحكام التوسل غير المشروع على الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وكذلك العكس، ومن الفروق بينهما[(٢)]:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص٧٤٧) ط ابن الجوزي.

(٢) انظر: كتاب الاستغاثة في الرد على البكري (ص٢٥٦)، تحقيق: عبد الله السّهلي، والكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي، لمحمد فقيه (ص٢٦٠).

التوسل هو سؤال الله تعالى بالنبي ﷺ أو الولي، أما الاستغاثة فهي طلب الغوث من المستغاث به لا من غيره، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

وأيضاً فإن مادة التوسل لا تتعدى إلا بالحرف كقولك: توسلت بفلان إلى فلان، ومثله تشفعت به وتوجهت به، وتصير الباء على هذا بمعنى السببية.

وأما مادة الاستغاثة فإنها تتعدى بنفسها بالحرف وكلاهما واحد فنقول: استغاثه واستغاث به، وكلا المعنيين طلب الغوث من المستغاث به.

ولم يقل أحد قط أستغيث برسولك عندك، ولا هذا عند أحد، لا العرب ولا غيرهم، وهو ظن أن الباب في التوسل كالباب في الاستغاثة وليس كذلك، فإنه يقال: استغاثه واستغاث به، كما يقال: استعانه واستعان به، فالمستغاث هو المسؤول، وأما المتوسل به فهو الذي يتسبب إلى المسؤول.

مسألة: انحراف صوفية حضرموت في مسألة الاستغاثة:

أخرج صوفية حضرموت الشرك العملي من حقيقة الشرك، حيث لم يعتبروا الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شركاً، إلا إذا تضمن اعتقاد ربوبية من صُرفت له.

وكما تقدم في مبحث قولهم في معنى لا إله إلا الله من أن منشأ ربط الشرك عند القوم لا يكون إلا باعتقاد الربوبية لغير الله؛ لأن حقيقة التوحيد عندهم هو توحيد الربوبية، لذا اعتبروا من وقع في الشرك العملي الأكبر، والذي يخرج من الملة على هذا الأساس مسلماً، طالما وهو لا يعتقد التأثير لأحد غير الله فيهم ويرى المؤثر والفاعل حقيقة هو الله جلّ وعلا.

ونتيجة لحصر القوم الشرك في الربوبية فقط أصبح من الطبيعي عندهم أن تكون الاستغاثة بالأنبياء والصالحين والملائكة جائزة بل اعتبروها من المحبة والإكرام.

ومن الأسباب التي أوقعت صوفية حضرموت في الاستغاثة الشركية هو اعتقاد تصرف أوليائهم أمواتاً وأحياء في الكون، لذا هرعوا إليهم في قضاء الحاجات، وتفريج الكربات؛ لاعتقادهم أن الاستغاثة بهم إنما هي استمجادهم في الإعانة في أمر من الأمور؛ لأن الله أعطاهم تصرفاً وجعل لهم تأييداً منه.
لذا قال علي بن أبي بكر السكران:

ألا يا أولي التصريف يا منقذي إذا ... ترادف عند الموت كربي وشدتي
ودكدكت الأهوال حولي وقوتي ... ولم يك إلا عفو ربي وثيقتي
فمدوا رجائي منكم بمعونة ... وأنس ولطف عند يأسي وغيبتي[(١)]

يقول علوي الحداد منتقداً دعوة التوحيد لأنها بزعمه أثرت على العوام حتى جعلتهم يعتقدون أن الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك: «وينبغي اليوم في هذا الوقت من الحوادث التي حدثت في الثلم في الدين باعتقاد العامة قول البدعي[(٢)] أن الاستغاثة شرك، فالعالم والمقتدى به ينبغي أن يظهر الاستغاثة ليُقتدى به»[(٣)].

هكذا بلغت الجرأة بالحداد بتسويغ الشرك، بل ويعتبر ذلك ـ بزعمه ـ توحيداً، وسبب ذلك عدم معرفتهم التوحيد الذي بعثت به الرسل، وأنزلت لأجله الكتب؛ فلا يعرفون إلا توحيد الربوبية فقط، وزعموا أن من عرف توحيد الربوبية عندهم فلا يضره الشرك في الألوهية، ويؤكد ذلك دعوة علوي الحداد العلماء أن يشركوا بالله ليردوا الناس إلى الدين بزعمه!.

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أسباب انحراف من ضل في توحيد الألوهية بأنواعه ومنها الاستغاثة بغير الله وصرفها للأنبياء والأولياء والصالحين، وأن أعظم هذه الأسباب الغلو وكذا الاعتماد على ما لا يصح من الأحاديث في تجويز الأمور الشركية فقال: «فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، حتى أمر النبي ﷺ بقتالهم، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام، أو السنّة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام والسنّة حتى يدعي السنّة من ليس من أهلها، بل قد مرق منها وذلك بأسباب منها: الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ

---

(١) ديوان علي بن أبي بكر السكران (ق٣٥).
(٢) ويقصد بالبدعي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهكذا يلمز الحداد الإمام محمد بن عبد الوهاب بهذا اللقب في رسالته التي سودها بالكذب والافتراء على الحق وأهله، وينطبق على الحداد المثل القائل: «رمتني بدائها وانسلت».
(٣) كتاب مصباح الأنام (ص٦٠).

عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١] وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧]. وقال النبي ﷺ: «إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[(١)] وهو حديث صحيح، ومنها التفرق والاختلاف الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز ومنها أحاديث تروى عن النبي ﷺ وهي كذب عليه باتفاق أهل المعرفة يسمعها الجاهل بالحديث فيصدق بها لموافقة ظنه وهواه»[(٢)].

ويبيِّن الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ خطورة الاستغاثة بغير الله وأنها شرك أكبر يجب الحذر منه: «ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده كما تقدم؛ فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها وهذه حالة كل مشرك، والميت محتاج إلى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما أوصانا النبي إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل لهم العافية والمغفرة[(٣)] فعكس

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢١٥، ٣٤٧)؛ والنسائي كتاب مناسك الحج، باب قدر حصى الرمي (٣٢٣) برقم (٣٠٥٧)؛ وابن ماجه: كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي برقم (٣٠٢٩). وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٧٨) برقم (١٢٨٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٣).

(٣) يشير إلى ما ثبت في الصحيح أنه ﷺ كان يأمر أصحابه إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية». أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (ص١٢٧) برقم (٢٤٩) وأخرج نحوه تحت رقم (٩٧٤).

المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد وسموا قصدها حجاً، واتخذوا عندها الوقفة وحلق الرأس، فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنقص للأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئاً بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم، ولله خليله إبراهيم عليه السلام حيث يقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. وما نجا من شَرَك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده، فجرد حبه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله والتجاءه إلى الله واستغاثته بالله، وأخلص قصده لله متبعاً لأمره متطلباً لمرضاته»[(١)].

وبهذا يعلم أن: «الذين يستعينون بأصحاب الأضرحة والقبور على قضاء حوائجهم، وتيسير أمورهم وشفاء أمراضهم، ونماء أموالهم وهلاك أعدائهم عن صراط التوحيد ناكبون، وعن الاهتداء بآيات المثاني معرضون؛ لأن الاستعانة بما وراء الأسباب الممنوحة للبشر إنما تكون لخالقهم، وهو على كل شيء قدير كالاستعانة على شفاء المرض بما وراء الدواء، وعلى غلبة العدو بما وراء العدد والعدة، فإذا توجه بها إلى غير الله كان نوعاً من أنواع العبادة الوثنية»[(٢)].

وكذا صرفت صوفية حضرموت الاستغاثة بالمخلوقين من الأنبياء وغيرهم لاعتقاد حياتهم في قبورهم كما كانوا في الدنيا، بل وجعلوا لهم تصرفات لا

---

(١) مدارج السالكين (١/٣٤٦).

(٢) فتوى عن حكم الاستغاثة بغير الله، للشيخ: محمد بن عمر العماري (ت١٣٩١هـ) (ص٢٧ ـ ٢٨)، علق عليه: فائز بن سالم بن سعيدان، دار الشوكاني، ط٢، ١٤١٩هـ.

تكون إلا لله العظيم جلّ في علاه، حيث حشد علوي الحداد في كتابه مصباح الأنام نقولات عن بعض من يعظموهم من متأخري علماء المذهب الشافعي، وأكثر القوم من تلك النقول[1] لتجويز الاستغاثة الشركية، فقد استشهد الحداد بكلام لمحمد الرملي الشافعي[2] وهو قوله: «كرامات الأولياء مشاهدة لا يمكن إنكارها، والذي نعتقده وندين الله تعالى به ثبوتها في حياتهم وبعد مماتهم ولا تنقطع بموتهم... كما وردت الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين وبالعلماء والصالحين بعد موتهم؛ لأن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يأكلون ويشربون ويحجون بل وينكحون كما وردت بذلك الأخبار، وتكون الاستغاثة بمعجزة منهم، والشهداء أحياء عند ربهم شوهدوا نهاراً جهاراً يقاتلون الكفار يعني بذلك عالم المحسوس لهم في الحياة وبعد الممات، فافهم وأما الأولياء فهي كرامة منهم؛ فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله بسببهم، والدليل على جوازه ووقوعها أنها أمور ممكنة لا يلزم من جواز وقوعها محال»[3].

وقال زين العابدين العلوي في أجوبته: (الأنبياء وكذا الشهداء أحياء في قبورهم حياة برزخية يطلعون على ما شاء الله في أحوال هذا العالم، وقد نص القرآن على حياة الشهداء في برازخهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤].

واستدل زين العابدين لقوله بأنه: «قد جاء في الأحاديث الصحيحة ما يقتضي بقاءهم، وأن الأرض لا تأكل أجسادهم، فروى مسلم عن أنس رضي الله عنه

---

(١) انظر: مصباح الظلام (ص٦ ـ ٢٧).

(٢) هو محمد بن أحمد بن حمزة الرملي الشافعي، المتوفي المصري، فقيه، مشارك في بعض العلوم. ولد بالقاهرة سنة ٩١٩هـ. ولي إفتاء الشافعية. من تصانيفه: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للنووي، وغاية البيان في شرح زبدة الكلام في الفقه الشافعي، وشرح العقود في النحو وغيرها. توفي سنة ١٠٠٤هـ. انظر: معجم المؤلفين (١/ ٦١).

(٣) مصباح الأنام (ص٢٦).

أن النبي ﷺ قال: «أتيت ليلة أسري بي على موسى قائماً على قبره في الكثيب الأحمر»[١]، وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم مرفوعاً: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا من الصلاة علي فإن صلاتكم معروضة عليّ»، فقالوا: كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ـ أي بليت ـ؟ قال: «إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[٢] وورد أيضاً أنهم يصلون وتجري لهم أعمال البر كحياتهم، فروى البيهقي وأبو يعلى مرفوعاً: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»[٣]»[٤].

ويقول أيضاً: «ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم السلام وكُمَّل ورثتهم من الأصفياء أتم، وأكمل من حياة الشهداء لكونهم أعلى مرتبة منهم بدليل قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [النساء: ٦٩]»[٥].

ويجاب على استغاثتهم الشركية بحجة حياة الأنبياء في قبورهم بما يلي:

إن سبب وقوع هذه الشبهة عند المخالفين من المتكلمين ومن سلك سبيلهم، ما ذكره الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «وهذا القول في النبوة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب فضائل موسى ﷺ (ص٩٦٧) برقم (٢٣٧٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة (ص١٣٠) برقم (١٠٤٧)؛ والنسائي في سننه: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على رسول الله يوم الجمعة (ص١٦٢) برقم (١٣٧٤)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب إقامة الصلاة، باب في فضل الجمعة (ص١٢٢) برقم (١٠٨٥). وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في تخرجيه للمشكاة (١/٤٢٩) برقم (١٣٦١).

(٣) رواه البيهقي حياة الأنبياء (ص٧٤) موقوفاً على أنس رضي الله عنه، إسناده ضعيف فيه مؤمل بن إسماعيل القرشي، قال فيه الحافظ ابن حجر في التقريب: (ص٩٨٧): «صدوق سيء الحفظ»، ويرويه عن عبيد الله بن أبي حميد الهذلي، الذي قال فيه الحافظ في التقريب (ص٦٣٧): «متروك الحديث»، وروا أبو يعلى في مسنده (٦/١٤٧) برقم (٣٤٢٥) والحديث صححه الشيخ الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة (٢/١٨٧ ـ ١٨٩) برقم (٦٢١).

(٤) الأجوبة الغالية (ص٧٠ ـ ٧١). وانظر: مصباح الظلام، للحداد (ص٢٦).

(٥) الأجوبة الغالية (ص٧٠).

بناء على أصل الجهمية وأفراخهم أن الروح عرض من أعراض البدن كالحياة، وصفات الحي مشروطة بها، فإذا زالت بالموت تبعتها صفاته فزالت بزوالها، ونجا متأخروهم من هذا الإلزام وفروا إلى القول بحياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم، فجعلوا لهم معاداً يختص بهم قبل المعاد الأكبر، إذ لم يمكنهم التصريح بأنهم لم يذوقوا الموت»[١].

وقد أجاب الإمام ابن القيم رحمه الله عن هذه الشبهة بكلام متين حيث قال: «وقد بيّنا أن عرض مقعد الميت عليه من الجنة والنار لا يدل على أن الروح في القبر، ولا على فنائه دائما من جميع الوجوه، بل لها إشراف واتصال بالقبر وفنائه، وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده، فإن للروح شأنا آخر تكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين، ولها اتصال بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على الميت ردَّ الله عليه روحه فيرد عليه السلام، وهي في الملأ الأعلى وإنما يغلط أكثر الناس في هذا الموضع حيث يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شغلت مكاناً لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض؛ بل الروح تكون فوق السماوات في أعلى عليين وترد إلى القبر فترد السلام وتعلم بالمسلم وهي في مكانها هناك، وروح رسول الله في الرفيق الأعلى دائماً ويردها الله سبحانه إلى القبر فترد السلام على من سلَّم عليه، وتسمع كلامه وقد رأى رسول الله موسى قائماً يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة والسابعة فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر، وإما أن يكون المتصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء»[٢].

وقد ذكر الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبادي اليمني[٣] في منظومته

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (١/ ١١١). (٢) الروح (١/ ١٠١).

(٣) هو العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبّادي رحمه الله، ولد بقرية من قرى إب، إحدى مدن اليمن، ونشأ بها ثم سافر أسفاراً كثيرة، ووصل خلالها إلى كابل، وأخذ بها عن الحافظ محمد تقي الدين الأفغاني في القرآن الكريم، وفقه الشافعية وغيرهما من العلوم، ثم ارتحل إلى الهند، وطلب بها العلم ثمانية عشر شهراً تقريباً، ثم سافر إلى عُمان، وتزوج من «صور»، وأقام بها اثنتي عشرة سنة، وحج من هناك مرتين، ثم رجع إلى بلاده ومنها إلى =

«هداية المريد» بعض الأبيات في الرد على شبهة القوم فقال رَحِمَهُ اللهُ:

والشهدا وأنبياء الله ... فإنهم أحياء عند الله
وما لهم حكم الحياة عندنا ... لكونهم قد فارقوا دار الفنا
ومن يقل حياتهم لا تنقطع ... فذاك كذاب مريد مبتدع
قد كذب القرآن والرسولا ... وخالف المعقول والمنقولا
ومن نفى حياتهم في البرزخ ... فذاك من أهل العناد يا أخي[1]

ويجاب عن قولهم بأن يقال. إن كلامهم هذا مبني على أصل المتكلمين، من أن العرض لا يبقى زمانين[2]، فلما أصّلوا هذا الأصل الفاسد وقعوا في الحيرة والاضطراب، وهو أن النبوة والرسالة من صفات الحي، وصفات الحي أعراض، فهل يكون النبي ﷺ نبياً ورسولاً بعد موته؟، ففراراً من هذا المحذور ابتدعوا بدعة أخرى وهي أن الرسول ﷺ حي في قبره حياة دنيوية، فلا يلزم زوال نبوته ورسالته[3].

ومن المعلوم أن الميت إذا مات وفارقت روحه جسده، وذهبت حواسه وحركته بالكلية وصار رهيناً في الثرى جسداً بلا روح، أنه لا ينفع الحي ولا يجيب دعوته إذا دعاه، ولا يسمعه ولا يغيثه إذا استغاث به، وإذا كانت أرواح الأنبياء الذين هم أكمل الناس، وكذلك الأولياء والصالحون في أعلى عليين لم يرد الشرع بهذا؛ بل ورد بخلافه فقررت النصوص الشرعية أن الموتى على

= لحج، ثم عدن حيث استقر في الشيخ عثمان بعدن إماماً لمسجده الذي عُرف باسمه ويسمى كذلك مسجد «زكُّوا».

وقد عرف في عدن بدعوته إلى الكتاب والسنَّة، وتجريد التوحيد لله تعالى والمتابعة للرسول ﷺ وكانت بينه وبين مشايخ صوفية عدن مصادمات وخصام بسبب ذلك. انظر في ترجمته: مقدمة كتابه «هداية المريد» (ص٣ ـ ٥).

(١) هداية المريد إلى سبيل التوحيد، للشيخ: أحمد بن محمد بن عوض العبادي اليمني (ص١٨).

(٢) انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في إبطال أصلهم هذا في در التعارض (٨/ ٥١).

(٣) انظر: توضيح المقاصد (٢/ ١٥٠ ـ ١٥٢)؛ وتوضيح الكافية (ص١٠٣ ـ ١٠٥) للسعدي؛ وشرح النونية، لهراس (٢/ ٥ ـ ٧).

اختلاف طبقاتهم لا يصلهم من أعمال أنفسهم إلا ما قدموه، ويصلهم من أعمال الأحياء ما ينفعهم مما وردت النصوص به من الدعاء والصدقة ونحوها[(١)]. أما أن الأرواح التي فوق السماوات السبع في أعلى عليين أنها تسمع دعاء أهل الأرض، فتنفعهم وتتصرف فيهم، هذا محال قطعاً وضلال مبين، قال تعالى: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، فكل من دعي من دون الله كالأموات والغائبين والأنبياء والصالحين فمن دونهم، فهو غافل عن داعيه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥ ـ ٦]، فكيف يسوغ للمخلوق أن يستغيث بميت لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً، فضلاً عن نفعه لغيره؟ ولو سلمنا أن الميت يعلم ما يفعله الحي ويطلبه، فإنه لم يرد في الشرع مشروعية ذلك.

وننقل هنا كلام بعض المفسرين ليعلم المراد من الآيات الواردة في حياة الشهداء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩].

قال الإمام ابن جرير الطبري: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٧٠﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠].

يعني تعالى ذكره ولا تحسبن: ولا تظنن، كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحاق: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: ولا تظنن، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله ﴿أَمْوَٰتًۢا﴾ يقول: ولا تحسبنهم يا محمد أمواتاً لا يحسون شيئاً، ولا يلتذون ولا يتنعمون فإنهم أحياء

(١) لما أخرجه في مسلم في صحيحه: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» وقد تقدم تخريجه (ص٣٥٨) من هذا البحث.

عندي متنعمون في رزقي فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي، وحبوتهم به من جزيل ثوابي وعطائي»[(١)].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار»[(٢)].

وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤].. «وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد، ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات، وأنما هي أمر لا يدرك بالعقل بل وبالوحي»[(٣)].

وقال الحافظ ابن الجوزي في تفسيره: «﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤]. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ سبب نزولها أنهم كانوا يقولون لقتلى بدر وأُحد مات فلان ببدر مات فلان بأُحد، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. ورفع الأموات باضمار مكنى من أسمائهم أي لا تقولوا هم أموات ذكر نحوه الفراء[(٤)]، فان قيل: فنحن نراهم موتى فما وجه النهي فالجواب أن المعنى لا تقولوا هم أموات لا تصل أرواحهم إلى الجنات ولا تنال من تحف الله ما لا يناله الأحياء بل هم أحياء أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم أحياء من هذه الجهة وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الأرواح ذكره ابن الأنباري[(٥)]، فان قيل: أليس

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٧٠). (٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٢٧).

(٣) تفسير البيضاوي (١/ ٤٢٩). وانظر عن حياة الشهداء: كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (١/ ٤٢٨ ـ ٤٣٨) تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم.

(٤) هو العلامة اللغوي النحوي الأديب الفقيه يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الديلمي الأسدي مولاهم، الكوفي نزيل بغداد، ولد في الكوفة سنة ١٤٤هـ. وتوفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ. انظر: إنباه الرواة (٤/ ٧ ـ ٢٣)؛ والسير (١٠/ ١١٨ ـ ١٢١).

(٥) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد الأنباري النحوي اللغوي، ولد سنة ٢٧٢هـ. قال فيه تلميذه أبو علي القالي: كان شيخنا أبو بكر يحفظ فيما قيل ثلاث مئة ألف بيت شاهد في القرآن. صنف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث. توفي سنة ٣٢٨هـ ببغداد. انظر: السير (١٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٨).

جميع المؤمنين منعمين بعد موتهم فلم خصصتم الشهداء؟ فالجواب: أن الشهداء فضلوا على غيرهم بأنهم مرزوقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم منعم بما دون ذلك. . .»[١].

أما حديث حياة الأنبياء في قبورهم وهو ما رواه أبو يعلى والبيهقي عن أنس أنه ﷺ قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»[٢] فقد أجاب ابن القيم في نونيته عن هذا الحديث بأنه غير صحيح، ولكن على تقدير صحته فلا شك أنه لا يراد به الحياة الدنيا، ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها من أعمال وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك، وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها، وبحصول الانتقال من هذه الحياة الدنيوية الحقيقية إلى تلك الحياة البرزخية[٣].

وحياة الشهداء في قبورهم قد دلّت عليها النصوص ـ كما تقدم ـ، فإذا أحطت علماً بذلك تبيّن لك أن ما ذهب إليه أهل التخريف من أن حياتهم من جنس حياتنا يأكلون ويشربون وينكحون اعتقاد فاسد يأباه كل ذي عقل سليم، فضلاً عمن تحلى بالعلم والعقيدة الصحيحة.

والخلاصة أن حياة الأنبياء والشهداء حياة غيبية برزخية لا يعلم كنهها إلا الله تعالى. ولكل دار حكم، فلو خرجوا إلى الدنيا لا يجوز لنا أن نطبق عليهم الأحكام الدنيوية. فإذا جاز سؤال النبي ﷺ الدعاء في حياته فلا يجوز ذلك بعد وفاته[٤].

وقوله: «إن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون ويحجون» هذا مما علم بالضرورة من دين الإسلام أنه كذب لا أصل له، ولم يقله أحد من أهل العلم الذين هم القدوة وبهم الأسوة، بل هو من أمحل المحال، وأضل الضلال[٥].

---

(١) زاد المسير (١/ ١٦١).

(٢) تقدم تخريجه (ص٥٠٠) من هذا البحث.

(٣) شرح القصيدة النونية (٢/ ١٧٢).

(٤) انظر: تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران، للشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي الشافعي (ص٨٤)، عني بطبعه ونشره: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي ـ قطر، الطبعة العاشرة.

(٥) انظر: الأسنة الحداد (ص١٧٦ ـ ١٧٧).

واستدلالهم بقصة الإسراء والمعراج حيث رأى النبي ﷺ موسى عليه السلام لأجل تجويزهم للاستغاثة بالأموات يجاب عنهم: «وأما احتجاجهم برؤيته ﷺ موسى عليه السلام يصلي في قبره ففيه نظر، وذلك أن الإمام الدارقطني أعله بأنه روي موقوفاً على أنس، ولذلك أعرض عنه البخاري فلم يروه في صحيحه، وأما مسلم فرواه موقوفاً وتفرد به عن البخاري، وعلى تقدير رفعه فليس مختصاً بموسى عليه السلام فقد روى ابن حبان وغيره عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه... فيقول له: اجلس فيجلس وقد مثلت له الشمس، وقد دنت للغروب فيقول له: هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه، وما تشهد به عليه، فيقول: دعوني حتى أصلي فيقولون إنك ستصلي أخبرنا عما نسألك عنه»[1].

وصلاة موسى عليه السلام في قبره ليست أداء وتكليفاً بل هي من النعيم الذي يتلذذ به أصحاب الجنة فإن المؤمن في الجنة يتنعم بكل ما يشتهيه فإذا اشتهى التلذذ بالصلاة حصل له ذلك. وكذا قد ورد أن ثابت البناني[2] رحمه الله قد دعا الله أن يرزقه الصلاة في قبره[3] وعن جبير قال: «أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتاً البناني لحده ومعي حميد الطويل فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا أنا به يصلي في قبره وكان يقول في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها فما كان الله ليرد دعاءه[4]؛ أي أن صلاة موسى عليه السلام في قبره ليلة المعراج قد روي فيها الحديث.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٨٠ ـ إحسان ـ) برقم (١١١٣)؛ والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١)؛ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٥١) ورواه الطبراني في الأوسط، وقال: إسناده حسن.

(٢) هو أبو محمد ثابت بن أسلم البناني مولاهم البصري الإمام القدوة ولد في خلافة معاوية، حدث عن جماعة من الصحابة، وكان من أئمة العلم والعمل ومن الثقات المأمونين، صحيح الحديث. توفي سنة ١٢٣هـ، وقيل ١٢٧هـ. انظر: السير (٥/ ٢٢٠) ط٩؛ وتهذيب التهذيب (١/ ٣٢٧) ط٢، ١٤١٣هـ، دار إحياء التراث، بيروت.

(٣) انظر: المصنف لابن أبي شيبة (٢/ ٢٤٠) برقم (٣٥٦٧٧).

(٤) شرح القصيدة النونية (٢/ ٢٦٨).

وكذلك يقال: أن رؤيته ﷺ موسى عليه السلام ليلة المعراج في السماء يرويه أصحاب الصحاح جميعهم وهو مقطوع بصحته ولذلك ظن معارضاً لصلاته في قبره، ولكن أجيب عنه كما قال ابن القيم: بأنه أسري به ﷺ ليراه هناك ورآه أيضاً في الضريح، وهذا ليس بتناقض لأن ذلك ممكن، أي أن رؤيته في السماء وفي القبر ممكنة والله أعلم.

وقال ابن القيم رحمه الله: «وقد صح عنه عليه السلام أنه رأى موسى قائماً يصلي في قبره ليلة الإسراء، ورآه في السماء السادسة أو السابعة؛ فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه وتعلق به بحيث يصلي في قبره ويرد سلام من يسلِّم عليه، وهي في الرفيق الأعلى ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان»[(١)] وهذا جمع حسن والله أعلم[(٢)].

وقولهم: إن الشهداء أحياء في قبورهم حياة برزخية يطلعون على ما شاء الله في أحوال هذا العالم. . . إلخ: هذا خلاف ما ورد في الشرع، فقد ثبت في صحيح مسلم ما يبيِّن أن الشهداء يتمنون العودة إلى الدنيا ليقاتلوا في سبيل الله تعالى ليقتلوا مرة أخرى لما يروا من عظيم المنزلة عند الله تعالى للشهيد، فعن مسروق قال: سألنا عبد الله هو ابن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]. قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك [رسول الله ﷺ]، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»[(٣)].

---

(١) الروح (١/ ٤٥). (٢) انظر: شرح القصيدة النونية (٢/ ١٧٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون (ص٧٨٥) برقم (١٨٨٧).

وحاولت صوفية حضرموت التخريج لكلامها، يقول علوي الحداد: «ومنها على تسليم أن ذلك شرك فهو من الشرك الأصغر، كقول القائل: ضرني اللبن، وذلك لا يقتضي الكفر لأنه لم يعتقد في اللبن ما يعتقده في جناب الحق تبارك وتعالى من الألوهية وكذلك هؤلاء مهما عظموا الأنبياء والأولياء فإنهم لا يعتقدون فيهم ما يعتقدون في جناب الحق تبارك وتعالى من الخلق الحقيقي التام العام إنما يعتقدون الوجاهة لهم عند الله في أمر جزئي وينسبونه لهم مجازاً ويعتقدون أن الأصل والفعل لله ﷻ»(١).

ويجاب فيقال: إن إقرار علوي الحداد بأن هذا شرك، هذا كافٍ في الإقرار بفساده، وإن كان أصغراً، وإلا فمن ذا الذي يقول بأن الشرك الأصغر طاعة وقربة مما تتعلق القلوب به، وفي كلامه أيضاً مغالطة ومجازفة لا تخفى، فإسناد الغوث إلى الأموات والغائبين واعتبار ذلك مجازاً، وأنه لا فرق بين الحي والميت هذا من التخبط؛ لأن الله تعالى لم يجعل للعباد قدرة على ما يختص به من الإغاثة المطلقة، وأما الإغاثة بالأسباب العادية وما يقدر عليه البشر فهذا ليس الكلام فيه، فالأموات لا قدرة لهم على الأسباب العادية، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]. خلق في الحي اختياراً ومشيئة يثاب عليها وبها يكلف، والميت ليس له قدرة الحي، ولا يكلف بل ينقطع عمله بموته، وتطوى صحيفته ولا يسأل ولا يستفتى ولا غير ذلك مما يقدر عليه الحي، والناس يفرقون بين الحي والميت ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢]. واستغاثة الميت ليست سبباً كاستغاثة المخلوق فيما يقدر عليه، ولم يجعل هذا سبباً إلا عبّاد الأصنام الذين هم أضل خلق الله، يجعلون الأموات سبباً ووسيلة، ولا يوجد في شرع الله ولا فيما جاءت به رسله أن الميت يدعو لمن دعاه، والكرامة ليست من فعله، بل هي فعل الله، والمُكرم لا يدعى ولا يستغاث به ولا يرجى لشيء من الشدائد، بل هذا فعل المشركين كما حكى الله عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

(١) مصباح الأنام (ص٥).

وأما قول الحداد بإسناد الغوث إلى الله تعالى إسناد حقيقي باعتبار الخلق والإيجاد وإلى الأنبياء والصالحين إسناد مجازي باعتبار السبب والكسب فبديهي البطلان، بيان ذلك من وجوه:

الأول: لو كان مناط الإسناد المجازي اعتبار السبب كما زعم الحداد لزم أن لا يكون الإنسان حقيقة مؤمناً ولا كافراً ولا براً ولا فاجراً ولا مصلياً ولا مزكياً، ولا صائماً ولا حاجاً ولا زانياً ولا سارقاً ولا قاتلاً ولا كاذباً فيبطل الجزاء والحساب وتلغو الشرائع والجنة والنار، وهذا لا يقوله أحد من المسلمين.

والثاني: أن دعوى كون الأنبياء والصالحين سبباً للغوث وكاسباً له محتاج إلى إقامة الدليل ودونه لا تسمع، وبهذا تدحض شبه هذا الصوفي، وتزهق وتنادي على صاحبها بالجهل والسفه، ويتبيّن مما تقدم الفرق بين الحي والميت، وأن الميت لا يقدر على شيء مما يقدر عليه الحي من الأسباب العادية، فإن الأسباب العادية التي يقدر عليها الحي وفي وسعه فهي وإن حصلت من العبد فهي حقيقة لا مجاز ولا ينازع في هذا من عرف شيئاً من اللغة، والعبد يفعل حقيقة فيأكل حقيقة ويشرب حقيقة، والله خلق العبد وما يعمل، وهذا معروف من عقائد أهل السنّة، وأراد الحداد بأقواله تجويز الشرك بهذه الحجة الداحضة، وأن فعلهم الشرك من الدعاء والاستغاثة بالأنبياء والأولياء وغيرهم لأنهم أسباب ووسائل حيث أعطاهم الله هذه المنزلة إكراماً لهم، فهذا ليس بشرك، وهذا كفعل المشركين الأولين سواء بسواء فليعتبر الحداد أن شرك الأولين ليس بشرك لأن الأصنام إنما جعلت أسباباً ووسائل عادية لإجابة الله لدعائهم عن طريق هذه الأصنام، وليحمل العبادة التي حكاها الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ بأنها مجازية لا حقيقية، وإلا فما وجه الفرق؟[1].

(١) انظر: الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد، للشيخ العلامة سليمان بن سحمان النجدي (ت١٣٤٩هـ) (ص٧٥ ـ ٧٦) ط٢، ١٣٧٦هـ، مطابع الرياض.

وجاء في كتاب الأجوبة الغالية: «س: فهل يجوز طلب الإغاثة من غير الله؟

ج: نعم، يجوز طلبها من غيره تعالى باعتبار أن المخلوق ـ المستغاث به ـ سبب وواسطة، فإن الإغاثة وإن كانت هي من الله ﷻ على الحقيقة فلا ينافي أن الله تعالى جعل لذلك أسباباً ووسائط أعدها له»(١).

ويجاب عن هذا الكلام: أن هذا الكلام هو نفس كلام مشركي قريش، الذين جعلوا أصنامهم وسائط، ولم يعتقدوا أنها تخلق وترزق كما قال تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين»(٢).

فحجتهم هي الواسطة الشيطانية التي أضلهم بها إبليس، مما جعلهم يعطون الميت صفة الربِّ الحي الذي لا يموت، يقول الشيخ صنع الله الحلبي(٣): «وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]. وفي الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله»(٤). فجميع ذلك، وما هو نحوه دليل على انقطاع الحس والحركة من الميت، وأن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة محفوظة عن زيادة أو نقصان، قال جلّ ذكره: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ

---

(١) الأجوبة الغالية (ص٦٥).   (٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٤).

(٣) هو الشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي، واعظ، فقيه، محدث، أديب. من مؤلفاته: أرجوزة في الحديث، وسيف الله على من كذب على أولياء الله، وأكسير التقى في شرح الملتقى. توفي سنة ١١٢٠هـ. انظر ترجمته: هداية العارفين (١/ ٤٢٨)؛ ومعجم المؤلفين (١/ ٨٤٣).

(٤) تقدم تخريجه (ص٣٥٨) من هذا البحث.

﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين: ١٨ ـ ٢١]. والكفار كتابهم في سجين، فدلّ ذلك على أن ليس للميت تصرف في ذاته فضلاً عن غيره بحركة، وأن روحه محبوسة مرهونة بعملها من خير أو شر، فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في حق غيره؟!»[١].

ويلجأ بعضهم كبراً وعناداً من أجل ترويج باطلهم إلى الكذب على من خالفهم، فقد ذكر علوي الحداد فرية على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وهو أن رجلاً أتى إلى الشيخ في بلدته الدرعية وقال له. «لِمَ جعلت من نادى ولياً في قبره مشركاً، قل: مجنون. كأنه نادى جداراً لا ينفعه، فإن المشرك الذي يجعل لله نداً وهذا إنما نادى من لا ينفعه في عقيدتك، وفي اعتقاد المنادي أنه نافع له، وقد جاء «لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه»[٢][٣].

وهذا يدلُّ على إفلاس قائله وقلة بضاعته في العلم، لا سيما علم التوحيد الذي هو أعزها وأشرفها، حيث يعتمد صوفية حضرموت لترويج باطلهم على الغث والسمين، ولو كان كذباً، كما في هذه الحكاية الهزيلة من علوي الحداد، ومع ذلك فقد ردَّ على هذه الحكاية، وما قصده من إيرادها، وهو تجويز الاستغاثة الشركية العلامةُ سليمان بن سحمان[٤] رحمه الله حيث قال:

---

(١) سيف الله على من كذب على أولياء الله، للشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي (ص٣٢ ـ ٣٣). تحقيق: علي رضا بن عبد الله، دار الوطن ـ الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) موضوع. قاله الشيخ علي قاري في موضوعاته: (ص٦٦). وقال ابن القيم: هو من كلام عباد الأصنام الذين يحسنون ظنهم بالأحجار. وقال ابن حجر العسقلاني: لا أصل له. انظر: السلسلة الضعيفة: (١/٦٤٧) برقم (٤٥٠).

(٣) مصباح الأنام (ص٥٩).

(٤) هو العلامة سليمان بن مصلح بن حمدان سحمان الخثعمي النجدي، ولد بقرية السُّقا من أعمال أبها سنة ١٢٦٦هـ، ونشأ بها في كنف والده الشيخ سحمان، ثم حفظ القرآن وعلمه مبادئ العلوم، وفي سنة ١٢٨٠هـ رحل مع أسرته إلى الرياض، وكانت زاهية بالعلماء فطلب الشيخ سليمان العلم على كبار علمائها: كالشيخ عبد الرحمن بن حسن ثم لازم الشيخ عبد اللطيف، وبلغ مبلغاً كبيراً في العلم، وجرد قلمه للرد على المناوئين لدعوة التوحيد نظماً ونثراً، فقد منحه الله تعالى قوة في الحجة والبيان وصلابة في الحق لا تلين، فكتب الردود الكثيرة وأنشأ القصائد في الثناء على دعوة التوحيد وأهلها، والرد على من خالف الحق، =

«أولاً: هذه الحكاية لا أصل لها، بل هي من التزويرات المصنوعات الموضوعات على الشيخ إن هذا قيل له حاشا وكلا، والشيخ أجل قدراً وأعظم خطراً من أن يخاطب بهذه المجونات، وعلى تقدير ثبوت هذه الحكاية وحاشا وكلا، يقال: من نادى ولياً في قبره فهو مشرك لأنه لا ينفع ولا يضر، ومن نادى جداراً أو حجراً أو شجراً كان المنادي أو غير ذلك، فناداه في كشف كربة، أو إزالة شدة، أو قضاء حاجة سواء اعتقد فيه أنه ينفعه ويضره أو لم يعتقد فهو كافر مشرك، وكفره أعظم من كفر من اعتقد في ولي أو نبي، وقد كفَّر الله من اعتقد في الأشجار كالعزى، وفي الأحجار كمناة واللات، وعلى هذا فليسوا بكفار عند هذا الملحد، فسبحان من طبع على قلوب أعدائه إلى أن بلغوا إلى هذه الغاية، وأما قوله: وقد جاء «لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه» فهذا الحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ ووضعه سلف هؤلاء الغلاة من عباد القبور المعظمين لها، فهم على آثارهم يهرعون وفي مهامه[1] الغي يعمهون[2]»[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فقول القائل: إن الاستغاثة به بعد

= واستمر في الدعوة إلى التوحيد والرد على أهل الباطل حتى توفاه الله تعالى في مدينة الرياض سنة١٣٤٩هـ. وقد ترك مصنفات كثيرة أغلبها في الردود منها: الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، والأسنة الحداد في الرد على علوي الحداد، وتبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين، وإرشاد الطالب إلى أهم المطالب، وغيرها كثير، بالإضافة إلى قصائده التي جمع كثير منها في كتاب: عقود الجواهر المنضدة الحسان. انظر في ترجمته الكتب التالية: مشاهير علماء نجد وغيرهم، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (ص٢٠٠)؛ وروضة الناظرين، لمحمد بن عثمان القاضي (١/١٢٦)؛ والدرر السنية لابن قاسم (١٢/٨٧)؛ وعلماء نجد خلال ثمانية قرون، للبسام (٢/٣٩٩ ـ ٤١٢) ط٢، ١٤١٩هـ.

(١) جمع مهمهة وهي المغارة البعيدة، والبلد المقفر. انظر: القاموس المحيط (ص١٢٥٣) مادة: (مهّ).

(٢) العمه: محركة: التردد في الضلال، والتحير في مُنازعة أو طريق، أو أن لا يعرف الحجة. القاموس المحيط (ص١٢٥٠) مادة: (العمه).

(٣) الأسنة الحداد (ص٢٥٢ ـ ٢٥٣).

موته ثابتة ثبوتها في حياته لزم من ذلك أن نطلب منه هذه الأشياء المذكورة وغيرها بعد موته، ووجب أن يفعلها بعد موته، فيخرج في الغزوات، ويقيم الحدود، ويعود المريض فاعلاً ذلك ببدنه بعد مماته كما كان يفعل ذلك في حياته، فهل يقول هذا إنسان أو يحتاج رد هذا إلى برهان؟، ولكن علينا بعد موته من الإيمان به وطاعته ما علينا في حياته أن نصدق خبره، ونطيع أمره، ونشهد له أنه قد بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين، فليس عليه بعد موته أن يأمرنا ولا ينهانا، ولا يعلمنا ولا يهدينا، وليس عليه بعد الموت فعل من الأفعال لا واجب ولا مستحب كما ليس ذلك على غيره من الناس بل الموت ينتهي به التكليف الثابت في الحياة بإجماع الخلق فليس على نبي ولا غيره بعد موته أن يفعل ما كان يؤمر بها في حال الحياة من واجب ومستحب وإغاثة الأمة من جملة ما كان يفعله من الواجبات والمستحبات باقياً لهم قد أدى وأبان ونصح ولا يستطيع أحد أن ينقل عن أحد من الصحابة، ولا من السلف أنهم بعد موته طلبوا منه إغاثة ولا نصراً ولا إعانة ولا استسقوا بقبره، ولا استنصروا به كما كانوا يفعلون ذلك في حياته، ولا فعل ذلك أحد من أهل العلم والإيمان»[1].

وقال أيضاً: «سؤال الميت والغائب؛ نبياً كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين أن أحداً منهم ما كان يقول إذا نزلت به ترة أو عرضت له حاجة لميت: يا سيدي فلان أنا في حسبك، أو اقض حاجتي كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين، ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته، ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها، وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال، ويشتد البأس بهم ويظنون الظنون ومع هذا لم

---

(١) الرد على البكري (١/ ٢٠٠ _ ٢٠١).

يستغث أحد منهم بنبي ولا غيره من المخلوقين، ولا أقسموا بمخلوق على الله أصلاً، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا قبور غير الأنبياء ولا الصلاة عندها، وقد كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف»(١).

ومن أقوال صوفية حضرموت في تجويز الاستغاثة الشركية «الجهاد والصوفية»: «ولم ينقل عن أحد من سلف الأمة بأن المستغيث بالأنبياء والأولياء كافر، أو مشرك، بل نقل عن السلف ـ أعني بهم الصحابة ومن بعدهم ـ جواز ذلك، فمن هنا يعلم بعد النقل للأدلة على جواز الاستغاثة بالأنبياء ونحوهم؛ بأن من رمى بالكفر والضلال كل من قال بجواز الاستغاثة فإنه قد رمى سلف الأمة من الصحابة والتابعين بالكفر والضلال، وإليك الأدلة التي توضح ذلك. فليعلم المؤمن أن الاستغاثة بالنبي أو بغيره هي استغاثة به على ما أقدره الله عليه ولا شبهة في هذا فإنه قد قال ﷺ: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله أحبسوا يا عباد الله أحبسوا يا عباد الله أحبسوا. ثلاثاً فإن لله حاضراً سيحبسه»(٢).

فهذا دليل صريح على جواز الاستغاثة، إذ إن رسول الله ﷺ ينصح من ضاق به الحال إذا انفلتت دابته وهو أحوج ما يكون إليها بأن يستغيث بمن لا يرى ولا يعلم أن يمسك له دابته، فهل هذا المستغاث به هو الذي أمسك بقدرته أم بإقدار الله تعالى له؟. وذكر قصصاً لبعضهم في العمل بهذا الذكر فاستجيب له ثم قال: فدلَّ هذا الحديث على جواز الاستغاثة وأن هناك من

---

(١) الرد على البكري (١/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٧) واللفظ له، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ١٧٧) برقم (٥٢٦٩)؛ وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٥٠٨)؛ وفي الإسناد معروف بن حسان، قال فيه ابن عدي في الكامل: (٦/ ٢٣٢٦): (منكر الحديث)؛ وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/ ٣٢٣) عن أبيه: (مجهول) وقال العلامة الألباني: (ضعيف، أعله الهيثمي والحافظ ابن حجر وقال حديث غريب، وفي السند انقطاع بين عبد الله ابن بريدة وابن مسعود، نقله ابن علان في شرح الأذكار (٥/ ١٥٠) (وسنده ضعيف... إلخ). انظر: السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني ٢/ ١٠٨ ـ ١٠٩ برقم (٦٥٥).

أقدره الله على الإنقاذ من المهالك والشدائد بكيفيات عدة منها التحكم في المستغيث، وتوجيهه حتى يصل مأمنه»(١).

ويجاب عن هذا الكلام بأن يقال: أما قوله: «ولم ينقل عن أحد من سلف الأمة بأن المستغيث بالأنبياء والأولياء كافر أو مشرك... إلخ كلامه» فهذا يدل على عدم اطلاعه على الحق في هذه المسألة، وعدم اطلاعه على كتب أئمة الإسلام وعلمائه قديماً وحديثاً، ولعدم معرفته بالعبادة وتسويغه صرفها لغير الله تعالى جعله يقول ما قال، وقد بيّنا أهمية هذا التوحيد فيما سبق، فعرض كلام هذا الصوفي يكفي في بيان عدم صحته وقوله في دين الله بلا علم، والله المستعان.

وأما الحديث الذي استدل به فلا يصح من حيث الرواية، أما من حيث الدراية: على فرض صحة الحديث ـ مع أنه لم يصح كما تقدم ـ فأن النبي ﷺ لا يأمر من انفلتت دابته أن يدعو وينادي من لا يسمعه ولا يقدر على ردها، بل نقطع بأنه أمره أن ينادي من يسمعه وله قدرة على ذلك، وهذا يدل إن صح على إن لله تعالى جنوداً يسمعون ويقدرون: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. وقد ورد حديث عن ابن عباس مرفوعاً: «إن لله تعالى ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر؛ فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني»(٢). فهذا فيه أنه ينادي حاضراً يسمع، فكيف يستدل به على جواز الاستغاثة بأهل القبور والغائبين.

فاستدلال القوم بهذا الحديث على الاستغاثة بالأموات، يلزمهم أن

---

(١) الجهاد والصوفية، لمحمد اليمني (ص٣٩).

(٢) رواه البزار، وقال الحافظ ابن حجر كما في شرح الأذكار لابن علان (١٥١/٥): (هذا حديث حسن الإسناد غريب جدا، قال البزار: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه.اهـ. ورجح العلامة الألباني وقفه. انظر: السلسلة الضعيفة (١١١/٢). والأثر له حكم الرفع؛ لأنه إخبار عن علم غيبي لا مجال للرأي فيه والله تعالى أعلم بالصواب).
انظر تعليق الشيخ عبد السلام بن برجس على كتاب: دحض شبهات على التوحيد للعلامة عبد الله أبا بطين (ص٤٤) حاشية رقم (٦).

يقولوا: إن دعاء الأموات ونحوهم، إما مستحب وإما مباح؛ لأن لفظ الحديث «فلينادِ» وهذا أمر أقل أحواله الاستحباب أو الإباحة. ومن ادعى أن الاستغاثة بالأموات والغائبين مستحب أو مباح فقد مرق من الإسلام. كما أن استدلالهم بهذا الحديث ـ إن صح ـ على دعاء الأموات والغائبين ينافي النصوص الصريحة في تحريم دعاء الأموات والغائبين كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦].

وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣ ـ ١٤].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥]..

وقال: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤]. فهذه الآيات وأضعافها نص في تضليل هؤلاء المخالفين الذين يدعون من لا يسمع دعاءهم، ولا يقدر على نفعهم ولا ضرهم.

ويتبيّن لنا ترك القوم لنصوص القرآن الواضحة وردّ ما دلّت عليه من المعاني وذلك بالتمسك بما لا يصح كهذا الحديث «يا عباد الله احبسوا» مع أنه لو صح لا معارضة فيه لما دلّ عليه القرآن ولا شبهة معارضة[1].

وكذا استدل القوم لتقرير الاستغاثة الشركية بأدلة هي عليهم لا لهم ومنها قولهم: «وفي صحيح البخاري أيضاً ما ذكره الصادق المصدوق الذي لا ينطق

---

(١) انظر: دحض شبهات على التوحيد لبا بطين (ت١٢٨٢هـ) (ص٤٤ ـ ٤٥). والنبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين، للعلامة حمد بن ناصر آل معمر (ص٧٨ ـ ٨٠). والرد على شبهات المستعينين بغير الله، للعلامة: أحمد بن إبراهيم بن عيسى (٨٢، ٨٥).

عن الهوى في معرض حديثه عن السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل عليه السلام: «أنها لما أدركها وولدها العطش جعلت تسعى في طلب الماء فسمعت صوتاً ولا ترى شخصاً فقالت: أغث إن كان عندك غوث»[١]. وعليه فمن استغاث بالأنبياء في حديث الشفاعة ومعهم السيدة هاجر زوجة خليل الله وأم إسماعيل من المشركين، وإلى مثل هذه النتائج تؤدي المقدمات الفاسدة»[٢].

ويجاب: إن الكلام مع الصوفية عن حكم الاستغاثة في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، أو سؤال ما لا يعطيه إلا الله، ولا يمنعه إلا الله، وأما ما عدا ذلك مما يجري من التعاون والتعاضد بين الناس، واستغاثة بعضهم ببعض، في الأمور العادية، هذا لا يمنع منه، بل نقول به، وليس الكلام فيه. وإنما كلامنا في الاستغاثة بالأموات والغائبين، وأن ذلك شرك أكبر مخرج من الملة كما دلّ عليه الكتاب والسنّة.

واستدلالهم بقصة هاجر فيه الاستغاثة بحاضر محسوس سمعت صوته، وليس ما طلبته مما اختص طلبه بالله تعالى، فإنها طلبت من المصوّت ما يسد جوعتها ويروي غلتها، كما يقول المنقطع في الطريق العادم الزاد والماء إذا مرّ عليه أحد وأحس به: أغثني بما عندك من ماء وطعام، وأعطني بما تفضّل الله عليك من الأنعام. أفيقال لهذا إنه طلب ما لا يقدر عليه إلا الله، والتجأ في شدته إلى من سواه؟ انظر كيف لعب الشيطان بعقول هؤلاء حتى أوردهم المهالك[٣]. فثبت أن استدلالهم بهذا الحديث ليس هذا موضعه، فلا يلتفت إليه، كما أن الحديث لا يدل على جواز الاستغاثة بالملائكة مطلقا؛ لأن هاجر لم تستغث بالملك ابتداء إلا بعد حضوره وسماعها صوته، ثم إن قول هاجر: أغث إن كان عندك خير أو غواث إن جعل قولها حجة في الشرع فإنما يدل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿يَزِفُّونَ﴾ (ص٦٤٥) برقم (٣٣٦٥). وفيه: (أغث إن كان عندك خير).

(٢) الجهاد والصوفية (ص٤١ ـ ٤٢).

(٣) انظر: الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، للعلامة سليمان بن سحمان (ص٥٧١ ـ ٥٧٣) بتصرف يسير.

على الجواز وإن لم يجعل حجة في الشرع ـ وهو الصواب ـ فإنها ليست نبية فلا يدل على جوازه[(١)].

واستدل القوم للاستغاثة الشركية بفعل مشايخهم الذين يعظمونهم وجعلوا أفعالهم الشركية حجة للوقوع في الشرك، فقد جاء في كتاب (تاج الأعراس في مناقب صالح بن عبد الله العطاس): «وممن أثنى على صاحب المناقب واعترف له بمقام الغوثية شيخ مشايخ تلك العصور وعالمها وإمامها المشهور شيخ الإسلام ببلد الحرام السيد أحمد زيني دحلان قال: إنه حصل عليّ حال بمكة وكربتُ كرباً شديداً فاستغثت بالحبيب صالح بن عبد الله العطاس[(٢)] صاحب عمد وهو إذ ذاك بحضرموت ودعوته بثلاثة أصوات؛ فإذا هو حاضر عندي في الحرم المكي راكباً على جواد أخضر اللون ومعه أربعون جندياً كلهم مسلحون، فحين رأيته ذهب عني ذلك الكرب، وانشرحت انشراحاً كاملاً ببركته»[(٣)].

ويستطرد علوي الحداد بذكر الأدلة في جواز الاستغاثة الشركية، وهي ما بين واهية أو صحيحة لكنها لا تدل على مراده، وأكثر من نقل أقوال الصوفية المتقدمين ظناً منه أنه بهذا العمل قد حقق مراده وما شعر أنه قد سود كتابه بتدوين هذه المخالفات وأبان عن جهله بدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم وهو نوح عليه السلام إلى خاتمهم نبينا محمد ﷺ، بل وتكثيره النقل عمن هم على طريق الضلالة، وإن أوتوا علوماً لكنهم لم يؤتوا فهوماً تدلهم إلى الخير وترشدهم إليه، وقد أظهرهم الحداد في كتابه وأبان ضلالهم في مسألة الاستغاثة حيث قال: «وقد ثبت في حزب الإمام الكبير شعيب أبي مدين وغيره من الأكابر كالشيخ عبد القادر الجيلاني التوسل بالسور والأنبياء والصحابة

---

(١) انظر: الرد على البكري (١/ ٢٨٣).

(٢) هو صالح بن عبد الله بن أحمد بن علي بن محسن العطاس، من كبار العلويين في القرن الثالث عشر، وقد كتبت في سيرته ومناقبه الكتب الكثيرة، أوسعها تاج الأعراس في مناقب الحبيب صالح بن عبد الله العطاس لعلي بن حسين العطاس، يقع في مجلدين كبيرين. توفي سنة ١٢٧٩هـ. انظر في ترجمته: تاج الأعراس. وانظر: إدام القوت (ص٢٧٦) ط المنهاج.

(٣) تاج الأعراس (١/ ١٠٤).

والأولياء والاستغاثة بهم؛ خصوصاً أهل بدر نظماً ونثراً، ألفوا في الاستغاثة بهم نبذاً صالحة. . . فالعجب من النجدي كيف ساغ له أن ينكر على الأكابر، بل يسميهم مشركين لما استغاثوا بالأموات وتوجهوا بهم مستشفعين بهم باريهم، مع تضافر النصوص المتقدمة على جواز التوسل والاستغاثة ومع ذلك أنكر الأحاديث وخرق الإجماع وأظهر الابتداع»[1].

وهكذا ينكرون على أهل الحق، ويدعون الإجماع لشركهم كذباً وزوراً، ولعله يريد إجماع القبوريين من أمثاله، فهؤلاء لا يعتد بإجماعهم.

الشواهد الدالة على ممارسة صوفية حضرموت الاستغاثة الشركية:

أنزلت صوفية حضرموت حوائجها بالخلق حتى عند الشدائد؛ من دعاء واستغاثة وغيرها من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى، وهذا الصنيع أشد من شرك الأولين الذين لا يشركون بالله تعالى إلا عند الرخاء، وأما عند الشدائد فكانوا يخلصون الدعاء واللجؤ له سبحانه لعلمهم بعظمته، وأنه لا يكشف الضر إلا هو، كما قال ﷻ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وهذه النتيجة التي وصل لها القوم سببها الغلو في أوليائهم وصالحيهم، لما يسمعون عنهم من الكرامات المزعومة والحكايات الخرافية: من تصرف الولي ومنزلته، وهذا مبثوث في أغلب كتبهم، مما أدى إلى صرف العبادة لهؤلاء الموتى، كما سيتضح من إيراد بعض نصوص القوم في هذه المسألة العظيمة.

جاء في كتاب غاية القصد والمراد عند ذكر قصيدة شركية للحداد: «قال: هذه القصيدة يمدح بها [يعني الحداد] الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: يا هاجري كم ذا تكون مهاجري إلخ، ويستغيث به فيها. . . إلى أن قال: والقصيدة التي أولها: بنفسي أفدي خير من وطئ الثرى، يمدح ويستغيث فيها

(١) مصباح الأنام (ص٦٢).

بالنبي ﷺ سنة سبع عشر ومائة وألف. يقال: إن سبب إنشائها نزول بلاء عام طام، أهلك البلاد والعباد، بحضرموت»(١).

وجاء في كتاب المشرع الروي: «ثلاثة لا تزال خيل حمايتهم مسرجة ملجمة ونظم بعضهم فقال:

إذا خفت أمراً أو توقعت شدة ... فنوِّه بعلوي الفتى وابنه علي
كذا عمر المحضار تحظى بغارة ... بها تنجو من كل الشدائد يا ولي(٢)

وفسر محمد بن علي خرد العلوي ذلك بقوله: «خيول هممهم لمن تعلق بهم واعتقدهم مسرجة ملجمة محدقة، ونيران سوء الظن بهم والاعتراض عليهم وعدم التأدب لهم محرقة، وهم لمن اعترض عليهم ولم يحتفل بهم سموم مهلكة»(٣).

هذا كما أسلفنا أشد من شرك الأولين، فقد دعا شاعرهم إلى اللجؤ للموتى عند الشدائد، ونسي الإله العظيم تعالى وتقدس، الذي بيده النفع والضر، مجيب المضطر، كما قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]، ونذكر بعض نصوص صوفية حضرموت التي دونوها في كتبهم، وأضلوا بها الناس، ليعلم أن عدم معرفتهم بتوحيد العبادة أدى بهم إلى هذه النتيجة، بل أن فقهاءهم لم يلقوا بالاً للتوحيد، وكانوا يحاربون من ينكر عليهم أعمالهم الشركية، فقد أنكر علوي الحداد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله دعوته للتوحيد وإنكاره الاستغاثة بالأموات لأنها شرك بالله تعالى حيث قال: «ومن هفوات النجدي إنكار التوسل والاستغاثة والمناداة بأسمائهم أي الأموات والتبرك بالأخيار حتى النبي ﷺ»(٤).

وقد مضى الرد على هذا القول وأن الاستغاثة عبادة، وصرفها لغير الله تعالى شرك.

---

(١) غاية القصد والمراد: ٢/ ٣٢.
(٢) شرح العينية (ص٧٤١)؛ والمشرع الروي ٢/ ٢١٢.
(٣) المصدر السابق. (٤) مصباح الظلام (ص٥٤).

ويقول علوي الحداد: «وقال الإمام الملاذ المفزع عبد الله بن علي صاحب الوهط[(١)]:

أيا صاحبي أوصيك إن كنت راغباً   في الخير أقرب ثم اسمع وصيتي
إذا ما اعتلاك الهم والكرب والأذى   توسل بمن سميتهم في وسيلتي
هم الفضلاء الأخيار آل محمد   يغاث بهم عند الأمور المهيلتي
ألا فاستمع ما قلته لك إنني   نصحتك فاقبل يا أخيّ نصيحتي»[(٢)]

ويقول أحمد بن زين الحبشي في وصف قطبهم عمر المحضار: «المحضار يسرع إن دعي»[(٣)].

وقال في عبد الله بن محمد بلفقيه مولى الشبيكة: «مولى الشبيكة سل به وتضرع...»[(٤)].

ويقول قطبهم عبد الله الحداد في آل البيت بعد ذكره لبعضهم معدداً أوصافهم:

قوم يغاث بهم إذا حل البلا   ولدى المساغب كالغيوث الهمع[(٥)]

وجاء في وصف ديوان قطبهم عبد الله الحداد ومستشهداً بقصائده المليئة بالاستغاثات الشركية: «وانظر في ديوانه العظيم في استغاثته بالنبي مثل: بنفسي أفدي خير من وطيء الثرى، وقوله في الفقيه المقدم:

يا سيدي يا جمال الدين يا سندي   أدرك صريخاً أخا غمٍّ وأحزانِ
يدعو بك الله في تفريج كربته   وما عناه دعاء الخائف الجانِ
فقم به وأغثه وارحم جانبه   مما يحاذر في سر وإعلانِ
أنت الغياث لنا في كل نائبة   بعد الإله وطه[(٦)] خير عدنانِ

(١) هو عبد الله بن علي بن عمر بن حسن صاحب الوهط، ولد بتريم، ودرس على شيوخها، توطن قرية وهط اليمنية، ونشر التصوف هناك وكان له مريدين. كانت وفاته سنة ١٠٣٩هـ. انظر: شرح العينية (ص٢٤٠).
(٢) مصباح الأنام (ص٥٦).
(٣) المصدر السابق (ص٥٦ ـ ٥٧).
(٤) المصدر السابق (ص٥٧).
(٥) ديوان الحداد (ص٢٥٦).
(٦) طه وكذلك مثلها يس ليست من أسماء النبي ﷺ وإنما هي أحرف مقطعة تأتي في بداية بعض =

فغارة يا شريف الجد عاجلة تحل عقدة هذا الخطب في الآنِ
لا زلت يا ابن رسول الله منتجعاً للراغبين وملجأ كل لهفانِ[(١)]

وقال في قصيدته في العيدروس عبد الله بن أبي بكر:

هيا يا عيدروس هيا بغوث غارة منكم تحل عقالي[(٢)]

وقال في قصيدة أخرى يمدح بها الشيخ محيي الدين الشيخ عبد القادر الجيلاني:

يا شيخ محيي الدين يا أستاذنا وملاذنا أدرك بغوث حاضري[(٣)]»[(٤)]

ويقول عبد الله بن جعفر مدهر باعلوي[(٥)]:

إذا ما حرت من حر الحروب لباغي نفسك المخطي المصيبِ
ونابتك النوائب واستطالت مخاطبة بأهوال الخطوبِ
وجاد لك الزمان بحادثات وجلا الأمر بالأمر الكئيبِ
وأضحى الأمر في نكر نكير وأمسى القلب في مس اللغوبِ
وأغرب بالغرائب كل وقت وجاء إليك بالعجب العجيبِ
توسل واستغث بالغوث قل يا عفيف الدين حداد القلوبِ[(٦)]

ولم يفرّق القوم بين التوسل وغيره من أنواع العبادات، يقول علوي الحداد: «وإذا جاز التوسل بالأعمال كما في حديث الغار[(٧)] وهي مخلوقة

= السور. ذكر ذلك الشيخ عبد المحسن العباد ـ حفظه الله ـ في دروسه في المسجد النبوي مرارا حين سُئل عن ذلك.

(١) ديوان الحداد (ص٣٢٧).
(٢) المصدر السابق (ص٢٧٥).
(٣) المصدر السابق (ص٢٢٠).
(٤) مصباح الأنام (ص٥٩).
(٥) هو عبد الله بن جعفر مدهر: ولد بالشحر من حضرموت، ورحل إلى الهند ودخل مدينة دلهي فمكث بها نحو عشرين سنة، ثم رجع إلى مكة وبها توفي سنة ١١٦٠هـ، من مؤلفاته: نظم العقائد البنوفرية، والحقيقة المحمدية في كمالات سيدنا محمد وأسراره الإلهية، وكشف أسرار علوم المقربين. انظر: عجائب الآثار للجبرتي (١/ ١٦٣)؛ ونشر العرف (٢/ ٨٧)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ١١٠).
(٦) مصباح الأنام (ص٥٩).
(٧) والحديث في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

فالسؤال به ﷺ أي حياً أو ميتاً أولى ولا فرق بين التعبير بالتوسل أو الاستغاثة أو التشفع أو التوجه في الحاجة أي وبغيره»[١].

يقول علوي الحداد منكراً على من أنكر على هؤلاء المتصوفة استغاثتهم بالأنبياء والأولياء، حيث نقل إنكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب على مخالفاتهم: «ويصرح في مقاعده وخطبه بكفر المتوسل بالأنبياء والملائكة والأولياء... وأن لا قطب تدور عليه الدوائر، ولا أوتاد ولا أبدال، وأنه لا يستغاث بهم»[٢].

وكما مرَّ في خلط القوم بين معنى التوسل والاستغاثة فقد يسمون الاستغاثة بالتوسل، وقد مضى بيان الفرق بين التوسل والاستغاثة.

يقول علوي الحداد في قصيدة له:

مباهلة تنبي عن عظم فضله   وأهل الكسا ذخري إذا الحال يشتدُّ[٣]

وقال عبد الله بن أحمد الهدار[٤]: «ومنها ما حصل للمؤلف محمد سراج الدين باجمال رحمه الله وهو كثير لا يسع هذا المختصر وضعه، من ذلك: إني لما سافرت إلى الهند في عاشوراء سنة ٩٩٣هـ ثلاث وتسعين وتسعمائة حصل على المركب في الموضع المعروف نحو القاري شدة عظيمة، وظلمة ومطر كثير، قد انقطعت آلات المركب واشتد ضجيج أهله، وعلى[٥] بكائهم، وخاطري ساكن لم يتحرك، ولم يقع فيه شيء مما الناس فيه؛ إلا أنني رحمتهم لكثرة صراخهم والتجاهم[٦] إليّ يطلبون الدعاء مني، وأنا أدعو بمشايخي فهتفت بسيدي الشيخ أبي بكر بن سالم ـ نفعنا الله به وبسره ـ داخل المركب وإني أسمع صوته وبيني وبينه كالقناع المسدل وهو يفيض شيئاً كالماء، فنهضت لأقوم إليه وإذا بأهل

---

(١) مصباح الأنام (ص٦٣).
(٢) المصدر السابق (ص٦٥).
(٣) المصدر السابق (ص٨٧).
(٤) هو عبد الله بن أحمد الهدار بن أبي بكر بن سالم، ولد بمدينة عينات سنة ١٣٣٤هـ. من آثاره: ديوان شعر، وكتاب الجواهر في مناقب أبي بكر بن سالم تاج الأكابر، ووسيلة الصب الودود إلى الإله المعبود بسر زيارة نبي الله هود. توفي بعينات سنة ١٣٩٦هـ. انظر: قبسات النور (٢٠٠ ـ ٢٠١).
(٥) كذا في الأصل. والصواب علا.
(٦) كذا في الأصل. والصواب والتجائهم.

المركب يتباشرون بالسلامة، ويحمدون الله تعالى»[١].

ففي هذا النص بيان ما عليه القوم من الانحراف واعتقادهم حضور الميت عند من استغاث به لينقذه، وهذا من تلبيس الشيطان وإضلاله إياهم حيث يتمثل لهم في صورة الميت، ليزيد من تعلقهم بغير الله تعالى، حيث قال إبليس فيما ذكر الله عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٣]. وإلا فإنه معلوم لكل مسلم أن النفع والضر بيد الله جلّ وعلا، لا ينجي عند الشدائد إلا الله تعالى.

وقال علي بن حسين العطاس في ذكر مناقب صالح بن عبد الله العطاس: «ومما أكرم الله به صاحب المناقب، وخصه به في سنيات المراتب، وكاد ينفرد به دون أقرانه أهل زمانه من أهل المظاهر والمناصب، أنه يحضر عند من ناداه، وتوسل إلى الله بصدق نية وصفاء طوية»[٢].

ومن استغاثات علي بن حسن العطاس ـ أحد أوليائهم الكبار ـ ما جاء في شعره:

يا ربِّ بالسادة الأخيار تدركنا وكن مغيثاً لعبد صار حيرانا

إلى أن قال:

يا ربنا كن لنا عون بحرمتهم ونقْ منا كدورات وأدرانا[٣]

وجاء في قصيدة لمحمد بن علي بن علوي خرد باعلوي يمدح فيها محمد صاحب مرباط بن علي بن علوي وفيها دعوة للاستغاثة بغير الله:

ولذ بالولي كنز العلوم إذا دهى مريب وبالأولاد في جرب زنبلِ[٤]

---

(١) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم تاج الأكابر (٢/ ٢٢٦). ولا يزال كثير منهم إلى يومنا هذا يهتفون بمشايخهم في الشدة، كما في قصة الشيخ محمد باشميل رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع جماعته الحضارمة حين اضطراب السفينة في وسط البحر، فسمع أكثرهم يهتفون بسعيد بن عيسى العمودي، فبين لهم أن ذلك شرك فجعلوا ينبزوه بأنه وهابي يكره الأولياء؟!. انظر: مقدمة كتاب «كيف نفهم التوحيد»، للشيخ محمد باشميل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) تاج الأعراس (١/ ٩٤).

(٣) تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ١٦٢).

(٤) غرر البهاء الضوي (ص١٣٢).

هكذا يدعو هذا الصوفي الناس للالتجاء بأوليائهم في مقبرة زنبل، أين هو من الله العظيم الذي بيده النفع والضر، بل ويجيب كل من دعاه؟!.

وقال أبو بكر بن علي المشهور: «من جليل ما وجدته من آثار الجد علوي رضي الله عنه تلك الأبيات التي كتبها توسلاً في حال كرب من كروبه:

بمحمد ومحمد ومحمد ... كشف الخطوب المفجعات المشكلة
خطب ألمَّ بقطرنا الميمون هل ... من همة تجلو أليم القلقلة
من غيركم يرجى وأنتم ذو الحجا ... ما عذركم ولكم عظيم المنزلة

إلى أن قال:

الجدب أضنا بل أمضّ ربوعنا ... تلك الأعزة في السباسب مهملة
من للأرامل والشيوخ وصبية ... في المهد يرجى حلّ تلك المعضلة
بحّت من الأصوات إذ تدعو فمن ... هل من سواكم من يجيب الحيعلة[1]

ويذكر أبو بكر المشهور قصيدة لجده علوي المشهور يستغيث فيها بشيخه وإمامه عمر المحضار وهذه الأبيات:

سيدي يا عمر المحضار نظرة سريعة
تصلح الدين والدنيا وحالي جميعه
ماطر الحق مرسل من مزونه ربيعه
عم الأرض نفعه والجبال الرفيعة

إلى أن قال:

بالتوسل رجانا في الأمور الشنيعة
بالفقيه المقدم والموجّه تبيعه
ذلك السقاف والسكران نعم الذريعة
والمسمى عمر للجار غوثه ربيعه
الملاذ الشفيع الكهن[2] منها القطيعة

---

(١) لوامع النور (١/ ١١٧).
(٢) كذا في الأصل. ولم يتضح لي معناها.

هو حاضر إذا نادى المعنّى سميعه
بحر أو بر يدركنا بغارة سريعة[١]

ومما يدلَّ على تعلقهم بالموتى عند الملمات والضائقات ما ذكره أبو بكر المشهور عند ترجمة جده علوي المشهور وعند ذكر ما حلّ به في بعض السنين من ضيق الأحوال وتعسر المعيشة عليه، وشكوى زوجته، وجوع الأولاد حيث قال: «خرجوا [من المسجد] فوجدوا البيت مغلق ولم يفتح لهم أحد فأمر الجد علوي ولده أبا بكر أن يصعد على النخلة حتى يحاذي الريم أي السطح ثم ينزل إلى البيت ويفتح ففعل... ثم أمره الجد علوي بالتوجه إلى التربة والدخول إلى الشيخ عمر المحضار وأن يقول له: أبوي يقول لك: إننا الليلة بلا عشاء ويرجع، ففعل ثم رجع إلى البيت... حتى مرت فترة من الوقت وإذا بالطارق، فنظر الجد أبو بكر وإذا هو بدوي ومعه قافلة»[٢].

وجاء في كتاب المشرع الروي عند ذكر كرامات ومناقب محمد بن عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم: «وله كرامات خارقة للعادات منها: أنه كان جالساً عند بعض أصحابه فقام مسرعاً وثوبه يتقاطر ماء، فسأله عن قيامه فقال: انخرق مركب بعض أصحابي فاستغاث بي فحشوت الخرق بثوبي حتى أصلحوا ما انخرق فيه على ما كان عليه»[٣].

وجاء في شرح أحمد بن أبي بكر بن سميط أبيات لعبد الله الحداد يدعو فيها للاستغاثة بآل أبي علوي عند الشدائد حيث قال:

«لذ بهم في كل نائبة وادع ذا العرش بهم وسلِ

أي تحصن بهم والتجيء إليهم مستغيثاً بهم في كل نائبة من النوائب...»[٤].

وجاء في ترجمة محمد بن أحمد بن أبي الحب التريمي[٥]، أنه كتب

(١) لوامع النور (١/ ١٣٥ ـ ١٣٦). (٢) المصدر السابق (١/ ٤٥).
(٣) المشرع الروي (١/ ١٨٦)
(٤) تحفة اللبيب شرح لامية الحبيب لأحمد بن أبي بكر بن سميط (ص١٦٢).
(٥) هو محمد بن أحمد بن يحيى ين أبي الحب التريمي، ولد بمدينة تريم سنة ٥٤٥هـ. له قصائد =

رسالة لعلي بن محمد بن أحمد بن جديد العلوي بمكة يعزيه في أخيه عبد الله: «ولقد كان نعم الغوث عند نزول النوائب المهمة، والمدخر لمخشى العواقب المدلهمة، والمملمات الملمة»(١).

وجاء في ذكر مناقب وكرامات عبد الرحمٰن السقاف (ت٨١٩هـ): «وكان يظهر لمن استغاث به جهاراً في الأماكن البعيدة بحراً وبراً، وكان يُرى بعد وفاته»(٢).

ومما يوضح اعتقاد كثير منهم بأن بعض الأولياء لا تخفى عليه حاجات المحتاجين، وأنه يقضيها لهم دون الحاجة إلى تنبيهه بالاستغاثة ما جاء عن الحداد في قصيدة له يمدح فيها الشيخ الجيلاني ويستغيث به فيها «فقيل له: لم عدلتم بالشيخ الجيلاني عن الفقيه المقدم محمد بن علي، وأكابر من في مقبرة تريم؟ فقال: إن الأمر نازل عندهم فما يحتاجون إلى التنبيه»(٣).

وجاء في كتاب الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي الحضرمي التريمي، عند ذكر حج صاحب المناقب وحصول سيول عظيمة وقعت بعده، وحيث كانت أمه امرأة عجوزاً لا تستطيع الفرار من السيل فصعدت نخلة «وقالت حين صعدت النخلة ورأت الأمر العظيم: يا سعد تعني ابنها تستغيث به ﷺ وهو بمكة كما تقدم فما تغير عليها حال، بقدرة الكبير المتعال فأصبحت سالمة ببركة الولي حميد الفِعال سديد المقال»(٤).

وجاء في كتاب (تذكير الناس) قصة وقعت لأحمد بن حسن العطاس عام ١٣٢٥هـ ومال المركب إلى جانب فخاف الناس، ثم أنه زال الخوف فقيل

= ورسائل منثورة. كانت وفاته بتريم سنة ٦١١هـ. انظر ترجمته: تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ٥٩ _ ٦٣).

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ٦٣).

(٢) شرح العينية: لأحمد بن زين الحبشي (ص١٨٨).

(٣) مقدمة ديوان الحداد (ص٤٠).

(٤) الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي الحضرمي التريمي، لعلي بن أبي بكر السكران (ص١٢٥).

للعطاس: «ببركتكم سلّم الله؛ فقال: ما هذا إلا ببركة أهل تريم، وإنا هتفنا بالسادة العلويين فحضروا كلهم»(١).

وشكى كثير منهم حاله للأموات واستغاث بهم، فقد ذكروا أن شخصاً يدعى عبد القادر بن محمد الحبشي حين أتى من بلدته المسماة الغرفة إلى تريم ليشتكي للأموات سوء الأحوال، يقول أبو بكر الحبشي عنه: «رحل إلى تريم للتوسل والاستنجاد بالسلف الصالح، مجرداً قصده ونيته لذلك، فربط الدابة تحت المقبرة، ودخل إلى حضرة سيدنا الفقيه المقدم والسلف مجتمعين للبحث فيما جاء بصدده»(٢).

والاستمداد بالأموات شرك أكبر يقول الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الاستمداد بالأموات والغائبين هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، فإن الاستمداد عبادة، والعبادة لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله»(٣).

❊ المطلب الثاني ❊
قولهم في الشفاعة

تمهيد:

تعريف الشفاعة لغة واصطلاحاً:

الشفاعة لغة: قال ابن فارس: الشين والفاء والعين أصل صحيح يدلَّ على مقارنة الشيئين، والشفع خلاف الوتر(٤). وجاء في لسان العرب: شفع لي يشفع شفاعة وتشفع: طلب، ومعنى استشفعه طلب منه الشفاعة، أي قال له كن لي شفيعاً.

والشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره، والشافع الطالب

---

(١) تذكير الناس (ص١٤٨). (٢) المصدر السابق (ص٢٣٩).
(٣) الدرر السنية (٩/ ١٥٢) ط٢، ١٣٥٨هـ.
(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٠١) ط٣، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، تحقيق: عبد السلام هارون.

لغيره فيشفع به إلى المطلوب. يقال: تشفّعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه، واسم الطالب شفيع، والشفيع: الشافع، والجمع شفعاء[١].

واصطلاحاً: عرّف العلماء الشفاعة بتعاريف كثيرة، نقتصر على تعريف واحد منها لعله من أجمعها: الشفاعة: هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة[٢].

وهذا التعريف يشمل الشفاعة في أمور الدنيا والآخرة، ويتضمن هذا التعريف كذلك طلب الشفاعة بدرء المفاسد والشفاعة بطلب جلب المصالح[٣].

أقسام الشفاعة:

والشفاعة قسمان:

شفاعة مثبته: هي الشفاعة الصادرة عن إذنه تعالى لمن وحده ورضيه[٤].

وشفاعة منفية: هي التي نفاها القرآن، وهي التي يطلبها المشركون من غير الله[٥].

شروط الشفاعة:

وللشفاعة ثلاثة شروط دلّت عليها النصوص، ولا بد من توفرها في الشافع والمشفوع له يوم القيامة فإن تخلف أحدها لم تصح الشفاعة، وقد سمى الإمام ابن القيم رحمه الله هذه الشروط أصولاً حيث قال: «فهذه ثلاثة أصول لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا من رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله»[٦].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٨/ ١٨٤) بتصرف، دار صادر، بيروت.

(٢) شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله (ص١٢٨)، مؤسسة الرسالة بسوريا، ط١، ١٤٠٣هـ.

(٣) انظر: الشفاعة عند أهل السنّة والرد على المخالفين فيها: للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع (ص١٥).

(٤) انظر: مدارج السالكين للإمام ابن القيم (١/ ٣٦٩)، دار الحديث، القاهرة.

(٥) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع ابن قاسم النجدي (٢/ ١٥٨).

(٦) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٣٤١) تحقيق محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٩٧٢م. باختصار.

فمن كلام الإمام ابن القيم يتبيّن لنا أن شروط الشفاعة ثلاثة هي:

١ ـ إذن الله تعالى للشافع أن يشفع.

٢ ـ رضاه تعالى عن المشفوع له.

٣ ـ لا يرضى الله تعالى إلا عن أهل التوحيد.

ونذكر نصاً واحداً لكل شرط من هذه الشروط:

فالشرط الأول للشفاعة دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

والشرط الثاني: دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وأما الشرط الثالث فيدلَّ عليه الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أوّل منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»[(١)].

والشفاعة وإن كانت حقاً في الآخرة فلها أنواع كما مرَّ ذكرها، فوجب على كل مسلم الإيمان بشفاعته ﷺ بل وغيره من الشفعاء فهي ثابتة بالوصف لا بالشخص، ما عدا الشفاعة العظمى فإنها لأهل الموقف عامة، والوصف من مات لا يشرك بالله شيئاً كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»[(٢)].
وإذا كان بالوصف فرجاؤها من الله ودعاؤه أن يشفع فيه نبيه ﷺ هو المطلوب[(٣)].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤٧٣) من هذا البحث.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (ص١١٢) برقم (١٩٩).

(٣) انظر: الأسنة الحداد (ص٢٧).

ولا بد من توفر هذه الشروط جميعاً وإلا لم تنفع الشافع والمشفوع له يوم القيامة، ولعدم معرفة صوفية حضرموت بهذه الشروط التي دلَّ عليها الكتاب والسنَّة فإنهم وقعوا في الشفاعة المنفية، ولم يفرقوا بينها وبين الشفاعة المثبتة بل أنهم أثبتوا الشفاعة لمن أرادوا قبل وقتها كما سيأتي.

النصوص الدالة على انحراف صوفية حضرموت في الشفاعة:

سلكت صوفية حضرموت طريق المخالفين في مسألة الشفاعة بناء على اعتقادهم أنهم ما دعوا أولياءهم وصالحيهم واستغاثوا بهم في دفع الكربات وإزالة الشدة، وطلبوا منهم قضاء الحاجات إلا لاعتقادهم أنهم يشفعون لهم عند الله ويقربونهم إليه، كمشركي قريش سواء بسواء، وقد سوَّل الشيطان لصوفية حضرموت وأوقعهم في الشرك، فلجأ القوم إلى البحث عن الشبه والحجج المزعومة لتبرير أعمالهم الشركية، ومن تلك الأعذار الواهية قولهم: نحن معتقدون أن الله هو الفاعل حقيقة وإنما نتقرب إلى الأموات لطلب الجاه والشفاعة ونحو ذلك من الأعذار الواهية، التي سيأتي الرد عليها ـ إن شاء الله تعالى ـ.

ولم يعرف القوم الحق في هذا الباب لعدم فهمهم للأدلة الشرعية وأن استشفاع العبد في الدنيا إنما هو فعل السبب لحصول شفاعته ﷺ له يوم القيامة؛ وذلك باتباع ما جاء به ﷺ قولاً وعملاً واعتقاداً، وإنما سألتَ له الوسيلة مع تحققها تنويهاً بقدره ورفعاً لذكره، ويعود ثواب ذلك إلينا، فهذا هو الدعاء المأثور وهو فارق بين الدعاء الذي أحبه والدعاء الذي نهى عنه[١].

وكذا يقال أن حقيقة الشفاعة كلها لله، فلا تُسأل في هذه الدار إلا من الله سبحانه وتعالى، وأن يشفع فيه نبيه ﷺ، فجميع الأنبياء والأولياء لا يجعلون وسائل ولا وسائط بين الله وبين الخلق في جلب الخير، أو دفع الشر، ولا يجعل لهم من حق الله تعالى شيء؛ لأنه حقه تعالى وتقدس من غير جنس

(١) انظر: الأسنة الحداد (ص٢٩ ـ ٣٠).

حقهم، فإن حقه عبادته بأنواعها بما شرع في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وحق أنبيائه عليهم السلام الإيمان بهم وبما جاءوا به وموالاتهم وتوقيرهم، واتباع النور الذي أنزل معهم ومحبتهم، وأن محمداً ﷺ خاتمهم وأفضلهم، وإثبات شفاعتهم التي أثبت الله في كتابه أنها لا تكون إلا بعد إذنه لمن رضي عنه من أهل التوحيد[1].

وكذا فإن كبارهم لم يعرفوا الشفاعة التي أثبتها القرآن بشروطها، مما جعلهم يقعون في الشفاعة المنفية، فقالوا: «الشفاعة التي نفاها القرآن وأبطلها هي الشفاعة الشركية التي يعتقدها المشركون لآلهتهم، وهي ما كان بغير إذن الله تعالى ورضاه؛ فإنهم يرون أن شفاعتهم مقبولة لا ترد وليست متوقفة على إذن الله تعالى[2].

يتضح من هذا النص أن كبارهم قد حصروا الشفاعة المنفية في أفعال المشركين مع آلهتهم فجوزوا طلبها من النبي ﷺ ومن الأموات، بل واعتقدوها قبل وقتها، ولم يلتفتوا لشروطها.

ويجاب عن قولهم: الشفاعة التي نفاها القرآن وأبطلها هي الشفاعة الشركية التي يعتقدها المشركون لآلهتهم... إلخ أن يقال: **أولاً**: صرّح العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[3] مع ملاحظته وعدم القصور عليه[4].

ثانياً: إن المشركين السالفين، والكافرين الغابرين، منهم من كان يعبد الأنبياء كعيسى، وعزير، ومنهم من كان يعبد الصالحين، كود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فكفرهم الله جميعاً، وأخبر عن كفرهم، وكلمة (دون الله) في مثل قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦]. وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]. تشمل كل معبود غير الله، ولو كان نبياً أو ملكاً، وقد رأيتم أن الله كفَّر اليهود والنصارى بطاعتهم للأحبار

---

(١) الأسنة الحداد (ص٢٦). (٢) الأجوبة الغالية (ص٤٥).

(٣) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر: لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ) (١/ ٢٣٣) تحقيق: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود ـ الرياض، ط٢، ١٣٩٩هـ.

(٤) الأسنة الحداد (ص٢٨ ـ ٢٩) باختصار.

والرهبان في تحريم الحلال، وتحليل الحرام، فضلاً عن السجود لغير الله والنذر له والطواف به[(١)].

ويقال لهؤلاء أيضاً: إن المتعيّن على كل مسلم صرف همته وعزائم أمره إلى ربه تبارك وتعالى بالإقبال إليه، والاتكال عليه، والقيام بحق العبودية له سبحانه، فإذا مات موحداً سيشفِّع الله تعالى فيه نبيه ﷺ، بخلاف من أهمل ذلك وارتكب ضده من الإقبال إلى غير الله، والتوكل عليه ورجائه فيما لا يمكن وجوده إلا من عند الله والالتجاء إلى ذلك الغير، مقبلاً على شفاعته متوكلاً عليها طالبها من النبي ﷺ أو غيره راغباً إليه فيها، تاركاً ما هو المطلوب المتعين على المخلوق لأجله، فإن هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم، ولا نشأت فتنة في الوجود إلا بهذا الاعتقاد، فصار شقياً بالإرادة الكونية والعاقبة الغوية، فقد حسم الله تعالى مادة الشفاعة عن كل أحد بغير إذنه إلا له وحده لا ملك ولا نبي ولا غيرهما؛ لأن من شفع عنده بغير إذنه فهو شريك له في حصول ذلك المطلوب؛ لتأثيره فيه بشفاعته، ولا سيما إن كانت من غير إذنه فجعل يفعل ما طلب منه، والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه، وكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه، والله تعالى وتر لا يشفعه أحد بوجه من الوجوه، لذا قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وطلبها من غير الله في هذه الدار زعم بعدم تعليقها بالإذن والرضا عن المشفوع، وقال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥].

يقول علوي الحداد مستدلاً لشفاعتهم الشركية ومنكراً على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إنكاره صرف الدعاء لغير الله تعالى: «فأما قوله إنه دعاء فكذب وبهتان، وإنما هو نداء والنداء غير الدعاء الذي هو العبادة[(٢)]...

---

(١) تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران (ص٧٣).

(٢) تقدم الرد على هذه الشبهة في مطلب: قولهم في الدعاء (ص٤٨٢) وما بعدها من هذا البحث.

وورد في الصحيح: أن الخلائق يوم القيامة يفزعون إلى الأنبياء والرسل طالبين منهم الشفاعة[١] منادين لكل نبي باسمه»[٢].

ويجاب عن كلام الحداد: أن هذا النداء ليس نداء عبادة، بل هذا نداء لحي حاضر قادر على الدعاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالتوسل إليه بالأعمال الصالحة التي أمر بها وبدعاء أحياء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم ليس هو من باب الإقسام عليه بمخلوقاته، ومن هذا الباب استشفاع الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة، فإنهم يطلبون منه أن يشفع لهم إلى الله كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره...»[٣].

ويقول علوي الحداد: «وفي سنن أبي داود وغيره أن أعرابياً قال للنبي ﷺ: جهدت الأنفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله فإنا نستشفع بك إلى الله... إلخ»[٤]

الجواب: لفظ الحديث عند أبي داود من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه: قال أتى رسول ﷺ أعرابي فقال يا رسول الله: جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ: «ويحك أتدري ما تقول؟» وسبَّح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: «ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله إن عرشه على سماواته لهكذا وقال بأصابعه مثل القبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب»[٥].

---

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة الذي: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ (ص٩٠٦ ـ ٩٠٧) برقم (٤٧١٢)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١٠٩ ـ ١١٠) برقم (١٩٤).

(٢) مصباح الأنام (ص١٩).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤١٥).

(٤) مصباح الأنام (ص٣٢).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنَّة، باب في الجهمية (ص٥١٥) برقم (٤٧٢٦)؛ =

هذا الحديث ضعيف، فلا حجة فيه للصوفية، وعلى تقدير صحته فلا حجة فيه لمبطل؛ لأن الاستشفاع بالرسول ﷺ المراد به استجلاب دعائه، وليس خاصاً به ﷺ، بل كل حي صالح يرجى أن يستجاب له فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة، أما الميت فيشرع في حقه الدعاء له على جنازته وعلى قبره أو في أي مكان وهذا الذي يشرع في حقه، وأما دعاؤه فلم يشرع، بل دلَّ الكتاب والسنَّة على النهي عنه والوعيد عليه، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣ ـ ١٤]. فبين الله تعالى أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر من فعله كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٦]. فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر[1].

وادعى مشايخهم أن لأوليائهم الشفاعة، بل وجعلوها لهم قبل وقتها، ولجهلهم بشروط الشفاعة التي مرَّ ذكرها جعلوا الشفاعة لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، جاء في كتاب الجوهر الشفاف في الحكاية ٤٩٢ عند ذكر مناقب علي بن عبد الله بن إبراهيم باحرمي (ت٨٠٠هـ): «وقيل أنه يوم توفي شفع في أهل قرنه»[2].

وتقوّل بعضهم على الله تعالى، وادعوا أنه سبحانه جعل لأوليائهم الشفاعة لثلث الأمة، وجعلوهم في مصاف الرسل ﷺ، قال قائلهم في قصيدته المشهورة «بقصعة العسل» مادحاً سعيد بن عيسى العمودي:

سعيد يوم الغمة يشفع لثلث الأمة

= والدارمي في سننه (ص٢٤)؛ وابن أبي عاصم في السنَّة (١/ ٢٥٢) برقم (٤٧٢٦). والحديث قال فيه الذهبي في كتابه العلو (ص٣٩): (هذا حديث غريب جدا فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير، وعجائب. فالله أعلم أقال ذلك النبي ﷺ هذا أم لا؟). والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف سنن أبي داود (ص٤٧٠) برقم (١٠١٧)؛ وفي ظلال الجنة في تخريج السنَّة (ص٢٥٢ ـ ٢٥٣) برقم (٥٧٥).

(١) انظر: الأسنة الحداد (٢٣٩ ـ ٢٤٠).
(٢) الجوهر الشفاف (٣/ ٧٥).

يخرج به من ظلمة إلى ضياء نور الله

إلى أن قال:

شفَّعه ربه في الناس يوم المخاوف والبأس

في يوم ما يظهر راس إلا أن يكن رسُل الله[(١)]

وقال شيخ بن عبد الله العيدروس: «وروي عن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد الرحمٰن رضي الله عنه ونفع به، قال: قال لي الشيخ الجليل والقدوة الشهير أبو بكر بن الشيخ عبد الرحمٰن، رضي الله عنهم، ونفع بهم: أشهد عني أن والدي أُعطي على الأولياء من الشفاعة مثل ما أعطي منها محمد ﷺ على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين؛ فإنه أخرج من النار كل من دخلها من أهل تريم ذلك كشفاً منه...»[(٢)]. وهذا النص فيه رفع منزلة أوليائهم في الشفاعة وجعلها في منزلة النبي ﷺ، وكذا رفع منزلة أوليائهم على بقية أولياء الصوفية وغيرهم، ودعوى التصرف في أمور الآخرة، حيث ـ يزعمون ـ أن أولياءهم يخرجون من النار جميع أهل تريم مؤمنهم وكافرهم، الموحد منهم والمشرك، هكذا بلغ بهم الغلو والانحراف عن دين الله جلّ وعلا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكذا جعلوا شفاعة أوليائهم يوم القيامة لمحبيهم، وهذه دعوة منهم لمحبة أوليائهم على ما عندهم من الانحراف، وترويج هذه الفضيلة عند الناس للتعلق بهم، لينالوا هذه الشفاعة المزعومة، فقد جاء في مناقب محمد بن أحمد المعروف بمقدم تربة قسم أن جمل الليل قال: «لما مات محمد بن أحمد ارتفع عن تربته العذاب وأنه يشفع لجميع أهل محبته....»[(٣)].

ومن انحرافاتهم دعوى أن شفاعة مشايخهم تتعدى للقبائل الحضرمية، جاء في كتاب شرح العينية: «وقال الشيخ الجليل الفقيه محمد أبي بكر عباد:

---

(١) قصعة العسل (ص٦٩).

(٢) العقد النبوي (١/ ٣٦٥).

(٣) المشرع الروي (١/ ١٧٤).

الذي يغلب على الظن أن الشيخ محمد بن علي يشفع حتى في نهد[(١)]»[(٢)].

قال عبد الله باسودان في كلام له في شرح الواسطة الشركية التي اعتمدتها صوفية حضرموت: «كما قال سيدنا الشيخ عبد الله الحداد صاحب الراتب ـ قدس الله روحه ـ أن الولي يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به بعد موته أقوى من اعتنائه بهم في حياته؛ لأنه مشغول بالتكليف وبعد موته طرح عنه الأعباء وتجرد. انتهى.

وذلك: لأن الله تعالى متولٍ أمر الولي في الدنيا والآخرة، بل قد يتوجه بعض من له حاجة إلى الولي من نحو شفاعة في جلب نفع أو دفع مكروه وضر من كل الأغراض الدنيوية والأخروية، فيعلم الله المتوجه إليه، ويأذن له في إيصال مطلوبه إليه، فيكون الله سبحانه هو الفاعل لذلك والولي واسطة وآلة»[(٣)].

وجاء في قصيدة لأبي بكر بن سالم العلوي يقول فيها:

أنا المجتبى بين أهلي وشفّعت في عاصيها[(٤)]

وادعى القوم الشفاعة لأنفسهم؛ بل وحددوا مساكن المشفوع لهم، يقول أحمد بن زين الحبشي: «وكان سيدنا الفقيه ﷺ يقول: أنا لأهل بلدي كالغيث، وكان يقول: عليّ من القارة[(٥)] إلى قبر هود ﵇[(٦)] يعني في الشفاعة»[(٧)].

---

(١) وهي القبائل الوافدة من اليمن أو من عمان إلى حضرموت وكانت تنطوي هذه القبائل في القديم تحت لواء خيثمة، ومناطق نهد القديمة تقع غربي حضرموت. انظر: المختصر في تاريخ حضرموت العام لمحمد بن عبد القادر بامطرف (ص١٠٢ ـ ١٠٤).

(٢) شرح العينية (ص١٥٨).

(٣) ذخيرة المعاد، لباسودان (ص٤٧).

(٤) مجموع مبارك يحتوي على المولد الشريف للديبعي وقصائد في مدحه ﷺ: (ص٩٢).

(٥) القارة: بلدة بحضرموت بإزاء النقعة شمال غيل باوزير إلى جهة الشرق في غربي الحزم. انظر: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت لابن عبيد الله السقاف (ص٦٨).

(٦) قبر مزعوم بحضرموت يقع شرق مدينة تريم، وستأتي مناقشة القوم في ادعائهم وجود القبر المزعوم. وانظر عن قبر هود: إدام القوت (ص٥٧٨ ـ ٥٨٥).

(٧) شرح العينية (ص١٦١)

وقد بلغ ببعضهم الجرأة أن زعم أن الله أعطاه الشفاعة لجميع الناس في عصره، مؤمنهم وكافرهم فضلاً عن أقاربهم ومحبيهم، وذلك قبل وقت الشفاعة، وهم في الدنيا بل يزعم أن الله ينازله ويكلمه ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ جاء في «تذكير الناس» عند ذكر عبد الله بن حسين بن طاهر وذكر خلوته المعدة للعبادة: «وكانت له خلوة يعيّن له فيها مجلساً خاصاً ويحذر أهله وغيرهم من الدخول عليه بغير إذن، فجاء الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى ففتح الخلوة عليه فوجده مالي[1] الخلوة فرجع، ثم بعد خروجه أخبره بما رآه منه وسأله عن حالته تلك، فعاتبه وقال: كيف وأنا حذرتكم من الدخول عليّ؟ فقال له: قد وقعنا فيها وأخبرني بما جرى لك. فقال: كنت في تلك الساعة في حضرة الله تعالى ونازلني وقال لي: يا عبد الله لك عليّ ما شئت. فقلت: يا ربِّ أسألك أن تشفعني في أهل بيتي فقال: شفعتك فيهم فقلت: يا ربّ لي أصحاب وأحباب متعلقون بي، أسألك أن تشفعني فيهم. فقال: شفعتك فيهم. فقلت له: ومن يحضر مجالسي من أهل البلد ونواحيها فقال: قد شفعتك فيهم، فقلت له: وأهل حضرموت ومن سمع بي واعتقد فيّ فقال: قد شفعتك فيهم فقلت: يا ربّ، ولم لا تشفعني في أهل عصري كلهم؟ فقال: قد شفعتك فيهم»[2].

وجاء في ذكر خصائص الفقيه المقدم: «وكان من خصائص الفقيه القطب المشهور الفقيه محمد بن علي المذكور أنه شهد له جماعة من العارفين الكبار... منهم الشيخ عبد الله بن محمد باعبّاد والشيخ سعيد بن عمر بالحاف[3] أنهم بعد موته ما صلوا على جنازة ميت إلا وهو يصلي عليه معهم، فإذا كان في بلاديهما وأماكنها وهما في البلاد البعيدة، فما ظنك ببلاد شيخنا

(١) أي أنه ملء الخلوة.
(٢) تذكير الناس (ص٢١٧).
(٣) هو سعيد بن عمر بلحاف، من أعيان صوفية حضرموت تخرج بالفقيه المقدم، لم يترجم له المؤرخون رغم قدمه في التصوف، يوجد له بعض الأشعار موجودة بمدينة شبام. وتتلمذ عليه عبد الله باعلوي حفيد الفقيه المقدم. ومن الذين شرحوا شعره عبد الله بن أبي بكر العيدروس (ت٨٦٥هـ). انظر: المشرع الروي (٢/٣٤٦ ـ ٣٤٧)؛ وإدام القوت (ص٦٧مع الهامش).

وما قرب منها كيف لا يحضر موتاهم ويعتني بهم!، ولعله ما يحضر الموتى إلا لرحمته لهم وشفقته عليهم فإذا رآهم في شدة أو غم رق لهم ورحمهم فيشفع لهم، فلا شك أنه ممن يصلّي على نفسه بنفسه»[(١)].

وجاء عند ذكر وفاة سالم بن فضل: «ويروى أنه يشفع كل يوم في سبعين معذَّباً»[(٢)].

وجاء عند ذكر كرامات محمد بن علي الفقيه المقدم: «وروي عن السيد الجليل العارف محمد بن حسن المعلم رضي الله عنه ونفع به قال: شهدت أن الشيخ محمد بن علي ـ رضي الله عنه ونفع به ـ أوقف بين يدي الله تعالى بعد وفاته وخوطب بهذا الخطاب ثلاث مرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار: ٦]، فلم يرد الشيخ جواباً والملائكة محيطة به، وإذا بالنداء من قبل الحق تبارك وتعالى يقول للملائكة: اذهبوا به حيث شاء فإنه محبوب، فقال الشيخ ـ رضي الله عنه ونفع به ـ: اذهبوا بي إلى النار، فذهبوا به إليها فلما وصلها رمى بنفسه فيها، فجعل يسير فيها ذاهباً ومقبلاً ويخرج كل من رآه من أهل تريم، حتى أخرجهم الجميع إلا اثنين أو ثلاثة كلما أخرجهم عادوا إليها فبقي يشفع لهم....»[(٣)].

وجاء في كتاب (إثبات نسب السادة العلويين الحسينيين والأشراف): «كان الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد يقول: إن الصديّق يشفع لأهل تريم خاصة»[(٤)].

وجاء في كتاب إدام القوت: «ومن خط سيدي عبد الرحمٰن بن علي بن الأستاذ الحداد أن المتعلق بالشيخ أحسن من الحاضر عنده لغلبة رؤية البشرية على الحاضر، وقد قال الشيخ أبو بكر بن سالم: لو سألت الله أو قال لو

---

(١) العقد النبوي١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

(٢) تعليق الناشر على البرقة المشيقة (ص١١٤)، قام بطبعه ونشره علي بن عبد الرحمن بن سهل جمل الليل باعلوي.

(٣) العقد النبوي (١/ ٣٤٢).

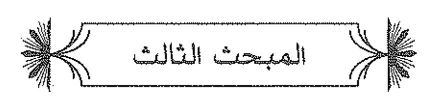
(٤) إثبات نسب السادة العلويين الحسينيين والأشراف، لعمر بن سالم العطاس (ص٢٤).

تشفعت في أحد من الكفار ولعيالي وأخدامي لرجوت الإجابة لأولئك الكفار؛ لأن المخامرة تذهب الإحترام.اهـ مختصراً»[١].

وهكذا يصل بهم الحال إلى رجاء قبول الشفاعة حتى للكفار، وهي شفاعة منفية، لا يأذن الله بها ولا يرضاها، وكل هذه التخبطات والانحرافات في هذه المسألة تعود إلى عدم معرفة التوحيد، وعدم دراسة العقيدة الصحيحة، إنما هو الاعتماد على القصص والخرافات والغلو في الأولياء والصالحين وهذه أهم الأسس التي قام عليها دين الصوفية.

---

(١) إدام القوت (ص٥٥٥).



المبحث الثالث

قولهم في التوسل



● وتحته مطالب:

تمهيد

التوسل لغة: قال ابن فارس: «الوسيلة الرغبة والطلب يقال: وسل إذا رغب والواسل الراغب إلى الله»(١).

يقال: وسل فلان يسل إلى الله بالعمل وسلا: رغب وتقرب. ووسّل فلان إلى الله، ووسلْت إليه، وتوسّل وسيلة توسيلاً؛ أي: عمل عملاً تقرّب به إليه. وأنا متوسل إليه بكذا، وواسل، ووسلت إليه، وتوسلت إلى الله بالعمل: تقربت(٢).

وقال الراغب الأصفهاني: «الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة وهي أخص من الوصيلة لتضمنها لمعنى الرغبة قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة، والواسل: الراغب إلى الله تعالى»(٣).

واصطلاحاً: التوسل والوسيلة بالمعنى العام: «هي التقرب إلى الله بطاعته، وهذا يدخل فيه كل ما أمرنا الله به ورسوله»(٤).

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦/ ١١٠).

(٢) انظر: القاموس المحيط (ص١٠٦٨)؛ ولسان العرب (١١/ ٧٢٤)؛ والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٨٥)؛ والمعجم الوسيط (١٠٣٢).

(٣) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت٥٠٢هـ (ص٥٢٣ ـ ٥٢٤).

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٢٤٧).

أما المعنى الخاص للتوسل: «والتوسل في دعاء الله تعالى أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سبباً في قبول دعائه»[١].

فيكون المراد بالتوسل الشرعي بأنه: عبادة يراد بها التوصل إلى رضوان الله والجنة[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب إليه من الواجبات والمستحبات... وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء كان محرماً أو مكروهاً أو مباحاً»[٣].

وحقيقة الوسيلة كما مرَّ معنا في قول الراغب الأصفهاني هي ما كان عن طريق العلم والعمل به مع تحري مكارم الشريعة.

ويؤيد هذا القول أن لفظة الوسيلة لم ترد في القرآن إلا مرتين ومعناها ما بيَّنه المفسرون وهي طلب القربة من الله تعالى بالعلم والعمل بما يرضيه جلَّ وعلا.

فالموضع الأول: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة: ٣٥].

والموضع الثاني، قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقد بيَّن أهل التفسير معنى هاتين الآيتين الكريمتين: فالآية الأولى يقول الإمام الطبري عنها في تفسيره: «عني جل ثناؤه بذلك يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ووعدهم من الثواب وأوعد من العقاب ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، يقول: أجيبوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة له في ذلك، وحققوا إيمانكم

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢/ ٣٤٠).
(٢) المصدر السابق (٥/ ٢٧٩).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٧٩).

وتصديقكم ربكم ونبيكم بالصالح من أعمالكم، ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه»[(١)].

وفي تفسير الآية الثانية، يقول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا ردٌّ على طائفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على أنها صور الملائكة، وعلى طائفة من أهل الكتاب كانوا يقولون بإلهية عيسى ومريم، وعزير، فأمر الله سبحانه رسوله ﷺ بأن يقول لهم: ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله، وقيل: أراد بالذين زعمتم نفراً من الجن عندهم ناس من العرب، وإنما خصصت الآية بمن ذكرنا لقوله: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، فإن هذا لا يليق بالجمادات ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾؛ أي: لا يستطيعون ذلك، والمعبود الحق هو الذي يقدر على كشف الضر، وعلى تحويله من حال إلى حال ومن مكان إلى مكان فوجب القطع بأن هذه التي تزعمونها آلهة ليست بآلهة.

ثم إنه سبحانه أكد عدم اقتدارهم، ببيان غاية افتقارهم إلى الله في جلب المنافع ودفع المضار، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾... ولا خلاف في ﴿يَبْتَغُونَ﴾ أنه بالتحتية و﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾: القربة بالطاعة، والعبادة أي يتضرعون إلى الله في طلب ما يقربهم إلى ربهم، والضمير في ربهم يعود إلى العابدين أو المعبودين ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ مبتدأ وخبر، قال الزجاج: المعنى أيهم أقرب بالوسيلة إلى الله؛ أي يتقرب إليه بالعمل الصالح، ويجوز أن يكون بدلاً من الضمير في ﴿يَبْتَغُونَ﴾؛ أي: يبتغي من هو أقرب إليه تعالى الوسيلة، فكيف بمن دونه؟ وقيل: إن ﴿يَبْتَغُونَ﴾ مضمن معنى يحرصون أي يحرصون أيهم أقرب إليه سبحانه بالطاعة والعبادة...»[(٢)].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، للإمام محمد بن جرير الطبري (٦/ ٢٧١)، ضبط وتعليق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ ١٤٢١هـ.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، للشوكاني (٣/ ٣٢٩)، دار الوفاء، مصر، المنصورة، ط٢، ١٤١٨هـ.

أنواع التوسل:

يقسِّم العلماء التوسل إلى قسمين[١] هما:

أولاً: التوسل المشروع.

ثانياً: التوسل الممنوع.

أولاً: التوسل المشروع وأنواعه:

التوسل المشروع هو الذي يكون عن طريق طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بفعل الطاعات واجتناب المحرمات، وعن طريق التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة وسؤاله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، فهذا هو الطريق الموصل إلى رحمة الله ومرضاته[٢].

ومما تقدم يتضح أن التوسل المشروع الذي دلَّت عليها نصوص الكتاب والسنَّة ثلاثة أنواع وهي:

١ ـ التوسل إلى الله تعالى به وبأسمائه وصفاته:

ودليله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «أن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمٰن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرّف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك»[٣].

وقوله ﷺ في دعائه: «أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحد من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب

---

(١) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٤٠ ـ ٢٤١)؛ والكشف الجلي، لحسين بافقيه (ص٣٠٩ ـ ٣١٠)؛ والقول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي، لمحمد بن أحمد بن عبد السلام (ص٥٤ ـ ٥٦)؛ والتوسل: أنواعه، وأحكامه (ص٢٢ ـ ٤٨).

(٢) انظر: حكم التوسل بالأولياء والصالحين، دار الوطن للنشر (٣ ـ ٤)، قرأها وراجعها د. ناصر بن عبد الكريم العقل.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (ص١٠٦٥) حديث رقم (٢٦٥٤).

عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي وجلاء حزني»[(١)].

٢ ـ التوسل إلى الله بدعاء العبد الصالح في حياته:

ودليله قوله تعالى حكاية عن أبناء يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا يَٰأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [يوسف: ٩٧].

وكان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك مع النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، ومع صالحيهم بعد موته. ودليل ذلك ما جاء في صحيح البخاري أنه حصل جدب في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى سمي ذلك العام بعام الرمادة، فخرج بهم عمر رضي الله عنه إلى المصلّى وقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قم يا عباس فادع الله لنا» قال أنس رضي الله عنه: فيسقون[(٢)].

ففي هذا الحديث بيان لمعنى التوسل الذي فعله الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ومع صالحيهم من بعده صلى الله عليه وسلم حيث جاء في آخر الأثر: (قم يا عباس فادع الله لنا)؛ أي أنهم توسلوا بدعاء العباس لا بذاته، لكن صوفية حضرموت لم يفرقوا هذا المعنى للتوسل مما جعلهم يتوسلون بذوات المخلوقين ويصرفون لهم كثيراً من العبادات كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ.

٣ ـ التوسل بالأعمال الصالحة:

وهي الأعمال التي يفعلها العبد تقرباً إلى الله تعالى، يتوسل بها إلى ربه جلّ وعلا لينال مطلوبه منه.

ودليله ما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٣٩١، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: إسناده صحيح. وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١/٣٨٨)، برقم (١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (ص٢٠٠) حديث رقم (١٠١٠).

اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي في طلب شيء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. قال النبي ﷺ: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمَّت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. قال النبي ﷺ: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمَّرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدِّ إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله لا تستهزىء بي. فقلت: إني لا أستهزىء بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[1].

هذه هي أنواع التوسل المشروع، التي ينبغي للمسلم التعويل عليها، وهي متفاوتة فمنها ما هو ركن، كالتوسل بأسماء الله تعالى وصفاته والإيمان والتوحيد؛ لأنه لا نجاة للعبد إلا به، ومنها ما هو مستحب كالتوسل بالأعمال

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له: كتاب الإجارة:، باب من استأجر أجيراً فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد فيه أو من عمل في مال غيره فاستفضل، (٤٢٣ ـ ٤٢٤) برقم (٢٢٧٢)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب قصة أصحاب الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال (ص١٠٩٦ ـ ١٠٩٧) برقم (٢٧٤٣).

الصالحة، أو بدعاء الصالحين[١].

يقول الشيخ الألباني رحمه الله بعد أن ذكر هذه الأنواع الثلاثة للتوسل المشروع: «وأما ما عدا هذه الأنواع من التوسلات ففيه خلاف، والذي ندين الله به أنه غير جائز ولا مشروع؛ لأنه لم يرد فيه دليل، تقوم به الحجة... وقد رأينا في قضية التوسل التي نحن بصددها الحق مع الذين حظروا التوسل بمخلوق، ولم نر لمجيزيه دليلاً صحيحاً يعتد به، ونحن نطالبهم بأن يأتونا بنص صحيح صريح من الكتاب أو السنَّة فيه التوسل بمخلوق، وهيهات أن يجدوا شيئاً يؤيد ما يذهبون إليه، أو يسند ما يدعونه، اللهم إلا شبهاً واحتمالات»[٢].

ويتضح مما تقدم انحراف صوفية حضرموت عن الطريق في هذه المسألة العظيمة حيث توسلوا بالأموات، واستدلوا لذلك بأدلة إما صحيحة غير صريحة، لا دخل لها في هذه المسألة، أو أدلة صريحة لكنها غير صحيحة، وهي كما قال الشيخ الألباني رحمه الله شبهٌ واحتمالات لا تنفع صاحبها. وأما علماء أهل السنَّة والجماعة فكتبهم مليئة بأقوالهم في بيان هذه المسألة، ولا يوجد فيها أي توسل بذوات المخلوقين وليأتِ صوفية حضرموت بإمام واحد من علماء أهل السنَّة والجماعة ـ ولن يستطيعوا ـ قال بقولهم في التوسل بالأموات.

ثانياً: التوسل الممنوع وأنواعه:

التوسل الممنوع وهو ما عدا التوسل المشروع، ولم يرد دليل شرعي تقوم به الحجة في جوازه، ولم يقل به السلف الصالح، بل أنكره أهل السنَّة وينكرونه في كل زمان ومكان.

وهذا التوسل عكس التوسل المشروع، فهو التقرب إلى الله بما لم يشرعه، وما لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات.

والتوسل من العبادات التوقيفية التي تتوقف على نصوص الكتاب والسنَّة،

---

(١) أنواع وأحكام التوسل المشروع والممنوع، لعبد الله بن عبد الحميد الأثري (ص٦٩)، بتصرف يسير، دار الراية، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ.

(٢) التوسل، أنواعه، وأحكامه، للشيخ الألباني (ص٤١ ـ ٤٢).

ولم يثبت التوسل إلا بالأنواع الثلاثة المشروعة التي مرَّ ذكرها، وأما ما وراء ذلك فغير جائز، لمخالفة ذلك لشرع الله واستدراك عليه؛ لذا كان أكثر ضلال صوفية حضرموت في فهم النوع الثاني من أنواع التوسل المشروع، حيث أُسيء فهمه من قبل القوم، ، فظنوا أن المراد به التوسل بشخصه ﷺ. مع أن الصحابة إنما كانوا يتوسلون بدعائه ﷺ في حياته، أما بعد موته فلم يفعلوا من ذلك شيئاً، وسيأتي بيان ذلك.

ومن أنواع التوسل الممنوع الذي وقعت فيه صوفية حضرموت ما يأتي:

- **التوسل بالذوات:**

وهو: جعل الذات المعينة وسيلة لنيل المطلوب، أو دفع المرهوب؛ أي جعل الشخص المعين واسطة بين الله وبين خلقه، ومن ذلك ما هو شرك أكبر ومنه ما دون ذلك.

ومن صوره: كأن يقول الشخص: كون فلان من عبادك الذين لهم حق عليك بوعدك الصادق أجب دعائي[1].

قال ابن أبي العز[2] رحمه الله عن هذا التوسل: «وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء، وقد قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥]، وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم ينقل عن النبي ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن أحد من الأئمة رضي الله عنهم، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل التي يكتب بها الجهال والطرقية والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنَّة والاتباع لا على الهوى والابتداع»[3].

---

(١) رسالة الشرك ومظاهره، لمبارك بن محمد الميلي (ص٢١١)، مكتبة الإيمان، مصر، ط١، ١٤٠٩هـ.

(٢) هو العلامة علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي، الفقيه القاضي. من أهم تصانيفه: شرح العقيدة الطحاوية. توفي سنة ٧٩٢هـ. انظر: الدرر الكامنة (٣/ ٨٧)؛ والأعلام (٤/ ٣١٣) ط ١٩٧٢م، تحقيق: عبد المعين خان، حيدر آباد، الدكن، الهند.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٩٦ ـ ٢٩٧).

يقول الشيخ محمد رشيد رضا[(١)] رحمه الله في تعليقه على كتاب صيانة الإنسان: «إن المعلوم من حال هؤلاء المتوسلين بالأشخاص أنهم يتوسلون بذواتهم الممتازة بصفاتهم وأعمالهم المعروفة عنهم؛ لاعتقاد أن لهم تأثير في حصول المطلوب بالتوسل. إما بفعل الله لأجلهم وإما بفعلهم أنفسهم، مما يعدونه كرامة لهم. وقد سمعنا الأمرين منهم وممن يدافع عنهم. وكل من الأمرين باطل»[(٢)].

وهذا التوسل كان يصنعه المشركون مع آلهتهم حيث كانوا يتوسلون بها إلى الله لتنجيهم من عذاب الله وتشفع لهم عند الله، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

● التوسل إلى الله بحق أو بجاه الأشخاص:

كقولهم: اللهم إني أسالك بجاه نبيك، أو بجاه عبدك فلان أن تغفر لي وترحمني، ومنها الإقسام على الله تعالى بالمتوسَّل به كقولهم: اللهم إني أقسم عليك بفلان، أن تقضي حاجتي ونحو ذلك من التوسلات الممنوعة.

وقد ذكر بعضهم احتمالات وأوجه لهذا التوسل ولكن هذا لا يجدي؛ لأن من وقف على مقاصد العوام في توسلهم بهذه الصيغ وجدهم لا يريدون إلى شيء من تلك الاحتمالات والأوجه، وإنما يقصدون التوسط بفلان إلى الله في قضاء حوائجهم[(٣)].

---

(١) هو الشيخ محمد رشيد بن علي رضا القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني، محدث، مفسر، مؤرخ، أديب، سياسي. ولد في القلمون من أعمال طرابلس الشام سنة ١٢٨٢هـ، أنشأ مجلة المنار بمصر. من تصانيفه: تفسير القرآن الكريم ـ لم يكمل ـ، والوهابيون والحجاز، والوحي المحمدي، وفتاوى له جمعها صلاح الدين المنجد. توفي بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ. انظر: معجم المؤلفين (٣/ ٢٩٣).

(٢) تعليق محمد رشيد رضا (ص٢٠٨). على كلام السهسواني في كتابه «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان»، مطبعة المنار، مصر، ط٥، ١٣٩٥هـ.

(٣) رسالة الشرك ومظاهره (ص٢١٣).

وهذه التوسلات لم ترد في الكتاب ولا في السنَّة الصحيحة، والتوسل الصحيح إنما يكون بالإيمان بالنبي ﷺ وبمحبته واتباعه كأن يقول السائل: اللهم إني أسالك وأتوجه إليك بمحبتي واتباعي لنبيك أن تكشف ضري، أو تعطيني كذا وكذا[١]؛ ولذا قال أبو حنيفة: «يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام»[٢].

وقال أيضاً: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك، وبحق خلقك»[٣].

والتوسل بالجاه هو قولهم: أسألك بجاه النبي، أو بحق النبي، أو بجاه فلان الولي وغير ذلك، فهذا كله وأمثاله توسل بدعي لم ينقل عن الصحابة، ولا عن أحد من القرون المفضلة[٤].

فيتبيِّن أن «إطلاق الجواز بالغفلة أشبه، والتفرقة إلى التحكم أقرب، والمنع المطلق أحوط، ويتقوى بوجوه: **أحدها**: أن الدعاء عبادة وهي لا تكون بالرأي والقياس، حتى إن الفقهاء لم يكتفوا بالنص العام لمشروعية الدعاء، فعنوا ببيان المواضع التي يشرع فيها للمصلي الدعاء.

ثانيها: عدول عمر رضي الله عنه عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بدعاء العباس، والصحابة متوافرون ولم ينقل عنهم إنكار لا في وجهه ولا في غيبته.

ثالثها: فقد النقل عن السلف الصالح في التوسل بالذات إلا آثاراً لم تصح مع كثرة ما نقل عنهم من الأدعية المشروعة.

رابعها: عدم التناسب بين إجابة الداعي وذات غيره. فالتوسل بالجاه إن

---

(١) انظر: أنواع وأحكام التوسل، لعبد الله الأثري (ص٧٩، ٨٢).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (ص٢٩٧)؛ و«شرح الفقه الأكبر»، لملا علي القاري (ص١٩٨).

(٣) انظر: شرح الفقه الأكبر، لملا علي القاري (ص١٩٨)؛ وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٣٤).

(٤) انظر: دليل المسلم في الاعتقاد في ضوء الكتاب والسنَّة، للشيخ عبد الله خياط رحمه الله (ص١٩٧)، مطابع الصفا بمكة، ط٤، ١٤٠٥هـ.

لم يكن شركاً فهو ذريعة إليه[(١)].

❁ المطلب الأول ❁

معنى التوسل عند صوفية حضرموت

انحرفت صوفية حضرموت في مسألة التوسل، وجانبوا الحق والصواب فيها، لعدم فهمهم لتوحيد العبادة، فلم يتخذوا الأسباب المشروعة في التوسل التي بيَّنها الكتاب والسنَّة، ومشى عليها سلف الأمة ومن اقتفى أثرهم من أهل السنَّة والجماعة.

وقد كثرت نصوص القوم الدالة على انحرافهم في هذه المسألة نذكر بعضها:

يقول علوي اليمني: «التوسل: هو التوجه إلى الله في الدعاء بجاه النبي أو عبد صالح، مثاله: اللهم بجاه نبيك ﷺ اغفر لي ذنبي واستر لي عيبي...»[(٢)].

ويرون أن «التوسل جائز بل مستحب بالأنبياء والأولياء والصالحين سواء كانوا أحياء أو أمواتاً. وهذا هو مذهب السلف»[(٣)].

هذا هو معنى التوسل عند صوفية حضرموت، ويخلط القوم كذلك بينه وبين التبرك، ويسمي الجميع توسلاً كما يقول زين العابدين العلوي في أجوبته:

«س: هل التبرك بآثار الصالحين هو التوسل بالذات؟

ج: نعم، التبرك بآثار الصالحين هو التوسل بالذات، وأن هذا جائز ومشروع، إذ معناه أن يتخذ العبد وسيلة أي واسطة إلى الله في مقاصده لما ثبت لتلك الوسيلة عند الله من الفضل»[(٤)].

---

(١) انظر: رسالة الشرك ومظاهره (ص٢١٤ ـ ٢١٥).
(٢) انتبه دينك في خطر (ص٥٠). (٣) المصدر السابق (ص٥٠).
(٤) الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية (ص٥٠).

ومما تقدم يتبيَّن الخلط بين معنى التبرك والتوسل عند صوفية حضرموت، وجهلهم بمعنى كلاًّ منهما.

الفرق بين التوسل والتبرك:

ويتلخص الفرق بينهما بما يلي:

١ ـ أن التبرك يرجى به شيء من الخير الدنيوي فحسب، بخلاف التوسل فيرجى به أي شيء من الخير الدنيوي والأخروي.

٢ ـ أن التبرك هو التماس الخير العاجل، بخلاف التوسل الذي هو مصاحب للدعاء ولا يستعمل إلا معه.

لذا يشرع للمسلم أن يتوسل في دعائه باسم من أسماء الله الحسنى، ويطلب بذلك ما يريد من قضاء حوائجه الدنيوية والأخروية كأن يقول: اللهم أسألك وأتوسل إليك بأنك أنت الله الأحد، الصمد أن تشفيني أو أن تدخلني الجنة ونحو ذلك ولا أحد يستطيع أن ينكر عليه شيئاً من ذلك، بينما لا يجوز لأحد من المسلمين أن يفعل ذلك حينما يتبرك بأثر من آثار النبي ﷺ فلا يجوز له أن يقول: اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بثوب نبيك أو بصاقه ونحو ذلك أن تغفر وترحمني. فمن فعل ذلك فإنه يعرض نفسه للشك في عقله وفهمه فضلاً عن عقيدته ودينه[1].

وسئل زين العابدين العلوي الحضرمي عن معنى التوسل بأحباب الله فأجاب: «التوسل بأحباب الله جعلهم واسطة إلى الله تعالى في قضاء الحوائج، لما ثبت لهم عنده تعالى من القدر والجاه، مع العلم بأنهم عبيد، ومخلوقون لله ولكن الله قد جعلهم مظاهر لكل خير وبركة ومفاتيح لكل رحمة.

فالمتوسل في الحقيقة لا يسأل حاجته إلا من الله ويعتقد أن الله هو المعطي والمانع دون سواه وإنما تقدم إليه تعالى بالمحبوبين لديه لكونهم أقرب منه إليه فهو يقبل دعاءهم وشفاعتهم لمحبته لهم والله يحب المحسنين ويحب

(١) انظر: التوسل، أنواعه، وأحكامه، للشيخ الألباني (ص١٤٠ ـ ١٤١).

المتقين. . . »[1].

وعند النظر في كلام زين العابدين يلاحظ أن العلة الشيطانية التي اتبعها القوم واعتذروا بها عن شركهم هي نفس العلة التي اعتذر بها مشركو قريش عن شركهم وهي علة الواسطة، قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن أطال الكلام عن هذه الواسطة الشركية التي اتخذها المشركون لهم في جلب المنافع ودفع المضار: «وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه كالحُجّاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك، لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله أنداداً وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لم تتسع له هذه الفتوى فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة:

إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه، ومن قال إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بتلك بعض الملائكة، أو الأنبياء، أو غيرهم فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحين.

الوجه الثاني: أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه فلا بد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا

(١) الأجوبة الغالية (ص٥٢).

يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١]. وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربه ومليكه فهو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم، وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك، والله تعالى ليس له شريك في الملك بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

والوجه الثالث: أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظمه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته، إما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير، وإما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه، والله تعالى هو ربّ كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو إذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض فجعل هذا يحسن إلى هذا ويدعو له، ويشفع فيه ونحو ذلك فهو الذي خلق ذلك كله وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافع إرادة الإحسان، والدعاء والشفاعة، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده، أو يعلمه ما لم يكن يعلم أو من يرجوه الربّ ويخافه...»[(١)].

وقال أيضاً: «فكل من غلا في حي أو في رجل صالح كمثل علي رضي الله عنه أو عدي أو نحوه أو فيمن يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذي كان بمصر أو يونس القتي ونحوهم وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده، أو يقول إذا ذبح شاة باسم سيدي، أو يعبده بالسجود له، أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول: يا سيدي فلان اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجرني أو

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦ ـ ١٢٨)

توكلت عليك أو أنت حسبي أو أنا في حسبك أو نحو هذه الأقوال والأفعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله إلهاً آخر.

والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والكواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ويغوث ويعوق ونسر أو غير ذلك لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات وإنما كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة والكواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء أو يعبدون قبورهم، ويقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ويقولون هم شفعاؤنا عند الله، فأرسل الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة...»[1].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله وهو يتحدث عن أنواع الشرك: «ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده كما تقدم، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لإذنه. وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها وهذه حالة كل مشرك والميت محتاج إلى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل لهم العافية والمغفرة، فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد، وسموا قصدها حجاً واتخذوا عندها الوقفة وحلق الرأس فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق، وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنقص للأموات وهم

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٣٩٥ - ٣٩٦).

قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئاً بذمهم وعيبهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم، ولله خليله إبراهيم عليه السلام حيث يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦] وما نجا من شَرَك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم إلى الله واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده فجرد حبه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله، وأخلص قصده لله متبعاً لأمره متطلباً لمرضاته، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل لله فهو لله وبالله ومع الله...»[1].

وقولهم باتخاذهم واسطة في قضاء الحوائج مثل قول المشركين الذين ذكر الله تعالى قولهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. وسبب اتخاذ الواسطة اعتقاد القوم أنهم ملوثون بالمعاصي فلا يستطيعون دعاء الله تعالى مباشرة، بل لا بد من واسطة لهم في ذلك، فيقال لهم: إن في وسعهم أن يتزكوا ويتطهروا بالتوبة والاستغفار، فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠]. وكذا تشبيههم الربّ تعالى بالرئيس الكبير الذي تكون للشخص حاجة فلا يأخذها منه إلا بالاستشفاع إليه بذوي الزلفى لديه، فيقال لهم: هذا الرئيس الكبير إما أن يكون ظالماً وإما أن يكون عادلاً. فأما العادل فسيعطيك حقك بغير واسطة، وقد يغضبه أن تأتيه بشفيع؛ لأنه يعد ذلك قدحاً في عدله، وطعناً في ذمته، وربك حكم عدل يعطي كل ذي حق حقه.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام ابن قيم الجوزية (١/ ٣٥٣ـ ٣٥٤)، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٧هـ.

وأما الظالم فقد يحمله الشفيع على أن يرد إليك حقك، أو يمنحك ما ليس لك، وحاشا الله أن يظلم الناس شيئاً، وقد يكون الحاكم قاسياً فتحتاج إلى من يسترحمه لك، وربك الرحمٰن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء والذي هو أرحم من الوالدة بولدها، وهذا ربك يقول: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] أي: لا تمثلوه بخلقه، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير[(١)].

المطلب الثاني

أنواع التوسل عند صوفية حضرموت

انحرف القوم في معرفة أنواع التوسل المشروع، وجهلوا التوسل الممنوع فوقعوا فيه، وقد كثرت نصوصهم في ذلك:

يقول زين العابدين العلوي: «ذكر العلماء رحمهم الله أن التوسل بالذوات الفاضلة كالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين على ثلاثة أنواع:

١ ـ أن يسأل الله تعالى مستشفعاً بهم كأن يقول المتوسل: اللهم إني أسألك بنبيك محمد أو بحقه عليك أو أتوجه به إليك في كذا.

٢ ـ أن يطلب من المتوسل به أن يدعو الله له في حوائجه كأن يقول: يا رسول الله ادع الله تعالى أن يسقينا.

٣ ـ أن يطلب نفس الحاجة منه ومراده إن يتسبب في قضائها له من الله بشفاعته ودعائه ربه فهو راجع إلى النوع الثاني.

وهذه الأنواع الثلاثة ثابتة بالنصوص الصحيحة والأدلة الصريحة[(٢)].

واستدل القوم لهذه الأنواع التي ذكروها بقولهم: «فمن الأحاديث الدالة على مشروعية التوسل بالنوع الأول ما أخرجه الترمذي والحاكم والبيهقي والطبراني وصححوه عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه[(٣)] أن رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ

---

(١) انظر: الوسيلة، لأبي الوفاء محمد درويش (ص١٠٣ ـ ١٠٤)، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

(٢) الأجوبة الغالية (ص٦١).

(٣) هو عثمان بن حنيف بن واهب بن عكيم الأنصاري الأوسي القبائي، يكنى أبا عبد الله، أخو =

فقال: يا رسول الله: ادع الله أن يعافيني، فقال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك فقال: فادع الله لي فقد شق علي بصري، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في) ففعل الرجل ذلك ثم رجع وقد أبصر[1].

فانظر كيف لم يدع النبي ﷺ للأعمى بنفسه بل علَّمه كيف يدعو ويتوجه إلى الله بجاهه ويناديه مستشفعاً به، ففي ذلك دليل صريح على استحباب التوسل والاستغاثة بذات النبي ﷺ وليس هذا خاص بالرجل المذكور بل هو عام له ولغيره في حياته ﷺ وبعد وفاته فلم يزل السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء لقضاء حوائجهم.

وقد روى الطبراني والبيهقي: أن راوي الحديث وهو عثمان بن حنيف علَّم الدعاء المذكور رجلاً آخر كانت له حاجة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان ذلك بعد وفاة رسول الله ﷺ[2] وفهم الراوي حجة في مراد الحديث كما تقرر

= سهل بن حنيف. ولي البصرة زمن علي رضي الله عنه. توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه. انظر ترجمته في: السير (٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢٢)؛ وخلاصة تذهيب الكمال (ص٢٥٩).

(١) رواه الإمام أحمد في مسندة (٤/ ١٣٨)؛ والترمذي في أبواب الدعوات برقم (٣٨٣١)؛ والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٤١٧)؛ وابن ماجه في سننه رقم (١٣٨٥)؛ ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٢٢٥) برقم (١٢١٩)؛ والطبراني في الكبير (٩/ ١٩)؛ والحاكم في المستدرك (١/ ٣١٣، ٥١٩) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٨٢)؛ وفي صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٣١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (ص١٠٣ ـ ١٠٤)؛ وفي الكبير (٣/ ٢/ ١ ـ ٢) والإسناد آفته رواية عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكي وهي منكرة عند أهل الحديث. قال ابن عدي في الكامل (٤/ ١٣٤٧): (حدث عنه ابن وهب بأحاديث مناكير... ولعل شبيب بمصر في تجارته إليها كتب عنه ابن وهب من حفظه فيغلط ويهم، وأرجو أن لا يتعمد شبيب هذا الكذب)؛ ومما يدل لنكارتها أن الحديث رواه الحاكم (١/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧)؛ وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص١٧٠) من رواية أحمد بن شبيب عن أبيه ولم يذكر القصة، قال الحافظ في التقريب (ص٤٣٠) في ترجمة شبيب: (لا بأس بحديثه من روايات ابنه أحمد عنه لا من رواية ابن وهب). وانظر تضعيف العلامة الألباني للقصة: التوسل أنواعه وأحكامه (ص٨٢ ـ ٨٥).

في علم الأصول[١].

وأما استدلالهم بقصة الأعمى فالجواب عنه أن يقال: أن الحديث ضعفه طائفة من أهل العلم، فإن في إسناده رجل يسمى أبا جعفر وفيه كلام، وبعضهم ضعف الإسناد لأجل عدم التثبت هل أبا جعفر هو الخطمي أم غيره؟ معتمدين على نفي الترمذي أن يكون هو الخطمي[٢].

وأيضاً فالحديث ـ وإن صححه بعض العلماء ـ لا حجة فيه على ما ادعاه مجيزوا التوسل بالذوات والجاه؛ لأنه متفق مع أصول الشرع في مسألة التوسل، وهو التوسل بدعاء النبي ﷺ في حياته؛ لأن مجيء الأعمى للنبي ﷺ لطلب الدعاء لا غير، ومما يدل لذلك عدة أمور منها:

١ ـ قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مجيباً للأعمى: «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير لك؟».

٢ ـ تخييره صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالدعاء أو الصبر حتى إذا شاء الدعاء دعا له وفي تخييره هذا وعد بالدعاء إن شاء.

٣ ـ إصرار الأعمى على الدعاء بقوله: فادعه، دليل أيضاً على أن مجيئه لم يكن إلا من أجل الدعاء، ومن إصراره يدلُّ على أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعا له لأنه وعده، وأحب أن يكون للأعمى مشاركة في الدعاء ولكنه لم يتركه بل علّمه دعاء خاصاً وأمره أن يدعو الله به بالإضافة إلى دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

٤ ـ قول الأعمى في آخر الدعاء الذي علّمه إياه الرسول ﷺ اللهم شفعه في. والشفاعة من الرسول ﷺ لا تسمى شفاعة ولا تكون إلا بدعاء الشافع للمشفوع له فدعاء الأعمى أن يقبل الله شفاعة رسوله ﷺ فيه، على أن رسول الله ﷺ قد دعا له فعلاً والأعمى يطلب من الله قبول دعاء رسول الله ﷺ.

---

(١) الأجوبة الغالية (ص٦١ ـ ٦٣). وانظر: كتاب «انتبه دينك في خطر» (ص٥٠ ـ ٥١).

(٢) هذه مفاهيمنا (رد على كتاب مفاهيم يجب أن تصحح، لمحمد بن علوي المالكي)، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ص٣٦) دار البخاري بالمدينة المنورة، بدون تاريخ.

٦ ـ وروى الترمذي في سننه والحاكم في مستدركه زيادة في الدعاء وهي قوله: وشفعني فيه»[١].

فمن مجموع هذه الأدلة على ثبوت دعاء النبي ﷺ للأعمى، وأن معنى (اللهم إني أسألك بنبيك) أي بدعاء نبيك ولا يفهم منه التوسل بذاته ﷺ، ولا كان هذا المراد من مجيء الأعمى إلى النبي ﷺ، وهذا هو معنى التوسل الذي يعرفه الصحابة وهو طلب الدعاء من المتوسل به؛ لأن التوسل بذات المتوسل به كان ينفر منه الصحابة لأنه من مفاهيم الجاهلية التي من أجل وجودها بعث الله رسوله إلى الناس كافة[٢].

ومعنى الحديث واضح بيّن لمن تأمله مبتغياً الحق، فالحديث ليس فيه توسل بالذات ولا بالجاه بل هو توسل بدعاء النبي ﷺ وهذا مشروع، فهو أحد أنواع التوسل المشروع كما تقدم بيانه، فقد طلب هذا الأعمى من النبي ﷺ الدعاء بدليل قوله: ادع الله أن يعافيني، فخيره ﷺ بين أن يدعو له وبين أن يصبر[٣] فاختار الدعاء، ثم أنه ﷺ علّمه صيغة من صيغ الدعاء المشروعة ليدعو بها وفي الدعاء قوله: (اللهم فشفّعه في).

والشفاعة في اللغة ـ كما سبق معنا ـ هي دعاء بل هي أخص من الدعاء: «والشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره... والشافع الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب، يقال تشفعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه»[٤].

ولو كان التوسل بذات النبي ﷺ أو بجاهه مشروعاً لكان هذا الدعاء صالحاً لكل ذي عاهة بغير طلب الدعاء من النبي ﷺ إلى يومنا هذا، ومنها أن

---

(١) انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع، لمحمد نسيب الرفاعي (ص٢٣٧) ط٣، ١٣٩٩هـ.

(٢) المصدر السابق (ص٢٣٩).

(٣) لأنه ثبت في البخاري ما يبين أجر من صبر على البلاء المصائب ومن ذلك فقد البصر، فقد جاء في الحديث القدسي فيما أن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ـ أي عينيه ـ فصبر عوضته منهما الجنة». رواه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى، باب فضل من ذهب بصره (ص١١١٠) برقم (٥٣٢٩).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (٨/ ١٨٤)، مادة: (شفع).

بعض الصحابة أصيبوا بالعمى كابن عباس وابن عمر ﷺ ولم يعهد أنهم استعملوا هذا الدعاء، بل وكان يكفي الضرير نفسه أن يتوسل بالنبي ﷺ من غير أن يذهب إليه فيقول: اللهم أسألك بنبيك، ولكنه ذهب وطلب من النبي ﷺ أن يدعو له مع العلم أن جاهه ﷺ عند الله عظيم في حياته وبعد وفاته وفي الحديث إرشاد النبي ﷺ الرجل بأن يتقرب إلى الله بعدة وسائل منها التوسل إليه بالعمل الصالح وهو: إحسان الوضوء والإتيان بركعتين ويدعو الله بعدها أن يستجيب دعاءه في أن يقبل دعاء النبي ﷺ له وهذا الأمر واضح وبيّن لمن تدبر وأراد الحق وتجرد عن الهوى والتقليد والتعصب لغير الله، فإن الله تعالى يبلغه مراده ويفقهه في دينه.

ولقد ذكر العلماء قصة الأعمى ضمن معجزات النبي ﷺ، من إجابة دعائه، وظهور الخوارق على يديه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره»[(١)].

وقال أيضاً: «وكذلك لو كان كل أعمى توسل به ولم يدع له الرسول بمنزلة ذلك الأعمى لكان عميان الصحابة أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمى فعدولهم عن هذا إلى هذا مع أنهم السابقون الأولون المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان فإنهم أعلم منا بالله ورسوله وبحقوق الله ورسوله وما يشرع من الدعاء وينفع، وما لم يشرع ولا ينفع وما يكون أنفع من غيره وهم في وقت ضرورة ومخمصة وجدب يطلبون تفريج الكربات وتيسير العسير وإنزال الغيث بكل طريق ممكن دليل على أن المشروع ما سلكوه دون ما تركوه»[(٢)].

ويقول الشيخ الألباني رحمه الله عن فقه حديث الأعمى: إذا تبيَّن) للقارئ الكريم ما أوردناه من الوجوه الدالة على أن حديث الأعمى إنما يدور حول

---

(١) مجموع الفتاوى (١/٢٦٦). (٢) مجموع الفتاوى (١/٣٢٦).

التوسل بدعائه ﷺ وإنه لا علاقة له بالتوسل بالذوات فحينئذ يتبيّن له أن قول الأعمى في دعائه: (اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك ﷺ) إنما المراد به (أتوسل إليك بدعاء نبيك) أي حذف المضاف وهذا أمر معروف في اللغة لقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية وأصحاب العير ونحن ومخالفونا متفقون على ذلك أي على تقدير مضاف محذوف... وثمة أمر آخر جدير بالذكر وهو أنه لو حمل حديث الضرير على ظاهره وهو التوسل بالذات لكان معطلاً لقوله فيما بعد: اللّٰهم فشفعه في وشفعني فيه. وهذا لا يجوز كما لا يخفى فوجب التوفيق بين هذه الجملة والتي قبلها وليس ذلك إلا على ما حملناه من التوسل كان بالدعاء فثبت المراد وبطل الاستدلال به على التوسل بالذات والحمد لله»[1].

وبهذا تبطل شبهة القوم باستدلالهم بهذا الحديث الصحيح، ويتضح فهمهم السقيم لنصوص الشرع.

ويقول صاحب كتاب الأجوبة الغالية: «س: فما دليل التوسل بالنوع الثاني؟

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها ما روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ دخل رجل من باب المسجد فاستقبل النبي ﷺ فنادى: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا فرفع ﷺ وقال: اللهم اغثنا «ثلاثاً» قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب فمطرنا يومنا هذا والذي يليه إلى الجمعة الأخرى فجاء ذلك الرجل وقال: يا رسول الله تهدمت البيوت وتقطعت السبل فرفع يديه ﷺ وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا»، فانجاب السحاب وخرجنا نمشي في الشمس»[2].

وفي هذا الحديث الصحيح دلالة على أنه كما يجوز للإنسان أن يرفع

---

(١) التوسل، للشيخ الألباني (ص٧٣ ـ ٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، (ص٢٠١) برقم (١٠١٣)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، (ص٣٤٦) برقم (٨٩٧).

مسألته إلى الله بلا توسط، يجوز أيضاً في ذلك من جعله الله سبباً لقضاء حوائج عباده من أحبابه تعالى، وأيضاً فإن الإنسان يرى نفسه ملطخاً بالمعاصي أبعدته عن الله تعالى فهو جدير بالحرمان من تحقيق مطالبه وقضاء حاجاته فلأجل هذا يتقدم إليه تعالى بالمحبوبين عنده مبتهلاً إليه بجاههم وحرمتهم لديه أن يقضي له حاجته لأجل هؤلاء الأحباب الذين لا يعرفون إلا طاعة الله»[١].

والجواب عن فهمهم المخالف لهذا الحديث: إن وجه الاستدلال من هذا الحديث هو أن الصحابة ﷺ كانوا يتوسلون بدعاء النبي ﷺ كما فعل هذا الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ طالباً منه أن يدعو الله أن يغيثهم، ولو كان التوسل بذاته ﷺ أو جاهه لما كلفوا أنفسهم مشقة المجيء إليه ﷺ وطلب الدعاء منه، ولدعوا من أماكنهم وتوسلوا بذاته أو بجاهه قائلين: اللهم بنبيك محمد، وقدره عندك، وجاهه وما أشبه ذلك أغثنا، لكنهم لما لم يفعلوا ذلك دلّنا على عدم جواز ذلك، ولا دليل للمجيزين من المتصوفة وغيرهم من أهل البدع بل ما توهموه دليل لهم هو في الحقيقة عليهم.

ولم يكن الصحابة ﷺ إذا أجدبوا وقحطوا يبقى كل واحد منهم في داره، أو في مكان آخر، أو يجتمعوا دون أن يكون معهم رسول الله ﷺ، ثم يدعون ربهم قائلين: «اللهم بنبيك محمد، وحرمته عندك اسقنا الغيث»، فهذا لا وجود له إطلاقاً في السنَّة النبوية، ولا في عمل الصحابة ﷺ، بل الذي تدل عليه السنَّة، أن الصحابة إذا رغبوا في قضاء حاجة، أو كشف نازلة فإنهم يذهبون إلى النبي ﷺ، ويطلبوا منه مباشرة أن يدعو لهم ربه؛ أي أنهم يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء النبي ﷺ ليس غير[٢].

ومما يدلّ على أن توسل الصحابة كان بدعاء النبي ﷺ في حياته ما جاء في سنن أبي داود عن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: شكا الناس إلى

(١) الأجوبة الغالية (ص٦٣ ـ ٦٤).
(٢) انظر: التوسل، أنواعه، وأحكامه، للشيخ الألباني (ص٥١).

رسول الله ﷺ قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوماً يخرجون فيه، قالت عائشة: فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر، فكبر ﷺ وحمد الله ﷻ ثم قال: إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله ﷻ أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم، ثم قال: الحمد لله رب العالمين، الرحمٰن الرحيم، ملك يوم الدين، لا إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حول إلى الناس ظهره وقلب أو حول رداءه وهو رافع يديه ثم أقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة، فرعدت وبرقت ثم أمطرت بإذن الله فلم يأت مسجده حتى سالت السيول فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه فقال: «أشهد أن الله على كل شيء قدير وأني عبد الله ورسوله»(١).

وكذلك يقال للمخالف في هذه المسألة: لماذا عدل عمر رضي الله عنه عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه، مع العلم أن العباس مهما كان شأنه ومقامه، فإنه لا يذكر أمام شأن النبي ﷺ ومقامه؟.

والجواب الذي لا شك فيه لأن التوسل بالنبي ﷺ غير ممكن بعد وفاته، فقد انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وأضحى في حال يختلف عن حال الدنيا وظروفها، مما لا يعلمه إلا الله تعالى، فأنى لهم أن يحظوا بدعائه ﷺ وشفاعته فيهم، وبينهم وبينه كما قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠](٢).

ثم إن اختيار عمر للعباس رضي الله عن الجميع، لقرابته من رسول الله ﷺ من ناحية، ولدينه وتقواه من ناحية أخرى، وطلب منه أن يدعو لهم بالغيث والسقيا لأن هذا توسل ممكن. ولم يلجأ إلى التوسل بالنبي ﷺ في قبره، وهذا

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الاستسقاء، باب رفع اليدين في الاستسقاء، (ص١٤٣) برقم (١١٧٣). وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في الإرواء (٣/ ١٣٥) برقم (٦٦٨).

(٢) التوسل، أنواعه وأحكامه (ص٥٤) بتصرف يسير.

يدل على سخافة تفكير من يزعم أن النبي ﷺ حي في قبره كحياتنا؛ لأنه لو كان كذلك لما كان ثمة وجه مقبول لانصرافهم عن الصلاة ورائه ﷺ إلى الصلاة وراء غيره ممن لا يدانيه أبداً في منزلته وفضله[١].

يقول العلامة محمود شكري الألوسي في الرد على المتصوفة المستدلين بتوسل عمر بالعباس على جواز التوسل بالذوات: «بل هو أقوى الأدلة وأرجحها وأعلاها وأقواها وأصحها وأصدقها لما ندعيه فإن قول عمر: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا... إلخ» يدل دلالة ظاهرة على انقطاع ذلك الدعاء بدليل قوله: «إنا كنا» ولما كان العباس حيّاً طلبوه منه، فلما فات فقصرهم له على الموجودين ولو كانوا مفضولين دليل ساطع وبرهان لامع على هذا المراد، ولو كان المقصود الذوات كما يقولون لبقيت هذه التوسلات على حالها لم تتغير ولم تتبدل إلى المفضولين بعد وجود الفاضلين، لا سيما الأنبياء والمرسلين فتأمل في هذا فإنه أحسن ما في الأوراق حقيق بأن يضرب عليه رواق الاتفاق والله يهدي السبيل فهو نعم المولى ونعم الوكيل»[٢].

ومن فهم الصحابة لهذه المسألة، فعل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مع يزيد بن الأسود الجرشي رضي الله عنه، قال سليم بن عامر الخبائري: أن السماء قحطت، فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون فلما قعد معاوية على المنبر قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فناداه الناس. فأقبل يتخطى الناس فأمره معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجليه فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا اللهم إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود الجرشي. يا يزيد ارفع يديك إلى الله فرفع يزيد يديه ورفع الناس أيديهم، فما أوشك أن فارت سحابة في الغرب كأنها ترس وهبت لها ريح فسقينا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم[٣].

---

(١) المصدر السابق (ص٥٥ ـ ٥٧) بتصرف.

(٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني، لمحمود شكري الألوسي (ص٢٨٨)، المطبعة العربية، لاهور، ط ١٤٠٣هـ.

(٣) أخرجه يعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨١)؛ وأخرجه ابن سعد =

وروى ابن عساكر بسند صحيح أن الضحاك بن قيس[1] حيث خرج يستسقي بالناس فقال ليزيد بن الأسود: قم يا بكاء. زاد في رواية: فما دعا إلا ثلاثاً حتى أمطروا مطراً كادوا يغرقون منه»[2].

وهذا فهم صحابيين جليلين وهما معاوية والضحاك بن قيس رضي الله عنه، وأن الاستسقاء بالنبي ﷺ يكون في حياته بأن يدعو لهم ـ لا كما فهم الصوفية ـ، لذا استسقيا رضي الله عنهما بيزيد بن الأسود لصلاحه وتقواه بدليل قول معاوية رضي الله عنه: «اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا... إلخ». فهذا هو التوسل المشروع يكون بدعاء الرجل الصالح ـ كما سبق ـ.

أما قولهم، وإنما توسل عمر بالعباس دون النبي ﷺ ليبين للناس أن التوسل بغير النبي جائز، لا حرج فيه... إلخ[3].

فيجاب عنه بما قاله الشيخ الألباني رحمه الله بأن هذا تعليل عليل، إذ كيف يمكن أن يخطر ببال عمر رضي الله عنه، وفي بال غيره من الصحابة رضي الله عنهم تلك الحذلقة الفقهية المتأخرة، وهو يرى الناس في الحالة الشديدة من الضنك والكرب، يكادون يموتون جوعاً وعطشاً لشح الماء، وهلاك الماشية، وخلو الأرض من الزرع والخضرة حتى سمي ذلك العام بعام الرمادة، كيف يترك عمر الوسيلة الكبرى في دعائه، وهي التوسل بالنبي ﷺ، لو كان ذلك جائزاً، ويأخذ بالوسيلة الصغرى، وهي لا تقارن بالأولى، وهي التوسل بالعباس، لماذا؟ لا لشيء إلا ليبيِّن للناس أنه يجوز لهم التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل!.

ومعلوم أن الإنسان بفطرته يستنجد بالقوة العظمى، والوسيلة الكبرى حين

= في الطبقات (٧/ ٤٤٤)؛ وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٦٠٢) بسند صحيح عن التابعي الجليل سليم بن عامر الخبائري رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في كتابه: التوسل أنواعه وأحكامه (ص٤٠).

(١) هو الأمير المشهور الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب الفهري، أبو أنيس، صحابي صغير، قتل في وقعة مرج راهط سنة ٦٤هـ. انظر: التقريب (ص٤٥٨) ط العاصمة.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخه (١٨/ ١٥١). وصحح إسناده الشيخ الألباني، انظر: التوسل، أنواعه وأحكامه (ص٤٠).

(٣) الأجوبة الغالية (ص٥٨).

الشدائد والفواقر، وقد يلجأ إلى الوسائل الصغرى عند الأمن واليسر وهذا ما عرفه المشركون، إذ كانوا يدعون أصنامهم في أوقات اليسر، ويتركونها ويدعون الله تعالى وحده في أوقات العسر، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

ويقال لهم أيضاً: هب أن عمر رضي الله عنه خطر في باله أن يبيّن ذلك الحكم الفقهي المزعوم، فهل خطر ذلك في بال معاوية والضحاك بن قيس حين توسلا بالتابعي الجليل: يزيد بن الأسود الجرشي؟.

ونختم الجواب على هذه الشبهة: إن قصة استسقاء عمر بالعباس قد تكررت كما جاء في الرواية الصحيح: (إن عمر بن الخطاب كانوا إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب) فيقال للذين يتأولون فعل عمر ذلك إنما ترك التوسل به ﷺ إلى التوسل بعمه رضي الله عنه لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل، أنه لو كان ما تقولونه حقاً لفعل عمر ذلك مرة واحدة، ولما استمر عليه كلما استسقى، وهذا بيّن لا يخفى على أهل العلم والإنصاف[(١)].

ويقول زين العابدين في أجوبته: «س: ما دليل التوسل بالنوع الثالث؟

ج: الأدلة على ذلك كثيرة منها ما رواه مسلم عن ربيعة بن مالك الأسلمي رضي الله عنه[(٢)] قال: قال النبي ﷺ: «سل ما شئت» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة فقال: «أَوَ غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»[(٣)].

وصح أيضاً أن قتادة بن نعمان[(٤)] أصيب بسهم في عينه يوم أُحد فسالت

---

(١) التوسل، أنواعه وأحكامه (ص٦١).

(٢) هو ربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر الأسلمي، أبو فراس، صحابي، معدود من أهل المدينة، وكان من أهل الصفة. مات سنة ٧٣هـ. انظر: الاستيعاب (ص٢٣٢) ط الأعلام؛ والتقريب (١/ ٢٤٣) ط المعرفة.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢/ ٣٥)؛ والنسائي في سننه (٢/ ٢٢٧)؛ والبيهقي في سننه (٢/ ٢٨٦، ٩/ ٧٤). وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في رسالته «صلاة التراويح» ص٣١.

(٤) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب الأنصاري، الظفري، يكنى أبا عمر =

على خده فجاء إلى رسول الله ﷺ وقال: عيني يا رسول الله فخيره بين الصبر وبين أن يدعو له فاختار الدعاء فردها عليه السلام بيده الشريفة إلى موضعها فعادت كما كانت[1][2].

وهذا الاستدلال لا حجة لهم فيه، بل هو حجة عليهم، فليس فيه توسل بذاته ﷺ ولا بجاهه، بل هو توسل مشروع بالعمل الصالح وهو كثرة السجود، فهو زيادة عمل صالح للمسلم؛ لأن عبادة الله تعالى والتقرب إليه بالصلاة، هي أعظم الأسباب لدخول الجنة.

وأما الاستدلال بقصة النعمان بن قتادة، فلا تصح القصة. ولو فرضنا صحتها، فهذه من معجزات النبي ﷺ، كما لا يخفى، كما أن في هذه القصة ذكر طلب الدعاء من النبي ﷺ في حياته وهذا هو اعتقاد أهل السنَّة وأنه يجوز طلب الدعاء منه في حياته ﷺ، فبطل استدلال القوم بهذه القصة الضعيفة.

حكم التوسل بالذوات عند صوفية حضرموت:

جوّز كثير من صوفية حضرموت التوسل بالذوات، وتكلفوا جمع الأدلة التي لا تخرج عن كونها: ضعيفة وموضوعة، أو لا حجة لهم فيما، ولكن لعدم الفهم الصحيح، واتباع الهوى يذكرونها ليلبسوا على الناس دينهم، ونسوا أو تناسوا أن أهل الحق لهم بالمرصاد ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨] وتركوا التوسل المشروع التي استفاضت به النصوص، وبيّنه أهل العلم المعتبرين في كتبهم.

وعن حكم التوسل بأحباب الله يقول زين العابدين العلوي الحضرمي: «التوسل بأحباب الله تعالى من النبيين عليهم الصلاة والسلام والصالحين رضي الله عنهم

= وقيل: غير ذلك. صحابي، شهد بدراً، وهو أخو أبي سعيد لأمه. مات سنة ٢٣هـ. انظر: الاستيعاب (ص٦١٦) ط الأعلام؛ والتقريب (٢/ ١٣٠) ط المعرفة.

(١) أخرج القصة ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٨٢)؛ والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٨٣)؛ وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١١٣): وأخرجه الطبراني وفي إسناده من لا أعرفهم، وقال (٨/ ٢٩٨): وأخرجه أبو يعلى وفي إسناده يحيى الحماني، وهو ضعيف.

(٢) الأجوبة الغالية (ص٦٤).

جائز بإجماع من يعتد بإجماعهم من علماء المسلمين، بل هو سبيل المؤمنين وطريق عباد الله المرضيين، ولم يزل معروفاً سلفاً وخلفاً ومعلوماً لدى كل دين»(١).

ومعلوم أن التوسل بالموتى واعتقاد أنهم أحياء في قبورهم، يتصرفون، وطلب المدد منهم، وكشف الضر، أو أنهم واسطة بين الله وخلقه كل هذا من الشرك الذي ينافي التوحيد.

ولا يرى هذا الصوفي التوسل الشركي شركاً بل يقول في أجوبته عن من يراه شركاً: «لا عبرة بمن شذ وفارق الجماعة فزعموا أن التوسل شرك أو حرام، وحكموا على المتوسلين بكونهم مشركين، وهذا واضح البطلان؛ لأنه يؤدي إلى إجماع معظم الأمة على الحرام، أو الإشراك وذلك محال لثبوت عصمة الأمة المحمدية من الاجتماع على الضلالة بإخبار رسول الله ﷺ حيث قال: «سألت ربي أن لا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها» رواه أحمد والطبراني(٢)»(٣).

واستدل ـ بزعمه ـ للتوسل الممنوع من الكتاب العزيز حيث قال: أما أدلة الكتاب عليه فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] فهذا أمر من الله بابتغاء الوسيلة وهي كل ما جعله الله سبباً للزلفى عنده ووصله إلى قضاء الحوائج منه(٤).

وقوله: ولا عبرة بمن شذ وخالف... إلخ هذا من قلب الحقائق والتلبيس على الناس وينطبق عليه المثل القائل: «رمتني بدائها وانسلت».

---

(١) الأجوبة الغالية (ص٥٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤٥/ ٢٠٠) برقم (٢٧٢٢٤) من حديث أبي بصرة الغفاري، وله شاهد عند الترمذي في سننه: كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (ص٣٦٠) برقم (٢١٦٧)؛ والحاكم (١/ ١١٦)؛ وآخر من حديث كعب بن عاصم الأشعري عند ابن أبي عاصم في السنَّة (٨٢، ٩٢)؛ وثالث عن ابن عباس (١/ ١١٦) وعن الحسن مرسلاً بسند رجاله ثقات عند الطبراني (١٣٣٧٣)؛ وعن ابن مسعود موقوفا عند ابن أبي عاصم (٨٥) بسند جيد.

(٣) الأجوبة الغالية (ص٥٣).

(٤) المصدر السابق (ص٥٣ ـ ٥٤).

ولأنه كما تقدم لم يفرق القوم بين الشرك والتوحيد وسبب ذلك لجهلهم بمعنى العبادة التي خلقوا لها، وجهلهم بما يضادها؛ لذا أكثروا من انتقاد أهل التوحيد الذي ينصحونهم بالعودة إلى الحق وترك ما هم عليه من الباطل.

وأما ادعاءات القوم بأنهم الجماعة وأن من خالفهم فقد فارق الجماعة فدعوى يتضح بطلانها لكل مسلم عرف التوحيد.

وقال علوي اليمني: «والتوسل جائز بل مستحب بالأنبياء والأولياء والصالحين سواء كانوا أحياءً أو أمواتاً. وهذا هو مذهب السلف»[(١)].

وسئل زين العابدين العلوي هل التوسل مقصور بالأعمال الصالحة فقط دون الذوات؟

فأجاب: (لا، الآية عامة[(٢)] فتشمل سائر الأعمال الصالحة والعمّال الصالحين أي الذوات الفاضلة، كالنبي ﷺ وسائر الأولياء المتقين.

وأما من ادعى جواز التوسل بالأعمال دون الذوات وقصر مراد الآية على الأول فلا دليل على ذلك كون الآية مطلقة بل حملها على المعنى الثاني أقرب لأنه سبحانه أمر بالتقوى وابتغاء الوسيلة والتقوى: عبارة عن فعل المأمورات واجتناب المنهيات، فإذا فسرنا الوسيلة بالأعمال الصالحة صار الأمر فيه تكراراً أو تأكيداً، ولكن إذا أريد بالوسيلة الذوات الفاضلة كان تأسيساً وهو مقدم على التأكيد وأيضاً فإنه إذا جاز التوسل بالأعمال مع كونها أعراض مخلوقة فالذوات المرضية عند الله أولى بالجواز باعتبار ما فيها من حيازة أعلى المراتب واليقين والمعرفة بالله ربّ العالمين.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤] وهذا صريح في اتخاذه ﷺ وسيلة إلى الله تعالى لقوله: ﴿جَآءُوكَ﴾ وقوله: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، ولولا ذلك فما الفائدة

---

(١) انتبه دينك في خطر (ص٥٠).

(٢) يريد بذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾.

من قوله: ﴿جَآءُوكَ﴾[(١)].

ويرى زين العابدين عموم التوسل بالأحياء والأموات: «فإن الآية عامة في حياته الدنيوية وبعد وفاته ﷺ.

وقد ثبت بأنهم أحياء في قبورهم وأن أرواحهم في حضرة ربهم فمن توسل بهم وتوجه إليهم وتوجهوا إلى الله في حصول مطلوبه فالمسئول في الحقيقة هو الله وهو الفاعل الخالق دون سواه فإننا ـ معاشر أهل السنَّة ـ[(٢)] لا نعتقد تأثيراً ولا خلقاً ولا نفعاً ولا ضراً إلا لله وحده لا شريك له والأنبياء والأولياء لا تأثير لهم في شيء إنما يتبرك بهم ويستغاث بمقامهم لكونهم أحباء الله تعالى الذين بسببهم يرحم الله عباده فلا فرق حينئذ بين كونهم أحياءً أو أمواتاً فالفاعل في الحالتين هو الله على الحقيقة أما الذين يفرقون بين الأحياء والأموات فكأنهم يعتقدون التأثير للأحياء دون الأموات وهو باطل مطلقاً فإن الله خالق كل شيء»[(٣)].

وهذه هي الشبهة التي درج عليها سلفهم المقلَّدين حتى في الشرك، يقول أحمد بن حسن العطاس: «فالناس الآن يعتقدون في العلماء ويتوسلون بالأولياء والصلحاء ويكرمونهم ويزورون قبورهم للفضائل التي خصهم الله بها لأن الله يحب المتقين، ويحب المحسنين وهؤلاء ما توسلنا بهم إلا لأنهم أقرب إلى الله منا والمولى يجيب دعاءهم ويحب من يحبهم فالتعظيم كله راجع إلى الله وإلى ما يحبه الله وأسألكم أيضاً إذا كان لأحد منكم حاجة إلى الأمير فلان وذكرت لهم دولتهم في ذلك الوقت هل تقصدونه نفسه أم تقدمون واسطة من خواصه

---

(١) الأجوبة الغالية (ص٥٤ ـ ٥٥).

(٢) كذا قال، وهو من الصوفية الخرافيين ويدلك لذلك أقواله المتقدمة التي تدل على جهله بتوحيد الألوهية، الذي أرسلت لأجله الرسل وأنزلت الكتب وانقسم الناس فيه إلى مؤمن وكافر، ولم يعرف هذا الصوفي وأمثاله إلا توحيد الربوبية الذي عرفه كفار قريش، فلم ينفعهم لأنهم لم يوحدوا الله تعالى في عباداتهم بل صرفوها لآلهتهم الباطلة، فقاتلهم ﷺ وتبرأ منهم ومن آلهتهم نعوذ بالله من اتباع سبيل المشركين.

(٣) المصدر السابق (ص٥٥).

وجلسائه وذوي المنزلة عنده؟ فقالوا نقدم واسطة من وزير أو نحوه فقلت ولم ذلك؟ فقالوا لأن الحاجة تقضى بواسطة من يحبه الملك وتقبل شفاعته فقلت: وهكذا الناس الذين ترونهم يزورون الأنبياء والأولياء يجعلونهم وسيلة إلى الله لمحبتهم له ومحبته لهم ولكون شفاعتهم عنده مقبولة إن شاء الله»[1].

وعن مسألة التوسل بالأموات أجاب زين العابدين: «س: ما الدليل على جواز التوسل بالأموات؟

ج: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤]؛ لأن الآية عامة في حياته ﷺ الدنيوية وبعد وفاته ﷺ وانتقاله إلى الحياة البرزخية.

وقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد[2] عن أبي سعيد الخدري قال: قال: رسول الله ﷺ: «ما خرج رجل من بيته إلى الصلاة فقال: اللّهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك فإني لم أخرج بطراً ولا أشراً ولا رياءً ولا سمعةً وإنما خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت إلا وكّل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له وأقبل الله عليه بوجهه حتى يقضي صلاته»[3]. رواه ابن ماجه.

---

(١) تذكير الناس (ص١٧٥).
(٢) (٣٣٦/٢).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في: المسند (٢١/٣)؛ وابن ماجه في سننه، كتاب المساجد، باب الدعاء عند دخول المسجد (ص٩٤) برقم (٧٧٨)؛ وابن السني في عمل اليوم والليلة (٨٥)، كلهم عن طريق فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا. وقد ضعف جمع من الحفاظ والمحدثين منهم: الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٤٥٩/٣) والإمام النووي في الأذكار، باب ماذا يقول إذا توجه إلى المسجد، وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٨٨/١) والحافظ البوصيري في زوائد ابن ماجه باب الدعاء عند دخول المسجد (٢٦٣) وابن علان في الفتوحات (٣٧/٢) والشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٢٤)؛ وفي التوسل: أنواعه، وأحكامه (ص٩١ ـ ٩٢). وقال في (ص٩٧): (وجملة القول: أن الحديث ضعيف من طريقيه، وأحدهم أشد ضعفاً من الآخر).

وروى البيهقي وابن السني والحافظ وأبو نعيم أن من دعائه ﷺ عند خروجه إلى الصلاة: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك...» إلخ[١].

قال القدماء: فهذا توسل صريح لكل عبد مؤمن حياً أو ميتاً وعلَّم ﷺ أصحابه هذا الدعاء وأمرهم بالإتيان به وما من أحد من السلف والخلف إلا كان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه للصلاة.

وأيضاً ما أخرجه أبو نعيم في المعرفة والطبراني وابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢] وذكر الحديث وفيه أنه ﷺ اضطجع في قبرها وقال: «الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقّنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين...» الحديث[٣].

فانظر قوله: «بحق الأنبياء من قبلي» فهو صريح في جواز التوسل بالأنبياء بعد وفاتهم فإنهم أحياء في برازخهم وكذا كُمّل ورثتهم والصديقين

---

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٨٢)، وسنده ضعيف جداً آفته الوازع بن نافع، فإنه لم يكن عنده وازع يمنعه من الكذب قال النووي في الأذكار: (حديث ضعيف أحد، رواته الوازع بن نافع العقيلي وهو متفق على ضعفه، وأنه منكر الحديث) وقال فيه الحاكم ـ على تساهله ـ: (روى أحاديث موضوعة). قال الشيخ الألباني: فمن كان هذا حاله في الرواية، فلا يعتضد بحديثه ولا كرامة. انظر: السلسلة الضعيفة، للشيخ الألباني (١/ ٨٧، ١٣/ ٥٤٢) برقم (٦٢٥٢).

(٢) كذا في الأصل.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ١٥٢ ـ ١٥٣)؛ وفي المعجم الكبير (٢٤/ ٣٥٢)؛ وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٢١)، وقال الطبراني: (تفرد به روح بن صلاح). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٧): وفيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح). وروح هذا قد ضعفه الدارقطني، وابن عدي وقال فيه: (وفي بعض حديثه نكرة)؛ وابن ماكولا وقال: «ضعفوه» وقال ابن يونس في تاريخ الغرباء: رويت عنه مناكير. وقال الشيخ الألباني عن روح بن صلاح: فأنت ترى أئمة الجرح قد اتفقت عباراتهم على تضعيف هذا الرجل، وبينوا أن السبب روايته المناكير، فمثله إذا تفرد بالحديث يكون منكراً لا يحتج به، فلا يغتر بعدها بتوثيق من سبق ذكره إلا جاهل أو مغرض. انظر: السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني (١/ ٧٩ ـ ٨١)، حديث رقم (٢٣).

والأولياء[١].

ويجاب: أما نقل المؤلف الإجماع على جواز التوسل الممنوع، فهذا كذب واضح، فلم لم يذكر هذا الصوفي ولو عالماً واحداً من أهل المعتقد الصحيح نقل الإجماع، مع حرص المؤلف على نقل أي دليل يراه ـ بزعمه ـ يؤيد معتقده الباطل في مسألة التوسل، بل لم يمنعه الخوف من الله والتورع أن ينقل الأحاديث التي لا أصل لها فضلاً عن الأحاديث الضعيفة، وهذا دأب الصوفية في كل زمان ومكان لا يتورعون عن نقل الإجماع بلا مستند ولا دليل، وقد طبق القوم في استدلالاتهم الواهية القاعدة المنحرفة وهي: اعتقد ثم استدل.

وأما استدلاله على أن الأمة الإسلامية لا تجتمع على الضلالة فحق؛ أي لا تجتمع على الشرك والبدع الذي تذكره أنت وأمثالك من المتصوفة، بل هذا الكلام عليك لا لك، وكتب السلف تطفح بذلك، لكن المحروم من حرم الخير بإعراضه عن طريق السلف الصالح والتمتع بالنظر في مؤلفاتهم المعتمدة على نصوص الكتاب والسنّة، وكذا دراسة كتبهم على يد أهل العلم والدين من أهل السنَّة والجماعة، والمبتلى من ابتلاه الله بالنظر في كتب المتصوفة وأهل الكلام الذين لا يفلحوا أبداً كما قال عنهم الإمام أحمد رحمه الله[٢].

وأما استدلاله بالحديث الصحيح على ما أراده فإنه حجة عليه، فالأمة لا تجتمع كلها على الشرك والبدع والمعاصي، بل لا بد من قائم بأمر الله تعالى في كل زمان حتى قيام الساعة، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»[٣].

---

(١) الأجوبة الغالية (ص٥٧ ـ ٥٨).

(٢) تلبيس إبليس، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي (ص١٠٢)، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٦، ١٤١٣هـ.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ (ص٥٩٦) برقم (٣١١٦).

وأما استدلال القوم بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] على جواز التوسل الممنوع فاستدلال باطل، ترده الأدلة الصحيحة وأقوال المفسرين.

يقول الإمام الطبري في تفسيره عن هذه الآية: «عني جل ثناؤه بذلك: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ووعدهم من الثواب وأوعد من العقاب ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يقول: أجيبوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة له في ذلك، وحققوا إيمانكم وتصديقكم ربكم ونبيكم بالصالح من أعمالكم وابتغوا إليه الوسيلة يقول واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه...»(١).

والوسيلة في الآية هي العمل الصالح ـ كما تقدم ـ، ولم ينقل عن أهل التفسير ما توهمه هؤلاء المتصوفة بأن معنى الوسيلة هو التوسل بذوات الأحياء أو الأموات، سواء كانوا حاضرين أم غائبين. قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه، وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الانكفاف عن المحارم، وترك المنهيات، وقد قال بعدها: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس؛ أي: القربة وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد. وقال قتادة: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه وقرأ ابن زيد: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه»(٢).

فهذا معنى الوسيلة في الآية لا ما فهمه القوم من أن معناها التوسل الممنوع.

أما الاستدلال بالآية على جواز التوسل بالنبي ﷺ بعد موته فليس لهم فيها دليل ألبتة؛ لأن الله تعالى يقول في الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ...﴾ و﴿إِذْ﴾ هذه ظرف لما مضى، وليس ظرفاً للمستقبل، والآية

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٧١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٠)، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

في قوم تحاكموا أو أرادوا التحاكم إلى غير الله ورسوله كما يدل على ذلك سياقها السابق واللاحق.

كما أن استغفار الرسول ﷺ بعد مماته أمر متعذر؛ لأنه إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث كما تقدم في الحديث، فلا يمكن لإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد؛ بل ولا يستغفر لنفسه؛ لأن عمله انقطع[(١)].

كما أن الله تعالى لم يقل: (ولو أنهم إذا ظلموا) بل قال: ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾ فالآية تتحدث عن أمر وقع في حياة الرسول ﷺ واستغفار الرسول ﷺ بعد مماته أمر متعذر لأنه إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث، قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».

فلا يمكن لإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد بل ولا يستغفر لنفسه أيضاً لأن العمل انقطع»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على من استدل بهذه الآية على التوسل الممنوع: «ويقولون: إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته، كان بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين، فإن أحداً منهم لم يطلب من النبي ﷺ بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئاً ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم»[(٣)].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «مما علم بالاضطرار من دين الإسلام وبالنقل المتواتر وبإجماع المسلمين أن النبي ﷺ لم يشرع هذا لأمته وكذلك الأنبياء قبله لم يشرعوا شيئاً من ذلك بل أهل الكتاب ليس عندهم عن الأنبياء نقل بذلك كما أن المسلمين ليس لهم عندهم عن نبيهم نقل بذلك ولا فعل هذا أحد من أصحاب نبيهم والتابعين لهم بإحسان ولا استحب ذلك أحد من أئمة

---

(١) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٥).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣).

(٣) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٥).

المسلمين ولا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ولا ذكر أحد من الأئمة في مناسك الحج ولا غيرها أنه يستحب لأحد أن يسأل النبي ﷺ عند قبره أن يشفع له أو يدعو لأمته أو يشكو إليه ما نزل بأمته من مصائب الدنيا والدين»[١].

ويقول الشيخ عبد الرحمٰن السعدي رحمه الله عن هذه الآية: ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] «أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم، ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها، والثواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء، بل ذلك شرك»[٢].

وأما حديث أبي سعيد الذي فيه: «ما خرج رجل من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسالك بحق السائلين عليك. . . . الحديث. تقدم تخريجه وبيان أنه ضعيف ولا يصح الاحتجاج به.

وأيضاً فهذا الحديث مع ضعفه لا يدل على التوسل بالمخلوقين، وإنما يعود إلى أحد أنواع التوسل المشروع، وهو التوسل إلى الله تعالى بصفة من صفاته، فالتوسل بحق السائلين إلى الله تعالى، وهذا الحق هو إجابة دعائهم، وإجابة الله دعاء عباده صفة من صفاته ﷻ، وكذلك حق ممشى المسلم إلى المسجد هو أن يغفر الله له، ويدخله الجنة، ومغفرة الله ورحمته وإدخال من يطيعه من عباده الجنة، كل ذلك صفات لله تعالى.

وبهذا تعلم أن الحديث الذي يحتج به المبتدعة ينقلب حجة عليهم، ويصبح بعد فهمه فهماً جيداً حجة لنا عليهم[٣].

ويجاب أيضاً بـ: «أن معنى قوله بحق السائلين عليك أنك وعدت

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص١٤٩)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٣) انظر: التوسل، أحكامه، أنواعه، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني (ص٩٧) بتصرف يسير. الدار السلفية للطباعة والنشر، الكويت، ط٢، ١٤٠٠هـ.

السائلين بالإجابة وأنا من جملة السائلين فأجب دعائي، بخلاف قوله: بحق فلان: فإن فلاناً وإن كان له حق على الله بوعده الصادق، فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل، فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعاي، وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء وقد قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥] وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة ولم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين ولا عن أحد من الأئمة رضي الله عنهم وإنما يوجد مثل هذا في الحروز، والهياكل التي يكتب بها الجهال، والطرقية والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنّة والاتباع، لا على الهوى والابتداع.

وإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان، فذلك محذور أيضاً لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز، فكيف على الخالق وقد قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[1] ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه رضي الله عنهم: يكره أن يقول الداعي أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام، ونحو ذلك حتى كره أبو حنيفة ومحمد رضي الله عنهما أن يقول الرجل: اللهم إني أسألك بمعقد العز من عرشك ولم يكرهه أبو يوسف رحمه الله لما بلغه الأثر فيه وتارة يقول: بجاه فلان عندك أو يقول نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك ومراده أن فلاناً ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجب دعاءنا وهذا أيضاً محذور فإنه لو كان هذا التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه كما في الاستسقاء وغيره...»[2].

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٢٩، ٤٦٠٤، ٥٣٤٦) ومواضع أخرى، وأبو داود في سننه، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء (ص٣٦٦) برقم (٣٢٥١)؛ والترمذي في سننه، كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء أن من حلف بغير الله فقد أشرك (ص٢٧٠) برقم (١٥٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وصحح الحديث الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند برقم (٥٣٤٦)؛ والشيخ الألباني في الإرواء (٨/١٨٩) برقم (٢٥٦١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٩٦ ـ ٢٩٨).

وبهذا تعلم أن قوله: «قال العلماء وهذا توسل صريح لكل عبد مؤمن حياً أو ميتاً... إلخ» إيهام ومغالطة ليثبت أنه على شيء، وإلا فمن هم العلماء الذين قالوا بالتوسل الممنوع؟، فقد أكثر من الدندنة بهذه العبارات، فمرة ينقل الإجماع بلا مستند، وأخرى يقول: قال العلماء.. فنريده أن يذكر لنا هؤلاء العلماء الذين قالوا بقوله ولا يكتم الحق عن الناس!، فإن كان يقصد بهم علماء الصوفية فهؤلاء هم الذين نحن بصدد النقاش معهم لانحرافهم في هذه المسألة المهمة في توحيد الألوهية، وإن كان غيرهم فليبين لنا من هم، ولِمَ لم يذكرهم وهو في أشد حاجة لحشر الأدلة والأقوال التي تؤيد معتقده، فليذكرهم حتى ننظر في حالهم ومدى تمسكهم بالكتاب والسنة؟ أم أنه تشبع بما لم يعط؟!.

وأما استدلاله بحديث: لما اقترف آدم الخطيئة... إلخ[1]، فحديث موضوع عن النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «رواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه فإنه نفسه قد قال في كتاب «المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم»: عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه. قلت: وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً ضعّفه أحمد بن حنبل، وأبو زرعة، وأبو حاتم، والنسائي والدارقطني.. وغيرهم، وقال أبو حاتم بن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك من روايته من رفع المراسيل وإسناد

---

(١) موضوع. أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٥)؛ وعنه ابن عساكر (٢/ ٣٢٣/ ٢)؛ والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٨٨) من طريق أبي الحارث عبد الله بن مسلم الفهري حدثنا إسماعيل بن مسلمة، نبأ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب مرفوعاً.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٦٩): (وعبد الرحمن بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً). قال العلامة الألباني: وجملة القول أن الحديث لا أصل له عنه ﷺ، فلا جرم أن حكم عليه بالبطلان الحافظان الجليلان الذهبي والعسقلاني. انظر: السلسلة الضعيفة، للعلامة الألباني: (١/ ٨٨ ـ ٩١) حديث رقم (٢٥).

الموقوف فاستحق الترك»[١].

وأوّل القوم توسل عمر رضي الله عنه بالعباس يقول زين العابدين العلوي في أجوبته: «قال العلماء نفع الله بهم: وأما توسل سيدنا عمر بالعباس رضي الله عنه فليس فيه دليل على عدم جواز التوسل بغير الأحياء، وإنما توسل عمر بالعباس دون النبي ﷺ ليبين للناس أن التوسل بغير النبي جائز، لا حرج فيه، وإنما خصّ العباس من سائر الصحابة لإظهار شرف أهل بيت رسول الله ﷺ، والدليل على ذلك إنه قد ثبت توسل الصحابة به ﷺ بعد وفاته، من ذلك ما رواه البيهقي وابن أبي شيبة بإسناد صحيح: (إن الناس قحطوا في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه[٢] إلى قبر النبي ﷺ وقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام وقال: ائت عمر بن الخطاب، وأقرئه السلام وأخبرهم أنهم يسقون فأتاه وأخبره فبكى عمر رضي الله عنه وسقوا[٣]. ومحل الاستدلال منه هو فعل بلال وهو صحابي ولم ينكر عليه عمر ذلك ولا غيره من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم. ومن ذلك ما أخرجه الدارمي: «إن أهل المدينة قحطوا قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: انظروا إلى قبر النبي ﷺ كوى[٤] إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا مطراً شديداً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٦٨ ـ ١٦٩).

(٢) هو بلال بن الحارث المزني، أبو عبد الله المدني، صحابي، روى عن النبي ﷺ وعن عمر وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ. مات سنة ٦٠هـ. روى له الأربعة. انظر: تهذيب الكمال (١/ ٣٨٨) ط ١٤١٨هـ، الرسالة.

(٣) القصة لا تصح. لجهالة مالك الدار ـ أحد رجال الإسناد ـ، وفي الاسناد أيضا سيف بن عمر التميمي، متفق على ضعفه عند المحدثين، قال فيه الذهبي في المغني (١/ ٢٩٢): (سيف بن عمر التميمي الأسدي، له تواليف. متروك باتفاق. وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة. قلت: أدرك التابعين، وقد اتهم، قال ابن حبان: يروي الموضوعات). انظر: التوسل، أنواعه، وأحكامه، للشيخ الألباني (ص١١٧ ـ ١١٩).

(٤) الكوَّة تفتح وتضم الثقبة في الحائط. . . والكوة بلغة الحبشة المشكاة وقيل كل كوة غير نافذة مشكاة. المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرىء (ص٢٠٨) تحت مادة: (كوى)، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١٩٩٠م.

فسمي عام الفتقة(١)»(٢).

فأما استدلال صوفية حضرموت بقصة استسقاء بلال بن الحارث المزني بقبر النبي ﷺ فقد تقدم عدم صحة هذه القصة من الناحية الحديثية، فيقال لهم: ثبت العرش ثم انقش، ويجاب أيضاً بأن القصة مخالفة للشرع الذي استحب إقامة صلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث من السماء، كما ورد في الأحاديث الكثيرة الصحيحة، وكذا مخالفة القصة لقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١١]، وكذا فعل عمر بن الخطاب حين استسقى وتوسل بدعاء العباس، وهكذا كانت عادة السلف الصالح كلما أصابهم القحط أن يصلوا ويدعوا، ولم يثبت عنهم الالتجاء إلى قبر النبي ﷺ، وطلب منه الدعاء والسقيا، ولو ثبت ذلك عنهم لنقل ولو مرة واحدة(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ما روي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء لينزل المطر فليس بصحيح ولا يثبت إسناده وإنما نقل ذلك من هو معروف بالكذب، ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة، بل كان بعضه باقياً كما كان على عهد النبي ﷺ بعضه مسقوف وبعضه مكشوف وكانت الشمس تنزل فيه كما ثبت في الصحيحين عن

---

(١) رواه الدارمي في سننه (١/ ٤٣)؛ وسنده ضعيف، لا تقوم بحجة لثلاثة أمور:
١ ـ إن سعيد بن زيد (وهو أخو حماد بن زيد) فيه ضعف.
٢ ـ أنه موقوف على عائشة وليس بمرفوع إلى النبي ﷺ، ولو صح لم تكن فيه حجة لأنه يحتمل أن يكون من قبيل الآراء الاجتهادية لبعض الصحابة، مما يخطئون فيه ويصيبون ولسنا ملزمين بها.
٣ ـ أن أبا النعمان ـ شيخ الدارمي ـ هم محمد بن الفضل يعرف بعارم وهو وإن كان ثقة فإنه اختلط في آخر عمره، وقد أورده ابن الصلاح في المختلطين في مقدمته (ص٣٩١). وهذا الأثر لا يدرى هل سمعه الدارمي قبل الاختلاط أو بعده فهو إذن غير مقبول، فلا يحتج به. التوسل للشيخ الألباني (ص١٢٦) بتصرف يسير.
(٢) الأجوبة الغالية (ص٥٨ ـ ٥٩).
(٣) انظر: التوسل، أحكامه وأنواعه، للشيخ الألباني (ص١١٨).

عائشة: «أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد»[(١)]، ولم تزل الحجرة كذلك حتى زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد في إمارته لما زاد الحجر في مسجد الرسول ﷺ، وكان نائبه على المدينة ابن عمه عمر بن عبد العزيز، وكانت حجر أزواج النبي ﷺ شرقي المسجد وقبليه؛ فأمره أن يشتريها من ملاكها ورثة أزواج النبي ﷺ فاشتراها وأدخلها في المسجد، فزاد في قبلي المسجد وشرقيه، ومن حينئذ دخلت الحجرة النبوية في المسجد، وإلا فهي قبل ذلك كانت خارجة عن المسجد في حياة النبي ﷺ وبعد موته، ثم إنه بنى حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدار عال، وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك؛ لأجل كنس، أو تنظيف، وأما وجود الكوة في حياة عائشة فكذب بيِّن، ولو صح ذلك لكان حجة ودليلاً على أن القوم لم يكونوا يقسمون على الله بمخلوق، ولا يتوسلون في دعائهم بميت، ولا يسألون الله به، وإنما فتحوا على القبر لتنزل الرحمة عليه، ولم يكن هناك دعاء يقسمون به عليه، فأين هذا من هذا.

والمخلوق إنما ينفع المخلوق بدعائه، أو بعمله؛ فإن الله تعالى يحب أن نتوسل إليه بالإيمان والعمل والصلاة والسلام على نبيه ﷺ، ومحبته، وطاعته، وموالاته، فهذه الأمور التي يحب الله أن نتوسل بها إليه، وإن أريد أن نتوسل إليه بما تحب ذاته، وإن لم يكن هناك ما يحب الله أن نتوسل به من الإيمان والعمل الصالح، فهذا باطل عقلاً وشرعاً. أما عقلاً: فلأنه ليس في كون الشخص المعين محبوباً له ما يوجب كون حاجتي تقضي بالتوسل بذاته إذا لم يكن مني ولا منه سبب تقضي به حاجتي؛ فإن كان منه دعاء لي، أو كان مني إيمان به وطاعة له، فلا ريب أن هذه وسيلة، وأما نفس ذاته المحبوبة فأي وسيلة لي فيها إذا لم يحصل لي السبب الذي أمرت به فيها، ولهذا لو توسل به

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت العصر، (ص١٢٣) برقم (٥٤٦)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب المساجد، باب أوقات الصلوات الخمس، (ص٢٤٢) برقم (٦١١).

من كفر به مع محبته له لم ينفعه، والمؤمن به ينفعه الإيمان به، وهو أعظم الوسائل.

فتبين أن الوسيلة بين العباد وبين ربهم ﷻ الإيمان بالرسل، وطاعتهم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩]. ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. وأما الشرع فيقال: العبادات كلها مبناها على الاتباع لا على الابتداع، فليس لأحد أن يشرع من الدين ما لم يأذن به الله، فليس لأحد أن يصلي إلى قبره ويقول: هو أحق بالصلاة إليه من الكعبة، وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»[1] مع أن طائفة من غلاة العباد يصلون إلى قبور شيوخهم؛ بل يستدبرون القبلة، ويصلون إلى قبر الشيخ، ويقولون: هذه قبلة الخاصة، والكعبة قبلة العامة، وطائفة أخرى يرون أن الصلاة عند قبور شيوخهم أفضل من الصلاة في المساجد حتى المسجد الحرام والأقصى، وكثير من الناس يرى أن الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل منه في المساجد»[2].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناصحاً للمسلمين من الوقوع في الردى ومجانبة سبيل الهدى: «ومن لم يعتصم في هذا الباب وغيره بالكتاب والسنّة إلا ضلّ وأضل ووقع في مهواة من التلف، فعلى العبد أن يسلم للشريعة المحمدية الكاملة البيضاء الواضحة، ويعلم أنها جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإذا رأى من العبادات والتقشفات وغيرها التي يظنها حسنة ونافعة ما ليس بمشروع علم أن ضررها راجح على نفعها، ومفسدتها راجحة على مصلحتها؛ إذ الشارع الحكيم لا يهمل المصالح، وقد كتبت في هذه المسألة نحو مجلد وذكرتها في مواضع أخر وبينت أسباب الشرك، وما فيه من الفوائد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه (ص٣٧٥) برقم (٩٧٢) من حديث أبي مرثد الغنوي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الرد على البكري (١/ ١٦٣ ـ ١٦٦).

والمقاصد التي ضلَّ بها المشركون، وأنها معمورة بالمفاسد ومعمورة بالمضار التي من أجلها حرمها الله...»[(١)].

وقال زين العابدين: «فآدم أول من توسل به ﷺ وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك رحمه الله لما سأله الخليفة المنصور وهو بالمسجد النبوي: أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال له: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤]. ذكر ذلك القاضي عياض في الشفاء[(٢)]»[(٣)]. وهذه القصة باطلة عن الإمام مالك رحمه الله سنداً ومتناً[(٤)].

ولو صحت الرواية كان فيها مناقضة لمذهب الإمام مالك والمشهور عنه، وعن غيره من السلف في صفة السلام على رسول الله عند قبره[(٥)].

وجاء في شرح الطحاوية عند الكلام على حديث استسقاء عمر رضي الله عنه

(١) الرد على البكري (١/ ١٦٧).

(٢) الشفاء بتعريف المصطفى، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ت٥٤٨هـ (٢/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦).

(٣) الأجوبة الغالية (ص٦٠ ـ ٦١).

(٤) فبطلانها سنداً لأمور:

١ ـ الراوي عن الإمام مالك هو محمد بن حميد الرازي، لم يدرك الإمام مالك فضلا عن سماعه منه، ولا هو من تلاميذه، فالحكاية منقطعة. بل اتهم بالكذب، قال محمد الأسدي: ما رأيت أحدا أحذق بالكذب من رجلين سليمان الشاذكوني ومحمد بن حميد الرازي....

٢ ـ في سند القاضي عياض من لا تعرف حاله، أي أنهم مجاهيل.

وأما بطلان القصة من جهة المتن:

١ ـ التوسل يكون يوم القيامة بشفاعته ﷺ وليس في الدنيا.

٢ ـ قوله: (استقبله واستشفع) والاستشفاع معناه طلب الشفاعة كما يستشفع الناس به يوم القيامة.

٣ ـ هذه اللفظة تشبه لفظة العامة الذي يستعملون لفظ الشفاعة بمعنى التوسل. انظر القصة ونقدها: مجموع الفتاوى (١/ ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٠ ـ ٢٤١).

(٥) التمهيد، لابن عبد البر: (٢٣/ ١٠). وانظر أقوال الإمام مالك في صفة السلام على النبي ﷺ: المدونة (٢٨٦)؛ مجموع الفتاوى (١/ ٣٠٤).

بالعباس رضي الله عنه: «معناه بدعائه هو ربه وشفاعته وسؤاله ليس المراد أنا نقسم عليك به، أو نسألك بجاهه عندك؛ إذ لو كان ذلك مراداً لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس.

وتارة يقول باتباعي لرسولك، ومحبتي له، وإيماني به، وسائر أنبيائك ورسلك، وتصديقي لهم ونحو ذلك، فهذا من أحسن ما يكون في الدعاء والتوسل والاستشفاع.

فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به فيه إجمال غلط بسببه من لم يفهم معناه؛ فإن أريد به التسبب به لكونه داعياً وشافعاً، وهذا في حياته يكون أو لكون الداعي محباً له مطيعاً لأمره مقتدياً به وذلك أهل للمحبة والطاعة والاقتداء فيكون التوسل إما بدعاء الوسيلة وشفاعته، وإما بمحبة السائل واتباعه، أو يراد به الإقسام به والتوسل بذاته، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه.

وكذلك السؤال بالشيء قد يراد به التسبب به لكونه سبباً في حصول المطلوب، وقد يراد به الإقسام به، ومن الأول حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار وهو حديث مشهور في الصحيحين[1]»[2].

❋ المطلب الثالث ❋

النصوص الدالة على انحراف صوفية حضرموت في مسألة التوسل

ويظهر انحرافهم بتطبيق ما أصّله لهم شيوخهم في الآتي:

التوسل بالذات:

وتوسل القوم بالنبي ﷺ وأصحابه وبالمعظمين عندهم، يقول سعيد بن أحمد بن محمد الخطاب[3] في قصيدة له:

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٤٦) من هذا البحث.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٩٩).

(٣) هو سعيد بن محمد بن أحمد الخطيب، أحد صوفية حضرموت في القرن الرابع عشر. من آثاره كتاب عرائس الوجود في مراءاة الشهود في بعض مناقب سعيد بن عيسى العمودي، وقد طبع الكتاب طبعة حجرية بالهند سنة ١٣٢٥هـ. انظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٥٤٤).

يا رب توسلنا بفضل محمد وبآله وأصحابه النجباء[1]

قال علي بن حسن العطاس أن هناك: «قصيدة تسمى أم الفرج لمحمد باصلعة والتي مطلعها: (سهرت وهاجت بالمدامع مقلتي، فإنه قد توسل فيها بجميع أنبياء الله الكرام والملائكة عليهم السلام والأولياء والعلماء الأعلام، وأسماء الله وكتبه العظام»[2].

وذكر محمد بن زين بن سميط ما يبيّن إنشاء صوفية حضرموت القصائد في التوسل بالنبي ﷺ: «كان إنشاء هذه القصيدة الوسيلة بالوسيلة العظمى ﷺ: يا رسول الله يا أهل الوفا[3] آخر جمادى الأول سنة ١٠٩٢هـ وسقى الله العباد في الشهر الذي أنشئت فيه سقياً عاماً. وكان رضي الله عنه إذا حصل القحط يرتب قراءتها بعد درسه كل ليلة، إلى أن يحصل الفرج غالباً»[4].

يقول أبو بكر المشهور: «ومن جليل ما وجدته من آثار الجد علوي رضي الله عنه تعالى تلك الأبيات التي كتبها توسلاً في حال كرب من كروبه:

بمحمد ومحمد ومحمد كشف الخطوب المفجعات المشكلة[5]

ومن نصوص القوم التي تدل على انحرافهم في معنى التوسل ما قاله الحداد في قصيدته الرائية بعد ثنائه على عبد القادر الجيلاني والرفاعي والغزالي، فقد جاء في آخرها:

فالله ينفعنا ويحفظنا بهم من شر كل مخالف ومناكر[6]

وجاء في قصيدة لسليمان بن المعلم بن عبد الله باحرمي يتوسل فيها بعبد الله بن علوي الحداد:

---

(١) عرائس الوجود ومراءة الشهود في بعض مناقب سعيد بن عيسى العمودي لسعيد بن أحمد بن محمد الخطيب (ص١٠).
(٢) العطية الهنية لعلي بن حسن العطاس (ص٢٠).
(٣) كذا في الأصل.
(٤) كتاب غاية القصد والمراد في مناقب الحداد لمحمد بن زين بن سميط (٢/ ٢٥).
(٥) لوامع النور (١/ ١١٧).
(٦) ديوان الحداد المسمى الدر المنظوم (ص٧٣).

فيا رب يا حنان غثنا بحق من سما فوق أهل الفضل عزاً ورفعةِ

إلى أن قال:

وسيلتنا الحداد أوحد عصره غياث الورى عند الأمور المهمةِ

وقال أيضاً:

سنحظى به في موقف الحشر منقذاً لنا من زفير النار يوم الندامةِ

وقال أيضاً في قصيدة يرثي فيها عبد الله بن علوي الحداد:

حبيبنا العابد الأواب سيدنا شيخ الطريقة منجينا من الضررِ[(١)]

وتوسل القوم بسعيد بن عيسى العمودي ـ أحد كبار شيوخ الصوفية في حضرموت ـ:

وبالشيخ ابن عيسى تاج الأولياء استر ولا تفضح يوم الجزاء[(٢)]

ويقول عبد القادر الجنيد عند ذكر هارون بن حسن بن عبد الرحمٰن السقاف الجنيد: «واطلعت على قصيدة قالها متوسلاً بالحبيب نوح بن محمد الحبشي المقبور بأحدى ضواحي سنغافورة لما زاره مع جماعة سنة ١٣٦٤هـ بنية الحفظ وتعجيل الفرج:

أنخنا المطايا في حمى الفضل والجود وأرست بنا سفن النجاة على الجودي

ولذنا بهذا الطود نطلب نجدة تحل عقود العسر من كل معقودِ

وتكشف عن كربة وبلية لها ضاق ذرعاً كل شيخ ومولودِ

حططنا على أعتاب بابك سيدي نرجى بلوغ القصد من كل مقصودِ

فكونوا لنا سيدي خير وملجأ وقوموا بوفد جاء يا خير موفودِ

لم نلتجئ عند الخطوب سواكمو ومن لهفنا من حادث البيض والسودِ

بكم نسأل المولى يفرّج كربنا ويغمرنا بالفضل والحلم والجودِ»[(٣)]

---

(١) تحقيقات تاريخية (ص١٩).

(٢) عرائس الوجود ومراءة الشهود في بعض مناقب سعيد بن عيسى العمودي لسعيد بن أحمد بن محمد الخطاب (ص١٠).

(٣) العقود العسجدية (ص٥١٠).

وجاء عند ذكر جد السادة العلويين أحمد بن عيسى المتوفى سنه ٣٤٥هـ وذكر قبره: «ودفن في موضع معروف بشعب مخدّم وقبره الآن مشهور في سفح جبل على يمين المتوجه إلى تريم، وقبره هناك معمور ولم تزل الأكابر تقصده بالزيارة في كل آن ويتوسل به في دفع المكاره»[١].

وقال علي بن حسين العطاس عند ذكر مناقب صالح بن عبد الله العطاس: «ومما أكرم الله به صاحب المناقب، وخصه به في سنيات المراتب، وكاد ينفرد به دون أقرانه أهل زمانه من أهل المظاهر والمناصب، أنه يحضر عند من ناداه وتوسل إلى الله بصدق نية وصفاء طوية»[٢].

وجاء في قصيدة لعلي بن حسن العطاس:

يا ربِّ بالسادة الأخيار تدركنا   وكن مغيثنا لعبد صار حيرانا

إلى أن قال:

يا ربنا كن لنا عون بحرمتهم   ونَقْ منا كدورات وأدرانا[٣]

وجاء في لوامع النور عن عبد الرحمٰن المشهور: «وله أيضاً في شيخه وإمامه سيدي عمر المحضار هذه الأبيات:

معنا الوسيلة عمر محضار يدرك عجول   نفتح باسم المعنى مغلقات القفول

يا سيدي يا عمر محضار خذ ما نقول   مما طرأ في حماكم والبلد والطلول

من الفتن والبلايا والمسبغة والذبول

إلى أن قال:

توجهوا سادتي قبل الحوادث تحول   يا رب إنا توجهنا بهم للوصول

إلى المطالب فشفعهم وجد بالقبول

وقال أيضاً في مدح عمر المحضار:

سيدي يا عمر المحضار نظرة سريعة   تصلح الدين والدنيا وحالي جميعه

---

(١) منهل الوراد (ص٤٣٩).
(٢) تاج الأعراس (١/ ٩٤).
(٣) تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ١٦٢).

ماطر الحق مرسل من مزونه ربيعه عم الأرض نفعه والجبال الرفيعة

إلى أن قال:

بالتوسل رجانا في الأمور الشنيعة بالفقيه المقدم والموجّه تبيعه

ذلك السقاف والسكران نعم الذريعة والمسمى عمر للجار غوثه ربيعه

الملاذ الشفيع الكهن[1] منها القطيعة هو حاضر إذا نادى المعنّى سميعه

بحر أو بر يدركنا بغارة سريعة[2]

ويقول سقاف بن حسن العيدروس: «وفي العادة من توسل بمن له قدر عند أحد أجاب وقد يتوجه بمن له جاه إلى من هو أعلى منه وإذا جاز السؤال بالأعمال كما في حديث الغار مع كونها أعراضاً فالسؤال بالأولياء أولى وقد استسقى عمر بالعباس رضي الله عنهما»[3].

ومسألة استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنه قد تقدم الرد على فهمهم لهذا الأثر، أما قوله: إذا جاز السؤال بالأعمال كما في حديث الغار مع كونها أعراضاً فالسؤال بالأولياء أولى، فيقال هذا قياس لا يصح في العبادات؛ لأن العبادات توقيفية، وقد جاء النص بالتوسل بالأعمال الصالحة، ولو كان التوسل بالذوات جائزاً لما توسل الصحابة بدعاء العباس ولم يتوسلوا بذات الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويقول عمر بن محمد بن حفيظ العلوي في قصيدة له:

فعليك الله صلى ما بدى النور وشعشع

وبك الرحمٰن نسأل وإله العرش يسمع[4]

وقال أيضاً:

يا ربنا يا ربنا يا ربنا بالمصطفى أقبلنا أجب دعوانا[5]

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) لوامع النور (١/ ١٣٥ ـ ١٣٦).

(٣) النصيحة للإخوان فيما جرى من حوادث الزمان، لسقاف بن حسن العيدروس (ص١٤ ـ ١٥).

(٤) الضياء اللامع بذكر مولد النبي الشافع، لعمر بن محمد بن حفيظ (ص١٩)، دار الفقيه، تريم ـ حضرموت، ط٢، ١٤٢٠هـ.

(٥) الضياء اللامع بذكر مولد النبي الشافع (ص٣٠).

وقال أيضاً:

رب أسألك بخير الرسل نظرة لحالي ... يتسع لي بها في بحر فضلك مجالي[(١)]

توسل صوفية حضرموت بجاه النبي ﷺ:

جاء في نهاية كتاب إتحاف النبيل: «وقد انتهى ما قدره الله من الكلام، في هذا المقام على هذا النظام. والله المسئول أن يتلقاه بالقبول، وينفع به الجامع والقارئ والسامع، بجاه سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين»[(٢)].

قال محمد بن علي بن أبي أحمد باقشير في قصيدة يمدح فيها علي بن محمد صاحب مرباط:

وناد على الناسك السالك الهدى ... وقل يا ولي الله أنت معولي

وجاهك مقصدي في الزمان وعدتي ... ليوم همومي ثم فيك توسلي[(٣)]

حكم التوسل بجاه النبي ﷺ:

هذا النوع من التوسل لا يجوز في حياته ﷺ ولا بعد مماته لأنه ليس وسيلة إذ أنه لا يوصل الإنسان إلى مقصوده لأنه ليس من عمله[(٤)].

وأما التوسل المشروع فيكون بالإيمان بالنبي ﷺ ومحبته واتباعه فإن ذلك من الأعمال الصالحة التي يجوز أن يتوسل العبد بها إلى ربه ﷻ. وقد تقدم أن التوسل بجاه النبي من البدع التي لم يأتِ بها الشرع، ولم يفعلها الصحابة، ولا التابعون لهم بإحسان، وإنما هو شيء محدث مخالف لدين الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن التوسل الصحيح: «وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته فرض على كل أحد في كل حال باطناً وظاهراً في حياة النبي ﷺ وبعد موته في مشهده ومغيبه لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن

---

(١) المصدر السابق (ص٩٠).
(٢) إتحاف النبيل (ص٥٦).
(٣) غرر البهاء الضوي (ص١٤٥).
(٤) انظر: المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١/ ٦٩).

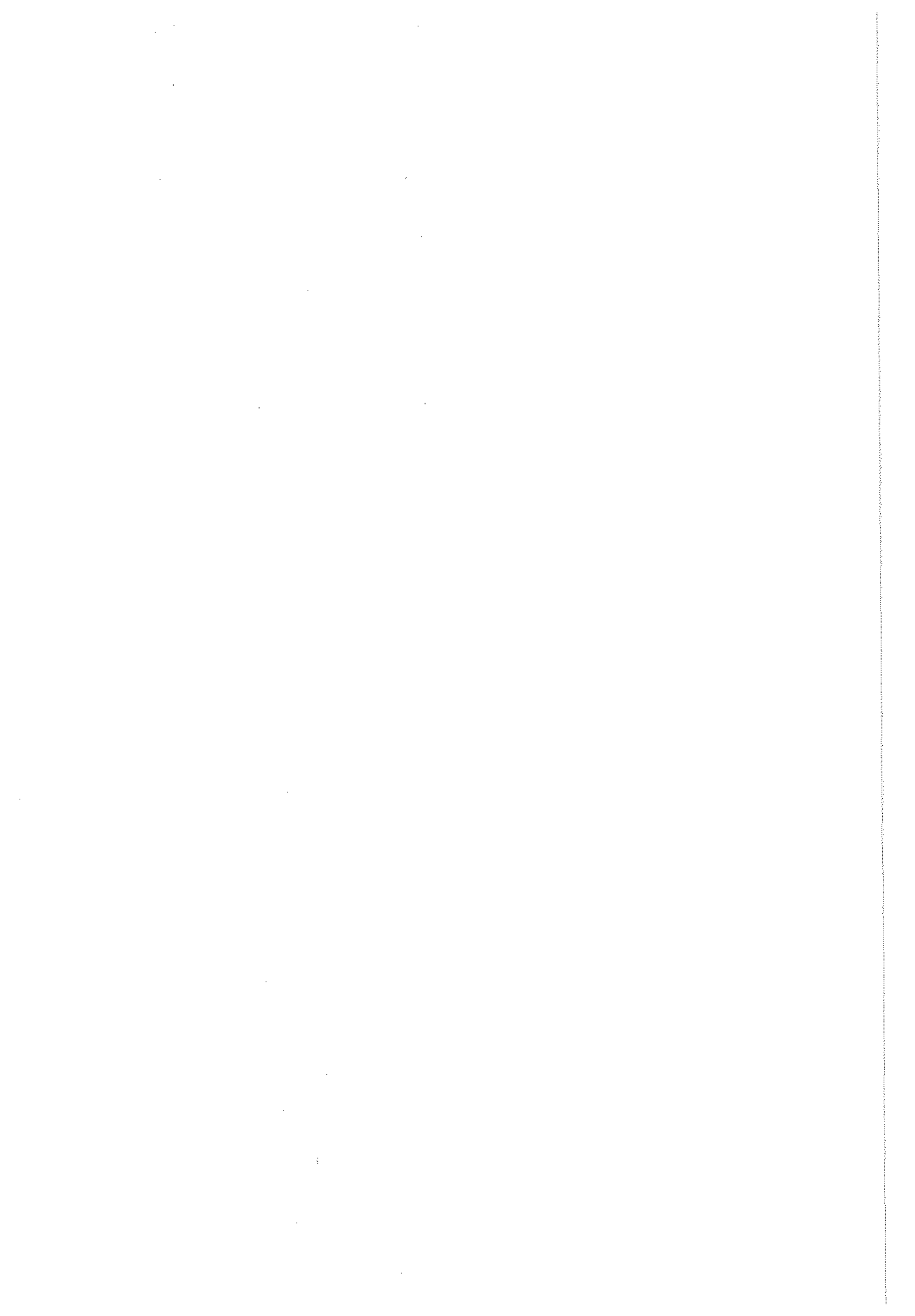
أحد من الخلق في حال من الأحوال بعد قيام الحجة عليه ولا بعذر من الأعذار ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته.

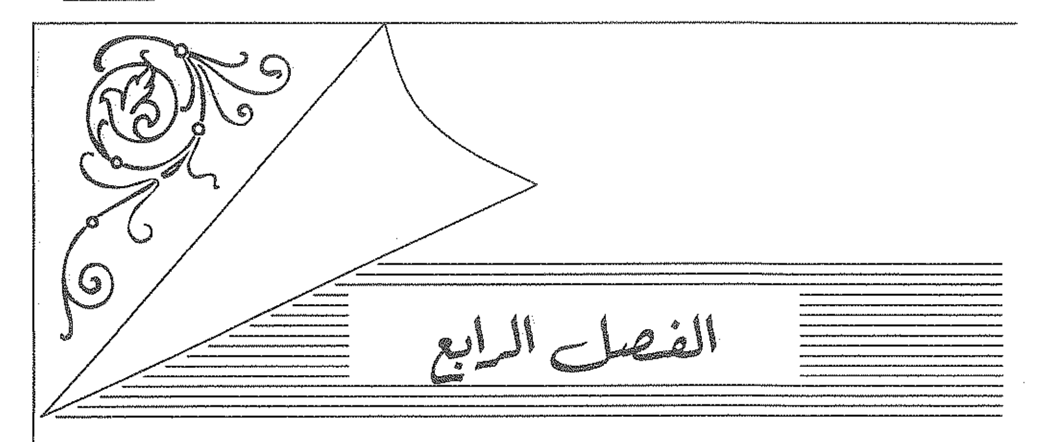
وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم شفيع الخلائق، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، فهو أعظم الشفعاء قدراً، وأعلاهم جاهاً عند الله، وقد قال الله تعالى عن موسى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]. وقال عن المسيح: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥]. ومحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعظم جاهاً من جميع الأنبياء والمرسلين، لكن شفاعته ودعاءه إنما ينتفع بهما من شفع له الرسول ﷺ ودعا له فمن دعا له الرسول وشفع له توسل إلى الله بشفاعته ودعائه كما كان الصحابة يتوسلون إلى الله بدعائه وشفاعته، وكما كان يتوسل الناس يوم القيامة إلى الله تبارك وتعالى بدعائه وشفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم تسليماً.

ولفظ التوسل في عرف الصحابة كانوا يستعملونه في هذا المعنى، والتوسل بدعائه وشفاعته ينفع مع الإيمان به، وأما بدون الإيمان به فالكفار والمنافقون لا تغني عنهم شفاعة الشافعين في الآخرة»[(١)].

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٣ ـ ٤).



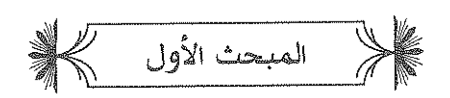


قولهم في النبوة ومناقشتهم فيه

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: قولهم في الوحي.

المبحث الثاني: قولهم في النبوة والأنبياء.



المبحث الأول

قولهم في الوحي



تمهيد

تعريف الوحي لغة وشرعاً:

الوحي لغة: قال الراغب الأصفهاني: «أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: (أمرٌ وحْيٌ)، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز، والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة»[1].

ويأتي الوحي لمعان أخرى حاصلها أنه بمعنى: الإعلام في خفاء وسرعة، وهذا أعم من أن يكون بإشارة، أو كتابة، أو رسالة أو إلهام، والوحي بهذه المعاني لا يختص بالأنبياء، ولا بكونه من عند الله عز وجل[2].

وأما في الشرع: فيطلق الوحي على الإعلام بالشرع، فيطلق ويراد به المعنى المصدري، كما يطلق ويراد به الموحى به[3].

منزلة الوحي عند أهل السنّة والجماعة:

والوحي أمانة حملها الله تعالى صفوة الناس من خلقه، كما قال تعالى مخاطباً نبينا محمداً ﷺ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٥٣٠).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/١٢٨)؛ ومناهل العرفان في علوم القرآن (١/١٥٦)، للزرقاني.

(٣) انظر: الوحي المحمدي (ص٤٤)، تأليف: محمد رشيد رضا؛ ومباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (ص٢٦)، وهدى الفرقان في علوم القرآن لغازي عناية (ص٥٢).

[النساء: ١٦٣]. وقال عن إنزال الوحي على نبيه محمد ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى: ٥٢]. وغير ذلك من النصوص.

ومن المتقرر عند المسلمين أن الشرع يتلقى بالوحي الذي أنزله تعالى على أنبيائه المرسلين، وأُمرنا باتباع خاتمهم وهو نبينا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]. وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وتقرير مسائل الاعتقاد عند أهل السنّة والجماعة ومنها مسألة النبوة تتلقى من مشكاة النبوة لا من الأذواق والعقول والكشوفات، ولا من آراء البشر.

ومع كثرة النصوص الداعية لمتابعة الرسول ﷺ والتحذير من مخالفة شرعه، تجد انحراف طوائف من الناس في هذا الباب، ولا غرو فإن الشيطان طلب من الله تعالى الإمهال إلى يوم البعث ليضل طائفة من البشر: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: ٧٩ ـ ٨٣]. فقد توعد الشيطان الرجيم بإضلال المنحرفين عن طريق الله تعالى، وأما أهل الاستقامة والاتباع لشرع الله تعالى فلا سبيل له عليهم.

وقد تحقق أمل الشيطان ـ بقدر الله تعالى الكوني ـ فضلّت طوائف من الخلق عن صراط الله تعالى، واتبعت سبيل إبليس وجنده، ومن تلك الطوائف: طائفة الصوفية التي ضلّتِ الطريق في كثير من أصول الدين، ومن تلك المسائل ـ والتي نحن بصدد الحديث عنها ـ مسألة الوحي، الذي هو حياة القلوب،

والنور الذي من اهتدى به فاز وأفلح، ومن تنكب عنه خاب وخسر، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وهدى الله تعالى أهل السنّة للحق، فوقفوا حيث وقفت بهم نصوص الوحي ولم يسلكوا طرق المنحرفين عن الحق، بل التزموا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١].

وهكذا كان دأب السلف في التمسك بنصوص الوحي وعدم الانحراف عن هذا المنهج الثابت، يقول الربيع بن خثيم[(١)] رحمه الله: «يا عبد الله، ما علّمك الله في كتابه من علم فاحمدِ الله، وما استأثر عليك من علم فكِلْه إلى عالمه، ولا تتكلف فإن الله يقول لنبيه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦]»[(٢)].

ومذهب أهل السنّة اعتماد الوحي في أمور الدين، وعدم الالتفات أو التعويل على ما عداه، لاشتمال الوحي على نصوص الكتاب والسنّة التي أنزلها الله تعالى على عبده ونبيه محمد ﷺ، وأمر العباد بالتمسك بها حتى الممات.

فوحي الأنبياء ليس كإلهام غيرهم، وليس من مذهب السلف تقديم الرؤى على الوحي كما هو شأن المتصوفة، فطريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم، ولكن صوفية حضرموت خلطوا مذهبهم بمذاهب شتى، ليظهروا مذهبهم في ثوب مرقع من بدع شتى، حيث تبعوا المتكلمين في بعض أبواب الاعتقاد، وصرحوا بأن طريق المتكلمين أعلم وأحكم من طريق السلف كما ذكر ذلك ابن شهاب عند شرحه لعقيدة الباجوري[(٣)]، وقد بيّن أهل العلم ضلال هذه المقالة،

---

(١) هو الربيع بن خُثيم بن عائذ، أبو يزيد الثوري الكوفي، ثقة عابد مخضرم أدرك زمن النبي ﷺ وأرسل عنه. توفي قبل سنة ٦٥هـ. انظر: السير (٤/٢٥٨ ـ ٢٦٢)؛ والتقريب (١/٢٤٠).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/٣٣٦). وانظر: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (٢/١١٨).

(٣) النوافح (ق٢٧، ق٢٩).

يقول الإمام الشوكاني رحمه الله: «فهم ـ أي أهل الكلام ـ متفقون فيما بينهم على أن طريقة السلف أسلم، ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم، فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأعلمية لطريق الخلف أن تمنى محققوهم وأذكياؤهم في آخر أمرهم دين العجائز، وقالوا: هنيئاً للعامة، فتدبر هذه الأعلمية التي حاصلها أن يهنىء من ظفر بها للجاهل الجهل البسيط، ويتمنى أنه في عدادهم، وممن يدين بدينهم، ويمشي على طريقتهم، فإن هذا ينادي بأعلى صوت، ويدل بأوضح دلالة على أن هذه الأعلمية التي طلبوها: الجهل خير منها بكثير، فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه: أن الجهل خير منه، وينتهي عند البلوغ إلى غايته، والوصول إلى نهايته أن يكون جاهلاً به، عاطلاً عنه، ففي هذا عبرة للمعتبرين وآية للناظرين...»(١).

وقد وكّل الله تعالى الملائكة للقيام بوظيفة تبليغ الوحي إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام، فهي الواسطة بين الله تعالى وبين رسله في تبليغ الوحي والشرائع، وما يؤديه الملك إلى الرسول ضربان: قرآن، ووحي، والموكل بهذه المهمة هو جبريل عليه السلام.

والأدلة في ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤].

والروح الأمين في الآية هو جبريل عليه السلام، حيث كان يأتي بالوحي على قلب نبينا محمد ﷺ(٢).

وأما من السنّة: فمن ذلك ما جاء في حديث جبريل الطويل في الصحيحين عندما جاء جبريل إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وقال ﷺ لعمر: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»(٣).

---

(١) التحف في مذاهب السلف، للإمام الشوكاني (ص٣ ـ ٤)، مطبعة المدني، جدة، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، بدون تاريخ.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٢٩)؛ وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب =

ويأتي الوحي للنبي ﷺ في صور مختلفة منها ما جاء عن عائشة أن الحارث بن هشام[١] سأل النبي ﷺ كيف يأتيك الوحي؟. فقال: «أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، ثم يُفصَمُ عني وقد وعيته، وأحياناً ملك في مثل صورة الرجل، فأعي ما يقول»[٢].

وثبت في الصحيحين عن ابن عباس في قوله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾... الآيات [القيامة: ١٦ ـ ١٩]. قال: «كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي، كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه فكان ذلك يعرف منه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾: أخذه، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾: إن علينا أن نجمعه في صدرك، وقرآنه فتقرأه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ قال: أنزلناه فاستمع له: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾: أن نبينه بلسانك، فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله»[٣].

وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح بعض صفات جبريل عليه السلام التي وردت النصوص الشرعية بها فقال: «فأما جبريل فقد وصفه الله تعالى بأنه روح القدس، وبأنه الروح الأمين، وبأنه رسول كريم؛ ذو قوة مكين، مطاع أمين وسيأتي في التفسير أن معناه: عبد الله، وهو وإن كان سريانياً لكنه وقع فيه موافقة من حيث المعنى للغة العرب؛ لأن الجبر هو إصلاح ما وهي، وجبريل موكل بالوحي الذي يحصل به الإصلاح العام»[٤].

= الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، (ص٣٦) برقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١) هو الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه. استشهد في فتوح الشام، وقيل: مات بطاعون عمواس سنة ١٨هـ. انظر ترجمته في: السير (٤/٤١٩)؛ والفتح (١/٤٧) ط طيبة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد، وحين يأتيه الوحي، (ص٩٥٢) برقم (٢٣٣٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾، (ص٩٧٣) برقم (٤٩٢٧)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، (ص١٨٩) برقم (٤٤٨) واللفظ لمسلم.

(٤) فتح الباري (٦/٣٠٧).

وكذلك فإن سُنَّة النبي ﷺ وحي من الله تعالى والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ٣ ـ ١٠].

ومذهب السلف اعتماد نصوص الوحي اعتقاداً وقولاً وعملاً، بخلاف الصوفية فإنهم اتخذوا مناهج منحرفة مخالفة للوحي، حيث اعتمدوا تقريرات مشايخهم، وقدموا الكشف والرؤى والأحلام على الوحي وتلقوا دينهم من غير نصوص الوحي.

انحراف صوفية حضرموت في الوحي:

بنت صوفية حضرموت دينها على المكاشفات والمنامات والأذواق، واعتقدت أنها حق فعارضت بها نصوص الوحي، وإن كان الوحي عندهم من جملة وسائل المعرفة التي يتلقى بها الدين، لكنهم جعلوه معضداً لا مقرراً، محكوماً عليه لا حاكماً، فهم يحتجون به على ما وافق معتقداتهم، فإن لم يوافقها فإنهم يؤولونه لمعان باطنية، يرونها هي الحق، بل وقد لا يعولون عليه إذا وجدوا شيئاً من كلام شيوخهم، أو مصادرهم الأخرى من كشف ورؤى وغير ذلك، وقد بينا كثيراً من ذلك في مباحث مصادر التلقي عندهم.

ولانحراف صوفية حضرموت في مسألة الوحي أسباب كثيرة منها: الغلو في الأولياء والمشايخ؛ فهذا الغلو أساس أكثر المصائب التي حلّت بصوفية حضرموت في أبواب الاعتقاد، مع انتشار الجهل بعقيدة السلف فازداد الأمر سوء إلى سوء، فبهاتين البليتين أعني الغلو مع عدم معرفة مذهب السلف الصالح في هذه المسألة العظيمة؛ المبنية على نصوص الكتاب والسنّة، أدى بهم ذلك للانحراف عن عقيدة أهل السنّة والجماعة، ويظهر ذلك الانحراف في الآتي:

دعوى نزول الوحي على أوليائهم ومشايخهم:

ومن صور الغلو في الأولياء والمشايخ رفعهم إلى منزلة الرسل ـ عليهم

الصلاة والسلام ـ وذلك بادعاء نزول الوحي عليهم كسائر الرسل الكرام، وقد سطرت صوفية حضرموت هذه الدعاوى في مناقب مشايخها وأوليائها.

فمن نصوصهم في ذلك ما جاء في كتاب المشرع الروي عند ذكر مناقب محمد بن علي صاحب مرباط: «وتواجد يوماً بحضرة عمه الشيخ عبد الله بن علوي، حتى غشي عليه، ثم أقيمت الصلاة فصلى معهم، فلما فرغوا قال العارف بالله علي بن سلم لعمه عبد الله: صلى ابن أخيك بلا وضوء؛ لأنه زال عقله. فأخبره عمُّه بقول الفقيه علي بن سلم فقال: وعزة الحقِّ! إني توضأت وشربتُ من الكوثر، ونفض لحيته فتقاطر منها الماء، ثم قال: يا فقيه نزل علينا شيء لو نزل على الجبال لدُكَّت»[1].

ففي كلام محمد بن علي الشهير بمولى الدويلة استعمال لغة الرموز والإشارات التي ملأوا بها كتبهم ـ كعادة سلفهم من المتصوفة ـ وذلك بقوله: نزل علينا شيء!، فلا يدري القارىء ما يقصد بهذه العبارة، ثم قال بعد ذلك عن ذلك الشيء الذي يدعي نزوله عليهم: لو نزل على الجبال لدكّت. وهذه صفة الوحي الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ، فقد قال الله تعالى عن القرآن الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١].

وفتح القوم ـ بتقرير هذه القصص المنحرفة ـ الباب على مصراعيه للتحلل من الواجبات الشرعية، لا سيما التحلل من أعظمها بعد الشهادتين وهي الصلاة، وأن للولي أن يفعل ما يشاء، كالصلاة بغير وضوء فقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول»[2]، وقال ﷺ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»[3].

---

(١) الجوهر الشفاف (١٥٢ ـ ١٥٣)؛ والمشرع الروي (١/ ٢٠٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة، (ص١١٩) برقم (٢٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحيل، باب في الصلاة، (ص١٣٢٨) برقم (٦٩٥٤)؛ =

والقصة كغيرها من القصص التي يوردها المتصوفة لتقرير اعتقاد تصرف مشايخهم في الكون، ولا يجوز ـ وفق التربية الصوفية ـ الظن بمشايخهم إلا الكمال، وهذا النص كنصوص أخرى وردت عن القوم في تركهم الصلاة بحجة تجزؤ صور مشايخهم في أكثر من صورة، وادعاء أنها صلّت في أكثر من مسجد بصور متعددة، وتخطئة من ينكر عليهم ذلك![(١)].

وانحرفت صوفية حضرموت كذلك في معرفة الطرق الشرعية التي يتلقى الوحي منها، فابتدعت طرقاً منحرفة عن الحق، فتارة تكون بسماع نداء خاص يأمر بفعل أمر ما، وتارة بادعاء نزول الملائكة لإقرار فعل ما، وهكذا.

ومن نصوصهم في زعمهم نزول الملائكة على مشايخهم، ما جاء في كتاب مواهب القدوس عند ذكر المؤلف لمناقب عبد الرحمٰن السقاف، والذي كان مولعاً بالسماع، وقد هَمَّ أن يتركه فقال: «لما هممت بترك السماع، رأيت ليلة الراتب الملائكة نازلين من السماء بالدفوف والشبابات إلى مسجدي، وقالوا: إما أن تعود إلى السماع وتستر حالك، وإلا شهرناك وضربنا ظاهرين بين الناس»[(٢)].

وفي هذا تنقص القوم للملائكة المكرمين، واتهامهم بالدعوة للمنكر ـ والعياذ بالله ـ، بل وإعلانه، وقد قال الله فيهم: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

وقال سبحانه: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. وغيرها من النصوص الكثيرة الدالة على طاعة الملائكة لربها، وأنها لا تحضر إلا الأماكن المحبوبة لله تعالى كحلق الذكر ونحوها[(٣)].

= ومسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة، (ص١١٩) برقم (٢٢٥).

(١) انظر على سبيل المثال لهذه القصص: شرح العينية (ص١٩٢)؛ وكنوز السعادة الأبدية (ص٥١، ٥٥، ٥٦، ٣٧٤)؛ والعقود العسجدية (ص١٩١، ٣١٤)؛ ولوامع النور (٧٨).

(٢) مواهب القدوس (ص٤١).

(٣) كما ثبت في الترمذي وغيره أن النبي ﷺ قال: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض، فإذا وجدوا أقواما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى بغيتكم يجيئون فيحفون بهم إلى سماء الدنيا» الحديث.

وهذا التنقص الذي وقع فيه القوم مع استفتاح القوم ترجمة جلّ مشايخهم بأنهم حفظوا القرآن أول الطلب فأين هم من هذه النصوص؟.

ويقال للقوم: نعم، هذا الذي ينزل عليكم هو وحي، لكنه وحي شيطاني، نزل عليكم كما نزل على المنحرفين من قبلكم فقد: «قيل لابن عمر وابن عباس إن المختار[١] يزعم أنه ينزل إليه فقالا: صَدَقَ، قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢]، وقال الآخر وقيل له: إن المختار يزعم إنه يوحى إليه فقال: قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]»[٢].

ويدعي القوم الإيحاء إليهم من قبل الله تعالى بواسطة الهواتف، يقول عبد الرحمٰن السقاف: «والله إني لا أفعل شيئاً إلا وقد سمعت الهاتف من قبل الحق سبحانه يأمرني بفعله. قال: وأخبرني ولده الشيخ أبو بكر قال: قال والدي: والله ما بنيت داراً، ولا مسجداً، ولا غرست نخلاً، ولا فعلت شيئاً، إلا وقد سمعت النداء من قبل الحق يأمرني بذلك»[٣].

ومن طرق تلقي الوحي التي يدعيها القوم لأوليائهم: تكليم الله تعالى لمشايخهم بلا واسطة، فقد ذكر عبد القادر العيدروس عن القشيري أنه: «لما أقامه الحق في مقام الخلافة، قال تعالى له: اخرج بصفتي إلى خلقي، فخطى خطوة، ثم صاح، فناداه الحق تبارك وتعالى: ردوا عليّ حبيبي؛ فإنه لا صبر له عني، وذلك لإيثار جناب الحق، والتخلص من حمل أعباء مقام الدعوة، فافهم»[٤].

كما يدعون تلقي الوحي بنزول الملائكة عليهم وقد مرَّ بعض ذلك، وكذا بإخبار قلوبهم عن الله تعالى، ومن ثم فتيا السائل بما حدثتهم به قلوبهم عن

---

(١) هو المختار بن أبي عبيدة الثقفي الكذاب، والذي ادعى النبوة وأن الوحي ينزل عليه. انظر ترجمته: السير (٣/٥٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٣) مواهب القدوس (ص٤١).

(٤) تاريخ النور السافر (ص١٥٩).

ربهم، فقد جاء في كتاب تذكير الناس: «وسُئل أحمد الرملي عن مسألة وهو راكب على بغلته، فأطرق وطأطأ رأسه إلى الأرض، والتفت يمنة ويسرة، ثم رفع رأسه، وأجاب السائل. فسأله ذلك السائل عما صنع، فقال له: إنك لما سألتني لم يكن لي علم بها، فتصفحت كتب المشرق والمغرب فلم أظفر بها، ثم نظرت اللوح المحفوظ فلم أجدها، ثم أخبرني قلبي عن ربي، أو قال نزل بها ملك»(١).

ففي هذا النص ذكرهم لثلاث طرق يتلقون بها الوحي المتضمن لأحكام الشرع وهي: إما بالنظر إلى اللوح المحفوظ، أو تحديث قلوبهم عن الله تعالى مباشرة، أو قد ينزل الملك بالجواب عن المسألة التي يسأل عنها.

والشاهد قوله: أخبرني قلبي عن ربي، وفي هذا النص تنقص لعلم الله تعالى ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ـ حيث يعتقدون خلو اللوح المحفوظ من بعض العلوم، وفي هذا تكذيب لله تعالى، فالله تعالى قد كتب في اللوح المحفوظ المقادير كلها، كما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»(٢).

وذكر عبد القادر العيدروس كلاماً طويلاً لبعض الصوفية جاء فيه: «يقول بعض السلف: أخبرني قلبي عن ربي، وأخبرني ربي عن قلبي...»(٣).

وهكذا يتمادون في غيهم حتى يصل بهم الانحراف إلى اعتقاد منازلة الله لهم، وكلامه لهم وهم في الدنيا ـ تعالى الله وتقدس عن قولهم علواً كبيراً ـ، وقد قرروا ذلك بقصة ذكرها أبو بكر الحبشي عند ذكره لعبد الله بن حسين بن طاهر وذكر خلوته المعدة له للعبادة: «وكانت له خلوه يعين له فيها مجلساً

---

(١) تذكير الناس (ص٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (ص١٠٦٥) برقم (٦٦٥٣).

(٣) تاريخ النور السافر (ص١٥٦).

خاصاً، ويحذر أهله وغيرهم من الدخول عليه بغير إذن، فجاء الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى ففتح الخلوة عليه؛ فوجده مالي الخلوة، فرجع ثم بعد خروجه أخبره بما رآه منه، وسأله عن حالته تلك، فعاتبه وقال: كيف وأنا حذرتكم من الدخول عليّ فقال له: قد وقعنا فيها، وأخبرني بما جرى لك، فقال: كنت في تلك الساعة في حضرة الله تعالى ونازلني وقال لي: يا عبد الله لك عليّ ما شئت، فقلت: يا ربّ أسألك أن تشفعني في أهل بيتي، فقال: شفعتك فيهم فقلت: يا ربّ لي أصحاب وأحباب متعلّقون بي أسألك أن تشفعني فيهم، فقال: شفعتك فيهم فقلت له: ومن يحضر مجالسي من أهل البلد ونواحيها، فقال: قد شفعتك فيهم فقلت له: وأهل حضرموت ومن سمع بي واعتقد فيّ فقال: قد شفعتك فيهم، فقلت: يا ربّ ولم لا تشفعني في أهل عصري كلهم؟ فقال: قد شفعتك فيهم»[(١)].

وبهذه القصة قرروا معرفة بعض أحكام الآخرة؛ كشفاعة أوليائهم للناس جميعاً، ويعدون ذلك من مناقب أوليائهم والله المستعان.

وكل هذا لما جعلوا لأوليائهم من منازل ومقامات مزعومة، بناء على عقيدتهم في أن أولياءهم ومشايخهم لهم التصرف المطلق في الكون، فهم يصعدون بزعمهم إلى السماء، ويترقون في المنازل المزعومة، ولترسيخ ذلك تقول سلطانة بنت علي الزبيدي (ت٨٤٧هـ) ـ إحدى متصوفات حضرموت ـ: «ما صعد أحد السماء إلا وعرفت أين بلغ إلا الشيخ أبا بكر وأبوه؛ فإني لا أعرف منتهاهما، وكانت تقول: إني أسمع النوبة تضرب دائماً في السماء بالمشيخة للشيخ أبي بكر، وكانت تقول إذا همَّ الشيخ أبو بكر لزيارتها إلى بلدها: رحِّبوا بالسلطان ابن السلطان ابن السلطان فإني سمعت الشاوش في السماء نادى بقدومه علينا وأرى الملائكة تشيعه فيقدم عليهم كما أخبرت»[(٢)].

ومن دعاويهم الباطلة في طرق تلقي الوحي اعتقادهم أخذهم العلوم من الله تعالى مباشرة من غير طريق الوحي، وذلك بوسائل الكشف والرؤى،

---

(١) تذكير الناس (ص٢١٧).

(٢) مواهب القدوس (ص٤٢).

فقد جاء في كتاب بلوغ الظفر والمغانم قول مؤلفه: «رأى بعض خواص السيد حسين ابن الفقيه عبد الله بلحاج بافضل[١] فبشره، رأى كأن سيدي الشيخ أبو بكر والسيد حسين صعدا إلى السماء حتى جاوزا السماء الأولى، ثم الثانية، والثالثة فلما وصلا إلى السماء الرابعة وقف السيد حسين بها، وصعد سيدي الشيخ حتى جاوز السموات السبع، واخترق الحجب ووقف بين يدي الحق جلّ وعلا وسمع صوت الحق تعالى يقول: أضيفوا الشيخ أبو بكر واذبحوا له من الأكباش[٢] الصرف، قال: فذبح من الأكباش كذا كذا ألف مما لا يحصى عدداً، فلما أصبح الرائي أخبر بها جماعة فقالوا: يقع الفرج العام والغيث السابع فحصل ذلك الغيث ببركاته»[٣].

وفي هذا النص بيان غلو القوم في مشايخهم، وذلك بادعائهم أن مشايخهم يتصرفون في الكون كما يريدون، فهم يعتقدون أن أولياءهم يخترقون السموات السبع، بل ويصلون إلى الله تعالى[٤] وهم في الدنيا ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ـ، وفي قصصهم من عدم التعظيم للمولى جلّ في علاه ما لا يخفى، وفي النص الإشادة بمنزلة شيوخهم عند الله، وهذه من الغايات التي يسعى لها المتصوفة، حيث أوقعوا الجهال وأشباههم في شَرَك التصوف بسبب هذه القصص المنحرفة.

ويعتمد القوم أقوال وأفعال مشايخهم في المنام، واعتقاد وقوعها كفلق

---

(١) هو حسين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحاج بافضل، أحد الصوفية الكبار كان له ولع كبير بكتب ابن عربي وغيره من الصوفية الفلاسفة من مؤلفاته: الفصوص الفتحية والنفثات الروحية فيما يوجب الجمعية وعدم البراح من جانب الحق والفناء والبقاء بالجزئية والكلية، وتفضيل النشائين وتحصيل السعادتين، توفي سنة ٩٧٩هـ. انظر: تاريخ النور السافر (ص٣٤٤)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٥١)؛ وصلة الأهل (ص٢٤٦).

(٢) الأكباش: جمع كبش بلهجة أهل حضرموت.

(٣) بلوغ الظفر والمغانم (ص٥). نقلت العبارة كما هي باللهجة الحضرمية.

(٤) وهذا النص يوضح تناقضاتهم إذ فيه إثبات علو الله تعالى وأنه فوق السماوات السبع، وقد تقدم إنكار كبارهم هذه الصفة، وهذا يدل على منازعة الفطرة لباطلهم.

الصبح كما جاء في آخر النص أنهم مطروا بغيث كبير وذلك ببركة شيخهم أبي بكر بن سالم العلوي.

ومما يؤكد عدم تعويلهم على نصوص الوحي واتخاذ مسالك منحرفة عنه، ما جاء في كتاب الرسالة النافعة، لعلوي الحداد حيث نقل عن جده الحسن بن عبد الله الحداد أنه قال: «يحصل للولي ما يحصل للنبي، وأنه قد حصل لي شق الصدر بمسجد آل أبي علوي بتريم، ووضع لي المعراج بمسجد الهجيرة بتريم، فعرجت ووقفت بين يدي الله وخاطبني بخطاب، وألبسني تاج العلم وإني لم أفعل شي من حركاتنا كلها إلا بإذن من الله، أو من رسول الله ﷺ أو من سيدنا الفقيه المقدم»[1].

وفي هذا النص أيضاً من الانحرافات المضافة لما سبق رفع منزلة الولي إلى مرتبة النبي، وحصول شق الصدر للولي وكذا العروج به إلى السماء، والوقوف بين يدي الله تعالى ومخاطبته، بل وزعمهم إكرامه تعالى لهم، وذكر أن ذلك بإذن من الله تعالى أو من رسوله أو من الفقيه المقدم، وفي هذا تنقص عظيم بمقام النبوة، وفيه تزكية أنفسهم بأنهم أولياء، وكل ذلك مبناه الكذب الذي نشأ عليه القوم.

وفي آخر النص بيان منزلة الفقيه المقدم وجعله من المصادر التي يسلم لها في تلقي الشرع.

وبعد ذكر نصوص القوم في انحرافهم في مسألة الوحي، يتضح حرمان هؤلاء القوم من خير عظيم به حياة القلوب والأرواح، وسبب انحرافهم هو اتباع الهوى والشيطان والتزام منهج مخالف لشرع الله تعالى، إذ الشريعة لا يعمل بها إلا المؤمنون المخلصون، أما المكاشفات ونحوها فقد تقع للمنافقين والفجار.

وكذلك فإن العلم بالشريعة ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، ويدفع عنه ما يضره، بخلاف الكشف ونحوه فقد يهلك صاحبه إن لم يقترن به الدين.

---

(١) الرسالة النافعة، لعلوي الحداد (ص٨).

ويقال للصوفية: إن الإنسان إن صح دينه علماً وعملاً فلا بد أن يوجب خرق العادة إذا احتاج إلى ذلك صاحبه وذلك بمشيئة الله تعالى، وله سبحانه في ذلك حكمة قد يعلمها الشخص وقد لا يعلمها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]. وليس العكس أي أن خرق العادة لا يدل على صحة الدين علماً وعملاً.

والمقصود من الوحي والشرع مراعاة العبودية وإقامتها التي أمر بها الشرع، أما المتصوفة فمقصود الكشف عندهم مشاهدة الربوبية، ولم يأمر الشرع بذلك، ومراعاة ما أمر به الشارع أحق وأولى من مراعاة ما لم يأمر به[(١)].

قولهم إن الإلهام للولي كالوحي للنبي:

ومن الأمور التي ابتدعها القوم جعل إلهامات الصوفية في مرتبة الوحي الذي نزل على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وقد صرح علماؤهم بذلك، يقول عبد الله باسودان: «وإنما يذوق ثمر غرس الوحي والنبوة بالإلهام الرباني فيذوق المعاني، فالإلهام للأولياء كالوحي للأنبياء»[(٢)].

وبطلان هذا الكلام واضح لكل موحد، يقول صاحب مراقي السعود:

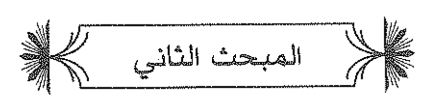
وينبذ الإلهام بالعراء ... أعني به إلهام الأولياء
وقد رآه بعض من تصوفا ... وعصمة النبي توجب اقتفا[(٣)]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٣٢٧). وانظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنّة والجماعة، لعثمان بن علي بن حسن (٢/ ٦٦٢ ـ ٦٦٣).

(٢) مطالع الأنوار شرح رشفات الأبرار، لعبد الله باسودان (ص٤٠). وانظر: مجلة أنوار التلاقي (ص١٣) العدد (٢٨) جماد الأول ـ جماد الآخر ١٤٢٣هـ.

(٣) مراقي السعود (ص٢٨٨).



المبحث الثاني

قولهم في النبوة والأنبياء



تمهيد

النبوة: «موهبة من الله تعالى لمن اصطفاه من أولي العلم والعمل لا حيلة للبشر في اكتسابها أبداً، وبها يتولد العلم النافع والعمل الصالح»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ونفس النبوة تتضمن الخبر، فإن النبوة مشتقة من الإنباء: وهو الإخبار بالمغيَّب فالنبي يخبر بالمغيَّب ويخبرنا بالغيب»[(٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «النبوة خطاب سمعي بوحي يوحيه الملك إلى النبي عن الربّ تعالى»[(٣)].

والنبوة سفارة بين الله تعالى وبين ذوي الألباب من خلقه ليصلح بها شئون حياتهم، ومصالحهم الدينية والدنيوية[(٤)]، والنبوة منزلة عالية، ومقام رفيع يقول الماوردي[(٥)] رحمه الله: «لا منزلة في العالم أعلى من النبوة التي هي سفارة بين الله تعالى وعباده، تبعث على مصالح الخلق وطاعة الخالق، فكان أفضل

---

(١) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٢٢).

(٢) درء التعارض (١/ ١٧٩).

(٣) كتاب الصواعق المرسلة (٢/ ٧٥٩).

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (٥/ ١٥)، تحقيق: محمد النجار، ط ١٣٩٣هـ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٥) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، البصري، الشافعي، ولد سنة ٣٦٤هـ بالبصرة. من مؤلفاته: النكت والعيون في التفسير، والأحكام السلطانية، وأعلام النبوة. توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ. انظر: الطبقات الكبرى، للسبكي (٥/ ١٦٢)؛ ومعجم المؤلفين (٢/ ٤٩٩).

الخلق بها أخص، وأكملهم بشروطها أحق بها وأمس»[١].

الفرق بين النبوة والرسالة:

وأما التفريق بين النبوة والرسالة أو الفرق بين النبي والرسول، فقد تكلم أهل العلم في ذلك وبينوا الفرق بين هذين المصطلحين بناء على النصوص الشرعية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل إلى أحد يبلغه عن الله رسالته فهو نبي»[٢].

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد ذكروا فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلِّغ غيره فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول؛ فالرسول أخص من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها؛ بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم بل الأمر بالعكس فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها»[٣].

إذاً فالرسالة تقتضي تبليغ كلام الله تعالى، الذي يحتوي على جميع الشرع، أما النبوة فتختص بإنزال الوحي على النبي، فالنبوة بينه وبين ربه، والرسالة بينه وبين الخلق[٤].

ونبيّن هنا بإيجاز ما يتعلق بالنبوة، من حيث حقيقتها، وقول أهل السنّة فيها، وبيان أهمية الإيمان بالنبوة التي يعد الإيمان بها أحد أركان الإيمان الستة التي جاءت بها النصوص.

فالنبوة فضل من الله تعالى، واصطفاء منه سبحانه لبعض البشر، يختارهم الربّ تعالى على سائر الناس، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن

(١) أعلام النبوة (ص٢٥٤).
(٢) النبوات (ص٢٥٥) ط٢، ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١/١٦٧).
(٤) انظر: تفسير السعدي (٤/١٦٦).

﴿يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]. وردّ الله تعالى على المشركين في قولهم: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ [الزخرف: ٣١]. بقوله سبحانه: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢]. والإيمان بالنبوة طريق النجاة في الدنيا والآخرة، والسعيد من وفقه الله تعالى لمعرفتها والإيمان بها، والشقي من حُرِمَ ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإيمان بالنبوة أصل النجاة والسعادة فمن لم يحقق هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال، والإيمان والكفر، ولم يميز بين الخطأ والصواب»[١].

والخلق جميعاً بحاجة للإقرار بالأنبياء والرسل، لظهور ذلك «ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية، فيها الظاهر البيّن لكل أحد؛ كالحوادث المشهودة؛ مثل: خلق الحيوان والنبات، والسحاب، وإنزال المطر وغير ذلك وفيها ما يختص به من عرفه مثل دقائق التشريح، ومقادير الكواكب وحركاتها وغير ذلك فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق، والإقرار برسله وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا فإن الله يجود به على عباده جوداً عاماً ميسراً»[٢].

مذهب أهل السنّة والجماعة في النبوة:

النبوة كما سبق اصطفاء من الله تعالى لمن يشاء من عباده لحكم عظيمة يعلمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والله سبحانه قد أخبر أنه يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، والاصطفاء: افتعال من التصفية، كما أن الاختيار: افتعال من الخيرة، فيختار من يكون مصطفى وقد قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فهو أعلم بمن يجعله رسولاً ممن لم يجعله رسولاً، ولو كان كل الناس يصلح للرسالة لامتنع هذا، وهو

---

(١) النبوات (١/ ١١٦).
(٢) الجواب الصحيح (٥/ ٤٣٥).

عالم بتعيين الرسول وأنه أحق من غيره بالرسالة، كما دل القرآن على ذلك، والله سبحانه إذا اتخذ رسولاً فضله بصفات أخرى لم تكن موجودة فيه قبل إرساله، كما كان يظهر لكل من رأى موسى وعيسى ومحمداً من أحوالهم وصفاتهم بعد النبوة، وتلك الصفات غير الوحي الذي ينزل عليهم فلا يقال: إن النبوة مجرد صفة إضافية كأحكام الأفعال كما تقوله الجهمية»(١).

وقال أيضاً: «وهو الذي عليه جمهور سلف الأمة وأئمتها، وكثير من النظار أن الله يصطفي من الملائكة رسلاً، ومن الناس و﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ فالنبي يختص بصفات ميّزه الله بها على غيره، وفي عقله ودينه، واستعد بها لأن يخصه الله بفضله ورحمته، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]»(٢).

الإيمان بالأنبياء:

الإيمان بالأنبياء أحد الأركان الستة التي يقوم عليها إيمان العبد كما دلَّت على ذلك النصوص الشرعية، كقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجل وهو جبريل يمشي، فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر»(٣).

---

(١) منهاج السنَّة النبوية (٥/٤٣٧، ٤٣٩) باختصار.

(٢) منهاج السنَّة النبوية (٢/٤١٦ ـ ٤١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، (ص٩٣٢) برقم (٤٧٧٧)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام =

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا بد في الإيمان من أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويؤمن بكل رسول أرسله الله، وكل كتاب انزله الله كما قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة: ١٣٦ ـ ١٣٧]»[١].

ويبيِّن شيخ الإسلام معنى الإيمان بالرسل كما جاء في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ السابق بقوله: «وأما قوله: «ورسله» فأن تؤمن بما سمى الله في كتابه من رسله، وتؤمن بأن لله سواهم رسلاً وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم، وتؤمن بمحمد ﷺ وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل؛ إيمانك بسائر الرسل إقرارك بهم، وإيمانك بمحمد: إقرارك به وتصديقك إياه دائباً على ما جاء به، فإذا اتبعت ما جاء به: أديت الفرائض، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ووقفت عند الشبهات، وسارعت في الخيرات»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أطاع رسولاً واحداً فقد أطاع جميع الرسل، ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع، ومن عصى واحداً منهم فقد عصى الجميع، ومن كذّب واحداً منهم فقد كذّب الجميع؛ لأن كل رسول يصدق الآخر ويقول: إنه رسول صادق، ويأمر بطاعته. فمن كذّب رسولاً فقد كذّب الذي صدّقه، ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته»[٣].

والأنبياء كثر فأولهم: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وآخرهم نبينا محمد ﷺ وقد نظمهم بعضهم بقوله:

في تلك حجتنا منهم ثمانية	من بعد عشر ويبقى سبعة وهمُ
إدريس هود شعيب صالح وكذا	ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا[٤]

= والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷺ، (ص٣٧) برقم (٩) واللفظ له.

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ١٦٩).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٣١٣).

(٣) المصدر السابق (١٩/ ١٨٠).

(٤) إعانة الطالبين، لأبي بكر الدمياطي (١/ ١٣).

ويعني الناظم بقوله: «وتلك حجتنا»: الإشارة إلى الآيات التي في سورة الأنعام والتي ذكر فيها ربنا جلّ وعلا ثمانية عشر نبياً وهي قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ ـ ٨٦].

وأما الرسل فالصحيح أن أولهم نوح عليه السلام وآخرهم نبينا محمد ﷺ ودليل ذلك حديث الشفاعة وفيه طلب الناس من الرسل الشفاعة لهم في الموقف وفيه: «فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض... الحديث»[1].

والرسالة ـ كما تقدم ـ اصطفاء واختيار من الله تعالى واختيار لا تحصل بالاكتساب والمجاهدة، ولا بد من الإيمان بالأنبياء وأن نبوتهم حق، والإيمان بما علمنا اسمه منهم كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وما لم نعلمه نؤمن به إجمالاً، ونصدق ما صح من أخبارهم، والعمل بشريعة خاتمهم محمد بن عبد الله ﷺ.

ثمرات الإيمان بالأنبياء:

وللإيمان بالأنبياء ثمرات عظيمة منها:

ـ العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده.

ـ شكر الله على هذه النعمة.

ـ محبة أنبياء الله تعالى والثناء عليهم بما يليق بهم لقيامهم بعبادة الله تعالى، وتبليغ دعوته، ولأنهم خير البشر، وصفوتهم، وأحسنهم أخلاقاً،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾، (ص٩٠٦) برقم (٤٧١٢)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، (ص١٠٩) برقم (١٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأعظمهم عبادة[١].

ومما تقدم يتضح أهمية الإيمان بهذا الركن العظيم من أركان الإيمان الستة، وهو الإيمان بالأنبياء والرسل، واعتقاد أنهم أشرف الخلق، ومع ذلك نجد أن صوفية حضرموت قد انحرفت في هذه المسألة العظيمة، وقادها إلى ذلك غلوها في أوليائها حتى فَضَّلَ بعضُهم مشايخهم وأولياءهم على الأنبياء، لعدم معرفتهم للمعنى الصحيح للولاية، وأنها لا تكون إلا لمن اتبع النبي ﷺ قولاً وعملاً واعتقاداً، وثبت على منهجه القويم، فحينئذ تناله بركة المتابعة له ﷺ، وهذه هي الولاية والكرامة، وإن لم تظهر خوارق العادات لهذا العبد، فإن أعظم كرامة هي الاستقامة على دين الله تعالى، وذلك لنيل كرامة الله وجنته التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[٢]، وأعظم من ذلك رؤية وجه الله تعالى فهي الزيادة المذكورة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ كما ثبت ذلك في صحيح مسلم[٣].

والعلماء العاملون هم أولى الناس بهذا الثواب العظيم، ولهذا قال الإمام الشافعي: «إذا لم يكن العلماء أولياء فليس لله تعالى ولي»[٤].

ويقول العلامة شهاب الدين الآلوسي رحمه الله: «وأحسن ما يعتمد عليه في

---

(١) انظر: رسائل في العقيدة، لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص٣٧٠ ـ ٣٧١).

(٢) كما ثبت ذلك في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، (ص٦٢٣) برقم (٣٢٤٤)؛ وبرقم (٤٧٧٩)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (ص١١٣٦) برقم (٢٨٢٤) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾».

(٣) انظر: صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، (ص٩٩) برقم (١٨١) من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه.

(٤) كشف الخفاء للعجلوني (١/٢٥٩)؛ والمصنوع، لعلي قاري (١/٦٢) وانظر: مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني (ص٤٨٩) لمحمد الخضر الجكني الشنقيطي، دار البشير عمان، ط١، ١٤٠٥هـ.

معرفة الولاية اتباع الشريعة الغراء، وسلوك المحجة البيضاء، فمن خرج عنها قيد شبر بَعُدَ عن الولاية بمراحل، فلا ينبغي أن يطلق عليه اسم الولي، ولو أتى بألف ألف خارق، فالولي الشرعي اليوم أعزّ من الكبريت الأحمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله:

وأما الخيام فإنها كخيامهم　　　وأرى نساء الحي غير نسائها»[١]

النصوص الدالة على انحراف غلاة صوفية حضرموت في النبوة والأنبياء:

تمهيد:

صوفية حضرموت فرقة مضطربة ـ كسائر الفرق المخالفة لعقيدة السلف الصالح ـ في أبواب الاعتقاد فمنهم من غلا فنحى منحى الفلاسفة، والذين يرون أن النبوة مكتسبة، كما ذكر عبد القادر العيدروس أن النبوة تُكتسب بالرياضة كما سيأتي[٢] ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وهذا الانحراف نشأ بسبب شدة البعد عن عقيدة أهل السنّة في ذلك، وقد ردَّ شيخ الإسلام على هذا الانحراف فقال: «يجعلون الملل بمنزلة المذاهب والسياسات التي يسوغ اتباعها وأن النبوة نوع من السياسة العادلة التي وضعت لمصلحة العامة في الدنيا، فإن هذا الصنف يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهلية وأهلها، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال، ويكشف ما في خلافها من الإفك والشرك والمحال، وهؤلاء لا يكذبون بالنبوة تكذيباً مطلقاً، بل هم يؤمنون ببعض أحوالها ويكفرون ببعض الأحوال، وهم متفاوتون فيما يؤمنون به، ويكفرون به من تلك الخلال، فلهذا يلتبس أمرهم بسبب تعظيمهم للنبوات على كثير من أهل الجهالات»[٣].

---

(١) روح المعاني (١١/١٤٩)، ط٢، دار إحياء التراث، بيروت. والبيت المذكور لأبي بكر الشبلي.
(٢) انظر: غاية القرب في شرح نهاية الطلب (ص٨٧) ط١، ١٣٥٢هـ.
(٣) منهاج السنَّة النبوية (١/٦).

وقد وفق الله تعالى أهل السنّة في هذه المسألة كغيرها من مسائل الاعتقاد، وذلك بسبب تعويلهم على نصوص الشريعة من الكتاب والسنّة وترك ما خالفها من الآراء والأهواء ونحو ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا تدبر العاقل وجد الطوائف كلها كلما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب، كانت بالقرآن والحديث أعرف وأعظم عناية، وإذا كانت عن الله وعن رسوله أبعد؛ كانت عنهما أنأى حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية فقال: لا نسلم صحة الحديث، وربما قال لقوله عليه السلام كذا وتكون آية من كتاب الله، وقد بلغنا من ذلك عجائب وما لم يبلغنا أكثر»[١].

والأنبياء صفوة الله من خلقه حملهم سبحانه أمانة الوحي، فبالنبوة تحصل حياة القلوب، والسعادة في الدنيا والآخرة، وذلك لإرشادهم الخلق إلى الغاية من خلق الناس، والمصير بعد الموت وقد بيّن الأئمة ومن بعدهم من العلماء أهمية ذلك، فهذا الإمام الشافعي رحمه الله يوضح ذلك عند ذكره لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]. فقال: «خلق الله الخلق لعبادته ثم أبان جلّ وعلا أن خيرته من خلقه أنبياؤه، فقال تبارك اسمه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]. فجعل النبيين عليهم السلام من أصفيائه دون عباده بالأمانة على وحيه والقيام بحجته فيهم»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهكذا كلما كان الناس أحوج إلى معرفة الشيء؛ فإن الله يوسع عليهم دلائل معرفته؛ كدلائل معرفة نفسه؛ ودلائل نبوة رسوله، ودلائل ثبوت قدرته وعلمه، وغير ذلك؛ فإنها دلائل كثيرة قطعية وإن كان من الناس من قد يضيق عليه ما وسّعه الله على من هداه، كما أن من الناس من يعرض له شك وسفسطة في بعض الحسيات والعقليات التي لا يشك

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٩٦).
(٢) كتاب الأم، تأليف: الإمام محمد بن إدريس الشافعي (٤/ ١٥٩)، دار المعرفة، بيروت.

فيها جماهير الناس»[١].

وتقرير النبوات من المسائل المعلومة لدى كل مسلم، فقد قرره الله تعالى في كتابه في غير موضع، إذ ذلك هو عماد الدين وأصل الدعوة النبوية، وينبوع كل خير وجماع كل هدي[٢].

فقد جعل الله تعالى رسله: «وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم، وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم، وبعثوا جميعاً بالدعوة إلى الله، وتعريف الطريق الموصل إليه، وبيان حالهم بعد الوصول إليه، فالأصل الأول يتضمن: إثبات الصفات والتوحيد والقدر، وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه، وهي القصص التي قصها على عباده، والأمثال التي ضربها لهم.

والأصل الثاني: يتضمن تفصيل الشرائع، والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يحبه الله وما يكرهه.

والأصل الثالث يتضمن: الإيمان باليوم الآخر، والجنة والنار، والثواب والعقاب، وعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر، والسعادة والفلاح موقوفة عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل، فإن العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها، ومعرفة حقائقها وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة، كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى الطب ومن يداويه، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض، وتنزيل الدواء عليه، وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب، فان آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتاً لا ترجى الحياة معه أبداً، ، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبداً، فلا فلاح إلا باتباع الرسول، فإن الله خص بالفلاح أتباعه المؤمنين وأنصاره، كما قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] أي لا مفلح إلا هم»[٣].

---

(١) درء التعارض (١٠/١٢٩).
(٢) انظر: العقيدة الأصفهانية (١/٩٥ ـ ٩٧).
(٣) مجموع الفتاوى (١٩/٩٥ ـ ٩٧).

وقال أيضاً: «النبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب ولا يتبيِّن صدق الصادق وكذب الكاذب من وجوه كثيرة لا سيما والعالم لا يخلو من آثار نبي من لدن آدم إلى زماننا، وقد علم جنس ما جاءت به الأنبياء والمرسلون، وما كانوا يدعون إليه، ويأمرون به، ولم تزل آثار المرسلين في الأرض، ولم يزل عند الناس من آثار الرسل ما يعرفون به جنس ما جاءت به الرسل، ويفرقون به بين الرسل وغير الرسل»[1].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصل: ومن ها هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به وتصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر؛ فإنه لا سبيل إلى السعادة، والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة، إلا على أيدي الرسل ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله ألبتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم، وما جاؤوا به فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال، والأخلاق، والأعمال وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي، وما لجرح بميت إيلام»[2].

وانحراف القوم في قولهم في النبوة والأنبياء سببه الغلو في المخلوق، فقد نظروا لجانب التعظيم والإجلال دون النظر إلى جانب التوحيد، وسد الذرائع التي توصل إلى الشرك بالله تعالى، وإلى مخالفة أمر الله ورسوله ﷺ.

---

(١) العقيدة الأصفهانية (١/ ١٢٣). (٢) زاد المعاد (١/ ٦٩).

ونظراً لعدم معرفة القوم بمقاصد الشريعة وجهلهم بفقه نصوص الكتاب والسنّة، وغلبة الهوى كان ذلك من أكبر الأسباب التي أوقعتهم في الانحراف في هذه الأبواب العقدية التي يجب على المسلم معرفتها، والحذر مما يخالفها.

وقد صوّر الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ الانحراف الذي سببه الجهل بمقاصد الشرع فقال: «ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد، وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض، فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة، بحسب ما ثبت من كلياتها وجزيئاتها المترتبة عليها، وعامها المترتب على خاصها، ومطلقها المحمول على مقيدها، ومجملها المفسر بينها، على ما سوى ذلك من مناحيها، إلى أن قال: فشأن الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة، يخدم بعضها بعضاً، كأعضاء الإنسان، شأن متبعي المتشابهات أخذ دليل ما؛ أي دليل كان عفواً، وأخذاً أولياً، وإن كان ثَمَّ ما يعارضه من كلي، أو جزئي، فكان العضو الواحد لا يعطي في مفهوم الشريعة حكماً حقيقياً، فمتبعه متبع متشابه، ولا يتبعه إلا من في قلبه زيغ كما شهد الله به: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]»[1].

دعوى مساواة أفعال مشايخهم بمقام النبوة:

ادعى القوم أنه يحصل لهم ما يحصل للنبي ﷺ من شق الصدر، وحصول المعراج فقد جاء في كتاب الرسالة النافعة، لعلوي الحداد حيث نقل عن جده الحسن بن عبد الله الحداد أنه قال: «يحصل للولي ما يحصل للنبي، وأنه قد حصل لي شق الصدر بمسجد آل أبي علوي بتريم ووضع لي المعراج بمسجد الهجيرة بتريم فعرجت، ووقفت بين يدي الله وخاطبني بخطاب وألبسني تاج العلم»[2].

---

(١) الاعتصام (١/ ٢٤).

(٢) الرسالة النافعة، لعلوي الحداد (ص٨).

قولهم في الأنبياء:

اعتقادهم في النبي ﷺ:

للنبي ﷺ حقوق على أمته، أعظمها الإيمان به ﷺ ويكون ذلك بـ: «تصديقه وطاعته واتباع شريعته»[١].

وقال الإمام البيهقي رحمه الله: «والإيمان برسول الله ﷺ يتضمن الإيمان له، وهو قبول ما جاء به من عند الله تعالى، والعزم على العمل به؛ لأن تصديقه في أنه رسول الله إلزام لطاعته، وهو راجع إلى الإيمان بالله، والإيمان له؛ لأنه من تصديق الرسل، وفي طاعة الرسول طاعة المرسل؛ لأنه بأمره أطاعه»[٢]. والإيمان بالنبي ﷺ يقوم على دعامتين عظيمتين هما: تصديقه ﷺ وطاعته واتباع شرعه، ومن تصديقه ﷺ إثبات نبوته كذا صدقه فيما بلغه عن الله تعالى وهذا مختص به ﷺ[٣].

ومع كثرة النصوص المبينة للاعتقاد الصحيح الذي يجب على كل مسلم في النبي ﷺ نجد صوفية حضرموت قد انحرفوا في ذلك، حيث غلوا في النبي ﷺ وأثبتوا له أوصاف الربّ تعالى من جانب، وابتدعوا كذلك عقائد ما أنزل الله بها من سلطان، ويتلخص انحرافهم في الآتي:

أ ـ قولهم بالحقيقة المحمدية:

المراد بالحقيقة المحمدية عند صوفية حضرموت: هو القول بأن النبي ﷺ أول الموجودات، وإن هذا الوجود كان قبل وجوده الزماني في صورة النبي المرسل، استناداً إلى أحاديث مكذوبة، أو إلى أفهام منحرفة للنصوص الصحيحة. ويعرف الكاشاني الحقيقة المحمدية أنها: «الذات مع التعين الأول»[٤]. وعرفت كذلك بأنها: «الذات مع التعين الأول، ولها الأسماء

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٥٩).

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي (١/ ١٥٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ٩١). وانظر: الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنَّة ومخالفيهم، تأليف: د. المرابط بن محمد يسلم المجتبى الشنقيطي (ص١٩٠ ـ ١٩٢).

(٤) معجم اصطلاحات الصوفية، للكاشاني (ص٨٢)؛ والتعريفات، للجرجاني (ص٧٤).

الحسنى، وهي اسم الله الأعظم»[١].

والحقيقة المحمدية عند الصوفية هي مصدر الخلق كله، واعتقاد وجوده ﷺ قبل وجود الخلق، واستندوا في ذلك لأحاديث مكذوبة لتقرير ذلك وعبروا عنه بالنور المحمدي الذي يزعمون أنه ينتقل في الزمان من جيل إلى جيل، يقول الجيلي: «ولهذا كان العقل الأول هو عبارة عن حقيقة الروح المحمدية أصلاً؛ لوجود العالم كله: عالم الأمر، وعالم الخلق، فهو على الحقيقة عند المحققين علة العلل، والله منزه أن يكون علة الوجود شيء»[٢].

ويقول الحلاج: «أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور ولا أظهر وأقدم من القدم سوى نور صاحب الحرم، همته سبقت الهمم ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم»[٣].

ويقول الشيخ عبد الرحمٰن الوكيل[٤] رحمه الله بعد أن ذكر تعريفات المتصوفة للحقيقة المحمدية المخترعة، بأن محمداً ﷺ هو: «الوجود المطلق، والوجود المقيد، وأنه كان ولا شيء قبله، أو معه، ثم تعين في صورة مادية سُمِّي في واحدة منها بجماد، وفي أخرى بحيوان، وهكذا حتى اندرج تحت اسمه كل مسمى، وصدّقت ماهيّته على كل ماهية»[٥].

ولو تأمل القوم القرآن وقرأوه بتدبر، لا تبركاً فقط، لوجدوا الحق فيه،

---

(١) انظر: التعريفات، للجرجاني (ص٧٤).

(٢) الإرادة القديمة في حضرة العين وحيث لا أين لكتاب قاب قوسين وملتقى الناموسين، للجيلي، مخطوط (ق٧أ)، نقلاً عن كتاب دعوى وحدة الأديان عند الصوفية والفلاسفة عرض ونقد، لسعيد بن معلوي (٢/ ٦٠٧).

(٣) الطواسين، طاسين السراج (ص٤٣ ـ ٤٤)، ط دار الينابيع.

(٤) هو الشيخ عبد الرحمن بن عبد الوهاب الوكيل، من الدعاة إلى مذهب السلف بمصر، تأثر بالشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله. تولى وكالة جماعة أنصار السنَّة المحمدية، واشتغل بالدعوة وعمل في الصحافة. له مؤلفات منها: هذه هي الصوفية، والصفات الإلهية بين السلف والخلف. توفي بمكة سنة ١٣٩٠هـ. انظر: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، للقصير (ص١٤٦).

(٥) هذه هي الصوفية (ص٧٥).

وأن النبي ﷺ بشر من ذرية آدم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤].

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

مع أن القوم يقرأون سيرته ﷺ في مجالسهم وحضراتهم المبتدعة، كالمولد، وحضرة السقاف، وغيرها فيذكرون ولادته عليه الصلاة والسلام، وأنه من أبوين قرشيين، فكيف يصادمون هذا بقولهم بالحقيقة المحمدية التي ابتدعها غلاة الصوفية المتقدمين ودعوى خلقه ﷺ قبل الأنبياء وأنه مرسل إليهم جميعاً من لدن آدم عليه السلام[(١)]، وهذا دليل على اضطراب القوم في عقائدهم، وأنهم لا يدرون ما يقولون، ولا يتأملون ما يقرأون.

وقد بيّن من كتب عن الحقيقة المحمدية أنها ترجع في أصولها إلى العقائد النصرانية، وذلك لأن النصارى قالوا: إن عيسى ابن الله، ومعنى ذلك فيما افترض أن الصلة بين الله وبين الوجود ومحمد هو أول التعينات، وليس فوقه إلا الذات الأحدية كما لم يكن فوق عيسى إلا الأب، والنصارى يتمثلون إليه حين يخاطبون عيسى فلولا عيسى لانعدم الوجود، والصوفية يتمثلون محمد ﷺ ولولاه لانعدم الوجود، وعيسى هو الكلمة وأتباعه من الرسل هم الذين بلغوا دعوته كلمات، ومحمد ﷺ عند الصوفية هو الكلمة، وجميع الأنبياء كلمات لها خصوصية وبعض أتباع محمد له خصوصية، والخلاصة أن

(١) وممن قال بذلك ـ وهم سلف صوفية حضرموت ـ: ابن عربي، وأبو الحسن السبكي، والسيوطي، ومحمد بن عبد الباري الأهدل. انظر: الفتوحات المكية (١/ ١٣٤ ـ ١٣٥) دار صادر؛ والتعظيم والمنة نقلاً عن الخصائص الكبرى للسيوطي (١/ ٨ ـ ٩)؛ ونقل السيوطي كلام الأهدل في شرح أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب، للسيوطي (ص١٩).

الحقيقة المحمدية أسطورة من الأساطير المأخوذة من النظرية النصرانية، كما أن النظرية النصرانية مأخوذة من الفلسفة اليونانية التي تقسم القوى إلى عقول، ويؤكد ذلك أن ابن عربي الصوفي من القائلين بهذه النظرية، يقول: إنه هضم ما درس من الفلسفة اليونانية ومن أصول الديانة اليهودية، والديانة النصرانية، والديانة الإسلامية ثم أحال ذلك كله إلى مزاج من الفكر الفلسفي الدقيق الذي يعز على من رامه ويطول[1]. وقد قررت صوفية حضرموت بدعة القول بالحقيقة المحمدية في كتبها، وكثرت نصوصهم في ذلك.

النصوص الدالة على قول صوفية حضرموت بالحقيقة المحمدية والرد عليها:

تبعت صوفية حضرموت متقدميها من الصوفية القائلين بالحقيقة المحمدية، حيث اعتقدوا أن النبي ﷺ أول المخلوقات وجوداً، وأنه خُلق من نور الله تعالى، وأن أصل خلقه كان قبل آدم وإن تأخرت ولادته ونبوته، فهو نبي عندهم منذ أن كان نوراً، وجميع الأنبياء مخاطبون بدعوته.

ومن نصوصهم الدالة على ذلك ما قاله محمد بحرق في كلام له في التوسل بالنبي ﷺ: «وهو أيضاً المقدم في الفضل على جميع المخلوقين، فإنه أولهم وجوداً بثبوت الخبر: «أول ما خلق الله نوره صلى الله عليه وعلى آله وسلم»[2][3].

وزعموا أن نور النبي ﷺ جعله الله في صلب آدم عندما خلقه، حيث قالوا: «لما خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، فكان يلمع في جبينه. ولما توفي كان ولده شيث وصيه فوصى ولده بما وصاه به أبوه. ألا يوضع هذا النور إلا في المطهرات من النساء... إلخ»[4].

---

(١) انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، تأليف: د. زكي مبارك (١/ ٢٠١، ٢١٠، ٢٧٩)، مطبعة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٥٧هـ - ١٩٧٥م.

(٢) قال السيوطي في الحاوي: (١/ ٣٢٥) عن هذا الحديث: «ليس له إسناد يعتمد عليه».

(٣) مواهب القدوس (ص٣٣). وانظر كلامهم في أن النبي ﷺ أول ما خلق الله من المخلوقات: نور البصيرة (١/ ٨٨).

(٤) تاريخ النور السافر (ص٨).

ويقول عبد القادر بن شيخ العيدروس (ت١٠٣٨هـ): «اعلم أن الله لما أراد إيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره الصمدية، في حضرته الأحمدية، ثم سلخ منها العوالم كلها، علوها وسفلها»(١).

ويقول أيضاً أن الله تعالى بشَّر نبيه محمد ﷺ: «بعموم دعوته ورسالته. وبأنه نبي الأنبياء وواسطة جميع الأصفياء وأبوه آدم بين الروح والجسد»(٢).

ووصفوا النبي ﷺ بأنه: «الأب الأكبر للموجودات والناس، فهو وإن تأخر وجود جسمه، متميز عن العوالم كلها برفعته وتقدمه، إذ هو خزانة السر الصمداني، ومحتد تفرد الأمداد الرحماني»(٣)، وقالوا في مدحه ﷺ أيضاً:

«لما كان الحبيب أصل مبدأ الوجود ... وكان في الخلق للرسل ختامُ
صح أنهم بيت حُسنٍ بدا ... لكن حبيبي كان لحسنهم التمامُ»(٤)

ويقرر القوم هذا الاعتقاد الباطل وهو دعوى أولية خلق النبي ﷺ على سائر المخلوقات بقولهم: «فصار نبيا وكتب اسمه على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت، وإن تأخّر جسده الشريف المتصف بها، فنحو إيتائه النبوة، والحكمة، وسائر أوصاف حقيقته وكمالاتها معجل، لا تأخُّر فيه، وإنما المتأخر تكونه وتنقله في الأصلاب والأرحام الطاهرة إلى أن ظهر ﷺ»(٥).

وادعوا أن روح النبي خلقت قبل الأرواح، يقول ابن شهاب: «والتحقيق كما ذكره كثير من العلماء أنه ﷺ مرسل لجميع الأنبياء والأمم السابقة من لدن آدم إلى يوم القيامة؛ لكن باعتبار عالم الأرواح؛ فإن روحه خلقت قبل الأرواح، وأرسلها الله لهم تبلغ الجميع والأنبياء جميعهم نوابه في عالم الأجسام قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]»(٦). كما

---

(١) تاريخ النور السافر (ص٦).
(٢) المصدر السابق (ص٦).
(٣) المصدر السابق (ص٦).
(٤) المصدر السابق (ص٣٠٥ ـ ٣٠٦).
(٥) المصدر السابق (ص٧).
(٦) النوافح (ص١٠٥).

ادعى القوم أن الدنيا خلقت من أجل نبينا محمد ﷺ يقول الشلي في تعليل ذلك: «لأن الله تعالى لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبي ﷺ جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته، فإذا انقضوا طوى بساطها»[(١)].

واستدل القوم لإثبات أولية خلق النبي ﷺ على سائر المخلوقات بحديث: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين[(٢)]»[(٣)].

وحديث: «أنا أول الأنبياء خلقاً، وآخرهم بعثاً[(٤)]»[(٥)]. ومن أدلة القوم في ذلك ما قاله عبد القادر العيدروس عند ذكره لأحاديث في هذه المسألة منها قوله: «وصح أيضاً: «أني عبد الله لخاتم النبيين، وأن آدم لمنجدل في طينته»[(٦)] أي طريح ملقى قبل نفخ الروح فيه. وصح أيضاً: يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»[(٧)]»[(٨)].

واستدلوا بالحديث المنسوب إلى عبد الرزاق: «إن الله خلق نور محمد قبل الأشياء من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن

---

(١) المشرع الروي (١/ ٢١). (٢) تاريخ النور السافر (ص٦).

(٣) موضوع. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للشيخ الألباني (١/ ٤٧٣) برقم (٣٠٢).

(٤) موضوع. انظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، لملا علي القاري، تحقيق: محمد الصباغ (ص٢٧٢ ـ ٢٧٣). وسلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ الألباني (١/ ٣١٦) برقم (٣٠٣).

(٥) تاريخ النور السافر (ص٧).

(٦) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٧). والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٣٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٨) وابن حبان في صحيحه: الإحسان (١٤/ ٣١٢) برقم (٦٤٠٤). وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (١/ ١٧٩) برقم (٤٠٩).

(٧) رواه أحمد في المسند (٥/ ٩٥) عن ميسرة الفجر، وأخرجه من طريق آخر عبد الله بن شقيق عن رجل في موضعين: (٤/ ٦٦)، (٥/ ٣٧٩) بنفس اللفظ والإسناد، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٢٩)؛ وابن سعد في طبقاته (٧/ ٦٠)؛ وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢٣): رجال أحمد رجال الصحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩) وصحح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الحديث. انظر: الرد على البكري (ص٨).

(٨) تاريخ النور السافر (ص٦، ٨).

في ذلك الوقت لوح ولا قلم»[1] الحديث بطوله[2].

واستدلوا بأن الكون كله خُلِق لأجل النبي ﷺ بحديث: «لولاك ما خلقت الأفلاك»[3].

الرد عليهم:

ويرد عليهم بأن الاعتقاد أن نور النبي ﷺ أول المخلوقات قول باطل، والحديث الذي استدلوا به موضوع لا تقوم به حجة، فالنبي ﷺ ليس أصلاً لهذا الكون ولا هو مخلوق من نور، بل هو بشر كسائر البشر، ميّزه الله تعالى عن الخلق بالنبوة والرسالة، والعصمة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

بل من أعظم الضلال الذي وقع فيه القوم اعتقادهم أن النبي ﷺ خلق من نور الله تعالى ـ تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ وهذا قول غلاة الصوفية كابن عربي[4]، وعبد الكريم الجيلي[5] ومن نحا نحوهم من ضُلّال الصوفية.

والنبي ﷺ إنسان كسائر الناس خُلِق من أب وأم، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢].

---

(١) انظر الحديث بطوله: تبرئة الذمة في نصح الأمة، تأليف: محمد بن عثمان عبده البرهاني (ص٩ ـ ١٠) ط الخرطوم، بدون تاريخ.

(٢) تاريخ النور السافر (ص٨).

(٣) المصدر السابق. والحديث موضوع. قاله الإمام الذهبي في تلخيص المستدرك (٢/ ٦١٥) والأحاديث الموضوعة للصنعاني (ص٧). انظر: السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني (١/ ٢٩٩) برقم (٢٨٢). انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الحديث وذكر كلام الأئمة فيه: مجموع الفتاوى (١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٤) انظر: الفتوحات المكية (١/ ١١٩)، دار صادر.

(٥) انظر: الإنسان الكامل (٢/ ٤٦).

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١].

وقد بين تعالى في كتابه الكريم أن الملائكة ما كانت تعرف البشر قبل خلق آدم عليه السلام، كما ذكر الله تعالى عنهم بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٠ ـ ٣٤].

وفي هذه الآيات الكريمة بيان واضح لمن تدبر نصوص القرآن بأن النبي ﷺ بشر، وأنه خلقه الله كما خلق سائر البشر.

وفي هذه الآيات القرآنية نص صريح بأن الملائكة لم تعرف قبل آدم عليه السلام أحداً من البشر؛ بل سألت الله تعالى بتعجب كيف يجعل الله تعالى في الأرض خليفة، وهم يسبحون الله تعالى ويقدسونه، فبيّن تعالى شرف آدم ومنزلته عنده سبحانه، ثم قص بقية القصة في بيان مكانة آدم عليه السلام الذي أسجد له الملائكة الكرام.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعرفون عن النبي ﷺ إلا أنه نبي صالح وأخ صالح، ولم يعرفوا شيئاً يسمى الحقيقة المحمدية، فهذا آدم عليه السلام

يقول له كما في قصة المعراج: «مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح»[١].

وأما استدلالهم بحديث: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» فإنه حديث موضوع. ولم يذكره المحدثون بل هو من وضع المنحرفين عن صراط الله المستقيم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عن هذا الحديث: «لا أصل له، لا من نقل ولا من عقل، فإن أحداً من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطل؛ فإن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن بين الماء والطين قط، فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.

ثم هؤلاء الضلّال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذ موجوداً، وأن ذاته خُلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة، مثل حديث فيه: أنه كان نوراً حول العرش، فقال: يا جبريل! أنا كنت ذلك النور، ويدعي أحدهم أن النبي ﷺ كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه جبريل[٢]»[٣].

وأما ما نسبوه لعبد الرزاق أنه أخرج حديث: إن الله خلق نور محمد قبل الأشياء من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم»، فقد بيّن أهل العلم أنه حديث مكذوب، ومفترى على الإمام عبد الرزاق حيث لم يخرجه في أي كتاب له، قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ عند حديث: «إن أول شيء خلقه الله تعالى القلم وأمره أن يكتب كل شيء يكون»[٤]: «وفي الحديث إشارة إلى ردِّ ما يتناقله الناس حتى صار

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء (ص٩٠ ـ ٩١) برقم (٣٤٩)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، وفرض الصلوات، (ص٩١ ـ ٩٢) برقم (١٦٣).

(٢) هذه الأحاديث تجدها في كتب الصوفية الطرقية، ولا توجد في دواوين السنَّة، وأسانيدها واهية فهي عبارة عن أحاديث موضوعة، وأخبار واهية، ومنامات صوفية يروجونها في مؤلفاتهم لتقرير عقائدهم المنحرفة عن جادة الحق.

(٣) الرد على البكري (١/ ٦٥ ـ ٦٦). ت: محمد عجال.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنَّة (١/ ١٠٤) برقم (١١٢)؛ وورد بألفاظ متقاربة برقم (١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩)؛ وأبو يعلى (١/ ١٢٦) تحقيق: الجوابرة، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣) وغيرهم بإسناد صحيح.

ذلك عقيدة راسخة في قلوب كثير منهم وهو: أن النور المحمدي هو أول ما خلق الله تبارك وتعالى، وليس لذلك أساس من الصحة. وحديث عبد الرزاق غير معروف إسناده»[١].

بل قد شهد ببراءة الإمام عبد الرزاق من تخريج هذا الحديث الموضوع شاهد من المخالفين لمذهب السلف، وممن له شأن عند المتصوفة في الأزمنة المتأخرة وهو عبد الله الصديق الغماري[٢] حيث قال معلقاً على قول السيوطي في الحاوي على هذا الحديث: «إنه غير ثابت»: «وهو تساهل قبيح، بل الحديث ظاهر الوضع، واضح النكارة، وفيه نفس صوفي إلى أن قال: والعجب من السيوطي عزاه إلى عبد الرزاق، مع أنه لا يوجد في مصنفه، ولا تفسيره، ولا جامعه وأعجب من هذا أن بعض الشناقطة صدّق هذا العزو المخطئ، فركب له إسناداً إلى عبد الرزاق إلى جابر، ويعلم الله أن هذا كله لا أصل له، فجابر رضي الله عنه بريء من رواية هذا الحديث، وعبد الرزاق لم يسمع به، وأول من شهر هذا الحديث ابن عربي الحاتمي...»[٣].

وخالفت صوفية حضرموت بدعواها تلك أن الكون خلق لأجل محمد ﷺ قولَه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

ولا حجة للقوم سوى شُبَهٌ يتناقلونها عن سلفهم من المتصوفة، ومن ثم

---

(١) السلسلة الصحيحة، للشيخ الألباني (١/٢٥٧) برقم (١٣٣).

(٢) هو عبد الله بن محمد الصديق الغماري المغربي، كثير التصانيف يغلب على تصانيفه البدع والتصوف والدعوة للتعلق بالقبور ورد على علماء أهل السنّة ومن كتبه المنحرفة (إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بسيد الأنبياء) وقد رد عليه الشيخ حماد الأنصاري بكتاب سماه (تحفة القاري في الرد على الغماري)؛ وقال فيه الشيخ بكر أبو زيد «مفوض في الأسماء والصفات». التقريب لعلوم ابن القيم (١/٣١). انظر ترجمته لنفسه في: كتابه «بدع التفاسير» (ص١٦٣ ـ ١٨٧)؛ وتشنيف الأسماع (ص٣٤٦ ـ ٣٥٤).

(٣) ملحق عن قصيدة البردة، كتبه: عبد الله الصديق الغماري بذيل كتاب البوصيري مادح الرسول ﷺ (ص٧٥). تأليف: عبد العال الحمامصي. مكتبة الهداية، بيروت، ط٢ ١٤١٣هـ.

تكلف الاستدلال لها بأحاديث موضوعة وضعها أهل الضلال لترويج بضائعهم الفاسدة لإضلال المسلمين.

وقضية الحقيقة المحمدية من ترهات الصوفية التي ملأوا بها كتبهم منذ أزمنة قديمة، وقد تبنت صوفية حضرموت هذه الفكرة المبتدعة بما تحمله من انحراف عن دين الله تعالى.

والحقيقة التي يجب على الصوفية أن تعتقدها وتترك ما عداها هي أن النبي ﷺ بشر أكرمه الله بنبوته، وأرسله رحمة للعالمين، وأوجب علينا تعظيمه ونصرة دينه، واتباع شريعته، فهو ﷺ بشر من ذرية آدم ﷺ وليس من نور الله، ولا خُلق من نور، ولكنه ﷺ النور المبين، الهادي بإذن ربه إلى صراط مستقيم.

أما ما استدل به القوم من أحاديث معتقدين تبرير ما هم عليه من الضلال والانحراف وإثبات أولية خلق النبي ﷺ فإنها لا تصلح في إثبات الأحكام الفقهية فضلاً أن يعتمد عليها في إثبات الأمور العقدية؛ لأنها مكذوبة على رسول الله ﷺ.

وقد قطع النبي ﷺ الأمر في بيان عبوديته لله تعالى، وذلك بنهيه البالغ عن إطرائه فقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»[1].

ومع ذلك فقد شحنت صوفية حضرموت كتبها للاستدلال لهذا الاعتقاد الباطل بأحاديث لا تصح، ظناً منهم أن هذه البضاعة الكاسدة تروج على أهل العلم، وهي في الحقيقة لا تروج إلا على الجهلة، أتباع كل ناعق.

وأما استدلالهم بحديث ميسرة فإنه لا شاهد فيه لهم،، ومعنى الحديث أن الله تعالى قدّر أن يكون محمداً نبياً قبل خلق جسد آدم، فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الله تعالى قدّر المقادير قبل خلق السمٰوات والأرض

(١) تقدم تخريجه (ص١٥١) من هذا البحث.

بخمسين ألف سنة، ومنها تقديره تعالى نبوة محمداً ﷺ نبي حين خلق آدم، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»(١)، ولكنه تعالى أظهرها وأوجدها بعد خلق آدم بزمن طويل بعد أن خلق محمداً ﷺ فجعله تعالى بعد الأربعين من عمره نبياً ثم رسولاً، كما بيّن ذلك أهل العلم بجمع النصوص بعضها إلى بعض لا كما فعلته صوفية حضرموت، من اتباع المتشابه، وجعل الأدلة خادمة لمعتقدهم المنحرف، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قرأ قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ [آل عمران: ٧]. فقال النبي ﷺ: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا يغلط كثير من الناس في قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه ميسرة قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ وفي رواية: متى كتبت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» فيظنون أن ذاته ونبوته وجدت حينئذ، وهذا جهل فإن الله إنما نبأه على رأس أربعين من عمره، وقد قال له: ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].. وقال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧﴾ [الضحى: ٧]. وفي الصحيحين: أن الملك قال له ـ حين جاءه ـ اقرأ فقال: «لست بقارئ ثلاث مرات»(٣)، ومن قال أن النبي ﷺ كان نبياً قبل أن يوحى إليه فهو كافر باتفاق المسلمين، وإنما المعنى: أن الله كتب نبوته فأظهرها وأعلنها بعد خلق

---

(١) تقدم تخريجه (ص٦٠٣) من هذا البحث.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾، (ص٨٦٠ ـ ٨٦١) برقم (٤٥٤٧)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن، (ص١٠٧٠) برقم (٢٦٦٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي، بابٌ حدثنا يحيى بن بكير، (ص٢١) برقم (٣)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (ص٨٨) برقم (١٦٠).

جسد آدم، وقبل نفخ الروح فيه كما أخبر أنه: يكتب رزق المولود، وأجله، وعمله، وشقاوته، وسعادته بعد خلق جسده، وقبل نفخ الروح فيه[١] كما في حديث العرباض بن سارية الذي رواه أحمد وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «إني عبد الله وخاتم النبيين» وفي رواية: «إني عبد الله لمكتوب خاتم النبيين وأن آدم لمجندل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»[٢].

وكثير من الجهال المصنفين وغيرهم يرويه: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، وآدم لا ماء، ولا طين»[٣]، ويجعلون ذلك وجوده بعينه، وآدم لم يكن بين الماء والطين؛ بل الماء بعض الطين لا مقابله، وإذا كان كذلك فإن قال السابق نفس السعادة والشقاوة فقد كذب، فإن السعادة إنما تكون بعد وجود الشخص الذي هو السعيد، وكذلك الشقاوة لا تكون إلا بعد وجود الشقي، كما أن العمل والرزق لا يكون إلا بعد وجود العامل، ولا يصير رزقاً إلا بعد وجود المرتزق، وإنما السابق هو العلم بذلك، وتقديره لا نفسه وعينه، وإذا كان كذلك فالعمل أيضاً سابق كسبق السعادة والشقاوة وكلاهما معلوم مقدر»[٤].

وقال أيضاً: «فناسب هذا أن بين خلق آدم عليه السلام ونفخ الروح فيه تكتب أحواله، ومن أعظمها كتاب سيد ولده ﷺ»[٥].

والقول بالحقيقة المحمدية هو قول ابن عربي والحلاج ـ سلف صوفية

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، (ص٦٣٥ ـ ٦٣٦) برقم (٣٣٣٢)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (ص١٠٦٠) برقم (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه (ص٦٢٥) من هذا البحث.

(٣) موضوع. انظر: سلسة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ الألباني (١/ ٤٧٣) برقم (٣٠٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

(٥) الرد على البكري (١/ ٦٧).

حضرموت في هذه المسألة ـ فقد قال ابن عربي: «فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ النبوة إلا من مشكاة خاتم النبيين، وإن تأخر وجود طينته، فإنه بحقيقته موجود، وهو قوله: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين[1]»[2].

ويقول الحلاج: «أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور ولا أظهر ولا أقدم من القدم سوى صاحب الحرم... إلخ»[3].

وأما قولهم بأن الكون كله خلق من نور محمد علويه وسفليه، فتلك دعوى كسائر الدعاوى التي لا دليل عليها، فبضاعتهم ـ كما تقدم ـ في الحديث مزجاة، بل ويبدو أنهم لا يعولون على علم الحديث، ولا يقيمون لكتب السنّة وزناً، سوى التبرك، والقراءة في المناسبات دون فقه لها، ودون اعتمادها في تقرير عقائدهم، فهاهنا ذكر القوم ـ على عادتهم ـ أحاديث مكذوبة يتداولونها في مصنفاتهم ـ سيأتي الرد عليهم فيها، فحقيقة القوم أنهم مقلدة في الباطل لمن سبقهم على جهل وعمى.

ثم إن استدلال ابن شهاب بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ الآية [سبأ: ٢٨]. على أن النبي ﷺ مرسل لجميع الأنبياء لقدم روحه ﷺ استدلال باطل، ترده النصوص السابقة، وأما معنى الآية فلم يعول على نقل ولو واحد عن علماء التفسير المعروفين، وأسوق بعض أقول المفسرين لمعنى هذه الآية لبيان تخبط القوم، واتباع الهوى في تفسير النصوص دون الرجوع لأهل الشأن.

---

(١) ذكره ابن عربي ولم يذكر له إسنادا، لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الحديث: يروي كثير من الجهال والاتحادية وغيرهم أن النبي ﷺ قال: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» وهذا مما لا أصل له من نقل ولا عقل فإن أحدا من المحدثين لم يذكره ومعناه باطل: فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط، فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد... إلخ. مجموع الفتاوى (٢/ ٢٣٨)؛ والرد على البكري (١/ ٦٥ ـ ٦٦).

(٢) الفتوحات المكية (١/ ١٣٤ ـ ١٣٥).

(٣) الطواسين وبستان المعرفة (ص٤٣ ـ ٤٤).

فالله تعالى فضل رسوله ﷺ على سائر الأنبياء بخصال ومنها أنه أُرسل إلى الناس كافة كما ثبت في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[1].

يقول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير الآية السابقة: «يقول تعالى ذكره وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين: العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود بشيراً من أطاعك، ونذيراً من كذبك، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[2].

فهذا هو معنى الآية لا كما ادعاه ابن شهاب في أن النبي ﷺ مرسل لجميع الأنبياء والرسل بدعوى قدم روحه ﷺ على سائر الأنبياء.

وأما استدلال القوم بحديث: «لولاك ما خلقت الأفلاك» استدلال باطل، فالحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ، ثم إن الله تعالى لم يخلق الكون ولا الخلق من أجل أحد وإنما خلق الكل لعبادة الله تعالى كما في الآية السابقة، فلا يجوز أن يسأل الله بحق أحد من خلقه فلا حق لأحد على الله تعالى[3].

ومما تقدم يتبيّن لنا سقوط ما يسمى بالحقيقة المحمدية عند الصوفية لإثبات أزلية نور النبي ﷺ، ومخالفتها لنصوص الكتاب والسنّة كقوله تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التيمم، بابٌ: حدثنا محمد بن سنان هو العَوَقي، (ص٨٦) برقم (٣٣٥، ٤٣٨)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت الأرض لي مسجداً وطهوراً، (ص٢١١) برقم (٥٢١).

(٢) تفسير ابن جرير (٢٢/ ١١٥).

(٣) انظر: تعليق الشيخ محمد بن خليل هراس على الخصائص الكبرى بالهامش (١/ ١٧).

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمٰن: ١٤]، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣].

والحق أن أهل السنّة لا ينفون النور الذي جاء به ﷺ وهو نور الوحي الذي أخرج به النبي الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ الناسَ من الظلمات إلى النور، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ ـ ١٦]..

قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]. «يعني بالنور محمداً ﷺ الذي أنار الله به الحق، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به، يبين الحق ومن إنارته الحق تبيينه لليهود كثيراً مما كانوا يخفون من الكتاب»[1].

فالنبي ﷺ نور بالمعنى الصحيح الذي بيّنه القرآن، لا بالمعنى الذي زعمته صوفية حضرموت ومن الغلو والانحراف عن صراط الله المستقيم.

والواجب على صوفية حضرموت معرفة ما أراد الله منهم حين أرسل إليهم النبي ﷺ، وما الأمور التي حذَّر منها لتجتنب وحتى لا تهوي بصاحبها ـ والعياذ بالله ـ في النار، لا سيما ومعرفة هذا الركن ـ وهو الإيمان بالأنبياء ـ أحد أركان الإيمان التي يجب على المسلم الإيمان بها، والحذر مما يناقض ذلك، فبسبب غلو القوم في النبي ﷺ فتحوا على أنفسهم وعلى أتباعهم باب الشرك والانحراف الذي استمر ضرره إلى يومنا هذا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله تعالى لم يأذن لنا أن نسأل ميتاً

(١) تفسير الطبري (١٠/١٤٣).

حاجة، لا نبياً، ولا غيره، ولا يطلب منه جلب منفعة، ولا دفع مضرة، ولا أن نقصد بزيارة قبره إجابة دعائنا، بل شرع لنا الإيمان بهم، وبما جاؤوا به، والسلام عليهم.

فالذي شرع لنا في حق الرسل فيه تحقيق توحيد الله وحده، وتحقيق طاعتهم، وفيه مزيد الرحمة لهم، ورفعة الدرجة والرضوان لنا ولهم.

والأنبياء لا ينقص عند الله جاههم بموتهم، بل هم في مزيد من كرامة الله، وإحسانه إليهم، ورفع الدرجات لهم عند الله، وليس في هذا ما يوجب أن نطلب منهم الحاجات بعد الموت، كما كانت تطلب منهم في الحياة، ولا أن يؤمروا وينهوا ونحو ذلك؛ إذ قد علم بالاضطرار انقطاع هذا الحكم عن جميع الأموات، فيظن هؤلاء الجهال الضلال أن مسألتهم والطلب منهم هو من باب رفع قدرهم، وكذبوا ليس الأمر كذلك، وإنما ذلك من باب التكليف لهم، وهم يثابون على ذلك، والمكلف لهم المؤذي يتضرر بذلك، ويعذب به، وإذا طلب سائلهم منهم حاجته لم يكن ذلك سبب جاههم، فإن ذلك يطلب ممن لا جاه له عند الله»[1].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦].

وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن: ٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت: ٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

ومن آثار غلو القوم في الرسول ﷺ إبعاد الكثير عما هو أهم لهم في الدنيا

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة (١/٢٢٩) تحقيق: عجال.

والآخرة كقراءة القرآن وفهمه، وتعلم أحاديث الرسول ﷺ، ودراسة سيرته ﷺ، فلو فعلوا هذا لما انتشرت هذه العقائد المنحرفة في الرسول ﷺ، ولنجوا من البدع المضلة، ولكن الصوفية كانوا قد أحكموا الطوق على المسلمين فزعموا أن للقرآن أسراراً لا يعلمها إلا الخاصة ـ كما تقدم ـ، وأما قراءة الحديث فقد جعلوه للتبرك فقط، دون محاولة فهمه[1].

ومما يجدر التنبيه عليه حول نظرية أزلية النبي ﷺ بأن هذه النظرية حاكت نظريات الفلسفة الأغريقية ثم أخذها عنهم الفلاسفة، ومن الفلاسفة أخذها النصارى، ثم تأثر المتصوفة بالنصرانية وصاغوها في نظرية الحقيقة المحمدية[2].

كلام أهل العلم في أول ما خلق الله تعالى:

وبعد بيان معتقد صوفية حضرموت في أن النبي ﷺ أول مخلوق وبيان بطلان هذه الدعوى، أُبيّن هنا كلام أهل العلم في بيان أول ما خلق الله تعالى بالأدلة الصحيحة.

اختلف العلماء في هذه المسألة على أقوال، فمنهم من قال: إن أول ما خلق الله هو العرش واستدلوا لذلك بأدلة منها: ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»[3].

---

(١) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنَّة، لعبد الرحمن بن عبد الخالق (ص١٩٣ ـ ١٩٤) بتصرف.

(٢) انظر: المصدر السابق (ص٢٠١). وانظر النقولات التي تثبت تأثر الصوفية بنظرية الفيض الأفلوطينية وغيرها من الفلسفات الأخرى القديمة في القول بالنور المحمدي وأن المخلوقات خلقت منه: خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء، عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنَّة، تأليف: الصادق بن محمد بن إبراهيم (ص١٠٤ ـ ١٠٨)، الناشرون: مكتبة الرشد، الرياض، ط ١٤٢١هـ.

(٣) تقدم تخريجه (ص٦٠٣) من هذا البحث.

وجه الدلالة من الحديث: أن العرش خلق قبل القلم لأن العرش كان موجوداً على الماء وقت كتابة المقادير ولم يذكر تقدم وجود القلم.

ومنهم من قال: إن أول ما خلق الله هو القلم واستدلوا بقوله ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد»[(١)].

والشاهد من الحديث: «أول ما خلق الله القلم» وهذا تصريح بأولية خلق القلم على غيره من المخلوقات.

ومنهم من قال: أن أول ما خلق الله هو الماء. واستدلوا بما جاء في الحديث السابق: «وكان عرشه على الماء».

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن بعض أهل العلم أن للعلماء قولين في أيهما خلق أولاً العرش أو القلم. قال والأكثر على سبق خلق العرش، واختار بن جرير ومن تبعه الثاني[(٢)].

وقد جمع بعض أهل العلم بين هذه الأقوال وبينوا أن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة أي أنه قيل: اكتب أول ما خلق[(٣)].

يتضح لنا من كلام أهل العلم الذي أوردناه بأدلته الصحيحة أن النبي ﷺ ليس أول مخلوق خلقه الله تعالى كما تزعم صوفية حضرموت، وإنما هو العرش والماء ـ على القول الراجح ـ ثم القلم.

ب ـ اعتقادهم حياة النبي ﷺ في قبره كحياته في الدنيا:

قررت صوفية حضرموت مسألة حياة النبي ﷺ البرزخية بأنها كحياته في الدنيا، لتسويغ الشرك من دعاء النبي ﷺ والتوسل به إلى غير ذلك من الانحرافات العقدية، وشبهتهم في ذلك ما قاله علوي بن أحمد الحداد: «لأن

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب القدر، بابٌ: حدثنا يحيى بن موسى، (ص٣٥٨) برقم (٢١٥٥)؛ وبرقم (٣٣١٩)؛ والبيهقي في سننه (٩/٣) ط الباز. وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تخريج المشكاة (١/ ٣٤) برقم (٩٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٦/ ٢٨٩).

(٣) انظر: الفتح (٦/ ٢٨٩).

معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يأكلون، ويشربون، ويصلون، ويحجون، بل وينكحون كما وردت بذلك الأخبار وتكون الاستغاثة معجزة منهم»[١].

ومن نصوصهم التي تدل على اعتقادهم بحياة النبي ﷺ الآن كحياته في الدنيا، ما ادعاه علوي الحداد بقوله: «فالاجتماع بالنبي ﷺ ببعض الأولياء من قبيل الخصوصيات»[٢].

ومنها دعواهم إجابة النبي ﷺ لسلام أوليائهم بصوت يسمعونه، كما جاء عن علي بن علوي خالع قسم فيما تقدم.

ويعتقد القوم أن النبي ﷺ لا يخلو منه مكان ولا زمان، وحجتهم في ذلك أنه: « ﷺ شرّفه الله تعالى، وأعلى رتبته على الملائكة، فتجد ملك الموت، يقبض أرواحاً كثيرة في أماكن متفرقة، بعضها بعيد عن بعض في وقت واحد في أسرع من طرفة عين، فهو ﷺ أحرى وأجدر بأن يرى يقظة، أو مناماً في آن واحد في أماكن متفرقة، فقدرة الله التي أقدرت ملك الموت على قبض الأرواح، مع أن النبي أفضل منهم ومن كل المخلوقات؛ بل هو ﷺ أصلها وبدؤها ـ كما ورد ـ فقدرة الله قادرة على أقدار جعله ﷺ لا يخلو منه زمان ولا مكان»[٣].

وقد ردَّ أهل العلم على هذا القول المجانب للصواب، يقول الشيخ ابن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أيها الواقف على ما حرره هذا الملحد وأضرابه من المشركين أنهم تنقصوا رسول الله ﷺ أشد التنقص وهضموه أعظم الهضم، فإنهم قد تنقصوه من حيث ظنهم أنهم قد عظموه، فإنهم بهذا الغلو والإفراط حيث زعموا أنه لا يخلو منه زمان ومكان، ولا محل ولا إمكان، ولا عرش ولا كرسي، ولا غير ذلك من المخلوقات، وأنه امتلأ الكون به، فما صانه أعداء الله عن الحشوش والقاذورات، ولا عن بطون الحيوانات من الكلاب

---

(١) مصباح الأنام (ص٢٦).
(٢) المصدر السابق (ص٢٨).
(٣) المصدر السابق (ص٢٩).

والخنازير ولا من جميع المخلوقات، الطيب منها والمستخبثات، كما زعم إخوانهم من الاتحادية الحلولية في حق ربّ العالمين ثم إن قولهم قد امتلأ به العرش والكرسي أمر مستحيل في الفطر والمعقولات، كما هو مستحيل في المنقولات، فأين يكون ربّ العرش والسمٰوات؟ فهو من أمحل المحال، وأضل الضلال»(١).

والحق الذي لا مرية فيه أن النبي ﷺ لا يرى يقظة، ولا يجتمع به أحد بعد موته، وإنما يرى ﷺ في المنام وقد تقدمت الأدلة على ذلك في مباحث مصادر التلقي عندهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فهذه في رؤية المنام؛ لأن رؤية المنام تكون حقاً وتكون من الشيطان فمنعه الله أن يتمثل به في المنام، وأما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا، فمن ظن المرئي هو الميت فإنما أتي من جهله، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان»(٢).

وقد تقدم ذكر شبهتهم في ذلك والرد عليها في المباحث السابقة، وبيان أصل هذه الشبهة عند الصوفية.

ج ـ دعوى الاجتماع بالنبي ﷺ والأخذ عنه:

اعتقاد الاجتماع بالنبي ﷺ بعد موته من القضايا المسلمة عند القوم، لذا أكثروا من ذكرها في مصنفاتهم، وتقريرها استناداً للقصص والحكايات التي وقعت لأوليائهم ومشايخهم تارة، وبتقرير علمائهم ومشايخهم لذلك تارة أخرى.

ومن تقرير مشايخهم في ذلك ما قاله أحمد بن أبي بكر بن سميط العلوي: «ومن أجلّ الكرامات وأعظمها ما يقع لخواص الأولياء من الاجتماع بالنبي ﷺ وسؤالهم إياه عما أشكل عليهم كما صرح به غير واحد؛ إذ هو حي

---

(١) الأسنة الحداد (ص١٨٠).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٤٤).

في قبره، وليس ذلك ببعيد كمشاهدة أرباب العقول الزاكية في يقظتهم الملائكة، وأرواح الأنبياء وسماعهم أصواتا واقتباسهم منهم فوائد وليس ذلك ببعيد»(١).

ومن نصوصهم التي هي عبارة عن حكايات وقصص وقعت لمشايخهم: ما ذكره علي بن أبي بكر السكران عن مشايخهم في سند الخرقة الصوفية: «ولهم بالمصطفى رؤية لقاء واجتماع بحضرته وبقاء»(٢).

وجاء في كتاب تاج الأعراس عند ذكر شخص يدعى محسن بن عمر بن شيخان العطاس أنه قال: «أكون في أثناء تهجدي بالليل ويأتيني كثير من رجال الغيب، فلا ألتفت إليهم، حتى تظهر لي روحانية سيد الوجود ﷺ فأعرض عليه حاجاتي كلها»(٣).

وفي هذا النص بيان التعلق الشديد بالموتى، حيث يلتجي هذا الرجل للنبي ﷺ من دون الله تعالى ليعرض عليه حاجاته بدعوى حضوره ﷺ عنده، فأين هو من الالتجاء لربِّ السماوات والأرض القائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

والقائل سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

ومن نصوص القوم ادعائهم الاجتماع به ﷺ في مسجد الجبانة بتريم، يقول الشلي عند ذكره لمساجد تريم المشهورة: «ومنها مسجد الجبانة اجتمع كثيرون بالنبي ﷺ فيه وحصل لجمع الفتح فيه»(٤).

وادعى القوم كذلك حضور النبي ﷺ والأئمة الأربعة عند بناء مساجدهم، يقول عبد الرحمٰن السقاف (ت٨١٩هـ) عن مسجده الذي بناه

---

(١) منهل الوراد (ص٢٤٧) ط ١٣٩١هـ. وذكر بعد ذلك قصصاً وقعت لبعض شيوخ الصوفية في الالتقاء بالنبي ﷺ والتحدث معه انظر: (ص٢٤٧ ـ ٢٤٨).

(٢) البرقة المشيقة (ص٥٢).

(٣) تاج الأعراس (١/ ٣٣٥).

(٤) المشرع الروي (١/ ١٤١).

بتريم: «ما شرعت في عمارته إلا وقد أسسه الأئمة الأربعة المجتهدون ﷺ ووقف كل واحد منهم على ركن من أركانه والنبي ﷺ في قبلته»[١].

بل ابتدع القوم أذكاراً من عند أنفسهم يرون أن من قرأها يرى النبي ﷺ ويجتمع به، جاء في كتاب المنهل الوراد: «ومن صيغ الصلاة على النبي ﷺ: اللهم صل على سيدنا محمد الجامع لأسرارك، والدال عليك، وعلى آله وصحبه وسلم، ذكر بعضهم أن من قرأها ليلة الجمعة ألف مرة يرى النبي ﷺ خصوصاً إذا اتبعها بعد الفراغ منها بهذا الدعاء ثلاث مرات: اللهم يا من لا تحيط به الأمكنة ولا تصفه الألسنة... إلخ»[٢].

ومما من أقوال القوم يتضح رفع لمنازل مشايخهم على منازل الصحابة الكرام ﷺ ـ شعروا أم لم يشعروا ـ، حيث لم يخرج النبي ﷺ من قبره لأصحابه منذ مات، بل ولم يكلمهم من قبره مع قربهم، وقد حصلت بعده ﷺ أمور عظيمة، كانت الحاجة ماسة لحلها من المعصوم ﷺ، بينما يخرج عليه الصلاة والسلام كما يزعمون لهؤلاء الصوفية المخالفين لمنهجه ﷺ، ولكن هكذا الضلال يفعل بأصحابه، فأين هم من قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «أرأيتكم ليلتكم هذه؛ فإن على رأس مائة سنة لا يبقى على ظهر الأرض ممن هو اليوم عليها أحد»[٣].

وثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قبل موته: «ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ»[٤].

---

(١) المصدر السابق (١/١٣٩).
(٢) منهل الوراد (ص٤١١ ـ ٤١٢).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب السمر في العلم، (ص٤٧) برقم (١١٦)؛ وبرقم (٥٦٤)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم (ص١٠٢٥) برقم (٢٥٣٧).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم» (ص١٠٢٥) برقم (٢٥٣٨).

بل ويدعون إلى إحداث أذكار مبتدعة مشتملة على صيغ غريبة، فيها نفي علو الله تعالى وغيرها من المخالفات، كل ذلك لترسيخ معتقدهم وهو رؤية النبي ﷺ ولو بمعصية الله تعالى ومخالفة أمره.

ورغم كثرت النصوص المبنية للحق في ذلك ولكن القوم معرضون، ويزعمون حياة النبي ﷺ ورؤيته والتلقي عنه وأخذ ما يريدونه سواء كانت من أمورهم الدينية أو الدنيوية، وهم في الحقيقة لا يرون إلا الشيطان ولكن لا يشعرون، حيث استطاع الشيطان بحيله ومكره أن يلعب بعقولهم ويبعدهم عن الحق، والتشبث بالباطل الذي ألفوه، فسلك بهم طريق الضلال والانحراف عن دين الله تبارك وتعالى.

وقال الشلي عن أبي بكر بن عبد الرحمٰن السقاف: «وكان يرى النبي ﷺ كثيراً»[(١)].

وأما قضية الأخذ منه ﷺ فنصوصهم كثيرة في ذلك وقد تقدم ذكر بعضها عند ذكر مصادر التلقي عندهم، ونذكر هنا بعضاً منها:

يقول أبو بكر الحبشي: «وذكر رضي الله عنه[(٢)] عن شيخه الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس أنه قال: كان السيد أحمد علي بحر القديمي يجتمع مع رسول الله يقظة، فقال: يا رسول الله أريد أن أسمع منك حديثاً بلا واسطة. فقال ﷺ أحدثك بثلاثة أحاديث: الأول: ما زال ريح قهوة البن في فم الإنسان تستغفر له الملائكة، الثاني: من اتخذ سبحة ليذكر الله بها كتب من الذاكرين الله كثيراً، إن ذكر بها أو لم يذكر، الثالث: من وقف بين يدي ولي لله حي أو ميت فكأنما عبد الله في زوايا الأرض حتى يتقطع إرباً إرباً»[(٣)].

هكذا يكذب القوم على الرسول الكريم ﷺ وينسبون له هذا الكلام

(١) المشرع الروي (٢/٣٣). وانظر نصوص القوم في: ادعاء رؤيته عليه الصلاة والسلام يقظة ومحادثته: تذكير الناس (ص٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٩).
(٢) يعني بذلك شيخه أحمد بن حسن العطاس.
(٣) تذكير الناس (ص١١٩).

الركيك، المنكر والذي لا يليق بمقام النبوة وهذا من الكذب العظيم، وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(١).

وبلغ الأمر بالقوم إلى الاستهانة بمقام النبي ﷺ ودعوى خروجه ﷺ ليخبرهم بأمورهم الشخصية كإثبات النسب، فقد ذكر أبو بكر الحبشي قصة لأحمد بن حسن العطاس مع شيخه أحمد دحلان حيث ذكر في الدرس مسألة النسب وقال فيها: «وما ندري ما تفعل النساء فوقع في قلبي(٢) تحير واهتمام من ذلك فرأيت الخضر عليه السلام وأخذ بيدي وأتى بي إلى المواجهة ونادى: يا رسول الله أهذا ولدك؟ فقال ﷺ: هذا ولدي هذا محسن، ففرحت بذلك وزال ما في قلبي»(٣).

وقال أحمد بن حسن العطاس في دعوى تلقيه علومه من النبي ﷺ مباشرة: «وأنا معتني بي ﷺ، وإذا تحيرت في أمر مهم ما يفك علي منه إلا هو ﷺ»(٤).

وهذه النصوص يتبين بطلانها بمجرد ذكرها، وانحراف قائلها عن الصراط المستقيم؛ لأن النبي ﷺ ـ كما هو معلوم ـ قد مات ودفنه أصحابه رضي الله عنهم في حجرة عائشة رضي الله عنها ولم يخرج من قبره بعد موته لأعظم الخلق بعد الأنبياء والرسل، وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ولا يخرج من قبره إلا يوم القيامة كما قال عليه الصلاة والسلام عن نفسه: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ (ص٤٦) برقم (١٠)؛ ومسلم في المقدمة: باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، (ص٢٢) برقم (٣).

(٢) القائل أحمد بن حسن العطاس.

(٣) تذكير الناس (ص٢٨٠).

(٤) المصدر السابق (ص٢٨٤).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب المناقب، باب فضل النبي ﷺ، (ص٥٦٨) برقم (٣٦١٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في تخريجه لشرح العقيدة الطحاوية (ص١٦٠) برقم (١٢٧).

بل ولا يدري ﷺ ما حدث بعد موته، كما في حديث الحوض: «ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختُلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[(١)]. وفي رواية: «فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»[(٢)].

د ـ اعتقادهم اطلاع النبي ﷺ على علوم الأولين والآخرين:

ومن صور الغلو في النبي ﷺ قولهم أنه عليه الصلاة والسلام يعلم كل شيء بما في ذلك علوم الأولين والآخرين.

يقول أبو بكر المشهور: «سبحان من أودع علم العالمين في صدر طه خير كل المرسلين.

تنزيه لله تعالى عن كل مثل وشبه، فهو سبحانه أودع في صدر المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أهل لهذه المعارف، وإمام من تعلمها وعلمها سواء كانت شرعية أم مادية، فلا يقتبس علم نظري ولا مادي على صفحة الوجود إلا بعد إمضائه على لسان نبي ذلك الزمان، أو من قبله، أو من بعده، حيث بيّن الله مدلول ذلك بقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٧].

والمقصود الظاهر هو القرآن، والمعنى الإرشادي هو كافة العلوم التي تبرز في الوجود تحت مدلول: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق: ١]»[(٣)].

والقول بأن الله تعالى أودع النبي ﷺ علم الأولين والآخرين ماضيه ومستقبله وشرعيه وماديه فلا يفوته شيء؛ قول باطل ترده الأدلة الصحيحة منها قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ وذلك بعد ذكره سبحانه لقصص بعض الرسل الذين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب في الحوض، (ص١٢٥٩) برقم (٦٥٨٢) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، (ص٩٤٣) برقم (٢٣٠٤).

(٢) أخرج هذه الرواية البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب في الحوض، (ص١٢٥٩) برقم (٦٥٨٥)؛ وبرقم (٦٥٨٦).

(٣) التليد الطارف (ص٢٣ ـ ٢٤).

أرسلهم قبل بعثة نبينا ﷺ ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وكذا في قصة تأبير النخل عن أنس أن النبي ﷺ مرَّ بقوم يلقحون فقال: «لو لم تفعلوا لصلح». قال: فخرج شيصاً[(١)]، فمر بهم فقال: «ما لنخلكم؟» قالوا: قلت كذا وكذا قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»[(٢)]. ولكن القوم أشربوا في قلوبهم الغلو، فلا تكاد تجد كتاباً ولا رسالة للقوم إلا وشحنوها بهذا الغلو الذي نهى الله تعالى عنه ورسوله ﷺ.

هـ ـ ادعاؤهم أن النبي مرسل لجميع الملائكة والأنبياء:

ومن الدعاوى التي اعتمدتها صوفية حضرموت اعتقادهم أن النبي ﷺ مرسل لجميع المخلوقات، بما في ذلك الأنبياء والملائكة، ولم يأتوا بدليل في ذلك.

يقول سالم باحطاب الحضرمي: «س: هل نبينا مرسل إلى الملائكة أم لا؟.

ج: نعم هو مرسل إليهم كما رجحه الشيخ تقي الدين السبكي[(٣)(٤)]... إلخ.

س: ما معنى إرساله إلى جميع الأنبياء والأمم السابقة، وكيف كان كيفية أداء الرسالة منه إليهم؟

ج: معناه: أنه باعتبار عالم الأرواح، وكيفية أداء الرسالة منه إليهم أن روحه الشريفة خلقت قبل الأرواح وأرسلها الله إليهم فبلغت الجميع، والأنبياء

---

(١) الشيص، بالكسر: تمر لا يشتد نواه. القاموس المحيط (ص٦٢٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معايش الدنيا، على سبيل الرأي، (ص٩٦٢) برقم (٢٣٦٣).

(٣) هو أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أشعري المعتقد، مؤرخ وأصولي انتهت إليه رئاسة القضاء في الشام. من كتبه: طبقات الشافعية، وجمع الجوامع في الأصول. توفي سنة ٧٧١هـ. انظر: الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٥)؛ والأعلام (٤/ ١٨٤).

(٤) انظر التعظيم والمنة، للسبكي، نقلا عن الخصائص الكبرى، للسيوطي (١/ ٨ ـ ٩).

نوابه في عالم الأجسام والأشباح»[١].

وقال ابن شهاب في شرحه لعقيدة الباجوري: «والتحقيق كما ذكره كثير من العلماء إنه ﷺ مرسل لجميع الأنبياء والأمم السابقة من لدن آدم إلى يوم القيامة؛ لكن باعتبار عالم الأرواح؛ فإن روحه خلقت قبل الأرواح وأرسلها الله لهم فبلغت الجميع، والأنبياء جميعهم نوابه في عالم الأجسام قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]»[٢].

وقد بينت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة أن نبينا محمداً ﷺ خاتم الرسل، وإن من كان في زمنه من الإنس والجن مأمورون باتباعه، وشريعته ﷺ ناسخة لجميع الشرائع، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الرعد: ٣٠]. وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: ٢٨]. وغيرها من النصوص الكثيرة في ذلك، ولكن القوم حُرموا اتباع نصوص الوحيين، فلا يوجد لديهم إلا الدعاوى المجردة فتقابل بالمنع.

فلم يأت في النصوص الشرعية ما يدل أنه ﷺ مرسل إلى الأنبياء قبله ولا إلى الملائكة، وهذا القول الذي تمسكت به الصوفية فيه غلو قابل جفاء أهل الكتاب الذين قالوا: إن النبي ﷺ مرسل إلى الأميين من العرب، والحق بين ذلك، فإن النبي ﷺ مرسل إلى الثقلين من الجن والإنس، دون غيرهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما القرآن الذي جاء به محمد ﷺ فليس في إخباره بأنه أرسل إلى قريش، ثم إلى العرب ما يناقض إخباره بأنه أرسل إلى جميع الناس، أهل الكتاب وغيرهم، كما أنه ليس في إخباره أنه أرسل إلى بني إسرائيل، ومخاطبة الله لهم بقوله: (يا بني إسرائيل) ما يمنعه أن يكون

---

(١) كتاب الدر الثمين (ص١٣).
(٢) النوافح (ص١٠٥).

مرسلاً إلى اليهود من غير بني إسرائيل، وإلى النصارى والمشركين، وهو لم يقل قط: إني لم أرسل إلا إلى العرب، ولا قال ما يدلّ على هذا، بل ثبت عنه بالنقل المتواتر أنه قال: إنه مرسل إلى جميع الجن والإنس إلى أهل الكتاب وغيرهم، ولو قدر أنه قال: إنه لم يرسل إلا إلى العرب ثم قال: إني أرسلت إلى أهل الكتاب لكان قد أرسل إلى أهل الكتاب بعد إرساله إلى العرب، كما قال: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٥]»[١].

اعتقادهم أن أولياءهم في مرتبة الأنبياء:

ويتضح ذلك بأمور منها:

القول بعصمة الأولياء:

ومن نصوصهم في ذلك ما قاله عبد الله باسودان: «ومن حال الشيخ المربي أن يحفظ مريده عن الذنب والإلمام به، وبذلك يكون مرتقياً لأشرف خصال الولاية، وهي العصمة المشار إليها وراثة من نبيه ﷺ»[٢]، ويقول عبد الله بن علوي الحداد: «فاعلم أن الولاية على هذا الوجه أمر عظيم، لا يمكن صاحبها أن ينهمك في المباحات والشهوات، من الحلال فضلاً عن الوقوع في صغائر الذنوب...»[٣].

وقال أيضاً: «والذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها أقذار وأدناس وأوساخ. قد طهر الله منها أولياءه، وحجزهم عنها، ورفع أن تخطر لهم، أو تميل إليها نفوسهم، فضلاً عن ملابستها والوقوع فيها»[٤]. ويقول عبد الرحمٰن بن مصطفى العيدروس في حديثه عن الفناء عند الصوفية: «وأما من شهدهما[٥] جميعاً فهو الذي لا يحجبه حق عن خلق، ولا خلق عن حق، وهو الراجع من الحق إلى الخلق، مع وجود حقاني، وهذه المنزلة هي المعبر عنها بالنبوة في

---

(١) الجواب الصحيح (٢/ ٣٩ ـ ٤٠).
(٢) كتاب مطالع الأنوار (ص٣١٩).
(٣) النفائس العلوية (ص١٣٩).
(٤) المصدر السابق (ص١٤٠).
(٥) أي شهد الحق والخلق.

النبي، والبقاء والتكميل في الولي، وصاحب هذا المقام هو الذي له من كل المقامات واردات، وفي كل الحضرات له مشاهدات، ومن كل الأسماء عليه تجليات، فتارة يتكلم بلسان الحقيقة، مع استهلاك الصرف، وتارة بلسان الصحو الثاني صرفاً، أو مع شيء من السكر، وهو الذي يصلح للإرشاد، ولأن هذا المقام هو مقام إرشاد المريدين، وتربية السالكين، فهذا المقام في الولاية بمنزلة الرسالة في حق المرسلين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»[(١)]. ويقول شيخ بن عبد الله العيدروس: «وقال بعضهم: النبي يؤمر، والولي يُلهم إلى أن قال: إذ لا يبعد أن يكون للولي الهفوات الزلة والزلات، إذ الأولياء محفوظون والحفظ يجوز معه الوقوع في المعصية إلا أنه لا يجوز الإصرار عليها»[(٢)].

وجاء في كتاب مطالع الأنوار لباسودان عند شرح أبيات عبد الرحمٰن بلفقيه المسماة بالرشفات في وصف الولي:

يحميه عن إثم وعن ملمة	ومنقص وربما بالهمة
يلبسه ثوب تقى وعصمة	فيرتدي بأشرف الخصال

«قوله: وربما بالهمة يلبسه ثوب تقى وعصمة: أي أنه بهمته يلبس المريد ثوب التقى، فلا يقارف ذنباً ولا يلم به، قوله: وعصمة؛ أي: حفظاً من ذلك؛ إذ الحفظ للأولياء، والعصمة للأنبياء وتسميتها في حق الأولياء مجازية»[(٣)].

وقد عظم القوم الولي وأعطوه فوق صفاته فقالوا: «إن الولي يدعو تارة فيستجاب له، وتارة لا يستجاب له، ويريد الأمر فتارة يقضى وتارة لا يقضى، كما وقع للأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، ويزيد الولي بأنه تارة تظهر الطاعة على جوارحه، وتارة تظهر المخالفة عليها كسائر الناس، وإنما امتاز الولي عنهم بأمر واحد، وهو ما خصه الله تعالى به من المعارف، ومنحه

(١) النفحات المدنية (ص٤). (٢) المصدر السابق (ص٧).
(٣) كتاب مطالع الأنوار (ص٣١٩).

من الفتوحات، ومع ذلك فالمخالفة وإن ظهرت عليه، فإنما هي بحسب ما يظهر لنا، لا في الحقيقة؛ لأن المشاهدة التي هو فيها تأبى المخالفة، وتمنع المعصية منعاً لا ينتهي إلى حد العصمة، حتى تزاحم الولاية النبوة، فإن المنع من المعصية ذاتي في الأنبياء، عرضي في الأولياء»[١].

تشبيه مقام أوليائهم بمقام النبوة:

ومن نصوصهم في ذلك ما جاء في كتاب تاج الأعراس عند ذكر المؤلف كلاماً لصاحب المناقب صالح بن عبد الله العطاس ومن ذلك قوله للمؤلف: «قال لي مرة إني خرجت إلى المسجد الحرام في بعض الليالي وطفت بالكعبة فحصل لي الإسراء إلى السماء»[٢].

ومن نصوص القوم في رفع منزلة أوليائهم إلى مقام النبوة ما جاء في كتاب تذكير الناس: «وكان سلفنا إذا قدم عليهم وليٌّ، يعظمونه في عيوننا، حتى نراه كأنه نبي من كبره في عيوننا، ولما كان وقت دفن الحبيب صالح قال رجل من أهل حبرة - وهي قرية بوادي عمد - لصاحبه: أرى أن هذا السيد ولي، فقال له صاحبه منكراً عليه عدم معرفته بالحبيب صالح، ولي ولي هو إلا نبي، وكان الحبيب أبو بكر بن عبد الله حاضراً يسمع كلامهما، فضحك، حتى استغرق في الضحك، متعجباً من هذه الكلمة»[٣].

وقد بلغ من غلو القوم أن أفاض بعضهم في ذكر مناقب مشايخهم وأوليائهم، يقول علي بن حسين بن محمد العطاس عند ذكره مناقب صالح بن عبد الله العطاس: «وفي الدوران حول حياته الدينية لا يدري الواصف كيف يصفها؛ لارتفاعها عن الأوصاف والصفات، ومتى استطعت أن تفهم حياة الأنبياء والمرسلين والملائكة فافهمها، وكيف لا يكون في تلك الصفة وقد أدرك تلقيها من الحضرة المحمدية مباشرة يقظة»[٤].

---

(١) نور البصيرة (١/ ١٣٤ - ١٣٥).
(٢) تاج الأعراس (١/ ٤٧).
(٣) تذكير الناس (ص٢٠٨).
(٤) تاج الأعراس (١/ ١١٣).

وجعل القوم مشايخهم وأولياءهم في مرتبة الأنبياء عند الاستدلال، جعلوا للأنبياء ذوقاً في الاستدلال يقارن ذوق الأولياء وقد نقل بعضهم الكلام على علاقة الصفات بالذات فقال: «قوم ذهبوا إلى نفي الصفات وذوق الأنبياء والأولياء يشهد بخلافه»[(١)].

ومن غلوهم في مقام الأولياء ما جاء في مقدمة ديوان الحداد: «قال جدي الحسن خرجنا مع الوالد إلى وادي بيت جبير للتبرك[(٢)] وزيارة سيدنا الإمام محمد بن علوي بن عبيد الله، وصلينا الصبح في الوادي المسيلة وفعلت قهوة والحطب من النخل قال والدي: كيف وأنت فقيه تأخذ القهوة من النخل بغير إذن أهله؟ قلت له: أعلم رضاهم. قال: لو علموا فأنا أحق منهم بأموالهم. قلت: ومع كثرة ورع سيدنا الولي حسن الورع بن سيدنا علي أخو السقاف قال: لو جعل السقاف اثنين على جبل كحلان[(٣)] ينهبان أموال الناس، وأمرني أن آكل منه لأكلت معتقداً لحله. وقال جدي الحسن بن عبد الله الحداد: لو أمرني والدي بقتل أخي علوي مع استقامة علوي وطاعته لقتلته؛ مترجياً الثواب لأنه أمر بالحق من عند الله كقتل الخضر للغلام»[(٤)].

تنقصهم لمقام النبوة:

تنقص القوم مقام النبوة، وقد جاءت نصوصهم في ذلك بصور مختلفة فمن ذلك ما زعمه بعض كبارهم أن النبوة مكتسبة بالرياضة ـ محاكاة لقول الفلاسفة ـ وذلك لعدم فقه هذه المسألة العظيمة، فقد ذكر عبد القادر العيدروس في كلام له عن المسافات التي يقطعها المريد في سيره إلى الله

(١) فيض النفحات في مسألة الصفات، لعبد الرحمن بن مصطفى العيدروس (ص٤).
(٢) أمر التبرك من الأمور التي أكثر القوم من تقريرها وبثها في أكثر مصنفاتهم، حيث أشربت قلوبهم بذلك فطلبوا البركة من الأحياء والأموات، وتركوا التبرك المشروع فحرموا أنفسهم بركة التمسك بشرع الله تعالى والدعوة إليه.
(٣) أحد جبال اليمن.
(٤) الدر المنظوم (ص٨٣، ٨٤).

تعالى: «الثالثة: مسيره من قلبه إلى ربه المعبر عنه بالحقيقة وهو محو ما سوى الله تعالى عن القلب بمداومة الأنس بذكره، ولهذا السفر عدة وبضاعة إلى أن قال: وهو مبدأ سفر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ١٣٧]. ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ٧٩]. ومعنى الذهاب إلى ربه والتوجه إليه العبور بالباطن عما سوى الله تعالى»[١].

ومما يدلّ كذلك على انتقاصهم لمقام النبوة ما قاله عبد القادر العيدروس في خاتمة كتابه غاية القرب عند كلامه على انتهاء مرحلة السفر من القلب إلى الربّ: «وحينئذ تنتهي مسافة السير إلى الله ﷻ، وتبدى في مقامات السفر إلى الله تعالى، وهو سير الواصلين إلى الله تعالى، وذلك غير متناه لا في الدين ولا في الآخرة، فإن مقامات القرب من الله ﷻ غير متناهية؛ لأن القرب منه هو المعرفة بصفاته العلى، ونعوت جلاله وجماله»[٢].

ويتضح انتقاصهم للنبوة في هذا النص كونهم ادعوا أنهم بلغوا مرتبة فوق مرتبة النبوة.

ومن صور تنقصهم لمقام النبوة ما ذكره محمد بن عبد الرحمٰن باجمال عن أبي بكر بن سالم الذي غلا في نفسه وجعلها في منزلة النبي ﷺ حيث قال: «طلبت من الله ألا يعذب من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله عليه[٣] وآله وسلم فأعطاني وقبل شفاعتي، ولولا قد سبقت الشفاعة لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لكنت أنا الشفيع لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣]. ثم قال: حاشاه أن يعذبهم وأولهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآخرهم أنا»[٤].

---

(١) غاية القرب في شرح نهاية الطلب، (ص٨٧).

(٢) المصدر السابق (ص٨٨).

(٣) كذا في الأصل.

(٤) بلوغ الظفر والمغانم (ص١٧).

فهذه بعض نصوص القوم التي تبيّن تنقصهم لمقام النبوة، وتعظيم أوليائهم ومشايخهم ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله فيها، وكل ذلك سببه الغلو في الأشخاص، وعدم التعويل على ما جاء به الشرع المطهر الداعي إلى الهداية والمحذر عن الضلال والغواية.

تفضيل علوم أوليائهم ومشايخهم على علوم الأنبياء:

غلت صوفية حضرموت في مشايخها حتى جعلوا علومهم ومعارفهم أعلى من علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد جاء في كتاب (كنوز السعادة الأبدية) أن علي بن محمد الحبشي رضي الله عنه قال: «قال الشيخ عبد العزيز الدباغ في قول أبي يزيد: «خضت بحراً وقفت الأنبياء بساحله» أن بعضهم جعلوا له تأويلات، وليس كما قالوا، بل الكلام على بابه، فقيل له: كيف ذلك؟ فقال: إن الوارث للمقام المحمدي تخلع عليه خلعة الوراثة»[1].

ويقول عبد الرحمٰن باهرمز لتلميذه عمر بامخرمة عند تحكيمه في علوم القوم: «وفي علوم لم يطلع عليها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فأنت نائب عني، بل أنت أنا»[2].

وهذا التفضيل من القوم بناء على فكرة زنادقة المتصوفة كابن عربي الذي يعظمه القوم، حيث يرى أن مقام الولاية أعظم من مقام النبوة، وبالتالي فإن علوم الولي أعلى وأعظم من علوم النبي، وهذا كلام باطل وقد ردّ عليه الأئمة وبينوا بطلانه وشناعته، يقول ابن أبي العز رحمه الله بعد ذكر كلام المتصوفة في تفضيل مقام الولاية على مقام النبوة:

---

(١) كنوز السعادة الأبدية (ص٤٢)؛ والتعرف على التصوف، لأحمد بن عبد الله بن شهاب (ص٥١).

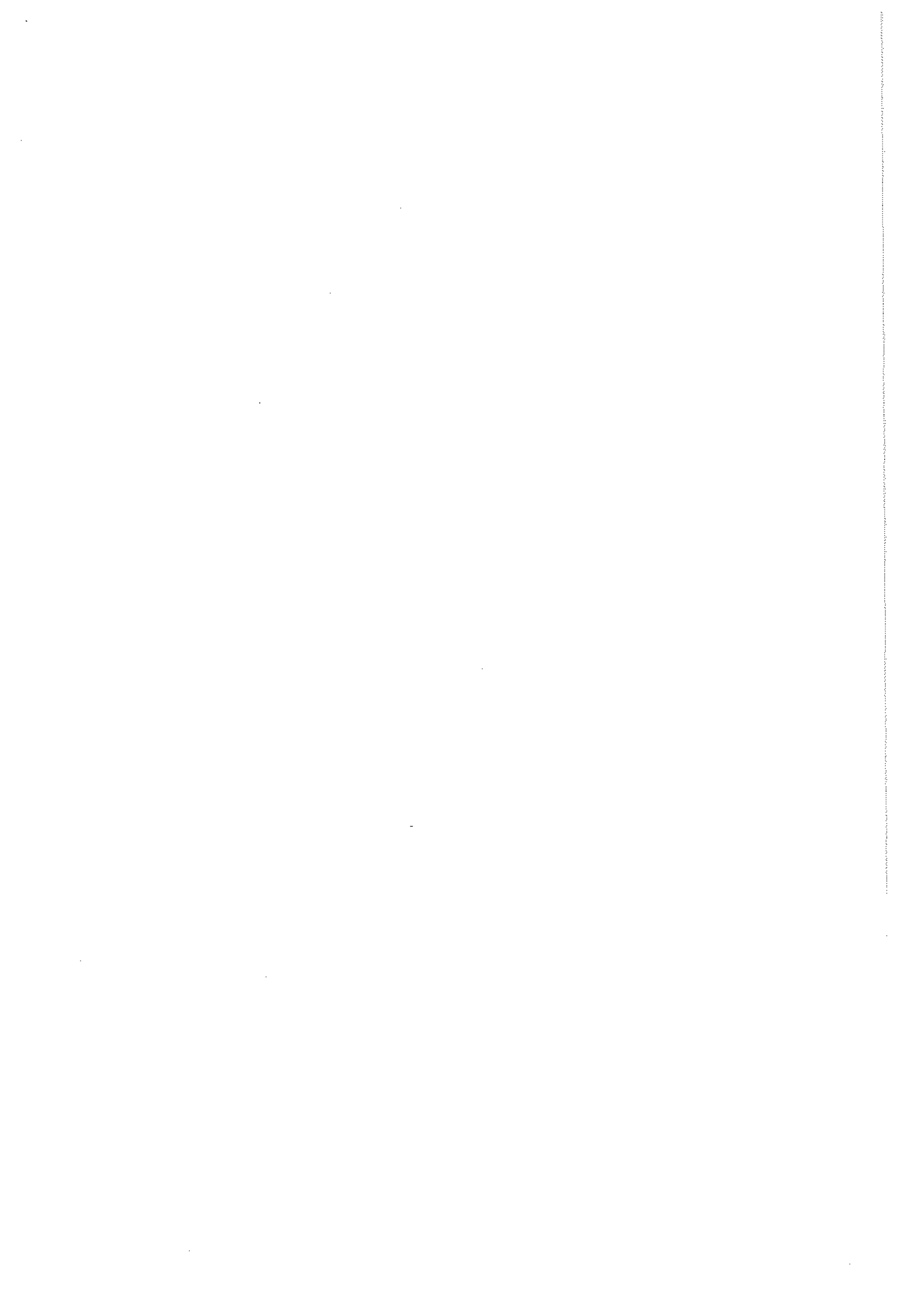
(٢) كتاب السنا الباهر بتكميل النور السافر (٣٨١)؛ والنفائس العلوية في المسائل الصوفية، تأليف: عبد الله بن علوي الحداد (ص١٢٧) ضمن مجموع رسائل الحداد؛ وخلاصة الخبر (ص٤٣٠).

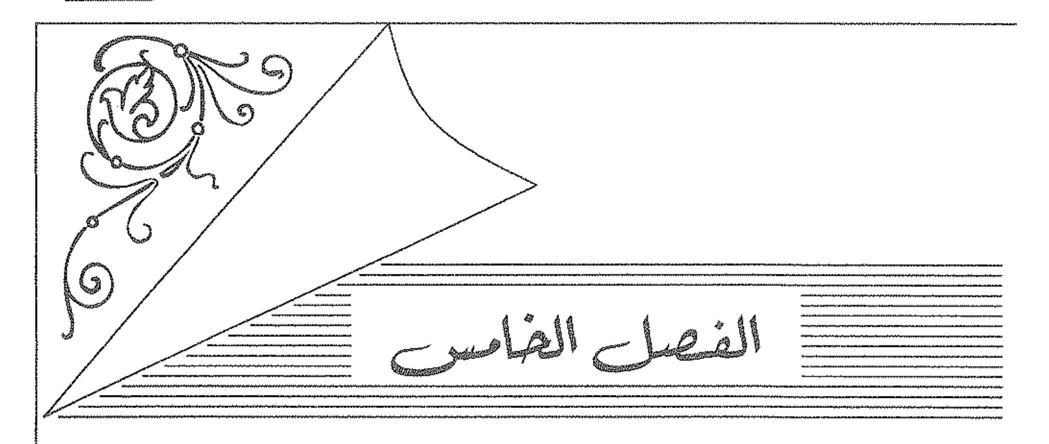
«فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسل تلك أمانيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝٥٦﴾ [غافر: ٥٦]. وكيف يخفى كفر من هذا كلامه وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ۝١٢٤﴾ [الأنعام: ١٢٤]. ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة اتحادية في الدرك الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين لإظهارهم الإسلام، كما كان يظهره المنافقون في حياة النبي ﷺ ويبطنون الكفر، وهو يعاملهم معاملة المسلمين لما يظهر منهم، فلو أنه ظهر منهم ما يبطنونه من الكفر لأجرى عليه حكم المرتد»[١].

وكذلك غلا كبار صوفية حضرموت في مشايخهم حتى قدموا علومهم ومعارفهم على علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد جاء في كتاب: (التعرف على التصوف): «ومما جاء في كلام الحبيب علي بن محمد الحبشي رضي الله عنه قال: قال الشيخ عبد العزيز الدباغ في قول أبي يزيد: «خضت بحراً وقفت الأنبياء بساحله» أن بعضهم جعلوا له تأويلات وليس كما قالوا بل الكلام على بابه، فقيل له: كيف ذلك؟ فقال: إن الوارث للمقام المحمدي تخلع عليه خلعة الوراثة»[٢] ويتضح من هذا الكلام تأييد الحبشي للبسطامي وفهم الدباغ له في أن أولياءهم بلغوا في العلوم مبلغا لم يصله الأنبياء عليهم السلام، فهذا تنقّص لمقام الأنبياء عليهم السلام الذين هم أعلم الناس بالله تعالى وبشرعه، ثم إن القوم لهم مصطلحات غريبة عن العلم الشرعي كقولهم هنا: «تخلع عليه خلعة الوراثة» القارئ لهذا النص لا يدري ما يقصد القوم بهذا الكلام، فيذهب كل مذهب في فهم هذه العبارة التي تشبه

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨).
(٢) التعرف على التصوف، لأحمد بن عبد الله بن شهاب (ص٥١).

عبارات ورموز الباطنية؛ الذين تأثر القوم بمذهبهم، باعتماد الرموز والإشارات التي لا يفهمها إلا هم دون بقية المسلمين، وما ذلك إلا لعدم الوضوح وعدم النصح في الكتابة ليستفيد الناس العلم النافع، ولكن كما قيل: فاقد الشيء لا يعطيه، فقد حرموا العلم الشرعي، وقادهم ذلك إلى التزهيد فيه وكذا انتقاص علوم الأنبياء عليهم السلام.





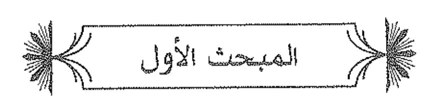
الفصل الخامس

قولهم في القدر ومناقشتهم فيه

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: قولهم في الإيمان بالقدر.

المبحث الثاني: ادعاء معرفة ما في اللوح المحفوظ.



المبحث الأول

قولهم في الإيمان بالقدر



تمهيد

القدر لغة: القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته(١).

والقدر: «مصدر قَدر يَقْدُر قَدَراً وقد تسكن داله»(٢)..

ويطلق القدر على الحكم والقضاء(٣). ويأتي القدر كمصدر وهو التقدير، ويأتي مراداً به المفعول وهو المقدر، ويأتي بمعنى الطاقة، وبمعنى: التضييق وغير ذلك من المعاني(٤).

وأما القدر شرعاً:

فقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القدر قدرة الله على العباد»(٥).

وقد بيّن الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوة تعريف الإمام أحمد للقدر فقال:

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٦٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/ ٢٢) تحقيق: الزواوي، والطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

(٣) لسان العرب (٥/ ٧٤).

(٤) انظر: التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (٣/ ١٥٩ ـ ١٦٠، ١٦١)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، راجعه: عبد الحميد حسن، ط ١٩٧٠م، دار السعادة، القاهرة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ولسان العرب (٣/ ٣٠)؛ وترتيب القاموس المحيط للفيروزآبادي (٣/ ٥٧٠) رتبه: حمد الطاهر الزاوي، ط٢، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة؛ وتاج العروس، للزبيدي (٣/ ٤٨١، ٤٨٢).

(٥) مسائل الإمام أحمد لابن هانىء (٢/ ١٥٥)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١٣٩٤هـ.

«واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جداً وقال: هذا يدلّ على دقة علم أحمد، وتبحره في معرفة أصول الدين.

وهو كما قال أبو الوفاء فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الربّ على خلق أعمال العباد، وكتابها، وتقديرها، وسلف القدرية كانوا ينكرون علمه بها وهم الذين اتفق سلف الأمة على تكفيرهم»[(١)].

وعرَّف بعض أهل العلم القدر بأنه ما يقدره الله تعالى من القضاء ويحكم به من الأمور قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القدر: ١]. أي الحكم. كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٤]. فمعنى تقدير الله ـ تعالى ـ الأشياء في القدم أنه: علم ـ سبحانه ـ مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها وأنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته ـ سبحانه ـ لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها[(٢)].

ويقول العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ أن القدر: «تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته»[(٣)].

والإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة التي ذكرها النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان: «قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» الحديث»[(٤)].

---

(١) شفاء العليل (١/ ٢٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤١٠ ـ ٤١٢)؛ والعقيدة الواسطية (ص٢١)، علق عليها: الشيخ محمد بن مانع، مطبوعات سعد الراشد، الرياض، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص٢٩) عني بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، ط١، ١٣٢٣هـ، مطبوعة مصورة، مكتبة الرياض الحديثة؛ وتيسير العزيز الحميد (ص٦١٨ ـ ٦١٩)؛ ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٣٤٥، ٣٤٨).

(٣) رسائل في العقيدة، للشيخ ابن عثيمين (ص٣٧) ط٢، ١٤٠٦هـ، دار طيبة، الرياض.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، (ص٣٦) برقم (١).

مذهب أهل السنّة والجماعة في القدر:

مذهب أهل السنّة والجماعة في هذا الباب هو وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى وتسليم الأمر لله تعالى، لما دلّت عليه النصوص الشرعية التي وردت بذلك، ووفق فهم سلف الأمة لها، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]. وغيرها من الآيات.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله ما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»(١).

وقال ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»(٢).

وقد بيّن أهل العلم معنى الإيمان بالقدر عند أهل السنّة والجماعة، اتباعاً للنصوص الشرعية في ذلك، يقول الإمام النووي رحمه الله: «واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه: أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى...»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، (ص١٠٦٩) برقم (٢٦٦٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٠/ ١٧٥ ـ ١٧٦) برقم (٣٧٠٣)، (١١/ ١٧٢) برقم (٦٩٨٥) من حيث عبد الله بن عمرو، والترمذي في سننه: كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، (ص٣٥٧) برقم (٢١٤٤) من حديث جابر رضي الله عنه. انظر: صحيح الجامع (٢/ ١٢٥٨) برقم (٧٥٨٥).

(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي (١/ ١٠٩). ط دار المعرفة.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعلم الإنسان أن مذهب أهل السنّة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دلّ عليه الكتاب والسنّة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان وهو: أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد، وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه؛ بل هو قادر على كل شيء ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها وقد قدّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون»[1].

فهذا هو معتقد أهل السنّة والجماعة في هذا الباب وهو أخذ النصوص من الكتاب والسنّة على فهم سلف الأمة، خلافاً لمذهب المبتدعة المتبعون الآراء وفهم النصوص بمعزل عن سلف الأمة وأئمتها، لذا كان ضلالهم بأخذ بعض النصوص وترك البعض الآخر دون أخذها جميعاً.

مراتب القدر:

للقدر مراتب أربع يجب الإيمان بها وهي:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الربّ تعالى:

فنؤمن بأن الله تعالى بكل شيء عليم، وأنه سبحانه علم ما كان وما يكون وما لم يكن إذا كان كيف يكون.

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/٤٤٩ ـ ٤٥٠).

والواجب على العبد أن يؤمن بأن الله تعالى قد علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال والسعادة والشقاوة[1].

ومن الأدلة على علم الله تعالى المحيط بكل شيء قوله سبحانه: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وكما في قوله ﷺ عندما سئل عن أولاد المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[2].

المرتبة الثانية: الإيمان بكتابة الله تعالى للمقادير:

فنؤمن بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، فدخل في ذلك أعمال المكلفين ومصيرهم[3]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/١٤٨)؛ ومعارج القبول (٣/ ٩٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، (ص٢٦٨) برقم (١٣٨٣، ١٣٨٤)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، (ص١٠٦٦ ـ ١٠٦٨) برقم (٢٦٥٨، ٢٦٥٩، ٢٦٦٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣/١٤٨).

ومن السنّة قوله ﷺ: «أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»[(١)].

وقال ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة»[(٢)].

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئته تعالى وقدرته:

ونؤمن بأن الله تعالى قد شاء كل ما في السمٰوات والأرض، ولا يكون شيء إلا بمشيئته سبحانه، ومشيئته سبحانه عامة لكل شيء من أفعاله وأفعال عباده[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال تعالى عن قدرته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

وثبت في الصحيح عن جابر رضي الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال النبي ﷺ «أعوذ بوجهك»، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]. قال: «هاتان أهون أو أيسر»[(٤)].

المرتبة الرابعة: الإيمان بخلق الله تعالى للأشياء:

يجب الإيمان بأن الله ﷻ خالق كل شيء، لا خالق غيره، ولا ربّ سواه.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنّة (١/ ٥٠)، برقم (١٠٨)؛ وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) تقدم تخريجه (ص٦٠٣) من هذا البحث.

(٣) انظر: رسائل في العقيدة، للشيخ ابن عثيمين (ص٣٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام، باب في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾، (ص١٣٩٥) برقم (٧٣١٣). وانظر: الحديث برقم (٤٦٢٨، ٧٤٠٦).

ومن هذه المخلوقات أفعال العباد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]. فنسب الله تعالى ما عملوه إليه نسبة المخلوق إلى خالقه، إذ هو خالق كل شيء[١].

هذه هي مراتب القدر التي يجب على كل مسلم ومسلمة الإيمان بها[٢].

يقول العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله مبيناً عظيم منزلة هذه المراتب وشدة أهميتها: «وهذه المراتب الأربع شاملة لما يكون من العباد، فكل ما يقوم به العباد من أقوال، وأفعال، وتروك فهي معلومة لله تعالى، مكتوبة عنده، والله قد شاءها وخلقها»[٣].

ثمرات الإيمان بالقدر:

وللإيمان بالقدر ثمرات عظيمة منها:

- الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن الأمور كلها بقضاء الله وقدره.

- يدعو الإيمان بالقدر المسلم إلى العمل كما يبعث في القلوب الشجاعة والإقدام على عظائم الأمور بثبات وعزم.

- راحة النفس وطمأنينة القلب، فمن آمن بالقدر عاش في راحة، واطمأن قلبه، وهذا أطيب العيش.

- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، مما يستدعي من العبد شكر الله تعالى على ما قدره من أسباب الخير والنجاح.

- طرد القلق والضجر عند فوات المراد، أو حصول المكروه؛ لأن ذلك

---

(١) انظر: رسائل في العقيدة، للشيخ ابن عثيمين (ص٣٧).

(٢) انظر هذه المراتب: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية (ص٦٦) مكتبة التراث بالقاهرة، بدون تاريخ؛ وعقيدة أهل السنَّة والجماعة، للشيخ ابن عثيمين (ص٣٧ ـ ٣٨)، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٣، ١٤١٦هـ.

(٣) عقيدة أهل السنَّة والجماعة، للشيخ ابن عثيمين (ص٣٨).

بقضاء الله وقدره، وهو كائن لا محالة، فيصبر على ذلك(١).

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»(٢).

وفي رواية البخاري: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض»(٣).

وقد أوصى السلف رحمهم الله بهذه العقيدة الصحيحة في القدر من ذلك وصية الصحابي الجليل عبادة بن الصامت رضي الله عنه حين حضره الموت قال لابنه: «يا بني: أوصيك بتقوى الله عز وجل، واعلم أنك لن تؤمن بالله وتطعم حقيقة الإيمان ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالقدر كله، خيره وشره، قال: تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، أي بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب. فقال: ما أكتب يا ربِّ، قال: اكتب القدر، فجرى القلم في تلك الساعة بما كان ما هو كائن إلى الأبد»»(٤).

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر»(٥). وحديث ابن عباس وفيه

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص٤٧). (٢) تقدم تخريجه (ص٦٦٠) من هذا البحث.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، (ص٦١٣) برقم (٣١٩١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الفريابي في القدر، (ص٢٣٤) برقم (٤٢٥)، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، الرياض، ط١ ١٤١٨هـ، وابن أبي عاصم في السنَّة برقم (١٠٤)؛ والآجري في الشريعة (ص١٩٤) كلاهما بمثل إسناد الفريابي.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره (ص٣٥٦ ـ ٣٥٧) برقم (٢١٤٥)؛ وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب في القدر (ص٢٦) برقم (٨١)؛ وأحمد في المسند (١/٩٧، ١٣٣)؛ والحاكم في مستدركه (١/٣٣) وصححه الشيخ الألباني في المشكاة (١/٣٧) برقم (١٠٤).

قوله ﷺ لابن عباس: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»(١).

فخلاصة مذهب أهل السنّة في القدر، والذي يجب على كل مسلم اعتقاده هو أن: «الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه، لا ربّ غيره ولا خالق سواه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم، والعبد مأمور بطاعة الله وطاعة رسوله، منهي عن معصية الله ومعصية رسوله؛ فإن أطاع كان ذلك نعمة وإن عصى كان مستحقاً للذم والعقاب، وكان لله عليه الحجة البالغة ولا حجة لأحد على الله تعالى، وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره ومشيئته وقدرته لكن يحب الطاعة ويأمر بها ويثيب أهلها على فعلها، ويكرمهم ويبغض المعصية وينهى عنها ويعاقب أهلها ويهينهم وما يصيب العبد من النعم فالله أنعم بها عليه وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩]؛ أي: ما أصابك من خصب ونصر وهدى فالله أنعم به عليك، وما أصابك من حزن وذل وشر فبذنوبك وخطاياك وكل الأشياء كائنة بمشيئة الله وقدرته وخلقه فلا بد أن يؤمن العبد بقضاء الله وقدره وأن يوقن العبد بشرع الله وأمره»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣) برقم (٢٦٦٩)؛ وقال المحقق الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، ط ١٣٧٤هـ، دار المعارف، مصر؛ والترمذي في سننه: كتاب صفة القيامة، بابٌ: حدثنا أحمد بن محمد بن موسى (ص٤٠٩) برقم (٢٥١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه. وانظر طرق هذا الحديث والكلام عليها كتاب «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس» لابن رجب الحنبلي (ص٣٥) حاشية رقم (٢)، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٦٣ ـ ٦٤).

قول صوفية حضرموت في القدر:

انحرفت صوفية حضرموت في باب القدر كغيره من أبواب الاعتقاد التي سبق الكلام عنها.

ففي مسألة خلق أفعال العباد سلك القوم مسلك المتكلمين، وهذا من الأدلة الواضحة على اضطراب منهج أهل البدع، فهم يرون أن أولياءهم مستقلون بأفعالهم، من إحياء وإماتة، وتصرف في الكون، وتصرف في أمور الآخرة، بل واعتقاد تصرفهم أحياء وأمواتاً، كما تقدم في مبحث قولهم في توحيد الربوبية، ونجدهم بالمقابل يسلكون مذهب الجبرية في نفي قدرة العبد على شيء، وأن الأفعال تنسب إليه مجازاً لا حقيقة.

والجبر في اللغة هو: القهر والإكراه(١).

والمراد به هنا: الذين ينفون الفعل حقيقة من العبد، ويضيفونه إلى الربِّ تعالى(٢).

وقد سلكت صوفية حضرموت مذهب الجبرية مستعملة طرقاً ملتوية، مؤداها عين مذهب الجبرية، وسموا بدعتهم تلك بالكسب وهي لا تغير من الحقيقة شيئاً، وسبب ضلالهم في هذا الباب تركهم مذهب السلف في هذه المسائل واتباع مذاهب، ومشارب أهل البدع المخالفين للمذهب الحق، ومن هذه المذاهب المنحرفة مذهب الجبرية، وكان انحراف القوم في هذا الباب تبعاً للمذهب الأشعري الذي ينتسبون إليه، فهم بذلك يضيفون لمذهبهم الصوفي بدعاً كلامية فوق بدعهم السابقة، والله المستعان.

ونفي الجبرية الفعل عن العبد، وإضافته إلى الربِّ معناه: «أن الله ـ تعالى

---

(١) انظر: لسان العرب (١/ ٣٩٥) مادة: (جبر).

(٢) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٧٢)، تحقيق وتعليق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

وتقدس - يجبر العباد على أعمالهم، فهم مجبورون على أفعالهم، ليس لهم أي دور فيها، فهم كورقة الشجر تحركها الرياح، وإنما تضاف الأعمال إلى العباد على جهة المجاز»(١).

والجبرية قسمان: جبرية خالصة: وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً، ولا قدرة على الفعل أصلاً، وإنما هو كالريشة في مهب الريح، أو ورق الشجر تحركها الرياح.

وجبرية متوسطة: وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة(٢).

وفرق الجبرية كثيرة منها: الجهمية(٣)، والنجارية(٤)، والضرارية(٥) ومن سلك سبيلهم كالأشاعرة القائلين بالكسب، وحقيقته مذهب الجبرية.

---

(١) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنَّة ومذاهب الناس فيه، تأليف: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود (ص٢٠٠).

(٢) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٨٥)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط١، ١٣٨٧هـ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ودائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد (٣/ ٢٤)، ط٣، ١٩٧١م، دار المعرفة، بيروت.

(٣) الجهمية: أتباع جهم بن صفوان السمرقندي، كان مولى لبني أسد، الضال المبتدع، رأس الجهمية. كان في زمن صغار التابعين، وتتلمذ على يد الجعد بن درهم، وورث عنه التعطيل. وقد قتله سلم بن أحوز المازني في آخر زمن بني مروان. ومن مقالات الجهمية: تعطيل الصفات عن الباري، والقول بالجبر، وإنكار الاستطاعات كلها، والقول بفناء الجنة والنار، والإيمان عندهم المعرفة بالقلب فقط، والكفر هو الجهل بالله لا غير. انظر: الفرق بين الفرق (ص١٥٨ ـ ١٥٩)؛ والملل والنحل (١/ ٨٦ ـ ٨٨)؛ والسير (٦/ ٢٦)؛ وميزان الاعتدال (٢/ ١٥٩)؛ ولسان الميزان (٢/ ١٤٢)..

(٤) النجارية: هم أتباع حسين بن محمد بن عبد الله النجار المتوفى سنة ٢٢٠هـ، كان يزعم أن الله لم يزل جوادا بنفي البخل عنه، وأنه لم يزل متكلماً بمعنى غير عاجز عن الكلام، وأن كلام الله تعالى محدث مخلوق، وكان يقول بقول المعتزلة في التوحيد إلا في باب الإرادة والجود، وكان يخالفهم في القدر ويقول بالإرجاء. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٢)؛ والفرق بين الفرق (ص٢٠٧)؛ والملل والنحل (١/ ٧٥).

(٥) الضرارية: هم أتباع ضرار بن عمرو الغطفاني المتوفى سنة ١٩٠هـ، كان يزعم أن معنى كلام الله عالم قادر: أنه ليس بجاهل ولا عاجز، وكذلك كان يقول في سائر صفات الباري. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٦).

دعوى إطلاع أوليائهم على علم الغيب:

من مراتب القدر مرتبة العلم، ومن علم الله تعالى علمه بالمغيبات سبحانه، وقد نازع كثير من صوفية حضرموت الله تعالى بادعاء علم أوليائهم للغيب، فادعوا معرفتهم بالأمور التي استأثر الله بعلمها، كمعرفة ما في الأرحام، ومتى يموت الشخص وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

قال مؤلف كتاب تاريخ النور السافر: «إن الشيخ أبا بكر بن عبد الله العيدروس، قدس الله روحه، قال لابن أخيه وهو جدي عبد الله بن شيخ بن الشيخ عبد الله العيدروس: تَمَنّ. فقال: ما أريد إلا البركة والدعاء لي بذرية صالحة، فقال له: يا عبد الله سيلد لك من الأولاد الذكور فلان، وفلان، وفلان وسماهم: أبو بكر، وشيخ، وحسين وكان إذ ذاك جدي لم يتزوج بعد، ثم خرج إلى حضرموت بعد وفاة عمه المشار إليه وتزوج بها امرأة، فولدت له الأولاد كما ذكر، وسماهم بتلك الأسماء التي سماهم بها الشيخ»[1].

وجاء في كتاب كنوز السعادة الأبدية: «ومرة سار الحبيب أبو بكر إلى بور فجاء إلى عنده عوض بن زين مخدم أبو الشيخ حسن فقال: يا حبيب أبا بكر رتب لي الفاتحة با سافر، فقال: أين بغيت يا عوض ما معك إلا أربعون يوماً با توصلك إلى أين؟! فتأخر عن السفر، وأرّخ كلام الحبيب فلما تمت الأربعون توفي»[2].

وادعى بعضهم معرفة مصير الشخص هل هو من أهل السعادة أم من أهل الشقاوة؟[3]، وادعى بعضهم اطلاع مشايخهم على تقدير الله تعالى ومعرفة ما في الأرحام، وهل هو ذكر أو أنثى وكذا معرفة مصيره ومستقبل أمره بعد ولادته وغير ذلك[4].

---

(١) تاريخ النور السافر (ص٢٨٠). (٢) كنوز السعادة الأبدية (ص٥٨).

(٣) انظر: كنوز السعادة الأبدية (ص١٠٨)؛ والبرقة المشيقة (ص١٤١). وانظر ادعاء معرفة ما في الأرحام ومعرفة مستقبل المولود بعد خروجه: شرح العينية (ص٢١٤).

(٤) انظر: لوامع النور (ص١١٤).

ولا شك أن هذا من أعظم المحادة لله تعالى ولدينه، حيث يقر عبد القادر العيدروس دعوى العيدروس علمه بمقادير الأمور، وبما قدره الله في الأزل، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

وقد بيّنت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لا يعلم ما في غد فضلاً عن الغيب كله فقالت: «... ومن حدّثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾»[(١)].

ويقول شيخ بن عبد الله العيدروس في كلام له عن مناقب علوي بن محمد بن علي: «كان الشيخ الكبير الولي الكبير والولي الشهير علوي بن الشيخ القطب الفقيه محمد بن علي أراد أن يترك التزوج إيثاراً للانقطاع في العبادة، فهتف به هاتف من ظهره: نحن في ظهرك ذرية صالحة، تزوج وأخرجنا وإلا خرجنا من ظهرك، فتزوج بعد ذلك وولد له أولاد تناسلوا بذرية طيبة مباركة صالحة»[(٢)]، وقد بينا كثيراً من نصوص القوم في دعوى اتصاف أوليائهم بصفات الله تعالى ومنها علم الغيب، وفي مقابل هذا الغلو نجد القوم قد اضطربوا فقالوا بعقيدة الجبر في القدر، ونفي قدرة العبد، وسموا ذلك كسباً.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «والله تعالى أمر أن تدفع السيئة ـ وهي من قدره ـ بالحسنة ـ وهي من قدره ـ وكذلك الجوع من قدره، وأمر بدفعه بالأكل الذي هو من قدره، ولو استسلم العبد لقدر الجوع مع قدرته على دفعه بقدر الأكل، حتى مات مات عاصياً، وكذلك البرد والحر والعطش كلها من أقدار الله، وأمر بدفعها بأقدار تضادها، والدافع والمدفوع والدفع من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، بابٌ حدثنا يحيى (ص٩٥٤) برقم (٤٨٥٥) واللفظ له؛ ورواه مسلم في صحيحه بنحوه: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ (ص٩٧) برقم (١٧٧).

(٢) العقد النبوي (٤٨/١)؛ وتاريخ النور السافر (ص٢٨٠).

قدره»[١]، وأما بدء أمر مذهب الجبر فقد كان على يد الجعد بن درهم[٢]، ثم أخذه عنه الجهم بن صفوان واشتهر عنه[٣].

والجهم بن صفوان اشتهر بهذه البدعة الشنيعة مع بدعه الأخرى التي زرعت شراً عظيماً في هذه الأمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمقصود هنا أن جهماً اشتهر عنه بدعتان إحداهما: نفي الصفات، والثانية: الغلو في القدر والإرجاء»[٤].

هذا هو أصل بدعة الجبر، ومن ثم تسربت لبعض الفرق، ومن تلك الفرق؛ فرقة الصوفية التي نحن بصدد ذكر انحرافهم في هذه المسألة، لتأثر المتصوفة بعلم الكلام فظهر فيهم متكلمة نقلوا إلى مذهبهم الخليط بدعاً في القدر وما يلحق به، كما سيأتي من نصوصهم في ذلك والرد عليها ـ إن شاء الله تعالى ـ.

النصوص الدالة على قول صوفية حضرموت بالجبر والرد عليها:

أدخل متكلمة صوفية حضرموت كثيراً من بدع مذهب الأشاعرة على مذهبهم الصوفي، ومن تلك البدع القول بكسب[٥] الأشعري في مسألة خلق

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية (١/ ٢٢٦)، مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث، القاهرة. وانظر: الملل والنحل (١/ ٧٣)، ط دار الكتب العلمية.

(٢) هو الجعد بن درهم من الموالي، مبتدع ضال، أول من قال: إن القرآن مخلوق، وأول من نفى الصفات عن الباري، وعنه انتشرت هذه المقالة الخبيثة فأخذتها الجهمية وسائر المعطلة، وعنه أخذ الجهم بن صفوان وبه تخرج. هلك الجعد قتيلا يوم عيد الأضحى، حيث ضحى به الأمير خالد بن عبد الله القسري في قصة مشهورة. انظر: تاريخ الإسلام (٧/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨)؛ وميزان الاعتدال (١/ ٣٩٩)؛ والبداية والنهاية (٩/ ٣٥٠).

(٣) انظر: الفصل (٤/ ٢٠)؛ والكامل لابن الأثير (٤/ ٣٣٢)؛ والبداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٣٥٠)، (١٠/ ١٩)؛ ولوامع الأنوار البهية (١/ ٩٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٢٩).

(٥) الكسب من بدع الأشعري حيث لم يفسروه تفسيراً واضحاً، ومؤداه مذهب الجبرية وسيأتي الكلام عنه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

أفعال العباد، وحقيقته نفي فعل العبد وقدرته، واتبعوا في نفي ذلك طرقاً ملتوية، وشبهاً واهية يأتي الرد عليها، وهذا تفريط قابل إفراطاً وغلواً ـ سبق الكلام عليه ـ وهو قولهم: أن أولياءهم يتصرفون في الكون أحياء وأمواتاً كما ذكر علي العطاس عن أقطابهم الكبار فقد قال في رسالة كتبها لبعضهم جاء فيها: «وأنت تعلم وأنا وجميع الخلق أن جميع الأمة وخصوصاً المشاهير من الأيمة[١] إنما يقومون في القرى، والأمصار[٢]، وبين العمائر والعمران، كالفقيه المقدم، والسقاف، والعيدروس بتريم، والقديم بشبام والغرفة، والحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس بحريضة، والشيخ بالوعار، والشيخ سعيد بن عيسى العمودي عمود الدين والدنيا والآخرة بين الهجرين ودمون وحفدون وقيدون[٣]... إلخ»[٤].

فهذا نص من نصوص كثيرة تقدم الكلام عنها في مبحث قولهم في الربوبية، مما يدل على مدى الاضطراب في منهج الصوفية، إذ هو عبارة عن مذهب ملفق وخليط من مذاهب مختلفة، ونحل متشعبة.

وفي هذا المطلب نذكر نصوص كبار متكلميهم القائلين بعقيدة الجبرية في نفي الفعل عن العبد، فمن ذلك ما قرره قطبهم عبد الله بن علوي الحداد مجيباً من سأله عن قولهم في أفعال العباد: فأجاب: «وأما ماهية الكسب الذي نقول به، فهو شيء يعرفه الإنسان من نفسه، إذ لا يعزب عن عاقل الفرق بين أفعاله الاضطرارية والاختيارية، وأنه في الاضطرارية منها مجبور، وفي الاختيارية غير مستقل»[٥].

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) هذا الكلام بالعامية ومعناه: أن هؤلاء المذكورين لهم تصرف في هذه المدن والقرى المذكورة وذلك بعد موتهم حيث يقيمونها لأهلها، ويحفظونها لهم من الشرور، كذا ـ زعموا ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٣) كل هذه القرى تابعة لوادي دوعن تقدم التعريف بها.

(٤) المقصد إلى شواهد المشهد، لعلي بن حسن العطاس (ص٤١٣).

(٥) النفائس العلوية (ص٩٥ ـ ٩٦).

ويقول أيضاً: «وإن ما يصدر عنهم من الأفعال الاختيارية، نسبة إضافة إليهم، تسمى الكسب والعمل إلى أن قال: ومن زعم أن الإنسان له مشيئة وقدرة على أفعاله الاختيارية، فهو مبتدع معتزلي»(١).

ويقول ابن شهاب: «والحق الصحيح أنه لا تأثير لقدرتنا في شيء من أفعالنا، وإلا لزم اجتماع مؤثرين على أثر، وهو باطل كما سيأتي، وإنما خلق الله للعباد قدرة على أفعالهم الاختيارية كالحركات، والسكنات، والقيام والقعود وغيرها تقارنها اقتراناً عادياً، جايز التخلق لا تؤثر فيها أصلاً بل قدرتنا وما قارنها من الأفعال مخلوق لمولانا ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]. نعم مقارنة تلك القدرة لتلك الأفعال الاختيارية هو المسمى في الشرع بالكسب، والاكتساب وبحسبه تضاف الأفعال للعباد، كما قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]»(٢).

ويقول شيخ بن محمد الجفري: «واعلم أن الله ﷻ إذا قضى أمر النبي، أو ولي ولم يجعل عليه في ذلك من حرج ولا سبب نقصان لأن العبد مجرى لأيادي القدرة»(٣).

وجاء في كتاب الحديقة الأنيقة في تقرير مسألة الإيمان بالقدر قال بحرق: «ثم اعلم أيضاً: أنه ليس معنى القدر إجبار الله العبد وقهره على ما قضاه عليه؛ بل للعبد أفعال اختيارية تسمى كسباً، هي مناط التكليف عند استطاعته وصرف الموانع عليه، وعليها يترتب المدح والذم، والثواب والعقاب إلى أن قال: لأن العبد عند استطاعته إذا قصد الفعل وأراده وصمم عزمه عليه أحدث الله فيه قدرة مقارنة للفعل تسمى عند قصد الطاعة توفيقاً، وعند قصد المعصية خذلاناً»(٤). ويقول علي بن عيسى الحداد في بيان أحوال الصوفية

---

(١) إتحاف السائل (ص٢٧ ـ ٢٨).
(٢) نوافح الورد جوري (ق٣٣). وانظر: نفس المصدر (ق٣٤).
(٣) كنز البراهين الكسبية (ص١٧٧).
(٤) الحديقة الأنيقة: (ص٧٩).

وموقفهم من أفعال الله تعالى: «لكن هؤلاء غلب فيهم شهود الحق، فلا يرون لأنفسهم عملاً، ولا ينسبون لأحد فعلاً؛ لأنه من حيث صدوره من الله حميد، كما قال بعض العارفين:

إذا ما رأيت الله للكل فاعلا ... وجدت جميع الكائنات ملاحا
وإن لم تر إلا مظاهر صنعه ... حجبت فصيرت الحسان قباحا»[١]

ذكر عبد القادر العيدروس أشعاراً لبعضهم في تقرير عقيدة القوم في القدر، منها:

أذنبت والرحمٰن ذو منة ... بالعفو والغفران لمذنبين
وأوقعني في الذنب تقديره ... وهو تعالى أرحم الراحمين[٢]

وكذا قرر سقاف الجفري[٣] نفي قدرة العبد وأنه لا تأثير لأي قدرة سوى قدرته تعالى، حيث قال: «فلا حكم على العباد قبل بعثة الرسل، لا أصلياً، ولا فرعياً وإن استقل العقل بفهم ذلك قد قضى: حَكَمَ في سابق علمه على من خصصه بإرادته بخير وإيمان وطاعة، وشر كفر، ومعصية فهو للجميع مقدر مؤثر بإيجاده وإعدامه ما أراد فيمن أراد، فلا تأثير لغير قدرته، وليس لأحد فعل، نعم رتب حكم الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية لوجود القدرة لنا المقارنة لقدرته تعالى عند خلقه لنا الحركات والسكنات ونسب ذلك إلينا كسباً»[٤].

---

(١) نور البصيرة (١/٨١). وانظر تقرير القوم لكسب الأشعري: عمدة المحقق (ق٢)؛ وفتح المجيد، لمحمد بن عبد الله باسودان (ص٣).

(٢) تاريخ النور السافر (ص١٩٨).

(٣) هو سقاف بن محمد بن عيدروس الجفري، ولد بمدينة تريس من حضرموت، ودرس على مشايخ حضرموت ثم رحل للتجارة فقصد رداع سنة ١٢١٦هـ فمكث بها مدة تاجراً ومدرساً، وتوفي سنة ١٢٣٩هـ، من مؤلفاته: صفوة العقيدة الأشعرية في شرح الأبيات اليافعية، والنهر المتدفق على حدائق عمدة المحقق شرح منظومة في أصول الدين. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/٦٦)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص١٦٢).

(٤) صفوة العقيدة الأشعرية (ق٤). وانظر: القول بالاقتران في القدرة، المصدر السابق (ص٤).

وجاء في كتاب (نبذة سيدنا الشيخ عمر المحضار): «وفي الحقيقة إن ما لأحد حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الخلق مسيرين لا مخيرين ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً»[١].

وجاء فيه أيضاً: «وفي الحقيقة إن ما أحد يتحرك ولا يسكن ولا يطيع ولا يعصي إلا بمشيئة الله، ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً ولا نتكلم إلا بالشريعة، فهي الرحمة، ومظهر السر»[٢].

ويقول ابن شهاب: «لا تأثير لحادث في فعل أصلاً، فليس للعبد تأثير في فعله ولا النار في الإحراق ولا نحو ذلك»[٣].

ويرد على نصوصهم السابقة بأن القول بالكسب قول مبتدع حقيقته القول بالجبر، وأهل السنّة قاطبة على أن أفعال العباد مخلوقة خلقها الله تعالى في الفاعلين، فإن «جمهور أهل السنّة قائلون بذلك وهم قائلون إن العبد فاعل لفعله حقيقة لا مجازاً، وإنما نازع في ذلك طائفة من متكلمة أهل الإثبات؛ كالأشعري ومن اتبعه»[٤].

وأما احتجاجهم بالكسب لنفي قدرة العبد والاستدلال له بشبه ونحوها فلا يصح ما ذكروه لوجوه منها:

الوجه الأول: إن النصوص الشرعية جاءت مبينة أن للإنسان أفعالاً كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩]. فأثبت الله تعالى لهم الفعل، لذا عاقبهم على ذلك باللعن على فعلهم لا على فعل غيرهم.

---

(١) نبذة سيدنا الشيخ عمر المحضار، تأليف: محمد بن صالح بن حسن الحامد العلوي (ص٢١).

(٢) المصدر السابق (ص٥٦).

(٣) النوافح (ق٣٧ ـ ٣٨).

(٤) منهاج السنّة النبوية (٣/٢٥٧).

الوجه الثاني: إن النصوص قد أثبتت أن للإنسان اختياراً كما قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الواقعة: ٢٠]. وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨]. لأن الاختيار الذي هو فعل الله تعالى وهو منفي عما سواه هو غير الاختيار الذي أضافه إلى خلقه ووصفهم به؛ إذ إن الاختيار الذي توحد الله به هو أن يفعل ما شاء كيف شاء وإذا شاء، وليست هذه صفة شيء من خلقه. أما الاختيار الذي أضافه الله تعالى إلى خلقه فهو ما خلق فيهم من الميل إلى الشيء والإيثار له على غيره فقط.

الوجه الثالث: إن الاشتراك في الأسماء لا يقع من أجله التشابه، فمثلاً نقول: إن الله تعالى حي، والإنسان حي ولا يوجب هذا اشتباهاً بلا خلاف، وإنما يقع الاشتباه بالصفات الموجودة في الموصوفين، وهذا غير موجود هنا، إذ أن هناك فرقاً بين الفعل الواقع من الله تعالى، والفعل الواقع منا، وهو أن الله اخترعه وجعله جسماً أو عرضاً أو حركة أو سكوناً أو معرفة أو إرادة أو كراهية، وفعل تعالى كل ذلك فينا بغير معاناة منه، وأما نحن فإنما كان فعلاً لنا؛ لأنه تعالى خلقه فينا وخلق اختيارنا له وأظهره سبحانه فينا محمولاً لاكتساب منفعة أو دفع مضرة ولم نخترعه[1].

والقوم هربوا من عقيدة القدرية التي جعلت الإنسان يستقل بخلق فعل نفسه، فوقعوا في القول المقابل وهو القول بعقيدة الجبرية الضلال، التي نفت عن العبد فعله وقدرته التي هي مناط الثواب أو العقاب، وهذا اعتقاد باطل؛ فإنه لا يترتب على القول بأن للعبد قدرة ومشيئة تحت قدرة الله تعالى ومشيئته ما اعتقدوه من قصور قدرة الله عن بعض المخلوقات، ووجود الشريك إلا إذا قيل: بأن العبد مستقل بقدرته ومشيئته.

ثم إنه لا تنافي بين وجود قدرة للعبد تحت قدرة الله يفعل بها، فتكون

---

(١) الفصل، لابن حزم (٣/ ٢٤) المطبعة الأدبية بمصر (بتصرف). وانظر: وسطية أهل السنَّة في القدر، تأليف: د. عواد بن عبد الله المعتق (ص٢٥)، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

أعماله خلقاً له مخلوقة لله[١].

وقد ردّ أهل العلم على مذهب الجبرية الضال، وبينوا انحرافه عن الحق، ومن أولئك العلماء الإمام ابن حزم في كتابه (الفصل) حيث قال: «وخطأ هذه المقالة ظاهر بالحس والنص وباللغة التي بها خاطبنا الله تعالى وبها نتفاهم فأما النص: فإن الله ﷻ قال في غير موضع من القرآن: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الواقعة: ٢٤]. ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]. ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف: ١٠٧]. فنص تعالى على أننا نعمل ونفعل ونصنع.

وأما الحس: فإن بالحواس وبضرورة العقل وببديهة علمنا يقينا علماً لا يخالج فيه الشك أن بين الصحيح الجوارح، وبين من لا صحة بجوارحه فرقاً لائحاً لجوارحه؛ لأن الصحيح الجوارح يفعل القيام والقعود، وسائر الحركات مختاراً لها دون مانع، والذي لا صحة لجوارحه، لو رام ذلك جهده لم يفعله أصلاً، ولا بيان أبين من هذا الفرق، والمجبر في اللغة هو: الذي يقع الفعل منه بخلاف اختياره وقصده؛ فأما من وقع فعله باختياره وقصده فلا يسمى في اللغة مجبراً، وإجماع الأمة كلها على لا حول ولا قوة إلا بالله مبطل قول المجبرة، ووجب أن لنا حولاً وقوة، ولكن لم يكن لنا ذلك إلا بالله تعالى، ولو كان ما ذهب إليه الجهمية لكان القول: لا حول ولا قوة إلا بالله لا معنى له، وكذلك قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨ ـ ٢٩]. فنص تعالى على أن لنا مشيئة إلا أنها لا تكون منا إلا أن يشاء الله كونها»[٢].

وقد أقرت صوفية حضرموت أن أفعال العباد مخلوقة، إلا أنهم خالفوا الحق في مسألة نسبة الفعل إلى العبد، فوافقوا الأشاعرة في القول بالجبر الذي يسمونه كسباً؛ أي أن الأفعال تنسب للعبد مجازاً لا حقيقة، ويترتب على قولهم هذا مفاسد كثيرة: من القول بإبطال التكليف، وإبطال الثواب والعقاب

(١) انظر: وسطية أهل السنَّة في القدر (ص٢٦).

(٢) الفصل (٣/١٤ ـ ١٥)، ط مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.

على الأعمال إذ كيف يحاسب العبد على أفعال لا دخل له فيها؛ لأنه مجبور فهو كالمكره وغير ذلك من المفاسد التي ترتب على هذا القول عند التأمل.

وقد بيّن أهل العلم أن الكسب الذي ابتدعته الأشعرية لا معنى له فلم يستطيعوا تحديده، فهم قد اختلفوا فيه وفي تعريفه على أقوال شتى(١).

بل اعتبر أهل العلم القول بالكسب قولاً لا حقيقة تحته، ولا معنى له حتى قيل(٢):

مما يقال ولا حقيقة تحته	معقولة تدنو إلى الأفهامِ
الكسب عند الأشعري والحال	عند البهشمي وطفرة النظّامِ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومن النكت في هذا الباب أن لفظ التأثير، ولفظ الجبر، ولفظ الرزق ونحو ذلك ألفاظ مجملة؛ فإذا قال القائل: هل قدرة العبد مؤثرة في مقدورها أم لا؟ قيل له: أولاً: لفظ القدرة يتناول نوعين:

أحدهما: القدرة الشرعية المصححة للفعل التي هي مناط الأمر والنهي.

والثاني: القدرة القدرية الموجبة للفعل التي هي مقارنة للمقدور لا يتأخر عنها، فالأولى هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. فإن هذه الاستطاعة لو كانت هي المقارنة للفعل لم يجب حج البيت إلا على من حج، فلا يكون من لم يحج عاصياً بترك الحج؛ سواء كان له زاد وراحلة وهو قادر على الحج، أو لم يكن وكذلك قول النبي ﷺ لعمران بن حصين: «صلّ قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب»(٣). وكذا قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾

---

(١) انظر: الروض الباسم، لابن الوزير (١/١٨ ـ ٢٥).

(٢) انظر كلام أهل العلم في ذلك: مجموع الفتاوى (٨/١٢٨)؛ والروض الباسم لابن الوزير (٢/٢١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أبواب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب (ص٢٢١) برقم (١١١٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

[التغابن: ١٦]. وقوله: «فإذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم»[(١)]، لو أراد استطاعة لا تكون إلا مع الفعل لكان قد قال: فافعلوا منه ما تفعلون فلا يكون من لم يفعل شيئاً عاصياً»[(٢)].

وقال أيضاً: «وأشد الطوائف قرباً من هؤلاء هو الأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وهو مع هذا يثبت للعبد قدرة محدثة، واختياراً ويقول: إن الفعل كسب للعبد؛ لكنه يقول لا تأثير لقدرة العبد في إيجاد المقدور، فلهذا قال من قال: إن هذا الكسب الذي أثبته الأشعري غير معقول، وجمهور أهل الإثبات على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها، كما تؤثر القوى والطبائع وغير ذلك من الشروط والأسباب»[(٣)].

ومما تقدم يتبيّن لنا أن مذهب السلف الإقرار بأن للعبد فعلاً حقيقة، وهو مخلوق لله تعالى، ومفعول له سبحانه، وليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق[(٤)].

ويرد عليهم كذلك بما يشاهده الإنسان من أن العبد يعمل العمل بإرادته واختياره، وإرادة الإنسان وقدرته وعقله، وكذا الآلة التي استخدمها كل ذلك مخلوق، فتضاف الأعمال حقيقة إلى العبد إضافة المسبب إلى السبب؛ لأن العبد بإرادته وقدرته هو سبب وجود تلك الأعمال، وقد جعل الله لكل شيء سببا فهي تضاف إلى الله إضافة المخلوق[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (ص٥٢٩) برقم (١٣٣٧). وانظر: رقم (٢٣٥٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ١٢٩).

(٣) منهاج السنَّة النبوية (٣/ ١٠٩).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص٣٨٣ ـ ٣٩١)؛ وابن حزم وموقفه من الإلهيات (عرض ونقد)، تأليف: د. أحمد بن ناصر الحمد (ص٤٢١ ـ ٤٢٣).

(٥) انظر: الرد الأثري المفيد على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد في مسائل الاعتقاد تأليف: عمر بن محمود أبو عمر (ص١٠٧).

وأما قول علي بن عيسى الحداد «أن الفاعل حقيقة هو الله تعالى، وما يرى في الكون ما هو إلا مظاهر»: هذا الكلام فيه إجمال، وغموض وقد جر بعضهم التأثر بمثل هذه العبارات إلى القول بوحدة الوجود كما تقدم، وجر البعض الآخر إلى صرف العبادات لأوليائهم بحجة أنهم أسباب، وأن الفاعل حقيقة الله تعالى، فوقعوا في التوسل الشركي، وكذا الاستغاثة والدعاء وطلب الشفاعة الشركية ونحو ذلك من الانحرافات التي سبق ذكرها.

أما احتجاجهم للذنوب بالقدر فهذا احتجاج باطل لأن من: «احتج بالقدر على المعاصي فحجته داحضة، ومن اعتذر به فعذره غير مقبول؛ بل هؤلاء الضالون كما قال فيهم بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري؛ أي مذهب وافق هواك تمذهبت به، فإن هؤلاء إذا ظلمهم ظالم؛ بل لو فعل الإنسان ما يكرهونه وإن كان حقاً لم يعذروه بالقدر، بل يقابلوه بالحق والباطل، فإن كان القدر حجة لهم فهو حجة لهؤلاء وإن لم يكن حجة لهؤلاء لم يكن حجة لهم، وإنما يحتج أحدهم بالقدر عند هواه، ومعصية مولاه لا عند ما يؤذيه الناس ويظلمونه، وأما المؤمن فهو بالعكس في ذلك إذا آذاه الناس نظر إلى القدر فصبر، واحتسب، وإذا أساء هو تاب، واستغفر كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]. فالمؤمن يصبر على المصائب، ويستغفر من الذنوب، والمعايب، والمنافق بالعكس، لا يستغفر من ذنبه، بل يحتج بالقدر، ولا يصبر على ما أصابه، فلهذا يكون شقياً في الدنيا والآخرة، والمؤمن سعيداً في الدنيا والآخرة»[1].

وكذلك فإن كل من احتج بالقدر على ذنوبه وخطاياه فإنه متناقض، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «بل كل من احتج بالقدر فإنه متناقض، فإنه لا يمكن أن يقر كل آدمي على ما فعل، فلا بد إذا ظلمه ظالم أو ظلم الناس

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٤١).

ظالم وسعى في الأرض بالفساد، وأخذ يسفك دماء الناس، ويستحل الفروج، ويهلك الحرث والنسل، ونحو ذلك من أنواع الضرر التي لا قوام للناس بها أن يدفع هذا القدر، وأن يعاقب الظالم بما يكف عدوان أمثاله، يقال له: إن كان القدر حجة فدع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك، وإن لم يكن حجة بطل أصل قولك حجة وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية لا يطردون هذا القول ولا يلتزمونه، وإنما هم بحسب آرائهم وأهوائهم كما قال فيهم بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري أي مذهب وافق هواك تمذهبت به»(١).

وقد نقل أحد شيوخ الصوفية وهو علي بن حسن العطاس كلاماً للإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في هذه المسألة مقراً له مما يلزم صوفية حضرموت الاعتراف بأن للعبد قدرة وتأثيراً في فعله الذي به يثاب، قال الإمام النووي: «فأن الله إنما يعاقب العباد ويثيبهم على ما وقع منهم من العمل لا على ما يعلمه قبل وقوعه؛ وإلا فهو سبحانه عالم بجميع الأشياء قبل وقوعها(٢)»(٣).

وما نقله العطاس عن النووي رَحِمَهُ اللهُ هو الحق في هذه المسألة فيلزم صوفية حضرموت القول به، لموافقته للنصوص الشرعية، ويعتبر الإمام ـ أحد كبار علماء الشافعية ـ الذين تعتمدهم صوفية حضرموت في تلقي مسائل الفقه.

وقد جاء في القرآن إثبات فعل العبد وأن له عملاً وقدرة مثل: ذكر الله تعالى العباد بأنهم يعملون، ويفعلون، ويتقون، ويكفرون، ويتفكرون... إلخ.

ومن الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: ٩]. وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

---

(١) العبودية لشيخ الإسلام ضمن مجموع الفتاوى (١٠/ ١٦٤ ـ ١٦٥).

(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي (١٧/ ١٩٨)، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

(٣) المقصد إلى شواهد المشهد، لعلي بن حسن العطاس (ص١٦٢).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران: ١٨٢].

وقد ردّ السلف على هذا المذهب المنحرف وبينوا أن أَمْرَ الله أعظم من أن يجبر أو يعضل الخلق؛ ولكن يقضي ويقدر ما أراده جلَّ وعلا[١].

قال مطرف بن عبد الله بن الشخير[٢] رَحِمَهُ اللهُ: «ليس لأحد أن يصعد فيلقي نفسه من شاهق، ويقول: قدّر لي ربي. ولكن يحذَر ويجتهد ويتقي، فإن أصابه شيء علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له»[٣].

ولعدم معرفة صوفية حضرموت لمذهب السلف في هذه المسألة اضطربوا وتحيروا ووقعوا في السبل المنحرفة التي حذر الله تعالى منها بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فصار لهم أقوال مختلفة في هذا الباب، فهم يقولون بالجبر (كسب الأشعري) ومع ذلك يرون أن أوليائهم يخلقون فعل أنفسهم، بل ويتصرفون في الكون وفي الخلق، ويدعون لهم الربوبية من الإحياء والإماتة، والقول للشيء كن فيكون، وادعاء علم الغيب، والتصرف بأمور الدنيا والآخرة، كما تقدم في مباحث قولهم في توحيد الربوبية[٤]، وكما سيأتي في قولهم في اليوم الآخر ـ إن شاء الله ـ، وهذا كما ذكرنا سابقاً مما يوضح اضطراب أقوالِ أهل البدع في أبواب الاعتقاد وتناقضها؛ لأنها قائمة على الضلال والانحراف الذي أقاموه على شفا جرف هار سرعان ما انهار بهم ـ والعياذ بالله ـ.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٢٣).

(٢) هو أبو عبد الله مطرّف بن عبد الله بن الشخير الحرشي العامري البصري، حدث عن بعض الصحابة كعثمان وعلي وعمار وأبي ذر وغيرهم، وحدث عنه الحسن البصري وثابت البناني ومحمد بن واسع وغيرهم. وحديثه عند أصحاب الكتب الستة. توفي سنة ٨٦هـ وقيل غير ذلك. انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ١٤١)؛ السير (٤/ ١٨٧ ـ ١٩٥).

(٣) الحلية لأبي نعيم (٢/ ٢٠٢)؛ والسير (٤/ ١٩١).

(٤) انظر: مصباح الأنام (ص١٦، ٣٢، ٤٦، ٤٨).

ومن خلال نصوصهم يتضح أن الولي لا يدخل عندهم في الجبر (الكسب)، وإنما الجبر وعدم التأثير للأفعال إنما ذلك لعموم الخلق، أما الولي عندهم فله منزلة تضاهي منزلة الربّ ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ـ.

انحراف صوفية حضرموت في مسألة الأسباب:

تمهيد:

جاءت النصوص الكثيرة التي تأمر باتخاذ الأسباب المأذون بها في الشرع، وكل ذلك لا يخرج عن قدر الله تعالى، كما لا يقتضي الإيمان بالقدر ترك العمل الذي يفضي إلى الخمول والدعة والبطالة، والاتكال على الغير، بل إن هذا ينافي حقيقة التوكل ومباشرة الأسباب التي جاء بها الشرع وكذلك العقل والفطرة.

وقد ثبت في الصحيحين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس، فجعل ينكث بمخصرته ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة» قال: فقال رجل يا رسول الله: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: «أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل: ٥]»[1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: «فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر، وقعود أصحابه حوله (ص٢٦٥) برقم (١٣٦٢) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (ص١٠٦١ ـ ١٠٦٢) برقم (٢٦٤٧)، من حديث علي رضي الله عنه.

عليه، بل يوجب الجد والاجتهاد، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال: ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن.

وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم، فإن النبي ﷺ أخبرهم بالقدر السابق، وجريانه على الخليقة بالأسباب، فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ومكّن منه وهيئ له، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق في أم الكتاب، وكلما ازداد اجتهاداً في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى إليه...»[1].

وقد علق الله تعالى الأشياء بمسبباتها وربطها بها سبحانه، والأسباب نفسها من قدر الله تعالى لا تخرج عنه، ولا يتعلق العبد بها، بل يتعلق بخالقها جلَّ وعلا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب، فإن المطر إذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافياً في حصول النبات؛ بل لا بد من ريح مربية بإذن الله، ولا بد من صرف الانتفاء عنه فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع، وكل ذلك بقضاء الله وقدره، وكذلك الولد لا يولد بمجرد إنزال الماء في الفرج، بل كم من إنزال ولم يولد له، بل لا بد من أن الله شاء خلقه، فتحبل المرأة وتربيه في الرحم، وسائر ما يتم به خلقه من الشروط وزوال الموانع»[2].

النصوص الدالة على انحراف صوفية حضرموت في مسألة الأسباب:

وقد انحرفت صوفية حضرموت في فهم مسألة الأسباب، وعلاقتها بمسبباتها، فأسقطوا الأسباب، وانحرافها في ذلك متفرع من مسألة خلق

---

(١) شفاء العليل (ص٥١ ـ ٥٢)، تحرير: الحساني حسن عبد الله، ط مكتبة دار التراث، القاهرة. وانظر لهذه المسألة: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٧٢، ٥٢٤ ـ ٥٣٩)؛ والفتاوى السعدية (ص٣٢ ـ ٣٦)؛ والرياض الناضرة، للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص١٥١ ـ ١٥٤).

(٢) انظر خلاف الناس في الأسباب إلى ثلاثة أقوال: الحجة في بيان المحجة، للأصبهاني (٢/ ٥٢ ـ ٥٥)، مجموع الفتاوى (٨/ ٧٠، ١٧٥، ٤٦٦)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٦٠)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، لعبد الرحمٰن بن صالح المحمود (٣/ ٦٢٨).

الأفعال عند الأشاعرة وهم سلف صوفية حضرموت في ذلك، ومن اضطرابهم في هذه المسألة عدم إثبات قدرة للأسباب في مسبباتها، مع أنهم قد أثبتوا قدرة الأسباب في أمور عظيمة، وهي العبادة، حيث صرفوا العبادة لأوليائهم، لاعتقادهم أن الولي لم يكن إلا سبباً، وما عمله إلا كسباً ظاهراً، والله هو المؤثر الحقيقي.

وسلك مشايخ الصوفية في هذا الزمان مسلك متقدميهم في ترك الأسباب التي أقرها الشرع كالتداوي، فهذا عمر بن حفيظ ـ أحد كبار متصوفة حضرموت المعاصرين ـ يقرر ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢]. ترك الأسباب فيقول: «ولأجل ذلك تكفّل الله لمن مرض فكان يحمد الله، قال تعالى: فاستسلم لقضائي ولم يشكني إلى عواده (الزوار الذين يزورونه وهو مريض) فماذا سيعملون له هؤلاء العواد؟ ولهذا لما زاروا سيدنا أبا بكر الصديق وهو مريض قالوا: أو لا ندعو إليك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني يعني الذي بيده الطب هو أنزل الداء وهو سيرفعه[(١)]»[(٢)].

كما نفى القوم تأثير الأسباب كالإحراق: «فليس لشيء من الأسباب العادية تأثير فيما قارنها فلا أثر للنار في الاحتراق ولا للطعام في الشبع، ولا للسكين في القطع ولا غير ذلك، وإنما المؤثر في كل شيء هو الله فقط وقد أجرى ﷻ العادة بوقوع الاحتراق عند ملامسة النار، والشبع عند الأكل لكنه ممكن التخلف»[(٣)].

وتكلم ابن شهاب على حكم القائل بالأسباب: «أن تأثير السبب في المسبب على أنحاء: فمن اعتقد أن شيئاً من الأسباب العادية يؤثر بطبعه أي بذاته فهو كافر بلا نزاع، ومن اعتقد حدوث الأسباب؛ وأنها لا تؤثر بطبعها بل

(١) جاء في تهذيب الأسماء، للنووي: ١/ ٢٧١: «وقال أبو طيبة مرض ابن مسعود فعاده عثمان فقال ما تشتكي فقال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي قال ألا آمر لك بطبيب قال الطبيب أمرضني». وأخرجه: ابن عبد البر في التمهيد (٥/ ٢٦٩).

(٢) مجلة أنوار التلاقي (ص٥)، العدد (١٢)، شوال ١٤٢٠هـ.

(٣) النوافح (ق٣٤). وانظر (ق٣٥).

بقوة خلقها الله فيها فالصحيح عدم كفره لكنه فاسق مبتدع»[(١)].

ويقول نافياً لقدرة العبد ـ الكسب ـ عند كلامه على عموم قدرة الله تعالى: «وبهذا اتضح أنه لا تأثير لحادث في فعل أصلاً فليس للعبد تأثير في فعله، ولا النار في الإحراق ولا نحو ذلك»[(٢)].

ومن اضطرابهم في القدر عدم سؤال الله تعالى الحاجات بحجة علمه تعالى ما في النفس فلا حاجة للسؤال كما في قصيدة عبد الله الحداد التي ينشدها القوم وهي من أورادهم:

قد كفاني علم ربي   من سؤالي واختياري[(٣)]

ومن أخطائهم كذلك ترك الوسائل والأسباب، يقول علوي الحداد في كلام يصف فيه أهل التوحيد عنده: «وأهل هذا التوحيد ـ أعني توحيد الإلهية ـ لا يلتفتون إلى الوسائط والأسباب ولا يعتمدون عليها شغلاً بمولاهم تعالى ألا ترى إلى الخليل عليه السلام لما رمي به في المنجنيق ليلقى في النار عرض له جبريل عليه السلام وقال: لك حاجة؟ قال: أما إليك فلا وأما إليه فبلى، فقال: سله. فقال إبراهيم عليه السلام: حسبي من سؤالي علمه بحالي[(٤)]»[(٥)].

يقول علوي الحداد في كلام له عن الأسباب وأن الخبز لا يشبع والماء لا يروي والنار لا تحرق وقرر ذلك فقال: «وهذا كلام أنزل الله معناه في كتابه، فإن الشبع، والري، والإحراق حوادث انفرد الربّ سبحانه بخلقها، فلم يخلق الخبز الشبع، ولم يخلق الماء الري، ولم تخلق النار الإحراق، وإن كانت أسباباً في ذلك، فالخالق سبحانه هو المسبب دون السبب كما قال

---

(١) المصدر السابق (ق٣٤).
(٢) المصدر السابق (ق٣٧ ـ ٣٨).
(٣) خلاصة المدد النبوي (٥٦ ـ ٥٨).
(٤) لا أصل له. وقال ابن عراق: «قال ابن تيمية: موضوع». تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (١/ ٢٥٠). وانظر: السلسلة الضعيفة والموضوعة، للعلامة الألباني (١/ ٧٤) برقم (٢١).
(٥) مصباح الأنام للحداد (ص٢٠). وانظر انحراف القوم في هذه المسألة: مصباح الأنام (ص٣٠).

تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] نفى أن يكون رسوله خالقاً للرمي وإن كان سبباً»[١].

وقال: «فكذلك اقتطع الأشعري رحمه الله الشبع، والري والإحراق عن أسبابها وأضافها إلى خالقها لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]. ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]»[٢].

ويجاب عن أقوالهم في الأسباب التي خالفوا فيها مذهب السلف بما يلي:

أما ما قرره ابن حفيظ في ترك الأسباب، مستدلاً بأثر عن أبي بكر رضي الله عنه، ولم يبيّن مصدره ولا درجته، حيث ذكره بلا زمام ولا خطام وذلك لعدم معرفته بالحديث والأثر، وهذا نقص ظاهر، فقد مدح الله تعالى أهل العلم بالكتاب والسنة فقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. وقال ﷺ: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة»[٣].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «... ومن كتب الحديث قويت حجته»[٤]. فاستعاض القوم بعلم الحديث والأثر علومهم المشؤومة التي أبعدتهم عن الحق، وأوصلتهم إلى مهاوي الضلال معتقدين أن هذه هي الحقيقة، والغاية المنشودة التي يستغنى بها عن علوم الشريعة، وجهلوا أو تجاهلوا أن الحقيقة في اتباع الكتاب والسنّة، والسير على طريق سلف الأمة وأئمتها في تلقي الشرع.

وفي نص ابن حفيظ مصادمة للنصوص الشرعية الكثيرة المبيحة للعلاج، بل إن الإنسان قد يأثم ويموت عاصياً إذا فرط في مداواة نفسه، كما لو فرط كذلك في نفسه فلم يأكل مع توفر الطعام فمات؛ فإنه يموت آثماً، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «والله تعالى أمر أن تدفع السيئة وهي من قدره ـ بالحسنة ـ

---

(١) مصباح الأنام (ص١٤). (٢) المصدر السابق.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (ص١٠٨٢) برقم (٢٦٩٩).

(٤) السير (١٠/ ٢٤).

وهي من قدره وكذلك الجوع من قدره، وأمر بدفعه بالأكل الذي هو من قدره، ولو استسلم العبد لقدر الجوع مع قدرته على دفعه بقدر الأكل، حتى مات مات عاصياً، وكذلك البرد والحر والعطش كلها من أقدار الله، وأمر بدفعها بأقدار تضادها، والدافع والمدفوع والدفع من قدره»[١].

ثم إن أبا بكر رضي الله عنه من أشد الصحابة متابعة للرسول ﷺ القائل: «تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواءً، غير داء واحد؛ الهرم»[٢].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد مريضاً فقال: «ألا تدعو له طبيباً». قالوا: يا رسول الله وأنت تأمرنا بهذا؟ قال: فقال: «إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل معه دواء»[٣]. وغير ذلك من النصوص الشرعية الدالة على جواز طلب الدواء من الأطباء.

يقول الشيخ صالح الفوزان ـ وفقه الله ـ: «لا بأس بالتداوي بالأدوية المباحة؛ بل ذهب بعض العلماء إلى تأكد ذلك، حتى قارب به الوجوب؛ فقد جاءت الأحاديث بإثبات الأسباب والمسبَّبات، والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالطعام والشراب»[٤].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية (١/ ٢٢٦)، مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث، القاهرة.
انظر: الملل والنحل (١/ ٧٣)، ط دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٧٢٩)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، دار الفكر العربي، وطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: جماعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط. وزاد: «علمه من علمه وجهله من جهله». وأبو داود في سننه: كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى (ص٤٢٤) برقم (٣٨٥٥)؛ والترمذي في سننه: كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه (ص٣٣٩) برقم (٢٠٣٨) وقال: «حسن صحيح» من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه، وابن ماجه في سننه: كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (ص٣٧٢) برقم (٣٤٣٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨).

(٣) رواه ابن الحمامي في منتخب من مسموعاته (٣٥/ ١). انظر: السلسلة الصحيحة (٦/ ٨٧٥ ـ ٨٧٦) برقم (٢٨٧٣).

(٤) الملخص الفقهي، تأليف: الشيخ صالح بن فوزان الفوزان (١/ ٢٩٣). دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

وقال أيضاً: «وقد جعل الله الشفاء في المباحات النافعة للبدن والعقل والدين، وعلى رأس ذلك القرآن الكريم، والرقية به وبالأدعية المشروعة. ولا بأس بالتداوي بالأدوية المباحة على أيدي الأطباء العارفين وعلاجها في المستشفيات وغيرها»(١).

وقول محمد بحرق الحضرمي في عدم تأثير النار بالإحراق، وأن ذلك عادة، كلام فلسفي يخالف الواقع فإن النار كما هو مشاهد تحرق، خلق الله تعالى لها صفة الإحراق، وكذلك الطعام فيه صفة الشبع وغير ذلك، ولعدم فهم علاقة فعل العبد بقدرة الله تعالى اضطرب القوم في هذا الباب، فأنكروا حتى الحسيات، وقد ردّ أهل العلم على هذا الكلام، وما تعلقوا به من الشبه العقلية المخالفة للصواب، وبيّن العلماء أن الله تعالى ربط الأسباب بمسبباتها وكل ذلك بتقدير الله تعالى لا كما يقول الأشاعرة ومن سلك مسلكهم المنحرف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والمقصود أن هذا مما تقوله أهل الضلال، وأما أهل الهدى والفلاح فيؤمنون بهذا وهذا، ويؤمنون بأن الله خالق كل شيء وربه، ومليكه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وأحاط بكل شيء علماً، وكل شيء أحصاه في إمام مبين، ويتضمن هذا الأصل من إثبات علم الله، وقدرته، ومشيئته، ووحدانيته وربوبيته وأنه خالق كل شيء وربه، ومليكه ما هو من أصول الإيمان ومع هذا فلا ينكرون ما خلقه الله من الأسباب التي يخلق بها المسببات، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ [الأعراف: ٥٧] وقال تعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦]، وقال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٦]. فأخبر أنه يفعل بالأسباب، ومن قال: إنه يفعل عندها لا بها، فقد خالف ما جاء به القرآن، وأنكر ما خلقه الله من القوى والطبائع، وهو شبيه بإنكار ما خلقه الله من القوى التي في الحيوان، التي يفعل الحيوان

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٩٤) باختصار يسير.

بها مثل قدرة العبد، كما أن من جعلها هي المبدعة لذلك فقد أشرك بالله، وأضاف فعله إلى غيره؛ وذلك أنه ما من سبب من الأسباب إلا وهو مفتقر إلى سبب آخر في حصول مسببه، ولا بد من مانع يمنع مقتضاه إذا لم يدفعه الله عنه، فليس الوجود شيء واحد يستقل بفعل شيء إذا شاء إلا الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ [الذاريات: ٤٩]. أي فتعلمون أن خالق الأزواج واحد، ولهذا من قال: إن الله لا يصدر عنه إلا واحد؛ لأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، كان جاهلاً فإنه ليس في الوجود واحد صدر عنه وحده شيء، لا واحد، ولا اثنان إلا الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]. فالنار التي خلق الله فيها حرارة لا يحصل الإحراق إلا بها، وبمحل يقبل الاحتراق فإذا وقعت على السمندل[(١)] والياقوت ونحوهما لم تحرقهما وقد يطلى الجسم بما يمنع إحراقه، والشمس التي يكون عنها الشعاع لا بد من جسم يقبل انعكاس الشعاع عليه، فإذا حصل حاجز من سحاب، أو سقف لم يحصل الشعاع تحته»[(٢)].

وأما مجازفة ابن شهاب في إن من أثبت الأسباب وتأثيرها كتأثير النار في الأشياء التي تحرقها بأنه فاسق مبتدع، فهذا قول مردود على قائله، والنصوص الشرعية على خلافه كما تقدم.

كذلك من صور الانحراف دعوة كبار صوفية حضرموت إلى ترك سؤال الله تعالى ودعائه، بحجة أن الله تعالى عالم بأحوالهم، وهذا الكلام يخالف واقعهم، فقد ملأوا كتبهم بالأدعية، الصحيحة والخاطئة، وهذا يدل على

(١) السَّمَنْدَل: طائر يأكل البيش وهو نبت أخضر بأرض الصين يؤكل فإذا يبس كان قوتا لهم ولم يضرهم فإذا بعد عن الصين ولو مائة ذراع وأكله آكل مات من ساعته. ومن عجيب أمر السمندل استلذاذه بالنار ومكثه فيها، وإذا اتسخ جلده لا يغسل إلا بالنار. وكثيراً ما يوجد بالهند. انظر: حياة الحيوان الكبرى، للدميري (١/ ٥٧٣)؛ القاموس المحيط (ص١٠١٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١١٢ ـ ١١٣).

اضطرابهم، ثم إن قولهم في ترك الأسباب كالدعاء وسؤال الله تعالى ما يحتاجه الإنسان من أمور الدنيا والآخرة، وما استدلوا به من قصة إبراهيم عليه السلام تبين عدم صحة القصة وأنها موضوعة، فلا حجة لهم يتشبثون بها إلا الهوى والمكابرة عن اتباع الحق، وتقليد الآباء، ويتضح بطلان قولهم في ترك الدعاء أن أشرف الخلق وهم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام سألوا ربهم:

فهذا زكريا عليه السلام يسأل ربه الولد: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم: ٢ - ٦].

وهذا أيوب عليه السلام يسأل ربه رفع الضر الذي وقع به: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٤].

حتى خاتم الأنبياء ﷺ كان يسأل ربه المغفرة والرحمة وغيرها كما كان يقول ﷺ: «اللهم اغفر لي، واهدني، وارزقني، وعافني، وارحمني»[1]، وكان ﷺ إذا عاد مريضاً يقول: «أذهب البأس، رب الناس، اشفه أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقما»[2].

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] على نفي الأسباب، وإنكار فعل العبد، فاستدلال غير صحيح وقد بيّن بطلانه أهل العلم وفساده، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾: «اعتقد جماعة أن المراد بالآية سلب

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء (ص١٠٨١ - ١٠٨٢) برقم (٢٦٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض (ص٩٠٢) برقم (٢١٩١).

فعل الرسول عنه، وإضافته إلى الربِّ تعالى، وجعلوا ذلك أصلاً في الجبر، وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد، وتحقيق نسبتها إلى الربِّ وحده وهذا غلط منهم في فهم القرآن، فلو صح ذلك لوجب طرده في جميع الأعمال، فيقال: ما صليت إذ صليت، وما صمت إذ صمت، وما ضحيت إذ ضحيت، ولا فعلت كل فعل إذ فعلته، ولكن الله فعل ذلك، فإن طردوا ذلك لزمهم في جميع أفعال العباد طاعتهم ومعاصيهم، إذ لا فرق، فإن خصوه بالرسول وحده وأفعاله جميعها أو رميه وحده تناقضوا، فهؤلاء لم يوفقوا لفهم ما أريد بالآية.

وبعد فهذه الآية نزلت في شأن رميه المشركين يوم بدر بقبضة من الحصباء [أي الحصى]، فلم تدع وجه أحد منهم إلا أصابته، ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ، فكان منه مبدأ الرمي، وهو الحذف ومن الله ﷻ نهايته وهو الإيصال، فأضاف إليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه ونفى عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته، ونظير هذا قوله في الآية نفسها: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، فأخبره أنه هو وحده الذي تفرد بقتلهم، ولم يكن ذلك بكم أنتم، كما تفرد بإيصال الحصى إلى أعينهم، ولم يكن ذلك من رسوله، ولكن وجه الإشارة بالآية أنه سبحانه أقام أسباباً ظاهرة، كدفع المشركين وتولى دفعهم وإهلاكهم بأسباب باطنة غير الأسباب التي تظهر للناس، فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافاً إليه به، وهو خير الناصرين»[1].

يقول ابن أبي العز رحمه الله: «فأما ما استدلت به الجبرية من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فهو دليل عليهم؛ لأنه تعالى أثبت لرسوله رمياً بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ فعلم أن المثبت غير المنفي، وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء، فابتداؤه الحذف وانتهاؤه الإصابة وكل منهما يسمى رمياً، فالمعنى حينئذ ـ والله تعالى أعلم ـ: وما أصبت إذ حذفت، ولكن الله أصاب وإلا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت، ولكن الله صلى، وما صمت

(١) مدارج السالكين (٣/٤٢٦ ـ ٤٢٧).

إذ صمت، وما زنيت إذ زنيت، وما سرقت إذ سرقت وفساد هذا ظاهر»[(١)].

وبهذا يتبيّن بطلان ما استدل به القوم في بطلان الأسباب التي جعلها الله تعالى أسباباً وأن: «جمهور أهل السنّة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون: إن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأن له قدرة حقيقية، واستطاعة حقيقية، وهم لا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية، بل يقرون بما دلّ عليه الشرع والعقل من أن الله يخلق السحاب بالرياح، وينزل الماء بالسحاب، وينبت النبات بالماء، ولا يقولون: إن القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها؛ بل يقرون أن لها تأثيراً لفظاً ومعنى، حتى جاء لفظ الأثر في مثل قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢]»[(٢)].

كما أن ترك دعاء الله تعالى لعلمه بما بنفس السائل دليل على جهل قائل ذلك بعظمة الله وفضل الدعاء، يقول الشيخ الألباني مبيناً أخطاء الصوفية ومجانبتهم للصواب بعد ذكره لأحاديث تدل على أن الدعاء عبادة ينبغي للعبد أن يتعبد الله بها: «وقد غفل عن هذه الأحاديث بعض جهلة الصوفية أو تجاهلوها. بزعمهم أن دعاء الله سوء أدب مع الله؛ متأثرين بالأثر الإسرائيلي (علمه بحالي يغني عن سؤاله) فجهلوا أن دعاء العبد لربه ليس من باب إعلامه بحاجته إليه ﷻ ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، وإنما من باب إظهار عبوديته وحاجته إليه وفقره...»[(٣)]

وقد نشأ من عدم معرفة علاقة الأسباب بالقدر الانحراف في فهم المعنى الصحيح للتوكل.

انحراف صوفية حضرموت في مفهوم التوكل:

التوكل الشرعي هو الاعتماد على الله تعالى مع بذل الأسباب، ويكون الاعتماد بالقلب على الله تعالى دون سواه فهو مسبب الأسباب، وأما غيره

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٤٩٥).
(٢) منهاج السنّة النبوية (٣/ ١٢).
(٣) السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٢٦).

تعالى فإنما هو سبب من الأسباب تتعلق بالجوارح دون القلب، قال تعالى مبيناً أهمية التوكل حيث قرنه بالعبادة: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، فالدين كله راجع لمعنى العبادة والتوكل[(١)].

وقال ﷺ: «لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير، تغدوا خماصاً، وتروح بطاناً»[(٢)].

وليس معنى التوكل كما يفهمه المتصوفة من ترك الأسباب وعدم مباشرتها، بل ذلك لا ينافيها، فإنها مطلوبة شرعاً وعقلاً، والعمل بذلك دليل على صحة التوكل المأمور به.

وقد بيّن النبي ﷺ المعنى الصحيح للتوكل في سُنَّته القولية والفعلية والتقريرية، فقد أمره ربه تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٨]. فامتثل ﷺ لأمر ربه، وسيرته ﷺ بين أيدينا تشهد بذلك.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله عن هذه الآية: «نزّه الله ﷻ نبيّه ورفع قدره وعلّمه وأدّبه وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وذلك أن الناس في أحوال شتى: متوكل على نفسه، أو على ماله، أو على زرعه، أو على سلطان، أو على عطية الناس، وكل مستند إلى حي يموت، أو على شيء يفنى يوشك أن ينقطع به، فنزه الله نبيه ﷺ وأمره أن

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٠، ٥٢)؛ وابن المبارك في الزهد (٥٥٩) والترمذي في سننه: كتاب الزهد، باب في التوكل على الله (ص٣٨٦) برقم (٢٣٤٤) وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى كما في «التحفة» (٨/ ٧٩)...؛ وابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (ص٤٥٠) برقم (٤١٦٤)؛ والبغوي في شرح السنَّة (٤١٠٨) وصححه ابن حبان (٧٣٠)؛ والحاكم (١٤/ ٣١٨)؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٣٣) برقم (٥٢٥٤).

يتوكل على الحي الذي لا يموت»[١].

وقال الحافظ ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حقيقة التوكل: «التوكل هو قطع القلب عن العلائق برفض الخلائق، وإضافته بالافتقار إلى محول الأحوال»[٢].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]: «فجعل التوكل شرطاً في الإيمان فدلّ على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل، وفي الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤]. فجعل دليل صحة الإسلام التوكل وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾. فذكر اسم الإيمان ههنا دون سائر أسمائهم دليل على استدعاء الإيمان للتوكل، وأن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفاً فهو دليل على ضعف الإيمان، ولا بد والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة وبين التوكل والإيمان وبين التوكل والإسلام وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والهداية ثم ساق عدداً من الآيات القرآنية في ذلك ثم قال: «فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل»[٣].

ويقول القشيري: «والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب، بعدما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى، وإن تعسر شيء فبتقديره، وإن اتفق شيء فبتيسيره»[٤].

---

(١) رواه البيهقي في أحكام القرآن (٢/ ١٨٠).
(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان (ص٢٦٦).
(٣) طريق الهجرتين (١/ ٣٨٦، ٣٨٩).
(٤) الرسالة القشيرية (ص٧٦)، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

ولم يفهم القوم حقيقة التوكل بناء على عدم فهمهم لمسألة الأسباب وعلاقتها بالقدر، ومن نصوصهم في ذلك:

يقول عبد الله الحداد: «أن لا يخطر لي خاطر الاهتمام بالرزق، وإنما أصدق بوجوده لغيري لا غير»[١].

كما ترك القوم تدبير أمورهم بالأسباب المشروعة، وظنوا أن ذلك من التوكل الممدوح، يقول محمد بن زين بن سميط العلوي (ت١١٧٢هـ) في بيان توكل الحداد المخالف للتوكل الشرعي: «ولما كان حاله مع الله ترك التدبير وتفويض الأمر لعالم الخفيات والأسرار، وإلقاء القياد في كل حال إليه، والتسليم والاستسلام بين يديه، جازاه سبحانه بتسخير الأكوان من قلوب الخلق وقلب الأعيان... إلخ»[٢].

هكذا انحرف القوم في معنى التوكل الصحيح، ثم اعتقدوا كذلك أنهم بتركهم لأمور الدنيا محبوبون عند الله تعالى، بأن الكون سخر لهم، وأن لهم القدرة على قلب الأعيان. فجمعوا بين التفريط وترك أمور دنياهم التي قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧]، وبيّن الغلو في جعل الكون تحت تصرفهم وأن لمشايخهم قلب الأعيان.

ويقول عبد الله الحداد: «قد خرجت من نفسي ولجأت إلى ربي، فلا يخطر لي خاطر من شأن الاهتمام بالرزق، لولا خوف الشهرة لأخرجت من تحت هذه القطيفة ـ وأشار إلى الفراش الذي تحته ـ ما يكفي جميع أهل تريم»[٣].

قولهم في مسألة التحسين والتقبيح:

يرى القوم تبعاً لمذهب الأشاعرة أن التحسين والتقبيح[٤] لا يعلم إلا بالشرع دون غيره، يقول عبد الرحمٰن بلفقيه في قصيدته:

---

(١) غاية القصد والمراد (١/ ١٥٠). (٢) المصدر السابق (١/ ١٥٢).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٤٥).

(٤) التحسين والتقبيح من المسائل المتعلقة بالقدر، ووقع الخلاف هل يعلم قبح الأشياء وحسنها بالشرع فقط أم بالعقل ونحو ذلك في تفريعات كثيرة شُغل بها أهل الكلام وأشغلوا غيرهم بها، والناس في غنى عن ذلك.

«والحسن ما مدح الشرع ما ذمه   قبح وواسطة ما عنهما انعزلا»(١)

ويرد عليهم بأن الصواب في مسألة التحسين والتقبيح أنه ثلاثة أنواع:

الأول: يكون فيه الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسدة، ولو لم يرد الشرع بذلك كالعدل والظلم. فالأول مشتمل على مصلحة العالم، والثاني: مشتمل على فسادهم، فالحسن والقبح في هذا قد يعلم بالعقل، وورود الشرع بتقبيح الظلم وتحسين العدل ليس فيه إثبات صفة للفعل لم تكن من قبل، لكن العقاب على الفعل القبيح لا يحصل إلا بعد ورود الشرع بذلك، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص: ٥٩] ومثل هذا في القرآن والسنَّة كثير.

الثاني: ما يحصل في الحسن والقبح في خطاب الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً.

الثالث: ما أمر الله به لحكم في نفس الأمر للامتحان، هل يطاع أم يعصى، وليس المراد فعل المأمور به، وقد يكون المأمور به حسناً في العقل، وقد يكون قبيحاً، وهذا مثل أمر الله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٢ ـ ١٠٧].

وإثبات هذه الأقسام جميعاً هو مذهب الحكماء والجمهور وهو الصواب(٢).

---

(١) عمدة المحقق في العقائد، لعبد الرحمن بلفقيه (ق١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٣٤ ـ ٤٣٦)؛ ومدارج السالكين (١/ ٢٣١ ـ ٢٣٧)؛ وابن حزم وموقفه من الإلهيات (ص٤٤١ ـ ٤٤٣).

نفي صوفية حضرموت الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى:

تمهيد:

يعتقد أهل السنَّة والجماعة أن الله تعالى لا يفعل شيئاً إلا لحكمة، قد يعلمها العباد، وقد لا يعلمونها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان: ٣٠]. فأثبت سبحانه أن ما يشاءه مبني على علم وحكمة.

والكلام حول مسألة تعليل أفعال الله تعالى أو عدم تعليلها مبحث واسع جداً يدخل فيه حدوث العالم، ووحدانية الله تعالى، وصفاته وأفعاله وأحكامه وغير ذلك من المسائل[١]، ولكن غرضنا هنا بيان مذهب صوفية حضرموت في الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى.

نفى شيوخ صوفية حضرموت الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى تبعاً للمذهب الأشعري الكلامي.

يقول إسحاق بن عقيل العلوي[٢] في تشنيعه على من أخذ بظواهر النصوص: «ونظير الاغترار بهذه الظواهر اغترار المجسمة القائلين بالجهة، وتأثير القوة الحادثة، وتعليل الأفعال والأحكام ونحو ذلك بظواهر الكتاب والسنَّة، وتوهم ذلك ولم يحيطوا بعلمها»[٣].

ويقول ابن شهاب في كلام له عن أفعال الله تعالى: «لكن أفعاله وأحكامه تعالى وإن كانت منزهة عن الغرض لا تخلو عن حكمة، وإن لم تصل

---

(١) انظر: ابن حزم وموقفه من الإلهيات (ص٤٤٥).

(٢) هو إسحاق بن عقيل بن عمر بن عقيل بن يحيى، كان من المتطلعين للحكم بحضرموت، فقام بحملة على حضرموت، فلم تفلح تلك الحملة وعادت خائبة من حيث أتت. من مؤلفاته: البراهين الحاسمة لشقاق جاحد عصمة الأنبياء على الإطلاق. قتل مسجوناً بقلعة المثناة بالطائف سنة ١٢٧١هـ. انظر: تاريخ بلاد الله الحرام (٣١٧)؛ وبضائع التابوت (٣/٩ ـ ١٥)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص١٦٥).

(٣) البراهين الحاسمة لشقاق من جاحد عصمة الأنبياء على الاطلاق، لإسحاق بن عقيل بن عمر العلوي (ق١٧).

إليها عقولنا، وإلا كانت عبثاً وهو محال عليه تعالى، والفرق بين الغرض والحكمة أن الغرض يكون مقصود من الفعل، أو الحكم بحيث يكون باعثاً وحاملاً عليه والحكمة لا تكون كذلك، ولا يرد على ما مر قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]. لأن اللام فيها للعاقبة والصيرورة»[١].

ويقول أحمد بن حسن العطاس بنفي التعليل في أفعال الله تعالى عند مذاكرته لبعضهم في بعض المسائل الفقهية: «فقيل لسيدي رضي الله عنه، فقال لذلك القائل: لا تقل هكذا، واترك التحكم والتعليل، فمن علل في أفعال السلف، علل في أفعال النبي ﷺ بل علل في أفعال الله تبارك وتعالى»[٢].

وهذا القول الذي اعتنقته صوفية حضرموت في هذه المسألة هو في الأصل قول جهم بن صفوان ومن تبعه من المجبرة[٣].

والمسلمون مجمعون على وصف الله تعالى بالحكمة، كما نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة، لكن تنازعوا في تفسير ذلك، فقالت طائفة: الحكمة ترجع إلى علمه بأفعال العباد وإيقاعها على الوجه الذي أراده، ولم يثبتوا إلا العلم والإرادة والقدرة، وقال الجمهور من أهل السنَّة وغيرهم: بل هو حكيم في خلقه وأمره، والحكمة ليست مطلق المشيئة، إذ لو كان كذلك لكان كل مريد حكيماً، ومعلوم أن الإرادة تنقسم إلى: محمودة ومذمومة، بل الحكمة تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة»[٤].

وقال أيضاً: «أنه يفعل ما يفعل سبحانه لحكمة يعلمها تبارك وتعالى، وقد يعلم العباد، أو بعض العباد من حكمته ما يطلعهم عليه، وقد لا يعلمون ذلك الأمور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة، ورحمة عامة، كإرسال محمد ﷺ

---

(١) نوافح الورد جوري في شرح عقيدة الباجوري (ق٢٦ ـ ٢٧).
(٢) تذكير الناس (ص٣٠٢).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٨).
(٤) منهاج السنَّة النبوية (١/ ١٤١).

فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فإن إرساله كان من أعظم النعم على الخلق، وفيه أعظم حكمة للخالق، ورحمة منه لعباده، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]»[١].

أما قول ابن شهاب أن اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ لام العاقبة، فقول غير صحيح، ويرد قوله: بأن لام العاقبة تأتي في حق من لا يعلم بعواقب الأمور، وهذه صفة المخلوق الناقص كما ذكر الله تعالى عن آل فرعون حين التقطوا موسى عليه السلام: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، أما الله تعالى الذي هو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير فلا يرد عليه أن يفعل فعلاً له عاقبة لا يعلمها، فاللام الواردة في أفعال الله تعالى لام الحكمة والغاية والتعليل[٢].

ويجاب بجواب آخر وهو حمل ما احتجوا به من أن اللام للعاقبة بحمل ذلك على أنها لام التعليل، ويلزم نفاة التعليل: أنهم يقولون: بأن الله تعالى أيد الرسل وأصحبهم بالمعجزات الخارقة للعادة بإحالة الطبائع المخالفة لما بني عليه العالم، وذلك لا يكون إلا من الله تعالى، فهو الفاعل لها اتفاقاً، وإنها لتصحيح صدق الرسل وصحة ما أتوا به من عند الله تعالى، وهذا يخالف قولكم: أن الله لا يفعل شيئاً لشيء، وهذا باعترافكم أن الله فعل المعجزات لتصديق الرسل وهذا تعليل لأفعال الله تبارك وتعالى فثبت تناقضكم[٣].

وهناك أدلة كثيرة ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم كإتيانه سبحانه بكي وهي صريحة في التعليل كقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٩٣).

(٢) انظر: شفاء العليل لابن القيم (ص٤٠٠ ـ ٤٠٢)؛ ومجموع الفتاوى (٨/ ١٨٧).

(٣) انظر: الجواب الصحيح (٤/ ٢٥٧)؛ وشفاء العليل (ص٤٠٢ ـ ٤٠٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما دخول لام كي في الخلق، والأمر فكثير جداً، وهذا مبسوط في موضعه، وقد بسط حجج نفاة الحكمة والتعليل العقلية والشرعية وبين فسادها كما بين فساد حجج المعتزلة والقدرية، وحينئذ فالأفعال سبب للمدح والذم والثواب والعقاب، والفقهاء المثبتون للأسباب والحكم قسموا خطاب الشرع وأحكامه إلى قسمين: خطاب تكليف، وخطاب وضع، وإخبار كجعل الشيء سبباً، وشرطاً»[١].

وكذلك الإتيان بلعل بعد أخبار الله تعالى وأوامره وهي للتعليل، ولا تأتي للترجي إلا في حق المخلوق أما الخالق جلَّ وعلا فهو الكامل في ذاته وصفاته.

كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]. وغير ذلك من الأدلة[٢].

وهذه كتب التفسير بين أيدينا تبيّن أن اللام للغاية والحكمة من خلق العباد، قال الإمام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]. بعد ذكره تفسير أهل العلم للآية وترجيحه للقول الثاني في تفسيرها: «وأولى القولين في ذلك بالصواب: القول الذي ذكرنا عن ابن عباس وهو: ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا والتذلل لأمرنا»[٣]. وفي هذا التفسير بيان الغاية والحكمة من خلق الخلق وهو عبادته سبحانه وحده لا شريك له وهذا تعليل.

وقال الإمام ابن كثير: «أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إلا ليعبدون: أي إلا ليقروا بعبادتي طوعا، أو كرها وهذا اختيار ابن جرير... وقال الربيع بن أنس: (إلا ليعبدون): أي إلا للعبادة»[٤].

---

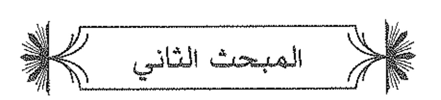
(١) مجموع الفتاوى (٨/٤٨٦).
(٢) انظر: ابن حزم وموقفه من الإلهيات (ص٤٤٩ ـ ٤٥٧).
(٣) تفسير الطبري (٢٧/١٢).
(٤) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٩).

ومن الأدلة على القول بالتعليل في أفعال الله ما أخبر الله تعالى به في كتابه من أنه فعل كذا لكذا، منها قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وغيرها من الآيات.



المبحث الثاني

ادعاء معرفة ما في اللوح المحفوظ



تمهيد

ومن الأمور التي جانب فيها الصواب كبار صوفية حضرموت موقفهم مما كتب في اللوح المحفوظ، وهي إحدى مراتب القدر التي يجب الإيمان بها كما مر، وهو الإيمان بأن الله تعالى قدّر كل شيء، وكتب هذه المقادير في اللوح المحفوظ، ولم يطلع عليها أحداً لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولكنهم ادعوا لأوليائهم ومشايخهم منزلة الاطلاع على اللوح المحفوظ، والتصرف فيه كما يشاءون كما سيتضح من نصوصهم، والله المستعان.

كما زعم القوم معرفة الأمور المقدرة قبل وقوعها ولا شك أن ذلك في علم الله تعالى وحده، كتبه في اللوح المحفوظ، كما بيّنت ذلك في مراتب القدر التي تقدم ذكرها.

كما أن ادعاء معرفة الأمور المقدرة قبل أن تقع وادعاء معرفة ما كتب في اللوح المحفوظ من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ومدعي ذلك منازع لله تعالى في صفاته سبحانه.

دعوى إطلاع مشايخهم على ما في اللوح المحفوظ:

رفع القوم أولياءهم ومشايخهم فوق منزلتهم، وذلك بسبب الغلو الذي أولعوا به، حتى جعلوا لمشايخهم علم الغيب الذي اختص الله به، كما قال سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

والله تعالى خص رسله بإطلاعهم على بعض الغيب دون سواهم، ولم يطلعهم على كل الغيب قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

وذكر الله تعالى عن نبيه ﷺ أنه قال: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. فإذا كان هذا حال النبي ﷺ وهو سيد بني آدم، لا يعلم من الغيب إلا ما علّمه الله تعالى، فمن دونه من الأنبياء والرسل من باب أولى، فكيف بمن هم دون ذلك من الناس؟!.

وقد ذكرنا كثيراً من نصوصهم في مبحث منزلة الاستدلال بالكتاب والسنَّة عندهم، ونذكر هنا بعض نصوص كبار مشايخهم للدلالة على استهانة القوم باللوح المحفوظ بدعوى إطلاع مشايخهم على الحقائق المنقوشة فيه فمن ذلك ما قاله محمد بن عمر بحرق الحضرمي عند ذكره لمناقب شيخه أبي بكر بن عبد الله العيدروس: «ومنها: كونه من أهل الكشف والعيان إلى مطالعة الحقائق المنقوشة في اللوح المحفوظ إلى غير ذلك مما لا يحيله العقل، والشرع يؤيده، فيجب تسليم ذلك لهم، رضي الله عنهم»(١).

يتضح من هذا النص شدة غلو محمد بحرق في شيخه حتى جعل له علم الغيب، وهو الاطلاع على اللوح المحفوظ، حيث اعتقد أن شيخه من أهل الكشف فله بذلك الاطلاع على ما في اللوح المحفوظ؛ لأن الكشف ـ كما تقدم ـ من المصادر الرئيسة التي يعتمدها القوم في تقرير أقوال وأفعال أوليائهم ومشايخهم، أما جعل بحرق العقل مؤيداً لذلك، فيجاب عنه: أن العقل لا دخل له ـ كما هو معلوم ـ في تقرير أو نفي أمور الغيب، إذ العقل قاصر عن إدراك علم الغيب، والكلام في ذلك قول بلا علم وهو محرم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وكذلك فإن الشرع يرد هذه الدعوى، فهذه نصوص

(١) مواهب القدوس (ص١١) مخطوط.

الكتاب والسنَّة متضافرة، في عدم إطلاع أي أحد على اللوح المحفوظ كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥]، وغيرها من النصوص، ومع ذلك نجد هذا الرجل قد رفع منزلة شيخه فوق منزلة الأنبياء والرسل الذين لا يطّلعون على ما في اللوح المحفوظ، ولا يعلمون إلا ما يطلعهم الله تعالى عليه من أمور الغيب[١].

ووقوع القوم في هذا الانحراف سببه الغلو الذي قام عليه دين الصوفية، وكذا تربية مشايخ الصوفية المنحرفة للتلاميذ والمريدين على التسليم للأولياء والمشايخ في كل ما يقولون، ويفعلون دون عرض أقوالهم وأفعالهم على الشرع، فهذا محمد بحرق من ـ كبار فقهاء حضرموت ـ ومع ذلك يسلم لشيخه العيدروس كل شيء حتى ادعاء علم الغيب ـ والله المستعان ـ.

وجاء في كتاب كنوز السعادة الأبدية: «قالوا إن سيدي أبا بكر العيدروس العدني لما تعسَّرت به أمه في الولادة قال أبوه سيدنا عبد الله بن أبي بكر: هذا ولدي ما بيخرج حتى يقرأ اللوح المحفوظ، باقي معه أسطر بايتمها وبا يخرج[٢]»[٣].

وقد ذكر عبد الله الحداد في قصيدته (التائية الكبرى) أنه ممن يطالع اللوح المحفوظ وهذه القصيدة هي التي طلب منه إسماعيل البيتي[٤] أن يأذن له بشرحها فأبى وقال له: «إن فيها علوماً غامضة»[٥].

---

(١) انظر فتوى الشيخ ابن باز في حكم من يدعي الاطلاع على اللوح المحفوظ: نور على الدرب (٢٢٢/١).

(٢) هذه باللهجة الحضرمية، ما بايخريج: أي لن يخرج، والبا بمعنى سوف: بايتمها: أي سوف يتمها.

(٣) كنوز السعادة الأبدية (ص٢٢٧).

(٤) هو إسماعيل بن حسين بن أحمد بن أبي بكر بن علوي البيتي، من صوفية حضرموت في القرن الثاني عشر، ولد بقرية البيت الواقعة قرب تريم، ثم رحل إلى تريم للأخذ من شيوخها، ثم رحل إلى اليمن والحرمين، وأقام بمكة، ثم سافر إلى مصر ثم سافر إلى الهند، وتردد بين مكة والهند، واتصل به سلطانها. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (٢١٧/١).

(٥) مقدمة ديوان الحداد (ص٤٠) الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

وجاء في مقدمة ديوان الحداد: «قلتُ: ومن العلوم الغامضة قوله فيها: (أطالع أمر القبضتين) أي اللوح المحفوظ الذي لا معقب لحكمه، ولا يطالعه إلا الغوث الفرد، قطب وقته وزمانه، كهو نفع الله به»[١].

دعوى تصرف مشايخهم في اللوح المحفوظ:

عندما قرر القوم دعوى اطلاع مشايخهم يطلعون على ما في اللوح المحفوظ من الأمور الغيبية، فإن الضلال وصل بهم إلى ادعائهم أن لمشايخهم القدرة على التصرف بما في اللوح المحفوظ في عدم كتابة ما لا يريدونه أو تغيير ما كتب فيه.

إن عقيدة تصرف الأولياء في الكون من قبل الأولياء عند صوفية حضرموت من الأمور الواضحة والتي أكثروا من تقريرها في مصنفاتهم، ومن ذلك: اعتقادهم تصرف أوليائهم بما في اللوح المحفوظ، وتغيير الشيخ لما كُتِبَ فيه، فقد جاء في كتاب مطالع الأنوار عند ذكر لقاء سعيد بن عيسى العمودي بأحمد أبي الجعد: «قال الشيخ أحمد أبو الجعد لا يكون الشيخ حتى يمحو سيئات مريده من اللوح المحفوظ، قال الشيخ سعيد: كيف كيف غفل حتى كتبت؟!»[٢].

وقد قرروا هذا الاعتقاد بناء على تعريف الشيخ عندهم يقول عبد الله الهدار: «والشيخ في اصطلاح الصوفية من علم من الله علماً لدُنيّاً، كاشفاً للحقائق والدقائق»[٣].

ويتضح من هذه النصوص اعتقادهم أن لمشايخهم القدرة على تغيير كتابة المقادير التي كتبت في اللوح المحفوظ، وهذا دليل على مدى الجهل والانحراف الذي وصل إليه القوم في هذا الباب.

---

(١) مقدمة ديوان الحداد (ص١٧ ـ ١٨).

(٢) كتاب مطالع الأنوار، لباسودان (ص٣١٩)؛ والجواهر (١/ ٣٦).

(٣) الجواهر (١/ ٣٦).

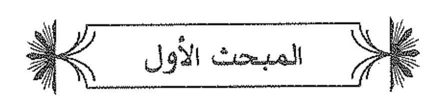


قولهم في اليوم الآخر ومناقشتهم فيه

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: قولهم في الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الثاني: قولهم في عذاب القبر ونعيمه.



المبحث الأول

قولهم في الإيمان باليوم الآخر

تمهيد

اليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة، التي جاء ذكرها في حديث جبريل عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان: «قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» الحديث[1].

والإيمان باليوم الآخر كذلك من أمور الغيب التي يجب على المسلم الإيمان بها، وقد وصف الله المتقين بأنهم يؤمنون بالغيب، وبأن لهم الفلاح في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ١ ـ ٥].

وسمي هذا اليوم باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده فهو آخر المراحل؛ لأن للإنسان خمس مراحل: مرحلة العدم، ثم الحمل، ثم الدنيا، ثم البرزخ، ثم الآخرة[2].

وكثيراً ما يقرن الله تعالى بالإيمان به سبحانه الإيمان باليوم الآخر لأن من لم يؤمن باليوم الآخر لن يعمل؛ لأنه لا يعمل إلا لما يرجوه من الكرامة في ذلك اليوم، وما يخافه من العذاب والعقوبة فإذا كان لا يؤمن به صار كمن

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٩٧) من هذا البحث.

(٢) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص٣٥٨)، دار ابن الجوزي، القاهرة، بدون تاريخ.

حكى الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤][١].

وقد جعل الله تعالى اليوم الآخر موعداً لجميع الخلق، يجازيهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شراً فشر قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود: ١٠٣ ـ ١٠٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ وأجمع عليها المسلمون فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة، عراة، غرلاً[٢]»[٣].

وقد جاءت النصوص الكثيرة في خطورة عدم الإيمان بهذا اليوم، وإن عدم الإيمان به يعد كفراً بالله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقد انحرف القوم في مسائل هذا اليوم، وذلك لما درجوا عليه من الغلو

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) كما ثبت ذلك في: صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ (ص٦٤٠) برقم (٣٣٤٩)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء (ص١١٤٧) برقم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) العقيدة الواسطية مطبوعة مع شرح الشيخ صالح بن فوزان الفوزان (ص١٤٥)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط٦، ١٤١٣هـ.

في أوليائهم، كاعتقاد تصرفهم المطلق في الكون، وكذا التصرف في أمور الآخرة وسطروا تلك الانحرافات في مؤلفاتهم، فزهدوا في الجنة، ولم يخافوا من النار، وتقوّلوا على الله تعالى بلا علم، وخاضوا في الحديث عن أمور الآخرة دون مستند من كتاب ولا سنة.

❊ المطلب الأول ❊

كلامهم في بعض أمور اليوم الآخر

قولهم في الحشر:

خاض القوم في أمور الآخرة بغير علم، ومن ذلك كلامهم في أمور الحشر، وما يكون في ذلك اليوم، وقد كثرت نصوصهم في ذلك التي تدلّ على انحرافهم فيه، فمنها ما ذكره سالم بن عبد الله الشاطري: «وجاء مثبتاً في مرقوم الرحلة الدوعنية الكائنة عام ١٣٦٠هـ، ففيها عن السيد الأمجد علي بن أحمد بن حسن العطاس عن الحبيب عبد الله بن محسن العطاس المتوفى ببوقور [إحدى مدن أندونيسيا] أنه قال: عبد الله بن عمر الشاطري يحشر يوم القيامة أمة وحده، هو وتلامذته، ويقابله جده محمد بن عبد الله ﷺ»[(١)].

ويظهر الانحراف في هذا النص في زعم عبد الله بن محمد العطاس أن عبد الله الشاطري يحشر يوم القيامة أمة وحده، وهذا من أمور الغيب التي لا بد فيها من نص شرعي من كتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ، ولم يثبت في ذلك إلا لنفر من الناس أخبر ﷺ أنهم يحشرون يوم القيامة أمة لوحدهم، مثل زيد بن عدي القرشي الذي جاء فيه نص عن رسول الله ﷺ[(٢)] ونحوه، وأما غير ذلك فهو قول بلا علم، والقوم منشأ قولهم ما ألفوه من الغلو، ورفع مشايخهم إلى

(١) مقدمة كتاب (وصيتان عظيمتان) لمحمد بن علي مولى عيديد وعبد الله بن عمر الشاطري (ص٦ ـ ٧)، أشرف على الطبع والتصحيح وكتب الترجمتين: سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري.

(٢) نقل ذلك الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٦٢)؛ وقال: «إسناده جيد حسن». وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١٤/ ٣٠١).

مراتب ليست لهم، كما في هذا النص، ثم إن في النص شهادة لشيخهم بأنه من أهل الجنة، بل يحشر مع تلامذته، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وفي كلامهم تحدث عن تفاصيل الوقائع في يوم الحشر بلا دليل والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقوله: «ويقابله جده ﷺ» فيه دعوى الاطلاع على مصير الشخص في الآخرة وهذا مما لا يعلمه إلا الله تعالى، ولكن يرجى للمحسن ويخاف على المسيء، ثم إن ذكره للنسب وأن النبي ﷺ جده، يوحي بتعلق القوم بالنسب في هذه المواقف؛ وذلك لا يجدي؛ لأن العبرة بالعمل الصالح الذي بني على الإخلاص، ومتابعة النبي ﷺ، أما النسب فلم ينفع أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ كعمه أبي طالب، وقد قال ﷺ: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[1].

ولا يعارض ذلك قوله ﷺ: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة، إلا سببي ونسبي»[2] وإنما فيه أن نسب النبي ﷺ وسببه لا ينقطع، ولا يكون السبب نافعاً إلا إذا كان على أمر الله تعالى، والله تعالى أمر باتباع كتابه وسنّة رسوله ﷺ ولم يكل الشخص إلى نسبه فقط. يقول الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي أن من كان عمله ناقصاً لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال، فينبغي ألا يتكل على شرف النسب، وفضيلة الآباء، ويقصر في العمل»[3].

وجاء في كتاب الجوهر الشفاف في الحكاية ٤٩٢ في ترجمة علي بن عبد الله بن إبراهيم باحرمي: «وقيل إنه: أي الشيخ علي هذا، يوم توفي شفع

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (ص١٠٨٢) برقم (٢٦٩٩).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١/١٢٩/٣)؛ والخطيب في تاريخه (٢٧١/١٠)؛ والهروي في ذم الكلام (١٠٨/٢)؛ وحسن إسناده الشيخ الألباني لشواهده. انظر: السلسلة الصحيحة (٥/ ٥٨) برقم (٢٠٣٦).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٤/١٧ ـ ٢٥)، ط٥، دار المعرفة.

في أهل قرنه»[١].

وجاء في كتاب تذكير الناس: «وقال بعض المشائخ الصالحين لسيدي أحمد رضي الله عنه: إن ولدي وقت رجوعكم من الحج رأى أحداً من الصالحين بتريم يقول له: إن الحبيب أحمد بن حسن العطاس تشفّع إلى الله في ذنوب أهل حضرموت فشفعه الله فيها»[٢].

ونقل علي بن حسن العطاس أبياتاً لأبي بكر العيدروس يدعي فيها أنه يمتلك الشفاعة منها:

والله لولا الشرع لقت[٣] هيا ... واندكت الأكوان
واسطو على ما يشا يكون ميا[٤] ... وكان لي ما كان
أنا المهنّا ولا معنا ... غالب ولا مغلوب
لو علم العذال ما معنا ... لقصّروا في اللوم
إن الذي قد كان في وعانا ... ذخرا لذاك اليوم
شفاعتي في الحشر ما تعانا ... وأنا لها قيدم[٥]

ومن هذه النصوص يتضح انحراف القوم في الاعتقاد الواجب في يوم الحشر، وأنه يوم يجمع الله تعالى فيه الخلق والأمر له تعالى، فلا يتكلم أحد إلا بإذنه تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

وبيّن تعالى أن أمر الدنيا والآخرة له سبحانه، وأن الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا لمن أذن الله له ورضي عنه، قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٥ ـ ٢٦].

---

(١) الجوهر الشفاف (٣/ ٧٥)؛ وكتاب تحقيقات تاريخية (ص٦).
(٢) تذكير الناس (ص٢٧٤).
(٣) كذا في الأصل. ولعلها (لقلت).
(٤) كذا في الأصل.
(٥) المقصد إلى شواهد المشهد (ص٤٠٦).

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨].

قولهم في الصراط:

والصراط في اللغة بمعنى: الطريق المستقيم[(١)].

وأما في الشرع فهو: الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة، وهو ثابت بالكتاب والسنّة[(٢)].

والصراط من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها على ما ورد في الشرع مع عدم تعدي ذلك، ولم تلفت صوفية حضرموت لذلك فتكلمت في تفاصيل الصراط بلا دليل شرعي، فمن ذلك ما قاله عبد الله بلفقيه في وصف الصراط: «وهو جسر ممدود على متن جهنم، أدق من الشعر وأحد من السيف، وورد أن مسافته قدر ثلاثة آلاف سنة، ألف صعود، وألف استواء، وألف هبوط وأن فيه سبع عقبات»[(٣)].

وذكر هذا النص يبيّن ضلال القوم لخوضهم في الكلام في تفاصيل الصراط بلا علم، أما قولهم: أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف فهذا صحيح فقد ثبت في الصحيح أن أبا سعيد الخدري قال: «بلغني أنه أدق من الشعر وأحَدّ من السيف»[(٤)].

وأما خوضهم في بقية التفاصيل كتحديد مسافته وطوله وغير ذلك فهذا لا دليل عليه من كتاب الله، ولا من سنّة رسول الله ﷺ وإنما هو الرأي المذموم، وقولهم: «ورد»: من الأساليب التي يتخذونها في تقرير عقائدهم لأن أسلافهم

---

(١) المفردات (ص٢٨٣).

(٢) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، للإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، للشيخ ابن عثيمين (ص١٢٦)، حققه وخرج أحاديثه: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة دار طبرية، الرياض، ط٣، ١٤١٥هـ.

(٣) الهدية السنية (ص١٢) باختصار.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (ص١٠٢) برقم (١٨٣). وانظر كلام الحافظ على بلاغ أبي سعيد. الفتح (١١/ ٤٥٤).

أخبروا بذلك دون الإحالة لمصادر معتمدة كما قالوا في فضل حضرموت: «إن حضرموت تنبت الأولياء كما تنبت الأرض البقل»[(١)] وقالوا ذكر الشيخ فلان أنه في الطبراني الأوسط، وعند الرجوع للمصدر لم نجد هذا الحديث ألبتة.

كما ادعى القوم تصرف بعض مشايخهم في الصراط، ومن ذلك ما قاله صاحب مقدمة ديوان الحداد: «وكان سيدنا يحب قصيدة بامخرمة، وآخر عمره لا يكاد يحتمله، وهو ممن أعطي مقام الكنزية الذي من أعطيها يشفع لجميع من يدفن في مقبرته، ولهذا يقول بامخرمة: آل سيون أعبر بهم على الصراط كمحجمة أو جرة الماء، والعلق فيها يحملها صاحبها فخطر على بال الحبيب العارف علي بن عبد الله السقاف ـ تلميذ الناظم ـ من كلامه هذا، فرأى في المنام بامخرمة حامل جحلة[(٢)] على ظهره، ماراً بها عليه، فقال له: ما هذا؟ قال: آل سيون أمر بهم على الصراط»[(٣)].

وادعى القوم استثناء أهل حضرموت في المرور على الصراط، فقد جاء في كتاب تاريخ النور السافر: «وكفى حضرموت من الشرف العظيم والمجد الفخيم، والفخر الذي لا يبلى ويبيد، بل ينمو ويزيد، أن الإمام شيخ الإسلام مجتهد زمانه أبي الحسن البكري الصديقي[(٤)] ذكر في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الآية [مريم: ٧١]. يستثنى من ذلك أهل حضرموت لأنهم أهل ضنك في المعيشة»[(٥)].

وهكذا يتوغل القوم في الضلال حتى يدعوا تصرف مشايخهم في ذلك اليوم، وذلك بإمرار بأهل مدينة سيون على الصراط، بلا استثناء.

---

(١) النور السافر (ص٧٥)؛ وظهور الحقائق (ص١٠٣).
(٢) وعاء مثل الجرة. وفي القاموس (ص٩٧٥). الجحْل: السقاء الضخم.
(٣) كتاب الدر المنظوم (ص٤٠).
(٤) هو أبو الحسن البكري، محمد بن محمد بن جلال الدين عبد الرحمن، ينتهي نسبه لأبي بكر الصديق. ولد سنة ٨٩٩هـ بمصر، جلس للتدريس في الأزهر، ويعد من المتصوفة المجذوبين. من مصنفاته: ثلاثة شروح على المنهاج، وشرح العباب. توفي سنة ٩٥٢هـ. انظر: خلاصة الخبر (ص٤٧٤ ـ ٤٧٩).
(٥) تاريخ النور السافر (ص٧٢). وانظر: المشرع الروي (١/١٥٦).

ثم بلغ بهم الكذب أن ادعوا أن أهل حضرموت لا يمرون على الصراط؛ لأنهم أهل ضنك في المعيشة! وقد تناقلوا هذا الكلام في مؤلفاتهم، معتقدين أن ذلك من مناقب أهل حضرموت، وهذا من الكذب المبين، فإن النصوص جاءت في عبور الناس كلهم على الصراط بما في ذلك الأنبياء والرسل وهم أعظم الناس، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢].

وكذلك فإن دعاء الرسل عليهم السلام يومئذ اللهم سلِّم سلِّم[١]، ويقول نبينا محمد ﷺ لأصحابه عن مشهد ذلك اليوم: «ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب! سلِّم سلِّم» الحديث[٢].

ثم إن البكري هذا الذي وصفه العيدروس بأنه شيخ الإسلام ذكر عنه سالم بن محمد بن حميد الكندي أنه مشهور بالكذب[٣].

تأويل بعض أمور المعاد:

وتكلم القوم في بعض أمور المعاد بأهوائهم وفسروا النصوص في ذلك بعقولهم دون رجوع للشرع، ولا فهم السلف - رحمهم الله تعالى - يقول عبد الله الحداد: «فهمت من قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]. أنه بدأنا من الرحمة ونعود إن شاء الله إليها، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]. أن جعلتها في جانب الرجاء قلت: وقدمنا إلى ما عملوا من المخالفات»[٤].

ولا شك أن تفسير هذه الآيات بهذه المعاني الباطلة فتح باب شر للعصاة، والمذنبين حيث يتكلون على رحمة الله التي يرجعون إليها بلا عقاب،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب فضل السجود (ص١٦٥) برقم (٨٠٦)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (ص٩٩) برقم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ص١١٠) برقم (١٩٥).

(٣) انظر: العدة المفيدة (١/ ١١٨).

(٤) غاية القصد والمراد (١/ ٧٨).

بل إن ذنوبهم ومخالفاتهم تكون كما يزعم الحداد: هباءً منثوراً، وهذا مذهب ضال قالت به الجهمية ـ غلاة المرجئة ـ التي ترى أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة.

والمعنى الصحيح لهذه الآية هو ما فسّره النبي ﷺ أنصح الناس وأعلمهم بالله تعالى، فعن ابن عباس ﵄ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله ﷻ حفاة، عراة، غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده»[١].

يقول الإمام ابن كثير ﵀ في تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]: اختلف في معنى قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾. فقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ يحييكم بعد موتكم، وقال الحسن البصري: كما بدأكم في الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء. وقال قتادة: كما بدأكم تعودون، قال بدأ فخلقهم ولم يكونوا شيئا، ثم ذهبوا، ثم يعيدهم. وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: كما بدأكم أولاً كذلك يعيدكم آخراً. واختار هذا القول أبو جعفر بن جرير وأيده بما رواه من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين»»[٢].

وقال الإمام ابن جرير الطبري ﵀ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٣ ـ ٢٤]. يقول تعالى ذكره (وقدمنا): وعمدنا إلى عمل هؤلاء المجرمون (من عمل). ومنه قول الراجز: وقدم الخوارج الضلال، إلى عباد ربهم وقالوا: عن دماءكم حلالُ... وقوله: فجعلناه هباء

---

(١) تقدم تخريجه (ص٧٠٩) من هذا البحث. (٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٩ ـ ٢١٠).

منثورا: يقول: فجعلناه باطلا؛ لأنهم لم يعملوه لله، وإنما عملوه للشيطان»[١].

※ المطلب الثاني ※

قولهم في الجنة

الجنة لغة: كل بستان يستر بأشجاره الأرض[٢].

وشرعاً: الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين[٣].

ويتلخص انحرافهم في الجنة بما يلي:

تفويض مكانها:

وأولع القوم بالتفويض حتى فوضوا مكان الجنة والنار، يقول ابن شهاب: «ولم يرد نص صريح في مكان الجنة والنار، والحق تفويض ذلك إلى علم اللطيف الخبير»[٤].

وسبب تفويضهم لمكان الجنة ـ والله أعلم ـ إنكارهم علو الله تعالى على خلقه، وكذا تأويلهم صفة الاستواء، كما صرحوا بذلك في مؤلفاتهم. ووجه ذلك أن القوم قد صرحوا بنفي علو الله على خلقه، كما تقدم، ولمّا كان العرش أعلى المخلوقات، ولا مخلوق أعلى منه، وكان سقف الجنة والله استوى على عرشه استواء يليق به سبحانه، جعل القوم ينفون مكان العرش، وهو العلو، بناء على نفيهم للعلو، وكذلك أوّلوا صفة الاستواء كل هذا فراراً من التشبيه الذي استقر في نفوسهم، فلا يعرفون إلا صفات المخلوق، فأوقعهم ذلك في التعطيل.

والجنة في أعلى عليين كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾ [المطففين: ١٨].

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٤٣٠ ـ ٤٣١) ت: عبد الله التركي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار هجر.
(٢) المفردات، للراغب الأصفهاني (ص١٠٥).
(٣) شرح الشيخ ابن عثيمين على لمعة الاعتقاد (ص١٣١).
(٤) النوافح (ص١٠٤).

وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر: «فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض»(١).

وفي الصحيح قوله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة - أُراه - فوقه عرش الرحمٰن، ومنه تفجر أنهار الجنة»(٢).

تشريع أقوال وأفعال مبتدعة لدخول الجنة:

ويعتقد القوم تصرف مشايخهم في أمور الجنة حيث يضمنونها للمريدين وذلك لتشريع أقوالٍ وأفعالٍ يؤتى بها لنيل المقصود، لمن فعل ما شرعوه من أفعال وأقوال لمريديهم، ومحبيهم يقول أحمد بن حسن العطاس: «بلغنا أن الحبيب حسن بن صالح البحر توسط في أمر إصلاح لدولة آل كثير فتوقف تمام الإصلاح على خمسمائة ريال، وليس بيده شيء فقال: من جاءنا بالخمسمائة نضمن له على الله الجنة، فاغتنمها الحبيب حسن بن أحمد العيدروس فسرى في ليلته إلى بور وحملها معه إلى الحبيب حسن»(٣).

ويقول علي بن حسن العطاس في مدحه لسلفه ومشايخه: «منهم من يقول: أعطاني الله الشفاعة في أهل وقتي، فلم تكتب عليهم خطيئة، ومنهم من يقول: ناظري وناظر ناظري في الجنة»(٤).

بل ضمنوا بالجنة لمن زارهم، تقول سلطانة الزبيدي مخاطبة أخاها عمر:

---

(١) جزء من حديث البراء الطويل في الإخبار عن وضع الروح منذ خروجها من البدن وما يحصل لها وما يقع في القبر. . . إلخ، والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦)؛ وأبو داود في سننه: كتاب السنَّة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (ص٥١٧) برقم (٤٧٥٣). وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في تخريجه المشكاة (١/ ٥١٢) برقم (١٦٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله (ص٥٣٩) برقم (٢٧٩٠). وانظر: رقم (٧٤٢٣).

(٣) تذكير الناس (ص٢٩٦).

(٤) المقصد إلى شواهد المشهد (ص٤٠٥). وانظر دعوى دخول الجنة بمجرد النظر إلى الشيخ: الزهر الباسم (ص٥٧).

«يا عمر لولا الشهرة لأمرت منادياً ينادي: أن من دخل بيتي، أو زارني فإني ضمينه بالجنة»[١].

بل ضمنوا الجنة لمن كتب الإحياء، يقول عبد القادر العيدروس عند ذكر عبد الله بن أحمد باكثير الحضرمي[٢]: «وحكي أنه كان سبب انتقاله إلى مكة ما روي أن شيخه عبد الله العيدروس قال: من حصل كتاب الإحياء وجعله في أربعين جزء ضمنت له على الله الجنة، فسارع الخلق إلى ذلك»[٣].

هكذا يتبجح القوم بهذه الدعاوى المنحرفة ـ والتي دونها خرط القتاد ـ، ومن المعلوم أن لدخول الجنة أسباباً عظيمة، أعظمها الإيمان بالله، والعمل الصالح كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧].

هذا هو الميزان الذي جعله الله فاصلاً بين المؤمن الصادق وغيره، وأما الدعاوى التي سودت بها صوفية حضرموت مؤلفاتها فإنها لا تسمن ولا تغني من جوع، وإنما توضح مدى انحرافهم عن دين الله تعالى، واتباع الهوى والتعويل عليه دون التعويل على كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، والله المستعان.

وكل الأقوال المتقدمة لكبار مشايخهم مخالفة للحق؛ إذ هي من القول بلا علم، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: ٢١]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ

---

(١) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٩٤)، كنوز السعادة الأبدية (ص٢٠٠). انظر: التألي على الله تعالى بالضمان بالجنة لمن بشر مشايخهم بعودة الناس سالمين من زيارة هود: تذكير الناس (ص٤٠). والضمان بالجنة لمن يحصل الإحياء ويجعله مجلدا، وإقرارهم قول القائل من رآني دخل الجنة المشرع الروي: ٢/٢٤٦ (٢/ ١٤٩).

(٢) هو عبد الله بن أحمد باكثير، ولد في حضرموت سنة ٨٤٦هـ، وانكب على علوم الصوفية فدرس على شيخه عبد الله العيدروس، ثم انتقل إلى الحرمين وبها توفي سنة ٩٢٥هـ. انظر: النور السافر (ص١٢٥)؛ وذيل تاريخ النور السافر (١/ ٤٦٨)؛ والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص١٤٤).

(٣) تاريخ النور السافر (ص١١٦). وانظر مزاعمهم في ذلك أيضاً: مواهب القدوس (ص٥١)، تذكير الناس (ص٤٠)، الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٦١).

ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

بل جعل الله تعالى القول عليه بلا علم أعظم المحرمات قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

ثم إن دعواهم ضمان الجنة لمن استجاب لهم، أو تكلف رؤيتهم، كلام لا يصدر من تقي علم معنى التقوى، كما أن في ذلك تزكية لأنفسهم بأنهم من أهل الجنة والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

والنبي ﷺ وهو سيد الخلق وأشرف الرسل يقول: «والله ما أدري، وأنا رسول الله، ماذا يفعل بي»(١).

ادعاؤهم أن أماكن أوليائهم من الجنة:

وادعى القوم قداسة بعض الأماكن وأنها من الجنة؛ لسكن أوليائهم فيها أو نزولهم بها ونحو ذلك، يقول الشلي: «وحكي عن عبد الرحمٰن السقاف وحكاه السيد الجليل عبد(٢) بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ الأعظم عن بعض مشايخه بمكة أنهما قالا: تحت الفريط الأحمر روضة من رياض الجنة»(٣).

وقد غلا علي بن حسن العطاس في مشهده الذي بناه بقرية الغيوار، حيث ذكر كلاماً لعمر بن عبد الرحمٰن العطاس أنه قال: «إن ظلمة الغيوار وما فيه من هذه المظالم، والغيار، والفواحش الكبار سوف يحله واحد من أولادي، ويصير بسبب ذلك روضة من رياض الجنة»(٤).

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه (ص٢٤٤) برقم (١٢٤٣). وانظر (٢٦٧٨، ٣٩٢٩، ٧٠٠٣، ٧٠٠٤، ٧٠١٨).

(٢) كذا في الأصل. والصواب: عبد الله: انظر: المشرع الروي (٢/ ٤٧، ١٦٧)؛ وتعليقات أحمد ضياء شهاب على شمس الظهيرة (١/ ٣٨٤).

(٣) المشرع الروي (١/ ١٤٦).

(٤) المقصد إلى شواهد المشهد (ص٤٥٣).

ويقول علي بن حسن العطاس: «وقد بلغني عن بعض السلف أنه قال: تربة تريم، وتربة الهجرين، وتربة غيل أبي سودان ـ التي في وادي عدم من نواحي ساه ـ هؤلاء الثلاث تحمل إلى الجنة بحصائها وما فيها»[١].

ومن نصوص القوم في ذلك ما ادعاه أبو بكر بن سالم في مسجده حيث قال: «مسجدي هذا من الجنة»[٢]. وجاء في كتاب المشرع الروي في ذكر مناقب محمد بن علي مولى الدويلة (ت٩٦٥هـ): «وروي أنه سمع هاتفاً يقول له: ابن داراً عند العين فإنها من أنهار الجنة فتقدس بسكنا[٣] ذلك الوادي، وأسبل بالتقوى ذلك النادي»[٤].

وفي نصوص القوم المتقدمة ما يوضح أن بلاءهم أساسه الغلو في الأولياء، ومن ثم قادهم إلى الكذب واختراع هذه الفضائل المزعومة.

تصرف أوليائهم بالجنة كما يشاءون:

ادعى القوم تصرف أوليائهم في الجنة وما فيها من نعيم؛ بدعوى التصرف المطلق في أمور الدنيا والآخرة.

يقول علي بن عيسى الحداد عند كلامه على كرامات الأولياء: «وكان سيدنا القطب الغوث الفقيه المقدم محمد بن علي يطوف بالجنة ويقول: لم أر فلاناً في الجنة، وما يدخل فقيري النار، وأما الجنة فهو من أهلها يعني في اللوح المحفوظ»[٥].

ويعتقد القوم اطلاع أوليائهم على الجنة والتصرف فيها قبل يوم القيامة، فقد جاء في كتاب البرقة المشيقة عند ذكر مناقب محمد بن علي باعلوي المشهور بالفقيه المقدم: «وغاب عنه فقير في بعض الأسفار، وانقطعت عنه

---

(١) المصدر السابق (ص٨١).

(٢) بلوغ الظفر والمغانم (ص١٥)؛ وانظر: الجواهر (ص١٠٨).

(٣) كذا في الأصل. والصواب: (بسكنى).

(٤) المشرع الروي (١/ ٢٠١).

(٥) نور البصيرة في حقيقة السيرة (ص٤٧).

الأخبار يقال لذلك الفقير: أبا خريصة فجاء إنسان إلى الفقيه فقال: أن خادمه باخريصة قد مات، فأطرق الفقيه ساعة، ثم رفع رأسه فقال: كلا إن أبا خريصة ما مات، فقيل له: وكيف تقول هذا وقد جاء الخبر بموته، فقال: إني اطلعت في الجنة فنظرت فيها فلم أرَ أبا خريصة فيها، وما يدخل أبو خريصة النار»(١).

وادعى القوم امتلاك أوليائهم لمفاتيح الجنة يتصرفون بها كما يشاءون جاء في كتاب الجوهر الشفاف: «الحكاية التاسعة والثمانون: عن بعض الثقات قال: رأيت الشيخ علي بن محمد الخطيب رضي الله عنهما، بعد وفاته في النوم وفي يده شيء يشبه الأقاليد ـ يعني المفاتيح ـ قال: فقلت له: ما هذا بيدك يا شيخ؟، فقال: مفاتيح الجنة وطار من بين يدي رضي الله عنه.

قلت: وتعبير ذلك ـ والله أعلم ـ: إن الشيخ علي المذكور أعطي التصريف والشفاعة، يولي من يشاء ويعزل من يشاء هو يدخل الجنة بشفاعته من يشاء»(٢).

وقرر القوم كلام مشايخهم في الحديث عن أمور الغيب وما يكون في الآخرة دون دليل، فقد جاء في كتاب كنوز السعادة الأبدية: «قال الشيخ عبد العزيز الدباغ: إن الحور العين في القصور ما يتحركن في الجنة إلا بأمر القطب»(٣).

وجاء في كتاب العقد النبوي عند ترجمة عبد الرحمٰن السقاف وذكر محادثة وقعت بينه وبين ولده وفيها: «جلست يوماً أنا وولدي في صحن داره، قبل وفاته بأكثر من ثلاثين سنة، فوضع والدي رأسه على ركبتيه، وأطرق فسكت، ولم أكلمه فمكث ما شاء الله مطرقاً، ثم رفع رأسه وقال: شم رجلي! فشممتها، فإذا هما صفر وعرفهما الزعفران، وقال: كنت أسير في الجنان إلى

---

(١) البرقة المشيقة (ص١٠٤). وانظر: المشرع الروي (٢/٩).
(٢) الجوهر الشفاف (١/١٣٦).
(٣) كنوز السعادة الأبدية (ص٤٣٥).

أن قال: وإن رجلي هذه قد دحقت[١] في الجنة الفردوس، وما أعد ذلك إلا استدراجاً أو قال: نزغة من الشيطان أو نحو ذلك»[٢].

وجاء في كتاب: المشرع الروي عند ذكر مناقب محمد بن علي صاحب مرباط: «وتواجد يوماً بحضرة عمه الشيخ عبد الله بن علوي، حتى غشي عليه، ثم أقيمت الصلاة فصلى معهم، فلما فرغوا قال العارف بالله علي بن سلم لعمه عبد الله: صلى ابن أخيك بلا وضوء لأنه زال عقله. فأخبره عمه بقول الفقيه علي بن سلم فقال: وعزة الحقِّ! إني توضأت وشربتُ من الكوثر ونفض لحيته فتقاطر منها الماء ثم قال: يا فقيه نزل علينا شيء لو نزل على الجبال لدُكَّت»[٣].

وجاء في كتاب العقد النبوي: «وقال شيخنا عبد الرحمٰن السقاف قال لي والدي: كنت مرة مريضاً فأتاني ملكان بدلو فيه شيء أبيض من اللبن، فشربت منه حتى رويت، فإذا هو أحلى من العسل فقلت لهما: من أين هذا؟، قالا: من عين السلسبيل»[٤].

وجاء في كتاب تذكير الناس أن أبا بكر بن عبد الله العطاس قال: قال لي الحبيب أحمد بن عمر المشهور ـ وكان شيخه ـ سوف أدخل الجنة أنا وأنت معاً، وأنت في قيد الحياة، قال: فتعجبت من ذلك، ثم مات الحبيب أحمد المذكور، فخرجت ذات يوم من البيت، وتوجهت إلى الجامع، وإذا به مقبل في الطريق يضحك، فلما وصل إلى أخذ بيدي، وطلعت أنا وهو في الهواء نخترقه من سحاب إلى سحاب إلى آخر ما قال رضي الله عنه»[٥].

ويقول الشلي عن محمد بن علي بن محمد مولى الدويلة[٦] (ت٨٢٧هـ):

---

(١) دحقت بمعنى مشيت برجلي، باللهجة الحضرمية.

(٢) العقد النبوي (١/ ٣٦١).

(٣) المشرع الروي (١/ ٢٠٠).

(٤) العقد النبوي (١/ ٣٤٥).

(٥) تذكير الناس (ص٢٢٠).

(٦) هو محمد بن علوي بن محمد مولى الدويلة، من صوفية حضرموت، ولد بتريم ونشأ بها، وكان له معرفة بالسحر وعلومه، وكان الناس يعتقدون في ولايته، وادعيت له الكرامات الغريبة. توفي بعدن سنة ٨٢٧هـ. انظر: المشرع الروي (١/ ١٩٣ ـ ١٩٤).

«وكان معتقد عند الخاص والعام، مقبول الشفاعة عند الحكام، ومن تبع طريقته حاز السلامة والنجاة ومن عانده خسر آخرته ودنياه»[١].

ويعلم بطلان هذا الكلام كل من قرأه لمخالفته للمسلمات التي يعرفها كل مسلم ـ وإن كان في بادية ـ إذ النجاة في الآخرة لا تكون إلا باتباع طريق الرسول ﷺ وذلك بإخلاص العبادة لله تعالى. وكما قال الشاعر:

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل[٢]

عدم التفاتهم إلى الجنة:

جاء في كتاب مواهب القدوس أن عبد الرحمٰن السقاف كان يقول: «ما لقلبي التفات إلى غير الله من أهل، أو ولد، أو مال، أو جنة، أو نار»[٣].

ويدعي القوم أن الجنة تتمثل لمشايخهم عند الموت فلا ينظرون إليها، فقد ذكر علي بن محمد الحبشي أن: «الحبيب أبا بكر العطاس رأى الجنة بحورها، وقصورها تحت بيت الحبيب الحسن بن صالح البحر، وأن الحبيب حسن يقول: ما مرادي الحور، ولا القصور، بل مرادي كشف الستور»[٤].

وجاء في كتاب المشرع الروي عند ذكر مناقب عبد الرحمٰن السقاف العلوي: «ما نقول إلا وقد أفنينا الدنيا والآخرة، أول ما تبدو لنا الدنيا نسحقها، ثم تظهر الآخرة فنسحقها، ثم ننبذهما جميعا حتى لا يبقى غير الله فحينئذ يقع الوجود»[٥].

وقول القوم بالاستغناء عن الجنة، وأن لا مراد لهم سوى عبادة الله

---

(١) المشرع الروي (١/ ١٩٤).

(٢) البيت للمتنبي برواية: وليس يصح في الأفهام شيء... إلخ (٢/ ١٤٢). منشور مع شرحه العرف الطيب، لليازجي، ط ١٤٠٤هـ، دار بيروت، لبنان.

(٣) مواهب القدوس (ص٤٠).

(٤) كنوز السعادة الأبدية (ص٣٩).

(٥) المشرع الروي (١/ ٢٠٠). وهذه العبارة تشعر بالقول بوحدة الوجود، وقد قال به كبارهم، والسقاف هذا من الغلاة، ومن كبار المعظمين لدى القوم، وله عبارات منحرفة: انظر: الجوهر الشفاف (٢/ ٣٥٨)؛ الغرر (ص١٨٣)؛ المشرع (٢/ ١٤١).

تعالى، قول باطل، فإن أشرف الخلق ﷺ كان يسأل ربه الجنة والنجاة من النار كما في سنن أبي داود أنه ﷺ قال لرجل: «كيف تقول في الصلاة؟» قال: أتشهد وأقول: اللهم إني أسالك الجنة وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال النبي ﷺ: «حولها ندندن»(١).

ويذكر أبو بكر الحبشي أن الحلاج - أحد كبار زنادقة الصوفية - رأى مصيره عند الموت حيث: «تمثلت له الجنة فنظر إليها، وصرخ صرخة عظيمة، وتأوه وتغير لونه، إلى أن قال عن الجنة: ليس هذا المقام الذي كنت أطلبه وقضيت عمري في السلوك لأجله فسمع الهاتف يقول له فما تروم فقال:

أروم وقد طال المدى منك نظرة ... وكم من دماء دون مرماي طلّتِ

ثم تهلل وجهه وتبسم وفاضت روحه، فعلم الحاضرون أنه فاز بمرامه»(٢).

ومن نصوص القوم في عدم الالتفات للجنة وعدم سؤالها ادعاؤهم أن النبي ﷺ قد ضمنها لهم، يقول أحمد بن حسن العطاس: «وأعجبني الحبيب أحمد بن حسين العيدروس لما جمع السادة بتريم وأضافهم(٣)، وسألهم الدعاء لأولاده بالكفاية، وأن لا يحتاجوا إلى أحد بعده، فقالوا له: اسأل لهم أمور الآخرة، فقال أما الآخرة فقد تكفل بها محمد ﷺ»(٤).

وأقوال صوفية حضرموت في عدم الالتفات للجنة، ولا الخوف من النار أقوال باطلة، إذ لا منافاة بين عبادة الله تعالى، والرغبة في الجنة والهرب من النار، كما قال تعالى مرغباً عباده في الجنة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة (ص١٠٦) برقم (٧٩٢)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب إقامة الصلاة، باب ما يقال بعد التشهد: والصلاة على النبي ﷺ (ص١٠٦) برقم (٩١٠)؛ وبرقم (٣٨٤٧)؛ وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٣٥٨). وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٢٩٢) برقم (٧٩٢) ترقيم مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٢) كنوز السعادة الأبدية (ص٣٩).

(٣) أي استضافهم وقام بواجب الضيافة.

(٤) تذكير الناس (ص٣٣٢). انظر دعاويهم في عدم الالتفات للجنة: المشرع الروي (٢/ ١٤٤).

وقال سبحانه في تخويف عباده من النار ليهربوا منها، وذلك بفعل الخيرات وترك المنكرات: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤].

وعبادة الله تعالى بالرغبة والرهبة كانت دأب أفضل البشر وهم الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ الذين أثنى الله تعالى عليهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وذكر تعالى عن نبيه محمد ﷺ قوله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الأنعام: ١٣].

كذلك هو دأب المؤمنين الصادقين حيث جمعوا في عبادتهم لربهم بين الخوف من عذابه، والطمع في جنته، كما قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦ ـ ١٧].

دعوى الاطلاع على مصير الناس في الآخرة:

وخاض القوم في الكلام على أمور اليوم الآخر بلا علم ولا دليل من الشرع، وقادهم الجهل والهوى إلى كثير من الانحرافات في هذا الباب، حتى ادعوا أن الجنة لكبار مشايخ آل باعلوي، يقول عبد الله بن علوي الحداد: «لا يبعد أن يكون المشايخ آل أبي علوي وأكابرهم في الآخرة رتبة ومزية ليست لغيرهم، وفضيلة على من سواهم من المشايخ لما كانوا عليه من الخمول، والذبول، والمسكنة والحلال بخلاف غيرهم». اهـ[1].

يقال للقوم أن دعوى دخول الجنة بالخمول والذبول والمسكنة ونحو ذلك غير صحيحة؛ لأن دخول الجنة لا يكون إلا بالتوحيد الخالص، مع متابعة النبي ﷺ، وقد بيّن تعالى ذلك بقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢].

كما ادعى القوم أن أم العيدروس من أهل الجنة بناء على رؤيا رأتها في

---

(١) العقود اللؤلؤية، لمحمد الحبشي (ص٤).

ذلك، فجعلوها كالنص الشرعي الذي لا يجوز مخالفته، يقول محمد بحرق: «ولهذا علمت بمقتضى تلك الرؤيا من صدق الرجاء بأنها من أهل الجنة، وإن ابنها لا يحضر موتها أبداً، بل يكون في حالة موتها بزيلع، أعاد الله علينا من بركات أنفاسهم الصادقة، ووفقنا للتسليم لكرامتهم الخارقة»(١).

ووصف القوم شخصاً يدعى حسين بن عمر بن سهل بقولهم: «إن العم حسين المذكور من الرجال وممن يرى مقعدهم من الجنة قبل موتهم»(٢). وجاء في كتاب تاريخ النور السافر: «وروي أن الفقيه محمد بن أبي بكر عباد رحمه الله كان يقول: إذا كان يوم القيامة أخذ أبو بكر أهل تريم كلهم قبضة في يده ورمى بهم في الجنة»(٣).

وادعى القوم ارتفاع العذاب في القبر عن مجاوري أوليائهم، وحصول شفاعة أوليائهم قبل يوم القيامة فقد جاء في ترجمة محمد بن أحمد المعروف بمقدم تربة قسم أن جمل الليل قال: «لما مات محمد بن أحمد ارتفع عن تربته العذاب، وأنه يشفع لجميع أهل محبته»(٤).

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الشهادة للمعين بالجنة أو النار:

بيّن أهل العلم مذهب أهل السنَّة والجماعة في هذه المسألة معتمدين على نصوص الكتاب والسنَّة دون غيرهما، يقول ابن أبي العز رحمه الله في شرح قول الطحاوي: «ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً»: «يريد أنا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة إنه من أهل الجنة، أو من أهل النار إلا من أخبر الصادق أنه من أهل الجنة، كالعشرة رضي الله عنهم، وإن كنا نقول: إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكنا نقف في الشخص المعين، فلا نشهد له بجنة، ولا نار إلا عن علم؛ لأن الحقيقة باطنة، وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجوا

---

(١) مواهب القدوس (ص٢٠).
(٢) كتاب لمعة النور (ص٥٧).
(٣) تاريخ النور السافر (ص٧٦).
(٤) المشرع الروي (١/ ١٧٤).

للمحسنين، ونخاف على المسيئين، وللسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء وهذا ينقل عن محمد ابن الحنفية[(١)] والأوزاعي.

والثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

والثالث: أنه يشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون كما في الصحيحين أنه مرّ بجنازة فأثنوا عليها بخير فقال النبي: «وجبت» ومر بأخرى فأثنى عليها بشر فقال: «وجبت»، وفي رواية كرر«وجبت» ثلاث مرات فقال عمر: يا رسول الله ما وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض»[(٢)]. وقال: «توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار» قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «بالثناء الحسن والثناء السيء»[(٣)]. فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة وأهل النار»[(٤)].

ويقول الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٠٠هـ): «فكل من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة شهدنا له، ولا نشهد لأحد غيرهم، بل نرجوا للمحسن، ونخاف على المسيء، ونكل علم الخلق إلى خالقهم... إلخ»[(٥)].

---

(١) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفية المدني، ثقة من العلماء ومن سادات قريش الشجعان، وقد ذهب طائفة من الرافضة إلى إمامته وادعوا أنه المهدي المنتظر الذي يخرج في آخر الزمان. مات بالمدينة بعد سنة ٨٠هـ. انظر: البداية والنهاية (٩/ ٤٠ ـ ٤٢)؛ والتقريب (ص٨٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت (ص٢٦٦) برقم (١٣٦٧) وبرقم (٢٦٤٢)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب فيمن يُثنى عليه خير أو شر من الموتى (ص٣٦٨) برقم (٩٤٩). وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في تخريجه لشرح العقيدة الطحاوية: «وإسناده محتمل للتحسين» (ص٣٧٨) برقم (٤٨٩).

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/٤١٦)، (٦/٤٦٦)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب الثناء الحسن (ص٤٥٥) برقم (٤٢٢١)؛ وإسناده حسن.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧). وانظر: مجموع الفتاوى (٣/١٥٣).

(٥) الاقتصاد في الاعتقاد، للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ص٢٠٥)، حققه وعلق عليه: د. أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٣هـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فمن شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بالجنة وأما من لم يشهد له بالجنة فقد قال طائفة من أهل العلم: لا يشهد له بالجنة، ولا نشهد أن الله يحبه، وقال طائفة: بل من استفاض من بين الناس إيمانه وتقواه، واتفق المسلمون على الثناء عليه؛ كعمر بن عبد العزيز، والحسن البصري، وسفيان الثوري، وأبي حنيفة، ومالك والشافعي وأحمد، والفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، وعبد الله بن المبارك رضي الله عنهم وغيرهم شهدنا له بالجنة»[١].

وقال أيضا: «ولهذا لا يشهد لمعين بالجنة إلا بدليل خاص، ولا يشهد على معين بالنار إلا بدليل خاص، ولا يشهد لهم بمجرد الظن من اندراجهم في العموم؛ لأنه قد يندرج في العمومين فيستحق الثواب والعقاب لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]»[٢].

ثم إن السلف يعبدون الله تعالى بالخوف والرجاء، لا كما يدعيه كبار صوفية حضرموت من التصرف بأمور الآخرة، بل وضمان الجنة لأنفسهم ولغيرهم، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم وهم خير الناس بعد الأنبياء والرسل يخافون من عذاب الله تعالى، وقد ذكر الإمام ابن القيم بعض الآثار عن الصحابة التي تبيّن شدة تواضعهم لله تعالى، وخوفهم من عذابه ﷻ، ونورد ما ذكره رحمه الله ليعرف صوفية حضرموت حقيقة الأمر، وليثوب أحياؤهم إلى رشدهم، ويتركوا عقائد أسلافهم الباطلة في التألي على الله، وادعاء الضمان بالجنة لمن يريدون، بل والتصرف في شئون الآخرة، يقول رحمه الله: «قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣١٣ ـ ٣١٤).
(٢) مجموع الفتاوى: ٣٥/ ٦٨.

وعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠]. قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر، ويسرقون قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات»[١].... والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن، ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل، مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن، فهذا الصديق يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن. ذكره أحمد عنه[٢]، وذكر عنه أيضا: أنه كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد[٣]، وكان يبكي كثيراً ويقول: أبكوا فإن لم تبكوا، فتباكوا[٤]. وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله ﷻ[٥]. وأتي بطائر يقلبه ثم قال: ما صيد من صيد، ولا قطعت من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح[٦]. ولما احتضر قال لعائشة: يا بنية! إني أصبت من مال المسلمين هذه العباءة، وهذه الحلاب[٧]، وهذا العبد فأسرعي به إلى ابن الخطاب[٨]. وقال: والله، لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل، وتعضد[٩].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١٥٩، ٢٠٥)؛ والترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنين (ص٥٠٤) برقم (٣١٧٥)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب التوقي على العمل (ص٤٥٣) برقم (٤١٩٨)؛ والحميدي في مسنده (٢٧٥). وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١/ ٣٠٤) برقم (١٦٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد (٢/ ١٣).

(٣) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٧)؛ وأبو يعلى في مسنده (٥)؛ وابن أبي الدنيا في الصمت (١٣)؛ ومالك في الموطأ (٢/ ٩٩٨)؛ وابن أبي شيبة (٩/ ٦٦)؛ وابن المبارك في الزهد (٣٦٩) بسند صحيح.

(٤) رواه الإمام أحمد في الزهد (٢/ ١٣).

(٥) انظر: تاريخ الخلفاء (١٠٤).

(٦) رواه الإمام أحمد في الزهد (٢/ ١٥).

(٧) الحِلاب بكسر الحاء إناء يُحلب فيه. القاموس المحيط (ص٧٦).

(٨) رواه الإمام أحمد في الزهد (٢/ ١٦).

(٩) المصدر السابق (٢/ ١٧).

وقال قتادة: بلغني أن أبا بكر قال: ليتني خضرة تأكلني الدواب[١].

وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور إلى أن بلغ قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ [الطور: ٧]. فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه[٢]. وقال لابنه وهو في الموت: ويحك ضع خدي على الأرض، عساه أن يرحمني ثم قال: ويل أمي إن لم يغفر الله لي ثلاثاً، ثم قضى[٣]. وكان يمر بالآية في ورده بالليل فتخيفه فيبقى في البيت أياماً يعاد، ويحسبونه مريضاً[٤].

وكان في وجهه رضي الله عنه خطان أسودان من البكاء[٥].

وقال له ابن عباس: مصَّرَ اللهُ بك الأمصارَ، وفتح بك الفتوحَ، وفعل وفعل. فقال: وددت أني أنجو لا أجرَ، ولا وزرَ[٦].

وهذا عثمان بن عفان كان إذا وقف على القبر يبكي حتى تبتلَّ لحيته[٧]، وقال: لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير[٨].

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبكاؤه وخوفه، وكان يشتد خوفه من اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى قال: فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل[٩] إلى أن قال رحمه الله: وهذا

---

(١) رواه الإمام في الزهد (٢/ ١٨). (٢) انظر التخريج: الأثر الذي بعده.

(٣) المصدر السابق (٢/ ٨١).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٢٩). وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥١).

(٥) المصدر السابق (٢/ ٣٠). المصدر السابق (١/ ٥١).

(٦) المصدر السابق (٢/ ٣٤). المصدر السابق (١/ ٥٢).

(٧) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الزهد، باب (ص٣٨١) برقم (٢٣٠٨)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبِلى (ص٤٦٠) برقم (٤٢٦٧)؛ وأبو نعيم في الحلية (١/ ٦١).

(٨) رواه الإمام أحمد في الزهد (٢/ ٤٢). وأبو نعيم في الحلية (١/ ٦٠).

(٩) رواه الإمام أحمد في الزهد (٢/ ٤٨). وأبو نعيم في الحلية (١/ ٧٦).

باب يطول تتبعه قال البخاري في صحيحه: باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر»[(١)].

فهذا هو دأب السلف ﷺ فإذا كان الصحابة الذين هم أفضل الخلق، وقد ذكرنا أقوال أعظمهم بعد الأنبياء والرسل وهم الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وأرضاهم يخافون من عذاب الله تعالى وكان أسوتهم في ذلك رسول الله ﷺ الذي أمره الله تعالى أن يقول: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝﴾ [الأحقاف: ٩].

❁ المطلب الثالث ❁

قولهم في النار

النار هي الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين، وقد يدخل فيها بعض المؤمنين أصحاب الكبائر ولكن لا يخلد فيها إلا الكافرون والمنافقون. وقد انحرفت صوفية حضرموت في هذه المسألة، وتقوّلت على الله بلا علم فمنهم من ادعى عدم الالتفات إلى النار ألبتة لعدم خوفهم منها[(٢)]، ويمكن تلخيص انحرافهم في هذه المسألة في الآتي:

دعوى غلاتهم النجاة من النار بل والتصرف بها كما يشاءون:

ادعى القوم أن الله تعالى أطلعهم على النار، يقول الخطيب في جوهره: «عن أحمد بن عبد الرحمٰن أيضا قال: مرض جدي الشيخ إبراهيم ﷺ، فجاء عنده ابن عمه الفقيه فضل بن محمد ﷺ، يعوده فقال له الفقيه: كأنك يا شيخ متحمي[(٣)]، فقال الشيخ: يا فقيه هذا ورودي من النار ليس لي فيها نصيب غير

---

(١) الداء والدواء المسمى (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)، تأليف: الإمام ابن قيم الجوزية (ص٦٠ ـ ٦٤)، حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٣، ١٤١٩هـ.

(٢) كما قال ذلك السقاف، انظر (ص٧٠٨) من هذا البحث.

(٣) أي أصابتك الحمى.

هذا ما سمعت قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. أما أنا فهذا ورودي. قال المؤلف عامله الله ووالديه وأحبابه والمسلمين بلطفه وكرمه في الدارين آمين: لم يصرح الشيخ هذا الكلام أعني أن ذلك الحمى وروده من النار إلا وقد أطلعه الله تعالى على ذلك وأمنه من النار»[١].

وادعى القوم أن لهم القدرة على إطفاء نار الجحيم، يقول أبو بكر بن سالم العلوي في قصيدة له:

أنا حتف لأهل العذلِ ونار   الجحيم أطفيها»[٢]

دعوى ضمان الوقاية من النار بأفعال مبتدعة:

ومن ذلك قولهم أن من نظر إلى منار جامع الفريط لا تمسه النار، يقول الشلي مبيناً فضل مقبرة الفريط بتريم: «وعن الشيخ حسن الورع بن علي قال: من نظر منارة الجامع والفريط حتى سفر عليه لم يكتب عليه ذنب، وكان بعض الأولياء العارفين يقول: من وقع ظل الفُريط عليه لم تمسه النار؛ ولأجل هذا يحرص أهل البلدان على أن تكون مقابرهم حذاء الفُريط المذكور بحيث يقع ظله عليها»[٣].

ونقل الخطيب الحضرمي في جوهره عند الحكاية الثالثة عشر: «أن الشيخ أحمد ابن الشيخ علي الخطيب رضي الله عنه خرج يوماً يريد زيارة قبور تريم، فبينما هو في الطريق، إذ هو بأبي العباس الخضر عليه السلام فقال له: يا أحمد، تريد أن أوقفك على قبري رجلين صالحين من زارهما غفر الله له؟، قال: نعم، فمشى معه قليلاً إلى مكان من القبور الدائرة، ثم وقف الخضر عليه السلام وقال: هما هذين القبرين[٤]، وأشار إلى بقعة قريبة منهما ليس بها أعلام قبور وكان القبران قد علت فوقهما الأرض، وواراتهما حتى لم يظهر منهما شيء، فنبش الشيخ

(١) الجوهر الشفاف (١/ ١٤٦).
(٢) مجموع مبارك يحتوي على المولد الشريف للديبعي ومعه قصائد في مدحه ﷺ (ص٩٣).
(٣) المشرع الروي (١/ ١٤٦).
(٤) كذا في الأصل. والصواب: هما هذان القبران.

عليهما قليلاً من الأرض فوجد سحوحهما[١] مديراً بهما مكتوبان في شواهدهما أحدهما: الإمام العالم العامل الزاهد التقي الورع: يحيى بن سالم بن أبي أكدر، والآخر أخوه أحمد»[٢].

وجاء في كتاب العقد النبوي عند ذكر كرامات محمد بن علي (الفقيه المقدم): «وروي عن السيد الجليل العارف محمد بن حسن المعلم رضي الله عنه ونفع به قال: شهدت أن الشيخ محمد بن علي رضي الله عنه ونفع به أوقف بين يدي الله تعالى بعد وفاته، وخوطب بهذا الخطاب ثلاث مرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار: ٦] فلم يرد الشيخ جواباً والملائكة محيطة به، وإذا بالنداء من قبل الحق تبارك وتعالى يقول للملائكة: اذهبوا به حيث شاء؛ فإنه محبوب فقال الشيخ - رضي الله عنه ونفع به -: اذهبوا بي إلى النار فذهبوا به إليها، فلما وصلها رمى بنفسه فيها، فجعل يسير فيها ذاهباً ومقبلاً ويخرج كل من رآه من أهل تريم حتى أخرجهم الجميع إلا اثنين أو ثلاثة كلما أخرجهم عادوا إليها فبقي يشفع لهم»[٣].

قولهم في حكم أبدية النار:

وجاء في كتاب الدر الثمين عند ذكر النار وهل هي تفنى أم لا؟ قال: «وليس في القرآن دلالة على بقاء النار، وعدم فنائها إنما الذي فيه أن الكفار خالدون فيها غير خارجين منها إلى أن قال: وهذا لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين إنما النزاع في أمر آخر وهو: أن النار أبدية، أو مما كتب عليه الفناء»[٤].

وهذا النقل لا صحة له؛ بل السلف من الصحابة والتابعين متفقون على أن النار أبدية لا تفنى، للأدلة الكثيرة من الكتاب والسنَّة، وإنما النزاع بين

---

(١) هكذا في الأصل، ولعل معنى السحوح الحجر الجبلي ذي الألوان. انظر: كلمات في الدارجة بمدينة تريم (ص٤٣).
(٢) الجوهر الشفاف (١/ ٦٧).
(٣) العقد النبوي (١/ ٣٤٢).
(٤) الدر الثمين (ص٥٧).

الجهمية والمعتزلة وبين أهل السنَّة، ففي كتاب الله تعالى يذكر جلَّ وعلا أنه أعد الجنة والنار، فقال عن الجنة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢١﴾ [الحديد: ٢١].

وقال تعالى عن النار: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١].

وأما من السنَّة: فقد أخرج الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي؛ إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»[(١)].

قال الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله: «والإيمان بأن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً، خلقتا للبقاء لا للفناء، وقد صح في ذلك أحاديث عدة»[(٢)].

بل نقل أهل العلم الإجماع على أبدية الجنة والنار وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان أبداً قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد اتفق سلف الأمة، وأئمتها وسائر أهل السنَّة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية، كالجنة والنار، والعرش، وغير ذلك. ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين؛ كالجهم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة، ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله، وسُنَّة رسوله، وإجماع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول (ص٢٦٨) برقم (١٣٧٩)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (ص١١٤٩) برقم (٢٨٦٦).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٧٦). وانظر اعتقاد أهل السنَّة والجماعة في هذه المسألة وردهم على المخالفين: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦١٤ وما بعدها).

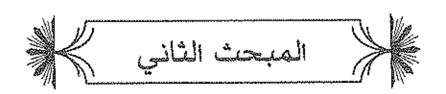
سلف الأمة وأئمتها. كما في ذلك من الدلالة على بقاء الجنة وأهلها، وبقاء غير ذلك مما لا يتسع هذه الورقة لذكره»(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ولما كان الناس على ثلاث طبقات طيب لا يشينه خبث وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة؛ فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد؛ فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم، أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٧). وانظر كلام شيخ الإسلام على هذه المسألة والرد على المخالفين: نقض التأسيس (١/ ٥٨١)؛ وبيان تلبيس الجهمية (١/ ١٥٢، ١٥٧)؛ ودرء التعارض (٢/ ٣٥٧)؛ ومراتب الإجماع، لابن حزم الظاهري (ص١٧٣) ط العلمية.

(٢) الوابل الصيب (١/ ٣٤). وانظر: شفاء العليل (١/ ٢٦٠).



المبحث الثاني

قولهم في عذاب القبر ونعيمه



تمهيد

القبر أول منازل الآخرة، وهو من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها وبما يقع بعد الموت من فتنة القبر، وعذابه ونعيمه[١]، ويكون العذاب أو النعيم يكون على الروح والجسد معاً[٢].

وقد دلّت النصوص الكثيرة على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦].

وقد ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية أنه عذاب القبر، يقول الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والجمهور على أن هذا العرض في البرزخ، واحتج بعض أهل العلم على عذاب القبر بقوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ﴾ ما دامت الدنيا كذلك. قال مجاهد، وعكرمة، ومقاتل، ومحمد بن كعب كلهم قال: هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، إلى أن قال: وخرّج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»[٣]»[٤].

---

(١) انظر: العقيدة الواسطية مطبوعة بشرح الشيخ صالح بن فوزان الفوزان (ص١٤٢).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٥٧٨ ـ ٥٨٢) ط دار عالم الكتب.

(٣) تقدم تخريجه (ص٧٣٥) من هذا البحث.

(٤) تفسير القرطبي (٣١٨/١٥ ـ ٣١٩). وانظر الأدلة على عذاب القبر ونعيمه: الانتصار في الرد على القدرية الأشرار ليحيى بن أبي الخير العمراني (٧٠٨/٣ ـ ٧١٩).

وثبت عذاب القبر ونعيمه في حديث البراء الطويل حيث ذكر النبي ﷺ الموت وشدته وكيفية خروج روح المؤمن والكافر وفيه: «أن المؤمن يفسح له في قبره وينعم فيه، ويفتح له باب إلى الجنة ويأتيه من نعيمها وروحها وريحانها... وأما الكافر فإنه يفتح له باب إلى النار ويأتيه من سمومها وحميمها»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في الحديث الطويل في عذاب القبر: «فأما فتنة القبر فبي تفتنون، وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع، ولا مشعوف[٢]»[٣].

قال الخطابي رحمه الله: قوله: «فبي تفتنون» أي: تمتحنون، يريد سؤال الملك إياه وقوله: «من ربك؟ ومن نبيك؟»[٤].

والقبر أول منازل الآخرة كما ثبت في حديث عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القبر أول منازل الآخرة، فمن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج فما بعده أشد منه»[٥].

وقال ﷺ: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا

(١) تقدم تخريجه (ص٧١٨) من هذا البحث.
(٢) قال الخطابي: «غير فزع ولا معذور، والشعف: الفزع، وقد يستعار فيوضع موضع الحب، يقال: شُعف فلان بفلانة إذا أحبها فوجد بها كما يجد الفزع في قلبه». غريب الحديث (١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨). تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، دار الفكر، دمشق، ط ١٤٠٢هـ.
(٣) رواه أحمد في المسند (٦/ ١٣٩ ـ ١٤٠)؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤٨ ـ ٤٩) عن أحمد، والحاكم في المستدرك (١/ ١٣٧ ـ ١٣٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي. وصحح إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٦/ ١٦١)؛ وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠) برقم (١٣٦١).
(٤) غريب الحديث (١/ ٣٦٧).
(٥) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الزهد، بابٌ (ص٣٨١) برقم (٢٣٠٨)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى (ص٤٦٠) برقم (٤٢٦٧)؛ وأبو نعيم في الحلية (١/ ٦١) وحسن إسناده الشيخ الألباني رحمه الله في تخريجه للمشكاة (١/ ٤٨) برقم (١٣٢).

لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»[١].

إلى غير ذلك من النصوص التي تدل على ثبوت عذاب القبر، وما يقع فيه من العذاب أو النعيم، حتى ذكر بعض أهل العلم أن أحاديثه بلغت حد التواتر[٢].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعذاب القبر حق: يسأل العبد عن دينه، وعن ربه، ويرى مقعده من النار والجنة، ومنكر ونكير حق، وهما فتانا القبر، نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ الثبات»[٣].

ويجب على المؤمن الإيمان بذلك، واعتقاد أن أمور البرزخ ليست كأمور الدنيا؛ لأنها من أمور الغيب، فلا يخاض في مسائله إلا بما دل عليه الدليل والكف عن التكلف والتخرصات.

ومع هذه النصوص الكثيرة في ثبوت عذاب القبر ونعيمه، وأنه من أمور الغيب التي لم يطلع الله عليها أحداً إلا من شاء أن يطلعه على بعض أمور القبر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧]. إلا أن كبار صوفية حضرموت جانبوا الحق في بعض مسائل هذا الباب، وذلك بسبب الغلو، والإعراض عن الحق وأدلته واستندوا في تقرير عقائدهم المنحرفة على الحكايات والتخيلات الشيطانية التي تقع لأوليائهم.

---

(١) جزء من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (ص١١٥٠) برقم (٢٨٦٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ٥١)؛ وكتاب الروح للإمام ابن القيم (١/ ٢٨٤)؛ ومفتاح دار السعادة له أيضاً (١/ ٤٣)؛ ولوامع الأنوار البهية، للسفاريني (٢/ ٥)؛ ومعارج القبول، (٢/ ١٤٢)؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٤٥).

(٣) السنَّة للإمام أحمد (ص٤٦ ـ ٤٧).

※ المطلب الأول ※

دعوى تصرف أوليائهم ومشايخهم في أمور البرزخ

يعتقد القوم تصرف من يعظمونهم من الأولياء والمشايخ في أمور البرزخ، كدفع الشيخ عن مريده سؤال الملكين، وقد دونوا هذا الانحراف في مؤلفاتهم، فقد نقل علوي الحداد عن جده حسن الحداد أنه قال: «من كنا معه لا يخاف، ومن عرفناه ما تركناه، وإن تركنا أصل أننا نمسكه، ونحضر عند مريدنا في سؤال القبر؛ لندفع عنه منكر ونكير، ومن استغاث بي أغثته، ولم أتعد الثالثة»[(١)].

هكذا يعتقد القوم في أوليائهم مع أن النبي ﷺ كان يستعيذ من عذاب القبر[(٢)].

وفي هذا الكلام رفع أوليائهم شعروا أم لم يشعروا فوق مرتبة النبي ﷺ، فأولياؤهم ـ بزعمهم ـ أعلى من أن يستعيذوا من عذاب القبر؛ لأنهم ضمنوا لأنفسهم النجاة منه، بل تعدى الأمر إلى دعواهم نفع موتاهم في القبر، ودفع الملكين عنهم.

وكذلك فقد اعتقد بعضهم أن مشايخهم يتصرفون في أمور القبر وغيره من أمور الآخرة، وذلك بإعداد النزل، وإكرام موتاهم في البرزخ، ويبيّن ذلك ما جاء في كتاب العقد النبوي: «وروي عن الزاهد التقي العابد محمد بن علي بن عمر بن علوي رضي الله عنه ونفع به أنه يقول: لم يمت أحد من آل أبي علوي إلا وقد أصلح له الفقيه الشيخ جده محمد بن علي رضي الله عنه ونفع به مكانه»[(٣)].

---

(١) الرسالة النافعة، لعلوي الحداد (ص٨).

(٢) كما ثبت عنه ﷺ في أحاديث كثيرة انظر على سبيل المثال: صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر (ص١٢٢٣) برقم (٦٣٦٤).

(٣) العقد النبوي (١/٢٩٨). وانظر دعوى تصرف مشايخهم في البرزخ: العقود اللؤلؤية، لمحمد الحبشي (ص٧).

وكذا ادعى القوم تصرف أهل البرزخ وحضورهم عندهم متى شاءوا، يقول أحمد بن حسن العطاس: «وجاء إليّ مرة أحد صلحاء البرزخ ثم لما أراد الخروج أخذت به إلى ناحية بيت مقابل الباب الذي يريد أن يخرج منه، فقال لي: إن أهل هذا البيت يتهاونون بالصلاة وإن المكان الذي يتهاون أهله بالصلاة لا يقدر أهل البرزخ أن يمروا حوله، فأخذت به إلى جهة أخرى، فبسط جناحيه، وطار في الهواء»[(١)].

واعتقدوا كذلك أن لأوليائهم القدرة على الأخذ من مشايخهم ـ وهم في قبورهم ـ فقد جاء في كتاب تاج الأعراس أن صاحب الترجمة صالح بن عبد الله العطاس قال: «لي مشايخ من أهل البرزخ، وعد منهم أربعة: الشيخ علي بن عبد الله باراس ـ صاحب الخريبة ـ، والشيخ ناجه بن أمتع ـ صاحب رحاب ـ، وقد قال: إنه شيخي وشيخ جدي الحبيب طالب بن حسين، والشيخ محمد بن عثمان العمودي ساكن قيدون صاحب العلمه[(٢)] وجدي الأكبر الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس»[(٣)].

وذكر هذه الانحرافات في هذه المسألة ونحوها فيه غنية عن تكلف الرد عليها؛ لوضوح بطلانها لكل مسلم سليم العقل والفطرة.

ادعاؤهم إطلاع أوليائهم على ما يقع في البرزخ:

لما اعتقد القوم تصرف أوليائهم في الكون، وفي أمور الجنة والنار ـ كما تقدم ـ فإن ذلك الانحراف رافقهم في مسائل القبر، وما يقع فيه من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا بالشرع، وقد انقطع الوحي بعد موت رسول الله ﷺ ـ كما هو معلوم ـ.

فقد جعل القوم لأوليائهم ومشايخهم القدرة على الاطلاع على أمور البرزخ وهم في الدنيا، وكثرت نصوصهم في ذلك منها ما جاء في كتاب

---

(١) تذكير الناس (ص٩٨ ـ ٩٩).
(٢) كذا في الأصل.
(٣) تاج الأعراس (١/ ٣٩٦).

الجوهر الشفاف عند ذكر موت عبد الله بن الفقيه المقدم، وتكفين أخيه له ودفنه: «فلما وضعه في قبره ابتدرته الحور العين يدفع بعضهن بعضاً كل واحدة تريده زوجها، فمن غلبت منهن يكون هو زوجها»[١].

وادعى القوم أن موتاهم منعمون في قبورهم؛ لاطلاع أوليائهم على ذلك، بل والشهادة لأصحابها بعدم العذاب، يقول أحمد بن حسن العطاس: «ورأيت الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي بحريضة، فوق قبة الحبيب حسين بن عمر العطاس، فقلت له: هل في هذه التربة معذب؟ قال: لا، وقال لي اجعل المعوذتين من أورادك، فجعلتها من أورادي كل يوم مائة مرة»[٢].

ويقول علي بن حسن العطاس عند ذكره لامرأة من جماعته ووصيتها له في مرضها: «فلما رأيت قوة ثباتها، وشدة استعدادها لمماتها قلت لها: أريد منك أن تخبريني بحالك، وحال أهل البرزخ فأطرقت ساعة وقالت: سل الآن عما شئت فامتلا قلبي منها هيبة، ولم أكلمها بعد»[٣].

ومما تقدم يُلاحظ شهادة القوم لأوليائهم بالتنعم في قبورهم، بل وزعموا رؤيتهم لذلك بأعينهم، عند وضع الميت في قبره، وتدرجوا في الكذب والافتراء حتى زعموا أن الحور العين تلقته.

بل وادعوا أن جميع الموتى منعمون في قبورهم، ودليلهم في ذلك رؤية إبليسية، تمثل لهم الشيطان أو الجني في صورة أحد المعظمين عندهم فأفتاهم بمصير موتاهم، بل وشرع لهم أوراداً يتعبدون الله بها دون دليل من شرع الله تعالى.

ووصف القوم مقبرة زنبل بأنها من الجنة، وأن أهلها منعمون في قبورهم يقول الشلي: «وقد كان كثيرون من أهل الكشف يشاهدون البركات الظاهرة والأنوار الباهرة في هذه الجنان[٤]، وشاهد غير واحد منهم على أنهم على

(١) الجوهر الشفاف (١/ ١٢٥).
(٢) تذكير الناس (ص٢٣٠).
(٣) سفينة البضائع (ص٢٢).
(٤) يعني المقابر.

غاية من النعيم، والنور الجسيم ورأى جماعة رسول الله ﷺ يزورهم وكذا الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[١]..

كما ادعى القوم الاطلاع على أمور القبر وما فيه من العذاب أو النعيم، يقول الشلي عند ذكر مناقب أحمد بن عبد الرحمٰن بن علي السقاف (ت٩٤٦هـ): «وكان له اطلاع على أهل القبور وما هم عليه من عذاب وسرور»[٢].

وكل ذلك من تسلط الشياطين عليهم، لبعدهم عن الله تعالى، وتعلقهم بغيره سبحانه من الموتى وغيرهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولا ريب أن الأوثان يحصل عندها من الشياطين وخطابهم وتصرفهم ما هو من أسباب ضلال بني آدم، وجعل القبور أوثاناً هو أول الشرك، ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطاب يسمعه، وشخص يراه وتصرف عجيب ما يظن أنه من الميت، وقد يكون من الجن والشياطين مثل أن يرى القبر قد انشق وخرج منه الميت، وكلّمه وعانقه، وهذا يرى عند قبور الأنبياء وغيرهم وإنما هو شيطان، فإن الشيطان يتصور بصور الإنس، ويدعي أحدهم أنه النبي فلان، أو الشيخ فلان ويكون كاذباً في ذلك.

وفي هذا الباب من الوقائع ما يضيق هذا الموضع عن ذكره، وهي كثيرة جداً والجاهل يظن أن ذلك الذي رآه قد خرج من القبر، وعانقه أو كلمه هو المقبور، أو النبي أو الصالح وغيرهما، والمؤمن العظيم يعلم أنه شيطان»[٣].

وإذا أراد القوم معرفة صدق ذلك وإن الشيطان أو الجني يحضر عندهم لا الميت فإنه يتبيّن بأمور كثيرة منها: «أن يقرأ آية الكرسي بصدق، فإذا قرأها تغيّب ذلك الشخص، أو ساخ في الأرض، أو احتجب ولو كان رجلاً صالحاً، أو ملكاً أو جنياً مؤمناً لم تضره آية الكرسي؛ وإنما تضر الشياطين كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة لما قال له الجني: اقرأ آية الكرسي إذا أويت

---

(١) المشرع الروي (١/١٤٧). انظر كلامهم في عذاب القبر ونعيمه: المشرع الروي (٢/١٥، ٦٣)؛ تذكير الناس (ص٩٩، ١٠٧، ١١٨، ١٢٨، ١٩٨، ١٩٩، ٢١٠، ٢٣٠).

(٢) المشرع الروي (٢/٦٣). انظر دعاوى اطلاعهم على أمور البرزخ وأحوال أهله: المشرع الروي (١/١٧٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١/١٦٨).

إلى فراشك، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب»(١).

ومنها: أن يستعيذ بالله من الشياطين.

ومنها: أن يستعيذ بالعوذ الشرعية فإن الشياطين كانت تعرض للأنبياء في حياتهم وتريد أن تؤذيهم، وتفسد عبادتهم كما جاءت الجن إلى النبي ﷺ بشعلة من النار تريد أن تحرقه فأتاه جبريل بالعوذة المعروفة التي تضمنها الحديث المروي عن أبي التياح(٢) أنه قال: سأل رجل عبد الرحمٰن بن حبيش(٣) وكان شيخاً كبيراً قد أدرك النبي ﷺ كيف صنع رسول الله حين كادته الشياطين؟ قال: تحدرت عليه من الشعاب والأودية، وفيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله قال فرعب رسول الله فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد قل. قال: «ما أقول؟»قال: قل: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما يخرج من الأرض ومن شر ما ينزل فيها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق يطرق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمٰن. قال: «فطفئت نارهم وهزمهم الله ﷻ»(٤)»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوكالة، باب إذا وكّل رجلاً، فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكِّل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز (ص٤٣٣ ـ ٤٣٤) برقم (٢٣١١). انظر: ٣٢٧٥، ٥٠١٠.

(٢) هو يزيد بن حميد الضبعي، أبو التياح، بصري، مشهور بكنيته، ثقة ثبت، حدث عن أنس، وعبد الله بن الحارث بن نوفل، ومطرف بن الشخير وغيرهم. مات سنة ١٢٨هـ، وقيل ١٣٠هـ. انظر: السير (٥/ ٢٥١ ـ ٢٥٢)؛ والتقريب (ص١٠٧٣) ط العاصمة.

(٣) هو عبد الرحمن بن حبيش الأسدي، ذكره وثيمة في كتاب الردة عن ابن إسحاق وأنه ممن ثبت على إسلامه في فتنة طليحة الأسدي. انظر: الإصابة (٥/١٠٣). ت: البجاوي.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (١٧٠٥) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر؛ وأحمد في مسنده (٣/ ٤١٩) وإسناده صحيح؛ والنسائي في السنن الكبرى (١٠٧٩٢) تحقيق: عبد الغفار البنداري وحسن كسروي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت. انظر: زاد المعاد (٤/ ١٦٨)؛ وتخريج الأرناؤوط لشرح الطحاوية (ص١٣٣).

(٥) مجموع الفتاوى (١/ ١٦٩).

ويقول عبد الرحمٰن الخطيب عند ذكره لقصة ملخصها أن أحدهم مرض مرضاً شديداً حتى يئس الناس من حياته وجاء في القصة: «إذ رأيت شيخاً داخلاً علي المنزل الذي أنا فيه، فجلس خلفي واحتضنني، وقال لي: هم أوجعوك، هم أحرقوك، ثم بشرني بالعافية، فقلت له: من أنت؟ فقال: جدك الشيخ إبراهيم بن يحيى، ثم قال لي: أتريد أن أريك منزلي في قبري، فقلت: نعم فقال: انظر، وكشف لي عن قبره، وأنا في مكاني، وكان بينه وبين القبر جبل عظيم، ودور كثيرة لا يستطيع أحد أن ينظر إلى القبور من ذلك المكان أصلاً، فنظرت إلى قبره، وإذا عليه نور عظيم، لم أقدر أرى ما في القبر من شدة النور الذي عليه...»(١).

وهذا أيضاً من إغواء الشيطان، للقوم وسواء كانت القصة في اليقظة، أو في المنام فإنه لا يجوز اعتقاد ذلك؛ لأن أمور القبر وما يقع فيه من مسائل الغيب لا يجوز الخوض فيها، إلا بما ثبت في الكتاب والسنَّة، والقوم يكثرون من قولهم: رأيت، أو رأى فلان، ولا يدرى هل يقصدون أن الرؤية منامية أم في اليقظة، وعلى كل فإن المقصود خطأ ما هم عليه من الاعتقاد، وكذا ترتيب الأحكام عليها، لا سيما أمور الغيب، فلا تبنى على ما يقع في اليقظة ولا في المنام بل الواجب الوقوف عند حدود الشرع، وأن يرجى للمحسن الخير ويخاف على المسيء، والأمر أولاً وآخراً لله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

ومن دعاوى القوم الاطلاع على البرزخ ومعرفة مصير الشخص وما يكون فيه إذا وضع في قبره، يقول علوي الحداد بعد أن ذكر طبقات مشايخهم: «خمس طبقات أخذوا عن الحبيب عبد الله الحداد، وانتموا إليه، وهم الجميع في البرزخ من الطلقاء كما في مناقبهم»(٢).

---

(١) الجوهر الشفاف (١/١٤٦).

(٢) الرسالة النافعة، لعلوي الحداد (ص٥).

ومن ذلك دعوى الاطلاع على الأموات والالتقاء بهم والأخذ عنهم، فقد جاء في كتاب البرقة المشيقة عند ذكر محمد بن حسن بن محمد المعلم: «كان صاحب مجاهدة، وفتح في القرآن، وعظم فائدة له أشراف على البرزخ، واطلاع على أهله، واجتماع بالأموات ولقاهم يقظة، ومناماً، وكان كثيراً ما يسمع الهواتف الربانية، والمخاطبات النورانية ولديه علوم لدنية، والهامات رحمانية»[١]. وادعوا كذلك مخاطبة أهل القبور لهم وإخبارهم بمصيرهم في القبر، فقد ذكر الخطيب في جوهره عن شخص يسمى أبا سعيد بأنه مر على قبور تريم فقال: «يا أهل القبور من منكم الشقي ومن منكم السعيد؟ فنطق عليه الفقيه أحمد المذكور من قبره وقال له: مُرَّ يا أبا سعيد فما فينا شقي»[٢].

ومن ذلك دعوى الأخبار بأحوال أهل القبور، جاء في كتاب البرقة المشيقة: «وتوفي الإمام أبو الحسن علي بن أحمد مروان، والفقيه محمد بن علي علوي غائب عن البلد، فلما علم بموته بادر ليلحقه، فما أتى إلا وقد قُبِر، فجلس في بعض الخلوات الشريفة، وآلى على نفسه أن لا يخرج حتى يأتيه أبو مروان، فأتاه الفقيه الإمام أبو مروان إلى تلك الخلوة المنيفة، وحصل عند الاجتماع بينهما كلام طويل، ومخاطبات عظيمة، وكان بقربهم بعض المنورين، والسادة المكاشفين، يسمع كلامهما، ويعي خطابهما، فكان مما سمع ووعى أن الفقيه محمد بن علي قال للإمام أبي مروان: كيف أنا عندكم؟، فقال: يترجاك أهل البرزخ كما يترجى أهل الخريف الخريف»[٣].

ويقول عبد القادر الجنيد: «وكان عليه الصلاة والسلام يخبر عن أحوال البرزخ بأخبار كثيرة، حتى أنه ليرى بالميت من أمر الله تعالى، والناس يدفنونه، وكذلك بعض الأولياء الكملة، العارفون الصديقون يخبرونه عما يشاهدونه من أمر القدرة»[٤].

---

(١) البرقة المشيقة (ص٤١).
(٢) الجوهر الشفاف (١/١٤٧).
(٣) البرقة المشيقة ص١٠٤. وانظر: المشرع الروي (٢/٥).
(٤) العقود العسجدية (ص٢٣٨).

ويقول علي بن أبي بكر السكران عن مشايخهم في سند الخرقة الصوفية: «ولهم الاطلاع على البرزخ وأهله»[١].

ويقول صاحب الجواهر في ذكر كرامات أبي بكر بن سالم العلوي ومنها مسجده الذي بناه: «قال الإمام الكاشف الحبيب علي بن سالم الأدعج رضي الله عنه: إنه مسجد القوم وكثيراً ما يجتمع فيه أهل البرزخ، وقد اجتمع بهم في اليقظة، وأمامهم رسول الله والشيخ أبو بكر بن سالم في عدة وقايع جرت له»[٢].

ويعتقد القوم تلقيهم أمور التصوف من أهل البرزخ في البرزخ كالإلباس ونحوه: يقول أبو بكر الحبشي في إلباس أهل البرزخ لشيخه أحمد بن حسن العطاس: «ولما ألبس رضي الله عنه سيدي وشيخي الوالد المرحوم عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط المؤرخ عام وفاته بقولي: (غاب فاروقها) قال: هكذا ألبسني جدك أحمد بن عمر بن سميط في البرزخ»[٣].

وأما قولهم في سؤال القبر فقد ادعى القوم أن بعض الناس لا يسأل في القبر، فقد جاء في كتاب كنوز السعادة الأبدية: «وأما واحد لما سألوه قال: لا إله إلا الله، من يوم خلقت وأنا موحّد، والآن باتسألوني! اسألوني عن موضع الإيمان من قلب المؤمن أين هو؟ فقالوا له: هذا شيء ما نحن عالمون به وتركوه»[٤].

وجاء في كتاب (غاية القصد والمراد) عند ذكر أحد مريدي عبد الله الحداد حيث ذكر رؤيا رآها في شيخه الحداد هذا وحاصلها: «أنه رأى أنه مات، فلما وضع في لحده، وأتاه الملكان، جاء سيدنا وشيخنا فصرفهما عنه ولم يكلماه. فلما استيقظ وأخبره قال: نحن كذلك لجميع أصحابنا»[٥].

---

(١) المصدر السابق (ص٥٢). وانظر: دعواه الاطلاع على أمور البرزخ وما يقع فيه: المشرع الروي (٢/ ٣٢، ٤٤)؛ وتذكير الناس (ص٢٠٩).

(٢) الجواهر (ص٢٢٥).

(٣) تذكير الناس (ص٢٢٥).

(٤) كنوز السعادة الأبدية (ص٢١٣).

(٥) غاية القصد والمراد (١/ ٢٣١).

دعوى تصرف أوليائهم في أمور القبر:

وقد ادعى القوم تصرف أوليائهم في أمور القبر في صور مختلفة:

أ ـ صرف عذاب القبر عمن يريدون:

ادعى القوم ارتفاع عذاب القبر عن مجاوري أوليائهم، وحصول شفاعة أوليائهم للناس قبل يوم القيامة فقد جاء في ترجمة محمد بن أحمد المعروف بمقدم تربة قسم أن جمل الليل قال: «لما مات محمد بن أحمد ارتفع عن تربته العذاب، وأنه يشفع لجميع أهل محبته»[١].

وجاء في كتاب (غاية القصد والمراد): «ورأى بعض المنورين المنسوبين إلى سيدي[٢] بعض الناس بعد موته في حالة سرور وبشر.

فقال له: أخبرنا عن الموت، فقال: الموت لا يعرفه إلا من عاينه وذاقه، ولكن شيء لله يا عبد الله الحداد، إشارة إلى أنه نفعه عند موته وبعده، لكونه منسوباً ومحباً له»[٣].

ب ـ دعوى تصرف العلويين في قبورهم:

ادعت صوفية حضرموت تصرف العلويين في قبورهم، يقول عبد القادر الجنيد: «ولم يبق اليوم إلا طريق المواهب والجذب، والتعرض للنفحات، لا سيما في مساجد آل أبي علوي، وعند ضرائحهم فإن لهم في برازخهم تصرفات والساقي باقي»[٤].

ويزعم القوم أن أعظم المتصوفين في قبورهم محمد بن علي المشهور بالفقيه المقدم إذ منزلته عند القوم أكبر من منزله الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي يعد من كبار المعتقد فيهم عند الصوفية في العالم الإسلامي، فقد قدموه عليه لا سيما في البرزخ لأن له التصرف والظهور أكثر من الجيلاني، جاء في

---

(١) المشرع الروي (١/ ١٧٤).

(٢) يعني بذلك عبد الله الحداد، والذي الكتاب كله في ذكر مناقبه.

(٣) غاية القصد والمراد (١/ ٢٣٣).

(٤) العقود العسجدية في نشر بعض مناقب بعض أفراد الأسرة الجنيدية (ص٤٥).

كتاب العقود اللؤلؤية أن عبد الله بن علوي الحداد قال: «الفقيه المقدم والشيخ عبد القادر الجيلاني إمامان كبيران، قطبان جامعان، شريفان، سنيان كل منهما فاضل سابق ومقرب، وانتفاعنا واعتمادنا على الشيخ الفقيه المقدم أكثر وأظهر؛ لأنه الأب والشيخ، والذي تدور عليه الدواير في الجهة لنا، ولغيرنا وهما في المقام سواء غير أن ظهور الفقيه المقدم في العالم البرزخي أكبر»[١].

وجاء في كتاب تاج الأعراس عند ذكر مناقب أحد مشايخهم: «وقد اشتهر عند العصبة أنه يتصرف في قبره تصرف الأحياء لجميع الأشياء من مطالب الدين والآخرة والدنيا»[٢].

وجاء في كتاب (مجموع من كلام الحبيب علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب) ما يبين إقرارهم لمن ادعى تصرف الفقيه المقدم في قبور الناس: «إذا مات الميت وطرحوه في قبره، يجيء سيدنا الفقيه ويطفىء ألم الموت منه، ويهيئ لأولاده منزل[٣] في البرزخ إذا مات»[٤].

وجاء في كتاب العقد النبوي عند ذكر الفقيه المقدم: «قال الفقيه المذكور: أنا لأهل بلدي كالغيث، ويقول المشائخ الكبار والصالحين الأبرار: أنه لم يمت أحد من آل باعلوي إلا وقد أصلح له جده الفقيه محمد بن علي منزله في الجنة، حتى أنه لما مات عمر بن أبي بكر باكتل رأى بعض أهل الكشف عند ما أدخل قبره تلقاه الفقيه محمد بن علي المذكور ليحميه عن كل سوء»[٥].

وجاء في كتاب الغرر عند ذكر مناقب علي بن علوي خالع قسم: «ومما ذكر منها أن بعض الموتى قُبِر إلى جنب قبر الشيخ علي المذكور، فلما أدخل

---

(١) العقود اللؤلؤية (ص٧). (٢) تاج الأعراس (١/ ١٠١).
(٣) كذا في الأصل. والصواب (منزلاً).
(٤) مجموع من كلام الحبيب علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب (ص١٢).
(٥) العقد النبوي (١/ ٢٨٧).

قبره فزع منه، فسمع قائلاً يقول له: أتفزع وأنت إلى جنب علي بن علوي خالع قسم؟»[١].

هكذا يقرر القوم هذا الانحراف ودعوى تصرف كبارهم في أمور البرزخ؛ بل تعدى ذلك إلى حفظ الأموات في قبورهم، وتأمينهم من الفزع والأهوال، وسماع ما يقع في القبر، فإن كان ما سمعوه حقاً فلعله ـ والله أعلم ـ صوت شيطان أتى ليضل القوم بهذا الكلام الذي لا يقبله نقل ولا عقل.

ج ـ عدم انقطاع عمل الولي بعد موته مطلقاً:

ويقول أحمد بن حسن العطاس في كلام عن حال الولي في قبره: «وإن الولي يبقى في برزخه على ما هو عليه من عبادة، وإقبال؛ لأن البرزخ دار ترقي وتلقي، فإذا ذكرت الولي حضرت روحه عندك، وامتدت رقائق بينك وبينه إلى أن قال: وإن جميع أهل البيت تكملتهم في البرزخ، ويبلغون إلى أعلا مراتبهم، وأما في الدنيا فيوجد منهم من ليس كذلك»[٢].

د ـ دعوى الوقاية من عذاب القبر باتباع تشريعاتهم:

عذاب القبر لا يدفع بعد رحمة الله وإحسانه إلا بما جعله الله تعالى سبباً شرعياً، وهو الإيمان والعمل الصالح، فيثبت الله تعالى أهل التوحيد، ويخذل أعداءه كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

لم تبال صوفية حضرموت بشرع الله، فابتدعت لها تشريعات وأقوالاً وأفعالاً ما أنزل الله بها من سلطان، يقول أبو بكر العطاس بن عبد الله بن علوي الحبشي في فضل قراءة قصيدة للعيدروس: «كما بلغنا من رواية الأئمة الثقات الرؤوس أنها شفعت لرجل في قبره، كان لا يجيد من حفظ أبياتها إلا وذكر العيدروس، ونجا ببركتها من سؤال الفتانين الممتحنين لأهل

(١) الغرر (ص٣٥٢).

(٢) تذكير الناس (ص١٩٨ ـ ١٩٩).

الرموس[١]»[٢].

وجاء في مقدمة ديوان الحداد: «وقد تكرر منه القول: بأن من مات وهو يحفظ شيئاً من نظمه، يأتيه أهل البرزخ يستنشدونه كلامه؛ لمعرفتهم بما هنالك من مخبآت الأسرار، وودايع الحكم والأنوار»[٣].

ويقول ابن سميط في كلامه على فضل قصيدة شيخه عبد الله الحداد والتي مطلعها: تفيض عيوني بالدموع السواكب: «وأخبرني بعض المنشدين الصادقين قال: أنشدت سيدي هذه القصيدة فبكى بكاءً شديداً، حتى بلّت دموعه ثيابه واحمر وجهه احمراراً شديداً، ثم أسفر وجهه، كأنه قمر مشرق، وقال لي: احفظ من كلامنا، فإنك إذا مت أتاك أهل البرزخ واستنشدوك كلامنا. فقال له رجل ـ كان حاضراً ـ يا سيدي هذا لكم خاصة أم لكل الأولياء؟ فقال رضي الله عنه: لنا خاصة؛ لأنا صرنا في زمان ما شل بنا فيه راس، ولا يعرف قدر كلامنا إلا أهل القبور»[٤].

وقد بلغ من انحراف القوم إلى تعدي أمور الشرع التي جاء بها النبي ﷺ ومنها ما يجري في القبر، بابتداع ألفاظ مجهولة بدلاً من الألفاظ والأقوال التي علمها النبي ﷺ أمته لتقولها عند السؤال في القبر، يقول علي بن محمد الحبشي عن سؤال الملكين في القبر: «وما سؤالهم إلا (مَرَاد أَزِير) بفتح ميم مراد والجواب (نَاصَرْ) بفتح صاد ناصراً، فلو ضممت ميم مَرَاد أو كسرت صاد نَاصَر ضيعك يعني التحريف، ثم قال للحاضرين: أتقنوه، ولا بد من ضبط الحركات، ثم نادى محباً له كان حاضراً واسمه عبيد الله: إذا جاءك الملكان إما قل لهم: ربي الله، ونبيي محمد، والقرآن إمامي، والكعبة قبلتي، والمسلمون إخواني، وإلَّا قل لهم (نَاصَر) هذه هي الكلمة الجواب فقط»[٥].

---

(١) الرموس: جمع رمس، والرمس: التراب، تسمية بالمصدر، ثم سمي القبر به. المصباح المنير (ص١٩٨) تحقيق: عادل مرشد.

(٢) التذكير المصطفى (ص٢ ـ ٣).

(٣) مقدمة كتاب الدر المنظوم (ص٦). انظر: غاية القصد والمراد (٢/ ١٦).

(٤) غاية القصد والمراد (٢/ ٢٥).

(٥) كنوز السعادة الأبدية (ص٢٣).

❃ المطلب الثاني ❃

كلامهم بلا علم فيما يقع بعد الموت

توسع القوم في الكلام على أحوال البرزخ حتى ادعوا وقوع الزواج فيه، يقول أحمد بن حسن العطاس في كلام له عند حضوره لجنازة أحد العلويين وتأخره عنها بسبب تعب أصابه: «وأخذتني سِنَة، فدخل عليّ ذلك السيد ومعه شريفة كانت ماتت قبله، فقلت لهما: ما شأن هذا الاختلاط، فقال إنها لي، وهي زوجتي في البرزخ»[(١)].

وجاء في كتاب الجوهر الشفاف عند ذكر كرامات علي بن عبد الله بن إبراهيم بن أبي حرمي الذي مات غريقاً في البحر: «فلما توفي رأته سلطانة المذكورة فقال لها: أعطاني الله تعالى بموتة البحر شيئاً، وبنيَّة المسير إلى الحج شيئاً، وما تلقى روحي إلا الله تعالى، ولم يكلها إلى ملك ولا إلى غيره»[(٢)].

وذكر عبد القادر العيدروس ثناء بعضهم على شخص يدعى أحمد بن علي الفاكهي المصري حيث ذكروا من مناقبه: «وانقطع في بيته نحو جمعة بالإسهال، ثم مات بعد وصية، وحصل بالإسهال شهادة، ووقي فتنة القبر بموته يوم الجمعة، وناهيك بهما من سعادة رحمه الله وإيانا[(٣)]»[(٤)].

وجاء في كتاب نشر النفحات المسكية في وصف عبد الرحمٰن بن حسن السقاف: «وكان هذا السيد الجليل ممن يكاشف أهل البرزخ يقظة كما أخبرني بذلك ولده السيد حسن»[(٥)].

---

(١) تذكير الناس (ص١٩٩). (٢) الجوهر الشفاف (١/ ٧٦).

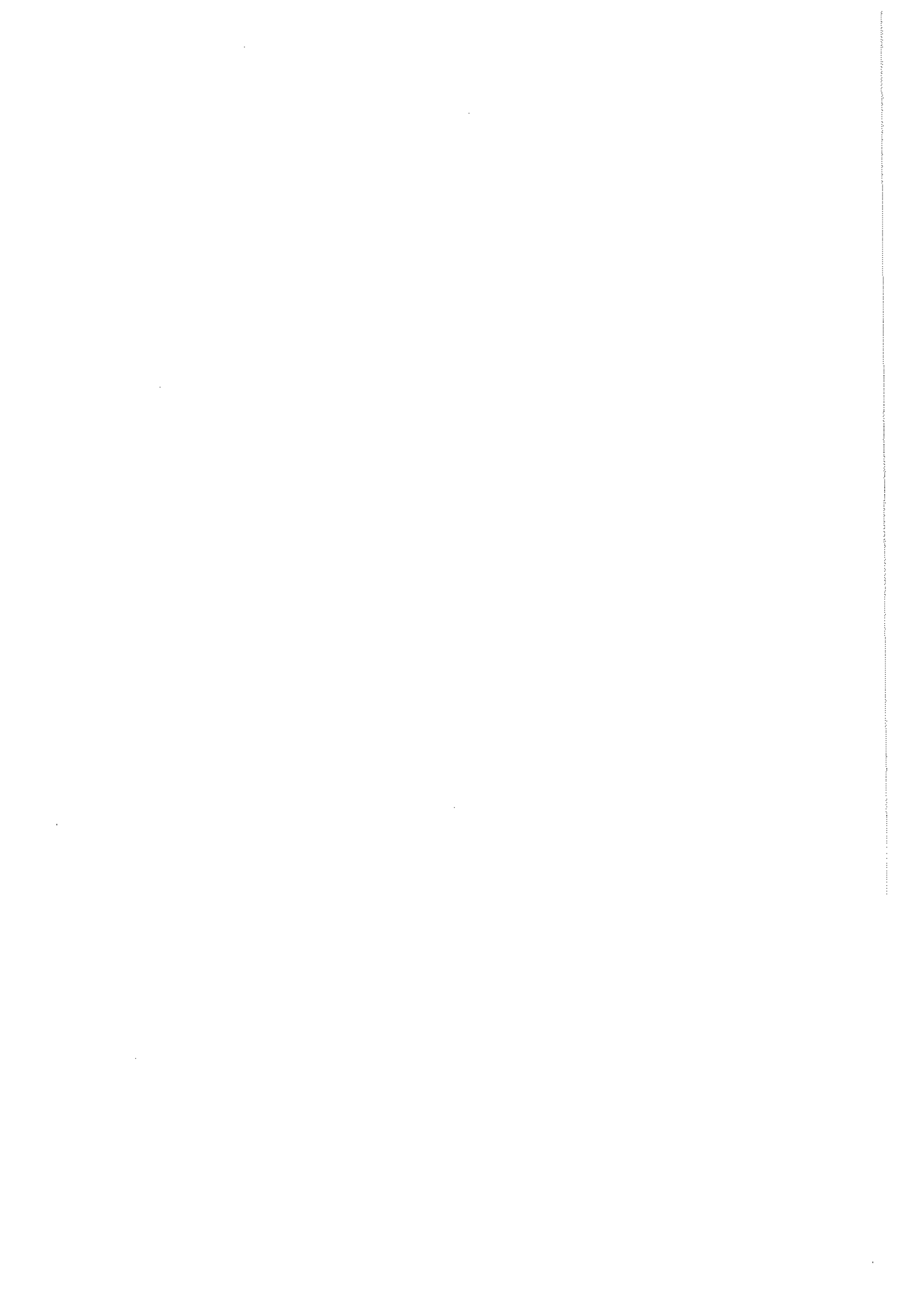
(٣) تتكرر هذه العبارة عند الصوفية، وكذا عند غيرهم، وهذه العبارة لا تصح بل يقال: رحمنا الله وإياه. ومن هذا الوجه جاءت الأدعية في آيات القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، فليس من آداب الدعاء: أن يدعو لغيره ثم يدعو لنفسه، ولذا تعقب العلماء ابن الصلاح لما قال في مقدمته: «اعلم علمك الله وإياي» فكان ينبغي أن يقول: اعلم علمني الله وإياك. انظر: معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد (ص١٠٨).

(٤) تاريخ النور السافر (ص١٨٢).

(٥) كتاب نشر النفحات المسكية (١/ ٧٣).

وكل هذه الدعاوى يبيّن بطلانها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فكبار القوم يدعون الورع، وترك الدنيا ولم يتورعوا عن الكذب على رسول الله ﷺ، والتخرص والتقول في دين الله تعالى، لا سيما في أمور العقيدة، وما يقع في الآخرة، ونسوا أو تناسوا أن الأمر شديد، وأن سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم مسئولة يوم القيامة عن هذه الانحرافات والدعاوى الكاذبة ـ والله المستعان ـ.





أثر الصوفية في حضرموت وجهود أهل العلم وبعض الولاة في مواجهتها

وتحته خمسة مباحث:

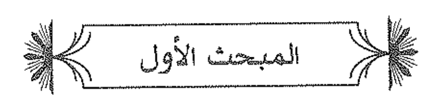
المبحث الأول: الغلو في الأولياء والصالحين.

المبحث الثاني: الغلو في القبور.

المبحث الثالث: العبادات الشركية والبدعية.

المبحث الرابع: نشر الفكر الصوفي بالوسائل المتعددة.

المبحث الخامس: جهود أهل العلم وبعض الولاة في مواجهة الآثار السلبية لصوفية حضرموت.



المبحث الأول

الغلو في الأولياء والصالحين



تمهيد

الغلو لغة: قال ابن فارس: «غلوى: الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلاً وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غلواً إذا جاوز حده»(١).

وجاء في الصحاح: «غلا في الأمر يغلو غلواً، أي جاوز فيه الحد»(٢).

وجاء في القاموس: «غلا غلاء فهو غال وغليّ ضد الرخص... وغلا في الأمر غلواً جاوز حده»(٣).

فتبيّن من كلام أهل اللغة أن معنى الغلو هو مجاوزة الأمر وتعديه حده.

ومعناه اصطلاحاً: مثل معناه اللغوي فهو: «المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد»(٤).

والأولياء: جمع ولي. ومعناه في اللغة «الْوَلْيُ: القرب والدنو، والولي: الاسم منه، والمحب، والصديق والنصير»(٥).

فيكون معنى الولاية القرب والمحبة، لذا كانت صفة أولياء الله كما قال

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨)، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر، بدون تاريخ.

(٢) الصحاح للجوهري (ص٤٨٠) راجعته وحققته: لجنة من العلماء، عني بترتيبه: محمود خاطر الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، دار الفكر، بيروت.

(٣) القاموس المحيط (ص١٣١٨) مادة: (غلا).

(٤) فتح الباري، للحافظ ابن حجر (١٣/ ٢٩١). وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ٣٨٢).

(٥) القاموس المحيط (ص١٣٤٤).

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما يسخط، وأمروا بما يأمر، ونهوا عما نهى، وأعطوا لمن يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب أن يمنع»(١).

وهناك علاقة بين المعنى اللغوي والشرعي لمادة الولاية وهي أن: «الولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد. وقد قيل: أن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات... والولي القريب، يقال: هذا يلي هذا. أي يقرب منه ومنه قوله ﷺ: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر». متفق عليه(٢)»(٣).

وقد بيّن الله تعالى المفهوم الشرعي للولي في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣].

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: الولي، أعني ولي الله، هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾»(٤).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى، كان أكمل ولاية لله. فالناس متفاضلون في ولاية الله ﷻ بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٥١ ـ ٥٢).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفرائض، باب ميراث الولد من أبيه وأمه (ص١٢٨٦) برقم (٦٧٣٢)؛ وبرقم (٦٧٣٥، ٦٧٣٧، ٦٧٤٦)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الفرائض، باب ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر (ص٦٥٨) برقم (١٦١٥).
(٣) الفرقان (ص٥٣).
(٤) جامع البيان (١١/ ١٥٣).

﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ۝١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥]»[١].

وقد جاء بيان ثمار ولاية الله لعباده الكُمَّل في إيمانهم وتقواهم في قوله ﷺ: «إن الله قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه»»[٢].

فمعنى هذا الحديث كما قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى محا ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة له إلا لما يريده منه مولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به، فهذا هو المراد بقوله: «كنت سمعه الذي يسمع به...» ومن أشار إلى غير هذا فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول، أو الاتحاد والله ورسوله بريئان منه»[٣].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان من هو ولي الله الحقيقي بعبارة موجزة: «فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته، وتقرب إليه بما أمر به من طاعته»[٤].

ومن هذه النصوص يتبيّن المفهوم الصحيح لمعنى ولاية الله تعالى، ومن هو الولي حقاً لا كما فهمته الصوفية من اعتقادها الولاية لكل من ظهرت على

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ١٧٥).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب التواضع (ص١٢٤٧) برقم (٦٥٠٢).
(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي (ص٦٨٤). تحقيق وتعليق: طارق بن عوض الله بن محمد، ط٤، ١٤٢٣هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.
(٤) مجموع الرسائل والمسائل (١/ ٥٠).

يديه الخوارق والأحوال الغريبة؛ المخالفة لشرع الله تعالى، وادعائها حتى لفاقدي العقل، ثم إن الولي كرامته له، ودرجته عند الله تعالى له ليس للمخلوق أن يخالف دين الله تعالى محتجاً أنه بتعظيمه لهذا الولي أو ذاك، وقد ردَّ شيخ الإسلام ابن تيمية على من زعم الولاية في المخالفين لهذا الدين، وكذا من في المجانين فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى، ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، وامتنع أن يكون وليّاً لله فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي الله، لا سيما أن تكون حجته على ذلك: إما مكاشفة سمعها منه، أو نوع تصرف، مثل: أن يراه قد أشار على واحد فمات أو صرع، فإنه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية؛ كالكهان والسحرة، وعُبَّاد المشركين، وأهل الكتاب، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص وليّاً لله، وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله، مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ... أو يعتقد أن لأولياء الله غير طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»[1].

فأولياء الله تعالى هم الذين وصفهم الله تعالى في كتابه ووصفهم رسوله ﷺ في سُنَّته بالإيمان والتقوى مع القيام بالأعمال الصالحة؛ وفق منهج رسول الله ﷺ، والبعد عن الشرك والبدع والمعاصي، كل ما خالف هذا فليس بولاية بل هي خوارق وأحوال شيطانية مخالفة لدين الله تعالى، ولا يشترط ظهور الكرامة على يدي الولي، فالقرآن الكريم لم يجعل ذلك شرطاً، بل اشترط الإيمان والتقوى فقط، فمن اتصف بهاتين الخصلتين فهو ولي لله تعالى.

والغلو مرفوض في شريعة الإسلام بكل صوره، وقد جاءت الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنَّة في التحذير منه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

---

(١) الفرقان (ص١٢٤ ـ ١٢٥).

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩ ـ ٨٠].

ومن السنَّة: ما ثبت في الصحيح عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»(١). وعن خالد بن ذكوان(٢) عن الربيع بنت معوّذ(٣) رضي الله عنها قالت: دخل عليّ النبي ﷺ غداة بُني عليّ، فجلس على فراشي كمجلسك مني، وجويريات يضربن بالدف، يندبنَ من قُتِل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت جارية: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال النبي ﷺ: «لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين»(٤).

ففي هذا الحديث ما يبين زجر النبي ﷺ الجارية التي ادعت علمه ﷺ للغيب ـ وهو علم ما في غد ـ وأن ذلك حق الله تعالى لا يشاركه فيه أحد، فأين صوفية حضرموت من هذه النصوص التي تنهى عن الغلو الذي يوقع صاحبه في المهالك؟!.

ومعنى الصالحين في اللغة والاصطلاح:

جاء في معجم مقاييس اللغة: الصاد واللام والحاء يدل على خلاف الفساد(٥).

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٥١) من هذا البحث.

(٢) هو خالد بن ذكوان المدني، نزيل البصرة، صدوق، من الخامسة. التقريب (ص٢١١)، ط دار المعرفة، بيروت.

(٣) هي الصحابية الجليلة الرُّبيّع بنت مُعَوِّذ بن عفراء الأنصارية من بني النجار، لها صحبة ورواية، وقد عمرت دهرا، وكانت من المبايعات تحت الشجرة. انظر: الاستيعاب (ص٩٠٣) ط دار الأعلام؛ والسير (٣/١٩٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً (ص٧٥٩) برقم (٤٠٠١).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٠٤).

وفي الاصطلاح: «الصالحون اسم لكل من صلحت سريرته وعلانيته»[(١)].

ومن هذه التعريف يتضح لنا أن الصالحين: هم المؤمنون، أصحاب الأعمال الصالحة، القائمون بحقوق الله وحقوق عباده على ما يرضي الله تعالى.

وبناء على هذا فلفظ (الصالحون) عام يشمل الأنبياء والملائكة[(٢)]، والذي يعنينا هنا البشر دون الملائكة.

وقد يسمى الصالحون بالأولياء، أو أولياء الله «لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما يسخط، وأمروا بما يأمر، ونهوا عما نهى»[(٣)].

معنى الغلو في الصالحين:

ومن تعريف الغلو في اللغة وفي الاصطلاح يتبيّن لنا معنى الغلو في الصالحين وأنه: «مجاوزة الحد بأن يُجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء»[(٤)].

ويقول الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا نُزل المخلوق منزلة الخالق في شيء من خصائص الإلهية، فقد غلا فيه وأشرك»[(٥)].

ومن أعظم الغلو في الأولياء تسويتهم بالله رب العالمين الذي له الكمال المطلق، وجعل التسوية إما في المحبة وإما في التعظيم ومن ثم صرف العبادة لهم من دون لله تعالى.

وقد كان قوم نوح أول من فتح باب الغلو في الصالحين، حتى عبدوهم

---

(١) زاد المسير، لابن الجوزي (٢/ ١٢٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٢٧) عند تفسير الآية ٦٩ من سورة النساء.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية (ص٦). المكتب الإسلامي ط٤ ١٣٩٧هـ.

(٤) القول السديد، للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص٧٣).

(٥) الدرر السنية (١١/ ٢١٩). وانظر: مجموع الفتاوى (١/ ٦٦).

من دون الله تعالى، وكانت بداية هذا الأمر في صنع التماثيل لتذكّر الصالحين وعباداتهم، حتى إذا هلك أولئك جاءت الشياطين إلى من بعدهم وأخبرتهم أن آباءهم كانوا يعبدون تلك التماثيل لتقربهم إلى الله تعالى فعبدوها من دون الله تعالى[١]، وهكذا ورثها من جاء بعدهم جيلا بعد جيل حتى عبدها كفار قريش، ثم ورثتها الصوفية في صور تعظيم الأولياء والصالحين.

مفهوم الولاية عند الصوفية:

بيّن أهل العلم حقيقة الولاية عند الصوفية، ومدى انحرافها عن طريق الحق فقد قال الشيخ مبارك الميلي[٢] رَحِمَهُ اللهُ عن معنى الولاية عند الصوفية: «وأما الولي عند الناس اليوم فهو إما من انتصب للإذن بالأوراد الطرقية، ولو كان في جهله بدينه مساوياً لحماره، وإما من اشتهر بالكهانة، ولو تجاهر بترك الصلاة وأعلن شرب المسكرات، وإما من انتمى إلى مشهور بالولاية، ولو كان إباحيّاً لا يحرم حراماً. وحق هؤلاء الأولياء على الناس الجزم بولايتهم، وعدم التوقف في دخولهم الجنة، ثم الطاعة العمياء ولو في معصية الله، وبذل المال لهم ولو أخل بحق زوجته وصبيته إلى أن قال: وبعد، فهم مطالبون في كل شدة، ولكل محتّم بهم عدة، وهم حماة الأشخاص وللقرى والمدن كبيرها وصغيرها، حاضرها وباديها، فما من قرية بلغت ما بلغت من البداوة أو الحضارة إلا ولها ولي تنسب إليه. فيقال: سيدي فلان هو ولي البلد الفلانية. ويجب عند هؤلاء الناس أن يكون علماء الدين خَدَمَة لهؤلاء الأولياء، مقرين لأعمالهم وأحوالهم، غير منكرين لشيء منها، وإلا أُوذوا بضروب السباب، ومستقبح الألقاب، وسلبوا الثقة بعلمهم ووشي بهم إلى الحكام، وذلك حظ

---

(١) انظر: صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾. (ص٩٧١) برقم (٤٩٢٠) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وانظر: فتح المجيد (ص١٨٢).

(٢) هو مبارك بن محمد الميلي: من علماء الجزائر، ولد بميلة من أعمال قسنطينة بالجزائر، خدم الإسلام وذب عن السنَّة وحارب الخرافات، عاش في قسنطينة، وولي أمانة سر جمعية علماء الجزائر، له مؤلفات منها: رسالة الشرك ومظاهره، وكتاب الجزائر في مجلدين. توفي سنة ١٣٥٧هـ. انظر: معجم المؤلفين (٣/ ١٣).

الدعاة إلى السنَّة من مبتدعي هذه الأمة»[(١)].

لذا كان الاعتقاد السائد عند كثير من الناس أن كل من بنيت عليه قبة كبيرة، وزاره الناس واحتشدوا حول قبره، وجعلت أوقات محددة لزيارته؛ هو الولي صاحب الكرامات والخصائص التي مُيّز بها عن غيره، فنشأ هذا الفهم الخاطىء عند بعضهم، فعظمت مكانة الولي في قلوبهم فوقعوا في الغلو وصرف العبادات لهذا الولي من دون الله تعالى.

وأما تعريف الصوفية للولي والولاية فكثرت تعريفاتهم لمعنى الولي منها ما قاله القشيري: «وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان»[(٢)]. أي أن الولي يعصم من الوقوع في المعاصي.

وعُرِّفت أيضاً بأنها: «قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه»[(٣)].

وعرفها بعضهم بأنها: «عبارة عن تولي الحق ﷻ عبدَه بظهور أسمائه وصفاته عليه علماً، وعيناً، وحالاً وأثرَ لذةٍ وتعرفاً»[(٤)].

وفي هذه النصوص دليل واضح على غلو الصوفية في أوليائهم حيث أعطوهم العصمة[(٥)] بل رفعوهم إلى مرتبة الإله الحق جلَّ في علاه، ووصفوهم بصفاته ﷻ، وهذا من الأسباب الرئيسة في انحراف صوفية حضرموت وهو عدم معرفتهم لمعنى الولاية الحقيقية من سبقهم في ذلك كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

أسباب الغلو عند صوفية حضرموت:

لا شك أن هناك أسباباً أدت بصوفية حضرموت للوقوع في الغلو في الصالحين والأولياء أهمها:

---

(١) الشرك ومظاهره: للشيخ مبارك الميلي (ص١٢٢ ـ ١٢٣).
(٢) الرسالة القشيرية (ص٤٢٠ ـ ٤٢١).
(٣) التعريفات للجرجاني (ص٢٥٤). (٤) جمهرة الأولياء (١/ ٩٨).
(٥) انظر: المشرع الروي (٢/ ٨).

١ ـ الجهل بشرع الله تعالى وما تضمنه من منهج وعقيدة تضمن لمن تمسك به خيري الدنيا والآخرة، وهذا الجهل أدى بهم إلى مجاوزة الحد الشرعي في الصالحين والأولياء فأخرجوهم عن طور البشرية.

٢ ـ الاعتماد على مصادر غير مصادر أهل السنَّة والجماعة، فقد اعتمدوا على الأحلام والرؤى والمكاشفات، والقصص والحكايات والأساطير وغيرها من المصادر المخالفة لدين الله تعالى فأوقعتهم في هذه الشرور.

٣ ـ التعصب للمشايخ، ورفع منزلتهم فوق المنزلة التي أنزلهم الله فيها، فأدى ذلك إلى معاداة الناصحين من أهل الحق وترك ما يحملونه من الخير.

٤ ـ الانعزال عن العلم وأهله واتباع أهل الباطل وما سنوه من طرق الانحراف والضلال، فزهدوهم في العلم الشرعي لأنهم يرونه علم العوام أما علومهم ـ المخالفة للشرع ـ فيسمونها علوم الخاصة وهي الغاية التي يسعى إليها المريد.

٥ ـ اتباع الهوى الذي لا زمام له ولا خطام؛ لأن النفس جُبلت على اتباع ما تهواه وإن كان مخالفاً لدين الله تعالى إلا من رحمه الله تعالى ونجاه من ذلك.

٦ ـ الخلط في مفهوم الكرامة والولاية، وعدم فهمها فهماً صحيحاً، حيث ادعوها لكل أحد بلا روية ولا تعقل، بل جعل البعض الخوارق هي الدليل على الولاية بغض النظر عن منزلة هذا الشخص من أوامر الله تعالى ونواهيه، مما أوقعهم في دياجير الجهل وظلمات المخالفات.

٧ ـ التربية المنحرفة عند المتصوفة القائمة على العواطف والغلو في الأشخاص، وتعظيم المشايخ تعظيماً غير شرعي، فأدى ذلك لتنشئة أجيال متبعة ما تعلمته من مشايخها.

٨ ـ انعزال حضرموت فترة من الزمن بسبب سيطرة الصوفية عليها مما مكنهم من بث أفكارهم في صفوف الناس، إذ كان أكثر الناس لا يعرفون الدين إلا من جهتهم فهم القائمون على التعليم، والفتوى، والمساجد وغير ذلك مما جعل الغلو في الصالحين والأولياء ينتشر ويتداوله الناس كأنه دين منزل من رب العالمين.

٩ ـ ومن الأسباب ـ كما تقدم ـ عدم فهم نصوص الكتاب والسنَّة فهماً صحيحاً موافقاً لفهم سلف الأمة، لذا تجد المتصوفة حين يُنكر عليهم ما يفعلونه من الغلو في الأولياء والأموات يستدلون بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢]. ولا يكملون الآية، ولو أكملوها وتأملوها وقرأوا كلام أهل العلم فيها لعرفوا معنى الأولياء حقيقة الموصوفين بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٣].

لذا ذمَّ صوفية حضرموت وشتموا كل من ناصحهم وبيَّن خطأهم في مسألة الغلو في الأحياء والأموات وصرف العبادة لهم، ورموه بالعظائم، يقول علوي بن أحمد الحداد: «من كتاب الفصول الفتحية للشيخ حسين بن الإمام عبد الله بلحاج بافضل: لا ينكر على الأولياء إلا ميت القلب ممقوت، ناقص العقل، قليل العلم، مدع راض عن نفسه، أحمق جاهل، مغرور غافل ضعيف اليقين، يابس جامد، حشوي مبتدع، أعمى البصيرة...»[(١)].

فهذا قاموس من الشتائم من أحد علمائهم الذي وصفه الحداد بأنه «الشيخ ابن الإمام» فكيف بأقوال جهالهم ومتبوعيهم؟ والله المستعان.

هكذا يكيلون الشتائم لكل من نصح لهم ودعاهم إلى الله تعالى، وحذرهم من الباطل. لذا كان أعظم سبب لوقوع صوفية حضرموت في الغلو في الأولياء والصالحين جهلهم بعقيدة التوحيد، وما يستحقه سبحانه من الصفات والأفعال التي لا يشاركه معه غيره جلَّ في علاه، وكذا جهلهم بما يضاد التوحيد، واعتبارهم أن العبادات والقربات التي توجه إلى الأصنام هي

(١) مصباح الأنام (ص٢٧).

التي يطلق عليها مسمى الشرك دون غيرها، أما إذا كانت موجهة إلى الصالحين فلا تعتبر عبادة ولا شركاً، وإنما تعتبر من باب المحبة والتعظيم[١]، لذا يجعلون من ينكر عليهم ذلك مبغضاً للأولياء والصالحين[٢]، فهذا السبب مع ما تقدم، جعلهم يشحنون كتبهم بالقصص والأخبار التي يتناقلوها عن أوليائهم وعلمائهم السابقين كل ذلك أدى لترويج الشرك بين الناس في صور الغلو، فرفعوا أولياءهم إلى مرتبة الرب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

النصوص الدالة على غلو صوفية حضرموت في الأولياء والصالحين:

بناء على ما تقدم من تعريف الولي عند الصوفية؛ فإن صوفية حضرموت طبقت هذه التعاريف على معظّميها، بل وأكثرت النصوص في ذلك، بحجة محبة الأولياء لما لهم من كرامات منحهم الله تعالى إياها، وإن كانت هذه الكرامات المزعومة تصل إلى ادعاء مشاركة الله تعالى في ما اختص به من الصفات والأفعال.

وحاصل غلو صوفية حضرموت في أوليائها وصالحيها هو إعطاء صفات الرب تعالى لأوليائهم ومشايخهم، وبالتالي صرف العبادات العظيمة لهم سواء كانوا أحياء أو أمواتاً.

فقد زعموا لأوليائهم خصائص كثيرة: كدعوى اطلاعهم على حقائق الأمور[٣]، وعلم أوليائهم الغيب وما يخفيه الشخص في نفسه كما مرّ معنا في مبحث قولهم في توحيد الربوبية[٤].

ومن غلوهم في أوليائهم ما زعمه أبو بكر الحبشي من أن «نظرة واحدة للولي تنقل المريد إلى مواطن الرجال»[٥].

---

(١) هكذا يقولون، وكما هو معلوم فإن المحبة والتعظيم أعظم أركان العبادة؛ لأن العبادة غاية الذل مع المحبة والتعظيم، ولكن لجهل الصوفية بذلك أوقعهم في هذه الانحرافات الكبيرة.

(٢) انظر: مصباح الأنام، للحداد (ص١٧، ١٩ ـ ٢١).

(٣) انظر: تذكير الناس (ص١٧٨، ١٧٩). (٤) انظر: المصدر السابق (ص٤٩).

(٥) المصدر السابق (ص٢٦٥).

واعتقد القوم تجزؤ الولي وسريان جسمه في الكون، بل وزعموا أن أعضاءه عبارة عن نور[١] وغير ذلك من الأقوال والاعتقادات الغالية المخالفة لهذا الدين.

بل ويستدلون بالقصص الخرافية على ولاية فلان من الناس كما ذكر صاحب تذكير الناس قصة عبد الرحمٰن بن مصطفى العيدروس ودخوله مصر، وإرشاد النبي ﷺ له بأخذ ما يشكل عليه من كتاب «الدشتة» فلما فعل ذلك سلم له أهل مصر بالعلم والولاية[٢].

وهذا غيض من فيض مما ملئت به كتبهم من الانحراف في مفهوم الولاية وذكر القصص الخرافية في ذلك.

لما كان الشرك أعظم ذنب عُصِي الله تعالى به، وتوعد سبحانه في كتابه أن من مات مشركاً فإن الجنة عليه حرام، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. فإن من أعظم أسبابه هو الغلو في الصالحين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإنما المقصود أن أصل الشرك في العالم كان من عبادة البشر الصالحين وعبادة تماثيلهم وهم المقصودون»[٣].

※ المطلب الأول ※

الذبح للأولياء والصالحين

تمهيد:

الذبح من العبادات العظيمة التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، فمن صرفها لغير الله تعالى فهو مشرك كافر وقد دلَّ على ذلك أدلة كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

---

(١) انظر: المشرع الروي (٢/ ٨٨).
(٢) تذكير الناس (ص١٣٠).
(٣) مجموع الفتاوى: ١٧/ ٤٦٠.

ففي الآية ذكر الله تعالى الذبح مقروناً بالصلاة، والصلاة عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، فكذلك الذبح لا يجوز أن يصرف لغير الله تعالى كائناً من كان.

وثبت في الصحيح من حديث علي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثا، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غيّر منار الأرض»[1].

ونقل النووي نص الإمام الشافعي رحمه الله على تحريم ذلك واتفق عليه أصحابه، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً[2].

وقد صرفت صوفية حضرموت كثيراً من العبادات لغير الله تعالى من الأولياء والصالحين، ورأوا أن هذا من باب التعظيم والإجلال الواجب عليهم تجاه صالحيهم، وهذا كما تقدم معنا في مبحث قولهم في معنى لا إله إلا الله نشأ من جهلهم، لمعنى العبادة التي خلقوا لأجلها في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

نصوص صوفية حضرموت في صرف الذبح لغير الله:

ونذكر بعض النصوص التي تثبت صرف صوفية حضرموت الذبح لغير الله تعالى، فقد جاء في كتاب «الشامل» ما يبيّن صرف عبادة الذبح لسعيد بن عيسى العمودي ـ المقبور بدوعن ـ حيث اعتُقد فيه أنه يتصرف في الكون، وأن له تدخلاً في نزول المطر: «وإذا مرت لهم سنين ولم يغاثوا أو توهموا أن الشيخ سعيد عاتب عليهم[3]، فإنهم يأتون بعقيرة والمراد بها بقرة أو جمل يأتون بها بزاملهم يزفونها حتى إذا وصلوا إلى الباب الموصل إلى ضريح الشيخ سعيد عقروها، ونحروها وهم يصيحون باسم الشيخ سعيد قائلين: يا شيخ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله، ولعن فاعله (ص٨٢٠) برقم (١٩٧٨).

(٢) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي (١٣/ ١٤١).

(٣) من العتاب وتعني أن الشيخ ليس راض عنهم.

سعيد بحرك! مع نحرها أو ذبحها، ويعنون بقولهم: بحرك! نطلب بحرك، وبحرك: معناه بحر برهانه والبرهان هو التصرف والتأثير والكرامات. . .»[(١)].

وهذا العمل لا يجوز لأنه شرك بالله تعالى، وسببه بث الصوفية لهذه الكرامات بين الناس من خلال الكتب والدروس وغيرها مما أوقع الناس في الشرك.

أما سعيد بن عيسى العمودي فقد كان من الأشخاص الذي شاركوا في نشر التصوف في حضرموت، وعظّمه أهل حضرموت، ولا زالت زيارته تقام إلى يومنا هذا ويؤتى بالذبائح له من مناطق مختلفة.

يقول علوي بن طاهر الحداد منتقداً هذه الأفعال الشركية ومنها الذبح لغير الله تعالى: «وهذه العقائر «القرابين» مما أهل به لغير الله؛ فهي ميتة حرام أكلها والانتفاع بها، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣]. ونص على ذلك العلماء في كتب الفقه لا يخفى على طالب علم»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قال الله عز وجل ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] وقال: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣]. فكل ما ذبح لغير الله فلا يؤكل لحمه»[(٣)].

ويقول الشيخ باصبرين[(٤)] رحمه الله عند ذكر المرتكب من المناهي الربانية في

---

(١) الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها (ص٢١٥).

(٢) المصدر السابق (ص٢١٥).

(٣) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٣/ ١٣٠).

(٤) وهو العلامة الفقيه المحقق الأديب علي بن أحمد باصبرين النوحي السيباني الدوعني الحضرمي، ولد بقرية باحميش بدوعن، وأخذ عن علمائها منهم: سعيد بن محمد باعشن صاحب كتاب (بشرى الكريم) في الفقه الشافعي، وأخذ عن غيره من العلماء، وقد هاجر الشيخ بعد ذلك إلى جدة وبها استقر، حتى عرف عند علماء الحجاز بـ (عالم جدة).
وله مؤلفات منها: (إثمد العينين في اختلاف الشيخين) يعني بذلك ابن حجر الهيتمي والرملي الشافعيين، و(إعانة المستعين) حاشية على (فتح المعين) للمليباري في مجلدين كبيرين. وكتاب عن أنساب السادة العلويين سماه (حدائق البواسق المشمرة في بيان صواب أحكام =

إقليم دوعن بحضرموت: «الإحدى والعشرون: لا يتقرب ويعظم بالصلاة والنسك ـ عين الذبح ـ لغيره تعالى ولا ينسب الإحياء والإماتة إلا إلى الله العلي الأعلى الملك الكبير الأكبر، فالذبح لغيره المسمى بالعقيرة عند أهل إقليم دوعن وتوابعه من أعظم البليات التي ابتلوا بها وذلك حرام بالإجماع، لأمور منها:

قطع عصبة البهيمة متى وصلت إلى تحت مكان المعظم لتعذيب ذلك الحيوان.

ومنها: كون العاقر(١) كالإله الأعظم، وذلك حرام(٢) حيث والأصل تقرب إليه بما شرع الله التقرب إليه بخصوصه.

ومنها: كون العاقر يأتي بالعقيرة بجمع حافل ولربما اختلط فيه النساء بالرجال أو نظرن إليهم بزامل هو عند الجهلة لتعظيم المعقور له بمنزلة تلبية وفد الله تعالى بالحج والعمرة، وهذا من أعظم المنكرات وأعظم منها سكوت أهل العلم عنهم فيما لو فرض سكوتهم، فضلاً عن رضا عاقل بذلك»(٣).

المطلب الثاني

النذر للأولياء والصالحين

النذر أحد أنواع العبادات التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى، ومن أدلة ذلك:

= الشجرة) فرغ من تأليفه سنة (١٢٩٨هـ). وكانت وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ بمدينة جدة سنة ١٣٠٥هـ. انظر: إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت (ص٣٠٧) ط المنهاج؛ وعلماء جدة من الحضارمة، للشيخ علي بن سالم العميري (ص٣٦ ـ ٤٢)؛ ورجال وكتب، للشيخ علي سالم بكيّر باغيثان (ص١٠٩).

(١) كذا في الأصل. ولعله: المعقور له.

(٢) بل يقال ذلك شرك بالله تعالى لأنه تقرب إلى غير الله تعالى بالذبح، والذبح عبادة لا يجوز صرفها إلا لله تعالى، فمن صرفها لغيره فهو مشرك كافر ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٢].

(٣) المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية (ص٩).

قال تعالى مادحاً الذين يوفون بهذه العبادة: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧].

وثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»[(١)].

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وحكم النذر لغير الله شرك؛ لأنه عبادة للمنذور له، وإذا كان عبادة؛ فقد صرفها لغير الله فيكون مشركاً. وهذا النذر لغير الله لا ينعقد إطلاقا، ولا تجب فيه كفارة، بل هو شرك تجب التوبة منه، كالحلف بغير الله؛ فلا ينعقد، وليس فيه كفارة»[(٢)].

ومن نصوص القوم في صرف النذر لغير الله تعالى ما جاء في كتاب «الشامل» في تاريخ حضرموت ومخاليفها عند ذكر بلدة قيدون الواقعة في وادي دوعن بحضرموت وذكر اعتقادهم في وليهم سعيد بن عيسى العمودي المقبور في بلدة قيدون: «فيذهبون إلى ضريح الشيخ سعيد ويدورون بتابوته وبما عنده من التوابيت وهم يزملون، ومنهم من يأتي بآنية السمن ويسمونها صومرة، واحدها صمار فيصبونها على التابوت، وقد يثب أحدهم إلى أعلاه ليتمكن من صبه، وأما ما يأتون به من النذور من غنم، أو نقد، أو حبوب فإنهم يسلمونها للخطيب ـ أي القائم من قبيلة آل باراسين ـ وهم خطباء المسجد الجامع وإليهم تساق النذور، ويذهب منهم رسل يبعثهم القائم المذكور إلى البوادي فيجمعون له حصة من العشور، والزكاة، وما لديهم من نذور، فإذا قضوا الزيارة دخلوا إلى المسجد وهم يزملون، وطلعوا منارته فإذا علوها صاحوا بقولهم: عموم! عموم! يا شيخ سعيد! ولا يزالون على هذا الديدن طول ليلة الجمعة ويومها»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة (ص١٢٧٨) برقم (٦٦٩٦).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٤٥).

(٣) الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها (ص٢١٥).

وبسبب تعظيم صوفية حضرموت للقبور، لا سيما قبور كبرائهم، أدى بهم ذلك لعبادتها وصرف العبادات لها، وكذا أوقعوا الجهال والعوام في هاوية الشرك.

يقول العلامة علي بن أحمد باصبرين عند تعداده لما ارتكب في حضرموت من المناهي الربانية: «التاسعة عشر: ومن أقبح القبائح، وأفحش المحرمات والجرائم، وأعظم الاستدراجات قول كل بوادي دوعن والملحقات به إذا ميزوا زكاة أموالهم بنحو حَجْر والرِيَد[1] هذا لله وللشيخ سعيد، أو حق الله وحق الشيخ سعيد مثلاً قبل تمييز الحقين، وهذا يعنونه ثلاثة أرباع الزكاة فقط لله تعالى أي يتقرب به إليه وحده اعتقاداً منهم أنهم إذا فعلوا ذلك يأمنون عاهات أموالهم، وإلا فيصابون بعاهة في أنفسهم وأموالهم، أو من الله إذا أغضبوا الشيخ بمخالفة عادتهم من إعطائهم ما لا يستحقه مع نسبة الآثار إلى ما يتوهم الجاهل أنه منه وذلك خلاف الصواب والحق أن موجد الآثار وأسبابها هو الله الواحد الأحد الفرد[2] الصمد، القائل ﷻ: ﴿۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف: ٥١]»[3].

وتكاثرت نصوص صوفية حضرموت في مسألة صرف النذر لغير الله

---

(١) حَجْر ـ بفتح فسكون ـ واد عظيم في ساحل حضرموت، على بعد (٥٠كم) غرب المكلا، يمتد من يبعث وميفع شمالا إلى الساحل جنوبا بطول (٢٠٠كم) ثم يصب في البحر بالقرب من رأس الكلب، وعلى امتداد هذا الوادي أراض رزاعية خصبة، ويسكن هذا الوادي قبائل وفئات شتى من المجتمع الحضرمي.
والريدة: بلدة تقع على الشاطىء الشرقي الساحلي لمدينة الشحر، تبعد عنها (٤٠كم) ولها أسماء منها ريدة ابن حمات، وريدة المشقاص، وريدة آل عبد الودود وهم حكامها من آل كثير. انظر: إدام القوت (ص٩٢) مع الحاشية (ص٢٢٩) ط المنهاج.

(٢) الفرد ليس من أسماء الله تعالى، ومن أثبته فإنما استدل بحديث: «أشهد أنك فرد أحد صمد». والحديث لم يثبت فقد قال عنه الإمام البيهقي: ليس بالقوي. انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (ص١١٦، ١١٧). وانظر: معتقد أهل السنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى، للشيخ محمد بن خليفة التميمي (ص٢٩٧).

(٣) المهمات الدينية لباصبرين (ص٨).

تعالى، حيث جاء في المشرع الروي عند ذكر مناقب محمد العيدروس بن عبد الله بن شيخ العيدروس (ت١٠٣١هـ): «وقبره كالشمس في رابعة النهار، وأشهر من علم على رأسه نار، وتأتي إليه الأنذار من جميع الأقطار، ومن زاره بحسن نية، وسلامة طوية، أعطي سؤله ونال مأموله ونواله»[١].

ولاعتقاد القوم تصرف الولي في قبره، وقضاء الحاجات عنده، وتفريج الكربات كل ذلك جرهم إلى صرف هذه العبادة العظيمة لغير الله تعالى.

ولا يفرط القوم في نذرهم إذا جعلوه للولي، فلا يعطونه لأحد سأله كائناً من كان لخوفهم الشديد من لحوق الضرر بهم من قبل هذا الولي إن هم صرفوا النذر لغيره، يقول الشلي عند تعداد مناقب محمد بن عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم (ت٧٤٣هـ): «ومنها أن بعض الناس نزل على بدو فأضافوه بعيش بغير صبيغ وقالوا: ليس عندنا إلا السمن الذي نذرناه للسيد محمد بن عبد الله فقال: آخذ بيدي فلما مد يده فإذا حية تسعى إليه، فاستغفر عما جرى فرجعت الحية عنه»[٢].

يقول علوي بن أحمد الحداد عند ذكر مشهد عبد الله الحداد في بروم[٣]: «وكان لسيدي عبد الله الحداد مشهد آخر في بروم وله أنذار»[٤].

وقد جعل أبو بكر الحبشي عنواناً في كتابه «تذكير الناس» «ذكر كلامه رضي الله عنه في النذر وما تعلق به» وذكر تحته قصتين في صرف النذر لوليين من أوليائهم أحدهما: عمر بن عبد الرحمن العطاس، والآخر أبو بكر بن سالم مولى عينات[٥].

وهكذا توالت النصوص الكثيرة في صرف هذه العبادة لأوليائهم

---

(١) المشرع الروي (١/١٨٦).

(٢) المصدر السابق (١/١٨٦).

(٣) بروم: هو ميناء صغير غربي مدينة المكلا بمسافة (٣٠كم)؛ وهو مرسى حصين من عواصف الرياح، وهو واقع بين ميفع والمكلا، وقد أعيد إنشاء هذا الميناء بعد أن خمد عمله لفترة من الزمن ـ انظر: إدام القوت (ص١٠٥) ط المنهاج.

(٤) مصباح الأنام (ص٥٢).

(٥) تذكير الناس (ص٣٤٠ ـ ٣٤١).

وصالحيهم[(١)]، جاهلين أو متجاهلين خطورة ذلك وأنه شرك بالله تعالى، والله المستعان.

وكان على صوفية حضرموت صرف النذور في وجوه الخير التي ترضي الله تعالى، إذ لم تسد طرق الخير في وجه المسلم حتى يصرفها فيما لا يرضي الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ثم هذا المال المنذور إذا صرفه في جنس تلك العبادة من المشروع، مثل أن يصرفه في عمارة المساجد، أو للصالحين من فقراء المسلمين، الذين يستعينون بالمال على عبادة الله وحده لا شريك له كان حسناً»[(٢)].

❊ المطلب الثالث ❊

جعلهم الأولياء واسطة بين الله وخلقه

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله مبيناً منزلة الرسول ﷺ عند أهل السنَّة في التمسك بشرعه وهديه ﷺ وهو أن تجعل: «الرسول شيخك وأستاذك ومعلمك ومربيك ومؤدبك وتسقط الوسائط بينك وبينه إلا في التبليغ كما تسقط الوسائل بينك وبين المرسل في العبودية ولا تثبت وساطة إلا في وصول أمره ونهيه ورسالته إليك وهذان التجريدان هما حقيقة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله»[(٣)].

وليس للمسلم وسيلة تقربه إلى ربه جل وعلا إلا الإيمان بمحمد ﷺ ومحبته وطاعته واتباع سُنَّته ونحو ذلك، وهي الوسيلة الحقيقية فما تقرب أحد إلى الله ﷻ بأعظم من طاعة رسوله ﷺ[(٤)].

---

(١) انظر صرفهم النذر لأوليائهم أيضاً: مواهب القدوس (ص٢٥، ٣٤) المشرع الروي (٢/ ٢٨، ٤٩، ٥٥، ٦٦، ٨٢، ٩٢، ١٨٩)؛ والنور السافر (ص٥٥، ٦٢، ٨٧)؛ وتذكير الناس (ص٢٣، ٥٢، ٦٣، ٩٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ١٤٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٢٥)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (١/ ١٦٥) تحقيق: عجال.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد كلام له في تقرير معنى الوسيلة: «فتبيّن أن الوسيلة بين العباد وبين ربهم ﷻ: الإيمان بالرسل وطاعتهم ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]»(١).

أما الوسيلة ـ الواسطة ـ بين الله والخلق عند الصوفية فهو الولي الفلاني أو الشيخ الفلاني الذي يعظمونه ويحيطونه بهالات من التقديس والتبجيل.

وقد تنوعت صور الواسطة التي اتخذها صوفية حضرموت في أوليائهم منها:

أ ـ التوسل بالأولياء والصالحين:

وقد كثرت نصوص القوم في جعلهم الأولياء وسيلة إلى الله تعالى يتقربون إليهم بالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادات، وامتلأت كتبهم بهذا الاعتقاد(٢).

وجاء في كتاب «مصباح الظلام» ذكر قصيدة لأبي بكر العدني يتوسل فيها بالصالحين والأولياء(٣)، وقد مرَّ الكلام مفصلاً عن هذه المسألة في مبحث قولهم في التوسل.

ب ـ التبرك بهم:

التبرك: مصدر تبرك يتبرك تبركاً، وهو طلب البركة، والتبرك بالشيء طلب البركة بواسطته، فالتبرك بالشيء طلب حصول الخير بمقاربة ذلك وملابسته(٤).

وتكون البركة ممن يملك ذلك ويقدر عليه وهو الله تبارك وتعالى، فهو

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة (١/ ١٦٥).

(٢) انظر على سبيل المثال: المشرع الروي (١/ ٢٠٣، ٢/ ٢٣).

(٣) مصباح الظلام (ص٥٦).

(٤) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه (ص٣٠، ص٣٩)، تأليف: د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع.

منزل البركة ومثبتها، أما المخلوق فإنه لا يقدر على منح البركة وإيجادها، ولا على إبقائها وتثبيتها[١].

والبركة هي حصول الخير، وتعني النماء والزيادة والمبارك هو الذي يحصل من قبله الخير الكثير، وتكون دينية: مثل طاعة الله والرسول ﷺ فهي أعظم بركة يحصلها الشخص، وكذا المساجد الثلاثة: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ، والمسجد الأقصى.

وإما بركة دنيوية كالمطر، والبركة في المواشي، والزرع وغير ذلك، ومن البركة الدينية والدنيوية القرآن الكريم، ففيه خيري الدنيا والآخرة لمن عمل به واتبع أحكامه، وصدق أخباره فهذا هو التبرك المشروع الذي دلّت عليه النصوص الشرعية.

فنخلص إلى أن التبرك المشروع هو ما ثبت عن رسول الله ﷺ، وعن صحابته الكرام.

وأما التبرك الممنوع فهو بخلاف التبرك المشروع، وقياس الصالحين على الأنبياء قياس مع الفارق لم يفعله السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ ولا التابعون[٢].

تبرك القوم بقبور معظميهم؛ لاعتقادهم أن هذه قربة إلى الله تعالى لما للولي من منزلة تستحق التقرب إليه لقضاء الحاجات، ومن تلك القبور المتبرك بها: محمد بن علوي بن الفقيه المقدم[٣] وكذا الحضور عند العيدروس للتبرك به ومشاهدة ذاته الشريفة[٤]؛ بل وذكر الشلي التبرك كذلك بالديار التي نزل بها العلويون في حضرموت فقال: «وكانت لهم حارة تسمى العلوية لم تزل أنوارهم بها مضية وآثارهم إلى الآن موجودة وللتبرك بها مقصودة»[٥].

---

(١) انظر: كتاب التوحيد، للشيخ صالح الفوزان (ص١١٨).

(٢) انظر: التبرك المشروع والتبرك الممنوع، تأليف: علي بن نفيع العلياني (ص٩٧).

(٣) انظر: المشرع الروي (١/ ١٩١). (٤) المصدر السابق (٢/ ٣٨).

(٥) المصدر السابق (١/ ١٢٨). وانظر قولهم بالتبرك بزوايا صالحيهم وأماكن عبادتهم، والخشوع عند دخول هذه الأماكن: المصدر السابق (١/ ١٣٣).

وقد قال علوي بن أحمد بن حسن الحداد في مصباحه في معرض رده على الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن جملة هذيانه وخرافاته قوله: أن قصد الصالحين والاعتقاد فيهم والتبرك بهم شرك أكبر»[1]. وذهب يبحث عما يؤيد اعتقاده من النصوص وإن كان وجه الاستدلال بعيداً، فمن ذلك قوله: «فأما قصد الصالحين فأول من أمر به رسول الله ﷺ صاحبيه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فقد أمرهما أن يقصدا أويساً القرني ويسألاه الدعاء والاستغفار كما في صحيح مسلم[2] وأما التبرك فقد كانت بردته ﷺ عند كعب بن زهير يتبرك بها»[3].

وفي دأب القوم جمعهم لما هب ودب من الكلام والأدلة لتقرير معتقدهم المنحرف، وإن كانت هذه الأدلة لا يستقيم وضعها فيما هم بغرض الاستشهاد له، ومن ذلك استدلال علوي الحداد بإرشاد النبي ﷺ الصحابة إن لقوا أويساً القرني أن يستغفر الله لهم، فلم يقل ﷺ ارحلوا إليه أو اقصدوه كما يزعم الحداد، ثم إن طلب الدعاء من الرجل الصالح لا بأس به ـ كما مرَّ في مبحث التوسل ـ فأين الشاهد من استدلاله على التبرك الممنوع الذي يسعى جاهداً لتقريره؟.

وأما قياسه التبرك بالأولياء على التبرك بالنبي ﷺ فهو قياس مع الفارق[4]؛ لأن التبرك بالنبي ﷺ وبآثاره من خصائصه عليه الصلاة والسلام، وقد فند الإمام الشاطبي شبهة الصوفية هذه فقال: «الصحابة بعد موته عليه الصلاة والسلام لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذ

---

(١) مصباح الأنام (ص١٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أويس القرني، (١٠٢٦) برقم (٢٥٤٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم».

(٣) مصباح الأنام (ص١٨).

(٤) كما قرر مسألة قياس التبرك بالصالحين والأولياء على النبي ﷺ صاحب المشرع الروي (١/ ١٣٢)، فالقوم يتوارثون هذه الشبهة الباطلة عن أسلافهم.

لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهو كان خليفته ولم يفعل به شي من ذلك، ولا عمر رضي الله عنه وهو أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان، ثم علي ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركاً تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها[١] بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ، فهو إذاً إجماع منهم على ترك تلك الأشياء»[٢].

وطلب القوم البركات والرحمات من القبور[٣]. وشنعوا على من أنكر عليهم، يقول علوي الحداد: «ومن هفوات النجدي: إنكار التوسل والاستغاثة والمناداة بأسمائهم ـ أي الأموات ـ والتبرك بالأخيار حتى النبي ﷺ»[٤].

ويقول أيضاً: «قال سيدنا القطب عبد الله بن أبي بكر العيدروس: ثياب الأولياء ملامسة لبدنهم، وبدنهم ملامس لروحهم، وروحهم عند مليك مقتدر فيتبرك بثيابهم»[٥].

وقد طبق القوم هذا الاعتقاد وهو التبرك بآثار الموتى حتى بلغ بهم الغلو أن يتبركوا بنعال أوليائهم، يقول علوي الحداد: «ولما مات ابنه العدني أبو بكر بن عبد الله رأوا صندوقاً عنده كبيراً ظنوا فيه دراهم ففتحوا فوجدوا فيه صندوقاً آخر ففتحوا آخرهن فوجدوا فيه فرد نعال ممسكة بمسك وطيب مكتوب عليه: هذه نعال شيخنا الولي سعد بن علي بامدحج المشهور بالسويني من اعتقاده في ملبوس شيخه وتعظيمه انظر فعله هذا»[٦].

ويقول أيضاً: «وكان العلماء وغيرهم من أهل تريم يقبلون الدرج التي يخرج منها كافة من خرج من جوابي آل أبي علوي لكثرة من مشى بها من الأكابر نفع الله بهم»[٧].

---

(١) يقصد التبرك بالشعر والثياب وفضل الوضوء ونحو ذلك.

(٢) الاعتصام، للشاطبي (٢/ ٨ ـ ٩).

(٣) انظر: مصباح الأنام (٤٧).

(٤) المصدر السابق (ص٥٤).

(٥) المشرع الروي (١/ ١٣٢)؛ ومصباح الأنام (ص٥٨).

(٦) مصباح الأنام (ص٥٨).

(٧) المصدر السابق (ص٥٨).

ويذكر أحمد بن حسن العطاس أن طاهر وعبد الله ابني الحسين بن طاهر أرسلا شيئاً من لحوم الأضاحي إلى مكة لمشايخهم وذلك: «على سبيل التبرك»[١].

ج ـ طلب المدد:

يعتقد القوم أن الأولياء يطلب منهم المدد أحياء وأمواتاً، بل زعموا إن الأولياء أحياء في قبورهم مثل الأنبياء وإنما ينتقلون من دار إلى دار، وقد شوهد من حصل له المدد الرباني بواسطة الأنبياء والأولياء[٢]. وأكثروا من نقولات علماء الصوفية ومن على شاكلتهم لإثبات مدد الموتى لزائريهم[٣].

كما اعتقدوا إمداد الولي لهم بعد موته، يقول الشلي: «وقال بعض العارفين: إن المشايخ إذا ماتوا تركوا همتهم متعلقة بقلوب من استند إليهم»[٤].

ويقول علوي بن أحمد الحداد: «وأعلمني بعض السادة من أهل تريم قال: حصلت علي ضاقة[٥] فرأيت بعض العلماء من السادة قال لي: مددك في محل مشهد سيدي الحداد بالشحر فكان كذلك لما وصلت الشحر زرته فحصل المقصود في الحين»[٦].

وتعددت مشاهد قطبهم عبد الله بن علوي الحداد حتى قالوا عن مشهده في بروم ـ إحدى مناطق حضرموت ـ: «وتقرأ كمشهده في الشحر رواتب معلومة؛ فيحصل المدد على قدر المعتقد»[٧].

وغلا القوم في عبد الله بن علوي الحداد وتمنى المريدون رؤيته بعد موته، حتى قال أحد المريدين: «فقلت في نفسي كأنه بشري ملكي، فبدأ لي مثال الحبيب عبد الله وقال لي: لا تقل هكذا، وقل هو الإنسان الكامل، وأمرني بتجريد القصد والوجهة إلى سيدي، وعدم الالتفات إلى الغير، حتى

(١) تذكير الناس (ص٣٤٠).
(٢) انظر: مصباح الأنام (ص٢٥).
(٣) المصدر السابق (ص٢٧).
(٤) المشرع الروي (٢/ ٥٩).
(٥) أي ضائقة.
(٦) مصباح الأنام (ص٥٢).
(٧) المصدر السابق.

إليه نفسه، ومرادي صحة الانتساب إليكم، والارتباط. فقال سيدي رضي الله عنه: نحن والحبيب عبد الله شيء واحد؛ لأن مددنا منه، والسلف العلويون كلهم مددهم واحد، ومشربهم من مورد واحد»[1].

وهكذا اعتقد القوم أن أولياءهم يمدونهم في السراء والضراء، مع أن الله تعالى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]. والمؤمن يعتقد أن المدد والتوفيق من عند الله تعالى، ولا يحتاج طلبك من الله تعالى لواسطة بل الله تعالى أمرك بدعائه ووعدك بالإجابة فعليك بالاستقامة على دينه واجتناب الشرك به سبحانه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]. فالنفع والضر بيد الله تعالى وقد ذم تعالى الذين يعبدون غيره سبحانه ممن لا يملك لهم نفعاً ولا ضراً، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة: ٧٦].

د ـ الخوف والرجاء:

الخوف والرجاء عبادتان لا يجوز صرفهما لغير الله تعالى، قال تعالى مادحاً أنبيائه عليهم السلام وتقربهم إليه تعالى بهاتين العبادتين العظيمتين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

والخوف من العبادات العظيمة التي لا تصرف إلا لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقد رجا القوم أولياءهم حتى وكلوا إليهم شؤون أولادهم ليحفظوهم من الشرور مع أن الولي قد مات؛ فلا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً أن يملكه

---

(١) تذكير الناس (ص٢١٦).

لغيره، جاء في كتاب «تاج الأعراس» عند ذكر أبناء أحد أفراد عائلة آل العطاس يدعى صالح العطاس: «وثالثهما حسين الأصغر وهو الآن في سن التعليم الابتدائي وقد جعلت محمداً ومحسناً تحت رعاية روحانية الحبيب علي بن حسن العطاس صاحب المشهد»[١].

كما طلبوا الإمداد من أوليائهم، كما يقول علوي الحداد: فالأولياء متفاوتون في القرب من الله تعالى ويقع للزائر بزيارته من الإمدادات بحسب معارفهم وأسرارهم فكان للرحلة إليهم فائدة أي فائدة»[٢].

لذا يدعون الخلق إلى تعظيمهم والتوجه إليهم وحسن العقيدة فيهم[٣] لاعتقاد تصرفهم في الكون وهذا ـ بزعمهم ـ من كراماتهم.

واعتقاد حفظ الولي لأولادهم بعد موته عقيدة متأصلة لصوفية حضرموت لاعتقادهم أن روح الميت لها تصرف في الأحياء، يقول محمد سعيد بن محمد بابصيل (ت١٣٣٠هـ) عن اعتقاد الناس في أوليائهم الأموات: «ويعتقدون فيهم ما يعتقده العلماء أن الميت لا تفنى روحه؛ بل هو سميع عليم معارفه باقية وبركته باقية وصحة التوجه إلى ربه ومالكه باقية»[٤].

ويرى كذلك أن: «الميت بعد موته يتأدب معه زائره كما كان يتأدب معه في حياته ويحبه في الله كما كان يحبه في حياته ويعتقد فيه الخير والبركة وأنه يصلح لأن يتوجه إلى الله تعالى به بعد موته كما يصلح لذلك في حياته»[٥].

وقد أجاب العلامة سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على شبهة بابصيل هذه قال: «وقوله ويعتقدون فيهم ما يعتقده العلماء: أن الميت لا تفنى روحه؛ بل هو سميع عليم معارفه باقية وبركته باقية فالجواب: أن يقال: وهذه أيضاً وهلة عظيمة، وبلية أخرى فإنها مصادمة ومكابرة لقوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟

---

(١) تاج الأعراس (١/ ٧٦٤).
(٢) مصباح الأنام (ص٤٥).
(٣) المصدر السابق (ص٤٦).
(٤) القول المجدي (ص١٠).
(٥) المصدر السابق (ص١١). ويكثر القوم من قولهم: فلان معتقد، أو حسن الاعتقاد في الأولياء ونحو ذلك ليعلقوا الناس بهم ومن ثم صرف العبادات لهم.

دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]. ولقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝﴾ [الأحقاف: ٥ ـ ٦]. وقد سوى المعترض بين من نفى الله التسوية بينهما، وهل هذا إلا مصادمة ومعارضة للقرآن فليهنه معارضة كلام الله والجمع بين ما فرق الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى الْأَحْيَآءُ وَلَا الْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ٢٢]. وقال: وقد تقرر أن الأموات لا يساوون الأحياء في وجه من الوجوه؛ إذ الموت غير الحياة المعهودة، وما ثبت لهم من الحياة فهي برزخية غير الحياة المعهودة في الدنيا، فمن أراد بها الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه ويحتاج معها إلى الطعام والشراب فهذا خطأ ظاهر، والحس والعقل يكذبه كما يكذبه النص... وقوله: أن الميت لا تفنى روحه بل هو سميع عليم معارفه باقية وبركته باقية إلى آخره فالجواب أن يقال: أن سماع الموتى مقيد بحال دون حال، لا في جميع الحالات كما يشير إليه قول قتادة في أهل القليب وسماع الميت خفق نعال من يدفنونه إذا ولوّا عنه وحال الأموات تختلف اختلافاً عظيماً وللأرواح بعد مفارقة هذا الجسم شأن لا يحيط بتفصيله إلا الله»[1].

ومن النصوص التي تدلُّ على خوفهم من الولي واعتقادهم تصرفه فيمن أراد، ما ذكره صاحب تذكير الناس عند ذكر علي بن حسن العطاس وتهديد بعض دولة آل كثير له عندما أراد أن يحيي قرب المشهد: «فقال له: إني ضربت سقاف بن محمد. فقال له الحبيب علي: وأنا الذي تلقيت الرصاصة بيدي.

فقال له: خذ لك مهلة ثمانية أيام، وزل من أرضي، فقال له الحبيب علي: خذ مهلة ثمانية أيام، واخرج من الدنيا، فأهلكه الله بعد أيام»[2].

وكذلك بلغ خوفهم من أوليائهم أن ادعوا أن أبا بكر العيدروس لا يُسأل

---

(١) البيان المبدي لشناعة القول المجدي (ص١٠١، ١٠٢، ١٠٣).
(٢) تذكير الناس (ص٢٩٦).

عن أحواله وتصرفاته حتى قال قائلهم: «دعها تحت حجابها مستورة بسحابها فلو أشرقت شمسه لأحرقت الوجود كله أما ترى أنا نقف على أبوابه ونكتفي بتقبيل أعتابه وكان يقبل العتبة وينصرف»[١].

هـ ـ صرف الدعاء لأوليائهم:

تقدم معنا مبحث قولهم في الدعاء والشفاعة، وقد قرروا أن الدعاء ليس بعبادة، وذلك لعدم معرفتهم بالعبادة التي خلقوا لها، فصرفوا هذه العبادة العظيمة لأوليائهم بجميع صورها من المناداة والاستغاثة، ومن نصوصهم التي تدل على غلوهم في صالحيهم وأوليائهم ودعائهم من دون الله تعالى ما جاء في كتاب «تاج الأعراس»: «وممن أثنى على صاحب المناقب واعترف له بمقام الغوثية شيخ مشايخ تلك العصور وعالمها وإمامها المشهور شيخ الإسلام ببلد الله الحرام السيد أحمد زيني دحلان قال: إنه حصل عليّ حال بمكة وكربت لذلك كرباً شديداً؛ فاستغثت بالحبيب صالح بن عبد الله العطاس صاحب عمد وهو إذ ذاك بحضرموت ودعوته بثلاثة أصوات؛ فإذا هو حاضر عندي في الحرم المكي راكباً على جواد أخضر اللون ومعه أربعون جندياً كلهم مسلحون، فحين رأيته ذهب عني ذلك الكرب، وانشرحت انشراحاً كاملاً ببركته»[٢].

هكذا يدون القوم هذه المناقب بزعم محبة الأولياء والصالحين، بل ويوثقون نقولهم بأن كبار الصوفية كدحلان قد أقر تلك المخالفة، وجعلوا هذه القصص دليلاً على تصرف الولي وإجابته لمن دعاه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن المتقرر عند المسلمين أن الاستعانة بالله تعالى من أجل العبادات، فلا يجوز الاستعانة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة: ٥].

---

(١) المشرع الروي (٢/ ٣٨).
(٢) تاج الأعراس (١/ ١٠٤).

ولكن القوم استعانوا بأوليائهم سواء من الأحياء أو من الأموات، وقد ذكر محمد بحرق الحضرمي عن شيخه أبي بكر العيدروس أنه يستعين بشيخه سعد بن علي بعد موته قال: «وأخبرني أنه قد يراه يقظة يخاطبه بوجه الفرج مما يقع فيه من الكرب»[١].

وكل ما تقدم من آثار الجهل الذي خيم على حضرموت في فترات من الزمن، وقد بيّن علوي بن طاهر الحداد، أحد مؤرخي حضرموت ذوي المنزلة عند صوفية حضرموت سبب الغلو الذي وقع فيه القوم فقال: «وأما الغلو في الأولياء فسببه الجهل وقلة المعرفة بعقائد الدين وقد ينتهي ذلك ببعض الناس إلى أن يثبت لهم القدرة على النفع والضر كما يثبت ذلك لله ﷻ، وهذا انتكاس على أم الرأس وفقد لحقيقة الإيمان والإسلام»[٢].

وكذا استغاثوا بأوليائهم الأموات عند الشدائد، واعتقدوا حضورهم لنجدتهم وتخليصهم مما هم فيه[٣].

وغلوا في أوليائهم من العلويين غلواً شديداً تميز عن غيرهم من الأولياء بحضرموت فقد وصف علوي الحداد أحد مشايخهم العلويين بقوله: «الإمام الملاذ المفزع عبد الله بن علي صاحب الوهط»[٤].

ويقول قطبهم عبد الله بن علوي الحداد في قصيدة له بعد أن عدَّ أكابر أسلافه الأموات من العلويين:

لـذ بـهـم فـي كـل نـائـبـة وادع ذا الـعـرش بـهـم وسـل[٥]

ولأحد علمائهم قصيدة يدعو فيها للغلو الشديد في الأولياء، فقد ذكر

(١) مواهب القدوس (ضمن المجموعة العيدروسية) (ص١٠).
(٢) عقود الألماس (ص٣٥).
(٣) انظر: تذكير الناس (ص٨١، ١٣٧، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٨).
(٤) مصباح الأنام (ص٥٦).
(٥) ديوان الحداد المسمى الدر المنظوم (ص٢٨٥)، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ: اعتنى به عبد القادر الجيلاني خرد.

علوي الحداد قصيدة لعبد الله بن جعفر مدهر باعلوي يستغيث فيها بعبد الله الحداد ويدعو الناس للاستغاثة به عند الشدائد حيث قال:

«إذا ما حرت من حر الحروب ... لباغي نفسك المخطى المصيب
ونابتك النوائب واستطالت ... مخاطبة بأهوال الخطوب
وجاد لك الزمان بحادثات ... وجلا الأمر بالأمر الكئيب
وقد صرف إلهنا صرف الليالي ... وكر عليك تكرير الكروب
وأضحى الأمر في نكر نكير ... وأمسى القلب في مس اللغوب
وأغرب بالغرائب كل وقت ... وجاء إليك بالعجب العجيب
توسل واستغث بالغوث قل يا ... عفيف الدين حداد القلوب»[١]

وهذا الشرك الذي وقعوا فيه هو اعتقادهم حضور الولي وتصرفه عند من دعاه وتوسل إليه كما دونوه في كتبهم وتقدم ذكر كثير من حكاياتهم في ذلك.

و ـ الحلف بالولي:

الحلف بغير الله تعالى لا يجوز لأنه شرك بالله تعالى لما روى عمر بن الخطاب ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[٢]. ومعنى كفر أو أشرك كفراً أصغر أو شركاً أصغر إلا إذا عظم هذا المخلوق كتعظيم الله تعالى؛ فإنه يكون شركاً أكبر كما قال أهل العلم[٣].

ونهى ﷺ عن الحلف بالآباء فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»[٤].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من كان حالفاً؛ فليحلف بالله أو ليصمت»[٥].

---

(١) مصباح الأنام (ص٥٩).
(٢) تقدم تخريجه (ص٥٧٨) من هذا البحث.
(٣) انظر: روضة الطالبين للإمام النووي (١١/٦)؛ وفتح الباري (١١/ ٥٤٠).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم (ص١٢٦٩) برقم (٦٦٤٧)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله (ص٦٧٥) برقم (١٦٤٦).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف (ص٥١٠) برقم =

وقد بيّن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خطورة الحلف بغير الله تعالى وأنه أعظم من كبيرة الكذب فقال: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره وأنا صادق»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وعن ابن مسعود: (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً)؛ لأن الحلف بغير الله شرك والحلف بالله توحيد وتوحيد معه كذب، خير من شرك معه صدق»[٢].

ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله عن تعظيم القبوريين للأموات: «وأفضى ذلك إلى أن أحدهم يحلف بالله تعالى فاجراً، ولا يحلف بمن يعتقده من الأموات، ويقدم على المعصية في المساجد التي هي بيوت الله، ولا يقدم عليها عند قبر من يعتقده»[٣].

وقد وقع ما ذكره الإمام الشوكاني رحمه الله فقد غلا المتصوفة في معظّميهم بل وعظموا الحلف بهم أكثر من الحلف بالله العظيم فتجدهم يقسمون بالأضرحة لاعتقاد أن بيدها النفع والضر، يقول صلاح البكري ناقلاً واقع صوفية حضرموت: «ويقسم كثير من الناس بالأضرحة، ويخافونها إذا حنثوا في أيمانهم أكثر مما يخافون الله، فقد يطلب المشتكي من خصمه أن يقسم على ضريح مقدس خير من أن يقسم بالله أو بالقرآن[٤]، ويعتقدون أن لتلك الأضرحة قوة الانتقام إذا كان المقسم حانثاً»[٥].

= (٢٦٧٩). انظر: رقم (٦٦٤٦)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله (ص٦٧٥) برقم (١٦٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٧٩)؛ وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٦٧)؛ والطبراني في الكبير (٩/ ١٣٨)؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٧٧): رجاله رجال الصحيح. وقال الشيخ الألباني عن هذا الأثر بعد نفيه الحديث المرفوع في ذلك وأنه لا يصح: «والمعروف كما ذكر أبو نعيم أن الحديث من قول ابن مسعود». السلسلة الضعيفة (١/ ٢٠٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٨١). (٣) أدب الطلب (ص١٦٨).

(٤) القرآن كلام الله تعالى، وهو صفة من صفاته سبحانه ويجوز الحلف بالله تعالى وبأسمائه وبصفاته، والقرآن كلام الله وهو من صفاته فيجوز الحلف به.

(٥) تاريخ حضرموت السياسي (٢/ ١٢٠)، ط١، ١٤٢١هـ.

وذكر المؤرخ صلاح البكري عشرة أضرحة مشهورة في حضرموت ـ وأغلبها من العلويين ـ يحلف بها الناس، ولا يجرأون أن يحنثوا بها[١].

وقد اعتبرت صوفية حضرموت الحلف بالأولياء من التعظيم والتبجيل لهم، ومن نصوصهم الدالة على ذلك ما نقله أبو بكر بن عبد الله العيدروس مقرراً جواز الحلف بالأولياء عند تعداده لمناقب أحمد الرفاعي حيث قال: «وسمع يوماً جماعة يحلفون بأهل بيت رسول الله ﷺ فنهاهم عن الحلف بذلك وقال لهم: إن الحلف بأهل بيت رسول الله كذباً يأتي بالهلاك والنكال. وإذا حلفتم ولا بد فاحلفوا بي فأنا أسامحكم وأعفو عنكم. وإذا حلفتم بهم صادقين فلا يضركم ذلك[٢].

وفي هذا النص زيادة على الحلف بغير الله تعالى دعواهم عفو الرفاعي عمن حلف به كاذباً بخلاف أهل بيت النبي ﷺ.

ويتضح أن حلف صوفية حضرموت بغير الله ودعوة الناس لذلك أمر صادر في الغالب من تعظيم المحلوف به، وخوفهم ورهبتهم منه لاعتقادهم نفعه وضره.

وأورد علوي الحداد في مصباحه أقوال بعضهم في جواز الحلف بغير الله تعالى، فمن ذلك قوله نقلاً عن بعضهم: «فإن ذبح للكعبة أو للرسل تعظيماً لكونها بيت الله أو لكونهم رسل الله جاز، قال في الأصل وإلى هذا يرجع قول القائل: أهديت للحرم أو للكعبة. انتهى ملخصاً. فتبيّن جواز الحلف بالنبي ﷺ والولي لكونهم رسل الله، وأولياء الله بل وخطر اليمين الكاذبة شديد، بل والصادقة تلحق بالفقر وكفارة اليمين على العوام عسرة، فكان حلفهم بالنبي أو الولي تعظيماً لأنهم رسل الله وأولياء الله أسلم»[٣].

هكذا يقرر هذا الرجل جواز الحلف بغير الله تعالى بهذا الكلام الذي لا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) النجم الساعي في مناقب القطب الكبير الرفاعي (ص١٦١).

(٣) مصباح الأنام (ص٣٦).

حجة فيه، وإنما هو محض رأي مخالف لما مضى من الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ التي تنهى عن الحلف بغير الله تعالى.

فقول الحداد: «فإذا ذبح للكعبة أو للرسل تعظيماً لكونهم رسل الله جاز» هذا من جهله بتوحيد العبادة ومنها الذبح، فهي عبادة عظيمة لا تجوز إلا لله تعالى، وصرفها لغيره تعالى شرك أكبر يخرج من الملة، قال تعالى لنبيه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢]. فقرن النحر بالصلاة بجامع العبودية في كل من الذبح والصلاة. وتجويز الحداد الذبح للكعبة والرسل ﵈ هو عين الشرك الذي أرسلت الرسل لقتال فاعليه حتى يوحدوا الله تعالى ويصرفوا العبادات لله تعالى وحده ومنها الذبح.

ثم إن قياسه الشرك بالله تعالى ـ بالذبح لغيره تعالى ـ على ما أهدي للحرم من بهيمة الأنعام قياس لا يجوز في مسائل العبادة، وإن افترضنا صحة القياس في العبادة فإنه قياس مع الفارق؛ لأن الهدي للكعبة أمر الله تعالى به كمثل قتل المُحرِم الصيد وقد ثبت في الشرع مشروعيته، في مثل قوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]. وهذا جزاء يذبح ويوزع على فقراء الحرم، وليس فيه دليل على ما تعلق به الحداد لتجويز شركه، ثم إن الله تعالى لا يأمر عباده إلا بكل خير ومصلحة لهم، ومنه هذا الجزاء لمن قتل الصيد وهو حرم وذلك لحكمة عظيمة قد تخفى على البشر أما الذي يدعو إليه الحداد وأمثاله فلا يأمر الله تعالى به كما قال سبحانه: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

أما الحلف برسول الله ﷺ والسؤال به فأكثروا من تقريره في مؤلفاتهم[1] وهو أمر لا يجوز ـ كما تقدم ـ.

الغلو في فضل زيارة الأولياء:

غلا القوم في أوليائهم حتى فضلوا زيارتهم على عبادة الله تعالى،

(١) انظر على سبيل المثال: مكاتبات العدني أبي بكر بن عبد الله العيدروس (ضمن المجموعة العيدروسية) (ص٢٠١ ـ ٢٠٢).

واستدلوا لفضل زيارة أوليائهم بحلم شيطاني رآه محمد بن الحسين البجلي حيث قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ فقال: «وقوفك بين يدي ولي لله تعالى كحلب شاة، أو كشج بيضة أفضل من أن تعبد الله حتى تقطع إرباً إرباً»، فقلت: يا رسول الله حياً كان أو ميتاً؟ قال: «حياً كان أو ميتاً» فانظر إلى هذه الفضيلة الجزيلة في زيارة عباد الله الصالحين، والوقوف عند مشاهدهم ومقابرهم، والدخول تحت شمولهم التماساً لبركاتهم، ورجاء لنيل نفحاتهم»[(١)].

كما بالغوا في الدعوة لزيارة الأولياء والاستمداد منهم، يقول محمد باجمال[(٢)]: «فينبغي لكل عاقل أن لا يترك الزيارة ولو بالرحلة إليهم من بعيد، خصوصاً إذا خاف محذوراً، أو أهمه أمراً يستغيث بهم في نجح حاجته، وكفاية همه»[(٣)].

وجاء في كتاب «تذكير الناس»: «وذكر سيدي رضي الله عنه أن من وظائف صاحب الوقت أن يرفع إلى الله حاجات كل من وقف عند ولي الله تعالى فكيف بمن وقف عند نبي الله»[(٤)].

ويرى القوم أن للوقوف عند قبور الأولياء مزية، بل واستحبوا الرحلة إليها[(٥)] واحتجوا لذلك بكلام الغزالي في أن النهي عن شد الرحال ورد في المساجد، وأما المشاهد فلا تتساوى؛ فإن بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله[(٦)].

---

(١) مقال الناصحين (ت ٩٦٤هـ) (ص١٧٠ ـ ١٧١).

(٢) هو محمد بن عمر بن عبد الله باجمال، صوفي حضرمي، ولد سنة ٩٠٥هـ، أخذ عن علماء حضرموت، وصحب الصوفي الكبير معروف باجمال. من مؤلفاته: مقال الناصحين ومنال المفلحين، والكفاية الواضحة في إيضاح بعض كلمات الصوفية ومنحة الطالب المتصوف ونفحة الراغب المتعرف وغيرها. توفي سنة ٩٦٤هـ انظر: السناء الباهر (ص٤٣٨ ـ ٤٤٠)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٥٢)؛ ومعجم المؤلفين (٣/ ٥٦٣).

(٣) مقال الناصحين (ص١٧١ ـ ١٧٢).

(٤) تذكير الناس (ص٢٣٣).

(٥) انظر: مصباح الأنام (ص٤٤).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص٤٤).

وهذا الاستدلال غير صحيح وقد بيّن العلماء خطأه وبعده عن الصواب كما سيأتي في مبحث غلوهم في القبور.

كما قدم القوم زيارة قبور الأولياء على فريضة الحج وجعلوها أفضل منها[١]. وجعلوا ذلك أفضل من فريضة.

هكذا يفضل القوم أولياءهم بجعل التقرب إليهم أعظم من عبادة الله تعالى التي هي أخص أوصاف النبي ﷺ، فعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله! أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «يا عائشة! أفلا أكون عبداً شكوراً»[٢].

علاقة الشيخ بالمريد عند صوفية حضرموت:

إن علاقة المريد بالشيخ في الفكر الصوفي تختلف تماماً عن علاقة التلميذ بالشيخ عند أهل السنَّة، فأهل السنَّة بنوا تلك العلاقة على نصوص الكتاب والسنَّة وفهم سلف الأمة وذلك باحترام الشيخ وأخذ العلم منه، وإنزاله المنزلة التي أنزله الله فيها، لا إفراط ولا تفريط، أما في الفكر الصوفي فإن العلاقة قائمة على الغلو والإفراط في الشيخ، لذا نجد القوم قد أعطوا الشيخ صفات الألوهية، وهو الأساس في كل طريقة، وما تفرقت الطرق إلا اتباعاً للشيخ، وتسمى كلها باسم مشايخها ومؤسسيها، ومن ثم تفرعت الطريقة الواحدة إلى طرق كثيرة تحمل أسماء مشايخها الجدد[٣].

ويظهر مصداق هذا الكلام ـ كما سيأتي ـ، فقد بلغ غلو القوم في شيوخهم أن رفعوهم فوق منزلتهم التي جعلهم الله فيها، إلى منازعة الرب ﷻ في صفاته

(١) انظر: سفينة البضائع (ص٨٧)؛ ولمعة النور (ص٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (ص٩٥٠) برقم (٤٨٣٧)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (ص١١٣٤) برقم (٢٨٢٠) واللفظ له.

(٣) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة (ص٣١٧).

وأفعاله، وصرفوا كثيراً من العبادات لهؤلاء المشايخ ـ أحياءً وأمواتاً ـ.

ثم إن علاقة المريد بالشيخ لم تبن على العلاقة الشرعية التي يقرها الإسلام، وإنما بنيت على الطاعة العمياء، وإن خالفت دين الله تعالى، والتسليم للشيخ في كل ما يقول وفق قاعدة كن بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، وقاعدة: لا تعترض فتنطرد.

جاء في كتاب نور البصيرة: «وكان لبعض المشايخ مريد صادق، فأراد أن يمتحن صدقه يوماً، فقال له: يا فلان أتحبني؟ قال: نعم يا سيدي. فقال له: من تحب أكثر أنا أم أبوك؟ فقال: أنت يا سيدي. فقال: أفرأيت إن أمرتك أن تأتيني برأس أبيك أتطيعني؟ فقال: يا سيدي فكيف لا أطيعك ولكن الساعة ترى، فذهب من حينه، وكان ذلك بعد أن رقد الناس، فتسور جدار دارهم، وعلا فوق السطح، ثم دخل على أبيه وأمه في منزلهما، فوجد أباه يقضي حاجته من أمه، فلم يمهله حتى يفرغ من حاجته، ولكن برك عليه وهو فوق أمه، فقطع رأسه وأتى به للشيخ وطرحه بين يديه، فقال له: ويحك أتيتني برأس أبيك، فقال: يا سيدي نعم، فقال له: ويحك إنما كنت مازحاً، فقال له المريد: أما أنا فكل كلامك عندي لا هزل فيه، فقال له الشيخ ﷺ: انظر هل هو رأس أبيك؟ فنظر المريد فإذا هو ليس رأس أبيه، فقال له الشيخ: رأس من هو؟ فقال له: رأس فلان العلج[1]، وكان أهل مدينتهم يتخذون العلوج كثيراً بمنزلة العبيد السودانيين، وكان أبوه غاب تلك الليلة فخانته زوجته في الفراش، ووعدت علجاً كافراً ومكنته من نفسها، وكوشف الشيخ ﷺ بذلك، فأرسل المريد ليقتله، على الصفة السابقة ليمتحن صدقه، فعلم أنه جبل من الجبال، فكان وارث سره والمستولي بعده على فتحه»[2].

وهناك طريقة عجيبة لتوبة المريد يحكيها صاحب كتاب الجزء اللطيف بقوله: «يسكت ويغمض عينيه ويرفع صوته تبعاً فيما يقول... رضيت بالله رباً،

---

(١) العِلج: بالكسر هو الرجل من الكفار العجم. القاموس المحيط (ص١٩٩).
(٢) نور البصيرة في حقيقة السيرة (١/١٢٨).

وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبي وبالشيخ فلاناً شيخاً»[١]. ومن صور الغلو في الشيوخ أن يكون مقام المريد من الشيخ كمقام العبد من السيد[٢].

ومن صور غلوهم في الشيخ كذلك ما جاء في مقدمة ديوان الحداد: «قال جدي الحسن خرجنا مع الوالد إلى وادي بيت جبير للتبرك وزيارة سيدنا الإمام محمد بن علوي بن عبيد الله وصلينا الصبح في الوادي المسيلة وفعلت قهوة والحطب من النخل قال والدي: كيف وأنت فقيه تأخذ القهوة من النخل بغير إذن أهله؟ قلت له: أعلم رضاهم. قال: لو علموا فأنا أحق منهم بأموالهم. قلت: ومع كثرة ورع سيدنا الولي حسن الورع بن سيدنا علي أخو[٣] السقاف قال: لو جعل السقاف اثنين على جبل كحلان ينهبان أموال الناس وأمرني أن آكل منه لأكلت معتقداً لحله، وقال جدي الحسن بن عبد الله الحداد: لو أمرني والدي بقتل أخي علوي مع استقامة علوي وطاعته لقتلته مترجياً الثواب؛ لأنه أمر بالحق من عند الله كقتل الخضر للغلام»[٤].

كما اعتقد القوم حفظ الشيخ لمريده من الشيطان الرجيم، وكفايته أمر الدنيا والآخرة[٥].

ومن الطاعة العمياء للشيخ تصحيح المريد للمنكرات التي يقع فيها الشيخ، فقد ذكر علي بن عيسى الحداد قصصاً في ذلك، لا تعد أموراً منكرة عند القوم منها: خلوة الشيخ بالمرأة الأجنبية فقد ذكر علي بن عيسى الحداد قصة لأحد مشايخ الصوفية مضمونها أن امرأة أجنبية دخلت الخلوة ودخل معها الشيخ، وعندما شاهد المريدون ذلك المنظر تفرقوا إلا واحداً منهم؛ فإنه ذهب وأتى بالماء وجعل يسخنه بقصد أن يغتسل به الشيخ بعد فراغه من الفاحشة فخرج عليه الشيخ وقال له: «يا ولدي تلك الدنيا، تصورت بصورة امرأة، وأنا

---

(١) الجزء اللطيف (ص١٤ ـ ١٥)، ضمن المجموعة العيدروسية. وهناك كيفيات مختلفة للتحكيم. انظر: المصدر السابق (ص١٤ ـ ١٨).

(٢) الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٧٧).

(٣) كذا في الأصل. والصواب: أخي.

(٤) الدر المنظوم (ص٨٣، ٨٤).

(٥) بلوغ الظفر والمغانم (ص١٦).

فعلت ذلك عمداً؛ لينقطع عني أولئك القوم، فادخل يا ولدي وفقك الله معي إلى الخلوة، فهل ترى فيها امرأة؟ فدخل فلم يجد امرأة، فازداد محبة على محبته»[١].

وفي هذه القصة من المخالفات الكثيرة التي لا تخفى إلا على من ألغى عقله. مع ما فيها من أساليب التربية الصوفية للمريد، وفتح أبواب الشر على الناس بصدور مثل هذه الأعمال المنكرة باسم الدنيا أو غير ذلك.

أ ـ اعتقاد رعاية الشيخ للناس حياً وميتاً:

واعتقدوا رعاية الشيخ للمريد في حياة الشيخ وكذا بعد مماته. يقول الشلي في ذكر مناقب عبد الرحمٰن السقاف (ت٨١٩هـ): «قال بعض فقرائه: خطر ببالي أن لي مدة عند الشيخ ولم يفتح عليّ، فقال له: إن الشيخ يرعى الفقير من حيث لا يدري»[٢]، ووصف السقاف بأنه صاحب الكشف الجلي والتصرف النافذ[٣].

ب ـ اعتقاد اتصاف الشيخ بصفات الرب تعالى:

هكذا يستمر القوم في غلوهم في مشايخهم حتى جعلوا لهم شيئاً من صفات الرب تعالى، وقد دونوا ذلك الغلو في مؤلفاتهم، إما بتقرير كبارهم، وذلك بنقل أقوالهم، أو بالقصص والحكايات التي تدل على الاعتقاد عند القوم، وتدعو إليه، ويتلخص ذلك فيما يلي:

١ ـ اعتقاد تصرف الشيخ في الكون مطلقاً:

كثرت نصوص القوم في اعتقادهم أن للشيخ التصرف في الكون كما يشاء، ومن هذه النصوص ما ذكره عمر بحرق عن شيخه أبي بكر العيدروس[٤]، بل وادعى القوم تصرف شيوخهم في الحياة بعد موتهم[٥].

---

(١) نور البصيرة (١/ ١٣٠).

(٢) المشرع الروي (٢/ ١٤٤)؛ ومواهب القدوس (ص٤٠).

(٣) مواهب القدوس (ص٤١).

(٤) انظر: مواهب القدوس (ص٤٥)؛ والفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٤٤).

(٥) الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٢٩).

وغلا العيدروس في شيخه سعد بن علي الظفاري حتى اعتقد أنه ينظر إلى ملكوت الله تعالى[(١)]، وزعم تلقيه المدد عند الكرب والشدة من شيخه هذا، واعتقدوا تصرف مشايخهم في مخلوقات الله تعالى، فقد زعموا أن أحد أوليائهم رد الشمس وأوقفها عن الغروب حتى يدخل البلدة[(٢)].

كما اعتقد القوم أن الله تعالى أعطى الشيخ التصريف في الكون حياً وميتاً[(٣)]. واعتقدوا القوم نظر الشيخ للقلوب وحفظها[(٤)].

ويرى القوم أن الله جعل مشايخهم خلفاء له وأذن لهم بالتصرف في أمور الكون، يقول بحرق عن عبد الرحمٰن السقاف: «بلغ الشيخ عبد الرحمٰن رتبة التمكين محلاً بعد أن جمع بين علمي الشريعة واليقين الذي هو الحقيقة إلى أن قال عن معنى التمكين عندهم: والمراد به عند السادة إقامة الله العبد خليفة عنه يتصرف في الكون بإذنه»[(٥)].

٢ ـ اعتقاد تصرف الشيوخ بالجنة:

تقدم ذكر بعض ذلك في مباحث قولهم في اليوم الآخر، ونذكر نصوصاً أخرى في بيان ادعائهم لهذا المقام، يقول الهدار: «قال ـ أي أبو بكر بن سالم ـ: إن من زارنا، أو سمع بذكرنا في مجلس، أو نظرنا أو نظر ناظرنا فأنا ضمينه غداً بالجنة، وأن يتخلص من ذنوبه كالمولود من بطن أمه، ولو كانت ذنوبه تملأ السموات والأرض، فلا عاد يبقى من ذنوبه مثقال ذرة، يدل لذلك حديث جدي رسول الله: «وقوفك بين يدي ولي الله كحلب شاة أو كشيح بيضة» إلى آخره[(٦)]، ثم قال رضي الله عنه: وإن من زارنا ينال ذلك من الصالحين الطالبين. وقلت في ذلك شعراً:

فيا زائري أبشر بسولك والمنى ... وترقى مراقي العز في كل حضرة
بزورتنا تعلو على كل فائق ... وتحظى بجنات المعارف ونفحة

---

(١) مواهب القدوس (ص١٠).
(٢) تذكير الناس (ص٢٥٥).
(٣) بلوغ الظفر والمغانم (ص١٧).
(٤) المصدر السابق (ص٤).
(٥) مواهب القدوس (ص٤٥).
(٦) الجواهر (ص٢٠٢).

ومما يؤيد صحة هذه الرواية ما نقله السيد العارف بالله أحمد بن زين الحبشي في شرح العينية عن شيخه العارف بالله عبد الله بن علوي الحداد عن ترجمة السيد الولي العارف بالله الإمام عبد الرحمٰن بن أحمد بن عيديد علوي قال: أدركت سيدنا الشيخ أبا بكر بن سالم ـ صاحب عينات ـ وكان يقول لمن حضره: انظروا إليّ فإني قد نظرت الشيخ أبا بكر بن سالم، وناظري وناظر ناظره في الجنة، وكذلك نقل السيد العارف بالله محمد بن زين بن سميط عن السيد المذكور بلفظه والشيخ أبو بكر يقول ناظري وناظر ناظري في الجنة، قال الشيخ عبد الله قدري باشعيب: رأيت السيد العلامة محمد بن عنقاء اليمني ـ نفع الله به، قال ذلك وزاد عليه فقال في مدح الشيخ نفع الله به آمين والمسلمين أجمعين شعراً:

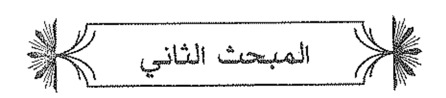
وشفعه الرحمٰن في أهل عصره   شفاعة مسموع مطاع مفضل
وفيمن رآه أو رأى من رآه أو   رأى من رآه فهو أفضل مؤمل

وقد قاله لي في منام رأيته حباني فيه كل خير مسهل»اهـ[1].

وقد مضت أكثر النقول في مبحث قولهم في توحيد الربوبية، ودعواهم لأوليائهم صفات الرب تعالى، والله المستعان.

---

(١) المصدر السابق (ص٢٠٢).



المبحث الثاني

الغلو في القبور



تمهيد

ظاهرة الغلو في القبور لها أسباب كثيرة أهمها: الغلو في الأولياء والصالحين، وترويج القصص والحكايات الغريبة والمكذوبة لدعوة الناس لتعظيمها وزيارتها، وكذا نشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الناس في بيان فضائلها وبركاتها، وكذا تسلط الجن على بعضهم وإضلالهم في هذه المسألة.

ويعتبر هذا المبحث أوسع المباحث وذلك لأن دين الصوفية قائم على الغلو في القبور والتعلق بها، لاعتقاد اتصاف موتاهم بصفات الرب تعالى والتصرف في قبورهم، لذا سأتعرض في هذا المبحث لأهم المسائل ـ إن شاء الله ـ.

❊ المطلب الأول ❊

النصوص الناهية عن الغلو في القبور والعلة في ذلك

لمّا كان أصل الشرك هو الغلو في أصحاب القبور؛ تواترت الأحاديث بالنهي عن الغلو القبور، وقد أرشد النبي ﷺ أمته لعدد من الطرق التي تحمي الفرد وكذا المجتمع من الوقوع في الشرك ووسائله منها:

أ ـ نهيه ﷺ المسلمين عن زيارة القبور في أوّل الإسلام:

عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها...»[1].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه (ص٣٧٧) برقم (٩٧٧).

وقد جاء في شرح الحديث: «... «كنت نهيتكم عن زيارة القبور» لحدثان عهدكم بالكفر. وأما الآن حيث انمحت آثار الجاهلية واستحكم الإسلام وصرتم أهل يقين وتقوى «فزوروا القبور»: أي بشرط أن لا يقترن بذلك تمسح بالقبر، أو تقبيل، أو سجود عليه، أو نحو ذلك. فإنه كما قال السبكي: «بدعة منكرة إنما يفعلها الجهال...»[١].

وجاء في كتاب «الإبداع في مضار الابتداع»: «وسر النهي أولاً عن زيارتها؛ أنه لما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور في قوم نوح، نهى النبي ﷺ أصحابه في صدر الإسلام عن زيارتها سداً لذريعة الشرك؛ لكونهم حديثي عهد بكفر، ثم لما تمكن التوحيد في قلوبهم؛ أذن لهم في زيارتها وعلمهم كيفيتها تارة بفعله، وتارة بقوله[٢]...»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويداً وانتعل رويداً، وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويداً فجعلت درعي في رأسي، واختمرت، وتقنعت إزاري. ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام. فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت، فسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت فدخل، فقال: «مالك؟ يا عائش! حَشْيَا رابية! قالت: قلت: لا شيء. قال: لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير. قالت: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي (٥/٥٥) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١ ١٣٥٦هـ.

(٢) كان ﷺ يأمر أصحابه إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية». أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (ص١٢٧) برقم (٢٤٩) وأخرج نحوه تحت رقم (٩٧٤).

(٣) الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ص(١٩٠).

فأخبرته. قال: «فأنت السواد الذي رأيت أمامي». قلت: نعم. فلهدني في صدري لهدة أوجعتني ثم قال: «أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟» قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله، قال: نعم، قال: «فإن جبريل أتاني حين رأيت، فناداني، فأخفاه منك، فأجبته فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك، وظننت أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»[(١)].

ب ـ نهيه ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[(٢)].

ومعنى الحديث كما ذكر أهل العلم: «ولا تجعلوا قبري عيداً»؛ أي: لا تتخذوا قبري مظهر عيد ومعناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد للمشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حد التعظيم وقيل: العيد ما يعاد إليه أي لا تجعلوا قبري عيداً تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا علي وظاهره ينهى عن المعاودة والمراد المنع عما يوجبه وهو ظنهم أن دعاء الغائب لا يصل إليه ويؤيده قوله: «وصلوا علي وسلموا فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم»؛ أي: لا تتكلفوا المعاودة إلي فقد استغنيتم بالصلاة... يؤخذ منه أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة، ويقولون هذا يوم مولد الشيخ ويأكلون ويشربون، وربما يرقصون منهي عنه شرعاً وعلى ولي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (ص٣٧٦) برقم (٩٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب المناسك، باب زيارة القبور (ص٢٣٣) برقم (٢٠٤٢)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٣٨٣) ط١ مكتب التربية لدول الخليج العربي.

الشرع ردعهم على ذلك وإنكاره عليهم وإبطاله»[١].

وجاء في شرح هذا الحديث: «وأما الآن فإن الناس في المسجد الشريف إذا سلّم الإمام من الصلاة قاموا في مصلاهم مستقبلين القبر الشريف كالراكعين له ومنهم من يلتصق بالسرادق[٢] ويطوف حوله؛ وكل ذلك حرام باتفاق أهل العلم وفيه ما يجر الفاعل إلى الشرك»[٣].

والشاهد قوله: وفيه ما يجر الفاعل إلى الشرك، فهذا قبر النبي ﷺ فغيره من القبور من باب أولى؛ لأن العبادة حق خالص لله تعالى، لا يجوز صرفها لغيره من المخلوقات كائناً ما كان.

ج ـ نهيه ﷺ عن الصلاة على القبور وإليها: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «نهى أن يبنى على القبور أو يقعد عليها أو يصلى عليها»[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول ﷺ قال: «لا تصلّوا إلى قبر، ولا تصلوا على قبر»[٥].

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ: «وأكره أن يُبنى على القبر مسجد وأن يسوَّى أو يصلى عليه وهو غير مسوًّى أو يصلى إليه. قال وإن صلى إليه أجزأه وقد أساء... وأكره هذا لِلسنّة والآثار، وأنه كره ـ والله أعلم ـ أن

---

(١) فيض القدير (٤/ ١٩٩).

(٢) السرادق كل ما أحاط بشيء من حائط أو مِضْرَب، المعجم الوسيط (١/ ٤٢٦) والمقصود هنا هو سرادق قبر النبي ﷺ وهو الحاجز النحاسي المحيط بالحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي (٦/ ٢٥)، ط١، دار الكتب العلمية.

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٢٩٧)، وقال الهيثمي: رجاله ثقات كما في مجمع الزوائد (٣/ ٦٤) كتاب الجنائز، باب البناء على القبور والجلوس عليها وغير ذلك ط مؤسسة المعارف، وقال الشيخ الألباني: إسناده صحيح. «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد»، ط٤ (ص٢٢).

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٣/ ١٤٥/ ٢)؛ وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ١٣) رقم الحديث (١٠١٦)، ط١، مكتبة المعارف.

يعظَّم أحد من المسلمين يعني يتخذ قبره مسجداً، ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي بعده»[١].

من كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتبيّن أن العلة من النهي عن بناء القبور والصلاة إليها هي خشية الفتنة والضلال على من يأتي بعده، ولا أعظم فتنة من فتنة الشرك ووسائله.

د ـ دعاؤه ﷺ ربّه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، مع إخباره بشدة غضب الله على متخذي قبور أنبيائهم مساجد، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٢].

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوثن الصنم وهو الصورة من ذهب كان أو من فضة ذلك من التمثال وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنماً كان أو غير صنم، وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها فخشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم، فقال ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يصلى إليه ويسجد نحوه ويعبد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك»، وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجداً، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها وذلك الشرك الأكبر، فكان النبي ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم

---

(١) الأم، للإمام الشافعي، كتاب الصلاة (١/ ٢٧٨) ط دار المعرفة.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة (١/ ١٥٦) برقم (٨٥)؛ وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤٦) برقم (٧٣٥٢)؛ وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٢)؛ وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٣٤) برقم (٦٦٨١)؛ والحميدي في مسنده (٢/ ٤٤٥) برقم (١٠٥٢)؛ وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٣١٧) وصححه الشيخ الألباني في أحكام الجنائز وبدعها (ص٢٧٦) ط١ ١٤١٢هـ، مكتبة المعارف وانظر: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، (ص١٨ ـ ١٩).

امتثال طرقهم، وكان ﷺ يحب مخالفة أهل الكتاب وسائر الكفار، وكان يخاف على أمته اتباعهم...»(١).

وقد ذكر بعض العلماء أن اتخاذ القبور مساجد من كبائر الذنوب(٢).

وقد عنون ابن حجر المكي الهيتمي في كتابه «الزواجر» عنواناً قال فيه: «الكبيرة الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثاناً، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها».

ثم ساق جملة من الأحاديث الدالة في ذلك، ثم قال: «تنبيه» عَدُّ هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذه مما ذكرته من هذه الأحاديث، ثم ذكر وجه الدلالة على تلك الكبائر، إلى أن قال: «وأما اتخاذها أوثاناً فجاء النهي عنه بقوله ﷺ: «لا تتخذوا قبري وثناً يعبد بعدي»(٣) أي لا تعظِّموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له، أو نحوه، فإن أراد ذلك الإمام بقوله: (واتخاذها أوثاناً) هذا المعنى اتجه ما قاله من أن ذلك كبيرة بل كفر بشرطه، وإن أراد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بُعد، نعم قال بعض الحنابلة: قصدُ الرجل الصلاة عند القبر متبركاً به عين المحادة لله ورسوله وابتداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم إجماعاً...»(٤).

وهذا كلام الهيتمي أحد أئمة الشافعية المتأخرين، الذي تعظمه صوفية حضرموت، وفيه رد على أفعال القوم من بناء القبور، وتعظيمها، واتخاذها أوثاناً تعبد.

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٥/ ٤٥)، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري.

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي المكي (١/ ١٤٨ ـ ١٤٩) ط دار المعرفة.

(٣) تقدم تخريجه دون لفظة: «بعدي».

(٤) المصدر السابق.

وقال ملا علي القاري[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي لا تجعل قبري مثل الوثن في تعظيم الناس وعودهم للزيارة بعد بدئهم، واستقبالهم نحوه في السجود، كما نسمع ونشاهد الآن في بعض المزارات والمشاهد، «اشتد» استئناف كأنه قيل: لِمَ تدعو بهذا الدعاء؟ فأجاب بقوله اشتد «غضب الله»: ترحماً على أمته وتعطفاً لهم، قاله الطيبي[2]، وتبعه ابن حجر، والأظهر أنه إخبار عما وقع في الأمم السابقة؛ تحذيراً للأمة المرحومة من أن يفعلوا فعلهم، فيشتد غضبه عليهم»[3].

د ـ لعنهُ ﷺ لليهود والنصارى وإخباره بلعن الله لهم كونهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر أمته مما صنعوا، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت: فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً»[4].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: لما كان مرض رسول الله ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حسنها وتصاويرها، قالت: فرفع النبي ﷺ رأسه فقال: «أولئكِ إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم

---

(١) هو علي بن سلطان بن محمد الهروي، القاري، الحنفي، عالم مشارك في أنواع من العلوم. ولد بهراة، ورحل إلى مكة واستقر بها. من تصانيفه: مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح، والمصنوع في معرفة الحديث الموضوع، وشرح مشكاة المصابيح. توفي بمكة سنة ١٠١٤هـ. انظر: معجم المؤلفين (٢/ ٤٤٦).

(٢) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، صاحب شرح المشكاة وغيره. كان شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة. توفي سنة ٧٤٣هـ. انظر ترجمته في: الدرر الكامنة (٢/ ٦٨ ـ ٦٩)؛ وشذرات الذهب (٦/ ١٣٧ ـ ١٣٨).

(٣) المرقاة (٢/ ٤٥٨) ط دار الفكر.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ القبور مساجد على القبور (ص٢٥٨ ـ ٢٥٩) برقم (١٣٣٠)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (ص٢١٤) برقم (٥٢٩).

صوَّروا فيه تلك الصور، أولئكِ شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[١].

وعن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم: أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة[٢] له فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه وهو يقول: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». تقول عائشة رضي الله عنها: «يحذِّر ما صنعوا»[٣].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في كلامه على هذا الحديث: «وكأنه علم أنه مرتحل؛ فخاف أن يعظَّم قبره كما فعل من مضى فلعنَ اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من فعل فعلهم»[٤].

ففي هذه الأحاديث الثلاثة نهي النبي ﷺ أمته عن اتباع سبل الكفار الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وعبدوها من دون الله، ففتحوا باباً للشرك بأعمالهم هذه، وقد بيَّنت عائشة رضي الله عنها أن الصحابة انتهوا عما نهى النبي ﷺ عنه، وحذروا من بعدهم، ولذا لم يبرزوا قبره ﷺ خشية أن يتخذ مسجداً، وأنه إنما قال ذلك محذراً لأمته أن تصنع كما صنع اليهود والنصارى.

وقال العلامة صديق حسن خان في شرحه لحديث جابر رضي الله عنه: «وأن يبنى عليه»: «قال النووي: فيه كراهة البناء عليه، قال: أما البناء عليه، فإن كان في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساجد، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد (ص١٠٤)، برقم (٤٢٧)؛ ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلوات، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (ص٢١٣) برقم (٥٢٨٠).

(٢) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان. القاموس المحيط ص(٧٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة، باب حدثنا أبو اليمان... (ص١٠٥) برقم (٣٣٥، ٣٣٦)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلوات، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (ص٢١٤) برقم (٥٢٩، ٥٣١).

(٤) الفتح (١/٥٣٢) ط السلفية.

ملك الباني فمكروه. وإن كان في مقبرة (مسبلة) فحرام نص عليه الشافعي والأصحاب، قال في (الأم): ورأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى، ويؤيد الهدم قوله: «ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» انتهى.

ويتبيَّن لنا مما تقدم أن البناء على القبور حرام لا مكروه، في أي مكان ولأجل أي قبرٍ كان، وهذا بالأدلة الثابتة الصحيحة، ومن طرق كثيرة:

فمنها: الأمر بالتسوية.

ومنها: النهي عن البناء.

ومنها: النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعنُ فاعلِ ذلك، وغير ذلك مما هو مبيَّن في كتب السنَّة.

وبالجملة فما هذه أول شريعة صحيحة محكمة، وسُنَّة قائمة صريحة تركها الناس واستبدلوا بها غيرها.

وقد صارت هذه البدعة وسيلة لضلال كثير من الناس، «ولا سيما العوام» فإنهم إذا رأوا القبر عليه الأبنية الرفيعة، والستور العالية، وانضم إلى ذلك إيقاد السرج عليه، سبب ذلك الاعتقاد في ذلك الميت، ولا يزال الشيطان الرجيم وإبليس اللعين يرفعه من رتبة إلى رتبة حتى ينادى مع الله، ويطلب منه ما لا يطلب إلا من الله ﷻ ولا يقدر عليه سواه فيقع في الشرك . . ، هذا أمر العوام.

وأما الخواص فلهم عرس الموتى[1] على قبورهم وطوافها، والمراقبة عندها وانتظار وصول الفيض من أصحابها، والاستمداد بهم في الفرج بعد الشدة، وإيجاب النذور لهم ووضع الأموال في المقابر إلى غير ذلك من الكبائر، والإشراك، والبدع، وكل ذلك ضلالة على ضلالة وظلمة فوق ظلمة: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وأما تخصيص قبور الفضلاء بهذه الداهية الدهياء، والمعصية الصماء،

---

(١) عرس: بالضم وبضمتين: طعام الوليمة. القاموس المحيط (ص٥٥٧). أي أن الخواص يقيمون عند القبور ويلزمونها لحث الناس على التقرب إليها بالقربات.

والفاقرة العظمى فلا وجه له. . .»[1].

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير سورة الكهف: «وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيماً وتعظيماً فذلك يُهدم ويزال، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبهاً بمن كان يعظم القبور ويعبدها وباعتبار هذه المعاني وظاهر النهي ينبغي أن يقال هو حرام»[2].

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ قد صرح في تفسير سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [البقرة: ١٠٤]. وهو يتكلم عن سد الذرائع بأن ما ورد من الأحاديث في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها. . . إلخ إنما هو لسد الذريعة المؤدية إلى ما وصلت إليه الأمم السابقة من التدرج في عبادتها من دون الله، وهذا نص كلامه رحمه الله: «قال علماؤنا: ففعَلَ ذلك أوائلهم ليأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله عز وجل عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم إنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم، ووسوس لهم الشيطان: أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك وشدّد النكير والوعيد على من فعل ذلك وسدَّ الذرائع المؤدية إلى ذلك فقال: «اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد»[3] وقال: «اللهم لا تجعلْ قبري وثناً يعبد»[4]»[5].

الأمر بتسوية القبور المشرفة مع قرن ذلك بطمس التماثيل: فعن ثمامة بن

---

(١) السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج للشيخ صديق حسن خان إصدار (٣/ ٣٨٢ ـ ٣٨٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٨١).

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (ص٢١٤) برقم (٥٣٢).

(٤) تقدم تخريجه (ص٨٠٠) من هذا البحث. (٥) تفسير القرطبي (٢/ ٥٨).

شُفي[١] رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كنا مع فضالة بن عبيد[٢] بأرض الروم برودس[٣] فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوّي ثم قال: «سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها»[٤].

وعن أبي الهيّاج الأسدي[٥] رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته»[٦].

فهذا فضالة بن عبيد رضي الله عنه يعمل بما سمع ويأمر بتسوية القبر؛ امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ بتسويتها، وهذا علي رضي الله عنه يبعث أبا الهياج الأسدي لتسوية القبور كما بعثه رسول الله ﷺ أي أنه يعمل بما عرفه وفهمه من أمر رسول الله ﷺ بذلك، وهذا عثمان رضي الله عنه يأمر بتسوية القبور كذلك. قال عبد الله بن شرحبيل بن حسنة[٧] رَحِمَهُ اللَّهُ: «رأيت عثمان رضي الله عنه يأمر بتسوية القبور فقيل له: هذا قبر أم عمرو بنت عثمان! فأمر به فسوِّي»[٨].

---

(١) هو ثمامة بن شُفي الهمداني، أبو علي الأصبحي، نزيل الإسكندرية، ثقة. قال ابن يونس: مات في خلافة هشام قبل العشرين. انظر: التقريب (ص١٨٩) تحقيق أبي الأشبال.

(٢) هو فضالة بن عبيد بن نافِذ بن قيس، الأنصاري الأوسي، أول ما شهد أحد، ثم نزل دمشق وولي قضاءها، ومات سنة ٥٨هـ، وقيل قبلها. التقريب (٢/ ١١٥ ـ ١١٦).

(٣) برودس: جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط افتتحها معاوية رضي الله عنه ودانت بالإسلام زمناً ثم طرد منها المسلمون وعادت إلى النصرانية. انظر: معجم البلدان (٣/ ٧٨) ط٢ دار صادر.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر (ص٣٧٤) برقم (٩٦٨).

(٥) هو حيان بن حصين، أبو الهياج، الأسدي الكوفي، ثقة، من الثالثة، أخرج حديثه أصحاب الكتب الستة عدا البخاري وابن ماجه. انظر: التقريب (١/ ٢٠٦) ط المعرفة.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر (ص٣٧٤) برقم (٩٦٩).

(٧) هو عبد الله بن شرحبيل بن حسنه القرشي يروي عن عثمان بن عفان روى عنه الزهري وسعد بن إبراهيم. الثقات، لابن حبان (٥/ ١٤).

(٨) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجنائز باب في تسوية القبر وما جاء فيه (٣/ ٣٤١) طبع الدار السلفية بالهند بومبي الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م)؛ وأبو زرعة في تاريخه بسند صحيح إلى عبد الله بن شرحبيل. انظر: تحذير الساجد (٨٨).

وعن عمرو بن شرحبيل[١] قال: «لا ترفعوا جدثي - يعني قبري - فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك»[٢].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «ولم أرَ قبور المهاجرين والأنصار مجصصة قال الراوي عن طاووس: أن رسول الله ﷺ نهى أن تبنى القبور أو تجصص (قال الشافعي): وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أرَ الفقهاء يعيبون ذلك»[٣].

وقال ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الكبرى» في جواب سؤال يتعلق بهذا الموضوع: «المنقول المعتمد كما جزم به النووي في شرح المهذب حرمة البناء في المقبرة المسبلة، فإن بُني فيها هُدم ولا فرق في ذلك بين قبور الصالحين والعلماء وغيرهم، وما في الخادم مما يخالف ذلك ضعيف لا يلتفت إليه، وكم أنكر العلماء على باني قبة الإمام الشافعي رحمه الله وغيرها، وكفى بتصريحهم في كتبهم إنكاراً...»[٤]. وقال في جواب سؤال آخر: «يحرم بناء القبر في المقبرة المسبلة؛ وهي التي اعتاد أهل البلد الدفن فيها، ومثلها الموقوفة لذلك، سواء كان مدماكاً أم مدماكين[٥]؛ لأن الكل يسمى بناء، ولوجود علة تحريم البناء في ذلك وهي تحجير الأرض على من يدفن بعد بلاء الميت، إذ الغالب أن البناء يمكث إلى ما بعد البلى، وأن الناس يهابون فتح القبر المبني، فكان في البناء تضييق للمقبرة ومنع الناس من الانتفاع بها فحرم، ووجب على ولاة الأمر هدم الأبنية التي في المقابر المسبلة، ولقد أفتى جماعة

---

(١) هو عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الهمداني الكوفي. حدث عن عمر، وعلي، وابن مسعود وغيرهم. مات في ولاية عبيد الله بن زياد. انظر: السير (٤/ ١٣٥ - ١٣٦).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٦/ ١٠٨) دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م) وصحح إسناده الشيخ الألباني. انظر: تحذير الساجد ص(٩٨).

(٣) الأم (١/ ٢٧٧).

(٤) الفتاوى الكبرى (٢/ ١٧) ط دار الفكر.

(٥) المدماك: هو ما بني على رأس البئر، وفي لغة أهل الحجاز هو الصف من اللبِن أو الحجارة من البناء، ويطلق أيضا على خيط البنّاء والنجار. انظر: لسان العرب (١٠/ ٥١٨ - ٥١٩) مادة: (دمك)، ت: عامر أحمد حيدر، ط١ ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

من عظماء الشافعية بهدم قبة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وإن صُرفت عليها ألوف من الدنانير؛ لكونها المقبرة المسبلة وهذا ـ أعني البناء في المقابر المسبلة ـ مما عمّ وطم، ولم يتوقّه كبير ولا صغير فإنا لله وإنا إليه راجعون»[١].

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قوله: «ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» فيه أن السنَّة أن القبر لا يرفع رفعاً كثيراً من غير فرق بين من كان فاضلاً ومن كان غير فاضل. والظاهر: أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه محرّم، وقد صرح بذلك أصحاب أحمد، وجماعة من أصحاب الشافعي، ومالك، والقول: بأنه غير محظور؛ لوقوعه من السلف والخلف بلا نكير؛ كما قال الإمام يحيى والمهدي في الغيث لا يصح؛ لأنه غاية ما فيه أنهم سكتوا عن ذلك، والسكوت لا يكون دليلاً إذا كان في الأمور الظنية، وتحريم رفع القبور ظني، ومِن رفعِ القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أوليّاً: القبب، والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك؛ كما سيأتي. وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام. منها: اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج، وملجأً لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدّوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا. وبالجملة إنهم لم يدَعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالماً، ولا متعلماً، ولا أميراً، ولا وزيراً، ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار. ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإن قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم

---

(١) الفتاوى الكبرى (٢/ ٢٥). وينبه إلى أن أعظم الأسباب في منع البناء على القبور كون ذلك وسيلة إلى الشرك، والوسائل لها أحكام المقاصد فسد الشارع هذا الباب.

وتلكأ وأبى واعترف بالحق. وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه ـ تعالى ـ ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة، فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين، أي رزء للإسلام أشد من الكفر؟ وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو ناراً نفخت بها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ في رمادِ[(١)]

❁ المطلب الثاني ❁

البناء على القبور واتخاذها مساجد

تمهيد:

تعتبر حضرموت من أكثر محافظات اليمن تشييداً للقبور وبناء القبب عليها، إن لم تكن أكثرها، ، لا تكاد تذهب إلى مدينة أو قرية فيها إلا وتجد قبة، أو مشهداً.

فهذا التشييد للقبور المعظمة أما غيرها فقد رفعوها عن الأرض وبنوا عليها، وكتبوا عليها اسم الميت وتاريخ وفاته وما إلى ذلك من المخالفات الشرعية.

وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد فقال ﷺ: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[(٢)].

«اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»[(٣)]. وأوصى ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه بقوله: «ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته»[(٤)].

---

(١) نيل الأوطار (٢/ ٧٧١ ـ ٧٧٢) ط دار الكلم الطيب.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المسجد على القبور (ص٢١٤) برقم (٥٣٢).

(٣) تقدم تخريجه (ص٨٠٠) من هذا البحث. (٤) تقدم تخريجه (ص٨٠٦) من هذا البحث.

ويمكن إجمال أهم الأسباب التي أدت إلى البناء على القبور مما أوقع كثير من الناس في الشرك والبدع فيما يلي:

أولا: الغلو في الصالحين، وقد جاءت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنَّة تنهى عن الغلو، فقد حذرنا ربنا عن مشابهة أهل الكتاب فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

وثبت في الصحيح من حديث عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[١].

ثانيا: تفشي الجهل بشرع الله تعالى، وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بوقوع ذلك فقال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[٢].

ثالثا: اتباع علماء السوء وتقليد الآباء.

رابعا: اتباع الأعداء في ذلك وسلوك طرقهم، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبّ لاتبعتموهم» قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى، قال: «فَمَنْ»[٣].

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٥١) من هذا البحث.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم (ص٤٥) برقم (١٠٠)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (ص١٠٧٢ ـ ١٠٧٣) برقم (٢٦٧٣) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (ص٦٦٥) برقم (٣٤٥٦)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (ص١٠٧١) برقم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه واللفظ لمسلم.

النصوص الدالة على بناء صوفية حضرموت للقبور واتخاذها مساجد:

تبع القوم سبيل من حذر منهم الرسول ﷺ، واتخذوا قبور أوليائهم مساجد، وبنوا القباب على القبور، وشيدوا المشاهد المزارات، وقد ذكر مؤرخو حضرموت أن أول قبة بنيت بمدينة تريم كانت على ضريح مسعود بن يماني المتوفى سنة ٦٤٨هـ[١]، بناها على ضريحه ابنه عمر بن مسعود بن يماني، ثم بدأ بناء القباب بعد أن انتهت دولة الإباضية إذ إنهم يمنعون ذلك، فبنيت قبة عمر بن عبد الله بامخرمة (ت٩٥٢هـ) بسيئون، وتوالت القباب فبنيت قبة الحبشي (ت١٣٣٣) كذلك بسيئون، وهكذا توالى بناء القباب في مدن وقرى حضرموت[٢].

وأمر البناء على القبور وجد بحضرموت منذ القرن السابع ولم يعرف قبل ذلك[٣]، وشيد كثير من صوفية حضرموت القبور، فما تكاد تجد ترجمة أو ذكر لأحد مشايخهم أو أولياؤهم إلا وذُكر أنه بني على قبره، فميز، وأنه بالزيارة معمور، أو أنها بنيت عليه قبة كبيرة تعلوها الأنوار والبركات وغير ذلك من خرافاتهم التي لا حد لها، حتى أغروا الجهلة وضعاف الإيمان فاعتقدوا أن صاحب هذه القبة له منزلة وشأن فعظموه ثم عبدوه من دون الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يقول الشيخ محمد بن سالم البيحاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن الشرك تعظيم القبور الذي فتن به المسلمون في مختلف الجهات، حتى بنوا عليها القباب، واتخذوا لها الأقفاص والتوابيت، وطافوا بها وحجوا إليها، ونذروا لأصحابها بجزء معلوم من أولادهم، وأقاموا لها الحفلات والمواسم، وجاءوا إليها متوسلين ومستغيثين. وهذا يطلب منهم الولد، وثانٍ يطلب منهم شفاء المريض، وثالث

---

(١) انظر: الفرائد في قيد الأوابد (ص٢).

(٢) تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت، لعبد القادر بن محمد الصبان (ص١٠).

(٣) انظر: المشرع الروي (١/١٨١، ١٨٦، ١٩٣)؛ ومصباح الأنام (ص٣٠، ٤٣)، وتذكير الناس (ص١٩٤، ٢٠٦، ٢١٩).

يريد منهم النصرة على الأعداء، وأن ينصفوا له من فلان الظالم، ونسبوا إليهم من الكرامات ما لا يصح أن يكون معجزة لنبي مرسل، وكتبوا عنهم الشطح، والكلام الذي لا يصدر إلا من ملحد في دين الله، أو مدّع أنه شريك لله...»[١].

والقوم من أزمان يدفنون موتاهم في قباب المعظمين عندهم، من ذلك دفن أحمد العيدروس بقبة أبيه أبي بكر العيدروس بعدن[٢]، وغلو في ضرائح آل العيدروس فجعلوا مساجد وتقربوا إليها بمختلف القربات[٣].

جاء في قصيدة يمدح فيها أحدهم قبة شيخه زين العابدين الأصغر بن مصطفى العيدروس ويقول فيها:

وقبة شيخنا طاب ثراها ... إلى أعلى المعالي منتهاها
ونور اللّه يعلوها جهاراً ... وروضة أحمد أرخ بناها

وقال أيضاً:

سلّم على ذاك الجنان مقبلاً ... لضريحه تعطى مناك وتظفر
في روضة من جنة قد أزلفت ... وبها ضريح للحبيب منور[٤]

وجاء في كتاب العقد النبوي: «وقال بعضهم: رأيت حلل الحرير عند قبر الفقيه محمد بن علي وكثيراً ما يرى الأخيار نزول الرحمة عند قبره على زواره واستجابة الدعاء عند ضريحه الشريف مشهور، فكم من مريض ببركته قد برئ، وسقيم قد شفي ولا يزوره زائره بصدق إلا ويرجع بنجح مطلوبه، ويعود بفوز مرغوبه»[٥].

واهتم القوم بإسراج القبور والقباب وجمع كلام مشايخهم في تقرير ذلك بأن جملة من علمائهم قالوا: «بصحة النذر للمشايخ إذا لم يرد التمليك لهم وقالوا يصرف في إسراج على قبره في قبته لنفع الزائر بذلك وغير ذلك مما

---

(١) إصلاح المجتمع للشيخ محمد بن سالم البيحاني (ص١٣٠)، دار الندوة الجديدة.
(٢) انظر: مواهب القدوس (ص٢٥). (٣) المصدر السابق (ص٢٦).
(٤) تحقيقات تاريخية (ص١٦). (٥) كتاب «العقد النبوي» (١/ ٢٨٤).

اعتيد من إطعام الزائر ونحوه»[١].

هذه آثار المتصوفة على حضرموت وعلى غيرها من مناطق اليمن، من نشر القباب والأضرحة، والوقوع في الشركيات والبدع، كما سيأتي في مباحث هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

وقد ذكرت صوفية حضرموت قبور معظميها في أغلب مؤلفاتها، فمنها: قبر عبد الله بن علي بن حسن بن الشيخ علي، قال الشلي: «ولقي ربه سنة سبع وثلاثين وألف في قرية الوهط الشهيرة، وقبره بها كالشمس وقت الظهيرة مقصود بالزيارات وقضاء الحاجات ونيل المطلوبات ومن استجار به نجا من جميع المخاوف والردى، وعمل الباشا محمد باشا على قبره قبة عظيمة»[٢].

ومنها: قبر عبد الله بن شيخ العيدروس، قال الشلي في ترجمته: «وعمل عليه قبة حسنة الباطن والظاهر، والنور في أرجائها لائح وباهر»[٣].

وبناء القباب من الأمور المخالفة لما عليه متقدموهم حيث لم يكونوا يبنون على القبور ولم يحدثوا فيها من المخالفات التي أحدثها المتأخرون، فقد جاء في كتاب المشرع الروي عند ذكر مقابر تريم المعظمة: «إلا أن كثيراً منهم لا يعرف عين قبره؛ بل ولا جهته؛ لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور، وإنما استحسنه المتأخرون لأمور منها: أن يعرف الميت هل بُلي أو لا؟ لأن المشهور عندهم أن الميت لا يبلى إلا بعد أربعين سنة أو نحوها، ومنها أن يعرف صاحب القبر ليزار، ويتبرك به، ويدفن عنده أقاربه، ونحو ذلك من المقاصد الحسنة. . .»[٤].

ويجاب عن هذا القول: أن لا استحسان أمام نصوص القرآن والسنَّة، وهنا قد ثبت الحديث عن النبي ﷺ ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه»[٥] فلا استحسان حينئذ.

---

(١) مصباح الأنام (ص٤٤).
(٢) المشرع الروي (٢/١٩٣).
(٣) المصدر السابق (٢/١٧٧).
(٤) المشرع الروي (١/١٤٦ ـ ١٤٨).
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه (ص٣٧٤) برقم (٩٧٠).

ثم إن قوله: المشهور عندهم أن الميت لا يبلى إلا بعد أربعين سنة أو نحوها لا دليل عليه وتحديد هذا أمر يتوقف على النص؛ لأنه غيب؛ لأن الميت سواء كان منعماً أو معذباً فهو من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها، وإن شوهد بِلى جسد الميت.

وأما قولهم: ومنها أن يعرف صاحب القبر ليزار، ويتبرك به، فيقال: أما الزيارة الشرعية فلا ينكرها أهل السنَّة الجماعة لدلالة النصوص الشرعية عليها، وإنما الذي يُنكَر هو الزيارات الشركية والبدعية، ومن ذلك التبرك بالقبور فهو تبرك ممنوع، لم يأت به الشرع ولم يفعله المهاجرون والأنصار، فهم أعلم الناس بالله ورسوله ودينه، وكذلك التابعون، ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوافر الهمم على نقله، بل على نقل ما دونه[١].

وفي هذا النص كذلك ما يوضح غلو القوم في القباب، وإضلال الجهال وضعاف الإيمان بهذه الأوصاف للمقبور، ودعوتهم إلى تقبيل القبور، وهذا لا يجوز شرعاً، فلا يجوز تقبيل قبر النبي ﷺ فضلاً عمن دونه، يقول الإمام النووي رحمه الله: «ويكره مسحه باليد وتقبيله؛ بل الأدب أن يبعد منه، كما يبعد منه لو حضره في حياته ﷺ وهو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، ولا يغتر بمخالفة كثيرين من العوام وفعلهم ذلك، فإن الإقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم وقد ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد»[٢] وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (١/٢٠٢) تحقيق: الفقي، ط دار المعرفة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (ص٥١٤) برقم (٢٦٩٧)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (ص٧١٤) برقم (١٧١٨) بلفظ: «أُمرنا».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (ص٧١٤) برقم (١٧١٨).

«لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم»[١] رواه أبو داود بإسناد صحيح، وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ ما معناه: «اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين».

من خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة، فهو من جهالته وغفلته؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وكيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب»[٢].

وجاء في كتاب تاج الأعراس: «وقد اجتمع صاحب المناقب رضوان الله عليه في تلك الأحياء بالكثير الطيب من صفوة الأحياء المتخلقين بما في الإحياء وغيرهم ممن يتبرك بثرى آثار سيرهم، وتتنزل الرحمة عند استحضار كؤس ديرهم، فأخذ عنهم والتمس منهم بعد أن زار تلك القبب، واستمد من أهل ذيك الترب حتى عاد بحقيبة بجرا عند المنقلب...»[٣].

وقال الشلي عند ذكر وفاة أبي بكر بن سالم بن عبد الله ـ صاحب عينات ـ «وبني عليه قبة عالية البناء عظيمة القدر حساً ومعنى»[٤].

وقد سبق أن ذكرنا نصوصاً كثيرة في نهيه ﷺ أمته عن البناء على القبور وتعظيمها بأي نوع من أنواع التعظيم.

ومن تعلق القوم بالقبور أن جعلوا مشاهد لا أموات فيها، وإنما صنعوا ذلك للذكرى، يقول أحمد بن حسن العطاس: «لما توفي الحبيب عمر البار المذكور، شق فراقه على أخيه الحبيب عيدروس فقال له جدي علي بن عبد الله العطاس: إن عادة السلف إذا مات أحد منهم في مكان بعيد يجعلون له مشهداً يتذكرونه به، ويتبركون بزيارته، فأنشأ المشهد

---

(١) تقدم تخريجه (ص٧٩٨) من هذا البحث.

(٢) المجموع (٨/ ٢٠٣)، ت: محمود مطرحي، دار الفكر ط١، ١٤١٧هـ.

(٣) تاج الأعراس (١/ ٨٧).

(٤) المشرع الروي (٢/ ٢٩).

المعروف نجدي القرين[(١)]»[(٢)].

وقد انتشرت هذه العادة السيئة التي سنَّها القوم لأهل حضرموت، حيث بُنيت مشاهد كثيرة لا قبور فيها، وإنما هي للتبرك وتذكر الميت، وانتشر هذا البلاء إلى خارج حضرموت.

وقد ذكر المؤرخ علوي الحداد ما يبيّن هذا الواقع فقال وهو يتكلم عن قرية الباقحوم في وادي حضرموت وذكر أن فيها علماً مشيداً بالنورة وهم يسمونه مشهد الحبيب عبد الله الهدار عمله أهل هذه القرية ليتذكروه ويقرأوا عليه الفاتحة[(٣)]: «ولم أرَ من تكلم عن حكم هذه الأعلام من فقهاء الشافعية، ومن المقطوع به أنه إن ترتب عليها ما يخل بالإيمان من اعتقاد ضر أو نفع لغير الله تعالى فلا شك في حرمة إقامتها وسوف يتعب نفسه من أراد أن يجد أصلاً من كتاب أو سنَّة، أو يجعلها من قسم البدع المطلوبة[(٤)]»[(٥)].

بل يقال أن الفتنة واقعة لا محالة، فأقل أحوال هذه المشاهد أنها وسيلة للشرك، فيسد هذا الباب، وينبغي دعوة الناس للتعلق بالله تعالى، وتقوية الصلة به جلَّ وعلا، وترك ما يخل بذلك من المحدثات والبدع، فضلاً عما يناقض ذلك وهو الشرك بالله تعالى.

---

(١) أي شرقي منطقة القرين، والقرين ـ تصغير قرن ـ بلدة تقع في الجانب الشرقي بعد عورة على يمين الخارج من وادي دوعن متجه شمالا. انظر: إدام القوت (ص٣٥٤) حاشية رقم (٣).

(٢) تذكير الناس (ص٢١٩).

(٣) وهي من البدع المنتشرة في حضرموت إلى يومنا هذا، حيث تقرأ في المساجد، وعند القبور، وفي المناسبات وغير ذلك، وسيأتي الكلام عنها في مبحث الأذكار البدعية.

(٤) وهذا من أخطائهم في تقسيم البدع إلى بدع محمودة، وبدع مذمومة، بل البدع كلها مذمومة لقوله ﷺ: «كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» ولم يرد في آية ولا حديث ما يقيد أو يخص هذا اللفظ المطلق العام، بل ولم يأت ما يفهم منه خلاف ظاهر هذه القاعدة الكلية، وهذا دليل على أن هذه القاعدة على عمومها وإطلاقها. انظر: الاعتصام للشاطبي (١/ ١٤١ ـ ١٤٢)، ط دار المعرفة، تحقيق محمد رشيد رضا.

(٥) الشامل في تاريخ حضرموت (ص١٣٦).

❊ المطلب الثالث ❊

الزيارات الشركية والبدعية للقبور

شد الرحال للقبور:

لم يفرق صوفية حضرموت بين مشروعية زيارة القبور، وبين عدم مشروعية شد الرحال إليها، لذا جوّز القوم شد الرحال للقبور، يقول العلامة ابن عبد الهادي[(١)]: «والسفر إلى زيارة القبور مسألة وزيارتها من غير سفر مسألة أخرى، ومن خلط هذه المسألة بهذه المسألة وجعلها مسألة واحدة وحكم عليهما بحكم واحد وأخذ في التشنيع على من فرق بينهما وبالغ في التنفير عنه فقد حرم التوفيق، وحاد عن سواء السبيل»[(٢)].

وأما معنى شد الرحال، والفرق بينه وبين زيارة القبور فالعمدة في هذه المسألة قوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، والمسجد الأقصى»[(٣)].

فالرحال: جمع رحل وهو سراج البعير الذي يركب عليه، وإنما عبر به لأن من أراد السفر شد رحله ليركب ويسير.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «والمراد النهي عن السفر إلى غيرها، قال الطيبي: هو أبلغ من صريح النهي، كأنه قال: لا يستقيم أن يقصد

---

(١) هو العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد المقدسي الحنبلي، الجماعيلي، ثم الصالحي. فقيه، محدث، حافظ ناقد، ولد سنة ٧٠٤هـ، ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية وقرأ عليه جزءا من الأربعين للرازي. ولازم أبي الحجاج المزي، وأخذ عن الإمام الذهبي. من تصانيفه: الصارم المنكي في الرد على السبكي، والمحرر في الحديث، وطبقات علماء الحديث. مات سنة ٧٤٤هـ. انظر: طبقات الحفاظ، للسيوطي (ص٥٢٤) برقم (١١٤٧)؛ ومقدمة كتاب العقود الدرية لابن عبد الهادي، للشيخ حامد الفقي (ص١٣ ـ ١٦).

(٢) الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص١٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب الصوم يوم النحر (ص٣٧٨) برقم (١٩٩٥)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب فضل المساجد الثلاثة (ص٥٤٧) برقم (١٣٩٧) واللفظ له.

بالزيارة إلا هذه البقاع لاختصاصها بما اختصت به، والرحال بالمهملة جمع رحل وهو للبعير كالسرج للفرس، وكنى بشد الرحال عن السفر؛ لأنه لازمه وخرج ذكرها مخرج الغالب في ركوب المسافر وإلا فلا فرق بين ركوب الرواحل والخيل، والبغال، والحمير والمشي في المعنى المذكور، ويدل عليه قوله في بعض الإشارة «إنما يسافر» أخرجه مسلم[(١)]»[(٢)].

كذلك فإن زيارة القبور تشرع للرجال دون النساء[(٣)]، ويستحب دعاء الزائر للأموات والاستغفار لهم لما دلت عليه النصوص الشرعية.

الفرق بين شد الرحال وبين زيارة القبور:

أن شد الرحال لا يجوز إلا إلى المساجد الثلاثة بينما زيارة القبور تشرع في حال بشرط خلوها من شد الرحال ومن الأمور المخالفة سواء كانت بدعية أو شركية، كما سيأتي بيانه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وعلى هذا لو سافر إنسان من بلد إلى بلد مثل: أن يسافر من مصر إلى دمشق لأجل مسجدها أو بالعكس، أو إلى مسجد قباء من بلد بعيد لم يكن هذا مشروعاً باتفاق الأئمة الأربعة[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فمن سافر إلى المسجد الحرام، أو المسجد الأقصى، أو مسجد الرسول فصلى في مسجده، وصلى في مسجد قباء، وزار القبور كما مضت به سُنَّة رسول الله ﷺ فهذا هو الذي عمل العمل

---

(١) ولفظ الحديث: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيليا». رواه مسلم: كتاب الحج، باب فضل المساجد الثلاثة (ص٥٤٧) برقم (١٣٩٧).

(٢) فتح الباري (٣/ ٨٢).

(٣) لورود النهي فقد ثبت عن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٤٢) ط دار المعارف ت: أحمد شاكر، وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء للقبور (ص١٧٢) برقم (١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦)؛ والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٤) ط دار الكتاب العربي، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٣/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣).

(٤) انظر: صحيح المقال في مسألة شد الرحال، لعبد العزيز الربيعان (ص٧١)، ط ١٣٩٩هـ. ومعه رسالة البحث الأمين في حديث الأربعين. للمؤلف.

الصالح، ومن أنكر هذا السفر فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وأما من قصد السفر لمجرد زيارة القبر، ولم يقصد الصلاة في مسجده، وسافر إلى مدينته فلم يصل في مسجده ولا سلم عليه في الصلاة؛ بل أتى القبر ثم رجع فهذا مبتدع ضال مخالف لسنَّة رسول الله ولإجماع أصحابه، ولعلماء أمته»[1].

مسألة: حكم شد الرحال إلى مشاهد الأموات:

لم يعرف عن أحد من الصحابة، ولا التابعين وأتباعهم من القرون المفضلة أنه أجاز شد الرحل إلى مسجد غير المساجد الثلاثة للصلاة فيه، فكيف بشد الرحل إلى المشاهد والقبور فالمنع من باب أولى[2].

ولم يرد أي نص شرعي يدعو لشد الرحال إليها، ولم يكن هذا من هدي السلف الصالح ولا من طريقتهم؛ بل هي من طريقة المخالفين الضلال: «وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور، هم أهل البدع من الرافضة وغيرهم، الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها، ويكذب فيها، ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً، فإن الكتاب والسنَّة إنما فيه ذكر المساجد دون المشاهد، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]. وقال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]. وقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: ١٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤]. وقد ثبت عنه ﷺ أنه كان يقول: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد»[3][4].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣).

(٢) انظر: أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة، للشيخ أحمد بن يحيى النجمي (ص٣٤).

(٣) تقدم تخريجه (ص٨٠٩) من هذا البحث. (٤) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٢٤).

نصوص صوفية حضرموت في شد الرحل لغير المساجد الثلاثة:

يقول زين العابدين العلوي في أجوبته: «زيارته ﷺ من أعظم القربات وكذا الرحلة إليها قربة مستحبة، ومثلها في الاستحباب قبور الأنبياء والأولياء والشهداء؛ لأجل التبرك وفيها من الخيرات والبركات والنفحات... ولا تترك زيارتهم لحصول شيء من البدع؛ بل على الإنسان فعلها وإنكار البدع وإزالتها»[(١)].

واستدل القوم لشد الرحل لزيارة القبور بقولهم: «يدلّ لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]. وقد ثبت أنه ﷺ حي في قبره، فكان المجيء إليه بعد وفاته كالمجيء في حياته، ومن أدلة ذلك قوله ﷺ: «من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»[(٢)] رواه البيهقي والدارقطني والطبراني: «من حج ولم يزرني فقد جفاني»[(٣)] رواه الدارقطني... قال العلماء: وأما قوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»[(٤)] فليس المراد منع شد الرحال مطلقاً إلا إلى هذه المساجد إذ يلزم من ذلك ألا تشد الرحال إلى عرفات ومنى ولزيارة الوالدين وطلب العلم والجهاد والتجارة ولا يقول بهذا أحد، بل معنى الحديث: لا يستحق شد الرحال إلى شيء من المساجد لفضيلته؛ إذ المساجد كلها متساوية في الفضل إلا إلى الثلاثة التي تضاعف فيها الصلاة، فالجملة إخبارية لا إنشائية»[(٥)].

---

(١) الأجوبة الغالية (ص٧٦). وانظر: مصباح الظلام (ص٤٦، ٧٣، ٧٤، ٧٥).

(٢) موضوع. أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٠٣/ ٢) وفي الأوسط (١/ ١٢٦/ ٢)؛ وابن عدي في الكامل (٢/ ٣٨٢) ت: يحيى غزاوي، ط ١٤٠٩هـ، دار الفكر، بيروت، والدارقطني في سننه (ص٢٧٩)؛ والبيهقي في سننه (٥/ ٢٤٦). انظر: السلسلة الضعيفة (١/ ١٢١ ـ ١٢٢) برقم (٤٧).

(٣) موضوع. قاله الذهبي في الميزان (٣/ ٢٣٧)؛ والصنعاني في الأحاديث الموضوعة (ص٦). والشوكاني في الفوائد المجموعة (ص٤٢). انظر: السلسلة الضعيفة (١/ ١١٩) برقم (٤٥).

(٤) تقدم تخريجه (ص٨١٧) من هذا البحث. (٥) الأجوبة الغالية (ص٧٦ ـ ٧٧).

ويجاب: بأنه لا يجوز بإجماع الصحابة والتابعين شد الرحال إلى مسجد غير المساجد الثلاثة ولا إلى قبر من قبور الأنبياء والأولياء، لما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا»[1]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا النهي يعم السفر إلى المساجد والمشاهد، وكل مكان يقصد السفر إلى عينه للتقرب والعبادة، بدليل أن بصرة بن أبي بصرة الغفاري[2] لما رأى أبا هريرة راجعاً من الطور الذي كلم الله عليه موسى، قال: لو رأيتك قبل أن تأتيه لم تأته لأن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحل إلا إلى ثلاثة مساجد»[3]. فقد فهم الصحابي الذي روى الحديث أن الطور وأمثاله من مقامات الأنبياء مندرجة في العموم وأنه لا يجوز السفر إليها كما لا يجوز السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة، وأيضاً فإذا كان السفر إلى بيت من بيوت الله غير المساجد الثلاثة لا يجوز مع أن قصده لأهل مصره يجب تارة، ويستحب أخرى، وقد جاء في قصد المساجد من الفضل ما لا يحصى، فالسفر إلى بيوت الموتى من عباده أولى أن لا يجوز»[4].

وأما قولهم: أن السفر لزيارة قبور الصالحين من أعظم القربات، فإننا ننقل كلام الأئمة في حكم هذا العمل ليتبين مجانبة صوفية حضرموت للصواب في هذه المسألة:

«وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاثة، فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره، حتى نص العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء؛ لأنه ليس من المساجد الثلاثة مع أن مسجد قباء يستحب زيارته لمن كان في المدينة؛ لأن ذلك ليس بشد رحل كما في الحديث الصحيح: «من تطهر في

---

(١) تقدم تخريجه (ص٨١٧) من هذا البحث.

(٢) هو حُميل بن بصرة الغفاري، أبو بصرة، صحابي. انظر: التقريب (٢/٤٠٣) ط المعرفة وحديثه في صحيح مسلم وأبي داود والنسائي.

(٣) أخرجه الطحاوي (١/ ٢٤٤) بسند جيد. انظر: إرواء الغليل (٣/ ٢٢٧).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٢٨).

بيته ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه كان كعمرة»[(١)] وقالوا ولأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا أمر بها رسول الله ﷺ ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله فهو مخالف للسُّنَّة ولإجماع الأئمة، وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بطة في الإبانة الصغرى من البدع المخالفة للسنَّة والإجماع»[(٢)].

وكذا رد ابن عبد الهادي قول من قال باستحباب السفر لزيارة القبور فقال رَحِمَهُ اللهُ: «فدعوى من ادعى أن السفر المجرد إلى القبور مستحب عند جميع علماء المسلمين كذب ظاهر، وكذلك إن ادعى أن هذا قول الأئمة الأربعة، أو جمهور أصحابهم أو جمهور علماء المسلمين فهو كذب بلا ريب، وكذلك إن ادعى أن هذا قول عالم معروف من الأئمة المجتهدين، وإن قال إن هذا قول بعض المتأخرين أمكن أن يصدق في ذلك، وهو بعد أن تعرف صحة نقله نقل قولاً شاذاً مخالفاً لإجماع السلف مخالفاً لنصوص الرسول ﷺ فكفى بقوله فساداً أن يكون قولاً مبتدعاً في الإسلام مخالفاً للسُّنَّة والجماعة ولما سَنَّه الرسول ﷺ ولما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها»[(٣)].

وأما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ...﴾ [النساء: ٦٤]. فقد بيّنا في مبحث التوسل كلام المفسرين في هذه الآية، وأن المراد بالآية هو إتيان الرسول ﷺ في حياته لا بعد موته، ولذلك لم يفعل أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعون من بعدهم ذلك مع الرسول ﷺ بعد موته، وهم خير القرون. وقد ثبت أن علي بن الحسن رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها يدعو: فقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً

---

(١) أخرجه النسائي في سننه: كتاب المساجد، باب فضل مسجد قباء والصلاة فيه (ص٩١) برقم (٦٩٩)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب إقامة الصلاة والسنَّة فيها، باب ما جاء في مسجد قباء (ص١٥٦) برقم (١٤١٢). انظر: صحيح الجامع (٢/١٠٥٩) برقم (٦١٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/١٨٧).

(٣) الصارم المنكي (ص١٦٧).

وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم»[1]. وأما قوله: فليس المراد منع شد الرحال مطلقاً إلا إلى هذه المساجد... إلخ.

فالجواب: قد أوضح الكلام في هذه المسألة أهل العلم بالأدلة، لا بالرأي والشبه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما وقع النزاع بين المتأخرين لأن قوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» صيغة خبر ومعناه النهي فيكون حراماً، وقال بعضهم: ليس بنهي، وإنما معناه أنه لا يشرع، وليس بواجب، ولا مستحب بل مباح كالسفر في التجارة وغيرها، فيقال له: تلك الأسفار لا يقصد بها العبادة، بل يقصد بها مصلحة دنيوية مباحة، والسفر إلى القبور إنما يقصد به العبادة، والعبادة إنما تكون بواجب، أو مستحب فإذا حصل الاتفاق على أن السفر إلى القبور ليس بواجب، ولا مستحب كان من فعله على وجه التعبد مبتدعاً مخالفاً للإجماع، والتعبد بالبدعة ليس بمباح، لكن من لم يعلم أن ذلك بدعة فإنه قد يعذر، فإذا بينت له السنَّة لم يجز له مخالفة النبي ﷺ»[2].

وجاء في تحفة الأحوذي: «فظاهر الحديث هو العموم، وأن المراد لا يجوز السفر إلى موضع للتبرك به، والصلاة فيه، إلا ثلاثة مساجد، وأما السفر إلى موضع للتجارة، أو لطلب العلم أو لغرض آخر فمما ثبت جوازه بأدلة أخرى، فهو مستثنى من حكم هذا الحديث...»[3].

وأما قوله: إن الجملة إخبارية لا إنشائية، فيرد عليه أن صيغة الخبر هنا بمعنى النهي، وقد نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني عن الحافظ الطيبي قوله: «أنه أبلغ من الحظر من صريح النهي، ويؤيده رواية مسلم عن أبي هريرة

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٥٧)؛ وإسماعيل القاضي في كتاب (فضل الصلاة على النبي ﷺ) (ص٢٠). وقال محققه الشيخ الألباني: حديث صحيح بطرقه وشواهده، ورواه الضياء في المختارة (١/ ٥٤) من طريق أبي يعلى، والخطيب في الموضح (٢/ ٣٠)؛ والبزار في كشف الأستار (١/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠). وانظر: تحذير الساجد (ص٩٦)، ط٤.

(٢) الفتاوى (٢٧/ ٣٣٥).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري (٢/ ٢٨٧).

مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيليا»[(١)]»[(٢)].

وبالنظر إلى النصوص الشرعية وكلام أهل العلم فيها يتبين لنا بُعد صوفية حضرموت عن الحق، وزهدهم في كلام العلماء المحققين، والاعتماد على الشبه والفهوم القاصرة، ولا غرو منهجهم غير منهج أهل السنَّة والجماعة القائم على الكتاب والسنَّة وعلى فهم سلف الأمة، وهذا القيد «على فهم سلف الأمة» هو الفارق بين أهل الحق ومخالفيهم، من سائر أصناف أهل البدع.

والصوفية كما أشرنا فيما مضى بضاعتهم مزجاة في علم الحديث الذي يقول عنه الإمام الشافعي: «ومن كتب الحديث قويت حجته»[(٣)]، فتجد القوم حُطَّاب ليلٍ، يجمعون الغثّ والسمين لتأييد مخالفاتهم لا يتورعون في ذلك، ولو كان الحديث كذباً على رسول الله ﷺ، وهذا من الأدلة الواضحة على عدم تجردهم للحق، ففي هذه المسألة جمع القوم ما استطاعوا من أحاديث ضعيفة أو موضوعة، وما لا أصل له تبعاً لمنهج من سبقهم من المخالفين، مع أن الأحاديث الواردة في الحثّ على الزيارة لم يصح منها شيء قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن أحاديث زيارة قبره ﷺ كلها ضعيفة لا يعتمد على شيء منها في الدين، ولهذا لم يرو أهل الصحاح والسنن شيئاً منها، وإنما يرويها من يروى الضعاف كالدارقطني، والبزار، وغيرهما وأجود حديث فيها ما رواه عبد الله بن عمر العمري ـ وهو ضعيف ـ والكذب ظاهر عليه مثل قوله: «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي»، فإن هذا كذبه ظاهر مخالف لدين المسلمين؛ فإن من زاره في حياته، وكان مؤمناً به كان من أصحابه، لا سيما إن كان من المهاجرين إليه المجاهدين معه وقد ثبت عنه أنه قال: «لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة (ص٥٤٧) برقم (١٣٩٧).

(٢) فتح الباري (٣/ ٨٢).

(٣) السير (١٠/ ٢٤).

ولا نصيفه»[1] أخرجاه في الصحيحين، والواحد من بعد الصحابة لا يكون مثل الصحابة بأعمال مأمور بها واجبة كالحج، والجهاد، والصلوات الخمس والصلاة عليه، فكيف بعمل ليس بواجب باتفاق المسلمين، بل ولا شرع السفر إليه بل هو منهي عنه، وأما السفر إلى مسجده للصلاة فيه والسفر إلى المسجد الأقصى للصلاة فيه فهو مستحب، والسفر إلى الكعبة للحج فواجب، فلو سافر أحد السفر الواجب والمستحب لم يكن مثل واحد من الصحابة الذين سافروا إليه في حياته، فكيف بالسفر المنهي عنه، وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن يسافر إلى قبره صلوات الله وسلامه عليه، أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين لم يكن عليه أن يوفي بنذره بل ينهى عن ذلك»[2].

يقول العلامة الألباني رحمه الله معلقاً على حديث «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني»، : «ومما يدل على وضعه أن جفاء النبي ﷺ من الكبائر؛ إن لم يكن كفراً، وعليه فمن ترك زيارته ﷺ يكون مرتكباً لذنب كبير، وذلك يستلزم أن الزيارة واجبة كالحج، وهذا مما لا يقوله مسلم...»[3].

❊ المطلب الرابع ❊

القبور المعظمة عند صوفية حضرموت

إن أعظم القبور زيارة واجتماعاً بحضرموت القبر المنسوب لهود عليه السلام بحضرموت، الواقع شرقي مدينة تريم، فقد بُنيت عليه قبة كبيرة، ولم يكتفِ القوم بذلك بهذه القبة، بل بنوا حولها البناء الواسع، يقول عبد القادر بن محمد الصبان[4]: «... ثم جاء علوي بن عبد الله الكاف فمهد الدرج

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» (ص٧٠١) برقم (٣٦٧٣)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة (ص١٠٢٦) برقم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥). (٣) السلسلة الضعيفة (١/ ١١٩).

(٤) هو عبد القادر بن محمد الصبان، ولد سنة ١٣٤٠هـ. له مؤلفات منها: الحركة الأدبية في حضرموت، زيارات وعادات، وتعريفات تاريخية بوادي حضرموت وغيرها. وانظر: ترجمة مختصرة له على غلاف كتابه (الحركة الأدبية في حضرموت).

المعروف اليوم، وبنى حول القبر موضعاً واسعاً وبنى حوله الصخرة المسماة: الناقة، وبناه من الحجر وردمه وسواه، وذلك في القرن الرابع عشر الهجري»[١].

ويقول الشاطري: «ثم تأسست لهود زيارة عامة في القرن التاسع الهجري في شهر شعبان كل سنة وأصبحت موسماً من المواسم العامة بحضرموت، وتحدد موضع القبر هناك وبنيت مدينة حواليه في سفح الجبل الذي فيه القبر، ولكنها لا تسكن إلا سوى مدة أيام السنة، وهي أيام الزيارة وأما بقية أيام العام فتبقى بيوتها الكثيرة خاوية»[٢].

فبينما كان التجمع حول هود قبل الإسلام للتجارة تحول فيما بعد كما يقول الصبان إلى طقوس دينية، وفي عهد عبد الله بن أبي بكر العيدروس انتقلت كيفية الزيارة من الكيفية الفقهية إلى الكيفية الصوفية التي لا تقتصر على السلام والترحم؛ بل تتناول الاستمداد والتبرك بالمزار له، وزعموا أن ذلك الفعل بإذن رباني[٣].

ويقول عبد الله العطاس عند زيارته قبر معروف باجمال بدوعن: «وقد زرته بحمد الله مراراً ومن جملتها إني زرته مع شيخنا الإمام أحمد بن حسن العطاس وأمرنا في تلك الزيارة المباركة قبل الدخول في قبته المنورة أن ننوي بحجة وعمرة وظهرت لنا بحمد الله علامة القبول وإنما الأعمال بالنيات...»[٤].

لقد سوّل الشيطان لهؤلاء القوم طلب الحاجات من الموتى، وإذا لم ينفذ هذا الميت مراد من طلبه فسيترك اعتقاده فيه[٥] وسيذهب لأهل التوحيد، ومن

---

(١) زيارات وعادات (ص٢٧ ـ ٢٨). (٢) أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ٣٧).

(٣) انظر: زيارات وعادات (٢٣، ٢٦). وانظر: الفرائد في قيد الأوابد، لبلفقيه (ص٧).

(٤) ظهور الحقائق (ص٨٨).

(٥) وفي هذا دليل على بطلان ما عليه القوم من العقيدة الفاسدة، وإلا فمعلوم أن من اعتقد في شيء يراه حقا لا يمكن أن يتركه لمصلحة دنيوية، ولا يمكن أن يرجع عن اعتقاده إلى اعتقاد مخالفيه، فالمسألة هوى، وتقليد للآباء، ومخالفة العقل، فضلا عن الشرع، وإلا كيف يخاطب الميت ويطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله.

هؤلاء الموحدين شخص يدعى صالح حبيب[١] - أحد مناصري دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في حضرموت - ومن أبيات أحد الصوفية عند زيارته لأحد قبور أوليائهم:

زوّار جينا با نزورك يا علي[٢] لي تكرم القاصد وترحب بالغريب

إن شي كرامة با تقع ذا حلها وإلا رجعنا لا قداً صالح حبيب[٣]

ومن غلوهم في قبر علي بن حسن العطاس - المقبور ببلدة المشهد من وادي حضرموت - ما ذكره أبو بكر العطاس بن عبد الله الحبشي لكلام سيده أحمد العطاس: «وقال سيدي أن الشيخ علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم، زار الحبيب علي بن حسن العطاس، فناوله ماء من قبره في طاسه[٤]، ووقع منه شيء على الجدار، وبعض الحاضرين، فسئل عن ذلك، فقال سقاني الحبيب علي بن حسن»[٥].

جاء في كتاب تحقيقات تاريخية عند ذكر قصيدة لسليمان باحرمي ت١١٩٠هـ يمدح فيها عبد الله الحداد ت١١٣٢هـ:

---

(١) وهو شيخ قبيلة آل علي جابر التي تسكن بلدة خشامر في وادي حضرموت، وهذه القبيلة ناصرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ من أول يوم؛ بل أرسلوا وفداً إلى الدرعية بنجد لمناصرة الدعوة في حضرموت، وطلبوا من أهل نجد مساعدتهم في نشر التوحيد والقضاء على الشرك والبدع هناك، فأرسل حكام الدرعية جيشاً بقيادة ابن قملا فأزالوا الشرك والبدع والمنكرات المنتشرة في تريم وما حولها، وسيأتي مزيد بيان في المباحث القادمة، إن شاء الله تعالى. وانظر: مقال للشيخ عبد الله الناخبي في مجلة العرب (ج١ ص٢ س٢٧)، رجب/ شعبان ١٤١٢هـ (ص٣٨٧) بعنوان: «حضرموت وعلاقتها بنجد».

(٢) يقصد به علي بن حسن العطاس، صاحب الضريح في بلدة المشهد بحضرموت.

(٣) تذكير الناس (ص٢٢٢). والأبيات المذكورة باللهجة الحضرمية ومعناها: أن الزائر يخاطب الميت واسمه علي بن حسن العطاس - صاحب المشهد - وعليه قبة عظيمة يقصدها الزوار سنوياً، ويقول له: إنا جئنا نزورك يا من تكرم قاصدك وترحب بالغريب، فإذا كان عندك كرامة ونفع لنا فأتِ بها وإلا تركناك وذهبنا لمخالفيك من آل علي جابر أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهذا على سبيل رد الفعل إن لم يستجب لهم الميت - والله المستعان -.

(٤) أي إناء.

(٥) تذكير الناس (ص٢٢٢).

يا صاحبي إن طرأ ما ليس تعهده إلى ضريح له فاسع وابتدرِ
واقصد ثراه ففيه المسك عابقه تلق الهناء به والأنس والبشرِ[(١)]

ومن غلوهم في قبور أوليائهم ما جاء في كتاب بعنوان «الخبايا في الزوايا»: «وقال الفقيه الشيخ أحمد بن محمد باحرمي: كنت أرى كل ليلة عموداً من نور على قبر الفقيه فضل بن محمد، ولا يزال ذلك العمود على القبر حتى يطلع الفجر، وذكر مؤلف الجوهر الشفاف أنه يروى: أن الدعاء مستجاب بين قبره وقبري ولديه سالم ومحمد، وكان قبراهما متلاصقين»[(٢)].

ومنها في مدينة الشحر قبر شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم السقاف[(٣)]، قال الشلي: «ومشهده في الشحر مشهور، وبالأنوار مغمور، وبالزيارة معمور»[(٤)].

تعظيم قبور مخصوصة واعتقاد البركة فيها:

زعم القوم أن لمقابر حضرموت بركة، وأنها مجربة، فما تكاد تقرأ في أي كتاب من كتبهم، إلا وترى عند ذكر مقابرهم من الثناء والتعظيم والتهويل أمر عجيباً، فادعوا أن الأنوار لا تفارقها، وأن الفتوح والتوفيق حليف من زارها ولازمها بالقراءة والذكر عندها وغير ذلك مما سيتضح في هذا المبحث.

وليس كل القبور جعلوا لها هذه الأهمية والشهرة، وإنما ذلك لقبور محددة، يقول الشلي: «والمقابر المشهورة في حضرموت أربع: مقبرة تريم، ومقبرة شبام، ومقبرة الهجرين، ومقبرة الغيل الأسفل»[(٥)] وقدموا مقابر تريم على كل المقابر، لا سيما تربة بشار وهو الاسم الجامع لمقابر تريم الثلاث: زنبل، والفريط وأكدر، يقول الشلي: «... وقد كان كثير من أهل الكشف يشاهدون البركات الظاهرة والأنوار الباهرة في هذه الجنان، وشاهد غير واحد منهم أنهم على غاية من النعيم والنور الجسيم، ورأى جماعة رسول الله ﷺ

---

(١) تحقيقات تاريخية (ص٢١). (٢) الخبايا في الزوايا (ص١٦٨).
(٣) هو شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن السقاف، أحد الصوفية في القرن العاشر، ولد بتريم، ثم رحل إلى الشحر وسكن بها. توفي سنة ٩٥٠هـ. انظر: المشرع الروي (١/ ١١٥).
(٤) المشرع الروي (١/ ١١٥). (٥) المصدر السابق (١/ ١٤٨).

يزورهم، وكذا الشيخين[١] أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وحكي أن الشيخ أبا سعيد قرأ سورة هود فلما بلغ قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، جعل يردد الآية ويتفكر، ثم قال يا أهل القبور ليت شعري من الشقي منكم ومن السعيد؟ فأجابه الإمام العارف بالله تعالى أحمد بن محمد بافضل من قبره بقوله: أمضِ يا سعيد في قراءتك ليس فينا شقي، وقيل إن الذي أجابه هو الشيخ مسعود بن يحيى باحرمي ولعل الواقعة تعددت»[٢].

ومن هذا النص نلاحظ ما يلي: ـ الغلو في شأن القبور، وادعاء معرفة ما في البرزخ، وهو من أمور الآخرة التي يتوقف فيها على النص، لا يتجاوز ذلك.

ـ كذبهم على رسول الله ﷺ وصاحبيه، ودعوى إتيانهم لزيارة قبور أوليائهم، فيقال لهؤلاء: هل تعتقدون أن النبي ﷺ وصاحبيه أحياء لم يموتوا؟ أم أنه كشفٌ رأيتموه دون غيركم من الناس؟.

ـ قراءة القرآن عند القبور، ومخاطبة الموتى للقارىء، وتكلم الميت ـ بزعمهم ـ أن جميع المقبورين من أهل السعادة؟ هكذا بلغت الجرأة بهؤلاء القوم.

وقد ادعى القوم لمقابر أوليائهم الفضائل الكثيرة التي جرّت بعض الناس لصرف العبادة لها، يقول الشلي عند تعداده لمقابر تريم: «الثانية: مقبرة الفُريط تصغير فَرْط وهو كما في القاموس[٣]: الجبل الصغير أو رأس الأكمة والعلم المستقيم يُهتدى به، جمعه أفرط وأفراط سميت باسم الجبل الذي بقربها، وهي مقبرة آل بافضل والخطباء وغيرهم من مشايخ تلك الجهة، وفيها أيضاً من العلماء والفضلاء والأولياء ما لا يحصى وحكى عن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف أن فيها أكثر من عشرة آلاف وليّ، وقد شاهد كثير من أهل الكشف أن الرحمة أول ما تنزل من السماء على هذه المقبرة، ثم تعم سائر الجهات...

---

(١) كذا في الأصل. والصواب: (الشيخان).

(٢) المصدر السابق (١/١٤٦ ـ ١٤٨).

(٣) القاموس المحيط (ص٦٨١)، مادة: (فرط).

وحكي عن عبد الرحمٰن السقاف وحكاه السيد الجليل عبد[١] بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ الأعظم عن بعض مشايخه بمكة أنهما قالا: إن تحت الفريط الأحمر روضة من رياض الجنة، وحكى عن غير واحد من الأولياء أنه شاهد نوراً ساطعاً على قبور الخطباء لاحقاً بعنان السماء، وعن الشيخ حسن الورع بن علي أنه قال: من نظر منارة الجامع والفريط حتى سفر[٢] عليه لم يكتب عليه ذنب، وكان بعض الأولياء العارفين يقول: من وقع ظل الفريط عليه لم تمسه النار؛ ولأجل هذا يحرص أهل البلدان على أن تكون مقابرهم حذاء الفريط المذكور حيث يقع ظله عليها»[٣].

وفي هذا النص ملاحظات:

- ادعاء أهل الكشف بزعمهم أن الرحمة أول ما تنزل على أهل مقبرة الفريط.

- ادعاؤهم أن تحت الفريط روضة من رياض الجنة.

- تعظيم مقابرهم، وأن النظر إلى ظل جدرانها، يمحو الخطايا، بل ويحرم على ناظره النار.

- تصديق العوام لهذه الخرافات حيث يتسابقون لقبر موتاهم تحت ظل المقبره، ابتغاء الأجر المزعوم الذي يروجه هؤلاء المتصوفة.

ولعلي بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن السقاف أبيات يقول بها:

وكم بدورٍ بذاك الحي قد برزت ... تمد زوارها من فيضها الزخر
وكم عز بيته الأسرار قد غمرت ... بفضل هطالها الزوار كالمطر
وذات دن دنت ترمي يحس بها ... زوارها في سواد الليل والسحر
وذات أكدر للأكدار مجلية ... تشفى بمرهمها الزوار عن ضرر
وارجع إلى ذكر وتوحيد ومعرفة ... خصوا بها صفوة صُفُّوا عن الكدر
وأمنحوا من عظيم الفضل كم منح ... وكم عطايا وكم جودكم غمر

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، ويعني أسفر الصبح.

(٣) المشرع الروي (١/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

وكم حقائق توحيد لها وهبوا ... وكم جواهر أنوار وكم درر
وكم مواقيت أسرار ومعرفة ... وكم تماكين تصريف وكم قدر
شيوخنا في بحار من حقائقها ... قد مكنوا الكل بالأسرار والسير
حظوا وخصوا بجاه لا يحد له ... وسع ولا فضلهم يحصى بمستطر
رسوخ أقدامهم يحكي رواسيها ... أسود نهام تحمي الجار عن ضرر
بحور علم شموس في دياجرها ... تهدي الضوائل والسلاك في السفر
هم عمدة الكون أحبار العلوم بهم ... باهى المهيمن للأملاك في الخبر
فالقحط عنا مع البلوى يزال بهم ... أيضاً وفي الجدب نسقي وابل المطر
وهم بدور لنا في كل مظلمة ... وهم لنا عمدة في اليسر والعسر
فحسِّن الظن واعتمد يا أخي بهم ... كي في معاد تفز بالأمن والوطر
واقصد رضا الله في الدنيا بحرمتهم ... لعل تحظى بحور الخلد والظفر

وقال الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس:

ولم يزل عني الكدر ... إلا إذا زرت آل أكدر
وأهل الفريط المشتهر ... وقبر الشيخ المنور
العيدروس بحر الدرر ... ليث الضراغيم الغضنفر(١)

فهذه أبيات أحد علمائهم احتوى على الغلو الشديد في مقابر تريم ليوقع العوام وضعاف الإيمان في التعلق بها، ومن ثم صرف العبادات لها من دون الله تعالى.

ومن خلال ذكر هذه الأبيان لعلي بن أبي بكر السكران نلاحظ ما يلي:

ـ الغلو الشديد في قبور أوليائهم، وأنها تمد زائريها بالخيرات والفيوضات.

ـ وأن مقبرة أكدر تزيل الهموم والأكدار لمن زارها، بل وتشفي من به ضرر وأسقام.

---

(١) المشرع الروي (١/١٤٦ ـ ١٤٨). باختصار.

ـ اعتقاد التمكين والتصريف للموتى، وأن هذا من جملة العطايا والكرامات التي حازوها.

ـ الغلو في الأموات بأنهم عمدة الكون الذين يباهي بهم الله تعالى ملائكته.

ـ دعوى أن من جملة كرامات موتاهم زوال البلاء، وإغاثة الأرض وسقياها بالمطر.

ـ لجوء القوم إلى الموتى في العسر واليسر، فأين التعلق برب العالمين جلَّ وعلا؟ القائل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

ـ الغلو في هؤلاء الموتى باعتقاد أنهم من أهل الجنة، بل ومن المقربين، ودعوة صاحب الأبيات إلى اعتقاد ذلك، للفوز في الآخرة، ومعلوم أن من عقيدة أهل السنَّة والجماعة أن يرجى للمحسن ويخاف على المسيء، ولا نشهد لأحد بجنة ولا بنار إلا من ورد به النص، كالخلفاء الراشدين، وبقية العشرة، ومن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة كثابت بن قيس، وعكاشة بن محصن وغيرهم.

والحاصل أن قلوب القوم أشربت محبة القبور، لذا أشغلوا أنفسهم بالتأليف في ذلك، ما بين نثر وشعر، وذلك بسبب حرمانهم من العقيدة الصحيحة؛ عقيدة أهل السنَّة والجماعة التي لا إفراط فيها ولا تفريط، وإنما هو الوقوف على ما دلَّ عليه الكتاب والسنَّة على فهم السلف الصالح.

يقول الشلي بعد أن نقل أبيات لأحد شعراء زبيد غلا فيها في مقابر زبيد التي يفتخر بها القبوريون هناك، فلم يرتضِ أهل تريم ذلك، بل عارضوهم بذكر ما في مقابر تريم من أولياء وفضائل: «فعارضه الإمام مبدي العلوم الغريبة والأخبار العجيبة الشيخ علي بن أبي بكر فقال:

تريم بها منهم ألوف عديدة ... بساحة بشار شموس الورى قبل

زيارة كل منهم صح أنها ... لما شئت من جلب ودفع تحصل

وإن قيل ترياق ببغداد جربا ... ففي ربع بشار شفا كل معضل

ويـا حـبـذا ذاك الـفـريـط وظـلـه	فكم قد حوى من كامل السر منهل
فكـم معدن كـم مورد كـم معظـم	وكـم حبر تـحـقـيق وشـيـخ مدلـل
وبلبل قلبي نفح مسك بزنبل	بها من كنوز السر كم من مجلل
وكـم جهبذ فيـهـا بنو أكـدر بـهـا	بـهـم يـنـزل الله الـغـيـوث لـمـمـحـل
فلا تـحـتقرها رب أشعث خامل	سما سره فضلاً على كل معضل[1]

هذه الأبيات كسابقتها تشتمل على الغلو الشديد في القبور، وأعطائها صفات الرب من تفريج الهموم ورفع البلاء وحل المعضلات، والله المستعان.

وأعظم هذه القبور تعظيماً قبر الفقيه المقدم حيث يوجب القوم زيارته قبل كل أحد، جاء في كتاب البرقة المشيقة: «قال العارفون لا ينبغي لزائر تريم أن يزور أحداً قبل شيخ الشيوخ جمال الدين محمد بن علي، ولو كان شيخاً، أو والداً، أو قريباً ولا يقدموا قبل الفقيه أحداً وفي ذلك قضايا مشهورة، وحكايات مذكورة، وروي عن بعض الصالحين من ذرية بعض المشائخ العارفين أنه أراد أن يزور قبر جده قبل الشيخ الفقيه المقدم محمد بن علي المذكور فرأى شخصين أتياه من الهواء فقالا له: إذا أردت الزيارة لجدك أو غيره فزر الفقيه محمد بن علي ثم زر من شئت، وإن كنت مستعجلاً فسلم على الفقيه، ثم زر جدك، قال فقلت: من أنتما؟ قالا: نحن أبو بكر وعمر ثم طاراً من بين يدي كالنسرين»[2].

بهذه القصص يستدلون للباطل ولو بالكذب على صحابة رسول الله ﷺ، حيث ادعوا أن الشيخين رضي الله عنهما يأتيان في الهواء حتى يصلا إلى مقبرة تريم، ليدعوان الناس لزيارة الفقيه المقدم، قبل كل أحد، وهكذا الغلو يوقع صاحبه في كل بلاء، وينزله لأقصى درجات الجهل والخرافة.

وقد غلا القوم في قبر الفقيه المقدم غلواً شديداً لم يبلغ أحد مثله، فقد سموه بالفقيه المقدم، وبالأستاذ الأعظم، جاء في ترجمته: «وقبر الأستاذ بمقبرة زنبل المشهورة، وبالزيارة والقراءة معمورة، وقبره بها كالبدر ليلة

---

(١) المشرع الروي (١/١٤٨).

(٢) البرقة المشيقة (ص١٩).

الكمال، وكالشمس وقت الزوال، مقصود بالزيارة من كل البلاد، ويهرع إليه عند النوائب من كل ناد، ويسعى الناس كل يوم لزيارته سعياً حثيثاً، ويستسقى به قديماً وحديثاً، وكان حفيده الشيخ الإمام عبد الله باعلوي كثير الزيارة له وينشد عنده:

يا دار إن غزالاً فيك هيمني لله درك ما تحويه يا دار
لو كنت أشكو إليها حسن ساكنها إذن رأيت بناء الدار ينهار

وكان يقول إذا رآه: كل الصيد في جوف الفراء «وكان الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد يزوره كثيراً وإذا رأى القبر الشريف قبّله، فقيل له: كيف تقبله وأنت تنهى عن تقبيل القبور فقال ما صبرت عنه»[1].

وفي هذا دليل على أن قلوبهم أشربت محبة القبور وتعلقت بها، حيث يلجأون إليها عند النوائب ويخاطبونها ويشكون لها أحوالهم، مع اعتقادهم أن الخير كله فيها، بل وقدموا أهواءهم ومخالفة الشرع على ما علموه من الحق، وذلك بسبب تعلقهم بالأموات، ونسيانهم رب الأرض والسماوات، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى.

وتقبيل القبور منكر لا يجوز[2]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «واتفق العلماء على أن من زار قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين ـ الصحابة وأهل البيت وغيرهم ـ أنه لا يتمسح به، ولا يقبله؛ بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال: «والله! إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) المشرع الروي (٢/ ١٠ ـ ١١).

(٢) وقد قال المناوي في فيض القدير (ص٥٥٥) عند شرحه لحديث «زوروا القبور فإنها تذكر الآخرة»: «أي بشرط أن لا يقترن بذلك تمسح بالقبر أو تقبيل أو سجود عليه أو نحو ذلك فإنه كما قال السبكي بدعة منكرة إنما يفعلها الجهال».

يقبلك ما قبلتك»[١]، ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركني البيت ـ اللذين يليان الحجر ـ ولا جدران البيت، ولا مقام إبراهيم، ولا صخرة بيت المقدس، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين... وأما التمسح بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقبيله فكلهم كره ذلك ونهى عنه؛ وذلك لأنهم علموا ما قصده النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله رب العالمين»[٢].

وجاء في كتاب «العقد النبوي»: «وقال بعضهم: رأيت حلل الحرير عند قبر الفقيه محمد بن علي، وكثيراً ما يرى الأخيار نزول الرحمة عند قبره على زواره، واستجابة الدعاء عند ضريحه الشريف مشهور فكم من مريض ببركته قد برئ، وسقيم قد شفي، ولا يزوره زائر بصدق إلا ويرجع بنجح مطلوبه، ويعود بفوز مرغوبه...»[٣].

ومن المعظمين عند صوفية حضرموت أبو بكر بن سالم بن عبد الله ـ المتوفى ببلدة عينات: «... وتربته بها مشهورة كالشمس وسط النهار، تقصده الزوار من جميع الأقطار، بأنواع الأنذار، ومن استجار بقبره المأنوس أمسى وهو محروس، لا يقدر أحد أن يناله ببؤس»[٤].

هكذا يصل الغلو في المقبورين حتى تصرف له العبادة من دون الله تعالى، فقبر أبي بكر بن سالم العلوي تأتيه النذور من كل الأقطار، والنذر عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، وقد مدح الله تعالى الموفين بها فقال تعالى في وصف الأبرار: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧]. وقال ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصه فلا يعصه»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، (ص٣٠٩) برقم (١٥٩٧)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، (ص٥٠٣) برقم (١٢٧٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٧٩ ـ ٨٠).

(٣) العقد النبوي (١/ ٢٨٤).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٢٩).

(٥) تقدم تخريجه (ص٧٧١) من هذا البحث.

ومن القبور المعظمة: قبر محمد العيدروس بن عبد الله بن شيخ[١] بالهند، جاء في ترجمته:

«ومن زاره بحسن نية، وسلامة طوية أعطي سؤاله ونال مأموله ونواله»[٢].

فهذا من أثر صوفية حضرموت على العالم الإسلامي حيث نشروا هذه المخالفات في تلك البلدان التي هاجروا إليها ودعوا الناس لتعظيمها، بنشر هذه الفضائل المزعومة، وهي قضاء حوائج المحتاجين، وتلبية طلبات الطالبين، وهذه دعوة إلى الشرك، وإعطاء صفات الرب جل في علاه لهذا الميت، الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فكيف يملكه لغيره؟.

ومنها قبر القاضي أحمد بن محمد باعيسى[٣]، جاء في ترجمته: «حكي عنه أنه قال: من زارني بنية صادقة وطلب حاجة ضمنت له قضاءها أو كما قال رضي الله عنه»[٤].

وهكذا يروجون على الجهال وضعاف الإيمان مثل هذه الأقوال، وأن الميت له حق على الله تعالى، حيث يضمن للزائر قضاء حاجته.

كما ادعى القوم أن قبر علي بن حسن العطاس وتربته مأوى اللاجئين وأمان الخائفين من التجأ إليها أمن ومن تعدّى عليها عوجل بالعقوبة، ويحكون في ذلك حكايات كثيرة، حتى قالوا إن علي بن حسن العطاس يحمي الناس من شهر ربيع الأول ولو قبل الوصول إلى مشهده، وذلك بأن يقتل من أقارب المعتدي بعدد الأيام التي مضت من الشهر، فإن مضى يومان وحصل الاعتداء قتل اثنان، وإن كان في الرابع منه قتل أربعة وهكذا[٥].

---

(١) هو محمد العيدروس بن عبد الله بن شيخ العيدروس، ولد بتريم سنة ٩٧٠هـ، ثم رحل إلى بندر سورة بالهند وتوفي بها سنة ١٠٣٠هـ، وقيل: ١٠٣١هـ. انظر: المشرع الروي (١/ ١٨٥ ـ ١٨٦).

(٢) المشرع الروي (١/ ١٨٦).

(٣) هو أحمد بن محمد بن عيسى (باعيسى) تولى قضاء مدينة تريم، وكان مشهورا بورعه، له تاريخ باعيسى. توفي سنة ٦٢٨هـ. انظر: عقود الألماس (ص٧٢)؛ والفكر والثقافة في حضرموت (ص١٢٧).

(٤) المشرع الروي (١/ ١٤٩).

(٥) نظر: تاج الأعراس (١/ ٢٠٩).

ويقول صاحب كتاب «تاج الأعراس» ضمن حكاية ساقها: «قلت: وقول الحبيب هادون لجده الحبيب علي «وهز الرمح» لما اشتهر من أن الحبيب علي كان يلقب بأبي حربة، وسبب تلقيبه بذلك أنها تواترت الأخبار من المعادين للحبيب علي في حياته وأهل الجرأة على مقام المشهد بعد وفاته أنهم يرونه في مناماتهم يطعنهم بحربته فيخبرون قراباتهم بذلك موقنين بالموت، ويموتون في الحال بإذن الله القائل: «من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»، لا سيما الذين يعتدون على غيرهم في شهر المشهد أي ربيع الأول؛ لأن الحبيب علي قد جعله عُرضة ـ بضم العين ـ أي أماناً مؤبداً في كل سنة. . . إلخ»[1].

وفي هذا النص ما يوضح اعتقاد القوم تصرف الميت بعد موته، وذلك بقتل من اعتدى على مشهده، وضريحه، ويزداد تصرفه في الشهر الذي يزوره الناس فيه من مختلف البلدان، وبهذا يزداد خوف الجهال وضعاف الإيمان من هذا الميت لتواتر الأخبار ـ بزعمهم ـ في تصرفه بعد موته، مما يؤدي للوقوع في الشرك البدع، وهذا من تلبيسات الشيطان وإضلاله لهؤلاء المتعلقين بالقبور، وقد توعد الشيطان مثل هؤلاء بذلك كما ذكر الله تعالى عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: الآيتان ٨٢ ـ ٨٣].

وهناك قبة عبد الله بن شيخ العيدروس، قال الشلي في مناقب سقاف العيدروس[2]: «ودفن بقبة جده عبد الله بن شيخ، وقبره مشهور عند الناس، ومن استجار به أمن من كل بأس»[3].

❊ المطلب الخامس ❊

اعتقاد قضاء الحاجات عند قبور معينة

للناس عند زياراتهم لبعض القبور حاجات ومطالب، فمنهم من يستغيث بها من أجل الحصول على الولد، أو الاستسقاء، أو الاستشفاء ونحو ذلك.

---

(١) المصدر السابق (١/٢٠٨ ـ ٢٠٩).

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العيدروس الشهير بسقاف العيدروس، توفي سنة ١٠٥٣هـ. انظر: المشرع الروي (٢/١٣٩ ـ ١٤٠).

(٣) المصدر السابق (٢/١٣٩ ـ ١٤٠).

وهذا الاعتقاد ناشئ من إعطاء صوفية حضرموت صفات الرب تعالى لأوليائهم، حيث سموهم بالأقطاب والأغواث، وغير ذلك من التسميات التي تعني الاتصاف بصفات الرب تعالى، كما تقدم في مبحث قولهم في الربوبية، مما جعلهم يعتقدون تصرف الميت بعد موته ويطلبون منه ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

الحصول على الولد:

عندما أعطى القوم أولياءهم صفات الرب جلَّ وعلا، من التصرف في الكون، والقدرة على اعطاء الولد لمن سألهم، قاموا بتعيين بعض القبور التي يعتقد ذلك في أصحابها، ومن تلك القبور قبر القرشي في مقبرة الفريط بتريم حتى أنهم يسمونه صاحب الذرية، ولا داعي للدعاء عند قبره بل يكفي وضع «حصاة» عند القبر وبناءً على ترسخ هذه العقيدة لديهم نجدهم يطلبون ذلك فعلاً من أوليائهم، قال صاحب «تذكير الناس»: «قال سيدي: وزرنا مرة تربة الفريط بتريم نحن والأخ حامد بن أحمد المحضار، ولما كنا عند الشيخ القرشي صاحب الذرية أخذ الأخ حامد حصاة كبيرة ووضعها عند قبر الشيخ وقال: ـ والحاضرون يسمعون ـ شف نحنا نبغي ولداً لفاطمة عبودة بنت عبد الله بن عمر القعيطي، وكانت مسنة في ذلك الوقت ومستبعدٌ أن تحمل فقدّر الله أنها حملت بولد وعاش»[1].

الاستسقاء:

ومن عقيدة التصرف في الكون اعتقاد أن بعض الأولياء ينزلون الغيث لمن طلبه منهم، ومن القبور التي اعتقد فيها ذلك: قبر جنيد باوزير صاحب النقعة، فقد جاء في «تذكير الناس»: «قال سيدي: ووقع بحريضة في بعض السنين قحط شديد، فسار الحبيب علي بن جعفر العطاس إلى النقعة ـ وهي قرية بقرب حريضة ـ وقال لأهل البلد: سنجيئكم بسيل من عند الشيخ جنيد

---

(١) تذكير الناس (ص٣٢٨).

باوزير إن شاء الله، فلما وصل إليها زار قبر الشيخ جنيد والشيخ علي بن سالم ورجع فسال وادي حريضة تلك الليلة»[١].

وذكر الجندي[٢] أن بحضرموت قبرين لآل أكدر يستسقى الناس بهم فقال: «أخبرني الثقة من أهل تلك الناحية أنهما يزاران ومتى عطش أهل حضرموت، واشتد بهم الجهد وصلوا قبرهما واستسقوا بهما، فما يلبثون أن يسقوا»[٣].

ومن ذلك ما جاء في كتاب «الشامل»: «فإذا أشرفوا عليها هللوا يقولون: عموم! عموم! يا شيخ سعيد! يا شيخ سعيد! ... ولهم في زملهم أشعار رصينة يصفون فيها سيرهم وبُعد شقتهم وأنهم جاؤوا إليك أيها الشيخ سعيد يبتغون السيل والغيث، فبلادهم[٤] وعار عليك إذا رجعنا بلا كرامة»[٥].

الاستشفاء:

ومن فروع عقيدة التصرف في الكون اعتقاد الاستشفاء بالقبور، ومنحها الصحة والعافية، ومن المعلوم أن هذا لا يقدر عليه إلا الله تعالى، يقول صاحب «تذكير الناس»: «قال سيدي: ولما خرج الحبيب أحمد بن محمد المحضار من دوعن لزيارة تريم وعينات، ووادي ابن راشد، بات ليلة بذي أصبح عند السادة آل البحر، فاشتدت الحمى بابنه محمد، حتى غاب عن إحساسه، فأشفق عليه والده منها، فخرج ليلاً إلى ضريح الحبيب حسن بن صالح ـ وكان شيخ فتحه ـ ووقف تجاهه وقال: وعزة المعبود، إن لم تذهب الحمى من ولدي محمد لأصبح في خشامر عند ابن علي جابر، فلما كان آخر

---

(١) تذكير الناس (ص١٨٩).

(٢) هو بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي، من مؤرخي اليمن، تولى القضاء بموزع ثم تسلم الحسبة بعدن وزبيد سنة ٧١٥هـ، توفي بعد سنة ٧٣٢هـ. انظر: العقود اللؤلؤية، للخزرجي (ص٥٨)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص١٨٤)؛ ومقدمة كتاب السلوك في طبقات الملوك (٤٩١ ـ ٥٢).

(٣) السلوك (١/ ٤٦٢).

(٤) كلمة غير واضحة.

(٥) الشامل (ص٢١٤ ـ ٢١٥).

الليل عرق ابنه محمد وخرجت منه الحمى، وطلب الأكل، وأصبح: كأنما[(١)] نشط من عقال، وسرحوا[(٢)] من يومهم»[(٣)].

التعلق بترب الموتى:

تعلق القوم بترب موتاهم؛ وذلك للتبرك بها وطلب الخير منها، وقد كثرت نصوصهم في ذلك فمنها ما قاله عبد القادر العيدروس: «. . . وذلك أن بعض الأصحاب من أهل حضرموت أهدى لي طيباً فقلت: هلا أهديت لي من تراب قبر سيدي الشيخ سعد بن علي رضي الله عنه؟ فإنَّ ذلك عندي من أشرف الهدايا، وأفخر أنواع الطيب، ثم أنشدت في هذا المعنى:

سألت العرفاء عن طب دائي ... فقالوا تراب ذلك الجناب الأقدس
على الخبير سقطت فاغنم داؤك ... وربي إنه درياق أنْفَسُ
داوني يا سعد وأدرك قبل تِلافي ... وحقك أنني لك عبد أكيسُ

فأرسل إليَّ من العام القابل قليلاً من تراب ذلك الضريح الشريف في قارورة زجاج، ولله الحمد، وعلمت أن للشيخ اعتناء عظيم[(٤)] . . .»[(٥)].

وقد جاء في ترجمة عمر المحضار: «مات رضي الله عنه وهو ساجد في صلاة الظهر، يوم الاثنين ثاني عشرة شهر ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وقبره بتريم يزار ويتبرك به، ترياق مجرب يعرف استجابة الدعاء وكذلك مسجده»[(٦)].

فرع: اعتقاد رعاية الأموات للأحياء:

وهذا الاعتقاد من الأسباب التي أوقعت صوفية حضرموت في الشرك،

(١) في الأصل: (كما نما).
(٢) بمعنى ذهبوا وقت النهار باللهجة الحضرمية.
(٣) تذكير الناس (ص٢٢٠).
(٤) كذا في الأصل. والصواب: (اعتناءاً عظيماً).
(٥) تاريخ النور السافر (ص٤٢٧).
(٦) الغرر (ص١٩٨)؛ وشرح العينية (ص١٩٥).

وصرف العبادات لغير الله تعالى، وتعلق القوم بنصوص أوليائهم وعلمائهم الذين رسخوا هذا الاعتقاد فيهم، فقد جاء في كتاب: «ظهور حقائق»: قول عمر بن عبد الرحمٰن العطاس: «... وقال رضي الله عنه: ما من صاحب طاعة إلا وعليه نظر من وليّ لله، إما من الأحياء أو من الأموات»[(١)].

وجاء في كتاب «فيض الأسرار»: «... وكذلك مما تواترت أن الشيخ العارف بالله علي بن عبد الله باراس خرج من قبره وعانقه بحضور جماعة وكان ذلك ليلاً»[(٢)].

جاء في كتاب «فيض الأسرار» ادعاؤهم اعتناء الميت بالزائرين وتصرفه في قبره: «... ولذا قد يكون يظهر أثر ذلك في الحس من أن الزائر قد يخرج له المزور من تربته، أو يخرج يده من القبر لكل من جاء من كبار العارفين من سادتنا العلويين ويصافحه»[(٣)].

وجاء في كتاب «العقود العسجدية»: «ولم يبق اليوم إلا طريق المواهب والجذب والتعرض للنفحات لا سيما في مساجد آل أبي علوي، وعند ضرائحهم فإن لهم في برازخهم تصرفات والساقي باقي»[(٤)].

جاء في كتاب «اللوامع النور»: في ذكر أقوال لعلوي بن عبد الرحمٰن المشهور منها: «قال رضي الله عنه: إن الإنسان قد يكون تحت رعاية شيخ وهو لا يشعر وقد يكون من الأحياء وقد يكون من الأموات»[(٥)].

وجاء في كتاب «العدة المفيدة» عند ذكر سعيد بن عيسى العمودي وماله من كرامات منها قوله: «وروي أنه قال: زيارتي بعد وفاتي أفضل من زيارتي في حياتي»[(٦)].

كل هذه النصوص تبيّن تعلق القوم بالأموات واعتقاد تصرفهم في

---

(١) ظهور حقائق (ص٦٦).
(٢) فيض الأسرار (١/ ٢٣٩).
(٣) فيض الأسرار (١/ ٢٣٨).
(٤) العقود العسجدية (ص٤٥).
(٥) لوامع النور (١/ ٢٣٧).
(٦) العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة (١/ ٢٠٨).

قبورهم، سواء برعايتهم للأحياء، أو استقبال الزائر والخروج إليه للتسليم عليه وغير ذلك من الخرافات، والأدهى من ذلك تفضيل الوقوف عند قبر الولي على عبادة الرحمٰن جلَّ في علاه، وسبب هذا أن القوم لم يعرفوا العبادة التي بعث بها النبي ﷺ ونزل القرآن لبيانها والدعوة إليها، فهم لا يعرفون إلا توحيد الربوبية، وأما توحيد العبادة الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]. فلم يعرفوه ولم يهتموا به. والله المستعان.

❁ المطلب السادس ❁

اتخاذ القبور أعياداً

كسى القوم قبور أوليائهم بأفخر الثياب، وكتبوا عليها بعض الآيات القرآنية والأدعية والاستغاثات بأصحابها، وأكثروا الترداد عليها، ودعوا إلى ذلك غير ملتفتين إلى النصوص الناهية عن ذلك.

ومن القبور المعظمة عند القوم قبر هود ﵇ الذي يزعمون أنه بحضرموت ويقع شرقي تريم، ولزيارته مناسك زمانية ومكانية وحوله مآثر مزعومة، وعنده نهر يزعمون أنه نهر من أنهار الجنة، وبئر معطلة تضم أرواح الأنبياء والأولياء، وناقة هود المتحجرة وهي عبارة عن صخرة ضخمة جداً يعظمها القوم فيصلون عندها ويلقون موالدهم وقصائدهم ومواعظهم، وتحتها صخرة صغيرة مقعرة يزعمون أنها موطىء قدم هود ﵇، وسيأتي مزيد بحث عنه في مبحث الاحتفالات البدعية إن شاء الله.

واستدلوا لوجود القبر بما روي عن علي ﵁ أنه قال لرجل من أهل حضرموت: «هل رأيت كثيباً أحمر يخالطه مدرة حمراء ذات أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت هل رأيته قال نعم يا أمير المؤمنين والله إنك لتنعته نعت رجل قد رآه. قال: لا ولكني قد حدثت عنه. فقال

الحضرمي: وما شأنه يا أمير المؤمنين قال فيه قبر هود ﷺ[(١)]»[(٢)].

أما قولهم بوجود قبر نبي الله هود ﷺ بتلك المنطقة التي يجتمعون عندها سنوياً باسم زيارة هود فلا يصح من ناحية حديثية ولا من ناحية تاريخية وإليك بيان ذلك:

فالقوم شغلوا بهذا الأمر، وكان الواجب الانشغال بعبادة الله وإحياء السنن التي هجرت، يقول الإمام ابن جرير الطبري وهو يتحدث عن الأحقاف: «الأحقاف: الرمل الذي يكون كهيئة الجبل تدعوه العرب الحقف، ولا يكون أحقافاً إلا من الرمل قال: وأخو عاد هود، وجائز أن يكون ذلك جبلاً بالشام، وجائز أن يكون وادياً بين عمان وحضرموت، وجائز أن يكون الشحر، وليس في العلم به أداء فرض ولا في الجهل به تضييع واجب»[(٣)].

فالقرآن ذكر مساكن قوم عاد وأنها بالأحقاف، وإن كان في حضرموت فإن النصوص لم تبيّن مكان قبر هود ﷺ.

وقد ذكر أحمد العطاس أن القبر بحضرموت تبعاً لإشارات مشايخه، بناء على قصة رجل جاء من أهل حضرموت إلى علي رضي الله عنه ووصف له قبر هود عند الكثيب الأحمر فأقره علي... إلخ[(٤)].

وقد نقل المفسرون ذلك بصيغ التمريض، وبأسانيد ضعيفة لا يعتمد عليها[(٥)].

وأما من ناحية تاريخية فقد أبطل هذا الزعم بعض المؤرخين الحضارمة،

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٢/٥٠٧) برقم (٣/ ١٤٨٠)؛ والبخاري في التاريخ الصغير (١/ ١١٣٥)؛ والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٦٤)؛ والأثر ضعيف علته: محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي مجهول فلم يرو عنه سوى محمد بن إسحاق. انظر: التاريخ الكبير للبخاري (١/ ١٣٥)؛ والعلل لابن أبي حاتم (٢/ ١٧٠، ١٩٢).

(٢) الدر المنضود، لابن عبيدون (ص٢٢)؛ ونيل المقصود، للشاطري (ص١٧ ـ ١٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٦/ ٢٤).

(٤) تذكير الناس (ص٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٥) انظر: الكلام على هذه المسألة وبطلان وجود القبر المزعوم لهود ﷺ: زيارة هود ﷺ وما فيها من ضلالات ومنكرات، للشيخ أحمد المعلم (ص١١وما بعدها).

يقول الأستاذ محمد بن عبد القادر بامطرف: «أما القبر الذي يعتقده بعض الحضارمة أنه قبر هود، فهو في حقيقته مخالف للروايات الأخبارية القديمة، ومنها رواية الأصبغ والهمداني»[١].

وقال أيضا: «وقد زرت القبر المزعوم سنة ١٩٥٤م فألفيته عبارة عن كوم مستطيل من الحجارة الصغيرة طوله اثنان وتسعون قدماً، وارتفاعه في بعض جوانبه حوالي أربعة أقدام، ويقع في سفح جبل إلى الشرق من بئر برهوت (نسبة إلى البراهيت الحميريين) فلا كثيب أحمر، ولا كهف مشرف مما ذكره الأصبغ بن نباته ونقله عنه الهمداني»[٢].

ويقول المؤرخ سعيد بن عوض باوزير: «وقد سار النبي هود عليه السلام بعد هلاك قومه في دعوته التوحيدية إلى أن أدركته الوفاة في حضرموت، ولكن التاريخ لم يعين موضع هذا القبر، والقبر المعروف اليوم شرقي الوادي الرئيسي بحضرموت مثار شك، لأسباب متعددة، فضلاً أنه لم تقم أدلة تاريخية تحدد موضع القبر»[٣].

ومن القبور التي اتخذت عيداً قبر سعيد بن عيسى العمودي بدوعن وقد صور المؤرخ علوي الحداد حال حضرموت في تلك الفترة التي خيم فيها الجهل والخرافات وهو يصف زيارة قبر سعيد بن عيسى العمودي ـ حيث يأتي أهل تلك النواحي بطبولهم ومزاميرهم ولهوهم حتى يدخلون إلى داخل القبة، ويطوف بعضهم بالتوابيت التي على القبور: «ثم يرتحلون إلى قيدون وقد خرج أكثر أهل البلد ولا سيما النساء والأطفال فيقومون على جانبي الساقية، وفيها تمر الطريق ينظرون إلى الواردين حتى إذا كان آخر العشية جاء أهل الخابّة يلعبون ويرقصون على طاسة[٤] يضربونها وأناشيد خشنة تشابه حركاتهم، وهم

(١) ملاحظات على الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب (ص٢٢).
(٢) المصدر السابق (ص٢٢).
(٣) معالم في تاريخ الجزيرة العربية (ص٣٠). وانظر: اختلاف المؤرخين في موضع القبر حيث قال بعضهم إنه بدمشق، وقال آخرون بفلسطين، وقيل بمكة، وقيل بظفار، وقيل في العراق وأن القول بوجوده بحضرموت ليس متفق عليه، فضلا على تعيينه: البداية والنهاية (١/ ١٣٠).
(٤) كوب ماء خزفي. (كلمات في الدارجة بمدينة تريم) (ص٦٢).

يخبون أي يسرعون في مشيهم ولذلك سموه (الخآبّة) بالمد والتشديد وأهلها من سكان الهجرين، ويدخل العبيد ضحوة يوم الجمعة في زفتهم، وقد أحاط بهم الغوغاء[١]، فيصلون قبة الشيخ سعيد والإمام يخطب، فتمتلئ جوانب المسجد بضجيج مزاميرهم ونقرهم وطبولهم ولغطهم برطانتهم وضربهم التوابيت، فلا يسمع خطبة الخطيب، ولا قراءة الإمام إلا من دنى، وتمتلئ شوارع السوق بالنساء والرجال في زحام يتضاغطون، يموج بعضهم في بعض ويصدر عن ذلك أمور يندى لها الجبين وتضحك لها الشياطين»[٢].

صرف بعض العبادات للقبور:

ويرى الشيخ علي بن أحمد باصبرين أن ما يفعل من ذلك يراد به تعظيم ذلك الولي، كما أن الحجاج يرفعون أصواتهم بالتلبية تعظيماً لله تعالى. قال رَحِمَهُ اللهُ: «لا يتقرب ويعظم بالصلاة والنسك ـ عين الذبح ـ لغيره تعالى ولا ينسب الإحياء والإماتة إلا إلى الله العلي الأعلى، الملك الكبير الأكبر، فالذبح لغيره المسمى بالعقيرة عند أهل إقليم دوعن وتوابعه من أعظم البليات التي ابتلوا بها، وذلك حرام بالإجماع لأمور منها:

قطع عصبة البهيمة متى وصلت إلى تحت مكان المعظم لتعذيب ذلك الحيوان.

ومنها: كون العاقر[٣] كالإله الأعظم؛ وذلك حرام[٤] حيث والأصل تقرب[٥] إليه بما شرع الله التقرب إليه بخصوصه.

ومنها: كون العاقر يأتي بالعقيرة بجمع حافل ولربما اختلط فيه النساء بالرجال أو نظرن إليهم بزامل هو عند الجهلة لتعظيم المعقور له، بمنزلة تلبية

(١) الغوغاء: الجراد بعد أن ينبت جناحه، أو إذا انسلخ من الألوان وصار إلى الحمرة، وشيء يشبه البعوض ولا يعض لضعفه، وبه سمي الغوغاء من الناس. القاموس المحيط (ص٧٨٦).
(٢) الشامل (ص٢١٦).
(٣) كذا في الأصل. ولعله: (وكون المعقور له).
(٤) تحريمه لأنه شرك بالله تعالى.
(٥) كذا في الأصل.

وفد الله تعالى بالحج والعمرة، وهذا من أعظم المنكرات، وأعظم منها سكوت أهل العلم عنهم فيما لو فرض سكوتهم فضلاً عن رضى عاقل بذلك»(١).

وقد وضح علوي بن طاهر الحداد ما آل إليه أهل حضرموت في فترة من الفترات عند ذكره لبلدة قيدون التي فيها ضريح سعيد بن عيسى العمودي فقال مبيناً حال بعضهم في التعلق بهذا الضريح: «... حتى إذا وصلوا إلى الباب الموصل إلى ضريح الشيخ عقروها ونحروها وهم يصيحون باسم الشيخ سعيد قائلين: يا شيخ سعيد! بحرك! مع نحرها أو ذبحها، ويعنون بقولهم: بحرك! نطلب بحرك، وبحرك معناه عندهم بحر برهانه، والبرهان هو: التصرف والتأثير والكرامات، ثم يتركونها فيتكالب عليها من ضري بأكلها فيجرونها إلى بعض الدور ويوصدون الباب ثم يعملون فيها شفارهم(٢) ثم بيّن أنهم: «يطلبون بها النصر من الشيخ سعيد على أعدائهم وهذه العقائر ـ القرابين ـ مما أهلّ به لغير الله فهي ميتة حرام أكلها والانتفاع بها(٣)، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣]. ونص على ذلك العلماء في كتب الفقه لا يخفى على طالب العلم»(٤).

يتبيّن من هذا النقل عن المؤرخ علوي بن طاهر الحداد ما آلت إليه الأوضاع في حضرموت من انحراف كان سببه الصوفية الدعاة إلى القبور والبدع، ومنها الدعوة لتعظيم قبر سعيد بن عيسى العمودي ـ وهو ليس من العلويين ـ وإنما من طبقة المشايخ الذين كانت لهم السلطة الروحية، قبل مقدم العلويين إلى حضرموت، وكان للعلويين دور في إبراز هذا الرجل، ليضموا الفئات غير العلوية إلى صفهم، وبالفعل حققوا هدفهم، فكما تقدم من نقل هذا المؤرخ يتبين وضع قيدون ـ إحدى مناطق حضرموت ـ ومركز آل العمودي

---

(١) المهمات الدينية في بعض المرتكبات الربانية (ص٩).
(٢) جمع شفرة، وهي السكين. انظر: كلمات في الدارجة بمدينة تريم (ص٤٩).
(٣) التحريم لأنه مما أهل به لغير الله، والذبح لغير الله شرك أكبر، ولا يجوز أكل كل ما ذبح لغير الله تعالى، وليس لأنها ميتة فليتنبه.
(٤) الشامل (ص٢١٤ ـ ٢١٥).

وغيرهم من المشايخ والقبائل من أن زيارة ضريح العمودي غرضها: طلب الحاجات ومنها المطر، وإلقاء القصائد التي تعبر عن شعورهم وافتقارهم لهذا الميت الذي يعتقدون فيه أنه ينفع ويضر، فيطوفون حول قبره الذي بني عليه قبة كبيرة ومسجد، وينذرون له النذور من غنم وحبوب وسمن وغيرها، تقرباً إليه ليعطيهم سؤلهم، بل يبعث سدنة القبر من يجمع النذور من القرى والبوادي لتضع عند الميت ويستفيد منه هؤلاء السدنة، ومن المنكرات في هذه الزيارة العبث في المسجد بتلك الأفعال المشينة.

ومن اعتقاداتهم أنهم إذا مرت مدة ولم يسقوا ظنوا أن الشيخ سعيد العمودي غاضب عليهم، فيعودون مرة أخرى معتذرين ومنكسرين بين يديه ليرضى عنهم، ويرسل لهم المطر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن المنكرات أيضا: الذبح لسعيد العمودي عند قبره، حيث ينحرون له أعظم الذبائح من جمال وبقر ونحوها تقرباً لهذا الميت طالبين حاجاتهم من بحر كراماته، ثم يأكل السدنة هذه الذبائح المحرمة، التي أُهلّت لغير الله، يشاركهم فيها العوام الذين لا هَمَّ لهم إلا بطونهم.

يطلبون من هذا الميت النصر على أعدائهم، هكذا يضفون على هذا الضريح صفات الرب جلَّ وعلا، وهذا أشد من شرك الأولين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصرف النذر لأوليائهم، مذكور في كثير من كتبهم[1] وهو عبادة وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر ـ كما تقدم ـ.

يقول القاضي عبد الله بن عوض بكير[2] في كلام له ختم به رسالته

---

(١) انظر مثلاً: المشرع الروي: (١/١٨٦، ١٩٦، ٢٨٢).

(٢) هو القاضي الشيخ عبد الله بن عوض بن مبارك بكير الكندي. ولد في مدينة غيل باوزير بحضرموت سنة ١٣١٤هـ. طلب العلم في قرية (القارة) الذي انتقل إليها فدرس على أيدي أهل العلم فيها، ثم رحل من قرية القارة إلى قرية (الصداع) وبها أخذ عن الشيخ المعمر عمر بن مبارك بادبّاه (١٣٥٧ ـ ١٣٦٧هـ) ومكث فيها ثلاثة عشر عاماً ثم رحل إلى مناطق مختلفة من حضرموت لطلب العلم كالغيل، وسيئون وغيرها، وسافر إلى كل من الصومال وجيبوتي والتقى بعلمائها، ثم سافر لمصر والتقى بعلماء الأزهر، ثم عاد إلى بلده حضرموت. =

المسماة «رفع الخمار عن مثالب المزار» مبطلاً ما عليه هؤلاء: «ومنه يعلم أن جميع الزيارات المعروفة في الجهة مناكر وضلالة بما اشتملت عليه من الأمور المخالفة للشريعة، فكيف يسوغ الحضور فيها وهي سبيل من السبل المشار إليها فيما رواه الدارمي من أنه ﷺ خط خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله، وخط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذا سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣][(١)].

فالقائمون في فعلها نوابٌ أنابتهم الشياطين عنهم، فعليك أيها الأخ بالاتباع، ولا تغتر بمدعي العلم المثابرين على مائدة المزار؛ فإنهم ممن لا خلاق لهم، فقد قال ﷺ: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم عمل به...»[(٢)] الحديث.

وأخرج الشيخان «يجيء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: يا فلان ما

= وفي عام ١٣٥١هـ عين قاضياً في مدينة المكلاَّ في عهد الدولة القعيطية، وفي عام ١٣٥٧هـ عين الشيخ رئيساً للمجلس العالي للقضاء، ورئيساً للقضاء الشرعي والقضاة الشرعيين واستمر كذلك حتى تقاعد عن العمل في عام ١٣٨٥هـ.

من مؤلفاته: تطهير الفؤاد من سيىء الاعتقاد (وهو رد على ضلالات الصوفية التي نشروها في المجتمع الحضرمي)؛ والسيف القاطع في صون المسجد عن الدف على رغم أنف المنازع، ورفع الخمار عن مثالب المزار، ونسيم الحياة شرح سفينة النجاة (في الفقه)؛ والجوهر المبثوثة في تعلق الدين بالحقوق والمنافع الموروثة وغيرها من المؤلفات.

وكانت وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ صبيحة يوم الاثنين السابع عشر من جمادى الآخرة من عام ١٣٩٩هـ. انظر في ترجمته: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي لباوزير (ص١٨١ ـ ١٨٣)؛ والقضاء في حضرموت في ثلث قرن، لابنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بكير (ص١٦ وما بعدها).

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٤٣٥، ٤٦٥)؛ والدارمي في مسنده (٢٨٥١) برقم (٢٠٨). وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تخريجه للمشكاة (١/ ٥٩) برقم (١٦٦).

(٢) رواه الترمذي في سننه: كتاب صفة القيامة، باب في القيامة وقال: هذا حديث حسن صحيح (ص٣٩٦) برقم (٢٤١٧)؛ والدارمي في سننه: باب من سره الشهرة والمعرفة (١/ ١٣٥)؛ وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٩٠) رقم (١٩٧٠). وانظر: السلسلة الصحيحة: (٢/ ٦٢٩) برقم (٩٤٦).

شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[(١)].

وأخرج الطبراني: «أن أناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون: لم دخلتم النار؟ فو الله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل»[(٢)] وورد: «شرار الناس، شرار العلماء»[(٣)].

أقول: وإنما كان وزر العالم أقبح، وعذابه أعظم: لأنه قدوة لغيره، فإذا خاض في المخالفات ذراعاً خاض غيره باعاً، فلذا لما لم يزل طلبة العلم يتهافتون على مائدة المزار تهافت الفراش على النار، غروا الجهلة بإيرادهم موارد الهلاك فتراهم مسارعين إليها، مثابرين عليها، حتى اقتدت العامة بهم، فباؤوا بإثمهم وإثم أتباعهم، وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم، ولو اجتنبوها واعتزلوها لتقهقرت العامة عنها»[(٤)].

ونختم هذا المطلب بكلمة لابن عبيد الله بيّن فيها ظاهرة الغلو في الشيوخ، حيث قال بعد أن ذكر بعض مؤلفات صوفية حضرموت: «إلا أن في بعضها ما يخلص إليه الانتقاد نحو الغلو في الشيوخ وإنزاله في أعلى ما يستحق ويجوز في بعضها ما يشبه كلام ابن عربي فيأتي فيه ما يقال فيه»[(٥)].

---

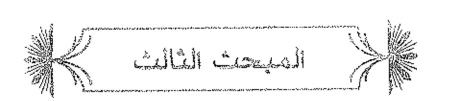
(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وإنها مخلوقة (ص٦٢٦) برقم (٣٢٦٧)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الزهد، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله (ص١١٩٧) برقم (٢٩٨٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ١٥٠)؛ عن الوليد بن عقبة وقال: قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨٥) وفيه: أبو بكر الداهري وهو ضعيف جداً. والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم (١٨١٩)؛ وضعيف الترغيب والترهيب برقم (١٣٩٦). وانظر: السلسلة الضعيفة (٣/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) برقم (١٢٦٨).

(٣) رواه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٩٦) رقم (١٦٧)؛ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم (٣٣٨١)؛ وانظر: السلسلة الضعيفة (٣/ ٦١١) برقم (١٤١٨).

(٤) رفع الخمار عن مثالب المزار (ص٣٠ ـ ٣٢).

(٥) إدام القوت (ص٤٩٩).



المبحث الثالث

العبادات الشركية والبدعية



تمهيد

العبادات جمع عبادة، وقد تقدم تعريف العبادة في مباحث توحيد الألوهية، ونبيّن هنا العبادات الشركية والبدعية التي وقعت فيها صوفية حضرموت، ودعت الناس إليها.

والعبادات الشركية نسبة إلى الشرك؛ أي: أن بعض العبادات التي تعبدت صوفية حضرموت بها قائمة على الشرك الأكبر الذي ينقل عن دين الإسلام: كصرف خالص حق الله تعالى من العبادات لغيره سبحانه، ومنها ما هو شرك أصغر ووسيلة إلى الشرك الأكبر ـ كما سيأتي ـ.

ومعنى العبادات البدعية أي المنسوبة إلى البدعة، بمعنى أنها لم تقم على السُّنَّة بل قامت على البدعة.

تعريف البدعة لغة واصطلاحاً:

البدعة لغة:

البدعة مصدر (بدَعَ) وأصل استخدامها في لغة العرب على أصلين:
«أحدهما: ابتداء الشيء، وصنعه لا عن مثال.
والآخر: الانقطاع والكلال»[1].

واصطلاحاً:

كثرت تعريفات البدعة عند أهل العلم، ومن التعريفات الجامعة للبدعة قول الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ أنها: «طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية،

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٠٩).

يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «البدعة ما خالفت الكتاب والسنَّة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات»[٢].

فالبدعة إذاً أمر لم يشرعه الله تعالى ولا رسوله الكريم ﷺ، ولم يأمر به الشرع أمر إيجاب ولا استحباب[٣].

وعرّف الشيخ ابن عثيمين البدعة بأنها: «ما أُحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، من عقيدة أو عمل»[٤].

وبيَّن أهل العلم أن البدعة تنقسم إلى قسمين[٥]:

بدعة اعتقادية: وهي اعتقاد الشخص خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله وأنزل كتابه؛ كبدعة المرجئة[٦] والخوارج والمعتزلة[٧]

---

(١) الاعتصام (١/ ٥٠)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان ـ الخُبَر، ط١، ١٤١٨هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٨). وانظر تعاريف أهل العلم للبدعة: جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي (١٢٧٢)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخر، مكتبة دار البيان والمؤيد ـ دمشق وبيروت، ط٢، ١٤١٢هـ، والباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة (ص٢٤)، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد ـ الرياض، ودار البيان ـ دمشق، ط١، ١٤١٢هـ. والمفهم لما أشكل من صحيح مسلم، للقرطبي (٢/ ٥٠٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٧، ١٠٨).

(٤) شرح لمعة الاعتقاد الهادي (ص٤٠).

(٥) انظر: الفتاوى الكبرى (٢/ ٤٩٩)، دار المعرفة ـ بيروت، ومدارج السالكين (١/ ٢٤٥). مراجعة لجنة من العلماء، دار الحديث ـ القاهرة.

(٦) المرجئة: هم الذين قالوا بتأخير العمل عن الإيمان وعدم دخوله فيه، هذا الأصل هو الجامع للمرجئة، فهم عدة فرق نحو اثنتي عشرة فرقة، يمكن جمعهم في ثلاث فرق رئيسة: منهم من قال: إن الإيمان هو المعرفة فقط، ومنهم من قال: الإيمان القول فقط، ومنهم من قال: الإيمان المعرفة والقول دون العمل. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٣)؛ والفرق بين الفرق (ص٢٠٢)؛ والملل والنحل (١/ ١٣٩).

(٧) المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء الذي بينه وبين الحسن البصري خلاف في القدر، وفي المنزلة بين المنزلتين، وانضم إليه عمرو بن عبيد في بدعته، فطردهما الحسن عن مجلسه، فاعتزلا إلى سارية من سواري مسجد البصرة، فقيل لهما ولأتباعهما: «معتزلة» لاعتزالهما قول الأمة في دعواهما؛ أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر، ثم صارت لهم مقالات منحرفة فهم معطلة في باب الصفات، وقدرية في باب القدر، ولهم انحرافات أخرى. انظر ما ذكره البغدادي عنهم في الفرق بين الفرق (ص٢٠).

والرافضة[١] وغيرها.

وبدعة عملية: وهي التعبد بما لم يأذن الله به من الأوضاع والرسوم المحدثة في الدين التي لا يقبل الله منها شيئاً.

وظهور البدع أمر قدره الله تعالى كوناً في الناس، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩﴾ [هود: الآيتان ١١٨ ـ ١١٩].

قال عكرمة في معنى الاختلاف المذكور في الآية: «مختلفين في الهدى»[٢].

فالله قدّر انقسام الناس إما إلى الرحمة أو إلى الاختلاف، وهذه هي الغاية التي يصيرون إليها، وهي العاقبة الكونية التي قدرها الله أزلاً[٣] بعد أن هدى الناس بالدلالة والإرشاد، فقد أوجد الفطرة القابلة، والعقول الباصرة، وأرسل الرسل الهادية، والكتب الدالة كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

وهذا التفرق المذكور في الآية هو الاختلاف في أصل الملة على أديان شتى كاليهودية والنصرانية[٤].

ويقصد بالاختلاف كذلك اختلاف أهل ملة الإسلام، وهو عندهم على نوعين:

---

(١) الرافضة: هي إحدى فرق الشيعة وسمو بذلك لأنهم طلبوا من زيد بن علي الطعن في أبي بكر وعمر فامتنع، فقال: رفضتموني، فسموا رافضة، وقيل غير ذلك، هم الإمامية الاثنا عشرية، وسموا بذلك؛ لقولهم بإمامة اثني عشر إماما من علي رضي الله عنه وولده، وهم عدة فرق تجمعهم أصول هي: القول بعصمة الأئمة، وإنكار خلافة الثلاثة، وإمامة علي انظر: مقالات الإسلاميين (١/١٦)؛ الفرق بين الفرق (ص٥٣)؛ الملل والنحل (١/١٦٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٨٦٢)، ط٤، دار الأندلس، وانظر: تفسير السعدي (٤٧٠٣)، ط الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ١٤٠٤هـ.

(٣) انظر: درء التعارض (٨/٤٧٧)؛ ومجموع الفتاوى (٤/٢٣٦).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٥٠٩)، ط دار السلام؛ والاعتصام (٣/١٦٦)، ت: محمد رشيد رضا، ط ١٤٠٢هـ، دار المعرفة ـ بيروت.

النوع الأول: الاختلاف في مسائل الاجتهاد، وهذا ليس بمذموم.

والنوع الثاني: اختلاف أهل البدع والأهواء في القواعد الكلية والأصول الشرعية الاعتقادية والعبادية، ويدخل هذا تحت الآية لأنه يؤدي إلى التفرق شيعاً[(١)].

وهناك أسباب أخرى لظهور البدع منها: اتباع الهوى، وقلة العلم الشرعي، واتباع العوائد، وتمكن البدع عند أهل السلطة والحكم في بعض الأزمنة والأمكنة ومن ثم دعوة الناس إليها، وكذلك مكانة المبتدع وما أوتيه من فصاحة وأسلوب في الدعوة إلى بدعته وغير ذلك من الأسباب[(٢)].

والبدعة في الدين مذمومة مطلقاً، لما ثبت في حديث جابر أن النبي ﷺ كان يقول في خطبة الحاجة: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[(٣)]. زاد النسائي: «وكل ضلالة في النار»[(٤)].

وجاء في حديث العرباض بن سارية أن النبي ﷺ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[(٥)].

---

(١) انظر: الاعتصام (٢/ ١٧١) تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة ـ بيروت، ط ١٤٠٢هـ. وانظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٣٤١)؛ وزاد المسير، لابن الجوزي (٤/ ١٧٢).

(٢) انظر: حقيقة البدعة وأحكامها، تأليف: سعيد بن ناصر الغامدي (١/ ١٧٢ ـ ١٨٢). مكتبة الرشد ـ الرياض، ط٤، ١٤٢١هـ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (ص٣٣٥) برقم (٨٦٧).

(٤) أخرجه النسائي في سننه: كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخُطبة، (ص١٨٦) برقم (١٥٧٨) من حديث جابر رضي الله عنه. وصحح إسناد الشيخ الألباني رحمه الله في تخريجه للمشكاة (١/ ٥١) برقم (١٤١).

(٥) تقدم تخريجه (ص٢٧٥) من هذا البحث.

فبيّن ﷺ أن كل محدثة بدعة، وكل من صيغ العموم، فكلامه ﷺ بيِّن واضح في ذم البدع كلها، فلا يجوز لأحد أن يبتدع في دين الله تعالى، ثم يدعي أن بدعته تلك بدعة حسنة؛ لأن ذلك استدراك على كلام النبي ﷺ الذي أتم الله به الدين وأكمل الشريعة كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ونهى ﷺ عن إحداث البدع في دين الله تعالى أو اتباع غيره فيها، قال ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وفي رواية عند مسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(١). وأما آثار السلف في النهي عن البدع، فكثيرة جداً نذكر بعضاً منها:

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «الاقتصاد في السنَّة، أحسن من الاجتهاد في البدعة»(٢).

وقال أيضاً: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»(٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «من أحدث رأياً ليس في كتاب الله، ولم تمضِ عليه سنة من رسول الله لم يدر على ما هو منه إذا لقي الله»(٤).

وكذلك حذر السلف أيضاً من مجالسة أهل البدع، وآثار السلف في ذلك كثيرة جداً منها: ما قاله الإمام الحسن البصري رحمه الله «لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم»(٥).

---

(١) تقدم تخريج الروايتين (ص٨١٤) من هذا البحث.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٨٨)، كتاب العلم، وقال: حديث مسند صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه.

(٣) رواه الدارمي في سننه (١/ ٦٩)؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨١)؛ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه الدارمي في سننه (١/ ٦٩/ ٥٨)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٨٣) برقم (٩٧). والأثر عند الدارمي بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة (١/ ١٣٣)؛ والدارمي في سننه (ص١١٠)؛ والآجري في الشريعة (ص٦٢).

وقال الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يكون مجلسك مع المساكين، وإياك أن تجالس صاحب بدعة»[١].

وحذر العلماء بعد عصر السلف من البدع، يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند ذكره لبعض صور الاعتداء في الدعاء عند قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥]: «ومنها أن يدعو الله بما ليس في الكتاب والسنَّة؛ فيتخير ألفاظاً مفقرة، وكلمات مسجعة قد وجدها في كراريس لا أصل لها، ولا معول عليها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسول الله عليه الصلاة والسلام. وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سبباً إلا أن تكون مشروعة، فإن العبادات مبناها على التوقيف، فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله فيدعو غيره وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه، وكذلك لا يعبد الله بالبدع المخالفة للشريعة وإن ظن ذلك؛ فإن الشياطين قد تعين الإنسان على بعض مقاصده إذا أشرك، وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الإنسان فلا يحل له ذلك؛ إذ المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به، إذ الرسول ﷺ بعث بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فما أمر الله به فمصلحته راجحة، وما نهى عنه فمفسدته راجحة»[٣].

وقال أيضاً: «لم يكن للعالم المتبع للرسول ﷺ أن يقول: إن هذا من القرب والطاعات، وأنه من أنواع العبادات، وأنه من سبيل الله تعالى وطريقه الذي يدعو به هؤلاء إليه، ولا أنه مما أمر الله تعالى به عباده، لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب، وما لم يكن من الواجبات والمستحبات فليس هو محموداً، ولا حسنة ولا طاعة ولا عبادة باتفاق المسلمين، فمن فعل ما ليس بواجب ولا مستحب على أنه من جنس الواجب أو المستحب؛ فهو ضال

---

(١) أخرجه للالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة (١/ ١٣٧).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣). (٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٣٧ ـ ١٣٨).

مبتدع وفعله على هذا الوجه حرام بلا ريب»[١].

وكذلك فقد علم باتفاق الأمة أن ما كان ليس بواجب ولا مستحب ولا قربة لم يجز أن يعتقد أو يقال أنه قربة وطاعة، واتفقوا على أنه لا يجوز قصد التقرب به إلى الله، ولا التعبد به ولا اتخاذه ديناً، ولا عمله من الحسنات فلا يجوز جعله من الدين، لا باعتقاد وقول ولا بإرادة وعمل، وبإهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعُبّاد يرون الشيء إذا لم يكن محرماً لا ينهى عنه؛ بل يقال أنه جائز ولا يفرقون بين اتخاذه ديناً وطاعة وبراً وبين استعماله كما تستعمل المباحات المحضة، ومعلوم أن اتخاذه ديناً بالاعتقاد أو الاقتصاد أو بهما أو بالقول أو بالعمل أو بهما من أعظم المحرمات وأكبر السيئات، وهذا من البدع المنكرات التي هي أعظم من المعاصي التي يعلم أنها معاص وسيئات[٢].

ولما كانت العبادة هي الغاية التي خلق العباد لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]. فقد جاء الشرع ببيانها والنهي عن ما يضادها.

فلا يعبد الله تعالى إلا بما شرع ومن خالف ذلك وقع في الشرك أو البدع لا محالة، وقد تقدمت الأحاديث الناهية عن الإحداث في دين الله ما ليس منه.

وينبغي التنبه إلى أن الله لا يقبل العبادة من العبد إلا إذا أتى بشرطيها وهما: إخلاص العمل لله تعالى، والمتابعة لرسول الله ﷺ وقد دلّت النصوص الكثيرة على هذين الشرطين كما تقدم ذكره في مباحث توحيد الألوهية.

ورغم كثرة النصوص في التحذير من البدع إلا أنه حدثت في الأمة بدع كثيرة وذلك مصداقاً لقوله ﷺ: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً»[٣]

---

(١) المصدر السابق (١١/ ٦٣٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ٤٥١ ـ ٤٥٢). بتصرف يسير.

(٣) تقدم تخريجه (ص٢٧٥) من هذا البحث.

فقد ظهرت عبادات ليس عليها دليل، لا من الكتاب ولا من السنَّة، مثل: الخلوات الصوفية، والاحتفالات، والأوراد الصوفية، والصلوات المبتدعة بل بعضها لا يخلو من الشرك الأكبر ـ والعياذ بالله ـ حيث لا تزال آثارها السيئة منتشرة إلى يومنا هذا.

وقد اتخذت صوفية حضرموت عبادات مختلفة لم يدل عليها الشرع، وذكر بعضها كافٍ في بيان بطلانها، والغنية عن التكلف لردها، لوضوح انحرافها عن الحق لكل صاحب بصيرة في دين الله تعالى.

ولم تلتفت صوفية حضرموت إلى الحق، بل اتبعت أهواءها، وتعبدت الله بالبدع، لتزيد من المخالفات التي أبعدتها عن الحق والهدى، وأوقعتها في سبل الشيطان والله المستعان.

ونبيّن هنا تلك المخالفات من نصوص القوم التي سطروها في كتبهم، وطبقوها في واقعهم العملي، ودعوا الناس إليها، مبينين بطلانها بالأدلة الشرعية التي سار عليها علماء أهل السنَّة والجماعة.

وسعى القوم لتقرير انحرافاتهم الشركية والبدعية ـ كما هو منهجهم ـ بذكر النقولات عن شيوخهم الذين اعتمدوهم في تلقي علوم الشرع، بل وتقديم أقوالهم على كل شيء، حتى بلغ بهم الحال إلى اعتماد الأحلام الشيطانية التي فيها كذب على رسول الله ﷺ لإقرار البدع، فقد ذكر أبو بكر الحبشي أن أحمد بن حسن العطاس الذي لا يذكره في كتابه إلا بلفظ (سيدي) بعد زيارته للقبر المزعوم لنبي الله هود ﷺ التقى بعلي بن محمد الحبشي فجاء في اللقاء: «ومن جملة إفادات سيدي علي له ولمن حضر معه أنه قال: ذكر السيد محمد مرتضى الزبيدي[1] في (شرح الإحياء) أن من عمل السلف صلاة ست ركعات

---

(١) هو محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي، نحوي، محدث، أصولي، أديب، مؤرخ، نسابة، ولد سنة ١١٤٥هـ، أصله من واسط في العراق، ومولده في بلجرام شمال غرب الهند، ومنشأه في زبيد باليمن. من مؤلفاته: تاج العروس في شرح القاموس، وإتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين. توفي بالطاعون بمصر سنة ١٢٠٥هـ. انظر: معجم المؤلفين (٣/ ٦٨١).

بين المغرب والعشاء، من ليلة النصف من شعبان، يسلم المصلي كل ركعتين، ويقرأ بعد الفاتحة في كل ركعة ست مرات من سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وبعد السلام من الركعتين الأولين سورة يس بنية البركة في العمر إلى أن قال: ثم قال سيدي علي: إني أفعلها أنا وأخي حسين لما كان عندنا، وبعد سفره إلى مكة استمر على فعلها، والوالد محمد بن علي رأى النبي ﷺ وأقره على فعل ذلك»[١].

وكما تقدم فإن صوفية حضرموت تعتمد الشيوخ في مصادر تلقي العقائد والأحكام والعبادات دون التعويل على نصوص الكتاب والسنَّة.

وقد سلكت صوفية حضرموت في عباداتها مناهج وطرقاً للتعبد للوصول إلى المراتب التي يسعون لنيلها ومن تلك الطرق البدعية التي يتعبدون بها:

١ ـ المجاهدة (الرياضات الصوفية):

يعرف الصوفية الرياضة بأنها: خروج عن طبع النفس، وهذه رياضة أدب، وهناك رياضة طلب وهي صحة المراد له، وبالجملة فالرياضة عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية وتهذيبها وتمحيصها عن خلطات الطبع ونزعاته، والرياضة الصوفية فيها سد باب النوم، والبعد عن صحبة القوم[٢].

ويرى القوم أن للتصوف أصولاً تعتمد على مجاهدات يلتزمها القوم في سيرهم نحو ما ينشدونه من الغايات، يقول عبد القادر العيدروس: «أصول التصوف في الابتداء تدور على أربعة أشياء: قلة الطعام، وقلة الكلام، وقلة المنام، واعتزال الأنام»[٣].

وقد طبق القوم هذه الأصول المبتدعة عملياً، ودونوا ذلك في مؤلفاتهم إذ هي درجات يصل بها السالك صاحبها إلى مراتب عالية في العبادة والمنزلة، فمنها ما ذكروه من مجاهدات عبد الله العيدرس الذي بدأ بالمجاهدة منذ

---

(١) تذكير الناس (ص١١٤). وانظر (ص١١٣).

(٢) انظر: المعجم الصوفي، للحفني (ص١١٤).

(٣) تاريخ النور السافر (ص٢٨٤).

طفولته، يقول عمر بن عبد الرحمٰن صاحب الحمراء[١]: «وكان كثير المجاهدات من صغره فأقام مدة من السنين يصوم ويفطر على سبع تمرات فقط، ومكث ثلاث سنين لا يرقد إلا على المزابل رياضة لنفسه وتواضعاً لله، قال: وروي عن عمه الشيخ عمر أنه قال: دخل عبد الله بن أخي المجاهدة وهو ابن ست سنين، قال: وسمعت شيخنا يقول: كنت في بدايتي أطالع الكتب الصوفية وأختبر نفسي بمجاهداتهم وسمعته يقول: لي أكثر من عشر سنين لم أرقد ليلاً ولا نهاراً»[٢].

يقول الشلي عند ذكر مجاهدات عبد الله العيدروس (ت٨٦٥هـ) وتعذيب نفسه للوصول إلى غايات الصوفية: «وأدخله عمه عمر المحضار في المجاهدة وهو صغير، وكان يقول: دخل ابن أخي في المجاهدة وهو ابن سبع سنين، وأقام مدة لا يأكل إلا من ثمر العشرق[٣]، ومكث سبع سنين يصوم ويفطر على سبع تمرات»[٤].

وذكروا في مجاهدة سعد بن علي وتعذيبه لنفسه: «وأول شيء بدأ به أن كان نائماً في مسجد سرجيس ـ أي بسين مهملة مكررة بينهما راء ساكنة ثم جيم مكسورة ثم ياء تحتانية ـ فدخل عليه رجل من رجال الغيب[٥] فأقامه من نومه

---

(١) هو عمر بن عبد الرحمن بن محمد السقاف عرف بصاحب الحمراء: من صوفية حضرموت، رحل إلى مكة وعاد إلى اليمن، فاستقر بقرية تسمى الحمراء بلحج، وتوفي بتعز ٨٨٩هـ، من مؤلفاته: فتح الرحمن الرحيم في مناقب الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس المتوفى سنة ٨٦٥هـ، وله ديوان. انظر: الضوء اللامع (٦/ ٩١)؛ والمشرع الروي (٢/ ٢٤٠)؛ وعقود الألماس (ص٦٧)؛ الذيل على كشف الظنون (ص٤٩٢).

(٢) فتح الله الرحيم الرحمن في مناقب القطب الغوث العيدروس عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن (ص٦١ ـ ٦٢). وانظر: مواهب القدوس (ص٤٨).

(٣) انظر معنى العشرق (ص١٣٠) من هذا البحث.

(٤) مواهب القدوس (ص١٠، ١٢، ١٣، ٤٨، ٥٥)؛ المشرع الروي (٢/ ١٥٣ ـ ١٨٧).

(٥) رجال الغيب من ترهات الصوفية التي شحنوا بها كتبهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد يطلب الشيطان المتمثل له في صورة الإنسان أن يسجد له، أو أن يفعل به الفاحشة، أو أن يأكل الميتة، ويشرب الخمر، أو أن يقرب لهم الميتة وأكثرهم لا يعرفون ذلك؛ بل يظنون أن من يخاطبهم إما ملائكة، وإما رجال من الجن يسمونهم رجال الغيب ويظنون أن رجال =

وقال: قم ما لهذا خلقت فشمر بعون الله من وقته في المجاهدات والمكابدات والرياضات والخلوات فكان يصوم الدهر ويقوم الليل كله...»[١].

ويقول الشلي عند ذكر مناقب شيخ بن علي بن محمد مولى الدويلة (ت٨١٣هـ): «مكث سنين في الصحراء صيفاً وشتاءً، لا يدري عن برد ولا حر ولا شمس ولا مطر، أشعث أغبر، حتى أن بعضهم أكرهه فحلق رأسه فمرض الحالق، وكان يرى في الصحراء يصلي والمطر ينزل عليه»[٢].

كل هذه المجاهدات مخالفة لهدي النبي ﷺ، فقد ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٣].

وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [المائدة: ٨٧]. وقد نزلت هذه الآية في عثمان بن مظعون رضي الله عنه وطائفة معه كانوا قد عزموا على التبتل ونوع من الترهب[٤]، وفي الصحيحين عن سعد قال: «رد رسول الله على عثمان بن

= الغيب أولياء الله غائبون عن أبصار الناس وأولئك جن تمثلت بصور الإنس أو رؤيت في غير صور الإنس » مجموع الفتاوى (١/ ٣٦٢).

(١) مواهب القدوس (ص٥٥).

(٢) المشرع الروي (٢/ ١٢٤). انظر مجاهدات صوفية حضرموت وتعذيب النفس للوصول لغاياتهم الموهومة: مواهب القدوس (ص٥٥)؛ المناصرة والمؤازرة (ص٥٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (ص١٠٠٥) برقم (٥٠٦٣) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، واشتغال من عجز، عن المؤن بالصوم، (ص٥٤٩) برقم (١٤٠١).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٦/ ٢٦١)، (٩/ ٣٢٨)، دار الشعب ـ القاهرة، ط٢ ١٣٧٢هـ.

مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا»[١].

ولم يعرف القوم الورع الحقيقي والزهد النافع الذي يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ، وقد بيّن أهل العلم ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الزهد فيما لا ينفع في الآخرة فأما ما ينفع في الآخرة وما يستعان به على ذلك، فالزهد فيه زهد في نوع من عبادة الله وطاعته، والزهد إنما يراد لأنه زهد فيما يضر، أو زهد فيما لا ينفع، فأما الزهد في النافع فجهل وضلال، كما قال النبي ﷺ: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»[٢].

والنافع للعبد هو عبادة الله وطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وكل ما صده عن ذلك فإنه ضار لا نافع، ثم الأنفع له أن تكون كل أعماله عبادة لله وطاعة له، وإن أدى الفرائض وفعل مباحاً لا يعينه على الطاعة فقد فعل ما ينفعه وما لا ينفعه ولا يضره.

وكذلك الورع المشروع هو الورع عما قد تخاف عاقبته وهو ما يعلم تحريمه، وما يشك في تحريمه، وليس في تركه مفسدة أعظم من فعله ـ مثل ـ: محرم معين مثل من يترك أخذ الشبهة ورعاً مع حاجته إليها، ويأخذ بدل ذلك محرماً بيّناً تحريمه، أو يترك واجباً تركه أعظم فساداً من فعله مع الشبهة؛ كمن يكون على أبيه أو عليه ديون هو مطالب بها وليس له وفاء إلا من مال فيه شبهة، فيتورع عنها ويدع ذمته أو ذمة أبيه مرتهنة، وكذلك من الورع الاحتياط بفعل ما يشك في وجوبه، لكن على هذا الوجه وتمام الورع أن يعم[٣] الإنسان خير الخيرين وشر الشرين، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، (ص١٠٠٦ ـ ١٠٠٧) برقم (٥٠٧٣، ٥٠٧٤)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، واشتغال من عجز، عن المؤن بالصوم، (ص٥٥٠) برقم (١٤٠٢).

(٢) تقدم تخريجه (ص٦٦٠) من هذا البحث.

(٣) كذا في الأصل. والصواب يعلم.

من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات ويرى ذلك من الورع، كمن يدع الجهاد مع الأمراء الظلمة ويرى ذلك ورعاً، ويدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الذين فيهم بدعة أو فجور ويرى ذلك من الورع، ويمتنع عن قبول شهادة الصادق وأخذ علم العالم لما في صاحبه من بدعة خفية، ويرى ترك قبول سماع هذا الحق الذي يجب سماعه من الورع»[1].

٢ ـ الخلوة الصوفية:

الخلوة من الأمور التي تعبدت صوفية حضرموت الله تعالى بها، فهي مرحلة من مراحل السير إلى الولاية التي يسعى إليها المريد، بشروط محددة، وأوقات معينة، ولا تكون إلا بإذن شيخ، وبذكر معين.

ولا يُفْهَم من خلوتهم أنها من الاعتزال عن الفتن، والتعبد الصحيح، كلا، وإنما هي في حقيقتها تشريع من كبارهم بلزوم مكان معين، في وقت معين، وذكر معين كما سيتضح ذلك من نصوصهم.

والتزم القوم تطبيق الخلوة تبعاً لسلفهم من المتصوفة وذلك باتباعهم في الأقوال والأفعال، دون الرجوع إلى الشرع المطهر باتباع أوامره واجتناب نواهيه دون غيره.

الخلوة في اصطلاح الصوفية:

والخلوة كما يعرفها المتصوفة هي: «الاعتكاف في مكان مخصوص، لينقطع فيه لعبادة ربه، بإشارة مرشد ناصح»[2].

ويوضح عبد القادر عيسى[3] الخلوة الصوفية بأنها: «انقطاع عن البشر

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥١١ ـ ٥١٢). (٢) حاشية العروس (٢/ ١٣٧).

(٣) هو عبد القادر عيسى شيخ الطريقة الشاذلية في هذا العصر، من أهل حلب بسوريا، أخذ الطريقة عن محمد الهاشمي، درّس في جامع العادلية الكبير، والتف حوله المريدون من بلدان كثيرة، هاجر إلى بلدان كثيرة، واستقر بتركيا، له كتاب واحد بعنوان (حقائق عن التصوف). توفي سنة ١٤١٢هـ) في استانبول بتركيا. انظر: تتمة الأعلام، لمحمد خير رمضان يوسف (١/ ٣١٢)، (٢/ ٣٠١).

لفترة محدودة، وترك للأعمال الدنيوية، كي يتفرغ القلب عن هموم الحياة، ثم ذكر الله تعالى، وذلك بإرشاد شيخ عارف بالله، يساعده على دفع الوساوس وهواجس النفس»[١].

وتعتقد صوفية حضرموت أنها بالخلوة تصل إلى الفتوحات وكشف الحقائق؛ وذلك بارتفاع الحجب.

والإسلام بريء من بدع الصوفية التي أحدثوها كالخلوة الصوفية وغيرها[٢]، فلا يشرع سكنى البوادي والجبال، إلا عند الفرار من الفتن، إذا كان المقيم بالمصر يلجأ إليها[٣].

فالخلاف مع القوم ليس في العزلة، وحكمها من حيث الاستحباب أو الجواز، وإنما الخلاف في سبب العزلة، والأعمال التي يقومون بها في خلواتهم المشتملة على البدع والانحرافات، وكذا الثمار التي يرجونها من هذه الخلوات.

النصوص الدالة على تعبد صوفية حضرموت بالخلوة المبتدعة:

يقول محمد بحرق: «وأخبرني الفقيه الفاضل البارع في العلوم الشيخ عفيف الدين عبد الله بن أحمد باكثير (بفتح الكاف وكسر الثاء المثلثة) الحضرمي ثم المكي قال: أدخل الشيخ عبد الله بن أبي بكر ولده الشيخ أبا بكر الخلوة فلما مضى سبعة أيام قال: أخرجوه فإنه بحمد الله لا يحتاج إلى رياضة»[٤].

وجاء في مناقب علي بن أبي بكر السقاف: «وبعد وفاة عمه المحضار

---

(١) حقائق عن التصوف، تأليف: عبد القادر عيسى (ص١٢٨ ـ ١٢٩).

(٢) وقد ألف القوم كتباً في الخلوة منها (كتاب النظم والنثر في آداب الخلوة والذكر) لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العيدروس (ت١١١٢هـ، وقيل: ١١١٣هـ). انظر: الروض الأغن (٢/ ٢٩).

(٣) انظر: الاستقامة، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٦١).

(٤) مواهب القدوس (ص١١)؛ وانظر: جلاء الهم والحزن (ص٣٦).

لازم أخاه الشيخ عبد الله العيدروس وأدخله الخلوة، وأمره بقراءة أسماء الله الحسنى بغير صيام، فما تمت له سبعة أيام إلا وقد ظهر له بكل اسم روحانياً، وسمع قائلاً يقول: يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية أنا روح عمك علي بن السقاف ثم أخرجه من الخلوة وأمره بقراءة إحياء علوم الدين... إلخ.»[(١)].

واتخذ صوفية حضرموت خلوات للعبادة في مساجدهم وزواياهم، فقد جاء في كتاب «الدليل القويم» عند تعداد الخلوات الصوفية في حضرموت: «فمن المعلوم أنها توجد ببعض المساجد خلوات خاصة بالعبادة، منها: خلوة الإمام العيدروس الموجودة بمسجده وهي خاصة بالعبادة، ويقصدها الكثير من الناس للتبرك بها أسوة بمؤسسها، ومن تبعه في التعبد فيها.

وتوجد خلوة بمسجد جرجيس بحافة السحيل، منسوبة هذه الخلوة للشيخ العارف بالله سعد بن علي مدحج، وهي معمورة، وتقصد لقصد التبرك والعبادة فيها كما توجد في نفس المسجد خلوة أخرى تسمى بخلوة الخضر عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من نفس المسجد»[(٢)].

وجاء في كتاب «تذكير الناس»: عند ذكر عبد الله بن حسين بن طاهر وذكر خلوته المعدة للعبادة: «وكانت له خلوة يعين له فيها مجلساً خاصاً، ويحذر أهله وغيرهم من الدخول عليه بغير إذن...»[(٣)].

واعتقد القوم بركة الأربعينية في الخلوة يقول محمد بحرق: «دخلت الأربعينية بزبيد، فما أتممتها إلا وأنا أسمع أعضائي تذكر الله تعالى»[(٤)].

وأكثر القوم من الكلام حول الخلوة، وبيان منزلتها عند الصوفية، وأنها دأب سلفهم[(٥)].

---

(١) المشرع الروي (٢/ ٢١٥).
(٢) الدليل القويم (ص١٨٩) باختصار.
(٣) تذكير الناس (ص٢١٧).
(٤) تاريخ النور السافر (ص١٣٥).
(٥) مواهب القدوس (ص١١، ٤٨)؛ المشرع الروي (١/ ١٩٢)، (٢/ ٣٢).

ومن نصوصهم السابقة يتضح أن الخلوة الصوفية كانت من وسائل الشر، الذي فتحوه على أنفسهم وعلى من اغتر بهم، وذلك لأن انعزالهم عن الناس كان من أسباب إغواء الشيطان لهم وفعل المخالفات الكثيرة باسم العبادة وخصوصاً دعوى حصول الفتوحات الربانية لكبارهم، لا سيما والقوم ـ كما يذكرون ـ يدخلون أولادهم في بداية التعليم إلى تلك الخلوات، مع ما في ذلك من مفاسد يعلمها من تأملها.

ثم إن القوم يشرعون في هذه الخلوات أقوالاً وأعمالاً مبتدعة، كقراءة أسماء الله الحسنى بغير صيام فلِمَ هذه الشروط؟ وتحديد البقاء في الخلوة سبعة أيام لكي يحصل المطلوب والفتح، ووصول الغاية التي ينشدونها، فالتخصيص بسبعة أيام فيه سر لا يجوز إفشاؤه، ولعل ذلك من علم الباطن الذي لا يعرفه إلا الخواص.

ومن استيلاء الشيطان وإغوائه لهم الاعتقاد أنهم بقراءة الأسماء الحسنى تظهر روحانية الشيخ ومخاطبة القارىء وتبشيره بأن نفسه مطمئنة وأن الله رضي عنه، ولا شك أن الشيطان أو جنده هم الذين يخاطبونهم وقد وقع ذلك لمن شاكلهم من الضُلَال الذين استهوتهم الشياطين بهذه البدع وأمثالها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهؤلاء المشركون قد تتمثل لهم الشياطين، وقد تخاطبهم بكلام، وقد تحمل أحدهم في الهواء، وقد تخبره ببعض الأمور الغائبة، وقد تأتيه بنفقة أو طعام أو كسوة أو غير ذلك، كما جرى مثل ذلك لعُبّاد الأصنام من العرب وغير العرب، وهذا كثير موجود في هذا الزمان وغير هذا الزمان للضالين المبتدعين المخالفين للكتاب والسنَّة؛ إما بعبادة غير الله، وإما بعبادة لم يشرعها الله.

وهؤلاء إذا أظهر أحدهم شيئاً خارقاً للعادة لم يخرج عن أن يكون حالاً شيطانياً، أو محالاً بهتانياً، فخواصهم تقترن بهم الشياطين كما يقع لبعض العقلاء منهم، وقد يحصل ذلك لغير هؤلاء لكن لا تقترن بهم الشياطين إلا مع نوع من البدعة؛ إما كفر وإما فسق وإما جهل بالشرع؛ فإن الشيطان قصده

إغواء بحسب قدرته، فإن قدر على أن يجعلهم كفاراً جعلهم كفاراً، وإن لم يقدر إلا على جعلهم فساقاً أو عصاة، وإن لم يقدر إلا على نقص عملهم ودينهم ببدعة يرتكبونها يخالفون بها الشريعة الّتي بعث الله بها رسوله ﷺ، فينتفع منهم بذلك»(١).

فهذه الغاية التي سعوا للوصول إليها وفي الحقيقة أن الذي: «خاطبهم الشياطين بأمر ونهي وكشف يظنونه من جهة الله، وأن الله هو أمرهم ونهاهم، وأنه حصل لهم من المكاشفة ما حصل لأولياء الله المتقين، ويكون ذلك كله من الشياطين، وهم لا يفرقون بين الأحوال الرحمانية والشيطانية؛ لأن الفرق مبني على شهود الفرق من جهة الرب تعالى، وعندهم لا فرق بين الأمور الحادثة كلها من جهة الله تعالى إنما هو مشيئة محضة تناولت الأشياء تناولاً واحداً، فلا يحب شيئاً ولا يبغض شيئاً»(٢).

وافتخر القوم بانتشار الخلوات في كثير من مساجدهم ظناً منهم بذلك قد وصلوا لأعلى مراتب العبادة، وهي في الواقع عبادات بدعية لا يقبلها الله تعالى ولا يرضاها.

بل بلغ بهم الانحراف أن دعوا أن هناك خلوة للخضر عليه السلام في أحد مساجدهم يتعبد فيها إذ هو - بزعمهم - لا زال حياً ولم يمت، وقد تقدم الرد على اعتقادهم هذا في مباحث مصادر التلقي عندهم وأثبتنا موت الخضر عليه السلام كسائر البشر.

وبيّن القوم الهدف من هذه الخلوات التي يسارعون إليها، وهي أن سلفهم كانوا يتعبدون فيها، فهم يقيمون فيها للتبرك.

ويرد عليهم بأنه قد ورد النص بالتبرك بذات الرسول ﷺ وذلك في حياته دون غيره من الخلق، ولا يجوز قياس الصالحين ولا أماكنهم عليه ﷺ، فإن الصحابة وهم أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٨٢).
(٢) المصدر السابق (٨/ ٣٥١).

لنقل، وقد رد أهل العلم على من قال بجواز التبرك بالأولياء والصالحين، يقول العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في رده على بعض شراح الحديث (لا بأس بالتبرك بآثار الصالحين): «وهذا غلط ظاهر، لا يوافقهم عليه أهل العلم والحق، وذلك أنه ما ورد إلا في حق النبي ﷺ، فأبو بكر وعمر وذو النورين عثمان وعلي، وبقية العشرة المبشرين بالجنة، وبقية البدريين، وأهل بيعة الرضوان، ما فعل السلف هذا مع واحد منهم، أفيكون هذا منهم نقصاً في تعظيم الخلفاء التعظيم اللائق بهم؟، أو أنهم لا يلتمسون ما ينفعهم؟. فاقتصارهم على النبي ﷺ يدل على أنه من خصائص النبي ﷺ...»[١] فالقوم وإلى يومنا هذا يتبركون بتقبيل اليد ونحوها والتمسح بها تبركاً وهذا لا يجوز[٢].

وكثير منهم لا يحد للخلوة مكاناً ولا زماناً، بل يأمر الإنسان أن يخلو في الجملة.

وهم ـ كما تقدم ـ على طريق سلفهم من الصوفية كابن عربي وأضرابه الذين ابتدعوا طقوسا لهذه الخلوات المبتدعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه الأرواح الشيطانية هي الروح التي يزعم صاحب الفتوحات أنه ألقى إليه ذلك الكتاب، ولهذا يذكر أنواعاً من الخلوات بطعام معين وشيء معين، هذا مما تفتح لصاحبها اتصالاً بالجن والشياطين»[٣].

كما يؤكد تأثر المتصوفة برهبان النصارى[٤]، فإن الصوفية أهل الانعزال والخمول والبعد عن المشاركة الخيرة في المجتمعات التي يعيشون فيها، بل إنهم مخذولون أينما وجدوا، فهم يوالون أعداء الله تعالى لذا يكرمونهم على صنيعهم[٥].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/١٠٣، ١٠٤).

(٢) انظر: تعليق سماحة الشيخ ابن باز على فتح الباري للحافظ ابن حجر (١١٥٣) رقم (١)، ط جامعة الإمام محمد بن سعود بدون تاريخ. ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) مجموع الفتاوى (١١/٢٣٩).

(٤) انظر: كتاب الأخلاق، د. زكي مبارك (ص٢٥).

(٥) انظر موالاة الصوفية للتتار وترك الجهاد: البداية والنهاية (١٤/٤٥٦).

٣ ـ الفناء عند صوفية حضرموت:

تمهيد: وفيه تعريف الفناء لغة واصطلاحا:

فناء الشيء يراد به عدة معانٍ:

١ ـ موته وهلاكه كقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمٰن: ٢٦ ـ ٢٧].

٢ ـ نفاد المحصول وانتهاؤه سواء كان في المحسوسات أو غيرها: ومنه قول عائشة رضي الله عنها: «توفي رسول الله ﷺ وعندنا شعير، فأكلنا ما شاء الله ثم قلت للجارية: كيليه، فكالته، فلم يلبث أن فني، قالت: فلو كنا تركناه لأكلنا منه أكثر من ذلك»[1].

وأما من غير المحسوسات فمنه قوله ﷺ في وصف أهل الجنة: «من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»[2].

٣ ـ انتشار الشيء وتشتته، ومنه قول جبير بن حية[3]: «بعث عمر في أفناء الأمصار، يقاتلون المشركين...»[4].

٤ ـ والفِناء بكسر الفاء المتسع من الدار، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه: «خرج النبي ﷺ في طائفة النهار، لا يكلمني ولا أكلمه حتى أتى سوق بني قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة... إلخ»[5].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، بابٌ، (ص٤٠٣) برقم. وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٦٤٣٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة، باب في دوام نعيم أهل الجنة وقوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، (ص١١٤٠) برقم (٢٨٣٦).

(٣) هو جبير بن حية بن مسعود الثقفي البصري. روى عن عمر والمغيرة بن شعبة. كان يسكن الطائف، وكان معلم كتاب. ثم قدم العراق، فصار من كتبة الديوان. توفي في خلافة عبد الملك بن مروان. انظر: تهذيب الكمال (١/٤٣٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، (ص٦٠٥) برقم (٣١٥٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، (ص٣٩٩ ـ ٤٠٠) برقم (٢١٢٢).

واصطلاحاً:

وقد كثرت أقوال الصوفية في بيان معنى هذا المصطلح، يقول الكلاباذي في تعريفه: «أن تفنى الحظوظ فلا يكون له شيء من ذلك حظ، ويسقط عنه التمييز، وهو فناء عن الأشياء كلها، شغلاً بما فني به... والبقاء الذي يعقبه هو أن يفنى عما له ويبقى بالله»(١).

وقيل: هو تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية، فكلما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية مقامها، فيكون الحق: سمعه وبصره. وقيل: الفناء سقوط الأوصاف المذمومة. وقيل هو الغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى عليه السلام حين تجلى ربه للجبل فجعله دكّاً، وقيل: الفناء أن لا ترى شيئاً إلا الله، ولا تعلم إلا الله، وتكون ناسياً لنفسك ولكل شيء سوى الله، فعند ذلك يتراءى لك أنه الرب، إذ لا ترى ولا تعلم شيئاً إلا هو، فتعتقد أنه لا شيء إلا هو، فتظن أنك هو، فتقول: أنا الحق، وتقول: ليس في الدار إلا الله، وليس في الوجود إلا الله(٢).

وهذا الاضطراب في معنى الفناء عند الصوفية نظير اضطرابهم في تعريف معنى التصوف، فالبدعة لا تنضبط، وما نتج عنها تابع لها لا ينضبط فلم يميزه أهله عن غيره من البدع.

الفناء من مستلزمات الحب الإلهي عند الصوفية، فبعد السكر يترقى المحب في حبه إلى أن يصل إلى الفناء، هو المسلك الذي عبر منه المتصوفة إلى القول بوحدة الوجود.

وقد سارت صوفية حضرموت على درب سلفها من المتصوفة الذين ابتدعوا ما يسمى بالفناء، والذي يعتبرونه الغاية المقصودة، والتي يرتقون بها إلى أعلى سلم التصوف، وذلك لجهلهم بالتوحيد الذي بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب،

---

(١) التعرف على مذهب التصوف، تأليف: أبي بكر بن محمد الكلاباذي (ص٩٠).

(٢) انظر هذه التعاريف: الرسالة القشيرية (ص٣٦ ـ ٣٧)؛ وعوارف المعارف للسهروردي (٥/ ٢٥٠ ـ ٢٥١). ومعجم المصطلحات الصوفية، لعبد المنعم الحفني (ص١٩٦).

فقد جعل سبحانه السعادة والفوز متوقفة على توحيده، فمن حققه نجا وأفلح، ومن تركه خاب وخسر قال ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة»[١].

فهذه هي حسنة التوحيد، فمن صَدَقَ الله تعالى قولاً وعملاً واعتقاداً، صدقه الله عند موته على ما كان عليه من الاعتقاد الصحيح الذي يحبه الله تعالى ويرضاه، ويكرم الله تعالى عباده الموحدين بكرمه فيدخلهم جنة عرضها السموات والأرض، وينعم عليها بأعظم نعيم وهو النظر إلى وجهه الكريم، نسأل الله من فضله.

ومصطلح الفناء لم يرد في الكتاب والسنَّة ولا عرفه السلف الصالح، بل أنكره العلماء، قال ابن الأعرابي[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع، والفناء، أو يجيب فيهما فاعلم أنه فارغ» قال الذهبي معلقاً: «إي والله. دققوا، وخاضوا في أسرار عظيمة ما معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر إلا مجرد خطرات ووساوس، ما تفوه بعباراتهم صديق، ولا صاحب، ولا إمام من التابعين»[٣].

ويقول الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الفناء، والبقاء من ترهات الصوفية، أطلقه بعضهم، فدخل في بابه كل إلحادي، وكل زنديق، وقالا: ما سوى الله باطل فانٍ، والله تعالى هو الباقي، وهو هذه الكائنات وما ثَمَّ شيء غيره، إلى أن قال: وإنما أراد قدماء الصوفية بالفناء نسيان المخلوقات وتركها، وفناء النفس

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٣٣ ـ ٢٤٧)، ط دار صادر، وأبو داود في سننه: كتاب الجنائز، باب في التلقين، (ص٣٥٣) برقم (٣١١٦)؛ والحاكم في المستدرك (١/ ٣٥١)؛ وفي كتاب الدعاء (١/ ٥٠٠) من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٠٥) برقم (٦٤٧٩). ط٣، ١٤٠٨هـ.

(٢) هو أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم، أبو سعيد الأعرابي البصري الصوفي، نزيل مكة. ولد سنة نيف وأربعين ومئتين قال فيه الذهبي: وقد كان ابن الأعرابي من علماء الصوفية، فتراه لا يقبل شيئاً من اصطلاحات القوم إلا بحجة توفي بمكة سنة ٣٣٤هـ. انظر: السير (١٥/ ٤٠٧ ـ ٤١١).

(٣) السير (١٥/ ٤٠٩ ـ ٤١٠).

عن التشاغل بما سوى الله فلا يسلم إليهم هذا أيضاً، بل أمرنا الله ورسوله بالتشاغل بالمخلوقات، ورؤيتها، والإقبال عليها، وتعظيم خالقها، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]. وقال: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]»[(١)].

والفناء الذي يذكر في كلام الصوفية ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

١ ـ فناء عن وجود السوى: وهذا فناء أهل وحدة الوجود، حيث لا يثبتون لسوى الله تعالى وجوداً، بل وجود جميع المخلوقات عندهم هو عين وجود الحق وهذا مذهب الاتحادية وهو ضلال وكفر.

٢ ـ فناء عن شهود السوى: وهو الذي يقول به أكثر المتصوفة، وهو أن يغيب الفاني عن سوى مشهوده، وهو الاستغراق في توحيد الربوبية، وذلك بملازمة العبادة، والقيام بالأعمال الصالحة، فإنه يفنى عن نفسه وتصير الرسوم عدماً في شهوده، ولكنها لم تعدم في الخارج، وقد يسمى هذا سكراً واصطلاماً ومحواً وجمعاً؛ لأن الفاني يفقد التمييز، كما قال أبو يزيد في هذا المقام: «سبحاني» و«ما في الجبة إلا الله» وغيرها من الكلمات التي لو صدرت عن قائلها وعقله معه لكان كافراً، ولكن مع سقوط التمييز والشعور قد يرفع عنه القلم كما قال أبو مدين:

فلا تلم السكران في حال سكره ... فقد رفع التكليف في سكرنا عنا
وسلم لنا في ما ادعيناه إننا ... إذا غلبت أشواقنا ربما بحنا

٣ ـ فناء عن عبادة ما سوى الله: وهو الفناء المطلوب، وهو فناء الكاملين، حيث يفنى العبد عن إرادة غير الله، ويفنى بمحبة الله عن محبة ما سواه، وكذلك خوفه والتوكل عليه، وهذا محمود مطلوب[(٢)].

ولكن الأولى أن يعبِّر عن ذلك بالتعبير الشرعي حتى لا يتطرق للشخص

---

(١) المصدر السابق (١٥/ ٣٩٣).

(٢) انظر كلام شيخ الإسلام في الفناء في رسالته (قاعدة في الفناء) ضمن مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣٧ ـ ٣٤٣)؛ وانظر: الاستقامة (٢/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

الإيهام، وينبغي البعد عن عبارات الفرق المخالفة لأهل السنة كالصوفية وغيرها.

نصوص صوفية حضرموت الدالة على قولهم بالفناء في شهود السوى:

من أعظم النصوص التي يفتخرون بها ما ذكروه عن مناقب مؤسس الصوفية بحضرموت محمد بن علي العلوي فقد ذكروا «ووردت على الأستاذ واردات وتجليات جليلات ربانيات، أخذته عن نفسه وغاب عن حسه...

ويحكى أنه قيل له وهو في تلك الواردات: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. فقال: ليس لي نفس، فقيل له: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦﴾ [الرحمٰن: ٢٦] فقال: ما أنا عليها، فقيل له:]. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨]. فقال: أنا من نور وجهه، وسمع أعرابياً يقول: هل محمد بن علي هو الله، فقال: أنا الله وخرّ مغشياً عليه، وقال: ما لي حاجة إلى محمد ومحمداه»(١).

وقد ذكر ابن حجر الهيتمي ـ أحد علماء الشافعية ومن المعظمين عند صوفية حضرموت ـ أن من ألفاظ الكفر قول القائل: أنا الله ولو كان مازحاً(٢).

ومن حالات الفناء عند القوم فقدان الشعور وذلك بحصول الغيبة، يقول علي بن أبي بكر السكران عن أحمد بن عبد الرحمٰن العلوي: «وكان الشيخ أحمد رضي الله عنه، تغلب عليه أحوال الغيبة والفناء بالله تعالى عن أحوال الناس وما هم فيه من شواغل وعناء وإحساس واشتغال بربه واستغراقاً بمحبته وذكره، وكان كثيراً ما تجري على لسانه بعد طول سكوت وكثرة صموت هذه الكلمة، أو ما هو قريب من معناها (الله وبس وما سواه هوس)»(٣).

ويقول أبو بكر العيدروس:

«وما كنت ممن يظهر السر إنما عروس هواها في ضميري تجلت

---

(١) المشرع الروي (٢/٩)؛ وشرح العينية (ص١٥٤).
(٢) انظر: الزواجر (ص٤٣).
(٣) البرقة المشيقة (ص٣٩) وانظر حالات من الفناء عندهم المصدر السابق (ص٤١، ٥٣).

فشاهدتها فاستغرقتني فكرة ... فغبت بها عن كل كلي وجملتي

وهذا من بركة معنى معنوي ـ كل شيء هالك إلا وجهه. كل من عليها فان. كل نفس ذائقة الموت ـ سبحان الباقي بعد فناء خلقه والصوفية ماتوا قبل أن يموتوا...»[١].

ويقول عبد الله الحداد: «الفناء عن الكون ـ جملة ـ حال شريف ينازله أهل الله وله معان جليلة ودقيقة والمراد هنا شهود الإنسان لنفسه ولغيره من الكائنات»[٢].

وقال عبد الله العيدروس في قول الشاعر:

فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا ... وأبقوا بالبقاء بقرب ربه

فالأول كما قالوا: فناء صفاته لبقاء صفات الحق، ثم فناؤه عن الحق بشهود الحق، ثم فناؤه بشهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق وهو فناء الذات وهذه حقيقة: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ [الأنعام: ٩١]»[٣].

ويقول عبد الله باسودان مبيناً فناء القوم في شهود الربوبية: «الذي يغيب عن الأكوان بشهود المكون في النهاية فيرى أنه قائم في جميع الأفعال، والأعمال، وحاكم لجميع الأقوال بحول الله وقدرته، ولطفه، وتوفيقه، ولا يشهد له فعلاً، ولا وجوداً، بل هو فان في وجود الحق لكماله معرفة وشهود لاحقه لشهود الأغيار التي هي كل ما سوى الله ماحقة»[٤].

ولهذا الفناء آثار منها ما ذكرها الحداد بقوله: «فصاحب هذا الحال مغلوب بمشاهدته، ومحكوم عليه لا يستطيع خروجاً عن حكم الوارد، فما وقع منه بحاله ذلك وليه وهو حافظه حتى أن الصادق في هذه المواطن لا يلبس

---

(١) الكبريت الأحمر (ص٧٩).

(٢) إتحاف السائل إلى أهم المسائل، للحداد (ص٢٧).

(٣) الكبريت الأحمر (ص٧). وهذه من العبارات التي توحي بالقول بوحدة الوجود، التي يذكرها كبارهم، لا سيما وأن عبد الله العيدروس من المعظمين لابن عربي والمهتمين بكتبه.

(٤) ذخيرة المعادن، لباسودان (ص٨٤).

عليه شيئاً يناقض العبودية، وإن كان ذاك خارج عن عهدة التكاليف؛ لفقد التمييز الذي هي منوطة به»[١].

ويوضح الحداد هذا الحال في ديوانه:

وإن الذي أبدى من القوم ما سبي	له الستر مغلوب بحال قوية
يفارقه التمييز عند ورودها	عليه وإن أخطأ فليس بمعنت
وكم من قريب بعدته عبارة	عن الفهم فاستمسك بحبل الشريعة
وسلم لأهل الله في كل مشكل	لديك لديهم واضح بالأدلة[٢]

ويقول الحامد عن وحدة الشهود عند صوفية حضرموت: «وهم متفقون عليها، وإنما اختلافهم في وحدة الوجود[٣]»[٤].

والفناء من البدع التي قادت بعضهم إلى القول بوحدة الوجود، بل وإصدار العبارات الكفرية والكلمات المنكرة. كما أن من أحوال الفناء فقدان التمييز وذهاب العقل، فكيف تكون تلك حالة الكمل من الناس؟، وأيضاً فإن هذه العبادة محدثة لم يعرفها السلف الصالح الذين هم خير القرون، بل وقعت بعدهم حين ابتعد الناس عن نور الكتاب والسنَّة واتباع الأهواء المضلة.

كما أن الفناء الصوفي من الأمور الدخيلة على الإسلام حيث أخذها المتصوفة من فلسفات أجنبية، فقد تأثروا بالفلسفة الهندية التي تزعم وصول صاحب الفناء إلى الاستعلاء بالصفات البشرية لتزكية الصفات الإلهية في النفس، فهو ليس محواً تاماً كما في النيرفانا[٥] الهندية لشخصية الإنسان، وإنما

---

(١) إتحاف السائل (ص٣٣). (٢) الدر المنظوم (ص١٥٤).

(٣) قد تقدم في مبحث قولهم في الربوبية قول بعض كبارهم بعقيدة وحدة الوجود. انظر (ص٣٢٦) من هذا البحث.

(٤) تاريخ حضرموت (٢/٧٤٦).

(٥) النيرفانا معناها: النجاة، أي نجاة الروح التي ظلت على صلاحها أثناء دورتها التناسخية حتى تتحد بالخالق التي صدرت عنه، وتفنى منه، والنرفانا أو الحصول على النجاة ناتج من التشاؤم الذي يسود الفلسفات الهندية، والنرفانا من أسمى أهداف الحياة عند الهندوس والبوذيين. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٢/٥٧)؛ دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، تأليف: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي (ص٦٣٠)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، مكتبة الرشد ـ الرياض.

هو فناء يعقبه بقاء، أو محو يعقبه صحو[١].

وكلام القوم في الفناء وأنواعه والخوض في مصطلحات غريبة، عبارة عن رموز المتصوفة وترهاتهم التي للمتصوفة ملأوا بها كتبهم فأضاعوا أوقاتهم بما يضرهم ولا ينفعهم، والله المستعان.

وكذلك فقد قرر القوم الفناء الصوفي في أكثر كتبهم وخاضوا في الكلام عنه بعبارات فلسفية دخيلة، ودعوا الناس إليه لأن ذلك بزعمهم من حالات العارفين، ومنازل أهل المحبة[٢].

وقد أوصل الفناءُ القومَ إلى ادعاء صفات الرب تعالى، يقول أبو بكر بن سالم العلوي:

أنا حتف لأهل العذل ... ونار الجحيم أطفيها
أنا اعزل أنا اللي ولي ... أنا شيخها قاضيها
وعين الحقيقة عيني ... وأشرب من كاسيها
أنا عرشها والكرسي ... أنا للسماء بانيها[٣]

وهذا الضلال يبدو أن قائله لم يكن في حالة سكر وإنما قاله في حالة وعي؛ وذلك لنظم الأبيات وترتيبها، ثم إن ديوانه مليء بمثل هذه الطامات[٤].

فأمر هذا حاله من فقد العقل والتمييز كيف يركن إليه؟ وكيف للمؤمن الصادق أن يضيع وقته بهذا الفناء الذي لا ينفع، بل يضر بصاحبه، وهو من تسويل الشيطان لهم، فلم يعرف السلف الصالح هذه العبادة المحدثة، فينبغي للمؤمن أن يحافظ على عقله مما يضره ويشغل نفسه بطاعة الله تعالى وفق منهج نبيه ﷺ.

---

(١) الصوفية معتقداً ومسلكاً، تأليف: د. صابر طعيمة (ص٧٣ ـ ٧٤).
(٢) انظر: النفحة المدنية: ق٧؛ والمشرع الروي (٢/ ١٠)؛ ومجلة أنوار التلاقي (ص١٦)، العدد الثامن والعشرون، الصادر في جمادى الأول، ١٤٢٣هـ.
(٣) قصيدة أبي بكر بن سالم الهائية ضمن مولد الديبيعي (ص٩٢).
(٤) انظر بعض هذه الطامات في ديوانه (ص٨، ١١، ٢٠، ٥٤، ٦٣، ٧٤، ٧٩، ٨٢، ٨٥).

٤ ـ التحكيم والتلقين والإلباس عند صوفية حضرموت:

من البدع التي يمارسها متصوفة حضرموت: بدع التلقين والإلباس والتحكيم، حيث أضفوا على هذه الطقوس الصبغة الشرعية، وتمسكوا بهذا الموروث من الأسلاف ورأوه من القرب التي لا يمكن تركها.

ويعرف القوم التحكيم أنه: «الطريقة لأخذ العهد من المريد لأستاذه، وهو أن يتطهر الأستاذ ويأمر المريد من الحدث والخبث؛ ليتهيأ لقبول ما يلقيه عليه ويتوجه إلى الله ويسأله القبول لهما، ويتوسل إليه في ذلك بمحمد عليه الصلاة والسلام؛ لأنه الواسطة بينه وبين خلقه[1]، ويضع يده اليمنى على يد المريد اليمنى بأن يضع راحته، ويقبض إبهامه بأصبعه ويقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم (ويقرأ الفاتحة) ثم يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٣]، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [النساء: ١٣١]: أوصيكم وإياي بتقوى الله ويقول المريد مثل ما قال ثم يقول: قل اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبيائك ورسلك وأوليائك أني قد قبلته شيخاً في الله، ومرشداً وداعياً ويقول الشيخ اللهم إني أشهدك... أني قد قبلته ولداً في الله فاقبله وأقبل عليه، وكن له ولا تكن عليه، وانظر بعين عنايتك إليه ثم يقول: الله على ما نقول وكيل: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]»[2].

وجاء في كتاب التعرف على التصوف: «وكان الشيخ عبد الله بن أبي بكر

---

(١) تقدم عدم جواز هذا النوع من التوسل في مبحث قولهم في التوسل.

(٢) التعرف على التصوف (٥٧). وانظر صفات التحكيم أيضا: الجزء اللطيف في التحكيم الشريف (ص١١ ـ ١٢).

العيدروس إذا أخذ العهد يأمر المريد بالتوبة والاستغفار وأن يقول في ضمن ما يلقنه: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، ورضيت بك شيخاً وواسطة إلى الله ثم يقول مذهبنا في الفروع مذهب الشافعي، وفي الأصول مذهب أبي الحسن. وطريقتنا طريقة الصوفية»[١].

وهناك طريقة أخرى غير التحكيم لاتصال المريد روحياً بأستاذه وارتباطه به وهي طريقة الإلباس ـ للخرقة الشريفة ـ والمعتبر في لبس الخرقة كثرة المشايخ لتكثر أنوار الحق في الطريقة، فكلما ازدادت الأنوار في الطريقة انجابت الظلمة فيسهل السلوك، بعد الأخذ على المريد بأن يتخذ الشيخ الفلاني شيخاً له يلتزم بأوامره وينتهي بنواهيه[٢].

ومن البدع التي يفعلونها حلق الرأس عند التحكيم[٣].

كما ادعى القوم ذهاب محبة الدنيا من قلوب المريدين بالتحكيم، لغرض التعلق بهم، يقول بعضهم عن تحكيم السقاف لبعض المريدين: «وأخبرني بعض من لبس الخرقة أن الشيخ لما حكمه أذهب الله من قلبه محبة الدنيا وكان حريصاً عليها وأزال عنه صفات مذمومة كان يعرفها من نفسه وتبدلت بصفات محمودة في الحال»[٤].

وادّعوا أن التحكيم يقع لأوليائهم من ست أيدي، ولا يحكم الشيخ حتى يناديه الله تعالى ويأمر بذلك وكذا حضور الأنبياء والأولياء عند التحكيم[٥].

ويقول عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه في رشفاته:

والأخذ في التلقين والإلباس في	عهد وصل سلاسل السلسال
بطرائق مشهورة فاقت على العشـ	ـرين قد عرفت بخير نوال

---

(١) التعرف على التصوف (ص٥٧ ـ ٥٨). انظر بدعة التحكيم في مؤلفاتهم: البرقة المشيقة (ص٢٤، ٣٢، ٣٥، ٤٦) المشرع الروي (٢/ ٢٦، ٣٢، ٤٢، ٥٥، ٥٧، ٧٨، ١٥٠).

(٢) المشرع الروي (٢/ ٩٢).

(٣) الجوهر الشفاف (٢/ ١٣٤)؛ الحكاية (٣٨٢).

(٤) مواهب القدوس (ص٤١).

(٥) الجزء اللطيف (ص١٦).

والإذن في الإرشاد والتحكيم والتد ريس والتقوى لكل سؤال[١]

والتلقين: هو تلقين المريدين أذكاراً معينة ابتدعها لهم شيوخهم يتعبدون الله بها ليلاً ونهاراً دون الرجوع إلى الشرع المطهر.

والخرقة هي: اسم لكل ما يلبس من الثياب كالقلنسوة والعمامة والقميص والقباء والرداء والطيلسان والإزار وطريقة لبسها أن يتطهر الأستاذ والمريد ثم توضع الخرقة بين يديهما، ويقرأ الفاتحة ويلبسها الشيخ للمريد قائلاً: ألبسها لك كما ألبسني شيخي فلان كما ألبسه إياها شيخه فلان إلى آخر السلسلة، وإذا لبس مريد من شيخ لبساً مطلقاً ساغ له أن يلبس غيره وإن لم يأذن له في الإلباس[٢].

وذكروا أن المشايخ الذين تنسب إليهم الخرقة الصرفية في جميع أقطار الأرض خمسة وهم: الشيخ عبد القادر الجيلاني، وعمر بن محمد البكري السهروردي، وأحمد بن أبي الحسن الرفاعي، وأبو إسحاق إبراهيم الكازروني، والشيخ أبو مدين المغربي وأشهرها خرقة الشيخ أبي مدين وإليه تنتهي خرقة العلويين وآل العمودي كما ذكروا أن جميع طرق الخرقة وإن تشعبت تعود إلى الإمام أبي القاسم الجنيد.

وإليك أحد النماذج من تسلسل هذا التحكيم فيما يرويه الإمام محمد بن علي بن علوي بن محمد بن عبد الرحمٰن بن الشيخ المربي الرباني الشيخ عبد الله بن الشيخ علوي بن الفقيه محمد بن علي حكمني الشيخ الإمام القطب الكبير الكامل علي بن الشيخ أبي بكر بن الشيخ السقاف عبد الرحمٰن بن محمد بن علي وقرض من شعري بالمقراض[٣] في أوان صغري وسن تمييزي وأذن لي وحكمني، وألبسني الخرقة ولده الشيخ الولي عبد الرحمٰن بن علي

---

(١) رفع الأستار (ص٣٥).

(٢) التعرف على التصوف (ص٥٨) وانظر: عوارف المعارف، للسهروردي (ص٩٢). مكتبة القاهرة، ط ١٣٩٣هـ.

(٣) أي المقص.

وأخذت عنه يد التحكيم بجميع أنواعه وأحكامه وآداب إلباس الخرقة وتوابعه بجميع نعوته الموصوفة المعروفة، بجميع صفاته وطرقه المشهورة، وأيديهما المباركة المشكورة ونسبتها المسلسلة المذكورة، كما ألبسه والده الشيخ علي وعمه الشيخ العيدروس عبد الله بن أبي بكر، كما ألبسها والدهما: الشيخ أبو بكر، وعمهما: الشيخ عمر بن الشيخ عبد الرحمٰن كما ألبسهما والدهما الشيخ عمر بن الشيخ عبد الرحمٰن كما ألبسه والده الشيخ محمد بن علي مولى الدويلة، كما ألبسه والده الشيخ: علي وعمه الشيخ عبد الله أبناء الشيخ علوي، كما ألبسهما والدهما الشيخ الكبير: علوي كما ألبسه والده الفقيه محمد (مقدم التربة) كما ألبسه الشيخ علوي ووالده الشيخ علي كما ألبسهما والدهما الشيخ الفقيه محمد بن علي عرف (صاحب مرباط)، كما ألبسه والده الشيخ الكبير: نور الدين علي بن علوي (خالع قسم) كما ألبسه والده الشيخ: علوي كما ألبسه والده الشيخ محمد كما ألبسه والده علوي بن عبيد الله كما ألبسه والده الشيخ عبيد الله، كما ألبسه والده الشيخ أحمد بن عيسى، كما ألبسه والده الشيخ عيسى، كما ألبسه والده الشيخ محمد بن علي كما ألبسه الشيخ علي بن جعفر كما ألبسه والده الشيخ الإمام جعفر الصادق، كما ألبسه والده الشيخ محمد الباقر، كما ألبسه والده الشيخ زين العابدين علي بن الحسين، كما ألبسه والده الشيخ علي بن أبي طالب، وهو لبس من يد رسول الله ﷺ رسول رب العالمين بواسطة الروح الآمين والحمد لله رب العالمين»[١].

وادعى القوم أن الخرقة الصوفية تنقسم في سائر الأقطار إلى خمس خرق وذكروا أحاديث لا تصح في ذلك[٢].

ويعظم القوم الخرقة الصوفية لما لها من فضل عندهم، يقول علوي الحداد: «ومن فضل الله ألبسني بعض السادة القادرية من أهل السياحة اسمه نور وكان ملامتي الطريقة وقال لي: الإلباس من الحبيب عبد الله الحداد ومن

---

(١) الغرر (ص٥٩٨).

(٢) مواهب القدوس (ص٥٣). وانظر: تاريخ النور السافر (ص٨٣).

ابنه زين العابدين فرأيت النبي ﷺ في المنام بعد الإلباس ناولني ذلك الإلباس وقال لي: هو منالك، لا من الحبيب عبد الله ولا من ابنه زين وطبقه وأعطانيه ففرحت بذلك حيث بدت إشارات فيه لم نذكرها هنا»[١].

وجاء في كتاب «البرقة المشيقة» عند ذكر فضائل لبس الخرقة الشريفة ـ بزعمهم ـ وأنها: «من أعظم أسباب السعادات، وأجل القرب والوسيلات في دفع المضرات العاجلة والآجلة، وجلب المنافع العاجلة والآجلة»[٢].

الأوراد والأذكار والأدعية والصلوات البدعية عند صوفية حضرموت

تمهيد:

إذا نظرنا إلى واقع المسلمين لا سيما البلدان التي خيمت فيها البدع، وانتشرت بسببها الفرق والطوائف، كطائفة الصوفية، نلاحظ التعلق الشديد بالبدع، فقد أشربت قلوبهم بمحبتها، حتى جعلوا لها منزلة تضاهي منزلة العلوم الشرعية، ففي بلاد حضرموت لقيت بضاعة التصوف الفاسد رواجاً، فظلت مسيطرة على المكانة الدينية في المجتمع مدة من الزمن فنشرت خلالها الجهل والبدع التي لا تزال آثاره السلبية باقية إلى يومنا هذا.

الذكر أفضل العبادات التي أمر الله تعالى بها في كتابه فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢]

وعلى المسلم الالتزام في الذكر بما حدده الشرع، وبهدي رسول الله ﷺ؛ لأن الذاكر وإن كان مخلصاً في عمله، فلا بد أن يرافق ذلك اتباع النبي ﷺ لأن ذلك شرط في قبول العمل، كما ـ تقدم ـ لقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[٣].

والذكر من أجلّ العبادات، والعبادات توقيفية لا مجال للاجتهاد أو الرأي فيها، والواجب الاقتداء برسول الله ﷺ، والحذر من تشريع أذكار

---

(١) الرسالة النافعة (ص٤). (٢) البرقة المشيقة (ص٢٧).

(٣) تقدم تخريج الروايتين (ص٨١٤) من هذا البحث.

وأدعية لم يدل عليها الشرع، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١].

قال العلامة عبد الرحمٰن السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «﴿شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ من الشرك والبدع وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، ونحو ذلك مما اقتضته أهواءهم.

مع أن الدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد، ويتقربوا به إليه.

فالأصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئاً ما جاء عن الله ولا عن رسوله»[(١)].

ولا يجوز الاستحسان في إحداث عبادات وأذكار لم يرد بها الدليل، ولا يجوز كذلك للشخص أن يتبع شيخه في إحداث أذكار مبتدعة، وإلا كان مبتدعاً في دين الله تعالى يلحقه الذم، ويُرَدّ عليه عمله؛ لأن استحسانه ومتابعته ليس دليلاً على مشروعية العبادة المبتدعة، بل على الإنسان أن يتعبد الله بما جاء في كتاب الله تعالى، وفي سنَّة رسوله ﷺ ففيهما الغنية عن ما سواهما.

وقد شرع الله تعالى للمسلم أذكاراً يتعبد الله تعالى بها، وهذه الأذكار جاءت في الكتاب والسنَّة، ولا يجوز للمسلم أن يحدث أذكاراً من تلقاء نفسه ليعمل بها، ويكون الأمر أشد خطراً حين ينشرها هؤلاء المبتدعة بين الناس، فيتلقاها الناس على علاتها، ويتعبدون الله بضلالاتها، وقد قال ﷺ: «من سن في الإسلام سنة سيئة فعليها وزرها، وأوزار من تبعه إلى يوم القيامة، لا ينقص من أوزارهم شيئاً»[(٢)].

ابتدع شيوخ صوفية حضرموت أذكاراً كثيرة وألفوا في ذلك المؤلفات المطولة والمختصرة، بما يسمى عندهم الرواتب مثل: راتب الحداد، وراتب

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٧٠٣).

(٢) جزء من حديث فيه قصة أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، (ص٣٩٢) برقم (١٠١٧).

العطاس وغيرهما، بل وشرحت هذه الرواتب، ونشرت في كثير من المساجد ولا تزال هذه الأذكار تردد في كثير من مساجد المحافظات الجنوبية من اليمن، وكذا في البلدان التي وصلتها صوفية حضرموت، وكان لها فيها نفوذ: كبلاد الهند، وبلدان جنوب شرق آسيا، وشرق أفريقيا، بل وشرع القوم أقوالاً وأفعالاً كثيرة في مناسبات مختلفة.

وللذكر الشرعي فضائل كثيرة جاءت النصوص ببيانها لو لم يكن إلا قوله تعالى كما في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[١].

ومنها قوله ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»[٢].

وقوله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى. قال: «ذكر الله تعالى»[٣].

وفي سبيل ترسيخ البدع ونشرها من قبل صوفية حضرموت نجد أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾، (ص١٤٣٠) برقم (٧٥٠٤، ٧٥٠٥)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، (ص١٠٧٥) برقم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ﷻ، (ص١٢٣٠) برقم (٦٤٠٧) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، (ص٣٠٧) برقم (٧٧٩).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢١١/١)؛ وأحمد في المسند (٤٤٧/٦)؛ والترمذي في سننه: كتاب الدعوات، باب منه، (ص٥٣٥) برقم (٣٣٧٧)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب الأدب، باب فضل الذكر، (ص٤٠٥) برقم (٣٧٩٠). انظر: تخريج الكلم الطيب، للأرناؤوط (ص٢٧).

مشايخهم قد جعلوا أحزاباً وأوراداً يتعبدون الله بها، دون رجوع إلى الأوراد والأذكار المشروعة التي أغنى الله تعالى بها عباده المؤمنين، فابتدع القوم بدع الأوراد والأذكار والصلوات، فسار عليها الأتباع في مناطق مختلفة، وطبقوها بكل ما تحمله هذه الأدعية والأذكار والأوراد من ألفاظ شركية وبدعية، بل والقول بوحدة الوجود والحلول وغير ذلك من الألفاظ المنكرة التي يتحمل مشرعوها وناشروها وزرها ووزر من تبعهم عليها إلى يوم القيامة.

ومذهب أهل السنَّة والجماعة في الأوراد والأذكار أن يدعو المسلم بما شاء من أنواع الأذكار ـ في غير المواضع التي حدد الشرع فيها أدعية معينة بألفاظ مخصوصة أو في أوقات مخصوصة ـ وسواء كانت هذه الأدعية والأذكار في الكتاب والسنَّة أم لا، بشرط أن لا يكون فيها محذور شرعي، والأفضل للداعي أن يدعو بالأدعية والأذكار الشرعية التي جاءت في الكتاب والسنَّة؛ لما لذلك من الأجر العظيم، وما احتوته من جوامع الكلم وغزارة المعاني التي يرجى من الله إجابة الدعاء بها.

وأما ما يفعله المتصوفة من اتخاذ أذكار وأدعية معينة في أوقات مخصوصة بأعداد محددة، واعتقاد فضيلتها فهذا من البدع التي تضاد الشرع لقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وكذلك فإن الأوراد المبتدعة التي سنَّها المتصوفة من الأمور المحرمة التي بيَّن أهل العلم قبحها، يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله في كلام له في ذلك: «ثم إن من أقبح الأشياء قولهم إن الصوفية ينفردون بسنن؛ لأنها إن كانت منسوبة إلى الشرع فالمسلمون كلهم سواء، والفقهاء أعرف بها، فما وجه انفراد الصوفية بها؟ وإن كانت بآرائهم فإنما انفردوا بها لأنهم اخترعوها»[(١)].

وقد وضعوا لهذه الأذكار والصلوات آداباً ألزموا بها المريدين وجهلة الناس، مما شغلهم عن تعلم كتاب ربهم وتلاوته ومعرفة بسنة نبيهم ﷺ.

---

(١) تلبيس إبليس (١/٢١٦).

نماذج من الأذكار والأدعية والصلوات المبتدعة عند صوفية حضرموت:

هناك أذكار وأدعية وصلوات مبتدعة عند صوفية حضرموت، وهي كثيرة جداً نذكر منها نماذج ليتبيّن انحراف القوم عن التزام الذكر المشروع.

يقول علي بن أبي بكر السكران: «ومما ينبغي الاعتناء به ذكر الله لا إله إلا الله سبعين ألف مرة لشراء نفسه من الله ولمن أراد»[(١)].

يقول أبو بكر الحبشي عن شيخه أحمد بن حسن العطاس: «وكان سيدي رضي الله عنه إذا أكمل ورد الليل، وأحضرت القهوة بين يديه يقول (الفاتحة) لمشائخ القهوة البنية، ومن شربها بِنِيَّة من صالحي الصوفية، أن يتغشاهم الله بالرحمة والمغفرة، وأن الله بجاههم عليه يبلغنا كل أُمنِية، ويحفظنا من كل أذية، ويسهل أرزاقنا الحسية والمعنوية، وجميع البلدان الإسلامية، ويصلح العمل والنية، والعافية والذرية بجاه نبينا محمد خير البرية ﷺ»[(٢)].

وجاء في كتاب «مجموع من كلام الحبيب علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب»: «قال الحبيب أحمد بن حسن العطاس: كنت ذات مرة وأنا بمكة، فاسترق علينا حلي حق زوجتي، فألهمنا الله أن أرتب الفاتحة ويس لسيدنا العدني بنية أن الله يرد السرقة قال: فبعد أيام ألا وظهر السرقة ببركة العدني»[(٣)].

ويكثر القوم من قراءة الفاتحة على روح الأموات فقد جاء في كتاب «وسيلة العباد»: «الفاتحة إلى روح سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، وأصولهم، وفروعهم، وكافة سادتنا آل أبي علوي إن الله يعلي درجاتهم، وينفعنا بأسرارهم وأنوارهم في الدنيا والآخرة»[(٤)].

---

(١) كتاب النيات: لعلي بن أبي بكر السكران (ص٩٦).

(٢) تذكير الناس (ص١١٨). سؤال الله عز وجل بجاه نبيه ﷺ أو بجاه غيره من الأولياء بدعة محدثة ـ وقد تقدم ذلك في مبحث قولهم في التوسل (ص٤٦٩) من هذا البحث.

(٣) مجموع من كلام الحبيب علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب (ص٢٤٢).

(٤) كتاب وسيلة العباد إلى زاد المعاد (ص١٠٨) ط١، ١٣٤٥هـ.

وقال أيضا: «الفاتحة إلى أرواح سادتنا الصوفية أينما كانوا وحلت أرواحهم»[١].

و«عندما سئل الحداد عن الذكر بيا هو يا هو. قال: وأما الذكر بـ«يا هو يا هو» فلا ينبغي إلا للمستغرقين، كما قال الشيخ زروق[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ إلا إذا وقع في كلام أهل التحقيق، والإنسان فيه يتبع غير مبدع ولا مبتدع»[٣].

ومن الأذكار التي ابتدعها القوم ما ذكروه عن عبد الله الحداد: «ومما كان يوصي به بعد كل فريضة: لا إله إلا الله (أربعين مرة)، الله الله (إحدى وعشرين مرة)»[٤].

كما قرر القوم قراءة الفاتحة بطريقتهم المخالفة بقولهم: «الكلام فيها وفي ترتيبها طويل ولكننا نوجزه في هذه العجالة، الفاتحة مكونة من عدة أعمال خيرية بعضها متفق عليها وبعضها جائزة على الأصح عند جمهور المحققين، فالفاتحة تشتمل على توسل بالأعمال الصالحة فقال مثلاً: الفاتحة أن الله يتقبل الصلاة، الفاتحة أن الله يغفر لنا ولوالدينا الفاتحة أن الله يغيث المسلمين ويرحم المسلمين ونحو ذلك من الدعوات فهذا توسل بالفاتحة وهو توسل بعمل صالح فلا خلاف في جواز ذلك العمل.. إلخ»[٥].

وقد ردّ أهل العلم على الصوفية في أذكارهم المبتدعة، ومنها ذكرهم الله تعالى بالاسم المضمر (هو) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كلام له في ذلك: «وإنما الغرض هنا أن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان كلاماً تاماً

---

(١) كتاب وسيلة العباد إلى زاد المعاد (ص١٠٨). وانظر: الأمر بقراءة الفاتحة عند شرب القهوة وفي غيرها من المناسبات: تاريخ النور السافر (ص١٩٦)؛ وتذكير الناس (ص١١٩).

(٢) هو أحمد بن أحمد البرسلي المشهور بزروق، من شيوخ الصوفية بالمغرب، ولد بفاس سنة ٨٤٦هـ. من تصانيفه: شرح الحكم العطائية، وخواص حزب البحر الشاذلي، وقواعد التصوف وغيرها وتوفي بطرابلس الغرب سنة ٨٩٩هـ. انظر: معجم المؤلفين (١/ ٩٨).

(٣) إتحاف السائل (ص٣٣).

(٤) كتاب وسيلة العباد إلى زاد المعاد (ص١٣٣).

(٥) مجلة أنوار التلاقي (ص١١)، العدد: ١٢، شوال ـ ١٤٢٠هـ.

مفيداً، مثل: لا إله إلا الله، ومثل: الله أكبر، ومثل: سبحان الله، والحمد لله، ومثل: لا حول ولا قوة إلا بالله، ومثل: تبارك اسم ربك، تبارك الذي بيده الملك، سبح لله ما في السماوات والأرض، تبارك الذي نزل الفرقان، فأما الاسم المفرد مظهراً مثل: الله الله، أو مضمراً مثل: هو هو، فهذا ليس بمشروع في كتاب، ولا سُنَّة، ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضُلَّال المتأخرين إلى أن قال: وربما غلا بعضهم في ذلك حتى يجعلوا ذكر الاسم المفرد للخاصة، وذكر الكلمة التامة للعامة. وربما قال بعضهم: لا إله إلا الله للمؤمنين، والله للعارفين، وهو للمحققين، وربما اقتصر أحدهم في خلوته أو في جماعته على: الله الله، أو على هو، أو يا هو، أو لا هو إلا هو، وربما ذكر بعض المصنفين في الطريق تعظيم ذلك واستدل عليه تارة بوجد، وتارة برأي، وتارة بنقل مكذوب... إلخ»[(١)]، ويقول أيضا: «وأما ذكر الاسم المفرد، فبدعة لم يشرع، وليس هو بكلام يعقل، ولا فيه إيمان إلى أن قال: ومن العجب أن الصوفية يقولون: ذكر العامة «لا إله إلا الله وذكر الخاصة «الله، الله»، وذكر خاصة الخاصة «هو هو». وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل الكلام بعد القرآن، وهن من القرآن، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» وفي حديث آخر: «أفضل الذكر لا إله إلا الله»[(٢)]»[(٣)].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله في رد قول الصوفية أن: «الذكر بالاسم المفرد وهو الله الله أفضل من الذكر بالجملة المركبة، كقوله: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وهذا فاسد مبني على فاسد فإن الذكر

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٦ ـ ٥٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الدعاء، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، (ص٥٣٥) برقم (٣٣٨٣)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، (ص٤٠٦) برقم (٣٨٠٠)؛ وابن حبان في صحيحه (٢/١٠٤) برقم (٨٤٣)؛ والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٣)؛ والحديث حسنه الشيخ الألباني رحمه الله. انظر: صحيح الجامع برقم (١١٠٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٣٩٦).

بالاسم المفرد غير مشروع أصلاً ولا مفيد شيئاً ولا هو كلام أصلاً ولا يدل على مدح ولا تعظيم ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب ولا يدخل به الذاكر في عقد الإسلام جملة فلو قال الكافر الله الله من أول عمره إلى آخره لم يصر بذلك مسلماً؛ فضلاً عن أن يكون من جملة الذكر أو يكون أفضل الأذكار وبالغ بعضهم في ذلك حتى قال: الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بالاسم الظاهر، فالذكر بقوله هو هو بالاسم المضمر أفضل من الذكر بقولهم: الله الله كل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع من الضلالات فهذا فساد هذا البناء الهائر»(١).

وادعى القوم تلقي الأذكار من الموتى، يقول أحمد بن حسن العطاس: «ورأيت الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي بحريضة، فوق قبة الحبيب حسين بن عمر العطاس، فقلت له: هل في هذه التربة معذب؟ قال: لا، وقال لي اجعل المعوذتين من أورادك، فجعلتها من أورادي كل يوم مائة مرة»(٢).

ومن آثار الحضارمة نشر الأذكار البدعية بين الناس ورفع الصوت بها في المجالس والمناسبات فقد ذكر القوم وفاة محمد بن عبد الله الهدار صاحب الرباط في البيضاء ـ إحدى مدن اليمن ـ والذي توفي بمكة: «وشاء الله وفاته في مساء يوم الاثنين من ربيع الثاني عام ١٤١٨هـ، وذعر الناس بالخبر، واجتمع لتشييعه خلق كثير، وجهر المشيعون أصواتهم بالذكر في جنازته حتى مثواه الأخير(٣) بالمعلاة، وأقيم عليه بمكة، والبيضاء، وحضرموت، وعدن وغيرها ختم الدرس والعزاء»(٤).

ويقول عمر بن علوي الكاف: «ومن أوليات آل الخطيب ومحدثاتهم

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩). (٢) تذكير الناس (ص٢٣٠).

(٣) لا يجوز إطلاق هذه العبارة على من مات؛ لأن القبر ليس المثوى الأخير، وإنما المثوى الأخير إما الجنة أو النار، ويخشى أن هذه العبارة دخلت على الناس من قبل الملاحدة الذين لا يؤمنون باليوم الآخر وإنما القبر آخر شيء عندهم. انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (٣/ ١٣٣).

(٤) قبسات النور (ص٢٣١).

بتريم، ما رتبه الشيخ إبراهيم بن علي بن أبي المكارم محمد الخطيب بعد ختم القرآن: قراءة الفاتحة، وأول البقرة إلى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة: ٥]. ثم: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣]. وآية الكرسي، ثم: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤]. إلى آخر السورة، كما هو العمل عليه الآن، وأنه هو الذي أنشأ الخطبة المسماة خطبة التوحيد، التي تقرأ في مساجد تريم في شهر رمضان، ليالي الختوم في المساجد عقب صلاة التراويح والوتر»[(١)].

وذكر القوم أن من أذكار الحداد بعد كل صلاة مكتوبة «سورة الإخلاص عشراً أو إحدى عشرة مرة، وكان يقول عند المصافحة بعد الصبح والعصر والجمعة: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[(٢)].

ومن بدع القوم القراءة على الميت، نقل الشلي عن وفاة أحد العلويين: «وانتقل قبل العصر وشكوا في موته، فبيتوه في داره وبات الناس يقرأون عليه»[(٣)].

ومن الأدعية والأذكار المبتدعة ما يسمى بدعاء التراويح حتى ألَّف القوم مؤلفاً جمعوا فيه دعاء التراويح لأحمد بن حسن العطاس حيث يُقرأ في رمضان عقب صلاة التراويح[(٤)].

ومن الأدعية التي شرعها أحمد العطاس للناس بعد صلاة التراويح: «اللهم بحق فاطمة وأبيها، وبعلها وبنيها أقبل دعاءنا ولا تخيب رجاءنا... إلخ»[(٥)].

---

(١) الخبايا في الزوايا (ص١٣٨ ـ ١٣٩).
(٢) كتاب وسيلة العباد إلى زاد المعاد (ص١٣٦).
(٣) المشرع الروي (٢/ ٢٣). انظر: بدع القراءة عند الاحتضار: المشرع الروي (١/ ١٨٧).
(٤) انظر: مقدمة (دعاء التراويح لأحمد بن حسن العطاس)، قام بطبعه حفيده أحمد بن علي بن سالم بن أحمد العطاس، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٩هـ.
(٥) المصدر السابق (ص٩).

وهناك أدعية بدعية يزعمون أن من دعا بها نُوِّر بصرُه، يقول علوي الحداد عند ذكره لبعض الأدعية البدعية التي يقرأها القوم: «اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نور بصري وبصيرتي وسريرتي وقد جرب أن هذا الدعاء ينور البصر عند الاكتحال»[(١)].

وهناك بدع التهليل والتسبيح للأموات، يقول الشلي: «وكان الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ يجمع جماعة يسبحون ألف تسبيحه يهديها لبعض الأموات، ويهللون سبعين ألف تهليلة يهديها لبعضهم»[(٢)].

وهناك أذكار معينة يسمونها تحصين وقد ذكر العيدروس عن ذكر مبتدع بأنه ذكر جربه أهل الكشف والتنوير فنفعهم[(٣)].

وقد كثرت الأدعية البدعية والشركية التي شحن القوم بها كتبهم، وروجوها بين العامة والجهال ولا تزال آثارها باقية إلى يومنا هذا، ومن تلك الأدعية والأذكار ما سنه مشايخهم من قراءة سور من القرآن عند غرس الأشجار يقول الشلي عن عبد الرحمٰن السقاف (ت٨١٩هـ): «وكان يقرأ يس عند كل نخلة، ولما غرس نخله الكبير المشهور بباحبيشي حضر غرسه وقرأ عند غرس كل ودى[(٤)] يس»[(٥)].

وهناك دعاء طويل جداً يسمى دعاء الفجر وهو: اللهم إني أسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي... إلخ[(٦)].

ومن الأوراد أيضاً: ورد أبي بكر بن سالم العلوي[(٧)]، والورد اللطيف للحداد، وكذلك راتبه[(٨)]، وورد أبي بكر بن عبد الرحمٰن السقاف[(٩)]، وحزب

---

(١) مصباح الأنام (ص٦٢).
(٢) المشرع الروي (٢/ ٢٢).
(٣) مواهب القدوس (ص٥٧).
(٤) كذا في الأصل.
(٥) المشرع الروي (٢/ ١٤٢). انظر: أذكارهم البدعية: تاريخ النور السافر (ص٦٠)؛ وجعلهم الشعر سبباً للفرج من الشدة عند قراءته: تاريخ النور السافر (ص٣٢٧)؛ وذكرهم لشعر يقرأ على المصروع فيفيق: المصدر السابق (ص٣٩٤).
(٦) خلاصة المدد النبوي (ص٦٦ ـ ٧٠).
(٧) المصدر السابق (ص٦٣).
(٨) المصدر السابق (ص٨٤ ـ ٩٢)، (١٤١ ـ ١٥٠).
(٩) المصدر السابق (ص١٠٠ ـ ١٠٣).

النصر للحداد[١]، وراتب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس[٢]، وقراءة حزب البحر لأبي الحسن الشاذلي[٣].

وقراءة سورة الواقعة بعد صلاة العصر، وقراءة أذكار معينة بعدها[٤]، وهناك ما يسمى بالصلاة التاجية لأبي بكر بن سالم العلوي وهي عبارة عن صلوات مبتدعة على النبي ﷺ[٥].

وهناك كتيب بعنوان (عزيز المنال وفتح باب الوصال راتب سيدنا العلم النبراس القطب الرباني طيب الأنفاس الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس) وذكروا أن: «من خواص هذا الراتب العظيمة: أنه يطول العمر ويحسن الخاتمة لمن واظب عليه صباحاً ومساءً، وللحفظ من كل آفة براً وبحراً وينفع جداً لمن قرأه في كل مكان وحال على وضوء متوجهاً إلى القبلة، وينوي مطلوبه ويبلغه إن شاء الله تعالى ومجرب لقضاء الحوائج لمن قرأه إحدى وأربعين مرة، ولمن أدمن المواظبة عليه يحفظه الله في حاله وماله، ويكون محمود العاقبة منصور على من عاداه»[٦].

وذكروا من فضائل هذا الراتب أنه: «يحفظ أربعين بيتاً من جيران أهل البيت الذي يقرأ فيه من الحرق والغرق والسرق، ومن خواصه: أن من داوم عليه لم يعمل فيه السحر وإن كان مسحوراً انحل به انتهى»[٧].

وهناك صلوات كثيرة مبتدعة يجعلون لها الأجور الكبيرة كوجوب الشفاعة لمن قالها، وأن من قال بعضها ثلاثاً هدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره، ومن قرأها (٥٠٠ مرة) لا يموت حتى يجتمع بالنبي ﷺ، وبعضها

---

(١) المصدر السابق (ص١١١ ـ ١١٦).
(٢) المصدر السابق (ص١٣١ ـ ١٤١).
(٣) المصدر السابق (ص١٢٣ ـ ١٣٠). مع العلم أن هذا الحزب يقرأ في بعض مساجد عدن التي وصل إليها متصوفة حضرموت، كمسجد العيدروس بعدن فإنه يقرأ هذا الحزب فيه بعد صلاة العصر بصوت جماعي إلى يومنا هذا.
(٤) المصدر السابق (ص١١٧، ١٢١ ـ ١٢٣).
(٥) المصدر السابق (ص١٨٦ ـ ١٨٨).
(٦) عزيز المنال (ص٧).
(٧) المصدر السابق (ص٨).

تكون له فداء من النار، بل جعلوا بعضها: كاللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي، الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلم أن من قالها ليلة الجمعة ولازم عليها، لم يلحده في قبره إلا النبي ﷺ ويلقنه حجته[(١)].

وجاء في كتاب «خلاصة المدد النبوي» تحت عنوان قصيدة الإمام أبي بكر بن عبد الله العيدروس وتكرار البيت التالي ثلاثا:

«إلهي نسألك بالاسم الاعظم وجاه المصطفى فرِّج علينا[(٢)]

وينشد القوم قصيدة لعبد الله بن حسين بن طاهر وفيها:

رب احيينا شاكرين وتوفنا مسلمين
نبعث من الآمنين في زمرة السابقين
بجاه طه الرسول جد ربنا بالقبول
وهب لنا كل سول رب استجب لي آمين[(٣)]

والتزم بعضهم أذكاراً بعدد معين: منها ورد أبي بكر بن سالم وهو: «استغفر الله للمؤمنين والمؤمنات (٢٧ مرة)، ومنها الصلاة على النبي ﷺ (٨٠ مرة) أو (١٠٠ مرة)[(٤)].

ومن الأدعية والأذكار المبتدعة تقييد كيفيات معينة للصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كقولهم: «اللهم صل على سيدنا محمد ﷺ وعلى آل سيدنا محمد عدد ما علمت وملء ما علمت (إحدى عشرة مرة)»[(٥)].

يقول عبد الرحمٰن بن مصطفى العيدروس في مقدمة كتابه «النفحة المدنية»: «وصلى الله وسلم على النقطة البسيطة، والدايرة التي هي بالدواير

---

(١) انظر هذه الصلوات المبتدعة وفضائلها الهدية السنية في الصلاة على خير البرية (ص١٥ ـ ٢١).
(٢) خلاصة المدد النبوي (ص٤٥). (٣) المصدر السابق (ص٥٣).
(٤) المصدر السابق (ص٦٤، ١٩١). وانظر: تقييدهم بعض الأذكار بعدد معين اخترعوه من تلقاء أنفسهم المصدر السابق (ص٧١، ١٥١).
(٥) كتاب وسيلة العباد إلى زاد المعاد (ص١٣٢). وقد ذكروا في هذا الكتاب خمس كيفيات مبتدعة وبعدد معين انظرها (ص١٣٢، ١٤١ ـ ١٤٣).

محيطة، مظهر الذات، ومجلي الصفات»[١].

ومن الأدعية والأذكار المبتدعة ما ذكره عبد القادر بن أحمد السقاف[٢] ـ ساكن جدة ـ «الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله»[٣].

ومن الأذكار المبتدعة ما جاء في كتاب «شرح الصدر في الصلاة على مرفوع القدر»: «اللهم صلِّ وسلم على نور مشكاة السرائر، وترجمان بواطن وظواهر أهل البواطن والظواهر، يعسوب الكمال في جميع المظاهر؛ سيدنا ومولانا وبركتنا محمد الباطن الظاهر صلى الله وسلم عليه صلاة وسلاماً يعجز عن الإتيان بمثلها الأول والآخر»[٤].

وجاء فيه أيضاً: «اللهم صل وسلم على سيد الوجود ومفتاح المدد لكل موجود»[٥].

والكتيب من أوله إلى آخره مشحون بالصلوات المبتدعة على رسول الله ﷺ، والغلو فيه ﷺ فمنها مثل قول: اللهم صل وسلم على إنسان عين الموجودات والواسطة في تكميل كل ذات وسيد أهل الأرض والسموات ومركز الأسرار الربانيات ومظهر الأنوار والتجليات وفاتق رتق المعميات وطلسم الأسرار المغلقات الأب الأكبر الرحيم... إلخ[٦].

وجاء في كتيب «خلاصة المدد النبوي» تحت عنوان [أذكار آخر الليل بعد ختم الوتر]: «صلّ وسلم في كل لحظة أبداً بعدد معلوماتك على سيدنا محمد وآله»[٧].

---

(١) النفحة المدنية في الأذكار القلبية والروحية السرية في الطريقة العيدروسية، لعبد الرحمن بن مصطفى العيدروس (ص١).

(٢) من صوفية حضرموت المعاصرين، غادر سيئون سنة ١٣٩٣هـ إلى عدن ومنها لبلدان كثيرة، استقر به المقام بالمملكة العربية السعودية، ويقيم حاليا في جدة. انظر: التلخيص الشافي (ص٩ ـ ١٠في الهامش)؛ وكتبت ترجمة واسعة له بعنوان (جني القطاف من مناقب وأحوال العلامة خليفة الأسلاف عبد القادر بن أحمد السقاف)، لأبي بكر المشهور.

(٣) كتيب بعنوان: سلام دان داء دمقام رسول الله ﷺ.

(٤) كتاب شرح الصدر في الصلاة على مرفوع القدر (ص٩ ـ ١٠).

(٥) المصدر السابق (ص١٣). (٦) المصدر السابق (ص٢٥).

(٧) خلاصة المدد النبوي (ص٤٠).

وقد ذكر أبو بكر الحبشي أن هناك صلاة على النبي ﷺ فتح الله بها على علي الحبشي حيث قال: «أمر سيدي نفع الله به أخاه شيخاً أن يسمعهم هذه الصلاة العظيمة الواردة عليه وهي: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد باللسان الجامعة، في الحضرة الواسعة، صلاة تمد بها جسمي من جسمه، وقلبي من قلبه، وروحي من روحه، وسري من سره، وعملي من عمله... يا نور يا نور يا نور اجعلني نوراً بحق النور. وقال: أجزتكم فيها، فقيل له: لها عدد؟ فقال: على قدر وسع المصلي، وفيها سر عظيم ومطالب جليلة على يد جليل»[١].

وابتدع القوم أذكاراً وأدعية عند قبر النبي ﷺ، فقد جاء في كتاب «مناسك الحج والعمرة وآداب الزيارة النبوية»، تحت عنوان «آداب الزيارة النبوية» دعاء طويل عند زيارة قبره ﷺ: «فإذا أتى القبر الشريف استقبله، واستدبر القبلة إلى أن قال: وقائلاً بلا رفع صوت: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا أمين الله... إلخ»[٢].

وللقوم مؤلفات كثيرة في الصلاة على النبي ﷺ بصيغ مبتدعة فيها غلو منها قول حامد بن علوي بن طاهر الحداد: «اللهم صل على روح محمد في الأرواح وعلى جسده في الأجساد وعلى قبره في القبور»[٣].

كما جعل القوم لهذه الصلاة فضلاً كبيراً وهو رؤية النبي ﷺ في المنام وكذلك رؤيته يوم وادعو أن قائلها تناله شفاعته ﷺ، والشرب من حوضه، وتحريم جسد قائلها على النار[٤].

يقول علوي الحداد: «وبحمد الله رأيت الإمام جدنا علياً ـ كرم الله وجهه ورضي عنه ـ وأجازني بمائة من الصلاة على النبي ﷺ كل يوم»[٥].

---

(١) كنوز السعادة الأبدية (ص٢٤٦).

(٢) مناسك الحج والعمرة وآداب الزيارة النبوية (ص٣٥ ـ ٣٦).

(٣) الهدية السنية في الصلاة على خير البرية، لحامد بن علوي بن طاهر الحداد (ص١٧).

(٤) المصدر السابق (ص١٧) (الحاشية). (٥) الرسالة النافعة (ص٧).

ومن البدع التي مارسها القوم: القول بالجهر بالصلاة على النبي ﷺ في المآذن، لا سيما يوم الجمعة يقول علوي الحداد مشنعاً على أهل السنَّة المانعين من عمل البدع، ومنها بدعة الصلاة على النبي ﷺ في المآذن بصوت مرتفع: «فأما الجهر بذلك في المآذن فمن التنويه بذكره ﷺ وإظهار شعائر الإسلام وتذكير الجاهل وتعظيم الجمعة التي هي من أفضل الأيام وهو من مستحسنات الأمور التي لا مفسدة فيها بل مشتملة على إظهار شعائر المسلمين، وقد اجتمعت الأمة عليه في أعصر صالحة في سائر الأمصار والقرى إن شاء الله معصومة عن الإجماع على الضلالة فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»[1].

ويرد عليهم بأن استدلالهم بأثر ابن مسعود: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن». بأن هذا الاستدلال لا يصح لتقرير البدع فظاهر الأثر يدل على أن ما رآه المسلمون حسناً يكون حسناً لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة، واجتماعهم يدل على حسنه شرعاً لأن الإجماع يتضمن دليلاً شرعياً[2]، فالأثر عليهم لا لهم.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «هذا الأثر دليل على أن ما أجمع عليه المسلمون ورأوه حسناً فهو عند الله حسن، لا ما رآه بعضهم فهو حجة عليكم»[3].

فلا حجة للقوم بهذا الأثر في زعمهم أن هناك بدعاً حسنة؛ لأن الأثر موقوف، وهو كذلك لا يخالف الأحاديث الصحيحة القاطعة أن كل بدعة ضلالة.

وعلى افتراض صحته حديثاً فإن المراد به إجماع الصحابة، فاللام في المسلمون للعهد لا للاستغراق؛ بدليل اختيار الصحابة لأبي بكر خليفة للمسلمين بعد رسول الله ﷺ.

---

(١) مصباح الأنام (ص٦٦).
(٢) انظر: الاعتصام، للشاطبي (٢/١٥٢).
(٣) الفروسية، للإمام ابن القيم (ص٨٢).

وإذا سلمنا أن اللام للاستغراق ولكن ليس المراد به قطعاً كل فرد من المسلمين، فهناك الجهال الذين لا يفقهون من العلم شيئاً، فلا بد من حمل ذلك على أهل العلم منهم، فأثر ابن مسعود لا حجة لهم فيه لا سيما وهذا الصحابي الجليل من أشد الناس محاربة للبدع وأهلها كما يعلم من أقواله وقصصه[١].

ويردد القوم عند مشهد علي العطاس صلاة مبتدعة يقولونها في الصلاة على النبي ﷺ: «وألفي صلاة على المختار طسم»[٢].

وقد أكثر القوم في مؤلفاتهم من الصلاة المبتدعة على رسول الله ﷺ بألفاظ غريبة، مليئة بالغلو والشركيات[٣]، ولو ذهبنا نتتبع تلك الصلوات المبتدعة ودوناها لطال المقام، وامتلأت الأوراق من هذه الأذكار المبتدعة فالبدع كثيرة لا حصر لها، والأتباع يزيدون على بدع أسلافهم وهكذا حتى طغت بعض الأماكن وأصبحت ديناً، فالبدع تزداد بمرور الأيام، ويضيف الأتباع انحرافات أكثر مما كانت عليه فتكون في أولها شبراً ثم تكثر في الأتباع حتى تصير أذرعاً وأميالاً وفراسخ[٤].

بل جعلوا من أذكارهم ترديد بعض الأشعار التي لها فضائل في تفريج الكرب، جاء في كتاب «تاريخ الشعراء الحضرميين» عند ذكر عبد الله بن حسين بن طاهر وذكر شيء من شعره: «على أن الحضرميين كافة مجربون تفريج الأزمات، بترديد قصيدته التي أولها: يا أرحم الراحمين بصفة الابتهال إلى الله في نغمات معروفة، وأصوات متزنة، ولو كنت في جموعهم لرددتها معهم مبتهلاً»[٥].

---

(١) انظر: السلسلة الصحيحة، للشيخ الألباني (٢/ ١٧ ـ ١٩).

(٢) المقصد إلى شواهد المشهد (ص١١١). وللقوم كتيبات كثيرة مستقلة في الصلاة والسلام على رسول الله ومنها: كتيب بعنوان (نسيج البردة في مدح خير البرية عليه أفضل الصلاة والتسليم)، لعبد الله بن أحمد الهدار العلوي، وكتاب (مولد الرسول الأكمل محمد صلى الله على روحه وآله وسلم) لمحمد بن أحمد آل أسد الله، إنشاد: محمد بن أحمد بن عوض الشاطري. وغيرهما.

(٣) انظر تلك الأدعية الصلوات المنحرفة: العقود العسجدية (ص٢٥٣).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٢٥).

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ١٧٢).

والقوم بأعمالهم وأقوالهم المبتدعة يتهمون الرسول ﷺ ـ شعروا أم لم يشعروا ـ بأنه لم يبلِّغ جميع ما أرسل به من ربه جلَّ وعلا، وهذا يخالف الآية وإجماع المسلمين، يقول الفخر الرازي: «أجمع المسلمون على أنه لا يجوز على الرسول ﷺ أن يخون في الوحي والتنزيل؛ لأن تجويزه يؤدي إلى الشك في كل الشرائع والتكاليف وذلك قدح في النبوة.

وأيضاً فالمقصود من الرسالة تبليغ تكاليف الله تعالى وأحكامه، فإذا لم تحصل هذه الفائدة فقد خرجت الرسالة عن أن تفيد فائدتها المطلوبة منها»[(١)].

وقد بلغ النبي ﷺ الرسالة كاملة وأدى الأمانة ولم يخن شيئاً ـ عليه من ربه أزكى الصلاة وأفضل التسليم ـ ومن الآيات التي تدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

والقوم اتبعوا أهوائهم وأخذوا ما يناسبهم من الأدعية دون التعويل على الكتاب والسنَّة، وقد بيّن الإمام أبو بكر ابن العربي المالكي ضلال المتصوفة في ذلك، فقال عند قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]: «ويقال ألحد ولحد: إذا مال. والإلحاد يكون بوجهين: بالزيادة فيها، والنقصان منها، كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمّون فيها الباري بغير اسمه ويذكرونه بما لم يذكره من أفعاله، إلى غير ذلك، مما لا يليق به؛ فحذارِ منها. ولا يدعونّ أحد منكم إلا بما في الكتب الخمسة؛ وهي كتاب البخاري، ومسلم، والترمذي وأبي داود، والنسائي؛ فهذه الكتب هي بدء الإسلام، وقد دخل فيها ما في الموطأ الذي هو أصل التصانيف؛ وذروا ما سواها، ولا يقولنّ أحد: أختار دعاء كذا؛ فإن الله قد اختار له، وأرسل بذلك إلى الخلق رسوله»[(٢)].

---

(١) التفسير الكبير (١٧/ ١٩٣).

(٢) أحكام القرآن، للإمام العربي المالكي (٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

وكلام الإمام ابن العربي في اعتماد الكتب المذكورة في تلقي أحكام الشرع هو للتمثيل، لا للحصر، وإلا فمن المعلوم أن هناك كتباً غير ما ذكر احتوت على أحكام شرعية، فمتى صح الحديث عن النبي ﷺ تعين الأخذ به وترك ما سواه.

ومن المعلوم لكل مسلم فضل قراءة القرآن، وما لقارئه من الأجر العظيم، ونذكر بعض النصوص الدالة على فضل تلاوة القرآن لينتبه الغافل، ولعل الله أن يهدي الضال الذي استبدل هو أدنى بالذي هو خير، وذلك بتركه قراءة القرآن، وما ورد من الأذكار العظيمة التي جاءت في سُنَّة رسول الله ﷺ، فمن الأحاديث التي تدل على فضل القرآن وفضل تلاوته ما ثبت في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما»[(١)].

وثبت في صحيح البخاري من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[(٢)].

وجاء في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»[(٣)]. وغيرها من النصوص.

والسبب الذي أدى إلى الإعراض عن القرآن، وعدم معرفة فضله سواء من الصوفية أو من اغتر بهم من الجهال والرعاع هو ما سنَّه المتصوفة من الأوراد الكثيرة بالليل والنهار فأشغلت الناس عن ما ينفعهم في دنياهم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، (ص٣١٥) برقم (٨٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، (ص٩٩٨) برقم (٥٠٢٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه، (ص٣١٢) برقم (٧٩٨).

وأخراهم، حيث اهتموا بأحزاب مشايخهم وأورادهم وبالليالي والختمات والموالد والحضرات والمنامات، والواجب على العلماء أن يحاربوا هؤلاء الأقوام[١].

ومن بدع القوم قراءة الأوراد المبتدعة بعد العشاء، يقول الشلي عن أحمد بن عبد الله بن فرج العلوي: «وكان مواظباً على السنن الشرعية والأذكار النبوية وألف ورداً كان يقرأه كل يوم هو وأصحابه وكان يتلوه هو وجماعة بعد العشاء في مسجد بني علوي»[٢].

وأوصى القوم بروانب سلفهم العلويين لأنها ـ بزعمهم ـ من مآثر السلف[٣].

بل نشروا بدعهم لبلدان العالم الإسلامي فمثلا: راتب الحداد يقام ببعض مساجد أندونيسيا إلى يومنا هذا[٤].

وهناك صلاة مبتدعة يسمونها (الصلاة المُضَريّة)، يقول أبو بكر الحبشي: «وكان سيدي يقرأ الصلاة المضرية، المنسوبة للإمام الأبوصيري، كل يوم جمعة، وقت زيارته لجده الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس، ويقرأها الحاضرون معه جهراً، وقال: إني رأيت النبي ﷺ فقلت له: إنا رتبنا قراءة الصلاة المضرية كل جمعة بعد صلاة الصبح في قبة الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس، فهل تبلغكم؟ قال: بلى، إني في كل جمعة عند قراءتكم لها استأذن ربي في الحضور معكم»[٥].

---

(١) انظر: السنن والمبتدعات، للشقيري (ص٢٢٤).

(٢) المشرع الروي (٢/٦٨). ولا زالت هذه البدعة منتشرة في مساجد الصوفية في أغلب مناطق حضرموت، وكذلك في مساجد أخرى تأثرت بهذه البدعة في مناطق مختلفة من اليمن، وصارت تقرأ بصوت جماعي، وفي أوقات محددة وبعدد معين، وقد شوشوا بذلك على المصلين والقارئين للقرآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وانظر بدع الرواتب عند القوم: العقود العسجدية (ص٥٠١)؛ والمزن الثجاج (ص٧، ٨، ٩)؛ وراتب الحداد: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٥، ٦).

(٣) مكاتبات العدني (ص١١).

(٤) مجلة أنوار التلاقي (ص٢٦). العدد الثاني، الصادر في شعبان، ١٤١٨هـ.

(٥) تذكير الناس (ص١٨٤).

※ المطلب الأول ※

الصلوات المبتدعة

تعبدت صوفية حضرموت بصلوات مبتدعة نشرتها في بعض مناطق حضرموت وخاصة في الشحر وعينات وتريم ـ التي تعتبر أهم الأماكن التي يكثر فيها العلويون ـ، ثم انتشرت هذه البدعة إلى بعض القرى.

وهيئة هذه الصلوات هو أن تصلى الصلوات الخمس تباعاً بعد التسليم ينادى باسم الصلاة من آخر جمعة من رمضان، ويقولون إنها تقضي الفوائت في العام كله، وأول من أحدثها في عينات أبو بكر بن سالم العلوي، وفي الشحر عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الشيخ أبي بكر بن سالم وتبعهم على هذه البدعة من جاد بعدهم[1].

وأقر هذه الصلوات المبتدعة كبار صوفية حضرموت ـ بعد أبي بكر بن سالم ـ، يقول أبو بكر الحبشي: «وذكرت لدى سيدي رضي الله عنه، الصلوات الخمس المشهورة بصلاة القضاء تصلى آخر جمعة من شهر رمضان، وقرىء عليه إسنادها إلى الشيخ أبي بكر بن سالم وأنه كان يفعلها هو وجملة من العلماء قبله، وممن بعده وصلاها بمسجده بعينات مدة حياته، ثم أولاده وكل متعلق به بعد وفاته. وما أنكرها أحد إلا وعاجلته العقوبة، وجد ذلك بخط الشيخ عبد الرحمٰن بن أحمد باوزير فأجاز سيدي أحمد رضي الله عنه، من حضر فيها»[2].

ومن تلك المحدثات صلاة بدعية تقام في أول رمضان، يقول أبو بكر الحبشي: «قال سيدي رضي الله عنه، وينبغي أن يتنفل الإنسان في أول ليلة من رمضان بركعتين أو أربع، يقرأ فيها سورة الفتح فإن عامه يمر عليه وهو خصب، ويحفظ في عامه إن شاء الله تعالى»[3].

ومن البدع التي قررها القوم فعل الصلاة في غير وقتها، لاعتمادهم على

---

(١) انظر: مجلة أنوار التلاقي (ص٤٠)، العدد الصادر في شهر صفر، ١٤١٧هـ.
(٢) تذكير الناس (ص١٨١). (٣) المصدر السابق (ص٢٥١).

توقيت خاص بهم يخالف التوقيت الذي عليه المسلمون، فقد جاء في كتاب «كنوز السعادة الأبدية»: «وقال: الأخ علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر: جاء إلى عندي درويش[١] من المغرب، وكان يصلي أول الأذان، فقلت له: إنك تصلي قبل الوقت. فقال: إني أصلي في الوقت، ولا أصلي حتى أسمع ديك العرش، فقال له الأخ علي: لا أصدقك حتى تسمعني إياه فلما دخل الوقت أسمعني إياه فسمعته فصلينا»[٢].

ولا شك أن هذه الصلوات التي يفعلها القوم من المحدثات التي تنافي الشرع المطهر، فالقوم أولعوا بحب البدع حتى أشربتها قلوبهم، فلا تكاد مسألة من مسائل الدين لا سيما العبادات إلا ويحدث القوم فيها عبادات بدعية، أو يتبعون ما سنَّه لهم المتصوفة المتقدمون، دون الرجوع إلى الشرع، رغم ادعاؤهم أن طريقتهم على الكتاب والسنَّة، ولكن الواقع يكذب هذه الدعوى، فقد جعلوا الكتاب والسنَّة ـ كما أسلفنا ـ للتبرك فقط دون العمل بهما والوقوف عند حدودهما.

فلا صلاة في الإسلام تسمى بصلاة القضاء، وإنما هذه من بدع الصوفية، وأما دين الله تعالى الذي أوحاه إلى نبيه محمد ﷺ أمر المسلمين بخمس صلوات تؤدى في اليوم والليلة كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن وفيه: «فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة»[٣].

وفي الصحيحين عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات

---

(١) الدرويش: كلمة فارسية الأصل، تعني: الصوفي صادق الطبع على سجيته. ودروش بالفارسية الذي يربط عصابة الطريقة التي ينتمون إليها حول رؤوسهم ولعل التسمية أتت بسبب ذلك. انظر: المعجم الفارسي الكبير، لإبراهيم الدسوقي شتا (١/١١٦٢، ١١٦٩، ١١٧٠) مادة: درويش ـ دروش.

(٢) كنوز السعادة الأبدية (ص٣٨٩).

(٣) تقدم تخريجه (ص٣٢) من هذا البحث.

في اليوم والليلة» فقال: هل علي غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع» قال رسول الله ﷺ «وصيام رمضان» قال: هل علي غيره؟ قال: «لا، إلا أن تطوع» قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة. قال: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع» قال فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»[(١)].

وأما الصلاة التي يؤدونها عند سماع ديك العرش فيجاب عن ذلك بأن يقال: دعوى وجود ديك للعرش وأنه يؤذن من أمور الغيب التي لا تعلم إلا بالتوقيف، ولم يذكر القوم دليلاً في ذلك، ثم إن الله تعالى تعبدنا باتباع محمد ﷺ، وقد بيّن ﷺ مواقيت الصلاة، ولم يذكر منها ما ذكره القوم، ثم إن في ذلك فتح باب لترك الصلاة بحجة سماع ديك العرش أو نحوه من الترهات، فتترك هذه الشعيرة العظيمة وهي الصلاة في وقتها مع المسلمين في المساجد بدعوى تأدية الصلاة عند سماع ديك العرش، ولعله شيطان أو جني أضلهم بصوته، فصلاتهم تلك غير مقبولة لأنها أديت في غير وقتها. ودعوى وجود ديك يؤذن تحتاج دليل وإلا فهذه كذلك من ترهات الصوفية التي يُضحكون بها الناس عليهم، ويزيد الأمر سوء أن دونوا مثل هذا الكلام في مؤلفاتهم، وذكر هذا الكلام كاف في ضلال قائله.

والله تعالى قد ذكر في كتابه أن الصلاة مؤقتة بتوقيت حدده الشرع، ولم يحدده الناس كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وقد بيّن ﷺ في سنَّته هذه المواقيت للصلوات الخمس كما ثبت في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فسأله عن مواقيت الصلاة؟ فقال: «اشهد معنا الصلاة»، فأمر بلالاً فأذن بغلس فصلى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، (ص٣٢) برقم (٤٦)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، (ص٣٨) برقم (١١).

الصبح حين طلع الفجر، ثم أمره بالظهر حين زالت الشمس عن بطن السماء، ثم أمره بالعصر والشمس مرتفعة، ثم أمره بالمغرب حين وجبت الشمس، ثم أمره بالعشاء حين وقع الشفق، ثم أمره الغد فنوَّر بالصبح، ثم أمره بالظهر فأبرد، ثم أمره بالعصر والشمس بيضاء نقية لم تخالطها صفرة، ثم أمره بالمغرب قبل أن يقع الشفق، ثم أمره بالعشاء عند ذهاب ثلث الليل أو بعضه (شك حرمي) فلما أصبح قال: «أين السائل؟ ما بين ما رأيت وقت»[١].

بدع الجنائز:

ومن البدع المنتشرة في حضرموت ما يفعلونه من القراءة على الميت عند احتضاره، وكذا عند قبره.

ومن نصوصهم في ذلك ما جاء في كتاب «ظهور الحقائق» عند ذكر وفاة عمر بن عبد الرحمٰن العطاس: «وقرئ عند قبره ثمانية أيام، وكثرت الختوم عليه؛ لكثرة الوفود من الأنام، وبدت عند ذلك كرامات عظيمة وحصلت فتوحات جسيمة»[٢].

وجاء في كتاب «الدليل القويم»: «ويجتمع الناس في بيت أهل الميت لحضور العزاء ويتلون ما تيسر من القرآن فيقرأ كل شخص ما لا يقل عن جزء، وبعد ذلك يبدأ ختم القرآن من سورة الضحى إلى سورة الناس، ويبدأ الختم الموجود في صدر المجلس ممن هو أكبر سناً من الأعيان والمناصب فيقرأ الحاضرون السور الواحد تلو الآخر حتى سورة الناس... وبعد ذلك يقرأ المعلم الخطبة الخاصة بالأموات والتي هي عبارة عن وهبة، ودعاء للميت ثم ترتب الفاتحة وينصرفون لتشييع الجنازة»[٣].

ومن أثارهم البدعية ما يفعلونه عند تشييع الجنازة من رفع الصوت بالذكر، يقول أبو بكر المشهور، وعند ذكر وفاة محمد بن عبد الله الهدار

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد، باب أوقات الصلوات الخمس، (ص٢٤٣ ـ ٢٤٤) برقم (٦١٣).

(٢) ظهور الحقائق (ص٥٩).

(٣) الدليل القويم (ص٢٠٨ ـ ٢٠٩).

صاحب الرباط في البيضاء إحدى مدن اليمن وحيث كان وفاته في مكة: «وشاء الله وفاته في مساء يوم الاثنين من ربيع الثاني عام ١٤١٨هـ وذعر الناس بالخبر واجتمع لتشييعه خلق كثير وجهر المشيعون أصواتهم بالذكر في جنازته حتى مثواه الأخير بالمعلاة، وأقيم عليه بمكة والبيضاء وحضرموت وعدن وغيرهم ختم الدرس والعزاء»[١].

الذكر الجماعي:

ومن آثار صوفية حضرموت التي بقيت إلى يومنا هذا الأذكار الجماعية التي يفعلها الناس بعد صلواتهم، وصورتها: أن يقرأ الإمام والمأمومون أذكاراً محدثة، فيرددها الجميع بصوت جماعي بنغمات وأصوات معينة، لا سيما بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب، وتعدى شر هذه البدعة إلى خارج حضرموت من بلاد اليمن وكذا في البلدان التي سكنها متصوفة حضرموت.

وسعى القوم ـ كعادتهم ـ بجمع ما يجدون لتبرير هذه البدعة التي نشرها سلفهم المتصوفة، فقد استدل أبو بكر المشهور لقراءة الصوفية للأذكار جماعياً وبصوت واحد بحديث: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة»[٢].

وقال أيضاً معلقاً على الحديث المتقدم: «وهذا دليل واضح بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمعاً، وأنه لا بدعة فيه، وليس في الإسلام شرطاً أن يكون الاجتماع له مثال سابق على عهد الصحابة ما دام قد ثبت جواز الفعل نصاً ودلالة»[٣].

وقال أيضاً: «وأما أدلة الذكر بالجمع وفضائل ذلك فكثيرة جداً، ومنها

---

(١) قبسات النور (ص٢٣١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/٣٨٩) أبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، (ص٥٢٧) برقم (٤٨٥٥)؛ والترمذي سننه: كتاب الدعوات، باب ما جاء في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، (ص٥٣٥) برقم (٣٣٨٠)؛ وزاد «ولم يصلوا على نبيهم». انظر: السلسلة الصحيحة (١/١٥٨).

(٣) شروط الاتصاف (ص١٢٩).

استدل السلف الصالح على مشروعية الذكر بالجمع، واستحباب الاجتماع له وللصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

كما زعم أبو بكر المشهور أن الاجتماع على الذكر عليه العمل في عهد الصحابة[٢] وغير ذلك من الدعاوى المفتقرة للدليل.

والقوم ـ كعادتهم ـ يذكرون نصوصاً يفهمونها بأهوائهم لا سلف لهم ممن يقتدى به قال بفهمهم، فذكرهم لحديث: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار» لتجويز الذكر الجماعي استدلال في غير محله، فقد كان ﷺ يذكر الله تعالى في كل أحيانه، وتقييد القوم للحديث بأفعالهم يحتاج إلى دليل، وقد علَّم ﷺ أمته الذكر المشروع الذي يقال في المساجد وكيفيته، لذا يطالب القوم بالدليل، أما إطلاق مثل هذا الكلام بدون دليل فلا يقبل.

كما أنه لا يوجد في الحديث ما يدل على ما فهمه المشهور، فيتضح خطأ فهمه، وإنما فيه حث على ذكر الله تعالى والانشغال بذلك عن الكلام في أعراض الناس وغير ذلك، حيث شبه الكلام في ما يضر وفي ما لا ينفع بالنتن والقذارة، وفي رواية أنهم يقومون نادمين يوم القيامة على ما فرطوا في مجلسهم ذلك من ذكر الله تعالى[٣].

وأما فعل سلفهم العلويين فليس حجة في دين الله تعالى، فالحجة في الكتاب والسنَّة ويهتدى لفهمهما بفهم سلف الأمة.

واحتجاجه بفعل سلفه العلويين على الشرع احتجاج باطل، وإنما يحتج لأقوال الناس وأفعالهم بالشرع، وقد ذم الله تعالى في كتابه اتباع عامة الناس فقال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام: ١١٦].

والله تعالى أمرنا بطاعة نبيه ﷺ ولم يأمرنا بطاعة الناس واتباع ما تهواه

---

(١) المصدر السابق (ص١٣٠). (٢) انظر: المصدر السابق (ص١٣١).

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي (١٣/ ١٣٨).

أنفسهم، وقد سار السلف على هذا، جاء في كتاب الاعتصام: «كان عبد الله بن الحسن ـ يعني بن الحسن بن علي بن أبي طالب يكثر الجلوس إلى ربيعة فتذاكروا يوماً. فقال رجل كان في المجلس: ليس العمل هذا[(١)]. فقال عبد الله: أرأيت إن كثر الجهال حتى يكونوا هم الحكام، أفهم الحجة على السنة؟ فقال ربيعة: أشهد أن هذا كلام أبناء الأنبياء»[(٢)].

وقد أنكر السلف بدعة الذكر والدعاء جماعة، عن أبي عثمان النهدي[(٣)] رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كتب عامل لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليه: أن ها هنا قوماً يجتمعون، فيدعون للمسلمين وللأمير، فكتب إليه عمر: أقبِل، وأقبل بهم معك. فأقبل. قال عمر للبواب: أعِدّ سوطاً، فلما دخلوا على عمر، أقبل على أميرهم ضرباً بالسوط. فقلت: يا أمير المؤمنين إننا لسنا أولئك الذي يعني، أولئك قوم يأتون من قبل المشرق»[(٤)].

وأنكر الأئمة كذلك بدعة الذكر الجماعي يقول الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن رفع الصوت بالتكبير بدعة في الأصل؛ لأنه ذكر السنة في الأذكار المخافته لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]. وقوله ﷺ: «خير الدعاء الخفي»[(٥)]. ولذا فإنه أقرب إلى التضرع والأدب، وأبعد عن الرياء فلا

---

(١) كذا في الأصل. والصواب: ليس العمل على هذا. ومعنى ذلك: أي أن عمل العوام يخالف ذلك.

(٢) الاعتصام، للشاطبي (١/ ٤٦٠ ـ ٤٦١)، ط دار ابن عفان.

(٣) هو أبو عثمان النهدي عبد الرحمن بن مُلّ، بلام ثقيلة مثلثة، مشهور بكنيته، مخضرم، ثقة ثبت عابد، مات سنة ٩٥هـ، وقيل بعدها. وأخرج حديثه أصحاب الكتب الستة. انظر: التقريب (١/ ٤٦٣)، ط المعرفة.

(٤) رواه ابن وضاح في كتابه (البدع والنهي عنها) (ص٤٧ ـ ٤٨) برقم (٣٩)؛ وابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٥٥٨)؛ وسنده حسن. وانظر إنكار السلف لبدعة الذكر الجماعي في المساجد: سنن الدارمي (١/ ٦٨ ـ ٦٩)؛ وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٨ ـ ١٠، ١١، ١٢، ١٣)، (ص٣٢ برقم ٣٢)؛ وكتاب الحوادث والبدع للطرطوشي (ص٦٢، ٦٣، ٦٨)؛ وابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص١ ـ ١٦).

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤٤)؛ وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٨١) برقم (٧٣١)؛ وابن حبان في صحيحه (إحسان ٣/ ٩١) برقم (٨٠٩)؛ وذكره الهيثمي في المجمع وقال (رواه =

يترك هذا الأصل إلا عند قيام الدليل المخصص»[١].

وأكثر القوم في كتبهم من ذكر الأقوال والأفعال والأدعية المبتدعة التي يتعبدون الله بها، ويدعون الناس للعمل بها[٢] وما ذكرنا قليل من كثير، إذ الغرض هو الاستشهاد والتدليل على انحراف القوم فيما يتعلق بالذكر.

والدعاء الجماعي لم يكن من هديه ﷺ، يقول فيه الإمام الشاطبي رحمه الله: «الدعاء بهيئة الاجتماع دائماً لم يكن من فعل رسول الله ﷺ»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لم ينقل أحد أن النبي ﷺ كان إذا صلى بالناس يدعو بعد الخروج من الصلاة هو والمأمومون جميعاً، لا في الفجر، ولا في العصر، ولا في غيرهما من الصلوات؛ بل قد ثبت عنه أنه كان يستقبل أصحابه، ويذكر الله ويعلمهم ذكر الله عقيب الخروج من الصلاة»[٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الدعاء الجماعي بعد سلام الإمام بصوت واحد لا نعلم له أصلاً على مشروعيته»[٥].

ويقول الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ: «البدع التي أحدثت في مجال العبادات في هذا الزمان كثيرة؛ لأن الأصل في العبادات التوقيف، فلا يشرع شيء منها إلا بدليل، وما لم يدل عليه دليل فهو بدعة إلى أن قال بعد

= أحمد وأبو يعلى، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن لبيب، وقد وثقه ابن حبان... وضعفه ابن معين وبقية رجاله رجال الصحيح).

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١/ ١٩٦). وانظر كلام أئمة المذاهب الأخرى في هذه المسألة: الدر الثمين والمورد المعين، لمحمد بن أحمد ميار المالكي (ص١٧٣، ١٧٤)؛ والأم للإمام الشافعي (١/ ١١)؛ والمجموع للنووي (٣/ ٤٦٥ ـ ٤٦٩)؛ والمغني، لابن قدامة الحنبلي (٢/ ٢٥١).

(٢) انظر الأذكار المبتدعة عند القوم: المشرع الروي (١/ ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٦٩، ١٧٨)، (٢/ ٩، ١٠، ٢٢، ٦٥، ٦٨، ٧٣، ٧٩، ٨٧، ٨٩، ١٠٦، ١٢٦، ١٦٢، ١٨٧، ٢١٣، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩)؛ وكتاب مصباح الأنام (٤٩، ٥٠، ٦٦)؛ وتذكير الناس (ص٥٢، ٥٤، ٦٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٣، ١١٤، ١٢٧، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٠، ١٤٩، ١٦٤، ١٧٢، ١٨١، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٧١، ٣٣٠، ٣٦٠).

(٣) الاعتصام (١/ ٢١٩).

(٤) الفتاوى الكبرى (٢/ ٤٦٧).

(٥) الفتاوى الإسلامية، للشيخ ابن عثيمين (٤/ ٣١٨)، ط دار الوطن.

ذكره لبعض البدع: ومنها الذكر الجماعي بعد الصلاة لأن المشروع أن كل شخص يقول الذكر الوارد منفرداً»[١].

ويقال أيضاً: إن هذه الأفعال داخلة في البدع المذمومة، وإقرارها طعن في الشريعة واتهام لها بالتقصير حيث لم تشرع هذه العبادات، كما أن في الذكر الجماعي تشويشاً على المصلين والقارئين للقرآن، وغير ذلك من المفاسد التي تتضح لمن تأملها.

تقبيل أيدي العلويين:

من البدع التي أحدثها القوم الدعوة تقبيل أيدي العلويين، وجعل ذلك من القرب وأن ذلك من محبة النبي ﷺ، فقد جاء في كتاب «أدوار التاريخ الحضرمي»: تحت عنوان (العادات والتقاليد والآداب): «ويقبل غير العلوي يد العلوي، ويلقبه بالسيد، وبالحبيب إشارة إلى محبته له من أجل انتمائه إلى الرسول محمد ﷺ، واعترافاً بما قدمه أجداده من خدمات علمية وإصلاحية لهذا الشعب»[٢].

لذا يرى العلوي أنه: «يجب أن تناديه: يا حبيب ـ أو ـ يا سيد ـ والعلوية ـ يا شريفة، وهم يرون أن تلك الكلمات التي تدل على التعظيم يجب أن تكون خاصة بهم دون غيرهم من الطبقات الأخرى، ويريدون من غيرهم أيضاً تقبيل أيديهم عند المصافحة. . . »[٣]

ودعا القوم الناس للتبرك بتقبيل أيدي العلويين، جاء في كتاب «تاريخ الشعراء الحضرميين» عند ذكر مكانة عبد الله بن حسين بلفقيه (ت١٢٦٦هـ): «وهنا ينبغي أن لا تغفل ما له من المكانة والاعتقاد عند الناس أجمعين واحتشادهم عليه في السبل وغيرها حتى إذا ما ألفتت نظرك حركاتهم رأيتهم متتابعين إليه كمتبركين بتقبيل يده الكريمة»[٤].

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، تأليف: الشيخ صالح بن فوزان الفوزان (ص٣٨٩).
(٢) أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ٢٩٢).
(٣) تاريخ حضرموت السياسي (٢/ ١١٨). وانظر: المصدر السابق (٢/ ٢٤٢).
(٤) تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ١٩٢).

ودعا القوم إلى تقبيل أيدي العلويين دون غيرهم، وألفوا في ذلك ليجروا الناس إلى الغلو، يقول أبو بكر بن علي المشهور ـ وهو يتحدث عن أحوال العلويين المتصوفة، والرد على مخالفيهم من أهل السنَّة ـ: «كما هو الحال في ما قد يشنون عليه النكير من ظواهر الاحترام لسادة آل البيت والعلماء؛ منهم كتقبيل اليد أو تقبيل القدم في بعض الأحوال النادرة، أو القيام للداخل منهم أو التبرك ببعض آثارهم وملابسهم»[(١)].

وجاء في كتاب «التمهيد الكريم في بعض أخبار تريم»: «وكان تقبيل اليد ولبس العمامة والنداء بلفظ (حبيب) خاصاً بالسادة بني فضل، فمحوه من أنفسهم وصيّروه خاصاً بالأشراف وعلامة لهم وإجلالاً وتعظيماً»[(٢)].

وكان سعيد بن عيسى العمودي من كبار الصوفية من الذين دعوا لتقبيل أيدي العلويين دون غيرهم، جاء في كتاب «تاريخ حضرموت»، للحامد أن سعيد بن عيسى «كان لا يقبِّل يد أحد قبَّل يده أو لم يقبّلها إلا أن يكون أحداً من آل أبي علوي لأنهم أهل البيت امتثالاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[(٣)].

وقد أنكر أهل العلم هذه البدعة التي نشرها القوم في حضرموت وخارجها، وقد سأل سائل من سنغافورة الشيخ محمد رشيد رضا عن هذه البدعة التي نشرتها صوفية حضرموت في تلك البلاد فبين أن اعتقاد ذلك ديناً من المفاسد التي يزعمها العلويون الحضارمة[(٤)].

وقد جاءت السنة بالمصافحة والمعانقة أما تقبيل اليد فلا دليل عليه[(٥)].

---

(١) شروط الاتصاف (ص١٠٧ ـ ١٠٨). وانظر: (ص١١٢، ١١٧).

(٢) التمهيد الكريم في بعض أخبار تريم. نقلاً عن الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٧٤).

(٣) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٧٤).

(٤) انظر: مجلة المنار (٧/ ٣٠٤).

(٥) انظر كلام العلماء في السلام والمصافحة: البدع والمحدثات وما لا أصل له (ص٤٧٨).

المطلب الثاني

الحضرات الصوفية

الحضرات جمع حضرة، وهي عند صوفية حضرموت نوع من الطقوس والشعائر التي يحافظ عليها القوم إلى يومنا هذا، حيث يأتون فيها بأذكار مبتدعة وقراءة بعض القصص وشيء من السيرة ونحو ذلك، ويجعلون لها أوقاتاً محددة، ويعتبرون ما يقع فيها من الذكر والأدعية المختلفة بمثابة السنة المؤكدة، بل مثل الواجب الذي لا يجوز تركه، والحضرة عند جميع المتصوفة لها آداب وأحكام ينبغي للمريد التزامها(١).

وكثرت الحضرات التي يجتمع لها القوم، وأكبر الحضرات في حضرموت وأشهرها حضرة السقاف(٢) التي لا يزال القوم يحافظون على طقوسها إلى يومنا هذا.

وقد أجاز لهم هذه الحضرات كبارهم، يقول علوي الحداد: «وأما إنشاد الشعر في المساجد وغيرها من حضرات الذكر فجائز ومباح»(٣)

وهناك حضرة عينات ونبي الله هود، وهناك حضرة القيام وغيرها من الحضرات.

ففي حضرة عينات ونبي الله هود أول ما يقرأه القوم وينشدونه أبيات أبي بكر بن سالم: التي مطلعها:

صَفَت لي حُمَيّا خِلّي

وفيها:

أنا قبل القبلي ... وبديت على هاليها
أنا أُعطيت كل الفضلي ... تكرّم علي واليها

---

(١) انظر عن الحضرات وأنواعها: المعجم الصوفي، للحفني (ص٧٧).

(٢) وقد جمع محمد المشهور هذه الحضرة، وهي ملئية بالشركيات والغلو والبدع المختلفة. انظر على سبيل المثال هذه المخالفات التي في هذه الحضرة: (ص٢٧، ٢٨، ٣٥، ٤٦، ٥٢، ٥٦، ٧٢).

(٣) مصباح الأنام (ص٤٩).

أنا المجتبى بين اهلي وشُفّعت في عاصيها
أنا اعزل أنا اللي ولّي أنا شيخها قاضيها

إلى أن قال:

أنا حتف أهل العذل ونار الجحيم أطفيها
الله الله هو الله الله الله هو الله
الله الله هو الله الله الله هو الله(١)

ويقول:

أفلت شموس الكلي وها شمسها ضاحيها
الله لا إله إلا الله دائم لا إله إلا هو
أنا عرشها والكرسي أنا للسما بانيها(٢)

كما اشتملت الحضرة على عبارات غزلية فقد جاء فيها:

صلوا على من ظللته الغمام المصطفى التهامي
سألتكم يا نازلين الحما هل تبلغوا سلامي
إلى الذي أجرى دموعي دما وازداد من هيامي
باهي الخدود العذب حلو اللما وهفهف القوامي
ذي غرته تزري ببدر السماء وسكنه الخيامي
قولوا له تكرم على كئيب مسقم متيم ومغرمة
صلوا على محمد(٣)

ويخاطب القوم النبي ﷺ: يا ساحر العينين، عليش تقتل عاشقك...(٤).

وهناك حضرة باسودان تقرأ في المساجد وفي المناسبات وهيئتها: «فهذه حضرة عظيمة النفع والفائدة، مجربة لجلب النفع، ودفع الكرب يكون الابتداء فيها بعد قراءة الفاتحة ويس وما تيسر من لا إله إلا الله. وبعدها تقول:

---

(١) حضرة عينات ونبي الله هود (ص١ ـ ٢). (٢) المصدر السابق (ص٣ ـ ٤).
(٣) حضرة عينات ونبي الله هود (ص٧٢). (٤) المصدر السابق.

لا إله إلا الله (ثلاثاً) لا معبود إلا الله.

لا إله إلا الله (ثلاثاً) لا مقصود إلا الله.

لا إله إلا الله (ثلاثاً) لا موجود إلا الله.

لا إله إلا الله (ثلاثاً) لا مشهود إلا الله[١].

وهذه الحضرة مملوءة بالشركيات من الاستغاثة والدعاء لغير الله تعالى فمن أمثلة ذلك قوله مستغيثاً بالعلويين:

والقطب سقاف مكين	وبابنه المحضار
النّدِب ذي الأسرار	حامي الحمى والجار
والغوث حتف الظالمين	والعيدروس فخرنا
وشيخنا حدادنا هو غوثنا	هو كنزنا وهو ملاذ اللئذين[٢]

وقالوا عن حضرة باسودان إن أصلها: «حضرة البار: وتعرف كذلك بحضرة باسودان نسبة إلى الشيخ عبد الله باسودان مؤسسها، ولقيام البار بحفظها والعناية بإقامتها بحضرة الثلاثاء نسبة إلى اليوم الذي تقام فيه وهو الثلاثاء من كل أسبوع.

أول ما نشأت هذه الحضرة المباركة في الخريبة ثم انتقلت إلى القرين وانتشرت بعد ذلك في أرجاء حضرموت. فهي تقام في شبام في زاوية الجامع الكبير بها»[٣].

ونشر القوم هذه الحضرة حتى في مهجرهم، فقد أقام البار هذه الحضرة في مهجره، جاء في مجلة أنوار التلاقي: «اعتنى في مهجره بإقامة هذه الحضرة

---

(١) حضرة باسودان، لعبد الله بن أحمد باسودان، ومجموع لطيف يحتوي على ما يقرأ أيام الجمعة والاثنين واستغفار رجب وتوابعه وعلى ذكر أيام العشر من ذي الحجة ودعاء ختم القرآن (ص٥). مكتبة تريم الحديثة ـ حضرموت. بدون تاريخ.

(٢) حضرة باسودان (ص٩). وذكرت بعض أبياتها فهي طويلة ومليئة بالشركيات والمخالفات وانظر (ص١٠ ـ ٢٢).

(٣) مقال بعنوان (السيد عبد الله بن حامد البار في سجل الخالدين) أعده: محمد أبو بكر باذيب: مجلة أنوار التلاقي (ص٢٧)، العدد الثالث، الصادر في شعبان، ١٤١٩هـ.

المباركة في وقتها المعتاد، وفتح داره لاستقبال مريدي الخير ومحبي الذكر؛ فأقبل الناس من كل حدب وصوب...»[١].

كما يقوم القوم بالضرب بالطبول في حضراتهم، يقول أحمد بن حسن العطاس: «وكنت مرة في مسجد الشيخ عبد الرحمٰن السقاف، انتظر الحضرة التي يفعلونها ليلتي الاثنين والخميس، فلما أرادوا الابتداء فيها دق أولاً رئيس الحداة، وهو في ذلك الوقت حسن بامصري خادم السقاف ثلاث دقات منفصلات ثم شرعوا فيها، ثم إني سألته عن الدقات الثلاث، فقال: إني أقول عند الدقة الأولى هيا وعند الثانية سماع، وعند الثالثة اطلعوا.

فقال سيدي أحمد: إني عند الدقة الثالثة أحسست أن المسجد امتلأ وازدحم من أرواح أهل البرزخ»[٢].

وهذا أيضاً من البدع العملية التي يتعبد القوم بها، وذلك بجعل أوقات معينة لعمل هذه الحضرة مع ما يصاحبها من منكرات يأتي ذكرها، ويرافق الحضرة بعض المنكرات منها:

❋ المطلب الثالث ❋

السماع الصوفي

تمهيد:

والسماع عند الصوفية ـ كما يعرفونه ـ هو: «استجمام من تعب الوقت، وتنفس لأرباب الأحوال واستحضار الأسرار لذوي الأشغال»[٣].

ويعرفونه كذلك بأنه: «وارد حق جاء يزعج القلوب إلى الحق، فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق، فكأنه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحق، وهو الذي يجده عند ورود السماع لذا سمي

---

(١) المصدر السابق. (٢) تذكير الناس (ص٢٤٠).
(٣) التعرف على التصوف (ص١٢٠).

السماع وارد حق، وقال أبو الحسن الدارج مخبراً عما وجده في السماع: الوجد عبارة عما يوجد عند السماع، وقال جال بي السماع في ميادين البهاء فأوجدني وجود الحق عند العطاء فساقني بكاس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء، وأخرجني إلى رياض التنزه والفضاء وقال الشبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: السماع ظاهره فتنة، وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة حل له إسماع العبارة، وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة؛ لأنه وصف يدق عن سائر الأعمال، ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله والوجد الذي يثيره السماع.

والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة هو الصفاء...»[1].

فالسماع البدعي هو شعر مغنّى بصوت حسن مع آلة وحركة بنية التعبد لله تعالى.

ويسعى القوم بالسماع للوصول إلى مقاصد كثيرة ـ كما يزعمون ـ منها: التعبد لله، وتزكية النفس، والتواجد، والكشف.

ويصحح القوم السماع بشروط وضعوها من عند أنفسهم يرون أن من جاء بها صح سماعه وإلا فلا.

ويرد عليهم بأن تزكية النفس لا تكون إلا بفعل ما شرعه الله تعالى ورسوله ﷺ وأما السماع فلم يشرع فبطل قولهم أن السماع يزكي النفس، بل السماع وما رافقه عند بعضهم من الرقص والطرب يفسد النفوس ولا يصلحها وتبعد فاعله عن الله تعالى.

إن هذه الأعمال من السماع وغيره أوقعت بعضهم في الشطح، بدعوى الكشوفات المزعومة فلا عذر حينئذ لتعاطيهم الأسباب غير المشروعة.

ويتضح تطور السماع عن ذي قبل شيئاً فشيئاً حتى صار إلى ما صار إليه.

---

(١) المصدر السابق (ص٦٢ ـ ٦٣).

نصوص صوفية حضرموت في السماع:

يقول أبو بكر المشهور: «من المآخذ التي يقف عندها الناقدون لمنهج السلف الصالح اهتمامهم بالسماع، وإنشاد الأشعار الغزلية، وتضمين الشعراء لكثير من أشعارهم ألفاظ الغرام والخمر وكؤوسة النشوة والوصال، وأسماء النسوة كليلى ولبنى وسعاد وما شاكل ذلك، ويعيبون أيضاً ضرب الدفوف والنايات وقد يضرب لبعضهم العود والرباب[١]، ويتساءل كثير من أبناء جيلنا عن مشروعية هذه الظاهرة»[٢].

واستدل لمشروعية السماع بما ذكره علماء الصوفية في كتبهم كالسهروردي في العوارف، والغزالي في الإحياء ونحوهم[٣].

واستدل بحديث أنجشة، وبالذين يلعبون بالرماح في المسجد على جواز السماع في المساجد[٤]. وقال أيضاً: «وأما استخدام الدف والطبل والناي ـ مما لم يرد النص بتحريمه ـ فالأمر الأول: أن الدف رخص فيه صلى الله عليه وآله وسلم للجاريتين اللتين ورد خبرهما في الصحيح عن عائشة قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث[٥]... إلخ»[٦].

وقال أيضاً في كلام له على حكم استعمال آلات اللهو والطرب: «وأما الطبل والناي وما شاكلهما من الآلات التي لم تندرج تحت نص قاطع وإنما حرمها البعض قياساً على الأوتار ولأنهما من آلات اللهو فالخلاف في المسألة جار بين العلماء»[٧].

---

(١) الرباب آلة لهو يضرب بها فتعطي صوتاً مطرباً. انظر: القاموس المحيط (٨٧).

(٢) شروط الاتصاف (ص٩٢).

(٣) المصدر السابق (ص٩٣، ٩٤، ٩٥).

(٤) شروط الاتصاف (ص٩٥ ـ ٩٦). انظر: اضطرابه في هذه المسألة (ص٩٦، ٩٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام، (ص١٩١) برقم (٩٥٢) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، (٣٤٤) برقم (٨٩٢). وبُعاث: «بضم الباء، يوم مشهور كان فيه حرب بين الأوس والخزرج، وبعاث اسم حصن للأوس». النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٤٥)، ط٢، تحقيق خليل شيحا.

(٦) شروط الاتصاف (ص٩٦).

(٧) المصدر السابق (ص٩٦).

وبلغت الجرأة بالقوم أن أدخلوا السماع إلى المساجد مصحوباً بالدف والشبابات[(١)].

كما أنشد القوم الأذكار المطربة مدعين طيران أرواح المؤمنين إياها برؤيتها له نازلة من السماء مقرة لذلك السماع[(٢)].

ويقول صالح الحامد: «وذكر في مناقب المشايخ آل عَبَّاد أنه (كان من عادة الشيخ العارف بالله تعالى عبد الله القديم السماع بالدف والأشعار المستحسنة في معنى المحبة لله والسلوك ليلة الخميس والاثنين راتباً، ثم استمر عليها من بعده الشيخ محمد بن عمر، ثم ولده الشيخ عبد الله بن محمد بن عمر باعباد. . .)»[(٣)].

وادعى القوم فتح أبواب السماء ونزول الملائكة بطارات وشبابات ليسمع الرب تعالى سماعهم واشتياقه تعالى لعبد الرحمٰن السقاف[(٤)].

وقد بلغ الانحراف بالقوم عند ورود الحال والسماع إلى الوقوع في المنكرات ـ بزعم حصول الفتوحات الربانية ـ، جاء في تاريخ النور السافر في ترجمة عبد الرحمٰن بن عمر باهرمز: «وحكي أنه، نفع الله به، كان عندما يرد عليه الحال يطلب النساء الحسان من ذوات الجمال، فيغنين بين يديه، ويرقصن، فكان هذا دأبه في أكثر الأوقات، وكان الفقيه عمر أبا مخرمه على طريقة الفقهاء، فسمع بذلك فقصد الإنكار على الشيخ، ومنعه من ذلك، فسافر من بلده إليه بهذه النية، فلما وصل إلى أثناء الطريق بدأ له أن يرجع فرجع إلى بلده، ثم سمع عنه أيضاً أمثال هذه الأشياء التي ظاهرها مخالفة الشرع[(٥)]، فما

---

(١) الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٦٢). وانظر بدعة السماع واستمرارها في المساجد منذ عهد عبد الرحمن السقاف بالدف واليراع: المشرع الروي (١/ ١٣٩).

(٢) الجوهر الشفاف (٢/ ٧٢ ـ ٧٣) الحكاية (٣٢٣).

(٣) تاريخ حضرموت، للحامد (٧٨٧).

(٤) الجوهر الشفاف (٢/ ٩٥ ـ ٩٦)؛ الحكاية (٣٥٠).

(٥) هذا من عقائد الصوفية وهو تقسيم الدين إلى الظاهر والباطن، وقد تقدم الحديث عنه في مصادر التلقي عندهم.

أمكنه الصبر عن ذلك فسار إليه ثانياً، ودخل عليه، فلما وقع بصره على الشيخ كاشفه وقال له: عمر عاد وقتك ما جاء، فرجع كذلك إلى بلده وامتثل ولم يحصل منه إنكار على الشيخ لما سبق له من الفتح على يديه، ثم سار إليه ثالثاً، فلما دخل عليه أمر الشيخ، نفع الله به، بعض النساء الحسان ممن كانت ترقص عنده أن تعتنقه، فما هو إلا أن فُعِلَ به ذلك خر مغشياً عليه، فلما أفاق تتلمذ للشيخ وحكمه في ذلك الوقت، وفتح الله عليه ببركة الشيخ وصار من كبار العارفين المربين، وقيل إن الفقيه لما طلب التحكيم من الشيخ قال له: صل ركعتين إلى الشرق، فامتثل، فلما أحرم رأى الكعبة تجاه وجهه»[١].

بل يرى عبد الله الحداد أن الولي الذي يقع في المنكرات كسماع آلات اللهو يسلم له حاله: «ثم إذا وقع في شيء من الصغائر المختلفات، في كثير منها مثل النظر إلى النساء الأجانب، واستماع شيء من الملاهي، التي قد اختلف فيها وأمثال ذلك، فقد يسلم له حاله، ويخلى هو وربه إيثاراً لجانب السلامة، وفراراً من تكذيب الإنسان بما لم يحط به علماً؛ فإن لله تعالى في خلقه أسراراً»[٢].

وقد ذكر القوم كرامات محمد بن عبد الرحمٰن (ت٨٢٦هـ) ومنها دعوى أبيه: أن الملائكة تحف ابنه محمداً إذا دخل السماع، وأن امرأة رزقت بولد عند سماعها لوجد محمد[٣].

وقد تقدم ذكر عيد العيدروس الذي يقام بمكة وتعلق القوم باللهو والسماع عنده[٤].

وخلط القوم في تقرير السماع الصوفي فلم يفرقوا بينه وبين الشعر المرغب فيه الذي كان يقوله حسان بن ثابت وغيره من صحابة رسول الله ﷺ[٥].

كذلك قرر القوم السماع البدعي المصحوب بالآت اللهو والطرب وتقربوا

---

(١) تاريخ النور السافر (ص٥٩).
(٢) النفائس العلوية، للحداد (ص١٧٤).
(٣) الجوهر الشفاف (٢/ ١٢١ ـ ١٢٢)؛ الحكاية (٣٦٨).
(٤) انظر: العلم الشامخ (ص٤٦٩).
(٥) انظر: شروط الاتصاف (ص٩٤، ٩٥).

إلى الله بذلك حيث يقام هذا المنكر في المساجد لسماع هذا اللهو، وقد يكون السماع عند القبور أيضاً[١].

ويدعي القوم جواز الفقراء على الصراط يوم القيامة لقيامهم بالسماع والرقص عند قبر هود عليه السلام[٢].

وكلامهم في السماع يطول ذكره، وإنما ذكرنا هنا بعض نصوصهم الدالة على تعلقهم بالسماع البدعي الذي يصد فاعله عن ذكر الله تعالى، ويقربه من الشيطان وجنده[٣].

وقد كان هذا السماع البدعي عند أسلافهم من المتصوفة، فقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: «خلفت بالعراق شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يشغلون به الناس عن القرآن»[٤].

وقد علق السبكي على كلام الإمام الشافعي هذا فقال: «ما ذكره الإمام الشافعي رضي الله عنه من إحداث الزنادقة من كلام إمام خبير بأصول الإسلام فإن هذا السماع لم يرغب فيه ويدع إليه إلا من هو متهم بالزندقة كابن الرواندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم»[٥].

---

(١) انظر ما يتعلق بالسماع المحدث عند صوفية حضرموت: أحوال أبي بكر العيدروس في الطواف بالشوارع من أجل السماع: مواهب القدوس (ص٤٢)، التواجد بالسماع عند قبر هود عليه السلام: مواهب القدوس (ص٤٤)، السماع والوجد عند صوفية حضرموت (مواهب القدوس: ص٤٩)، المشرع الروي (٢/ ١٤٣، ١٦٢). السماع الصوفي وأشكاله: مفتاح الجنة (ص٨٥)، الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢١٨ ـ ٢١٩).)، السماع والصعق: الجزء اللطيف في التحكيم الشريف (ص٢٤)، السماع وذكر بعض المنشدين (مجلة أنوار التلاقي (ص١٨)، العدد الثاني والعشرون: رجب ـ شعبان، ١٤٢٢هـ)، استعمال الطبول والرايات: تذكير الناس (ص٥٤)؛ الضرب بالعود: تذكير الناس (ص٤٠٠)؛ وتقرير القوم لاستعمال آلات موسيقية في السماع والحضرات كالناي والدف (مجلة أنوار التلاقي (ص١٣)، العدد الصادر في شهر صفر، ١٤١٧هـ).

(٢) الجوهر الشفاف (٢/ ١٠٤ ـ ١٠٥)؛ الحكاية ٣٥٦.

(٣) انظر: بعض نصوصهم في ذلك: كنوز السعادة الأبدية (ص٤٦٥ ـ ٤٦٦، ٤٦٨).

(٤) الحلية لأبي نعيم (٩/ ١٤٦)، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ. ومناقب الشافعي للبيهقي (١/ ١٧٣)؛ وتلبيس إبليس (ص٣٢٩) ت: الاستانبولي.

(٥) رسالة في معنى قول الإمام المطلبي (إذا صح الحديث فهو مذهبي) ضمن الرسائل المنيرية.

فهكذا أنكر الأئمة ما يسمى بالتغبير الذي يقوم به الزنادقة ليصدوا الناس به عن ذكر الله تعالى، فكيف بالسماع الذي توسع فيه القوم بمنكرات أكثر[(١)]

ومما تقدم من نصوص صوفية حضرموت في السماع يتبين لنا تسويل الشيطان لهم الوقوع في هذه المخالفة كغيرها من المخالفات التي أبعدتهم عن شرع الله تعالى، وقد بين أهل العلم أن صاحب السماع يشتد حاله إذا: «اقترنت بهم الشياطين كما يقترنون بإخوانهم، فإذا حضروا سماع المكاء والتصدية أخذهم الحال فيزبدون ويرغون كما يفعله المصروع، ويتكلمون بكلام لا يفهمونه هم ولا الحاضرون، وهي شياطينهم تتكلم على ألسنتهم عند غيبة عقولهم كما يتكلم الجني على لسان المصروع، ولهم مشابهون في الهند من عباد الأصنام ومشابهون بالمغرب يسمى أحدهم المصلي، وهؤلاء الذين في المغرب من جنس الزط[(٢)] الذين لا خلاق لهم»[(٣)].

وهناك سماع شرعي وهو سماع كلام الله تعالى وتدبر آيات كتابه، لذا: «ذم من لم يكن حظه من السماع إلا سماع الصوت دون فهم المعنى واتباعه، فقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧١]، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [محمد: ١٦]. وأمثال ذلك»[(٤)].

ويقول شيخ الإسلام: «الذي عليه محققوا المشائخ أنه كما قال الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من تكلف السماع فتن به، ومن صادفه السماع استراح به»، ومعنى ذلك أنه لا يشرع الاجتماع لهذا السماع المحدث ولا يؤمر به ولا يتخذ

---

(١) انظر إنكار الأئمة لذلك: مجموع الفتاوى (١١/ ٢٩٨، ٥٣٢).
(٢) الزُّط: بالضم: جيل من الهند. القاموس المحيط (ص٦٦٨). قال المحقق: الذي في التوشيح: جيل من السودان طوال الجسام مع نحافة.
(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٩٥). (٤) مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٨).

ذلك ديناً وقربة؛ فإن القرب والعبادات إنما تؤخذ عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فكما أنه لا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه الله، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. فجعل محبتهم لله موجبة لمتابعة رسوله وجعل متابعة رسوله موجبة لمحبة الله لهم، قال أُبي بن كعب رضي الله عنه: عليكم بالسبيل والسنَّة فإنه ما من عبد على السبيل والسنَّة ذكر الله فاقشعر جلده من مخافة الله إلا تحاتت عنه خطاياه كما يتحات الورق اليابس عن الشجرة، وما من عبد على السبيل والسنَّة ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله إلا لم تمسه النار أبداً، وإن اقتصاداً في سبيل وسنَّة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنَّة، فاحرصوا أن تكون أعمالكم اقتصاداً واجتهاداً على منهاج الأنبياء وسنتهم»(١).

ويقول أيضاً: «النفس لا بد لها من شيء في الغالب تترنم به فمن لم يترنم بالقرآن ترنم بالشعر وسماع القرآن هو سماع النبيين والمؤمنين والعارفين والعالمين قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨)﴾ [مريم: ٥٨]. وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨٣)﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩)﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

وقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٧٦ ـ ٧٧).

يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣]. إلى أن قال: فهذا هو السماع الذي يسمعه سلف الأمة وقرونها المفضلة وخيار الشيوخ إنما يقولون بهذا السماع وأما الاستماع إلى القصائد الملحنة والاجتماع عليها فأكابر الشيوخ لم يحضروا هذا السماع: كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي وأمثالهم من المتأخرين كالشيخ عبد القادر والشيخ عدي بن مسافر والشيخ أبي مدين، والشيخ أبي البيان وأمثال هؤلاء المشايخ فإنهم لم يكونوا يحضرون هذا السماع وقد حضره طائفة من الشيوخ وأكابرهم ثم تابوا منه ورجعوا عنه، وكان الجنيد رحمه الله تعالى لا يحضره في آخر عمره ويقول: من تكلف السماع فتن به ومن صادفه السماع استراح به أي من قصد السماع صار مفتوناً، وأما من سمع بيتاً يناسب حاله بلا اقتصاد فهذا يستريح به»[(١)].

وما استدل به القوم على جواز السماع لا يصح، فإن الحداء الذي كان في عهد النبي ﷺ غير سماعهم الذي فيه صد عن سبيل الله، وما يصاحبه من آلات اللهو والطرب المحرم.

والصواب أن آلات اللهو محرمة لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ [لقمان: ٦].

وقد بيّن بعض السلف أن معنى لهو الحديث المذكور في الآية والمتوعد عليه بالعذاب المهين بأنه الغناء فقد نقل ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم[(٢)].

وثبت في صحيح البخاري من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم تروح عليهم سارحة لهم يأتيهم رجل

(١) مجموع الفتاوى (١١/٥٣٣ ـ ٥٣٤)؛ وانظر: المصدر السابق (١١/٥٥٩ ـ ٥٦٠).
(٢) انظر: تفسير ابن جرير (٢١/٧٢ ـ ٧٤)؛ تفسير ابن كثير (٣/٤٨٦).

لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هكذا رواه البخاري تعليقاً مجزوماً به وعرفه في الأحاديث المعلقة إذا قال: قال فلان كذا فهو من الصحيح المشروط وإن لم يسنده؛ لأنه قد يكون عنده نازلاً أو لا يذكر من سمعه منه مع علمه باشتهار الحديث عن ذلك الرجل لغير ذلك، ولهذا نظائر في الصحيح، وإذا قال: روي عن فلان أو يذكره لم يكن من شرط كتابه يكون من الحسن ونحوه، وقد رواه الإسماعيلي والبرقاني في صحيحيهما المخرجين على الصحيح بهذا الإسناد، لكن في لفظ لهما: «تروح عليهم سارحة لهم ويأتيهم رجل لحاجة» وفي رواية: «فيأتيهم طالب حاجة فيقولون إلى آخره وفي رواية حدثني أبو عامر الأشعري ولم يشك وهذا مع الحديث الأول يقتضي أن يكون عبد الرحمٰن بن غنم سمع الحديث منهما ولكل منهما لفظ وقد روى أبو داود كلا الحديثين لكن روى الثاني بإسناد صحيح عن أبي مالك أو أبي عامر ولفظه: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير وذكر كلاما قال يمسخ منهم»[٢].

يقول عبد الله بن علوي الحداد عن السماع: «السماع إذا حضره الشيخ المتمكن وحضر الجماعة بحضوره عن إذنه وعلى موافقة الشروط التي يشترطها في الحضور، وكانوا كلهم معتقدين لذلك الشيخ، غير منكرين عليه، كان الحاضرون كذلك محفوظين بحاله وهمته وحيطة عنايته»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، (ص١١٠١) برقم (٥٥٩٠) عن أبي عامر أو أبو مالك الأشعري معلقاً. وقد وصلها الإمام أبو داود في سننه: كتاب اللباس، باب ما جاء في لباس الخز، (ص٤٢٢) برقم (٤٠٣٩).

(٢) الفتاوى الكبرى (٣/ ١٢٧). انظر رد الإمام ابن القيم على ابن حزم في إباحة الغناء وتضعيفه حديث البخاري: إغاثة اللهفان (١/ ٢٥٩ ـ ٢٦١) بتحقيق الفقي. وللشيخ الألباني كتاب بعنوان (تحريم آلات الطرب) رد فيه على ابن حزم ومقلديه في إباحة المعازف والغناء.

(٣) النفائس العلوية (ص١٣٢)؛ والفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢١٩).

وقدر بعض علماء الشافعية المتأخرين السماع الصوفي المصحوب بالغناء والألحان؛ يقول ابن حجر الهيتمي المكي من السماع الصوفي: «والذي يتقوى في النفس رجحان تحريم الغناء الملحن وسماعه.. لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦] أي: الغناء...»[١].

كما ردَّ أهل العلم على تجويز صوفية حضرموت الضرب بالدفوف في المساجد، يقول عبد الرحمٰن بن عبيد الله معلقاً على قول بعضهم بعدم حرمة ضرب الدفوف والطيران[٢] في المساجد: «وأرى أنه خضع في هذا لبعض القول مقاربة لمتصوفة زمانه وإلا فديوان ابن المقري من فاتحته إلى خاتمته مصرح بحرمة ذلك، وأحرى بالمساجد أن تصان عنه»[٣].

وردَّ ابن عبيد الله كذلك على سماع الصوفية والصعق الذي أودى ببعضهم إلى الموت وبيّن أنه حال ناقص فقال: «فإن قال قائل: إذا كان الموت على مثل تلك الحال كمالاً، فهلا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورضي عنهم، وهم خير القرون[٤][٥].

❁ المطلب الرابع ❁

الاحتفالات البدعية

إلى جانب البدع الكثيرة التي تلبَّس بها القوم في العبادات والأذكار، فقد أضافوا إلى ما سبق احتفالات بدعية تُقام في أماكن محددة وجعلوا لها أوقاتاً محددة، وتتلخص الاحتفالات البدعية التي تتعبد بها صوفية حضرموت في الآتي:

---

(١) كف الرعاع (ص٦٩ ـ ٧٠).

(٢) جمع طار وهو الطبل الصغير مثل الدف يستخدم في الحفلات والمناسبات.

(٣) صوب الركام (١/ ٢٨٥).

(٤) ومعنى كلام ابن عبيد الله: إن كان ما يفعله الصوفية من الصعق والموت بسبب السماع ونحوه كمالا فَلِمَ لم يقع لأصحاب رسول الله ﷺ وهم أكمل الناس عبادة بعد الأنبياء والمرسلين؟، فلما لم يقع لهم ذلك دل على نقص هذا الفعل والحال عن درجة العبادة المطلوبة التي سلكها أصحاب رسول الله ﷺ.

(٥) العود الهندي (١/ ١١١).

أ ـ الاحتفال بالمولد النبوي:

يرى القوم استحباب الاحتفال بالمولد النبوي، ودليلهم في ذلك فعل سلفهم العلويين لا سيما المعظمين منهم، يقول علوي بن أحمد الحداد في شرحه على راتب عبد الله الحداد: «الفائدة الثانية عشرة: في استحباب قراءة خبر مولد النبي ﷺ.

ومن عادة سيدنا الحداد ـ صاحب الراتب ـ نفع الله به، أنه يعمل مولداً للنبي ﷺ في شهر ربيع الأول، يسمونه الحِدَاة (بكسر الحاء المهملة وفتح الدال المهملة) وهو باقٍ إلى الآن ويسمى بهذا الاسم، فعمل المولد مستحب»[(١)].

بل ادعى علي بن عبد الرحمن الجفري أن الاحتفال بالمولد النبوي سنة مؤكدة، يقول في شريط له بعنوان: (مقاصد المؤمنة وقدرتها في الحياة): «المولد سنة من سنن الرسول ﷺ، وهو سنة مؤكدة، ولا نقول مباحاً بل سنة مؤكدة»[(٢)].

ويقول أبو بكر المشهور في كتابه «شروط الاتصاف» تحت عنوان: (ظاهرة الاهتمام بالمولد والحضرات) مبيناً فعل سلفه العلويين لهذه الاحتفالات زاعما أن ذلك من التأسي بالنبي ﷺ: «فصاروا يعقدون لهذا التعظيم مجالس وحضرات مختلفة يبلغون بها، وبما يدور فيها من سرد لأخبار سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مفاهيم الاقتداء والتأسي به عليه الصلاة والسلام من خلال سماع عاطر ميلاده، ورضاعته، ونشأته وإسرائه ومعراجه وهجرته ومعجزاته إلى غير ذلك من مظاهر التأسي، والعلم بأحواله صلى الله عليه وآله وسلم بأساليب نثرية أو شعرية تميل بحسب ذوق منشئها إلى الإبداع الوصفي،

---

(١) شرح راتب الحداد، لعلوي الحداد (ص٩٠).

(٢) شريط له بعنوان (مقاصد المؤمنة وقدرتها في الحياة) آخر الشريط. وانظر تقرير شيخه عمر بن حفيظ العلوي للمولد: مجلة أنوار التلاقي (ص٥٤)، العدد الثاني، الصادر في ربيع الأول، ١٤١٩هـ.

والتعبير الذوقي المعبر عن المعان الشفافة، خصوصاً عند أهل التصوف الذين يفهمون المراد بالإشارة المقصودة معنى أسمى وأرقى من مفهوم الأمر الحسي الظاهر، خصوصاً في بعض القصائد والأناشيد التي تتخلل قراءة السيرة وأخباره صلى الله عليه وآله وسلم»[(١)].

وجاء في كتاب «النيات» تحت عنوان [نيات حضور مجلس المولد]: «حضور مجلس النبي ﷺ، سماع سيرة المصطفى، تكثير سواد أهل الحق، أن يقوم ببعض ما يجب لهذا الرسول ﷺ، أن يكرمه الله برؤية النبي ﷺ»[(٢)].

ويوضح أبو بكر المشهور ميل قومه إلى المذهب الباطني في أشعارهم الغزلية التي يرددونها في المولد، مع تشنيعه ـ كعادته ـ على أهل الحق المنكرين للبدع، حيث يصفهم بمدرسة النقض ـ قال: «حتى صار المتفنون من منسوبي هذه المدرسة لا يتورعون عن جعل المولد والنشائد الصوفية ضرب من الانحراف الفكري الخارج عن الإسلام بشواذ التصرف المنسوب إلى الأفراد. بعض الأشعار الفخرية، أو العبارات ذات النمط التغزلي الدال عند هذه المدرسة على معنى يخالف المعنى المحسوس»[(٣)].

ويقول علي بن محمد الحبشي عن فضل قراءة المولد: «ولا شك أن روحه ﷺ تحضر عند قراءته»[(٤)].

وجاء في كتاب «تاريخ الشعراء الحضرميين» عند ذكر مناقب أحمد بن زين الحبشي (ت١١٤٥هـ): «وخذ من ظاهراته تعلقه القوي بالحضرة النبوية وعنايته الشديدة بتلاوة المولد النبوي في كل مكان ولو منفرداً»[(٥)].

---

(١) شروط الاتصاف (ص١٤٥).

(٢) كتاب النيات، تأليف: محمد بن علوي العيدروس (ص٨٥ ـ ٨٦). تريم للدراسات والنشر ـ تريم، ط١، ١٤٢٤هـ.

(٣) شروط الاتصاف (ص١٤٦).

(٤) مولد الحبشي (ص٢٦٤).

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ٦٠).

كما ألّف القوم في الاحتفال بمولده ﷺ عدة كتب يحرصون على قراءتها في أغلب المناسبات[١].

ويقول عمر بن أحمد بن سميط في رحلته إلى تريم مع جماعة من الحضرميين: «ونزلنا بدار المنصب الحبيب حسين بن علي بن حسن الحداد فقابلنا بغاية الإكرام، وحالما نزلنا علمنا بالمولد الذي يعمله الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب ليلة كل ثلاثاء بعد صلاة المغرب في مسجد سرور بالنويدرة، فأسرعنا إلى المسجد وأدركنا الركعة الأولى من المغرب خلفه، وبعد الصلاة جلسنا لاستماع قصة المولد، وبعد القيام أنشد المنشد بقصيدة الحبيب علي بن محمد الحبشي التي مطلعها:

تنكر وقتي أورث الحزن والهما ... وكيف وأهل الوقت قد أهملوا العلما»[٢]

ويقول علوي الحداد: «وجمعيات الناس عند قبور المشايخ في أوقات مخصوصة وقراءة خبر المولد الشريف كثيراً ما يعتاده أهل الحرمين، واليمن، والشام، والعراق عند قبور الأولياء المشهورين»[٣].

وجاء في كتاب «تحقيقات تاريخية»: عند ذكر مناقب عبد الرحمٰن بن سليمان باحرمي (ت١١٩٠هـ) حيث قال: «في ليلة من ليالي ليلة الجمعة مع خروجي للحضرة الشريفة على العادة، وكان أبي ـ رحمه الله تعالى ـ صافح سيدي الحبيب عبد الله ـ نفع الله به ـ قبلي... ثم قال سيدنا الحبيب، نفع الله به يا سليمان! بارك الله فيك، الزم الحضرة يا سليمان، يحصل لك خير، وإنها لكم يا أولاد سليمان»[٤].

ويقول ابن عبيد الله عند ذكر علي بن حسن العطاس: «وكان يحتفل بمولد النبي ﷺ في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول في كل عام يتقاطر له

(١) منها ما ألّفه علي بن محمد الحبشي كتاباً بعنوان (سمط الدرر في أخبار مولد خير البشر وما له من أخلاق وأوصاف وسير ط١، ١٤٠٣هـ. في أندنوسيا ـ صولو).
(٢) النفحة الشذية (ص١٩٩).
(٣) مصباح الأنام (ص٤٨).
(٤) تحقيقات تاريخية (ص١٨).

الوفود من كل ناحية... ولا تزال تلك العادة متبعة إلى اليوم»(١).

ويعتقد القوم دخول النبي ﷺ عليهم في المولد النبوي، يقول علي بن حسن العطاس عن حضوره المولد في صباه: «فاتفق أن إنساناً من أهل هينن ختم ابنه القرآن وصنع مولداً للنبي ﷺ فأمرتنا الوالدة بحضور المولد أنا وصنوي أبو بكر فجينا وجلسنا خلف الناس؛ لأنه لا يؤبه لنا بسبب الصغر، فلما قاموا المقام الذي هو أثناء المولد الذي قيل أن سببه دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنزل الذي يقرأ فيه المولد...»(٢).

وهذا الزعم الذي تدعيه الصوفية من الكذب وقد مرَّ الرد عليه عند الكلام على مصادر التلقي عندهم، ونذكر هنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرد على القائلين بجواز رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته: «والضلّال من أهل القبلة يرون من يعظمونه إما النبي ﷺ وإما غيره من الأنبياء يقظة ويخاطبهم ويخاطبونه وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي ﷺ وعانقه هو وصاحباه، ومنهم من يخيل إليه أنه رفع صوته بالسلام حتى وصل مسيرة أيام وإلى مكان بعيد، وهذا وأمثاله أعرف ممن وقع له هذا وأشباهه عدداً كثيراً، وقد حدثني بما وقع له في ذلك وبما أخبر به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضع بذكرهم، وهذا موجود عند خلق كثير كما هو موجود عند النصارى والمشركين؛ لكن كثير من الناس يكذب بهذا، وكثير منهم إذا صدق به يظن أنه من الآيات الإلهية وإن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه، ولم يعلم أنه من الشيطان، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان، ومن كان أقل علماً قال له ما يعلم أنه مخالف للشريعة خلافاً ظاهراً، ومن عنده علم منها لا يقول له ما يعلم أنه مخالف

---

(١) إدام القوت (ص٢١٠ ـ ٢١١)، ط الإرشاد.

(٢) المقصد إلى شواهد المشهد، لعلي بن حسن العطاس (ص١٤). وانظر قراءة القوم للمولد في شكل جماعي: المصدر السابق (ص٣٢)؛ مصباح الأنام (ص٤٨)؛ تذكير الناس (ص، ٦٤، ١٨٢، ١٨٣)؛ مجلة أنوار التلاقي (ص٩)، العدد الثاني، الصادر في ربيع الأول، ١٤١٩هـ؛ مجلة أنوار التلاقي (ص٤)، العدد السابع والعشرون، الصادر في ربيع الأول، ١٤٢٣هـ.

للشريعة ولا مفيداً فائدة في دينه بل يضله عن بعض ما كان يعرفه، فإن هذا فعل الشياطين وهو وإن ظن أنه قد استفاد شيئاً فالذي خسره من دينه أكثر، ولهذا لم يقل قط أحد من الصحابة إن الخضر أتاه ولا موسى ولا عيسى ولا أنه سمع ردّ النبي ﷺ عليه وابن عمر كان يسلم إذا قدم من سفر ولم يقل قط إنه يسمع الردّ، وكذلك التابعون وتابعوهم وإنما حدث هذا من بعض المتأخرين»[١].

وقال المقريزي[٢] في كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» تحت عنوان (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر معهم) قال: «كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي ﷺ. . .»[٣]

وقال المطيعي[٤]: «مما أحدث وكثر السؤال عنه: المولد، فنقول: عن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون، وأولهم المعز لدين الله، توجه من المغرب إلى مصر في شوال ٣٦١هـ فوصل إلى ثغر الإسكندرية في شعبان، ودخل القاهرة لسبع خلون من شهر رمضان في تلك السنة، فابتدعوا ستة المولد، المولد النبوي، ومولد أمير المؤمنين»[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٩١ ـ ٣٩٢).

(٢) هو أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني البعلي المصري، ولد سنة ٧٦٩هـ. كان عالماً مؤرخاً، صاحب مؤلفات كثيرة حتى قيل: إنها زادت على مائتي مجلدة كبار. من مؤلفاته: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ورسالة في النحل، والطرفة العجيبة من أخبار وادي حضرموت العجيبة وغيرها. توفي سنة ٨٤٥هـ. انظر: معجم المؤلفين (١/ ٢٠٤).

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١/ ٢٧٤). وانظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي (٣/ ٤٩٤ ـ ٤٩٨).

(٤) هو محمد بن بخيت بن حسين المطيعي، الحنفي، فقيه. ولد بناحية المطيعة بمديرية أسيوط في مصر سنة ١٢٧١هـ، وتعلم بالأزهر ثم عمل في القضاء الشرعي، ثم عين مفتياً للديار المصرية. من مؤلفاته: حقيقة الإسلام وأصول الحكم، والمدخل المنير في مقدمة علم التفسير، ووسيلة العبيد في علم التوحيد. توفي بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ. انظر: معجم المؤلفين (٣/ ١٥٩).

(٥) أحسن الكلام، للمطيعي (ص٤٤).

وأما قول الجفري بأن المولد سنة مؤكدة فهو دليل على مدى الجهل الذي وصل إليه بحيث لا يعرف معنى السنة المؤكدة، إذ معناها عند أهل العلم ما داوم على فعلها ﷺ، والسنة هي ما سنها النبي ﷺ أو سنها أحد الخلفاء الراشدين لقوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ. . .» الحديث.

والمولد لم يُسنّ فضلاً أن يكون سنة مؤكدة عن رسول الله فلم يفعله النبي ﷺ ولا الصحابة من بعده، ولا التابعون حتى جاء الرافضة العبيديون الذين سموا أنفسهم الفاطميين في القرن الرابع فأحدثوه فتبعهم عليه المبتدعة والجهال.

واعتقاد المولد سنة مؤكدة يلزم منه لوازم فاسدة أعظمها: أن يكون هذا المولد من الدين، وهذا في غاية البطلان إذ كيف يفوت الصحابة وأتباعهم بإحسان هذا الأمر حتى ظفر به المتصوفة فتدينوا به، وقد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

يقول الشيخ حمود التويجري[١] رحمه الله: «هذه الآية الكريمة أبلغ ردّ على كل من ابتدع بدعة يزيد في الدين ما ليس منه»[٢].

وقول من قال باستحبابه غير صحيح فإنه لم يسن المولد ولا غيره من البدع ولا استحبه رسول الله ﷺ ولا أحد من الذين يقتدي بهم المسلمون في دينهم، فالمولد من البدع المنكرة ولا يقول أحد في مثل هذا إنه بدعة حسنة[٣].

ويلزم من ذلك أن النبي ﷺ كتم شيئاً من الدين والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

---

(١) هو العلامة حمود بن عبد الله التويجري النجدي، من علماء القرن الخامس عشر، ولد سنة ١٣٣٤هـ، وأقام بمدينة الرياض إلى أن توفي بها سنة ١٤١٣هـ. من مؤلفاته: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، وفصل الخطاب في الرد على أبي تراب، عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن وغيرها من المؤلفات النافعة. انظر: ذيل الأعلام، لأحمد علاونة (ص٧٦).

(٢) رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي (١/ ٦٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٥٢). وانظر قول الشيخ عبد العزيز بن باز بأن المولد من البدع المحدثات: مجموع فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ١٨ ـ ٢٢).

كما يلزم من ذلك أن المحتفلين بالمولد عثروا على شيء فات النبي ﷺ وأصحابه وهذا لا يقوله مسلم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله ﷺ الكلية وهي قوله: «كل بدعة ضلالة» بسلب عمومها، وأن يقال ليست كل بدعة ضلالة، فإن هذا إلى مشاقة الرسول أقرب منه إلى التأويل. وقال: إن قصد التعميم المحيط ظاهر من نص الرسول ﷺ بهذه الكلمة الجامعة فلا يعدل عن مقصودة»[1].

واعتقاد حضور النبي ﷺ بذاته أو حضور روحه في احتفالات المتصوفة اعتقاد باطل وقد تقدمت النصوص الكثيرة في المباحث السابقة في أنه ﷺ قد مات ولا يخرج لأحد قبل يوم القيامة[2]، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون: ١٥ ـ ١٦].

حكم الاحتفال بالمولد النبوي:

عمل المولد من الأمور المحدثة التي أحدثها الرافضة الفاطميون الذين حكموا مصر كما تقدم، ولم يعرف قبلهم، وقد انتسبوا إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ كذباً وزوراً ليبثوا شرهم في الأمة الإسلامية، فقد ذكر كثير من المؤرخين أنهم ينحدرون من أصل يهودي فهم أبناء عبيد الله بن ميمون بن ديصان المشهور بالقداح، حيث قيل: إنه يهودي، وقيل: مجوسي[3][4].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٧٤).

(٢) انظر (ص٢٧٠) وما بعدها من هذا البحث.

(٣) المجوسي: نسبة إلى المجوس وهم عبدة النار، ويقولون: أن للعالم أصلين: النور والظلمة، وهم أقدم الطوائف حيث نشأوا ببلاد فارس. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص١٣٤)، هامش (١).

(٤) انظر: البداية والنهاية، للإمام ابن كثير (١١/ ١٨٠)، ط دار الفكر، بدون تاريخ. ومن القائلين بأن الفاطميين هم الذين أحدثوا بدعة المولد: محمد بخيت المطيعي ـ أحد علماء مصر الذي يعظمهم متصوفة حضرموت ـ. انظر (أحسن الكلام: ص٤٤ ـ ٤٥، ٤٧)؛ والشيخ علي محفوظ في كتابه (الإبداع في مضار الابتداع: ص١٢٦)؛ والشيخ سعد صادق في كتابه (صراع بين الحق والباطل: ص١٢٤). وعلي فكري في كتابه (المحاضرات الفكرية: ص٨٤).

ولإقامة هذا الاحتفال مفاسد كثيرة[١] منها:

ـ تعطيل الواجبات والسنن بالانشغال بهذه الاحتفالات لما فيها من الصد عن ذكر الله تعالى.

ـ الانشغال عن ذكر الله تعالى بالألحان وغيرها.

ـ استعمال آلات اللهو والطرب، مضافاً إلى انتهاك حرمة المساجد التي تقع فيها الموالد.

ـ إضاعة الأموال لكثرة ما يستخدم من المصابيح والإضاءات وغيرها في المساجد التي تستهلك الكهرباء.

ـ ما يقع في المولد من الرياء والتنافس والمباهاة.

ـ تعطيل الناس عن واجباتهم من: عمال وفلاحين، وتخويفهم بخطر التخلف عن حضور المولد فهم يذكرون حكايات في خطر ذلك، بالإضافة إلى تعطيل طلبة العلم عن القيام بما هو أهم.

ـ شد الرحال من أماكن بعيدة لحضور المولد، لما يروجونه من فضائل حضور المولد.

ـ فتح أبواب الشر بعمل الموالد عند القبور وما يرافق ذلك من توسلات واستغاثات شركية.

ـ ما في المولد من عبارات الغلو في الرسول ﷺ وإعطائه صفات الرب تعالى.

ـ ما في ذلك من العبارات التي لا تليق كالتغزل بالنبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند حديثه عن البدع: «وبهذا يتبيَّن لك أن البدعة في الدين وإن كانت في الأصل مذمومة كما دلّ عليه الكتاب والسنَّة، سواء في ذلك البدع القولية والفعلية، وقد كتبت في غير هذا الموضع أن المحافظة على عموم قول النبي ﷺ «كل بدعة ضلالة» متعين، وأنه يجب العمل

---

(١) انظر: هذه دعوتنا، لعبد اللطيف مشتهري، (ص٢٢٠ ـ ٢٢٤).

بعمومه، وأن من أخذ يصنف البدع إلى حسن وقبيح، ويجعل ذلك ذريعة ألى أن لا يحتج بالبدعة على النهي فقد أخطأ، كما يفعل طائفة من المتفقهة والمتكلمة والمتصوفة والمتعبدة؛ إذا نهوا عن العبادات المبتدعة والكلام في التدين المبتدع ادعوا أن لا بدعة مكروهة إلا ما نهى عنه، فيعود الحديث إلى أن يقال كل ما نهى عنه، أو كل ما حرم، أو كل ما خالف نص النبوة فهو ضلالة، وهذا أوضح من أن يحتاج إلى بيان بل كلما لم يشرع من الدين فهو ضلالة.

وما سمي بدعة وثبت حسنه بأدلة الشرع فأحد الأمرين فيه لازم: إما أن يقال ليس ببدعة في الدين، وإن كان يسمى بدعة من حيث اللغة كما قال عمر: «نعمت البدعة هذه»(١).

وأما أن يقال: هذا عام خصت منه هذه الصورة لمعارض راجح كما يبقى فما عداها على مقتضى العموم كسائر عمومات الكتاب والسنَّة»(٢).

وقد تكلم تاج الدين عمر بن علي الفاكهاني(٣) عن حكم المولد فقال: «لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ولم ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين المتمسكون بآثار المتقدمين؛ بل هو بدعة أحدثها المبطلون وشهوة نفس اعتنى بها الآكلون؛ بدليل أنا إذا أدرنا عليها الأحكام الخمسة قلنا: إما أن يكون واجباً، أو مندوباً، أو مباحاً، أو مكروهاً، أو محرماً وليس هو بواجب إجماعاً ولا مندوباً؛ لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشارع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشارع ولا فعله الصحابة والتابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت، وهذا جوابي عنه بين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، (ص٣٨٠) برقم (٢٠١٠) بلفظ (نعم البدعة هذه).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٧٠ ـ ٣٧١).

(٣) هو الشيخ عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي، الإسكندراني، الفاكهاني (تاج الدين، أبو حفص)، فقيه، مشارك في الحديث والأصول والعربية والأدب. ولد بالإسكندرية. من تصانيفه: التحرير والتحبير (شرح لرسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي)؛ وشرح في النحو، والمورد في عمل المولد. توفي سنة ٧٣١هـ. انظر: معجم المؤلفين (٢/ ٥٦٧).

يدي الله إن سئلت، ولا جائزاً ولا مباحاً؛ لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً أو محرماً»[١]

وأنكر المولد ابن الحاج في المدخل فقال: «ومن جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم أن ذلك أكبر العبادات إظهار الشعائر، ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد، وقد احتوت على بدع ومحرمات جملة»[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «القول في ليلة المولد وغيرها: والبدع المكروهة ما لم تكن مستحبة في الشريعة وهي أن يشرع ما لم يأذن به الله فمن جعل شيئاً ديناً وقربة بلا شرع من الله فهو مبتدع ضال وهو الذي عناه النبي ﷺ بقوله: «كل بدعة ضلالة». فالبدعة ضد الشرعة، والشرعة ما أمر الله به ورسوله أمر إيجاب أو أمر استحباب وإن لم يفعل على عهده كالاجتماع في التراويح على إمام واحد، وجمع القرآن في المصحف، وقتل أهل الردة والخوارج ونحو ذلك، وما لم يشرعه الله ورسوله فهو بدعة وضلالة مثل: تخصيص مكان أو زمان باجتماع على عبادة فيه كما خص الشارع أوقات الصلوات، وأيام الجمع والأعياد، وكما خص مكة بشرفها والمساجد الثلاثة وسائر المساجد بما شرعه فيها من الصلوات، وأنواع العبادات كل بحسبه وبهذا التفسير يظهر الجمع بين أدلة الشرع من النصوص والاجماعات فإن المراد بالبدعة ضد الشرعة وهو ما لم يشرع في الدين فمتى ثبت بنص أو إجماع في فعل أنه مما يحبه الله ورسوله خرج بذلك عن أن يكون بدعة»[٣].

وكما تقدم فإن الاحتفال بمولد النبي ﷺ لم يكن على عهد السلف، وإنما أحدثه العبيديون الرافضة في القرن الرابع، فالاحتفال بهذه المناسبة ممنوع ومردود لعدة وجوه:

---

(١) المورد في عمل المولد: لأبي حفص تاج الدين الفاكهاني (ص٢٠). مكتبة المعارف ـ الرياض، ط ١ ١٤٠٤هـ.
(٢) المدخل لابن الحاج (٢/٢)؛ وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٣/١٨ ـ ٢٢).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٣/١٣٣ ـ ١٣٤).

ـ لم يكن من سنة النبي ﷺ ولا من سنة خلفائه الراشدين وما كان كذلك فإنه من البدع المذمومة لقوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[١].

ـ في الاحتفال بالمولد النبوي تشبه بالنصارى الذين يحتفلون بذكرى مولد المسيح عليه السلام، والتشبه بهم محرم أشد التحريم قال ﷺ: «ومن تشبه بقوم فهو منهم»[٢].

ـ والمولد كذلك وسيلة إلى الغلو والمبالغة في تعظيمه ﷺ حتى يفضي ذلك إلى دعائه ﷺ والاستغاثة به من دون الله تعالى كما هو الواقع عند الصوفية.

ـ إن إحياء بدعة المولد يفتح الباب للبدع الأخرى، فتجد المحتفلين بالمولد ينشطون في إحيائه بينما يكسلون عن السنن ويعرضون عنها ويبغضون أهلها، حتى صار دينهم كله ذكريات بدعية وموالد.

وقد أفتت اللجنة الدائمة ببدعية الاحتفال بليلة مولد النبي ﷺ فقالت: «من البدع الممنوعة إقامة احتفال في ليلة مولد النبي ﷺ وعقد مسابقات قرآنية فيها، وذبح خرفان وإلقاء محاضرات عن النبي ﷺ بهذه المناسبة؛ لأن النبي ﷺ أعرف بقدر نفسه، وما ينبغي أن يكرم به، وأعرف بشرع الله تعالى، ولم يثبت عنه أنه احتفل بمولده ولا بمولد نبي من إخوانه السابقين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ، ولا بمولد أحد من صحابته رضي الله عنهم، وقد ثبت عنه أنه قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفي

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٧٥) من هذا البحث.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥٠)، ط المكتب الإسلامي، ودار صادر، وأبو داود في سننه: كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، (ص٤٤١) برقم (٤٠٢١)؛ وجوّد إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٦٩)؛ وحسنه السيوطي في الجامع الصغير برقم (٨٥٩٣)؛ وصححه الشيخ الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام برقم (١٠٩).

رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[(١)][(٢)].

كما بيَّن أهل العلم أن فعل المولد ليس من تعظيم النبي ﷺ فقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية: ما حكم الاحتفال بمولد النبي ﷺ في شهر ربيع الأول تعظيماً له عليه الصلاة والسلام؟ فأجابت: «تعظيم النبي ﷺ واحترامه إنما هو: بالإيمان بكل ما جاء به من عند الله، واتباع شريعته عقيدة وقولاً وعملاً وخلقاً، وترك الابتداع في الدين، ومن الابتداع في الدين الاحتفال بمولد النبي ﷺ»[(٣)].

وبيَّن أهل العلم في اليمن أن صرف المال في الموالد والحضرات من الإسراف والتبذير المحرم، يقول الشيخ البيحاني: «لا يجوز السرف والتبذير، وصرف المال فيما لا يحل، ولا تعود به مصلحة، ولا يقع به نفع ولا ثواب، كالذين يصرفونه في القات والدخان وعلى المغنين، وإقامة الحفلات والولائم التي لا يراد بها وجه الله، ولا يقصد منها إلا المباهاة، والتظاهر بالجود والسخاء، ومنه ما ينفق في الموالد والحضرات وفي مواسم الزيارة ـ زيارة الأولياء والصالحين ـ أمور من البدعة ما أنزل الله بها من سلطان»[(٤)].

ومن الذين ردوا على بدعة القيام في المولد ابن حجر الهيتمي ـ أحد علماء الشافعية بمكة في وقته ـ قال: «ونظير ذلك فعل كثير عند ذكر مولده ﷺ ووضع أمه له، من القيام وهو أيضاً بدعة لم يرد فيه شيء على أن الناس إنما يفعلون ذلك تعظيماً له ﷺ، فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص،

---

(١) تقدم تخريجه (ص٨١٤) من هذا البحث.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/٣٣). المكونة من أصحاب الفضيلة: الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ، والشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ، والشيخ عبد الله بن غديان ـ حفظه الله ـ، والشيخ عبد الله بن قعود رَحِمَهُ اللهُ. وانظر: رسالة الشيخ ابن باز في بيان حكم المولد والمفاسد المترتبة على إقامته (٣/١٨ ـ ٢٢).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/٢٣). المكونة من أصحاب الفضيلة: الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ، والشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ، والشيخ عبد الله بن غديان ـ حفظه الله ـ، والشيخ عبد الله بن قعود رَحِمَهُ اللهُ.

(٤) إصلاح المجتمع (ص٣٤٠ ـ ٣٤١)، ط دار الندوة الجديدة.

والله ﷻ أعلم بالصواب»[(١)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «مع اختلاف الناس في مولده فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم حرصاء على أمثال هذه البدع مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة تجدونهم فاترين في أمر الرسول ﷺ عما أمروا بالنشاط فيه وإنما هم بمنزلة من يحلي المصحف ولا يقرأ فيه أو يقرأ فيه ولا يتبعه وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه أو يصلي فيه قليلاً، وبمنزلة من يتخذ المسابح والسجادات المزخرفة وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تشرع ويصحبها من الرياء والكبر والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها، كما جاء في الحديث: «ما ساء عمل أمة قط إلا زخرفوا مساجدهم»[(٢)]»[(٣)].

ب ـ الاحتفال بزيارة القبور والمشاهد:

يحتفل القوم بزيارة قبور معينة يقومون بالعبادات المختلفة عندها في أوقات محددة ومن تلك المشاهد والقبور:

القبر المزعوم لنبي الله هود عليه السلام:

أولع القوم بتعظيم القبور وزيارتها وجعل لها مناسك مضاهاة بمناسك

---

(١) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (ص٥٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب المساجد، باب تشييد المساجد، (ص٩٠) برقم (٧٤١)، والحديث ضعيف جداً. انظر: ضعيف الجامع (ص٧٣٣) برقم (٥٠٧٥).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦).

الحج والعمرة، واعتمدوا أذكاراً خاصة يرددها الزوار، وتعتبر زيارة القبر المزعوم لنبي الله هود ﷺ أكبر الزيارات التي تقام في بلاد حضرموت إلى يومنا هذا، حيث يفد إليها الناس من مختلف المناطق اليمنية وكذلك من خارج بلاد اليمن، وتوزع بعض الكتيبان والأوراد على الزوار وهي عبارة عن أذكار هذا المنسك الكبير عند القوم منها: كتيب يسمى (كتاب وسيلة الصب الودود إلى الإله المعبود بسر زيارة نبي الله هود عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام) ويوجد منه كميات كبيرة عند الضريح المزعوم.

ومن العبادات عند قبر نبي الله هود ﷺ ما قاله سالم بن عبد الله الشاطري في نصيحته للزوار: «وأن يقرأ خلال الأيام التي يقضيها في الشعب ختمة على الأقل يهديها لنبي الله هود إلى أن قال: كما أنه ينبغي أن يكون في زيارته دائم الخشوع والحضور للزيارات كلها، ورب شخص يترك زيارة تكون خسارته للمدد كبيرة... إلخ»[1].

ويقول علي مشهور بن حفيظ: «وصيتنا لمن وقف في تلك الأماكن أن يكون حاضراً خاشعاً وأن يقصد بزيارته هذه رضا الله ﷻ والمدد من الله والواسطة وهم الأنبياء والأولياء والصالحون»[2].

وهناك عبادات تقام عند قبر نبي الله هود ﷺ، فقد ذكر عبد القادر العيدروس عن سعد بن علي السويني: «وكان كثيراً ما يؤثر الخلوة في شعاب تريم. والمجاورة عند قبر النبي هود ﷺ وكان يظهر له في خلواته ومجاوراته أمور عظيمة»[3].

كما أن هناك منسكاً خاصاً لهذه الزيارة، حيث صرحوا أن هذه الزيارة تشبه بالحج[4]، وألفوا في طقوسها التي يسود غالبها الشعور الوثني من تقديس

---

(١) مجلة أنوار التلاقي (ص٢٥)، العدد التاسع والعشرون، الصادر في رجب، ١٤٢٣هـ.
(٢) المصدر السابق (ص٢٥)، العدد التاسع والعشرون، الصادر في رجب، ١٤٢٣هـ.
(٣) تاريخ النور السافر (ص٤٢٠). وانظر: تعلق القوم بالقبور والتعبد عندها: تذكير الناس (ص١١٣)؛ ومجلة أنوار التلاقي (ص١٤) العدد الثاني والعشرون سنة ١٤٢٢هـ.
(٤) انظر (ص٨١٧) من هذا البحث.

الأماكن والاغتسال في نهر هناك يسمى بنهر هود يدعون أنه من أنهار الجنة، وأذكار وصلوات وطلب المدد من القبر وغير ذلك من المنكرات[(١)].

جاء في كتاب «الدر المنضود في أخبار قبر وزيارة النبي هود»: تحت عنوان (زمن الزيارة): «وقد كانت الزيارة في عهد الشيخ عبد الله باعباد تقام بعد فراغ الناس من أشغال التمر وتعبئته لا على الأشهر القمرية. وأول من جعل موسم الزيارة على الأشهر القمرية هو فخر الوجود سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي المتوفى في سنة ٩٩٢هـ، إذ جعل ذلك في شعبان وجعل المبيت ليلة النصف من شعبان إلى أن قال: فكانت [الزيارة] تقام من التاسع والعاشر وهي كذلك إلى اليوم، ففي هذين اليومين تعقد مجالس عامة حول القبر في القبة وضاحيتها وتحتها المحل المسمى بالناقة تشمل على دعوات وتسليمات ومواعظ وقراءة القرآن في الصباح إلى الليل... ويتصدر هذه الجلسات أئمة الهدى من آل البيت النبوي العلويين»[(٢)].

وتعتبر زيارة هود عليه السلام وهي من أكبر الاحتفالات السنوية التي يتسابق إليها القوم، بل ويتكلفوا المجيء إليها من دول وبلدان بعيدة، كبلاد الشرق الأقصى والهند، وغيرها من البلدان، لما لهذا الاحتفال ـ بزعمهم ـ من الفضائل والفتوحات وغفران الذنوب، ولما في ذلك من الخطورة لمن تخلف عن الزيارة[(٣)].

---

(١) انظر مناسك هذه الزيارة وما احتوته من منكرات: الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم، تأليف: حامد بن محمد بن شهاب الدين العلوي (ص٤٩ ـ ٧٠). وقد أكثرت من النقل من هذا الكتاب ـ كما سيأتي ـ لأسباب أولها: أن المؤلف صوفي علوي، وأيضا فقد قدم لهذا الكتاب كبار صوفية حضرموت في هذا العصر وهم: عمر بن أحمد المشهور، وأحمد بن محمد باهارون، وحسين بن عيدروس عيديد، وعلي المشهور بن محمد بن سالم بن حفيظ، وسالم بن عبد الله الشاطري، وأبو بكر بن علي المشهور، وعمر بن محمد بن سالم بن حفيظ. هؤلاء هم المقرظون لهذا الكتاب، فلا حجة لهم بعد ذلك في إنكار ما فيه من البدع والمخالفات.

(٢) الدر المنضود في أخبار قبر وزيارة النبي هود (ص٤٣).

(٣) انظر هذه الفضائل: وسيلة الصب الموصود إلى الإله المعبود (ص١١، ١٨، ٢٧)؛ وزيارات وعادات (ص٨ ـ ١٣)؛ والدر المنضود (ص١٤ ـ ٢٣)؛ ونيل المقصود في مشروعية زيارة نبي الله هود عليه السلام (ص١١، ١٥، ٢٢، ٣٣).

وتكلف القوم جمع النقولات لتقرير وجود القبر في تلك الجهة[١]، ثم إن هذا الاحتفال بهذه الزيارة تصاحبها مجموعة من الرموز والمشاعر الوثنية التي يمارسها الزوار[٢].

ومن آثارهم نقل وقائع زيارة القبر المزعوم لنبي الله هود عليه السلام في مجلاتهم وصحفهم، فقد جاء في «مجلة أنوار التلاقي»: تحت عنوان (المجمع المبارك في شعب نبي الله هود لهذا العام): «في وسط أجواء عظيمة عامرة بالإيمان والذكر والتذكير والتناصح والتزاور وارتفاع الدعوات بطلب المغفرة والصلاح لأحوال المسلمين اختتمت المجامع العظيمة المباركة في زيارة النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لهذا العام، وقد افتتحت الزيارات يوم الاثنين ٨ شعبان وتواصلت حتى يوم الأربعاء ١٠ شعبان حيث الموكب الكبير، والحشد العظيم في زيارة آل الشيخ أبي بكر بن سالم بحضور الكثير من أهل العلم والفضل والولاية والصلاح، وأهالي حضرموت والسلطة المحلية والقيادة العامة في منطقة الوادي والصحراء...»[٣].

وقد تسلم آل باعلوي قيادة زيارة القبر المزعوم لنبي الله هود عليه السلام بعد أن كانت بيد المشايخ آل باعباد وطوروا تلك الزيارة عما كانت عليه وغيروا فيها: جاء في كتاب «تذكير الناس»: «ثم نظر سيدنا أحمد بن عبد الرحمٰن شهاب الدين بعين الباطن، واستخلف على الزيارة والزوار في حياته سيدنا الشيخ أبا بكر بن سالم، فخر الوجود صاحب عينات لسر في ذلك يعرفه من نور الله بصيرته، وكان سيدنا شهاب الدين، يجلس عند أراكة بالقرب من بيته بقرية اللسك أيام الزيارة، ويقول: من بشرني أن ولد سالم بن عبد الله زار بالناس وهم سالمون ضمنت له على الله بالجنة، فكان الناس يستبقون ويبتدرون على

---

(١) انظر زعمهم بوجود قبر هود عليه السلام بحضرموت: النور السافر (ص٦٤). انظر بطلان ذلك: مبحث الغلو في القبور (ص٧٩٦ وما بعدها) من هذه الرسالة.

(٢) مجلة أنوار التلاقي (ص٢)، العدد: ٢٢، رجب ـ شعبان ١٤٢٢هـ.

(٣) مجلة أنوار التلاقي (ص٤١) العدد الثلاثون، الصادر في رمضان، ١٤٢٣هـ.

التبشير، ولما أسنَّ وثقل كان يجلس بالمجف في تريم لاستقبال أخبار الزيارة، ويقول القول الذي تقدم»[١].

وجاء في كتاب «كنوز السعادة الأبدية» عند ذكر زيارة القبر المزعوم لنبي الله هود عليه السلام: أن علي بن محمد الحبشي قال: «سبحان الله خصلتان عَوَّلَ السلف عليهما... الأولى إحياء علوم الدين حتى قالوا: كاد الإحياء أن يكون قرآناً مع أنهم أهل ورع والثانية: زيارة نبي الله هود»[٢].

وجاء في كتاب «زيارات وعادات» عند ذكر مناسك زيارة القبر المزعوم لنبي الله هود عليه السلام: «الوقفة: تكون الوقفة يوم الحادي عشر بزيارة آل الشيخ أبو بكر بن سالم وزيارة آل شهاب، ففي الحادي عشر تكتمل وفود الزائرين ومن أدرك الوقفة فقد أدرك الزيارة والوقفة يوم الحادي عشر من شعبان صباحاً، وسميت بالوقفة كالوقوف بعرفات فمن أدرك الوقوف بعرفات أدرك الحج ومن فاته الوقوف بعرفات فاته الحج وهكذا الزيارة»[٣].

وجاء في كتاب «الدر المنضود»: «يقول العارف بالله: علي بن أبي بكر السكران رضي الله عنه: أما بعد: فإن زيارة الأنبياء والمرسلين في مقابرهم المعروفة، ومشاهدهم المشهورة، من أجلّ الطاعات، وأجزل القربات، ومن أجلّ المشاهد وأفضل المعاهد وأجلها الموضع المعروف والمشهد المألوف بحضرموت قبر النبي هود المرسل المعظم»[٤].

وجاء في كتاب «الدر المنضود» في تفسير بعض عبارات علمائهم منها: «معنى قولهم: الضحكة في هود بتسبيحه» ورد حديث في الجامع الصغير: يقول عليه الصلاة والسلام: «مزاح المؤمن في السفر عبادة»[٥]، هذا معنى ضحكة بتسبيحه، مزاح المؤمن في السفر عبادة؛ لأنه ينشط ويخفف أعباء السفر وثقله»[٦].

---

(١) تذكير الناس (ص٢٣٢ ـ ٢٣٣).
(٢) كنوز السعادة الأبدية (ص٢٤٢).
(٣) زيارات وعادات (ص٤١).
(٤) الدر المنضود (ص٤٧ ـ ٤٨).
(٥) هذه من أحاديث الصوفية التي يروجونها في كتبهم بلا سند ولا مصدر معتبر.
(٦) الدر المنضود (ص٦٠).

وجاء في كتاب «الدر المنضود»: «معنى قولهم: (ما يرغب في زيارة نبي الله هود إلا سعيد، ولا يخذل عنها إلا شقي) هذا مقتضى النصوص القرآنية، وهذا مقتضى الأحاديث النبوية وما دعا إليه الله ورسوله من اجتماعات المسلمين، من ذكر الله، من تعلّم، من تزاور»(١).

ويردد القوم بعض الأذكار تسمى التهاويد ببعض مساجد تريم: «حيث يقوم أحدهم ويقول مبتدئاً:

يا عاقل اذكر اللّه وقل لا إله إلا اللّه ولا في الملك غير اللّه»(٢)

وهذا الذكر مبتدع يردده الذاكرون دون علم بحكمه إذ أكثر الذاكرين عوام مقلدون لكبرائهم من الصوفية، بل يعتقدون أن كل ما جاء به صوفية حضرموت هو الحق، لأنهم هم العلماء في نظرهم دون غيرهم.

ج ـ الاحتفالات بالحول والزيارات:

يعرف القوم الحول بأنه: «مرور حول كامل أو عام على وفاة رجل صالح رغب أهله وذووه في استعادة الترحم عليه والاستغفار وقراءة القرآن كل عام بغرض التذكر والتبصر والاعتبار... إلخ»(٣).

وليقرر القوم هذه الزيارات فإنهم مهدوا لذلك وذلك بتقرير شرعيتها والرد على مخالفيهم، حيث عقد أبو بكر المشهور في كتابه شروط الاتصاف لذلك عنواناً سماه (ظاهرة الاهتمام بالزيارات والحوليات) وقال: «ومن الظواهر الاعتيادية الناشئة في الحياة الاجتماعية لدى كثير من المسلمين ظاهرة (الزيارات السنوية والحوليات) ذات الطابع الإعلامي المتخذ شكل التجمعات والاحتفالات العامة الجامعة لجمهور واسع من الناس»(٤).

ثم بيّن سبب محاربة أهل الحق لهذه الزيارات التي أضلت الناس فقال: «بل خرجت الهجمة إلى مستوى إنصاف الشريعة والانتصاف لها إلى كشف

---

(١) المصدر السابق (ص٦٢).
(٢) المصدر السابق (ص٦٥).
(٣) شروط الاتصاف (١٤٤ ـ ١٤٥).
(٤) شروط الاتصاف (ص١٣٩).

الأقنعة الحقيقية عن أغراض خبيثة تجذر الظواهر الإيجابية في الإسلام تحت ستار محاربة البدعيات والشركيات المزعومة، فالهجمة على الزيارت والحوليات، بل على كل موروثات السلف ـ هجمة عشوائية ـ تخلط في محاربتها بين السقيم والصحيح وتجعله جميعاً في جهنم»[(١)].

ويقول أيضاً: «وأما هذه المناسبات فاختيارات لا تخصيص فيها للزيارة إلا من حيث الاسم فقط. ويمكن أن يقرب فهم مناسبتها لمن أراد فتسمى بغير اسم (الزيارة) كما يلاحظ اليوم في عواصم دعاة التحديث والتجديد فأسبوع للشيخ فلان وأسبوع للمساجد وأسبوع للكتاب، وأسبوع للشريط الإسلامي. والغرض من هذا الأسبوع أياً كان: هو التركيز الإعلامي على شخصية معينة، أو فكر معين، أو سياسة معينة»[(٢)].

وهذا الكلام لا دليل له فيه فإن الخطأ خطأ من أي كان؛ لأن المؤمن مأمور باتباع النبي ﷺ، وأما ما يفعله المشهور وغيره من تبرير المخالفات بفعل فلان أو علان فغير صحيح بل كل يستدل له بالكتاب والسنَّة ولا يستدل به.

وبيَّن القوم هدف هذه الزيارات وهو طلب المدد، فقد جاء في كتاب «الدليل القويم» عند ذكر العبادات التي تقام في شهر ربيع الثاني: «تقام في هذا الشهر الكثير من المناسبات، ولهم نيات صالحة، وحريصون كل الحرص على حصول المدد، فإليك بعض مناسبات هذا الشهر خارج مدينة تريم: حول الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر»[(٣)].

ومن البدع التي تقام في هذا الحول: «والزمن الذي تعقد فيه جلسة الحول في فصل الصيف بعد صلاة الصبح أول الإشراق، وفي فصل الشتاء ما بين الظهر والعصر، وتحتوي على ما تيسر من الأذكار مثل (يا الله يا الله) وتلاوة ما تيسر من القرآن، والتسبيح والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يوهب ذلك المعلم إلى روح صاحب الحول... وبعد الانتهاء من

---

(١) المصدر السابق (ص١٣٩ ـ ١٤٠).
(٢) المصدر السابق (ص١٤٣، ١٤٤).
(٣) الدليل القويم (ص٣٢).

التذكير والوعظ يرتب القائم بالمقام الفاتحة الختامية، وبعد قراءة الفاتحة يبتهل إلى الله بالدعاء وينصرف الحاضرون...»[١].

وكما بيَّن القوم هدفهم من هذه الزيارة بقولهم: «إن الزيارة عند السلف الصالح إعادة الذكرى لشخصية تاريخية فذة يختار مكانها وزمانها بما يتلاءم مع الحدث ذاته وغرضها لفت نظر الناس إلى موقفه وعلمه وعمله، ودوره في إحياء مآثر الإسلام بين معاصريه ومناصريه»[٢].

ومن الأحوال التي تقام بحضرموت: حول الحبشي بسيئون يقام كل سنة تسوده الشركيات والبدع، مع حصول بعض المنكرات الأخرى[٣].

وهناك احتفال بذكرى حول موسى[٤] وغيرها من البدع الحولية[٥].

وهناك بدعة تسمى الإحدى عشرية يحضرها كبار صوفية حضرموت في هذا الزمان[٦].

وهناك زيارة نبي الله صالح عليه السلام[٧].

يقول المؤرخ الحضرمي صلاح البكري رحمه الله: «وفي وادي سر[٨] يوجد قبر طويل عليه قبة كبيرة يزعم الناس أنه قبر صالح عليه السلام، ولذلك يشدون الرحال إليه مرة في كل عام ولهم اعتقادات خرافية حول هذا الضريح، والتاريخ لا يثبت وجود قبر صالح عليه السلام في حضرموت لأنه مات في الحجاز»[٩].

---

(١) الدليل القويم (ص٣٣).
(٢) المصدر السابق (ص٣٦).
(٣) الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٧١). انظر بدع ومنكرات هذا الحول: الدليل القويم (ص٣٤) وما بعدها.
(٤) الدليل القويم (٤٨).
(٥) المصدر السابق (ص٢٨)، العدد: ١٩ ـ ٢٠، جمادى الأولى ـ جمادى الثاني ١٤٢١هـ.
(٦) مجلة أنوار التلاقي (ص٣٢)، العدد: ١٧، ربيع أول ـ ١٤٢١هـ.
(٧) تذكير الناس (ص٣٤٤).
(٨) وادي سر: واد يقع شمال الكسر يفصل بينها جبل لا عرض له، ويبدو أنه محرف من الرَّس، ومثل ذلك التحريف كثير عند الحضارمة وغيرهم، وهو مسيال يقع شمال القطن يسيل من ريدة الصيعر. انظر: إدام القوت (ص٤٩٥ مع الهامش)، ط المنهاج.
(٩) تاريخ حضرموت السياسي (١/ ٥٣).

وهناك احتفالات بزيارة قبور أخرى يعتقد القوم أنها لأنبياء كزيارة قبر هارون في نصف شعبان[١].

د ـ زيارة المشهد:

من الزيارة الكبيرة عند صوفية حضرموت ما يسمى بزيارة المشهد حيث غلو فيها وجعلوها بمنزلة الحج والعمرة فأضلوا بذلك كثيراً من الناس، فقد نقل علي العطاس عن علي بن سالم الجنيد باوزير ـ صاحب النقعة ـ ممتدحاً العطاس ومشهده: «أما أنت اليوم بمقامك هذا المشهد وعمارتك لهذه الوظيفة، وتأمينك لهذه المخافة المخيفة فلا تغبط أهل مكة وأهل المدينة ولا أهل بيت المقدس ولا سواهم، وفيه حجك وعمرتك وزيارتك»[٢].

وتشتمل هذه الزيارة على بدع كثير منها السماع وقراءة الرواتب الصوفية في أوقات محددة، يقول علي العطاس: «فإذا كانت الليلة الثالثة اجتمع في مكان فسيح يقال له: الحرم، وهو قبلي المشهد وصلوا العشاء جماعة واجتمعوا الحداة والرداد وأهل الطيران فيجتمع منهم خلق كثير ويشرع بعد قراءة راتب الحبيب عمر العطاس في المولد الشيخ الأنور عبد القادر بن الشيخ عمر باعشن. . . إلخ»[٣]، وهناك وقفة المشهد تقام في وقت محدد[٤].

كما يعتقد القوم أن للمشهد فضل الحج والعمرة، يقول علي العطاس مبيناً الفضائل المزعومة لمن عمر المشهد، والضمان على الله بتحصيل ذلك الثواب: «الرابعة: كل من عمر في مشهد عمر أن يعمر الله آخرته بالحور والولدان والقصور ويجعل ذنبه مغفور، وعيبه مستور[٥].

الخامسة: كل من عمر في مشهد عمر أن يكتب الله له ثواب حج مبروك بالعمرة معمور مختومة بزيارة خير نبي مزور.

---

(١) مجلة أنوار التلاقي (ص٣)، العدد: ٢٤، شوال ـ ١٤٢٢هـ.

(٢) المقصد إلى شواهد المشهد، لعلي بن حسن العطاس (ص٢٠٤ ـ ٢٠٥).

(٣) المصدر السابق (ص٢٢٣ ـ ٢٢٤). (٤) المصدر السابق (ص٣٥).

(٥) كذا في الأصل. والصواب: ذنبه مغفوراً، وعيبه مستوراً.

السادسة: كل من عمر في مشهد عمر أن يكتب الله له غزوة جهاد في سبيل الله مع نبي صبور شكور، يقاتل كل كفور نفور في أعسر مخاوف الثغور... إلخ»[١].

وقالوا: إن المشهد روضة من رياض الجنة فلزيارته فضل عظيم وثواب جزيل[٢].

وكل هذه الفضائل التي ذكرها القوم لتقرير البدع التي هم عليها يتضح لكل مسلم ذي فطرة سليمة عدم صحتها لا تنطلي إلا على مغفل مخدوع.

هـ ـ الاحتفال ببعض المناسبات الأخرى:

أولع القوم بالاحتفالات البدعية، فقد جاء في كتاب «أدوار التاريخ الحضرمي»: «ويظهر أن أكثر المدن محافظة على التقاليد والآداب تريم، خصوصاً في العادات المشوبة بالعبادات، فلا تكاد توجد مناسبة دينية أو اجتماعية إلا ويقام لها فيه احتفال عام، إما في مساجدها، أو ساحاتها، أو معاهدها»[٣].

وقد ألّف القوم في يوم عاشور الأذكار والبدع والعبادات المتنوعة[٤]، وداوموا على قراءة فضائل يوم عاشوراء ليلة التاسع من محرم في مساجد تريم بعد المغرب وبعد العشاء[٥].

وهناك الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج سنوياً في عموم مساجد الصوفية في تريم وفي غيرها[٦].

ومن بدع رجب ما جاء في كتاب «الدليل القويم» ما يفعل في أول ليلة

---

(١) المقصد إلى شواهد المشهد (ص٣٧٠ ـ ٣٧١).
(٢) المصدر السابق (ص٢٠٤). (٣) أدوار التاريخ الحضرمي (٢/ ٢٩٥).
(٤) شرح الصدور بمأثور يوم عاشور لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العيدروس (ص١٥). وانظر: الروض الأغن (٢/ ٢٩).
(٥) الدليل القويم (ص١١ ـ ١٢).
(٦) انظر: مجلة أنوار التلاقي، العدد: ٢٠ (ص٧، ٤١)، رجب ـ شعبان ١٤٢١هـ. وانظر (ص٣٤): العدد الثالث، الصادر في شعبان، ١٤١٩هـ.

من رجب: «ومنذ أول ليلة في الشهر وبعد صلاة العشاء مباشرة يستغفر المصلون سبعين مرة فيقولون بصوت جماعي: (رب اغفر لي وارحمني وتب علي) وبعد الانتهاء منها يقرأون استغفار رجب، للحبيب حسن بن عبد الله الحداد»[١].

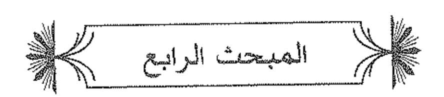
وجاء في كتاب «تاريخ الشعراء الحضرميين» لعبد الله بن محمد السقاف: عند ذكر وفاة علي بن حسن العطاس: «انقضى أجله مفارقاً الدنيا عام ١١٧٢هـ ودفن بالمشهد مرثياً بمراثي كثيرة، ومن المعلوم أن على ضريحه تابوتاً تحته قبة عظيمة غير منقطعة الوفود الزائرة عدى الاحتشاد العمومي السنوي في ١٢ ربيع الأول من كل عام كزيارة عمومية تتقاطر لها الجماهير من نواحي حضرموت كلها حتى تغص قرية المشهد ومكتنفاتها، مدى أربعة أيام بجموع حاشدة تخالها في مظهرها كأيام الحجيج بمنى...»[٢].

فهذه بعض نصوص القوم للتمثيل لا للحصر لبيان ما عليه القوم من البدع، وتطويرها في هذا العصر باستخدام الوسائل المختلفة لنشرها بين الناس، وإلا فبدع القوم لا يمكن حصرها لكثرتها وتفرعها، لا سيما ومنهج التصوف له قرابة ثمانية قرون يبث سمومه في تلك البلاد، والله المستعان.

---

(١) الدليل القويم (ص٦٥).

(٢) تاريخ الشعراء الحضرميين لعبد الله بن محمد السقاف (٢/ ١٦١).



المبحث الرابع

نشر الفكر الصوفي بالوسائل المتعددة



تمهيد

نشرت صوفية حضرموت فكرها الصوفي في بلاد حضرموت وفي مناطق متعددة من بلاد اليمن، وكذا نشره مهاجروها من المتصوفة في البلدان التي هاجروا إليها ولو لم تكن لصوفية حضرموت إلا نشر الغلو في القبور والأشخاص والتمسك بالبدع ونشرها لكفاهم، فكيف وقد نشروا الشرك الذي لا يغفره الله تعالى والانحراف في توحيد الربوبية الذي عرفه مشركو قريش، وقد استخدم القوم وسائل مختلفة لنشر هذا المذهب الباطل، مع تركيزهم على تشويه دعوة أهل الحق، وذلك بتصويرها للناس أنها دعوة تتصف بالإفراط تارة، وبأن أهلها لا يحبون الأولياء، وبأنهم يكفرون المسلمين ونحو ذلك من الاتهامات الباطلة الذي يشهد الواقع بخلافها، فأهل السنَّة كما قال أهل العلم: «أعلم بالحق وأرحم بالخلق»[1].

وأما الصوفية فقد ضلوا عن الحق وذلك باتباع الباطل، وتدوينه في كتبهم ومن ذلك الباطل ـ وقد تقدم أكثره في مباحث هذه الرسالة ـ: منازعة الله تعالى في صفاته العظيمة بادعائها لأوليائهم ومشايخهم حيث جعلوا لهم التصرف في الكون وفي أمور الدنيا والآخرة، وعلم الغيب والإحياء والإماتة، وإشراكهم أولياءهم مع الله تعالى في العبادة، وتقرير الشركيات والمخالفات والاستدلال لها بالخرافات والأساطير والكرامات المزعومة، وكذا تقرير البدع والدعوة إليها، والكذب على الله وعلى رسوله ﷺ، وعلى سلف الأمة وغير ذلك، ومع

(١) منهاج السنَّة النبوية (٥/١٥٨).

ذلك تراهم في هذا العصر يلفقون العبارات المختلفة لتشويه صورة أهل الحق مثل وصفهم بالغثائيين[(١)] وغير ذلك، والله المستعان.

يقول أبو بكر المشهور: «وأما ما يقال ويكتب أو يتناوله الغثائيون عن المدرسة الأبوية وتحجيم عيوبها، ومحاكمة عقائد رجالها فمسألة تحتاج إلى تروّ وحسن تدبر، فما كان في محيط الإفراط يجب تصحيحه، وما كان في طرف التفريط يلزمنا إعادته وتوضيحه»[(٢)].

هكذا يصف القوم دعاة الحق والهدى بمثل هذه العبارات التي لا حقيقة تحتها سوى تبرئة ما عليه الصوفية من الانحراف عن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ.

ونبيّن في هذا المبحث الوسائل التي اتخذتها صوفية حضرموت قديماً وحديثاً في نشر الفكر الصوفي.

الفكر الصوفي[(٣)]: هو ذلك التراث الضخم الذي دونه المتصوفة عبر الأزمنة المتعاقبة، وسواء كان أصيلاً أو مقتبساً من غيرهم فالذي يهمنا وجود هذا الفكر عند صوفية حضرموت وإيمانهم به ودعوتهم إليه عن طريق التربية داخل الزوايا والأربطة، أو عن طريق التحقيق والنشر أو عن طرق وسائل التعليم المختلفة أو غيرها من الوسائل.

وقد تركزت دعوة صوفية حضرموت وظهر تقعيدها في بعض الأماكن دون بعض، لكثرة المتصوفة، ولوجود أسباب هيئت لذلك تقدم ذكرها عند الكلام على انتشار الصوفية وأماكن وجودها.

وتعد تريم أشهر المدن الحضرمية التي انتشر منها التصوف إلى غيرها من البلدان فقد جاء في مقال بعنوان (عرب حضرموت في حيدر أباد): «ومن ناحية

---

(١) الغثائيون جمع غثائي، والغثيث، والغث الحديث الرديء الفاسد تقول: منهما غث يغث بالكسر غثاثة وغثوثة فهو غث: انظر: مختار الصحاح (١/١٩٦).

(٢) الدلائل النبوية (ص١٣٠).

(٣) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١/٤٦).

أخرى فإن لحضرموت تاريخ طويل ومشرق[١] كمركز من مراكز التعليم الديني في المنطقة، وتعد مدينة تريم ـ مثلاً ـ مصدراً من مصادر الإشعاع الديني[٢] في جنوب شبه الجزيرة العربية. وبالإضافة لذلك فقد كانت حضرموت موطناً للعديد من السادة العلماء والمتصوفة الذين تدل عليهم القباب والأضرحة المتناثرة في جميع أرجائها»[٣].

ومن أبرز الوسائل التي يسعى المتصوفة لنشر التصوف بواسطتها ما يحكونه عن مآثر سلفهم، وما لهم من كرامات وحكايات ومناقب ـ مزعومة ـ لتعليق قلوب الناس بهم وبالتالي بث فكرهم، وقد صرح القوم بعدم اهتمامهم بقراءة العلوم الشرعية من مصادرها المعتمدة، إنما هدفهم كما يقول عيدروس بن عمر الحبشي: «كان السادة بنو علوي أدناهم في العلم من يكون عنده ما يغنيه عن علم غيره من العلماء، وكان كل واحد منهم يحفظ مناقب أهله وكراماتهم، وكان أكثر الأخذ منهم للعلم والأدب بالتلقي والتأدب بالحال، لا بكثرة القراءة في الكتب والقيل والقال»[٤].

---

(١) كذا في الأصل. والصواب: تاريخاً طويلاً ومشرقاً.

(٢) هذه العبارة فيها نظر، فإن التعليم الديني الذي عرفته حضرموت في القرون الماضية هو تعليم التصوف وتعد مدينة تريم المصدرة لتلك البدع داخل حضرموت وخارجها منذ تمكن الصوفية بحضرموت في القرن السابع، وأما الآن في القرن الخامس عشر الهجري فإن التعليم الديني القائم على منهج الكتاب والسنَّة ـ ولله الحمد ـ قد انتشر في مناطق حضرموت سواء في المساجد، أو في المراكز العلمية لأهل السنَّة ونحوها ـ كما سيأتي في مبحث الجهود ضد الصوفية وآثارها السلبية ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٣) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد (٤٥) ـ السنة الثانية عشر ـ ربيع الثاني ١٤٠٦هـ ـ يناير ١٩٨٦م (ص١٣٥). والمقال المذكور لعمر الخالدي، ترجمة: جمال محمود حامد.

(٤) كتاب (الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر، سيرته ـ منهجه)، لمصطفى البدوي (ص٣٨). وهذا الكتاب من مراجع الصوفية في سيرة الحداد حيث جعلت مجلة (الجذيوة) الصوفية الصادرة من أربطة عدن التي يرأسها أبو بكر المشهور نشرة فصلية بعنوان (الحلقة العلمية عن الإمام الحداد من ٤ ـ ٦ ذي القعدة ١٤٢٠هـ): انظر: هذه النشرة في مجلة الجذيوة (ص١٦).

وقد نشرت صوفية حضرموت فكرها الصوفي في بلاد حضرموت واليمن وفي غيرها من بلدان العالم الإسلامي التي وصلت إليها بما يحمله من طقوس قولية وفعلية مخالفة للعقيدة الصحيحة، ومن الأمور التي ساعدت على نشر التصوف اغتنام القوص الفرص السانحة وسط مجتمع يسوده الجهل، إضافة إلى توفر الإمكانيات الكبيرة لصوفية حضرموت لا سيما العلويين والمشايخ فهم التجار منذ زمن قديم.

وسائل نشر الفكر الصوفي عند صوفية حضرموت

❁ المطلب الأول ❁

التأليف والنشر

وقد نشط القوم في ذلك في فترات مختلفة بصور متعددة يمكن إجمالها في الآتي:

(أ) انتشار المؤلفات:

ظهرت المؤلفات الكثيرة التي تدعو إلى الفكر الصوفي ما بين مطبوع ومخطوط، والتي لا تزال تُتداول وتُقرأ في المساجد، وفي المجالس والمناسبات إلى يومنا هذا.

قام القوم بتأليف الكتب ونشرها في بعض الأزمنة، بينما لم يكن للقوم اهتمام بالتأليف عند بدء ظهور التصوف بحضرموت لأن طريقتهم ـ كما يقولون ـ مبنية على الخمول، حيث استمر الوضع حتى جاء وقت العيدروس فدونت المؤلفات، يقول عبد الله بن علوي العطاس عن طريق التصوف في حضرموت إنه: «طريق تحقيق وأذواق وأسرار جنحوا إلى الخمول والسر والإسرار، ولم يضعوا في ذلك تأليفاً، ولا صنفوا فيه تصنيفاً، ومضت الطبقة الأولى إلى زمن العيدروس وأخيه الشيخ علي فاتسعت الدائرة وبعد المزار واتصل بهم القريب المنفصل ببعيد الدار فاحتيج إلى التأليف والإيضاح والتعريف»[١].

والقوم في التأليف بين مستقل ومستكثر، فمن أمثلة المكثرين من التأليف في التصوف: عبد القادر العيدروس فقد ذكر بعضهم أن مؤلفاته بلغت أربعة

---

(١) ظهور الحقائق (ص٦٨).

وعشرين مؤلفاً في التاريخ والتصوف وغير ذلك[١].

كما نشر القوم فكرهم الصوفي عبر المؤلفات في المناقب فهناك كتاب: (غاية القصد والمراد في مناقب الحداد)، وكتاب «مناقب الغوث علوي بن سهل»، وكتاب «الزهر الباسم في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم» وكتاب «مواهب البر الرؤف في مناقب الشيخ معروف» وغيرها[٢].

كما أظهر دعوتهم للتصوف ورفع منزلته بذكر القصص والحكايات والمناقب التي يكثرون منها بأسلوب عاطفي، وكذا قيام بعضهم بشرح كتب علمائهم ورسائلهم.

ومن أشهر كتبهم في ذلك وأقدمها[٣]: كتاب «الكبريت الأحمر» لعبد الله العيدروس (ت٨٦٥هـ)، وكتاب «الجوهر الشفاف»، لعبد الرحمٰن الخطيب، و«البرقة المشيقة» لعلي بن أبي بكر السكران، وكتاب «غرر البهاء الضوي في المناقب» لمحمد بن علي خرد (ت٩٦٠هـ)، وكتاب «ترياق أسقام القلوب الشاف في مناقب الأشراف» لعمر باشيبان (ت٩٦٠)، وكتاب «أنس السالكين» لعبد الله بن عبد الرحمٰن باهارون العلوي (ت٩٩٠هـ)، و«المشرع الروي في مناقب آل أبي علوي» للشلي (ت١٠٩٣هـ)، و«شرح العينية» لأحمد بن زين الحبشي (١١٤٥هـ)، وتعد هذه المصادر أكبر الكتب الخرافية في حضرموت ومن ألّف بعدها أخذ منها وأضاف إلى ذلك بعض الخرافات.

وهذه الكتب هي أمهات الكتب التي يعظمها القوم، وقد احتوت على تقرير الشرك في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فقد أعطوا صفات الله تعالى

---

(١) انظر: مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد (٤٥) ـ السنة الثانية عشر ـ ربيع الثاني ١٤٠٦هـ ـ يناير ١٩٨٦م (ص١٣٦).

(٢) انظر مصادر صوفية حضرموت في فهرس المصادر والمراجع من هذه الرسالة.

(٣) انظر كلام أبي بكر المشهور ودعوته لاقتناء هذه الكتب وقوله عنها: «لا غنى لكل راغب في معرفة طريق القوم من آل أبي علوي»: الدلائل النبوية (ص٧٤ ـ ٧٥)، بل وتأليفه لمؤلف خاص في ذلك سماه (شروط الاتصاف لمن يريد مطالعة كتب الأسلاف) تقدم بعض النقولات عنه في هذا البحث.

لأوليائهم، باعتقاد القطبية، والتصرف في الكون ومعرفة الغيوب والتصرف في الجنة والنار وغيرها، وتقرير الشرك في العبادة بصرف خالص العبادة لأوليائهم من دعاء واستغاثة وخوف ورجاء ونذر... إلخ، كما تقدم في مباحث هذه الرسالة.

وفي سبيل شرح أقوال وأفعال مشايخهم قام بعضهم بشرح مؤلفات مشايخهم، حيث شرح أحمد بن زين الحبشي (القصيدة العينية) للحداد في التصوف والمناقب، وشرح علي بن عيسى الحداد القصيدة التي مطلعها: أحبتنا بنجد والصفيح، وشرح أحمد بن أبي بكر بن سميط القصيدة الرائية بشرح سماه: (منهل الوراد)، وله شروح أخرى على قصائد الحداد منها: اللامية.

ولعلوي بن أحمد الحداد شرح على قصيدة (وصيتك لك يا ذا الفضل والأدب)، ولمحمد بن زين بن سميط شرح على قصيدة (يا رب يا عالم الحال) وجل الشروح مطبوعة[1].

ويعد عبد الله الحداد من كبار المعظمين عند القوم فلا يذكرونه إلا باسم: (قطب الإرشاد)، وقد جمعوا أوراده في كتاب يسمى: (وسيلة العباد إلى زاد المعاد)، وهو مطبوع، كما طبع الورد اللطيف، والراتب الشهير، وقد شرح هذه الرواتب والأوراد كثير من الصوفية منهم: عبد الله باسودان، وفضل بن علوي بن سهل، وكتابه مطبوع، وهناك شرحان لعلوي الحداد وقد طبع أحدهما المسمى «الشرح الكبير».

وقد جمع بعضهم كلام الحداد في التصوف وغيره ولعل أوسع من جمع كلامه في ذلك أحد تلامذته ويدعى: أحمدُ بن عبد الكريم الاحسائي[2] في مجلدين كبيرين وهما مطبوعان[3].

---

(١) انظر: الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر (ص١٦٩).

(٢) هو أحمد بن عبد الكريم الشجار الإحسائي، من المتصوفة الذين قدموا من الإحساء إلى حضرموت في القرن الثاني عشر، وهو من أخص تلاميذ عبد الله الحداد المتوفى سنة ١١٣٢هـ حيث لازمه سبع عشرة سنة سافر إلى الحرمين بعد وفاة الحداد ثم إلى الإحساء وتوفي بها. من مؤلفاته جمع كلام شيخه الحداد في كتاب كبير سماه (تثبيت الفؤاد من مجموع كلام الحداد). انظر: كتاب الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر: (ص٢٠٧).

(٣) الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر (ص١٦٩).

كما نشر القوم فكرهم الصوفي بواسطة الكتيبات المحتوية على الأوراد والأذكار الصوفية والموالد، وكتيبات في العقائد وتعتبر (عقيدة الإسلام) للحداد أهم متون العقيدة عندهم، حيث يحفظها الصغير والكبير منهم، وقد شرحت بشروح كثيرة تقدم ذكر بعضها في أثناء هذه الرسالة.

ومن طالع كتب القوم يلاحظ أنهم جماعون لبدع من سبقهم مع بدعهم، فحيث نجدهم قد قرروا مذهب المتكلمين في بعض مصنفاتهم وألفوا في ذلك كتباً منها: (اتحاف النبيل ببعض معاني حديث جبريل)، لطاهر بن حسين بن طاهر العلوي حيث رفع منزلة العقل فقال: «ومعلوم أن العلوم لا تدرك إلا بالعقل»[(١)].

وهناك شرح لابن شهاب على عقيدة الباجوري وغيرها من الكتب، نجدهم قد قرروا القول بالمكاشفة والرؤى والأحلام، وكذا فقد قرر القوم مذهب المرجئة في الإيمان وهذا من تناقضاتهم واضطراب مذهبهم[(٢)].

وقد جمعوا مذاهب شتى، حتى قرر بعض علمائهم عقيدة الرافضة تبعاً للغلو في آل البيت كما فعل محمد بن عقيل العلوي[(٣)] في رسالته في الكلام في الصحابي الجليل معاوية رضي الله عنه[(٤)].

ويعد محمد بن عقيل من الشخصيات الحضرمية المضطربة فقد نشأ في بدايته على المذهب الشافعي ولكنه تركه وأخذ بمذهب الزيدية، وأراد أن يقنع

---

(١) اتحاف النبيل (ص٦).
(٢) انظر: كتاب (اتحاف النبيل) (ص٨).
(٣) هو محمد بن عقيل بن عبد الله العلوي: من أهل حضرموت رحل إلى عدة أقطار إسلامية، والتقى بشيوخها حيث رحل إلى الحجاز ومصر والشام والصين واليابان والهند، وكان جل أعماله في سنغافورة للتجارة ثم وفد على الإمام يحيى في اليمن، ومكث بقية أيامه في الحديدة، توفي سنة ١٣٥٠هـ. من مؤلفاته: العتب الجميل لأهل الجرح والتعديل، والنصائح الكافية لمن يتولى معاوية، وثمرات المطالعة انظر: مجلة الرابطة العلوية (٤/ ٨)؛ تحفة الإخوان (ص١٢٤)؛ الأعلام (٧/ ١٥٢).
(٤) ومن علمائهم الداعين للغلو في مذهب آل البيت والميل لعقيدة الرافضة أبو بكر بن شهاب، انظر كتابه (رشفة الصادي) (ص٨٢، ٨٣ ـ ٨٤، ٨٥، ١٣٩)؛ والحمية في مضار الرقية، لابن شهاب (ص٤، ٦، ٨، ٤١، ٥٠ ـ ٥١، ٦١، ٩١، ١٠١، ١٠٣).

شريف مكة في ذلك الوقت على نشر هذا المذهب في الحجاز فلم يفلح، ثم حاول السعي لتقرير هذا المذهب فلم يقبل منه، فدفعه تعصبه لآل البيت إلى نشر كتابه (النصائح الكافية)[١][٢].

ومن وسائل دعوتهم إلى التصوف ما يفعله بعضهم في العصر الحاضر من تأليف المؤلفات في تقرير العقيدة والمنهج الصوفي والرد على مخالفيه باسم مستعار يضعونه على طرة الكتاب لينتشر باطلهم دون ذكر اسم المؤلف الحقيقي[٣]. كما فعل زين بن إبراهيم بن سميط في كتابه «الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية»[٤]، وهناك كتاب «صاروخ القرآن والسنَّة على قرن الشيطان ورؤوس الفتنة»[٥] لمحمد بن عبد الله الهدار، والمشهور له كتاب يرد فيه أحد منتقدي التصوف وسمى الكتاب «إيضاح المعالم لما اشتبه فيه الفهم على ابن العالم» وكتب تأليف: عبد الوهاب بن علي الحسيني[٦]، وهناك كتاب «انتبه دينك في خطر» لشخص اسمه: علوي اليمني، وكتاب آخر اسمه: «الجهاد والصوفية» لمحمد اليمني وغير ذلك من الأسماء المستعارة[٧].

---

(١) وهذا الكتاب هو الذي قرر فيه مروق الصحابي الجليل معاوية رضي الله عنه عن الإسلام وجوز لعنه، وقد جر على نفسه بهذا الكلام الخزي والخيبة والعار، وقد رد أهل العلم على هذا الكتاب كما سيأتي في جهود أهل العلم في محاربة هذه الانحرافات لصوفية حضرموت.

(٢) انظر: كتاب (الشيخ عبد العزيز الرشيد، سيرته وحياته)، تأليف: د. يعقوب يوسف الحجي (ص٢٦١).

(٣) وهذا يؤكد شعور بعضهم إما بقرارة الفطرة، أو بأسباب أخرى يرون الباطل الذين هم عليه، وإلا فصاحب الحق قوي في حقه، لا سيما وبلاد اليمن من البلدان التي أهلها مسلمون ويحبون الدين وأهله، فَلِمَ يخفون أنفسهم لا سيما والبعض يعتبرهم علماء، ومن دعاة المدرسة الأبوية المزعومة؟. نسأل الله الهداية والثبات على دينه.

(٤) فقد كتب على الغلاف تأليف العلامة الداعي إلى الله: زين العابدين العلوي.

(٥) فقد كتب على الغلاف عبد الله بن عبد الإله بن أبي بكر الحسيني، كما صرح بذلك ابنُه حسين في كتابه هداية الأخيار (ص٥٥٨) عند ذكر مؤلفات أبيه.

(٦) وقد ذكر ذلك ضمن مؤلفاته في آخر كتابه: الأبنية الفكرية.

(٧) ولو تتبعنا هذا الأسلوب لوجدنا الكثير من ذلك، وإنما ذكرنا ما وقفنا عليها، والله المستعان.

وقام القوم بترجمة الكتب الخرافية ككتاب «مناقب الغوث القطب المنير علوي بن سهل مولى الدويلة العلوي» إلى اللغة الأردية ـ وتُرجم كتاب العقد النبوي إلى اللغة الفارسية وقام العلويون بتدريسه في بلاد الهند[١].

وجاء في مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية تحت عنوان: (بعض مشاهير الحضارمة في حيدر أباد): «اشتهر في حيدر أباد العديد من رجالات الحضارمة مثل: (حبيب أبو بكر ابن شهاب العلوي)[٢] الذي عرف بغزارة علمه وشدة ورعه[٣]، وله العديد من الآثار والمخطوطات التي يتداولها المسلمون من مختلف البلاد بدءاً بحضرموت وانتهاء بأندونيسيا»[٤].

وهناك الكثير من مؤلفات القوم لا تزال مخطوطة، وترجم لبعضها إلى لغات أخرى ودرست في بلدان مختلفة.

كما أن كثيراً من كتب القوم طبعت قديماً، وأعيد طبع بعضها في السنوات الأخيرة، كما يلاحظ الاهتمام بالمؤلفات الحديثة حيث تطبع أحسن الطبعات، ولا تزال أكثر كتب القوم مخطوطة يحتفظون بها، ويقرأون بعضها في المناسبات والاحتفالات الصوفية.

---

(١) انظر: مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (ص٥٢).

(٢) هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب العلوي، ولد بحصن فلّوقة ـ إحدى ضواحي تريم ـ عام ١٢٦٢هـ، ونشأ بتريم، ورحل لبلدان كثيرة واستوطن أخيراً بحيدر أباد من البلاد الهندية، ويعد من فلاسفة المتصوفة، ومن المغالين في آل البيت حتى ظهر في كتاباته التشيع المقيت.
وله مؤلفات كثيرة منها: رشفة الصادي في مناقب بني الهادي، والشاهد المقبول في فضائل أبناء الرسول، والعقود اللؤلؤية في أسانيد السادة العلوية، والترياق النافع بإيضاح جمع الجوامع. توفي بحيدر آباد بالهند سنة ١٣٤١هـ. انظر: فهرس الفهارس (١/ ١٠٢)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٥/ ١٨٨)؛ ومعجم المؤلفين (١/ ٤٣٩).

(٣) هذا غير صحيح، فالرجل لم يعرف بالورع. فهناك رسالة لأحد العلويين بأندونيسيا التي بينت تاريخ ابن شهاب وشيئاً من مخالفاته بالأدلة من أقواله ومؤلفاته. انظر (ص٩٣٦) من هذا البحث.

(٤) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد (٤٥) ـ السنة الثانية عشر ـ ربيع الثاني ١٤٠٦هـ ـ يناير ١٩٨٦م (ص١٤٨).

(ب) الصحف والمجلات:

قامت صوفية حضرموت في العصور المتأخرة لا سيما في القرنين المتأخرين بإصدار الصحف والمجلات التي تدعو للتصوف بالمقالات، والردود، والأخبار، ونشر المناقب لكبارهم وغير ذلك.

ففي المهجر نشر القوم الصحف المختلفة حيث أنشأ محمد بن عقيل في سنغافورة صحيفة (الأيام)، وأسس فيها مدرسة سماها (الإقبال)[(١)].

كما أصدر العلويون صحيفة تسمى (حضرموت) سنة ١٩٢٣م، وذلك لنشر فكرهم الصوفي في بلاد شرق آسيا، وكان إصدارها بدلاً عن صحيفة (الأيام) التي توقفت سنة ١٩٢٠م.

ثم أنشأ العلويون ما يسمى بالرابطة العلوية عام ١٩٢٧م، لتقوية شملهم في مواجهة أهل العقيدة الصحيحة، ونشرت أهداف الرابطة في عددها (١٣٩) الصادر في ٩ فبراير ١٩٢٨م، ولم يدخلوا في صفوفهم إلا جماعتهم العلويين أما من يخالف اعتقادهم ومنهجهم من أهل حضرموت فلم يدخلوه فيها، بل قالت صحيفة حضرموت عن الاسم الذي اختاروه بأنه «يمنع الهدامين من الدخول فيها»[(٢)].

وقد بلغ عدد الصحف الصادرة للجاليات الحضرمية في جاوا وسنغافورة نحو عشرين صحيفة شهرية وأسبوعية تمثل الاتجاهات المختلفة المتضاربة للحضارمة وأكثر هذه الصحف للصوفية العلويين ومن والاهم من أهل حضرموت[(٣)].

ومن المجلات التي أصدرها القوم لمناسبات خاصة مثل: أسبوع الحداد، وأسبوع العدني[(٤)] وأسبوع المهاجر وغيرها، كما أصدروا هذه

---

(١) انظر: كتاب (الشيخ عبد العزيز الرشيد، سيرته وحياته) (ص٢٥٢).
(٢) انظر: المصدر السابق (ص٢٦٩ ـ ٢٧٠).
(٣) انظر: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص١٦٩).
(٤) وتقام في هذا الأسبوع الزيارة السنوية التي تعد من أكبر الزيارات الشركية والبدعية في =

النشرات التابعة لأربطتهم في بيان دعوتهم ودعوة أسلافهم.

وهناك مجلة (الجذوة) مجلة فصلية يصدرها مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث التابع لأربطة التربية الإسلامية ومراكزها التعليمية والمهنية بعدن، بإشراف أبي بكر المشهور التي تعنى ببث الفكر الصوفي في صورة الوسطية والاعتدال التي يزعمون اتصافهم بها دون غيرهم، وكذا الاهتمام برموز التصوف في حضرموت سواء من المتقدمين أو المتأخرين وتصويرهم بأنهم عظماء كما أن هذه المجلة تحتوي على دراسات، وفعاليات الأربطة الصوفية من الدورات الصيفية، والاحتفالات البدعية التي تقام بذكرى عظمائهم ونحو ذلك، وهناك زاوية لتراجم مشايخهم، وعلماء الصوفية، وزاوية بعنوان: لقاء العدد يستضيفون المتصوفة للحديث عن التصوف والرد على خصومه، ـ وهناك زوايا أخرى: مقالات، واستطلاعات وغير ذلك، وأكثر المقالات مخصصة للمشهور الذي يصفونه بالمفكر الإسلامي، وجل حديثه عن المدرسة الأبوية (مدرسة صوفية حضرموت) والدعوة إليها، وتقرير البدع والانحرافات بأسلوب صحفي متكلف، ورمي مخالفيه من أهل السنَّة والجماعة بما هم براء منه ووصفهم بالغلاة، والغثائية وغير ذلك وهذا في أكثر مقالاته[1].

ومن وسائل نشر التصوف بث الدعاية للزيارات التي يروج لها القوم مثل زيارة القبر المزعوم لهود عليه السلام وكذا زيارة الأولياء وإعلان ذلك في الصحف وغيرها، وزيارة الأولياء السنوية.

= اليمن، حيث يتقدم الروحانيون الناس في هذه الزيارة وينشرون فكرهم باللقاءات والمحاضرات والجلسات: انظر: تفاصيل إحدى الزيارات السنوية لضريح العيدروس في منطقة كريتر ـ من ضواحي عدن ـ التي بدأت الخميس ١٠/٤/١٤١٥هـ: الحياة، العدد (١١٥٣١) الثلاثاء ٨/٤/١٤١٥هـ، الموافق، ١٣/٩/١٩٩٤م، والعدد (١١٥٣٤) الجمعة ١١/٤/١٤١٥هـ، الموافق ١٦/٩/١٩٩٤م، (ص١، ٤)؛ وانظر مشاهد مخزية ومبكية عند قبر العيدروس بعدن: الحياة، العدد (١١٥٣٥) السبت ١٢/٤/١٤١٥هـ، الموافق ١٧/٩/١٩٩٤م (ص١، ٤).

(١) انظر: مجلة الجذوة، العدد (٨) (ص٦٤ ـ ٦٧)، الصادر في رجب عام ١٤٢٥هـ ـ أغسطس ٢٠٠٤م.

ومن الصحف والمجلات التي تدعوا للتصوف:

مجلة أنوار التلاقي التي تصدر كل شهرين بحضرموت.

(ج) إنشاء المكتبات:

أنشأ القوم مكتبات كبيرة لبث فكرهم في مختلف مناطق حضرموت منها المكتبات العامة، وبعضها خاصة لبعض الأفراد وهناك مكتبات خاصة ببيع كتبهم وغيرها ككتب ابن عربي والحلاج والغزالي وغيرهم[(١)]، وأغلب ما تحويه هذه المكتبات كتب التصوف وغالبها مخطوطة ومن تلك المكتبات: مكتبة آل الكاف في كل من تريم وسيئون وهذه المكتبات ضمت لمكتبة الأحقاف، ومن المكتبات الخاصة مكتبة آل يحيى في تريم والمسيلة، ومكتبة آل بن سهل في تريم، ومكتبة آل العمودي في عمد[(٢)].

ولا تزال أبواب بعض المكتبات الخاصة مفتوحة للناس إلى يومنا هذا ويرتادها بعضهم .كمكتبة خرد بتريم، ومكتبة الأحقاف قسم المطبوعات، وبعض المكتبات بسيئون وبعض مناطق الساحل وغيرهما من المكتبات التي تقوم بنشر التصوف.

وقد جاء في كتاب «الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي» تحت عنوان (مراكز العلم ومواد الدراسة) ما يدل على اهتمام صوفية حضرموت بتدريس التصوف في دور التعليم بجانب العلوم الأخرى منذ وقت ظهور التصوف، حيث تعقد الدروس في المساجد أو المعاهد العلمية أو في البيوت وكانت أهم مراكز التعليم في حضرموت في ذلك العهد: تريم وشبام وسيئون والهجرين والشحر وغيل باوزير ودوعن وعمد وقيدون والغرفة والحوطة، وكانت أهم الكتب الصوفية المتداولة: قوت القلوب لأبي طالب المكي، والإحياء، وكذا

(١) وأكبر هذه المكتبات في تريم (مكتبة تريم الحديثة) لأحد عائلة بلفقيه، وهي كبيرة جداً، ولها فرع آخر في تريم، بالإضافة إلى مكتبات أخرى في تريم وسيئون، ومناطق الساحل.

(٢) انظر: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص٢١٩). مع العلم أن كثيراً منها ضم إلى مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم، وهي مكتبة حكومية.

العقيدة كلاهما للغزالي، والعوارف للسهروردي، والحكم لابن عباد، بالإضافة لاهتمام بعضهم بكتب ابن عربي، وكتب الشاذلية في التصوف[١].

الرحلات:

كثرت رحلات شيوخ صوفية حضرموت بين البلدان والأقاليم وطوافهم بين المدن والقرى لنشر باطلهم وضلالهم متحملين ما يصيبهم من عنت ومشقة في سبيل تبليغ طرقهم ومناهجهم الصوفية، وهم بذلك يزدادون ضلالاً وخسارة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤].

فقد قام القوم بتأسيس مراكزهم للدعوة في البلاد التي يحلون بها، كما فعل محمد بن علي الشهير بصاحب مرباط عند استقراره في مرباط ببلاد ظفار وأنشأ الحلقات الدراسية وقصده الطلاب من شتى المناطق لتلقي التصوف منه[٢].

ويقول الشلي في مناقب عبد الله الحداد: «ورحل إلى الحرمين الشريفين سنة ألف وثمانين، وأدى النسكين، وما دخل بلداً إلا انتفع أهله بمقاله، واقتدوا بأفعاله وأحواله، وهبّت على قلوبهم رياح العناية»[٣].

ومن تلك الرحلات: رحلة عبد الرحمٰن بن مصطفى العيدروس إلى مصر لنشر التصوف والطريقة العلوية والمشاركة مع بعض الطرق هناك في توسيع دائرة التصوف[٤] مضيفاً شراً إلى الشر الموجود في مصر بسبب الطرق الصوفية.

---

(١) انظر: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص٨٩ ـ ٩٠).

(٢) انظر: كتاب (أولياء الشرق البعيد أساطير مجهولة في أقاصي المعمورة) (رواية تاريخية حول كيفية انتشار الإسلام في أرخبيل الملايو)، تأليف بشار الجعفري (ص١٨٤).

(٣) المشرع الروي (٢/ ١٨٢).

(٤) انظر أخبار رحلته إلى مصر وأعماله هناك: الرحالة اليمنيون رحلاتهم شرقاً وغرباً، تأليف: عبد الله محمد الحبشي (ص٦٣ ـ ٦٦). وعقود اللآل في أسانيد الرجال، تأليف: عيدروس بن عمر الحبشي (ص٢٤٨ ـ ٢٤٩).

ومن تلك الرحلات رحلة أحمد بن حسن العطاس وهذه الرحلات جمعها محمد بن عوض بافضل[١] (ت١٣٦٩هـ) وهي تضم ثلاث رحلات: الرحلة المصرية، والمكية، والدوعنية[٢].

وهناك رحلة الأشواق القوية لعبد الله بن محمد بن سالم باكثير[٣] (ت١٣٤٣هـ)[٤].

وهناك رحلة لحسن بن عبد الله الكاف[٥] (ت١٣٤٦هـ)[٦].

وقام أحمد مشهور بن طه الحداد برحلة إلى شرق آسيا للدعوة إلى التصوف، ثم أقام ببلدة ممباسا ـ وهي الميناء الرئيسي لكينيا ـ، وقام برحلات للبراري وغيرها من الأماكن للدعوة، ووصل لبلاد الكنغو، وبقي ثلاثة عشر عاماً بأوغندا، وقام ببناء كثير من المساجد والمعاهد الدينية في تلك البلدان على طريقة صوفية حضرموت[٧].

وهناك رحلة لعمر بن أحمد بن سميط الذي وصف بأنه العلامة الصوفي الزاهد الداعية[٨] حيث قام برحلته من حضرموت إلى بلدان كثيرة[٩].

---

(١) هو محمد بن عوض بافضل، صوفي حضرمي، ولد سنة ١٣٠٣هـ، أديب عاش في حضرموت، ورحل إلى عدة بلدان، وتوفي سنة ١٣٦٩هـ، من مؤلفاته: صلة الأهل في مناقب فضلاء بني فضل، وتنوير الأغلاس في مناقب أحمد بن حسن العطاس، ونور العيون فيما يجب اعتقاده والعمل به وخص به الشارع المصون. انظر: مقدمة كتاب صلة الأهل كتبها ابنه علي (ص٥ ـ ١٨)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٥٥٠).

(٢) اختصرت هذه الرحلات وهذبت وطبعت في مصر سنة ١٣٧٩هـ، ثم أعيد طبعها مرة أخرى سنة ١٤٠٦هـ في أبو ظبي. انظر: الرحالة اليمنيون (٣٠٨ ـ ٣١٠).

(٣) هو عبد الله بن محمد بن سالم باكثير، ولد بمدينة لامو بساحل أفريقيا الجنوبية الشرقية سنة ١٢٧٦هـ وبها نشأ، وأخذ عن شيوخها. وله رحلات إلى الحجاز. من تصانيفه رحلته المسماة (رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية). توفي بزنجبار من بلاد أفريقيا سنة ١٣٤٣هـ. انظر: لوامع النور (٢/٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٤) الرحالة اليمنيون (ص٣١١).

(٥) هو حسن بن عبد الله بن عبد الرحمن الكاف، شاعر وأديب ولد بتريم عام ١٢٩٧هـ. توفي بتريم بها ١٣٤٦هـ. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (٢/٤١٦).

(٦) الرحالة اليمنيون (ص٣١١).

(٧) الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر (ص١٤٩).

(٨) الرحالة اليمنيون (ص٣١٣). (٩) المصدر السابق.

وللقوم أثر في نشر التصوف في بلاد الهند وبورما، فقد ذكروا أن عبد الله بن علوي العطاس (ت١٣٣٤هـ): «قام في عام ١٣٠٠هـ بالاضطلاع خارج حضرموت وفي بلاد الهند وبورما بالذات بنفس الدور والهمة التي قام بها شيخ مشائخه وجوهرة سنده مؤسس المشهد، رَحِمَهُ اللهُ، داخل حضرموت من تأسيس ونشر لطريقة جد هذين العلمين النيرين[(١)] الإمام الحبيب: عمر بن عبد الرحمٰن العطاس في الدعوة والسلوك، وعقد الصحبة، والذكر، ونشر العلم، وكان ولا يزال للإمام عبد الله بن علوي بالهند وبورما الآلاف من المريدين والأتباع والمدارس والمعاهد والمكتبات وبيوت الضيافة والزوايا بالإضافة إلى مقامه المعروف في حريضة والمكلا بحضرموت والذي يضم العديد من المدارس والمعاهد والمكتبات وبيوت الضيافة»[(٢)].

وهكذا اقتدى الصوفية في هذا العصر بسلفهم فقاموا برحلات كثيرة في سبيل التصوف سواء إلى المناطق اليمنية أو في الخارج لا سيما تلك البلدان التي يخيم عليها الجهل بالعقيدة الصحيحة وما يضادها، ومن أولئك الدعاة إلى التصوف محمد الهدار ـ صاحب رباط البيضاء ـ حيث كانت له رحلات إلى محافظة شبوة[(٣)]، ومدينة حبان[(٤)]، وإلى بلاد العواذل ودثينة[(٥)] من قبائل المحافظات الجنوبية، وله رحلات إلى يافع[(٦)]، كما رحل إلى خارج البلاد فقد رحل إلى: الحبشة، والصومال، وإلى بعض بلدان أفريقيا الأخرى، وإلى

---

(١) هذه من العبارات البراقة، والإطراءات الكثيرة التي شحن بها القوم كتبهم، فناشر التصوف والمخالفات في نظر صاحب موقع (العطاسية) يصبح علماً نيِّراً.

(٢) المشهد (تأسيسه ـ آثاره ـ أهدافه الاجتماعية) (ص٨)، الحلقة الأخيرة ضمن الحلقات عن المشهد بحضرموت ضمن موقع العطاسية في شبكة الإنترنت.

(٣) شبوة: بفتح الشين والواو بينهما موحدة ساكنة وآخره هاء: بلد بين مأرب وحضرموت، بين جردان وبيحان، وبالقرب منها معدن ملح. النسبة إلى المواضع والبلدان، لبامخرمة (ص٣٦٦).

(٤) حبّان: بالفتح وتشديد الموحدة ثم ألف ونون: واد باليمن من قرى تزرع على المطر، ومدينتها المصنعة. وهو عاصمة، كانت تعرف بالواحدي. ويتبع الآن محافظة شبوة. انظر: النسبة إلى المواضع والبلدان، لبامخرمة (ص٢٠٨)؛ ومخاليف اليمن، للأكوع (ص٢٤١).

(٥) العواذل وبلاد دثينة تتبع محافظة أبين. انظر: مخاليف اليمن، للأكوع (ص٨٤).

(٦) يافع: موضع، وأبو قبيلة من رعين. وتنقسم إلى قسمين، يافع العليا: وتتبع محافظة لحج، ويافع السفلى وتتبع محافظة أبين. انظر: النسبة إلى المواضع والبلدان (ص٥٩٠).

جنوب شرق آسيا، وإلى العراق والشام[١].

كما نشر القوم التصوف في عدة بلدان قدموا إليها فقد وصلوا شرقاً عبر الهند إلى الملايو وبورما وأندونيسيا والفلبين، وغرباً إلى كينيا وتنزانيا وأوغندا وجزر القمر وزنجبار وغيرها، ونشطوا في بعض الأماكن من الهند خاصة كجرات وأحمد آباد وماليبار، وكذلك نشروا التصوف جنوب شرق آسيا وساحل شرق أفريقيا»[٢].

وفي هذا الزمان أكثر القوم من الرحلات إلى بلدان مختلفة:

ومن أولئك علي بن عبد الرحمٰن الجفري حيث ساعدته الظروف الحالية في ذلك، وقد احتضنه المبتدعة له في بلدان شتى لما أوتيه من أسلوب ـ رغم ضحالة علمه ـ. فلهذا الرجل رحلات واسعة في بلدان شتى يقوم فيها بإلقاء المحاضرات في المساجد والمجامع، قرر في بعضها الشرك في الربوبية بدعوى تصرف الأولياء في الكون، واتصافهم بصفات الرب تعالى، وأما الشرك في الألوهية فهو كسلفه لا يعرفه ولا يعرف معنى العبادة لذا يجوّز صرفها لغير الله تعالى بمسميات لا تغني من الحق شيئاً[٣]، كما يوجد له موقع على شبكة الأنترنت يسمى موقع (الحبيب علي الجفري)، وينقل القوم تحركاته ولقاءاته في صحفهم[٤].

---

(١) انظر رحلاته: هداية الأخيار (ص٣٧٤، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤١٢، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٧٨، ٤٩١).

(٢) انظر: الإمام الحداد: د. مصطفى البدوي (ص٣٧).

(٣) انظر شريطه: جلسة مع شباب من آل باسودان، وجلساته في مصر وسوريا وغيرها من البلدان وهي مسجلة ومتداولة، وتباع بكثرة في تسجيلاتهم بتريم وسيئون وبعض مناطق الساحل، وهناك ردود على هذا الرجل في موقع (المجهر على شبكة الأنترنت) حيث نقلوا كلامه بذكر مكان إلقائه وتاريخه ويومه، وجمع بعض طلبة العلم أوراق بعنوان (الكشف الجلي عن شركيات علي الجفري) وهي متداولة وعلى شبكة الأنترنت، وظهر مؤخراً شريط لبعض طلبة العلم فيه رد على الجفري بعنوان (حوار هادىء مع الشيخ الجفري) ثم ظهر شريطاً آخر بعنوان (الترحيب بالجفري).

(٤) مثل صحيفة ثمود، وصحيفة الضياء، كما تنقل صحيفة الأيام اليمنية أخبارهم ودعوتهم الصوفية في اليمن.

ومن الساعين لنشر التصوف في هذا الزمان عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ، القائم على دار المصطفى بتريم، حيث يعقد جلسات أسبوعية عامة في تريم، يقرر فيها التصوف، والإشادة بسلفه، والتحذير من أهل العقيدة الصحيحة.

كما أنشأ القوم إذاعة تبث أخبارهم ودروسهم، ومحاضراتهم، ولشيخهم ابن حفيظ كذلك لقاءات وأحاديث أسبوعية في وسائل الإعلام اليمنية[1].

❊ المطلب الثاني ❊

التلاميذ والأتباع

كما لعب الأتباع دوراً في نشر التصوف؛ وذلك بالغلو في كبار الصوفية العلويين ومن أولئك طبقة المشايخ، يقول سعيد بن عبيد عبد الحق[2] أحد المشايخ من آل عبد الحق ـ في قصيدة له يخاطب فيها منصب عينات سالم بن سقاف بن الشيخ أبي بكر بن سالم:

سلام يا ذخري ويا فخري ويا ... طلبي في الدنيا وطب أجسادي

سلام مرسل من تراب أقدامك ... مضاعفاً ما يحتصي بعدادي

جاء الهنا زال العنا نلنى المنى ... من له عقيدة نال كل مرادي[3]

---

(١) وهناك أشخاص آخرون لهم تحركات في نشر التصوف مثل: زين بن إبراهيم بن سميط ـ المقيم بالمدينة النبوية، وعبد القادر بن أحمد السقاف ـ صاحب جدة ـ الذي كانت له يد طولى في نشر التصوف بالزيارات والدعم وغير ذلك، وسالم الشاطري بتريم، ومحمد باهارون القائم على جامعة الأحقاف وغيرهم كثير وإنما ذكرنا بعضهم للتمثيل لا للحصر، ومع كثرتهم فلا يهول ذلك الموحد صاحب السنّة فإنها كثرة لا تجدي شيئاً أمام الحق وأهله، فسيف الحق يكسر كل مبطل وباطله، كما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١٨].

(٢) هو سعيد بن عبيد بن مبارك عبد الحق، يتصل نسبه بالمشايخ آل عبد الحق من حوطة الفقيه علي بالإقليم الواحدي من المحافظات الجنوبية. ولد سنة ١٢١٣هـ، وتلقى تعليمه في تريم، ثم غادرها إلى دمون وأنشأ بها مدرسة لتعليم القرآن، وهو أديب وشاعر. له ديوان شعري يسمى (ديوان الوقائع بما جرى بين تميم ويافع) توفي سنة ١٢٨٩هـ انظر: ترجمته كتاب (المعلم عبد الحق)، لمحمد بن عبد القادر بامطرف (ص٢١ ـ ١١٠). ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٤٦٠).

(٣) المعلم عبد الحق (ص٦٩ ـ ٧٠).

كما ترك الحداد عدداً من مؤلفات في التصوف وتلاميذ كثر منهم: أحمد بن زين الحبشي، وعمر بن عبد الرحمٰن البار، وعبد الرحمٰن بلفقيه وغيرهم[١].

وفي وقتنا الحاضر يقوم تلاميذ الصوفية من مختلف الطبقات في المجتمع الحضرمي بجمع أقوال مشايخهم، وردودهم وشبههم وإخراجها في كتب مطبوعة، أو رسائل ونحو ذلك، كما هو الحال مع تلاميذ عمر بن حفيظ، وسالم الشاطري ومن على شاكلتهما.

ويمكن إجمال دور التلاميذ والاتباع في نشر التصوف في الوسائل الآتية:

١ ـ المكاتبات:

والمكاتبات: عبارة عن أسئلة أو توضيح الطريقة، أو بيان لواقع البلاد، أو إجابة عن مسائل عقدية، وبعضها في مسائل فقهية... إلخ.

نشر القوم التصوف بالمكاتبات الكثيرة التي جمعها لهم التلاميذ والمحبون، ومن تلك المكاتبات: مكاتبات الحداد، ومكاتبات للحسن بن صالح البحر في كتاب كبير.

وهناك مجموع كلام عبد الله بن حسين بن طاهر باعلوي مشتمل على ثلاث وعشرين رسالة، وهناك مكاتبات أبي بكر العيدروس (العدني) وهي مطبوعة، ومجموع كلام وديوان ووصايا الحبيب الحسن بن صالح البحر.

٢ ـ التدريس:

اهتم القوم بتدريس التصوف في المساجد والزوايا والأربطة وغيرها من أماكن التعليم، وكان اهتمامهم بذلك حيثما حلوا سواء داخل حضرموت وخارجها، ومن أولئك عبد الله باسودان أحد علماء صوفية حضرموت فقد كان له دور كبير في نشر التصوف بالتأليف والتدريس يقول عنه سعيد

---

(١) الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر (ص٨٧). وقد تقدم دور تلاميذ كبار مشايخهم في نشر التصوف.

باوزير[١]: «أنفق حياته في نشر الدعوة إلى الله وتدريس الطلبة والمريدين والإفتاء والتأليف في مدينة الخريبة.

له مؤلفات كثيرة منها: حدائق الأرواح في بيان طرق الهدى والصلاح....»[٢].

وجاء في كتاب «التلخيص الشافي» في ذكر أعمال عمر بن محمد بن علي السقاف (ت١٣٧٨هـ) ـ المقيم بأندونيسيا ـ: «ولا تزال مجالسه العلمية معقودة في بيته يحضرها الراغبون في مجالس الخير والذي يحافظ عليه هو الروحة آخر النهار في كتب الحديث والتصوف وحال كتابة هذا جاء الخبر بوفاته بسماراغ في ٧شعبان ١٣٨٧هـ، وقام أولاده بسمارن بالدرس آخر النهار في كتب القوم وفي الإحياء...»[٣]، كما لازم القوم التدريس في مسجد طه وذلك بإقامة الدروس وعقد والمجالس الصوفية[٤].

ونشر القوم التصوف في قباب الموتى يقول علوي بن عبد الله السقاف[٥] عند ذكر علي بن عبد الله بن عبد الرحمٰن السقاف[٦]: «وعلى قبره قبة بناها

---

(١) هو المؤرخ الحضرمي سعيد بن عوض باوزير، ولد عام ١٩١٦م بمدينة غيل باوزير بحضرموت، وتلقي علومه الأولية بمدينة الغيل، وتقلد عدة وظائف منها وضع بعض المقررات في التاريخ واللغة العربية والدين والجغرافيا للمدارس الحضرمية زمن الدولة القعيطية. من مؤلفاته: معالم تاريخ الجزيرة العربية، مصادر التاريخ الحضرمي. توفي سنة ١٩٧٨م. انظر ترجمته: على طرة كتابه معالم تاريخ الجزيرة العربية. انظر: القول المختار فيما لآل العمودي من الأخبار (نصوص مختارة)، للشيخ عبد الله الناخبي (ص١٠٨) حاشية ١.

(٢) الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص١٥٧ ـ ١٥٨).

(٣) التلخيص الشافي (ص٤٢). (٤) انظر: المصدر السابق (ص٥١).

(٥) هو علوي بن عبد الله بن حسين السقاف، من أهل سيئون، رحل إلى الحجاز وأقام بها، ثم غادرها إلى أندونيسيا واستمر بها إلى عام ١٣٥٧هـ فعاد إلى حضرموت. من مؤلفاته: مجموعة فتاوى في أبواب الفقه، مذكرات في التاريخ، والتلخيص الشافي. توفي بالقاهرة سنة ١٣٩٢هـ. انظر ترجمته: مقدمة كتاب التلخيص الشافي (ص٧ ـ ١٤).

(٦) هو علي بن عبد الله بن حسين بن محسن السقاف، أخو علوي مؤلف التلخيص الشافي، ولد سنة ١٣٦٦هـ. توفي بالصولو من بلاد أندونيسيا سنة ١٣٩٩هـ. انظر: التلخيص الشافي (ص١٦٠) والهامش.

الجد سقاف بن محمد بعد وفاة الحبيب علي؛ إذ هو أخص تلامذته يزار ويتبرك بزيارته أهل البلد، ويقام في تلك القبة درس أسبوعي يوم الخميس صباحاً وتكون القراءة فيه منوعة فبعض الحاضرين يقرأ في الحديث وأكثرهم في كتب التصوف، وتراجم السادة العلوية»[(١)].

كما قاموا بتدريس كتب الصوفية الذين يعظمونهم ويعتمدون أقوالهم، منها: كتاب إحياء علوم الدين، وبداية الهداية، ومنهاج العابدين والعقيدة كلها للغزالي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي، وعوارف المعارف للسهروردي، والفتوحات لابن عربي، والحكم لابن عباد، واهتموا بقراءة كتب ابن عربي وبعضهم اعتنى بقراءة كتب الشاذلية في التصوف[(٢)].

كما قام القوم بإنشاء الدورات الصوفية في هذا العصر في مراكزهم الكبيرة منها دار المصطفى حيث بلغ عدد الطلاب الملتحقين بإحدى دوراتها (٦٦٠ تقريباً) من مختلف مناطق اليمن، ومن خارجها ودُرست في الدورات كتب متصوفة حضرموت ككتاب فتح الخلاق لعبد الرحمٰن بلفقيه، والرسالة الجامعة لأحمد بن زين الحبشي، ومنظومة عقيدة العوام لأحمد المرزوقي[(٣)]، وعقيدة الإسلام للحداد، والجوهرة للباجوري الأشعري[(٤)].

كما قاموا بتدريس القصص والحكايات الخاصة بسلفهم العلويين، جاء في كتاب «التلخيص الشافي» في ترجمة جعفر بن عبد الرحمٰن بن علي السقاف (ت١٣٣٦هـ): «ومن مميزاته كثرة حفظه لآثار السلف[(٥)] بحيث يجلس الثلاث

---

(١) التلخيص الشافي (ص٢٤).

(٢) الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص٦٥).

(٣) هو أحمد بن محمد بن رمضان المكي، المرزوقي المالكي، الحسيني، مدرس في الحرم المكي. من تصانيفه: بلوغ المرام لبيان ألفاظ مولد سيد الأنام، وتحصيل نيل المرام لبيان منظومة عقيدة العوام. كان حيا إلى سنة ١٢٨١هـ. انظر: معجم المؤلفين (١/ ٢٦٤).

(٤) مجلة أنوار التلاقي، العدد (١٨) (ص٣٣)، ربيع ثاني ـ ١٤٢١هـ.

(٥) يعنون بالسلف في مؤلفاتهم سلفهم العلويين من الحضارمة ـ كما تقدم ـ لا السلف الصالح الذي أمرنا باتباع سبيلهم.

الساعات والأربع وهو يحكي من حكاياتهم الموصلة إلى الله ما لا يمله السامع»[١].

ومن الطرق التي استخدمها القوم لنشر التصوف الدعوة للتعلق بما في الإحياء حتى قال عبد الله الحداد: «الإحياء مغناطيس القلوب يجذبها إلى حضرة علام الغيوب»[٢].

لذا اشتغل القوم بتدريس كتاب الإحياء فقد كان زين العابدين العيدروس يدرس هذا الكتاب ضحى يومي السبت والأربعاء من كل أسبوع إلى جانب كتب أخرى[٣] كما نشروا التصوف عبر اللقاءات وذلك بقراءة كتبهم على شكل إنشاد كحضرة السقاف ـ المليئة بالشرك والبدع ـ التي يقيمونها إلى يومنا هذا[٤].

وأما عن منهاج القوم في تدريسهم والكتب التي يوصون بها يقول عبد القادر الجنيد عند ذكر أعمال أحمد بن علي بن هارون الجنيد[٥] (ت ١٢٧٥هـ): «وكان يميل إلى كتب الإمام الحداد، والإمام الغزالي، ولا يخلو درس من دروسه إلا ويقرأ في شيء منها.

وكان يقول: ثلاثة اشتهرت في الأقطار اشتهاراً كلياً: فاتحة الفقيه المقدم، وكتب الإمام الحداد، ومختصرات بافضل»[٦].

---

(١) التلخيص الشافي (ص٦٧).
(٢) الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر (ص٨٤).
(٣) انظر: المصدر السابق (ص٨٥).
(٤) انظر: كتاب المنهل العجيب الصاف في فضيلة وكيفية حضرة الشيخ عبد الرحمن السقاف مع ذكر القصائد الدائرة فيها للمشايخ العراف، جمعها: عبد الرحمن بن محمد بن حسين المشهور (مخطوط).
(٥) هو أحمد بن علي بن هارون بن علي بن الجنيد، ولد بمدينة تريم سنة ١١٩٧هـ، نشأ بها وأخذ عن مشايخها، ثم رحل لعدة بلدان داخل حضرموت وخارجها. من تصانيفه: الدر المزهر على عقيدة مدهر، ومرهم السقيم لزيارة مقبرة تريم، وسلم المريد لجني باكورة التجويد. توفي سنة ١٢٧٥هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ١١١)؛ العقود العسجدية (ص١٦ ـ ٥٤).
(٦) العقود العسجدية (ص٩٨).

المطلب الثالث

التأثير على بعض الولاة

وطد القوم علاقاتهم بالحكام والولاة في فترات من التاريخ، لا سيما عند وجود الفرص السانحة، حيث نجد العلويين وغيرهم من الصوفية يبذلون جهدهم في سبيل تحسين علاقاتهم مع بعض الدول التي حكمت حضرموت، ومن تلك الدول دولة آل كثير.

يقول محمد بن هاشم العلوي مثنياً على دولة آل كثير[١]: «وساعدها على النجاح اتصال السلطة الروحية في الشعب وتفانيها في حب رجال الصلاح والتقوى، ويبدو ذلك الاتصال القوي ظاهراً في قول الإمام الصفوة أحد أعلام السنَّة بحضرموت مربي السالكين وبهجة المريدين الشيخ العلامة علي بن عمر باعباد[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ ونفعنا به ـ: نحن وآل كثير شيء واحد كالكفين من الساعد وكالتفاحتين من شجرة»[٣].

وقد استغلت صوفية حضرموت مكانتها ونفوذها الروحي فوطدت علاقاتها بالدول التي حكمت اليمن من ناحية سياسية واجتماعية فقامت بنشر الحوط والمقامات التي استمر أثرها إلى يومنا هذا[٤].

ولما لهذه العلاقة من أثر في نشر التصوف فإن صوفية حضرموت،

---

(١) هو محمد بن هاشم بن عبد الرحمن بن عبد الله العلوي، ولد سنة ١٣٠٠هـ بحضرموت ودرس على جماعة من شيوخ تريم، وفي سنة ١٣٢٥هـ رحل إلى جاوة وساهم في تحرير صحفها وتزعم البعثة المرسلة إلى مصر سنة ١٣٤٤هـ، ثم عاد سنة ١٣٤٥هـ إلى حضرموت. من مؤلفاته: تاريخ الدولة الكثيرية، ورحلة إلى الثغرين، والذكريات. توفي سنة ١٣٨٠هـ. انظر: تاريخ الشعراء (٥/ ٢٨٩)؛ والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص١٧٨).

(٢) هو علي بن عمر بن محمد بن عمر باعباد، ولد سنة ٧٤٨هـ، وكانت وفاته سنة ٨٢٣هـ. انظر: الإكليل في مناقب الشيخ محمد بن أحمد عبّاد المكنى عقيل، تأليف: محمد بن عبد الله بامزروع الشبامي (ص١٩٤).

(٣) تاريخ الدولة الكثيرية (ص٢٦).

(٤) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢٩٨ ـ ٢٩٩).

وخصوصاً العلويين تمنوا ألا تزول دولة آل كثير لما لهم في بقائها من المصلحة لنشر سلطتهم الروحية وكذا نشر التصوف الذي مضى عليه أسلافهم.

وقد قام عبد الله باعباد الملقب بالقديم بمناصرة آل كثير نشر الفكر الصوفي، يقول محمد بن هاشم عن القديم هذا: «في مقدمة الذين لا يقصرون في نصرة آل كثير وتنشيطهم وترويج مشروعهم بين الدهماء علاوة على ما يقوم به العلويون من الجهة الأخرى من حسن الدعاية وتمهيد السبيل»[١].

ومن آثار القوم سعيهم في التأثير على حكام حضرموت آنذاك لالتزام التصوف ونشره، وقد تأثر على الحكام بعض حكام حضرموت من آل كثير بذلك منهم: عبد الله الكثيري الذي تنسب إليه دولة آل عبد الله فقد ذكروا عنه أنه: «بجذبة ربانية ـ على حد تعبير الذين ترجموا له ـ فتدروش عام ١٠٢٤هـ أي بعد أن ولي أمر السلطنة بنحو ثلاث سنوات. وقصد إلى منصب عينات الشيخ الحسين بن أبي بكر بن سالم ليتوصل به إلى رضوان الله[٢] وكان قد تجرد من السلطنة، فطيب منصب عينات خاطره، فأقام بعينات ثم سافر»[٣].

ويقول محمد بن هاشم: «ومات مسعود بن اليماني ـ والي تريم ـ سنة ٦١٨هـ وكان رجلاً كثير اللهو والملذات غير أنه قبيل وفاته أقلع على يد الشيخ محمد بن علي الخطيب وترك الملك لابنه عمر بن مسعود[٤]»[٥].

وكذلك تصوف حسين بن ناجي بن عمر بن بريك ـ أحد سلاطين الشحر ـ الذي ولي أمر السلطنة سنة ١٢٢٠هـ، وقد استمر في السلطنة ستة وعشرين

---

(١) تاريخ الدولة الكثيرية (ص٣٥).

(٢) وهذا بسبب الدعايات التي بثها المتصوفة لأوليائهم من ذكر كراماتهم ومناقبهم بالإضافة لاهتمام بمسألة النسب ونحو ذلك مما كان له الأثر في تأثر بعض الحكام بهم.

(٣) المعلم عبد الحق (ص٧٣).

(٤) هو عمر بن مسعود بن يماني بن لبيد، ولي الحكم بعد أبيه سنة ٦٤٨هـ، وبعد سنة حدثت بينه وبين بعض أقربائه مناوشات عكرت الجو ونشبت الفتن، ودخلت الدولة الرسولية بعدها إلى حضرموت فخذلوا عمر بن مسعود ووقفوا مع خصومه، فكانت تريم تحت سلطة الحبوظي إلى سنة ٩٧٨هـ. مات عمر بن مسعود سنة ٦٧٥هـ. انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٥٠٥ ـ ٥٠٧).

(٥) تاريخ الدولة الكثيرية (ص٢٩).

شهراً وبعد أن تصوف خلع نفسه من الحكم وقالوا عنه أنه أصبح من أهل الباطن المكاشفين، وأصحاب الأحوال والمقامات(١).

وذكر سعيد بن عوض باوزير: «أن السلطان بدر بن عبد الله بن عمر نفسه كان يتبرك بأخذ رأي الحسين بن أبي بكر بن سالم ـ المقيم بعينات ـ وربما لا يقطع بدون استشارته»(٢).

كما كان لصوفية حضرموت أثر في نشر التصوف في بلاد الهند من خلال تشجيع حكامها، جاء في مناقب جعفر الصادق العيدروس (ت١٠٦٤هـ): «وعن عمه محمد تلقى من علوم وتصوف، وفي الجهة الدكنية من أرض الهند ناظر كثيراً من العلماء في علوم عديدة بحضور الأمير عنبر ـ حاكم الدكن السياسي ـ فكان الفوز له والغلبة عليهم أجمعين حتى أدهش بقوة براعته وسعة علومه مناظريه قبل غيرهم(٣)، ولا جرم أن يعجب به الأمير عنبر ويرغبه في المقام عنده لينتفع الناس بعلومه وما برح في كنفه متفرغاً لتدريس العلوم وتغذية المستفيدين الكثيرين...»(٤).

ولا شك إن لهذه العلاقات الأثر في نشر التصوف، الذي لا تزال إلى يومنا هذا.

ولم يكتف القوم بما تقدم لنشر التصوف؛ بل سعوا لإقامة دولة علوية

---

(١) المعلم عبد الحق (ص٧٤).

(٢) الفكر والمجتمع في التاريخ الحضرمي (ص١٠٤).

(٣) وهذا من تهويل القوم واطرائهم مشايخهم ـ كعادتهم ـ وإلا فما هي العلوم التي أدهش بها الناس، وغلب بها خصومه، فعلوم التصوف لا تعجز أحداً؛ لأنها علوم فاسدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس: الآية٨١]. ثم إن ظهور التصوف له أسباب كثيرة منها تشجيع بعض الحكام له لأنه يخدم مصالحهم، وقد يكون بسبب الجهل الذي يعم البلدان التي ينتشر فيها التصوف، أما أن التصوف ينتصر بالحجة والبرهان فهذا لا يقع لأن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة العنكبوت: الآية ٦٩] وأي جهاد وإحسان للتصوف حتى تكون له الغلبة والنصر.

(٤) تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ١٠ ـ ١١) وانظر: سعي القوم في العصر الحديث لتوطيد فكرهم الصوفي من خلال التقرب للجهات المسئولة: مجلة أنوار التلاقي (ص٣٣)، العدد: ٢٢، ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٤٢١هـ.

صوفية لنشر فكرهم وتوطيد سلطتهم الروحية في حضرموت وذلك باستغلال الاضطرابات التي وقعت في بعض الأزمنة، فقد جاء في كتاب «تاريخ معالم الجزيرة العربية»: «وبذل بعض العلويين في هذا القرن أيضاً محاولات أخرى لإقامة حكومة محلية يرضون عنها فبايعوا السيد طاهر بن الحسين العلوي المتوفى بمسيلة آل شيخ سنة ١٣٤١هـ؛ لينهض بأعباء الحكومة المقترحة، ولُقّب ناصر الدين، وحمل السلاح ودعا إلى التسلح[١] وزحف إلى تريم وحاصرها طويلاً ثم باءت هذه المحاولات بالفشل...»[٢].

❁ المطلب الرابع ❁

نشر الزوايا والأربطة

كثرت الزوايا الصوفية وكذا المجالس التي يؤدي فيها القوم عباداتهم المختلفة من ترديد الأدعية والأذكار المبتدعة، أدعيتهم وأذكارهم، ونشر ذلك الفكر الصوفي بين المريدين.

وتعتبر الزوايا الصوفية أهم محاضن الصوفية، ومراكز تجمعها، ويحافظ عليها القوم إذ هي من مآثر سلفهم، وهي من الوسائل المهمة لنشر التصوف بين أوساط الناس وقراءة كتب الأسلاف وذكر مناقبهم وكراماتهم وغير ذلك من الأمور التي بني عليها الدين الصوفي.

---

(١) وهذا الفعل مخالف لفعل سلفهم الذين يقتدون بهم في كل صغيرة وكبيرة، لا سيما وكبيرهم الذي يلقب بالفقيه المقدم ـ محمد بن علي العلوي ـ قد كسر السلاح في عصره، ولزم طريق التصوف كما تقدم ـ، ودعا قومه لذلك، وهذا يدل على اضطراب القوم في منهجهم، وسعيهم لإقامة التصوف بأي طريقة كانت، ولهم تشوف للوصول للحكم الذي فقدوه منذ قرون فهم يتطلعون للوصول له عند وجود الفرصة السانحة، ولكن لم يفلحوا. وانظر: المعلم عبد الحق (ص١٩٥).

(٢) معالم تاريخ الجزيرة العربية (ص٢٨٧). وقد قام كذلك إسحاق بن عقيل بن يحيى (ت١٢٧١هـ) بمحاولة تأسيس دولة ولكنه فشل. انظر: إدام القوت (ص١٠٧)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي (ص٣٨٦)؛ وتعليقات ابن شهاب على شمس الظهيرة (ص٣١٤). وكذلك فقد ذكروا أن محمد بن عقيل سعى في المهجر لإقامة مملكة علوية فلم يفلح أيضاً. انظر: كتاب (عبد العزيز الرشيد) (ص٢٧٨).

وقد كثرت الزوايا في المدن والقرى، فتسابق القوم لتلك الزوايا ودعوا الناس لذلك، ففرقوا الأمة ولم يروا أهل العلم من الفقهاء والمحدثين شيئاً؛ لأنهم ـ بزعمهم ـ أهل الرسوم الظاهرة، وإنما الاعتماد على علوم الحقيقة وهي لأهل الباطن دون غيرهم.

الزوايا الصوفية:

الزاوية في الأصل ناحية المسجد. وعند الصوفية هو: النزل أو المكان الذي يجتمعون فيه بانتظام للعبادة والذكر والأوراد، ويمكثون فيه. ويحتوي على ما يحتاجه المتصوف من المطابخ وغيرها، ولكل زاوية شيخ وحارس[(١)].

وعرفت كذلك بأنها: مأوى المتصوفة والفقراء[(٢)].

وقد كثرت الزوايا عند صوفية حضرموت[(٣)]، تبعاً لكثرة مشايخهم المعظمين، واتبعوا تشريعاتهم التي تنظم عباداتهم.

كما قام القوم بإحياء آثار سلفهم من الزوايا الصوفية والمقامات وغيرها، فمن ذلك ما ذكره عبد القادر الجنيد العلوي عند ذكر أعمال أحمد بن علي بن هارون الجنيد أنه عمر عدداً من آثار سلفه منها: زاوية فضل بامقيصر بخليف تريم، وأمر أن تعقد فيها الدروس، وزاوية الشيخ الصوفي سعد بن علي مدحج الواقعة بمسجد سرجيس، وأمر تلاميذه بعقد الدروس فيها، وعمر سقيفة ضريح الحداد، واشترى البيوت الأثرية لمتقدميهم، حيث اشترى دار الفقيه المقدم وعمرها وجعلها محلاً للزيارة[(٤)].

وجاء في ذكر مناقب علوي بن عبد الرحمٰن المشهور (ت١٣٤١هـ) تحت عنوان: (إنشآته الخيرية): «كما له بالشحر مدرسة مكارم الأخلاق، وبالمكلا

---

(١) انظر: المعجم الصوفي، للحفني (ص١١٥)؛ والخطط والآثار، للمقريزي (٢/ ٤١٤ ـ ٤٣٦).
(٢) المعجم الوسيط (١/ ٣٢٣).
(٣) وقد ألف عمر بن عبد الرحمن الكاف العلوي كتاباً بعنوان (الخبايا في الزوايا) وذكر فيه زوايا كثيرة في حضرموت في مساجد وأماكن مختلفة وذكر مؤسسيها، وفضائلها المزعومة ـ والكتاب مطبوع ـ.
(٤) انظر: العقود العسجدية (ص١٢٠).

مسجد كبير عدا ما له في الديار السيلانية من زوايا ومدارس ومنافع»[١].

وهناك زاوية في تريم تسمى زاوية سرجيس: «وسميت بهذا الاسم نسبة لنبي الله سرجيس على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، والذي قبره بجنب الجدار الغربي من المسجد المشهور[٢] والمعروف بهذا الاسم، وقد تولى التدريس بهذه الزاوية كثير من العلماء العارفين ولعلها من أيام الإمام الشيخ سعد بن علي مدحج المتوفى سنة ٨٥٧هـ وله خلوة للعبادة وآثار بهذا المسجد»[٣] وهناك زاوية للحداد بمكة يُكثِر القوم المدارسة فيها، فقد ذكر علوي الحداد أنه التقى بمكة مع شخص يدعى حسن بن عبد الله باراس الدوعني فقال عنه: «وحصل بيننا وبينه ليالي وأيام في زاوية سيدنا وشيخنا القطب الأوحد الحداد بجياد بمكة المشرفة مذاكرات ومجالس منورات فصار منا وعنا[٤]، وطلب الإلباس منا، فألبسناه القبع الشريف... إلخ»[٥].

وقد جاء في كتاب الدليل القويم ذكر كثير من مساجد وزوايا تريم التي يقوم عليها متصوفة حضرموت[٦].

وهناك زاوية لأبي بكر بن سالم يقول علي العطاس: «وقال الشيخ الحبيب أحمد بن الشيخ علي بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب

---

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ٢٠٣).

(٢) وهذا من أكاذيب الصوفية التي لا تنتهي، فلا تكاد تجد منطقة في حضرموت إلا بها قبر لنبي أو مشهد، أو آثار أقدامه ونحو ذلك من الكذب الذي يروجه المتصوفة على الناس، لبيان فضائل حضرموت، وأن فيها من الأنبياء والأولياء الكثير، وهذا من أعظم الأسباب التي فتحت على الناس أبواب الشرك والبدع ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٣) الدليل القويم (ص١٦٥).

(٤) وفي هذا كما تقدم دليل واضح في ترسيخ العلويين مكانتهم الروحية عند غيرهم، ونشر التصوف بذلك، فحسن باراس هذا من أسرة المشايخ أصحاب الجاه والمكانة في حضرموت قبل قدوم العلويين، لذا يلاحظ اهتمام العلويين بهم وتقريبهم ونشر البدع من قبلهم.

(٥) الرسالة النافعة، لعلوي الحداد (ص١).

(٦) انظر: الدليل القويم (ص١٢٢ ـ ١٧٢).

المنصب بعينات: والله لو قمت أنا حيث قام فلان يعنيني وجعلت زاوية الشيخ أبي بكر بن سالم عندي لما حصلت لكم عشر عشير ما حصله لكم فلان من تحويط الغيوار[١]. . . إلخ»[٢].

كما ادعى القوم أن المبشرات والفتوحات تظهر لهم في زواياهم يقول علي بن حسن العطاس: «وقد كنت قبل ذلك رأيت رؤيا كأن الوالد محسن بن حسين بن عمر العطاس دخل علي وأنا نائم في الزاوية بالمشهد وعليه ثياب خضر كلها، القميص والرداء والعمامة وكأنه يقول لي: قم فإن الناس ينتظرونك[٣] فانتبهت ثم نمت فرأيته ثانياً يقول لي: قم فلا لها إلا أنت»[٤].

وهناك زوايا كثيرة قامت صوفية حضرموت من خلالها بنشر التصوف بين أوساط الناس، وقد تولى ذلك كبارهم ومن تلك الزوايا إضافة لما ذكر: زاوية مسجد الخطيب (الوعل) الواقعة بمسجد الوعل بالخليف بتريم، وزاوية بايعقوب وتسمى أيضا مدرسة آل الجنيد لأن آل الجنيد افتتحوها بعد أن أغلقت مدة من الزمن، وهناك زاوية مسجد نفيع بحافة الخليف غرب المسجد، والدروس مستمرة فيها طيلة الأسبوع عدا يوم الخميس.

ومن الزوايا كذلك زاوية مسجد باحرمي الواقعة بحافة[٥] الخليف، وهناك زاوية مسجد بروم وتقع بحافة البلاد بالقرب من مسجد سرجيس، وزاوية مدرسة آل عبد الله بن شيخ تقع في حافة السحيل، وقالوا أنها من أبرك الزوايا بتريم، وهناك زاوية مسجد سوية بتريم بناها عبد الله بن أحمد البكري

---

(١) أي جعل بلدة الغيوار وهو مكان المشهد الذي فيه ضريح علي العطاس مكاناً آمناً، وبعبارة أوضح (حرم السادة).

(٢) المقصد إلى شواهد المشهد (ص٢٠٦).

(٣) وهذا الرؤيا المنامية ـ كما تقدم ـ تعتبر من مصادر تلقي الشرع عند صوفية حضرموت، وقد سبق بيان اعتمادها عند القوم لعمل البدع والمخالفات الشرعية وتقريرها وحجتهم هي أمر مشايخهم ووصيتهم بذلك كما في دعوة هذا الصوفي لبناء مشهده الذي يعد من صور الوثنية في حضرموت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٤) المقصد إلى شواهد المشهد (ص١٣٦).

(٥) الحافة بمعنى الحارة، أو الحي المكون من منازل عدة.

الأنصاري الخطيب، وكان يقيم الدروس فيها للطلاب[١].

واهتم المتصوفة بالزوايا الصوفية حتى بلغت عدداً كبيراً في كثير من المناطق وهذا هو دأب أغلب الصوفية لا سيما في العصور المتأخرة «حتى أنك إذا بحثت في أي مدينة أو قرية في غالب الممالك الإسلامية تجد زواياها أكثر من المساجد ومن المدارس، لا تكاد تجد عائلة إلا وهي آخذة طريقة من الطرق تتعصب لها برجالها ونسائها وصبيانها.

والطامة الكبرى هي أن من ينتسب للعلم من أهل زماننا يتسابقون للأخذ عن تلك الطرق البدعية ويتحزبون لها...»[٢].

وقد مشت صوفية حضرموت على هذا المنوال، فلذا تجد في مؤلفاتهم ذكر كثير من الزوايا التي نشروها في مناطق شتى.

يقول الدكتور محمد مكين ـ أحد الباحثين في سيلان ورئيس الجمعية الإسلامية بجامعة لندن ـ في رسالته التي قدمها في جامعة لندن عن الطريقة الشاذلية وأثرها في تطور المجتمع: «ولقد انتشر الإسلام في آسيا عن طريق التصوف، ولهذا انطبعت الحياة العامة في تلك البلاد بطابعه، ففي بلاد سيلان مثلاً كل مسلم لا بد أن ينتسب إلى طريق صوفي، وفي كل بلد من سيلان زاوية صوفية، والأولاد هناك يتربون تربية صوفية، فيذهبون إلى الزوايا كل صباح، وفي سيلان طرق صوفية متعددة أشهرها الشاذلية، والقادرية، والعلوية[٣]، ويضيف إلى ذلك أن المسلمين في سيلان ينتسبون إلى أصلين كبيرين: أصل عربي، وقدموا من حضرموت واليمن، وتكتب لغتهم بالعربية، وفريق ثاني وفد إليها من الملايو»[٤].

وجاء في كتاب الخبايا في الزوايا ذكر كثير من المدارس والزوايا

---

(١) الدليل القويم (ص٥٨).

(٢) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، للشيخ محمد الحجوي: (٢/ ٦١٢).

(٣) نسبة لآل باعلوي وهم الأشراف في حضرموت ويسمون السادة وأكثر تواجدهم في مدينة تريم وما حولها من المدن.

(٤) انظر: المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى (ص٢٥٦)، (ص٢٧٨ ـ ٢٧٩).

الصوفية التي انتشرت في حضرموت، منها: زاوية علي بن أبي بكر السكران حيث قالوا عنها: «المشهورة بالفتوح»[١].

وجاء في كتاب (الدليل القويم) عند ذكر زاوية علي بن أبي بكر السكران: «ومن الزوايا المشهورة بهذه البلدة الطاهرة زاوية سيدنا الإمام العلم القطب الشهير الشيخ نور الدين بن أبي بكر السكران المتوفى سنة ٨٩٥هـ أسسها الشيخ علي بحافة البلاد ملاصقة بمسجده المشهور ويعقد بها مَدْرَس عام في الأسبوع مرتين بعد صلاة الظهر من يومي الاثنين والخميس، وهي عظيمة الأسرار والأنوار ومجربة للفتوح...»[٢].

وجاء في كتاب الدليل القويم تحت عنوان (معلامة الإمام الشهير أبي مُرَيِّم): «من أشهر المعاهد العلمية الدينية بهذه المدينة الطيبة معلامة الإمام الشهير: محمد بن عمر بن أبي مُريِّم المتوفى سنة ٨٢٢هـ.... وهي مشهورة بالفتوح العظيم ومجربة لتسهيل الحفظ ومن دخلها ودرس فيها فتح الله عليه»[٣].

وهناك زوايا كثيرة جداً لا يزال القوم يهتمون بها إلى يومنا هذا سواء بترميمها، أو التدريس فيها، وإقامة شعائرهم بها[٤].

وادعى المشهور أنه متى وجدت الزوايا الصوفية والأربطة ضعف اليهود وهذه من الدعاوى الكثيرة التي يعتمدها القوم لترويج بدعهم ومخالفاتهم ولو بالكذب الذي لا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته[٥].

والزوايا من بدع الصوفية التي جرت إلى بدع أخرى، وقد أفتت اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز ببدعية هذه الزوايا الصوفية ووجوب الحذر منها فقد جاء في سؤال وجه للجنة وأجابت علية: «س: في الحي الذي أسكن فيه يوجد مسجد وتوجد زاوية تابعة لطريقة صوفية، هل تجوز الصلاة في هذه الزاوية؟.

---

(١) الخبايا في الزوايا (ص٣٩).
(٢) الدليل القويم (ص١٦١ ـ ١٦٢).
(٣) المصدر السابق (ص٥٨).
(٤) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص٢١٨).
(٥) المناصرة والمؤازرة (ص٣٠).

ج: لا تصل مع هؤلاء الصوفية في زاويتهم، واحذر صحبتهم والاختلاط بهم لئلا يصيبك ما أصابهم، وتحرّ الصلاة في مسجد جماعة يتحرون السنَّة ويحرصون عليها»[١].

الأربطة الصوفية:

كما نشر القوم الأربطة الصوفية في كثير من الأماكن، وتعد هذه الأربطة مركزاً من مراكز التعليم عند الصوفية، حيث تضم عدداً من الطلاب، يتم توفير جميع الاحتياجات لهم من الكتب والسكن والأكل وغير ذلك، للتفرغ لدراسة الفكر الصوفي وعدم الانشغال بغيره.

تعريف الرباط عند الصوفية:

الأربطة جمع رباط، والرباط: هو بيت الصوفية.

وعرف الرباط بأنه: ملجأ الفقراء من الصوفية[٢].

والرباط في الأصل: ما تربط فيه الخيول، ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن ورائهم رباط، وسمي مكان تجمع المجاهدين المتطوعين لقتال العدو على الحدود رباطاً، ثم صار في اصطلاح الصوفية مكاناً يتفرغ فيه للعبادة، وفي الرباط زوايا خاصة للخلوة.

ويرى الصوفية أن المكث بالزوايا أليق نظراً لما تدعوا إليه النفس من النوم والراحة والاستبداد بالحركات والسكنات، وفي الرباط حجرة عامة يسمونها بيت الجماعة، ووجود الشيخ بين الجماعة يضبطهم ويقوم المبتدئون بالخدمة، وهي من أعمال التقوى والصوفية لا يسمحون بالخدمة عندهم إلا لصوفي مثلهم بالنظر إلى ما قد ينكشف عنهم مما ينكره الجاهلون بأمورهم[٣].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٣٠١) فتوى رقم (٦٢٥٠).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٤٠٨).

(٣) المعجم الصوفي، للحفني (ص١٠٢).

النصوص الدالة على نشر صوفية حضرموت للأربطة:

ذكرت بعض المصادر أن ثمة أربطة كانت عند صوفية حضرموت المتقدمين، وإن لم تكن كالأربطة التي أنشأت فيما بعد من حيث النشاط، والاهتمام بها، ومن تلك الأربطة القديمة ما ذكروه عن رباط سلطانة بالعر، يقول الشاطري: «وللشيخة سلطانة رباط تردد ذكره في بعض الكتب والأمالي الحضرمية بنته بالعر - وهو العراء الممتد شرقي مريمة إلى نهاية حوطتها - وعرف الرباط بأنه: ملجأ الفقراء من الصوفية.

ولكن تلك الكتب لم تشرح لنا شيئاً عن الرباط المذكور ولا عن مريديه ولا عن العلوم التي تدرس فيه، وهل تباشر هي بنفسها تطبيق شيء من الرياضات أو الدروس فيه أم هو أشبه بخان صوفية لتنزيل الضيوف منهم فيه، ولعل هذا هو الأقرب»(١).

ويزعم القوم أن بناءهم للأربطة كان بأمر الرسول ﷺ يقول صالح الحامد عن سلطانة الزبيدية: «وعندما عظم شأنها بنت ببلدة (العر) رباطاً. ورووا أنها قالت: أنها بنته بإشارة من النبي ﷺ، ولما أعلمت شيخها الشيخ محمد بن عبد الله باعباد، أمدها وساعدها في هذا العمل المبرور»(٢).

ولم تعرف الأربطة في حضرموت بهذه الهيئة الصوفية إلا في العصور المتأخرة، فقد جاء في كتاب تذكرة المحتاط في شئون وتاريخ الرباط: «ترجع الأسبقية في إنشاء الأربطة الدينية بحضرموت إلى الإمام العارف بالله الحبيب علي بن محمد الحبشي - نفع الله به - فقد أنشأ رباطه المعروف بسيئون قبل سائر الأربطة بحضرموت»(٣).

ثم ذكر تلك الأربطة والمدارس فقال: «أقدم رباط رباط الحبشي بسيؤون(٤) ثم رباط تريم (أزهر حضرموت) ثم رباط الغيل ١٣٢١هـ ورباط

---

(١) أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ٣١٠).
(٢) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٩٤).
(٣) تذكرة المحتاط في شئون وتاريخ الرباط (ص٤٧).
(٤) انظر عن هذا الرباط: تاريخ حضرموت السياسي (٢/ ١٦٥).

قيدون ورباط عينات، وأما المدارس فمدرسة جمعية الحق ١٣٣٤هـ ثم مدرسة الكاف ومدرسة جمعية الأخوة ١٣٥٢هـ، ومدرسة النهضة بسيؤون، والمدارس العيدروسية في قرى حضرموت ومدارس جمعية الفضائل، وفي الساحل مدرسة الفلاح التي أقامها الشيخ الدباغ ومدرسة مديحج بالشحر، وتسمى مدرسة مكارم الأخلاق، ومدرسة آل شيخان بالمكلا»(١).

ومن أقدم الأربطة بحضرموت رباط الحبشي ـ كما تقدم ـ فقد قالوا عنه: «وأقدم رباط تأسس في العهد الأخير رباط العلامة الداعية علي بن محمد الحبشي بسيؤن، والرباط: هو كلية أو مدرسة داخلية يدرس فيها الطالب ليل نهار، ويتناول غالباً طعامه وشرابه فيها وعلى حسابها(٢).

وجاء في كتاب إدام القوت: «وأول رباط بني بتريم هو: رباط الشيخ إبراهيم بن يحيى بافضل المتوفى ٦٨٤هـ»(٣).

وقد ذكر القوم دور رباط تريم في نشر التصوف بواسطة التلاميذ الذين تخرجوا منه من بلدان آسيا وأفريقيا(٤).

ويقول الشاطري: «ويليه في التأسيس رباط تريم الشهير ـ أزهر حضرموت ـ وذلك سنة ١٣٠٤هـ، وقد تخرج منه ألوف من العلماء والطلاب بحضرموت واليمن وعدن والولايات الغربية، وهي ما كان يسمى بالمحميات الغربية، وصوماليا، وزنجبار، وملايا، وأندونيسيا وغيرها... ثم أنشىء رباط الغيل (غيل باوزير) بفضل الشيخ العلامة الكبير محمد بن عمر بن سلم حوالي سنة ١٣٢١هـ وقد تخرج منه علماء وفقهاء ووعاظ، وهكذا تواتر افتتاح الأربطة فظهر رباط قيدون، فرباط عينات...»(٥).

---

(١) الدلائل النبوية (٦٧). وانظر: أدوار التاريخ الحضرمي (ص٤٥٢).
(٢) أدوار التاريخ الحضرمي (ص٤٥٢).
(٣) إدام القوت (ص٥٠١)، ط المنهاج. وهذا يخالف ما تقدم من أن رباط علي الحبشي هو أول رباط في حضرموت، وسبب ذلك ـ والله أعلم ـ الاضطراب ودعوى كل شخص أن رباط شيخه أو من يعظمه هو الأقدم وليفتخر به على غيره.
(٤) انظر: العقود العسجدية (ص٤٦٨).
(٥) أدوار التاريخ الحضرمي (ص٤٢٢ ـ ٤٢٣).

وقد أثنى القوم على رباط تريم وفضلوه على الأزهر[(١)].

وهناك معاهد دينية أخرى منها: النور بالمكلا، ورباط قيدون وتعنى بسرد مؤلفات الصوفية من الحضارمة وغيرهم[(٢)] وأنشىء رباط تريم في ١٤محرم ١٣٠٥هـ بقراءة قصة المولد النبوي الشريف[(٣)].

وكان لهذا الرباط طلاب كثيرون من بلدان مختلفة فقد ذكر محمد بن أحمد الشاطري: «أنه تخرج منه ألوف العلماء والطلاب بحضرموت، واليمن، وعدن، والولايات الغربية، وهي ما كان يسمى بالمحميات الغربية وصوماليا وزنجبار، وملايا، وأندونيسيا وغيرها وأكثرهم على يد شيخه العلامة الكبير عبد الله بن عمر الشاطري الذي مكث يدرس فيه ويدير تعليمه نصف قرن...»[(٤)].

ويستقبل الرباط هذه الأيام كثيراً من الطلاب من بلدان مختلفة؛ كأندونيسيا وبلدان شرق أفريقيا وغيرها.

وهناك رباط العيدروس بعدن له علاقة كبيرة بغيره من الأربطة داخل اليمن كأربطة زبيد، وكلية العلوم الشرعية بالحديدة، ورباط الهدار بالبيضاء، وجامعة عدن، ورباط تريم وغيرها[(٥)].

وتوالى إنشاء الأربطة الصوفية في حضرموت خاصة، وفي اليمن عامة بسبب نشاط بعض المتصوفة في ذلك، حيث جعلوا لهم أنصاراً وأعواناً في مناطق شتى من بلاد اليمن، مستغلين الامكانات المتاحة والفرص السانحة لبناء الأربطة، فأحضروا لها الطلاب وقاموا بتوفير المدرسين لبث الفكر الصوفي إلى جانب العلوم الأخرى من فقه وسيرة ونحو ذلك.

جاء في كتاب: (هداية الأخيار): تحت عنوان: نبذة عن الأربطة في

---

(١) المصدر السابق (ص٤٢٢).
(٢) الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص١٦٦).
(٣) انظر: المصدر السابق (ص١٩).
(٤) أدوار التاريخ الحضرمي (٤٢٣/٢).
(٥) مجلة أنوار التلاقي: العدد (١٨) (ص٣٠)، ربيع ثاني ١٤٢١هـ.

اليمن: «وإذا تكلمنا عن الأربطة التي انتشرت في مواقع متعددة من اليمن والتي تضيف للمتعلم تقديم الأكل وتوفير السكن فهي كثيرة منها:

١ ـ رباط الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي المتوفى عام ٦٥٣هـ بحضرموت.

٢ ـ رباط الشيخة سلطانة الزُّبيدية الكندية المتوفاة ٨٨٣هـ بحضرموت.

٣ ـ رباط الخرُيبة بوادي دوعن، أسسه الشيخ العالم الفقيه عبد الله بن أحمد باسودان بحضرموت.

٤ ـ رباط الهدار للعلوم الشرعية في مدينة البيضاء.

٥ ـ رباط الصفاة ويسمى رباط الصُّفاة بالسوادية بالبيضاء.

٦ ـ رباط أحور، أسسه علي بن أبي بكر المشهور ١٤١٧هـ.

٧ ـ رباط الشقاع في شبوة بالقرب من حبان، والذي يقوم عليه المشائخ آل الشقاع.

٨ ـ رباط المسعودي في منطقة ربيز بشبوة، قائم به المشائخ من آل المسعودي.

٩ ـ رباط سيؤون، أسسه علي الحبشي (ت١٣٣٣هـ).

١٠ ـ رباط غيل باوزير، أسسه محمد بن عمر بن سلم (ت١٣٢١هـ).

١١ ـ رباط مَرْيع في المحفد [أبين]، وقائم به المشائخ آل باعزب[١].

١٢ ـ رباط رداع الحرامل، ومن مشائخه الشيخ حسين بن محمد، وهو بالقرب من مكيراس بمحافظة البيضاء.

١٣ ـ رباط العيدروس بعدن، أسسه أبو بكر العدني بن علي المشهور.

١٤ ـ رباط المحفد الذي أسسه أبو بكر المشهور سنة ١٤١٨هـ.

١٥ ـ دار المصطفى بتريم الذي أسسه عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ سنة ١٤١٨هـ.

---

(١) وهذا الرباط وهمي، فلا صحة لذلك وإنما المنطقة تسمى الرباط منذ عقود طويلة ولا يوجد بها رباط صوفي كما زعم الهدار، وإنما هذا من التشبع بما لم يعط.

١٦ ـ رباط تريم، والذي تأسس عام ١٣٠٤هـ، وقاد التعليم فيه عبد الله بن عمر الشاطري.

١٧ ـ رباط السنيدي في شعب يافع بني قاصد.

١٨ ـ رباط العبادي بيافع بني مالك في لبعوس.

١٩ ـ رباط العبادي سيلة (يهر) بير العروس.

٢٠ ـ رباط الحداد، مدرسة علمية أسسها: أحمد بن صالح الحداد في نصاب محافظة شبوة.

٢١ ـ رباط العيدروس في ريام محافظة البيضاء: أسسه علي بن صالح العيدروس (ت١٤٢٠هـ)»[١].

وقد أصدر القوم نبذة تعريفية في بيان أشهر أربطة التربية الإسلامية ومراكزها التعليمية والمهنية بعدن وبينوا أن هذه الأربطة على قسمين[٢]:

النوع الأول: أربطة ذات أقسام داخلية وهي:

١ ـ رباط العيدروس الذي تأسس سنة ١٤١٥هـ.

٢ ـ رباط المحفد: بمحافظة أبين أنشىء سنة ١٤١٦هـ[٣].

٣ ـ رباط عتق: بمحافظة شبوة حيث أنشئ سنة ١٤٢١هـ.

٤ ـ رباط أحور: أنشئ سنة ١٤١٧هـ.

٥ ـ رباط الزيدية: بمحافظة الحديدة افتتح سنة ١٤٢١هـ.

٦ ـ رباط أمعين ـ بمحافظة أبين ـ: افتتح عام ١٤٢٢هـ، ويحتوي على حملات للخروج للدعوة الصوفية وهناك محاضرات ودروس للنساء.

---

(١) كتاب (هداية الأخيار في سيرة الداعي إلى الله محمد الهدار) لحسين بن محمد الهدار (ص٥٤٣ ـ ٥٤٩). بتصرف يسير. وأكثر هذه الأربطة لا نشاط لها؛ بل ولا تعرف عند كثير من الناس فلعل القوم بنوها بسبب إمكانياتهم المادية ثم تركوها حين لم يجدوا استجابة من أهل تلك المناطق، وإنما يذكرونها للتهويل وتعظيم شأنهم.

(٢) انظر: نبذة تعريفية عن أربطة التربية الإسلامية ومراكزها التعليمية والمهنية بعدن (ص٤ ـ ٥).

(٣) وهذا من اضطراب القوم فالهدار يقول إن تأسيسه كان سنة ١٤١٨هـ، وهنا يقولون إنه أسس سنة ١٤١٦هـ؟!.

النوع الثاني: أربطة غير ذات الأقسام الداخلية:

١ ـ رباط زبيد: ويعود إنشائه إلى أكثر من قرنين، وتم إعادة نشاطه عام ١٤٢٠هـ، وفتح قسم داخلي[١].

٢ ـ مدرسة الإحسان ـ نصاب: بمحافظة شبوة، أسسها أحمد بن صالح الحداد

٣ ـ المدرسة العلمية ـ رباط بيحان ـ بمحافظة شبوة ـ: افتتحت عام ١٤٢١هـ، وتقام فيها دورات صيفية.

٤ ـ رباط الحاق: افتتح عام ١٤١٨هـ، وفيه محاضرات للنساء، ودورات صيفية.

ومن الأربطة التي لعبت دوراً في نشر التصوف في بعض مناطق اليمن: رباط البيضاء الذي يقوم عليه آل الهدار بعد تأسيس محمد بن عبد الله الهدار العلوي له وخلفه بعده حسين الذي يقوم على الرباط حالياً.

وقد بدأ محمد الهدار بالطلب من رباط تريم ثم افتتح رباطه في البيضاء عام ١٣٨٠هـ، ولا يزال رباطه قائماً إلى يومنا هذا يجلب الطلاب من مناطق مختلفة.

كما يحتوي على معهد للبنات[٢].

وهناك رباط العيدروس في عدن يقول أبو بكر العدني بن علي المشهور في مناقب أبي بكر العيدروس المقبور بعدن: «وكان من أجل أعماله في عدن إقامة الرباط...»[٣].

وقد انحسر العلم في مناطق كثيرة بسبب نشر الأربطة والزوايا الصوفية التي هي في الواقع مبعدة عن العلم الشرعي؛ علم الكتاب والسنَّة وقد شهد بذلك بعض العلويين، يقول صالح الحامد العلوي: «ومع ما أثره التصوف على

---

(١) وهذا من التفاخر بنشر مثل هذه الشرور يضيفونها لأوزارهم حيث أحيوا هذا الرباط الصوفي وإهدار الأموال الكثيرة في إقامة هذا الباطل.

(٢) انظر: هداية الأخيار (ص٣٣٤).

(٣) جلاء الهم والحزن (ص١٢٠).

العلويين بالخصوص بحضرموت من حيث الاجتهاد في النسك والعبادة[١]... وبقدر ما فترت الوجهة العلمية شيئاً في ميدان الحديث والفقه والفنون العربية في الظاهر حينئذ في أبناء حضرموت، ازداد نشاطهم في مسرح التصوف»[٢].

ومن أسباب انتشار الأربطة في تلك المناطق فقدان المدارس العلمية التي تزيل تلك المخالفات يقول صلاح البكري: «وطريقة التدريس في جميع المدارس قديمة وعقيمة، والروح فيها خامدة هامدة لا تبعث في الناشئين النشاط والحركة وحب العمل، ولا توقظ أفكارهم، ولا تنير عقولهم، ولا تزيل ما علق بعقيدتهم من الخرافات والأوهام...»[٣].

وأنشأ العلويون مراكز للصوفية ببتافيا[٤] بأندونيسيا سميت بالرابطة العلوية يقول البكري عن دور العلويين في أندونيسيا: «فأنشأ جماعة منهم وحدة علوية سموها الرابطة العلوية لتوحيد جبهة آل باعلوي وجمع كلمتهم، كي يستطيعوا القيام بالمحافظة على مركزهم الذي أخذ ينهار ويتمكنوا من مقاومة تيار النهضة»[٥].

ولم يقف الأمر على ما تقدم بل أنشأ القوم ما يسمى بالرابطة العلوية في مدينة (بتافيا) بأندونيسيا ونشروا فكرهم عبرها إلى مناطق كثيرة من بلاد أندونيسيا فقد: «أقيمت فروع لها في كثير من بلدان جاوه وتجمع لديها مال، فأصدرت مجلة باسمها، وانتعشت جريدة (حضرموت) على حساب الرابطة»[٦].

---

(١) وهذا الكلام غير صحيح، إذ الحقيقة أن النسك والعبادة التي اجتهد فيها القوم كثير منها لم يقم على السنَّة، وإنما قامت على البدعة بإحداث أفعال وأقوال ما أنزل الله به من سلطان، وإنما هي من إضلال الشيطان لهم على لسان المشرعين لهم من المشايخ والأولياء المبجلين عندهم.

(٢) تاريخ حضرموت للحامد (ص٧١٨).

(٣) تاريخ حضرموت السياسي (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦).

(٤) بتافيا: تقع بجزيرة جاوة وتسمى اليوم بجاكرتا، كانت تسمى في عهد الإحتلال الهولندي ببتافيا، وهي أكبر مدن جاوة. انظر: جغرافية الدول الإسلامية (ص٤٤٩ ـ ٤٥٠).

(٥) تاريخ حضرموت السياسي (٢/ ٣٢٧).

(٦) المصدر السابق (٢/ ٣٢٧).

وقد بيّن أبو بكر المشهور أعمال الصوفية في القرنين الأخيرين في بناء الأربطة والمدارس الصوفية: «لقد فتح ما بين عام ١٣٠٠هـ إلى عام ١٤٢٠هـ العديد من الأربطة والمدارس ذات الصبغة الأبوية في ساحة اليمن، وخاصة الشطر الجنوبي كما كان يسمى تحت تأثير مدرسة حضرموت»[١].

ونُشر التصوف باسم المدرسة الأبوية بحضرموت في أجزاء مختلفة من بلاد اليمن، يقول أبو بكر المشهور: «كما حافظت بعض مناطق أخرى في أرض اليمن على نفس النمط الأبوي الموجود بحضرموت، كما هو الحال في البيضاء ممثلة برباط العلوم الشرعية، وكان لهذا الصرح العلمي والأدبي الدور الفاعل في أحلك ظروف المرحلة، حيث برز أثره في المنطقة ذاتها، وتوجه إليه العديد من أبناء الوطن لطلب العلم على الطريقة الأبوية... إلخ»[٢].

ولعلماء صوفية حضرموت أربطة ومعاهد يسعون لإحيائها ومنهم عبد الله بن محمد باعباد (ت٦٨٧هـ) فقد كان: «له معهد (رباط) يديره ويشرف عليه، ويجمع له التبرعات من أنحاء حضرموت، ويرسل لهذا الغرض بعض تلاميذه إلى أفريقيا فيجمعون له الصدقات والتبرعات التي يصرفها على شئون الرباط»[٣].

كما يسعى القوم في تنشيط أربطتهم الصوفية لإعادة الدور الأبوي ـ الذي يدندنون حوله، وقد تبنى رباط العيدروس بعدن تدريس التصوف للمرأة بإشراف دار الزهراء للقرآن والعلوم الشرعية، وهذه الدار قائمة على منهج المدرسة الصوفية في حضرموت، وتقدم دورات صيفية خلال العطل والإجازات الفصلية والسنوية[٤].

ومن أعمال الأربطة الصوفية في العصر الحاضر ما ذكره أبو بكر المشهور بقوله: «وتشرف أربطة التربية الإسلامية على مجموعة من المناسبات

---

(١) الدلائل النبوية المعبِّرة عن شرف المدرسة الأبوية (ص١١٠).
(٢) المصدر السابق (ص١١٠ ـ ١١١).
(٣) الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص١٢٩).
(٤) الدلائل النبوية (ص١٢٥ ـ ١٢٦).

الهامة ذات الارتباط بالدعوة الإسلامية وآثارها في اليمن وفي العالم، ومنها:

أ ـ مناسبة دخول الإسلام إلى اليمن: مخيمات علمية ودعوية في مسجد الصحابي الجليل معاذ بن جبل بالجند.

ب ـ مناسبة ذكرى دخول الإمام العدني العيدروس إلى عدن (أسبوع الإمام العدني).

ت ـ الحلقة العلمية للإمام الحداد خلال شهر ذي القعدة من كل عام.

ث ـ الحلقة العلمية في ذكرى دخول الإمام المهاجر إلى حضرموت في القرن الرابع»[١].

وهناك رباط عينات يدرس فيه الطلاب إلى الآن يقع بجانب مسجد إسماعيل بعينات، وفيه سكن للطلاب، وغالب الطلاب من خارج اليمن.

ويكثر بهذه الأربطة تدريس البدع وتقريرها، وما تؤدي إليه من الوقوع في الشرك، لذا لم يظهر في حضرموت منذ زمن علماء؛ بل ولا فقيه كبير ـ كما كان في السابق ـ وسبب ذلك التعلق بالبدع والمخالفات التي أبعدتهم عن علوم الشريعة وصدت التلاميذ عن دعوة الحق، مع قيام القوم بتشويه دعوة أهل السنَّة والجماعة بالافتراء عليهم بأنهم يبغضون الأولياء، وأنهم وهابية خوارج يكفرون المسلمين كما فعل علوي الحداد وبابصيل وغيرهم من أهل البدع حيث سودوا مؤلفاتهم بهذه الأكاذيب التي يشهد الواقع بعدم صحتها.

المدارس والمعاهد والمكاتب الصوفية الأخرى:

كما قام القوم بإنشاء مدارس صوفية إضافة لزواياهم وأربطتهم المتقدم ذكرها، منها: مدرسة عزة في محافظة البيضاء التي أسست سنة ١٣٦٢هـ في فترات الجهل التي سادت كثيراً من بلاد اليمن، جاء في كتاب «هداية الأخيار» عند ذكر عودة محمد الهدار ـ صاحب رباط البيضاء ـ إلى بلده بعد قدومه من الحبشة: «عاد إلى وطنه ليرعى إخوانه ويعلمهم ويتفقد أحوالهم، وقد بدأ

---

(١) المصدر السابق (ص١٢٨).

بتأسيس مدرسة عزة للعلوم الشرعية، وفيها أناخ ركابه، وقصده كثير من طلبة العلم، وتخرج على يديه الكثير منهم... كما قام زميله العلامة: محسن بن محمد الهدار بمساعدة الشيخ الأديب أحمد بن موسى المرزوقي حينها بفتح مدرسة أهلية للعلوم الشرعية بمدينة البيضاء، وهرع إليها طلاب العلم من كل حدب وصوب»[(١)].

وقد بيّن المؤرخون أن العلويين في حضرموت ظلوا: «يعززون تمايزهم الطبقي بروافد قوية من الثقافة الدينية، والنفوذ السياسي والمالي والإصلاحي بين الناس، واحتلال المراكز الفكرية في بث الدعوة الدينية، وإنشاء المساجد والمدارس والمعاهد العلمية... إلخ»[(٢)].

وجاء في التلخيص الشافي في ذكر أعمال أحد أفراد أسرة آل السقاف يدعى أبو بكر بن طه السقاف (ت١٣٧٥هـ): «حيث أقام مع زميله الوالد سقاف بن محمد بن عبد الرحمٰن بن علوي السقاف مدرسة النهضة العلمية وبنوها، وعمروها ظاهراً وباطناً حيث يتعلم فيها من ذلك اليوم إلى الآن ما يزيد على الأربعمائة تلميذ وتلميذة، وتخرج منها الكثير الذين نشروا العلم في كثير من الأقطار الإسلامية»[(٣)].

وهناك مراكز تعليمية ودعوية لمنهج الصوفية منها:

مركز النور للدراسات والأبحاث، ويتبع دار المصطفى كانت بدايته سنة ١٤٢٣هـ يهتم بالمخطوطات والتراث الصوفي، والمشاركة في فعاليات الصوفية التي تقام على شكل دورات وأسابيع والقيام بالتحقيق وفهرسة الكتب الأهلية الخاصة والمكتبات العامة التابعة لبعض الأربطة، وتصوير مخطوطات المكتبات الخاصة في حضرموت، وتنظيم الدورات للطلاب وتدريبهم على التحقيق والتأليف.

---

(١) هداية الأخيار (ص٢٣٢ ـ ٢٣٤). ويدرس القوم في مدارسهم ومعاهدهم كتب الصوفية والأشاعرة الحضارمة وغيرهم. انظر: المصدر السابق (ص٣٤٤).

(٢) المعلم عبد الحق (ص١٩٥، ص٢٢١).

(٣) التلخيص الشافي (ص٢٩).

وهناك مركز الإبداع التابع لأربطة التربية الإسلامية ومعاهدها العلمية ـ عدن.

ومكتب الإمام علي بن محمد الحبشي.

ومكتب الإمام عيدروس بن عمر الحبشي ـ الغرفة.

ومكتب الإمام أحمد بن حسن العطاس ـ حريضة.

وكلية الشريعة ـ جامعة الأحقاف.

ورباط الإسعاد بالغرفة.

وكلية التربية ـ جامعة حضرموت.

ومكتبة الأحقاف للمطبوعات بتريم.

ومكتبة مسجد طه ـ سيؤن[١].

ومن مراكزهم الصوفية الحديثة: دار المصطفى للدراسات الإسلامية ومركزه الرئيس بتريم، وله فرع لتدريس البنات باسم معهد الزهراء لتعليم البنات ـ ولهم جامعة الأحقاف، وفيه كلية الشريعة بتريم التي تأتي بالطلاب من مناطق مختلفة من اليمن، وكذلك تتكفل استقدام الطلاب من الخارج.

جاء في كتاب (هداية الأخيار) لحسين بن محمد الهدار عند ذكر الأربطة الصوفية في اليمن، ومؤسسيها وعند ذكر مؤسس دار المصطفى عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ فقد ترجم له مؤلف الكتاب المذكور بما يلي: «هو العالم الداعي إلى الله عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، ولد في تريم... انتقل إلى البيضاء وتلقاه سيدي الوالد محمد بن عبد الله الهدار الذي قربه وأحبه كثيراً، وشاهد فيه محيا والده العالم الشهيد، وانتظم ضمن طلاب رباط الهدار للعلوم الشرعية، وبه استقر نحواً من عشر سنوات يكرع من معين ذلك الرباط ويأخذ عن مدرسيه، وبعد تمام الوحدة اليمنية ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) عاد إلى موطنه تريم وبها استقر وأسس دار

---

(١) انظر: دليل مركز النور للدراسات والأبحاث (ص٣).

المصطفى[١]، وساعده في ذلك أرباب المال من المحسنين، وتبادر الطلاب للانضمام في سلكه»[٢].

ويقيم المتصوفة دورات علمية مكثفة في الصيف بين طلاب تريم وخارجها، وكذا الطلاب القادمين من بلدان خارج اليمن لا سيما شرق أفريقيا وشرق آسيا وغيرها[٣].

وتقوم دار المصطفى باستقطاب الطلاب من مناطق كثيرة داخل اليمن وخارجها، بإرسال ممثلين عن الدار إلى مناطق اليمن وإلى خارجها، للقيام بإجراءات القبول في الدار، وتيسير قبول الطلاب في العالم الإسلامي بتوفير كافة مستلزمات السفر والسكن والتعليم ونحوها[٤].

كما أن هناك جامعة الأحقاف في حضرموت حيث تعتبر من الجامعات التي يقوم عليها الصوفية، ولها فروع في بلاد حضرموت، وتسعى لفتح فروع لها في بقية مدن اليمن، ويكتب القوم في مجلاتهم للدعاية لهذه الجامعة كما في مجلة أنوار التلاقي التي تصدرها دار المصطفى بتريم[٥].

وهناك مركز الإبداع للتراث والمناهج بعدن، والذي يديره أبو بكر بن علي المشهور.

وهكذا فوسائل الباطل كثيرة وقد ذكرنا ما علمنا منها ووقفنا عليه، وهي رغم كثرتها لا تستطيع الصمود أمام الحق وأهله، ولا تنشط إلا عند فقدان الحق، أو رقدة أهله ونحو ذلك، ولكن الجهود مستمرة في إزالة شر هذه

---

(١) هذه الدار مركز الصوفية في هذا العصر، وتحتوي على بدع، ومخالفات كثيرة، ولم تكتف ببث الشر في بلاد اليمن، بل يأتون بالطلاب من مختلف البلدان لأخذ هذا الشر وزرعه في بلدانهم، والله المستعان.

(٢) هداية الأخيار، لحسين بن محمد الهدار (ص٥٤٨).

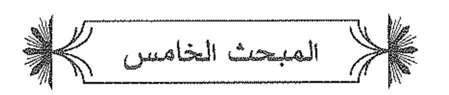
(٣) مجلة أنوار التلاقي (ص١٧)، العدد الثاني، الصادر في ربيع الأول، ١٤١٩هـ.

(٤) انظر: مجلة أنوار التلاقي (ص٩)، العدد الصادر في شعبان، ١٤١٨هـ.

(٥) انظر: المصدر السابق (ص٤٥)، العدد الصادر في شعبان، ١٤١٨هـ. مقال بعنوان (جامعة الأحقاف بين الواقع والطموح، لإسماعيل كاظم العيساوي، الأستاذ المساعد بجامعة الأحقاف، والقائم بأعمال عميد كلية الشريعة بتريم.

الفرقة لا سيما في السنوات الأخيرة حيث عاد كثير من الناس للمنهج الحق باتباع الكتاب والسنَّة، ومعرفة الباطل وأهله، وكل ما ذكر من الأمكانيات والوسائل لنشر التصوف يدل على قرب زوال هذا الباطل لشدة خوفهم من قوة الحق وأهله الذين لا يملكون ما يملكه القوم من الإمكانيات المادية، ولكن الله تعالى يؤيد الحق وأهله أتباع الرسل بتأييده كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]. وسيأتي مزيد بحث عن الجهود المباركة لأهل السنة في محاربة الفكر الصوفي الدخيل على بلاد حضرموت في المبحث القادم ـ إن شاء الله تعالى ـ.

ورغم ما تقدم ذكره من كثرة ما نشره القوم من الباطل وسعيهم لإحياء التصوف في بلاد اليمن السنية إلا أن العقيدة الصحيحة منصورة وأهلها أقوياء، ولا تملك الصوفية إلا محاولة إحياء ماضيها المنحرف بالأموال وخداع الجهال والعجم للانضمام في صفوفها ولن ينفعها ذلك شيئاً بل هو دليل هزيمتها.



المبحث الخامس

جهود أهل العلم وبعض الولاة في مواجهة الآثار السلبية لصوفية حضرموت



• وتحته خمسة مطالب:

تمهيد

تكفَّلَ اللهُ تعالى بحفظ دين الإسلام وبقائه إلى قيام الساعة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]. وهيّأ لذلك رجالاً يذبون عن دينه والدعوة إلى الإسلام الخالص من الشرك والبدع، وهذا مصداق حديث رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[١].

ومن رحمة الله كذلك أن قيّض لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل قرن، قال ﷺ: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[٢].

وقد وفق الله تعالى أهل العلم لبيان الحق، والرد على الباطل وأهله، فرأوا ذلك أمراً متحتماً عليهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩]. ورأوا أن ذلك من النصيحة الواجبة التي يجب على أهل العلم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم»، (ص٧٩٥) برقم (١٩٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، (ص٤٦٩) برقم (٤٢٩١)؛ والحاكم (٤/٥٤٢ ـ ٥٤٣)، كتاب الفتن والملاحم.. وانظر: السلسلة الصحيحة (١١/١٥٠ ـ ١٥١).

أداؤها، لإنقاذ الناس من سخط الله وغضبه، لما ثبت في صحيح مسلم من حديث تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[١].

وأعظم النصيحة التحذير مما يضاد التوحيد وهو الشرك الذي لا يغفره الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، وتوعد سبحانه بتحريم الجنة لمن مات على الشرك، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ ـ ٦٦].

وقد حذّر السلف رحمهم الله تعالى من الشرك والبدع وأهلهما بوسائل مختلفة منها: المناصحة والتأليف وغيرها من الوسائل الشرعية وكان ذلك دأبهم منذ أن ظهرت البدع إلى يومنا هذا، ومن أولئك الأئمة الذين دعوا إلى التمسك بالكتاب والسنَّة وترك ما خالفهما الإمامُ الشافعيُّ، وقد أكثر هذا الإمام من النصح في ذلك، وتبعه على ذلك تلاميذه وأتباعه الذين جعلوا الكتاب والسنَّة رائدهم، فلم يعولوا على الآراء، ولا على الأشياخ، فضلاً عن الرؤى والأحلام والكرامات الصوفية.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «كل متكلم على الكتاب والسنَّة فهو الجد الذي يجب، وكل متكلّم على غير أصل كتاب ولا سنَّة فهو هذيان»[٢].

ويقول أيضاً: «لا يجمل العلم ولا يحسن إلا بثلاث خلال: تقوى الله، وإصابة السنَّة، والخشية»[٣].

وبالنظر إلى هذه الصفات التي اشترطها هذا الإمام نجدها لا تنطبق إلا

(١) تقدم تخريجه (ص٧) من هذا البحث.

(٢) مناقب الإمام الشافعي، للبيهقي (١/ ٤٧٠).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١٤٨).

على أهل السنَّة دون غيرهم؛ بل إن بعض الفرق ومنها الصوفية اتخذت منهجا غير منهج الكتاب والسنَّة، حتى قال الإمام الشافعي عن متصوفة زمانه: «لو أن رجلاً تصوف في أول النهار لم يأت عليه الظهر إلا وجدته أحمق»[١].

وبانحراف الصوفية عن منهج السلف الصالح نجدهم قد خذلوا الإسلام وأهله في أصعب المواقف، فقد تركوا الجهاد ودعوا الناس إلى تركه[٢]، فكيف لهؤلاء أن يمنحوا نصر الله تعالى، وصدق الإمام الشافعي حين قال: «أس التصوف الكسل»[٣].

نقل ابن عبيد الله قول بعضهم: «فقس عقيدة أهل الصلاح من العوام بعقيدة المتكلمين، فترى اعتقاد العامي كالطود الراسخ في الثبات، لا تحركه الدواهي والصواعق، وعقيدة المتكلم المارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تميله الرياح، مرة هكذا ومرة هكذا»[٤].

وقد تنوعت جهود أهل العلم في الرد على الصوفية والدعوة إلى العقيدة الصحيحة بوسائل متعددة فتارة بالدعوة والنصح، وتارة بالمؤلفات، وتارة بالفتاوى ـ كما سيأتي.

ونبيّن هنا جهود أهل العلم بحضرموت وخارجها ممن دون لهم التاريخُ جهوداً مشكورة في محاربة مخالفات الصوفية والدعوة إلى الله على بصيرة أداءً لواجب النصحية المامور بها.

---

(١) مناقب الإمام الشافعي، للبيهقي (٢/٢٠٧). يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الكلام عن الصوفية في عصره، فكيف لو رأى الصوفية في العصور المتأخرة إلى عصرنا، وقد نشروا كتبهم الضالة، وأحدثوا العبادات الشركية والبدعية الكثيرة، وجعلوا المساجد للعب والطرب وغير ذلك من المنكرات، والله المستعان.

(٢) انظر: عوارف المعارف للسهروردي، الملحق بالإحياء (ص٨٢)؛ وطبقات الشعراني (١/١١)؛ وانظر: هذه هي الصوفية، لعبد الرحمن الوكيل (ص١٧٠).

(٣) مناقب الإمام الشافعي، للبيهقي (٢/٢٠٧).

(٤) بضائع التابوت (٢/٤٨). ويقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مبينا ثبات عقيدة العوام من الموحدين وانتصارهم على علماء المشركين حيث قال: «والعامي من الموحدين يغلب ألفا من علماء هؤلاء المشركين» كشف الشبهات (ص١٠٤) ضمن مجموعة التوحيد، ط ١٤١٩هـ.

❊ المطلب الأول ❊

جهود أهل العلم الحضارمة في مواجهة الصوفية

كان لجهود أهل العلم من أهل حضرموت آثار واضحة ونافعة رغم سيطرة الصوفية على كل شيء في بعض الأزمان، حيث تمكنوا من الوصول لأغلب الحكام، فوجّهوهم لخدمة معتقداتهم الباطلة، وأمسكوا بزمام القيادة العلمية والروحية في بلاد حضرموت، وحاربوا دعوة الحق؛ ورغم إخفاء صوفية حضرموت لكثير من الحقائق التاريخية التي تثبت وجود أناس من العلويين وغير العلويين كانت لهم اليد الطولى في نصرة التوحيد وأهله، ومحاربة الشرك والبدع في بلاد حضرموت، إلا أن الله تعالى مظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون، وقد هيأ المولى جلَّ في علاه لنصر دينه رجالاً أكفاء قاموا بما أوجبه الله تعالى عليهم، وقد كان لأهل حضرموت فضلاً عن غيرهم من دعاة التوحيد جهود مباركة في محاربة التصوف وآثاره التي عمت وطمّت ـ كما يقال ـ السهل والجبل، ومن العوامل التي ساهمت في نشر دعوة التوحيد ومحاربة ما يناقضها تأثر بعض الحضارمة بالدعوة السلفية التي ظهر دعاتها في صنعاء وفي نجد وغيرها من بلاد الإسلام؛ فقد تأثر البعض بدعوة العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ، وبعضهم تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ، إضافة إلى اطلاع البعض على مؤلفات العالمين السلفيين المجددين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ـ رحم الله الجميع.

وقد تأثر بالدعوة السلفية رجال من شتى الطبقات حتى من السادة العلويين أنفسهم[1]، ومن المشايخ والقبائل وبعض دعاة الحق من المناطق اليمنية المختلفة، ثم كان لظهور دعوة الإرشاد باندونيسيا مساهمة مشكورة في ذلك، وهكذا توالى الخير حتى ظهرت مراكز علمية لأهل السنَّة في كثير من

(١) انظر إدام القوت (ص٢٢٥ ـ ٢٢٦).

المناطق اليمنية في هذه الأزمنة تدعو إلى كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، ومحاربة الشرك والبدع التي أدخلتها الفرق والطوائف المنحرفة على دين الإسلام الخالص.

ومن أبرز أهل العلم الحضارمة[1] الذين كان لهم دور واضح وفاعل في محاربة التصوف وآثاره:

١) **العلامة أبو بكر بن عبد الله الهندوان (ت١٢٤٨هـ)**[2]: وهذه الشخصية من النفر القليل الذين سلكوا مذهب أهل السنَّة، والجماعة، ودعا إلى التوحيد الخالص، وأنكر على المخالفين العقائد والمنحرفة والبدع المتفشية، وكانت له أيضاً جهود مع الولاة في نصر العقيدة الصحيحة.

وقد ذكر المؤرخون عن هذا العالم معلومات متناثرة في بعض كتبهم فقد ذكروا عنه أنه كان يتمتع بصفات العلماء الربانيين حتى شهد له بذلك بعض العلويين وقد ذكر ابن عبيد الله قول الجنيد بن عمر العلوي وهو يصف الشيخ أبا بكر الهندوان: «كان جامعاً لجميع العلوم المنطوق منها والمفهوم، وكان أفقه أهل عصره يرجعون إليه في الفتاوى، ولا يقدر أحد أن يخالفه من علماء وقته مع زهد في الدنيا وتواضع وعدم مبالاة بنفسه، يخدم أهل بيته بيده، ويحب المساكين ويرحمهم، وكان قليل الدنيا وكثيرها عنده قليل، ينفق ما بيده ولا يدخر لغد، والغالب عليه العزلة وكان شيخه الحبيب حامد بن محمد

---

(١) وقد راعيت في ذكرهم الترتيب حسب الوفيات.

(٢) لم تذكر المصادر الحضرمية ترجمة وافية عن هذا العالم الجليل، فلم تفصل لنا مراحل حياته العلمية، وإنما هناك إشارات قليلة في بعض المصادر عن تقدمه في العلم، وتمسكه بالكتاب والسنَّة، فقد وصف بأنه وحيد عصره، وفريد دهره، ومقدم الجماعة، وشيخ الصناعة، الذي انتهت إليه رئاسة العلم بتريم، وهو من عائلة العلويين بحضرموت، ومن أصحاب الإمام الشوكاني، حتى قال عنه ابن عبيد الله: «وهابي قح»: إدام القوت (ص٦٥٧)، ط المنهاج. وبين ابن عبيد الله في نفس المصدر استغراق هذا الإمام في تجريد التوحيد، وعدم التفاته إلى غير الحميد المجيد، ومن أهم آثار هذا الإمام: إنكاره على الصوفية وتأثيره على بعض الحكام فكانت لهم مساهمة في محاربة التصوف وآثاره السيئة على بلاد حضرموت وغيرها، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة ١٢٤٨هـ. انظر: إدام القوت (ص٩٥٠)، ط المنهاج.

يعظمه ويبجله»[(١)].

ويقول الشاطري في كلام له عن تأثر بعض أهل تريم وولاتها بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية: «ولعل هذا الغلو اليسير[(٢)] هو الذي أحدث رد فعل مضاد عند هؤلاء المنكرين وأحدث فيهم ميولاً للوهابية ومنهم العلامة الكبير علوي بن سقاف الجفري[(٣)] السابق ذكره، والعلامة أبو بكر بن عبد الله الذي تأثر به عبد الله عوض غرامه[(٤)] كبير مشايخ يافع تريم وقال بعضهم: أنه تأثر ببعض الغزاة[(٥)] الوهابية أصحاب ابن قمله»[(٦)].

من خلال كلام الشاطري يتضح لنا أن كبار علماء حضرموت في زمانهم وفيها بعض العلويين ممن هداهم الله للحق، كانت لهم جهود مباركة في محاربة الباطل وأهله، فهذا أبو بكر الهندوان إمام كبير وعلامة شهير من سادة تريم، كان على منهج السلف الصالح، مناصراً لدعاته من أي مكان، وقد قام

---

(١) بضائع التابوت (٢/ ١٢٤).

(٢) وهذا من التهوين من الشرك ووسائله الذي وقع فيه سلف الشاطري من الصوفية العلويين، لا سيما وكلام الشاطري هذا بعد حديثه عن مسألة التمسح بالقبور والغلو فيها وذكره إنكار البعض لتلك الأعمال. والصحيح أنه يجب على المسلم فضلاً عن أهل العلم إنكار هذا الغلو في القبور، وإنكار جميع الشركيات والبدع مع بيان الحق الذي يجب المصير إليه.

(٣) وهو الفقيه علوي بن سقاف بن محمد الجفري العلوي برع في علم الفقه، وأخذ عن والده وغيره ورحل إلى ذمار فأخذ عن عبد الرحمن بن حسن الريمي سنة ١٢٣٥هـ ثم عاد إلى بلده، قال عنه ابن عبيد الله في كتابه إدام القوت (ص٦٥٦): «كان واسع العلم والرواية، متفنناً، وله رحلات إلى اليمن وغيرها... وكان الحق عنده فوق كل عاطفة»: وتوفي سنة ١٢٧٣هـ. انظر في ترجمته: عقد اليواقيت الجوهرية (٢/ ١٩ ـ ٢٢).

(٤) هو السلطان عبد الله بن عوض غرامة البعسي اليافعي الحضرمي، أحد حكام تريم، توفي سنة ١٣٥٥هـ.

(٥) وهذا من التلبيس والكذب، فالجيش النجدي لم يكونوا غزاة كما شهد بذلك كبار علماء حضرموت منهم ابن عبيد الله السقاف، وإنما كان قدومهم إلى حضرموت بدعوة من أهل التوحيد، وبموافقة بعض حكام تريم، وهي دعوة للخير، لإنقاذ المسلمين من غزو الصوفية المدمر، الذي شمل مناطق كثيرة من بلاد حضرموت، وفي قدوم هذا الجيش المبارك إنقاذ للناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وتجنيبهم لغضب الله، وإنقاذهم من عذاب جهنم فهل من كان هذا هدفه يكون من الغزاة؟.

(٦) أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ٤٠٠).

هذا العالم الداعية بمناصحة والي تريم الأمير عبد الله عوض غرامة لنشر العقيدة الصحيحة ومحاربة ما يضادها، ومن جهود هذا الأمير ما ذكره المؤرخون من أنه أرسل رسالة عزاء في قتيل قتل في مشاجرة بغير قصد، جاء فيها مخاطباً الصوفية العلويين: «إننا لا نريد ذلك ولا نحبه، وإنما كان قتله على غير اختيار منا، ولكن شؤم أعمالكم والتفاتكم إلى غير الله، وعبادتكم للأموات والقبور هو الذي جر عليكم المصائب، وسيجر عليكم ما هو أعظم»، ثم قال ابن عبيد الله: «ويقال أن هذه المكاتبة كانت من إنشاء إمام تريم لذلك العهد المتقدم ذكره السيد: أبي بكر بن عبد الله الهندوان، والله أعلم»[١].

هذا ما وقفنا عليه من آثار هذا العالم أحد علماء حضرموت الذين كانت لهم جهود واضحة في الدعوة إلى الحق ومحاربة الباطل الذي نشرته الصوفية في حضرموت، ولعل ندرة المعلومات عن هذه الشخصية كان سبب ذلك الظروف التي مرت بها حضرموت بسبب الحروب وتعاقب الدول عليها، بالإضافة إلى إخفاء كثير من الحقائق التأريخية لا سيما وأن العلويين ومن والاهم من المتصوفة سيطروا على الحياة العلمية والدينية في حضرموت لفترات طويلة، ولعل الله تعالى ييسر في المستقبل التعرف على المزيد من تاريخ هذا العالم العامل.

(٢) ➢ **الشيخ علوي بن سقاف الجفري (ت١٢٧٣هـ):**

أحد علماء حضرموت العلويين في وقته، وهو من عائلة العلويين الحضرمية، ومن الذين تأثروا بدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم السلفية، كما ناصر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، قال عنه ابن عبيد الله: «وكان كثيراً ما ينزع إلى مشارب الوهابية وكان من أكثر العلماء العلويين إعظاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وأوفرهم نظراً في

---

(١) إدام القوت (ص١٢٣).

كتبهم يترسم بذلك طريقة شيخيه وأحدهما شيخ الجماعة بأسرهم وهو: السيد أبو بكر بن عبد الله الهندوان والثاني هو العلامة الشهير محمد بن علي الشوكاني»[١].

وجاء في كتاب إدام القوت: «من ذلك أن بعض الوهابية أنكر على آل حضرموت جعلهم ختم المجالس بالفاتحة، على الكيفية المعلومة سنة مطردة... فرد عليه سيدنا طاهر بن حسين برد خرج مخرج الخطابة والوعظ، فنقضه الحبيب علوي بن سقاف الجفري، برسالة سماها (الدلائل الواضحة في الرد على رسالة الفاتحة) ترجم فيها: لابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وللشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة المشهورة. وأطنب في الثناء عليهم[٢]، ويقول ابن عبيد الله: «ورأيت كتاباً سيّره له[٣] أحد السادة آل السقاف من قسم يقول له فيه: أما أهل حضرموت فلا يجادلون بحق، إنما يقولون: الوهابية أهل البدعة الردية. فقلنا: وما بدعتهم؟ قالوا: يكفِّرون الناس ويستحلون أموالهم ولم ينظروا إلى نواقض لا إله إلا الله وقواطع الإسلام بكلمة أهون من أفعال أهل هذا الزمان، أما (الدلائل الواضحة)[٤] فلسنا براديه إلا بعد نقله، حيث هو أعجوبة الزمان؛ أذعن لمصنفه من لا يحبه، لا سيما ترجمته لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام[٥] رحمه الله والذب عن عرضه، وعرض ابن القيم، وابن عبد الوهاب، الذين عمي عن نورهم الخفاش الذي يضره نور الشمس، والجُعل الذي يضره ريح المسك...»[٦].

---

(١) بضائع التابوت (٢/ ١٢١).
(٢) إدام القوت (ص٣٥١). وانظر: بضائع التابوت (٢/ ١٢١).
(٣) أي أرسله له.
(٤) وهو كتاب (الدلائل الواضحة في الرد على رسالة الفاتحة) لعلوي بن سقاف الجفري، رد فيه على رسالة لطاهر بن حسين بن طاهر بعنوان (المقالة الواضحة)، انظر: إدام القوت (ص٥٨٤ ـ ٥٨٥)، ط المنهاج.
(٥) وهذا اسم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.
(٦) إدام القوت (ص٥٨٤ ـ ٥٨٥)، ط المنهاج.

٣) ◄ **الشيخ أحمد بن جعفر بن أحمد الحبشي[1] (ت١٢٨٩هـ):**

ذكر عنه ابن عبيد الله اهتمام الحسن بن صالح البحر به مع تمسكه بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية فقال: «وكان سيدنا البحر يختص الحبيب أحمد بن جعفر هذا بكثير من ولائه واعتنائه مع أنه كان يتعصب للوهابية تعصباً شديداً»[2].

ومن غيرته على التوحيد وأهله وإنكاره للمحدثات أنه كان: «يقوم من مجالس أصحابه ومدارسهم إذا سمع بما لا يوافق مشارب الوهابية، ثم صار ينكر عليهم أحياناً بلسانه؛ لكنه لم يصبر حين أنشدوا الأذكار في المسجد على نغمات الدفوف ولم يتمالك أن نهض لتكسيرها فلبجوه لبجاً شديداً[3] ذهب منه مغاضباً إلى خشامر عند آل الشيخ علي جابر الوهابيين؛ ولكنه غيظ الأسير على القدّ[4]، وأظنه بقي بخشامر إلى أن مات»[5].

وفي هذا دليل على معرفة بعض العلويين لما عليه قومهم من البدع والضلالات، ولذا أخذتهم الغيرة في تغيير المنكر.

وفي هذه النصوص كذلك تكاتف أهل التوحيد رغم قلتهم، فهذا أحد العلويين يلجأ من ظلم قومه المتصوفة إلى أهل التوحيد من آل علي جابر الذين رحبوا به واستضافوه في بلدهم إلى أن مات.

٤) ◄ **العلامة علي بن أحمد بن سعيد باصبرين (ت١٣٠٧هـ):**

يعتبر الشيخ باصبرين من علماء حضرموت الذين دعوا إلى التوحيد، وحاربوا الشركيات والبدع والمنكرات التي تفشت في حضرموت في زمنه،

---

(١) هو أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي، من أهل العلم بحضرموت الذين تأثروا بالدعوة السلفية، توفي سنة ١٢٨٩هـ، ودفن ببلدة الشقيق.. انظر: العدة المفيدة (٢/ ٣٢٦).

(٢) إدام القوت (ص١٣١) مخطوط.

(٣) لبجوه لبجاً بمعنى: ضربوه ضرباً باللهجة الحضرمية.

(٤) مثل معناه: أن ذلك الصبر رغم الغيظ الذي يلهبني؛ لكن لا يكترث ولا يبالي بغيظي، فهو كغيظ الأسير على ما يشذ به من القد.

(٥) إدام القوت (ص٥٨٤)، ط المنهاج.

وكان هذا الشيخ متميزاً بالشجاعة متظاهراً بحمل السلاح، يقول عنه علوي بن طاهر الحداد: «كان شجاعاً ذا عزم لا يزال متمنطقاً بمسدس أو مسدسين»[١].

كما كان مبرزاً في العلم متفوقاً فيه، ووُصِفَ بأنه: «إمام في كل العلوم»[٢]، وقد دعا إلى التوحيد وحذر من الشرك وأزهق الخرافات وحارب المنكرات؛ ومن أجل ذلك حاربه علماء صوفية حضرموت ونازعوه وحذروا منه، يقول ابن عبيد الله: «وجرت بينه وبين علماء تريم منازعات في عدة مسائل، منها: التوسل والاستغاثة، ومنها: ثبوت النسب بمشجّرات العلويين المحررة، وكان الشيخ يبالغ في إنكار ذلك وألِّفت رسائل من الطرفين»[٣].

ونقل عبيد الله مستنكراً ما قاله أحمد بن حسن العطاس عن هذا الإمام فقال: «وفي مجموع كلام العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس أن بعض العلماء المصريين قال له: نعرف من الحضارم حدة الطبع، وأنت بعيد عنها. قال له: من عرفت من الحضارم؟ قال له: عرفت الشيخ علي باصبرين، وجلست معه في الحرمين سنين، فرأيت من حدته ما لا مزيد عليه. فقال السيد أحمد: ذاك رجل من أهل البادية، وتلقى شيئاً من العلم، وقد حجر سلفنا وأشياخنا على المتعلقين بهم الأخذ عنه؛ لأنه ليس بأهل للإلقاء ولا للتلقي، ولا يخفى عليكم ما في طباع البادية من الغلظة والجفاء، انتهى. وفي هذا غض من مقام الشيخ علي لا يليق بالإنصاف، وقد علمت أن السيد عمر بن حسن الحداد[٤] قرأ عليه وهو من مراجيح العلويين»[٥].

ومن جهود هذا العالم تأليفه لبعض المؤلفات في نصرة التوحيد والتحذير مما يضاده منها: (إتحاف صالحي العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد)[٦] فقد

---

(١) الشامل (١/ ١٣٥)؛ وانظر: إدام القوت (ص١١٠).
(٢) إدام القوت (ص١١٠). (٣) المصدر السابق (ص١١١).
(٤) هو عمر بن حسن الحداد، سكن الحاوي بتريم، ثم انتقل إلى نويدرة تريم، ولم يزل بها حتى توفي سنة ١٣٠٨هـ. انظر: إدام القوت (ص٩٤٢).
(٥) المصدر السابق (ص٣٠٩)، ط المنهاج.
(٦) وهذا الكتاب مفقود، وأحال إليه المؤلف في رسالته (المهمات الدينية) في بعض المواضع.

أحال إلى هذا الكتاب في المسألة التاسعة من رسالته «المهمات الدينية» المتعلقة بالنهي عن قول العوام: (يا ولي الله جئنا إليك، وحططنا الذنب بين يديك) بعد أن علّق عليها قال: «ومن أراد توضيح ما في المقام فعليه برسالتي المسماة «إرشاد صالحي العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد»[(١)].

وهذه الرسالة لم نعثر عليها، وإنما وقفنا على كتابه المسمى (المهمات الدينية)، وله مؤلفات أخرى أغلبها مطبوعة.

وأما عن أثر هذا العلم في مواجهة الصوفية فحيث لم نقف على رسالته «إرشاد صالحي العبيد» التي أشار إليها المؤلف في كتابه (المهمات الدينية) لكونها مفقودة؛ لذا نبيّن ما جاء في رسالته: (المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية).

وهي رسالة صغيرة حصر فيها المؤلف مجموعة من المناهي الواقعة في وقته من أهل حضرموت، ولم يتقيد بباب من أبواب العلم، وإنما نوعها بحسب أهمية تلك المناهي المرتكبة، فاشتملت الرسالة على خمس وسبعين مسألة، قال في مقدمتها: «ولقد جمعت في هذه العجالة خمساً وسبعين مهمة من مهمات الدين، مما عم الابتلاء بالتلبس بها، وقد أرسلت منها نسخاً عديدة لكل كبير بلد أو قرية، كل هذا خروجاً من عهدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإبلاغ الجهد في بذل النصيحة لهذه الأمة المباركة، لعل وعسى أن ينتفع بها مؤمن صالح، ويرتدع بها وينيب غاوٍ بجهالته طالح»[(٢)]. ومما جاء في رسالته تلك[(٣)]:

المهمة التاسعة: حيث قال فيها: «مما يحرم ما يقال عند إقبال الزائرين إلى المزور:

(يا وليّ الله جئنا إليك وحططنا الذنب بين يديك)

لما في ذلك من الغلو في المزور بإيهام أن له دخلاً في غفر بعض الذنوب

---

(١) المهمات الدينية (ص٦).
(٢) المهمات (ص٣).
(٣) انظر: القبورية في اليمن، للمعلم (ص٦٠٧ ـ ٦١٠) ط١.

فضلاً عن كلها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. ولما في ذلك من الجزم للمزور بالولاية وهو غير معصوم ولا ملحق به؛ كمن ثبتت له بشرى من المعصوم كالعشرة الكرام، ولقد قلت لبعض العوام ونحن في ذلك لو يقول الزائر:

يا إله الخلق جئنا إليك ... وحططنا الذنب بين يديك

لكان أولى؛ فأجاب: أن الزائر لم يجئ إليه تعالى وإنما أتى الولي ليشفع له فأفصح بمكنون سره القاصر مع ملاحظة المخلوق الحاضر، ولو قوي نور بصيرته وراقب الخالق الأكبر[1] لم يجد أعلم ولا أرحم ولا ألطف منه ﷻ، ولكون المقال محل إيهام أيضاً على هذا المحكوم له بالولاية فالصواب حذف هاتين الوسيلتين»[2].

وقد علّق على ذلك وبيّن ما فيه من الغلو، وأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، ثم أحال على رسالته السابق ذكرها، وتعرض في المهمة (الثامنة عشرة) لما يفعل في بعض جهات حضرموت وأنهم: «إذا ميزوا زكاة أموالهم بنحو حَجْر والرِّيَد[3] يقولون: (هذا لله وللشيخ سعيد أو حق الله وحق الشيخ سعيد مثلاً»[4]، ثم تكلم عن ذلك من الناحية الاعتقادية والناحية الفقهية، وقد حكم أن هذا القول خلاف الصواب، وأنه مبني على اعتقاد أنهم: «إذا فعلوا ذلك يأمنون عاهات أموالهم وإلا فيصابون بعاهة في أنفسهم وأموالهم، أو من الله إذا أغضبوا الشيخ بمخالفة عادتهم من إعطائهم ما لا يستحقه، مع نسبة الآثار إلى ما يتوهم الجاهل أنه منه، وذلك خلاف الصواب والحق أن موجد الآثار وأسبابها هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد القائل سبحانه: ﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ

---

(١) ليس من أسماء الله الأكبر. وإنما من أسمائه تعالى (الكبير). انظر: معتقد أهل السنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى، للشيخ محمد بن خليفة التميمي (ص٢٧٤).

(٢) المهمات (ص٦). لأن دعاء الله عند القبور بدعة لم تعرف عن السلف حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) (١/٣٦٨): «وما أحفظ لا عن صحابي، ولا عن تابعي، ولا عن إمام معروف أنه استحب قصد شيء من القبور للدعاء عنده، ولا روى أحد في ذلك شيئا لا عن النبي ﷺ ولا عن أحد من الأئمة المعروفين».

(٣) جهتان من بلاد حضرموت تقدم ذكرهما. (٤) المهمات (ص٨).

خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾. [الكهف: ٥١].

وفي المهمة (العشرين) تحدث عن النذر وأنه: «لا يصح إلا إن كان لمن يملك ـ ومنه المسجد ـ طاعة لله وقربة بها يتقرب إليه تعالى لا لميت وبهيمة ما لم يرد غيرهما المعتبر، ولا معصية أو مكروهاً أو مباحاً لآدمي أو جني أو معظم ما غير الله الواحد الأحد الفرد الصمد، لرجاء ما لم يقضهِ الله له لو لم يشفع له هذا المعظم، أو دفع ما قد قضاه الله وأبرمه عليه في سابق علمه، فهذا محرم بل كفر في حق العالم والجاهل الذي أخبره بمقتضى ما يتضمن ذلك من هو من أهل الإخبار والتعليم»[1].

والشيخ قد أبان جانباً مهماً من الحق في هذه المسألة؛ وهو تحريم النذر للأموات، وأنه متى صاحبه ذلك الاعتقاد صار كفراً في حق العالم والجاهل الذي قد أخبره به من هو أهل للإخبار، ولكن هنا أمران:

الأمر الأول: تصحيح النذر عند إرادة المعتَبَر ممن له علاقة بالقبر؛ فإن هذا موهم وقد يفتح باباً للقبوريين والعوام بالنذر لتلك المشاهد والقباب ومن فيها، وتَرتُّب الاعتقاد إن لم يكن موجوداً حال النذر، والغالب أنه لا ينذر لها ولم يقصد من عندها من الزوار وغيرهم إلا مع وجود الاعتقاد فيهم، ولذلك فقد انتقد هذا المسلك الشيخ أبو بكر الخطيب[2] في فتاواه معللاً بأن: «الغالب أنهم يقصدون تعظيم ذات الولي، أو قبره، أو مشهده وذلك باطل والله أعلم بالصواب»[3].

بل جاءت النصوص بسد الوسائل المفضية إلى الشرك فضلا عن صرف

---

(١) المصدر السابق (ص٩).

(٢) هو أبو بكر بن أحمد بن عبد الله الخطيب، من الفقهاء المفتين، ولد بتريم وأخذ عن جماعة من فقهاء عصره، توفي سنة ١٣٥٦هـ، من مؤلفاته: الفتاوى النافعة في مسائل الأحوال الواقعة، ونصيحة الإخوان عن إتيان السحرة والكهان. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٥/ ١٥٩ ـ ١٦٣)؛ مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص٣٠٣).

(٣) الفتاوى النافعة (ص٢٤٩).

أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى، ومن ذلك قول الرسول ﷺ لأحد الصحابة عندما نذر أن يذبح إبلاً ببوانة[1] فسأله ﷺ: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قال: لا قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قال: لا قال: فأوف بنذرك»[2]، وهذا يدل على أن النذر لو كان لمكان فيه وثن أو عيد لما أجازه؛ لئلا يظن ظان أن ذلك لتعظيم تلك البقعة، أو نحو ذلك من الظنون الخاطئة التي تفضي إلى الشرك، وكذا سد ذريعة الشرك بصرف العبادة للولي بدعوى أنها لله وغير ذلك من الوسائل، وفي هذا تعظيم النبي ﷺ للتوحيد وحماية حماه، حتى لا يخدشه المنحرفون عن صراط الله المستقيم.

الأمر الآخر: جعل النذر شركاً إن وجد الاعتقاد والتعظيم، هذا فيه قصور، إذ النذر عبادة لله تعالى وليس كما يفهمه بعض الفقهاء مجرد هبة أو عطية، ولذلك فجعله لهذا المشهد أو القبر هو في حد ذاته قربة وعبادة، وصرف ذلك لغير الله شرك، ولو لم يوجد التعظيم؛ لأن الحامل عليه هو الخوف أو الرجاء كما ذكره الشيخ آنفاً، بخلاف ما لو نذر لحي فإنه في عرف الفقهاء بمعنى العطية أو الهبة، وعلى ذلك درج الناس فيما يتعاطونه بينهم فيقول قائلهم: نذرت لابني أو أخي أو فلان بكذا أي: وهبته، فما كان من هذا القبيل فلا يمنع إلا إن قارنه التعظيم والتقرب إلى ذلك الشخص تقرب عبادة، والله أعلم.

أما المهمة **(الحادية والعشرون)** فقرر فيها الشيخ باصبرين أنه لا يتقرب ولا يعظم بالصلاة والنسك ـ أي الذبح ـ إلا لله تعالى، ولا ينسب الإحياء والإماتة إلا لله تعالى، وهذه أمور يعلمها كل مسلم، وإن كان من الناحية

---

(١) بوانة: بضم الباء وتخفيف الواو: هضبة وراء ينبع من ساحل البحر، وبالقرب منها ماء يسمى القصيبة وماء آخر يقال له المجاز. انظر: معجم البلدان (١/ ٥٠٥)، ط دار الفكر.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمن به من الوفاء بالنذر، (ص٣٢٧) برقم (٣٣١٣)؛ والبيهقي في سننه (١٠/ ٨٣)؛ والطبراني في الكبير برقم (١٣٤١)؛ وصحح الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٤/ ١٨٠) من حديث الضحاك بن قيس. وانظر: السلسلة الصحيحة (٦/ ٨٧٤) برقم (٢٨٧٢).

العملية نجد بعض الصوفية أو جلّهم يخالفون في الذبح فيجيزونه لغير الله، ويتأولون ما يفعل من ذلك عند العوام، والذي لا علة له إلا «تعظيم من ذبح له» يتأولون ذلك بتأويلات باطلة، وكذا الإحياء والإماتة، أما من الناحية العملية فالصوفية ينسبون لأوليائهم الإحياء والإماتة ـ كما تقدم ذكره ـ، وذلك غاية الإلحاد والعياذ بالله، ثم يرتب على ما تقدم تحريم العقيرة[1]، لكونها يهل بها لغير الله ولغير ذلك من المحظورات التي تترتب على ذلك.

ويتضح مما سبق أن هدف القوم من الزامل[2] الذي يكون غالباً مصاحباً لزيارات الأولياء هو: «التعظيم المقبور له بمنزلة تلبية وفد الله تعالى بالحج والعمرة، وهذا من أعظم المنكرات وأعظم منها سكوت أهل العلم عنهم فيما لو فرض سكوتهم فضلاً عن رضى عاقل بذلك»[3].

وما أنكره الشيخ باصبرين رحمه الله هو السائد في معظم الزيارات إن لم يكن في جميعها.

ويظهر صدق كلام الشيخ باصبرين بأن القوم إنما يفعلون كل تلك الأفعال تعظيماً للولي بما يقومون به من رفع الرايات التي ترمز للولي وبيان منزلته واشتمالها غالباً على أبيات شعرية في مدحه أو دعائه والاستغاثة به.

وأيضاً فإن خليفة ذلك الولي الذي يسمى (منصب مقامه) يعطى في هذه الزيارات من التعظيم والتفخيم وإظهار مقامه وقدره شيئاً عظيماً[4].

---

(١) قال في القاموس (ص٤٤٣) (العقيرة: ما عقر من صيد أو غيره) وفي العرف هي جمل أو ثور يسوقه الزوار عند زيارتهم للولي: إما إرضاء له لما قد يظنون أنه ساخط عليهم أو تقرباً لطلب حاجة منه.

(٢) الزامل في العرف هو نوع من الرجز يؤتى به عند المناسبات كالأفراح الزيارات ونحوها.

(٣) المهمات (ص٩ ـ ١٠).

(٤) زيارات وعادات زيارة نبي الله هود (ص٤٠ ـ ٤١) تأليف عبد القادر محمد الصبان، طبع المعهد الإمريكي للدراسات اليمنية.

وفي المهمة (الثانية والعشرين) قرر فيها المؤلف أن الحلف بغير الله تعالى وصفاته وأسمائه شرك، ثم قسم الشرك إلى جلي وخفي[١]، وأن الجلي هو المخرج من الملة والخفي لا يخرج من الملة، ثم تعرض لصيغ من الحلف وتكلم عنها، ثم فرق بين ما كان المقصود به تعظيم المحلوف به كتعظيم الله أو يخاف منه كخوفه، أو يرجى منه نفع لم يقضه الله، أو يدفع عنه ضر قد كتبه الله فهو الحرام الكفر اتفاقاً، أما إذا سلمت العقيدة من ذلك فلا كفر جلي، وفي الخفي خلاف والورع تركه مطلقاً»[٢].

وفي المهمة (الستين): قال لا يجوز لأحد حكاية ما صورته منكر، وإن صدر عن بعض الأكابر محمول على أنه مؤول عنده بتأويل غير متبادر للعامة؛ أو أنه صدر حال غيبة عن تعقل مقوله بوجه من الوجوه، أو أنه من قول غيرٍ كجنيٍّ كما قال بعضهم:

أنا عرشها والكرسي أنا للسما بانيها
ولولا الحيا من جدي نار الجحيم أطفيها[٣]

والنهي عن ذلك في محله، وأما التأويل لذلك فبعيد وقد تقدم إيضاح ذلك[٤].

المهمة (الحادية والستون): قال فيها (من المحرمات قول بعض المعتقدة جواباً لقول المعتقد ادعُ الله لي بالجنة «أنت في الغدفة[٥] أو ضماني»[٦].

---

(١) ويقصد بالخفي الشرك الأصغر الذي هو في مقابل الشرك الأكبر، وإلا فإن هناك شركاً خفياً يخرج من الملة وهو ما يسمى بخوف السر وخوف العبادة، وهذا الخوف عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

(٢) المهمات (ص١٠). والراجح التحريم ويسمى شركا أصغر.

(٣) المصدر السابق (ص١٦) وهذه الأبيات لأبي بكر بن سالم ـ صاحب عينات ـ وقد تقدم ذكرها ـ.

(٤) المهمات (ص١٦).

(٥) غدف: محركة: أي نعمة وخصب وسعة، يقال: هم في غَدَف، أي نعمة وسعة، وغدف له في العطاء: أكثر. القاموس المحيط (ص٨٤٠)، ط الرسالة.

(٦) المهمات (ص١٦).

وهذا القول يتكرر كثيراً من بعض أقطاب القوم في مناسبات مختلفة لا يجوز، ومن اعتقد أنه يملك ذلك فهذا طاغوت؛ لأنه زعم لنفسه حقاً من خالص حق الله تعالى.

هذه هي المهمات التي تعرض فيها الشيخ للصوفية القبوريين وأتباعهم، ونقد بعض عقائدهم وأعمالهم، وأما بقية المهام فإنها منكرات يقع فيها الكثير من الناس وهي معاصٍ يقع فيها المتصوفة وغيرهم. والشيخ رحمه الله قد تحرر من غلّ التقليد لمعلميه، والتأثر بمجتمعه إلى حد كبير[١]، وتجرد لمعرفة الحق وحسبه ذلك ما دام مجتهداً باحثاً عن الحق جاداً في العمل به والدعوة إليه، ووفقه الله تعالى لمناصرة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية[٢] وألف في ذلك رحمه الله مؤلفات نفع الله بها.

---

(١) باختصار من القبورية في اليمن، للمعلم (ص٦٠٦ ـ ٦١٠).

(٢) وقد ذكروا في قصة اهتدائه إلى العقيدة السلفية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ما ذكره الشيخ عبد الله البسام رحمه الله في كتابه (علماء نجد خلال ثمانية قرون) (٥/ ٤٣٤) عند ترجمة الشيخ مبارك بن مساعد آل مبارك (ت١٣١٦هـ) حيث قال: «حدثني الشيخ محمد نصيف رحمه الله قال: كان العلامة الشيخ علي باصبرين يدرس لطلابه ما بين المغرب والعشاء في جامع الشافعي بجدة، ففي إحدى الليالي جاء البحث في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعها، فنال الشيخ باصبرين منها نيلاً فاحشاً، وكان من الطلبة الشيخ عبد الله الصالح البسام، والشيخ مبارك آل مساعد، فلما فرغ الدرس قاما إليه، وقالا: هل اطّلعت يا شيخ على كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب حينما نلت منه ومن دعوته؟ فقال لهما: لا، إنني لم أطّلع عليها، ولكني قلت هذا نقلاً عن مشايخي، فقالا له: ألا ترغب في الاطلاع على كتبه؟ فقال: بلى، فأتياه بنسخ من كتبه، فدرسها نحو أسبوع، وهو لا يأتي للشيخ محمد بذكر لا بمدح ولا قدح؟

وبعد ذلك قال للطلبة: إنني في إحدى الليالي السابقة نلت من الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، والحق أن كلامي لم يكن عن اطّلاع على كتبه، وإنما هو تقليد، وحُسن ظن في مشايخنا، وقد أطلعني بعض إخواننا النجديين على بعض كتبه ورسائله، فرأيت فيها الحق والصواب، وأستغفر الله تعالى عما قلت، ثم صنف رسالة سماها (هداية كمل العبيد إلى خالص التوحيد).

٥> الشيخ حسن بن علوي بن شهاب[1] (ت١٣٣٢هـ):

من عائلة العلويين في حضرموت، الذين كانت لهم جهود مشكورة ضد الآثار السلبية التي أحدثها المتصوفة بمجتمع حضرموت وغيره من البلدان التي هاجر إليها القوم، وكان يطالب بإصلاح ما فسد دون هوادة، يقول عنه صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين: «وبما أنه من طلاب الإصلاح العلمي والاجتماعي فقد كان منذ تعلقه بالصحف المصرية ينتقد العلماء بحضرموت[2] ويستهجن أساليب تعاليمهم، وفي نحلة الوطن الشيء الكثير من مهاجماته العنيفة»[3].

ومن أشد معاركه مع الصوفية تلك المعركة التي خاضها مع محمد بن عقيل العلوي حين أصدر كتابه (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) وذلك سنة ١٣٢٦هـ، ودعا فيه ابن عقيل إلى مذهب الشيعة، فانتصر حسن بن شهاب العلوي لمذهب السلف فأصدر كتابه المسمى (الرقية الشافية في التحذير من

---

(١) هو حسن بن علوي بن شهاب آل باعلوي، ولد سنة ١٢٦٨هـ بمدينة تريم وبها نشأ، وطلب العلم على شيوخها وعلمائها حتى صار من المبرزين، وعندما أسس رباط تريم عام ١٣٠٥هـ كان حسن بن شهاب من أوائل من تولى التدريس فيه العلوم الشرعية، وقد كان صريحاً في قول الحق يقول صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين (٥/ ٢٤ ـ ٢٥) (ولما كان اجتماعياً بسجيته فقد تولد من الاحتكاك بالمجتمع التريمي التنافس المستحيل إلى عداء مع بعض أعيان تريم، وكم قاسى من الأذى والمحن إلى قطع أذن حماره، ولطخ باب منزله بالعذرة بسبب قوة مراسه وصراحته المتناهية ولذعات لسانه وعدم مبالاته ومراعاته). ثم هاجر إلى أندونيسيا واستقر بها سنة ١٣٢٠هـ بسنغافورة واشتغل بالتجارة، إلى جانب اهتمامه بالعلم، فأصدر صحيفته الأسبوعية (نحلة الوطن) والتي استمرت سنوات. كما شارك في تحرير بعض الصحف والمجلات في تلك البلاد، وكان إلى جانب ذلك يكتب المقالات الأدبية والاجتماعية وينشرها في الصحف المصرية كصحيفة المؤيد ومجلة المنار (انظر مثلاً: مجلة المنار المجلد ٩ الجزء ٤، وكذا الجزء السادس صفحة ٤٥٣، ٤٥٤). من مؤلفاته: نحلة الوطن، والرقية الشافية في الرد على النصائح الكافية، والإنصاف بين النحلة والإتحاف. وفي سنة ١٣٣١هـ عاد من سنغافورة إلى بلده تريم وبها كانت وفاته سنة ١٣٣٢هـ. انظر في ترجمته: تاريخ الشعراء الحضرميين (٥/ ٢٣)؛ وتعليقات ابن شهاب على شمس الظهيرة (١/ ١٦٨)؛ والأعلام للزركلي (٢/ ٢١٤)؛ ومعجم المؤلفين (١/ ٥٦٤).

(٢) المقصود علماء الصوفية لكونهم أهل السيطرة والمكانة في تلك الفترة، فقد أحكموا قبضة التعليم، فلا تكاد تجد آنذاك مدينة ولا قرية بحضرموت وما حولها إلا وللصوفية أثره في التعليم الديني، والله المستعان.

(٣) تاريخ الشعراء الحضرميين (٥/ ٢٥).

النصائح الكافية) سنة ١٣٢٨هـ، وانقسم الحضارمة في المهجر إلى فريقين، واشتد النزاع في ذلك ودخل في هذه المعركة أبو بكر بن عبد الله بن شهاب وانتصر لتلميذه ابن عقيل، وأصدر كتاباً سماه (وجوب الحمية من مضار الرقية)[1].

ومن آثاره رسالة سماها (نحلة الوطن) كتبها بمهجره في سنغافورة وأرسلها إلى أهل حضرموت خاصة وأهل اليمن والمسلمين عامة، يستنهض هممهم ويستحثهم على التنبيه والتيقظ لمتطلبات الحياة، وتغيير أساليب التعليم وتطوير وسائله، ويحذر ما آل إليه الوضع في حضرموت في وقته من الظلم، والطغيان، وترك الصلوات والتمادي في المنكرات، وعدم تغيير تلك المنكرات من أهل العلم وقلة الدعاة الناصحين[2].

وقد أيد هذه الجهود العلامة ابن عبيد الله، وبيّن أن رسالة (نحلة الوطن) اغتاظ منها من يسميهم بالمترسمين بالولاية وأخذوا يشنعون بمؤلفها ورفقائه، ورد التهم التي ألصقها المتصوفة من العلويين وغيرهم بصاحب نحلة الوطن وبيّن أن ذلك تفريط منهم[3].

وقد بيّن صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين مضمون رسالة بعنوان (نحلة الوطن) كتبها الشيخ حسن بن شهاب أحد أحفاد السادة العلويين المقيمين بجاوة تكلم فيها عن علماء حضرموت لقعودهم عن الإصلاح العام الناجع[4].

ومن جهود أهل حضرموت في رد بعض المخالفات الشرعية كالطعن في بعض الصحابة ما قام به الشيخ حسن بن شهاب من الدفاع عن الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «وقد ألّف صديقه العلامة السيد محمد بن عقيل بن يحيى بإشرافه كتابه «النصايح الكافية لمن يتولى معاوية» ونشره وقامت ضجة حوله لأنه حكم فيه بمروق معاوية عن مبادئ الإسلام وبأنه ليس من

---

(١) انظر: مجلة المنار الجزء ١٢، مجلد ١٣.

(٢) انظر: رجال وكتب للشيخ علي بن سالم بكير (ص٨٧ ـ ٩٠).

(٣) انظر: ديوان ابن عبيد الله (ص٢٦١، ٢٦٥).

(٤) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ٢٠٢).

الصحابة وصدر أمر من المجلس النيابي للدولة العثمانية التركية بمصادرة نسخ الكتاب ومن أبرز من ردّ عليه صديقه ابن شهاب وأحد أفراد قبيلته السيد العلامة حسن بن علوي بن شهاب بكتاب سماه «الرقية الشافية من سموم النصايح الكافية» حاول[1] فيه إثبات صحبة معاوية وأنه من أهل الفضل والعدل...»[2].

واستمرت الردود بين حسن بن شهاب ومعارضيه من متصوفة حضرموت وجابهم وكان آخر رد له عليهم، رده على رسالة لعلوي بن عبد الرحمٰن المشهور سماها (إتحاف أهل القبلة بالرد على صاحب النحلة) فرد عليه ابن شهاب برسالة سماها (الإنصاف بين صاحب النحلة والاتحاف) طبعت بسنغافورة سنة ١٣٢٦هـ[3].

ولا يزال ابن عبيد الله واقفاً مع الحق ضد الباطل مهما كان صاحبه، حيث يقول في مقدمة إحدى قصائده: «وهذه جوانب من منظوم ومنثور أرسله إلي بعض الإخوان من جاوه بعد ما تقوّل عليّ المتاجرون بالولاية لأني كنت قذى عيونهم وشجا حلوقهم، وما أدراك ما غاية ما وصموني به إذ ذاك، زعموا أنني خالفت طريقة السلف وأوهموا الأغبياء أنها ما هم عليه من التدليس والتلبيس، وجعلوا آية ذلك أن صاحب المنار[4] نشر لي كلمة قلتها بإشارة والدي رحمه الله في رسالة للعلامة المرحوم السيد حسن بن علوي بن شهاب في حدود سنة ١٣٢٣هـ»[5].

---

(١) انظر إلى عبارة الشاطري (حاول فيها إثبات صحبة معاوية...) والتي فيها الغض من منزلة هذا الصحابي الجليل وكأنه لا يعترف بصحبته، مع ما في كلامه من اللمز لمن يدافع عن معاوية رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ، والله المستعان.

(٢) أدوار التاريخ الحضرمي للشاطري (١/ ٤٥١).

(٣) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ٢٠٤)؛ وتعليقات ابن شهاب على شمس الظهيرة (١/ ١٤٣)؛ وتذكير المحتاط في شئون الرباط (ص٣٦).

(٤) أي محمد رشيد رضا حيث نشر مقال ابن عبيد الله في المجلد ٩ ـ الجزء ٦، (ص٤٥٠) بعنوان (حال المسلمين في حضرموت والإصلاح).

(٥) ديوان ابن عبيد الله (ص٣٦٦).

٦ - العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف ــ مفتي حضرموت ــ (ت١٣٧٥هـ):

كان للعلامة ابن عبيد الله جهود مشكورة في بيان مخالفات صوفية حضرموت، والدعوة إلى الحق، فلم يجامل جماعته العلويين على حساب الحق، بل كان يسعى للحق ويأخذه ممن أتى به كائناً من كان.

جاء في كتابه المسمى (نسيم حاجر) قوله: «وقد اتفق لي في شرح الشباب أن أفضت في درسي كجاري عادتي في النعي على الخرافيين، وتفنيد مزاعمهم، وأنكرت قول بعضهم: إن أتان الفقيه المقدم قُدِّس سرُّه كانت تعرج إلى السماء، وتأتي بخبرها طرفي النهار مع أن البراق[1] لا يقدر على ذلك، فلو أنها حضرت ليلة المعراج لأغنت عنه؛ لأن البراق لم يجاوز إيلياء على الأصح، وقول بعض آخر عن بعض العلويين: أنه كانت له زوجة شريفة مضى لحملها ستة أشهر فتزوج فلاحة فنشزت الشريفة فخيرها بين الرجوع أو يأخذ الحمل من بطنها إلى بطن الفلاحة، فلما أصرت فعل ما تهددها به، وولدت الأخيرة لثلاثة أشهر من حين الدخول، وقول آخر: إن أحد الأولياء مات عن زوجة صالحة من غير ولد فاشتد حزن تلك الصالحة، وعظم وجدها عليه فكان يتردد عليها من ضريحه حتى أحبلها بعد موته فجاءت بولد نسبوه إليه.

فلما أنكرت مثل هذه الأضاليل التي لها يتذمر الإسلام، وتتنكس الأعلام، وتكلُّ من عدِّ شرها الأقلام، فما أحصل إلا على الملام وذلك هو الذي استغرق جهدهم في تشويه سمعتي والتمضمض بعرضي والتقول عليّ والسعاية بي لولا وقاية الله»[2].

كما أنكر ما يحدث عند قبة الحبشي في سيئون، فقال: «بلغني أنه عاد إلى التطلع بين السفهاء في الأيام الأخيرة لما يرونه من عكوف له حول تابوته الهائل الضخم، وتلوينهم قبته بالصبغ الأخضر تشبيهاً بقبة النبي صلى الله عليه

---

(١) البُرَاقُ: الدابة التي ركبها النبي ﷺ ليلة الإسراء، وسمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه، وقيل: لسرعة حركته شبّهه بالبرق. انظر: مختار الصحاح (١/ ٢٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٢٧) ط المعرفة.

(٢) ديوان ابن عبيد الله (ص٢٥٨).

وآله وسلم[١] وإغراقهم في الثناء عليه ولا سيما عند من لا يعقل: تراهم عند ملحدهِ عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع»[٢].

كما أن لابن عبيد الله مؤلفات في بيان الحق والتحذير من الباطل وأهله اعتمد فيها على نصوص الوحي مستنيراً بكلام علماء أهل السنَّة والجماعة، يقول رَحِمَهُ اللهُ: «ولي في التوسل والاستغاثة رسالة ضافية الذيل ابتعدت فيها عن طرف الإفراط والتفريط، واعتمدت فيها النقل عن العلامة ابن تيمية وتلميذه ابن القيم؛ لأن كلامهما أقوى حجة في الموضوع على من يتطرف فيه»[٣].

وقد بيّن رَحِمَهُ اللهُ خطورة التصوف والفلسفة التي غزت بلاد حضرموت فقال: «ولو لم يكن أن ما فيه من ترقِ الإنسان في الرتب حتى انتهى إلى الغاية لكفى؛ لأنه من مناسب التاريخ وإلا فإن الخوض في حقائق الصوفية والفلاسفة لا يقل خطراً من الخوض في علم الكلام، وقد جلت فيه مع الجاهلين حتى خشيت على نفسي من تشوش الفكر، فطفقت أعالجها بآيات القرآن وتناسي تلك المباحث حتى برأت ولله الحمد»[٤].

كما ساهم بشعره في هتك أستار الصوفية وبيّن أفعالهم المشينة، يقول في إحدى قصائده:

سوق الفضيلة في أيامنا رخُصا ... كأنّ ما فيه من درّ الكمال حصى
ما زالت الناس قبلي يشتكون لما ... يلقون من قلة الأحرار والخلصا
واليوم أطلب إنسان فأعوزني ... ولم أجد غير وحشاً تلبس القمصا
فهل حقيقة هذا الجيل ثابتة ... أم لا فإشكال هذا الأمر قد عوصا
ما للزمان قد استشرى الفسادُ به ... والخير فيه على أعقابه نكصا

---

(١) القبة الموجودة على قبر النبي ﷺ محدثة، أحدثت في الأزمنة المتأخرة، ولا حجة فيها للمخالفين وقد حذر النبي ﷺ من البناء على القبور ـ كما تقدم في مباحث الغلو في القبور، كما لا يجوز إضافتها إلى النبي ﷺ لأنها ليست من فعله ولا إقراره ﷺ.

(٢) بضائع التابوت (٢/ ١٢٠). انظر رده على بعض ضلالات الصوفية: المصدر السابق (٢/ ١٢٤).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١٢٣).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٤٨).

غنيمة المرء بعد الناس عنه فلا ... تفرح بآت ولا تحزن لمن شخصا[١]
ولا يغرّك زي النسك من أحد ... فكم تنسك دجال ليقتنصا
يمشي الهوينا بشيء في عمامته ... كأنه الروق[٢] لكن في امتداد عصا
كأنما هو حاو لا تفارقه ... رقطاء يغوي بها من عقله نقصا
مموّه يذكر الأخيار منتهزاً ... بذكرهم من صغار الأنفس الفرصا
يروي غريب كرامات بلا سند ... وربما اختلق الأخبار والقصصا
خلوا الخرافات والأحلام إن لنا ... ديناً قويماً من الأوهام قد خلصا
ما في شريعتنا وهم ولا شبه ... لكن عزائم صدق مازجت رخصا
وهذه سيرة الهادي وسنته ... من حاد عنها ولو قيد البنان عصى
خير النبيين من شباكه لنهى ... أهل النهى قد غدا من حبه قفصا[٣]

ويقول في قصيدة له يرحب فيها بأحد مشايخه[٤]:

صفا الوقت حينا للثعالب فاعتلت ... أسافلُه لما تناءت صدوره
وباح بدعوى اشف والسر كل ... ينادي عليه بالثبور فجوره
وما شان هذا القطر إلا عصابة ... بكل امرئ منهم تناهى غروره
فكم بدعة أحيوا كم سنة محوا ... منهم منبع الداء العَيَا وجذوره
وكم قمت فيهم معلنا بنصيحتي ... كأني داوود ونصحي زبوره

بل انتقد كلامهم المدون في كتب تراجمهم وبين أنه مشابه لكلام الباطنية الملاحدة فقال: «واعلموا أن أولئك الدجالين لم يلجأوا إلى تلك الأحلام والأوهام إلا لصفورة اليد من المكارم الصادقة التي لو ادعوها لأصحابهم لكذبتهم العبارة، مما اضطروا إلى الإحالة على ما في الغيب إلا بعد ما أعوزوا ما في الجيب، وقد أصّلوا في نفوس الجامدين إن إنكار مثل ذلك علامة

---

(١) شخصا: ذهب أو شخص ببصره عند الموت فلم يطرف.
(٢) الرَّوق: القرن. (القاموس المحيط ص٨٨٨).
(٣) ديوان ابن عبيد الله (٢٣٨ ـ ٢٣٩). باختصار.
(٤) المصدر السابق (ص٣٦٩).

الحجاب، ودليل الطرد والمقت فتباروا في ذلك إلى أبعد شرط، بعضهم من كيد وتضليل، وبعضهم عن بساطة وسذاجة وتأويل؛ لهذا تجد أكثر تراجم الكرامات والمدح المجرد والتفاخر بما يقرب من كلام الباطنية، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

وقد انتقد رحمه الله كبار صوفية حضرموت مثل أبي بكر بن سالم وأحواله التي ضاهى بها أحوال كبار زنادقة المتصوفة فقال: «وللشيخ أبي بكر قصيدة ضاهى بها نظم السلوك لابن الفارض فغاية ما يؤخذ عليه أن يكون نوع ما يؤخذ على ابن الفارض وقد اشتهر عن هذا وعن صاحب الفتوحات القول بالوحدة حتى شنع عليهم الكثير من العلماء[٢]... على أن بطلان الاتحاد أظهر من أن يحتاج لإقامة الأدلة عليه، ونحن ننزه الباري جل شأنه، وتقدس ثناؤه ونجله عن ضرب الأمثال، ولكنا نضربه فيما دونه»[٣].

ولهذا العالم مشاركات كثيرة في بيان الحق، سواء بالتأليف، أو بالكتابة في الصحف والمجلات العربية، وغير ذلك، وله دفاع عن أهل الحق، والوقوف في وجه الصوفية كما سيأتي.

➢ الشيخ محمد بن عمر العماري[٤] رحمه الله (ت١٣٩١هـ):

....

(١) بضائع التابوت (٢/ ٢٦).

(٢) وفي كلام هذا العالم ـ وهو من العلويين ـ رد على صوفية حضرموت وفي مقدمتهم العلويين المعظمين لهذين الضالين القائلين بوحدة الوجود وبيان تشنيع أهل العلم على مقالتهما الخبيثة، فكيف يعظم من هذا شأنهما، ولكنه العمى والضلال الذي جثم على صدور صوفية حضرموت فلم يميزوا بين الحق والباطل، ولا بين الصالحين والزنادقة الملحدين، ولكن من يضلل الله فلا هادي له، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٣) بضائع التابوت (٢/ ٣٥).

(٤) هو الشيخ محمد بن عمر العماري من قبيلة العماري الشهيرة بحضرموت، وكذا لها وجود بشمال اليمن، والذي ينتهي نسبها إلى الجد الأعلى عمار بن يحيى بن عباس الأنصاري الخزرجي، ولد بمدينة الشحر ١٣٠٢هـ، وأخذ بدايات العلوم من مدينة الشحر حيث قرأ الفقه واللغة العربية على الشيخ محمد باطويح، ثم رحل إلى مدينة سيئون وبها أخذ الفقه، وعلوم اللغة على يد علي بن محمد الحبشي وذلك سنة ١٣١٦هـ.

=

ومن آثاره في مواجهة الصوفية رسالتان إحداهما: (فتوى حول الاستغاثة بغير الله) ـ مطبوعة ـ.

يقول رَحِمَهُ اللهُ مبينا ضلال عباد القبور: «الذين يستعينون بأصحاب الأضرحة والقبور على قضاء حوائجهم، وتيسير أمورهم وشفاء أمراضهم، ونماء أموالهم وهلاك أعدائهم عن صراط التوحيد ناكبون، وعن الاهتداء بآيات المثاني معرضون؛ لأن الاستعانة بما وراء الأسباب الممنوحة للبشر إنما تكون لخالقهم، وهو على كل شيء قدير؛ كالاستعانة على شفاء المرض بما وراء الدواء، وعلى غلبة العدو بما وراء العدد والعدة، فإذا توجه بها إلى غير الله كان نوعاً من أنواع العبادة الوثنية»[1].

كما ردّ على المتصوفة الذين يروجون بدعهم بين الناس، وبيّن شرطي العمل اللذين لا يقبل الله أي عبادة بدونهما وهما الإخلاص، والتعبد بما شرعه الله تعالى على لسان رسوله ﷺ[2].

وأما الرسالة الثانية فعنوانها: (دق المسمار على الضاربين بالطار أو نصيحة وإنذار)، وموضوعها الاعتراض على السماع الصوفي أو ما يسمى في حضرموت بـ(الحضرات) التي يقيمونها في المساجد والمشاهد، وبيّن مفاسد هذه الأفعال التي يقوم بها المتصوفة في حضرموت، وبطلان استدلالهم لاستخدام هذه الدفوف في الحضرات وقد تقدم الرد عليهم في المباحث السابقة من هذه الرسالة.

كما بيّن بدعهم في الذكر، وكذا بعض منكراتهم منها: الرقص في

= وتولى القضاء في عدد من مدن حضرموت: كالشحر، والمشقاص، وتولى أخيرا قضاء الديس وبقي فيه اثني عشر عاما وبعده تقاعد عن العمل. له عدة مصنفات منها: تذكرة الغافل، ومبحث المبحث، وبغية المسترشد في واقعة المسجد، ودق المسمار على متخذي الطار، وله فتوى في حكم الاستغاثة بغير الله، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة ١٣٩١هـ. انظر في ترجمته: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص١٧٩).

(١) فتوى عن حكم الاستغاثة بغير الله، للشيخ: محمد بن عمر العماري (ص٢٧ ـ ٢٨).

(٢) المصدر السابق (ص٢٨).

المساجد حيث قال: «وأكثر مشايخ الطرق يرقصون عند سماع الذكر ولا أدري أينشأ رقصهم عن وجل منه سبحانه، أم عن طمأنينة؟وسيظهر ذلك يوم تبلى السرائر وتظهر الضمائر»[١].

كما بين رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الرسالة خطر منكر الرقص واللهو في المساجد بدعوى العبادة، وأن أكثر الطرقيين عوام يلحنون حتى في أذكارهم المبتدعة، ورواتبهم المعقودة بين العشائين وبيّن أنه لا ثواب لهم؛ بل هم واقعون في الخسران والضلال، لا سيما وهم يلحنون في لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد، فضلاً عن غيرها[٢].

ثم تعرّض لبدعهم الأخرى: كبدعة الاجتماع على قراءة يس، وإتيانهم بها مثل الزامل وبيّن أن السلف أنكروا مثل هذه البدع[٣].

وذكر في المطلب الثالث نواقض لا إله إلا الله العشرة التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم بيّن معنى لا إله إلا الله، ومعنى العبادة التي يجب صرفها لله تعالى وحده دون سواه، ثم بيّن في المطالب الأخرى معنى السنّة وضرورة الاهتمام بها وتطبيقها، ثم بيّن معنى البدعة وخطرها على دين الإسلام وحذر منها وكرر[٤].

ثم ختم كتابه بنصيحة في الدعوة لمعرفة دين الله وأحكامه الشرعية، ثم قال: «ولا تقتنع بمجرد قول لا إله إلا الله فإنك لا تكون من أهلها إلا بمعرفة معناها، والقيام بحقوقها ولا بقولك: أنا مسلم ابن مسلم حتى تعرف حقيقة الإسلام بأن تكلف نفسك بالمشي إلى عالم من علماء السنّة والحديث فتسأله عن أمور دينك، أو تصرف شيئاً من الدراهم في شراء كتاب من الكتب المفيدة المشيدة بآيات الله وحديث رسول الله، فكيف تكون مسلماً ولم تدر بحقيقة الإسلام، وقد هان عليك أمر الدين ولسان حالك ينادي بأنه: لا قيمة له عندك، فسوف تندم ولات ساعة مندم، فأنت غير معذور بعد أن أنعم الله عليك

---

(١) نصيحة وإنذار (ص٢٢).
(٢) المصدر السابق (ص٢٣ ـ ٢٤).
(٣) المصدر السابق (ص٢٦ ـ ٢٧).
(٤) المصدر السابق (ص٣٢ ـ ٤٨).

بنعمة التمييز والعقل...»[١].

٨ ➢ **الشيخ عبد الله بن عوض بكير** رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت١٣٩٩هـ):**

وهو الشيخ الكبير والقاضي الشهير، داعية السنَّة في وقت تَغَلُّب البدع، ورافع راية التوحيد[٢] في مجتمع تجوس خلاله أنواع من الشرك، وتصدر فيه دعاة الخرافة.

يقول عنه ولده الشيخ عبد الرحمٰن: «وبالإضافة إلى قوة عارضته الفقهية في المناظرات الشفوية والكتابية، مما أكسبه سمعة علمية طيبة، وحنكة في معالجة القضايا الفقهية، وإبراز خفاياها ودقائقها.. بالإضافة إلى ذلك كان صريحاً في الحق لا يماري ولا يداري، نزيهاً لا تمتد عينه إلى متاع غيره، محارباً للبدع أياً كان القائم بها، لا تأخذه في الله لومة لائم، فقد كتب الرسائل وألقى الخطب، وكاتب من يتوسم فيه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشنعاً على كثير من البدع التي تعمل باسم الدين، وأظهر وأبان وجه الحق في كثير مما يُتخذ تحت شعار الدين، بينما هو في حقيقته باطل وجاهلي فألَّف من بين ما ألَّف:

١ ـ **رفع الخمار عن مثالب المزار:** وهي رسالة في منكرات زيارات القبور. وأن زيارة القبور مشروعة كما شرعها الدين الإسلامي، وبغير ذلك تعتبر منكراً يجب إنكاره وتجب إزالته وتغييره.

٢ ـ **تطهير الفؤاد من سيِّء الاعتقاد:** وهي رسالة توضح كثيراً من المعتقدات الفاسدة الشائعة في الجهة سواء كانت مما يتعلق بالموتى أو

---

(١) المصدر السابق (ص٥٢). حبذا لو قام بعض طلبة العلم الحضارمة بتدريس هذا الكتاب القيم ـ على صغر حجمه ـ لما اشتمله من مهمات المسائل التي تتعلق بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وبيان معانيها، وما تقتضيه من القول والعمل والاعتقاد، وبيان ما يناقضها أو ينقصها، لا سيما ومؤلفها من أهل تلك البلاد وهو معروف بتمسكه بدينه، وملازمته للأعمال الصالحة، رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر له.

(٢) انظر: ترجمته: القضاء في حضرموت في ثلث قرن، لعبد الرحمن بن عبد الله بكير (ص١٦) وما بعدها.

بالأحياء أو بالجمادات أحياناً، وما يفعل باسم كبراء الجن، كما يقول أرباب تلك المعتقدات.

٣ - **الدفوف في المساجد**: وتلك رسالة أوضح فيها حكم ضرب الدفوف في بيوت الله التي يجب أن تُنَزَّه عن مثل هذه المعازف والملاهي، ولقد ترسم فيها طريقة السلف الذين سبقوه وعنهم نقل ما نقل»[١].

كان هذا من الشيخ رحمه الله في عهد اشتدت فيه الخصومات بين الإرشاديين والعلويين في مهجرهم في أندونيسيا وسنغافورة، وألقت تلك الصراعات بظلالها على الوطن[٢]، وأصبح مَن يصنف أنه مِن الإرشاديين أو يتهم بذلك منبوذاً، بل مُعرّضاً لأنواع من الأذى، ولذلك فقد اتهم بالإرشادية كما اتهم بالوهابية، وإن لم يكن كما يقول ابنه الشيخ عبد الرحمٰن ملتزماً لواحدة من الطائفتين، بل قد يؤديه اجتهاده إلى موافقته إحداهما في أمور ومخالفتها في أمور أخرى[٣]، ولكن الإرهاب الفكري الكبير الذي كان يمارس لا يرضى بأنصاف الحلول ولا يعرف للاجتهاد معنى، «وإنما كُن معنا أو أنت ضدنا»، ولكن الشيخ رحمه الله لم يبال بذلك بل صمد في وجه كل تلك الزوابع، ولكن لما شاع عن الشيخ من سعة في العلم وبصيرة في الرأي، ونزاهة في المعاملة، وعدل في الخصومة وقوة في الموقف، كل ذلك أرغم معاصريه على احترامه، وحَمَل الولاة أن يطالبوه بتحمل مسؤولية القضاء الشرعي، والقرب من السلطان للاستفادة منه في الرأي والمشورة، وقد نفر من ذاك باديء الأمر، ولكنه رضخ له بعد إلحاح وبعد تأمل في المصالح والمفاسد، ودخل سلك القضاء وتدرج فيه بعد أن عُرف عدله ونزاهته، وقوة إدراكه، ونفوذ بصره حتى أصبح رئيس القضاء، وعضو مجلس الدولة، ولقد قام من خلال منصبه ذلك بإصلاحات قضائية وإدارية جبارة كما أصلح القضاء وطوره وحافظ على تحكيم الشريعة،

---

(١) القضاء في حضرموت (ص٣٢ - ٣٣). (٢) انظر: القبورية في اليمن (ص٦١٦ - ٦٢٢).

(٣) يقصد بالمخالفة ما كان في الأمور الاجتهادية، أما أمور العقيدة فإنه على عقيدة السلف الصالح كما أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن تبعها كالإرشاديين ونحوهم كانوا على عقيدة السلف.

فإن له بصمة أخرى عظيمة هي رئاسة لجنة الشؤون الدينية والتي كان من مهامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراقبة الآداب الإسلامية، والدعوة إليها، والتنفير من كل مفسدة خلقية، والدعوة إلى السنة ومحاربة البدع في الدين[١].

حتى قال رَحِمَهُ اللهُ: «فحاربت من البدع ما حاربت ونجحت ولاحقت من المفاسد الخلقية ما لاحقت وأصلحت»[٢].

ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثقيل على أصحاب الشهوات، ومحاربة البدع شديد على أرباب الهوى والشبهات، وإلغاء بعض ما في البدع والزيارات البدعية مضر بالسدنة ومن يجنون من ورائها أنواع الثمرات، وحرك إبليس جنده؛ فحوربت هذه اللجنة من قبل أشخاص لهم في البدع والمحافظة عليها قَدَمٌ راسخ، أو لَهُم في طقوس هذه البدع مصالح مادية ومصالح روحية، بل إن لهم في البدع مصالح رهيبة، وهي في نفس الوقت تمثل المخدِّر العام للشعب كي ينصرف عنهم ولا يلاحقهم في بدعهم وأهوائهم، التي تملأ أكثر أيام العام، ولا تنتهي مناسبة بدعة حتى تبدأ مناسبة جديدة لأخرى، ويتبع هذه البدع من المفاسد والمناكر والمحرمات ما يندي له جبين الدين، ويتصبب له عرقاً وجه الأخلاق... بل وتتبعها مفاسد اجتماعية تصل إلى حد التفريق بين الزوج وزوجه، والابن وأبيه.

وما أكثر البدع اليوم وما أكثر مروِّجيها والمغشوشين بها، وأشدها شؤماً وأكثرها لؤماً؛ هو بدعة ما يسمى بالزيارات لما يؤتى فيها من المنكرات، والصد عن دين الله بعبادات أعمق جاهلية؛ لأنها باسم الإسلام تقام وباسم الدين تتحدث. والزيارات بدعة في الدين، وبدعة في حضرموت، وبحسبك أن تعلم أنها لا تستند في العادات والتقاليد لسند حضرمي أصيل.

---

(١) انظر: القضاء في حضرموت (ص١٨٣). (٢) القضاء في حضرموت (ص١٨٣).

وقد كان للجنة الشؤون الدينية في عهد السلطان صالح مع هذه البدعة بصورة خاصة، مواقف خاصة، مما جعل السلطان ـ عليه رحمة الله ـ اقتناعاً منه بمضارها، يوقفها ويأمر بإلغاء طقوسها ومراسمها أياً كانت، ولكن القوم ـ هداهم الله ـ، أعلنوا عدم تمسكهم بدينهم إذا كان يقف في طريق ما ألفوه، وأنت عليم بما يترتب على هذا من حكم شرعي(١).

ويقول أحد معاصري الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، أنه منع الحضرة التي كانت تقام عند القبر الذي تحت مسجد عمر ويسمى قبر«علوية» أيام وجوده في القضاء، وأقفل المكان وعزم على تأجيره مستودعات أو نحو ذلك، ولكنه لم يتمكن من تأجيره، وإنما بقي مقفلاً مدة طويلة، ولكن بعد وفاته أعيد فتحه وأعيدت الحضرة التي تعمل له، وها هو اليوم وصمة عار على جبين المكلا وأهل المكلا، وبقعة سوداء يطالعها كل من يزور هذه المدينة من الغرباء، فيحكم على أهلها الطيبين محبي السنَّة أنهم من المخرفين، والخاضعين لسلطان الدجل والشعوذة ولا منكر، بل المنكرون كثير ولكن من يستجيب لهم؟(٢).

كما أنه كان قد أبطل الحضرة التي كانت تقام في مسجد الروضة بالمكلا، وقد أعادها القبوريون هذه الأيام، وكما كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عالماً وقاضياً ومصلحاً؛ كان كذلك شاعراً وأديباً مرهف الحس قوي العارضة(٣)....

ومن آثاره في محاربة الصوفية ما سبق من تركه ثلاثة آثار في مواجهة الصوفية:

الأثر الأول: رسالة (رفع الخمار عن مثالب المزار) أجاب فيها فضيلته

---

(١) انظر: القضاء في حضرموت (ص١٨٣ ـ ١٨٤).

(٢) هذه الجهود المشكورة كانت في زمن الشيخ مع قلة دعاة الحق، فانظر مقدار ما يقوم به علماء السنَّة في مواجهة الصوفية من مشاق، أما الآن ولله الحمد فقد كثر أهل العلم من العلماء وطلبة العلم الذين نشروا الخير في ربوع اليمن عامة وحضرموت خاصة، وضعفت شوكة المتصوفة عن ذي قبل ولله الحمد، والفضل في ذلك لله وحده وتوفيقه تعالى وأعانته لأهل السنة أن يقوموا بهذه الجهود العظيمة.

(٣) القضاء في حضرموت (ص١٨٣ ـ ١٨٤). وانظر عن حياة الشيخ عبد الله بن بكير: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص١٨١ ـ ١٨٣).

على سؤال من محب كما يقول؛ بعد أن تردد في الإجابة عليه لما في زمانه من الانتكاس ثم عزم فأجاب وأجاد وبين أن المزار المعروف في جهة حضرموت محرم لأنه يشتمل على جملة من المفاسد العقدية والأخلاقية، وقد أورد جانباً من الأحاديث الناهية عن الابتداع وطبقها على هذه الزيارات، ثم ذكر أنواعاً من المفاسد الأخلاقية مثل الاختلاط بين الرجال والنساء الذي قد تصل نتائجه إلى الزنا وقد يحصل اللواط كذلك، مع ما فيها من الملاهي التي هي مقصد أكثر الزوار، وليس مقصدهم الاعتبار وتذكر الموت، وقد شنّ حملة على من يحضرها من المتزيين بزي العلم مع سكوتهم على تلك المناكر، وقال: (إنهم أشرار لا أخيار)، وأجاب على شبهة يطرحها البعض وهي: أن هناك خيراً في هذه الزيارات، مثل: الموالد التي تقام فيها والمواعظ، فأبان أن الموالد هنا لا تكون مشروعة أصلاً، ولو فرض أنها سائغة لكان الواجب تنزيهها عن هذه الأماكن التي يظهر فيها الفساد عياناً، وعلى افتراض أن في ذلك شيئاً من الخير؛ فإنه قليل لا يساوي ما فيها من الشر.

ثم ذكر داهية من دواهي المخرفين التي لقنوها العوام وهي: اعتقاد بعضهم (أن من حضر سبع مرات عند قبرٍ؛ على مثل تلك الحال فكأنما حج البيت الحرام) قال: «وهذا عين المحادة لله؛ بل ربما كان كفر»[1].

وقد كانت عاطفة الشيخ وغيرته بادية واضحة، وحرقته على ما يفعل قومه قوية بارزة، فها هو يصل به الانفعال إلى أن يقول: «وبعض الجهلة يوقِف على مثل هذه الجرائم وقائف، ويجعلها باسم المقام، ولا شك أن مثل هذا المقام، مقام أئمة النار فيحرم الوقف عليه، وتحرم الصدقة، لكون ذلك إعانة على المعصية، ولا تجوز الإعانة على مثل ذلك، فمن أعان فيه بشيء فهو من جملة العاصين الممقوتين»[2].

والرسالة لم تتعرض لبعض الأشياء المهمة الحاصلة في تلك الزيارات، ومنها الاعتقادات الباطلة والأعمال الشركية، وليس ذلك لأن الشيخ لا يرى

---

(١) رفع الخمار (ص٢٥ ـ ٢٦). (٢) المصدر السابق (ص٢٥ ـ ٢٦).

ذلك من المخالفات ففي الأثر الثاني سيظهر قوله فيها ولكن الذي يظهر أن الرسالة مبتورة أو أن بعض الأوراق قد ضاعت، ويشهد لذلك قول ابنه الشيخ «عبد الرحمٰن بكير» في خاتمة الرسالة: (انتهى ما وجدناه بخط الوالد وبقلمه، عليه رحمة الله، وربما كان للموضوع بقية فلنحتفظ بالموجود ولنبحث عن المفقود، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه)[(١)].

أما الأثر الثاني: للشيخ عبد الله بكير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهو «تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد»، وهي رسالة صغيرة لا زالت مخطوطة، اطلعت عليها بخط ابن المؤلف الشيخ عبد الرحمٰن عبد الله بكير، نسخها من خط والده، وفرغ من نسخها في شهر شعبان عام (١٣٩١هـ)، وقد كان الشيخ عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتبها عام (١٣٤٣هـ)[(٢)]، بدأها بعد المقدمة بتعريف الإيمان ثم التأكيد على الإيمان بالقضاء والقدر، ثم عنون (وجوب الاعتماد على الله وحده) وأورد تحت هذا العنوان الآيات والأحاديث الدالة على ذلك، ثم ثنّى بـ(لا يجوز سؤال غير الله ولا دعاؤه) وأورد كذلك ما في الباب من الآيات والأحاديث واستمر على هذا المنوال يبرز العنوان المناسب ثم يسوق تحته من الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم ويعلق على ذلك بما يناسبه، ومما يؤكد حرقته وغيرته على التوحيد والاتّباع كثرة شكواه من المتزيين بزي أهل العلم الذين يرون المنكر فلا ينكرونه، بل يشارك بعضهم فيه، والبعض الآخر يُري العامة طريق الابتداع ويحثهم عليه.

وكان من عناوين هذه الرسالة غير ما ذكر: (من يتوكل على الله فهو حسبه)[(٣)]، و(الاستعانة لا تكون إلا بالله)[(٤)]، و(دعاء غير الله شرك)[(٥)]، و(ألفاظ شركية تلفظها العامة)[(٦)]، و(اعتقادات شركية تعتقدها العامة)[(٧)]،

---

(١) المصدر السابق (ص٣٢).

(٢) والرسالة عدد أوراقها ١٨ ورقة، وهي لم تطبع إلى وقت كتابة هذه الرسالة، ويحتفظ الشيخ عبد الرحمن ـ بأصل المخطوط. والرسالة لها قبول عند الناس ومتداولة بين طلبة العلم لما للشيخ عبد الله من مكانة في قلوبهم.

(٣) تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد (ص٤).

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق (ص٧).

(٦) المصدر السابق (٨).

(٧) المصدر السابق.

و(يجب التحذير من كل ما يجر إلى الشرك)[١] و(وجوب تصحيح الاعتقاد وتصفية الباطن)[٢]، واستمر متعرضاً للعلماء المفتونين، ثم انتقل إلى البدع وركز على بدعة الحضرات التي تقام في المساجد وغيرها، وما يصاحبها من دعوات شركية مع السماع الصوفي واستخدام الدفوف في المساجد، كما أخذ يكرر العناوين الدالة على كفر وشرك من يدعو غير الله وأن ذلك من الكفر الصريح، كما فرّق بين التوسل والدعاء، وذكر أن التوسل مشروع عند أهل السنَّة والجماعة كما جاء في الأحاديث الصحيحة لكن ينبغي الدخول من بابه)[٣]، وبيّن دعاء غير الله الذي عبّر عنه بأنه إحداث دين لم يكن، ثم عاد ليقرر أن المبتدعين جهلة غير مؤتمنين على الشريعة[٤]، وبعده تعرض لبداية عبادة الأصنام وأنها كانت بسبب الغلو في الصالحين، ثم عنون (البدع في الدين ابتداءً وسيلة من وسائل الشرك انتهاءاً)[٥]، وهكذا يمضي مع البدع ليقول: (نهي الإسلام عن البدع حسم لوسائل الشرك)[٦]، و(جميع بدع القبور منافية للدين)[٧]، ثم ذكر أن الفعل المفضي إلى المفسدة ممنوع، ثم يأتي للقوم من الباب الذي لا يستطيعون سده فيقول: (مع الشيخ ابن حجر في بدع القبور)[٨]، ومن المعلوم أن ابن حجر المكي هو عمدتهم في الفقه، وبعد ذلك يعنون: الصلاة عند القبور والوقف والنذر عليها أو لها)[٩]، ويواصل تحت هذا العنوان النقل عن ابن حجر، ثم يحذر من الحلف بغير الله وأنه من الشرك أو الكفر به، ثم يتعرض لفعل الموالد عند القبور لأنه إذا منعت الصلاة عندها مع أن المصلي لا يقصد إلا الله وحده وإنما يخشى من أن يجره ذلك إلى الشرك والتبرك بذلك القبر، فإن الموالد أولى من ذلك لأنها إنما أقيمت للتبرك بصاحب القبر وتعظيمه[١٠]، ثم يختم بنقد الزيارات القبورية وقد سبق تفصيل

---

(١) المصدر السابق (ص٩).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق (ص١٦).
(٤) المصدر السابق (ص١٨).
(٥) المصدر السابق (ص٢١).
(٦) المصدر السابق (ص٢٢).
(٧) المصدر السابق (ص٢٣).
(٨) المصدر السابق (ص٢٥).
(٩) المصدر السابق (ص٢٩).
(١٠) المصدر السابق (ص٣٢).

رأيه في ذلك عند الكلام على «رفع الخمار عن مثالب المزار»، ويطيل حتى ينهي الرسالة بذلك.

➢ الشيخ محمد بن علي بافضل (ت١٤٠٤هـ):

ويعتبر الشيخ محمد بافضل من علماء حضرموت الذين كانت لهم قدم صدق في الدعوة إلى الله في حضرموت، وبيان التوحيد الذي بعث به النبي ﷺ للناس، والتحذير مما يضاده، وكانت جهوده العملية متمثلة في التأليف والتدريس، ودعوة الناس في مختلف مناطق حضرموت، يقول السيد رجب المدرس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تقديمه لكتابه (دعوة الخلف إلى طريقه السلف) وهو يتكلم عن أعلام الدعوة الذين أشعلوا المشاعل لينيروا الطريق وليوضحوا السبيل ليسترشد الحائر ويهتدي السائر: «ومن هؤلاء العالم الفاضل، والشيخ الوقور، والمربي الأمين، والقدوة الطيبة والمجاهد المكافح الذي صابر وثابر وأفنى شبابه وصحته في سبيل الدعوة، وإبلاغ الحجة، وأداء الأمانة وإيقاظ الغافلين، والأخذ بيد العاملين، والذي نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، ذلكم هو الشيخ «محمد علي بافضل»، بارك الله فيه وأطال عمره ونفع به وجزاه بكل خير، فقد جاهد وناضل في سبيل عقيدته، في كل مكان حل به وأقام فيه، ومن يذهب إلى الصومال يجد مسجداً فخماً سمي باسمه، أقامه وشيد أركانه، وكان إمامه وخطيبه ومدرس العلم والمعرفة لرواده وأحبابه وإخوانه ومعارفه، فهذا درس التفسير، وذاك درس الحديث، وهذا درس الفقه، بل كان يدرس النحو والصرف وهكذا.

وكلٌّ حسب منهج دراسي منظم، ومستويات علمية متباينة، فربّى رجالاً فاهمين عالمين عاملين، جمعوا بين طلب الدنيا والدين، والشباب والشيوخ من حوله ملتفون، كان لهم العالم والمرشد والأخ والصديق والأب والرفيق، يلتفون حوله ويستجيبون لنصحه، ويعملون بتويجهاته ويستشيرونه في أخص أمورهم...»[1]، فهذه لمحة عن حياة الشيخ وجهده في المهجر.

---

(١) دعوة الخلف إلى طريقة السلف: التقديم (ص ج ـ د).

وأما جهوده في بلاد حضرموت ودعوته إلى الكتاب والسنَّة فقد ألّف كتابه المشهور دعوة الخلف إلى طريقة السلف.

دعا فيه الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ إلى العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم في جميع الأمور من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات وسائر شؤون الحياة[(١)]، ولقد لخص موضوع الكتاب المؤرخ الشهير سعيد عوض باوزير في المقدمة التي قدم بها للكتاب فقال: «آمنت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً» هذا هو موضوع الكتاب الذي جمعه المؤلف من أوثق المصادر.

دعوة إلى التوحيد الخالص دون إشراك، وإيمان برسالة خاتم الأنبياء دون انحراف، وتمسك بتعاليم مستقاة من أصولها الصحيحة دون ابتداع، في ميدان الاعتقاد يدعو الكتاب إلى إصلاح كل ما أفسدت البدع والأباطيل من جوهر العقيدة، وفي ميدان السلوك والعبادة يدعو إلى رفض كل زيادة ليست في كتاب الله الكريم ولا في سنَّة رسوله المطهرة»[(٢)].

وبعد كلام عام عن أزمة المسلمين وأنه لا حلَّ لهم إلا بالرجوع الحق إلى الإسلام قال المقدم: «ربما تثير بعض النقاط التي عالجها الكتاب حساسيات بعض الناس، أو تصطدم بوجهات نظر خاصة بهم، ولكنني واثق بأن المؤلف لم يكتب ما كتب عن هوى أو غرض وإنما كان يصدر عن عقيدة امتزجت بروحه وقلبه، يدافع بها عن دين الله الحق، طالما تحدث بها لسانه، قبل أن يتناولها قلمه، فالمؤلف من خطباء الحضارمة الموهوبين وأساتذتهم المستنيرين، تعرفه المنابر والحفلات، كما تعرفه فصول الدراسة، وقاعات المحاضرات»[(٣)] والكتاب قد جعله المؤلف على طريقة السؤال والجواب:

وقد شمل هذا الكتاب توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وما يضاد ذلك من الإلحاد والشرك، وقد ركز على توحيد الربوبية بعض الشيء لوجود التشكيك فيه في تلك الفترة، فترة انتشار الإلحاد في العالم

(١) انظر: القبورية في اليمن (ص٧٣٧). (٢) دعوة الخلف، المقدمة (ص٥ ـ ٦).
(٣) المصدر السابق (ص٥ ـ ٦).

كله، وعندنا في حضرموت بسبب النظام الشيوعي الذي كان جاثماً على صدر البلاد وأهلها، ثم تكلم على السنَّة وما يتعلق بها وما يضادها من البدع، كما عرج على الفكر الصوفي الحضرمي ونقد بعض خرافاته، وأبان بعض ما يحتوي عليه من الشعوذة والدجل، وخصص بعض البدع التي تتفرد بها حضرموت مثل «صلاة الخمسة فروض» التي تؤدى آخر جمعة من رمضان، حيث يصلون الفرائض الخمسة الفجر ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء في آن واحد؛ وذلك بنية قضاء ما فات أثناء السنة الماضية.

وأول من أحدثها في حضرموت «أبو بكر بن سالم العلوي صاحب عينات» ـ كما تقدم ـ ولذلك فإن أكثر من يتعصب لها هم المنسوبون إليه، ولا تزال مستمرة إلى اليوم بشكل رسمي وبطقوس واعتقادات، خاصة في بلده عينات إلى اليوم، كما تعرّض لبعض الأمور التي دعا الواقع إلى طرقها؛ كمسألة المرأة في الإسلام، وتعدد الزوجات، وموضوع الإسلام والرق، هذا مجمل ما اشتمل عليه ذلك الكتاب فهو مهم جداً ومفيد للغاية فرحم الله مؤلفه وأجزل له الثواب.

> **الشيخ عبد الله بن سعيد بادغيش الحضرمي**[١]:

يعتبر الشيخ عبد الله بادغيش من أهل العلم الذين كانت لهم جهود مشكورة في الرد على الصوفية في حضرموت وقد رد على صوفية حضرموت في شركهم باتخاذ الوسائط، وأنه لا يتوسل إلى الله تعالى بذات إنسان أو جاهه إذا أصبح في عالم الموتى، وبين أنواع التوسل المشروع وأن منه التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح كما في قصة أصحاب الغار الثلاثة، كما أبان لهم أن التوكل لا يكون إلا على الله تعالى وحده لأن القدرة المطلقة صفة من صفات الله وحده، وردّ على

---

(١) من أهل العلم المعاصرين، ومن التجار الحضارمة في هذا الزمان، يقيم في المنطقة الشرقية (الخبر) من المملكة العربية السعودية، وقد بلغ سن الشيخوخة، له جهود مشكورة في الإنكار على صوفية حضرموت برسائل كثيرة منها (الإسلام بين عقيدة السلف ودعاوى المناوئين) و(أدعياء الحق ـ رد على كتيب يهذي) وهو عبارة عن رد على مصطفى بن عبد الرحمن العيدروس في كتابه المسمى (السلفية المعاصرة أصولها وأساليبها ـ جواب أهل الإيمان على بادغيش والسمان) والسمان شيخه الذي يقدم له أغلب كتبه.

أفعالهم المنحرفة في المساجد وجعل الأضرحة فيها، وكذا رفع الصوت بالأذكار المبتدعة، كما بيّن ضلالهم في شد الرحال لغير المساجد الثلاثة[1].

وتعرّض الشيخ بادغيش في كتابه (الإسلام بين عقيدة السلف ودعاوى المناوئين) لبعض مؤلفات صوفية حضرموت التي تقرر الباطل، يقول ـ وفقه الله ـ: «للسيد حامد المحضار[2] رسالة تحت عنوان (الاحتفال بذكر النعم واجب) وقد حز في نفسي أن الذي قام بطبع الرسالة ونشرها هو الشيخ محمد نجيب المطيعي، المتخصص في علوم الحديث، والذي يحسن الظن به كثير من الشباب المسلم، وقد زاد من حزني حين علمت أن المصاهرة بينه وبين المؤلف كانت وراء موقف الشيخ المطيعي...»[3].

وقد تعرّض المؤلف لبعض كتب صوفية حضرموت الخرافية التي سممت عقول كثير من الناس بتقرير دعوى المناقب والكرامات ونحو ذلك، وكذا تقرير الشرك والبدع باسم تعظيم الأولياء، ومحبة النبي ﷺ وأهل بيته ونحو ذلك من العبارات الزائفة التي تقود متبعها إلى الهاوية، يقول الشيخ بادغيش ناصحاً للعلويين بترك تلك الخرافات، مدللاً لكلامه بذكر أمثلة لبعض ما اشتمله كتابان من كتب القوم يقول رحمه الله: «لم يكن هدفي في هذا الكتيب هتك أستار هذه الصوفية؛ لأن مشايخي وأساتذتي سبقوني إلى ذلك، كذلك لم يكن هدفي التحرش بالعلويين بصفة عامة؛ لأن فيهم رشداء ولي منهم أخوة وأصدقاء.

---

(١) انظر: الإسلام بين عقيدة السلف ودعاوى المناوئين (ص٢٩ ـ ٣٠).

(٢) هو حامد بن أبي بكر المحضار، ولد سنة ١٣٢٣هـ، طلب العلم على مشايخ حضرموت ثم توجه للدراسة في الأزهر لمواصلة الدراسة سنة ١٣٤٧هـ، وكان في القاهرة عضوا في جمعية الدفاع عن السادة العلويين. تولى الوزارة في الدولة القعيطية. من مؤلفاته: القول القيم فيما أورده ابن تيمية وابن القيم (عن فضل أهل البيت)؛ والمعتزون بالإثم، والاحتفال بذكر النعم واجب، والذكرى النافعة في كلمة جامعة. توفي بمكة الكرمة. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (ص٢٨٥ ـ ٢٨٦)؛ وجني القطاف (ص٤١٥ ـ ٤١٦).

(٣) الإسلام بين عقيدة السلف ودعاوى المناوئين (ص٤٧). وقد نقل الشيخ بادغيش رد الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود في كتابه (كلمة الحق في الاحتفال بمولد سيد الخلق) حيث جاء فيه: «فقوله ـ أي المؤلف (إن الاحتفال بالنعم واجب) هو بدع من القول وزور، وليس له سند مأثور، ولم يقل به عالم مشهور...».

وإنما هدفي أن يدرك القارىء أن ادعاءات الغلاة منهم باطلة، وإن نسبتهم إلى الإمام علي أو نسبة غيرهم إلى فاطمة الزهراء، أو إلى العباس بن عبد المطلب لا يغني عنهم شيئاً.

ففي حديث مسلم عن أبي هريرة: يا بني هاشم انقذوا أنفسكم من النار: يا بني عبد المطلب: انقذوا أنفسكم من النار: يا فاطمة انقذي نفسك من النار: فإني لا أملك لكم من الله شيئاً[١].

وفي حديث مسلم عن عمرو بن العاص: «إنما وليي الله وصالح المؤمنين»[٢].

لذلك اكتفيت بعرض نماذج من كتابين، ليرى القارئ كم جنوا على عقيدة السلف:

المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي.

تذكير الناس بما وجد من المسائل الفقهية، وما تعلق بها من مجموع كلام سيدنا الإمام أحمد بن حسن العطاس»[٣].

كما تعرّض لضلال علي حسين بن محمد بن جعفر العطاس مؤلف كتاب (تاج الأعراس في مناقب العطاس) الذي شحنه مؤلفه بالخرافات والشركيات والبدع والمهازل وغيرها، يقول عنه الشيخ بادغيش: «المؤلف من مواليد بتافيا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم...»: كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، (ص١١٣) برقم (٢٠٤).

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب تبلُّ الرحم ببلالها، (ص١١٦١) برقم (٥٩٩٠)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم، (ص١١٥) برقم (٢١٥).

(٣) الإسلام بين عقيدة السلف ودعاوى المناوئين (ص٦٦). ونقل المؤلف بعض عبارات وحكايات هذين الكتابين (ص٦٦ ـ ٧٥). وقال في كتابه (أدعياء الحق) (ص٥٤) بعد نقل بعض خرافات الصوفية في حضرموت ومنها: زعمهم أن سعيد بن عيسى العمودي عندما كان يطوف بالبيت وهو جائع خر مغشياً عليه على الصحن فأخذت الكعبة تدور به، هي والحرم ومن بها من العمار إلى أن أفاق: «والعجب كل العجب من سذاجة هؤلاء المتصوفة وغبائهم، إذ يظنون إن مثل هذه الحكايات يمكن أن تروج على العامة البسطاء؛ إذ لو كان ذلك قد حدث، لطارت أخباره شرقا وغربا، ولكانت معجزة كونية عظيمة».

سابقاً حكومة جاكرتا حالياً وتوفي بها رَحِمَهُ اللَّهُ، عاش عمره كله بها ومات وهو موالي لحزبي بنشاسيلا وقل كار العلمانيين الكافرين، وانظر كيف يكذب ويستهتر حتى أنه ليكتب في تاجه الإفلاس والإغلاس الذي هو عبارة عن ألف ليلة وليلة. ففي المجلد الثاني (ص٢٨٠) كتب: أن أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التي طهرها الله تطهيراً مع أم المؤمنين في سورة النور، كذبا[1] أن أم المؤمنين تذهب كل ليلة جمعة إلى قرية عمد تصب القهوة لعمه صالح بن عبد الله العطاس»[2].

وردّ على الصوفي مصطفى العطاس بكلام تحت عنوان (المتعالم يثأر لسادته) وبيّن جور هذا الرجل في دفاعه عن كبار المتصوفة كصاحب كتاب تذكير الناس ونقل بعض حكايته ورد عليها ومنها:

واحد من المكلا رأى الحبيب العطاس في المسجد النبوي يستقبل شباك الضريح فسأل أحد مريديه: كيف يصلي الحبيب متوجهاً إلى النبي لا إلى القبلة؟، فأجاب: إن قبلة الحبيب هي الحبيب ﷺ، ثم لما سلم الحبيب من الصلاة بادر السائل مع المريد وقبلا يده[3]. وهذا من أقبح الضلال والخذلان، وهو من علامات الكفر[4]؛ لأن المسلمين لا يجحد واحد منهم أن الكعبة هي قبلته في الصلاة كما قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤]»[5].

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) أدعياء الحق (ص٢٠ ـ ٢١). ونقل الشيخ من هذا الكتاب بعض الحكايات الخرافية التي أوردها صاحب كتاب تاج الأعراس منها: حضور كل الأولياء الصالحين ـ ومنهم من توفي قبل ألف سنة ـ جنازة صالح بن عبد الله العطاس التي تولى الملائكة دفنها، وفي مقدمتهم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ. انظر بعض تلك الحكايات: أدعياء الحق (ص٢٠ ـ ٢١).

(٣) تذكير الناس (ص٣٤ ـ ٣٥).

(٤) بل ذلك كفر مستقل لإنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة وهو استقبال القبلة في الصلاة. مع التنبيه أن التكفير لا يكون إلا بوجود الشروط وانتفاء الموانع في المعين كما بينه أهل العلم.

(٥) أدعياء الحق (ص٣٤ ـ ٣٥). وقد ذكر قصة حبس أحدهم الشمس ومنعها من الغروب ليصلي العصر فعلق الشيخ بادغيش على ذلك قائلا: «أقول: وليس هذا مستغرباً على أهل التصوف الذين يرون أن الولي بيده مفاتيح التصرف في الكون وبيده خزائنه، فهو يتصرف في الكون =

المطلب الثاني

جهود أهل العلم من غير الحضارمة في محاربة الصوفية

كما كان لأهل العلم في بلاد حضرموت جهود فاعلة في محاربة التصوف والسعي في القضاء على آثاره السلبية، فقد وجد هناك علماء آخرون من غير حضرموت كانت لهم قدم صدق في مشاركة دعاة التوحيد في نصرة هذا الدين، ومحاربة هذه الطائفة بوسائل مختلفة.

ومن أولئك العلماء من أهل اليمن والذين كانت لهم جهود في ذلك:

> **العلامة صالح بن مهدي المقبلي (ت١١٠٨هـ):**

فقد انتقد الصوفية وبين أثرهم السيء على بعض البلدان ومن ذلك ما رآه في مكة من زيارة قبر العيدروس وإقامة الأعياد عنده وما تحتويه من منكرات بينها في كتابه العلم الشامخ(١).

وبعد نقده لشركيات وبدع صوفية حضرموت بمكة، شنع على المتصوفة وبين أن منهجهم باطل وليس من دين الله في شيء فقال رحمه الله: «فالتصوف ليس من مسمى الدين؛ لأن الدين كمل قبله، أعني دين الإسلام، ولا هو من النعمة لأنها تمت قبله، وليس التصوف داخلاً في مسمى الإسلام؛ لأن الإسلام تم قبله ـ وهم معترفون بالغيرية ـ فحينئذ هو بدعة وكل بدعة ضلالة، ولم يجئ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن كل ما جاء به النبي ﷺ داخل تحت مسمى الشريعة»(٢).

> **العلّامة أحمد بن محمد بن عوض العبّادي رحمه الله:**

لم أجد له ترجمة وافية ما عدا النبذة اليسيرة التي قدّم بها العلامة

= كما يشاء، وهو بهذا يستحق العبادة ولا ريب عندهم» المصدر السابق (ص٣٧). وانظر سوق المؤلف لاثنتي عشر حكاية لصوفية حضرموت دونوها في مؤلفاتهم وتعليقه عليها وبيان باطلها: المصدر السابق (ص٣٥ ـ ٤٤).

(١) العلم الشامخ، للمقبلي (ص٤٦٩).

(٢) المصدر السابق (ص٤٧٠).

البيحاني لمنظومته: «هداية المريد» أسأل الله أن يكتبه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً[(١)].

ومن الآثار المكتوبة للشيخ العبّادي منظومته «هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد»، حيث علق عليها تلميذه الشيخ محمد بن سالم البيحاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذه المنظومة وصفها بأنها: منظومة متوسطة في العقيدة والدعوة إلى التوحيد والاتباع، والتحذير من الشرك والابتداع، والرد على المخرفين والدجاجلة[(٢)].

وقد افتتحها بمقدمة أبان فيها منهجه وغرضه منها، فهي في اعتقاد السلف ونصيحة لإخوانه في الله، يحذرهم فيها من البدع والمحدثات[(٣)]، ثم عرّف العلم وحث عليه لا سيما علم التوحيد، فهو المقدم على كل العلوم، ثم معرفة حقيقة الإيمان بما يجب الإيمان به، ثم معرفة الفروع، وحذر من الجهل بالتوحيد ومن الجهل عموماً[(٤)]، ثم ابتدأ في شرح العقيدة عموماً، وبدأ بتوحيد الأسماء والصفات، ثم انتقل إلى شروط التوحيد، ثم حذر من الاعتقادات الباطلة، وركز على قول من قال: «لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه»[(٥)]، وحذر من هذا القول، وبيّن أن الأصنام إنما عبدت بهذا الاعتقاد، ثم استمر في شرح مراده حتى وصل إلى نقطة مهمة في مسيره، وهي التحذير من الشرك، وبيّن قبحه وسوء عقابه في الدنيا والآخرة، وعدّد هنا بعض المكفرات، ثم وقف مع بعض ما يفعله القبورية عند القبور من أنواع العبادات؛ كالاستغاثة وحلق الرأس، والطواف والاعتكاف عند القبور[(٦)]، ثم حذر من تكفير المسلم بغير بينة[(٧)].

ثم انتقل إلى الدعوة إلى السنّة والتحذير من البدعة، وأطال في هذا الفصل، وتعرض لرد بعض الشبهات التي يوردها المبتدعة؛ لإثبات بدعهم، مثل: جمع الناس على صلاة التراويح في زمن عمر، والأذان الثالث للجمعة

---

(١) انظر: القبورية في اليمن (٩٢ وما بعدها).
(٢) هداية المريد (ص٥).
(٣) المصدر السابق (ص٦ ـ ٧).
(٤) المصدر السابق (ص٧ ـ ٨).
(٥) وهو حديث لا يصح. انظر ما تقدم: (ص٥١١) من هذا البحث.
(٦) المصدر السابق (ص٢٣ ـ ٢٥).
(٧) المصدر السابق (ص٢٣ ـ ٢٥).

في زمن عثمان، وأبان أن ذلك قد أقره الصحابة؛ وبذلك يصير سنَّة بإجماعهم، وأن الرسول ﷺ قد صلّاها جماعة في حياته فلا حجة للمبتدعة[١].

ثم تعرض للحقيقة والشريعة، وأبان أن الحقيقة هي ما جاء بها الكتاب والسنَّة لا ما جاء بها الصوفية المبتدعة، ثم انثنى عليهم في السماع الصوفي المبتدع والأوراد والأذكار البدعية، وفنّد ذلك، وسخِر منهم في رقصهم ووجْدهم؛ لأنهم إنما يفعلون ذلك عندما يذكر التشبيب والتغزل وتشبيه المرأة بغصن البان[٢]، ثم يزعمون أن ذلك من محبة الله، ثم أرشد إلى الذكر المشروع الذي جاء به كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ[٣]، ثم نهى عن الغلو المذموم[٤]، وبعده حذر من التكييف والتشبيه في صفات الله تعالى، ثم تعرض لحكم البناء على القبور، وحذر من ذلك، وبيّن زيارة القبور الشرعية، وحثّ عليها وبين الزيارة البدعية، وحذر منها وما يترتب عليها من الغلو في أرباب القبور وما يحدث في تلك الزيارات من مفاسد عقدية وأخلاقية، وخلص إلى مشايخ الطرق وما يكيدون به الناس من الحيل والمكايد لأجل ابتزازهم وأخذ ما في أيديهم والضحك على عقولهم[٥].

وانتهى ببيان التصوف المحمود، ويعني به الزهد والورع وتخليص القلب من أمراضه يكون مبنياً على العلم النافع جالباً للعمل الصالح، وعدّد الأعمال الصالحات والآداب الحسنة التي يتحلى بها سالك هذا السبيل، وما ينبغي له من مداومة ذكر الله تعالى على الصفة الشرعية لا البدعية[٦].

هذه هي منظومة العلامة العبّادي، وقد علق عليها العلامة البيحاني رحمه الله

---

(١) المصدر السابق (ص٢٦ ـ ٣١).

(٢) الباني كما في القاموس المحيط (ص١١٨٢) «شجر». يوجد بكثرة في اليمن، ويشبه الشعراء النساء به لطوله وجمال أغصانه، والله المستعان.

(٣) هداية المريد (ص٣٢ ـ ٣٦).

(٤) المصدر السابق (ص٤٠ ـ ٤٤).

(٥) المصدر السابق (ص٤٧ ـ ٥٦).

(٦) المصدر السابق (ص٥٦) إلى آخر المنظومة.

تعليقات مهمة نافعة، وقد طبعت مرتين، آخرها طبعة سنة (١٣٨٩هـ) مع نفس التعليقات التي وضعت على الطبعة الأولى.

ومع ما تقدم فإن لهذا العلامة جهود مباركة تمثلت في الخطب والمحاضرات وقيامه بالزيارات الكثيرة في عدن وما حولها، والمناظرات التي أقام بها الحجة على كثير من الطرقية في عدن، ولا زالت أخباره يتداولها الناس ويثنون على صاحبها لدعوته إلى التوحيد والتمسك بالكتاب والسنَّة مع التحذير من الشرك والبدع.

< العلامة محمد بن سالم بن حسين الكدادي المشهور بالبيحاني:

يعتبر الشيخ البيحاني من كبار دعاة اليمن إلى الكتاب والسنَّة ومحاربة الجهل والشرك والبدعة والخرافة في وقته، وقد دون هذه الجهود المشكورة في كتبه، فقد تعرض في كتابه (إصلاح المجتمع) في أكثر من مناسبة إلى ما كان شائعاً من البدع والشركيات، ودعا إلى التخلص منها[1].

وقد أنكر الشيخ البيحاني رحمه الله على الصوفية ودعا إلى التوحيد الذي أمر الله به، يقول رحمه الله مخاطباً الصوفية: «نعم، إنكم تنقمون عليّ إيماني بالله العزيز الحميد. الذي له ملك السمٰوات والأرض والله على كل شيء شهيد. وإنني أدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإنه الذي لا يعبد إلا إياه، ولا يستغاث ولا يستعان بأحد سواه، لا أرجو ولا أخاف إلا الله ولا أرغب ولا أرهب إلا في رحمته ومن عذابه، وأنكر الأعمال الجاهلية وبقايا الشرك من التمسح بالقبور والسجود على أعتابها، والتوسل والنداء والاستغاثة بأصحابها؛ لا آمن بقبة ولا اعتقد بتابوت، ولا أتمسح بالخرق، ولا أكل التراب ولا أصلي إلى جهة القبر، لما ورد في ذلك من النهي الشديد الذي تعرفونه من كتب الحديث وحين تقرأونه في الصحيحين وتقولون هذا مذهب (الوهابية) ولا يعتقده إلا أهل نجد ومن على شاكلتهم وتأخذونه في سب

(١) انظر: إصلاح المجتمع (ص٢٨، ٥٠، ٦٩، ٣٥٣، ٤٩٧، ٥٧٧، ٦٢٨، ٦٧٨)، ط العاصمة.

الجميع والحط من كرامة المصلحين وقادة الفكر الإسلامي مثل: ابن تيمية وابن القيم وأبي الفرج والشوكاني والأمير الصنعاني.... إلخ»[١].

كما أنكر الشيخ البيحاني على آثار الصوفية السيئة من الشعوذة، واستعمال الحروز والتمائم ونحوها من الأمور الممنوعة، وأنكر الزيارات البدعية والشركية والمنكرات الأخرى التي تصاحب هذه الزيارات من الزنا واللواط، واختلاط الرجال بالنساء، وشرب الخمر ولعب القمار، وقال إلي إذا أنكرت عليكم تلك الأمور: «قام خطيبكم يذكر كرامات الأولياء وأن أحدهم يصل من المشرق إلى المغرب بخطوة واحدة، ويقرأ ما في اللوح المحفوظ، ويجمع البحر في إبريق ويشفع إلى ربه في العصاة والمجرمين أيام تلك المناسبات وسبحان الذي يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وتضربون صفحاً عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥]. أما نحن إذا دعوناكم فلا تستجيبون لنا، ولا تدخلون مساجدنا ولا تصلون بعدنا بحجة أننا (وهابيون) وأن الصلاة خلفنا مكروهة أو محرمة... إلخ»[٢].

وله بعض الرسائل في مناصحة القبائل التي تأثرت بالتصوف، ومن تلك الرسائل: رسالة بعنوان (نصيحة البيحاني إلى جميع أهالي يافع) وقد جاء فيها: «وفعل الطاعة وترك المعصية من أفضل القربات وأعظم الوسائل إلى الله في بلوغ المقصود وإدراك المراد منه تعالى. والسيد والشيخ والقبر والتابوت والقبة والذبح لغير الله لا ينفع شيئاً ولا يفيد شيئاً، والإنسان الذي يدعو ربه وينذر للشيخ عبد القادر الجيلاني أو للشيخ أبي بكر بن سالم[٣] بعقيرة أو ذبيحة أو كيلة من بُنٍّ إذا قتل فلان بن فلان، أو نهب ماله لا يستجاب دعاؤه ولا يقبل نذره وعمله مردود عليه، وإنما يتقبل الله من المتقين ومن كان يرجو لقاء ربه

---

(١) زوبعة في قارورة (ص٦). (٢) زوبعة في قارورة (ص٧).

(٣) خاطب الشيخ البيحاني أهل يافع بذلك لفرط اعتقادهم بأبي بكر بن سالم العلوي ـ مولى عينات ـ فقد كانوا ينذرون له من محاصيلهم ويدعونه عند الشدائد، قال ذلك الشيخ عبد الله الناخبي في شريط مسجل بعنوان (جلسة مع الشيخ عبد الله الناخبي).

فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً»[١].

ثم بيّن خطر السحر والشعوذة والانحراف في مفهوم الكرامة والأولياء، وحذر من الشركيات باسم الكرامة، وكذا حذر من بعض المنكرات التي يقع فيها كثير من الناس بسبب الجهل[٢].

كما تتضح غيرته على التوحيد ومحاربة الصوفية وآثارها السيئة في تعليقاته على منظومة شيخه أحمد العبّادي، المسماة: «هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد» وظهر تشنيعه على الأعمال الشركية والبدعية التي نشرتها الصوفية في الجهات الجنوبية من اليمن، ونعى تلك المنكرات على أربابها، وطالب بإزالتها، بل صرَّح أنه قام بمحاولة لدى حكومة عدن؛ لإزالة ما يحدث من الشرور في الزيارات التي يقوم بها المتصوفة في عدن مثل: «زيارة العيدروس والهاشمي» وغيرها، وكادت أن تنجح تلك المساعي، لولا اعتراض بعض الجهال وسدنة القبور[٣].

ورد رَحِمَهُ اللهُ على بدع الصوفية الشركية، وكذا اتهامهم لأتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية بأنهم خوارج فقال: «وليلة البدرية لا تذكرون فضل أهل بدر ولا كيف نصر الله بهم الإسلام وفتح الله على أيديهم البلاد وكيف عاشوا صابرين على شظف العيش والآم الجهاد، مع قلة ذات أيديهم وإنما هو التوسل والاستغاثة ونداء الأموات وعند حديث القلب تقلبون الأوضاع وتستدلون بما هو حجة عليكم ثم لا تسمحون بالنقاش، ولا تقبلون المراجعة وليلة الختم تشتغلون بحديث الخوارج وتطبقونه على دعاة التوحيد وأنصار السنَّة، وليت شعري من هم المحلقون؟ ومن هم الذين يقرأون القرآن ولا يحسنون لفظه ولا يتبعون معانيه؟ ومن هم المتأكلون به؟ ومن هو قرن الشيطان؟ الذي تستظلون به ودائماً تعيشون تحته، وما هي الفتنة التي جاءت من شرق

---

(١) نصيحة البيحاني إلى جميع أهالي يافع (ص١٢).

(٢) المصدر السابق (ص١٢ ـ ١٤).

(٣) هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد بتعليق الشيخ البيحاني (ص٥٠).

المدينة؟ هل هي محمد بن عبد الوهاب داعية الخير والتوحيد[١] أم مسيلمة الكذاب؟ أم طاهر الجنابي أم بابك الخرمي أم جنكيز خان أم هولاكو أم تيمورلنك أم ستالين في روسيا؟ وأمثال هؤلاء نبؤني بعلم إن كنتم تعلمون»[٢].

كما حارب البدع العملية مثل السماع الصوفي وبدع الأذكار، وفنّد الكرامات الزائفة التي يروجها الصوفية، ويلبسون بها على الناس، فقال: «يزعم بعض أهل حضرموت: «أن دابة الفقيه المقدم كانت تعرفُ طرق السماء، وأن زوجته سئلت عن حالها، فقالت: لسنا بخير بعد الفقيه، وقد كانت أخبار السماء في حياته تأتينا صباح ومساء»، وفي «المشرع الروي» من هذه الخرافات ما لا يحصى كثرة، فليته لم يبرز إلى حيز الوجود، أو ليتها أكلته دابة الأرض التي أكلت عصا سليمان بن داود، والويل لمن كذّب بشيء من هذه الكرامات المكذوبة، فإنه يعد في نظر القوم كافراً ملحداً زنديقاً، وكان التصديق بها أعظم شأناً من التصديق بالمعجزات، فنسأل الله حماية الإسلام وصيانته من هذه الخزعبلات والخرافات»[٣].

كما تكلم الشيخ البيحاني على ما يدعون بالأولياء كابن علوان

---

(١) وهذه شهادة من هذا العالم الذي كانت بداية دراسته في رباط تريم واستفاد منه في الفقه وعلوم اللغة ونحوها، لكن لم يتابعهم على الباطل الذي عندهم، بل دعا إلى التوحيد، ودافع عن دعاته ومنهم: شيخ الإسلام من محمد بن عبد الوهاب الذي تتهمه صوفية حضرموت بما هو منه براء، لا لشيء إلا أنه خالف منهجهم وعقيدتهم المنحرفة، فماذا يقولون عن شهادة الشيخ البيحاني أن الشيخ محمداً داعية الخير والتوحيد، لا سيما وقد وصف المشهورُ ـ مفكرهم الإسلامي في هذا العصر ـ البيحانيَّ بـ: «الشيخ العلامة» قبسات النور، للمشهور (ص٢٣٢).

(٢) زوبعة في قارورة (ص٨). انظر: استنكار الشيخ البيحاني على بدعهم في الذكر، وكذا سعيه لهدم القبور المبنية التي يعظمها المتصوفة، ورده على شركياتهم في الزيارات من دعاء واستغاثة وطلب الشفاعة من المخلوق: المصدر السابق. (ص١٠، ١٢، ١٧، ١٨).

(٣) التعليق على هداية المريد (ص٣٥). وقد ذكر الشيخ صالح بن هلابي في كتابه (دخول الإسلام إلى حضرموت) (ص١١٥): أن هناك مخطوطا اسمه (المنهج السوي في الرد على المشرع الغوي) في ثلاثة مجلدات كبار، لأحد علماء القرن الحادي عشر ببلاد (إب) من اليمن، رد فيه على كتاب المشرع الروي ـ من أكبر الكتب الخرافية لدى صوفية حضرموت.

والعيدروس ودعا إلى إزالة المنكرات التي تقع عندها من رفع القبور والزيارات الشركية والبدعية[١].

وقد لاقى في سبيل دعوته تلك كثيراً من المحن والمصاعب، فصبر رحمه الله واحتسب، وكانت دعوته إلى التوحيد مفتاحاً من مفاتيح النهضة المباركة في جنوب اليمن آنذاك، وبعد الاستقلال وخروج الإنجليز من اليمن الجنوبي، وتمكُّن الاشتراكيين من الحكم، لم يلق الشيخ في عدن اهتماماً، بل تعرض للمضايقات والأذى والتهديد ما لا يطاق، فهرب إلى ما كان يعرف بالشطر الشمالي من اليمن، فاستقر في مدينة تعز معززاً مكرماً من الدولة والشعب، وأكرموه غاية الإكرام، وعُرف له حقه، وفي عام (١٣٩٢هـ) حج حجته الأخيرة، ثم عاد إلى تعز وبعد عودته بيوم واحد وافته المنية في مدينة تعز، رحمه الله وغفر له، وكانت وفاته في (١٠/ ١٢/ ١٩٧٢م)[٢].

المطلب الثالث

جهود أهل العلم في اليمن في القرن الخامس عشر في محاربة التصوف

بفضل الله وتوفيقه فقد ظهر في هذا القرن رجال من أهل العلم في مناطق مختلفة من اليمن بذلوا جهوداً مشكورة في نشر العقيدة الصحيحة ومحاربة ما يضادها، وكذا نشر العلم الشرعي، والعناية بدراسة حديث رسول الله ﷺ والتحذير من البدع.

وأشهرهم في هذا القرن فضيلة العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي[٣] رحمه الله القائم على دار الحديث في قرية دماج محافظة صعدة، وقد

(١) تعليق الشيخ البيحاني على هداية المريد (ص٤٩ ـ ٥١).

(٢) انظر ترجمته: في أنباء الزمان فيمن رحل من علماء بيحان خلال قرنين من الزمان (ص٨١ ـ ٩٢) تأليف: عبد الله عبد القادر العليمي باوزير.

(٣) هو العلامة مقبل بن هادي الوادعي ـ محدث الديار اليمنية ـ يرجع نسبه إلى قبيلة آل راشد الهمدانية، ولد سنة ١٣٥٢هـ، ونشأ في مجتمع شيعي في قرية دماج من أعمال محافظة صعدة =

رحل إليه مئات الطلاب من مختلف بلاد اليمن، وخارجها فخرج على يديه مشايخ وطلاب علم فضلاء نفع الله بدعوتهم، ومن أولئك الذي كانت لهم جهود في محاربة الآثار السلبية لصوفية حضرموت منهم:

ـ فضيلة الشيخ: محمد بن عبد الله الإمام[1] والشيخ يحيى بن علي

= درس في معهد الحرم المكي ثم بعد تخرجه منه التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وحصل على شهادة (الماجستير في الحديث) ثم عاد إلى بلاد اليمن وبدأ يعلم المسلمين دينهم فأنشأ دار الحديث بدماج فرحل إليه طلبة العلم من داخل اليمن وخارجها.

توفي ليلة الأحد نهاية شهر ربيع الثاني سنة ١٤٢٢هـ، بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، وصلي عليه صبيحة يوم الأحد في المسجد الحرام بمكة، ودفن في مقبرة المعلاة بمكة.

وله مؤلفات كثيرة منها: الصحيح المسند من أسباب النزول.

ـ الطليعة في الرد على غلاة الشيعة.

ـ كتاب الشفاعة.

ـ الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين.

ـ الجامع الصحيح في القدر.

ـ انظر في ترجمة الشيخ لنفسه كتابه: ترجمة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي (ص١٦ ـ ٦٠). والإبهاج بترجمة العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي ودار الحديث بدماج، تأليف: حميد بن قائد العتمي (ص١١ ـ ٦٠)، والإمام الألمعي مقبل بن هادي الوادعي، سيرته الذاتية والدعوية، تأليف: أحمد بن محمد بن منصور العديني (ص٢٠، ٢٣ ـ ٣٦، ١٩٨، ٢٠١).

(١) للشيخ محمد الإمام بعض الكتب والأشرطة التي ساهمت في محاربة التصوف في حضرموت منها: كتيب بعنوان (إخبار الوفود بزيارة قبر نبي الله هود) وقد جاء في آخره بيان الشركيات والبدع التي يفعلها المتصوفة عند القبر المزعوم لهود ﷺ، ورد شبههم في ذلك قال في آخر الكتاب (ص٥٠): «وأخيراً نقول: والله ثم والله ثم والله إن الحق أحب إلينا من الدنيا وما فيها؛ بل أحب إلينا من أنفسنا، فحذار حذار أن تغلب عليك الأطماع الدنيوية فترضخ لأباطيل القوم، ومن عرف الحق وخاصة من كان في صفوف الصوفية فليتق الله في نفسه، وليتبع الحق ولا يبع دينه بعرض من الدنيا، فالمسألة دين وجنة ونار». وله كتاب (تحذير المسلمين من الغلو في قبور الصالحين) وقد ذكر الشيخ محمد في كتابه هذا (ص١٥٧ ـ ١٥٨) عددا من القبور التي تنتشر فيها الشركيات بحضرموت تحت عنوان (الأماكن التي تكثر عندها الشركيات بحضرموت)؛ وذكر بعض الحكايات الخرافية، وحذر من بعض الكتب الخرافية عند صوفية حضرموت. انظر: المصدر السابق (ص١٩٦). وأما الأشرطة المسجلة له في التحذير من التصوف وما يحمله من الشركيات والبدع فكثيرة منها (أسئلة حول المولد والحضرة والسبحة)؛ و(الشركيات وعقائد الصوفية)؛ و(رحلة الإمام إلى حضرموت)؛ =

الحجوري[1] وغيرهما من المشايخ الفضلاء.

كما أثرت دعوة الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ على المناطق الجنوبية لليمن، وعلى وجه الخصوص حضرموت، فقد وجد بعض طلبة العلم في تريم وسيئون ومناطق الساحل يقومون بالدعوة السلفية، بالتدريس وإلقاء المحاضرات والخطب المشتملة على التحذير من الشرك والبدع، وقيامهم الزيارات الدعوية للقرى وبعض البوادي.

كما يقوم بعض الأخوة بنشر الكتب والأشرطة التي تشتمل على العقيدة الصحيحة والمنهج السلفي. بين صفوف أهل حضرموت وغيرهم.

وللشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ أشرطة كثيرة ما بين محاضرات وردود ونصائح وغير ذلك وقد فرغ بعضها وطبع في كتب، وبعضها لا تزال بدون طبع حذّر في بعضها من كبار صوفية حضرموت.

= و(الصوفية وكذبها على الأولياء) و(بدع وشركيات في شعبان) وخطبة ألقاها صوفية حضرموت في رجب ١٤٢٤هـ.

(١) وهو القائم على دار الحديث بدماج بعد وفاة الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ ومن آثاره في محاربة متصوفة حضرموت اهتمامه في الآونة الأخيرة بإعداد بعض الأشرطة في الرد على الصوفية المعاصرين، وله أيضاً كتاب في الرد عليهم.

وجاء في شريط له بعنوان (الدرر البهية في الجواب على أسئلة القوات العسكرية) وفيه وجه له سؤال من بعض شباب حضرموت جاء فيه: «يأتي عندنا عمر بن حفيظ وبعض طلبته باستمرار فما تعرفون عنهم وهل تنصحون بالسماع لهم؟.

الجواب: عمر بن حفيظ صوفي قبوري وهو يقول القرآن ما هو عربي في رسالة، الذي في المصحف ما هو عربي، والله يقول (وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين) هذا في سورة الشعراء، القرآن عربي وعلى ذلك أدلة كثيرة، وإذا أردت أن تستفيد من هذه الأدلة أن القرآن عربي فاقرأ الرسالة للإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، كتاب اسمه الرسالة، باب البيان، أو باب ما يتعلق بأن القرآن عربي، في هذا الفصل ذكر جملة من ذلك ويكفي هذه الأدلة أنه عربي، ورسول الله ﷺ عربي، أرسله الله بلسان قومه، لسان العرب، ومع هذا يقول القرآن ما هو عربي، ومع هذا أيضا صوفي قبوري يشد الرحال إلى القبور، ومع هذا يؤول الصفات ـ صفات الله ﷻ ـ أشعري المعتقد، ومع هذا يدافعون عن الصوفي ابن عربي... إلخ».

بالإضافة إلى أشرطة له صدرت في الآونة الأخيرة يرد فيها على ضلالات صوفية حضرموت التي يبثونها في محاضراتهم، ودروسهم التي يشرحون فيها كتب سلفهم من المتصوفة.

وقد كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ينصح لأهل جنوب اليمن قبل قيام الوحدة بين شطري اليمن، ويحذرهم من الشيوعية ومن الصوفية، بل كان رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أن من مكر الشيوعيين بالمسلمين أن يساعدوا الصوفية في نشر فكرها، يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أخبرني من أثق به أن الصوفية تصطدم في عدن مع الشباب المتمسك بدينه، ثم تبلغ به الشيوعية؛ ذلك بأن الصوفية ما فقهت دين الله على ما يراد وظنوا أنه: هزة الرأس والرقص واللعب والمولد»[(١)].

وبيّن الشيخ ضلال الصوفية في إضلال الناس في تلك المناطق وذلك لأنهم: «لا يتقيدون بالكتاب والسنَّة بل يدخلون معهما الرؤيا والخواطر، وأقوال المشايخ، وأقوال أقطابهم فأصبح هناك مجال للشيوعية أن توسوس لشخص بترغيب أو ترهيب، ثم يذكر لهم رؤيا تبيح لهم ضرب الإسلام والمسلمين»[(٢)].

وهذا يدلُّ على بعد نظر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ومدى نصحه لأهل حضرموت وما حولها من المناطق، وقد حدث ما توقعه الشيخ، فقد وصل كثير من الصوفية إلى مناصب عالية في دولة الشيوعيين، فكانوا المتحدثين الرسميين للشيوعيين، وأعضاء في حزبهم الشيوعي، بل رعى الحزب الشيوعي احتفالات الصوفية وزياراتها كقبر العيدروس في عدن، كما شاركوا في الاحتفالات التي تقام بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف[(٣)].

وكل هذا يدلّ على خدمة الصوفية لأعداء الدين ـ شعروا أم لم يشعروا ـ، فالتصوف لا اهتمام له بالتوحيد، ولا بعقيدة الولاء والبراء، ولا بالجهاد وهذا ما يريده الأعداء، لا سيما وأن الخمول والعزلة والضعف من شعارات الصوفية وعباداتهم، فهم بحق من وسائل التخدير لهذه الأمة، التي تتيح الفرصة لأعدائها في الانقضاض عليها.

---

(١) السيوف الباترة لإلحاد الشيوعية الكافرة، تأليف: الشيخ مقبل بن هادي الوادعي (ص٦٣).
(٢) المصدر السابق (ص٦٣ ـ ٦٤).
(٣) المصدر السابق (ص٢٤١).

كما حذّر الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ من محمد بن عبد الله الهدار، صاحب رباط البيضاء وبيّن تصوفه وما هو عليه من الضلال، ونشره للتصوف في مساجد البيضاء ونواحيها[(١)].

ومن جهود الشيخ كذلك رده على بعض صوفية حضرموت الذين دعوا إلى الديمقراطية وإلى التقريب مع الشيعة، ومنهم عبد الله بن محفوظ الحداد[(٢)] الذي ادعى أنه لا فرق بين أهل السنَّة وبين الشيعة، فرد الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «وأما قول ذلك المفتي الأثيم (عبد الله الحداد) فقد كتب عنه في الجريدة بالخط العريض: إن الديمقراطية لا تتنافى مع الإسلام. فنقول له: هل سب الصحابة من السنَّة؟ ونبذ البخاري ومسلم من السنَّة؟ وتحريف القرآن من السنَّة؟ وتحريف الأسماء والصفات من السنَّة؟ فأنا أظن كما أنهم اشتروك تقول عن الديمقراطية: لا تتنافى مع الإسلام فقد اشتراك آخرون تقول: إنه لا فرق بين السني والشيعي، ولعلك تعني السنية الصوفية، فإذا كان الأمر كذلك فنعم، فإن الصوفية ينتهي أمر كثير منهم إلى التعطيل ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]. فإذا أتاك اليقين فلا تصل، ولا تصم، وارتكب ما حرم الله فقد أتاك اليقين، هذا عند الغلاة من الصوفية، وتعني دعوة غير الله، ففي دعوة غير الله فلا فرق بين الشيعة وبين الصوفية، أو تعني تشييد القباب على القبور فلا فرق بين الشيعة والصوفية، أو تعني محاربة الدعاة إلى الله، فلا فرق بين الشيعة وبين الصوفية...»[(٣)].

ومن جهود الشيخ المباركة إجابته على الأسئلة التي يلقيها عليه طلاب العلم وغيرهم ممن يرحلون من حضرموت إلى مركز الشيخ لأخذ الفتوى[(٤)]

---

(١) المصدر السابق (ص٣٢٣)؛ وكتاب (المصارعة) (ص٣٨٣). وانظر تحذير الشيخ من التصوف وبيان ضلاله: قمع المعاند وزجر الحاقد الحاسد (٢/ ٣٤٨).

(٢) هو عبد الله بن محفوظ الحداد، من الصوفية المعاصرين، أشعري على طريقة الغزالي، كان يعمل في القضاء والإفتاء بحضرموت الساحل (المكلا) حيث تولى رئاسة محكمة الاستئناف بحضرموت ثم رئاسة القضاء واستمر إلى عام ١٩٧٠م، توفي قبل سنوات.

(٣) غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطة (١/ ١٦٤).

(٤) تتكرر عناوين في كتب الشيخ (أجوبة أسئلة لإخواننا بحضرموت)، (أجوبة أسئلة بعض =

ونصيحة الشيخ لهم وتحذيرهم من الفرق الضالة فمن نصائحه لهم قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وننصح إخواننا أهل حضرموت حفظهم الله قبل كل شيء أن يشكروا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إذ رفع عنهم الكابوس الشيوعي فهذه نعمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجب أن يجددوا لها شكرا إلى أن قال: ثم ننصحهم بالجد والاجتهاد في تحصيل العلم النافع واستقدام الدعاة إلى الله المبرزين إلى هناك، والبعد عن الصوفية المبتدعة التي جهّلت المجتمع. فالإمام الشافعي كما نقل عنه في مقدمة (صفوة الصفوة) نقله عنه ابن الجوزي يقول: لو أن شخصاً تصوف أول النهار ما جاء آخر النهار إلا وهو أبله»[1].

فالصوفية كما يقول الشيخ أيضاً مستعدة أن تبيع الدين برتب وبكذب من كذب الشيوعيين ودجلهم؛ فكونوا حذرين غاية الحذر من الصوفية، كما أنه يجب علينا ها هنا أن نحذر غاية الحذر من الشيعة»[2].

ويقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره لبعض خرافات الصوفية وعقائدها الباطلة: «الحمد لله الآن المجتمع اليمني قد أصبح واعياً ينكر هذا، ولكن كثيراً منهم يتحمس وليس في قدرته أن يناظره فطلبة العلم من الكتاب والسنَّة المطهرة مستعدون لمناظرة هؤلاء المخرفين الذين استغلوا أموال المسلمين وأضلوهم عن سواء السبيل...»[3].

وقد بيّن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ الطريقة المثلى للقضاء على الصوفية في اليمن حين سئل: كيف يتم القضاء على الصوفية وأثرها السيىء في اليمن؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «يتم القضاء بنشر العلم النافع، فإنك لا تجد طالب علم

= إخواننا بحضرموت)، (أسئلة أخ من حضرموت)، (أسئلة من حضرموت)، (أجوبة أسئلة بعض إخواننا الحضرميين) (أسئلة بعض الإخوة الحضرميين). انظر: غارة الأشرطة (١/ ٦٩، ١٥١، ١٨١، ٢٨٤، ٢/ ٢٥٧)؛ قمع المعاند (٢/ ٣٣١)؛ وكتاب (المصارعة) (ص١٢٠).

(١) تقدم تخريجه. انظر (ص٨٦٧) من هذه الرسالة.

(٢) غارة الأشرطة (١/ ٣٠٤). وانظر نصيحة الشيخ للصوفية من العلويين بترك العادات المخالفة كعدم تزويج بناتهم بغير العلوي: غارة الأشرطة (١/ ٣٠٨).

(٣) المصارعة (ص٣٨٨).

يقتنع بكتاب الله وبسنَّة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا وهو يبغض الشيعة، ويبغض الصوفية، ويبغض الحزبية أين كانت، فالجلوس في المساجد المباركة للتعليم، وإشعار الشباب أيضاً بمسئوليتهم أمام الله، وإشعار إخواننا المسئولين ـ جزاهم الله خيراً ـ بمسئوليتهم أمام الله، ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢](١) . .

ومن آثار الشيخ انتشار طلابه في كثير من مدن وقرى اليمن، منهم المدرس، ومنهم الداعية ومنهم الإمام والخطيب ونحو ذلك ـ كما أسلفنا ـ وهذا من فضل الله تعالى.

كما قام بعض أهل العلم في اليمن لا سيما أهل حضرموت بمساهمة إيجابية في محاربة التصوف وآثاره السلبية سواء بالنصائح والإرشاد، أو التأليف أو نحو ذلك(٢).

كما كان لبعض أهل العلم في خارج اليمن جهود مباركة في محاربة التصوف في حضرموت، والرد على دعاته ومن أولئك العلماء الناصحين العلامة

---

(١) المصارعة (ص٣٩٠).

(٢) ومن أولئك النفر: الشيخ علي بن سالم بكير ـ مدير مكتبة الأحقاف بتريم سابقاً ـ فله جهود مشكورة في النصائح والإرشاد والإصلاح في تريم وما حولها، وكذا قيامه بتدريس العلوم الشرعية كالفقه ونحوه، والتعرض للصوفية في دروسه وجلساته ومحاضراته، من مؤلفاته: رجال وكتب ترجم فيه لبعض علماء حضرموت الموحدين، . . . . . بالإضافة إلى مساعدته ـ السخية للباحثين وخدمتهم، وهناك أحمد بن حسن المعلم ـ ساكن المكلا ـ فله جهود في محاربة التصوف في حضرموت، فقد أصدر عددا من الأشرطة في ذلك، ومن مؤلفاته: زيارة قبر نبي الله هود وما فيه من الضلالات والمنكرات، وصدر له كتاب مؤخراً بعنوان (القبورية في اليمن) تعرض في بعض مباحثه للصوفية في حضرموت، وبين ضلالاتهم، وذكر عدداً من أهل العلم الذين تصدوا لهذا الفكر الدخيل في اليمن ـ وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.
وهناك الأستاذ سليمان بن كرامة بامؤمن التريمي الذي أصدر كتاباً بعنوان (الفكر والمجتمع في حضرموت) تعرض فيه لانحرافات الصوفية، وتأثيرها على المجتمع الحضرمي ببث العقائد والانحرافات ورد على تلك الانحرافات.
وأنبه أنني ذكرت بعض من له جهود من أهل اليمن للتمثيل لا للإحصاء، ومن وقفت عليهم وإلا فممن لم نعرفهم كثير فكل على ثغر في نصرة دين الله تعالى ونقض ما يخالفه، فأسأل الله تعالى أن يبارك في جهودهم وأن يرد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً.

سليمان بن سحمان النجدي (ت١٣٤٩هـ)، فقد كان لهذا العالم أثر مشكور في محاربة الفكر الصوفي الذي تولى كبره بعض كبار صوفية حضرموت، ومن أبرز أثر هذا العلامة كتابان: أحدهما في الرد على علوي بن أحمد الحداد وسماه: (الأسنة الحداد في الرد على علوي الحداد) وكتاب آخر في الرد على محمد سعيد بابصيل وسماه: (البيان المبدي لشناعة القول المجدي)[1].

وللعلامة جمال الدين القاسمي[2] رسالة بعنوان: (نقد كتاب النصائح الكافية) وهو رد على كتاب (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) لمحمد بن يحيى بن عقيل الذي أيد فيه مذهب من جرح معاوية رضي الله عنه ورهطه، وبنى عليه جواز لعنه وسبه.

كما كان للشيخ محمد رشيد رضا ومجلته (المنار) الصادرة بمصر مشاركة في بيان آثار الصوفية في حضرموت وخارجها، فقد كان لمجلته مراسلون يقومون بالاطلاع على أوضاع بعض بلدان العالم الإسلامي، ومن ذلك إرسالها لمراسلها إلى حضرموت فلما رأى الأحوال السائدة في حضرموت من انتشار التصوف وبناء الأضرحة والمشاهد أوضح أن حضرموت في الجملة قبورية[3].

وجاء في مجلة المنار تحت عنوان (حكم تقبيل الأيدي): «مستفيد من سنغافورة: ما يقول المنار المنير في تقبيل اليد فإني أرى سادات اليمن وحضرموت المنتسبين إلى النبي ﷺ ينكرون على من لم يقبل أيديهم ويزعمون أنهم مستحقون لتقبيل اليد فهل لهذا أصل في السنَّة أفيدونا؟».

---

(١) وقد تقدم ذكر نقولات من ذينك الكتابين عند مناقشة معتقدات صوفية في المباحث السابقة.

(٢) هو جمال الدين محمد بن سعيد بن قاسم القاسمي الحلاق، علم مشارك في أنواع العلوم، ولد بدمشق سنة ١٢٨٣هـ، فنشأ وتعلم بها. من تصانيفه: قواعد التحديث، وتفسير بعنوان (محاسن التأويل) والرد على كتاب النصائح الكافية وغيرها. توفي سنة ١٣٣٢هـ. انظر: الأعلام (١٣١/٢).

(٣) مجلة المنار (٩/٧) الصادر في أول رجب ١٣٤٢هـ تحت عنوان (باب الأخبار والآراء)؛ وانظر: المنار واليمن (١٣١٥ ـ ١٣٥٤هـ)، دراسة نصوص (ص٥٦). لحسين العمري، دار الفكر ـ دمشق. ط١، ١٤٠٨هـ.

فأفتوا بعدم جواز فعل التقبيل على أنه مطلوب شرعاً، أو ترتب عليه مفسدة كإعانة المبتدعين الظالمين على بدعتهم وظلمهم، وأما ما يفعل بمقتضى العادة لا باسم الدين فهو مباح إلا إذا ترتبت عليه مفسدة ومنها: أن يعتقد أنه من الدين كما يراه سادات حضرموت(١).

كما كان لمجلة المنار دور في رد بدعة المتصوفة العلويين الذين يفتون بتحريم زواج غير العلوي من العلوية، حيث بعث أحد الحضارمة سؤالاً إلى الشيخ محمد رشيد رضا في حكم زواج غير العلوي بالعلوية بمناسبة وقوع ذلك الزواج في سنغافورة عام ١٩٠٥م فأفتى الشيخ محمد رشيد رضا بصحة هذا الزواج شرعاً(٢).

❀ المطلب الرابع ❀

جهود جمعية الإصلاح والإرشاد بأندونيسيا في محاربة التصوف

أنشئت هذه الجمعية في أندونيسيا سنة ١٩١٤م بفضل جهود ثلاثة من كبار الحضارم(٣)، وكان أشهر مشايخ هذه الجمعية الشيخ السوركتي(٤)، فقد كان رئيس الجمعية، وقد قام بمحاربة خرافات صوفية حضرموت التي نشرتها

---

(١) انظر: مجلة المنار (٧/ ٣٠٤).

(٢) انظر: المصدر السابق: الجزء السادس من المجلد الثامن عام ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م.

(٣) كتاب (عبد العزيز الرشيد) (ص٢٤٨). والثلاثة الحضارمة الذين كان لهم الفضل بعد الله تعالى في إنشاء هذه الجمعية هم: الشيخ عمر بن يوسف منقوش، والشيخ سعيد مشعبي، والشيخ صالح عبيد بن عبيدات. انظر: تاريخ الإرشاد (ص١٨ - ١٩)؛ والشيخ عبد العزيز الرشيد (ص٢٤٨).

(٤) هو الشيخ أحمد محمد السوركتي الأنصاري، ولد في دنقلة من أعمال السودان عام ١٨٧٥م، ولما مات والده رحل إلى الحجاز بعد أن حفظ القرآن، وأقام بالمدينة النبوية أربع سنوات يطلب العلم فيها، ثم رحل إلى مكة للحصول على الشهادة العالمية حتى حصل عليها، وأصبح مدرساً ومديراً لمدرسة أهلية هناك، يدرس فيها العلوم الدينية بالإضافة إلى عقد حلقة علمية داخل الحرم المكي، وفي عام ١٣٢٩هـ قدم السوركتي في بعثة تعليمية إلى أندونيسيا، ودرس بها في مدرسة، وساهم في التدريس في جمعية الإرشاد، واستفتاه الناس هناك، وبقي في تلك إلى أن توفي بها. انظر: الشيخ عبد العزيز الرشيد (ص٢٤٥ - ٢٤٦)؛ وتاريخ الإرشاد في أندونيسيا (ص١٥ وما بعدها).

في بلاد أندونيسيا حتى أوذي كثيراً، وقد انضم لهذه الجمعية بعض العلويين[١]، وأصدرت هذه الجمعية المجلات والصحف الداعية للتوحيد والمحذرة من شركيات وبدع وانحرافات الصوفية[٢].

وكان لجمعية الإرشاد التي أنشئت بأندونيسيا دور في محاربة خرافات صوفية حضرموت التي نشروها في مناطق شتى، لا سيما بلاد أندونيسيا وما حولها، يقول المؤرخ صلاح البكري عن هذه الجمعية التي ساهمت في القضاء على خرافات الصوفية وسلطة كبار العلويين وأنه بإنشاء: «جمعية الإصلاح والإرشاد التي تدعو إلى المساواة الشرعية والإخاء الإسلامي تلاشت تلك السلطة الروحية واندرست، لا سيما في أندونيسيا، وأمسى الناس ينظرون إلى مهازل الروحانيين وخرافاتهم بعين الازدراء والاحتقار، ولم يبق من الحضارم من يخضع لها سوى القليلين، ولا تزال في عيونهم غشاوة، وفي آذانهم وقر...»[٣].

وقد كان لنشأة جمعية الإرشاد بإندونيسيا عدة عوامل ساهمت في هذه النهضة المباركة منها:

---

(١) منهم عبد الله بن سالم العطاس الذي عين ناظرا بمدرسة سورابايا سنة ١٩٢٠م، وحسن بن علوي بن شهاب وغيرهما. انظر: عبد العزيز الرشيد (ص٢٥٨، ٢٦٢).

(٢) ومن تلك الصحف والمجلات: جريدة الإرشاد التي أصدرت عام ١٩٢٠م، وأصدرت مجلة الشفاء في مدينة بكالونجان عام ١٩٢١م، ومجلة الذخيرة الإسلامية أصدرها الشيخ السوركتي عام ١٩٢٣م التي اهتم فيها بالإجابة على أسئلة القراء، وكذا التحذير من البدع التي ينشرها المتصوفة مثل: بدع تلقين الميت، وبدعة التهليل، وبدع التوسل الشركي، والاستغاثة الشركية وغيرها، وأصدرت كذلك مجلتي الدهناء والمصباح سنة ١٩٢٨م من قبل جماعة من خريجي مدارس الإرشاد بسورابايا ترد على صحف الصوفية من العلويين، وكذا أصدرت جمعية الإرشاد صحيفة الإصلاح ببتافيا. انظر: عبد العزيز الرشيد (ص٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٨٠).

(٣) تاريخ حضرموت السياسي (٢/ ١٢١). وكلام البكري ليس على إطلاقه، فالتصوف منتشر في أندونيسيا بقوة لأسباب كثيرة أعظمها الجهل بالعقيدة الصحيحة وبالتالي الجهل بحقيقة التصوف، وكذا مكانة العلويين في نفوس الناس، وإن كانت هناك جهود مشكورة تقوم بها مراكز دعوية وكذا بعض الأشخاص في محاربة التصوف وخرافاته إلا أنه يقوى في وقت دون آخر، وفي بعض المناطق دون بعض.

١ ـ الجهل المركّب الذي يسود العرب في إندونيسيا.

٢ ـ تمادي العنصريين في استعلائهم على الناس واستغفالهم لهؤلاء مادياً واجتماعياً.

٣ ـ كثرة البدع والخرافات[١].

من خلال هذه العوامل يتضح أن هذه الدعوة كانت ثورة على الجهل الذي كان يسود العرب في مهجرهم، ووسيلة إزالته العلم، وثورة على التعالي العنصري، والمطلوب هو التساوي والعدل الذي جاء به الإسلام، وثورة على البدع والخرافات، وسبيل ذلك هو نشر التوحيد والاتباع وتعلم الإسلام الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومن مجموع ذلك نتعرف على جمعية الإرشاد الإسلامية بإندونيسيا، فنراها تقوم على ثلاثة أصول:

١ ـ نشر العلم وإفشائه بين سائر الطبقات.

٢ ـ المساواة في الحقوق والواجبات بين جميع الشرائح في المجتمع.

٣ ـ محاربة البدع والخرافات ونشر ضدها من التوحيد والاتباع.

وهذه الأصول كلها نقض لبعض أركان الصوفية في حضرموت.

وقد وصلت هذه الدعوة إلى اليمن وإلى حضرموت بوجه خاص موطن، مؤسسي هذه الجمعية، وكان لها أثرها الطيب؛ حيث تنبه الناس من غفلتهم واستيقظوا من رقدتهم، فهرعوا إلى العلم، ورفضوا التمايز الطبقي، ودعوا إلى التوحيد والسنة ورفض البدع والخرافات والشركيات، وقام بعضهم بتسوية بعض القبور في مناطقهم، وجاء في كتاب (القبورية في اليمن) أن أحدهم في قرية عَمَدَ إلى ثوب كان يكسى به صناديق مكتبة الشيخ عمر بن أحمد العمودي الشهيرة والمعروفة عند المؤرخين بـ «المكتبة الشُعبية» وعند العوام بخزانة الشيخ عمر بن أحمد، قام ذلك الشخص بأخذ هذا الثوب الذي تكسى به صناديق

---

(١) تاريخ الإرشاد (ص٦).

الكتب - على جهة التعظيم - وألقاه في بئر معطلة بالقرب من الخزانة، وذلك الرجل هو الشيخ عبد الرحيم بن محمد المهجوس العمودي رحمه الله وكان أول من أعلن الدعوة إلى السنة ومحاربة البدع والشركيات في ذلك البلد[١].

وهكذا لم يبق وادٍ أو منطقة من مناطق حضرموت إلا ووجد فيها مثل ذلك الرجل، وفي كثير من الأماكن كان لهؤلاء أنصار وأعوان، يحملون هذه الدعوة ولو في أنفسهم وأقاربهم.

ومما يدل على وجود هذا الأثر انزعاج الصوفية من هذه الدعوة والشكوى منها ونشر الدعاية ضدها، من ذلك ما هو مكتوب، ومنه ما هو على الألسنة.

ويعتبر المؤرخ صلاح البكري من مؤرخي حضرموت المنتمين إلى جمعية الإرشاد بإندونيسيا، وله جهود مشكورة في الرد على الصوفية[٢]، وبيان آثارها السلبية على المجتمع الحضرمي، وخارجه. وقد عنون في كتابه «تاريخ حضرموت السياسي» هذا العنوان «الخرافات» عدّد تحته الكثير من تلك الخرافات المتعلقة بالقبور وبالاعتقاد بالجن وتقديم ما يدفع شرهم من ذبائح أو كسر بيض على باب الدار لئلا يحتلها الجن وأبان من يقف وراء تلك الخرافات، فقال رحمه الله: «ولقد ابتنى بعض العلويين قباباً كثيرة لبعض موتاهم رحمهم الله، ووضعوا على أجداثهم التوابيت، ودعوا الناس لزيارتها، والتبرك بها، والتوسل إليها لقضاء الحاجات واستنزال البركات، وقد يوجد في القبة خزانة [تيحة] في داخلها إناءان: أحدهما للنقود، والآخر للزيت الذي يقدمه المريض لطلب الشفاء، وأقرباء الميت هم الذين يتمتعون بهذه القرابين والنذور، وقد يبالغ بعض المرضى في الضلال فيأكلون قليلاً من تراب ذلك القبر لطلب الشفاء، وإني لأذكر أني حينما كنت في حضرموت وأنا يومئذ لم أبلغ سن الرشد أصبت بحمى، فذهبت إلى قبة المرحوم عمر بن محمد الهدار

---

(١) انظر: القبورية في اليمن، للمعلم (ص٦٧٩).

(٢) المصدر السابق.

العلوي الواقعة على مقربة من حوطة أحمد ناصر[1]، وأكلت قليلاً من تراب قبره وقبلت تابوته، وتوسلت إليه ليذهب الآلام، ويعيد إلي صحتي كاملة غير منقوصة، ووضعت في الخزانة أوقية وربعاً، وعدت إلى البيت وأنا أرتعد من حمى الورد، ومن حسن حظي أني في اليوم الثاني شفيت من مرضي، ولكن من سوء حظي أن ازداد اعتقادي في الهدار واعتمادي عليه من دون الله، فذهبت في الحال إلى السوق وابتعت رطلاً من زيت السمسم، ثم ذهبت إلى قبة الهدار، ووهبت له الزيت في الخزانة، وهكذا ذكرت صاحب القبة في السراء والضراء، خفية وجهرة، وهو لا ينفعني بشيء، ولم أذكر الله ﷻ، الذي هو أقرب إلي من حبل الوريد، وبيده كل شيء.

ويوجد في الروحانيين وبوجه أخص في العلويين من يصنع التمائم والعزائم للمرضى وغيرهم من طلاب الحاجات، ويبالغ بعض الدجالين من أصحاب السلطة الروحية فيسقون المريض ماءً ممزوجاً ببزاقهم للشفاء، ويتجرع هذا المريض «المغفل» ذلك البزاق القذر، وهو مسرور كل السرور متوهماً أن الشفاء آتٍ لا ريب فيه.

وهناك كتب ألفت ورسائل دونت كان لها أثرها السيء في عقلية الشعب، وتسميم أفكاره، وإفساد عقيدته، وفي مقدمة هذه الكتب: «المشرع الروي» لصاحبه الشيخ محمد بن أبي بكر الشلي المشحون بالكفريات والخزعبلات، ثم كتاب: «الجوهر الشفاف» وغيرهما.

ويقسم كثير من الناس بالأضرحة ويخافونها إذا حنثوا في أيمانهم أكثر مما يخافون الله، فقد يطلب المشتكي من خصمه أن يقسم على ضريح مقدس خيراً من أن يقسم بالله أو بالقرآن، ويعتقدون أن لتلك الأضرحة قوة الانتقام إذا كان المقسم حانثاً، وأهم الأضرحة التي يقسمون بها هي:

١ ـ ضريح أبي بكر بن سالم العلوي بعينات.

---

(١) حوطة أحمد بن ناصر إحدى قرى حضرموت الداخل تتبع مديرية سيئون.

٢ ـ ضريح أحمد بن زين الحبشي العلوي بحوطة أحمد بن زين.

٣ ـ ضريح سعيد بن عيسى العمودي بقيدون.

٤ ـ ضريح عبد الله العيدروس العلوي بتريم.

٥ ـ ضريح معروف باجمال ببضة.

٦ ـ ضريح عمر بن محمد الهدار العلوي بحوطة أحمد ناصر.

٧ ـ ضريح عيدروس بن عمر الحبشي العلوي بالغرفة.

٨ ـ ضريح علي بن حسن العطاس العلوي بالمشهد.

٩ ـ ضريح عمر المحضار العلوي بتريم.

١٠ ـ ضريح حسن بن صالح البحر العلوي بذي أصبح.

وفي زعمهم أنه إذا أراد الشخص أن يأتيه كساء من أبيه، أو من أحد أقربائه المهاجر في جاوة أو في غيرها، فما عليه إلا أن يذهب إلى إحدى القباب ويقطع جزءاً صغيراً من ثوبه، ويربطه باللعاب، ويقذف به في الحائط، ولا تمضي سنة إلا وقد نال مطلوبه، ولذلك تظهر الحيطان في بعض القباب كأنها مغطاة بطبقة من الورق المزخرف أو زينت بنقوش مختلفة الألوان.

وبعض المرضى وبالأخص إذا كان صغيراً يُطاف حوله حَمَلٌ مراراً، ثم يقطع جزءً من أذنه ويعلقه في ذراع المريض، ويذبح ذلك الحمل ويوزع لحمه على الجيران بعد أن يأخذ الدجال الذي أشار لهم بتلك العملية جزءً كبيراً منه. وأول ما يعمله الشخص الذي يريد أن يبني بيتاً أن يدق أربعة أوتاد في البقعة التي سيبني فيها المنزل لطرد عين السوء، وذلك بعد أن أخذ رأي أحد الروحانيين، وعندما يتم بناء البيت يذبح حملاً على عتبته كما يفعل الفرنجة عند الاحتفال بإنزال السفينة لأول مرة في البحر بكسر زجاجة خمر، وفي بعض أجزاء حضرموت يذبح صاحب البيت شاة، ويأخذ من دمها بيده ويخضب الباب. وبعضهم في أثناء عملية البناء، ويأكل البناؤون لحمها، ويريقون دمها على الحيطان، وعندما يدخل صاحب البيت لأول مرة يكسر بيضتين على عتبة الدار، وأخريين على الدرج، وأخريين

عند الطابق العلوي»[١].

وجاء في كتاب (تاريخ الإرشاد في أندونيسيا) تحت عنوان «وشهد شاهد من أهله» خطاب بتاريخ ٥ رمضان ١٤١٠هـ موجه من عمر بن حسين بن علوي الحبشي [أحد أعضاء جمعية الإرشاد بأندونيسيا] إلى حامد بن أبي بكر المحضار ناقداً لأخطاء وتصرفات آل أبي علوي ومما جاء في الخطاب: «منذ أيام زرت أحد الإخوان فوجدت عنده كتاب من تأليفكم (صفحات من تاريخ حضرموت) عن حياة الحبيب حسين بن حامد المحضار[٢]... ولكنه بعد ذلك إذا بكم كتبتم عن الحضارم بجاوى والذي لفت نظري ونظر الأخوان أنكم قلتم عن الفتنة الحضرمية بأندونيسيا أنها شؤم على الحضارم؟ ثم أثنى في الخطاب على جمعية الإرشاد أو النهضة الإرشادية ودورها في نشر التوحيد ومحاربة الشرك والبدع وأطال في ذكر الفتنة في أندونيسيا بين الإرشاديين والعلويين والردود بين الطرفين إلى أن قال مبيناً حال أحد كبار العلويين يدعى أبو بكر بن محمد بن شهاب من متكلمة الصوفية في حضرموت يفتخر به العلويون فقال: «وإن تاريخ الحبيب الإمام أبو بكر بن شهاب معروف، كان في أول أمره من أهل السنَّة والجماعة وله تأليف في التوحيد، والأصول، وله قصيدة في ديوانه في «التوحيد» ثم رحل إلى الهند واتصل برافضتها وترفض!! وصار من أشد أعداء السنيين، ثم صار قبورياً في آخر عمره، وأخذ يدعو إلى عبادة القبور والاستنجاد بأهلها كما هو واضح في قصائده، ثم أصبح إباحياً وشاعراً متهتكاً في الخمر والولدان والبغايا ثم ساق شيئاً من قصائده الماجنة...»[٣].

---

(١) تاريخ حضرموت السياسي (٢/١١٩ ـ ١٢١).

(٢) هو حسين بن حامد المحضار، ولد بقرية القويرة سنة ١٢٨٢هـ، ورحل إلى الهند وجاوه، وعمل مع السلطان عوض بن عمر القعيطي اليافعي، واستمر يدير المكلا والشحر ويافع وحضرموت الداخل لمدة (٢٧سنة). توفي سنة ١٣٤٥هـ. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (ص٢٨١)؛ وهداية الأخيار (ص٤٤١)، وأفرد له حامد بن أبي بكر المحضار ترجمة مستقلة بعنوان (الزعيم حسين بن حامد المحضار).

(٣) تاريخ الإرشاد في أندونيسيا: لصلاح البكري (ص٢٥٧، ٢٦٣ ـ ٢٦٤).

وجاء في الخطاب أيضاً: «هذا ونرجو أن لا تقولوا بعد الآن أن الحركة الإرشادية في جاوة فتنة أو شؤم على الحضارم؛ لأن الحضارم ليسوا بلهاء أو جهلاء بحيث ينطلي عليهم هذا الكلام الفارغ، لو أنكم ذكرتم هذا قبل سبعين سنة لصدقوا ما تقولون مثلما كانوا آباؤنا سابقاً من آل باعلوي يلعب بعقولهم بالكرامات التي حشيت فيها كتبنا مثل: المشرع الروي، وتذكير الناس للحبيب أبو بكر الحبشي، الحضارم أكثرهم متعلمين وعندهم وعي ـ ويفهمون الحق من الباطل»[(١)].

المطلب الخامس

جهود بعض الولاة وبعض القبائل في محاربة التصوف

هناك جهود لبعض أهل حضرموت من العلويين ومن غيرهم، وكذا من بعض الولاة ممن أنار الله بصيرتهم، وعرف الحق الذي أنزله الله على رسوله ﷺ، فساند بعض هؤلاء المصلحين بعض الولاة الذين ساهموا في نصرة التوحيد ومحاربة خصومه، ومن أولئك العلماء العلامة أبو بكر الهندوان ـ كما تقدم ـ الذي يرى العلويون أنه ممن يعلم الأمير عوض غرامة مبادىء الوهابية، فقد ذكر ابن عبيد الله أن الأمير عبد الله عوض غرامة أرسل رسالة عزاء في قتيل قتل في مشاجرة بغير قصد، جاء فيها: «إننا لا نريد ذلك ولا نحبه، وإنما كان قتله على غير اختيار منا، ولكن شؤم أعمالكم والتفاتكم إلى غير الله وعبادتكم للأموات والقبور هو الذي جر عليكم المصائب، وسيجر عليكم ما هو أعظم، ثم قال ابن عبيد الله: «ويقال أن هذه المكاتبة كانت من إنشاء إمام تريم لذلك العهد المتقدم ذكره السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان، والله أعلم»[(٢)].

بل هناك نص أوضح وأصرح في استجابة الكثير من قبائل حضرموت

---

(١) المصدر السابق (ص٢٧٢ ـ ٢٧٣).

(٢) إدام القوت (ص١٢٣).

وبعض السادة العلويين للدعوة السلفية؛ بل وطلبهم وصول دعاتها إلى حضرموت، يقول ابن عبيد عند ذكره لمنصب عينات أحمد بن سالم: «وفي أيامه كان وصول الوهابية[١] إلى حضرموت، بطلب من بعض السادة وآل كثير، ولم يكن لهم عسكر كثير، وإنما كانوا ينشرون دعوتهم، ويستجيب لهم الناس، وكان ممن استجاب لهم آل علي جابر بخشامر، غربي شبام، وبعض السادة وبعض آل كثير وعبد الله عوض غرامة بتريم»[٢].

ولكن وجود النجديين في حضرموت لم يدم طويلاً فقد كان وصولهم إليها في آخر عمر الدولة السعودية الأولى، والتي انتهت بوصول القوات المصرية إلى الدرعية سنة (١٢٣٣هـ)[٣].

أقام الدعاة القادمون من نجد مدة بحضرموت، بعد أن غيروا المنكرات التي أحدثتها الصوفية وأتباعها، ووجدوا لهم أنصاراً يناصرون دعوة التوحيد من أهل حضرموت، بل وعاهدهم بعض الولاة بنصرة التوحيد ومحاربة الشرك والبدع وأهلهما، وبعد رجوعهم إلى بلادهم أكمل الدور بقية العلماء والدعاة من أهل حضرموت وبقية أهل اليمن الذين تأثروا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية.

وقد وجدت بعض القبائل الحضرمية التي ناصرت الدعوة السلفية وحاربت التصوف منها: قبيلة آل علي جابر ببلدة خشامر بحضرموت، حتى أنه لم يشيد بأرضها ضريح ولا مشهد، ولم يجرؤ المتصوفة بالدخول إليها فضلاً عن نشر دعوتهم فيها؛ لذلك كان مما يحكيه المتصوفة في كتبهم أن أحداً إذا أراد من وليٍّ كرامة أو حاجة فلم تحصل له فإنه يهدِّده باللجوء إلى آل علي جابر في خشامر، فقد جاء في كتاب (تذكير الناس) قول أحدهم حين زار المشهد:

---

(١) يكثر استعمال لفظة وهابي ووهابية من قبل صوفية حضرموت وكذا من بعض المؤرخين، وهي مأخوذة من أعداء الدعوة للتنفير عن هذه الدعوة السلفية المباركة، فالشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ كغيره من العلماء ينتسب لمذهب السلف الصالح وليس له مذهب يخالف الحق. فينبغي التنبه ووصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة السلفية.

(٢) المصدر السابق (ص٩٨٤)، ط المنهاج. (٣) عنوان المجد (ص١٩١ ـ ٢١٤).

زوار جيـنـا بـانـزورك يـا عـلـي لي تكرم القاصد وترحب بالغريب
إن شيء كرامة باتقـع ذا حِلّهـا وإلا رجعنا لا قَدَا صالح حبيب[١]

أي إذا لم تكرمنا فإننا سنذهب إلى صالح حبيب شيخ آل علي جابر وهم أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقول الآخر حينما جاء إلى الحسن بن صالح البحر ليشفي ولده، فخاطبه بقوله: «وعزة المعبود إن لم تذهب الحمى من ولدي محمد لأصبح في خشامر عند بن علي جابر»[٢].

ومما يدل على وجود مناصر دعوة التوحيد من أهل حضرموت، ما قام به آل علي جابر من أهل خشامر من الاستنصار بإخوانهم الموحدين من أهل نجد، يقول المؤرخ الشيخ عبد الله بن أحمد الناخبي[٣] في كلام له عن علاقة حضرموت بنجد واستمرارها إلى العصور المتأخرة: «وفي زمن متأخر اتصلت أسر حضرمية بالأسرة السعودية في دورها الأول ففي عام ١٢٠٥هـ اتصل الشيخ عبد الحميد بن قاسم بن علي جابر اليافعي بالإمام عبد العزيز بن محمد آل سعود في الدرعية، وعقد معه حلفاً يقوم الشيخ عبد الحميد المذكور بنشر الدعوة وزوده الإمام بمجموعة من الكتب...»[٤].

وقد دخل دعاة الدعوة السلفية إلى حضرموت في عهد علي بن بدر الكثيري كما جاء في كتاب (العدة المفيدة): «وفي أيامه في سنة ١٢٢٤هـ أربع وعشرين ومائتين وألف كان وصول ابن قملا الوهابي وجيوشه من قبائل الدرعية

(١) تذكير الناس (ص٢٢٢). (٢) المصدر السابق (ص٢٢٣).
(٣) هو الشيخ عبد الله بن أحمد بن محسن الناخبي اليافعي، ولد في يافع سنة ١٣٢٦هـ، وبها نشأ ثم انتقل إلى حضرموت واستقر مع والديه في قرية تبالة من أعمال الشحر، ودرس على الشيخ سالم الكلالي وغيره من المشايخ، ثم انتقل إلى المكلا وعمل مدرساً فيها، ثم أصبح ناظر المعارف بالسلطنة القعيطية، ومع تغير الأوضاع في فترة الحكم الاشتركي على جنوب اليمن هاجر الشيخ عبد الله إلى المملكة العربية السعودية واستقر في جده إماماً لأحد مساجدها، ولا يزال بجدة إلى يومنا هذا. انظر: هداية الأخيار (ص٢٨٧ ـ ٢٨٨)؛ وإدام القوت (ص١٢٧مع الحاشية)، ط المنهاج.
(٤) مجلة العرب، ج١، ٢، س٢٧، رجب ـ شعبان ١٤١٢هـ (ص٣٨٧)، مقال للشيخ عبد الله بن أحمد الناخبي بعنوان (حضرموت وعلاقتها بنجد).

إلى الجهة الحضرمية، واستولى على الكسور مثل: هينن وحورة وحواليهما، ومعه قاضيه سبيت، والمعلم عبد الله بن سعد سمير[١] قاضيا بهينن زمان السلطان جعفر بن علي، فبقي هناك فقربه ابن قملا بن منصر وتحبب إليه وهو عَرَفَ الطبع[٢] لما جبله الله من العقل والعلم، وسار[٣] من الزمان وأهله ويدعو المطوع، وصالح بن قملا القبائل: يافعي، ونهدي، وشنفري وحسّنوا له، وهدم غالب رؤوس القبب المبنية على القبور لحتى بلغ إلى قبة نبي الله هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام... ثم إنهم عاهدوا يافع آل نقيب (ولاة بلد تريس) أن تشلّون[٤] التابوت من على قبر صاحب تلك القبة فشلّوه، ووضعوه في مسجد المكان، لحتى صفيت الجهة منهم، ورجع هو وجيوشه إلى نحو أرضه»[٥].

وقد صلت دعاة الدعوة السلفية إلى حضرموت في سنة (١٢٢٤هـ) وهدموا غالب رؤوس القباب المبنية على القبور من دوعن غرباً إلى قبر هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام شرقاً، ولم يكن التأثير مقتصراً على هدم القباب فقط، بل وصل إلى إقناع القبائل وجماعات من أبناء حضرموت بهذه الدعوة وحملهم لها ورفضهم للخرافات والعقائد القبورية التي كانت سائدة في البلاد، ومن تلك القبائل قبيلة «آل علي جابر» ببلد خشامر وما حولها في منطقة العقّاد

---

(١) هو عبد الله بن سعد سمير: ولد في حضرموت سنة ١١٨٥هـ، وله شيوخ كثيرون، تولى القضاء بهينن، ثم اعتزله. من مؤلفاته: الدعوة التامة للحداد (نظم)، المنهل العذب الصاف في مناقب السيد عمر بن سقاف بن محمد السقاف، وقلادة النحر في مناقب الحسن بن صالح البحر، ومناقب السيد محمد بن أحمد الحبشي. توفي سنة ١٢٦٢هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ١٢٤)؛ وعقد اليواقيت (٢/ ٤٧).

(٢) أي أدرك طبع ابن قملا.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) كلمة عامية ومعناها: تأخذون وتزيلون.

(٥) العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة. (١/ ١٧٤)؛ وإدام القوت (ص٣٠٦). وانظر: دخول النجديين إلى حضرموت وأثرهم هنالك: إدام القوت (ص٤٣، ١٢٣، ٢٢٧)؛ وعنوان المجد (١٥٧، ١٩١ ـ ٢١٤)؛ وتاج الأعراس (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٧)؛ ومعالم تاريخ الجزيرة العربية (ص٢٨٦)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي (ص٢٥٧)؛ تذكير الناس (٢١٩، ٢٢٠)؛ تاريخ الإرشاد، لصلاح البكري (ص٦) ـ وكتاب (ما جاد به الزمان)، للمحضار الحباني (ص٣٣).

بين القطن وشبام، وحتى بعض رجال السادة العلويين تابعوهم على ذلك، كما ذكر ابن عبيد الله في «إدام القوت» عند كلامه على الحوطة «حوطة أحمد ابن زين»[١]، وبشكل أوسع في منطقة «المحيضرة» إحدى ضواحي تريم وهو يتكلم على السلطان عبد الله عوض غرامة، فقد قال: «وكان ينكر بطبعه غلو القبوريين، فوافقته آراء الوهابية، وأكثر التعلق بوحيد عصره وفريد دهره مقدم الجماعة، وشيخ الصناعة والذي انتهت إليه رياسة العلم بتريم، العلامة الجليل السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان المتوفى بتريم سنة (١٢٤٨هـ)، وقد اتهمه العلويون بأنه هو الذي يعلم عبد الله عوض غرامة آراء الوهابية، ويحثه على الالتزام بها، ومؤاخذة الناس بمقتضاها، فتآمروا على قتاله، فهرب إلى بيت جبير، ولم يقدر عبد الله غرامة على حمايته بتريم؛ لأن غرامة لا يملكها كلها، وفي أيامه كان وصول الوهابية إلى تريم سنة (١٢٢٤هـ)، بقيادة الأمير علي[٢] بن قملا، فطوى بهم حضرموت، ولم يفسد حرثاً، ولا أهلك نسلاً، وإنما هدم القباب، وسوى القبور المشرفة، وألقى القبض على المناصب، وأهانهم، وأتلف قليلاً من الكتب كثَّرَهُ بعض العلويين ـ كصاحبنا الفاضل السيد علوي بن سهل ـ بدون مبرر من الدليل، وأقاموا بتريم نحو أربعين يوماً، وعاهده عبد الله عوض غرامة، وعبد الله بن أحمد بن يماني على أن يكف الأذى عن بلادهما، على شرط أن يقوما بنشر دعوته...»[٣].

وقام دعاة الدعوة السلفية بجهود مشكورة في مناطق الساحل كذلك، يقول ابن عبيد الله: «ثم خلفه[٤] على الشحر أخوه حسين بن ناجي ثم ولد ناجي بن علي ناجي، وفي أيامه جاءت الوهابية تحت قيادة ابن قملا وامتلكوا البلاد ولم يؤذوا أحدا في حال ولا مال[٥] غير أنهم أخربوا القباب فقط

---

(١) انظر إدام القوت لابن عبيد الله (ص٢٢٧).

(٢) كذا قال والصواب ناجي بن قملا.

(٣) إدام القوت الحلقة (٤٠) في مجلة العرب التي تصدر في الرياض.

(٤) أي خلف علي بن ناجي بن بريك ـ حاكم الشحر أنذاك.

(٥) وهذا يدل على أن الجيش النجدي كان هدفه الدعوة إلى التوحيد، ولم يكونوا غزاة كما =

والتوابيت. . . وأقاموا بالشحر أربعين يوماً ثم ساروا وقد كان مجيئهم في خمس وعشرين سفينة»[١].

وجاء في كتاب (جواهر تاريخ الأحقاف) تحت عنوان (دخول النجدي حضرموت: أنه لما أرادوا التوجه إلى عينات وإزالة المنكرات التي فيها من توابيت وقبب وغيرها. (وقبل دخوله أزيلت التوابيت وجعلت في بعض بيوت السادة لتسلم من الإحراق، ثم دخل البلاد وخرب وكسر وغيّر، ثم خرج إلى المسفلة إلى قبر نبي الله هود عليه السلام، وكلما دخل بلاداً خرب قبابها ومشاهدها، وكسر ألواح القبور، وأبطل الاستغاثة وغيرها مما يخالف العقيدة، ولما دخل عينات كان قومه يرتجزون بقولهم:

سلام على من وحّد الله ... ولا على المشرك سلام

ويقال: أن عبد الله بن يماني التميمي وعبد الله بن عوض غرامة اليافعي حاكم تريم إذ ذاك تعهدا له بنشر مبادئ مذهبه ومحاربة الخرافات بحضرموت»[٢].

ومما سبق يتضح أن هدف الدعاة النجديين من قدومهم إلى حضرموت هو إقامة التوحيد والقضاء على الشرك ومظاهره، ولم يكن لهم هدف سوى ذلك وقد شهد بذلك مفتي حضرموت ابن عبيد الله وأحد العلويين وبين أنهم لم يفسدوا حرثاً ولا أهلكوا نسلاً، وإنما هدموا القباب، وسوّوا القبور المشرفة، وألقوا القبض على المناصب (آل عينات) و(آل تاربة) وأهانوهم، وأتلفوا بعض الكتب الخرافية[٣].

وكان لدخول الدعاة النجديين إلى حضرموت أثر طيب على أهل

= ادعى الشاطري، ولا أهل إفساد في الأرض وإنما قدموا لإصلاح ما فسد من عقائد الناس بحضرموت بسبب هيمنة المتصوفة الذي نشروا الكتب الخرافية وأقاموا المشاهد والقباب حتى أعادوا الناس ـ في بعض الأزمنة ـ إلى عصور الجاهلية ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) بضائع التابوت (٢/١٠٧). (٢) جواهر تاريخ الأحقاف (٢/٢٢١ ـ ٢٢٢).

(٣) انظر: إدام القوت (ص٥٤٠)، ط مكتبة الإرشاد ـ صنعاء.

حضرموت، ولا سيما على بعض حكامها أنذاك فقد: «تأثر بالدعوة الأمير عبد القوي بن غرامة حاكم تريم، وقام بدوره بنشر الدعوة السلفية وحصل كمية من الكتب كما تأثر بها بعض رجال آل جابر ـ قبيلة حضرمية مساكنها منطقة ساه وادي بني علي ـ وهم غير آل علي جابر ـ»[١].

ومن الأمراء الذين ساهموا في نصر دعوة التوحيد بحضرموت عبد الله بن عوض غرامة يحكم تريم الشرقية وكان رجلاً حازماً يقظاً عالي الهمة عزيز النفس[٢].

ويقول ابن عبيد الله عن عبد الله بن عوض غرامة ومناصرة لدعوة التوحيد: «وكان عبد الله عوض غرامة يذهب إلى مَدْرَس العلامة الجليل عبد الله بن علي بن شهاب الدين بزاوية الشيخ ويحمل معه بعض كتب الوهابية فيناوله السيد عبد الله ويقول له: اقرأ لنا في هذا الكتاب، فيضعه على فخذه فيسكت حتى يضجر غرامة ويأخذ كتابه وينصرف ولا يزيد على قوله: ما تحب أن تقرأ لنا يا شريف عبد الله هذا الكتاب، حتى قال له بعض أصحابه من أنذال الحاكة: لو ذهبت إلى عبد الله بن حسين بلفقيه لوافقك أو صارحك بالمخالفة؛ ولكنك ما تقدر إلا على بن شهاب وما عنده إلا الملاينة، ومتى أقرك عبد الله بن حسين بلفقيه ووافقك على هذا الكتاب وافقتك حضرموت كلها، فثار بكتابه إلى مسجد السقاف حيث يدرس الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه وناوله إياه وقال له: اقرأ لنا فيه. فقال: أي كتاب هذا؟ قال غرامة: كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فرماه بقوة وقال له: فمن وهابية؟! نحن جدنا محمد بن عبد الله. لا نرى فاعلاً ولا خالقاً ولا رازقاً ولا ضاراً ولا نافعاً إلا الله تعالى، فنهض غرامة منكسر الخاطر يلتقط الكتاب ومضى وهو يقول: بلفقيه فيه هوى، بلفقيه فيه هوى ما يحب أن يقرأ لنا في هذا الكتاب. . . »[٣].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) انظر: تاريخ حضرموت السياسي (١/١١٦).
(٣) بضائع التابوت (٢/١١٦ ـ ١١٧).

ومما يدل على أن عبد الله غرامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان محباً للتوحيد داعٍ إليه محذراً مما يضاده قبل دخول الدعاة النجديين إلى حضرموت ما جاء في رسالة له بعثها إلى شخص يدعى جعفر بن عبد الرحمٰن السقاف ـ باللهجة العامية ـ ينصح فيها بتعلم التوحيد: «فنحن كتبنا لهم كتاب منا، وقلنا لهم قصدنا تجتمعون حيث الشريف جعفر أرسل إلينا كتاب وفيه مذاكرة في الله على طريقة كتاب الله وسنة رسوله، والذين يجالسون نحن يقرؤن فيه، ولما بلغ علماء السوء أن فيه توحيد الله، وترك الأنداد شق عليهم وواعدونا أنهم با يجتمعون ولا اجتمعوا، وبعد بتلناه إلى عند القاضي الشريف حسين مديحج ويرويهم إياه وقوله: إنه رواهم إياه ونحن لنا نحو ثلاثين سنة ندعيهم لعبادة الله وحده وترك الأنداد ويجوبون علينا ويوصّون لنا على أننا بانعاهدك على الصلاة والزكاة والحج والصوم وترك المحرمات، وأنت وحّد وحدك ونحن بغينا طريقة آل باعلوي فجوبنا عليهم: ما ذكرتموه لا يصح إلا بالتوحيد، والفرائض حق كالصلاة ما تسمى صلاة إلا بالطهارة، والشرك يفسد العبادة مثل النجس يفسد الطهارة، وآل باعلوي السابقين نقول فيهم (تلك أمة قد خلت) وذكرت في كتابك رووهم أن ما حد روّاهم، ونحن إن شاء الله قد رويناهم جملة كتب توحيد وترك بيت العنكبوت العلى والحدرا وحضرنا في مجامعهم وذاكرناهم في الله وترك غيره أشراف وقبائل وأهل البلد وهم شاق عليهم ذكر أحسن الخالقين وحده، والأشراف ليس بغضاً أو سبة عليهم ألحيث أننا بغضناهم في الله الحيث هم المستكبرين ومستضعفيننا أن هو على هدى أو ضلال [[1]] العابدين معبودين ومصرين على كلمة الكفر وشاق عليهم كلمة الله هي العليا فهم من الأئمة الذين ذكر الله في القرآن: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١]. وهؤلاء يدعون إلى الشرك وكل مخالفة منهم، ويقول الله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]. فهم لي يوحون يكتبون إلى الشام والهند واليمن والجاوة يكتبون يسيرون برجولهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، وكل

---

(١) سقط في الأصل.

مخالفة في الدين من الأشراف والمستضعفين يتبعونهم ولو نقلناه لك بغت مائة لوح. . . »(١).

ومن هذه الرسالة يتضح شدة اهتمام هذا الوالي بأمر التوحيد، والوقوف ضد الشرك وأهله، بل المناصحة لعلماء تريم من العلويين كما في هذه الرسالة التي وجهها إلى جعفر بن عبد الرحمٰن السقاف، مبيناً فيها قدم دعوته إلى التوحيد، واعتماد الكتاب والسنَّة في جميع الأمور دون ما سواهما، وبيّن رَحِمَهُ اللَّهُ تمادي العلويين وأتباعهم في الشرك والمخالفات ودعوته الصادقة للعلويين وأتباعهم بترك ما عليه الآباء والأجداد مما يخالف دين الله تعالى، وأخطره الشرك الذي لا يغفره الله تعالى، بيّن رَحِمَهُ اللَّهُ أن سلفهم قد أفضوا إلى ما قدموا، والواجب على أحيائهم ترك الشرك والدعوة إليه داخل اليمن وخارجها وأن ما هم عليه من الدعوة إلى المخالفات وما هي إلا محاولة فاشلة لإطفاء نور الله تعالى، والله تعالى متم نوره ولو كره المشركون.

ومن جهود عبد الله بن عوض غرامة في محاربة القبوريين ما ذكره ابن عبيد الله عنه: «وكان ينكر بطبعه غلو القبوريين، فوافقته آراء الوهابية، وأكثر التعلق بوحيد عصره، وفريد دهره مقدم الجماعة، وشيخ الصناعة والذي انتهت إليه رياسة العلم بتريم: العلامة الجليل السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان، المتوفى بتريم سنة (١٢٤٨هـ)، وقد اتهمه العلويون بأنه هو الذي يعلم عبد الله عوض غرامة آراء الوهابية. . . . »(٢).

كما كان لبعض الولاة جهود مشكورة في إهانة أهل البدع، والتصغير من شأنهم، فقد جاء عند ذكر معروف بن عبد الله باجمال الصوفي الكبير ـ شيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات: «وسبب خروجه من بلده إلى دوعان أنه كان وشي به إلى السلطان بدر الكثيري في أشياء منها؛ فرط اعتقاد الناس فيه وامتثالهم لأوامره ونواهيه، فأمر بنفيه من البلاد بعد الإشهار بإهانته بين العباد

(١) بضائع التابوت (٢/١١٧ ـ ١١٨).
(٢) إدام القوت الحلقة (٤٠) في مجلة العرب التي تصدر في الرياض.

فنودي عليه: هذا معبودكم يا أهل شبام، وجعل في عنقه حبلاً وطيف بين الأنام»[١].

كما قام السلطان بدر بو طويرق بنفي الصوفي عمر بامخرمة إلى الساحل ثلاث مرات، حيث اشتهر بامخرمة بالسماع البدعي والمجاهرة به عند الناس، بل وفي الشوارع[٢].

وهناك رسالة بعنوان: (مبحث في وجوب التعبد بالآحاد) للسلطان صالح بن غالب القعيطي[٣]: وهو عبارة عن رد على المتكلمين ومن تبعهم في ذلك ومنهم صوفية حضرموت وغيرهم في عدم اعتمادهم خبر الآحاد في تلقي مسائل العقيدة كما تقدم في فصل قولهم في الأسماء والصفات.

وهكذا وجدت الدعوة السلفية فرصة في أوقات متفرقة من تاريخ حضرموت، وكانت هذه هي الفرصة لنشر التوحيد والقضاء على مظاهر الشرك والبدع، ولوقوف أنصار الدعوة السلفية مع حملات دعاة الدعوة السلفية.

ويتضح مما تقدم الجهود المشكورة لأهل العلم وبعض الولاة في محاربة التصوف الدخيل على بلاد حضرموت السنية، لذا تنوعت الردود على هذه الطائفة الدخيلة تارة بالمصنفات المستقلة وتارة في ثنايا الكتب والرسائل وغير

---

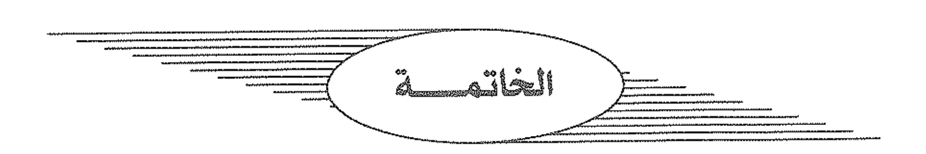
(١) تاريخ النور السافر (ص٢٤٦). كما شارك بعض القضاة في محاربة التصوف، فمن القضاة الذين وفدوا على حضرموت في عهد السلطان غالب بن عوض القعيطي الشيخُ عبد الله بن أحمد الرواف النجدي فقد كانت له جهود مشكورة، وله دعوة في المكلا وإصلاحات قام بها هناك. انظر: مجلة العرب (٢٧/ ٦٩)؛ ومن آثاره رسالة صغيرة بعنوان (سؤال وجواب عن مذهب الجهمية الحلولية) مخطوط بمكتبة الأحقاف بتريم، يرد فيها على مذهب أهل الحلول ووحدة الوجود الذي وجد ببعض أجزاء اليمن وانتشر أثره إلى بعض الجهات. وقد أشار الشيخ الناخبي في مقاله في جريدة العرب ـ السابق ذكره ـ إلى انتشار صيت الشيخ الرواف بالمكلا وأن الناس تتداول الحديث عن تغييره لبعض المخالفات بتلك الجهة. فرحم الله أهل السنَّة ما أحسن أثرهم على الناس.

(٢) السناء الباهر (ص٣٨٢)؛ تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٣٢).

(٣) هو السلطان صالح بن غالب القعيطي، سلطان حضرموت، توفي سنة ١٣٧٥هـ. من مؤلفاته: مصادر الأحكام الشرعية، والآيات البينات، والملاحة البحرية. انظر: الأعلام (٣/ ١٩٤). ورسالته التي بعنوان (مبحث وجوب التعبد بالآحاد) طبعت بمطبعة الكمال ـ عدن.

ذلك من الوسائل التي اتبعها دعاة الحق محاربة الخرافات والبدع والشركيات التي نشرها المتصوفة بالدروس والمحاضرات ونشر الأشرطة والأوراق وقيام بعض الولاة بمحاربة هذا الفكر المنحرف، وهذا يدل على الجهد الكبير الذي قام به هؤلاء في وجه هؤلاء المتصوفة؛ وذلك لإدراك خطر هذا الفكر على الأمة، فأبان أهل الحق ـ رحمهم الله تعالى ـ ووفق أحياءهم حقيقة هذه الطائفة، وكشفوا تلبيس دعاتها ومناقضة فكرها لأصول الدين الإسلامي.

فجزى الله هؤلاء العلماء والقبائل والولاة خير الجزاء على جهدهم وذبهم عن الملة، ووقوفهم في وجوه أهل البدع.



الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

انتهى - بفضل الله وإعانته - ما أردته من هذا البحث الذي تعرض لدراسة الصوفية في حضرموت (نشأتها وأصولها وآثارها)، فللَّه الحمد أولاً وآخراً على ما أسبغ عليّ من نعمه الظاهرة والباطنة، وأجلها نعمة الإسلام والسنَّة، ثم سلوك طريق علم الكتاب والسنَّة على منهج السلف الصالح، وفي ختام هذا البحث أسجل النتائج التي أختم بها هذه الرسالة وهي كالآتي:

١ - حضرموت لفظ مكون من كلمتين: «حضر» و«موت» ركبت تركيباً مزجياً فصارت كلمة واحدة، وقد اختلف في سبب تسميتها بذلك على أقوال بينتها في فقرات البحث، وتبيّن أن حضرموت اسم موضع واسم قبيلة.

٢ - تبين من خلال البحث أن حضرموت كانت بها أديان مختلفة قبل دخول الإسلام إليها، فقد وجدت بها عبادة الشمس، وعبادة الأصنام ونحو ذلك، ثم دخلتها اليهودية، ثم النصرانية وبعد ذلك دخلها الإسلام فرحل بعض رجالها إلى المدينة لمبايعة النبي ﷺ ولتعلم دين الله تعالى.

٣ - أن دخول الإسلام لحضرموت كان مبكراً بالنسبة لغيرها من البلدان، وكان لها أثر واضح في نشر الإسلام بعد ذلك، ولكنه عكر هذا الإسلام المصفى ما نشره المتصوفة فيما بعد من الشركيات والبدع.

٤ - تعددت الأقوال في أصل اشتقاق التصوف وفي معناه، وقد ذكرنا

بعض تلك الأقوال وترجح أن التصوف نسبة إلى الصوف؛ لأنه كان غالب لباس الزهاد.

وأما معنى التصوف فالذي يظهر أنه يختلف المعنى بحسب العصور التي يمر بها التصوف، فقد نشأ التصوف في بدايته لأسباب أهمها: نزعة الزهد لدى البعض، بالإضافة إلى الظروف الاجتماعية والسياسية التي سادت المجتمع في ذلك الوقت، ثم دخلت عليه نظريات فلسفية أبعدته عن دين الله تعالى، فالتصوف عند بعضهم رياضات يقوم بها السالك لهذا الطريق ليصل من خلالها إلى وحدة الوجود ويشعر أن الكون والله شيء واحد ـ تعالى الله عن ذلك.

٥ ـ إن دخول التصوف إلى حضرموت كمنهج له قواعده وأصوله ورجاله كان في القرن السادس، وتمكن في القرن السابع على يد محمد بن علي العلوي الملقب بالفقيه المقدم، وإن وجد قبله بعض الشخصيات التي تشربت بالتصوف إلا أنه لم يكن لها دور كبير في تأسيس التصوف بحضرموت، وكان لدخول التصوف أسباب بينتها في ثنايا هذا البحث منها: الجهل، ووجود العلويين القادمين من العراق، والاتصال ببعض البلدان التي دخل التصوف إليها مبكرا وغير ذلك.

٦ ـ تبيّن لي من خلال البحث وجود صلة قوية بين أهل حضرموت وبين صوفية العالم الإسلامي خاصة صوفية المغرب، وصوفية زبيد وإن كان هناك بعض الغموض في التاريخ الحضرمي حيث لم تعرف تفاصيل تلك الصلات، وتتضح الصلة ببلاد المغرب وذلك بإرسال مندوبين لحضرموت من قبل شعيب أبي مدين التلمساني لنشر خرقة التصوف هناك، وتحكيم بعض الشخصيات الحضرمية لنشر الطريقة المدينية بتلك الجهة.

٧ ـ قام الصوفية الأوائل في حضرموت بنشر التصوف بتلك الجهة وإلى جهات أخرى في اليمن وخارجها، وكان لهم تلاميذ نشروا هذا الفكر في مناطقهم بينا أبرزهم ودورهم في ذلك.

٨ ـ إن الطريقة المنتشرة في حضرموت هي الطريقة العلوية نسبة إلى آل

باعلوي الذين قدموا من العراق واتخذوا حضرموت موطناً لهم، وتبيّن من خلال البحث أن هذه الطريقة عبارة عن مزيج من الطريقتين الشاذلية والغزالية، لها طقوسها وشعائرها التي يسلكها المريد ليصل إلى الغايات المزعومة التي يروج لها شيوخ الصوفية.

وقد تفرعت من الطريقة العلوية طرق كثيرة انتشرت في حضرموت وفي بعض بلدان العالم الإسلامي: كالعيدروسية، والحدادية، والعطاسية وغيرها.

كما وجدت بعض الطرق الصوفية بحضرموت كالعبادية، والعمودية لها ارتباط بالطريقة العلوية في كثير من طقوسها وأهدافها.

٩ ـ وجد في حضرموت بعض الصوفية الغلاة الذين اعتنقوا فكرة وحدة الوجود وسطروا ذلك في مؤلفاتهم منهم: عبد الله العيدروس، وابنه أبو بكر، وأبو بكر بن سالم العلوي، وعبد القادر العيدروس، وأحمد باعشن، وهناك بعض المتصوفة لهم إشارات وعبارة توحي بالقول بهذا العقيدة، ويرجع السبب في ذلك إلى التعمق في التصوف بالاطلاع على كتب الغلاة كابن عربي، والحلاج، وابن الفارض، بل قد قام بعضهم بشرح تلك الكتب كما فعل أبو بكر العيدروس وأحمد باعشن.

١٠ ـ واتضح من خلال البحث أن الصوفية تتواجد بكثرة بمدينة تريم منذ نشأتها إلى اليوم، إذ تعتبر القاعدة التي بث منها المتصوفة أفكارهم المنحرفة إلى بقية مناطق حضرموت، ثم بقية بلاد اليمن ثم إلى البلدان الأخرى خارج اليمن: كالهند، وأندونيسيا، وماليزيا، وسنغافورة، وبلدان شرق أفريقيا.

وأما ما يتعلق بأصول صوفية حضرموت العقدية وآثارها والجهود المبذولة في مقاومتها فيتضح فيما يلي:

عند دراسة عقائد صوفية حضرموت اتضح لي أن القوم بنوا اعتقاداتهم على القصص والحكايات، ومسائلة مشايخهم ونحو ذلك، فهم ليسوا كغيرهم من الفرق الذين كتبوا مؤلفات مستقلة في بيان اعتقادهم، فهذا أمر قليل عند صوفية حضرموت، وإنما تجد تقرير عقائدها مندرجاً في التراجم، وكتب

المناقب والكرامات، وكتب التاريخ، وفي الأشعار والحضرات، وكتب الأوراد والأذكار ونحوها.

وتبيّن أن صوفية حضرموت اتخذت مصادر للتلقي تختلف عن المصادر التي اعتمدها أهل السنَّة والجماعة؛ فاتضح انحراف صوفية حضرموت في ذلك وتلقيها من غير الكتاب والسنَّة، وأما نصوص الكتاب والسنَّة فقد أولوها وفوضوها؛ بل وفسروها بتفاسير باطنية أبعدتها عن معانيها المرادة.

واعتمد القوم الكشف والرؤى والمنامات في تلقي أمور دينهم؛ بل ادعوا التلقي من الرسول ﷺ بعد موته، وكذا من الخضر عليه السلام، ومن مشايخهم الأموات.

وأما التوحيد فقد انحرفوا في جميع أنواعه الثلاثة، ففي توحيد الربوبية: اعتقدوا أن مشايخهم وأولياءهم أقطاب وأغواث يتصرفون في الكون، ويملكون صفات وأفعال الرب تعالى من علم الغيب، والإحياء، والإماتة، والتصرف بالدنيا والآخرة وغير ذلك.

ومن انحرافهم في الربوبية أيضاً: قول كبار مشايخهم بعقيدة وحدة الوجود وهي الاعتقاد أن الوجود واحد وليس هناك خالق ومخلوق ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ـ وهذه العقيدة نسف لدين الإسلام من أساسه.

وفي توحيد الأسماء والصفات مع قول كبار مشايخهم بوحدة الوجود وجعل صفات الرب للمخلوق فأنهم كذلك اتبعوا منهج المتكلمين ـ الأشاعرة ـ وسلكوا طريقهم في هذا الباب، فقالوا بإثبات بعض الصفات دون بعض، وقالوا بالتأويل والتفويض البدعيين في صفات الله تعالى، ونفوا كثير من صفات المولى سبحانه كصفة العلو، والاستواء، والنزول، والكلام. وقالوا في الرؤية أنه تعالى يرى لا في جهة، كما أنكروا صفة الوجه، واليدين، والقدم والصفات الفعلية ـ الاختيارية ـ لله تعالى كالرحمة، والغضب، والرضى وقد ذكرت نصوصهم في ذلك ورددت عليها بالأدلة الشرعية وأقوال أهل العلم.

وأنكرت صوفية حضرموت أن يكون القرآن كلام الله تعالى وقالوا: هو

عبارة عن كلام الله؛ لأن كلامه تعالى ـ بزعمهم ـ معنى واحد، قديم أزلي، ليس له تعلق بمشية الله وقدرته، ليس بحرف وصوت، وإنما هو كلام نفسي.

وتبيّن أن الإيمان عند صوفية حضرموت مجرد التصديق، فمن أتى بالتصديق عندهم وترك العمل فهو مؤمن عندهم، فهم على مذهب المرجئة في هذا الباب.

وأغفلت صوفية حضرموت توحيد الألوهية فلم يعرفوا معنى هذا التوحيد الذي بعثت به الرسل، ولم يعرف القوم كذلك أول واجب على المكلف، ولا معنى العبادة التي أمر بها العباد فقادهم ذلك للوقوع في الشرك الأكبر وطلبهم من الأولياء والشيوخ الأموات قضاء الحاجات، ودعاءهم، والاستغاثة بهم، وجعلهم شفعاء عند الله، وكذا توسلوا بهم لعدم معرفتهم بالتوسل المشروع فتوسلوا بذات الشخص وبجاهه، فالتوسل بذات الشخص معناه: جعله واسطة بين الله وبين خلقه، وحرفوا هذه المصطلحات الشرعية ليسوغوا شركياتهم وبدعهم.

كما انحرفت صوفية حضرموت في عدم معرفة نواقض التوحيد فوقعوا في الشرك وصححوا شركيات مشايخهم وأوليائهم، وزعموا أن ذلك ليس بشرك وإنما هم واسطة بينهم وبين الله لا يريدون منهم سوى أن يقربوهم إلى الله تعالى لمنزلتهم الرفيعة عند الله تعالى، فشابهوا في زعمهم هذا قول المشركين تماما في ذلك وينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وفي النبوة: انحرفت صوفية حضرموت في هذا الركن الذي يعد الركن الرابع من أركان الإيمان، حيث رفعوا منزلة مشايخهم وأوليائهم إلى مرتبة النبوة، واعتقدوا أن إلهام الولي كالوحي للنبي، وقالوا بعصمة الأولياء، بل وفضلوا علوم أوليائهم على علوم الأنبياء.

واضطربوا في النبوة كذلك فقال بعضهم بأقوال الفلاسفة من أن النبوة

تكتسب بالرياضات والمجاهدات ونحو ذلك، ولم يعبأوا بنصوص الوحي وإنما اعتمدوا مصادر المكاشفات والأذواق والمنامات ونحوها.

وغلا القوم في شخص النبي ﷺ وقالوا بالحقيقة المحمدية، وأنه أول مخلوق، وأن الوجود خلق من نوره ﷺ، واعتقدوا حياته ﷺ في قبره كحياته في الدنيا، وتصرفه بالخروج إليهم، ومحادثتهم، والتلقي عنه، كما اعتقدوا تجزؤ جسد النبي ﷺ، واعتقدوا إحاطة علمه بالأولين والآخرين، وأنه مرسل إلى جميع الملائكة والنبيين ونحو ذلك من مظاهر الغلو التي نهى عنها الشرع.

وفي القدر: انحرفت صوفية حضرموت في باب القدر الذي يعتبر الركن السادس من أركان الإيمان التي يجب الإيمان بها، فتناقضت فيه حيث قررت أن أولياءها يخلقون فعل أنفسهم؛ بل ويتصرفون في الكون كله ومن فيه ـ كما هي عقيدة القطبية ـ نجدها في المقابل اعتمدت عقيدة الجبرية وسموها كسباً تبعاً للمذهب الأشعري، فنفت وجود قدرة للعبد مؤثرة في الفعل، كما نفت الأسباب أن تكون أسباباً، ونفت الحكمة والتعليل في أفعال الله، وقالت بقول المتكلمين في التحسين والتقبيح، وكذا انحرفت في مفهوم التوكل الصحيح حيث دعت لترك الأسباب، وادعت أنهم بترك الدنيا تسخر لهم الأكوان.

كما ادعى القوم معرفة ما في اللوح المحفوظ، وتصرفهم فيه كيف شاءوا.

وانحرف القوم في الركن الخامس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر، فتكلموا في أمور المعاد بلا علم، وأوّلوا بعضها بكلام يشبه كلام الباطنية، وادعوا تصرفهم فيها، فقد زعموا أن أولياءهم يحشرون يوم القيامة أمة لوحدهم، ويتصرفون في الصراط فيمرون عليه بل وإمرارهم لمن يشاؤون من الناس ثم إدخالهم الجنة. في الصراط، ومرورهم عليه بسلام وإمرار غيرهم معهم إلى الجنة.

كما ادعوا التصرف في الجنة والنار، وتكلموا في شأنهما بلا علم، وزهد كبارهم في الجنة ولم يبال بالنار، وادعوا معرفة مصير الخلق في الآخرة، وضمان الجنة لمن يشاءون وإخراج من يشاءون من النار.

وفي عذاب القبر ونعيمه: زعموا أن أولياءهم ومشايخهم يطلعون على أمور البرزخ، ويتصرفون فيه أحياء وأمواتاً، وخاضوا في الكلام فيما يقع بعد الموت بلا علم ولا دليل، وقالوا بعدم انقطاع عمل الولي بعد موته.

وأما آثار صوفية حضرموت فكثيرة نجملها في الآتي:

الغلو في الأولياء والصالحين: وهذا الأثر أعظم الآثار التي تتميز به الصوفية في كل زمان ومكان، إذ دينهم قائم على تقديس الأشخاص، حيث أعطوا أولياءهم ومشايخهم صفات الرب تعالى، واعتقدوا دعايتهم ـ أحياء وأمواتاً ـ للناس، وبالتالي صرفوا لهم أنواعاً من العبادات، ولو لم يكن من آثار صوفية حضرموت إلا هذا الأثر لكفى؛ كون جل المخالفات والانحرافات سببها الغلو في الذوات والأماكن ونحوها.

وغلت صوفية حضرموت في القبور فصرفت لها كثيراً من العبادات وسبب ذلك الغلو في الأموات فقد بنوا قبورهم، واتخذوها مساجد، ووضعوا عليها السرج وزخرفوها وأحاطوها بالتقديس والتعظيم، ونشروا الحكايات في عقوبة من لم يعظمها، وروجوا لزيارة قبور مشايخهم ومعظميهم بوسائل كثيرة، وشدوا الرحال إليها لاعتقادهم بركتها لا سيما قبور كبارهم الذين ادعوا لهم مطلق التصرف في أمور الدنيا والآخرة أحياء وأمواتاً.

وأما العبادات الشركية والبدعية عند صوفية حضرموت فقد ظهرت عبادات شركية وبدعية كثيرة مثل: الخلوات الصوفية، والاحتفالات البدعية، والأوراد والصلوات الصوفية بل كثير من تلك الأوراد تحتوي على الشرك الأكبر.

ومن آثارهم: نشر الفكر الصوفي بوسائل متعددة منها: التأليف والنشر وهي أكثر الوسائل انتشاراً، كما كان لهم أثر في الرحلات التي يقوم بها مشايخهم إلى مناطق مختلفة لبث عقائدهم وأعمالهم الشركية والبدعية، وكان لانتشار المكتبات والتسجيلات الصوفية ونحوها أثر في بث فكر هذه الطائفة.

ومن آثارهم أيضاً نشر الأربطة والزوايا: التي تعتبر محاضن الصوفية

حيث تضم مختلف شرائح المجتمع، فقد بنوا تلك الزوايا والأربطة في مناطق مختلفة من بلاد اليمن بل وخارجها.

ومما تقدم يتضح خطورة الصوفية وعقائدها، ومناقضتها لأصول الإسلام وتأثيرها الهدام على العقيدة والعبادة والأخلاق، وما تركته من انحرافات علمية وعملية في مجتمع حضرموت وفي غيره من البلدان التي هاجر متصوفة حضرموت إليها خير شاهد على ذلك.

ورغم تلك الآثار السيئة التي خلفتها الصوفية في بلاد حضرموت وغيرها من البلدان التي وجدت بها إلا أن هناك من قام بمحاربة هذه الآثار السيئة على تلك البلدان، ومن أوائل أولئك أهل حضرموت أنفسهم فقد وجد بها علماء من العلويين وغيرهم قاموا بمحاربة التصوف بوسائل مختلفة كما بيّنا ذلك في مبحث الجهود ضد هذه الطائفة الدخيلة على أرض حضرموت، وتمثلت تلك الجهود بأمور كثيرة منها: التأليف والتحذير والمقاومة لتلك الأعمال بقدر المستطاع، وكذا شاركهم إخوانهم من بلاد اليمن وخارجها، كما كان لبعض الولاة وبعض القبائل جهود مشكورة في نصرة الحق ومحاربة الباطل وأعوانه، واستمر هذا العطاء والبذل من أهل العقيدة الصحيحة إلى يومنا هذا فقد وجد أهل العلم الذين يدرسون العقيدة الصحيحة، وأنشئت المراكز العلمية لتدريس دين الله تعالى، وانتشر دعاة الحق في بلاد حضرموت، وقام بعض أهل العلم بالرد على مخالفات صوفية حضرموت بالكتب والنشرات، والأشرطة الصوتية، وعبر مواقع الأنترنت وغيرها من الوسائل، فنفع الله تعالى بتلك الجهود حتى عاد الكثير من الناس إلى الحق بعد أن بقوا في شَرَكِ التصوف مدة طويلة.

كما تبين من خلال هذا البحث خوف أهل الباطل من الحق وأهله، حيث أدرك متأخرو صوفية حضرموت وأتباعهم الباطل الذي هم عليه ومضى عليه سلفهم، فاضطروا لحذف كثير من الانحرافات التي احتوتها كتب سلفهم؛ كما فعل محمد بن أحمد الشاطري في المشرع الروي حيث حذف كثيراً من خرافاته لأنها ـ بزعمه ـ لا تناسب العصر، وكما يفعله هذه الأيام أبو بكر بن

علي المشهور في كثير من كتبه من تخريج العبارات الشركية لسلفه.

وكذا اتضح لي من خلال البحث في مؤلفات القوم في هذا الزمان خوفهم من ذكر أسمائهم على مؤلفاتهم وخاصة ما تعلق بالعقيدة، حيث يضعون عليها الأسماء المستعارة ثم ينكشف أمرهم بذكر هذه المؤلفات في كتبهم الأخرى، وقد ذكرنا أمثلة على ذلك في ثنايا هذا البحث، وهذا يبيّن إدراك القوم خطر ما هم عليه من الباطل وخوفهم من الحق وأهله.

كما يتضح من خلال البحث استعمال متصوفة حضرموت العبارات البراقة ـ التي تخفي تحتها السموم ـ مثل تسمية أنفسهم بدعاة الوسطية والاعتدال، ومحاربة الغلو والتطرف، ودعاة منهج أهل البيت المظلوم في هذا الزمان، وغيرها من العبارات التي تهدف لاستمالة قلوب العوام والجهلة بمذهبهم المنحرف.

إن ما يذكرونه عن مشايخهم وصالحيهم من الكفر والضلال وإقرار المنكرات إما أن يكون: كذباً عليهم ويلزم الأتباع التبرئة ممن قاله، أو افتري على مشايخهم، وإلا فإنهم مقرون بالباطل، ثم إن هذه ليست بكرامة؛ لأن الوقوع في الباطل أو إقراره ليست كرامة، إنما هي إهانة وضلال، ودليل على عدم اهتداء فاعل ذلك للحق والهدى، فأنت ترى أهل السنَّة موفقون في أقوالهم وأفعالهم، وإن جُهل حال بعضهم، فأقوالهم وأفعالهم الحميدة تدل على سلوكهم طريق الهداية، ولكل نصيب من ولاية الله تعالى كل بحسبه؛ فإن الولي هو المؤمن التقي، والله المستعان.

وتبين أن الصوفية في القرنين الرابع والخامس عشر أقل تأليفاً عن سابقيهم، لقلة البضاعة والضعف العلمي، والجمود على بدع وضلالات سابقيهم، والتمسك بها دون الحيدة عنها، بالإضافة إلى الانشغال بالدنيا، وإن تكلموا فيرددون الشبه القديمة التي مضى عليها أسلافهم، كما استغل بعضهم مسألة النسب لنشر باطلهم ودعوة الناس إليه.

ينبغي التنبيه أن الصوفية المعاصرين يدعون ـ كسلفهم ـ أن التصوف هو

معالجة القلوب التي أظلمت عليها المعاصي، وزخارف الدنيا... إلخ وكذا ادعاؤهم أنهم شافعية، وأن منهجهم منهج الوسطية والاعتدال البعيد عن التطرف، وأن مدرستهم هي المدرسة الأبوية التي يجب الانضمام إليها؛ فبنوا المراكز الصوفية لنشر فكرهم، وساعدتهم على ذلك الإمكانيات الكبيرة، والعلاقة الكبيرة بكبار الأغنياء في بلدان مختلفة أعانوهم على ذلك، وكل ذلك لن يجدي شيئاً؛ فالحق واضح وقوي، وإن رفع الباطل رأسه في بعض الأوقات فلن يستمر طويلاً.

وفي ختام هذا البحث الذي أسال الله العظيم بمنه وكرمه أن يتقبله، وأن ينفع به فإني أوصي بما يلي:

أوصي نفسي وإخواني في الله بوصية الله تعالى للأولين والآخرين وهي تقوى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] فمن تمسك بهذه الوصية رزقه الله العلم النافع والعمل الصالح اللذين بهما سعادة العبد في الدارين.

وأوصي إخواني الباحثين بدراسة الفرق التي ظهرت في بلاد اليمن، ومعرفة أصولها وعقائدها وآثارها السلبية على المجتمع اليمني، وإبراز الجهود ضد تلك الفرق والطوائف حيث وجدت جهود مشكورة بذلها أهل السنَّة في محاربة الفرق التي ظهرت هنالك: كالإسماعيلية، والصوفية، والإباضية، والزيدية، والمعتزلة والأشعرية، فينبغي القيام بهذا الأمر واحتساب الأجر من الله تعالى.

كما اقترح دراسة المسائل العقدية في الكتب التاريخية، فإن تاريخ اليمن عموماً، وتاريخ حضرموت خصوصاً احتوى على كثير من المسائل العقدية المبثوثة فحبذا لو جمعت تلك المسائل ودرست في رسالة.

كما أوصي بدراسة تاريخ حضرموت دراسة علمية صحيحة متجردة، وبيان سبب الغموض الذي ساده، وكذلك إبراز جهود أهل العقيدة الصحيحة الذين حاربوا التصوف الدخيل على بلاد حضرموت من أول يوم، فإن كتب التاريخ

وكذا كتب الصوفية أشارت إلى وجود خلاف من بعضهم ولم تفصل؛ لأن بيان ذلك يضرها.

كما أوصي بدراسة أثر الدعوة السلفية على حضرموت خصوصاً وعلى اليمن عموماً، خصوصاً دعوة شيخي الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب ـ رحمهما الله تعالى ـ.

وأوصي بالبحث في تاريخ حضرموت المشرق الذي احتضن دعوة أهل السنَّة منذ فجر الإسلام، وقام أهله بدور بارز في نصر الإسلام والمسلمين داخل اليمن وخارجها؛ فقد كان منهم المجاهدون أصحاب الفتوحات، ومنهم العلماء والمحدثون والقضاة فحبذا لو درس هذا الجانب المضيء من تاريخ هذا الإقليم الكبير من بلاد اليمن.

والوصية أيضاً بالإسهام في إظهار جهود علماء حضرموت السلفيين ـ الذين تجاهلهم كثير من المؤرخين الحضارمة ـ سواء بالمحاضرات، أو إصدار الكتب والكتيبات التي تبيّن دورهم في نصر دين الله تعالى، وتحفيز همم أهل حضرموت للتأسي بمنهجهم الرشيد في بيان التوحيد ومحاربة الشرك والبدع.

كما أوصي القائمين على المدارس والجامعات اليمنية بالتحذير من فرقة الصوفية وغيرها من الفرق، وذكرت الصوفية لملاحظة نشاطهم الواضح في الآونة الأخيرة في بلاد اليمن العزيزة.

وينبغي عدم التهاون بشأن هذه الفرقة بل الواجب التحذير منها ومن شيوخها الذين يبثون شرهم بأسماء براقة منها: دعاة الوسطية، والاعتدال، ومدرسة أهل البيت ونحو ذلك من التسميات التي لا تغير من الحقيقة شيئاً.

كما أوصي بعقد الندوات والمؤتمرات الإسلامية لتوحيد الجهود ضد هذه الفرقة ومن على شاكلتها، وبيان عقائدها وبدعها لتحذير الأمة من شرها.

كما ينبغي تحذير دور النشر من نشر أو طباعة الكتب التي يبثها المتصوفة لإعادة المسلمين إلى عهد الجاهلية الأولى من عبادة غير الله، واتباع غير رسول الله ﷺ.

نشر العقيدة الصحيحة بين أفراد الناس بمختلف الأساليب منها: إرسال الدعاة من العلماء، وطلبة العلم الأقوياء، والدعاة المتميزين لنشر الحق في تلك الأماكن، وكذا إرسال الكتب والأشرطة ونحو ذلك واحتساب المثوبة من المولى جلَّ في علاه.

تكثيف الجهود في القضاء على الجهل الذي وجد في حضرموت في فترات من الزمن، ولا يزال موجوداً في بعض الأماكن التي يندر أو يقل فيها دعاة الحق، كما أن للزيارات الدعوية دوراً هاماً في القضاء على الجهل، وكذلك الواجب على الدعاة نشر الكتب السلفية والأشرطة الداعية إلى التوحيد والمحذرة من الشرك والبدع.

ومن الوصايا الصبر في الدعوة، وسعة الصدر في ذلك، وإظهار صفات الداعية السُنِّي الذي يجب أن يتمتع بالخلق الحسن؛ إذ أن صوفية حضرموت تختلف كثيراً عن صوفية البلدان الأخرى، لما يتمتع به متصوفة حضرموت من الأخلاق، والصبر، وطول البال ـ كما يقال ـ في دعوتهم، وكذلك السخاء الذي يبذلونه للناس الذي جر الجهال بحقيقة مذهبهم إلى التمسك بما هم عليه؛ بل والدفاع عنهم لا سيما من بعض القبائل الموالية للصوفية.

ومن التوصيات كذلك: السعي لدعم دعاة الحق وتزويدهم بالكتب، والمراجع التي تهتم بمسائل التوحيد، والرد على طوائف الباطل بما فيهم الصوفية، للاستفادة منها في الرد على شبهاتهم التي يتداولها اللاحق عن السابق.

انتهاز الفرصة للحوار مع كبارهم، لا سيما وهم ينادون بالحوار، ويكون الحوار لمن له أهلية في العلم، ويتمتع بآداب الحوار، ولديه الصبر. بشرط أن يجعل الحكم بين الجميع الكتاب والسنَّة وفق مذهب السلف دون غيره، مع مراعاة المصالح والمفاسد، ويكون ذلك لأهل العلم الذين يقدرون الأمور قدرها.

تمكين أهل حضرموت من المنح الدراسية في الجامعات الإسلامية في المملكة، لما تلعبه تلك الجامعات من دور كبير في توضيح العقيدة الصحيحة،

ومنهج السلف الصالح، لينهل الطلاب من معينها الصافي ثم يعودون إلى وطنهم دعاة هدى داعين إلى سبيل ربهم على بصيرة.

الدعوة لفتح معاهد سلفية تتبع المملكة في عموم بلاد اليمن وبلاد حضرموت، لما سيكون لذلك ـ بإذن الله ـ من أثر بالغ في المجتمع الحضرمي، لا سيما والناس على فطرة ومحبة للتوحيد ودعاته.

الاهتمام بالصحف التي تعالج أوضاع الناس، وتجيب على استفساراتهم، وتبيّن لهم دينهم، وكيفية التعامل بما يرضي ربنا جلَّ وعلا، وتكون غايتها الاهتمام ببيان العقيدة الصحيحة والتحذير مما يضادها، وتصدر هذه الصحف والمجلات عن هيئة حكومية يقوم عليها أهل العلم السلفيون.

بث العقيدة الصحيحة والمنهج الصحيح وذلك بالمحاضرات، والدروس بواسطة الوسائل الحديثة في هذا العصر؛ كالأشرطة الصوتية، وأقراص الكمبيوتر، وعبر شبكات الأنترنت في حضرموت وفي غيرها من البلدان الأخرى التي بث فيها المتصوفة شرورهم، وبلغات تلك البلاد؛ كبلاد الهند، وأندونيسيا وماليزيا ونحوها.

المساهمة في نشر الدورات العلمية الصيفية في حضرموت وغيرها لتدريس كتب التوحيد والسنَّة والمحاضرات الهادفة لتصحيح العقيدة، والإجابة على استفسارات الناس في أمورهم الدينية والتحذير من الشرك والبدع.

وأوصي ولاة الأمور في بلدي ـ وفقهم الله لما يرضيه ـ بالقيام بإزالة المنكرات التي خلفتها الصوفية في بلاد الإيمان والفقه، ويكون ذلك بهدم القبور المرتفعة، وتسويتها بالأرض تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ، وإزالة المشاهد المبتدعة، ومحاربة الشركيات والبدع التي بثتها الصوفية في أنحاء كثيرة من اليمن؛ ومنع كتب الصوفية من التداول ومنع تدريسها في المساجد والمجالس والمناسبات؛ لأن ذلك سبب لغضب الله تعالى، وزوال نعمه من بلاد اليمن التي دعا لها النبي ﷺ بالبركة فلا نكون سبباً في إزالة النعم بالسكوت عن المنكرات المخلة بدين الإسلام.

وأوصيهم ـ مأجورين ـ بإتلاف كتب المتصوفة وغيرهم من أهل البدع والضلال التي نشروها في بلاد اليمن الغالية لما تحويه تلك المؤلفات من الشركيات والخرافات والبدع.

كما أوصي القائمين على الدعوة في اليمن بعدم إغفال أمر الصوفية والاستمرار في الرد عليهم من بعض أهل العلم؛ لأنه ظهر تهوين بعضهم ـ في الآونة الأخيرة ـ من أمر الصوفية في حضرموت، وهذا له خطورته، فلا ينبغي الاستهانة بالخصم، ولعل ذلك من الأسباب التي جعلت القوم ينشطون في الآونة الأخيرة، ليس على مستوى حضرموت واليمن فقط، بل على مستوى العالم الإسلامي.

والوصية بالانتباه لخطر الصوفية والشيعة في اليمن، فهم يتحينون الفرص لينقضوا على أهل السنَّة، ويعيدوا الأمة إلى الجاهلية الأولى بتشييد الأضرحة وإحياء الشرك، وطمس التوحيد والسنَّة ـ والله المستعان.

الوصية بتدريس كتب الأئمة والعلماء عموماً، وتدريس كتب علماء الشافعية؛ أهل المعتقد الصحيح ـ خصوصاً ـ وذلك لإلزام القوم بما عند هؤلاء العلماء من الحق الذي أضاعه المتصوفة، وبيان أن الدين دين الله تعالى وليس دين فلان أو فلان، وإنما العز والتمكين لمن حكّم كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ على نفسه ومن يليه ولزم طريق السلف الصالح قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وأخيراً أوصي صوفية حضرموت ومن اغتر بهم أن يتقوا الله في أنفسهم، وفي أبناء المسلمين الذين يجرونهم إلى هاوية الجحيم، فإن الأمر عظيم، وسيقفون غداً بين يدي الله تعالى فعليهم أن ينقذوا أنفسهم وأهليهم من النار، وأن يتبرأوا من التبعات التي ارتكبوها والمخالفات التي جنوها، وينصحوا لأنفسهم وللمسلمين قبل أن يداهمهم هاذم اللذات ولات ساعة مندم.

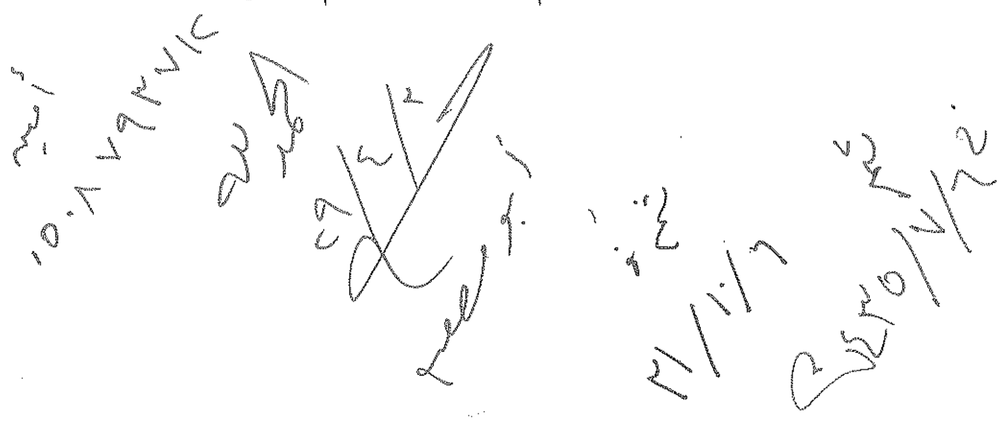
وأذكر أهل حضرموت أن أسلافهم كانوا على السنَّة، ولم يعرفوا التصوف ومظاهر انحرافاته إلا في القرن السابع، لذا تقدم في البحث اهتمام

سلفهم بالعلوم الفقهية ولم يعرفوا التصوف ورسومه المنحرفة، بل إنكار علماء حضرموت المتقدمين لبدع القبور ورفعها، وقد شهد بذلك الصوفية العلويون فضلاً عن غيرهم، فكيف لأهل حضرموت أن يستبدلوا الخير الذي مضى عليه أسلافهم من العلم النافع والعمل الصالح بالذي هو أدنى وهو التصوف المنبوذ عند كل صاحب عقيدة سليمة.

وأقول أخيراً: إن النهضة الإسلامية التي شهدتها بلاد اليمن في السنوات الأخيرة بعد خروج الشيوعيين من البلاد لتبشر بخير ومستقبل للإسلام، وأن النصر والبشرى لمن تمسك بهذا الدين العظيم، فنسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته.

هذا ما يسر الله جمعه في هذه الرسالة، فإن أحسنت فإنما هو محض فضل الله، وإن أخطأت فاستغفر الله من ذلك، وأنا راجع عن خطئي، وحسبي أني أردت الصواب وبذلت ما في وسعي، وأنا أعلم يقيناً أن مثلي لا يعطي هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة نظراً لسعة الموضوع، وتشعب مسائله، مع قلة بضاعتي في العلم، وحسبي أني بذلت جهدي، واجتهدت أن أصل به إلى الصورة التي تليق به، فإن أصبت فذاك ما أردت والفضل كله لله، وإن أخطأت فأستغفر الله لذنبي، واعتبر هذا البحث لبنة أمام من يريد البناء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



حضرموت

الربع الخالي

عمان

بحر العرب

الربع الخالي

ثمود

المهرة

حضرموت

بحر العرب

بلاد حضرموت

الجمهورية اليمنية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس مصادر ومراجع صوفية حضرموت:

المخطوطات:

١ ـ إثبات نسب السادة العلويين الحسنيين والأشراف، لعمر بن سالم العطاس.
٢ ـ أدعية وصلوات، لعلي بن محمد الحبشي.
٣ ـ الإشارة الصوفية للأطوار الإنسانية والطهارة السُبعية السَبعية، لأحمد بن زين الحبشي.
٤ ـ البراهين الحاسمة الشقاق من جاحد عصمة الأنبياء على الاطلاق، تأليف: إسحاق بن عقيل بن عمر العلوي.
٥ ـ برد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم، لمحمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب الحضرمي.
٦ ـ بشائر وطوالع سعود ـ رحلة إلى هود قام بها أحمد بن حسن العطاس ـ، جمعها: علوي بن طاهر الحداد.
٧ ـ بلوغ الظفر والمغانم في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم، تأليف: محمد بن عبد الرحمٰن بن سراج باجمال.
٨ ـ ترياق أسقام القلوب الشاف في ذكر حكايات السادة الأشراف، تأليف: عمر بن عبد الله باشيبان (ت٩٦٠هـ).
٩ ـ التمهيد الكريم في بعض أخبار تريم، تأليف: عمر بن عبد الله بن أحمد الخطيب.
١٠ ـ الجوهر الشفاف في مناقب وكرامات السادة الأشراف من آل أبي علوي وغيرهم من الأولياء والصالحين والأكابر العراف من سكان تريم، تأليف: عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الرحمٰن الخطيب التريمي الأنصاري (ت٨٥٥هـ).
١١ ـ حدائق الأرواح في بيان طريق الهدى والصلاح، تأليف: عبد الله بن أحمد باسودان.
١٢ ـ حضرة السقاف، المسماة (المنهل العجيب الصاف في فضيلة وكيفية حضرة الشيخ عبد الرحمٰن السقاف مع ذكر القصائد الدائرة فيها للمشايخ العراف)، جمعها: عبد الرحمٰن بن محمد بن حسين المشهور.

١٣ ـ **حضرة عينات ونبي الله هود**.

١٤ ـ **الدر المدهش البهي**، في مناقب الشيخ سعد بن علي الحضرمي التريمي، لعلي بن أبي بكر السكران.

١٥ ـ **الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم من أنفاس عبد الله بن علوي الحداد**، (ديوان الحداد).

١٦ ـ **الرحلة المكية**، جمع: محمد بن عوض بافضل.

١٧ ـ **الرسالة النافعة**، لعلوي بن أحمد الحداد.

١٨ ـ **الروض الناظر شرح قصيدة الحمد لله**، الشهيد الحاضر، أحمد بن زين الحبشي.

١٩ ـ **الرياض المونقة في المعاني المتفرقة**، لعلي بن حسن العطاس.

٢٠ ـ **سفينة البضائع وضمينة الضوائع**، لعلي بن حسن العطاس.

٢١ ـ **شرح الصدور بمأثور يوم عاشور**، لعبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الرحمٰن العيدروس.

٢٢ ـ **صفوة العقيدة الأشعرية**، لسقاف الجفري.

٢٣ ـ **العقد النبوي والسر المصطفوي**، شرح أبيات الوسيلة بصاحب الوسيلة محمد ﷺ النبي الأمي والحسن والحسين وفاطمة وعلي، وبعمود سلسلة نسب السادة الأشراف آل باعلوي متصلاً بمؤلفه إلى جده ﷺ، ونبذة يسيرة من شمائلهم وذكر كراماتهم وفضائلهم، للشيخ ابن عبد الله العيدروس (ت٩٩٠هـ).

٢٤ ـ **العقيدة**، نظم محمد بن عبد الله بن أحمد باسودان (ت١٢٨١هـ).

٢٥ ـ **عمدة المحقق في العقائد**، لعبد الرحمٰن بلفقيه.

٢٦ ـ **فتح الله الرحيم الرحمٰن**، في مناقب القطب الغوث العيدروس عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن.

٢٧ ـ **فتح المجيد شرح المنظومة المسماة المفيد في علم التوحيد**، لمحمد بن عبد الله باسودان.

٢٨ ـ **الفرائد في قيد الأوابد**، عبد الله بن حسن بلفقيه.

٢٩ ـ **فيض الأسرار**، لعبد الله بن أحمد باسودان.

٣٠ ـ **فيض الكؤوس من أنفاس الحبيب الإمام عبد الباري بن شيخ العيدروس**.

٣١ ـ **فيض النفحات في مسألة الصفات**، لعبد الرحمٰن بن مصطفى العيدروس.

٣٢ ـ **كتاب الزهر الباسم في ربى الجنات في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم الكاين بحوطة عينات**، تأليف: عبد الله بن أبي بكر قدري باشعيب.

٣٣ ـ **كتاب السنا الباهر بتكميل النور السافر**، تأليف: محمد بن أبي بكر الشلي.

٣٤ ـ **كتاب المقصد النفيس، شرح عقيدة الشيخ الإمام محمد صالح الرئيس**، تأليف: عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن علوي بلفقيه.
٣٥ ـ **كتاب تبصرة الولي بطريقة السادة بني علوي**، لأحمد بن زين الحبشي.
٣٦ ـ **كتاب مطالع الأنوار، شرح رشفات السادات الأبرار وبيان أوصافهم الجليلة المقدار**، تأليف: عبد الله بن أحمد باسودان.
٣٧ ـ **كتاب نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية**، تأليف: عبد الله بن محمد باحسن جمل الليل.
٣٨ ـ **مجموع كلام وديوان ووصايا الحبيب حسن بن صالح البحر.**
٣٩ ـ **مجموع من كلام الحبيب علوي بن عبد الله عيدروس بن شهاب.**
٤٠ ـ **المسلك السوي**، في جمع فوائد مهمة من المشرع الروي، لأحمد بن زين الحبشي.

المطبوعات:

٤١ ـ **الأبنية الفكرية الجامعة، لثوابت الطريقة العلوية الحسينية المتفرعة من حضرموت إلى مجموع البلاد الإسلامية، لأبي بكر العدني بن علي المشهور، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، طبع فرع الدراسات والمناهج وخدمة التراث، رباط التربية الإسلامية، عدن.**
٤٢ ـ **إتحاف السائل إلى أهم المسائل**، لعبد الله بن علوي الحداد، ضمن مجموع رسائل الحداد، طبع على نفقة حفيد المؤلف.
٤٣ ـ **الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية**، لزين العابدين العلوي، دار الفقيه للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٤٤ ـ **أدوار التاريخ الحضرمي**، تأليف: محمد بن أحمد الشاطري، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، والطبعة الثالثة ١٤١٥هـ، دار المهاجر، المدينة المنورة.
٤٥ ـ **أشراف حضرموت**
٤٦ ـ **الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية**، عبد الله بن محمد بن سالم باكثير الكندي، طبع مكتبة الثقافة الدينية بور سعيدالطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، عدن.
٤٧ ـ **الأطروحة** (وجهة نظر لمحو الأمية الدينية المطبقة على الواقع الإعلامي المعاصر)، تأليف: أبي بكر بن علي المشهور، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ، فرع الدراسات وخدمة التراث..
٤٨ ـ **الإكليل في مناقب الشيخ محمد بن أحمد عبّاد المكنى عقيل**، تأليف: محمد بن عبد الله بامزروع الشبامي، طبعة حجرية.
٤٩ ـ **انتبه دينك في خطر**، لأبي عبد الله علوي اليمني، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ، توزيع مكتبة تريم الحديثة، تريم، حضرموت.

٥٠ ـ **الأنموذج اللطيف**، في مناقب الغوث محمد بن علي باعلوي مع البرقة المشيقة، تأليف: علي بن أبي بكر السكران، طبع سنة ١٣٤٧هـ، مصر.
٥١ ـ **إيضاح أسرار علوم المقربين**، تأليف: محمد بن عبد الله بن شيخ العيدروس باعلوي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط. ١٣٥٢هـ.
٥٢ ـ **بذل المجهود في خدمة ضريح نبي الله هود**، تأليف: عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الله العيدروس، طبع بالمطبعة الفيضية الكائنة بحيدر أباد عام ١٣٢٨هـ.
٥٣ ـ **البرقة المشيقة في لباس الخرقة الأنيقة**، تأليف: علي بن أبي بكر السكران، طبع في مصر سنة ١٣٤٧هـ.
٥٤ ـ **بغية المسترشدين**، في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين، جمع عبد الرحمٰن بن محمد المشهور باعلوي ، طبعة دار الفكر، بدون تاريخ.
٥٥ ـ **البيان والمزيد**، المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد على أنس الوحيد ونزهة المريد من كلام العارف بالله أبي مدين، لأحمد بن عبد القادر باعشن، طبع بمصر، سنة ١٣٠٠هـ.
٥٦ ـ **تاج الأعراس في مناقب الحبيب صالح بن عبد الله العطاس**، تأليف: علي بن حسين العطاس، الطبعة الأولى بدون تاريخ، طبع في مطبعة منارة قدس، أندونيسيا.
٥٧ ـ **تاريخ الدولة الكثيرية**، تأليف: محمد بن هاشم، طبع على نفقة الخاصة السلطانية ١٣٦٧هـ، ١٩٤٨م.
٥٨ ـ **تاريخ الشعراء الحضرميين**، تأليف: عبد الله بن محمد السقاف، الناشر مكتبة المعارف، الطائف، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.
٥٩ ـ **تاريخ النور السافر في أخبار القرن العاشر**، لعبد القادر بن شيخ العيدروس، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٦٠ ـ **تاريخ ثغر عدن**، تأليف: الطيب بن عبد الله بامخرمة تحقيق: علي حسن عبد الحميد، طبع دار الجيل، بيروت، ودار عمان، الأردن.
٦١ ـ **تحفة اللبيب شرح لامية الحبيب**، تأليف: أحمد بن أبي بكر بن سميط، الطبعة الأولى ١٩٢١م، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، وطبعة أخرى.
٦٢ ـ **تحقيقات تاريخية فيما لقبيلة أبي حرمي الحضرمية من أقدمية**، وسير ومناقب وشهرة علمية، لعلي بن أبي بكر بن محمد بافضل الحضرمي التريمي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، مطبعة كرجاي المحدودة، سنغافورة.
٦٣ ـ **تذكرة المحتاط في شئون وتاريخ الرباط**، جمعها: عبد الله بن حسن بلفقيه.مطبعة الفجالة الجديدة، مصر.بدون تاريخ.

٦٤ ـ **التذكير المصطفى لأولاد المصطفى وغيرهم ممن اجتباه الله واصطفى**، لأبي بكر العطاس بن عبد الله بن علوي الحبشي، قام بطبعه: علي بن عيسى الحداد.

٦٥ ـ **تذكير الناس بما وجد من المسائل الفقهية**، وما يتعلق بها في مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس، جمعه: أبو بكر الحبشي، مطبعة حسان القاهرة، بدون تاريخ.

٦٦ ـ **التعرف على التصوف**، لأحمد بن عبد الله بن شهاب، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، تريم للدراسات والنشر، حضرموت (تريم).

٦٧ ـ **تعليق الناشر على البرقة المشيقة**، قام بطبعه ونشره: علي بن عبد الرحمٰن بن سهل جمل الليل باعلوي.

٦٨ ـ **تعليق عبد الله بن محمد الحامد السقاف**، طبع عام ١٣٥٨هـ، مطبعة العلوم بشارع الخليج.

٦٩ ـ **تقليب الأرض الخاشعة في الذب عن منهاج الفئة المخبتة الطائعة**، تأليف: أبي بكر بن علي المشهور العدني، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، الناشر: مكتبة تريم، حضرموت، ومكتبة الرفاعي، القاهرة، ومكتبة المهاجر، البيضاء، اليمن.

٧٠ ـ **التلخيص الشافي من تاريخ آل طه بن عمر الصافي**، تأليف: علوي بن عبد الله بن حسين السقاف، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مطابع المكتب المصري الحديث، مصر.

٧١ ـ **التليد الطارف شرح منظومة التحولات وسنة المواقف**، تأليف: أبي بكر بن علي المشهور، مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث، عدن، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

٧٢ ـ **الجزء اللطيف في التحكيم الشريف**: أبو بكر بن عبد الله العيدروس العدني ضمن المجموعة العيدروسية، بدون تاريخ.

٧٣ ـ **جلاء الهمّ والحزن بذكر ترجمة صاحب عدن**، لأبكر العدني بن علي المشهور، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، فرع الدراسات والمناهج وخدمة التراث، رباط التربية الإسلامية، عدن، .

٧٤ ـ **جني الشماريخ جواب أسئلة في التاريخ**، لعلوي بن طاهر الحداد.

٧٥ ـ **الجهاد والصوفية**، لمحمد اليمني، بدون تاريخ. .

٧٦ ـ **الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم تاج الأكابر**، لعبد الله بن أحمد بن عبد الله الهدار (ت١٣٩٦هـ)، دار الفكر الحديث، القاهرة، الطبعة ١٣٩١هـ.

٧٧ ـ **الحبشة والمناطق الساحلية الشرقية الأخرى من أفريقيا**، تأليف: ر. هارتمان، ترجمة د. برهان شاوي، مراجعة وتقديم: د. أحمد بن عبد الرحمٰن السقاف، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٧٨ ـ **الحديقة الأنيقة**، في شرح العروة الوثيقة في علم الشريعة والطريقة والحقيقة، لمحمد بن عمر بحرق الحميري الحضرمي، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، مطبعة المدني، مصر، بدون تاريخ.

٧٩ ـ **حضرة باسودان**، تأليف: عبد الله بن أحمد باسودان، ومجموع لطيف يحتوي على ما يقرأ أيام الجمعة والاثنين واستغفار رجب وتوابعه، وعلى ذكر أيام العشر من ذي الحجة ودعاء ختم القرآن، مكتبة تريم الحديثة، حضرموت، بدون تاريخ.

٨٠ ـ **حضرموت عبر أربعة عشر قرناً**، لسقاف بن علي الكاف، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، مكتبة أسامة، بيروت.

٨١ ـ **حضرموت**، لعلي بن عقيل، مطبعة سوريا بدمشق، سنة ١٩٤٩م.

٨٢ ـ **الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت**، منذ قدوم المهاجر أحمد بن عيسى، لعبد الله بن حسن بلفقيه.

٨٣ ـ **الخبايا في الزوايا**، لعمر بن علوي الكاف، تعليقات نجل المؤلف: عيدروس بن عمر الكاف، دار الحاوي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٨٤ ـ **خلاصة الخبر عن بعض أعيان القرنين العاشر والحادي عشر**، منتخب من «السناء الباهر»، و«عقد الجواهر والدرر»، تأليف: عمر بن علوي بن أبي بكر الكاف، وملحق به: لفت النظر إلى من لم يرد ذكرهم في خلاصة الخبر، جمع وترتيب: عمر بن حامد بن عبد الهادي الجيلاني، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، دار المنهاج.

٨٥ ـ **خلاصة المدد النبوي في أوراد آل باعلوي**، جمع وترتيب: عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ، دار الفقيه للنشر والتوزيع، تريم، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٨٦ ـ **الدر المنضود في أخبار قبر وزيارة النبي هود**، فهمي بن علي بن عبيدون التريمي، طبع دار الفقية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٨٧ ـ **الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم**، عبد الله بن علوي الحداد، طبع سنة ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م، مطبعة المدني، القاهرة.

٨٨ ـ **الدرة اليتيمة شرح السبحة الثمينة**، نظم السفينة، لأحمد مشهور بن طه الحداد، تأليف: محمد بن علي باعطية الدوعني، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار الحاوي، جدة.

٨٩ ـ **دروس التوحيد للمبتدئين**، لمحمد بن سالم بن حفيظ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، دار الفقيه، تريم، حضرموت.

٩٠ ـ **الدلائل النبوية المعبِّرة عن شرف المدرسة الأبوية**، تأليف: أبي بكر بن علي المشهور، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، عدن، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٩١ ـ **الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم**، لحامد بن محمد بن عبد الله بن شهاب الدين، مكتبة تريم الحديثة، حضرموت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٩٢ ـ **الدواء الشافي لعلاج ظاهرة التكفير**، لحسين بن محمد الهدار، الطبعة الأولى ١٩٩٥هـ، مكتبة الرفاعي، مصر.

٩٣ ـ **ديوان أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن شهاب الدين**، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ. مكتب التراث الإسلامي، ودار التراث اليمني.

٩٤ ـ **ذخيرة المعاد بشرح راتب القطب الحداد**، لعبد الله بن أحمد باسودان، الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة.

٩٥ ـ **رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية**، تأليف: عبد الله بن محمد باكثير (ت١٣٤٣هـ)، تعليق عبد الله بن محمد الحامد السقاف، طبع عام ١٣٥٨هـ، مطبعة العلوم بشارع الخليج، طبعة أخرى، تقديم وضبط: أميمة الصواف، ط ١٤٢١هـ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر.

٩٦ ـ **رشفات أهل الكمال ونسمات أهل الوصال**، نظم: عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه، طبع ما ١٣٢٨هـ على نفقة شيخ ابن محمد بن حسين العيدروس.

٩٧ ـ **رفع الأستار شرح القصيدة المسماة مفتاح الأسرار في تنزل الأنوار**، تأليف: عبد الرحمٰن بن عبيد الله بلفقيه العلوي (ت١١٦٢هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ..

٩٨ ـ **رفع البأس ودفع الالتباس عن حكم التابوت والإلباس**، تأليف: عبد القادر الجيلاني بن سالم خرد، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، طبع دار المهاجر.

٩٩ ـ **زيارات وعادات «زيارة نبي الله هود»**، تأليف عبد القادر محمد الصبان، طبع المعهد الإمريكي للدراسات اليمنية.

١٠٠ ـ **سبيل المهتدين في ذكر أدعية أصحاب اليمين**، لعلي بن حسن العطاس.

١٠١ ـ **سلام دان داء دمقام رسول الله ﷺ**، جمعه: حسن بن محمد بن سالم العطاس، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، طبع بسنغافورة.

١٠٢ ـ **سلسلة أعلام حضرموت (الإمام الشيخ عمر المحضار (ت٨٣٣هـ)**، تأليف: أبي بكر بن علي المشهور، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، فرع الدراسات وخدمة التراث، عدن.

١٠٣ ـ **سلسلة أعلام حضرموت (الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم)**، لأبي بكر بن علي المشهور، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، فرع الدراسات والمناهج وخدمة التراث، رباط التربية الإسلامية، عدن.

١٠٤ ـ **سلسلة أعلام حضرموت (الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ت٦٧١هـ)**، تأليف: أبي بكر بن علي المشهور، مطابع شركة الأدوية، صنعاء، بدون تاريخ.

١٠٥ ـ **سمط الدرر في أخبار مولد خير البشر، وما له من أخلاق وأوصاف وسير**، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، طبع في أندونيسيا، صولو.

١٠٦ ـ **سيرة السلف من بني علوي الحسنين**، محاضرة ألقاها محمد بن أحمد الشاطري، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ، دار الحاوي.

١٠٧ ـ **شرح راتب الحداد**، لفضل بن علوي بن محمد بن سهل العلوي، طبع سنة ١٣٨٠هـ، مطبعة المدني بالقاهرة.

١٠٨ ـ **شرح راتب الحداد**، لعلوي بن أحمد بن حسن الحداد، طبع عام ١٤١٤هـ بمطبعة كرجاي بسنغافورة، ونشره مقام الحداد بتريم.

١٠٩ ـ **شمس الظهيرة في نسب أهل البيت من بني علوي**، فروع فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين رضي الله عنه، تأليف: عبد الرحمٰن بن محمد المشهور، تحقيق وتعليق: محمد ضياء شهاب، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، علم المعرفة، جدة.

١١٠ ـ **شوارق الأنوار في الأنبياء والأولياء الخيار**، من عرب وعجم، المسمى: قصعة العسل لسعيد بن سالم الشواف، طبعة حجرية، الهند.

١١١ ـ **صلوات بعض أهل البيت الملحق بالنفحات القريبة في الصلاة على خير البرية**، لعلوي بن محمد بن طاهر الحداد.

١١٢ ـ **الضياء اللامع بذكر مولد النبي الشافع**، لعمر بن محمد بن حفيظ، دار الفقيه، تريم، حضرموت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

١١٣ ـ **ظهور الحقائق في بيان الطرائق**، تأليف: عبد الله بن علوي العطاس (ت١٣٣١هـ)، الطبعة الأولى ١٣١٦هـ، طبعة حجرية ببومبي.

١١٤ ـ **عادات وتقاليد بالأحقاف**، لعبد القادر بن محمد الصبان، مطبوع بالآلة الطابعة، عام ١٩٧٩م.

١١٥ ـ **عرائس الوجود ومراءة الشهود**، في بعض مناقب العارف بالله القطب الفرد الجامع مولانا وشيخنا الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، تأليف: سعيد بن أحمد بن محمد الخطيب، طبعة حجرية، الهند ١٣٢٥هـ.

١١٦ ـ **عزيز المنال وفتح باب الوصال**، راتب سيدنا العلم النبراس القطب الرباني طيب الأنفاس الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس، المتوفى ببلدة حريضة ١٠٧٢هـ، عني بطبعه: حسن بن محمد بن سالم العطاس، طبع سنة ١٤٢٠هـ، الطبعة الثالثة عشر.

١١٧ ـ **العطية الهنية**، لعلي بن حسن العطاس.

١١٨ ـ **عقود الألماس**، بمناقب شيخ الطريقة وإمام الحقيقة العارف بالله أحمد بن حسن العطاس، لعلوي بن طاهر الحداد، طبع سنة ١٣٦٨هـ، طبع على نفقة محمد بن سالم بن أحمد العطاس، طبع بمطبعة الأحمدية، سنغافورة.

١١٩ ـ **العقود المسجدية في نشر مناقب بعض أفراد الأسرة الجنيدية**، لعبد القادر بن عبد الرحمٰن بن عمر الجنيد. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، شركة مطبعة كيودو، سنغافورة.

١٢٠ ـ **العقود اللؤلوية في بيان طريقة السادة العلوية**، لمحمد بن حسين بن عبد الله الحبشي، طبع على نفقة شيخ بن محمد بن حسين الحبشي، سنة ١٢٨٩هـ.

١٢١ ـ **عقود اللآل في أسانيد الرجال**، تأليف: عيدروس بن عمر الحبشي.

١٢٢ ـ **الغاية الأساس لطريقة الداعي إلى رب الناس**، الإمام العارف بالله عبد الله بن علوي بن حسن العطاس، لمصطفى بن عبد الرحمٰن العطاس.

١٢٣ ـ **غاية القرب في شرح نهاية الطلب**، تأليف: عبد القادر بن شيخ العيدروس. الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، القاهرة.

١٢٤ ـ **غاية القصد والمراد**، في مناقب شيخ البلاد والعباد القطب الغوث عبد الله بن علوي الحداد، تأليف: محمد بن زين بن سميط (ت١١٧٢هـ). عني بطبعه: علي بن عيسى الحداد، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

١٢٥ ـ **غرر البهاء الضوي ودرر الجمال البديع البهي**، لمحمد بن علي بن علوي خرد باعلوي (ت٩٦٠هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٢٦ ـ **الفيوضات الربانية من أنفاس السادة العلوية في الآيات والأحاديث النبوية**، تأليف: زين بن إبراهيم بن سميط، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار الفتح، عَمّان، الأردن، دار العلم والدعوة، تريم.

١٢٧ ـ **قبسات النور**، في إيضاح حياة سيدي الوالد الداعي إلى الله الحبيب علي بن أبي بكر بن علوي المشهور (ت١٤٠٢هـ)، تأليف: أبي بكر بن علي المشهور، بعناية: أحمد بن عمر الكاف، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، دار الرازي، عَمَّان، ودار الفقيه، ريم، حضرموت.

١٢٨ ـ **القرطاس في مناقب (العطاس)**، لعلي بن حسين العطاس.

١٢٩ ـ **القول المجدي في الرد على عبد الله بن عبد الرحمٰن السندي**، لمحمد سعيد بابصيل، طبع ببتافيا سنة ١٣٠٩هـ.

١٣٠ ـ **الكبريت الأحمر**، للإكسير الأكبر المعبر عنه بالجواهر والدرر، تأليف: عبد الله بن أبي بكر العيدروس (ت٨٦٥هـ)، بدون تاريخ.

١٣١ ـ **كتاب إتحاف النبيل ببعض معاني حديث جبريل**، تأليف: طاهر بن حسين بن طاهر العلوي (ت١٢٤١هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، مطبعة كرجاي، سنغافورة.

١٣٢ ـ **كتاب الدر الثمين في أصول الشريعة وفروع الدين**، لسالم باحطاب الحضرمي. مطبعة المدني، مصر، بدون تاريخ.

١٣٣ ـ **كتاب النيات**، تأليف: محمد بن علوي العيدروس، تريم للدراسات والنشر، تريم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٣٤ ـ **كتاب رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة** للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة، تأليف: عبد الله بن علوي الحداد، (ضمن مجموع رسائل الحداد)، بدون تاريخ.

١٣٥ ـ **كتاب شرح الصدر في الصلاة على مرفوع القدر**، مكاتبات محمد بن طاهر بن عبد الله الحداد، جمعها عبد الله بن طاهر بن عبد الله الحداد. عني بطبعها ونشرها: علوي بن محمد الحداد.

١٣٦ ـ **كتاب صلة الأخيار بالرجال الأئمة الكبار**، لجامعه: الحبيب عمر بن أحمد بافقيه: الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، مطبعة كرجاي بسنغافورة.

١٣٧ ـ **كتاب عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية**، لعيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي، طبع باهتمام أبي بكر بن حسن بن أبي بكر العطاس الزبيدي، بدون تاريخ.

١٣٨ ـ **كتاب لمعة النور**، من كرامات وإجازات وكلام سيدنا البركة العلامة نور الدين علي بن عبد الرحمٰن بن محمد المشهور.

١٣٩ ـ **كتاب مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه النجدي التي أضل بها العوام**، لعلوي بن أحمد بن حسن الحداد، طبع بالمطبعة العامرة الشرفية، مصر، سنة ١٣٢٥هـ.

١٤٠ ـ **كتاب وسيلة الصب الودود إلى الإله المعبود زيارة النبي هود عليه الصلاة والسلام.**

١٤١ ـ **كتاب وسيلة العباد إلى زاد المعاد** بمجموع دعوات وأوراد قطب الدعوة والإرشاد الحبيب العارف بالله عبد الله بن علوي الحداد، طبع بمطبعة جمعية خير، الطبعة الأولى ١٣٤٥هـ.

١٤٢ ـ **كنز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية الغيبية**، لسادات مشايخ الطريقة العلوية الحسينية الشعيبية، لشيخ بن محمد الجفري.

١٤٣ ـ **كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية**، علي بن محمد بن حسين الحبشي، قام بطبعه السيد علي بن عيسى الحداد، طبع علي بن عيسى الحداد.

١٤٤ ـ **الكوكب الزاهر على نسيم حاجر**، لأحمد بن أبي بكر بن سميط العلوي، مطبعة المدني، مصر، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ.

١٤٥ ـ **لوامع النور**، لأبي بكر العدني بن علي بن أبي بكر المشهور، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار المهاجر، صنعاء.

١٤٦ ـ **مجموع مبارك يحتوي على المولد الشريف للديبعي ومعه قصائد في مدحه ﷺ.**

١٤٧ ـ **المجموعة العيدروسية**، (الجزء اللطيف في التحكيم الشريف)، لأبي بكر بن عبد الله العيدروس، الناشر: طاهر بن محمد العيدروس (١٤٠٩هـ).

١٤٨ ـ **المختصر في تفسير قصار السور**، تأليف: جمع وترتيب: عبد الله سالم باخريصه، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، مركز النور للدراسات والأبحاث، تريم، حضرموت.

١٤٩ ـ **المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى**، تأليف: علوي بن طاهر الحداد، ترتيب وتحقيق وتعليق: محمد ضياء شهاب، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ، عالم المعرفة، جدة.

١٥٠ ـ **المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي**، تأليف: محمد بن أبي بكر الشلّي باعلوي الطبعة الأولى١٤١٩هـ، طبع بمصر.

١٥١ ـ **معارج الهداية**، لعلي بن أبي بكر السكران، بدون تاريخ.

١٥٢ ـ **معراج الأرواح والمنهج الوضاح**، تأليف: لأبي بكر بن سالم العلوي (ت٩٩٢هـ).

١٥٣ ـ **مفتاح الجنة**، تأليف: أحمد مشهور بن طه الحداد (ت١٤١٦هـ)، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ، مطبعة المدني، القاهرة.

١٥٤ ـ **مفتاح السرائر وكنز الذخائر**، لأبي بكر بن سالم العلوي (ت٩٩٢هـ)، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ، مطبعة المدني، القاهرة.

١٥٥ ـ **مقال الناصحين بحفظ شعائر الدين**، محمد بن عمر باجمال [ت٩٦٤هـ]. الطبعة ١٤١٤هـ، دار الحاوي، جدة.

١٥٦ ـ مقدمة **(دعاء التراويح لأحمد بن حسن العطاس)**، قام بطبعه حفيده أحمد بن علي بن سالم بن أحمد العطاس، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٥٧ ـ **مقدمة ديوان محجة السالك وحجة الناسك**، لأبي بكر العيدروس، جمع: عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن باوزير، ضمن المجموعة العيدروسية، الناشر: طاهر بن محمد العيدروس، بدون تاريخ.

١٥٨ ـ **مكاتبات العدني أبي بكر بن عبد الله العيدروس** (ضمن المجموعة العيدروسية).

١٥٩ ـ **مناسك الحج والعمرة وآداب الزيارة النبوية**، لعبد الله بن عمر بن أبي بكر بن يحيى العلوي، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ.

١٦٠ ـ **المناصرة والمؤازرة**، لكافة منسوبي مدارس آل البيت النبوي في المرحلة المعاصرة، لأبي بكر بن علي المشهور. الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ، فرع الدراسات وخدمة التراث، عدن.

١٦١ ـ **منهاج الأصفياء**، لمصطفى بن عبد الرحمٰن العطاس، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، مطبعة كرجاي، سنغافورة.

١٦٢ ـ **منهل الوراد من فيض الإمداد**، بشرح أبيات القطب عبد الله بن علوي الحداد، تأليف: أحمد بن أبي بكر بن سميط العلوي، الطبعة الأولى ١٣١٥هـ، المطبعة الميرية، بمصر، وأخرى: الطبعة العصرية، حلب ط ١٣٩١هـ.

١٦٣ ـ **مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس**، لمحمد بن عمر بحرق الحضرمي (ضمن المجموعة العيدروسية)، الناشر: طاهر بن محمد العيدروس الحضرمي.

١٦٤ ـ **موجز الكلام شرح منظومة عقيدة العوام**، تأليف: محمد بن علي باعطية الدوعني، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، توزيع دار الفقيه للنشر والتوزيع، باليمن، وبالإمارات.

١٦٥ ـ **مولد الحبشي**.

١٦٦ ـ **مولد الرسول الأكمل محمد** صلى الله على روحه وآله وسلم، لمحمد بن أحمد آل أسد الله، إنشاد: محمد بن أحمد بن عوض الشاطري.

١٦٧ ـ **نبذة سيدنا الشيخ عمر المحضار**، تأليف: محمد بن صالح بن حسن الحامد العلوي.

١٦٨ ـ **النجم الساعي في مناقب القطب الكبير الرفاعي**، لأبي بكر بن عبد الله العيدروس، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، توزيع مكتبة حسان، حلب.

١٦٩ ـ **نسيج البردة في مدح خير البرية عليه أفضل الصلاة والتسليم**، لعبد الله بن أحمد الهدار العلوي.

١٧٠ ـ **النصيحة للإخوان فيما جرى من حوادث الزمان**، لسقاف بن حسن العيدروس.

١٧١ ـ **النفائس العلوية في المسائل الصوفية**، تأليف: عبد الله بن علوي الحداد، ضمن مجموع رسائل الحداد، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، دار الحاوي، جدة.

١٧٢ ـ **النفحات السرية والنفثات الأمرية**، شرح لقصيدة المنظومة العينية في شيوخ التصوف، لشيخه عبد الله بن علوي الحداد، المشتهرة بشرح العينية تأليف: أحمد بن زين الحبشي باعلوي، مطبعة كرجاي المحدودة سنغافورة، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧ م)، وطبعة أخرى بهامش المنهل الوراد، الطبعة الميرية.

١٧٣ ـ **النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية**، ويليه تلبية الصوت من الحجاز إلى حضرموت، تأليف: عمر بن أحمد بن سميط، بدون تاريخ ولا دار نشر، وطبعة أخرى: طبعت على نفقة سعيد بن محمد الخشتي ومحمد بن عبد الله موسى بزنجبار، مطبعة العلوم.

١٧٤ ـ **النفحة المدنية في الأذكار القلبية والروحية السرية في الطريقة العيدروسية**، لعبد الرحمٰن بن مصطفى العيدروس.

١٧٥ ـ **نوافح الورد جوري في شرح عقيدة الباجوري**، لأبي بكر بن عبد الرحمٰن بن شهاب العلوي.

١٧٦ ـ **نور البصيرة في حقيقة السيرة**، جمعها: علي بن عيسى الحداد، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، بدون تاريخ.

١٧٧ ـ **نيل المرام شرح عقيدة الإمام**، للإمام الحداد، تأليف: عبد الله بن سالم باخريصة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، مركز النور للدراسات والأبحاث، تريم، حضرموت.

١٧٨ ـ **نيل المقصود في مشروعية زيارة نبي الله هود** ﷺ، لسالم بن عبد الله الشاطري، اعتنى به: علي بن محمد العيدروس، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، الناشر: دار الإمام الغزالي، توزيع: مكتبة تريم الحديثة بتريم، حضرموت.

١٧٩ ـ **هداية الأخيار**، في سيرة الداعي إلى الله محمد الهدار، مفتي محافظة البيضاء، تأليف: حسين بن محمد الهدار، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، فرع الدراسات والمناهج وخدمة التراث، رباط الهدار للعلوم الشرعية، البيضاء، اليمن.

١٨٠ ـ **الهدية السنية في الصلاة على خير البرية**، لحامد بن علوي بن طاهر الحداد.

١٨١ ـ **ودورهم في نشر الإسلام بجنوب شرق آسيا**، تأليف: د. محمد حسن العيدروس، الطبعة الأولى، دار المتنبي، أبو ظبي، بدون تاريخ.

١٨٢ ـ **وصيتان عظيمتان**، لمحمد بن علي مولى عيديد وعبد الله بن عمر الشاطري، أشرف على الطبع والتصحيح وكتب الترجمتين: سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري، الناشر: مقام الإمام الحداد، تريم، حضرموت.

مراجع أخرى لصوفية حضرموت:

الأبحاث:

١٨٣ ـ بحث بعنوان: **البلدان التي ازدهرت بعد ورود المهاجر إلى حضرموت**، قسم المطبوعات، مكتبة الأحقاف، بتريم.

١٨٤ ـ بحث بعنوان: **التحولات التي طرأت على عهد الفقيه المقدم**، مخطوط بمكتبة الأحقاف بحضرموت، قسم التاريخ.

١٨٥ ـ بحث بعنوان: **التحولات الهامة التي حصلت في عصر المهاجر والفقيه المقدم**، قسم المطبوعات بمكتبة الأحقاف.

١٨٦ ـ بحث بعنوان: **الوضع الثقافي في حضرموت**، في المرحلة من عصر الإمام أحمد بن عيسى المهاجر أبى عصر الفقيه المقدم (من سنة ٣٠٠ إلى سنة ٧٠٠هـ)، لسقاف بن علي العيدروس.

١٨٧ ـ بحث بعنوان: أسرة المهاجر وأثرها في بناء مرحلة التوازن الفكري مع الإباضية، لعبد الله عبد القادر العيدروس.
١٨٨ ـ بحث بعنوان: الإمام محمد بن علي صاحب مرباط، بقلم: جعفر محمد السقاف.
١٨٩ ـ دليل مركز النور للدراسات والأبحاث.
١٩٠ ـ الوضع الاجتماعي في حضرموت، في المرحلة من عصر الإمام المهاجر إلى عصر الفقيه المقدم، تقديم: خالد بن شيخ المساوي.

الأشرطة الصوتية:

١٩١ ـ جلسة مع شباب من آل باسودان، لعلي الجفري.
١٩٢ ـ علاقة الأمة بأولياء الله الصالحين، لأبي بكر بن علي المشهور.
١٩٣ ـ مقاصد المؤمنة وقدرتها في الحياة، لعلي الجفري.
١٩٤ ـ مناسباتنا وذكرياتنا بين التاريخ والديانة، لأبي بكر بن علي المشهور.
١٩٥ ـ وفيات الرجال مرقى من مراقي المعرفة في الأجيال، لأبي بكر بن علي المشهور.

المجلات:

١٩٦ ـ مجلة الجذيوة، يصدرها مركز الإبداع الثقافي والدراسات وخدمة التراث، التابع لأربطة التربية الإسلامية ومراكزها التعليمية والمهنية بعدن، الأعداد (٢، ٦، ٧، ٨).
١٩٧ ـ مجلة المشهد (تأسيسه، آثاره، أهدافه الاجتماعية)، الحلقة الأخيرة ضمن الحلقات عن المشهد بحضرموت ضمن موقع العطاسية في شبكة الإنترنت.
١٩٨ ـ مجلة الموعظة، الصادرة من رباط أحور، العدد ٢٣، السنة الثانية، شهر رمضان ١٤٢٣هـ.
١٩٩ ـ مجلة أنوار التلاقي: الصادرة من معهد المصطفى للدراسات الإسلامية بتريم الأعداد: (٢، ٣، ١١، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠).
٢٠٠ ـ مجلة ملتقى الأحباب، تصدر عن شباب الدعوة بمدينة الغرفة، حضرموت، العدد ٦، محرم ١٤٢١هـ.
٢٠١ ـ نبذة تعريفية عن أربطة التربية الإسلامية ومراكزها التعليمية والمهنية بعدن.

ثانيا: فهرس المصادر والمراجع الأخرى:

٢٠٢ ـ الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن بن علي الأشعري (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: بشير محمد عيون، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ، مكتبة دار البيان، دمشق.
٢٠٣ ـ الإبداع في مضار الابتداع، للشيخ علي محفوظ، طبع دار الاعتصام، الطبعة الخامسة ١٣٧٥هـ.

٢٠٤ ـ **ابن حزم وموقفه من الإلهيات (عرض ونقد)**، تأليف: د. أحمد بن ناصر الحمد، مطبوعات جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٠٥ ـ **الإبهاج**، بترجمة العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي ودار الحديث بدماج، تأليف: حميد بن قائد العتمي، دار شرقين، صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٠٦ ـ **الإبهاج شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى معرفة علم الأصول**، للقاضي البيضاوي، تأليف: علي بن عبد الكافي السبكي، وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٠٧ ـ **أبو حامد الغزالي والتصوفة**، حول العديد من كتب الغزالي وخاصة كتابه إحياء علوم الدين، لعبد الرحمٰن بن محمد سعيد دمشقية، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، دار طيبة، الرياض.

٢٠٨ ـ **إتحاف السادة المتقين**، للزبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٠٩ ـ **الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى١٩٧٤م، الهيئة المصرية، القاهرة.

٢١٠ ـ **إثبات صفة العلو**، تأليف: موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي (غلاف)، بدر بن عبد الله البدر الطبعة الدار السلفية، الطبعة الأولى ١، ١٤٠٦هـ.

٢١١ ـ **إثبات علو الله على خلقه والرد على المخالفين**، تأليف: أسامة القصاص، تحقيق: عبد الرحمٰن اليوسف، وعبد الرزاق الشايجي، ط١٤٠٩هـ، دار الهجرة، السعودية.

٢١٢ ـ **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**، تحقيق: د. عوّاد بن عبد الله المعتق، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

٢١٣ ـ **الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية**، للحافظ أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت٨٢٦هـ، دراسة وتحقيق: محمد تامر، الناشر: مكتب التوعية الإسلامية، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى١٤١١هـ.

٢١٤ ـ **الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة**، للشيخ عبد الرحمٰن بن محمد الدوسري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٢١٥ ـ **أحكام الجنائز**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني طبع المكتب الاسلامي بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢١٦ ـ **أحكام القرآن**، للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المالكي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، وطبعة أخرى: تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٢١٧ ـ **أحكام القرآن**، للشافعي، جمعها: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، ط. دار الكتب العلمية ١٤٠٠هـ.

٢١٨ ـ **آداب البحث والمناظرة**، للعلامة محمد الأمين الشنقيطي: مطبوعات الجامعة الإسلامية، بدون تاريخ.

٢١٩ ـ **إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت**، لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي وعبد الرحمن حسن السقاف، مكتبة الإرشاد، صنعاء، وطبعة أخرى: الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ عني به تاريخياً: محمد أبو بكر باذيب، وعني به أدبيا: محمد مصطفى الخطيب، طبعة دار المنهاج، جدة.

٢٢٠ ـ **أدب الطلب ومنتهى الأرب**: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط. سنة ١٩٧٩م.

٢٢١ ـ **أدعياء الحق** (رد على كتيب يهذي)، تأليف: عبد الله سعيد بادغيش، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ، مركز عبادي للدراسة والنشر، اليمن.

٢٢٢ ـ **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، للعلامة صالح بن فوزان الفوزان، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

٢٢٣ ـ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: محمد ناصر الدين الألباني طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٢٤ ـ **الاستغاثة في الرد على البكري**: أحمد عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد الله بن دجين السهلي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، دار الوطن، الرياض.

٢٢٥ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، يوسف ابن عبد البر القرطبي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، وطبعة أخرى: صححها وخرج أحاديثها: عادل مرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، دار الأعلام، الأردن، عمان.

٢٢٦ ـ **الإسلام بين عقيدة السلف ودعاوى المناوئين**، للشيخ عبد الله بادغيش.

٢٢٧ ـ **الأسماء والصفات**، للبيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، مكتبة السوادي، جدة.

٢٢٨ ـ **الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد**، لسليمان بن سحمان، مطابع الرياض، الطبعة الثانية ١٣٧٦هـ.

٢٢٩ ـ **اصطلاحات الصوفية**، د. عبد الحميد صالح حميدان، طبع مطبعة مدبولي، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٢٣٠ ـ **إصلاح المجتمع**، للشيخ محمد بن سالم البيحاني، دار الندوة الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٧هـ، وطبعة أخرى: طبعة مؤسسة طيبة الخيرية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٣١ ـ **أصول في التفسير**، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ، المكتبة الإسلامية، القاهرة.

٢٣٢ ـ **الأضواء البهية على بعض العادات الحضرمية**، أحمد بن علي برعود، من إصدارات معهد القرآن والعلوم الشرعية، بالغيل حضرموت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٣٣ ـ **أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن**: محمد الأمين الشنقيطي، طبع عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

٢٣٤ ـ **الاعتصام**، تأليف: إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط١٤٠٢هـ، وطبعة أخرى بتحقيق: سليم الهلالي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار ابن عفان، الخُبَر.

٢٣٥ ـ **الأعلام**: لخير الدين الزركلي، طبع دار الملايين بيروت، الطبعة الثانية عشر، ١٩٩٧م، وطبعات أخرى.

٢٣٦ ـ **أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة**، تأليف: حافظ بن أحمد حكمي، خرج أحاديثها: شميم أحمد خليل السلفي، دار أحد، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٣٧ ـ **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، تأليف: عبد الحي بن فخر الدين الحسني، طبع دار بن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٣٨ ـ **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ، وأخرى بتحقيق: مجدي السيد، دار الحديث، القاهرة.

٢٣٩ ـ **أفضل الصلوات على سيد السادات**، تأليف: يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الفكر، بدون تاريخ.

٢٤٠ ـ **الاقتصاد في الاعتقاد**، للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، حققه وعلق عليه: د. أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

٢٤١ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق وتعليق د. ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٢٤٢ ـ **الأم**، محمد بن إدريس الشافعي، طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ، وأخرى: ، ط دار المعرفة.

٢٤٣ ـ **الإمام الألمعي مقبل بن هادي الوادعي**، سيرته الذاتية والدعوية، تأليف: أحمد بن محمد بن منصور العديني، دار الإيمان، الإسكندرية، بدون تاريخ.

٢٤٤ ـ **الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر، سيرته، منهجه،** للدكتور مصطفى حسن البدوي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار الحاوي.

٢٤٥ ـ **أنباء الزمن فيمن رحل من بيحان خلال قرنين من الزمن،** تأليف: عبد الله بن عبد القادر العليمي باوزير، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٤٦ ـ **الانتصار في الرد على القدرية الأشرار،** للعلامة يحيى بن أبي الخير العمراني (ت٥٥٨هـ)، دراسة وتحقيق: د. سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة الأولى١٤١٩هـ ـ أضواء السلف، الرياض.

٢٤٧ ـ **الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح،** تأليف: محمد صديق حسن خان، تحقيق: سعيد معشاشة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، دار ابن حزم، بيروت.

٢٤٨ ـ **أنواع وأحكام التوسل المشروع والممنوع،** لعبد الله بن عبد الحميد الأثري، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

٢٤٩ ـ **أوراق في تاريخ اليمن وآثاره،** ليوسف بن محمد بن عبد الله، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء.

٢٥٠ ـ **أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة،** للشيخ أحمد بن يحيى النجمي، بتصرف يسير، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط١٤٠٥هـ.

٢٥١ ـ **الباعث على إنكار البدع والحوادث،** عبد الرحمٰن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي، طبع دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، وطبعة أخرى: بتحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، ودار البيان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٥٢ ـ **البحر المحيط،** لأبي حيان الأندلسي، نشر مكتبة النصر الحديثة ـ الرياض.

٢٥٣ ـ **البداية والنهاية،** لعماد الدين بن كثير الدمشقي، طبع دار المعرفة، بيروت الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، وطبعة أخرى: دار الفكر العربي، بدون تاريخ، وأخرى: ط. المعارف ١٤٠٥هـ.

٢٥٤ ـ **البدع والمحدثات وما لا أصل له،** (لجماعة من العلماء) جمع وإعداد: حمود بن عبد الله المطر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، دار ابن خزيمة، الرياض.

٢٥٥ ـ **البدع والنهي عنها،** لابن وضاح، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع مكتبة الخراز، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، وطبعة أخرى: بتحقيق ودراسة: عمرو بن عبد المنعم سليم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٢٥٦ ـ **بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت**، لعبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف (مخطوط).

٢٥٧ ـ **البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر**، تأليف: د. محمد السيد غلاب وآخرون، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

٢٥٨ ـ **البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي**، للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٥٩ ـ **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، لمحمود شكري الآلوسي، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦٠ ـ **البيان المبدي لشناعة القول المبدي**، تأليف: العلامة سليمان بن سحمان النجدي، مطبعة القرآن والسنة، أمر تسر، الهند.

٢٦١ ـ **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، تعليق: محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم، رحمه الله، مؤسسة قرطبة.

٢٦٢ ـ **تاج العروس**، للزبيدي، تحقيق: علي شيري، طبع سنة ١٤١٤هـ، دار الفكر المعاصر، بيروت.

٢٦٣ ـ **تاريخ الإرشاد في أندونيسيا: صلاح عبد القادر البكري، نشر الإدارة المركزية لجمعية الإرشاد الإسلامية جاكرتا، إندنوسيا، الطبعة الثانية ١٩٩٢م.**

٢٦٤ ـ **تاريخ الأمم والملوك**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، طبع دار الفكر سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢٦٥ ـ **تاريخ الخلفاء**، جلال الدين السيوطي، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة دار السعادة مصر، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

٢٦٦ ـ **تاريخ اليعقوبي**. ط دار العراق، بيروت.

٢٦٧ ـ **تاريخ حضرموت السياسي**، صلاح البكري، دار الآفاق العربية، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٦٨ ـ **تاريخ حضرموت**، تأليف: صالح بن علي الحامد، نشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، توزيع مكتبة تريم الحديثة، حضرموت، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٦٩ ـ **تبيين كذب المفتري**، لابن عساكر الدمشقي، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٧٠ ـ **تبرئة الذمة في نصح الأمة**، تأليف: محمد بن عثمان عبده البرهاني، ط. الخرطوم، بدون تاريخ.

٢٧١ ـ **التبرك المشروع والتبرك الممنوع**، تأليف: علي بن نفيع العلياني، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الوطن للنشر، الرياض.

٢٧٢ ـ **التبرك أنواعه وأحكامه**، تأليف: د. ناصر بن عبد الرحمٰن الجديع، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

٢٧٣ ـ **التبصير في معالم الدين**، للإمام ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ت. علي بن عبد العزيز الشبل، دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٢٧٤ ـ **تتمة الأعلام**، للزركلي، تأليف: محمد خير رمضان يوسف، ط ١٤١٨هـ، دار ابن حزم، بيروت.

٢٧٥ ـ **تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد**، محمد ناصر الألباني، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ، بيروت، والطبعة الرابعة سنة ١٤٠٣هـ.

٢٧٦ ـ **تحذير أهل الإيمان من تعاطي القات والشمة والدخان للشيخ محمد بن عبد الله** الإمام، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، دار الآثار، صنعاء.

٢٧٧ ـ **التحذير من البدع**، للإمام ابن باز.

٢٧٨ ـ **التحف في مذاهب السلف**، للإمام الشوكاني، مطبعة المدني، جدة، (من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية) بدون تاريخ.

٢٧٩ ـ **تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس**، لعبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: عبد السلام بن برجس، ١٤١٤هـ، دار العاصمة، الرياض.

٢٨٠ ـ **التدمرية**، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ، مكتبة العبيكان، الرياض.

٢٨١ ـ **تذكرة الحفاظ**، تأليف: محمد بن عثمان الذهبي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، وطبعة أم القرى، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٨٢ ـ **التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار**، عماد الدين الواسطي، تحقيق: عبد الرحمٰن الفريوائي، طبع دار العاصمة بالرياض، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٨٣ ـ **تراجم علماء جدة من الحضارمة**، تأليف: الشيخ علي بن سالم العميري، تحقيق: خضر بن صالح بن سند، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، دار المحمدي، جدة.

٢٨٤ ـ **ترتيب القاموس المحيط** (للفيروزآبادي)، رتبه: حمد الطاهر الزاوي، الطبعة الأولى، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

٢٨٥ ـ **ترجمة أبي عبد الرحمٰن مقبل بن هادي الوادعي**، بقلم صاحب الترجمة: أبي عبد الرحمٰن مقبل بن هادي الوادعي: مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٢٨٦ ـ **التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة**، تأليف: إبراهيم هلال، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، دار النهضة العربية، القاهرة.

٢٨٧ ـ **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق**، تأليف: د. زكي مبارك، مطبعة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٣٥٧هـ ـ ١٩٧٥م).

٢٨٨ ـ **التصوف المنشأ والمصادر**، لإحسان إلهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

٢٨٩ ـ **تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران**، للشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي الشافعي، عني بطبعه ونشره: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، الطبعة العاشرة.

٢٩٠ ـ **تطهير الفؤاد من سيئ الاعتقاد**، عبد الله عوض بكير (مخطوط).

٢٩١ ـ **التعرف على مذهب التصوف**، تأليف: أبي بكر بن محمد الكلاباذي: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٩٢ ـ **تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت**، لعبد القادر بن محمد الصبان، طبع بمكتب الأمين لخدمات الكمبيوتر، حضرموت، الطبعة الحامسة ١٤٢١هـ.

٢٩٣ ـ **تفسير القرآن العظيم** (تفسير ابن كثير)، لعماد الدين بن كثير، تخريج مقبل الوادعي، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، وطبعة دار الشعب بالقاهرة ذات الثمانية مجلدات، وطبعة دار التراث، دار الفيحاء، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، مكتبة دار السلام، الرياض.

٢٩٤ ـ **تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي**، محمد أحمد لوح، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٩٥ ـ **تقريب الأصول لتسهيل الوصول لمعرفة الرسول ﷺ**، أحمد زيني دحلان، طبع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٩٦ ـ **تقريب التهذيب**، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: أبي الأشبال صغير أحمد شاغف، نشر دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، وطبعة أخرى.

٢٩٧ ـ **التكملة والذيل والصلة لكتب تاج اللغة وصحاح العربية**، تأليف: الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، راجعه: عبد الحميد حسن، ط١٩٧٠م، دار السعادة، القاهرة، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢٩٨ ـ **تلبيس إبليس**، تأليف: عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه محمد الزغلي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، وطبعة أخرى: بتحقيق: الاستانبولي، وطبعة ثالثة بتحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة السادسة ١٤١٣هـ.

٢٩٩ ـ **تلخيص كتاب الاستغاثة**، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن علي عجال، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية.

٣٠٠ ـ **التمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد، الرياض، ط ١٤٢٣هـ.

٣٠١ ـ **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وطبعة أخرى بتحقيق: سعيد أحمد أعراب، طبع سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

٣٠٢ ـ **تهذيب اللغة للأزهري**، الدار المصرية، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

٣٠٣ ـ **توجيه النظر إلى علوم الأثر**، لطاهر الجزائري، طبع سنة ١٣٢٨هـ، مصر.

٣٠٤ ـ **التوسل**، أحكامه، أنواعه، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، الدار السلفية للطباعة والنشر، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

٣٠٥ ـ **التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع**، لمحمد نسيب الرفاعي، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

٣٠٦ ـ **التوضيح والبيان لتوحيد الأنبياء والمرسلين: للشيخ عبد الرحمٰن السعدي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.**

٣٠٧ ـ **التيجانية**، لعلي بن محمد الدخيل الله، دار طيبة، الرياض.

٣٠٨ ـ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، طبعتها الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض سنة ١٤٠٤هـ، وطبعة أخرى: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ، وثالثة طبعة دار ابن الجوزي، بتحقيق: سعد بن فواز الصميل، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.

٣٠٩ ـ **الجامع**، (جامع يشمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم)، لمحمد بن عبد القادر بامطرف، ط ١٩٩٨م، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء.

٣١٠ ـ **جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ**، تأليف: المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، طبع دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣١١ ـ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط ١٤٠٨هـ، دار الفكر، بيروت، وطبعة أخرى بضبط وتعليق: محمود شاكر، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وطبعة ثالثة: دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، وأخرى بتعليق: تعليق: محمود شاكر، دار أحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، بيروت.

٣١٢ ـ **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، تحقيق وتعليق: طارق بن عوض الله بن محمد، الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ، دار ابن الجوزي، الدمام، وطبعة أخرى: بتحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخر، مكتبة دار البيان والمؤيد، دمشق وبيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

٣١٣ ـ **جامع المسائل**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عزيز شمس، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار عالم الفوائد، مكة.

٣١٤ ـ **الجامع لسيرة شيخ الإسلام بن تيمية**، محمد عزيز شمس وعلي العمران طبع دار عالم الفوائد، مكة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٣١٥ ـ **الجرح والتعديل**، عبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرازي، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م.

٣١٦ ـ **جغرافية الدول الإسلامية** للدكتور جوده حسين جوده، والدكتور علي أحمد هارون، الناشر: مكتبة منشأة المعارف بالإسكندرية، بدون تاريخ.

٣١٧ ـ **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**، تأليف: نعمان خير الدين الألوسي، طبع مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، بدون تاريخ.

٣١٨ ـ **جواهر تاريخ الأحقاف** محمد بن علي بن عوض باحنان، مكتبة النهضة الحديثة مكة، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

٣١٩ ـ **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح أو صفة الجنة**، للإمام ابن القيم، حققه وعلق عليه، علي الشربجي وقاسم النوري، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٢٠ ـ **حاشية المحلي على جمع الجوامع**، مطبوع بهامش تقرير الشيخ عبد الرحمٰن الشربيني، الطبعة الثانية ١٣٥٦هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

٣٢١ ـ **حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة**، للشيخ الألباني.

٣٢٢ ـ **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، لقوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني التيمي، تحقيق ودراسة: محمد بن محمود أبو رحيم ومحمد بن ربيع المدخلي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الراية، الرياض.

٣٢٣ ـ **حقائق عن التصوف**، عبد القادر عيسى، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ، مكتبة دار الفرقان، حلب، وأخرى الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ، المطبعة العربية، حلب.

٣٢٤ ـ **حقيقة البدعة وأحكامها**، تأليف: سعيد بن ناصر الغامدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ.

٣٢٥ ـ **حقيقة التوحيد بين أهل السنة المتكلمين**، تأليف: عبد الرحيم السلمي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، طبعة دار المعلمة، الرياض.

٣٢٦ ـ **حقيقة مذهب الاتحاديين**، لشيخ الاسلام ابن تيمية، ضياء السنة، فيصل آباد، باكستان.

٣٢٧ ـ **حكم التوسل بالأولياء والصالحين**، دار الوطن للنشر، قرأها وراجعها د. ناصر بن عبد الكريم العقل.

٣٢٨ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم أحمد الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

٣٢٩ ـ **الحوادث والبدع**، تأليف: محمد بن الوليد الطرطوشي، طبع دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٣٣٠ ـ **حول مصادر التأريخ الحضرمي**، مقالات، د. آر. بي سارجنت، ترجمة سعيد عبد الخير النوبان.

٣٣١ ـ **حياة الحيوان الكبرى**، للدميري، الطبعة الرابعة ١٣٨٩هـ، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، بمصر.

٣٣٢ ـ **الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت**، للدكتورة فاطمة علي سعيد باخشوين، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، الرياض.

٣٣٣ ـ **الخصائص الكبرى**، للسيوطي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط بتعليق الشيخ محمد خليل هراس.

٣٣٤ ـ **خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء**، عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة، تأليف: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشرون، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١٤٢١هـ.

٣٣٥ ـ **الخطط المقريزية**، المسماه: (بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، تأليف: أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: د. محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، طبع مكتبة مدبولي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٣٣٦ ـ **الداء والدواء**، المسمى: (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)، تأليف: الإمام ابن قيم الجوزية، حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه، علي بن حسن عبد الحميد الحلبي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.

٣٣٧ ـ **دائرة معارف القرن العشرين**، لمحمد فريد، الطبعة الثالثة ١٩٧١م، دار المعرفة، بيروت.

٣٣٨ ـ **دحض شبهات على التوحيد من سوء فهم لثلاثة أحاديث**، للعلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبا بطين (ت١٢٨٢هـ)، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٣٣٩ ـ **دخول الإسلام إلى حضرموت**، لصالح بن سعيد بن هلابي، الدار السعودية، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.

٣٤٠ ـ **الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد**، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، طبع دار بن خزيمة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٣٤١ ـ **درء تعارض العقل والنقل**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، بإشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

٣٤٢ ـ **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، تأليف: د. محمد ضياء الرحمٰن العظمي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

٣٤٣ ـ **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع العلامة عبد الرحمٰن بن قاسم النجدي، ط٦، ١٤١٧هـ.

٣٤٤ ـ **الدرر الكامنة**، تأليف: أحمد بن علي بن حجر، طبع دار الجيل، بيروت ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٤٥ ـ **دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**، تأليف: عبد العزيز محمد العبد اللطيف، طبع دار الوطن، الرياض الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).

٣٤٦ ـ **دعوة الخلف إلى طريقة السلف**، تأليف: محمد بن علي بافضل، طبع مطابع النصر الحديثة بالرياض، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٣٤٧ ـ **دفاع عن الحديث النبوي والسيرة**، والرد على جهالات البوطي في كتابه فقه السيرة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، منشورات مؤسسة ومكتبة الخافقين، بدون تاريخ.

٣٤٨ ـ **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ، دمشق، بيروت.

٣٤٩ ـ **دلائل النبوة**، أحمد بن حسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، طبع دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٥٠ ـ **دليل المسلم في الاعتقاد على ضوء الكتاب والسنة**، للشيخ عبد الله خياط رَحِمَهُ اللَّهُ، مطابع الصفا بمكة، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٣٥١ ـ **الدين الخالص**، لصديق حسن خان، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٥٢ ـ **ديوان عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف، مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة بدون تاريخ.**

٣٥٣ ـ **ذم التأويل**، لابن قدامة، تحقيق وتخريج، بدر البدر، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، الدار السلفية، الكويت.

٣٥٤ ـ **ذيل الأعلام**، للزركلي، تأليف: أحمد علاونة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار المنارة، جدة.

٣٥٥ ـ رجال وكتب، علي سالم سعيد بكير، طبع دار حضرموت للدراسات والنشر، بدون تاريخ.

٣٥٦ ـ **الرحالة اليمنيون رحلالاتهم شرقاً وغرباً**، تأليف: عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٣٥٧ ـ **الرد الأثري المفيد على البيجوري**، في شرح جوهرة التوحيد في مسائل الاعتقاد تأليف: عمر بن محمود أبو عمر، دار الكتب الأثرية، الزرقاء، الأردن، ودار الراية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣٥٨ ـ **الرد على البكري**، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، وبهامشه الرد على الأخنائي، طبع سنة ١٤١٧هـ، دار أطلس، الرياض.

٣٥٩ ـ **الرد على شبهات المستعينين بغير الله**، تأليف: أحمد بن إبراهيم بن عيسى ت١٣٢٩هـ، تحقيق: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، دار العاصمة، الرياض، ط ١٤٠٩هـ.

٣٦٠ ـ **رسائل في العقيدة**، للشيخ ابن عثيمين، الطبعة الثانية ١٤٠٦، دار طيبة، الرياض.

٣٦١ ـ **رسائل في العقيدة**، تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، دار ابن خزيمة، الرياض.

٣٦٢ ـ **رسائل وفتاوى الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين**، جمعها ورتبها وخرج أحاديثها، إبراهيم بن عبد الله الحازمي، دار الشريف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣٦٣ ـ **رسالة السجزي إلى أهل زبيد**، في الرد على من أنكر الحرف والصوت، للإمام أبي نصر عبيد الله بن نصر السجزي، تحقيق: د. محمد باكريم باعبد الله، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار الراية، الرياض.

٣٦٤ ـ **رسالة الشرك ومظاهره**، لمبارك بن محمد الميلي، مكتبة الإيمان بمصر، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٦٥ ـ **الرسالة القشيرية**، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، طبعت سنة ١٩٦٣م، وطبعة أخرى، دار الكتاب العربي، بيروت، وطبعة ثالثة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨هـ.

٣٦٦ ـ **رسالة في أصول الفقه**، للعلامة الحسن بن شهاب الحسن العكبري الحنبلي ت(٤٢٨هـ)، تحقيق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، المكتبة المكية، مكة، الطبعة الأولى١٤١٣هـ.

٣٦٧ ـ **رسالة في الرد على الرافضة**، لأبي حامد المقدسي، تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمٰن، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، الدار السلفية، الهند.

٣٦٨ ـ **الرسالة**، للإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق وشرح الشيخ: حمد محمد شاكر، ط المكتبة العلمية، بيروت.

٣٦٩ ـ **رفع الخمار عن مثالب المزار**، للشيخ عبد الله عوض بكير تحقيق: فائز بن سعيدان، طبع عام ١٩٩٨م.

٣٧٠ ـ **الروح**، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

٣٧١ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع والمثاني**، محمود بن عبد الله الالوسي البغدادي، طبع دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، وطبعة أخرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، وثالثة، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث، بيروت.

٣٧٢ ـ **الروض الأغن في معرفة المؤلفين ومصنفاتهم في كل فن**، تأليف: عبد الملك بن أحمد بن قاسم حميد الدين، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الحارثي، الطائف.

٣٧٣ ـ **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، مكتبة الباز، مكة.**

٣٧٤ ـ **روضة الناظر وجنة المناظر**، تأليف: أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الرحمٰن السعيد، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٣٧٥ ـ **الزهد**، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٧٦ ـ **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، لأحمد بن حجر الهيتمي المكي، طبع دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٣٧٧ ـ **زوبعة في قارورة**، لمحمد بن سالم البيحاني، طبع في دار الشعب بعدن، بدون تاريخ.

٣٧٨ ـ **السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج**، تأليف: صدّيق حسن خان، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

٣٧٩ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، طبع مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، وطبع المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٨٠ ـ **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السئ على الأمة**، محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، وطبعة سنة ١٤١٢هـ.

٣٨١ ـ **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تأليف: القاضي بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجَنَدي السكسكي الكندي (ت٧٣٢هـ)، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، وطبعة ١٤١٦هـ.

٣٨٢ ـ **السنة**، تأليف: لأبي بكر بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٨٣ ـ **السنة**، للإمام أحمد، ضمن شذرات البلاتين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين، جمع وتحقيق: الشيخ محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط ١٣٧٥هـ.

٣٨٤ ـ **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبع سنة (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، وطبعة أخرى بيت الأفكار الدولية، الرياض.

٣٨٥ ـ **سنن أبي داود**، دراسة وفهرسة: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م)، دار الجنان، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، وطبعة أخرى بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، الرياض.

٣٨٦ ـ **سنن الترمذي**، (الجامع الصحيح)، تأليف: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، أكمل التحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ثم إبراهيم عطوه عوض، طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، وطبعة أخرى بيت الأفكار الدولية، الرياض.

٣٨٧ ـ **سنن الدارمي**، تأليف: عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت بدون تاريخ.

٣٨٨ ـ **السنن الكبرى**، تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي، طبع دار المعرفة، بيروت بدون تاريخ.

٣٨٩ ـ **السنن الكبرى للنسائي** خرج أحاديثه، حسن عبد المنعم شلبي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، بيروت.

٣٩٠ ـ **سنن النسائي**، تأليف: أحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، وطبعة بيت الأفكار الدولية.

٣٩١ ـ **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، طبعة دار الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨ م، وتواريخ طبع أخرى لبعض أجزاء الكتاب.

٣٩٢ ـ **السيرة**، لابن هشام مع الروض الأنف، للسهيلي، (الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ت٢١٨)، لعبد الرحمٰن بن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (ت٥٨١هـ) تحقيق: عبد الرحمٰن الوكيل، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٣٩٣ ـ **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، (دراسة وتحليل)، د. مهدي رزق الله أحمد، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٣٩٤ ـ **السيرة النبوية**، لعبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مؤسسة علوم القرآن، بدون تاريخ.

٣٩٥ ـ **سيف الله على من كذب على أولياء الله**، للشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: علي رضا بن عبد الله، دار الوطن، الرياض، ط ١٤٢٠هـ.

٣٩٦ ـ **الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها**، لعلوي بن طاهر الحداد (ت١٣٨٢هـ)، طبع بسنغافورا عام ١٣٥٩هـ.

٣٩٧ ـ **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، للالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ أبي القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق: د. أحمد سعد بن حمدان الغامدي ، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ، دار طيبة، الرياض.

٣٩٨ ـ **شرح الصدور في تحريم رفع القبور**، محمد بن علي الشوكاني ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد، الجمهورية اليمنية، وزارة الأعلام والثقافة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٣٩٩ ـ **شرح العبودية**، لابن تيمية، شرح الشيخ، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، دار الفضيلة، الرياض.

٤٠٠ ـ **شرح العقيدة الأصفهانية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: سعيد بن نصر بن محمد، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

٤٠١ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**، تأليف: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: د. عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة بيروت، وطبعة أخرى بتحقيق: د. عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ، دار عالم الكتب.

٤٠٢ ـ **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية**، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٠٣ ـ **شرح القصيدة النونية**، المسماة: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، شرحها وحققها، د. محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٤٠٤ ـ **شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير**، لمحمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار (ت٩٧٢هـ)، تحقيق: د. محمد الزحيلي، ود. نزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط ١٤١٨هـ.

٤٠٥ ـ **شرح جوهرة التوحيد**، إبراهيم بن محمد البيجوري، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت.

٤٠٦ ـ **شرح صحيح مسلم**، للإمام النووي، طبع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت بدون تاريخ، وأخرى: المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ، وثالثة، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ.

٤٠٧ ـ **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري**، للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، مكتبة الدار، المدينة المنورة.

٤٠٨ ـ **شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد**، للإمام أبي محمد ابن قدامة المقدسي، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، حققه، وخرج أحاديثه: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة دار طبرية، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

٤٠٩ ـ **شرح لمعة الاعتقاد**، للشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مؤسسة الرسالة بسوريا الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٤١٠ ـ **شعب الإيمان**، تأليف: أحمد بن الحسن البيهقي، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، ط ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤١١ ـ **شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور**، إصدار دار الإفتاء العامة في المملكة العربية السعودية، تحقيق: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٤١٢ ـ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، تأليف: ابن قيم الجوزية، عني بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ، مكتبة الرياض الحديثة، التراث، القاهرة، ط تحرير الحساني حسن.

٤١٣ ـ **الشفاء بتعريف المصطفى**، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد العلي بن عبد الحميد حامد، الناشر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١٤٠٤هـ.

٤١٤ ـ **الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها**، للدكتور ناصر بن عبد الرحمٰن الجديع.

٤١٥ ـ **الشناعة على من رد أحاديث الشفاعة**، «رد على مصطفى محمود»، لعبد الكريم بن صالح الحميد.

٤١٦ ـ **الشواهد الجلية عن مدى الخلف في القاعدة الخلدونية**، لعبد الله بن حسن بلفقيه، مطابع المختار الإسلامي، بدون تأريخ.

٤١٧ ـ **الشيخ عبد العزيز الرشيد**، (سيرة حياته)، د. يعقوب يوسف الحجي، مركز البحوث والدراسات الكويتية الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٤١٨ ـ **الصارم المنكي في الرد على السبكي**، محمد أحمد بن عبد الهادي، تحقيق: عقيل بن محمد المقطري، طبع مؤسسة الريان بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٢م.

٤١٩ ـ **الصحاح**، للجوهري، ط. دار العلم للملايين، بيروت، تحقيق: أحمد عبد الغفور، وطبعة أخرى، راجعتها وحققتها: لجنة من العلماء، عني بترتيبها: محمود خاطر، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، دار الفكر، بيروت.

٤٢٠ ـ **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٤٢١ ـ **صحيح ابن خزيمة**، تأليف: محمد بن إسحاق ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٤٢٢ ـ **صحيح البخاري**، اعتنى به، أبو صهيب الكرمي، ط١٤١٩هـ، بيت الأفكار الدولية، الرياض.

٤٢٣ ـ **صحيح الجامع الصغير**، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

٤٢٤ ـ **صحيح المقال في مسألة شد الرحال**، لعبد العزيز الربيعان، ط ١٣٩٩هـ، ومعه رسالة البحث الأمين في حديث الأربعين، للمؤلف.

٤٢٥ ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، اعتنى به، أبو صهيب الكرمي، ط١٤١٩هـ، بيت الأفكار الدولية، الرياض.

٤٢٦ ـ **الصفات الإلهية**، للشيخ محمد أمان الجامي، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، دار الفنون، جدة.

٤٢٧ ـ **صفة جزيرة العرب**، لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، طبع سنة ١٣٩٤هـ، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

٤٢٨ ـ **صفحات من التاريخ الحضرمي**، سعيد عوض باوزير، طبع مكتبة الثقافة بدون تاريخ

٤٢٩ ـ **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، للشيخ عبد الرحمٰن الدوسري، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، نشر وتوزيع مكتبة دار الأرقم، الكويت.

٤٣٠ ـ **الصلة بين التصوف والتشيع**، د. كامل مصطفى الشبي، دار الأندلس بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.

٤٣١ ـ **الصلة بين الزيدية والمعتزلة**، د. أحمد بن عبد الله، عارف طبع المكتبة اليمنية، صنعاء ودار أزال، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٣٢ ـ **الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد**، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حلاق، دار الهجرة بصنعاء الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٤٣٣ ـ **الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية**، لسليمان بن سحمان النجدي، دار العاصمة الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٤٣٤ ـ **صوب الركام في تحقيق الأحكام**، لعبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، مطابع سحر، جدة.

٤٣٥ ـ **الصوفية الغزو المدمر قديماً وحديثاً**، لأحمد بن عبد العزيز الحصين، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ، دار عالم الكتب، الرياض.

٤٣٦ ـ **الصوفية معتقداً ومسلكاً**، تأليف: د. صابر طعيمة، توزيع عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، وطبعة أخرى، دار عالم الكتب، الرياض، بدون تاريخ.

٤٣٧ ـ **الصوفية والفقهاء في اليمن**، عبد الله محمد الحبشي، ١٣٩٦هـ توزيع مكتبة الجيل الجديد صنعاء، . . .هـ، ١٩٧٦م.

٤٣٨ ـ **صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان**، تأليف: محمد بشير السهسواني، تعليق محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر الطبعة الثانية ١٣٥١هـ.

٤٣٩ ـ **ضعيف الترغيب والترهيب**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، طبع دار المعارف بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤٤٠ ـ **ضعيف الجامع الصغير**، تأليف: محمد ناصر الدين الالباني، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٠م.

٤٤١ ـ **ضعيف الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)**، تأليف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٤٢ ـ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

٤٤٣ ـ **الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق**، للعلامة سليمان بن سحمان، تحقيق: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، دار العاصمة، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ.

٤٤٤ ـ **طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص**، تأليف: أحمد بن أحمد الشرجي الزبيدي، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٤٤٥ ـ **طبقات الصوفية**، تأليف: أبي عبد الرحمٰن محمد بن حسين السلمي، تحقيق: نور الدين بن سريبة، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٤٦ ـ **الطبقات الكبرى**، تأليف: ابن سعد، دار صادر، ودار بيروت ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧هـ، وطبعة أخرى: دار الفكر العربي، شارع جواد حسني، القاهرة، بدون تاريخ، وأخرى: دار بيروت ١٣٩٨هـ، بيروت.

٤٤٧ ـ **طبقات فقهاء اليمن**، تأليف: عمر بن علي بن سمره الجعدي، تحقيق: فؤاد سيد، دار القلم بيروت، بدون تاريخ.

٤٤٨ ـ **الطواسين وبستان المعرفة**، تأليف: الحسين بن منصور الحلاج، أعد النصوص وقدم لها: رضوان السح، دار الينابيع، دمشق، ط ١٩٩٤م.

٤٤٩ ـ **ظلال الجنة في تخريج السنة**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٤٥٠ ـ **عالم الجن والشياطين**، تأليف: د. عمر سليمان الأشقر، طبع مكتبة الفلاح بالكويت، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٤٥١ ـ **العبر في خبر من غبر**، تأليف: محمد بن عثمان الذهبي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ط ١٤٠٥هـ، ت زغلول.

٤٥٢ ـ **العبودية**، لشيخ الإسلام ضمن مجموع الفتاوى.

٤٥٣ ـ **عجائب الآثار في التراجم والأخبار (تاريخ الجبرتي)**، تأليف: عبد الرحمٰن الجبرتي، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين الناشر مكتبة مدبولي بدون تاريخ.

٤٥٤ ـ **العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة**، لسالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبشي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

٤٥٥ ـ **عقيدة السلف أصحاب الحديث**، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمٰن الصابوني (ت٤٤٩هـ)، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٤٥٦ ـ **العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية**، لعبد الله بن يوسف الجديع، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ، دار الصميعي، ودار الإمام مالك، الرياض.

٤٥٧ ـ **العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات**، لمحمد بن عبد الرحمٰن المغراوي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار المنار، الرياض.

٤٥٨ ـ **عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية**، تأليف: د. أحمد بن عبد العزيز القصير، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

٤٥٩ ـ **العقيدة الطحاوية**، بتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، بدون تاريخ.

٤٦٠ ـ **العقيدة الواسطية**، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، علق عليها: الشيخ محمد بن مانع، مطبوعة سعد الراشد، الرياض.

٤٦١ ـ **العقيدة الواسطية**، مطبوعة مع شرح الشيخ صالح الفوزان الفوزان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط٦، ١٤١٣هـ.

٤٦٢ ـ **عقيدة أهل السنة والجماعة**، للشيخ ابن عثيمين، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.

٤٦٣ ـ **العلم الشامخ في تفضيل الحق على الأباء والمشايخ**، تأليف: صالح بن مهدي المقبلي طبع مكتبة دار البيان دمشق بدون تاريخ.

٤٦٤ ـ **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، تأليف: عبد الله البسام، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٤٦٥ ـ **العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها**، للحافظ الذهبي، تحقيق: عبد الرحمٰن محمد عثمان، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ، دار الفكر، بيروت.

٤٦٦ ـ **عمر بامخرمة السيباني حياته وتصوفه وشعره**، تأليف: عبد الرحمٰن بن جعفر بن عقيل، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، دار الفكر، دمشق.

٤٦٧ ـ **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تأليف: عثمان بن بشر النجدي الحنبلي، مكتبة الرياض الحديثة بدون تاريخ.

٤٦٨ ـ **عوارف المعارف**، للسهروردي، مكتبة القاهرة، ط ١٣٩٣هـ.

٤٦٩ ـ **العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي**، (مجالس أدبية في ديوان الكندي)، تأليف: عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٤٧٠ ـ **عون المعبود بشرح سنن أبي داود**، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، طبع المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ ١٩٦٨ م، وطبعة أخرى: الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.

٤٧١ ـ **غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطة**، تأليف: الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، من منشورات دار الحرمين بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٧٢ ـ **غاية الأماني في الرد على النبهاني**، للعلامة: أبي المعالي محمود شكري الألوسي(ت١٣٤٢هـ)، علق عليه: الداني بن منير آل زهوي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، مكتبة الرشد، الرياض، وطبعة أخرى، طبع سنة ١٤٠٣هـ.

٤٧٣ ـ **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٧٤ ـ **الفتاوى الحديثية**، لابن حجر الهيتمي، وبهامشه كتاب الدر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٤٧٥ ـ **الفتاوى الكبرى**، تأليف: أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، طبع دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، وطبعة أخرى: دار المعرفة، بيروت.

٤٧٦ ـ **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.

٤٧٧ ـ **الفتاوى النافعة في مسائل الأحوال الواقعة**، أبو بكر بن أحمد الخطيب، طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي للحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م.

٤٧٨ ـ **فتح الباري**، للحافظ ابن حجر العسقلاني، الناشر: مكتبة دار السلام، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، الرياض، وطبعة أخرى: دار الريان، الطبعة الأولى١٤٠٧هـ، وأخرى: طبعة الدار السلفية، وط دار المعرفة، بدون تاريخ، تصحيح قصي محب الدين الخطيب، وطبعة بتعليق سماحة الشيخ ابن باز عليه، طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود، بدون تاريخ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٧٩ ـ **فتح القدير**، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، دار الوفاء، مصر، المنصورة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

٤٨٠ ـ **الفتوحات المكية**، لابن عربي الطائي، دار صادر، بيروت.

٤٨١ ـ **فتوى عن حكم الاستغاثة بغير الله**، للشيخ محمد بن عمر العماري (ت ١٣٩١هـ)، علق عليه: فائز بن سالم بن سعيدان، دار الشوكاني، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٤٨٢ ـ **الفرق الكلامية**، المشبهة، الأشاعرة، الماتريدة، نشأتها، وأصولها، وأشهر رجالها، وموقف السلف منها، تأليف: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار الوطن، الرياض.

٤٨٣ ـ **الفرق بين الفرق**، لعبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت.

٤٨٤ ـ **الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. عبد الرحمٰن بن عبد الكريم اليحيى، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار طويق، الرياض.

٤٨٥ ـ **فرقة الأحباش**، (نشأتها، عقائدها، آثارها)، د. سعيد بن علي الشهراني، دار عالم الفوائد، مكة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٨٦ ـ **الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم**، لعبد الله القصيمي، الطبعة الأولى ١٩٣٤م، مطبعة التضامن الأخوي، مصر.

٤٨٧ ـ **الفصل في الملل والنحل**، لابن حزم، المطبعة الأدبية بمصر، ط. الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٨٨ ـ **فصوص الحكم**، لابن عربي، ط بيروت، تحقيق: أبي العلاء عفيفي، وبشرح القيصري.

٤٨٩ ـ **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، تأليف: محمد الحجوي، تحقيق: عبد العزيز القارئ، ط١٣٩٦هـ، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٤٩٠ ـ **الفكر الصوفي عند الجيلي**، ليوسف زيدان، ط١٤٠٨هـ، دار النهضة العربية، بيروت.

٤٩١ ـ **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، لعبد الرحمٰن عبد الخالق، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ، دار الحرمين، القاهرة.

٤٩٢ ـ **الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي**، تأليف: سعيد عوض باوزير، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ، دار الطباعة الحديثة، مصر.

٤٩٣ ـ **الفكر والمجتمع في حضرموت**، تأليف: كرامة سليمان بامؤمن، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

٤٩٤ ـ **فلسفة الحياة الروحية**، منابعها ومشاربها ونشأتها ونشأة التصوف والطرق الصوفية، د. مقداد يالجن، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، دار عالم الكتب، الرياض.

٤٩٥ ـ **الفوائد المجتمعة في بيان الفرق الضالة المبتدعة**، لإسماعيل بن عبد الباقي اليازجي، تحقيق: د. يوسف بن محمد السعيد، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار أطلس الخضراء، الرياض.

٤٩٦ ـ **فيض القدير**، شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ، وطبعة أخرى: دار الفكر، بدون تاريخ.

٤٩٧ ـ **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، لشيخ الإسلام ابن تيمية. دراسة وتحقيق: د. ربيع بن هادي المدخلي، مكتبة لينة، دمنهور ـ مصر، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٤٩٨ ـ **القاموس المحيط**، مجد الدين الفيروز آبادي، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٩٩ ـ **القبورية في اليمن**، (نشأتها، آثارها، موقف العلماء منها)، تأليف: أحمد بن حسن المعلم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية، صنعاء.

٥٠٠ ـ **القدر**، تأليف: الإمام أبي بكر بن جعفر الفريابي، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٥٠١ ـ **قرة عيون الموحدين**، لعبد الرحمٰن بن حسن، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ.

٥٠٢ ـ **القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه**، تأليف: د. عبد الرحمٰن بن صالح المحمود، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، دار الوطن، الرياض.

٥٠٣ ـ **قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث**، لجمال الدين القاسمي، طبعة البابي الحلبي، سنة ١٣٨٠هـ.

٥٠٤ ـ **القول السديد في مقاصد التوحيد**، للعلامة عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، ضمن مجموعة من رسائل الشيخ عبد الرحمٰن السعدي، طبع على نفقة محمد وأحمد أبناء المؤلف، بدون تاريخ، وطبعة دار الوطن.

٥٠٥ ـ **القول المفيد على كتاب التوحيد**، شرح فضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.

٥٠٦ ـ **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة دار الكتاب العربي.

٥٠٧ ـ كتاب: **أولياء الشرق البعيد أساطير مجهولة في أقاصي المعمورة**، (رواية تاريخية حول كيفية انتشار الإسلام في أرخبيل الملايو)، تأليف: بشار الجعفري، مكتبة دار أطلس، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٥٠٨ ـ **كتاب الإيمان**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، خرج أحاديثه: الشيخ محمد ناصر الألباني، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت.

٥٠٩ ـ **كتاب التعريفات**، للجرجاني، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وطبعة أخرى: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٥١٠ ـ **كتاب التعريفات الاعتقادية**، لسعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار الوطن، الرياض.

٥١١ ـ **كتاب التوحيد**، للإمام ابن خزيمة، تحقيق: محمد خليل هرّاس.

٥١٢ ـ **كتاب الرد على الجهمية**، للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: زهير الشاويش، وتخريج: الشيخ الألباني، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، وطبعة أخرى: خرج أحاديثها وعلق عليها: بدر بن عبد الله البدر، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ، دار ابن الأثير، الكويت.

٥١٣ ـ **كتاب السنة**، لعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل(٢٩٠هـ)، تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ، رمادي للنشر، الدمام.

٥١٤ ـ **كتاب الصفدية**، لشيخ الاسلام ابن تيمية، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، مصر.

٥١٥ ـ **كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، تصنيف: الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. علي بن محمد الدخيل الله، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، دار العاصمة، الرياض، والطبعة الثالثة.

٥١٦ ـ **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، لأبي بكر بن أبي شيبة، طبع الدار السلفية الهند بومبي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٥١٧ ـ **كتاب النبوات**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. عبد العزيز بن صالح الطويان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، أضواء السلف، الرياض، ط١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية.

٥١٨ ـ **كشف الخفاء**، للعجلوني، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥١٩ ـ **كشف الغطاء**، عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعة وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين: عبد الرحمٰن بن الحسين الأهدل، تحقيق: أحمد بكير، طبع تونس، بدون تاريخ.

٥٢٠ ـ **الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي**، (تكملة الصارم المنكي)، للشيخ محمد بن حسين بافقيه (من علماء جدة)، دراسة وتحقيق: د. صالح بن علي المحسن، د. أبو بكر بن سالم شهّال، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار الفضيلة، الرياض.

٥٢١ ـ **الكشف المبين عن حقيقة القبوريين**، لأحمد بن حسن المعلم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٥٢٢ ـ **الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ**، تأليف: محمود عبد الرؤوف القاسم، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، المكتبة الإسلامية، عَمَّان ـ الأردن.

٥٢٣ ـ **كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس**، للشيخ عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ (١٢٨٥هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله الزير، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٥٢٤ ـ **كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع**، تأليف: ابن حجر الهيتمي المكي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٢٥ ـ **الكفاية في علم الرواية**، للخطيب البغدادي.

٥٢٦ ـ **كلمات في الدارجة بمدينة تريم**، تأليف: محمد (سعد) بن علوي العيدروس، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، توزيع دار الفقيه، أبوظبي، ومكتبة تريم الحديثة، حضرموت.

٥٢٧ ـ **لسان العرب**، محمد بن مكرم ابن منظور، طبع دار الفكر الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، وأخرى: دار صادر، بيروت.

٥٢٨ ـ **لسان الميزان**، أحمد بن علي بن حجر، طبع دار الفكر بيروت، بدون تاريخ، أخرى: طبعة ١٣٦٩هـ، مطبعة الأحمدية سنغافورا.

٥٢٩ ـ **لماذا يلحدون؟** للدكتور: سيد الجميلي، طبع سنة ١٤٠٤هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٣٠ ـ **اللمع**، تأليف: أبي نصر عبد الله بن علي السرّاج الطوسي، تحقيق وتعليق: د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، وأخرى: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥٣١ ـ **لوامع الأنوار البهية**، وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة الناجية، للسفاريني، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٥٣٢ ـ **الماتريدية**، دراسة وتقويما، د. أحمد بن عوض الحربي، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ، دار الصميعي، الرياض.

٥٣٣ ـ **مباحث في علوم القرآن**، تأليف: مناع القطان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، دار غريب، القاهرة.

٥٣٤ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، علي بن أبي بكر الهيثمي، مؤسسة المعارف، بيروت ـ لبنان، الطبعة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٥٣٥ ـ **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، للقاضي محمد بن أحمد الحجر اليماني، تحقيق: إسماعيل بن علي الأكوع، الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

٥٣٦ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، طبع مكتبة المعارف الرباط، بالمغرب، بدون تاريخ، وطبعة أخرى بجمع وترتيب: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (ت١٣٩٢هـ) وساعده ابنه محمد (ت١٤٢٣هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية.

٥٣٧ ـ **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، دار الثريا، الرياض.

٥٣٨ ـ **مجموع فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ**، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط ١٣٩٩هـ، جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم النجدي.

٥٣٩ ـ **المحبّر**، لابن حبيب، أبو جعفر محمد بن أمية (ت٣٤٥هـ)، منشورات المكتبة التجارية للطباعة، بيروت، بعناية: د. إيلزه ليخت شتيتر، بدون تاريخ.

٥٤٠ ـ **مخاليف اليمن**، للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، إصدار الجمع الثقافي، أبو ظبي.

٥٤١ ـ **مختار الصحاح**، لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت٧٢١هـ)، تحقيق: محمود خاطر، الناشرون: مكتبة لبنان، بيروت.

٥٤٢ ـ **مختصر التحفة الاثني عشرية**، محمود شكري الألوسي، تعليق: محب الدين الخطيب، نشر الرئاسة العامة للإفتاء والإرشاد الرياض سنة ١٤٠٤هـ.

٥٤٣ ـ **مختصر العلو للعلي الغفار**، للذهبي، تحقيق: الشيخ الألباني، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٥٤٤ ـ **مختصر تفسير ابن كثير**، لمحمد نسيب الرفاعي، الطبعة مكتبة المعارف الرياض، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٥٤٥ ـ **المختصر من تاريخ حضرموت العام**، لمحمد بن عبد القادر بامطرف: ص٤٥، ط ١٤٢٣هـ، المكلا، حضرموت.

٥٤٦ ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، للإمام ابن قيم الجوزية: ، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت وطبعة أخرى: مراجعة لجنة من العلماء، دار الحديث، القاهرة، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر دار الكتاب العربي، ١٩٧٢م.

٥٤٧ ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة من يعتبر ما حوادث الزمان**، محمد بن عبد الله بن أسعد اليافعي، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٥٤٨ ـ **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، دار ابن حزم، بيروت، مطبوع مع نقد مراتب الإجماع، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٥٤٩ ـ **مسائل الإمام أحمد**، لابن هانئ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط سنة ١٣٩٤هـ.

٥٥٠ ـ **المستدرك على الصحيحين**، تأليف: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، بتعليق وعناية عبد السلام بن محمد علوش، وطبعة دار الكتاب العربي، ودار المعرفة بيروت ـ لبنان، بدون تاريخ.

٥٥١ ـ **مسند أبي يعلى**، تأليف: أحمد بن علي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، طبع دار المأمون للتراث دمشق، الطبعة أولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٥٥٢ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنووط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، وطبعة أخرى بتحقيق: أحمد محمد شاكر، طبع دار المعارف، مصر ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م، وأخرى، طبع المكتب الإسلامي.

٥٥٣ ـ **مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني**، تأليف: محمد الخضر الجكني الشنقيطي، دار البشير عمان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٥٥٤ ـ **مشكاة المصابيح**، تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٥٥٥ ـ **المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً**، لصادق سليم صادق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

٥٥٦ ـ **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن**، تأليف: عبد الله بن محمد الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، وأخرى: ط. مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، صنعاء، بدون تأريخ.

٥٥٧ ـ **المصباح المنير**، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، مكتبة لبنان ـ بيروت، ط ١٩٩٠م، وطبعة المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٥هـ، وأخرى بتحقيق: عادل مرشد، بدون تاريخ.

٥٥٨ ـ **مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي**، تأليف: برهان الدين البقاع، تحقيق: عبد الرحمٰن الوكيل شركة ألوان للطباعة، ط١٤١٥هـ.

٥٥٩ ـ **المصنف**، تأليف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٥٦٠ ـ **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع**، تأليف: ملا علي القاري المكي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

٥٦١ ـ **مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية**، وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، إدريس محمود إدريس، طبع مكتبة الرشد الرياض، وشركة الرياض للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٥٦٢ ـ **مظاهر الغلو عند الصوفية حقائق وملابسات، تأليف: د. محمد بن ناصر الشثري، ط ٤٢٤هـ ـ مطابع الحميضي، الرياض.**

٥٦٣ ـ **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، (في التوحيد)، تأليف: الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: عمر محمود أبو عمر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار ابن القيم، الدمام.

٥٦٤ ـ **المعارف**، لابن بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ). ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٦٥ ـ **معالم التنزيل**، الحسين بن مسعود البغوي ويسمى: (تفسير البغوي) دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٥٦٦ ـ **معالم تاريخ الجزيرة العربية**، تأليف: سعيد بن عوض باوزير، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ، منشورات: مؤسسة الصبان وشركاه، عدن.

٥٦٧ ـ **معاني القرآن**، للفراء: ، ط. مصر، ت: النجار.

٥٦٨ ـ **معجم اصطلاحات الصوفية**، تأليف: عبد الرزاق الكاشاني، تحقيق وتقديم وتعليق: د. عبد العال شاهين. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار المنار، القاهرة.

٥٦٩ ـ **معجم البلدان**، لياقوت الحموي، دار بيروت، ط ١٤١٨هـ، وطبعة دار صادر، وط دار الفكر

٥٧٠ ـ **المعجم الصوفي**، الكتاب الشامل لألفاظ الصوفية ولغتهم الاصطلاحية ومفاهيمهم ومعاني ذلك ودلالاته، د. عبد المنعم الحفني، ط ١٤١٧هـ، دار الرشاد، القاهرة.

٥٧١ ـ **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٥٧٢ ـ **معجم المؤلفين**، (تراجم مصنفي الكتب العربية)، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٧٣ ـ **معجم لغة الفقهاء**، للدكتور: محمد رواس قلعة جي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٦هـ.

٥٧٤ ـ **معجم مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، دار الفكر، بيروت، وأخرى، بتحقيق: عبد السلام محمد هارون، بدون تاريخ.

٥٧٥ ـ **المعلم عبد الحق**، تأليف: محمد عبد القادر بامطرف، دار الهمداني، عدن، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

٥٧٦ ـ **المفردات في غريب القرآن**، تأليف: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، وطبعة أخرى: راجعها وقدم لها: وائل أحمد عبد الرحمٰن، المكتبة التوفيقية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٥٧٧ ـ **المفهم لما أشكل من صحيح مسلم**، للقرطبي، حققه: محيي الدين مستو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٥٧٨ ـ **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي دار الهجرة، بيروت، ط ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٥٧٩ ـ مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمٰن ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، طبع دار الفكر بيروت، وطبعة مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٥٨٠ ـ **مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية السياسية في اليمن**، فيما بين القرن الثالث والخامس الهجري، للدكتور أحمد عبد الله عارف، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

٥٨١ ـ **ملحق عن قصيدة البردة**، كتبه: عبد الله الصديق الغماري بذيل كتاب البوصيري مادح الرسول ﷺ. تأليف: عبد العال الحمامصي، مكتبة الهداية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٥٨٢ ـ **الملخص الفقهي**، تأليف: الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٥٨٣ ـ **الملل والنحل**، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: السعيد المندوه، طبع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، وطبعة أخرى بتحقيق وتعليق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، وأخرى بتحقيق: محمد سيد كيلاني، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، وط١٤١٠هـ بتحقيق: محمد فهمي أبو الخير، دار الكتب العلمية.

٥٨٤ ـ **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**، لمحمد بن أبي بكر بن القيم، طبع دار العاصمة، الرياض الطبعة الأولى (١٤١٦ ـ ١٩٩٦م)، وأخرى بتحقيق وتخريج: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب.

٥٨٥ ـ **المنار واليمن**، (١٣١٥ ـ ١٣٥٤هـ)، دراسة نصوص، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٥٨٦ ـ **مناقب الإمام الشافعي**، للبيهقي، تحقيق: أحمد صقر، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ، دار التراث.

٥٨٧ ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تأليف: محمد عبد العظيم الزرقاني، بدون تاريخ، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

٥٨٨ ـ **منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس**، عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ، طبع دار الهداية للطبع والنشر والترجمة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م

٥٨٩ ـ **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، توزيع دار أحد، بدون تاريخ.

٥٩٠ ـ **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، للإمام النووي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ، وطبعة دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٥٩١ ـ **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**، تأليف: عثمان بن علي بن حسن، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٥٩٢ ـ **منهج الأشاعرة في العقيدة**، د. سفر بن عبد الرحمٰن الحوالي، طبع مكتبة العلم، بالقاهرة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٥٩٣ ـ **المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية**، علي أحمد باصبرين، تحقيق: أكرم مبارك عصبان، مصفوف بالكمبيوتر عن مخطوطة بمكتبة الأحقاف.

٥٩٤ ـ **موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة**، لعلي بن السيد الوصيفي، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر، بدون تاريخ.

٥٩٥ ـ **الموافقات في أصول الشريعة**، إبراهيم بن موسى الشاطبي، بعناية محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٥٩٦ ـ **المورد في عمل المولد**، للعلامة أبي حفص تاج الدين الفاكهاني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٥٩٧ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

٥٩٨ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، محمد بن أحمد الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٥٩٩ ـ **النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين**، للعلامة حمد بن ناصر آل معمر، تحقيق: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠٩هـ.

٦٠٠ ـ **النسبة إلى المواضع والبلدان**، للمؤرخ: عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة الحميري، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، مركز الوثائق والبحوث، أبو ظبي.

٦٠١ ـ **نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر**، لعبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف، طبع سنة ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م، مطبعة النهضة اليمانية، عدن.

٦٠٢ ـ **نصيحة البيحاني إلى جميع أهالي يافع**، الطبعة الثانية، دار الجماهير، عدن، بدون تاريخ.

٦٠٣ ـ **نصيحة وإنذار**، (دق المسمار)، للشيخ محمد بن عمر العماري، خرج أحاديثها وتراجمها: حسن محمد العماري، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ، الناشر: مكتبة المعارف، الطائف.

٦٠٤ ـ **النهاية في غريب الحديث**، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، طبع دار الفكر، بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، وأخرى بتحقيق: طاهر الزواوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

٦٠٥ ـ **نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار**، للإمام محمد بن علي الشوكاني، حققه وعلق عليها: محمد أديب الموصلي وآخرون، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، دار الكلم الطيب، دمشق.

٦٠٦ ـ **هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد**، أحمد بن محمد بن عوض العبادي، بتعليق: الشيخ البيحاني، بدون تاريخ ولا دار طباعة.

٦٠٧ ـ **هذه دعوتنا**، لعبد اللطيف مشتهري.

٦٠٨ ـ **هذه مفاهيمنا**، (رد على كتاب مفاهيم يجب أن تصحح، لمحمد بن علوي المالكي)، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار البخاري، المدينة المنورة، بدون تاريخ.

٦٠٩ ـ **هذه هي الصوفية**، للشيخ عبد الرحمٰن الوكيل. الطبعة الرابعة ١٩٨٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦١٠ ـ **الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفيهم**، تأليف: د. المرابط بن محمد يسلم المجتبى الشنقيطي، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٦١١ ـ **الواضح في أصول الفقه**، تأليف: د. محمد سليمان عبد الله الأشقر، الطبعة الخامسة ١٤١٧هـ، دار النفائس، عمَّان.

٦١٢ ـ **الوافي**، معجم وسيط اللغة العربية، تأليف: عبد الله البستاني ، مكتبة لبنان ـ بيروت، ط١٩٩٠م، بدون تاريخ.

٦١٣ ـ **الوحي المحمدي**، تأليف: محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ، المكتب الإسلامي، دمشق.

٦١٤ ـ **وسطية أهل السنة في القدر**، تأليف: د. عواد بن عبد الله المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٦١٥ ـ **الوسيلة**، لأبي الوفاء محمد درويش، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

الدوريات وغيرها:

الأشرطة:

٦١٦ - (أجوبة أسئلة لإخواننا بحضرموت)، (أجوبة أسئلة بعض إخواننا بحضرموت)، (أسئلة أخ من حضرموت)، (أسئلة من حضرموت)، (أجوبة أسئلة بعض إخواننا الحضرميين) (أسئلة بعض الأخوة الحضرميين) كلها للشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

٦١٧ - الأجوبة البهية على أسئلة أصحاب القوات العسكرية، ليحيى بن علي الحجوري.

٦١٨ - حوار هادئ مع الشيخ علي الجفري، لحسن الحسيني.

٦١٩ - مناظرة الشيخ عبد العزيز البرعي لسعيد باعبده الصوفي بالمهرة.

٦٢٠ - لقاء مع الشيخ عبد الله الناخبي، للباحث.

٦٢١ - أسئلة حول المولد والحضرة والسبحة، و(الشركيات وعقائد الصوفية)، و(رحلة الإمام إلى حضرموت)، و(الصوفية وكذبها على الأولياء) و(بدع وشركيات في شعبان) وخطبة يوم الجمعة بعنوان: (صوفية حضرموت) في رجب ١٤٢٤هـ كلها للشيخ محمد الإمام.

الأبحاث والمجلات والصحف:

٦٢٢ - الملك عبد العزيز ورعاية الحركة الإسلامية السلفية في أندونيسيا: بحث مقدم للندوة المنعقدة في جاكرتا، أندونيسيا خلال الفترة من ٢٩نوفمبر، ١ ديسمبر ١٩٩٩م تحت رعاية جامعة الإمام، محمد بن سعود الإسلامية، مقدم البحث: د. عمر بن عبد الله بامحسون.

٦٢٣ - بحث بعنوان: الهجرات اليمنية عبر التاريخ إلى شرق أفريقيا، لعلي بن صالح باصرة.

٦٢٤ - دمعة على التوحيد: إصدار المنتدى الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٦٢٥ - صحيفة (الأيام) اليمنية، العدد ٣٩٥٧ بتأريخ ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ، الموافق ٢٧/٨/٢٠٠٣م.

٦٢٦ - صحيفة الحياة، العدد(١١٥٣١) الثلاثاء ٨/٤/١٤٥هـ الموافق ١٣/٩/١٩٩٤م، والعدد(١١٥٣٤) الجمعة ١١/٤/١٤١٥هـ، الموافق ١٦/٩/١٩٩٤م، ص١، ٤، ومشاهد مخزية ومبكية عند قبر العيدروس بعدن: الحياة، العدد (١١٥٣٥) السبت ١٢/٤/١٤١٥هـ، الموافق ١٧/٩/١٩٩٤م: (ص١، ٤).

٦٢٧ - صحيفة المدينة في عددها ٤٣١٧ السنة ٤١ بتأريخ ٩رجب ١٣٩٨هـ.

٦٢٨ - مجلة الأزهر، الجزء ٦ جمادى الآخرة ١٣٨١هـ، المجلد ٣٣، والجزء ١١، ذو القعدة ١٣٨١هـ، المجلد ٣٣، والجزء ٨، شعبان ١٣٨١هـ، المجلد ٣٣.

٦٢٩ ـ مجلة التجديد، تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا،العدد (١٤)، جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ.

٦٣٠ ـ مجلة الخليج، تصدرها وزارة الحج بمكة، السنة الخامسة والخمسون، ج٨، ٩، صفر، ربيع الآخر ١٤٢١هـ.

٦٣١ ـ مجلة العربي، العدد ٨٥، الصادرة سنة ١٩٦٥م، والعدد ١٧٠، ذو القعدة ١٣٩٢هـ.

٦٣٢ ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، تصدر عن جامعة الكويت، العدد ٤٥، السنة الثانية عشرة، ربيع الثاني ١٤٠٦هـ.



فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

❖ الباب الأول ❖
تاريخ التصوف في حضرموت

الموضوع | الصفحة

❖ الباب الثاني ❖

أبرز عقائد الصوفية في حضرموت ومناقشتها وبيان أثرها

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

